فاتحة البقرة ١ (٩٤) آل عمران نسا ٢ (١٣٦) المائدة ٣ (١٧٦) انعام ٤ (٢٢٨) اعراف ٥ (٢٣٩) انفال ٦ (٢٦٧)

التوبة ٧ (٢٧٧) يونس ٨ (٢٩٨) هود ٩ (٣١٨) يوسف ١٠ (٣٣٨) الرعد ١١ (٣٥٦) ابراهيم ١٢ (٣٦٤) الحجر ١٣ (٣٧٣) النحل ١٤ (٣٨٢) بني اسرائيل ١٥ (٣٩٩)

الكهف ١٦ (٤١٢) مريم ١٧ (٤٢٦) طه ١٨ (٤٣٥) الانبيا ١٩ (٤٤٩) الحج ٢٠ (٤٥٩) المؤمنين ٢١ (٤٦٨) النور ٢٢ (٤٨١) الفرقان ٢٣ (٤٩٩) الشعراء ٢٤ (٤٩٩)

القصص ٢٥ (٥٠٤) النمل ٢٦ (٥١٨) العنكبوت ٢٦ (٥٢٥) الروم ٢٨ (٥٣٠) لقمن ٢٩ (٥٣٥) السجدة ٣٠ (٥٣٢) الاحزاب ٣١ (٥٤٠) سبا ٣٢ (٥٤٩)

فاطر ٣٣ (٥٥٤) يس ٣٤ (٥٥٨) الصافات ٣٥ (٥٧٣) ص ٣٦ (٥٦٦) زمر ٣٧ (٥٨٠) المؤمن ٣٨ (٥٨٧) السجدة ٣٩ (٥٩٣) الشورى ٤٠ (٥٩٧) الزخرف ٤١ (٦٠٣)

الدخان ٤٢ (٦٠٧) جاثية ٤٣ (٦٠٩) الاحقاف ٤٤ (٦١١) محمد ٤٥ (٦١٤) الفتح ٤٦ (٦١٦) الحجرات ٤٧ (٦٢١) ق ٤٨ (٦٢٣) الذاريات ٤٩ (٦٢٦)

الطور ٥٠ (٦٢٨) النجم ٥١ (٦٣٠) القمر ٥٢ (٦٣٣) الرحمن ٥٣ (٦٣٥) الواقعة ٥٤ (٦٣٧) الحديد ٥٥ (٦٤٠) المجادلة ٥٦ (٦٤٤) الحشر ٥٧ (٦٤٦)

الممتحنة ٥٨ (٦٥٠) الصف ٥٩ (٦٥٠) الجمعة ٦٠ (٦٥١) المنافقون ٦١ (٦٥٢) التغابن ٦٢ (٦٥٣) الطلاق ٦٣ (٦٥٤) التحريم ٦٤ (٦٥٥) الملك ٦٥ (٦٥٦)

القلم ٦٦ (٦٥٩) الحاقة ٦٧ (٦٦١) المعارج ٦٨ (٦٦٣) نوح ٦٩ (٦٦٤) الجن (٦٦٦) المزمل (٦٦٧) المدثر (٦٦٨) القيمة (٦٧١)

الدهر (٦٧٢) المرسلات (٦٧٣) النبأ النازعات عبس كورت الانفطار التطفيف

الانشقاق البروج الطارق الاعلى الغاشية الفجر البلد

الشمس الليل الضحى الانشرح التين العلق القدر البينة

الزلزال العاديات القارعة التكاثر العصر

الهمزة الفيل قريش الدين الكوثر

الكافرون النصر اللهب الاخلاص

الفلق الناس

[illegible]

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

وقف السلطان السعيد الاعظم والخاقان المجيد الاكرم الافخم
ناشر العدل والاحسان وموضح احكام الامور بالرشد والعرفان
السلطان بن السلطان السلطان ابو الفتوح والمغازي محمود خان
ابن السلطان مصطفى خان ثبت الله اساس دولته الطاهرة وخلد
خلافته العلية الباهرة وانا الفقير اليه سبحانه وتعالى
مصطفى طاهر المفتش بالحرمين الشريفين
المحترمين

١٢٨

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق • وبيّن له من شعائر الشرايع كل ما جلّ ودقّ • انزل
عليه اظهر بينات واَبهر حجج • قرآنا عربيا غير ذي عوج • مصدقا لما بين يديه من الكتاب • ليدبروا آياته وليذكر
اولوا الالباب • ناطقا بكل امر رشيد • هاديا الى صراط العزيز الحميد • آمرا بعبادة الصمد المعبود • ٥
كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود • تكاد الرواسي لهيبته تمور • ويذوب منه الحديد وينبع صم الصخور
حقيقا بان تسير به الجبال • وييسر به كل صعب محال • معجزا افحم كل مصقع من مهرة قحطان • وبكت مفلق من
شجرة البيان • بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته • لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته
نزله على فترة من الرسل ليرشد الامة الى قوام السبل • فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين • فاضمحل دجى
الباطل وسطع نور اليقين • فمن اتبع هداه • فقد فاز بمناه • واما من عانده وعصاه • واتخذ الهه هواه
فقد هام في موامي الردى • وتردى في مهاوي الزور • ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور • صلى الله عليه
وعلى آله الاخيار • وصحبه الابرار • ما تناوبت الانوا • وتعاقبت الظلم والاضوا • وعلى من تبعهم
باحسان • مدى الدهور والازمان • وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي
ابو السعود بن محمد العمادي • ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرفا منها مسطورا • والحكم
الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا • ليست الا معرفة الصانع الحميد • وعبادة الباري المبدي
المعيد • ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل • سوى الوقوف على مواقف التنزيل • فانه عز سلطانه وبهر
برهانه • وان سطر آيات قدرته في صحائف الاكوان • ونصب رايات وحدته في صحايف الاعراض والاعيان •
وجعل كل ذرة من ذرات العالم • وكل قطرة من قطرات العيالم • وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع • وكل
حرف رقم في لوح الاختراع • مرآة لمشاهدة جماله • ومطالعة صفات كماله • حجة نيرة واضحة المكنون
وآية بينة لقوم يعلمون • برهانا جليا لا ريب فيه • ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه • بل ناطقا يتلو آيات
ربه • فهل من سامع واع • ومجيبا صادقا فهل له من داع • يكلم الناس على قدر عقولهم • ويرد جوابهم بحسب
معقولهم • يحاول تارة باوضح عبارة • ويلوح اخرى بالطف اشارة • لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل
والاستشهاد بتلك الامارات والمخايل • والتنبه لتلك الاشارات السنية • والتفطن بمعاني تلك العبارات
العبقرية • وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر • وكنوز آثار التعاجيب والعبر • مما لا تطيق به عقول

البشر

البشر • الا بتوفيق خلاق القوى والقدر • وامداد المواد • ليس الا كلام رب العباد • اذ هو
المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية • والمفسر لمشكلات آياته التكوينية • والكاشف عن خفايا حظائر القدس
والمطلع على خبايا سرائر الانس • وبه يكتسب الملكات الفاخرة • وبه يتوصل الى سعادات الدنيا والآخرة
خلا انه ايضا من علو الشان • وسمو المكان • ونهاية الغموض والاعضال • وصعوبة الماخذ وعزة المنال
في غاية الغايات القاصية • ونهاية النهايات النائية • اعز من بيض الانوق • وابعد من مناط العيوق • لا
يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة • ولا يتأتى الرقي الى مدارجه المنيعة • كيف لا وانه مع كونه متضمنا ٥
لدقائق العلوم النظرية • ومنطويا على دقائق الفنون الخفية والجلية • حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية
ومحيطا بمناط الدلائل الاصلية والفرعية • منبئا عن اسرار الحقائق والنعوت • مخبرا باطوار الملك والملكوت
عليه يدور فلك الاوامر والنواهي • واليه تستند معرفة الاشياء كما هي • قد نسج على اغرب منوال وابدع
طراز • واحتجبت طلعته بسبحات الاعجاز • طويت حقائقه اللائحة عن العقول • وزويت دقائقه الخفية عن
اذهان الفحول • يرد عيون العقول سبحاته • ويخطف ابصار البصائر بريقه ولمعانه • ولو تصدى لتفسير
غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير في كل عصر من الاعصار • وتولى لتفسير عويصات معضلاته
سلاطين اسرة التقرير والتحرير • في كل قطر من الاقطار • فغاصوا في لججه وخاضوا في فسحه فنظموا فرائده في
سلك التحرير • وابرزوا فوائده في معرض التقرير • وصنفوا كتبا جليلة المقدار • وزبرا جميلة الآثار
اما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني • وتشييد المباني • وتبيين المرام • وترتيب
الاحكام • حسبما بلغهم من سيد الانام • عليه شرائف التحية والسلام • واما المتاخرون المدققون
فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقة • وابداء خفاياه الفائقة • ليعاين الناس دلائل اعجازه • ويشاهدوا
شواهد فضله وامتيازه • عن سائر الكتب الربانية • والزبر العظيمة السبحانية • فدونوا اسفارا بارعة
جليلة لفنون المحاسن الرائعة • يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها العيون • وعوائد لطيفة تتشنف بها اذان الاذهان
لا سيما الكشاف وانوار التنزيل • المتفردان بالشان الجليل والنعت الجميل • فان كلا منهما قد احرز قصب السبق
اي احراز كانه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز • صحائفهما مرايا المزايا الحسان • ومسطورهما عقود الجمان وقلائد
العقيان • ولقد كان في سوابق الايام • وسوالف الدهور والاعوام • اوان اشتغالي بمطالعتهما
وممارستهما • وزمان انتصابي لمفاوضتهما • يدور في خلدي على الاستمرار • آناء الليل واطراف النهار • ان انظم
فرائدهما في سمط دقيق • وارتب غرر فوائدهما على ترتيب انيق • واضيف اليهما ما صنعته الغيبة في تضاعيف
الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق • وصادفته في اصداف العالم الزاخرة من زواهر الدقائق • واسلك خلالها
بطريق الترصيع • على نسق انيق • واسلوب بديع • حسبما يقتضيه جلالة شان التنزيل • ويستدعيه جزالة
نظمه الجليل • ما سنح للفكر العليل • بالعناية الربانية • وسمح به النظر الكليل • بالهداية السبحانية • من عوارف
معارف يمتد اليها من اعناق الهمم من كل ما هو لبيب • وغرائب رغائب ترنو اليها احداق الامم من كل نحرير
اريب • وتحقيقات رضية تقبل عثرات الافهام • في مداحض الاقدام • وتدقيقات منيعة تزيل مضطرات
الاوهام • من خواطر الانام • في معارك افكار تشتبه فيها الشئون • ومدارك انظار تختلط فيها الظنون •
وابرز من وراء استار الكمون • من دقائق السر المخزون • في خزائن الكتاب المكنون • وما تطمئن اليه العقول
وتقر به العيون • من خفايا الرموز • وخبايا الكنوز • واهديها الى الخزانة العامرة • البحار الزاخرة
لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض • واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض • الا وهو السلطان الاسعد

الاعظم • والخاقان الامجد الافخم • مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر • وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر • رافع رايات الدين الازهر • موضح ايات الشرع الانور • مرغم انوف الفراعنة والجبابرة
معفر عزمه النير فانتهى الى المشرق الاسنا • وعزب حتى بلغ مغرب الشمس اودنا • بخميس عرمرم متراحم الافواج • وعسكر لجب متلاطم الامواج • فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب • وما بين نقطتي الشمال والجنوب • منتظما في سلك ولايته الواسعه • ومندرجا تحت ظلال رايته الرايقه • فاصبحت منابر الربع المسكون • مشرقه بتذكار اسمه الميمون • فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط • واستغرق ملكه وجه البحر المحيط • فكانه فضا ضربت فيه خيامه • اونصبت عليه الويته واعلامه • مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم • قاصم القياصره • قاهر القروم • سلطان العرب والعجم والروم • سلطان المشرقين وخاقان الخافقين • الامام المقتدر بالقدرة الربانيه • والخليفة المعتز بالعز السبحانيه • المفتخر بخدمة الحرمين العظيمين الجليلين • وحماية المقامين الجليلين المفخمين • ناشر القوانين السلطانيه • عاشر الخواقين العثمانيه • السلطان بن السلطان • السلطان سليمان خان • بن السلطان المظفر المنصور • والخاقان الموقر المشهور • صاحب المغازي المشهورة في اقطار الامصار • والفتوحات المذكوره في صحايف الاسفار • السلطان سليم خان • بن السلطان السعيد • والخاقان المجيد • السلطان بايزيد خان • لا زالت سلطنة سلطنته متسلسلة الى انتها سلسلة الزمان • وارواح اسلافه العظام متنزهة في روضة الرضوان • وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام • لقصور لساني وعزة المرام • اي الخصيص من الذي شتان ما بين الثريا والثرى • وهيهات اصطياد العنقا بالشباك • واقتنا الجوزا من بروج الافلاك • فمضت عليه الدهور والسنون • وتغير الاطوار وتبدلت الشون • فابتليت بمصالح العباد • برهة في فلا العباد • واخرى في قضا العساكر والاجناد • فحال بيني وبين ما كنت احاول • تراكم المهمات وتزاحم الاشغال • وحموم العوارض والعلايق • وهجوم الصوارف والعوايق • والتردد الى المغازي والاسفار • والتنقل من دار الى دار • وكنت في تضاعيف هاتيك الامور • اقدر في نفسي ان اتنزه برهة من الدهور • وتسنى لي القرار وتطمين لي الدار • فاظفر حينئذ بوقت خال • اتبتل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال • واوجه اليه وجهي واسلم له سري وعلانيتي • وانظر الى كل شي بعين الشهود • واتعرف سر الحق في كل موجود • تلافيا لما قدفات واستعدادا لما هو آت • واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه • واتولى لتكميل ما توجهت اليه • برفاهة واطمينان وحضور قلب وفراغ جنان • فبينما انا في هذا الخيال • اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال • تحولت الاحوال والدهر حول • فوقعت في امر اشق من الاول • امرت بحل مشكلات الانام • فيما شجر بينهم من النزاع والخصام • فلقيت معدلة طويلة الذيول • وصرت كالهارب من المطر الى السيول • فبلغ السيل الربا وغمرني اي غمر عوارب ما جرى بين زيد وعمرو • فاصبحت في ضيق المجال • وسعة الاشغال • اشهر ممن يضرب بها الامثال • فجعلت اتمثل بقول من قال •

	لقد اشكوك والحوادث برهة	واستمرض الايام وهي صحاح	
	الى ان نفشتني وقيت حوادث	تحقق ان السالفات مناح	

فلما انفصمت عرى الآمال • عن الفوز بفراغ البال • ورايت ان الفرصة على جناح الفوات • وشمل الاسباب في شرف الشتات • وقد مسني الكبر • وتصالت القوى والقدر • ودنى الاجل من الحلول • واشرقت شمس الحيوة على الافول • عزمت على انشا ما كنت انويه • وتوجهت الى املا ما طالت ابتغيه • ناويا ان اسميه عند تمامه

بتوفيق الله وانعامه •

فشرعت فيه مع تراكم المكاره علي • وتزاحم المساره بين يدي • متضرعا الى رب العزة والعظمة والجبروت • خلاق عالم الملك والملكوت • في ان يعصمني من الزيغ والزلل • ويقيني مصارع السو في القول والعمل • ويوفقني لتحصيل ما اومه وارجوه • ويهديني لتكميله على احسن الوجوه • ويجعله ذخيرة لي وعتادا • اتمتع به يوم المعاد • فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع • ورفعت ايدي الضراعة والسوال الى جنابه الرفيع • افض علينا من شوارق انوار التوفيق • واطلعنا على دقايق اسرار التحقيق • وثبت اقدامنا على مناهج هداك • وانطقنا بما فيه امرك ورضاك • ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا ان • وخذ بناصيتنا الى الخير حيث كان • جئناك على جباه الاستكانة ضارعين • ولابواب فيضك قارعين • انت الملاذ في كل امر مبهم • وانت المعاذ في كل خطب ملم • لا رب غيرك ولا خير الا خيرك • بيدك مقاليد الامور • لك الخلق والامر واليك النشور •

سورة فاتحة الكتاب وعدد اياتها سبع ايات مكية

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب طلقت عليه [illegible] واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شي فيه تدريج لوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراة وعدنا والتا للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي المصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا ينسي في الخاتمة لما ان ختم الشي عبارة عن بلوغ اخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزايه الاول بل على معنى انه الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وفي ضمنه فتح المجموع بواسطته على الوجه الذي تحققه والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمه بتمامها باعتبار جزيها الاول والمراد بالكتاب المجموع المشخص لا القدر المشترك بينه وبين اجزايه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوايل عهد النبوة وقبل تحصل المجموع بنزول التسمية من جهة الله تعالى عز اسمه ومن جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزله جملة الى السما الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جز الشي لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جز من المضاف اليه لا جزي له ومدار التسمية كونه مبدا للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراة في الصلاة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرا في الصلاة حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له • واما الاخر فلان المبدا به من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزا الكتاب ولا ريب في ان الترغيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود • وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشا له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثنا على الله عز وجل والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعدا ومنازل الاشقيا والمراد بالقران هو المراد بالكتاب • وتسمى ام الكتاب كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكاينات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات

ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن وما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدا بقراتها في الصلاة فانه مما
لا تعلق له في التسمية كما اشير اليه   وتسمى سورة الكنز لقوله عليه الصلاة والسلام انها نزلت من كنز تحت العرش
او لما ذكر في ام القران كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية   وتسمى سورة الحمد والشكر والدعا
وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها   وسورة الصلاة لوجوب قراتها فيها   وسورة الشفا والشافية لقوله عليه السلام
هي شفا من كل دا   والسبع المثاني لانها سبع ايات تثنى في الصلاة او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت مرة
بمكة حين فرضت الصلاة ومرة اخرى بالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك
سبعا من المثاني وهو مكي بالنص   اختلفت الامة في شان التسمية في اوايل
السور الكريمة فقيل انها ليست من القران اصلا وهو قول ابن مسعود ومذهب مالك والمشهور من مذهب
قدما الحنفية وعليه قرا المدينة والبصرة والشام وفقهاها   وقيل انها اية من القران نزلت للفصل
والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية   وقيل هي اية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد
نسب الى ابن عمر ايضا وعليه يطلق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر انها نزلت مع كل
سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطا ابن المبارك وعليه قرا مكة والكوفة وفقهاها وهو
القول الجديد للشافعي ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الخصاف من ان هذا القول من الشافعي لم يسبق
اليه احد   وقيل انها اية من الفاتحة مع كونها قرانا في ساير السور ايضا من غير تعرض لكونها جزا منها اولا ولا لكونها
اية تامة اولا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي   ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة وقيل
انها اية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي   وقيل بعض اية في الفاتحة واية تامة في البواقي   وقيل انها بعض اية في
الكل وقيل انها ايات من القران متعدده بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها وهذا القول ليس له
معزي في الكتب الى احد وهناك قول اخر ذكره بعض المتاخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها اية تامة في الفاتحة
وليست بقران في ساير السور ولولا اعتبار كونها اية تامة في الفاتحة لكان ذلك احد محكي تردد الشافعي فانه
قد نقل عنه انها بعض اية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرانا اولا وقيل
بين ان تكون اية تامة اولا   قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني   وعن احمد بن
حنبل في كونها اية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقله ابن مع ملك وغيرهم ممن يقول
انها ليست من القران هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلاثة الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف
مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقتضي نفي القول الاول وثبوت القول المشترك بين
الاخرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزا من القران لا يستدعي كونها جزا من كل سورة منه
كما لا يستدعي كونها اية منفردة واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من ان من تركها فقد ترك مائة واربعة
عشر اية من كتاب الله وما روي عن ام سلمة من انه عليه الصلاة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن
بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن ام سلمة من انه عليه الصلاة والسلام قرا سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله رب العالمين اية وان كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس لشيء منها نصا في اثبات القول
الثالث اما الاول فانه لا يدل الا على كونها ايات من كتاب الله تعالى متعدده بعدد السور المصدرة بها لا على
المطلوب من كونها اية تامة من كل واحد منها الا ان يلتجي الى ان يقال ان كونها اية متعدده بعدد السور
المصدرة بها من غير ان يكون جزا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور
واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور   والبا فيها متعلقة بمضمر ينبي عنه

الفعل

الفعل المصدر بها كما انها لذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسميه كل ما عنده مباشرة الافعال
ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرا واتلوا وتقديم المعمول للاعتنا به والقصد الى التخصيص
كما في اياك نعبد وتقدير ابدا كما في قضايه اقتصار التبرك للكل وادعا ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ
والمعنى معا   وفي تقدير اقرا من جهة المعنى فقط ليس بشي فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم
يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدا وهذا الى اخر السورة الكريمة مقول على السنة
العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسوال الفضل ولذلك سميت
السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسئلة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية كما
كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتدا والاسم عند البصريين من الاسما
المحذوفة الاعجاز المبنية الاوايل على السكون قد ادخلت عليها عند الابتدا همزة لان من دابهم البدء بالمتحرك والوقف
على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسما وسمي كهدى لغة فيه قال

والله اسماك سمي مباركا	۞	اثرك الله به ايثاركا ۞

بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفع للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو
وعوضت والقلب عنها همزة الوصل لتقل اعلالها ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم
ومن لغاتهم سم وسم قال بسم الله الذي في كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن والتحقيق ما
هو المقصود بالاستعانة هاهنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه
اي افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من ادا ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة
وهي المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه
لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم   ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر
الاسم والا فالمبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل
فليحمل البا على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم
وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل البا على الاستعانة الثانية او
التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت البا عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزة على غير
قياس كما ينبي عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله
بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض   وقيل على
قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه
بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف
الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة
فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة بمعنى العبادة حسبما نص عليه
الجوهري على انه اسم منها بمعنى المالوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث
قال اله واحد ولا يقال شي اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شي كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة
هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين قايما بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فباي ذات يقوم ذلك
المعنى يصح اطلاق الصفة عليه كما في الافعال وكذلك نعل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم
المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من تلك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في

الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه وتعالى تحار في شانه العقول والافهام
واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر ولذلك تاله واستاله اشتقاق استنوق
واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمينان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح
الى معرفته وقيل اصله لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغه وقيل من اله اذا فزع من امر نزل
به واَلهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى فزع وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل هو اسم علم للذات الجليل
ابتدا وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يجدي ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا
يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم
جنس في الاصل وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا كالعلم ويرده امتناع
الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا
ان ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام
عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين
وقد جا لضرورة في الشعر في قوله

ألا لا بارك الله في سهيل	اذا ما الله بارك في الرجال

والرحمن الرحيم صفتان مبنيان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرايز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد
قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قوله هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة
رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد ههنا التفضل والاحسان وارادتهما
بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب وان اسما الله تعالى انما توخذ باعتبار الغايات
التي هي افعاله دون المبادي التي هي الانفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى
وانما امتنع صرفا الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما خطر وجود فعلى حظر وجود
فعلانه فاعتباره يوجب اعتبار اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان
يقاس الى نظايرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة
ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فيمتنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا
والاخرة رحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم
نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به
تعالى وان ما يدل على جلايل النعم وعظايمها احق بالتقديم مما يدل على دقايقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين
بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة **الحمد لله** الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان او وعيدا على وجه
يشعر بتوجيهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف
في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج عامة الافعال بمفعولاتها
واما الاول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك
قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني على المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل
في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما
المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان متعلقا به ووقوعه على الحال مختلفة حسبما تقتضيه خصوصيات
الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة موثرة فيه كعامة الافعال وبعضها

يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتها اليه كالاعانة مثلا او بالابتدا به كالاستعانة مثلا اعتبر في
كل نحو من كل الانحا تعلقه به كيفية لايقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخيرين فنظم القسم الاول في
التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من التعلق
بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتها الاعانة اليه وقوله استعنته بابتدائها منه وقد يكون لفعل
واحد مفعولان متعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الخطيب وسالني
المال فان التحدث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاول ولا ريب في ان اختلاف
هذه الكيفيات الثلاثة وسايها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه منها لما لا يتصور فيه تردد ولا
نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف ذلك
الفعل ولا اختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح فتعين ان اختلافهما كما في كيفية التعلق له
لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده
واياما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما
متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة
ومرادف التاييد التقوية فتدبر ثم اعادكم من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللايق بارادته في مقام التعظيم
واما ما ذكر في كتب الفقه من معنى الرضا مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا او في قولهم لهذا
الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطبا بحران محمود لما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فمعزل من استحقاق
الارادة عنها استقلالا واستتباعا بحمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباتها له عز وجل فايدة يعتد بها وأما
الشكر فهو مقابلة النعم بالثنا واداب الجوارح وعقد القلب على وصف النعمة بنعت الكمال كما قال من قال

افادتكم النعماء مني ثلاثة	يدي ولساني والضمير المحجبا

فاذا هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ويقتضيه الكفران ولما كان الحمد من شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة
والاعتداد بشانها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفا وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر
وملاكا لامره في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتدا وخبره الظرف
واصله النصب كما هو المشهور شان المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا
كانه قيل نحمد الله حمدا انسوق الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما
ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في
نفسه فان السؤال المقدر لابد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام ولا
ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللايقة لما يخطر ببال احد ان يسال عن كيفيته على ان ما
قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية
حمدهم والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل للتوفيق بين المنزل المقرر بالموهوم
المقدر وبعد للثنا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف
وان فرض من جهة الغير اختل النظام لابتنا الجواب على خطابه تعالى وبهذا اتضح فساد ما قيل انه استيناف جوابا
لسؤال يقتضيه اجرا تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب
بحصر العبادة والاستعانة فيه فان بناء جانب السايل بالكلية وبنا الجواب على خطابه عز وجل مما يجب تنزيه
ساحة التنزيل عن امثاله واحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر

من النعوت الجليلة الموفيه للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شي اخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع
علي النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالي لذاته لا لاثبات مثبت فان ذلك امر دايم مستمر لاحادث
متجدد كما تفيده قراة النصب وهو السر في كون تحيه الخليل للملايكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله
تعالي قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الي الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد
تخصيص حقيقة الحمد به تعالي المستدعي لتخصيص افرادها به سبحانه علي الطريق البرهاني لكن لابنا علي ان افعال العباد
مخلوقة له تعالي فتكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالي بل بنا علي ان تنزيل
تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كيف وكما وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الي الحقيقة
من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقري الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها
باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بنا علي تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة
ومنحدر الجبل **رب العالمين** بالجر علي انه صفة لله ومن اضافة حقيقية مفيدة للتعريف علي محلها حال ضرورة تعين ارادة
الاستمرار وقري منصوبا علي المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل الحمد لله رب العالمين ولا مساغ
لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلي باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر
بمعني التربية وهو تبليغ الشي الي كماله شيا فشيا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه
مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله الي فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق
علي غيره تعالي الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالي فيسقي ربه خمرا وقوله تعالي ارجع الي ربك وما في
الصحيحين من انه صلي الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضي ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي
فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يكن اطلاقه علي الله تعالي جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد
كما في قوله تعالي ارباب متفرقون خير ام الله الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع
تعالي من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق علي كل جنس منها في قولهم عالم
الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الي غير ذلك يطلق علي المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزايه
محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملايكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به
الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله علي نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما
يعلم بما فيه عالم علي حاله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول
هو الاحق الاظهر وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالي لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد جنس
واحد علي الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمشاهدة التعريف نزل العالم وان لم ينطلق علي احاد
مدلوله منزلة الجمع حتي قيل انه جمع لا واحد له من لفظه وكما ان الجمع المعرف يستغرق احاد مفرده وان لم يصدق
عليها كما في مثل قوله تعالي والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمي به وان لم يصدق
ينطلق عليها كانها احاد مفرده التقديري ومن قضيه هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل
تتناول كل واحد من احاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد تحصي روي
عن وهب بن منبه انه قال لله تعالي ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص
ذلك بصفات العقلا وما في حكمها من الاعلام لدلالته علي معني العلم مع اعتبار تغليب العقلا علي غيرهم **واعلم**
ان عدم انطلاق العالم علي كل واحد من تلك الاحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا
ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما كما يستدل علي الله سبحانه بمجموع ما سواه بكل جنس من اجناسه يستدل

عليه

عليه تعالي بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الي المؤثر الواجب لذاته
في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كاينا ما كان دليل لايح علي الصانع المجيد
وسبيل واضح الي التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة الي بيانه اذ لا شي مما احدق به نطاق الامكان
والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث
لو فرض انقطاع اثار التربية عنه انا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا في مطمورة العدم
ومهاوي البوار لكن تفيض عليه من الجناب الاقدس تعالي شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل ان يمر
وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وكمالاته وصفاته ما لا يحيط به فلك التعبير ولا
يعلمه الا العليم الخبير ضرورة كما انه لا يستحق شيا من الممكنات بذاته الوجود ابتدا اما لم يتيسر عليه جميع انحا
عدمه الاصلي لا يتصور بقاوه علي الوجود بعد تحققه بعليه ما لم يتيسر عليه جميع انحا عدمه الطاري لما ان
الدوام من خصايص الوجود الواجبي فظاهر ان ما توقف عليه وجوده من الامور الوجوديه التي هي علله
وشرايطه وان كانت متناهيه لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي
المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشي واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده
او بقاوه علي ارتفاعها اي بقايها علي العدم مع امكان وجودها في انفسها وابقا تلك الموانع التي لا تتناهي علي
العدم تربيه لذلك الشي من وجوه غير متناهية وباطله فاثار ربوبيته عز وجل الفايضة علي كل فرد من افراد
الموجودات في كل ان من انات الوجود غير متناهيه فسبحان سبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون
بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شانه لا يضاهي واحسانه لا يتناهي ونحن في معرفته حايرون
وفي اقامه مراسم شكره قاصرون نسالك اللهم الهداية الي مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك
لا نحصي ثنا عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك **الرحمن الرحيم** صفتان لله تعالي فان اريد بما فيهما
من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض علي الكل بعد الخروج الي طور الوجود من النعم فوجه تاخيرهما عن
وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالي ورحمتي وسعت كل شي بانه تعالي
متفضل فيها فاعل بمقتضي رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة علي احسن ما يكون والاقتصار علي
نعته تعالي بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده **مالك يوم
الدين** صفة رابعة له وتاخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الي بيان وجهه وقرا اهل الحرمين ملك
من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلا الظاهر والغلبة التامة والقدرة علي
التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الي يوم الدين كما في قوله تعالي لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار وقري ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب علي المدح والحال
وبالرفع منونا ومضافا علي انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين
مطلع الشمس ومغربها في الزمان وفي الشرع ما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت
والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسه

ولم يبق سوى العدوان		دناهم كما دانوا

واما الاول فالاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشي باسم مسببه كما سميت
ارادة القيام والقراة باسمهما في قوله عز وجل اذا قمتم الي الصلاة وقوله تعالي فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولعله
مدا سوي في بنا الفاعلية من الافعال التي يقوم اسبابها مقعو لانها كعوقبت اللص ونظايره فان قيام السرقة التي

هي سبب العقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب وهي العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت
عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم الى الدين لادنى ملابسة كاضافة ساير
الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين ساير ما وقع فيه من
القيامة فالجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيمة وغيرهما من مبادي الجزاء ومقدماته
واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول مع
بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين
وخلو اضافته عن افادة التعريف الموسوع لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال والاستقبال واما عند ارادة
الاستمرار الثبوتي كما هو اللايق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها
في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى
المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء
الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك
تقول في مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه لك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه
بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلايق المجازية بين الملاك والاملاك
حينئذ بالكلية واجراؤها تلك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم
للاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة بوجوب
ثبوت كل واحدة منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهرة لانهما متعارضتان صراحة
لكونه تعالى ربا ومالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه بهما تعالى ليس الا بالنسبة
الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على
وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعنى بالاختصاص اياك
نعبد واياك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان
الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضي البراعة المرام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب
النفوس واستمالة القلوب يقع على كل واحد من المتكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الاخرين كما في
قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من
الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استاثر به هذا المقام الجليل من النكت
الرايقة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له
تعالى العمل ثم ظهور بحث تبدل خفايا الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان
بان حق التالي بعد ما تامل فيما سلف من تقرره تعالى بذاته الاقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما
سواه بالكلية واستبداده بجلايل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه
في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان
وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حضاير القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف
لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا من هذه الشؤون ذاته
وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق
ان يعبد او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة التي هي

مناجاة العبد لمولاه ومنبهة للتبتل اليه بالكلية واياك منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف
زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه
الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه من بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول
عليه وقيل هي الضماير واياه دعامة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف
وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي
مذلل والعبودية بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما
ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال
ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل
واحد من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجات والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات
مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات
المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما
والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة ادعى للاجابة والقبول هذا
على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤول
هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللايق بشان التنزيل والمناسب لحال الحامد
فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في
ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما توجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله
واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى او باستدعاء
الهداية الى ما يوصل اليه اجرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او ما يعمها وغيرها كانه
قيل واياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة منه فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه
من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وكونها من
مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملاءمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد
مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بتصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف
في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة
هو من جملتهم وجماعة هو من جملة زمرتهم كما هو ديدن الملوك او للاشعار باشتراك ساير الموحدين له في الحالة
العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم اهدنا
الصراط المستقيم افراد لمعظم افراد المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم
فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى
الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله لنهدينهم سبلنا
وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى
الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة
والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها افاقية واما تكوينية معربة عن الحق
بلسان الحال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي الى وهي نصب الادلة المودعة في

كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف • واما تنزيلية مفصحة عن تفصيل الاحكام النظرية والعملية
بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى تلك الاستدلا
تلك الادلة التكوينية الافاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض
ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وجل ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله من شيء في
السموات والارض لايات لقوم يتقون • ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي
والالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب سيما وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية
على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول وان اعتبر قطعا مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان
مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة
الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز • وقرئ ارشدنا والصراط الجادة واصله السين قلبت
صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت بها لانها تسترط السابلة اذا سلكوها
كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن
اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه سرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في
التذكير والتانيث • والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين
الافراط والتفريط **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم العامل من حيث انه المقصود بالنسبة
وفائدته التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود
له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة
الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر
انهم المذكورون في قوله عز وعلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما • وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة
والسلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي
يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما تستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى
مع استحالة احصائها تنحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان
روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة وانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم
جليلة في انفسها • وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضا
والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات
المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضا عنه وتبوئه في اعلا
عليين مع المقربين • والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك
العظيم ورحمتك الواسعة **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة
المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة
غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسب بذلك تعرفا
مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة
لما نيل به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من

الغضب

الغضب والضلالة • وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذا اللام
اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني والمراد بالمغضوب عليهم والضالين
اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان
جعل الموصول عبارة عما ذكر من طوائف غير معينة يخل بعلية ما اضيف اليه لما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين
علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته
وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت
من ان شان البدل ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن
فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة
مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا • وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت وعلى المدح او على الاستثناء ان فسر
النعمة بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به غايته
بطريق اطلاق السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وبعيد الهيبة المنتزعة
من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه
وارادة الانتقام منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه
تعالى كالانعام جرى على منهاج الاداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات الى الله عز وجل دون اضدادها كما في قوله
تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري
اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم
ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب لجواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو
العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين • وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب عن
التقاء الساكنين **امين** اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى
امين فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال

عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل امين عند
فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القران وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة
بها والمشهور عن ابي حنيفة رحمه الله ان المصلي ياتي بها مخافتة • وعنه انه لا ياتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن
مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روى
وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته • عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى
يا رسول الله قال فاتحة الكتاب لانها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته • وعن حذيفة بن اليمان ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله
رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم العذاب بذلك اربعين سنة

سورة البقرة وعدد اياتها مائتان وثمانون وست ايات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **الم** الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي
من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة والتصغير وغير ذلك اسماؤها لاندراجها تحت حد الاسم

وَيشهد به ما يعتبر بها من التعريف وَالتنكير وَالجمع وَالتصغير وَغير ذلك اسماً من خصايص الاسم وقد
نص على ذلك اساطين الأيمة العربيه وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها مبني على المسامحة
وَامّا ما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا حرفاً من كتاب الله تعالى فله
حسنه وَالحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف وَلام حرف وَميم حرف ۔ وَفي رواية الترمذي
وَالدارمي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف وَلكن الالف وَالميم حرف وَالدال وَالكاف حرف فلا تعلق له بما
نحن فيه قطعاً فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم وَالفعل عرف جديد اخترعه اهل الصناعه وانما الحرف عند
الاوايل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف رفع
تجوز التوهم وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنه الموعودة ليست بعدد الكلمات القرانية
بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله وَالقرآن ليس هذا من تسمية الشي
باسم مدلوله في شئ كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالعرفيه وَاستتباع الحسنه انما هي المسميات البسيطة الواقعه
في كتاب الله عز وجل سوا عبر عنها باسمايها او بانفسها كما في قولك السين مهملة وَالشين معجمة مثلثه وَغير ذلك مما لا
يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا اسماوها المولفه كما اذا قلنا الالف مولفة من ثلاثه احرف كما ان الحسنات
في قراة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقه لعددها كذلك في قراة قوله تعالى الم بمقابلة
حروفه الثلاثه المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمايها الملفوظة وَالالفات الموافقة في العدد اذ الحكم
بان كلا منهما حرف وَاحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة وَاحدة وَالعبرة في ذلك بالمعبر عنه وَلعل السر فيه ان
استتباع الحسنه منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرانية وكما ان ساير الكلمات الشريفه لا تفيد معانيها
الا بتلفظ حروفها بانفسها لذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمايها
فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا ترى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام
وَالذال حرف وَالكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما ملفوظين بانفسهما وَلقد روعيت في هذه التسمية
نكتة رايقه حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدر الاسمه ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير خلا ان الالف
حيث تعذر الابتدا بها استعيرت مكانها الهمزة وَهي معربه اذ لا مناسبة بينها وبين مسمى الاصل لكنها ما لم تقبلها
العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسما الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا
فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسّها الاعراب وقصر ما اخره الف عند
التهجي لابتغا الخفة لا لان وزانه وزان لا تقصر تارة فتكون حرفا وتمد اخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان رحمه الله

۔ ما قال لا قط الا في تشهده ۔ لولا التشهد لم تسمع له لا لا ۔

هذا وقد تكلموا في شان هذه الفواتح الكبرى وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستوره وَالاسرار المحجوبه
روى عن الصديق رضي الله عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القران اوايل السور ۔ وعن علي رضي الله تعالى عنه انه
قال في كل كتاب صفوه وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي ۔ وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال عجزت العلما عن
ادراكها وَسُيل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها اسما الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة
الى اسم من اسمايه تعالى وصفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف الاوه وَاللام لطفه وَالميم مجده
وَملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف وَاللام من جبريل وَالميم من محمد اي انزل الكتاب
بواسطة على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة من حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة
وَمباني اسمايه الكريمة انها كلام وَابتدا كلام اخر وقيل وَلكن الذي عليه التعوّل اما كونها اسما للسورة المصدرة بها

وعليه

وَعليه اجماع الاكثر وَاليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربيه معروفه التركيب
من مسميات هذه الالفاظ فلولا انها وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته منه ما قاله الكلبي وَالسدي وقتادة
من انها اسما للقران وَالتسمية بثلاثة اسما فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وَجعلت اسما واحدا كما في حضرموت
فاما اذا كانت منثوره فلا استنكار فيها وَالمسمى هو المجموع لا الفاتحه فقط حتى يلزم اتحاد الاسم وَالمسمى غاية
الامر دخول الاسم في المسمى وَلا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته انفا وَانما كتبت في المصاحف صور
المسميات دون صور الاسما لانه ادل على صورته المتلفظ بها وهي ان تكون على نهج التهجي دون الترتيب وَلان فيه
سلامة عن التطويل لاسيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس وَاما كونها
مسرودة على نمط التعديد واليه جنح هذا المحقق قالوا انما ورد هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها
لهم على انه منتظم من عين ما ينتظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما
تضاءلت قوتهم وَلا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وَامرا الكلام في نادي التجارد دون
الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة وتهالكهم على المغاره وَالمعازه
او ليكون مطلع ما يتلى مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف
في تضاعيف الكلام وان كان على التمام بيّنا وَلد الخواص وَالعوام ۔ من الاعراب وَالاعجام ۔ لكن التلفظ باسمايها
انما يتاتى ممن درس وخط وَاما ممن لم يحم حوله ذلك فاعز من بيض الانوق ۔ وَابعد من مناط العيوق ۔ لاسيما اذا
كان على نمط عجيب ۔ وَاسلوب غريب ۔ منبئ عن سر سري على سر عبقري بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ۔ وَيعجز عن
ادراكه الباب الفحول ۔ كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة
على نصفها تقريبا ۔ بحيث ينطوي اصنافها تحقيقا او تقريبا ۔ كما يتضح عند الفحص وَالتنقير ۔ حسبما فصله بعض
افاضل ايمة التفسير ۔ فسبحان من دقت حكمته من ان تطالعها الانظار ۔ وَجلت قدرته عن ان تنالها ايدي
الافكار وَايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية على عادة الافتنان ابنية الكلم وتفريقها في السور دون
ايرادها كلها مرة لذلك وَلما في التكرير وَالاعاده ۔ من زيادة الافاده ۔ وَتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى
المطالبة لوجهه وعد بعضها ايةً دون بعض مبني على التوقيف اما لم رواية حيثما وقعت وقيل في ال عمران ليست
باية وَالمص اية وَالمر لم تعد ايه وَالر ليست باية في شي من سورها الخمس وَطسم اية في سورتها وَطه ويس ايتان
وَطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وكهيعص اية وَحمعسق ايتان وص وق ۔ ونون لم تعد واحدة منها اية
هذا على راي الكوفيين هذا وقد قيل ان جميع الفواتح ايات عندهم في فواتح السور كلها بلا فرق بينهما واما من
عداهم فلا يعدوا شيئا منها اية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رايحة الاعراب ويوقف
عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسما للسور او للقران كان لها حظ منه اما الرفع على الابتدا او على الخبريه وَاما
النصب بفعل مضمر كما ذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن وَاما الجر بتقدير حرف حسبما تقتضيه
المقام ويستبد عنه النظام وَلا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية وَالتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز
الا ان ما كانت منها مفرده مثل ص وق يتاتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قريت بالنصب على اضمار فعل اذكروا
افراد صاد وقاف وَنون وَانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة المفرد نحو حم ويس وطس الموازنة
لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسما السور من كتابه وقد قرا بعضهم ياسين وَالقران
الحكيم وقاف وَالقران فكانه جعل اسما ثم قال اذكر ياسين انتهى ۔ وحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراة ياسين
وَيجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لا لالتقا الساكنين وَلا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القران

والقلم حلون بهما وقد اشتكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضا الاول وهو السر في جعل
ماعدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا محال
للعطف هاهنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار البا القسمية
مفتوحا لكونه غير منصوب وقرى صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقا الساكنين ويجوز في طاسين ميم ان تفتح
نونها وتجعل من قبيل دارجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ماعدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجي
تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت
اسما للسورة وللقران فمحلها الرفع اما انه على انه خبر لمبتدا محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت
الاشارة الى القران بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر والمشاهد
كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدا اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع
حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه وادعاء شهرتها بذلك اباه التردد في ان المسمى هي السورة او كل القران **ذلك**
اسم اشارة واللام عماد جي به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل
منزلة الشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه في
الغاية القصوى من الفضل والشرف واثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الرسول
من المرسل الى المرسل اليه في حكم التباعد وان كان مصححا لايراده لكونه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع له
للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من
حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى به ولئن ادعى اعتبار الحيثية الثانية في الاول بنا على ان التسمية لتمييز السور
بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدا على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدا ثان وقوله
عز وجل **الكتاب** اما خبر له او صفة اما اذا كان خبر الذلك فالجملة على الوجه الثاني في محل الرفع خبر للمبتدا الاول
او اسم اشارة مغني عن الضمير الرابط والكتاب سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوقات والمصور
واما فعال بني للمفعول كالكتاب الذي هو من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الضم والجمع في
الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشيا الخافية عليه
واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة على ان ماله الكتابة والمراد به على تقدير المسمى هي السورة جميع القران العظيم
وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار
نزوله جملة الى السما الدنيا حسبما ذكر في الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هي الكتاب اي العمدة
القصوى كانه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكتاب لاشتهاره فيما بين الكتب على طريقة
قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى طريقة كون المسمى كل القران فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى
ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات
الجنس فان ما عداه من الكتب السماوية خارج بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل الكامل في الرجولية الجامع لما
يكون في الرجال من مرضي الخصال كما عليه قول من قال ٭ هم القوم كل القوم يا ام خالد ٭
فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا
مساغ هنا لحمل الكتاب لما ان فرد المعهود هو مجموع القران القابل لسائر افراده من الكتب السماوية لا بعضه
الذي يطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزء هذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر الكمال
مشعر بنقصان سائر السور وان لم يكن احصرها بالنسبة اليها لتحقق المغايرة على هذا على تقدير كون الكتاب خبرا

لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدا محذوف خبره ما بعده والجملة
خبر المبتدا الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواكان هي السورة والقران ومعنى البعد
ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار
اليه هو الكتاب فمعنى البعد حينئذ ظاهر خلا انه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القران فهو ما في التوراة والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما
للسورة وللقران واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدا اما خبره او صفته والخبر ما بعده
على نحو ما سلف او يقدر مبتدا اي المؤلف من هذه الحروف فذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله
تعالى **لا ريب فيه** اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاثة المذكورة او على انها خبر ثان لالم او
لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدا المقدر اخر على راي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا
هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا
محل لها من الاعراب موكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان بحملها عليها لكونها نقيضة لها
ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما
حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب التنوين
خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب موجود او نحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة
لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن
الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه
وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق واضطرابه بها ثم استعمل في معنى الاصل مصدر اي اذا حصل فيك الريبة
وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع توهمه لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة
وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى من تنبيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث
ليس فيه مظنة ارتياب في حقيته وكونه وحيا منزلا من الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا ترى كيف جوز ذلك
وقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى اخره فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب مما نزلنا او ان ارتبتم
فيما نزلنا الى اخره الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة الكتاب
عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهة العالية ولم يقصد ها هنا ذلك الاشعار بثبوت الريب في سائر
الكتب يقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول **هدى** مصدر من هدى كالسرى والبكى وهو الدلالة
بلطف على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلة
قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك
في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم
الهداية المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان
اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين
اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم في
مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول
وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهومهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه
من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه بناء الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار العدول عن القصد الى

ما ليس من شانه بالاتصال قطعاً وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين وتحققه للتقابل بينهما وانما
النزاع في ان مكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصيل مفهوم الهدى او لا بد فيه من خروج الوصول الى القوة
الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل حقق في مفهوم الضلال اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار وصول الفعل
في مفهوم واعتباره مقارناً له في الوجود زماناً حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فلذلك من البلادان الوصول غاية
للتوجه المذكور فينتهي به قطعاً لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو ما توجه الى الثبات
عليه وما توجه الى زيادته لان التوجه الى القصد تدريجي والوصول اليه فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما
عدم الوصول بحيث كان امراً مستمراً احتمل ما يقتضيه من الضلال وحيث مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه
في ان من انات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الآن مقابلة الذي هو الموصول كما فرضناه ضلالاً لا يكون ضلالاً لا
وان اريد اعتباره من حيث ان غاية واحدة الترتيب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الحد في السلوك الى
ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلاً في غير تقصير ولا جور في من قبل المتوجه ولا
خلل من جهة المسلك ضلالاً اذ لا واسطة بينهما نعم انه لا جور فيه عن القصد اصلاً فبطل اعتبار وجوب الموصول في
مفهوم اللازم قطعاً وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتماً واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوباً وهو الاثر
فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يمكن له في تحققه
في نفسه بدل من تعلقه بمضمونه اعتبر ذلك في مدلوله اسمه قطعاً لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله
وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك اثار شتى مرتبة عليه متمايزة في نفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها
باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك الاثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات المعارضة
له بالقياس الى سايرها وكانت تلك الاثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلاً اذ لا يوثرها سوى فاعله عدت من
متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد المتعلق بجسم مثلاً وضع له باعتبار الاضا
العارضة من انكسار ذلك الجسم الذي هو اثر خاص له لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار اسم الاضافة العارضة
له من انقطاعه الذي هو اثر اخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات المعارضة له بالقياس الى اثاره الملازمة
وهذا امر مطرد في اثاره الطبيعية فاما الاثار الذي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لما ترتب عليه تارة
وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالاثار الاختيارية الصادرة عن موثراتها الصادرة
بواسطة كونه داعياً اليها بحيث كانت تلك الاثار مستقلة في انفسها مستندة الى موثراتها غير لازمة له لزوم الاثار
الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الاضافة المعارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة
المعارضة اللازمة بحسب امتثال المامور للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من اثار
الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالباً لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو بل جعلا عبارة عن
نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال او الاجابة او الاداء تمهد هذا فنقول كما ان الامتثال
والاجابة فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المامور والمدعو باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة
لزوم الاثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليها في الجملة لذلك هدى المهدي ان
توجهه الى ما ذكر من الاثار التبعية وان كان مترتباً عليها في الجملة فلما لم يعد امن متممات الامر والدعوة ولم تعتبر
الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة
بالقياس الى اصلهما فان تعلق الامر والدعوة لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مامورا او مدعوا وليس من ضرورة
اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلاً بخلاف الهدي بالنسبة الى الهداية فان تعلقها

بالمهدي

بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل لمفعوله بدل على اتصافه بمصدره الماخوذ من المبني
للمفعول قطعاً وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الاعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي
حسبما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال
والاجابة ايجاباً وسلباً لذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي الا اتصافه بالمدلو
التي هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لذلك للدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم
قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يوجد في مدلولها والاستلزام الاتصاف
بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقاً انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورة
والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل المتعلم من
قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعاً فليكن الهدى مع الهداية لذلك قلنا ليس ذلك
لكونه فعلاً اختيارياً على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئاً
فشيئاً على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان العلم ليس مستقلاً في ذلك ففي اسناده اليه
ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر الى تحققه وتحصل الى الاخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم
وسوقها الى ذهنه شيئاً فشيئاً على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض اخر فكل
منهما متمم للاخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله
لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها ولا معتبراً في مدلولها ان قيل التعليم نوع
من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكونا عبارة في مدلول التعليم اعتبار للهدى قلنا اطلاق الهداية
على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستعداد المتعلم لسلوك من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعياً اليه وقد
عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل ليس تخلف الهدى عن الهداية فتخلف التعلم عن التعليم فحيث لم يكن ذلك
تعليماً في الحقيقة فليكن الهداية ايضاً لذلك وليحمل تسمية ما لا يستتبع الهدى بها على التجوز قلنا شتان بين التخلفين
فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف الهدى عن
الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بعد تكامل ما يتم من قبل
الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف
معالمه وتبيين مشاكله من غير ان يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما
والمفارقة عنهما كل ذلك عن قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقة لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي
من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلالات التكوينية
المنصوبة في الانفس والافاق والتشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافات البرية برها
وفاجرها هدايات حقيقية فايضة من عند الله سبحانه وتعالى والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدانا الله **للمتقين** اي المتصفين بالتقوى حالاً او مآلاً وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون
باثاره وان كان ذلك شاملاً لكل ناظر من مومن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل
من باب الافتعال وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الاخرة قال عليه
السلام جماع التقوى في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما
فرض وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك ما لا باس به حذراً من الوقوع بما فيه باس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع
عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرا عن حوله وقوته وقيل

التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون
اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا يناله
من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة
وايثار الموت على الحيوة وعن بعض الحكما انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الى ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق
فطيف به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان
للتقوى ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني
بقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته
وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت
فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفايضة عليهم بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم
الانيقة اقصاها ما انتهى اليه همم الانبيا عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية
وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق
في شوون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المويدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب
هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى ونيلها فالمراد بهم المشارفون
للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة
بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخريين فان عني بالمتقين اصحاب
الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عني بهم الحايزون للمرتبة الثانية والثالثة تعين المجاز لان الوصول اليهما
انما يتحقق بهدايته المرتبة وكذا ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه وارشادهم الى الزيادة فيه على ان
يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى
او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه
لذلك الكتاب او خبر مبتدا خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل
معنى الاشارة او من الضمير في فيه ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه
هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما
للمبالغة كانه نفس الهدى او بجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه
الجملة ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدا
او مضمر وطايفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المولف من جنس ما يولفون منه كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفايق ثم سجل على غاية فضله بنفي
الريب فيه اذ لا افضل على ان الحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدا جملة موكدة لكونه حقا لا يحوم حوله
شايبة شك ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا
على اعجاز المتحدى من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال
وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب ان لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة
هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرايقة والمزايا الفايقة ما لا يخفى جلالة شانه حسبما حققته **الذين يومنون**
بالغيب اما موصولة بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه

ترتب

ترتب التحلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها
تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات
من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة
لساير القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه
السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات
وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلاث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على ساير ما انطوى تحت اسم
التقوى من الحسنات والنصب على المدح بتقدير اعني او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتدا خبره
الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سياتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا
مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير
الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا
عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان حقيقة الا ترى كيف
التزموا حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع واما التصوير كل منهما بصورة متعلقات ما قبله وتنبيها على
شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان
اي للتفنن لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء ان تغيير الكلام المسوق بمعنى من المعاني وصرفه عن سننه
المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب ان قيل لا ريب في ان حال
الموصول عند كونه خبرا لمبتدا المحذوف كحاله عند كونه مبتدا خبره اولئك على هدى في انه يستتبع جملة اسمية مفيدة
لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين فان كلا من
اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك في الصورة
الاولى من توابع المتقين وعد الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك ان
المبتدا في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدا اجمالا
حسبما حققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فايدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في
سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان
معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم
بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدا من المعاني اللايقة
كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوايد رايقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا
والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال امنته غيري ثم استعمل
في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه
معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمانينة ومنه ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد
صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله
عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظايرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من الاقرار اليه للتمكن منه
والاول راي الشيخ الاشعري ومن تابعه فان الاقرار عنده ملتبسا لاجرا الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة ومن
تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن يحتمل السقوط بعذر كما في حالة الاكراه وهو مجموع ثلاثة
امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده

فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان
غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همز والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في
قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل
كما استعمل في نظائره واما ما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق
البداهة وهو قسمان لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه
دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم الاخر واحواله من البعث والنشور
والحساب والجزاء وهو المراد ها هنا فالباء صلة للايمان وانما بتضمنه معنى الاعتراف او بجعله مجازا من الوثوق وهو
واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله الذين
يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يومنون ملتبسين بالغيبة اما عن المومن به او
غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه
ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله
غيره ما امن مومن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه الاية واما عن الناس اي غائبين عن المومنين لا كالمنافقين
الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب
لانه مستور والمعنى يومنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والباء للالة وترك ذكر
المومن به على التقادير الثلاثة اما للقصد على احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان
واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل الايمان به ويقيمون الصلاة اقامتها عبارة عن تعديل
اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرائضها واركانها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة
عليها ماخوذ من اقامة السوق اذا انفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي
يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر اذا اقامه اذا اخذ فيه واجتهد
وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والتسبيح
والسجود والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى وانما
كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين
وهما العظمان الناتئان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني
دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم
ينفقون الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم
وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر
بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون من الحلال
الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله تعالى قل
ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض
على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا بشمول الرزق له بما
روي عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق
الا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو
الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام

رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق
والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير
فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه وخصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها واخته والجملة معطوفة
على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤوس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن
التبذير وقد يجوز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله
عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون
والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك معطوف على الموصول الاول على تقدير وصله بما قبله وفصله عنه مندرج
معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين
الذين امنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المومن به بالغيب وبالاخرين الذين امنوا بالقران
بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه على المتقين يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف
الاتقاء للايذان بتنزههم على حالتهم لما فيهم من كمال القباحة والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الاخرين
فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان
يكون بجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف
الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ، وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله

يا لهف زيابة للحارث ، الصابح فالغانم فالايب

للايذان بان كلا واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية
نعت جليل على حياله شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للاخر
وقد شفع الاول باداء الصلاة والصدقة اللذين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور المومن بها تكملة له
فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالاخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما
في اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سياتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف
فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المومن به والايمان بالكتب المنزلة
الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة ، تستدعيه لما ذكر والله تعالى
اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والايمان بما يصدقه من العبادات البدنية
والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلتين وتباين السبيلين له
فليتامل وان يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم مومنوا اهل الكتاب بان يخصوا
بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل اثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل
ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة
لها فانزاله ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جانبه
عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقنها عليهم عليهم السلام والمراد بما انزل
اليك هو القران باسره والشريعة عن اخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا لتغليب المحقق
على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان
الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب

السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل عليه من الانبيا عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل
حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الاية والايمان بالكل جملة
فرض وبالقران تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل حرجا بينا واخلالا بامر
المعاش وبنا الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل واجرى سنن الكبريا وقد قريا على البنا للفاعل **وبالاخرة هم**
يوقنون الايقان اتقان العلم بالشي بنفي الشك والشبهة ولذلك لا يسمى علمه تعالى تيقنا اي يعلمون علما قطعا
مزيحا لما كان اهل الكتاب من الشكوك والازعام التي من جملتها ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعم الدنيا او لا وهل هو دايم او لا
وفي تقديم الصلة وبنا يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وان اعتقادهم في امور بمعزل من الصحة
فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والاخرة تانيث الاخر كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى
الاسما وقرى بحذف الهمزة والقا حركتها على اللام وقرى يوقنون بقلب الواو همزة اجرا لضم ما قبلها في وجوه ووقتت
ونظيره ما في قوله ؛ لحب المؤقدان الى موسى ؛ وجعدة اذا اضاها الوقود ؛
اوليك اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل
تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في
الفضل وقوله عز وجل **على هدى** خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل لا يبلغ كنهه ولا
يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلا بنا على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشي ويستولي عليه بحيث
يتصرف فيه كيف ما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلا الراكب
واستوايه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والركوب للايذان بقوة تمكنهم منه
وكمال رسوخهم فيه وقوله **من ربهم** متعلق بمحذوف وقع صفة له مثبتة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته
الذاتية مؤكدة لها اي على كاين من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته سبحانه وتعالى وفنون توفيقه
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة
تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الرا بغنة وبغير غنة والجملة على
تقدير كون الموصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة
تاكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته
لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سوال ربما ينشا مما سبق كانه
قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقا بتلك الاثرة
فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك الكون لزم اصل الهدى الجامع لفنون المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب
في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جاز عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب ان اوليك الموصوفين
غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا واما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في
محل الرفع على انها خبر المبتدا الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استيناف وقع جوابا
عن سوال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال
المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من
النتيجة اي الذين هذه شونهم احقا بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله اوليك سواد عيني وسويدا قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة

باعارة

باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك
احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها
وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايما الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول جرى
على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدا واوليك الى اخره خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المومنين
من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح **واوليك هم المفلحون** تكرير اسم الاشارة
لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين
وان كلا منهما كاف في تمييزهم بها عمن عداهم ويويده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اوليك كالانعام
بل هم اضل اوليك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهايم فيكون الجملة الثانية
مقررة للاولى واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه
اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهو ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويوكد النسبة ويفيد اختصاص
المسند بالمسند اليه ومبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاوليك وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس
الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصايصهم هذا وفي بيان
اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفايقة على فنون من الاعتبارات الرايقة حسبما اشير اليه في تضاعيف
تفسير الاية الكريمة من الترغيب في اقتفا اثرهم والارشاد الى اقتدا اثرهم ما لا يخفى والله ولي الهداية والتوفيق
ان الذين كفروا كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة والغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين
بنعوت الكمال الفايزين بمباغيهم في الحال والمال وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شان
الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين فانما هو بطريق سوا جعل الموصول موصولا بما قبله
او مفصولا عنه فان الاستيناف مبني على سوال نشا من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية مسوقة
لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يوثر فيهم العظة
والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والضلال عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول
وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يوسس الكلام على بيان ان الكتاب هاديا للاولين وغير مجد للاخرين
لان العنوان الاخير ليس مما يوازيه كما لا حق يتعرض له في اثنا تعداد كمالاته وان من الحروف التي تشابه الفعل في
عدد الحروف والبنا على الفتح ولزوم الاسما ودخول الوقاية عليها كاني ولعلني ونظايرهما واعطا معانيه والمتعدي
خاصة في الدخول على اسمين وكذلك اعملت عمل الفعل وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا
فيه وعند الكوفيين لا عمل له في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروطا بالتجرد
عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف واثرها تاكيد النسبة وتحقيقها وكذلك
يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويوتى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله
قايم اخبار عن قيامه وان عبد الله قايم جواب سايل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقايم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد
خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سوا عليهم الى اخره والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح
اي الستر ومنه قيل لليل كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد ؛ في ليلة كفر النجوم غمامها ؛
ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطي السلاح وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجي الرسول عليه السلام

وانما عده لبس الغيار وشد الزنار لغرض الاضطراب ونظايرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله
عليه وسلم لا يكاد يجترئ على مثل ذلك اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القران بما
جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق
وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم **سواء** هو اسم بمعنى
الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم قوله تعالى **عليهم** متعلق به ومعناه
عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى **ءانذرتهم ام لم تنذرهم** مرتفع به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن
معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي كذلك عن معنيهما في قوله عز وجل استغفر لهم
او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين
كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدأ وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشانه
والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول
عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله هذا يوم ينفع الصادقين وقوله تعالى واذا
قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى
الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما
اشير اليه وقيل سواء مبتدأ وما بعده خبره وليس كذلك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون
المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه وحذره والمراد هاهنا التخويف
من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في
القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى
وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين وبتحقيق الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف
حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى
اللحن **لا يؤمنون** جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل او
خبر لان وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على راي من يجوزه عند كونه جملة والاية الكريمة مما استدل به على
جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو
عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم
ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان لا يستدعي اغراضا لاسيما الامتثال لكنه
غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعل هو او العبد باختياره
وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء
به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا
يفيد الزام الحجة واحراز الرسول عليه السلام افضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قيل لعبدة
الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول
اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة **ختم الله على قلوبهم** استئناف تعليل لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او
بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة
له ولما فيه من التعرض كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم
بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار

ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية
المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له
الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من
احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية والنافعة وحيل بينها وبينه بالمرة
بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين
ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر
من جانب المشبه على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصرا بالفاظ مختلفة
لها محقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع
الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من
كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ الذي ليس فيها
التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها مدلولا وضعيا لها لتكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في
الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن
الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسيما براسه من
تقليل الاقسام عند تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند
استعماله فيها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث
تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الاية
الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه
ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك
واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك
من قلوبهم صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية
عن الفطن او مقلوب قد ختم الله تعالى عليها كما في سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ومنها
ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده الى الله سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت
في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف
عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر
والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الاخرة ومنها انما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون
عنهم **وعلى سمعهم** عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على
قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد وللاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم
للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها فالختم عليه ختم
عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو
المراد هاهنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحالة اولان

جنابتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعيه وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث النصر الذي هو مشاهدة
الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من لانه عزوجل حين ذكرهما
قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة وكذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال
العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل والتقدير المضاف اي وعلى حواس
سمعهم واللام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل **وعلى ابصارهم غشاوة** الابصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة
فعالة من التغشية اي التغطية بني لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على
راي سيبويه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما
يدرك بالقوة الناظرة من الايات المنصوبة في الافاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا
كذلك واما الايات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها او على ما هي
احفظ في معرفته اعني القلب الجملة الفعلية وعلى راي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب
على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة
بالكسر مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه في الاخرة
والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لما انه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخا فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا فانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح
وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذاب كالتقذية
والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير
ويستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده
التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة وخارجا مما يتعارفه الناس وهي
غشاوة التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم
الراحمين **ومن الناس** شروع في بيان بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر
والعناد بل يضمون اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتعديد جناياتهم الشنيعة المستتبعة لاحوال هائلة عاجلة واصل
ناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك
لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله ٥ ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا ٥ سموا بذلك لظهورهم
وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها الى انه ماخوذ من نسي وبعضهم الى انه ماخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت
الفا سموا بذلك لنسيانهم وروي عن ابن عباس انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او
للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر في الموصول ومنهم اي من اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه
التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او نعت لمقدر هو المبتدا كما في قوله عزوجل وما منا دون ذلك
اي وجمع منا الى اخره ومن في قوله تعالى **من يقول** موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او بعض
من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الى اخره او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الى اخره
على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاضافة اتصافهم بما في حيز الصلة والصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم
ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لان كونهم من
الناس ظاهر فالاخبار به عارض عن الفائدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس وكذا امداد الجواب عنه بان الفائدة

هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب
منه وانت خبير بان عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصور على المصرين وايا ما كان فالفائدة ظاهرة بان الاخبار به
الظرف مستدع لان يكون اتصافها ولا بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة اية عنوانا للموضوع
مفرغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب في حد بانه يجب حمل
النظم الكريم على اعظم المعاني واكملها وتوحيد الضمير في تقول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله تعالى **آمنا بالله وباليوم**
الاخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم بالايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعائهم انهم قد حازوا واحاطوا به
من طرفيه وانهم قد امسوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم
يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله تعالى بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الاخر بقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحو ذلك حكاية وعبادتهم لبيان كمال خبثهم وعادتهم فان قالوا لم يصدر منهم الا
على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم
وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان دخول الباء في خبرها لتاكيد النفي انما بخلاف التميمية
فايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المعدودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في
جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما تفيده الفعلية ولا يتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند
دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي
عن حرف الامتناع يدل على الاستمرار الوجود عند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على
امتناع الاستمرار كما في قوله عزوجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء
الاجل لاستمرار عدم التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا
عن الايمان بما ذكروه وقد جوز ان يكون المراد ذلك والاطلاق المظهورة ومدلول الاية الكريمة ان من اظهر الايمان
واعتقده بخلاف لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما
يوافقه او ينافيه مؤمن **يخادعون الله والذين آمنوا** بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استئناف يقع جوابا
عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون وقرئ
كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية
كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه
فيه من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الاخر
وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المسلمين فيذيعوها الى المنابذين
وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة وايا ما كان فنسبته الى الله تعالى اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة
كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان
ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ابانة لمكانته عنده تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم
ومنه قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده
من نسبته الى الذين والايمان بقوة اختصاصهم به تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كما قيل
انهم يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم او على جمعها او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع

تعالى والمومنين وصنعه تعالى معهم باجرا احكام المسلمين عليهم وهو عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من
النار واستدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمومنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم مثل صنيعهم صورة
صنيع المخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم
بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ابراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق
بها من الصور المستهجنة وبيان ان غائلتها ابلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه عز وعلا **وما يخادعون الا انفسهم**
فالتعرض لحال الجانب الاخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم
ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دايرة فعلهم مقصورة او ما يخادعون مبتعة الا انهم حيث يعرفوها بالاكاذيب فيلقوها
في مهاوي الردى وقرى وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة
الشبيهة بمقابلة الخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل
وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرى وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون
ويخادعون على البنا للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشي وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس
الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللما ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد
ها هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى **وما
يشعرون** حال من ضمير لا يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتمادي غيهم
في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون بشي ايضا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور
بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على موف الحواس مختل المشاعر **في قلوبهم مرض** المرض عبارة عما يعرض فيخرجه عن
الاعتدال اللايق به ويوجب الخلل في افاعيله ويودي الى الموت استعير ها هنا لما في قلوبهم من الجهل وجعل
العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم من فنون الكفر المودي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا
مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمومنين فقيل في قلوبهم مرض يمنعهم
فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يوثر فيها التكذيب التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما
قبلها والفا للدلالة على ترتيب مضمونها عليه وبه انفتح كونهم من الكفر المختوم على قلوبهم من الضعف والجبن مع ربا
تباين السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون
كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والجور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين
وزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القا الروع في قلوبهم عند اعداد الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم
بانزال الملايكة وتاييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الى اخره حينيذ استيناف تعليل
لقوله تعالى يخادعون الله الى اخره كانه قيل ما لهم يخادعون الله الى اخره كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهدون
بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا **ولهم في الاخرة عذاب اليم** اي مولم يقال
الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده
فان الالم والوجع حقيقة للمولم والمضروب كما ان الجاد للجاد وقيل هو بمعنى المولم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك
بثبت كما سيجي في قوله تعالى بديع السموات والارض **بما كانوا يكذبون** البا للتسببية او للمقابلة وما مصدرية
داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة مقحمة لافادة دوام كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم امنا بالله وباليوم
الاخر وهم غير مومنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشا للايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره
عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على الظاهر بنا على راى

من

من يجوز ان يكون كان الناقصة مصدرا كما صرح في قول الشاعر

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى ❊ وكونك اياه عليك يسير

اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سابر موجباته القوية اما لان
المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين ببيان على ظهور شركتهم للمجاهدين فيما ذكر من العذاب العظيم حيث اشتراكهم فيما
يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبي عنه قوله تعالى ومن الناس الى اخره واما للايذان بان لهم بمقابلة سابر جناياتهم العظيمة
من العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماحة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة
علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه ❊ عن الصديق
رضي الله عنه ويروى مرفوعا ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان ❊ وما روي ان ابراهيم
الخليل عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعايد محذوف
اي بالذي يكذبونه وقرى يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم او القران او ما مصدرية اي
بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القران او موصولة اي بالذي يكذبونه على ان العايد محذوف ويجوز ان يكون
صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين في بان وقلص في قلص وللتكثير كما في موتت الابل وبركت الابل وان يكون من قولهم
كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراه فان المنافق متوقف في امره متردد وكذلك قيل له مذبذب **واذا
قيل لهم لا تفسدوا في الارض** شروع في تعديد بعض من قبايحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف
زمن مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل معناها
الانها والتبليغ والقايم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد
خروج الشي عن الحالة به والصلاح مقابله والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة
عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمراد بما نهوا عنه ما يودي الى ذلك من افشا اسرار المومنين الى الكفار
واغرايهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم
على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل لها من الاعراب ولا باس بتخلل البيان
او الاستيناف وما يتعلق بهما بين اجزا الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحلها الرفع والمعنى
من الناس من اذا نهوا من جهة المومنين عما هم عليه من الافساد في الارض **قالوا** اراه للناهين ان ذلك غير صادر عنهم
مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك فسادا او ادعا كونه صلاحا محضا كما سياتي توضيحه **انما نحن مصلحون** اي
مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شايبة الافساد والفساد او مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من
الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه وما كلام مستانف سيق لتعديد شنايعهم واما عطف على يكذبون بمعنى
ولهم عذاب اليم بسبب كذبهم وبكونهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيا باه ان هذا النحو من
التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت الموصوف غنية عن البيان لشدة الاتصاف بها
الى السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكى عنهم من قولهم امنا بالله
وباليوم الاخر اي لذلك ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودة الاية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الاية الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه
الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شي منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين
بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فان حقها ان تكون مسوقة على سنن تعديد

فباعتهم على احد الوجهين متعددة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا او استقلالا لا كيف لا وقوله عز وجل
الا انهم هم المفسدون ينادي بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط
عظيم حيث سلك فيه الاستيناف المودي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التاكيد
الا المنبهة على تحقق ما بعدها من الجملة المصدرة بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من طلايع القسم وقبلهما حرفان
بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المفردة وكذلك للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير الرفع لزيادة ما
في قصر انفسهم على الاصلاح من التعرض للمومنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون للايذان بان كونهم
مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الاتيتين وما بعدهما
من رد مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خباثتهم وهنا تهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما
فتح هذا الباب والله اعلم بالصواب واذا قيل لهم من قبل المومنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر
اتماما للنصح واكمالا للارشاد امنوا حذف المومن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان كما امن الناس الكاف في
محل النصب على انه نعت لمصدر موكد محذوف اي امنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدريه او كافة كما في ربما فانها تكف
الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين اي حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام
للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل
فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما
من قال ٭ اذ الناس ناس والزمان زمان ٭ او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب النفاق
مماثلا لايمانهم قالوا مقابلين للامر بالمعروف بالانكار والمنكر واصفين للمراجيح الرزان بضده او صافهم الحسان
انومن كما امن السفها مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره
وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة راي تورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة
وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار ولكمال انهماك انفسهم في السفاهة
وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فراه حسنا افمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا
او لتحقير شانهم فان كثيرا من المومنين كانوا فقرا ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم
على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله واياما كان فالذي تقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه
فخامة شانه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بحضرة من المومنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان
فحواه تسفيه اوليك المشاهير الاعلام والقدح في ايمانهم لزم ان يكون كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا
يكاد يساعده السباق ٭ وعن هذه قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المومنين انهم كانوا يظهرون هذا
القول فيما بينهم لا عند المومنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام والمومنين بذلك عنهم وانت خبير بان ابرازهم ما
صدر عن احد المتحاورين في الخلا في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو في
منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بحضرة من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهدين
فانه ضرب من الكفر انيق وفن من النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين
مثلهم محتمل للشر بان حمل على معنى اسمع منا غير مسمع فكما انه كلام مكروه كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشتهارا انهم مطمئنون به ولذلك نهي عنه كذلك هذا الكلام يحتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان حمل على ان ادعا
الايمان كايمان الناس وانكارهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز وجل الا انهم هم السفها ولكن لا يعلمون

ابلغ

ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التاكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة
مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفها وبهذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون فان
حمله على المعنى الاخير كما هو راي الجمهور مناف لما لهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعا كون ما نهوا عنه من الافساد
اصلاحا كما مر اظهار منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مدارا تهم
للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المومنين ٭ وان معنى قوله تعالى
الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المومنين لاشعارها باعطا الدنية وانبائها عن
ضعفهم الملجي الى توسط من يتصدى لاصلاح ذات البين عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله
تعالى ولكن لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا يباشرونها الا مضارة للدين وخيانة للمومنين فاذن حل
طريق اذن الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما نهونا عنه من الافساد وقد
خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم واراة لارادة هذا المعنى وهم معرجون عن المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم
هم المفسدون الاية والله سبحانه اعلم بما اودعه في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون فنساله العصمة والتوفيق
والهداية الى سوا الطريق وتفصيل هذه الاية الكريمة بما لا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون
الجهل ولان الوقوف على ان المومنين ثابتون على الحق وهم على الباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال
واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا فامر بديهي يقف عليه من له
شعور ولذلك فصلت الاية الكريمة السابقة بلا يشعرون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بيان لتباين احوالهم
وتناقض اقوالهم في اثنا المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وسياق ما صدرت قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة
عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ها هنا لتعلق الايمان فليس فيه شايبة التكرير روي ان عبد الله بن ابي واصحابه
خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هولا السفها
عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد
بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه
فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وقيل قال له علي رضي الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا
الحسن اتقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رايتموني
فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا مثل ما فعلت واثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت واللقا المصادمة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته
واستقبلته وقرئ اذا لاقوا واذا خلوا من خلوت الى فلان اي انفردت معه وقد يستعمل بالبا او من خلا بمعنى
مضى ومنه القرون وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته
بالى في قوله تعالى الى شياطينهم لتضمنه معنى الانها اي واذا انهوا اليهم السخرية الى اخره وانت خبير بان تقييد قولهم
المحكي بذلك الانها مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم
واضافتهم اليه للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقايلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان اصلية
فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زايدة فوزنه
فعلان على انه من شاط اي هلك او بطل ومن اسمايه الباطل وقيل معناه هاج واحترق قالوا انا معكم اي في الدين

والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية الموكدة لان مدعاهم عندهم تحقق
الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتاكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم
مع المومنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان بحرمهم بعدم رواج ادعا الكمال فيه والثبات عليه **انما نحن** اي
في اظهار الايمان عند المومنين **مستهزءون** بهم من غير ان يخطر ببال الايمان حقيقة وهو استيناف مبني على سوال ناشي
من ادعا المعية كانه لم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المومنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزءون
فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يوكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المومنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تاكيد
لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزا الاستخفاف والسخرية
منه يقال هزيت واستهزيت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزا يهزا مات على مكانه وتهزا به
ناقته اي تسرع به وتخف **الله يستهزئ بهم** اي يجازيهم على استهزائهم سمى جزاءه باسمه كما سمي جزا السيئة سيئة اما
للمشاكلة في اللفظ او للمقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزا عليهم او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجرا
احكام المسلمين عليهم واستدراجهم والامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبما يروى
انه يفتح لهم باب الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار
يضحكون وانما استونف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزا المومنين الى غاية ظهرت شناعته عند
السامعين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا اما مصير امر هولاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذي
يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزا الابلغ الذي ليس استهزاوهم عنده من باب
الاستهزا حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على
التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قايلا او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر
الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ذلك كما انبا عنه قوله عز وجل
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون **ويمدهم** اي يزيدهم
ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت وايثاره
على يزيدهم للرمز الى ان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما يتحقق عند الاستمداد وما يجري مجراه من الحاجة
الداعية اليه كما في الامثلة المذكورة وقرى يمدهم من الامداد وهو صريح في ان القراة المذكورة ليست من المد
في العمر على انه يستعمل باللام كالاملا قال تعالى ونمد له من العذاب وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف
الاصل لا يصار اليه الا بدليل **في طغيانهم** متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في
العتو وغلوهم في الكفر وقرى بكسر الطا وهي لغة فيه كلقيان لغة في لقيان وفي اضافته اليه ايذان باختصاصه
بهم وتاييد لما اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم **يعمهون** حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف
مصدرا اي هو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا
المد الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي محقق لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشيا
مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر
عليهم اجرا النظم الكريم على مسلكهم نكبوا الى شعاب التاويل واجابوا اولا انهم لما اصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى
ومنعهم الطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان فاسند ابلاوه اليه تعالى ففي المسند مجاز
لغوي وفي الاسناد للفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان ترك القسر
والالجا الى الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه

الحقيقي

الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه تعالى واقداره **اولئك** اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون
عما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتدا خبره قوله تعالى
الذين اشتروا الضلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان كمال جهالتهم فيما حكي من الاقوال والافعال
باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلا والضلالة الجور عن
القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني عن الاستقامة عليه والاشترا
استبدال السلعة بالثمن اي اخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشرا
ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء ما عطا في يده عينا كان كل منهما او معنى لا
للاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه لما مر ومنه قوله

اخذت بالجمة راسا ازعرا ۞ وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا ۞ كما اشترى المسلم اذ تنصرا

فاشترا الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ولما اقتضى ذلك ان
يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى غير حاصل لهم اذ ذاك حسبما هو في المبيع ولا ريب في
انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس
المراد بما تعلق من الاشترا ها هنا جنس الضلالة الشاملة بجميع اصناف الكفرة حتى تكون حاصلة لهم من قبل بل
هو فردها الكامل الخاص بهولاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي عنهم من القبايح
وذلك انما يحصل لهم عند الياس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم والمراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن منه
بتعاضد الاسباب وباخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع
الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الايات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة
الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصايح المومنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر
بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهايلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل
الهدى على الفطرية الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها غير مختصة بهولاء ولين حملت على الاضاعة التامة
الواصلة حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات
العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا ضايعا وابعد منه حمل اشترا
الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من كون اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين
الكاينين في شرف الوقوع على الاخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة مخل برونق الترشيح الاتي هذا على تقدير جعل
الاشترا المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم واما اذا جعل
ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما
كانوا يشاهدونه في التوراة من نعوته عليه السلام وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج
بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سياتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند
لقا المومنين فاعدا الضلالة مضاعفة **فما ربحت تجارتهم** عطف على الصلة داخل في حيزها ولفا للدلالة على ترتب مضمونه
عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشرا لتحصيل الربح وهو الفضل على راس المال يقال ربح فلان

في تجارته اي استشفقوا فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على
التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدة المبالغة في تحقيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسارة وعمومه
المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشترا المستعار للاستبدال المذكور ترشيح لانهما كما فيما هم
عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة واضحة اذ من ضروريات الترشيح ان
يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك رايت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد
به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى اخر بل قد يكون مستعارا من ملايم المستعار
منه لذلك منه لملايم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله

فلما رايت النسر عز ابن دايه * وعشش في وكريه جاش له صدري

فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للراس واللحية
والفودين اعني جانبي الراس ترشيحا باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن دايه للشعر
الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين باعتبار
المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم **وما كانوا مهتدين** اي لطرق التجارة فان المتصور منها
سلامة راس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما تدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف
الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان راس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا
كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما
قبلها مشاركة له في الترتب على الاشترا المذكور والاولى عطفها على اشتروا الى اخره **مثلهم** الى اخره زيادة كشف لحالهم
وتصوير لها عقب تصويرها بصورة ما يودي الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا
لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه واقوى
وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو رافع الحجاب عن وجوه المعقولات
الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المالوف
والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل كشبه وشبه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده
وحيث لم يكن ذلك الا قولا بعيدا فيه غرابة صيره جديدا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد
استعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شيء اخر تشبيه ومنه قوله
عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي
قصتها العجيبة الشان **كمثل الذي** اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا وانما وحد الضمير في قوله
تعالى **استوقد نارا** نظرا الى الصورة فانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف
هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه ولذلك يولع فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين
والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته بل النون
فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد او الفوج
او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
والاستيقاد طلب الوقود اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم **فلما اضاءت ما حوله** الاضاءة فرط الانارة
كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على
الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او فلما استضاء ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشيا

او

او اضاءت النار نفسها فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله
ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير
للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفا الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه
المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب اضرامها ونحو ذلك وهو
جواب لما او استيناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفات ناره او بدل
من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به
للايجاز والامن من الالتباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد
الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او
امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك
يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي
هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف
والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه
بالمرة لا سيما اذا كانت مضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله
تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر واما لان المراد بالنار نار لا يرضى به الله تعالى من المجازية
التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد
من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق الغي
والفساد فاطفاها الله تعالى وخيب امالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير
فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة ماخوذة من قولهم
ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الروية وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد
ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي
هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي كانوا حصلوه من التورية حسبما
ذكر كالحال العجيبة لمن استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفاها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها
الابصار **صم بكم عمي** اخبار لمبتدا محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل المشهور كما في قولهم هذا حلو
حامض والصمم آفة مانعة من السماع واصله الصلابة او اكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة
سدادها سمي به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء
يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر ووصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة
لما انهم حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الايات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا
بها السنتهم ولم يجتلوا بما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى ايات
التوحيد المنصوبة في الافاق والانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا فاقدي
تلك المشاعر بالكلية وهذا عند محققي سحرة البيان من باب التمثيل الغريب البديع المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول
من قال

ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة في السماء

لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لم يكن هناك

قرينة حمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقذف ❊ له لبد اظفاره لم تقلم

فهم لا يرجعون الالف للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اى هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى تركوه وضيعوه وعن الضلالة التي احدوها والاية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هايلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق والاختلال مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضماير المتقدمة فالاية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هايلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدؤا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على وجه الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون والمستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضمير للمستوقدين **او كصيب** تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان عنها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانه الامثال ويرخى في حلبة اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب وتعقد لاجله فصول من الابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سياتي من الضماير المتنوعة لذلك او كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي وقع وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الراجز

عفى اية نسج الجنوب مع الصبا ❊ واسحم دان صادق الرعد صيب

ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزام الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هايل كالنار في التمثيل الاول وامد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية اعني الصواب المنبي عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصايب **من السما** متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسما هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف او ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افقة من افاقها او كلما يحيط به كل افق منها سما على حدة قال

ومن بعد ارض بيننا وسما ❊ كان كل طبقة من اطباقها سما

قال تعالى واوحى في كل سما امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق اخذ بالافاق وقيل المراد بالسما السحاب واللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات** اى انواع منها وهي ظلمة متكاثفة وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الاخذ بالافاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع لبواقي مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها **ورعد** هو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحصل من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا **وبرق** وهو ما يلمع من السحاب من برق الشي بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكلاهما وكونهما في الصيب

باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما عليه وكونهما في الظلمات الكاينة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتدا والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضماير في قوله تعالى **يجعلون اصابعهم في اذانهم** للمضاف الذي اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان رضي الله عنه

يسقون من ورد البريص عليهم ❊ بردى يصفق بالرحيق السلسل

فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانث حتما وايثار الجعل المنبي عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما ان ارادة الاصابع مثلا بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانا ملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايما الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتادة اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب مبني على سؤال نشا من المكان كانه قيل عند بيان احوالهم الهايلة فماذا يصنعون الى اخره وقوله تعالى **من الصواعق** متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من الغيمة والصاعقة قصفة رعد هائل ينقض معها شقة نار لا تمر بشي الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدر كالعاقبة وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او لشدة الصوت وسد الاذان انما يفيد على التقدير الثاني دون الاول وقرئ من الصواعق وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستوا كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته **حذر الموت** منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله

واغفر عوراء الكريم ادخاره ❊ واصفح عن شتم اللئيم تكرما

ولا ضير في تعدد المفعول فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة **والله محيط بالكافرين** اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه قدرته تعالى بهم وانطوا ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية على ما في صدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة اعني الاحاطة والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل وفايدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهايلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشي من السخط اشد وقيل هو الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون فدل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال المشبه **يكاد البرق** استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك **يخطف ابصارهم** اي يختلسها او يستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاخذ اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض

مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وسن مجيه اسما صريحا كما في قوله

فابت الى فهم وما كنت ابيا ... وكذا مجيه مع ان حملا لها على عسى كما في قوله

قد كاد من طول البلا ان يمصحا ... رويه كما تحمل هي عليها بالحذف لما بينهما من المقارنة في اصل المقاربة

وليس فيها شايبة الانشائية كما في عسى وقرى يخطف بكسر الطا ويختطف ويخطف بفتح اليا والخا بنقل فتحة التا الى الخا وادغامها في الطا ويخطف بكسرهما على اتباع اليا والخا ويخطف من صيغة التفعيل ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم **كلما اضا لهم** كل ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اي كل زمان اضاه وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعايد محذوف اي كل وقت اضا لهم فيه والعامل في كلما جوابها وهو استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثنا ذلك الهول ايفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل كلما كان نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضا متعد والمفعول محذوف اي كلما لمع لهم على انه لازم ويويده قراة كلما اضا **مشوا فيه** اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو والاشعار بعدم استطاعتهم لها **واذا اظلم عليهم** اي خفي البرق واستتر والمظلم وان كان عم لكن لما كان الاظلام دايرا على استتارة اسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد منه من المبالغة في موجبات تخبطهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جا في قول ابي تمام

هما اظلما حالي ثمت اجليا ... ظلاميهما عن وجه امرد اشيب

ويعضده قراة اظلم على البنا للمفعول **قاموا** اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيبة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتيسر لهم الوصول الى المقصد والالتجا الى ملجا يعصمهم وايراد كلما مع الاضاة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف **ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم** كلمة لو لتعليق حصول امر ماض وهو الجزا بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعا ومن قضية مفروضية الشرط دلالتها على انتفايه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفا الجزا فقد قيل وقيل والحق الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفا العلة انتفا المعلول اما في مادة انتفا الدوران الكلي كما في قوله تعالى ولو شا لهداكم اجمعين وقولك لو جيتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجي علة لوجود الاكرام ادعا وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفا الجزا بانتفا الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشايع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفا الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفا الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبق المومنين الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفا اللازمين فيتعين انتفا الملزومين حقيقة في الاول وادعا باطلاق في الثاني ضرورة استلزام انتفا اللازم لانتفا الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفا الثاني للعلم بانتفا الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفا الاول لانتفا الثاني واما في انتفا مادة الدوران الكلي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضو فلان الجزا المنوط بالشرط الذي هو طلوعها الوجود الضو الكاين بضو القمر الجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضو الخاص الناشي من الطلوع ولا ريب في انتفايه بانتفا الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار اخر له اولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفا الاول منافاة تعين الدلالة لو لم تطلع الشمس لوجد الضو فان وجود

الضو

الضو وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب اخر له كانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضو بسبب اخر كالقمر مثلا ولا ريب في ان هذا الجزا منتف عند انتفا الشرط لاستحالة وجود الضو القمري عند طلوع الشمس ان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفايه الذي هو كونها ربيبته عليه السلام بل يجامعه ومن ضروريه مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشية من كونها ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار اخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام حينيذ لبيان ثبوت الجزا على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطا ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقايضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها في فرض انتفا اسبابها وتحقق اسباب انتفايها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة ولو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى ولو كنا كارهين وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار اخر نحو الحيا والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والاية الكريمة واردة على استعمال الشايع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضا تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزايها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفا احدهما لانتفا الاخر بمنزلة الكلمة كلمة ان ومفعول المشية محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزا فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيا مستغربا كما في قوله

فلو شيت ان ابكي دما لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر اوسع

اي لو شا الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشا لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرى لاذهب باسماعهم على زيادة البا كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والافراد في المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها الاستينافية وقيل كلما اضا الى اخره وقوله عز وجل **ان الله على كل شي قدير** تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشي بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كاينا ما كان على انه في الاصل مصدر شا اطلق على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشية من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هاهنا بالممكن موجودا كان او معدوما لما تقتضيه اختصاص القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شي وكل شي مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله

كان قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين وهداهم الفطري بالنار وتاييدهم اياه بما شاهدوه من الدلايل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاتها ما حولهم وازالته باذهاب النور الناري واخذ الضلالة بمقابلته بملابستهم الظلمات الكثيفة وبقاهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقران وما فيه من العلوم

والمعارف التي هي مدار الحياة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحيوة الارضية وما عرض لهم بنزوله من العموم
والاحزان وانكشاف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم على يقرع اسماعهم من
الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها والاخلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم
من رشد يدركونه او رفد يحوزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم
اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين
بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الاخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه
هيئة فيشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل
واحد من التمثيلين هيئة على حدة من الاولين بما يضاهيها من الاخرين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه
فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زايد عليه هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان
اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون مثلا في الغرابة **يا ايها الناس اعبدوا ربكم** اثر ما ذكر الله
تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شانه الى ثلاث فرق مؤمنة محافظة على ما فيه من الشرايع والاحكام
وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالخداع والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها
من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم على الاصغاء وتوجيها
لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا حرف
وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو اقرب
اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء
فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشانه واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لا على انه
المنادى اصالة على انه صفة موضحة له مويلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود
بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة
بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما روي ورد في تضاعيفه على العباد من
الاحكام والشرايع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية وتتلقوها
باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة
المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد
العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بعمومها شايعا ذايعا
واما من عداهم ممن يوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم
ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم
ما روى علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى
اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة
في بعض المكلفين قبل وجود هذا الامر لما ان المامور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة
فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا تتم
الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلاة مستتبع للامر بالتوضي وقد قيل المراد بالعبادة
ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كل ما ورد في القران
من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا ينافي كون بعض من الفريقين الاخرين ممن لا يجدي فيهم

الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الايمان لعدم اصلا
اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم لذلك لورود النص
بذلك فلا جبر اصلا نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى
لعنوان الربوبية مع الاضافة ضمير المخاطبين لتاكيد موجب الامر للاشعار بعليتها للعبادة **الذي خلقكم** صفة اجريت
عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل
الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف **والذين من قبلكم** عطف على
الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية
متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم
من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يودي
الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى
الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتاتى لاحد انكاره وقد قرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين
من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كاقحام الامرين المضافين في لا ابا لك او بجعله موصوفا
بالظرف خبر المبتدا المحذوف اي الذين هم اناس كائنون من قبلكم **لعلكم تتقون** المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع
امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر
تحققه بالفعل ان يجعله من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشايع في الاستعمال لان معاني
الانشاءات قايمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله
سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في
نفسه مسة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الاية
الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان
يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مظنة لها لتعارض اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه شيئا سهل المنال
فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة
في انتزاع الهيئة المشبهة بها اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل
كما مر مرارا واما حمل المشية ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر موسس على قاعدة الاعتزال القايلة بجواز
تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي
تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما جعل تنزيلا
لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة
جليلة من غير ان تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او
العلة لتكميل علية المامور به وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجود وايثار تتقون على تعبدون مع
موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة في الزامها لما ان التقوى
قصارى من العابد ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب
فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفايزين

بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي هي يتنافس المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين تشابه والثبات عليه لم يتجه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب الخالد عن كل يوم والتجنب عن كل ما يوثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من قوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياهم على حال كونكم جميعا بحيث يرجوا منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما براهم مستعدين للتقوى جامعين لمافيها الافاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجوا منهم كل راج وان تتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجا قطعا ، واعلم ان الاية الكريمة مع كونها بعبادتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى او تحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقضي بذلك قضا متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الايات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل **الذي جعل لكم الارض فراشا** وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة ومادحة او على انه تقدير اخص اذ في محل الرفع على المدح اشعارا بانه انشا كما في المنادى وحذف المبتدا في المرفوع اجرا للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون للاسلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في كونه اعظم شانا وجعل بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لاسيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا بعضها بارزا من الما مع اقتضا طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كونه شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرى بساطا ومهادا **والسما بنا** عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسما اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد وجمع سماوة او سماه والبنا في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا امراة ضربوا عليها خبا جديدا **وانزل من السما ما** عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي عنه عليه السلام والمراد بالسما جهة العلو كما ينبي عنه الاظهار في موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتدا الغاية متعلق بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اوكا ليا من السما قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح فاما لان السما اصله ومبداه واما لما مر مرارا من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى **فاخرج به** اي بسبب الما **من الثمرات رزقا لكم** وذلك بانه اودع في الما قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلها اصناف الثمار وبان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على المادة الممتزجة منها وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشيا بلا مبادي ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها متعلقة في الاحوال ومتدرجة في الاطوار من بدايع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا ومزيد طمانينة الى عظم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض

لقوا

لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ما ورزقا كانه قيل وانزل من السما بعض الما فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم يكن ينزل من كل الما والاخراج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزق مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه لقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما شاع ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراة على التوحيد اولان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء اولانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام تعلقه بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا كائنا لكم او دعامة لتقويه عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهي هو الجمعية وقرى ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات تعيين الحكم بوصف الالوهية التي عليها مدار امر الوحدانية واستحالة الشركة والانداد باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا والفا للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي او الانتهاء او لان مال النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المرتب على اصلها كانه قيل اعبدوه تعالى فخصوها به والاظهار في موضع الاضمار لما مر انفا وقيل هو نفي منصوب باعتبار جوابا للامر ويابا ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بفعل نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه فحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة التمني البعيد وقيل متعلق بقوله تعالى الذي جعل الى اخره على تقدير رفعه على المدح او هو الذي جعل لكم هذه الايات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركا وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتاويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى راي الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك ازيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المنادي من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص بالمساوي في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم اي يجعلوا اندادا استحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيله

اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير

وقوله تعالى **وانتم تعلمون** حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقايق الامور واصابة الراي او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون بانه لا يماثله شي او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شي او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب

في النهي يحمل المنهي عنه المقدر المشترك المنتظم لانشا الا انتهاكا هو المطلوب من الكفرة او للثبات عليه كما هو شان
المومنين حسبما مر مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس الامر فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى
ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة
في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين بقبحها افحش وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى
نفس النهي مع تعميم الخطاب للمومنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلنا ليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص
عما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السباق اذ لا مجيد في اية التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة
مع ما فيه من رفع محل المومنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة
حسبما مر في صدر الاية الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي لا يضل من ذهب
اليه ولا يذل من شبث قومه فتأمل **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا** شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من
حلية ما تلي من الايتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما ان ما ذكر فيهما من الايات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى للتوضيح اتصافه بما ذكر من مطلع الاية
الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهتها عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع
انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم
وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شانه واما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال
كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم
ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الى اخره
لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار
بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته
لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة للريب
وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر
المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه
وحيا منزلا من عند الله تعالى وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشا ارتيابهم وبناء التحدي
عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف
كانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر
عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله عليه
وسلم بعنوان العبودية الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لاوامره
تعالى ما لا يخفى وقرئ عبادنا والمراد هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه
ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى **فاتوا بسورة** من باب التعجيز والقام
الحجر كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر والاتيان بالمامور لما اشير اليه من انه
عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب مطلقا او للثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام
البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القران العظيم المترجمة واقلها
ثلاث ايات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية
على فنون رائقة احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي المرتبة

ولرهط

ولرهط حراب وقد سوره ٭ في اجد ليس غرابها بمطار

فان سور القران من حيث كونها في نفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث
انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة معناها البقية من
الشيء ولا يخفى عليك ما فيه ومن في قوله تعالى **من مثله** بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة
كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية
يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من
تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدارا للعجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة بحيث حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء
لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم بايهامه ما سبق من تنزيله منزلة الرب فان مبنى التهكم على تسليمهم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير
جد وقيل هي جارية على ما هو راي الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير للمنزل عليه
حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف
رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية يهون الخطب في الجملة خلا ان تخصيص
التحدي بفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم
بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة
وجود مثله فان هذا من تحدد علامة حجه واصله وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله
تعالى **وادعوا شهداءكم من دون الله** ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال لما اتى به جملة واحد من ابناء جنسهم
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من الشيء يقال هذا دون ذلك اذا
كان احط منه قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والمرتبة ثم اتسع فاستعمل
في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة الانحطاط احدهما من الاخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من اما
متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم كائنا من كان
او الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات او القائمين
بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة والقائمين بنصركم
حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى لالتجائهم اليه واما في سائر الموجود فللتصريح من اول
الامر ببراءتهم منه تعالى وكونه في عدوة المحاربة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه والالتفات لادخال الروعة
وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون الله اولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة المناقلة
ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله ابدا انا بانهم يأنفون ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي
الاستحالة ويوذن بعدم شمول التحدي لاولئك الرؤساء وقيل ادعوا شهداءكم فصحاءكم ليحضروا اليهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله
تعالى قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حق فان ذلك ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما يدعونه حقية ما هم فيه من الدين
والباطل فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثلية ما اتوا به للمتحدى به فمع عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد
تصدوا للمعارضة فاتوا بشيء مشتبه الحال مترددين المثلية وعدمها وانهم ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه
اذ عند ذلك تمس الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به واني لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا نبسوا
ببنت شفة واما متعلقة بشهداءكم والضمير بهم للاصنام ودون بمعنى التجاوز على انه ظرف مستقر وقع حالا من ضمير
المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم الهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك
وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن مدار الاستظهار بها بالشهداء لما زعموا انها بمكانة من الله

تعالى وانها تنفعهم بشهادتها لو انهم على الحق فان من هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امورهم وملجا يأوون اليه في كل ملم كانه قيل اولئك عدتهم فادعوهم لهذه الداهية التي دهتكم فوجه الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث اثروه على عباده من له الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة ما احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة الوصفي الذي هو ادنى مكان من شي كما في قول الاعشى

تريك القذى من دونها وهي دونه

اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرف الغوا معمولا لشهداءكم للكفاية راحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا تقدم يشهدون اي يدعون اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى انكم اتيتم بمثله في المعارضة وايرادها في هذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات لرتبة المهابة وترشيح ذلك المعنى فانما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان به ووجه الالتفات في كل مرام وفي امرهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضة القران الذي اخرس كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من ههنا تبعيضية لما انه يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تلك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف الذي لا تنصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجرا الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر دون ظرف مستقر ومن ابتدائية اي ادعوا الذين يشهدون لكم ايها الذين مثله متجاوزين في ذلك اولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشاهدون بذلك وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء الا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشركائكم المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشاهدون لكم حذرا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشي احتاجوا في اثبات حيثيته للتحدي به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك ان كنتم صادقين اي في زعمكم انه من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الى اخره واستلزام المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام لا سيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشي من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به فان لم تفعلوا اي ما امرتم من الاتيان بالمثل بعدما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الحد كل حد مجهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر المامور به مفعولا له للايذان البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر استقل به المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول اي المتاتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في الشرطية اعني الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار متعلقاتها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل وانما يستفاد ذلك الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع يرشدك قوله تعالى فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا

تقربون قوله تعالى ائتوني باخ لكم من ابيكم فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر ومرمى غرضه بالتكليف استحضار بنيامين لم يكتف بالشرطية الداعية لهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي يورد الامر به بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعول تحقيقا لمطلبه فان واعوا بالمقصود هذا وقد قيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر واثار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكم بهم ولن تفعلوا كلمة لن لنفي المستقبل كلا خلا ان في المنفي زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان والفراء لا ابدلت الفها نونا وسيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهي احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين حرفي الشرطية مقررة لمضمون مقدمها ومؤكدة لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشي يداينه في الجملة لتناقلته الرواة خلفا عن سلف فاتقوا النار جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ به يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاتقوا واحترزوا من انكار كونه منزلا من عند الله عز وجل فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه وتحقق الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم فاذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة صفة للنار موذنة لها بزيادة هول وفظاعة اعاذنا الله من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته لا كنيران الدنيا فتفتقر في الالتهاب الى وقود من حطب وحشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية لكونه انتسابها الى ما نسبت هي اليه معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية اعدت للكافرين اي هيئت للذين كفروا بما نزلنا وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واياهم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم وذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الان لامن ضميرها ووقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف وبشر الذين آمنوا اي بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المومنين بالقران ووصف ثوابهم على قصة الكافرين وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب والترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته وعدا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالا تقاعس على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل احد ممن يتاتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فانه عليه السلام لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في المبشر وتباشير الصبح اوائل

ضوئه وعملوا الصالحات الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل
واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جنس جملة من الاعمال بدليل الصالحة التي اشار اليها تعالى في مطلع السورة
الكريمة وطايفة منها متفاوتة حيث تفاوت المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما
واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا عنا باس لا بناء به
ان لهم جنات منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر
جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير رحمه الله

كأن عيني في غربي مقتلة ۞ من النواضح تسقي جنة سحقا

اي نخلا طوالا كأنها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء
الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر ان يكون ماخوذا من الفعل للمفعول وانما سميت دار الثواب بها
مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره
ابن عباس رضي الله عنه جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم وجنة الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي كل
واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها تجري من تحتها الانهار في حيز النصب على انه صفة
جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي
من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم
الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الما
الجاري والتين والعنب وعوض من المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر
في قوله عز وعلا انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر والنيل والفرات
والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي والجاري انفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا
كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة اخرى لجنات اجريت مجرى على الاولى
لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار اهلها المتمتعين بها او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كان حين وصف
الجنات بما ذكر من الصفة في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا
مفعول به ومن الاولى والثانية للابتدا واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدا بها من الجنات مبتدا
من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتديا من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدا من ثمرة فصاحب الحال الاول رزقا
وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة
الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الما لا ينقطع فانك وان اشرت الى ما تعاينه بحسب الظ
لكنك انما تعني بذلك النوع المستمر فالمعنى هذا الذي رزقنا من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه
بينهما جعل ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مايلة الى المالوف متنفرة عن غير
معروف ولتبين لها مزيته وكنه النعمة عنها فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او من الذي رزقنا
من قبل الجنة لان طعامها متشابه الصور كما في ... كما يحكى عن الحسن رضي الله عنه ان احدهم يوتى بالصحفة فياكل منها ثم
يوتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملايكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه صلى الله عليه
وسلم قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها
مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى يظهرون
بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا هذا

عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه المرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
من ان ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة
لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسما منوط بالاتحاد والطاعات متفاوتة فيجوز ان يريدوا هذا ثواب
الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من
قبيل الثواب واتوا به متشابها اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا
في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق ولهم فيها ازواج
مطهرة اي مما في نسا الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل
في الاجسام والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النسا فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال

واذا العذارى بالدخان تقنعت ۞ واستعجلت نصب القدور فملت

فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد وكسر الها بمعنى مطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما التطهر فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر
والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقا النوع حتى لا
يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المداراة لبقا الفرد ليست
بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة اي وهم فيها خالدون دايمون والخلود في الاصل الثبات
المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه
للدوام لما قيد بالتابيد في قوله عز وعلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد هاهنا الدوام
قطعا لما يقتضي من الايات والسنن وما قيل من ان الابدان مولفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات
المودية الى الانحلال والانفكاك مداره قياس هذا العالم الكامل بما نشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان
يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفيات
متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شي منها عند التفاعل على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى
هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا الا تغيرها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات
الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقتضيه الاستقرا وكان ملاك جميع ذلك الدوام
والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوايب
الالم بشر المومنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يودي اليها من العقل
والعمل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع
فيه من ضرب الامثال وبيان حكمته وتحقيق الحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والزام الحجر والافحام
كافة البلغا من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال
بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطا عنه رضي الله عنه ان هذا
الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى
مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا الاية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله بهما المثل وجعلوا
ذلك ذريعة الى انكار كون ذلك من عند الله مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز من انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن
التنزيل بل هو اوضح ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس
الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المعاني

المانوس لاستحالة الوهم واستنزاله عن معارضة العقل واستعصابه عليه في ادراك الحقايق المحتجبة وفهم الدقايق الاتية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الي ما يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبويه وراعت في عبارات البلغا واشارات الحكما ومن قضية وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفها في اثارة الزنابير وجا في عبارات البلغا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة وغير ذلك مما لا يكاد يحصر والحيا تغير النفس له وانقباضها عما تعاب به او تذم عليه يقال حيي الرجل وهو حي واشتقاقه من الحياة اشتقاق نسي وحشي من النسا والحشا لانه اذا اعتلت منه تلك الاعضا وكان من يعتريه الحيا تعتل قوته الحوانية وتنتقص واستحيي بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحيته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدي اليايين ومنه قوله

الا لا تستحي منا الملوك وتتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم

وقوله

اذا ما استحين الما يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد

فكما انه اذا اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلي الله عليه وسلم ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يراد به الترك الخاص علي طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطايه بترك من يترك ما يجب لذلك اذا نفي عنه تعالي في المواد الخاصة كما في هذه الاية الشريفة وفي قوله تعالي والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي منه لا سلب وصف الحيا عنه تعالي راسا كما في قوله ان الله لا يوصف بالحيا لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شانه تعالي في الجملة فالمراد هاهنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الي تعاضد الدواعي الي ضربه وتاخير البواعث اليه اذ لا استحيا انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده علي طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشيا المحقرة كما في قول من قال

من مبلغ افنا يعرب كلها بني بنت الجار قبل المنزل

وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاوه في نفسه والا لكان انشا الامثال السايرة في مواردها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الانشا هناك والامثال الواردة في التنزيل وان كان له استعمالها في مضاربها عين انشايها في انفسها لكن التعبير بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الاول قطعا وهو ماخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك الامثال في مضاربها تطبيقها لان المضارب قوالب بضرب الامثال علي شاكلها لكن لا بمعني انها تنشا بحسبها بعد ان لم يكن كذلك بل بمعني انها تورد منطبقة عليها سوا كان انشاوها كعامة الامثال التنزيلية وقبل ذلك كسائر الامثال السايرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الان تطبيقها اي ايرادها منطبقة علي مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين علي الجدار ليكون به بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها انما يحصل عند الضرب وجعلها ضربة لازب لا ينفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ما علي تقدير تعديه بنفسه النصب علي المفعولية واما علي تقدير تعديه بالجار فعند الخليل له الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضا الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب واما اسميه الابهامية يزيدها بقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفيه مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالي فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معني

الجعل والتصيير وقري بالرفع علي انه خبر مبتدا محذوف اي هو بعوضة والجملة علي تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالي تماما علي الذي احسن او علي قراة الرفع وعلي تقدير كونها موصوفة صفة لها لذلك ومحل ما علي الوجهين النصب علي انه بدل من مثلا او علي انه مفعول ليضرب وعلي تقدير كونها ابهامية صفة لها لمثلا واما علي تقدير كونها استفهامية فهي خبرها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتي ما يضرب بها المثل بل له تعالي ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها علي ما وقع في قوله صلي الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقي الكافر منها شربة ما والبعوض فعول من البعض كالبضع والقعصب غلب علي هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش **فما فوقها** عطف علي بعوضة لا علي نفسها كما قيل فالمعني ما بعوضة فالذي فوقها او فشي فوقها حتي لا يضرب بها المثل وكذا علي تقدير كونها استفهامية فهو عطف علي خبرها اعني بعوضة لا علي نفسها كما قيل والمعني ما بعوضة فالذي فوقها او فشي فوقها حتي لا يضرب بها المثل وكذا علي تقدير كونها صفة للنكرة او زايدة او بعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق المثل دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع بل يقرره ويوكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعني الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلي التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكاريه والمعني ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شي فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالي ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمني خر علي طنب فسطاط فقالت عايشة رضي الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة بقوله عليه السلام ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتي نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كالخرور علي ما حكي من الحرور **فاما الذين امنوا** شروع في تفصيل ما يترتب علي ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيته صدوره عنه تعالي والفا للدلالة علي ترتب ما بعدها علي ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه فاما الذين امنوا الي اخره وتقديم بيان حال المومن علي ما حكي عن الكفرة مما لا يخفي الي بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد امر المومنين وذم الكفرة ما لا يخفي وهو حرف متضمن لمعني اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شي وكذلك يجاب بالفا وفايدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد ذكر جميعا وقد يقتصر علي واحد منها كما في قوله عز من قايل فاما الذين في قلوبهم مرض قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شي فهو ذاهب لا محاله وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفا علي الجملة لانها الجزا لكن كرهوا ايلاوها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدا عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المومنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الاتي فريق الكفرة لا من يومن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعني اي فاما المومنون **فيعلمون انه الحق من ربهم** كساير ما ورد منه والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الي انكاره والثابت للدلالة علي انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتدا الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العايد الي المثل والي ضربه اي كاينا او صادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشادا الي ما يوصلهم الي كمالهم اللايق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيقته ثابتة ولعل الاكتفا بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه في قوله تعالي والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره المغني عن **واما الذين كفروا** ممن حكيت اقوالهم وافعالهم واحوالهم **فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا** او ثر ما يقولون علي ما يعلمون حسبما تقتضيه ظاهر قرينته دالة علي كمال علوهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان مجرد العلم بحقيقته ليس بمثابة انكارها والاستهزا به صريحا وتمهيدا لتعداد ما ينبغي

عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وعد ذلك من شنايعهم المرتبة على قولهم المذكور على ان عدم
العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلم بها وانما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل
والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم
هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتامل وكن على الحق المبين وماذا اما مولفة من
كلمة استفهام وقعت مبتدا خبره ذا بمعنى الذي وصلته الذي ما بعده والعايد محذوف فالاحسن ان يجي جوابه مرفوعا
واما منزلة اسم الواحد بمعنى اي شي فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه
والقوة التي هي مبداه والاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته
تعالى فقيل ارادته لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هي علمه
تعالى باشتمال الامر على النظام الاعلى والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي
المقدور على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا
تحقير المشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على الحال او على التمييز كما في قوله تعالى ناقة الله لكم اية وليس مرادهم بهذه
العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفايدة مع اعترافهم بصدوره عنه عز وعلا بل
غرضهم التنبيه بادعا انه من الدناة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على
استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز من قايل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اوما جواب عن تلك
المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية
في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامه
تساويهما في تحققهما وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتدا كما ينبي عنه قوله تعالى وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظايره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سو اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال
ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير قدم الاضلال
على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوؤهم
ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه في الذكر وقيل هي بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم
بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم بالقياس
الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك اقلية اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي
الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل افادة ضرب المثل وتكثيرها او يجوز ان يراد
في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الاخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال

ان الكرام كثير في البلاد وان ۞ قلوا كما غيرهم قل وان كثروا ۞

واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشيا مخلوقة له تعالى وان كان افعال العباد من
حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب وقري يضل به كثيرا ويهدى
به كثيرا على البنا للمفعول وتكريره مع جواز الاكتفا بالاول لزيادة تقرير السببية وتاكيدها يضل به اي بالمثل
او بضربه الا الفاسقين عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة
المستتبعة وتاكيدا له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال
وزيادة فيه وقري وما يضل به الا الفاسقون على البنا للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها
والفارة من جحرها اي خرجت قال روبه ۞

يذهبن

۞ يذهبن في نجد وغورا غائرا ۞ فواسقا عن قصدها جوائرا ۞

وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى
التغابي وهو ارتكابها احيانا مستقبلا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها
وهذه من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المومن لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله
تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل
والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتيسر لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المومن والكافر لمشاركة كل
واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين هاهنا العاتون الماردون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم
ما حكي من انكار كلام الله تعالى والاستهزا به وتخصيص الاضلال به مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبايح له
للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل
صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه
وقالوا فيه ما قالوا الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب
من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد
كلامي المتعاهدين بالاخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من
روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم تغترف منه الناس تنبيها على
انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه والمراد هاهنا اما
العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القايمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله عليه الصلاة والسلام وبه
اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والمعنى الظاهر منه او الماخوذ من جهة الرسل على الامم
بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا له
حكمه كما ينبي عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الاية ونظايره وقيل
عهود الله تعالى ثلاثة الاول ما اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته والثاني ما اخذه على الانبيا
عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلما بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه
الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاق والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير
الى العهد كان الميثاق ما وثقوه به من الالتزام والقبول وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به اياته وكتبه وانذار رسله
عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين او من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر
من المبني للفاعل فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثقة الله تعالى اياه بانزال الكتب وانزال
الرسل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى الله تعالى كقطع الرحم وموالاة المومنين والتفرقة بين
الانبيا عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما
بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصود بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل
مع العلو وقيل بالاستعلا وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يومر به كما يقال له شان
وهو القصد والطلب لما انه اثر للشان وكذا يقال له شي وهو مصدر شامل لما انه اثر للمشيئة ومحل ان يوصل اما النصب
على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزا بالحق
وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه اولئك اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات
القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى

البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد **هم الخاسرون** الذين باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم
الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن عن الايات بالايمان بها والتامل في حقايقها والاقتباس من انوارها
واشترا النقض بالوفا والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** التفات الى الخطاب
المذكورين مبني على ايراث ما عدد من قبايحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام
انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الى اخره بل بمعنى انكار
الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما فيه من توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل
موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق
البرهاني وقوله عز وجل **وكنتم امواتا** الى اخر الاية حال من ضمير الخطاب في تكفرون موكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها
من الشوون العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة من الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة
كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على
اي حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة
الاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله
تعالى واية لهم الارض الميتة **فاحياكم** بنفخ الارواح فيكم والفا للدلالة على التعقيب فان الاحيا حاصل اثر كونهم
امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوارا مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه انفا **ثم يميتكم** اي عند انقضا
اجالكم وكون الاماتة من دلايل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة الثانية التي هي الحيوان
والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحياة فان زمان الاماتة غير متراخ
عنه **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسوال في القبور وايا ما كان فهي متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر
زمان الموت المستمر **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من
قبوركم للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها مستقبلا لا ينتفي مقارنة شيء منها لما هو حال كانه قيل كيف تكفرون
بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه وما له التعجب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحيا
الاخر والرجع في سلك ما يعترفون به من الاحيا الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلايل القاطعة
منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبه سمي
الحيوان حيوانا مجازا في القوة النامية لكونها من طلايعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث
انه كمالها وغايتها والموت بازايها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال
تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه
تعالى مراد به صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته تعالى يقتضي ذلك له
وقرئ ترجعون بفتح التا والاول هو الاليق بالمقام **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** تقرير للانكار وتاكيد له
من الحيثيتين المذكورتين فان ما يتعلق بذواتهم من الاحيا والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر
بما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدا والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم على
المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف او خلق لاجلكم جميع ما في الارض من
الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة بادبها جهة السفل كما يراد بالسما جهة العلو وامور
دينكم بالاستدلال بها على شوون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلايمه من اللذات الاخروية والامها
وما لعموم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسما جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزايها فانه من

جملة ما فيها ضرورة وجوز الجر في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني موكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد
ما في الارض بل كل جزء من اجزا العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللايق الذي عليه يدور انتظام ما
مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلانه ليس في العالم شي مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا
وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد **ثم استوى الى السماء**
قصد اليها بارادته ومشيته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يكفه من ارادة خلق شي اخر في تضاعيف خلقها او
غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ها هنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما
روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله عنه خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس
كهيئة الفهر عليها دخان يلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض
وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول
هو الظاهر وكلمة ثم للايذان لما فيه من المزية والفضل عن خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق الارض
المتاخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رضي الله عنه والمراد بالسما اما
الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو **فسواهن** اي اتمهن وقومهن
وخلقهن ابتدا مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستوا
من حسن الموقع وفيه اشارة الى انهن لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسما فانها في معنى
الجنس وقيل هي جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى **سبع سموات** كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه
الاول بدل من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونها اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة
القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات
ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى هذا اما قالوا وسياتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى **وهو**
بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفايقة
والمصالح اللايقة فان علمه عز وجل بجميع الاشيا ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق
كلما يخلقه على الوجه الرايق وقرئ وهو بسكون الها تشبيها له بعضد **واذ قال ربك** بيان لامر اخر من جنس الامور المتقدمة
الموكدة للانكار والاستبعاد فان خلق ادم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية
لذريته الى الشكر عن الكفر وتقدير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع
بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدي اليه بادلة
العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان
الربوبية المنبية عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وفي التعرض لعنوان ما لا يخفى واذ ظرف موضوع
لزمان نسبة ماضية وقع فيها نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيها نسبة اخرى مثلها كما ان
اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك تجب اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله
عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
دون ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا
وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على تاويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه وايا ما كان فهو
معطوف على مضمر اخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام عما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل
الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه

واما ما قيل من ان المقدر اعبدوا شكرا للنعمة في خلق السموات والارض او تدبروا ذلك فغير سديد بد ضرورة ان مقتضي المقام تذكير
المخاطبين بمواجب الشكر وتنبيههم على ما هو يقتضيه وان ذلك من مقامه الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى
قالوا وابا ه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون ساير القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين امنوا ولا
يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال الى اخره ولا ريب في انه لا فايدة في تقييد بدا الله
الخلق بذلك وقيل بخلقكم وباحيا يكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل اذ زايدا ويعزي ذلك الى ابي عبيدة معمر وقيل انه بمعنى قد واللام
في قوله عز قايلا **للملايكة** للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في القول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام
بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملايكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمايل في
جمع شمال والتا لتاكيد لتانيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من ما لك من الالوكة
وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مقلوب من ما لك من الالوكة مصدر بمعنى المفعول فانهم بين الله تعالى وبين الناس
فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلا في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجوده قايمة فذهب
اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام
وذهب الحكما الى انها جواهر مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من
الاضوا منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السما الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضا
والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة
للابدان ونقل في شرح كثير انه عليه السلام قال اطت السما وحق لها ان تطا ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او
راكع وروي ان بني ادم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهولا كلهم عشر
ملايكة الارض الموكلين وهولا الكل عشر ملايكة السما الدنيا وكل هولا عشر ملايكة السما الثانية وهكذا الى السما السابعة
ثم كل اوليك في مقابلة ملايكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هولا عشر ملايكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ست
ماية الف سرادق وعرض سمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار
شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قايم له زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هولا في مقابلة الملايكة الذي يحومون حول العرش كالقطرة
في البحر ثم ملايكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملايكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى اجناسهم
ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم وهو العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وروي عنه عليه السلام
حين عرج به الى السما راى ملايكة في موضع بمنزلة اشرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل
عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رايته قبل
ذلك ثم سالا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعماية الف سنة كوكبا وقد خلق منه منذ
خلقني اربعماية الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدره وما اعظم ملكوته واختلف في الملايكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم
ملايكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله تعالى لمحاربة الجن حيث كانوا
سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدما فقتلوا الا قليلا قد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزاير البحار وقلل الجبال له
وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السما الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تعا
تارة في الارض وتارة في السما واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم
انهم كل الملايكة لعموم اللفظ وعدم المخصص قوله تعالى **اني جاعل في الارض خليفة** في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة
الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمل وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى

التصيير والمتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي
التصيير في الحقيقة اسم صار او خبره اولهما الاول وثانيهما الثاني منهما مبتدا او خبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في
الارض خليفة ثم تصيير في الارض خليفة فمعناه بعد البنا واللتيا اني جاعل خليفة من الخلايف او خليفة كاينا في الارض فان خبر
صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو
الاخبار بجعل ادم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملايكة عليهم السلام فاذا قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق
بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف
تعويلا على القرينة الداعية اليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفها اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف المفعول الاول وهو
ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة
ها هنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثنا ذكره عليه السلام على ما نفصله كانه قيل خالق بشرا من
طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية
فالقرينة ما ذكر من جواب الملايكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا
من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا ولا عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من
صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى بحيث حال الاكتفا عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير
قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق من الجعل المتعدي الى مفعول واحد
هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقدم كما مر خلا انه لا يكون حالا مما سياتي من كلام الملايكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه
روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في
الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فبعد ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل
بمعنى الفاعل والها للمبالغة والمراد به اما ادم عليه السلام او بنوه وانما اقتصر عليه استغنا بذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة
باباه التصريح وقرى بعض بذكر اسما كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف فيعمه عليه السلام وغيره من خلفا
ذريته والمراد بالخلافة من جهته سبحانه في اجرا احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق ولكن لا لحاجة به تعالى
الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن
كان في الارض قبل ذلك فيعم حينئذ الجميع **قالوا** استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملايكة
حينئذ فقيل قالوا **اتجعل فيها من يفسد فيها** وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول
والظاهر ان الاول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكرهنا قال قايلهم

لا تخلنا الى عراك فانا ۝ طالما قد وشى بنا الاعدا

بحذف المفعول الثاني اي لا تخلنا جازعين والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه
لما مر مرارا والثاني بيفسد وفايدته تاكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل فساده من البعد ما ليس في استخلافه
في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من
يفسد في الارض كيف لا وانما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى حقيتهم منه يقضي ببطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى
الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف مكان المطيعين على الطاعة من شان بني نوعه الافساد وسفك
الدما وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما
اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بدت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم
الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضايل التي جعلته اهلا لذلك كسوال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله

سبحانه وتعالى ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة
فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا
اما باخبار من الله عز وجل حسبما نقل من قبل ونتلو من تلقي الوحي للوح او باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم
او بقياس من لاحد الثقلين على الاخر **ويسفك الدما** السفك والسفح والسفك انواع من الصب والاولان مختصان بالدم
بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي بقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدما لما انه اقبح انواع القتل
وافظعه وقرى يسفك بضم الفا ويسفك من اسفك وسفك وقرى يسفك على البنا للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة او
موصوفة اي يسفك الدما فيهم **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قولك
من يحد في خدمة مولاه وهو يامر بها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد فيها كانه قيل اتستخلف من شانه ذريته الفساد مع وجود
من ليس من شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من
الموانع لا العجب والتفاخر فكانهم شعروا انما فيهم من القوة الشهوية التي ذريتها الافراطية الفساد في الارض والقوة
العصبية التي ذريتها الافراطية سفك الدما فقالوا ما قالوا وذهبوا عما اذا سخرتها القوة ومرنتها على الخير يحصل من ذلك
لعلو الدرجة وما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات
واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به من الخلافة والتسبيح تنزيه
الله تعالى وتبعيده اعتقادا او قولا او عملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والما اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح
اي واسع الجري وكذلك تقديسه تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشي مبعده
عن الاقذار والبا في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشانك ملتبسين بحمدك على ما انعمت
به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام
واللام في ذلك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما للتعليل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيا لك فتكون متعلقة بمحذوف
اي نقدس تقديسا اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك
كانهم قابلوا الفساد الذي هو اعظم الاشراك بالتسبيح وسفك الدما الذي هو تلويث النفس باقبح الجرايم بتطهير النفس
عن الاثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا والكلمة بل بيانا للواقع **قال** استيناف كما سبق **اني اعلم ما لا تعلمون** ليس المراد به
بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشيا كاينا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا سيما
بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب
والاستبعاد فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما
لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته به وغفلتهم عنه تفخيما
لشانه وايذانا بابتنا امره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدرقوا لهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح
في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن
والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل وبكون تعجبهم مبنيا على ترددهم واشتمال هذا الفعل لحكمة ما
وذلك مما لا يليق بشانهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا اهل هو امر راجع
الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه
فضايل غايبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم
بالكلية **وعلم ادم الاسما كلها** شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو عطف على
قال والابتدا بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة المحكية انما جرت بعد خلقه عليه السلام بحضر منه وهو

الانسب

الانسب بوقوف الملايكة على احواله عليهم السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل وايراده
عليه السلام باسمه العلي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلايم مقام تمهيد مبانيها وهو اسم
اعجمي والاقرب وزنه فاعل كشالخ وعادر وعابر وغالب وفالغ لا افعل والتصدي لاشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح
بمعنى الاسوة او من اديم الارض بنا على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها
فخلق منها ادم ولذلك اختلف الوان ذريته او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس
ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشي ودليلا يرفعه الى الذهن من
الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة
بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ها هنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم
للثاني لا الاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعنى مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه
العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المتعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من
جهته كما مر في تفسير الهدى وهو السر في ايثاره على الاعلام والانبا فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك فيه
البشر والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات
الجسمانية خبرا المعنى تعليمه تعالى اياها ان خلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسما جميع المسميات
واحوالها وخواصها اللايقة بكل منها او يلقيه في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير وحاله كيت وكيت
الى غير ذلك من الاحوال الموجودات فيتلقاها حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته
المنطوية على طبايع متباينة مستعدة لانواع الادراك المتدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
والهمه معرفة ذوات الاشيا واسمايها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل الاتها وكيفيات
استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هنا جملا مطوية عطف عليها
المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلم الى اخره **ثم عرضهم على الملايكة** الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسما كما
في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا والتذكير لتغليب العقلا على غيرهم وقرى عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او
مسمياتها في الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا
يتعرف منه احوال البقية واحكامها **فقال انبئوني باسما هؤلا** تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم
من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا
يكاد يمكن والانبا اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل منهما فالمراد ههنا ما خلا عنه واشارة على الاخبار للايذان
برفعة شان الاسما وعظم خطرها فان النبا انما يطلق على الخبر والامر العظيم **ان كنتم صادقين** اي في زعمكم انكم احق بالخلافة
ممن استخلفته كما ينبي عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من
الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسمايها في الارض واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في
الارض مفسدين سفاكين للدما فليس مما يقتضيه المقام فان اول بان يقال في زعمكم اني استخلف من غالب امره الافساد
وسفك الدما من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بالامر بالانبا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور
عليه **قالوا** استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا حين هل خرجوا عن عهدة ولا فقيل قالوا **سبحانك** قيل
هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جا غير مضاف على الشذوذ غير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين
كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما ما في قوله سبحانه ما يعود له فقيل صرفه للضرورة وقيل لانه مصدر منكر كغفران
لا اسم مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك من الحكم

والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشيا عن كال طاعة النفس والافعال باشتمال استخلاف ادم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهك عن ذلك تنزيها ناشيا عن ذلك وارادوا به انهم قالوه عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام يكلف بما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وجل **لا علم لنا الا ما علمتنا** باعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسما على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان **انك انت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون **الحكيم** المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او محل منه مشارك لما قبله كما قال الفرا او لما بعده كما قال الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم ادم عليه السلام لما تحقق بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي يدور عليها فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملة تعليم ادم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بما في الارض من انواع بالاحكام الواردة على ما في الارض وبنى امر الخلافة عليها **قال** استيناف كما سلف **يا آدم انبئهم** اي اعلمهم اوثر على انبئني كما وقع في امر الملائكة عليهم السلام مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل ادم عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرى بقلب الهمزة يا وبحذفها ايضا والها مكسورة فيها **باسمائهم** التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها **فلما انباهم باسمائهم** الفا فصيحة عطف للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر والاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسما في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انباهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانباهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عليه السلام لم يتلعثم في شي من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسما والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما انباهم بذلك **قال** عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له **الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض** اي نحن لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في ادم عليه السلام لظهور مصداقه بايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضاف الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم ادم عليه السلام من الامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله عز وجل **واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الى اخره وبما تكتمون استبطانهم احقاقهم بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق ادم عليه السلام رات الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شا فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من

الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الاية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسما تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القايها على المتعلم مبينا وذلك يستدعي السمع وما هو الا من عند الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار فان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكما منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان ادم افضل من هولاء الملائكة عليهم السلام لانه اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشيا قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة** عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الى اخره وقد عرفت امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تاكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في موقع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرى بضم تا الملائكة اتباعا لضم الجيم في قوله تعالى **اسجدوا لادم** كما قرى بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شانه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان ادم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه كانه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط واحد بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله تعالى عنه

اليس اول من صلى لقبلتكم ... واعرف الناس بالقران والسنن

او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل **فسجدوا** عطف على قلنا والفا لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك وروي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام **الا ابليس** استثنا متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثنى واحدا منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو الياس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الاية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي ورد به الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى اخر الاية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شي غير ما يفصح عنه الفا الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روي عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تاخير وتاويل الايات السابقة بحمل ما فيهما من الامر التعليقي بعد تحقق الامر المعلق به اجمالا فانه حينئذ يكون في حكم التنجيز يابا ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخر ورود الامر

الوقوع منه

عن التسوية المتاخر عن الخلق المتاخر عن الامر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي على التعليقي الرتبي والتراخي في
الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث
بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينهم وبينه عليه السلام في شان الخلافة وما
قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج ابليس من البين له
باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التقصي
عنه الى تاويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حيوة النفس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف ينبئ عن ضيق المجال
فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر
المخزون ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة
بالاخبار بالخلافة المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته
وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه بان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجوب السجود
عقيب الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله الاية وبعدم وجوب اقامة الصلاة عقيب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة
بل انما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي اثرا ذي اثير انما هي
حمل الملائكة عليهم السلام على التامل في شانه عليه السلام ليتدبروا في احواله عليه السلام طرا ويحيطوا بما لديه خبرا
ويبتغوا منه ما عسى يستبهم عليهم من امره عليه السلام لابتنائه على حكم انيقة واسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على
جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم انتظامه فيه
عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم
سبوقيته فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست
بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة بذلك حيث عبر الله
مع انه لم يرد به نقل فما ظنك بما وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القي اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر
اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
وتبين لكم شانه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة
بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه عليه
السلام ما ذكروا فايده الله عز وجل بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي اعتناء
بشان المامور به وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك
في موطن اخر والذي يحسم مادة الاعتناء ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الى اخره بدل من قوله تعالى
اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملأ
الاعلى وادم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الامة واختصامهم ما جرى بينهم في شان خلافة ادم عليه السلام
من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور
في تضاعيف ما شرح فيه ووقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامور التعليقي وما علق به
من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه
من بين الملائكة وما جرى بعده من الاقوال والافعال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة وابليس المستتبعة
لطرده من بينهم لما عرفت انه احد الخصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء فهو اذن بعد نفخ

الروح

الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر **ابى واستكبر** استئناف مبين لكيفية
عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد والتامل والاباء الامتناع والاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر
من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي طلب ذلك وامتنع عما امر به واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة
ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار مع
واستكفائه في سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين **وكان من الكافرين** اي في علم الله تعالى
او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة
اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباح امره اياه تعالى بالسجود لادم زعما منه انه
افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء
للدلالة على ان كلا من الاباء والاستكبار كفر لا انهما سببان له كما تفيده الفاء **وقلنا** شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى
وبين ادم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال وقد ترك حكاية
توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره اجتزاء بما فصل في ساير السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح
في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على
اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى **يا ادم**
اسكن انت وزوجك الجنة للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته
في مباشرة المامور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت
ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن
مسعود وناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها ادم بقي فيها وحده وما
كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه
فلما استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت
الملائكة تجربة لعلمه من هذه قال امراة قالوا لم سميت امراة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا
لم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوا
ادم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على ان خلقها قبل دخول
الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى
امتحانا لادم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه
عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه
من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان
الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب
التوقف وترك القطع **وكلا منها** اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة
العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف السكنى
فانها تابعة له فيه **رغدا** صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها **حيث شئتما** اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى
اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض
المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى **ولا تقربا** بفتح الراء من قربت الشيء بالكسر

اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم سيبويه يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت
منه **هذه الشجرة** نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجرة اي لا تاكلا
منها وانما علق النهي بالقربان مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه المراد بها الحنطة او العنبة او التينة
وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذه باليا وبكسر الشجرة وما تقربا وقرئ
الشيرة بكسر الشين وفتح اليا **فتكونا من الظالمين** مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما
كان فالقرب الى الاكل منها سببا لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا انفسهم
بمباشرة ما يخل بالكرامة او النعيم او تعدوا حدود الله تعالى **فازلهما الشيطان عنها** اي اصدر زلتهما اي زلتهما وازلهما
وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما
عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال يقتضي زوال
الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الايات مشعرة بانه عليه السلام
لم يبرح مسكن الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قلد من خلافة الارض الى حين المبعث اليها
واختلف في كيفية توصله اليهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع من الدخول على وجه التكرمة
كما يدخلها الملايكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل
تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخل معها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما فالعلم
عند الله سبحانه **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الجنان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها
وجلالتها وملابستهما له من المكان العظيم الذي كانا فيه مستقرين او من الكرامة او النعيم ان كان الضمير للجنة
وقلنا اهبطوا الخطاب لادم وحوا بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما
الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها مسارقة او
اهبط من السما وقرئ بضم البا **بعضكم لبعض عدو** حال استغني عن الواو بالضمير اي متعادين بيعضكم
على بعض بتضليله او استيناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لان
وزنه المصدر كالقبول **ولكم في الارض** التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار
مستقر اي استقرار او موضع استقرار **ومتاع** اي تمتع بالعيش وانتفاع به **الى حين** هو حين الموت على ان له
المضاف تمتع كل فرد من المخاطبين او القيمة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا
اي مستحقين للاستقرار والتمتع واستينافا **فتلقى ادم من ربه كلمات** اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل
بها حين علمها ووقف بها وقرئ بنصب ادم ورفع كلمات دلالة على انها مستقبلة وبلغته وهي قوله تعالى ربنا
ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر
لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم
تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى
قال يا رب ان تبت اليك واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفا للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب
الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام للتشريف
والايذان بعليته لا كتفا الكلمات المدلول عليها بتلقيها **فتاب عليه** اي رجع اليه بالرحمة وقبول التوبة والفا
للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمنة لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه

والعزم

والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر شان ادم عليه السلام لما ان حوا تبع له في الحكم ولذلك طوى النساء في اكثر مواقع
الكتاب والسنة **انه هو التواب** اي الرجاع على عباده بالمغفرة والذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا
وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة **الرحيم**
المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتايب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب
عليه **قلنا** استيناف مبني على سوال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا **اهبطوا منها**
جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول
التوبة للعفو عن ذلك واظهارا لنوع رافة به عليه السلام لما بين الامرين من الفرق النير كيف لا والاول مشوب بضرب سخط
مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتا الهدى المودي الى النجاة والنجاح واما
ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو داير على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على
ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى السما
الدنيا والثاني منها الى الارض وياباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا
حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في
قولك جاووا جميعا بخلاف قولك جاووا معا **فاما ياتينكم مني هدى** الفا لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به واما
مركبة من ان الشرطية وما المزيدة الموكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد وقيل معرب
مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما
مر غير مرة والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى **فمن تبع هداي فلا**
خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جيتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة
للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة
الافاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال وللجري على سنن الكبريا في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم له
والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ذلك
لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل مستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار
الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه واستقصار للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين
والمراد بيان دوام انتفايهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل في نفس
المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتاكيد وجوب اتباعه
اولان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية كما
قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا باياتنا** عطف على من تبع الى اخره قسيم له كانه قيل ومن
لم يتبعه فانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة
الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال
الروعة واضافة الايات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اي والذين كذبوا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة
وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبيا او اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالايات جنانا وكذبوا
بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة

توهمت ايات لها فعرفتها ... لستة اعوام وذا العام سابع

ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل لانه

لانها علامة لانفصال ما فيها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فتكون من قولهم خرج بنو فلان بابيتهم اي بجماعتهم
خرجنا من البيتين لاحي مثلنا ۞ باتينا نزجي النعاج المطا ولا ۞
تحذف الهمزة تخفيفا **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم
الوصف تميزا مصححا للاستعارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدا خبره قوله عز وجل
اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول
او عطف بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى **هم فيها خالدون** في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في
قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة واللام
المقدرة او في محل الرفع على انه خبر اخر لاولئك على راي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في
الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام **يا بني اسرائيل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة
خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي عليه السلام لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم لتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامره بتذكير كلهم النعمة العامة لبني ادم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الخ واذ قلنا للملائكة الخ لان المعنى
كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض وسجود الملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم
الاسما وقبلنا توبته والابن من البنا لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكره
واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرانية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرال بحذف اليا واسرائل
بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة يا واسرال بهمزة مفتوحة واسرائل بهمزة مكسورة بين الرا واللام وتخصيص هذه الطائفة
بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** بالتفكر فيها والقيام بشكرها
وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة
لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فيها
وفاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضا والشكر قيل اريد بها ما انعم به على ابائهم من النعم التي سيجي تفصيلها وعليهم من
فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان اليا واسقاطها في
الدرج وهو مذهب من لا يحرك اليا المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن الاثابة
والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم
بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفا بهما عرض
عريض فاول مراتبه منا هنا الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدما والاموال واخرها هنا الاستغراق في
بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقا الدائم واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر
اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط
وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة
وتفصيل العهدين من قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات تجري الخ وقرئ اوف بالتشديد
للمبالغة والتاكيد **واياي فارهبون** فيما تاتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك
نعبد لما فيه من التقديم من تكرير المفعول والفا الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيا
فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفا وان المومن ينبغي
ان لا يخاف الا الله تعالى **وامنوا بما انزلت** افراد للايمان بالقران بالامر به لما انه العمدة القصوى في شان الوفا بالعهود

مصدقا

مصدقا لما معكم من التورية والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها للتورية انه نازل حسبما نعت فيها
او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة على الحقيقة
بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في
التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها
وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القران الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة
في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تاخر نزول المتقدم انزل على وفق المتقدم ولو تقدم نزول المتاخر
لوافق المتقدم منه قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم
لتاكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا **ولا تكونوا اول كافر به** اي لا تسارعوا
الى الكفر فان وظيفتكم ان تكونوا اول من امن به لما انكم تعرفون شانه وحقيقته بالنقل مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون
ابناكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجي فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره
عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا من ضمير الجمع بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة
ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض بانه الدالة على ما نطق به الظاهر كقولك
اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول من امن من اهل الكتاب او ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقران فقد
كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له قيل اصله اوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا
تخفيفا غير قياسي او اول من ال فقلبت الهمزة واوا وادغمت **ولا تشتروا باياتي** اي لا تاخذوا لانفسكم بدلا منها **ثمنا**
قليلا اي الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الاخرة بترك الايمان
قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة
في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الايات التي حقها ان يتنافس فيها
المتنافسون بالبا التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا
واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية
فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة المتناولة
للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلما امرهم بالتقوى الذي هو المنتهى **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على
ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه
حتى يشتبه احدهما بالاخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه وتذكرونه في تاويله
وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلالة ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من
سمع الحق والاخفا عن من لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه
ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وتكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان كتمانه استقباح اللبس لما يصحبه من
كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتموه وكتبوا
مكانه غيره كما سياتي في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح باسم
الحق ما ليس في ضميره **وانتم تعلمون** اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او انتم تعلمون انه حق وانتم من
اهل العلم وليس المراد بالحال التقييد بالنهي عنه كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل الزيادة تقبيح
حالهم اذ الجاهل عسى يعذر **واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** اي صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلاة

وزكاة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله **واركعوا مع الراكعين** اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس والمناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع والخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدى رحمه الله تعالى

لا تحقرن الضعيف علك ان ۞ تركع يوما والدهر قد رفعه

أتأمرون الناس بالبر تجريد وتوجيه له الى بعضهم وتوجيههم بعد توجهه الى الكل والهمزة فيها تقدير مع توبيخ والبر والتوسيع فى الخير البر الذى هو الفضا الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملة الاجانب **وتنسون انفسكم** اى تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا فى الهدايا والصلات التى كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدى انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلاة والزكاة وهم يتركونها ومدار الانكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة دون ما عطف عليها **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت لهم وتقريع لقوله وانتم تعلمون اى والحال انكم تتلون التورية الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الآمرة بالايمان به وبالوعد بفعل الخير وبالوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول والعمل **افلا تعقلون** اى تتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة من حيث انكم والعقل فى الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذى يشد به وظيفة البعير الى ذراعه تحبسه عن الحراك سمى به النور الروحانى الذى به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لان يحبسه عن تعاطى ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ سوء صنيعه وعدم تاثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء يوثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة تاثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت له

لتهدى الانام ولا تهتدى ۞ الا ان ذلك لا ينفع

فيا حجر الشحذ حتى متى ۞ تسن الحديد ولا تقطع

فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر عن فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفى الى رحمة الله سبحانه وتعالى **واستعينوا بالصبر والصلاة** متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله عز وجل او بالصوم الذى هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجا فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصايب روى انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اى الاستعانة بهما والصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر كما فى قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما اعد لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون فى مناجاة ربهم فلا

يدركون ما يجرى عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلاة والسلام وقرة عينى فى الصلاة والجملة حالية والاعتراض اعتراض تذييلى **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون** الذين يتوقعون لقاءه تعالى وما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين والتعرض لعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمنه معنى التوقع قال

فارسلته مستيقن الظن انه ۞ مخالط ما بين الشراسيف جائف

وجعل خبران فى الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم **يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم** كررا للتذكير للتاكيد والرابط ما بعده للوعيد الشديد به **وانى فضلتكم** عطف على نعمتى عطف الخاص على العام لكماله اى فضلت اباكم **على العالمين** اى عالمى زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام او بعده قبل ان تغيروا **واتقوا يوما** اى حساب يوم او عذاب يوم **لا تجزى نفس عن نفس شيئا** اى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق وانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اى لا تغنى عنها فتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس لتعميم الاقناط الكلى والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اى لا تجزى فيه ومن لم يجوز الحذف فان اتسع فيه فحذف الجار واجرى المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف فى قول من قال

فما ادرى اغيرهم تناء ۞ وطول العهد ام مال اصابوا

اى اصابوه **ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل والاصل التسوية سمى به الفدية لانها تساوى المفدى وتجرى مجراه **ولا هم ينصرون** اى يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة على العباد والاناسى والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية ان دفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثانية اما ان يكون عيانا او لا والاول الشفاعة والثانى اما ان يكون باداء عين ما كان عليه وهو ان يجزى عنه او باداء غيره وهو ان يعطى عنه عدلا وقد تمسكت بهذه الاية على نفى الشفاعة لاهل الكباير والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة فى الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولردهم عما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم **واذ نجيناكم من آل فرعون** تذكير لتفاصيل ما اجمل فى قوله تعالى نعمتى التى انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء واذكروا وقت تنجيتنا اباكم اى اياكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيناكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولى الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر المقام به فدخل مصر فراى فى ظاهرها حملا من البطيخ بدرهم وفى نفسه بطيخا بدرهم فقال لنفسه ان تيسر لى اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق وكل من لقيه من المكاسين اخذ

منه بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فذه فباعها بدرهم ومضى لوجهه وراى اهل البلد متروكين سدى لا
يتعاطى احد منهم سياستهم وكان قد وقع به وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا
امين المقابر فلا ادعكم تدفنون حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لاخر فاخر حتى جمع في مقدار ثلاثة
اشهر مالا عظيما ولم يتعرض احد له قط الى ان تعرض لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك وقالوا
من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام فقال لم يقمني احد وانما فعلت
ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه
الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت
احوال الرعية فلبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره
ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** اى يبغونكم من سامه خسفا
اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء **سوء العذاب** اى افظعه واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر
من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها
على ضميريهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف
وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما ان فرعون راى في المنام او خبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد من قضاء الله عز
وجل شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود وتسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل موسى من القوة على التصرف
ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء كانت معجزاته ظاهرة باهرة **وفي ذلكم** اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء
او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله **بلاء** محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهم على
الحيوة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء
الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار العادة تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق
عليهما وقد يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما **من ربكم** من جهته تعالى بتسليطهم
عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما جميعا **عظيم** صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم
وفي الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار وعليه الصبر
في المضار **واذ فرقنا بكم البحر** بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف
ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي اذكروا اذ فلقنا بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن
اي بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه ببعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد لان المسالك كانت اثني عشر بعدد
الاسباط **فانجيناكم** اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من
فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى **واغرقنا آل فرعون** اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه
اولى به منهم وقيل شخصه كما روي الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه فاستغنى بذكره عن ذكر
قومه **وانتم تنظرون** ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها
البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي ان الله تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون
وجنوده فصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا انا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر
فلما وصل اليه فرعون فراه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه كما انها لموسى معجزة عظيمة
بحر لهاصم الجبال ونعمة عظيمة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد بها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها

بالاذعان

بالاذعان فلا اماثرت اوائلهم ان يتلوها بمشاهدتها وروءيتها لا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وازوائها فيا لها
من عصابة ما اعصاها وطايفة ما اطغاها **واذ وعدنا موسى اربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد مهلك فرعون وعد
الله موسى عليه السلام ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل
وهو بمصر ان اهلك عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه
الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة
المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لوعدنا
على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا **ثم اتخذتم العجل** بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي
الرتبي **من بعده** اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف **وانتم ظالمون** باشراككم ووضعكم للشيء في غير موضعه
وهو حال من ضمير اتخذتم واعتراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من
عفاه ودرسه وقد يجيء لازما قال

عرفت المنزل الخالي ✱ عفا من بعد احوال
عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ✱ عفاه كل حنان كثير الوبل هطال

وقوله تعالى **من بعد ذلك** اي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم
لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** اي التورية
الجامعة مع كونها كتابا بانها حجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى
او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه
كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه **واذ قال موسى لقومه**
بيان لكيفية وقوع العفو المذكور **يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل** اي معبودا **فتوبوا** اي فاعزموا
على التوبة **الى بارئكم** اي الى من خلقكم بريا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة
واصل التركيب الخلوص عن الغير اما بطريق التفصي كما في برئ المريض وبطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض
لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم
الذي خلقهم بلطيف حكمته بريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه
حقيق بان تسترد هي منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **فاقتلوا انفسكم** تماما لتوبتكم بالبخع اي بقطع الشهوات
وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده روي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على
المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى
وهارون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية
للتعقيب **ذلكم** اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل **خير لكم عند بارئكم** لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة
الابدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم
الذي يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل
الى المضمر بارئكم المستتبع للايذان بعليته عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن
القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد
التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف لما انه من كلام موسى عليه السلام
لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من الليافة بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حينئذ
حكاية لوعد موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية

القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكيرا المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تكرير لما قبله الذي يكثر
تكرير توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى
عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك ولن نقر لك
والمؤمن به اعطاهم الله اياه التورية او تكليمه اياه او انه نبي الله او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله
جهرة اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراة استعير للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف
الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول
وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون
لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما قالوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين
امر الله موسى عليه السلام ان يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع
عليهم عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام يامره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا
لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا
ما قالوا كما سياتي في سورة الاعراف ان شا الله تعالى وقيل عشرة الاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد
والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى يشبه الاجسام ويتعلق به الرؤية تعلقا بها على طريقة المقابلة
في الجهات والاحياز والا فلا استحالة فيه انما الممكن في شانه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الاخرة
وللافراد من الانبيا الذين بلغوا من صفا الجواهر الى حيث تراهم كانهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها
الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السما فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل سمعوا حسيسا فخروا
صاعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما راوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين
مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل ذلك عنهم
فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي
ما اصابكم بنفسه او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون
من النوم كما في قوله ثم بعثناكم لنعلم الخ لعلكم تشكرون اي نعمة البعث او ما كفرتموه بما رايتم من باس الله تعالى وظللنا
عليكم الغمام اي جعلناه بحيث تلقي عليكم ظله وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من
الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين
والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح
الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول قائلين لهم اي قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة
كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات
المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمون قد حذف للايجاز والاشعار
بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم
بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى
من جناية تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا لابائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية
منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا وكلوا منها حيث شئتم رغدا
اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى

فيوول

فيؤول الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اي باب القرية لما روي انهم
دخلوا اريحا في زمن موسى عليه السلام كما سيجي في سورة المائدة وباب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه
وقولوا حطة اي مسئلتنا حطة او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا
ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا هذه الكلمة وقيل امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر
لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعا وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند
سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة
بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال
توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم
يفعل فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه
واوردوا مكانه قولا اخر مما لا خير فيه وروي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا
يعنون حنطة حمرا استخفافا بامر الله عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل
بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر
من التبديل وانما وضع الموصول موضع العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع للتصريح
بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السما اي عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل
والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل تعليل لانزال
الرجز بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع
ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك
الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ
استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير
الترتيب لما اشير اليه مرارا من الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير ولو روعي الترتيب الوقوعي
لفهم ان الكل امر واحد امر به واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روي
انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا
ستمائة الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع ادم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب
عليه السلام فاعطاه موسى عليه السلام مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبراه
الله تعالى به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل
لم يامر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان
يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى
اليه لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر رخاما حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله
عليه السلام من اس الجنة ولها شعبتان يتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف
للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما
تعلق الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة
بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على

ارادة القول **من رزق الله** هو ما رزقهم من المن والسلوى والما وقيل هو الما وحده لانه يوكل مما ينبت به من الزرع
والثمار ورد بانه ان المامور به اكل النعمة المفيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع اسناد الكل اليه خلقا
وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الى اخره ايذانا
بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام **ولا تعثوا في الارض مفسدين** العثي
اشد الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه
للسفينة ونظيره العيث خلا انه غالب فيما يدرك حسا **واذ قلتم** تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله
عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الى خلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم
من الاتحاد **يا موسى لن نصبر على طعام واحد** لعلهم يريدوا به التجميع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها
وحصول ما طلبوا مكانها اذ يابه التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روي انهم كانوا فلاحة
فنزلوا الى عكرهم فاجمعوا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها فتاقت انفسهم الى الشقاق ٥
فادع لنا ربك اي سله لاجلنا بدعائك اياه والفا للسببية عدم الصبر والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي
الاجابة **يخرج لنا** اي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الامر **مما تنبت الارض** اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل
ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى **من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من
بقلها وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما تنبت الارض من الخضر والمراد به طايبه التي توكل كالنعناع والكرفس والكراث
واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه **قال** اي الله تعالى او موسى انكارا عليهم
وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال **اتستبدلون** اي اتاخذون لانفسكم وتختارون
الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون قدرا واسهل المنال وهين الوصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا قليل
القيمة واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد
المحل وبعيد الهمة وقيل ادنى من الدناءة وقد حملت المشهورة على انها في الاصل مبدلة من الهمزة **بالذي هو خير** بمقابلة من هو خير
فان البا تصحب الذاهب الزائل دون الاتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان
وقوله فبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة
وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما امر من صورة المناوبة **اهبطوا مصرا** امروا به بيانا لدناءة مطلبهم
واسعافا لمرادهم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي وقرئ بضم البا والمصر البلد العظيم واصله الحد بين
الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتاويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله
عنه منون وقيل اصله مصرايم فعرب **فان لكم ما سالتم** تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم ما سالتموه ولعل التعبير عن
الاشيا المسؤلة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل يناله كل احد بغير مشقة **وضربت عليهم الذلة**
والمسكنة اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا ينفكان عنهم مجازاة
لهم على كفرهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر اذلا مساكين اما على الحقيقة
واما لخوف ان يضاعف جزيتهم **وباؤا** اي رجعوا **بغضب** عظيم وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف وهو صفة لغضب
مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم
باء فلان بفلان اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال • بوء بشسع نعل كليب • واصل البوء
المساواة **ذلك** اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم **بانهم** بسبب انهم **كانوا**
يكفرون على الاستمرار **بايات الله** الباهرة التي هي المعجزات الساطعة على يدي موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد

ويقتلون

ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبيا يستحيل ان يكون بحق
الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا بحقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب
الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي جرهم العصيان والتمادي
في الطغيان والعدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبيا عليهم السلام فان صغار الذنوب اذا ادوم عليها ادت الى كبارها كما
ان المداومة صغار الطاعات مودية الى تحري كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل
فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والبا بمعنى مع ويجوز الاشارة الى
التعدد بتاويل ما ذكر او تقدم كما في قول روبة •

• فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق •

اي كان ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمرات والمبهمات تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جا الذي بمعنى الذين **ان**
الذين امنوا اي بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق
للتصريح بان تلك النعمة المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا **والذين**
هادوا اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل
وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام **والنصارى** جمع نصران
كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه
السلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبية وقال الخليل واحد النصارى
نصري كمهري ومهارى **والصابئين** هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة
الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا فهو من صبا اذا خرج من دين الى اخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من
صبا اذا مال لما انهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل **من امن بالله واليوم الاخر** اي من احدث من هذه
الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق **وعمل عملا صالحا** حسبما يقتضيه الحكمة والايمان بما ذكر **فلهم** بمقابلة
ذلك **اجرهم** الموعود لهم **عند ربهم** اي مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع على الابتدا خبره جملة
فلهم اجرهم والفا لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين الاية وجمع الضماير الثلاثة باعتبار
معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار ما في لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من امن منهم الخ واما
ما في محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبر فلهم اجرهم عند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته
الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت مامون عن الفوات **ولا خوف عليهم** عطف على
جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب **ولا هم يحزنون** حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت
الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان
دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين امنوا المتدينون بدين الاسلام
المخلصون منهم والمنافقون فح لا بد من تفسير من امن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق وسواء كان
ذلك بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين
في الايمان ببيان ان تاخرهم عنه في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من
الاجر الدائم واما ما قيل فح تفسير من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا
سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين اخر قبل انتساخه فلا ملابسة
له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة على ان على المنافقين والصابئين لا ينبغي في

حتهم ما ذكر واما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضي قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم نحو رعاية في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضي من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اوالي المنافقين وارتكاب ارجاعه الي مجموع الطوائف من حيث لا الي كل واحد منها قصدا الي درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضي شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله علي اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله علي ان المخلصين مع انه لا حاجة الي درجهم في حيز خبرها عين فتامل وكن علي الحق المبين **واذ اخذنا ميثاقكم** تذكير بجناية اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت اخذنا بالمحافظة علي ما في التورية **ورفعنا فوقكم الطور** عطف علي اخذنا اوقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روى ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتي قبلوا **خذوا** علي ارادة القول **ما آتيناكم** من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة **واذكروا ما فيه** اي احفظوه ولا تنسوه اي تفكروا فانه ذكر بالقلب واعملوا به **لعلكم تتقون** لكي تتقوا المعاصي لتنجوا من هلاك الدارين اي رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين اوطلبا لذلك وقد مر تحقيقه **ثم توليتم** اعرضتم عن الوفا بالميثاق **من بعد ذلك** من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلي الله عليه وسلم حيث يدعوكم الي الحق ويهديكم اليه **لكنتم من الخاسرين** اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو ولا الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدا خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت فضل الله عليكم **ولقد علمتم** اي عرفتم **الذين اعتدوا منكم في السبت** روي انهم امروا بان يتمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** اي جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار علي ان الخاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجوز عمل كان في الحال ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرى قردة بفتح القاف وكسر الراء خاسين بغير همزة **فجعلناها** اي المسخة والعقوبة **نكالا** عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد **لما بين يديها وما خلفها** لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين اوالمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد اولاهل تلك القرية وما حواليها اولاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها **وموعظة للمتقين** من قومهم اولكل متق سمعها **واذ قال موسى لقومه** توبيخ آخر لاسلافهم بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن بعض اسلافهم اي اذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم **ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة** وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اعمه طمعا في ميراثه وطرحوه علي باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله **قالوا** استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الي الامتثال فقيل قالوا **اتتخذنا هزوا** بضم الزاي وقلب الهمزة واوا

وقرى بالهمزة مع الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا والهزء نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به **قال** استئناف كما سبق **اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين** لان الهزء في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله علي ابلغ وجه واكده باخراجه مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة لما اقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه عليه السلام بها **قالوا** استئناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا **ادع لنا** اي لاجلنا **ربك يبين لنا ما هي** ما مبتدأ وهي خبره والجملة في حيز النصب اي يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب اوعالم وقيل كان حقه ان يستفهم باي لكنهم لما ارادوا واما امروا به علي حاله مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا علي حاله **قال** اي موسى عليه السلام بعدما دعا ربه عز وجل بالبيان واتاه الوحي **انه** تعالى **يقول انها** اي البقرة المامور بذبحها **بقرة لا فارض ولا بكر** اي لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة **عوان** اي نصف لا قحم ولا ضرع قال

طوال مثل اعناق الهوادي ۞ نواعم بين ابكار وعون ۞

بين ذلك اشارة الي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الي المتعدد **فافعلوا** امر من جهة موسى عليه السلام متفرع علي ما قبله من بيان صفة المامور به **ما تؤمرون** اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله ۞ امرتك الخير فافعل ما امرت به ۞ فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الي مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام حث لهم علي الامتثال وزجر لهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى **قالوا** استئناف كما مر كانه قيل ماذا بعد هذا البيان الثاني والامر المكرر فقيل قالوا **ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها** حتى تتبين لنا البقرة المامور بها **قال** اي موسى عليه السلام بعد المناجاة اليه تعالى ومجيء البيان **انه** تعالى **يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها** اسناد البيان في كل مرة الي الله تعالى لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسئولهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قاني وفي اسناده الي اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته ما لا يخفى من فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن رضي الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته اوما لان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى **تسر الناظرين** كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة بالقلب عند حصول نفع او توقعه من السرور عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه **قالوا** استئناف كنظائره **ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** زيادة استكشاف عن حالها كانهم سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها عما يشاركها في الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة في اثناء اساليب البيان وكذلك عللوه بقولهم **ان البقر تشابه علينا** يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها الي تشخيص ما هو المامور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان النعوت المعدودة ليست بمشخصة للمامور بها بل صادقة الي افراد سائر الجنس وقرى ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر ويتشابه بالياء والتاء ويتشابه بطرح التاء والادغام علي التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وفيه دلالة علي انهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وانما بقي اشتباه بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم **وانا ان شاء الله لمهتدون** مؤكدا بوجوه من التوكيد اي لمهتدون لما سألنا من البيان الي المامور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد **قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث** اي لم تذلل للكراث وسقي

الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى والفعلان صفتان ذلول كانه قيل لا ذلول
مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقى من اسقى **مسلمة**
سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل واخلص لها لونها من سلم كذا اذا اخلص له ويؤيده قوله تعالى **لا شية فيها** اي لا لون
فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشية وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر **قالوا** اي
عندما سمعوا بهذه النعوت **الآن جئت بالحق** اي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها على جميع من عداها ولم يبق لنا في شانها
اشتباه اصلا بخلاف المرتبتين الاولتين فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم قبل ذلك كانوا قد راوها
ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الاخيرة والا
فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام **فذبحوها** الفاء فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة فذبحوها **وما كادوا يفعلون** كاد من افعال المقاربة
وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل او اعتراض تذييلي وما له
استثقال استقصائهم واستبطائهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما يكاد ينتهي خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر
الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى
بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة فكانت من احسن
البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات وكانت البقرة اذ ذاك
بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال في اخر الامر انما وقع
بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد المذكور والمامور به اثر ذي اثر هل هو
المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التعيين الى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم
في التعلق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضماير في الاجوبة اعني انها بقرة الى اخره للمعينة قطعا
ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا لذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فتكون هي المعينة
وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات
والخواص فسالوا عنها فرجعت الضماير معينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من
الاول الامر بالمعينة والحق في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة النظم الكريم
وتكرير الامر بعد بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الى اخره وقد قال عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها
لكفتهم وروي مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني
بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه
به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادات فان الامتثال
بالامر بدون الوقوف على المامور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالهم من باب الاهتمام بالامتثال **واذ قتلتم نفسا** كما
مر نظايره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل والتدارؤ اليهم لما مر من نسبة
جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصا بالاسناد دون ما مر من هباتهم لظهور قبح واسناده الى
الغبر اي اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة **فادارأتم فيها** اي تخاصمتم في شانها اذ كل واحد من الخصماء يدفع الاخر او
تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى اخر واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل **والله مخرج
ما كنتم تكتمون** اي مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما عمل
مخرج لانه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير

للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او بتاويل الشخص والقتيل **ببعضها** اي ببعض البقرة اي اي بعض كان
وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول
القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاذبحوها فاضربوه ببعضها
وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول
الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان ينعى عليهم
بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخصها من التوبيخ وانما حكي الامر بالذبح على موسى
عليه السلام مع انه من الله عز وجل كالامر بالضرب لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام والافتيات على رايه
كذلك يحيي الله الموتى على ارادة قول معطوف هو عليه لدلالة الكلام على ذلك والخطاب في كذلك للحاضرين عند
حياة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الاية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل ينتهي عن الحكاية عند
قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اي مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيامة **ويريكم اياته**
ودلايله الدالة على انه تعالى قدير ويجوز ان يراد بالايات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاعتبار اشتماله على الامور
الخارقة للعادات **لعلكم تعقلون** اي تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعقلوا
على قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا
اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع
بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم قربة فان حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه
انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح
نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائعة المنظر غير مذللة في طلب
الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من قبائحها بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى بها حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال
ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال **ثم قست قلوبكم** الخطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة
عبارة عن الغلظ والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التاثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها
الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة
من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنيع حادث وثم لاستبعاد
القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون **من بعد ذلك** اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل الى جميع
ما عدد من الايات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته
وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب لتعدد المخاطبين اما بتاويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب كما هو المشهور **فهي كالحجارة**
في القساوة **او اشد قسوة** اي في هذه القسوة مثل الحجارة او زايد عليها فيها وانها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة والحد
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق له
فعلية للدلالة على الاستمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه
على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل او
اقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل
على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة من القساوة وعدم التاثر واستحالة صدور
الخير وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** المياه العظيمة **وان منها لما يشقق**
او يتشقق **فيخرج منه الماء** اي العيون **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي يتردى من الاعلى الى الاسفل بقضية ما اودعه الله

عز وجل فيها من التثقل الداعي الى المذكور وهو تحارز من الانقياد بامره تعالى والمعنى ان من الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره تعالى آت بما خلق له من غير استعصا وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة واللام في لما لام الابتدا دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرى ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرى يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقه بغافل وما موصولة والعايد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرى بالياء على التفات قوله تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عدت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المومنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب اى والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون فالمستنكر ترتب الثاني على الاول وجرب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون وما للمعنى العد ان عليه تفاصيل شوونهم الموئسة عنهم فتطمعون ان يومنوا فانهم متمادون في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتاتى من اخلافهم الامثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عليها الجار والاصل في ان يومنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمن معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وستقف عليه المزية على جافيه من المزية باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي فريق كاين منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرى كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنعا المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو وبعد قوله تعالى فتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طايفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امروا به ونهوا عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلا الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه الكبريا بل من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهولاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول في اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس فثم زمانا او رتبة وقال القفال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تاويلا فاسدا وقيل هم روسا اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية فيما سلف الا انه حمل ذلك على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام واما التورية وان كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما روساوهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب حينئذ ان يقال يتلون كتاب الله تعالى فالمعنى افتطمعون في ان يومن هولاء بوساطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السو كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة يحرفونه من بعد ما علموه يقينا فلا يستجيبون هيهات ومن هيهنا ظهر ما في ايثار ذلكم على بالله من الفخامة والجزالة وقوله تعالى وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه اى على الخطا في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا لقوا جملة مستانفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشياعهم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنايع الموسسة على ما بانهم من نفاق بعض وعتاب اخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما سيقف على سره لا لمنافقيهم خاصة

كما قيل تحريا لاتحاد الفاعل في فعل الشرط والجزا حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اي اللاقون لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين ولا الغايبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض ارائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الاتي واذا خلا بعضهم اي الساكتون منهم اذا فرغوا من الاشتغال بالمومنين متوجهين ومنضمين الى بعض اخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقا المومنين كما اشير اليه انفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولو لا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم بعنوان المومنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعايد محذوف اي بينه لكم خاصة في التورية من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم متعلقة بالتحديث به دون الفتح والمراد تاكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا حول الغرض لكن فعلهم لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم به عند ربكم اي في حكمه وكتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيامة ورد بان الاخفا لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يوميذ حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار بان الزام المومنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا افحش فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفا لا يساعده الاية الكريمة الاتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفا للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطاب الفاحش او شيا من الاشيا التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتدا او تفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر حينيذ عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه وتعالى للمومنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى اولا يعلمون فانه الخ تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون توسيط خطاب المومنين في اثنايه من قبيل الفصل بين الشجر وكانه على ان في تخصيص الخطاب للمومنين من التعسف وفي تعميمه للنبي ايضا صلى الله عليه وسلم كما في افتطمعون من سو الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتنكير كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينسحب بانسياق الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي يسرونه فيما بينهم من امر المومنين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمومنين او لاصحابهم حسبما سبق فحين يظهر الله تعالى للمومنين ما ارادوا اخفاه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في اية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فايدة في اللوم والعتاب ومن هاهنا تبين عندهم ان المحذور هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به ام لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفا وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين اى اتفعلون وتعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون

ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاءما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراءًا فان
ما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه بجميع المعلو[مات]
فان علمه بما يسرونه اقدم منه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل
شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء ولما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون
ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار
غالبا فتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه سبحانه وتعالى بحالته الاولى متقدم تعلقه عن الثانية **ومنهم اميون** وقرئ بتخفيف اليا
جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها بالجهل بالكتابة والقراءة فانها
ليست من شؤون النساء بل من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى
الامة بمعنى انه باق على الحال التي ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة بمعنى انه باق على سراحتها خال عن معرفة الاشياء
كقولهم عامي اي على عادة العامة روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم
لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة
مستانفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنايع الطوايف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية وان
مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما هو مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل
بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين والنفاق والنهي عن
اظهار ما في التورية كما وقع من الفرقتين الاخيرتين ومنهم طايفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة **لا يعلمون الكتاب**
اي لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلايل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سياق
النظم وسياقه **الا اماني** بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلى كما في
قوله
تمنى كتاب الله اول ليله … فاعلت اعلال سيد وميت
ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس
ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم
وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب
لكن يتلقون قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق
من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم **وان هم الا يظنون** ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد
من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فاني يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني
واتباع الظن عقب ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وتكشف كيفية اضلالهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل
على وجه الدعاء عليهم **فويل** هو وامثاله من ويح وويس وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير
لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل
شدة الشر قال الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف
على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى وبينه وبينها فرق وقيل ويل في الدعاء وويح وما بعده
في الترحم عليه وقال ابن عباس الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال

سعيد

سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن زيد جبل قيح ودم وقيل صهريج
في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وعلا **للذين يكتبون الكتاب** اي المحرف
او ما كتبوه من التاويلات الزايغة **بايديهم** تاكيد لدفع توهم المجاز كقوله كتبته بيميني **ثم يقولون هذا** اي جميعا على الاول
ومخصوصه على الثاني **من عند الله** روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وكانت هي فيها
حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن
ذلك قرءوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام وثم للتراخي ا فان نسبة المحرف والتاويل الزايغ
الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من التحريف والتاويل **ليشتروا به** اي ياخذوا لانفسهم بمقابلته ثمنا هو ما اخذوه من
الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتاويل وانما عبر عن المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن
الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا **ثمنا** هو ما اخذ
من الرشا بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتاويل وانما عبر عن المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة
بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا **قليلا** لا يعبأ
به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوه من العذاب الخالد **فويل لهم** تكرير لما سبق للتاكيد وتصريح
بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار فيما سلف بان بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه
عليه ومن في قوله عز وجل **مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من ان
والتشديد والقصد الى التعليل بكل من الجانبين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما كتبت ايديهم من مبادي
ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل في التعليل به **وقالوا** بيان لبعض اخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الاكاذيب
التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب **لن تمسنا النار** في الآخرة **الا اياما معدودة** قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل
اربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم سبعة وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانا نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التوراة ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة
الزقوم وانهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها **قل** تبكيتا لهم وتوبيخا **اتخذتم** باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها
في الدرج وباظهار الدال وقرئ بادغامها في التاء **عند الله عهدا** خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا بناء على
دولة وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد **فلن يخلف الله عهده** الفاء فصيحة معربة على شرط محذوف كما في قول من قال
قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا … ثم القفول فقد جئنا خراسانا
اي ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلية الحكم فان عدم الاخلاف من
قضية الالوهية واظهار العهد مضافا اليه ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل
فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رايحة الوجود
قطعا اعني اتخاذ العهد **ام تقولون** مفترين **على الله ما لا تعلمون** وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه
ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكير فان التوبيخ
على الاول مستلزم للتوبيخ على الثاني بالطريق الاولى وقولهم المحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له
لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم
بالشق الاخير كانه قيل ام لم تتخذوه بل تتقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه معنى بل فيها

الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في
قوله عز وعلا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الى اخره جواب عن قولهم المحكي وابطال له من جهته تعالى وبيان
لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد ابطاله اجمالا وتفويض ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر هين لا يتوقف على التوقيف
وبلى حرف ايجاب يختص بجواب النفي خبرا واستفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات اي كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء
الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة وتعليقه بالسيئة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به
من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته التي كسبها
او صارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما
اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنه وابي هريرة رضي الله عنه وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع
وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات له
والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه
وفي ذلك انه بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدأ اصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفا لتضمنه معنى الشرط وايراد
اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لمصاحبة النار وما فيه من معنى البعد
للتنبيه على بعد منزلتهم في الخطايا والكفر وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى بعد مراعاة جانب
اللفظ في الضمائر الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تينك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطاياهم
بهم اصحاب النار اي ملازموها في الاخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من
التكذيب بآيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انتم
اصحاب النار لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل هم فيها
خالدون دائما ابدا فانى لهم التفصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة في الاية الكريمة على خلود صاحب
الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام
التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية
على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما يقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير
مرة والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم
ايمان اخلافهم وكلمة اذ منصوب باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في احوالهم الى
قطع الطمع في ايمانهم واليهود الموجودين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكروا
اذ اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا الله على ارادة القول اي وقلنا اي قائلين لا تعبدون الى اخره هو اخبار في معنى النهي
حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فتخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وهو اخبار في معنى النهي
كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول له كيت وكيت وهي ابلغ من صريح النهي لما فيه
من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدون وعطف
قولوا عليه وقيل تقديره ان تعبدوا الى اخره فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى
كانه قيل وحلفنا لهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر اي وتحسنون او

احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين
مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا سماه حسنا
مبالغة وقرئ لذلك وحسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة هو ما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصب الظرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
فهذا التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم جريا على نهج الغيبة فان الخطابات
السابقة لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت
هي عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة
الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى
الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهو من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم
كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق
الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر
خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم اخلالهم بموجب الميثاق الماخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة
النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق الماخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراه على سبيل الامر فان المقصود الاصلي
من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التوراة وقوله
تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار في معنى النهي غير السبك اليه لما ذكر من نكتة
المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء
انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا
للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير لكم
للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون
كما يفصح عنه ما سياتي من قوله من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل
انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دياركم فيحتمل للوجهين فمعاد الاول كون المسفوك دماء
اذ غاية المخاطبين حقيقة ومعاد الثاني كونه دماء حقيقة للمخاطبين ادعاء وهما متقاربان في افادة المبالغة فتدبر
واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا الى ما يؤدي الى قتل انفسكم قصاصا وما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم
او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به على الجنة التي
هي داركم فان الجلاء الحقيقي فمما لا يساعده السياق والنظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اي
بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها
الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ وتشديد
واستبعاد لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الافادة
اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون
حسبما يعرب عنه الجمل الاتية فان قوله عز وجل تقتلون انفسكم الى اخره بيان له وتفصيل لاحوالهم المندرجة تحت
الاشارة ضمنا لانهم كانوا قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اي الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد
للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير اما للمخاطبين والمضاف محذوف اي من انفسكم واما للمقتولين والخطاب
باعتبار انهم جعلوا انفسكم المخاطبين والا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه يدور

فلك المبالغة في تاكيد الميثاق حسبما نص عليه ولايظهر كال قباحة جناياتهم في نقضه **من ديارهم** الضمير وايثار
الغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناعلى اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم
من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي دار المخرجين وقيل هؤلا موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو
الخبر لانتم **تظاهرون عليهم** بحذف احدى التائين وقرى باثباتهما وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التائين من تتظهرون
ومعنى الكل متعاونون وهو من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص
الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة **بالاثم** متعلق بتظاهرون حال من فاعله
اي ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب
والعدوان وهو التجاوز في الظلم **وان ياتوكم اسارى** جمع اسير وهو من يوخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الاسر اي الشد
وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرى اسرى ومحله النصب على الحالية **تفدوهم** اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفدا
وقرى تفدوهم قال السدي ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم
وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفا الاوس والنضير حلفا الخزرج حين
كان بينهما ما كان من العداوة والشنان فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا اخربوا ديارهم واخرجوهم منها
ثم اذا اسر من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا
ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفانا فذمهم الله تعالى على المناقضة **وهو محرم عليكم اخراجهم**
هو ضمير الشان وقع مبتدا او محرم فيه ضمير قايم مقام الفاعل والجملة خبر لضمير الشان واخراجهم مفعول ما لم يسم
فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيدا وبيان والجملة
حال من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة هاهنا
بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل
ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم
تدارك القتلى بشي من دية او قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تاخيره عن الشرطية المعترضة
مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدي فلان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذي ادخل في اظهار
بطلانها **افتومنون ببعض الكتاب** اي التوراة الذي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي والفا
للعطف على مقدر يستدعيه المقام اي اتفعلون ذلك فتومنون ببعض الكتاب وهو من المفاداة **وتكفرون
ببعض** وهو حرمة القتال والاخراج مع ان قضية الايمان ببعض الكتاب الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله
داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم
يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما واذ ليس ذلك هاهنا باعتبار الانكار
والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا يمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض
الكتاب وتومنون ببعض لا بمجرد كفرهم بالبعض وكفرهم كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب
والكفر ببعض او بالعكس **فما جزا من يفعل ذلك** ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان
جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض والى ما فعلوا من القتل
والاجلا مع مفادات الاسارى **منكم** حال من يفعل **الا خزي** استثنا مفرغ وقع خبرا للمبتدا والخزي الذل والهوان
مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة واجلا بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية **في
الحياة الدنيا** في حيز الرفع على انه صفة اخرى لخزي كاين في الحياة الدنيا او في حيز النصب على انه نصب ظرف

لنفس اخرى ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب
واظهار ان لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض **ويوم القيامة يردون** وقرى بالتا او ترصيغة الجمع نظرا الى معنى من بعد ما
اوثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان المراد انما يكون بالاجتماع **الى اشد العذاب** لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل
اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا
واشد العذاب يوم القيامة للايذان بكمال التنافي بين جزائي النشاتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه
لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر **وما الله بغافل عما تعملون** من القبايح التي من جملتها هذا المنكر
وقرى بالياء على نهج يردون وهو تاكيد للوعيد **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدا خبره
قوله تعالى **الذين اشتروا** اي اثروا **الحياة الدنيا** واستبدلوها **بالاخرة** واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها
فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدينية
والدنيوية **فلا يخفف عنهم العذاب** دنيويا كان او اخرويا **ولا هم ينصرون** بدفعه عنهم شفاعة او جبرا والجملة
معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية
على مثلها **ولقد اتينا موسى الكتاب** شروع في بيان بعض اخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال
الاعتنا به والمراد بالكتاب التورية رضي الله عنهما ان التوراة لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عليه السلام
بحملها فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها **وقفينا من
بعده بالرسل** يقال قفاه بداذا اتبعه اياه اي ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع
واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم
السلام **واتينا عيسى بن مريم البينات** المعجزات الواضحات من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات والانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النسا كالزير
من الرجال وبه فسر قول روبة

قلت لزير لم تصله مريمه ۝ ضليل اهوا الصبا تندمه

ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل **وايدناه** اي قويناه **بروح القدس** بضم الدال وقرى بسكونها بالروح المقدسة
وهي روح عيسى كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب
والارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قيل في القران وروحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم
الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتا البينات والتاييد
بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها واما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثيرا من
احكامها وحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام
افكلما جاءكم رسول من اولئك الرسل **بما لا تهوى انفسكم** من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوى
كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لها هوا انفسهم والموافقة لها لا الاشي
اخر وتوسيط الهمزة بين الفا وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا والتعجيب من شانهم
ويجوز كون الفا للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم **استكبرتم**
على الاتباع له والايمان بما جا به من عند الله تعالى **ففريقا كذبتم** من غير ان تتعرضوا لهم بشي اخر والفا للسببية
او للتعقيب **وفريقا** اخر منهم **تقتلون** غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهما السلام وتقديم فريقا
في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار

صورته الحايلة او للايما الى انهم تعدوا على تلك السنة حيث هموا بما لم ينالوا من جهته عليه السلام وسحروه وسموا
له الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعادني وان قطعت ابهري **وقالوا** بيان لفن اخر من
قبايحهم على طريقة الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة
للاعراض عنهم وحكاية نظايرها للكل من يفهم بطلانها او قباحتها من اهل الحق والقايلون هم الموجودون في عصر
النبي عليه السلام **قلوبنا غلف** جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا
تكاد تصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف
غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما
عندنا من غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطا وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو
كان في حديثك خير لوعته ايضا **بل لعنهم الله بكفرهم** رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم
الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم بشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم
بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم
من رحمته فانى لهم دعاء العلم الذي هو اجل اثاره وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المودي
فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا
يؤمنون وهو ما قالوا امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل
اريد بالقلة العدم والفا للسببية واللعن لعدم الايمان **ولما جاءهم كتاب** هو القران وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله
عز وجل **من عند الله** اي كاين من عنده للتشريف **مصدق لما معهم** من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات
الوقوف على ما في تضاعيفها المودي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه
بالوصف **وكانوا من قبل** اي من قبل مجيئه **يستفتحون على الذين كفروا** اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا
ويقولون اللهم انصرنا بهذا النبي المبعوث الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير
كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون عليهم
يعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسالون من انفسهم الفتح عليهم
وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا **فلما جاءهم** تكرير للاول لطول
العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى **ما عرفوا** عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة ما سلف هو علمه
معرفة له والاستفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفا بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم
به من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة والفا للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان تتخلل بينهما
مدة منسية وقوله تعالى **كفروا به** وكانوا الى اخره جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة
والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى لما جاءهم كتاب مصدق له
لكنا بهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه دون الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا **فلعنة
الله على الكافرين** اللام للعهد اي عليهم وضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب
كفرهم كما ان الفا للايذان بترتيبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان
فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم **بئسما اشتروا به انفسهم** ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل
بئس اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوا انفسهم من العقاب

وباباه انه لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم والمخصوص بالذم قوله تعالى **ان يكفروا بما انزل الله** اي بالكتاب
المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته وتبديل الانزال بالمجي للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به **بغيا** حسدا
وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا دون اشتروا للفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا
بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان المبيع قطعا لا سيما بما هو معلل بما سياتي من تنزيل الله
تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به
انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكاين لاجل **ان ينزل الله من فضله** الذي هو الوحي **على من يشاء** اي يشاؤه ويصطفيه
من عباده المتاهل لتحمل اعباء الرسالة وما له تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل
ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره حسب تكثره **فباءوا بغضب على غضب** اي رجعوا
ملتبسين بغضب كاين على غضب مستحقين له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بمحمد عليه السلام بعد
عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم **وللكافرين** اي لهم والاظهار
في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم **عذاب مهين** يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله
تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه
الصلاة والسلام **واذا قيل** من جانب **لهم** اي لليهود وتقديم الجار والمجرور وقد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ
امنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقران لكن سلك مسلك التعميم ايذانا
بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما امنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان
بما عداه من غير ايمان به فليس بايمان بما انزل الله **قالوا نؤمن بما انزل علينا** يعنون به التورية وما انزل على انبياء بني
اسراءيل لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك ليس منزلا عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم بمعنى الانزال
عليهم تكليفهم بما في المنزل من واما انبياء بني اسراءيل عليهم السلام وهو الظاهر لاشتماله على قرينة الايذان تبيان
عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من حسدهم وبغيهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التورية
وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير
اليه فلو اريد بالانزال عليهم تكليفهم يلزم من مغايرة القران لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل **ويكفرون
بما وراءه** عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسراءيل على الوجه الاخر وتجريد الموصول
عند الاضمار عما عرض صوابه تعسف لا يخفى والورا في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى
به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه وا حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اي قالوا ما قالوا
وهم يكفرون بما عداه وليس المراد به مجرد بيان ان ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان
ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه **وهو الحق** اي المعروف بالحقية الحقيق
بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى **مصدقا** حال موكدة لمضمون الجملة صاحبها اما
ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقا واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا
لما معهم من التورية والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقران والحال انه حق مصدق لما امنوا به فلزمهم
بما امنوا به وحاله انهم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها **قل** تبكيتا لهم من
جهة الله عز قايل ببيان التنافي بين اقوالهم **فلم** اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية
تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضي على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد
والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب

شرط محذوف اي قل لهم ان كنتم مومنين بالتورية كما تزعمون فلاي شي كنتم تقتلون انبيا الله من قبل وهو فيها
حرام وقرى انبيا الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مومنين تكرير الاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اي
ان كنتم مومنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف
فيه بل تقدم الجواب على الشرط وذلك لا يتاتى الا على راي الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم مومنين والا لما
قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد
النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي والله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي
هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها
التورية وليس بواضح فان المجيء بها لبعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده اي من بعد مجيئه بها وقيل من
بعد ذهابه الى الطور فيكون التورية حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم
ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها او بالاخلال بحقوق ايات الله
او اعتراض اي وانتم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله سبحانه وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما
نزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بكذبهم اي فاذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما
اتيناكم بقوة واسمعوا اي خذوا بما امرتم به في التورية واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبني
على سوال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا فاذا قال قائل اشلافهم مثل ذلك
الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مع تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العطية الشنعا وكفروا بما في تضاعيف التورية
فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
للمبالغة اي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم وحرصهم كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب
اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير
قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه
فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر ما تبين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون وفي
كل ما ياتون ويذرون بئسما يامركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم
محذوف اي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان
اليهم للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبي عنه قوله تعالى ان كنتم مومنين اي عاملين بما ذكر من القول والعمل
بما فيها فبئسما يامركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمومنين قطعا وجواب الشرط
كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار
كذبهم في فن اخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفي بالاشارة في تضاعيف الكلام حيث قيل
ان كانت لكم الدار الاخرة اي الجنة او نعيم الدار الاخرة عند الله خالصة اي سالمة لكم خاصة بكم
كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف من الاستقرار
في الخبر اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا من كذا واللام للجنس اي
الناس او للعهد او للمسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دار البوار وقرار
الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال
عمار بن ياسر بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت فقال
جا حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام والتنبيه

علي

علي ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف
ثقة بدلالة ما سبق عليه ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا كلام مستانف ذا خلا تحت الامر سيق
من جهته تعالى لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا
من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقران وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان
مناط عامة صنايعه واكثر مدار منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم واظهار
الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم
والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما
سيكون منهم من الاحتراز عما يودي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا بقي يهودي على وجه الارض ولتجدنهم احرص
الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص
والتنكير في قوله تعالى على حياة للايذان بان مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة وقرى بالتعريف ومن الذين
اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في
الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد
من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانبا المعطوف
عليه عنهم اي واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف ويجوز ان يكون
في حيز الرفع صفة لمبتدا محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير بن الله ومنهم طايفة
يود احدهم ايهم كان اي كل واحد منهم لو يعمر الف سنة وهو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتني اعمر وانما اجرى على الغيبة لقوله
تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه
من العذاب ما حجازية والضمير العايد الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والبا زائدة وان يعمر فاعل مزحزحه وما احدهم
بمزحزحه اي بمبعده ومنجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم ان
يعمر تفسيره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد المعنى واعتراض واصله سنه سنوة
لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة لجبهة كقولهم سانهته وسنهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله
بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشي الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم بخفيات اعمالهم فهو
مجازيهم لا محالة وقرى بتا الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا
من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عمن ينزل عليه بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال
هو عدونا ولو كان غيره لامنا وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي ياتيك لامنا بك وقد عادانا مرارا
واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل
عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فباي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل
النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود فكان يجلس
اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما احببتكم لحبكم ولا اسالكم لشك في ديني وانما
ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم واري اثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبريل عليه السلام فقالوا
ذاك هو عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجي بالخصب والسلام فقال لهم
وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه

إن كان كما تقولون فما هما يعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدو الله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبق بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رايتني في دين الله بعد ذلك وقرئ جبرئل كسلسبيل وجبريل كجحمرش وجبرئل وجبرال وجبرائل كجبراعيل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله **فانه نزله** تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الاول لجبريل عليه السلام والثاني للقران اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شانه واستغنائه عن التذكير لكمال شهرته ونباهته لاسيما عند ذكر شيء من صفاته **على قلبك** زيادة تقرير للتنزيل ببيان الوحي فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثاره على امره وتفسير مستعار من التشهيد الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى **مصدقا لما بين يديه** من الكتب الالاهية التي معظمها التورية حال من مفعوله وكذلك قوله تعالى **وهدى وبشرى للمومنين** والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله الكتاب مصدق لكتابه موافق له وهم له كارهون وكذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له **من كان عدوا لله** اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا او الخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشانه وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقال **وملائكته ورسله وجبريل وميكال** وانما افردوا بالذكر مع انهما اول من يشملها عنوان الملائكة والرسالة لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام من جنس اخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس والتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للاخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما زعموا انهما كانهما عليهما السلام من جنس اخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس والتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للاخر حسما له لمادة اعتقادهم الباطل في حيث زعموا انهما متعاديان للاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم فكان من عادى الجميع وقوله تعالى **فان الله عدو للكافرين** اي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد عقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر فان ذلك مما لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائيل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل **ولقد انزلنا اليك ايات بينات** واضحة الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل **وما يكفر بها الا الفاسقون** اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة لا يجترئ على مثل هاتيك البينات الواضحة قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية نتبعك بها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا **اوكلما عاهدوا عهدا** الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم بسكون الواو وعلى ان تقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا اعطوا العهد **نبذه فريق منهم** اي رموا بالذمام ورفضوه وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لا ينبذه **بل اكثرهم لا يومنون** اي بالتوراة

وهذا

وهذا دفع لما يتوهم من ان الناقضين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا فهم مومنون بها سرا **ولما جاءهم رسول** هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم **من عند الله** متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتاكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية **مصدق لما معهم** من التوراة من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية نبوة موسى عليه السلام بما انزل عليه او من حيث انه عليه السلام جاء على وفق ما نعت فيها **نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب** اي التوراة وهم الذين كانوا في عهد النبي عليه السلام ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلوا الشياطين وايثارهم له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ **كتاب الله** اي الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتورية فاتفقت التورية والفرقان فنبذوا التورية واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القران فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترءوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القران نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لاسيما بعدما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب **وراء ظهورهم** مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل ما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات اليه **كانهم لا يعلمون** جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الاتقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلوا وكانهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كانما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بما يعلم المنفي قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمومني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بل اكثرهم لا يومنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المتعوتون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها بجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** عطف على جواب لما اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقراها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع حاصلا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما وكذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا **على ملك سليمان** اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها يعلمونها الناس وفشا ذلك في عهده عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم تحت سرير ملكه التي خصه الله بها تحت سرير ملكه حتى مضت على ذلك مدة من الزمان توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر يناسب تلك الاشياء المدفونة من نقض

الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه السلام وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشيا **وما كفر سليمان** تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك **ولكن الشياطين** وقرى بتخفيف ولكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا **كفروا** باستعمال السحر وتدوينه **يعلمون الناس السحر** اغوا واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كان في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهو اما حالية منه او استينافية فحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة الرياح القوية السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلاث فرق ففرقة منها يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابية وفرقة يقولون بالهية الافلاك والنجوم واجبة الوجود ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا ان الافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة غالبة نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يقولون ان الانسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحيا والاماتة وتغيير التنبيه والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزايم وتسخير ومنها التخييلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعبذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزايم والترقي الى بحيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق المعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه هذا الاعتقاد معرفة صدق الانبيا والرسل بخلاف غيرهم ولعل ان ذلك الانسان خيرا متشرعا في كل ما ياتي ويذر وكان من يستعين من الارواح وكانت عزايمه وقراءته مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة الامتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها من الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز ولما فيها من الدقة لانه في الكل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه او من الصرف على الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفرا ويونس **وما انزل على الملكين** عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع اقوى منه او على ما تتلوا وما بينهما اي واتبعوا ما انزل الخ وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلا من الله للناس كما ابتلا قوم طالوت بالنهر او تمييز بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس كثرت في ذلك الزمان واستنبط ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة لما راوا ما يصعد من ذنوب بني ادم وعيرهم وقالوا لله سبحانه هولاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم

فاهبط

فاهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السما مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السما فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل الناس تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد اللتيا ثم سالاها فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السما فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السما فمسخها الله كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فلما ما حل بهما وكانا في عهد ادريس عليه السلام فالتجا اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز الذي لا يقصد بها ارشاد اللبيب لا ريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر **ببابل** الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنهما بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية **هاروت وماروت** عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا رجلين صالحين اسمان لهما وقيل اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بكسر اللام وقرى بالرفع على هاروت وماروت **وما يعلمان من احد** مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جائني من رجل وقرى يعلمان من الاعلام **حتى يقولا انما نحن فتنة** الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددها لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به واتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان **فلا تكفر** باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان الاعتنا الملكين بشان النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل الى اخره وما كفر سليمان جي بها لتكذيب اليهود في القصة الم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا فيا باه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس فيما لا يليق به وصف روسايهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام في ان الابدال في حكم تنحية المبدل منه **فيتعلمون منهما** عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى وما منكم من احد عنه حاجزين **ما يفرقون به** اي بسببه وباستعماله **بين المرء** وقرى بضم الميم وكسرها مع الهمز وبتشديد الراء بلا همزة **وزوجه** بان يحدث الله بينهما التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون بهما ما يعملون به فبراه الناس ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم **وما هم بضارين به** اي بما تعلموه واستعملوه من السحر **من احد** اي احدا من مزيدا لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادة

في معمول فعل متعدي الا انه جملة اسمية وفي ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد **الا باذن الله** لانه وغيره
من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتدا وقد لا
يحدثه والاستثنا مفرغ والبا متعلقه بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتماده على النفي
والضمير المجرور في به اي وما يضرون احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقري بضاري على الاضافه بجعل الجار جزا من المجرور
وفصل ما بين المضافين بالظرف **ويتعلمون ما يضرهم** لانهم يقصدون به العمل ولان العمل يجر الى العمل غالبا **ولا ينفعهم**
صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص
عن الاغترار ما كاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب
عما لا يوثر من غوايله خير كتعليم الفلسفه التي لا يا من ان يجر الى الغواية وان قال من قال

عرفت الشر لكن لتوقيه ٭ ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ولقد علموا اي اليهود الذين حكيت جناياتهم **لمن اشتراه** اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام
الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام الابتدا علق بها علموا عن العمل من موصوله في حيز الرفع بالابتدا واشتراه
صلتها وقوله تعالى **ما له في الاخرة من خلاق** اي نصيب من جملة مبتداه وخبر ومن مزيده في المبتدا وفي الاخرة متعلق وهذه
الجملة في محل رفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله
الوحدان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الى اخره مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور ومذهب سيبويه
وقال الفرا وتبعه ابو البقا ان اللام الاخيرة موطاة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتدا واشتراه خبرها وما له في الاخرة
من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفا عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع القسم والشرط يكون الجملتان مقسما
عليها **ولبئسما شروا به انفسهم** اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي والله لبئسما باعوا
انفسهم السحر والكفر فيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم
الا تبارا وتجويز كون الشرا بمعنى الاشترا مما لا سبيل اليه لان المشترى متعين وهو ما تتلوا الشياطين ولان متعلق الذم
الماخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا **لو كانوا يعلمون**
اي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم علمهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين وحقيقة ما
يتبعه من العذاب على ان المسبب لهم اولى على التاكيد القسمي العقل الجزاى والعلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب
عليه من غير تحقيق وجواب لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا **ولو انهم امنوا** اي بالرسول المومى اليه في قوله تعالى ولما
جاءهم رسول من عند الله الخ وبما انزل من عند الله اليه من الايات المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات
وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتورية التي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
فان الكفر بالقران كفر والرسول عليه السلام كفر بها **واتقوا** المعاصي المحكية عنهم **لمثوبة من عند الله خير** جواب لو
لا ثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبب الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة
لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة تشريفية لمثوبة او لشي ما من المثوبة كائنا من عند الله تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اي لاثيبوا وما بعده جملة
مستانفة فان وقع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انه من فظاعة الحال بحيث
يتمنى العارف اي انهم واتقاوهم تلهفا عليهم وقرى لمثوبة وانما سمي الجزا ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون
ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل بعدم العمل بموجب العلم **لو كانوا يعلمون** خطاب للمومنين فيه وارشاد لهم الى الخير واشارة
الى بعض جراير جنايات اليهود **يا ايها الذين امنوا** المراعات المبالغة في الرعي وموحفظ للغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه

وكان

وكان المسلمون اذا القي عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا
وانتظرنا وتان بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل
معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المومنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى
الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة الى نسبته عليه الصلاة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة
رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت الاية ونهي فيها المومنين عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا
بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل **وقولوا انظرنا** اي انظر الينا بالحذف والايصال اي انتظرنا على انه من نظره اذا
انتظره وقرى انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرى راعونا على صيغة الجمع للتوقير على صيغة الفاعل اي قولا
ذا رعن كدارع ولابن ولانه لما اشبه قول راعنا او كان سببا للسب للرعن عن النصف به **واسمعوا** واحسنوا كلام
ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسايل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا يحتاج الى الاستعادة
وطلب المراعاة او اسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر بجد واعتنا حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او اسمعوا سماع طاعة
وقبول ولا يكون سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا **وللكافرين** اي اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور
الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا **عذاب اليم** لما اجتروا عليه
من العظيمة وهو تعليل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه **ما يود الذين كفروا** اي لا يود
حسب الشي مع تمنيه وكذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية
ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في
هذه الاية فكانه اشير الى انه سبب تحريفهم له الى ما حكي عنه لوقوعه في اثنا حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق
من اليهود يظهرون للمومنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فاستنزلت لهم تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى **من
اهل الكتاب ولا المشركين** للتبيين كما في قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما
استغرقه **ان ينزل عليكم** في حيز النصب على انه مفعول يود بنا الفعل المفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الاتي
وقوله تعالى **من خير** هو القايم مقام فاعله ومن مزيده للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه ينسحب عليه معنى
والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يا باه وصفه في ما سياتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع
ان حقه التاخر عنه لاظهار العناية لان المدار العدم ودهم ومن في قوله تعالى **من ربكم** ابتدائيه والتعرض لعنوان
الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من
حيث تعبدهم بما فيه وتعرضهم لذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من
حيث وقوع التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنا خاصة بالنبي صلى الله
عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين انهم يرون انفسهم
احق ان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شي من الوحي وانتم امنون واما المشركون فاذ لا لا بما كان لهم من
الجاه والمال زعما منهم ان الرياسة الرسالة كساير الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما في اثنا ذكر ابتداهم به لم يلزم
من نفي ودادتهم لما ذكر نفي ودادة المشركين فزيدت كلمة لا لتاكيد النفي **والله يختص برحمته** جملة ابتدائية سيقت
لتقرير ما سبق من تقرير الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم
يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المومنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي رضي الله عنه بنبوته

خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفا واشاره على التنزيل المناسب
للسياق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشا لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم
الفارغة والبا داخلة على المقصود اي يوتي رحمته من يشا من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاسيما استحقاقه الذاتي
الفايض عليه بحسب ارادته عز وجل تفضلا لا تتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشا فاعله والضمير العايد الى من محذوف على
تقدير من وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتا النبوة من فضله العظيم كقوله
تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيته الجارية على سنن الحكمة البالغة
وتصدير الجملتين بالاسم للايذان بفخامة مضمونهما وكون كل منهما مستقلة بشانها فان الاضمار في الثانية مبني على توقعها على
الاولى ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستانف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد الوحي وابطال مقالة
الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له راسا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون
الى محمد عليه السلام يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر
اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الاية بيان انتها التعبد بقراتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساوها
واذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اي نامرك جبريل بنسخها ونجعلها
منسوخة وننساها من النسي اي نوخرها وننساها بالتشديد وننسها وتنسها وقرئ ما ننسك من اية او ننسخها
والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نات
بخير منها للمرة الفا او مثلها اي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الاية التامة فما فوقها بل
جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الايات التي عليها
يدور رحى الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال حسب تبدل
الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه في حال يقتضيه في حال اخر تقتضيه فلو لم يجز النسخ لاختل ما
بين الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه وتعالى اليس الله بكاف عبده وقوله تعالى
الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عليه السلام وقوله تعالى ان الله على كل شي قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند
الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته
تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشيا المقهورة تحت قدرته سبحانه
فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الاشيا علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة
والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشيا من الاحكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله
له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر ان واثاره على ان يقال ان
لله ملكوت السموات والارض المقصد الى تقوى الحكم بتكرير الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر
وانما لم يعطف ان على ما في حيزها على ما سبق من مثلها وما لزيادة التاكيد واستشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في
الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى جميع الاشيا اي الم تعلم ان الله تعالى له
السلطان القاهر والاستيلا الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما وامرا ونهيا
حسب ما يقتضيه مشيته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شي من الاشيا وقوله تعالى
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل تحت تعلق العلم المقدر وفيه اشارة الى
تناول الخطاب بين السابقين للامة وانما افراده عليه السلام بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام ووضع
الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من

العلم على تعلق ارادته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البته وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا
لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر
بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الموصل والنصير ان الموصل قد يضعف على نصره والنصير قد يكون اجنبيا
من المنصور واما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدا موخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها
المنصوب عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيده لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها صفة له فلما
قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل
بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامور اليه من غير
اصغا الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى ام تريدون تجريد للخطاب عن النبي
صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمومنين وام منقطعة ومعنى بل فيها للاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم
بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وما … المأثور من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة
انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة
في انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل اتريدون ان تسالوا وانتم
مومنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى
حسبما يوجبه قضية علمكم بشئونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل
سال عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها
وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر موكد محذوف وما مصدرية اي سوالا مشبها بسوال موسى
حيث قيل اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سال موسى لان المشبه به هو المصدر من المبني
للفاعل اعني سائلية المخاطبين لان المبني للمفعول اعني مسئولية الرسول عليه السلام حيث تشبه بمسئولية موسى عليه السلام
واكتفي بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الاخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك بخير فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير
يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز ان يكون ما موصولة على ان العايد محذوف اي كالسوال الذي ساله موسى عليه السلام
وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جي به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن
يتبدل الكفر اي يختره وياخذه لنفسه بالايمان بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر
ان يقال ومن يفعل ذلك اي السوال المذكور وارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالايات البينة المنزلة بحسب
المصالح التي من جملتها الايات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت واقتراح غيرها فقد ضل سوا السبيل اي عدل وجار
من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى
وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به
بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق من المسلمات وجعل مقدما للشرطية روما للمبالغة في الزجر والافراط والردع وسوا
السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السوا على منهاج حصول
الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سالوا ان ينزل عليهم كتابا من السما وقيل للمشركين حين قالوا لن نومن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على القولين باعتبار انهم من امة الدعوة
ومن تبدل الكفر بالايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم منه وايثارهم للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم
رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة
احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار

كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود
ما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة
وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت **لو يردونكم** حكاية
لودادتهم ولو في معنى التمني اصيغت الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك
منها ومما بعدها مصدر ايقع لبودوا التقدير ودوا ودادتكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم
كفارا لسروا بذلك **من بعد ايمانكم** متعلق بيردونكم وقوله تعالى **كفارا** مفعول ثاني له على تضمين الرد معنى التصيير
اي يصيرونكم كفارا كما في قوله

رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا

وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وابراز الظرف مع
عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مومنين واستحقاق تحقق الرد الى الكفر بدون المومنين مع توسيطه بين
سبق الايمان
المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده الوقوع بالزيادة قبح الصارف للعاقل عن مباشرته والمبالغة
الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المومنين ما لا يخفى **حسدا** علة ليودوا وحال اريد به نعت الجميع
او حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير بخيره **من عند انفسهم** متعلق بودوا اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ
انفسهم لا من قبل التدين والميل الى الحق ولو على زعمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه
من بعد ما تبين لهم الحق الحق بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التورية من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم
منهمكون بالباطل **فاعفوا واصفحوا** العفو ترك المواخذة والعقوبة ترك التثريب والتانيب **حتى ياتي الله بامره**
الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه منسوخ باية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج بذلك الوارد بذلك من ان يكون
ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ **ان الله على كل شي قدير** فينتقم منهم اذا حان حينه وان اوانه فهو
تعليل لما دل عليه ما قبله **واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** عطف على فاعفوا واصفحوا امروا بالصبر والمواراة والالتجا
الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية **وما تقدموا لانفسكم من خير** كصلوات وصدقة او غير ذلك اي شي من الخيرات
تقدموه لمصلحة انفسكم **تجدوه عند الله** اي تجدوا ثوابه وقرى تقدموا من اقدم **ان الله بما تعملون بصير** فلا يضيع
عنده عمل فهو عدة ووعد للمومنين وقرى بالياء فهو وعيد للكافرين **وقالوا** عطف على ودوا والضمير لاهل الكتابين جميعا **لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى** اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن
يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا وليس مرادهم باولئك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم
انما يقولون لاضلال المومنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعود جمع عائد وبذل جمع باذل والافراد في كان باعتبار
لفظ من والجمع في خبره باعتبار معنى وقرى الا من كان يهوديا او نصرانيا **تلك امانيهم** الاماني امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة
والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف
الجميع اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة والى ما قبله من ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وان يردوهم
كفارا او يردوه قوله تعالى **قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** فانها لسبالها يطلب له البرهان ولانها يحتمل
الصدق والكذب قل هاتوا صلة اتوا قلبت الهمزة ها اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين

دعواكم

في دعواكم هذا اما يقتضيه المقام بحسب النظم الجليل الذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب
البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه معنى الاختصاص فان قوله تعالى **بلى** اثبات من جهته لما نفوه مستلزم ما اثبتوه واذ
ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي لما نفوه مستلزما لما اثبتوه مجرد اختصاصهم به مع بقا اصل
الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورتها ان يكون هو
الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليحصل امورا لاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوا وسلك هذا
المسلك ابانة لغاية حرمانهم من اصل الدخول او عجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم عنه وعجزهم عن
اثباته فهم من الاختصاص بالبعد وعن اثباته وانما الفايز به من انتظمه قوله سبحانه **من اسلم وجهه لله** اي اخلص نفسه له
تعالى لا يشرك به شيا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضا ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر اثار الخضوع الذي
هو من اخص خصايص الاخلاص وتوجهه وقصده بحيث لا يلوي عزيمته الى شي غيره **وهو محسن** حال من ضمير اسلم والحال انه
محسن في جميع افعاله التي من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللايق وهو حسنه
الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **فله
اجره** الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا واياما كان فتصويره بصورة الاجر
للايذان بقوة ارتباطه بالعمل وارتباطه واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى **عند ربه** حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار
في الظرف والعندية للتشريف ووضع الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون
الجملة اي فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت الشرطية وخبرها ان كانت موصولة
والفا لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون فاعلا لفعل مقدر اي بلى يدخلها من اسلم قوله تعالى
فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعليق ثبوت الاجر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان بان
اوليك المدعوين عن دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل **ولا خوف عليهم** في الدارين من لحوق مكروه **ولا هم
يحزنون** من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لانه يعتريهم لكونهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضماير الثلاثة
باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ **وقالت اليهود ليست النصارى على شي** بيان لتضليل فريق
صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم
احبار اليهود وقد تناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لستم على شي اي امر يعتد به من الدين اي على شي ما منه اصلا مبالغة في
ذلك كما قالوا اقل من لا شي وكفروا بعيسى والانجيل **وقالت النصارى ليست اليهود على شي** على الوجه المذكور وكفروا بموسى
والتورية لما انهم قالوا ذلك بنا للامر على منسوخية التورية **وهم يتلون الكتاب** الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا
والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل فريق منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه
فان كتب الله تعالى متصادقة **كذلك** اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم
على عامله لافادة القصد اي قولا مثل ذلك القول لا قولا مغايرا له **قال الذين لا يعلمون** من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم
من الجهلة اي قالوا لاهل الكتاب كل دين ليسوا على شي واما على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه اي قال القول
الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي سمعت به **مثل قولهم** اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله
اي مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل ما قالت اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك
من لا يعلم اصلا **فالله يحكم بينهم** اي بين اليهود والنصارى فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار
كمال بطلان مقالهم ولان المحاجة المحوجة الى الحكم وانما **يوم القيامة** متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف
المعنى **فيما كانوا فيه يختلفون** قدم عليه للمحافظة على رؤس الاي اي لا يكون **ومن اظلم ممن منع مساجد الله** انكار واستبعاد لان

يكون اظلم ممن فعل ذلك اومساويا له وان لم يكن سبك التركيب معترضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الناشي
والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل
وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان سبب النزول في اي طايفة معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى
كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا وان الروم خربوا واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا ونقل عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان ططيوس الرومي ملك النصارى واصحابه غزوا بني اسرائيل فقاتلوهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية
وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه وانما وقع المنع على المساجد
وانما كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه حالا له وتعلق الاية
الكريمة بما قبلها من حيث انها ضابطة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين من جملة الجملة القائلين
لمن عداهم ليسوا على شيء ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وما منعنا ان نرسل بالايات
الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى
في خرابها بالهدم والتعطيل بانقطاع الذكر اولئك المانعون الظالمون الساعون في خرابها ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين اي ما كان لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها اي ما كان الحق
ان يدخلوها الا على حال الخوف والتهيب وارتعاد الفرايص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها
ويمنعوهم منها وما كان لهم او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالاخرة الى ذلك فيكون وعدا للمؤمنين واستخلاص ما
استولوا عليه وقد نجز الوعد ولله الحمد روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه
النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلاف الايمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رضي الله عنه مطلقا ومنعه مالك مطلقا
وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم اي لاولئك المذكورين في الدنيا خزي اي خزي فظيع لا يوصف
بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم
كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من العذاب والعذاب لما مر من ان تاخير ما حقه التقديم
موجب لتوجه النفس اليه فيكون فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحية المشرق والمغرب لا يختص به من
حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته ما كان منها دون ما كان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى
والمسجد الحرام فاينما تولوا اي في اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان
البعيد خاصة مبني على الفتح ولا ينصرف سوى الجر وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدا والجملة في محل الجزم على انها جواب
الشرط اي هناك جهته التي امر بها فان مكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد وما كان دون اخر فثم ذاته بمعنى الحضور
اي فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا الى القبلة ان الله واسع باحاطته
بالاشيا او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن
ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهوا وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحا
مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي [illegible]
[illegible] توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف اخر من مقالاتهم
الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الى اخره لا على انها صلة لما بينهما من الجملة الكثيرة
الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف نزلت حين
قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملايكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع ولا

يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرية له
تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي
انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض
ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول الى المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى
الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامة المصدر مقام الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه
بذاته تنزها حقيقيا به فيفيد مبالغة في حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزه اعتقاد نزاهته تعالى
عما لا يليق به الا اثباتها له تعالى وقوله تعالى بل له ما في السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل
للاضطرار عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة الى
اتخاذ ما يكون نائبا وقائما بها بالاخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا
بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملايكة كل تنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما كائنا ما
كان من اولي العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان هذا شانه لم
يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جي بما المختصة بغير اولي العلم تحقيرا لشانهم وايذانا
بكمال بعدهم عما نسبوا اليه بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي
مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى لقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات
والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا امثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع نص عليه اساطير
اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله
امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على
تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فايق وحسن رايق وهو حجة اخرى لابطال
مقالتهم الشنعا تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله تعالى مبدع الاشيا كلها على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو بديع الى اخره وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على
انه بدل من الضمير في له على راي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم واذا قضى
امرا اي اراده كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود
الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اي
احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات بحسب تعلق مشيته
تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب في طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع
وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموا ان اتخاذ الولد شان من يفتقر في تحصيل مراده الى مبادي يستدعي ترتبها مرور زمان
وتبدل الاطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع اخر من قبايحهم وهو قدحهم في امر
النبوة بعد حكاية قدحهم في شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هولاء القائلين فقال ابن عباس
رضي الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم
علمهم بموجب علمهم او لما ان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركوا العرب
لقوله تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اي هلا يكلمنا الله
بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملايكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك او تاتينا اية حجة تدل على صدقك بلغوا من
العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسل والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم

بعدوا واما اناهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الايات فانهم الى الله انى يوفكون كذلك
مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم
هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة قالوا لن نصبر على طعام واحد وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل
لنا الها الخ تشابهت قلوبهم اى قلوب اوليك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الايات اى
نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة
لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين ويوقنون بالحقايق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الاية وفي تعريف الايات
وايرادها وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم
اقترحوا اية فذة ونحن قد بينا الايات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا
بانهم من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اى ملتبسا بالقران كما في قوله تعالى بل
كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله تعالى احق هو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار نفسه او بالحال الاولى
اى ارسلناك ملتبسا حال كونك بشيرا لمن امن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به وارسلناك صادقا حال كونك بشيرا
لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا لا قاسرا لهم على الايمان فلا عليك ان
صروا اوكابروا ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسال وما تسال وقرئ لا
تسال على صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرايها على
لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم
الكريم والجحيم المتاجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوها وعد شديد وايذان بانهم
مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال
شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية
بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في امثال هذه العظايم اشد من النصارى وللاشعار بان رضى كل
منهما مباين لرضى الاخرى اى لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم
حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه صلى الله عليه وسلم ما لا غاية وراءه فانهم
حيث لم يرضوا عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت
الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالتهم في انفسهم ومقالتهم
فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا
حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى
صريح في ان ما وقع في هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من الدعوة الى اليهودية
والنصرانية وادعاء ان لا هدى الا فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اى قل ردا عليهم ان
هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما
تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اى اراءهم الزائغة الصادرة
عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي عين ملتهم فيما قيل اذ هي الذي ينتمون اليها وما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة
على لسان الانبيا وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذي جاءك من العلم اى الوحي او الدين المعلوم
صحته ما لك من الله من جهة العزيز من ولي يلي امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي
الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتاكيد وهذا من باب التهييج والالهاب والايذان بتوهم امكان اتباعه

عليه السلام لملتهم وهو جواب للقسم الذي وطاه اللام واكتفي به عن جواب الشرط الذين اتيناهم الكتاب
هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته بمراعاة لفظه وبالتدبر في معانيه والعمل بما
فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له اوليك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو
حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اى بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان
به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاوليك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التورية ذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها
فيما بين فنون النعم ومن جملتها نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان به عليه السلام واني فضلتكم على العالمين
افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السابقة لانافتها فيما بين فنون النعم واتقوا ان لم تومنوا
يوما لا تجزى في ذلك اليوم نفس من النفوس شيئا من الاشيا او شيئا من الجزا ولا يقبل منها عدل اى فدية ولا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك القضية
والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات شروع في
تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم وان ما عليه اهل الكتابين
اهواء زائغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم عليه السلام وابنائه
الانبيا عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية الاسلام والتوحيد وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله
عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاذ منصوب
على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين اى اذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا ما وقع
فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم عليه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت دون ما يقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة
اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اى اذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجي من قوله تعالى قال الى
اخره والاول هو اللايق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى
عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائه عليهم السلام من الافعال او الاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل
الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتحقق ممن لا وقوف له على
عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو
من مباديه العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم اعجمي قال
السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق او التقارب بين السرياني والعربي الا يرى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو
وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي
صلى الله عليه وسلم راى في الروضة ابراهيم عليه السلام وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض
لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة
المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة
وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي صلى الله
عليه وسلم ايضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي
التي اجيب بها دعوة ابراهيم عليه السلام كما سياتي واختلف في الكلمات قال مجاهد هي ما بعدها ورد بانه يأباه الفاء في
فاتمهن ثم الاستيناف وقال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا

خمسة في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمسة في البدن الختان وحلق العانه
ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجا بالما وفي الخبر ابرهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول
من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه الله
تعالى بثلاثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
الخ وعشر في المؤمنون وسال سايل الى قوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة اشيا
بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر وذبح الولد والنار فوفى بالكل وقيل هو محاجته عليه السلام قومه والصلاه
والزكاه والصوم والضيافه والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن
وقيل هي قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الايات ثم قيل انما وقع هذا الابتلا قبل النبوة وهو الظاهر وقيل
بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرى برفع ابراهيم ونصب ربه اي
دعا بكلمات من الدعا فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا **فاتمهن** اي اقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير
تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراة الاخيرة فاعطاهن الله ما ساله من غير نقص ويعضده ما روي عن
مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابراهيم به بقوله رب اجعل الايات وقوله عز وجل **قال** على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة
مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشي من الكلام فان الابتلا تمهيد الامر معظم وظهور فضيلة المبتلا من دواعي الاحسان
فبعد حكايتهما يترقب النفس الى ما وقع بعدها كانه قيل فماذا قال بعد ذلك فقيل قال **اني جاعلك للناس اماما** اي نبيا
لقوله تعالى ابتلا على راي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر من اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده
وغير ذلك وعلى تقدير انتصابه بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على
قال اي وقال اذ ابتلاه الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واكد منه
على لانه على انه فاعل البته من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف
وقع حالا من اماما اذ لو تاخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يوتم به وكل نبي امام لامته عليه السلام وامامته عليه السلام
عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباع ملته **قال** استيناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال
ابراهيم عليه السلام عنده فقيل قال **ومن ذريتي** عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي واجعل بعض ذريتي كما
تقول وزيدا لمن تقول ساكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة
امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون والذرية من قوله من ذروت او ذريت والاصل ذرووة او ذروية
واجتمع في الاولى واوان زايده واصليه فقلبت الاصلية يا فصارت كالثانية فاجتمعت واو ويا وسبقت احداهما بالسكون
فقلبت الواو يا وادغمت اليا في اليا فصارت ذرية او فعلية منها والاصل في الاولى ذروية فاجتمع في الاولى
فقلبت الواو يا لما سبق احداهما بالسكون فصارت ذرية كالثانية وادغمت اليا في مثلها ذرية او فعلية من الذر بمعنى
التفريق فقلبت الواو الاخيرة يا تخفيفا الادغام وقرى بكسر وهي لغة فيها وقرا ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها **قال**
استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق **لا ينال عهدي الظالمين** ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام بل
اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعايه عليه
السلام من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس
معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ذلك ايثار هذه الطريقة على تعيين المانعين لما
الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين لئلا ينتظم المعتقدون بالايمة من الامة في سلك المحرومين وفي
تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تجنب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة

من

من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايما الى امامة الانبيا عليهم السلام من ذريته عليه السلام كاسمعيل واسحاق ويعقوب
ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم
تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة ابراهيم عليه السلام تناول كل منهم في وقت قدره الله عز وجل
وقرى الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبيا عليهم السلام
من الكباير على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى **واذ جعلنا البيت** اي الكعبة المعظمة غلب عليها
غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول او بجعل اماما
بمعنى التصيير وقوله عز وجل **مثابة** اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعدما تفرقوا عنه وامنا لهم او موضع ثواب يثابون بحجه
واعتماره مفعوله الثاني واما بمعنى لا بدا فهو حال من مفعوله واللام في قوله **للناس** متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة
كاينة للناس او بجعلنا اي كانه جعلناه لاجل الناس وقرى مثابات باعتبار تعدد التايبين **وامنا** اي امنا كما في قوله تعالى
حرما امنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على اسناد المجازي اي امنا من
حجه عذاب النار الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من داخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو
راي ابي حنيفة ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شي كاينا ما كان ويدخل فيه الامن دخولا اوليا وقد اعتيد فيه من
الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب **واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى** على ارادة قول هو عطف عليه واتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذي يتضمنه قوله عز وجل
مثابة للناس كانه قيل توبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في اذ وقيل هي مستانفة والعامل الخطاب على ان الوجوه
الاخيرة له عليه ولامته والاول الاليق بجزالة النظم والامر فيها كان او مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام
اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثاره عليه السلام والموضع الذي كان عليه قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت
وهو موضع والمراد بالمصلى مواضع الصلاة او موضع الدعاوي روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضي الله عنه وهذا مقام
ابراهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي
الطواف لما روي جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرى اتخذوا وللشافعي في وجوبها قولان وقيل مقام ابراهيم
الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة ومزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرى اتخذوا على
صيغة الماضي عطفا على جعلنا واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم فيه لاهتمامه به واسكانه ذريته عنده قبلة يصلون
اليها **وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل** اي امرناهما امرا موكدا **ان طهرا بيتي** بان طهراه على ان مصدرية حذف عنها
الجار حذفا مطردا والجواز كون امر صلة امرا او نهيا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها
فعلا انما هو دلالته على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبريه في صلة الموصول الاسمي انما هي للتوصل الى وصف المعارف
بالجمل وهي لا يوصف بها الا اذا كانت خبريه واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشا في الدلالة على المصدر
سواسا ساغ وقوع الامر والنهي صلة حيث وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن
معنى المضي والاستقبال اي طهراه على ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة الى الضمير بجلالة التشريف والتو
الامر بالتطهير ههنا اليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل بنا
البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه السلام بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان
هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البنا بمباشرته كما ينبي عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس والمراد تطهيره
من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحايض وغير ذلك مما لا يليق به **للطايفين** حوله **والعاكفين** المجاورين المقيمين

عندا والمعتكفين او القايمين في الصلاه كما في قوله تعالى للطائفين والقائمين والركع السجود جمع راكع وساجد اي
للطائفين المصلين لان القيام والركوع والسجود من هيات المصلي ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين
موصوفيهما اوخلاصه بهولا لا ليلا يغشاه وفيه ايما الى ان ملابسة غيرهم وان كانت مع مقارنه امر مهاج من قبيل تلويثه
وتدنيسه واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الى اخره اما بالذات او بعاملة المضمر كامر رب اجعل
هذا بلدا امنا ذا امن كعيشة راضية او امنا اهله كليله نايم اي اجعل هذا الوادي من البلاد الامنة وكان ذلك اول ما قدم
عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم انه عليه السلام لما اسكن اسماعيل وهاجر هناك وعاد متوجها
الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلد وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا
لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كدا اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في
سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السوال لما انه عليه السلام سال اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في احدهما
وتاخر الاخر الى وقته المقدر له لما يقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السوال حسبما هو المعتاد في الدعا والابتهال وكان المسوول
اولا البلدية وقد اجيب اليه لكن السوال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسوول كلا الامرين وقد حكي ذلك هنا
واقتصر هناك على حكاية سوال الامن اكتفاء عن سوال البلدية بحكاية سوال جعل افيدة الناس تهوى اليه كما سياتي تفصيله
هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان تجعل قرب ذلك ان تجبى اليه من الاقطار الواسعة وقد حصل كلاهما
حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطايف كانت من
ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه
تعالى نقل قرية من اهل الشام ووضعها بالطايف لدعوة ابرهيم عليه السلام من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله بدل
البعض خص الكل بالدعا اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشان اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه
في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال استينافا مبني على السوال
كما مر مرارا وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من امن ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف
على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتدا او قوله فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفا تشبيها له بالشرط والكافر وان
لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من امن عطف تلقين كانه
قيل وارزق من كفر فانه ايضا مجاب كانه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية اوزمانا قليلا ثم
اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه
وقرئ وامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعا ابراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه
دعا على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من امن فانما هو على طريقة التفضل
والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطا وهي لغة مردودة فان حروف
ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها لا بالعكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله تعالى واذ قال ابراهيم على احد الطريقين واذ جعلنا وصيغة
الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبية عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي
الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابلة للقيام ومنه قعدك الله ورفعها للبنا عليها لانه ينقلها من
هيئة الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنها لما التاما صارا شيئا واحدا فكانها نمت
وارتفعت وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعا الناس حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شانها
ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطن يعني يجعل هيئة القاعدة المستوطاة مرتفعة عالية بالبنا

روي

روي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما
يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة ابر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه وكان ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السما
الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فامره سبحانه ببنيانه وعرفه جبريل مكانه وقيل
بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت وسار ابراهيم
في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل
طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاء جبريل بالحجر الاسود من السما وقيل تمخض ابو قبيس
فانشق عنه وقد خبي فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت فلما لمسته الحائض في الجاهلية اسود وقال
الفاسي في شفا الغرام وتاريخ البلاد البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بنا الكعبة انها بنيت عشر مرات
منها بنا الملائكة ذكره النووي في تهذيب الاسما واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق ادم عليه السلام ومنها
بنا ادم عليه السلام ذكره البيهقي في دلايل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بعث الله جبريل الى ادم عليهما السلام فقال له ولحوا ابنيا لي بيتا فخط جبريل وجعل ادم عليه السلام يحفر وحوا تنقل التراب
حتى اذا اصاب الما نودي من تحته حسبك ادم فلما بنياه اوحى اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت
وهكذا ذكره البيهقي فيما بين قاص ودان ومنها بنا جرهم ذكره الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومنها بنا قصي بن كلاب
ذكره الزهري بن بكار في كتب النسب ومنها بنا قريش وهو مشهور ومنها بنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها بنا الحجاج بن
يوسف وما كان ذلك بنا للكل بل لجدار من جدرانها قال الحافظ السهيلي بنا وها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين
بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم واسماعيل عطف على ابراهيم ولعل تاخيره عن المفعول للايذان بان الاصل
في الرفع ابراهيم واسماعيل تبع له قيل انه كان يبني وله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا على ارادة القول اي
يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير
ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعان اي وقت رفعها وقيل واسماعيل مبتدا خبره قول محذوف هو العامل في تقبل منا
فيكون ابراهيم هو الرافع واسماعيل هو الداعي والجملة في محل نصب على الحالية واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسماعيل
يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة على افاضة ما فيه صلاح المربوب الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك
سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا تقبل منا المبنيه دعا ليعم الدعا وغيرها من القرب والطاعات
التي من جملتها ما هما بصدده من البنا كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت السميع لجميع المسموعات التي من
جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعا التقبل لا من حيث كونه
تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصححا للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في عملهما مستدع
له بموجب الوعد تفضلا وتاكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لاظهار اختصاص
دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلا وما يتبعه بدفعه ثم الدعا
بالبلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي
في الحكاية لنظم الشوق عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام
من الافعال والاقوال في سلك اخر واما قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضا
المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه
كذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وايا ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كان

عليه من الاذعان والاخلاص وقرى مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعا اولان التثنية من مراتب
الجمع **ومن ذريتنا امة مسلمة لك** اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعا لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح
الاتباع وانما اختصابه بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الله عز وجل فان ذلك
مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل ارادا بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان
يكون من تبيينية قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن وامة مسلمة ومن
ذريتنا **وارنا** من الروية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف او بصرنا او عرفنا **مناسكنا** اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا
والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرى ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه
اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرى بالاختلاس **وتب علينا** استتابة لذريتنا **انك
انت التواب الرحيم** وهو تعليل للدعا ومزيد استدعا للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له ان يدعو الله بما
يناسبه وصفاته **ربنا وابعث فيهم** اي في الامة المسلمة **رسولا منهم** اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم
ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب بدعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو
في اخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورويا امي وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة لما انه
الاصل في الدعا واسماعيل تبع له عليهما السلام **يتلوا عليهم اياتك** يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحي اليه من البينات **ويعلمهم**
بحسب قوتهم النظرية **الكتاب** اي القران **والحكمة** وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة **ويزكيهم**
بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي **انك انت العزيز** الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد
الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعا واجابة المسول فان وصف الحكمة مقتضي
الافاضة ما يقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة يستدعي لامتناع وجود المانع بالمرة **ومن
يرغب عن ملة ابراهيم** انكار واستبعاد لان يكون في العقلا من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب
عن ملته الواضحة الغرا **الا من سفه نفسه** اي اذلها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق واهلك او جهل نفسه
وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل
من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ونحو قوله

ونأخذ بعده بذناب عيش ، اجب الظهر ليس له سنام

وقوله

وما قومي بثعلبة بن سعد ، ولا بفزارة الشعر الرقابا

وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلا فقد بالغ في اذلال نفسه واذلالها واهانتها حيث خالف بكل نفس
عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني
باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر
فنزلت **ولقد اصطفيناه في الدنيا** اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار
اتخاذ خيره واللام جواب قسم على محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه وقوله
تعالى **وانه في الاخرة لمن الصالحين** اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل في
حيز القسم موكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا اخر او لا معترضة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا
له بالصلاح في الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر
والتامل وايثار الاسمية اذل نفسه لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الاخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الاخرة
والتاكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور التي تشاهد اثارها

وكلمة

وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في
الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قول رويه

ربيته حتى اذا تمعددا ، كان جزائي بالعصا ان اجلدا

او بمحذوف من لفظه وانه لصالح في الاخرة لمن الصالحين او من غير لفظه اي اعني في الاخرة ذلك بعد رغما وهي ما
متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتاخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفينا في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح
الاخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم
وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون قال له **ربه اسلم** اي لربك
قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلايل التوحيد المودية الى المعرفة الداعية
الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص واستقم
وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض للربوبية والاضافة اليه عليه السلام حيث لم يقل
حسن النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو الماقول **ووصى بها ابراهيم بنيه** شروع في بيان تكملة
عليه السلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه تاكيد لوجوب الرغبة في تسليته عليه السلام والتقدم والتوصية الى الغير
بما فيه صلاح للمومنين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله
بفعل الوصي والضمير في بها للملة وقوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى انني برا مما تعبدون الا
الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرى اوصى والاول ابلغ **ويعقوب** عطف على ابراهيم اي وصى
هو ايضا بنيه وقرى بالنصب عطفا على بنيه **يا بني** على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه
في معنى القول كما في قول رويه

رجلان من ضبة اخبرانا ، انا راينا رجلا عريانا

فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرى ان يا بني وبنو ابراهيم عليه
السلام كانوا اربعة اسماعيل واسحاق ويعقوب ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكانوا بنو يعقوب اثنى
عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهودي ويشسوخر وزبولون وروانا ونفتونا وكورا واوشر وبنيامين ويوسف عليه
السلام **ان الله اصطفى لكم الدين** دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عند الله **فلا تموتن الا وانتم
مسلمون** ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي
فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام
موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت **ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب
الموت** ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة خطاب اهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وشهدا جمع
شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهدا والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام
به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل للاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة
ابراهيم عليه السلام الى توبيخهم على الافترا على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكي عنهم واما تعميم الافترا لهما ولساير
الانبيا عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر وما سياتي من قوله عز وجل ام تقولون الخ ومعنى
الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى **اذ قال لبنيه** بدل من اذ حضر اي ما كنتم

حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه **ما تعبدون من بعدي** اي شي تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجما بالغيب عند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين الامر قد جرى على ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسواله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به يتم وصيته في قوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وما لا يسال به كل شي ما المعرف فاذا عرف خص العقلا من اذا سئل عن شي تعينه وان سيل وصفه مازيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى **قالوا** استيناف وقع جوابا عن سوال نشا عن حكاية يعقوب عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا **نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق** حسبما كان مراد ابيهم عليه السلام بالسوال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسماعيل من ابائه تغليبا للاب والجد لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية ابائي وقرى ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله

٭ فلما تبين اصواتنا ٭ بكين وقد يننا بالابينا ٭

وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف عليه بيان له واسماعيل واسحق معطوفان على ابيك **الها واحدا** بدل من اله ابائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفايدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص **ونحن له مسلمون** حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق **تلك امة** مبتدا وخبره والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تامها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها **قد خلت** صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلا وهي الارض التي لا انيس بها **لها ما كسبت** جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعايد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا يتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور **ولكم ما كسبتم** عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتداة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا مقارنة للزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يطلق بقصد به قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين لا دينكم وحمل الجملة على هذا القصر على معنى اوليك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم انتفاعهم بكسب هولاء حتى يحتاج الى امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هولاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا يتخطاهم الى غيرهم وليس لهولاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليه وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم **ولا تسالون عما كانوا يعملون** ان اجري السوال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تعريف اظهار وان اريد به سببه اعني الجزا فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة واياما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة كلية عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السوال عبارة عن المواخذة والموصول عن السيات فقيل اي لا تواخذون بسياتهم كما لا يثابون على حسناتهم ولا ريب في انه لا يليق بشان التنزيل كيف لا وهم منزهون من السيات فمن اين يتصور تحملها على غيرهم حتى يتصدى لبيان امتناعه **وقالوا** شروع في بيان فن اخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المودن باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبين والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمومنين **كونوا هودا او نصارى** ليس هذا القول مقولا لكلهم ولا لاي طايفة من الطايفتين بل هو موزع اليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضا مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا او نصارى كونوا نصارى فحل بالنظم الكريم ما فصل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام **تهتدوا** جواب للامر

اي ان تكونوا كذلك تهتدوا **قل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه **بل ملة ابراهيم** اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عليه السلام وقيل بل نتبع ملته عليه السلام وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرى بالرفع اي بل ملتنا وامرنا ملته اي نحن ملته **حنيفا** مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رايت وجه هند قايمة وفي قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الخ **وما كان من المشركين** تعريض لهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله **قولوا** خطاب للمومنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعا على الاجمال وارشادهم على طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا وارشادا ضمنيا لهم اليه **امنا بالله وما انزل الينا** يعني القران قدم على ساير الكتب الالهية مع تاخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها **وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليه السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القران منزلا علينا والاسباط جمع سبط وهو والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناوه الاثنى عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحاق **وما اوتي موسى وعيسى** من التورية والانجيل وساير المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتا لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى **وما اوتي النبيون** اي جملة المذكورين وغيرهم **من ربهم** من الايات البينات والمعجزات الباهرات **لا نفرق بين احد منهم** كدابا اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبروا عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب بعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما موصولة فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب لستوي فيه المفرد والجمع والمونث والمذكر ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلى الله عليه وسلم احلت لكم الغنايم لا حد سود الروس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصح دخول بين عليه باعتبار محذوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة

٭ فما كان بين الخير لو جا سالما ٭ ابو حجر الا ليال قلايل ٭

بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقيق عدم التفريق بين كل فرد منهم كما بيانا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في امنا وقوله عز وعلا **ونحن له مسلمون** اي مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على امنا **فان امنوا** الفا للترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم **بمثل ما امنتم به** اي بما امنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله ويعضده قراة ابن مسعود بما امنتم به وقراة ابي بالذي امنتم به ويجوز ان تكون البا للاستعانة لما ان المومن به محذوف لظهوره بمروره انفا على ان الفعل يجري مجرى اللازم اي فان امنوا ايمانا مفصلا فان جعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان تكون الاولى زايدة والثانية صلة لامنتم وما مصدرية فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان يكونا للملابسة اي فان امنوا ملتبسين بمثل ما امنتم ملتبسين او فان امنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما امنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبيا عليهم السلام فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك من مثل ما للمومنين لا نفسه بخلاف المومن به فان لا يتصور التعدد **فقد اهتدوا** الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق الهدى الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تاتي تعدد الطريق فيابا ان المقام تعين طريق الحق وارشادهم اليه تعيين لابداء تجويز ان يكون له طريق اخر وراه **وان تولوا** اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشي من ذلك

كان امنوا ببعض وكفروا ببعض كاليهود بعد نبيهم وبعد نبيهم **فانما هم في شقاق** المشاقة والمشاق من الشق كالمخالفة والخلاف
والمعادات والعداء من العداوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الآخر صورة او معنى ويوليه خلفه ويأخذ في شق غير
شقه وعدوه غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد عن الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق
بسبب ايمانهم ببعض ما امن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي على ان المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان
فجواب الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك واما بتأويل فاعلموا انما هم
في شقاق هذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فان امنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت
على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ
لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب في انه لا يليق بجلالة النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق
وان ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريج المؤمنين بوعد
النصر والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل **فسيكفيكهم الله** اي سيكفيك
اشقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز جل وعلا الوعد الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني
النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبي صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك
وللايذان بان القيام بامور الحرب وتحمل الموت والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته
تعالى في الكفاية والنصر وحقه عليه السلام اتم واكمل **وهو السميع العليم** تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى
ان الله تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما
ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فان وعيد
الكفرة وعد للمؤمنين **صبغة الله** الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن
الايمان بما ذكر على الوجه الذي ذكر لكونه تطهير المؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم باثاره وتداخلا في قلوبهم كما
ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر
يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع اسناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين
للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي اذن مصدر مؤكد لقوله تعالى امنا وما انزل
معه في حيز قولوا منتصب عن انتصاب وعد الله عما تقدم لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله وقيل هي منصوبة
بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله وانما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان ان الايمان الحق وبه الاهتداء
ومسارعة الى تسليته عليه السلام **ومن احسن من الله** مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى **صبغة** نصب على
التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير
اليه من قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن الحقيقي والعرضي المبني على الكفرة لم يلزم
منه ان يكون في صبغة الله تعالى حسن في الجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج **ونحن له** اي
لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة **عابدون** شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل
وهو عطف على امنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول اي
الزموا صبغة الله وقولوا نحن عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة يجري مجرى التعليل للاغراء **قل اتحاجوننا**
تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المأمور به من الوظائف الخاصة
به عليه السلام وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا **في الله** اي في دينه وتدعون ان دينه الحق
هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليها وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى

تهتدوا **وهو ربنا وربكم** جملة حالية ولذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه
تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم **ولنا اعمالنا** الحسنة الموافقة لامره **ولكم اعمالكم** السيئة المخالفة لحكمه **ونحن له**
اي لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة **مخلصون** في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجه الله فاني لكم المحاجة وادعاء حقية ما
انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسبب دعوة الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى **ام يقولون** اما معادلة للهمزة في قوله
اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر
ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون **ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى** فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما وام منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب
والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة وهي
منقطعة لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل
من ان المعنى اتحاجوننا في شأن الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت
نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم
يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كأنه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما
وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة
على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال لنا
ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملاءمته لسياق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون الجملة ام معادلة للهمزة
غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور
على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم
على البعثة بمراتب **قل أانتم اعلم ام الله** اعادة الامر ليست لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده
ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما يلحق قد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم
بما ردوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم
ايها المرسلون وقوله عز وجل قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين
وتوسيطه بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما جرى
في محله وكذبهم في ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابراهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما
كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه
عليهم السلام اتباعه وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما يصفون **ومن اظلم** انكار لان يكون احد اظلم **ممن كتم
شهادة** ثابتة **عنده** كائنة **من الله** وهي شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية
حسبما تلي انفا فصده وكذا من الله متعلق بها لتعليل الانكار وتأكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز
وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متأخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي
من الادنى الى الاعلى والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء
وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان اي لا
احد اظلم منا لو كتمناها والمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض باظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه
وفي اطلاق الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل **وما الله
بغافل عما تعملون** من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا
اي هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة والضمير اما لمن كتم

باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى اخره الاية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية
الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة
في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالاباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب لسابقهم وهذا للتجرد عن الاقتداء بهم
وقيل المراد بالاية الاولى الانبيا عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم
واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات
الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ومجاهد رضي الله عنه قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يانسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة
وقيل هم المنافقون وهو لا يناسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه بمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم
حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل الى مكة بل
طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة ابيه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم القادحون في التحويل منهم
جميعا فيكون قوله تعالى من الناس اي الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد من تلك الطوائف الثلاث
عن اشقيائهم المعتاد للخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كانت من لبيان كونهم من الناس
لمزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتضائهم اياه بل عدم التفوه بالقدح المطلق
وبالعبادة المحكية ما ولاهم اي اي شي صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة كالوجهة من المواجهة
وهي الحالة التي يقابل الشي غيره عليها كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره
غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة والمراد ههنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله
تعالى التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيقتها كما بينا في الاحراف فان اريد بالقائلين
اليهود فمدار الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه خطا وان اريد بهم المشركين فمداره لا انكار كراهتهم وان اريد بهم
المشركين فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها
واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم الانصراف عنها او التوجه الى مكة وتعليق الانكار بتوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع
تلازمهما في الوجود لما ان ترك الدين القديم ابعد عند العقول وانكار سببه ادخل لا للايذان بان المنكرين هم اليهود بناء
على ان المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصه بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه القدح والطعن
لا التوجه الى الكعبة لانه احق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك
قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجاة المكروه على النفس
اشق والجواب العتيد لشغب الخصم الالد اردّ وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استيناف مبني على السؤال كانه
قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل الخ اي لله تعالى ناحيتا الارض اي الجهات كلها خلقا وملكا وتصرفا فلا اختصاص
لناحية منها بذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيئته يهدي من يشاء اي يهدي مشيئته التابعة
للحكم الحقية التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه
الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة لحكم انيقة ومصالح خفية وكذلك جعلناكم
توجيه للخطاب الى المومنين من الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتاييد ما في مضمون الكلام من التشريف
وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل اخر مفهوم كما سبق وتوحيد الكلام الكاف مع القصد الى المومنين لما ان المراد
الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها

في

في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدمة جعلنا كرامة وسطا كائنا مثل ذلك الجعل مقدم على
الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الجعل
البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا اخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة
ثم استعير للخصال المحمودة لكن لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوان والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد
عليه بقول ابن اوس الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من
الاعتبار في هذا المقام ولا ملابسة بينه وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الاوساط
للخصال الذميمة الملتفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها
التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك
الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصفة بها مبالغة كانها نفسها وسوي بين المفرد والجمع والمذكر والمونث
رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما
تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن
القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع
في وسط تلك الطرق الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا
بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا بالعمل والعلم مزكين لتكونوا
شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبيل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مدكر وهو غاية للجعل المذكور
مرتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة المتالفة من العفة التي هي فضيلة القوة
الشهوية البهيمية والشجاعة التي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية
المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة
في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين واحوال الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبيا عليهم السلام فيطالبهم الله
تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة الحجة على المنكرين وزيادة تخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد عليه السلام
فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله عز وجل في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق
فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز قائلا ويكون الرسول
عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه
الشهادة الا من العدول والاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام لهم وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها جرد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقية بان تختص معرفته به عليه
السلام وليس الموصول صفة للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشي من حالة الى اخرى فملتبس بالحالة الثانية هو المفعول
الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام صائق ينساق
اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التامل اللائق يرشد الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير
كما تفيده بل هو جعل القبلة المحققة الموجودة هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هو الكعبة فانه عليه السلام كان
يصلي اليها والاثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تالفا لليهود وهي الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان قبلته
عليه السلام بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل بينه وبينه الكعبة وعلى هذه الرواية لا يمكن ارادة بالقبلة الاولى الكعبة واما
الصخرة فيتاتى ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اثر ذي اثير وهي الكعبة
وعلى الثاني وما جعلناها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا

ذلك الشي من الاشيا الا لنمتحن الناس اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم و نعلم حينئذ **من يتبع الرسول** في التوجه لما امره به من الدين او القبلة والالتفات الي الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع **ممن ينقلب على عقبيه** يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الي القبلة الجديده او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلي الاول لما رددناك الي ما كنت عليه الا لنعلم الثابت علي الاسلام والناكص علي عقبيه بقلقه وضعف ايمانه او لنعلم الان من ينقلب والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزا من العلم الحالي اي يتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه والمومنين واسناده هم اليه سبحانه لما انه خواصه لتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراة لنعلم علي بنا المجهول من صيغة الغيبة والعلم بمعني المعرفه او معلق بما في من الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب الخ او لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب علي عقبيه **وان كانت لكبيرة** اي شاقة ثقيله وان هي المخففه من الثقيله دخلت علي ناسخ المبتدا والخبر واللام هي الفارقه بينها وبين النافيه كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافيه واللام بمعني الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الي ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعل اي التولية او التحويله او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع علي ان من كان مزيده كما في قوله تعالى ∴ واخوان لنا كانوا كراما ∴ واصله وان هي لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق **الا على الذين هدى الله** اي الي سر الاحكام الشرعية المبنية علي الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الي الصراط المستقيم الثابتون علي الايمان واتباع الرسول عليه السلام **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اي ما صح وما استقام ان يضيع ثباتكم علي الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخه وصلاتكم اليها لما انه عليه السلام لما توجه الي الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين يصلوا وهم يصلون الي بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع ايمانكم اما متعلقة بالخبر المقدم لكان كما هو راي البصريه وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي وما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الي اخره ففيه توجه النفي الي ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليس في توجيهه الي نفسه واما مزيدة ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفية ولا مقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى **ان الله بالناس لرؤوف رحيم** تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي اجورهم فلا يدع ما فيه صلاحهم والبا متعلقة برؤوف وتقديمه علي رحيم مع كونه ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن علي الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافه في الكمية والرافه اقوي منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافيه عن الالم والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد تكون مع الالم كقطع العضو المتاكلة وقرئ روف بغير مد لبدنس **قد نرى تقلب وجهك في السما** اي تردده وتطوف نظرك في جهتها مطلقا للوحي وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الي الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى للعرب الي الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول ∴ عليه السلام بالوحي بالتحويل **فلنولينك قبلة** الفا للدلالة علي سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخلة علي قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قوله وليتك كذا اي صيرته واليا له ولنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك علي ان نصب قبلة بحذف الجار اي الي قبلة وقيل هو متعد الي مفعولين **ترضاها** تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينيه وافقت مشيئته تعالي وحكمته **فول وجهك** الفا لتفريع الامر بالتولية عن الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اي فاصرفه **شطر المسجد الحرام** او نحوه وهو نصب علي الظرفية من وال او علي نزع الخافض او علي انه مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشي ودار وشطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم او محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا

له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا بخلاف القريب روي عن البرا بن عازب ان النبي صلي الله عليه وسلم قدم المدينه فصلي نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الي الكعبه وكان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلي الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلي باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النسا والنسا مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين **وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** خص الرسول صلي الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمومنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة علي المتابعة وحيثما شرطيه وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا وجوهكم جوابها وتكون هي منصوبة علي الظرفيه بكنتم نحو قوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسما الحسني **وان الذين اوتوا الكتاب** من فريقي اليهود والنصارى **ليعلمون انه** المفهوم من التولية **الحق** لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية علي تخصيص كل شريعة بقبلة ولما انهم لما هو مسطور في كتبهم من انه صلي الله عليه وسلم يصلي الي القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتا الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعولي الواحد علي ان العلم بمعني المعرفه وقوله تعالى **من ربهم** متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له علي راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته الكائن من ربهم **وما الله بغافل عما تعملون** وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب **ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب** وصف للمضمر موضع المضمر للايذان بكمال سوحالهم من العناد مع تحقق ما يزعمهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله **بكل اية** اي حجة قطعية دالة علي حقية التحول واللام موطية للقسم وقوله تعالى **ما تبعوا قبلتك** جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعني انهم ما تركوا قبلتك بشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وتجريد الخطاب النبي صلي الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالاية من الوظايف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى **وما انت بتابع قبلتهم** جملة معطوفه علي الجملة الاسمية الشرطية للدلالة علي دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم علي الاضافه **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم لما ان تصلب كل فريق فيما هو فيه **ولئن اتبعت اهواهم** الزايغه المخالفه **من بعد ما جاءك من العلم** ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضيه وارده علي منهاج التهييج والالهاب للثبات علي الحق اي ولئن اتبعت اهواهم فرضا **انك اذا لمن الظالمين** وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه ورتب علي فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فاظن من ليس كذلك واذن حرف جواب وجزا توسطت بين اسم ان خبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حدها ان تتقدم او تتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتاخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا علي اكتفايه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب عن الانبيا عليهم السلام **الذين اتيناهم الكتاب** اي علماوهم اذ هم العمدة في اثباته ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى **يعرفونه** للرسول صلي الله عليه وسلم والالتفات الي الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عليه السلام يصلي الي القبلتين كانه قيل الذين اتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه السلام وانه علم معلوم بغير اعلام فتامل وقيل الضمير للعلم او سببه الذي هو الوحي او القران او التحويل ويؤيده الاول قوله عز وجل **كما يعرفون ابناهم** اي يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفه المكنونه في كتابهم

لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناوهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم
احب اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به
مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رضي الله عنه راسه وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين امنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا
يكتمونه واما الجملة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم
على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتدا وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله
عليه وسلم او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا غيره كالذي عليه
اهل الكتاب او على انه خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وقوله من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرى بالنصب على انه نعت بدل
من الاول او مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من اظهار اللطف به عليه
السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه من ربك وليس المراد به نهي الرسول
عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر
الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه
وجهة اي قبلة وقد قرى كذلك اي لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اي
موليها وجهه او الله موليها اياه وقرى ولكل وجهة بالاضافة اي هو ولي تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات اي تسابقوا
اليها بنزع الخافض الجار كما في قوله

ثنائي عليكم ال حرب ومن يمل ۞ سواكم فاني مهتدي غير مايل

وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة
وغيرها مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا
اي في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومتفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق
الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلاتكم كانها صلوة الى جهة واحدة
ان الله على كل شي قدير فيقدر على الاماتة والاحيا والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تاكيد لحكم
التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام
الكلام فيه كما مر انفا وحيثما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب
عام لكافة المومنين المنتشرين في الافاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لتناول الخطاب المقيمين في
الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ
من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يوكد امرها مرة عقب اخرى مع انه ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون
للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان
التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية من اوصافه ان يحول الى الكعبة واحتجاج اليهود بانه
يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين
منهم والذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع
الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها افحش الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثنا للمبالغة في نفي الحجة
واما كالذي في قوله ۞ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۞ بهن فلول من قراع الكتايب ۞
ضرورة ان لا حجة للظالم وقرى الا الذين بحرف التنبيه على انه استيناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا

واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة بمحذوف يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما
مر لاتمام النعمة عليكم لما ان نعمة جليلة وارادتي اهتدايكم لما انه صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة
على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية او عطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم
واتم الى اخره او على قوله تعالى لئلا يكون الى اخره وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم بينهما للمسارعة الى التولية والتثبيت
في الخبر تمام النعمة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله
والطرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والطرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا
مبنية لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة وفي الاخرة تماما كائنا مثل ما كان كائنا في ارسال رسول كاين منكم فان
ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافوها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرنا بالارسال فاذكروني كما ذكرتكم
وصيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبريا يتلوا عليكم اياتنا صفة ثانية لرسولا
كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلوا اي يحملكم على ما تصيرون ازكيا ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة
في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على
تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها
مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في
التعبير عن القران تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه ما
شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرايع قوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك
فان الموصول عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم في مقام
يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا والمراد بعدم
علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني الفا
للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اي فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع
الاشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحدها او عصيان ما امرتكم به يا ايها الذين امنوا
وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تاتون
وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة على النفس التي من جملتها معادات الكفرة ومقابلتهم المودية الى مقاتلتهم والصلاة
التي هي ام العبادات ومعراج المومنين ومناجات رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر
خاصة لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلاة فحيث كانت عند المومنين اجل المطالب كما ينبى عنه قوله عليه الصلاة
والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدايمة
المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة وادخل مع على الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك
الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان ان الاستعانة بالصبر وان الشهادة التي ربما يودي اليها
الصبر حيوة ابدية وان الشهادة التي ربما يودي اليها الصبر حيوة ابدية لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل
احيا اي بل هم احيا ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية
وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رضي الله عنه ان الشهدا احيا عند الله تعرض ارزاقهم
على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رايت
في المنام سنة تسع وثلاثين وتسعماية ان ازور قبور شهدا احد رضي الله عنهم وانا اتلوا هذه الاية وما في سورة ال عمران

وازودهما متفكرا في امرهم وفي نفسي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رايت شابا منهم قاعدا في قبره
تام الجسد كامل الخلقة في اعز ما يكون من الهيئة والنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر
خلا اني اعلم يقينا ان ذلك كما ظهر وانما لم يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرايته ينظر الي متبسما كانه ينبهني
على ان الامر بخلاف راي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الاية نزلت في شهدا بدر وكانوا اربعة عشر الفا
وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهدا بذلك لما يستدعيه
مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب من الله تعالى **ولنبلونكم** لنصيبنكم اصابة من
يختبر احوالكم اتصبرون على البلا وتستسلمون للقضا **بشيء من الخوف والجوع** اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه
اكثر بالنسبة الى ما اصابهم وكذا ما يصيب به معانديهم وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم
عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة **ونقص من الاموال والانفس والثمرات** عطف
على شيء او على الخوف وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكاة والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات عبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم
عبدي فيقولون نعم فيقول الله عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد **وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة**
قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب
الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المسلم فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب
بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك
على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده **اولئك** اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم
بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم **عليهم صلوات من ربهم ورحمة** الصلاة من الله سبحانه المغفرة
والرافة وجمعها على كثرتها وتنوعها او الجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رافة ورحمة رءوف رحيم والتنوين
فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر
من النعوت الجميلة عليهم فنون الرافة الفايضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من استرجع عن المصيبة واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه **واولئك** اشارة اليهم اما باعتبار السابق
والتكرير لاظهار كمال العناية بهم اي اولئك واما عز وجل **هم المهتدون** هو الاهتدا للحق والصواب مطلقا لا الاهتدا
لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه عليها فلا بد لتاخره عما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتدا لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا
لقضا الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتدا الفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفايزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان
من نال رافة الله تعالى ورحمته لم تطلب **ان الصفا والمروة** علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم **من شعائر الله**
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة **فمن حج البيت او اعتمر** الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشرع
على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريده عن المتعلق
فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التا طا فادغمت التا في الطا وفي ايراد صيغة
التفعل ايذان بان من حق الطايف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك
والشافعي رضي الله عنهما انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له

اساف وعلى المروة اخر اسمه نايلة وكانوا اذا سعوا بهما مسحوهما فلما جا الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان
يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما **ومن تطوع خيرا**
اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا نصب على انه صفة لمصدر محذوف
اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ تطوع وصله يتطوع مثل يطوف وقرئ
ومن يتطوع بخير **فان الله شاكر** اي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد **عليم** مبالغ في
العلم في الاشيا فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قايم مقامه كانه
قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم **ان الذين يكتمون** قيل نزلت في احبار اليهود والنصارى
وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يابى خصوص السبب
والكتم والكتمان ترك اظهار الشي وقد يكون بازالته ووضع شي اخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلا **ما انزلنا من البينات**
من الايات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم **والهدى** اي والايات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه
والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المراد بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في
قوله عز وجل هدى للناس وبينات من الهدى الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية وياباه الانزال والكتم **من بعد**
ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى
في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله
اي كاينا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد من غير ان له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا
في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه
وضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه السلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله تعالى ان الذين يكتبون
الكتاب الخ **اولئك** اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بتوالي
امرهم وبعد منزلتهم في الفساد **يلعنهم الله** اي يطرده ويبعده من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع
للصفات لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان مبدا صدور اللعن عنه سبحانه صفة جلاله المغايرة لما هو مبدا
الانزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة **ويلعنهم اللاعنون** اي الذين يتاتى منهم اللعن اي الدعا عليهم باللعن من
الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره عليهم بدور الاستثنا المتصل في قوله تعالى **الا الذين**
تابوا اي عن الكتمان **واصلحوا** اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف
وبينوا للناس معانيه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا واخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى
الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كان فيه ويقتدي بهم اضرابهم وحيث
كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى
فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفا للتاكيد وذلك **اتوب عليهم**
اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله **وانا التواب الرحيم** اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض تذييلي
محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف
المبدا في فعلته اما الى السابق واللاحق **ان الذين كفروا** جملة مستانفة سيقت لتحقيق بقا اللعن فيما ورا الاستثنا
وتاكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم
التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه فكما ان وجود تلك الامور الثلاثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر
بذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها اي ان الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة **وماتوا وهم كفار** لا

برعوون حالتهم الاولي اوليك الكلام فيه كما في ما قبله عليهم اي مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين ممن يعتد بلعنهم احيا وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعين عطف علي محل اسم الله لانه
فاعل في المعني كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد ضرب زيد وعمرو وكانه قيل اوليك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الخ
وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار وعلي الثاني اضمرت من غير ذكر
تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما مستانف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر
بيان كثرته من حيث الكم وحال من الضمير في خالدين علي وجه التداخل او من الضمير في عليهم للترادف ولا هم ينظرون عطف علي
ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا
ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة اله
واحد اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر اخر للمبتدا او صفة اخرى
للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة
الرحمن الرحيم خبران اخران للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو تعديد للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم
اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع منه كان لانه بحقيقة
وحدانيته بلا ريب وبحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلاثمائة وستون صنما
فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات
والارض اي في ابداعهما علي ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدايع صنايع يعجز عن فهمها عقول البشر
وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة دون الارض واختلاف الليل والنهار اي اعقابهما وكون
كل منهما خلفا للاخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة واختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا
علي ما قدره الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطفا علي ما قبله وتانيثه اما بتاويل السفينة او لانه جمع فان
ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولي كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس
اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف علي الفلك وتاخيره
عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود بالاستدلال البحر واحواله وتخصيص الفلك
بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع علي عجايبه وكذلك قدم علي ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في
غالب الامر ومن الاولي ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية واما ما كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق له
والمراد بالسما الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار
بعد موتها باستيلا اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يوذن به ايراد الموت في مقابلة الاحيا وبث فيها
اي فرق ونشر من كل دابة من العقلا وغيرهم والجملة معطوفة علي انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى
فاحيا الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شي واحد كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها الخ او علي
احيي بحذف الجار والمجرور والعائد الي الموصول وان لم يتحقق الشرايط المعهودة كما في قوله

وان لساني شهدة يشتفى بها * ولكن علي من صبه الله علقم * وقوله

لعل الذي اصعدتني ان تردني * الي الارض ان لم يقدر الخير قادره *

علي معنى فاحيا بالما الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف علي
ما انزل اي تقليبها من مهب الي اخر او من حال الي اخرى وقرئ علي الافراد والسحاب عطف علي تصريف الرياح وهو
اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السما والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد

يعتبر

يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه
مشية الله تعالى ولعل تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الما مع انعكاس الترتيب
الخارجي للامر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المتعددة في كونها اية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما
توهم كون المجموع المترتب بعضه علي بعض اية واحدة لايات اسم ان داخلة اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم
كما وكيفا اي ايات عظيمة كثيرة دالة علي القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص
الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين
اقترحوا علي النبي صلي الله عليه وسلم اية تصدقه وفي قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا
فمن تامل في تلك الايات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وساير صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص
العبادة به تعالى واستغنى بها عن سايرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد علي وجه خاص من الوجوه
الممكنة دون ما عداه مستتبعا لاثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده علي
نمط معين مستتبع لحكم مستقلة فاذا لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيته
متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه اخر يقدر علي ما يقدر عليه لزم اما اجتماع الموثرين علي اثر واحد او التمانع
المودي الي فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة ارا المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه
وتحرير الايات الباهرة الملجئة للعقلا الي الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه شي من الموجودات في صفة
من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول
امنا بالله وباليوم الاخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون الله ذلك الاله الواحد الذي ذكرت
شونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعينه تعالى بالذات غب تعينه بالصفات اندادا اي امثالا وهي روساوهم
الذين يتبعونهم فيما ياتون وما يذرون لاسيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سياتي من وصفهم بالتبري من المتبعين
وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلا اليها في قوله تعالى يحبونهم مبني علي ارائهم الباطلة في شانها من وصفهم بما لا
يوصف به الا العقلا والمحبة ميل القلب الي الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها وحبت
علي حد لكن الاستعمال المستفيض علي احب حبا ومحبة فهو محب وذلك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد
لله تعالى ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتنا بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في
حيز النصب اما صفة لانداد او حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله
مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر موكد للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك فالظاهر اتحاد
فاعلهما فانهم كانوا يقرون به تعالى ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اي يسوون بينه تعالى وبينهم
في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المومنون فالمعنى حبا كائنا كحب المومنين له تعالى فلا بد من اعتبار
المشابهة بينهما في اصل الحب كما في وصفه كما او كيفا لما بينهما من التفاوت البين وقيل هو مصدر مبني من المبني للمفعول اي
كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم
وبين محبوبيته تعالى فالمصحح ما اسلفناه في تفسير قوله عز وجل كما سئل موسى من اظهار الاسم الجليل في مقام
الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف واتيانه كمال قبح ارتكبوه والذين امنوا اشد حبا لله جملة مبتداة جي بها
توطية لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اي المومنون اشد حبا لله تعالى
منهم لاندادهم وما له ان حب اوليك له تعالى اشد من حب هولا الانداد وفيه من الدلالة علي كون الحب مصدرا
من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا
وذلك انما يتصور في حبهم لاندادهم لكونهم منوطا بمبان فاسده وبمبادر موهومة يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا

بعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما اياما فاذا وجدوا اخر رفضوه اليه وقد اكلت
باهلة الهاعام المجاعة وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار احتلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في
الاخرة عند ظهور حقيقته ومعاينة الاهوال كما سياتي بل اعتباره ومحل ما يقتضيه مقام المبالغة في كمال قبح ما ارتكبوه
وغاية عظيم ما اقترفوه وايثار الاظهار موضع الاضمار لتعميم الحب والاشعار بعليته **ولو يرى الذين ظلموا** اي باتخاذ
الانداد ووضعها موضع المعبود **اذ يرون العذاب** المعد لهم يوم القيامة اي لو علموا اذ عاينوه وانما اوثر صيغة
المستقبل جريا لها مجرى الماضي في الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب **ان القوة لله جميعا** ساد مسد
مفعولي يرى **وان الله شديد العذاب** عطف عليه وفايدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص
القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دايرة
البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر او المستمع من الضجر
والتفظيع عليه اي لو علموا اقروا ان العذاب ما حل بهم ولم ينقذهم منه احد من اندادهم القوة لله جميعا ولا دخل في شي
اصلا لوقعوا في الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على ان الخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب ح لرايت الامر لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على
البناء للمفعول وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول **اذ تبرا الذين اتبعوا** بدل من اذ يرون اي اذ تبرا
الروسا **من الذين اتبعوا** من الاتباع باعترافهم ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر
والضلال واعترفوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس اني كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اي تبرا
الاتباع من الروسا والواو في قوله عز وعلا **وراوا العذاب** حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرا والضمير في راوا
للموصولين جميعا **وتقطعت بهم الاسباب** والوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة
الزايغة والاغراض الداعية الى ذلك واصله السبب الاصل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة حين عاينوا
تبرا الروسا منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم في الدنيا **وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة** اي ليت لنا رجعة الى الدنيا
فنتبرا منهم هناك **كما تبرءوا منا** اليوم **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شي اخر مما هو كما سبق فيه من
معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الامور المشاهدة
والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية اي ذلك الاراء الفظيع **يريهم الله**
اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تالم القلب وانحساره عما يوله
واشتقاقها من قولهم بعير حسير اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من روية القلب والا فهي حال والمعنى
ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم **وما هم بخارجين من النار** كلام مستانف لبيان
حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على
قوة امرهم فيما اسند اليهم كما في قوله

هم يفرشون اللبد كل طمرة ** واجرد سباق يبذ المغاليا **

يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي بعض ما فيها من اصناف الماكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث
والانعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم
ما حرموا من الحرث والبحاير والسوايب والوصايل والحام وقوله تعالى **حلالا** حال من الموصول اي كلوه حلالا كونه
حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر موكد اي كلا حلالا ويويد الاولين قوله تعالى
طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المومنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس
ويرده قوله عز وجل **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** اي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة

كيف

كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله
تعالى وانما الذي نزل فيهم ما في سورة المايدة من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية
وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء
كانها على الواو وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو **انه لكم عدو مبين** تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند
ذوي البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت **انما يامركم بالسوء**
والفحشاء استيناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء
في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح وافعال القلوب
لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** عطف على
الفحشاء اي وبان تقولوا على الله تعالى بانه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم
على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه من الله تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه في
القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وايذان بان العاقل يجب عليه ان لا يقول عليه ما
لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه دليل على المنع من
اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه **واذا**
قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم
لصرف الخطاب وتفصيل مساوي احوالهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب
الله الذي انزله **قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا** اي وجدناهم عليه اما على الظرف متعلق بمحذوف وقع
حالا من اباءنا والفينا متعديا الى واحد واما على انه مفعول له ثان مقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع
القران وساير ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من
اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طايفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا واعلم منا فعلى هذا
يعم ما انزل الله تعالى التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله عز وعلا **اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا**
يهتدون استيناف مسوق من جهته تعالى ردا لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان رايهم والهمزة لانكار الواقع
واستقباحه والتعجب منه لا لانكار الوقوع كما في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست
لبيان انتفاء الشي في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي
لتحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم او المنع على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على
الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر ثبوته وانتفاؤه معه بثبوته وانتفائه مع ما عداه من
الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشي متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شي من
ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة
لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر
والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا
تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشي من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل
واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وانما يقصد بيان تحققه على كل حال
هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وانما في خبر لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا على

ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر تقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو ه
نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به فان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحال
المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدايرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد ه
الاشعار بانه امر محقق لا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم ليلا يتسببوا من التصريح
بسنة ابايهم الى كمال الجهالة والضلالة لجلد النعرة كبواهتن العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لا
لابايهم حيث كان مستقبحا عند احتمال كون ابايهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتعدد
اتتبعون ذلك لو لم يكن اباوهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز
النصب على الحالية من ابايهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل اتتبعون دين ابايهم حال كونهم
عاقلين وجاهلين ضالين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من احالتين غير ان الكتفا بذكر
الحالة الثانية تنبيها على انها الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضايها للحالة الاولى اقتضا بينا فان اتباعهم الذي
تعلق به الانكار حين تحقق مع كون ابايهم ضالين فان تحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى فان قلت الانكار المستفاد
من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي لا الى ثبات
الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم المعطي هو عدم الاعطا لا نفسه فكان
ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطا المستفاد
من الفعل المنفي المذكور وما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام
السابق اعني قولهم بل نتبع الى اخره والاستفهام خارج عنه وارد عليه لانكار ما تفيده واستقباح ما تقتضيه
لا انه من تمامه كما في صورة النفي كما سياتي تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية وقيل ولكن ان
المعني مسرود على نمط العطف في ساير اللغات ايضا **ومثل الذين كفروا** جملة ابتدايية واردة لتقرير ما قبلها
بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبله عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع
اليه الضماير السابقة لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القايل
وحالة الحقيقة لغرابتها بان تسمي مثلا وتعتبر في الافاق وفيما ذكر من دعوته اباهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه
راسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الى الدعا من غير
ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقي **كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء** من البهايم فانها لا تسمع الا صوت
الداعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل لما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها
عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم
التدبر فيما القي اليهم من الايات كمثل البهايم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل
اراد تمثيلهم في اتباع ابايهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهايم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل
تمثيلهم في دعايهم الاصنام بالناعق في نعقه وهي تصويته على البهايم وهذا اغني عن الاضمار ولكن لا يساعده
قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما تشابه افراد الطريقين **صم بكم عمي**
بالرفع على الذم اي هم صم الى اخره **فهم لا يعقلون** شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة ه
والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع ايات الله ومشاهدة صحة الواضحة والمفاوضة مع من لو حل عنه العلوم
فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية **يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما
رزقناكم** اي من مستلذاته **واشكروا لله** الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة **ان كنتم اياه تعبدون**

فان

فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبا عظيم
اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري **انما حرم عليكم الميتة** اي اكلها او الانتفاع بها التي ماتت على غير ذكاة
والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او استثنا الشرع خروج الطحال من الدم **والدم ولحم الخنزير** انما خص لحمه
مع ان ساير اجزايه ايضا في حكمه لانه معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزايه بالتبع له **وما اهل به لغير الله** اي رفع
به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله روية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عند هاسمي
ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره **فمن اضطر غير باغ** بالاستيثار على مضطر اخر **ولا عاد** سد الرمق
والجوعة وقيل باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو مذهب الشافعي وقول
احمد رضي الله عنهما **فلا اثم عليه** في تناوله **ان الله غفور** لما فعل **رحيم** بالرخصة ان قيل ان كلمة انما تفيد قصر
الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر فالمراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا وقصر حرمته على حالة الاختيار
لانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشيا ما لم تضطروا اليها **ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب** المشتمل على
فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في
روسا اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم **ويشترون به** اي ياخذون بدله **ثمنا قليلا** عوضا قليلا
وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعارضة وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الموضعين المميزين لهم مما عداهم من اجل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم
حضار مشاهدين على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان لغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدا
خبره قوله تعالى **ما ياكلون في بطونهم الا النار** والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر
ما ياكلون الى اخره ومعنى اكلهم النار انهم ياكلون في الحال ما يتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله كلها قوله

اكلت دما ان لم ارعك بضرة ۞ بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

او ياكلون في المال يوم القيامة عين النار عقوبة على اكلهم الرشي في الدنيا وفي بطونهم متعلق بياكلون وفايدته
التاكيد الاكل تقريره ببيان مقر الماكول وقيل معناه ملا بطونهم كما في قوله اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه
كلوا في بعض بطونكم تعفوا فلا بد من الالتجا الى تعليقه بالصفة وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حذف له
الاستثنا والا فتعليقه بياكلون يودي الى قصر ما ياكلونه مطلقا عليها **ولا يكلمهم الله يوم القيامة** عبارة عن غضبه
العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما ابيح للمومنين من فنون الكرامات السنية والزلفى **ولا يزكيهم** لا يثني عليهم **ولهم** مع
ما ذكر **عذاب اليم** مولم **اولئك** اشارة الى ما اشير اليه بنظيره باعتبار المذكور خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم
الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد به اثباته ههنا فان المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة
تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه ما اخذوه والا فظيعة شعانه ونحو
مبتدا خبره الموصول اي اولئك المشترون لكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل هم
الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا **الضلالة** التي ليس مما يمكن ان يشترى قطعا **بالهدى** الذي ليس من قبيل
ما يبذل بمقابلة شي وان جل **والعذاب** اي اشتروا بالنظر الى الاخرة العذاب لا بنوهم كونه مما يشترى **بالمغفرة**
التي يتنافس فيها المتنافسون **فما اصبرهم على النار** تعجب من حالتهم الهايلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا
قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتدا وتخصيصها كتخصيص ه
شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اي شي ما عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفرا استفهامية وما بعدها خبرها
اي اي شي اصبرهم على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار

امر فظيع عجيب ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق اى ملتبسا به فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب والكتمان وبركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي بان امنوا ببعض كتب الله وكفروا ببعضها او في التوراة بان آمنوا ببعض اياتها وكفروا ببعض كالايات المغيرة المشتملة على امر نعته صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق او الاختلاف في تاويلها او في القران بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم اساطير كما حكي عن المفسرين لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العقاب ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع للراضي والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثر الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق والمغرب مع ان تاخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه بيت المقدس من المدينة المنورة والثاني جانب المغرب فقال لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على البر جر ليس مقدما على اسمها كما في قوله

سلي ان جهلت الناس عني وعنهم	فليس سواء عالم وجهول
اليس عظيما ان تلم ملمة	وليس علينا في الخطوب معول

وانما اختير ذلك ان المصدر المول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي ان البر هذا فيجب ان يكون البر موافقا لدعواهم وما ذلك الا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك بقوله عز وعلا ولكن البر من امن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل الخصال البر ومما لا يختلف وما يختلف باختلافها اي ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشانه ويجد في تحصيله من امن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الاخر اي على ما هو عليه كما يزعمون ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وان اباءهم الانبيا يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي وجه تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المبدا والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وامن بهم ولانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي جنس الكتاب الذي من افراده الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط اهل الكتابين حملة الوحي وبين النبيين واضح وسياتي في قوله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واتى المال على حبه حال من الضمير في اتى والضمير المجرور للمال اي اتاه كائنا على حب المال في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اي اتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض لباذلي الرشا واخذها فتغيير التورية وقيل اي كائنا على حب الايتا ذوي القربى مفعول اول والاتي تقدم عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به اولان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني واليتامى اي المحاويج منهم على ما يدور عليهم الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما ان ايتاهم صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون الى الخلة المسكنة بحيث لاحراك

به او دائم السكون الى الناس وابن السبيل اى المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين الجاتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفي الرقاب اي وضعه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وايا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اوتوا كما في الوجهين الاولين وبعد ثبوته راسا كما في الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم في الاستحقاق والحاجة لما ان في الطرقة المبنية في محلهم لما يوتى واقام الصلاة اى المفروضة منها واتى الزكاة اى المفروضة على ان المراد بما مر من ايتا المال والتنفل بالصدقة قدم على الفريضة مبالغة في الحث عليه والمراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني بوجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من امن فانه في قوة ان يقال ومن وفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفا والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية بين الناس وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص من غير سكه فيما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح او الذم وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المالوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه كما مر في صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين في الباسا اى في الفقر والشدة والضرا اى المرض والزمانة وحين الباس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا للتنبيه على علو طبقتهم وشمول رتبتهم الذين صدقوا اى في الدين واتباع الحق وتحري حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والاية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع العبادة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل الى الثالثة باقامة الصلاة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق ونظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا شروع في بيان الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التي عليها بني اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اى فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح قدرة المولى على العفو فان الايجاب والوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام والقاتلين القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار في هرة ربطتها اي بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كانت في الجاهلية بين حيين من احيا العرب دما وما كان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتبا وا واوليس فيها دلالة على اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رايت الوجه ها هنا وانما يستمسك هو ومالك رضي الله عنهما بما روي عن علي رضي الله عنه لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البنا للفاعل ونصب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله

في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاوليا فهو شي من العفو وقيل معنى
عفي ترك وشي مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفي بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال

، ديار عفاها جور كل معاند ، ، وقوله ،
، عفاه كل حنان ، كثير الوبل هطال ،

ليكون المعنى فمن عفي له من اخيه شي صرف للعبادة المتداولة في الكتاب عن معناها المشهور الى ما ليس بمعهود فيهما وفي
استعمال الناس فان لهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفي تعدى لعن الى الجاني والذنب
قال تعالى عفا الله عنك وقال عفي الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن
جنايته من اخيه اي ولي الدم وامراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني ادم لتحريك سلسلة الرقة
والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع اي فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة الدية
بالمعروف من غير تعسف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان من غير مطالة ومماطلة
وبخس ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده
وحرم عليهم العفو والدية والنصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين
الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا
الحكم او قتل القاتل بعد العفو واخذ الدية فله باعتدائه عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير
حق واما في الاخرة فبالنار ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا يبلانبال غايته حيث جعل
الشي محلا لضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان هذا الجنس نوعا من الحياة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك
لان العلم به مردع القاتل عن القتل فيتسبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد
فيثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل تسلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني
تخصيص قيل المراد بحياتهم هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة والظرفان اما خبران
لحياة او احدهما خبر والاخر صلة له او حال عن المستكن فيه وقرئ في القصص او فيما قص عليكم من حكم القتل وفي القران
حياة للقلوب يا اولي الالباب اي ذوي العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعدما خوطبوا بعنوان
الايمان تنشيطا الى التامل في حكم القصاص لعلكم تتقون اي تتقون انفسكم من المشاهدة في امره والاهمال في
المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المودي اليه كتب عليكم بيان لحكم اخر من
الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ودنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول
لافادة تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه
عنه ان رجلا اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم وقال قال الله ان ترك خيرا وان هذا المال يسير فاتركه لعيالك
وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي
فقالت كم مالك فقال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا
الشي يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا وايثار تذكير الفعل
مع جواز تانيثه للفصل او على تاويل يوصي ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعدما سمعه واذا اظهر خطو العامل
فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه تعالى بل من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ
عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدا خبره فللوالدين
والجملة جواب الشرط باضمار الفا كما في قوله ، من يفعل الحسنات الله يشكرها ، ورد بانه ان صح فمن ضرورة

الشعر

الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول اية المواريث لقوله عليه السلام ان الله
اعطى كل ذي حق حقه الا وصية لوارث فانه من اخبار الاحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر
في صلاحيته للنسخ عند استنادنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي اية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان
الله تعالى كان قد كتب عليكم ان تودوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين المراتب استحقاقهم
ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى رايكم حيث قال بالمعروف اي بالعدل فالان قد رفع ذلك الحكم عنكم لتبيين
وتولى لطبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات اعطى كل ذي حق حقه الذي يستحق بحكم
القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرايكم اصلا حسبما يعرب عليه الجملة المنفية بلا النافية
للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه اذا تحقق هذا ظهر لك ان ما قيل من ان اية المواريث لا تعارضه بل تحققه من حيث
انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة اياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من
فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل بمعزل من التحقيق كذا ما قيل من ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الاية من غير
تعيين لانصبائهم فلما نزلت اية المواريث بيانا للانصباء فهم بتنبيه النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية
التي كانت واجبة بهذه الاية كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام
الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على دفع ذلك الحكم فان مدلول اية الوصية حيث كان تفويضا للامر الى
اراء المكلفين وتسيير الخروج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه اراؤهم بالمعروف فكون اية المواريث الناطقة بمراتب
الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة
لحكمها مما لا تشتبه على احد وقوله تعالى حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله اي غيره من الاوصياء
والشهود بعد ما سمعه اي بعدما وصل اليه وتحقق لديه فانما اثمه اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه
لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى من للتاكيد والايذان بعلية ما في حيز
الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا او كثرتهم افرادا او الايذان لشمول الاثم لجميع الافراد ان الله
سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرئ من موص جنفا اي ميلا
بالخطا في الوصية او اثما اي تعمدا للجنف فاصلح بينهم اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة فلا اثم عليه
اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المطابقة ذكر الاثم
وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم اخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار
مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما
فلن اكلم اليوم انسيا وقيل هو الامساك عن الشي مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو وقال

، خيل صيام وخيل غير صائمة ، تحت العجاج واخرى تعلك اللجما ،

وفي الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب في حيز النصب
على انه نعت لمصدر مؤكد اي كتبا كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب في
احد الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او
على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن ادم عليه السلام وفيه
تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل
الوجوب واما في الوقت والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركت وصامت
يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا

خراشديدا فاجتمعوا الرأي علماؤهم على تعيين فصل واحد بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيه موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين **لعلكم تتقون** اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال بادائه لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى **اياما معدودات** موقتا وتعدادا معلوما او قلايل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشورا وثلاثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر دل عليه اعني صوموا اما على الظرفية او على المفعول اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية المتفرعة عليها اتساعا **فمن كان منكم مريضا** اي مرضا مضرا للصوم او يعسر معه **او على سفر** مستمرين عليه وفيه تلويح ورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر **فعدة** اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر **من ايام اخر** اي فحذف الشرط ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه **وعلى الذين يطيقونه** اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا **فدية** اي اعطاء فدية وهي **طعام مسكين** وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين فاشتد ذلك عليهم فرخص لهم في الافطار ويطيقونه وتطيقونه بمعنى فيطيقونه من فيعل له وتفعيل من الطوق فادغمت الواو في الياء في الواو وبعد قلبها يا لقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيها وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه على جهل وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقون اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم **فمن تطوع خيرا** فزاد في الفدية **فهو** اي التطوع او الخير الذي تطوعه **خير له وان تصوموا** ايها المطيقون والمطوعون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم والمرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين **خير لكم** من الفدية او من تطوع الخير او منها او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للحث والتنشيط **ان كنتم تعلمون** اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم او التدبير علمتم ان الصوم خير من ذلك **شهر رمضان** مبتدأ سياتي خبره او خبر لمبتدأ محذوف اي ذلك شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول لصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اي احترق من الرمض فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سمي بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب من الصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة **الذي انزل فيه القران** للمبتدا على الوجه الاول وصفه لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشية الربانية او انزل في شانه القران وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والفرقان لاربع وعشرين **هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** حالان من القران اي انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وايات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام **فمن شهد منكم الشهر** اي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع المضمر للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء لتفريع الترتيب او لتضمين المبتدا معنى الشرط او جائزة او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ او الموصول صفة له وهذه الجملة خبره وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام

في

في ذلك الشهر فمن حضر فيه **فليصمه** اي فليصم فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقوله شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ما بعدها مخصصا له قيل **ومن كان مريضا** وان كان حاضرا فيه **او على سفر** وان كان صحيحا **فعدة من ايام اخر** اي فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** لغاية رافته وسعة رحمته **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اي ولهذه الامور شرع ما مر من امر الشاهد بصوم الشهر او امر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة لما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة للترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان تكون معطوفة على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الى اخره ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الهلال وما يحتمل المصدرية والموصولة او على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ لتكملوا بالتشديد **واذا سالك عبادي عني** في تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ورفعة **فاني قريب** اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت **اجيب دعوة الداع اذا دعان** تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة **فليستجيبوا لي** اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم **وليؤمنوا بي** امر بالثبات على ما هم عليه **لعلهم يرشدون** راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير عقبه بهذه الاية الكريمة الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم عالم باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال **احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم** روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى به وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على الصيام مقام الفاعل لما مر مرارا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر بقيت النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** استيناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة وجعل كل من الرجل والمراة لباسا للاخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الاخر بالليل قال

إذا ما الضجيع ثنى عطفها ⁂ تثنت وكانت عليه لباسا

اي لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور **علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم** استيناف اخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب في تنقيص حظها من الثواب **فتاب عليكم** عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه **وعفا عنكم** اي محا اثره **فالان** لما نسخ التحريم **باشروهن** المباشرة الزاق البشرة كني بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة **وابتغوا ما كتب الله لكم** اي واطلبوا ما قدره الله لكم وقرره في اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي

ان يكون غرضه الولد وانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضا الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير
المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود**
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان
الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه ولذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز
ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض
واسود ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت
الحاجة جائز واكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويزه المباشرة الى الصبح دلالة
على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا **ثم اتموا الصيام الى الليل** بيان لاخر وقته **ولا تباشروهن وانتم**
عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطي فيه حرام
ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد **تلك حدود الله** اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده
فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها وهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله
عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تعالى محارمه
ومناهيه **كذلك** اي مثل ذلك التبيين **يبين الله اياته** الدالة على الاحكام التي شرعها **للناس لعلهم يتقون**
مخالفة امره ونواهيه **ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل** نهي عن اكل بعض الاموال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله
تعالى وبين نصب على الظرفية والحالية من اموالكم **وتدلوا بها الى الحكام** عطف على المنهي عنه او نصب باضمار
ان والادلاء الالقاء ولا تلقوا حكومتها الى الحكام **لتاكلوا** بالتحاكم اليهم **فريقا من اموال الناس بالاثم** بما يوجب
اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم **وانتم تعلمون** انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع
العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي بقطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
الاية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا
بشر مثلكم انتم تختصمون الي ولعل احدكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق
اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل
كل واحد منكما صاحبه **يسالونك عن الاهلة** سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو
دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا **قل هي مواقيت للناس والحج** كانوا قد سألوه
عليه السلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله تعالى العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة
في ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وكذا معاملاتهم بحسب ما يتفقون
عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة
الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه
وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل **ولكن البر من اتقى**
اي بر من اتقى المحارم والشهوات اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين وانه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقيبه
ما هو من افعالهم في الحج استطرادا او انهم سألوا عنها لا بعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث

لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوا عنه
تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال وكونهم
من قبيل دخولهم البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ولم يجتر على مثله
واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول برا وباشروا الامور من وجوهها **واتقوا الله** اي لكي تظفروا بالبر والهدى
وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشان
المقدم **الذين يقاتلونكم** قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين
يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء والكرم جميعا فان الكل
بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على
ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم
في الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام الحج **ولا تعتدوا** بابتداء القتال او بقتال المعاهد
والمفاجاة به من غير دعوة او بالمثلة وقيل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم **ان الله لا يحب المعتدين**
اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** اي حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف الحذق في
ادراك الشيء علما او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فاما تثقفوني فاقتلوني ۞ فمن اثقف فليس الى خلود

واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها **والفتنة اشد من القتل** اي المحنة
التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء تالم النفس بها وقيل شركهم في الحرم
وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام** اي لا تفاتحوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا
حرمة المسجد الحرام **حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم** ثمة **فاقتلوهم** فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته
فاستحقوا اشد العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقوله قتلنا بنو اسد **كذلك جزاء الكافرين** يفعل
بهم مثل ما فعلوا بغيرهم **فان انتهوا** عن القتال والكفر بعد ما رأوا قتالكم **فان الله غفور رحيم** يغفر لهم ما قد سلف **وقاتلوهم**
حتى لا تكون فتنة اي شرك **ويكون الدين لله** خالصا ليس للشيطان فيه نصيب **فان انتهوا** بعد ما قاتلتكم عن الشرك
فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء
بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وعلا فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وانكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس
الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء **الشهر الحرام بالشهر الحرام** قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي
القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر بذلك الشهر الحرام
وهتكه بهتكه فلا تبالوا به **والحرمات قصاص** اي كل حرمة وهي ما تحت المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا
حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله فادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى **فمن اعتدى عليكم**
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهي فذلكة مقررة لما قبلها **واتقوا الله** في شان الانتصار واحذروا ان تعتدوا
الى ما لم يرخص لكم **واعلموا ان الله مع المتقين** فيحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين **وانفقوا في سبيل الله** امر بالجهاد
بالمال بعد الامر به بالنفس **ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة** اي لا تمسكوا كل الامساك بالاسراف وتضييع وجه المعاش او
بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهلنا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال

فانه يودي الى الهلاك المويد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وتعديه
بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالنصرة والتسرع وهي الهلكة والهلاك
واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم اي لا تلقوا بايديكم انفسكم المفعول
واحسنوا اي اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم الخير وقوله تعالى واتموا
الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم
من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا
الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل الاية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا يستلزمه له اصلا فليس فيه دليل على
وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما امر باتيانهما تامين كاملين حسبما يقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر
للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة ان ليس المبتان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور
ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لهما في
انفسهما فالمعنى اكملوا شرائطهما واركانهما وافعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشيء منها هذا وقد
قيل اتمامهما ان تحولوهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلوهما للعبادة
ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض في الاية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج
والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا بمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن
جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة
تطوع فتدبر فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي لوجهه مثل صده واصده
والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رضي الله عنهما بقوله تعالى فاذا امنتم والنزول في الحديبية وبقول ابن عباس
رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رضي الله عنه لما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب ما استيسر من الهدي
او فاهدوا ما تيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث
احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى
ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب
ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله ذبحه حيث حل لا كان او حراما ومرجعهم في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل
بالكسر يطلق على الزمان والمكان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ الهدي كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا
مرضا محوجا الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان
لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله
قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق صاع فاذا امنتم اي الاحصار وكنتم
في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره
وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه

دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية
فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال باعماله بعد
الاحرام الى ان يحرم بالحج وقيل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق
وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا
على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين
وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب والمراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة
كما يريدها ذلك ايضا كاملة صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة لكمال العشرة فانها
اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى التمتع عندنا والى
الحكم المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن
كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاووس وغير اهل مكة عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه
لا سيما في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتربية المهابة وادخال الروعة الحج اي وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة
عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله
ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وان صح الاحرام به قبل شوال
فقد استكرهه وانما سمي شهرا وبعض شهر اقامة للبعض مقام الكل واطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر
في غير العقلاء بالالف والتاء فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث
ولا فسوق الاجماع اي فلا فحش ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا
جدال اي لا مراء مع الخدم والرفقة في الحج اي في ايام الحج والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار
بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في
النهي والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج اقبح كلبس الحرير
في الصلاة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان على معنى لا
يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف
بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزي به خير جزاء وهو حث
على فعل الخير اثر النهي عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت
في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام
في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم
على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرأوا من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن
شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا
من ربكم عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام
مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا
صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون
وكسر وفيه علمية وتانيث لما ان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب
التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث وانما هي

مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث اوبتا مقدره كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكوره وهي تاى تقديرها لما انها
كالبدل منها لاختصاصها بالمونث كتا بنت وانما سمي الموقف عرفه لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه اولان
جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت اولان ادم وحوا التقيا فيه فتعارفا اولان الناس يتعارفون
وهي من الاسما المرتجله الا من يحملها جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لاتكون الابعده وهي
مامور بها لقوله تعالى ثم افيضوا اوقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفه فمن ادرك عرفه فقد ادرك الحج ومقدمة للذكر
الماموربه وقيل نظر ان الذكر غير واجب والامر به غير مطلق **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل والدعا وقيل بصلاة العشا
عند المشعر الحرام وهو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل بين مازمي عرفه ووادي المحسر ويويده الاول ما روى
جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفه بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل
واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصفه بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مايليه ويقرب منه فانه
افضل والا فالمزدلفه كلها موقف الاوادي محسر **واذكروه كما هداكم** اي كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية
الى المناسك اوغيرها وما مصدريه اوكافه **وان كنتم من قبله** من قبل ما ذكر من هدايته اياكم **لمن الضالين** عن العالمين ۵
بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقه وقيل هي نافيه واللام بمعنى الا كما في قوله عز وعلا وان نظنك لمن
الكاذبين **ثم افيضوا من حيث افاض الناس** اي من عرفه لا من المزدلفه والخطاب لقريش لما كانوا يقفون ويسائر
الناس بعرفه ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى
الله ثم لاتحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفه شرع قدم فلا تغيروه **واستغفروا الله** من
جاهليتكم في تغيير المناسك **ان الله غفور رحيم** يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار والامر به
فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقه بالحج وفرغتم منها **فاذكروا الله كذكركم اباءكم** اي فاذكروه واذكروه تعالى
وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر اباءكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد
والجبل فيذكرون مفاخر اباءهم ومحاسن ايامهم **او اشد ذكرا** اما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز والمعنى
فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او
منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى واذكروا ذكرا اشد مذكورية من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى اوكونوا
اشد ذكرا لله منكم لاباءكم **فمن الناس** تفصيل للذاكرين الى من لايطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين
والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الاخرين **من يقول** اي في ذكره **ربنا اتنا في الدنيا** اي اجعل ايتاءنا في
الدنيا ومحنتنا في الدنيا خاصة **وماله في الاخرة من خلاق** اي من حظ لاقتصار همه على الدنيا فهو بيان لحاله في الاخرة
اومن طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا لتاكيد المقصود عاية عن المطالب الدنيويه **ومنهم من يقول ربنا اتنا في
الدنيا حسنه وفي الاخرة حسنه** هي الثواب والرحمة **وقنا عذاب النار** بالعفو والمغفرة وروي عن علي كرم الله
وجهه ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحور وعذاب النار امراة السوء وعن الحسن ان الحسنة في
الدنيا العلم والعباده وفي الاخرة الجنه وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب الدنيوية الى النار
اولئك اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة
الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى **لهم نصيب مما كسبوا** على الاول للتفخيم
وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا وما دعوا به نعطيهم
منه ما قدرناه وتسمية الدعا كسبا لما انه من الاعمال **والله سريع الحساب** يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في
مقدار لمحة واحدة وامر الاخلال بطاعة الله من هذا اشار الله بوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى

الطاعات واكتساب الحسنات **واذكروا الله** اي كبروه في اعقاب الصلاة وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها
في ايام معدودات هي ايام التشريق **فمن تعجل** اي استعجل في النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين
ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه واستعجله والاول اوفق للتاخر كما في قوله

قد يدرك المتاني بعض حاجته ۞ وقد يكون من المستعجل الزلل ۞

في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار **فلا اثم
عليه** بتعجله **ومن تاخر** في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند الشافعي بعده فقط **فلا اثم عليه**
بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح افضلية الثاني وانما ورد بلفظ نفي الاثم تصريحا
بالرد على الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للتعجل ومؤثم للمتاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر **لمن
اتقى** خبر مبتدا محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل ومن الاحكام لمن اتقى لانه المحتاج على الحقيقه
والمنتفع به اوباجله حتى لايتضرر بترك ما يهمه منها **واتقوا الله** في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات
ليعبا بكم وتنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكوره والرخص اواحذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو
الانسب بقوله عز وجل **واعلموا انكم اليه تحشرون** اي الجزاء على اعمالكم بعد الاحيا واصل الحشر الجمع وضم المفرق
وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزا كان ذلك من اقوى الدواعي
الى ملازمة التقوى **ومن الناس من يعجبك قوله** تحرير للخطاب وتوجيه له عليه السلام وهو كلام مبتدا سيق لبيان
تحزب الناس في شان التقوى الى حزبين وتعيين ما لكل منهما ومن موصوله او موصوفه واعرابه كما بين في قوله تعالى
ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر ومنهم من يروق كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من
ملامح التحري ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور لسبب ما يتعجب منه **في الحياة الدنيا**
متعلق بقوله اي بما يقوله في حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول
صلى الله عليه وسلم وفيه اشعار الى ان له قولا اخر ليس هذه الصفه ويعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوته
وفصاحته لافي الاخرة لما انه ليظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسه واللكنه فانت خبير بانه لامبالغه
في سوء حاله فان حاله بيان حسن كلامه في الدنيا **ويشهد الله على ما في قلبه** اي بحسب ادعايه حيث يقول الله يعلم
ما في قلبي موافق لما سابي وهو عطف على يعجبك وقرى ويشهد الله والمراد بما في قلبه قوله ما فيه حقيقته ويويده قراة
ابن عباس رضي الله عنهما والله يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على لكن المشهود به نصراله والجملة اعتراضية وقرى ۵
ويستشهد الله **وهو الد الخصام** اي شديد العداوه والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه
بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او اشده الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب وقيل نزلت في الاخنس
ابن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبه وقيل
في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرد في قوله او المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراتين على المتوسطين
واذا تولى من مجلسك وقيل اذا صار واليا **سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل** كما فعله الاخنس ۵
بثقيف حيث قتل منهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى
يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرى ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا
على سعى وقرى بفتح اللام وهي لغة فيه وقرى على البنا للمفعول من الاهلاك **والله لا يحب الفساد** اي لا يرتضيه
ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلي **واذا قيل له** على نهج العظة والنصيحة **اتق الله** واترك
ما تباشره من الفساد والنفاق واحذر سوء مغبته **اخذته العزة بالاثم** اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على

الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه **فحسبه جهنم** مبتدا وخبر
اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده على الفا الرابطة
على الجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم **ولبئس المهاد** جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف
لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطا للجنب والجملة اعتراض **ومن الناس من يشري نفسه** مبتدا وخبر كما مر اي
يبيعها ويبذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب على
القتل **ابتغاء مرضات الله** اي طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده قسيما للاول من حيث ان ذلك يانف من الامر
بالتقوى وهذا يامر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد
فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وخذوا مالي فقبلوا منه فاتى المدينة ليشري
ح بمعنى يشتري بجريان الحال صورة الشري **والله رءوف بالعباد** ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة
اعتراض تذييلي **يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم** اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرى بفتح السين وهي
لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى **كافة** حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله

خرجت بها تمشي تجر وراها ✿ على اثرنا ذيل مرط مرحل ✿

وهي في الاصل جماعة تكف مخالفيها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتانيث حتى يحتاج الى حمل السلم
مونثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله عليه السلام تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك
من انفاسها جرع وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى فاطيعوه جملة ظاهرا وباطنا
والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمومني اهل الكتاب فانهم كانوا
يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرايع الله تعالى كلها بالايمان بالانبيا والكتب جميعا والخطاب
لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام
واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان
الا بما كلفوه الان ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** بالتفرق والتفريق ومخالفة
ما امرتم به **انه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة ومظهرها وهو تعليل للنهي او الانتها **فان زللتم** اي عن الدخول في
السلم وقرى بكسر اللام وهي لغة فيه **من بعد ما جاءتكم البينات** اي الايات الواضحة والحجج القطعية الدالة
على حقيته الموجبة للدخول فيه **فاعلموا ان الله عزيز** غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم **حكيم** لا يترك ما يقتضيه
الحكمة من مواخذة المجرمين المستعصين على اوامره **هل ينظرون** استفهام انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون
بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتها عما نهوا عنه **الا ان ياتيهم الله** اي امره وباسه
اي ياتيهم الله بامره وباسه فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم
موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم اهل الانصاف على طريقة المباثة وايراد الانتظار للاشعار
بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها **في ظلل** جمع ظلة كقلل
جمع قلة وهي ما اظلك وقرى في ظلال كقلال في جمع قلة **من الغمام** اي السحاب الابيض وانما اتاهم العذاب
فيه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب يرجى منه
الخير **والملائكة** عطف على الاسم الجليل اي وياتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الآتون بباسه على
الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الاتي اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة
وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتبار وقرى بالجر عطفا على ظلل والغمام **وقضي الامر**

اي

اي اتى امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على
تحققه فكانه قد كان او جملة مستانفة جي بها انباء عن وقوع مضمونها وقرى وقضاء الامر عطفا على الملائكة **والى** لا الى
غيره **الله ترجع الامور** بالتانيث على البنا من الرجع وقرى على البنا للمفعول من الرجع وقرى بالتذكير وعلى البنا للفاعل
بالتانيث من الرجع **سل بني اسرائيل** الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الكتاب والمراد بالسؤال
تبكيتهم وتقريعهم وتقرير لمجي البينات **كم آتيناهم من آية بينة** معجزة ظاهرة على ايدي الانبيا عليهم السلام واية ناطقة
بحقية الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتدا
على حذف العائد من الخبر واية مميزها **ومن يبدل نعمة الله** التي هي اياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم
وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتاويلها الزايغ **من بعد ما جاءته** وصلت اليه وتمكن من
معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجي للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها جميعا كما في قوله
عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة
الى التصريح به لظهوره **فان الله شديد العقاب** تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه
شديد العقاب واظهار اسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة **زين للذين كفروا الحياة الدنيا** اي حسنت في
اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مسند
الى الله سبحانه كما ينبي عنه القراءة على البنا للفاعل ما من شي الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا
من الامور البهية والاشيا الشهية مزين بالعرض **ويسخرون من الذين آمنوا** عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقرا المومنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يستهزءون ويسخرون بهم على رفضهم
الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدية منهم **والذين اتقوا** هم الذين آمنوا بعينهم
وما ذكروا بالعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتقلبهم في جنات القدس شاغلة
عنه **فوقهم يوم القيامة** لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين ولانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل
والمهانة ولانهم يتطاولون عليهم في الاخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار
الاسمية للدلالة على دوام مضمونها **والله يرزق من يشاء** في الدارين **بغير حساب** بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا
تارة وابتلاء اخرى **كان الناس امة واحدة** متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او
نوح عليهم السلام او بعد الطوفان **فبعث الله النبيين** اي فاختلفوا فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود وقد حذف
تعويلا على ما يذكر عقيبه **مبشرين ومنذرين** عن كعب الذي علمته من عدد الانبيا عليهم السلام مائة واربعة وعشرون
الفا والمرسلون منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القران ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة
على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول
هو الانسب بالنظم **وانزل معهم الكتاب** اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب خاص به لا مع كل واحد
منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير
العايد اليه بمعونة المقام **بالحق** حال من الكتاب او مع كل اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وجل وبالحق
انزلناه وبالحق نزل **ليحكم** اي الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين **بين الناس** اي المذكورين والاظهار
في موقع الاضمار لزيادة التعيين **فيما اختلفوا فيه** اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم **وما اختلف فيه** اي
في الحق والكتاب المنزل لملتبس به والواو حالية **الا الذين اوتوه** اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة
الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتا للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فانهم

الانزال لا تعيد تلك الفايدة اي عكسوها الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه
من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا وما اختلف
فيه الي اخره وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت
من اي اختلفوا ايضا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلفوا
فيه من اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره ثانيا لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصول الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن معه من المومنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم
اثر بيان اختلاف الامم على الانبيا عليهم السلام وقد بين مال اختلافهم وحال الانبيا ومن معهم من قبلهم من مكابدة
الشدايد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيها للايجاب والاستبعاد اي بل احسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبيا ومن معهم من المومنين اي والحال انه لم ياتكم مثلهم بعد
ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الصايلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استيناف وقع
جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة من الخوف والفاقة والضراء
اي الالام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والاحوال حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون
الله تعالى واوثقهم بنصره والمومنون المقتدون باثاره والمهتدون والمستضيئون بانواره متى اي متى ياتي نصر
الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والمعنى وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما
ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار عيل
صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والصحيح على ان الامر بلغ الى الغاية لا يسطح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير
القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة
لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتاكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد
بالنصر لما انها في حكم انجاز الوعد للرسول صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه
للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية الى النبي
الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتيسر الا برفض اللذات ومكابدة
المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسالونك ماذا ينفقون اي
من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف العايد اليها اي ما انفقتموه من خير
اي خير كان وفيه تجويز الانفاق من جميع الاموال وبيان لما في السوال الا انه جعل من جملة ما في حيز الشرط والصلة
وابرز في معرض البيان المنصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة
لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ وله مال
عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضع فنزلت واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن
السبيل ولم يتعرض للسايلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى
وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض
الزكاة لينسخ كما نقل عن السدي كتب عليكم القتال ببناء الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ ببنائه
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم

حالية

حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة اي بمعنى المفعول كالخبز
بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف وعلى انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه
لشدة كراهته لهم ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي
من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر منه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لها من الاعراب
والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يامركم به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير
وشر لكم وانتم لا تعلمونها فلا تتبعوا في ذلك ارائكم وامتثلوا بامره تعالى يسالونك عن الشهر الحرام روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصدوا
عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة
الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر
الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم
ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن
عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسالك الكفار او المسلمون
عن القتال في الشهر الحرام على ان قتال الله عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سوالهم كان عن
مطلق القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم
وقرئ قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدا وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدا
مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كاين فيه واما بالعمل ان
تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع اي قتال كان عن
عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام وما نسخت
واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا قد تخصص
بالعمل فيما بعده اي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله اي وكفر
بالله تعالى وحيث كان صد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف
عليه قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير
المضاف اي وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون منه اي من المسجد
الحرام وهو عطف على كفر به اكبر عند الله خبر للاشيا المعدودة اي كباير السايلين اكبر عند الله مما عنوا بالسوال
وهو ما فعلته السرية خطا وبناء على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث والفتنة اي ما
ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل من قتل الحضرمي ولا يزالون
يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم
الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير تأكد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة
الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم عليه كانه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد اي
ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر ان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب للرجوع الى الاسلام
بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما
فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اولئك المصرون على الارتداد

الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة التى كانوا عملوها فى حالة الاسلام حبوطا لا تلافى له قطعا فى الدنيا
والاخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح
اصحاب النار ملابسوها او ملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت فى اصحاب
السرية لما ظن بهم انهم سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول مع ان
المراد بهما واحد لتفخيم شان الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء اولئك المنعوتون يرجون بما لهم
من مبادى الفوز رحمة الله اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما
هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان فى فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ فى مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل
لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها يسألونك عن الخمر والميسر تواردت فى شان الخمر اربع
ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان
عمر رضى الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل
فنزلت فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا قل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية فقل من يشربها ثم
دعا عتبان بن مالك بن وقاص من الصحابة فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد شعرا فيه هجاء الانصار فضرب
انصارى بلحى بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا
فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا يا رب وعن على رضى الله عنه
لو وقعت قطرة منها فى بئر فبنيت فى مكانها منارة لم اذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم ارعه
وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو ادخلت اصبعى فيها لم تتبعنى وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان الله عليهم اجمعين
والخمر مصدر خمره اى ستره سمى به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كما
نفس السبر كما سميت سكرا لانها تسكرهما والميسر مصدر ميمى من اليسر كالموعد يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما
من اليسر لان اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هى الازلام
والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب
معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة هى المنيح والسفيح والوغد للفذ
سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها فى الربابة
وهى خريطة ويضعونها على يدى عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات
الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك
الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفى حكمه جميع
انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين
فانهما ميسر العجم وعن على كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر
والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما فى تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اى فى تعاطيهما ذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التى
هى قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان
وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفى تقديم اسمه ووصفه بالكبر وتاخير ذكر منافعه مع
تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اى المفاسد
المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون عطف على

سبعة

يسألونك

يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اى اى شئ ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سال اولا عن اى
جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سال ثانيا عن اى اصنافها ينفق من خيارها ام
غيرها او سال عن مقدار ما ينفق فقيل قل العفو بالنصب اى ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما
استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اى الذى ينفقونه العفو قال الواحدى اصل العفو فى اللغة الزيادة وقال
العفو تسهيل وتيسير مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدى وكانت الصحابة رضى الله عنهم يكتسبون
ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها فى
بعض الغنائم فقال خذها منى صدقة فاعرض فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها
فحذفها حذفا لو اصابته لشجته ثم قال يأتى احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
على ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه فى الفضل
مع تمييزه وانتظامه بسبب ذلك فى سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة وافراد حرف الخطاب
مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف
اى مثل ذلك البيان الواضح الذى هو عبارة عما مضى فى اجوبة الاسئلة المارة كما مر يبين الله لكم الايات الدالة على الاحكام
الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الايات
تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا انه تعالى بينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة لعلكم تتفكرون لكى تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما فى تضاعيفها وقوله تعالى فى الدنيا
والاخرة متعلق اما بتبين اى يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والاخرة واما بمحذوف وقع حالا من الايات اى يبينها لكم كائنة
فيها اى مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل المزيد بالاعتناء بشان التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون
اى تتفكرون فى الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة فى الاحكام الواردة فى اجوبة الاسئلة المارة فتختارون منها ما يصلح
لكم فيها وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام الجوابية ويجوز التعميم لجميع الامور
المتعلقة بالدنيا والاخرة فذلك جمع اشارة الى جميع البيانات كلا او بعضا لا الى مصدر ما بعده فانه فعل
مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات والمراد بالايات والدلائل لعلكم تتفكرون فى اموركم المتعلقة فى الدنيا
والاخرة وتاخذون بما يصلح لكم وينفعكم وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الايات المبينة ويسألونك عن
اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روى انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية تحامى الناس عن مخالطة
اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اى التعرض لاحوالهم
واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم اى فهم
اخوانكم اى فى الدين الذى هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح
والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد
ومن لتضمينه معنى التمييز اى يعلم من يفسد فى امورهم عند المخالطة او من يقصد بمخالطة الخيانة والافساد
مميزا له ممن يصلح فيها اذ القصد الاصلاح كلا منهما يعمله فيجازيه وعد ووعيد خلا ان فى تقديم المفسد مزيد
تاكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اى لو شاء اعناتكم اى تكليفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم
مداخلتهم ان الله عزيز غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التى من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية
وقوله عز وجل حكيم فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما
يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات اى لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اى لا تزوجوهن

من المسلمين **حتى يؤمن** فالمراد بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليقين الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فالاية منسوخة لقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهو ثابتة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت **ولامة مؤمنة** تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التاكيد مبالغة في الحمل على الارتداع واصل امة اموة حذف لامها على غير قياس وعوض منه تاء التانيث ودليل كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي

اما الاماء فلا يدعونني ولدا ... اذا تنازع ابن الامام بالعار

وظهورها في المصدر يقال هي امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدا لما فيها من لام الابتداء والوصف اي ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر **خير** بحسب الدين والدنيا **من مشركة** اي امراة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان **ولو اعجبتكم** قد مر ان كلمة لو في امثال هذا الموقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه ولا لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر مع ذلك شيء من سائر الاحوال المغايرة ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المآل ولامة مؤمنة خير من مشركة حال عدم اعجابها اياكم وحال اعجابها وليس المراد بهما لغير ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية بناء على انها حيث تحققت معه فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان تكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها **ولا تنكحوا المشركين** من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء **حتى يؤمنوا** ويتركوا ما هم عليه من الكفر **ولعبد مؤمن** مع ما به من ذل المملوكية **خير من مشرك** مع ما له من عز المالكية **ولو اعجبكم** بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته **اولئك** استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين المذكورين من المشركين والمشركات **يدعون** من يقارنهم ويعاشرهم **الى النار** اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومكارمتهم **والله يدعوا** بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم **الى الجنة والمغفرة** اي الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء **باذنه** متعلق بيدعوا اي يدعوا ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنتهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة **ويبين اياته** المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة **للناس لعلهم يتذكرون** اي لكي يتذكروا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والمغفرة ان هذا وقد قيل معنى والله يدعوا اولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر اعني قوله ويبين الله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعوا باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصولة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان لا يستدعي التفكيك لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين

المتقاطعتين

المتقاطعتين الواقعتين خبرا للمبتدأ يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه اولا وايراد التذكر هاهنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التذكر كما في الاحكام السابقة **ويسالونك عن المحيض** عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجيء والمبيت روي ان الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فنزلت **قل هو اذى** اي شيء يستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له **فاعتزلوا النساء في المحيض** اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة المحيض قد اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهن قال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال وامر المسلمون **ولا تقربوهن حتى يطهرن** تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رضي الله عنه فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او مضي وقت صلاة وعند الشافعي ان يغتسلن بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد ويعضده قوله عز وجل **فاذا تطهرن** فان التطهر هو الاغتسال **فاتوهن من حيث امركم الله** من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل **ان الله يحب التوابين** مما عسى يندر منهم من ارتكاب الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر المتطهرين من سائر الذنوب **ويحب المتطهرين** المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر **نساؤكم حرث لكم** اي مواضع حرث لكم شبهن بها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه **فاتوا حرثكم** لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله **انى شئتم** من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امراته في قبلها من دبرها ياتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **وقدموا لانفسكم** اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة **واتقوا الله** بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور **واعلموا انكم ملاقوه** فتزودوا ما تنتفعون به واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به **وبشر المؤمنين** الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بالقبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى **ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم** قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله

فلا تجعلوني عرضة للوائم

فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله حاجزا للامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها بها كما في قوله عليه السلام لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى **ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا

الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى
عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة بحرها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها ويجوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق
ان تبروا الخ او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه يودي الى الفصل بين العامل ومعموله وعلى الوجه الثاني
لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بابشع المذام
وذلك وجعل الحلاف مقدمها وان تبروا اجنبي علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على
الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع
يسمع ايمانكم عليم يعلم نياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن
درجة الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو
المعنى بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلفه
عليه ثم ظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من
غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه
صادق فيه ولكن يؤاخذكم يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني
لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ويلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان
فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة
المعاقبة لا لايجاب الكفارة اذ هي التي يتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه
ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمنه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من
نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا او قرئ آلوا من نسائهم ويحتمل ان يراد بهم من نسائهم وقرئ يقسمون
من نسائهم والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على
الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه ان فاء لها فالمدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر
ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز واذا مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف
اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاءوا اي رجعوا عن
اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم البث الا
ريثما اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي كتوبته اثم حنث عند تكفير او ما قصد بالايلاء من ضرار
المراة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع لما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة
التي لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اي
ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر
او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرءان او شهران يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بان
المامور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكانهن امتثلن بالامر بالتربص فيخبر به موجودا محققا وبناؤه
على المبتدا مفيد لزيادة تاكيد بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل تشق عليها من التربص
وفيه زيد حث لهن على ذلك لما فيه من الاباء عن الانقياد ما يستنكف عنه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال
فيحملهن ذلك على الاتيان بما امرن به ثلاثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف اي تربص مدة
ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق
الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض فعدتهن ثلاثة اشهر ولان المقصود الاصلي

من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلاث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان
ايراد كل من الجمعين مكان الاخر شائع ذائع وقرئ وقرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض
والولد استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله
واليوم الاخر جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة واضحة فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى
واليوم الاخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد
المالك والتاء لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة او مصدر نعت به بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين
طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد احق بردهن اي بملكهن بالرجعة
اليهن في ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمراة تاباها وجب
ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن احسانا
اليهن ولم يريدوا اضرارهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل التحريض عليه والزجر عن قصد
الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها
وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او
درجة في الفضل لما انهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون
بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم ينطوي شرائعه على الحكم
والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق اقرب حكما ولما روي
انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد
الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين انفا مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم
عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما امساك
لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه
صلى الله عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي بالمرتين مطلق التكرير
لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد
تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلاث فانه بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الى اخره
حكم مبتدا وتاخير مستانف والفاء للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين
ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما اتيتموهن اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها
في الحكم اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا ما اتوهن بمقابلة البضع عند خروجه
عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا ما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم
الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند المرافعة وقيل
مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ
يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول
وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما اي الزوجان
حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما
افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شي والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخبا فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها **تلك** اي الاحكام المذكورة **حدود الله فلا تعتدوها** بالمخالفة والرفض **ومن يتعد حدود الله فاولئك** المعتدون والجمع باعتبار معنى الموصول **هم الظالمون** اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد **فان طلقها** اي بعد الطلقتين السابقتين **فلا تحل له من بعد** اي من بعد هذا الطلاق **حتى تنكح زوجا غيره** اي حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ومثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطي والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا او الرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا وروي عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثر لقوله تعالى صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له **فان طلقها** اي الزوج الثاني **فلا جناح عليهما** اي على الزوج الاول والمراة **ان يتراجعا** اي يرجع كل منهما الى الاخر بالعقد **ان ظنا ان يقيما حدود الله** التي اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم وكذلك لا يكاد يقال قد علمت ان يقوم زيد **وتلك** اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا **حدود الله** اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة **يبينها** بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله تعالى والعامل معنى الاشارة **لقوم يعلمون** اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن** اي اخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشي وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد هنا بقوله عز وجل **فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف** اذ لا امكان للامساك مع تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى ينقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره اعتنا بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليها **ولا تمسكوهن ضرارا** تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضا الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فهي عنه بعد ما امر بضده لما ذكر وضرارا على العلية والحالية اي لا تمسكوهن بالمضارة او مضارين واللام في قوله **لتعتدوا** متعلقة بضرارا اي لتظلموهن بالالجا الى الافتدا **ومن يفعل ذلك** اي ما ذكر من الامساك المودي الى الظلم وما فيه معنى البعد **فقد ظلم نفسه** في ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب **ولا تتخذوا ايات الله** المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع اياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا **هزوا** اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازي كانه نهي وارد بما يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اخذتموها هزوا ولعبا وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق **واذكروا نعمة الله عليكم** حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدنيوية والدينية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على راي من يجوزها

حذف

حذف الموصول مع بعض صلته اي كائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عمله تا التانيث لانه مبني كما في قوله

فلولا رجا النصر منك ورهبة ۞ عقابك قد كانوا لنا كالموارد

وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصوله حذف عايدها من الصله ومن في قوله عز وعلا **من الكتاب والحكمة** بيانيه اي من القران والسنة والقران الجامع للعنوانين على العطف لتغاير الوصفين كما في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ۞ وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام **يعظكم به** اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا **واتقوا الله** في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة **واعلموا ان الله بكل شي عليم** فلا يخفى عليه شي مما تاتون وما تذرون فيواخذكم بافانين العقاب **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن** بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاوليا لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حيث عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها بالنكاح وقيل نزلت في جابر حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه **ان ينكحن** اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفرا والجر عند الخليل على الخلاف المشهور **ازواجهن** ان اريد بهن المطلقات فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فبالاعتبار الاخير **اذا تراضوا** ظرف للا تعضلوهن وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النسا والتقييد لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى **بينهم** ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه **بالمعروف** الجميل عند الناس والشروع المستحسن عند الشرع والبا اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اي تراضوا بما يحسن في الدين والمروة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفو وبما دون مهر المثل ليس من باب العضل **ذلك** اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد للتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل منهم واما بتاويل القبيل او الفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد **يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر** فيسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عملها في الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يومن اي كائنا منكم **ذلكم** اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاها **ازكى لكم** اي انمى وانفع **واطهر** من ادناس الاثام واوضار الذنوب **والله يعلم** ما فيه من الزكاة والطهر **وانتم لا تعلمون** ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرايع التي من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها فدعوا رايكم وامتثلوا امره تعالى في كل ما تاتون وما تذرون **والوالدات يرضعن اولادهن** شروع في بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا واشتراكا وهو من اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان كان خص بمادة قبول الصبي ثدي الغير او فقدان الظير او عجز الولد عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لعطفهن نحو اولادهن والحكم عطف عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن **حولين كاملين** التاكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة **لمن اراد ان يتم الرضاعة** بيان لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص

وقيل متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع والنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده
وعلى المولود له اي الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب
الارضاع ومونة المرضعة عليه **رزقهن وكسوتهن** اجرة لهن واختلف في استيجار الام وهو غير جايز عندنا ما دامت في
النكاح والعدة جايز عند الشافعي رضي الله عنه **بالمعروف** حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه **لا تكلف نفس الا وسعها**
تعليل لايجاب المون بالمعروف اي تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي
امكانه **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما الاخر ما
لا يطيقه ولا تضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البنا
للفاعل وبالفتح على البنا للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان تكون بمعنى تضر والبا من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد
فيفرط تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف به مع التخفيف على انه من ضاره
يضره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضر به
او يضار بسببه **وعلى الوارث مثل ذلك** عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن الخ وما بينهما تعليل
او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي من كان ذا رحم محرم وقيل عصباته وقال الشافعي رضي الله عنه هو وارث
الاب وهو الصبي اي تمان المرضعة عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من
الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة **فان ارادا**
اي الوالدان **فصالا** اي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد **عن تراض** متعلق
بمحذوف يتساق له الذهن اي صادرا عن تراض **منهما** اي من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر
بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب باعطا الاجرة **وتشاور** في شان الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على
استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرهما للتنكير
فلا جناح عليهما في ذلك لما ان تراضيهما لا يكون الا بعد استقرار ارايهما واجتهادهما على ان راي صلاح الولد في
الطعام وقلما يتفقان على الخطا **وان اردتم** بيان حكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى الخطاب الاباء لهزهم
الى الامتثال بما امروا به **ان تسترضعوا اولادكم** بحذف المفعول الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع
اولادكم يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المراة
الصبي اي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم فحذف حرف الجر ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم **فلا جناح**
عليكم اي في الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع **اذا سلمتم** الى المراضع
ما اتيتم اي ما اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم اي من جهة الله عز وجل
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم **بالمعروف** متعلق بسلمتم او بالوجه المتعارف
المستحلف شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط الصحة والجواز بل هو ندب الى
ما هو الاليق والاولى فان المراضع الى اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل في استصلاح شؤون الاطفال
واتقوا الله في شان مراعات الاحكام المذكورة **واعلموا ان الله بما تعملون بصير** فيجازيكم بذلك واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى **والذين** على حذف المضاف اي وازواج الذين
يتوفون منكم اي تقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه اي اخذته
وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين **ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا** او على
حذف العايد من المبتدا في الخبر اي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح اليا

اى

اي يستوفون اجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون
التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل
الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كانت انثى يتحرك غالبا لاربعة فاعتبر اقصى
الاجلين وزيد عليها العشر استظهارا اذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية
والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي
وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن** اي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** ايها الحكام
والمسلمين جميعا **فيما فعلن في انفسهن** من التزين والتعرض للخطاب وساير ما حرم على المعتدة بالوجه الذي لا ينكره الشرع
فعليهن ان يكففن عن ذلك والا فعليهم الجناح **بالمعروف والله بما تعملون خبير** فلا تعملوا بخلاف ما امرتم به **ولا جناح عليكم**
خطاب للكل **فيما عرضتم به** التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السايل جيتك لاسلم
عليك واصل امالة الكلام الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشي بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل
النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف **من خطبة النسا** الخطبة بالكسر كالعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف
بالقول والفعل فقيل هي ماخوذة من الخطب اي الشان الذي له خطر لما انها شان من الشوون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب
لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المراة والمراد بالنسا المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن ان تقول انك لجميلة
او صالحة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت ولا يصرح بالنكاح **او اكننتم**
في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن
اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن بل اكتفوا بما رخص من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه
الذي هو الوطي مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان لانه مما ينبغي ان يسر به ويكتم وحمله على الوطي ربما يوهم الرخصة في المحظور
الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما
يستهجن وفيه ما فيه **الا ان تقولوا قولا معروفا** استثنا مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة
غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف اي لا تواعدوهن بشي من الاشيا الا
بان تقولوا قولا معروفا وقيل استثنا منقطع من سرا وضعيف لادايه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك **ولا تعزموا**
عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من
الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح اي لا تقربوا عقد عقدة النكاح **حتى**
يبلغ الكتاب اجله اي لا تبرموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده **واعلموا ان الله يعلم ما**
في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه **فاحذروه** بالاجتناب ابتدا واقلاعا عنه بعد
تحققه **واعلموا ان الله غفور** لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى **حليم** لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها
على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المواخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لاحال الروعة **لا جناح**
عليكم اي لا تبعة عليكم من   وهو الاظهر وقيل من وزر لا بدعة في الطلاق قبل المس وقيل كان النبي صلى الله عليه
وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفى ذلك **ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن** اي ما لم تجامعوهن وقرئ
تماسوهن بضم التا في جميع المواقع اي مدة عدم مسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقا انها
شرطية بمعنى ان فتكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تاتني ان تحسن الي
اكرمك اي ان تاتني محسنا الي والمعنى ان طلقتم هو غير ماسين لهن وهذا المعنى اقعد من الاول لما ان ما الظرفية انما

يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف اثرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين
فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق
الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الجار مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن
فريضة اي الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من
الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان يكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة
المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال تسمية المهر فانه نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف
مهر المثل واما اذا كان بعد المساس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها
على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على
الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي ما يليق بحال كل واحد وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الى
اخره او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اي على موسعكم الى اخره وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان فلها الاقل
من نصف مهر المثل ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروة حقا صفة
لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع
بالمعروف وانما سمي محسنين باعتبار المشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن قبل
ذلك فريضة اي وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل
طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما وبعض الربط من المبني للفاعل وللمفعول وان لم
يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة
بكونه مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في
ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها
الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الاية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امراة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها
قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام بعد اظهار ان لا شيء له متعها بقلنسوتك الا
ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك حـ
بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فالواو في الاولى ضمير
والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان تاثيره فيما عطف في محله من قوله
تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود
اليه من نصف المهر الذي ساقه كملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق
مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه ثم رجع الاستثناء جميعا الى منع الزيادة في المستثنى منه كانه في الصورة الاولى
الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا حال عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن ذلك
القدر بل ينقص ذلك او ينحط او حال عفو الزوج فانه حينئذ يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الثاني فلا
بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان في صورة عفو الزوج بيده عقدة النكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا ان
الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى الى اخره فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى بن عبد الله رضي
عنه انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اي

ترك

لاتتركوا

لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق
التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا على
ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام
الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمبالغة من غير ان عنها بشان انفسهم بل بشان
انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابهة الاخذ
بعضها بحجزة بعض والصلاة الوسطى اي المتوسطة بينها او بين الفضلى منها وهي صلاة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم
الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام ان الصلاة التي شغل عنها سليمان
ابن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل والنهار وقيل
هي صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلاة عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة
فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هي صلاة الفجر لانها بين صلاتي الليل والنهار
والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلاة وقيل صلاة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن
حيث الوقوع بين صلاة في الليل والنهار ووتر النهار لا ينقص في السفر وقيل هي صلاة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين
في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام يقرا والصلاة الوسطى فيكون احدى الاربع قد خصت
بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلاة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوسطى وقوموا لله اي في
الصلاة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء
من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رضي الله عنه المراد به القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو او من غيره فرجالا
جمع راجل كقيام وقائم اي رجل قائم اي ورجل بمعنى وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا
اي راجلا او ركبانا جمع راكب فصلوا راجلين او راكبين حسبما تقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن مع الوقوف في الجملة
وقد جوز الشافعي رضي الله عنه اداها حال المسابقة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلاة الامن
عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع ايضا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا ما لم تكونوا تعلمون من
كيفية الصلاة والمراد بالتشبيه ان يكون الصلاة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى واراد بها بذلك العنوان لتذكير
النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة
الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرط الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في
جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المبني على تنزيل مقام وقوع المامور به فيها منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا
لاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سبق اثر بيان احكام واسطة بينهما لما اشير اليه
من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيده قراءة من قرا كتب
عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدا او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليكم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية
متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان ضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما
في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار
لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا
وانه وان كان متقدما في التلاوة متاخرا في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع والثمن ولذلك السكنى عندنا وعند الشافعي

هي باقية فان خرجن عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف
لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الاحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادته
القرار وملازمة مسكن الزوج والاحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين
الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواكن
مدخولا بهن اولا متاع اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل
وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير ين والتاكيد والتكرير للتاكيد بالمعروف شرعا وعادة
حقا على المتقين اي مما لا ينبغي كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم اياته الدالة على احكامه التي شرعها
لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار
وتعجيب من شانهم البديع فاسماعهم لها بمنزلة الروية النظرية والعلمية او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان
قصتهم من لم يكن ممن راهم وسمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجب لما انه شبه حال غير
الرائي بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجرى الكلام معه
كما يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الروية بالى في قوله الى الذين خرجوا من
ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء
على معنى الم ينته علمك اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون الفا والجملة
حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له روي ان اهل قرية قيل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين
فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل
وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى من امرهم فاوحى الله تعالى عليه نادهم ان
قوموا باذن الله تعالى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم
الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقيل قوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة
عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان
وايجابه بامر من قطاع للمامور مطيع كما في قوله تعالى اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف على مقدر
يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على استغناء ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما
على ما قال لما انه عبارة عن لاماتته وقيل تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه
بد ولم ينفع منه الهرب فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم
ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى سلوك الاعتبار والاستبصار
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار
الناس في مقام الاضمار لزيادة التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله
بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل
فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم
بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا
الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى
مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب والمراد ههنا اما الجهاد الذي عبارة عن بذل النفس في سبيل الله عز وجل ابتغاء مرضاته
واما مطلق العمل المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس اي مقرضا احلا

طيبا

طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرضه وقرئ بالرفع اي فيضاعفه اجره
وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا او باطنا وصيغة المغالبة
للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا جمع ضعف نصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان
لتضمن المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله
وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع تارة حسبما تقتضيه
المشيئة على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض في الذكر
للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال
خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجب مع ان له مزيد ارتباط بما وسط
بينهما من الامر بالقتال الى الملا من بني اسرائيل الملا من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه
كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملؤون العيون مهابة والمجالس بها او لانهم مليئون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية وما في
قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من الملا اي كائنا بعض بني اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه
السلام ولا ضير في اتحاد حرفين لفظا عند اختلافهما معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة
الملا او حديثهم حين قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة
من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسماعيل قال مقاتل هو من نسل
هارون عليه السلام وقال مجاهد اشمويل بن هلقانا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا
اميرا نصدر في تدبير معنى الحرب وقرئ يقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف مبني
على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما على الجواب للامر والوصف للملك قال استئنافا وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه
الذهن كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط
للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط
فالتنسوه بان قيل هل عسيتم ان بعث لكم ملكا الخ مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في بيان
تخلفهم عنه فان مراده الم تقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولان
ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا
استئناف كما سبق وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله اي سبب لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب من
الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت راس العمالقة وملكهم وهو جبار
من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل
واخذوا ديارهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم
القتال بعد سؤال النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة
العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين
الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في
تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعدما
اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه

منع صرفه ملكا حال منه روي انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل له ملكا اتي بعصا تقاس بها من يملك عليهم فلم
يساوها الا طالوت **قالوا** استيناف كانه قيل فماذا قالوا **اني يكون له الملك علينا** اي من اين يكون او كيف يكون ذلك **ونحن احق**
بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك
علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد
ان النبوة كانت مخصوصة بسبط من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط
يهودا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان دباغا
او سقا وقيل سقا **قال ان الله اصطفاه عليكم** لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك
الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من
معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعدا ومكابدة الحروب
وقد خصه الله تعالى منهما بحظ اوفر وذلك قوله عز وعلا **وزاده بسطة في العلم** اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات
ايضا وقد اوحي اليه ونبي **والجسم** قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره براسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان
يمد يده فينال راسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة **والله يؤتي ملكه من يشا** لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان
يؤتيه من يشا من عباده **والله واسع** يوسع على الفقير ويغنيه **عليم** بمن يليق بالملك ممن لا يليق واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة **وقال لهم نبيهم** توسيط قال بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالاخر
وتخلل الكلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانه طلبوا منه عليه السلام اية تدل على انه تعالى
اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما اية ملكه **ان ياتيكم التابوت** اي الصندوق وهو فعلوت من التوب
الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاوه مزيدة لغير التانيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف
على تائه ومن غيران تقلب هاء ومنهم من يقلبها ايا ها والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى
عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم اية تدل على ملك طالوت قال لهم ان اية
ملكه ان ياتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت
وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على ادم تابوتا فيه تماثيل الانبيا عليهم السلام
من اولاده وكان من عود الشمشاد نحو من ثلاثة اذرع في ذراعين فكان عند ادم عليه السلام الى ان توفي فتوارثه اولاده
واحد بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان
عليه السلام يضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم
تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شي تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم فكانوا اذا حضروا القتال
يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا
من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وتمردوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه
وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى كل من بال عنده ابتلي
بالبواسير وهلكت من بلادهم مداين فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على
ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت قال لهم النبي ان
اية ملكه انكم تجدون التابوت في داره **فيه سكينة من ربكم** اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة كائنة من ربكم او في
التابوت ما تسكنون اليه وهو التوراة المودعة فيه بنا على ما مر من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن
اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة كانت فيه صورة من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبه

وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي
رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة **وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون** هي رضاض
الالواح وعصى موسى وثيابه وشي من التوراة وكان قد رفعه الله بعد وفات موسى عليه السلام والهما ابناهما ٥٥
والقيهما واولاد مهم لتفخيم شانهما وانبيا بني اسرائيل **تحمله الملائكة** حال من التابوت اي ان اية ملكه اتيانه حال
كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له
ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شان التابوت فهو من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم لقومه او الى نقل القصة
وحكايتها فهو ابتدا كلام من جهة الله تعالى قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد
المخاطبين على التقديرين بتاويل الفريق او غيره كمثلا **لاية عظيمة لكم** دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر **ان كنتم مومنين** اي مصدقين بتمليكه عليكم
او بشي من الايات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ **فلما فصل طالوت بالجنود** اي انفصل
بهم عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة
القاصر كانفصل وفصل فصولا وقد جوز كونه اصلا براسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا
وبصد وداوصد صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والبا متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا
لهم روي انه قال لقومه لا تخرج معي رجل بنا بنا لا يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن
عليها ولا يبتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه من اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا
مفازة فسالوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فقيل ماظهر له ما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبي عليه السلام او
بطريق الوحي عند من يقول بنبوته **قال ان الله مبتليكم بنهر** بفتح الها وقرئ بسكونها **فمن شرب منه** اي ابتدا شربه
من النهر بان كرع لا ان ابتدا الشرب منه حقيقة **فليس مني** اي من جملتي واشياع المومنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد
معي من قولهم فلان مني كانه بعضي مكان اختلاطهما **ومن لم يطعمه** الم يذقه من طعم الشي اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا
او غيرهما قال

وان شيت حرمت النسا سواكم ۞ وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا

اي نوما **فانه مني الا من اغترف غرفة بيده** استثنا من قوله تعالى فمن شرب منه فانه مني وانما اخر من الجملة الثانية
لابراز كمال العناية بها ومعنى الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين
على انه مصدر والبا متعلقة باغتراف او بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة بيده روي ان الغرفة كانت تكفي
الرجل لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وعليهم العطش **فشربوا منه** عطف
على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه **الا قليلا منهم** وهم المشار اليهم بالاستثنا من التولي وقرئ الا
قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن عادة اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال فلم يطيعوا
فحق ان يرد المستثنى به مرفوعا كما في قول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ۞ من المال الا مسحت او مجلف

فان قوله لم يدع في حكم لم يبق **فلما جاوزه** اي النهر **هو** اي طالوت **والذين امنوا معه** عطف على الضمير متعلق بجاوز لا بامنوا
وقيل الواو حالية او الظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين امنوا كائنون
معه وهم اوليك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان **قالوا** اي بعض من معه من المومنين لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده او بمحاربتهم او مقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من
الشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح **قال** استيناف مبني على السوال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل

قال **الذين يظنون انهم ملاقوا الله** قيل اي الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه
وافرادهم بذلك الوصف لا ينافي ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع اي والذين يعلمون انهم
يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمتخلفين عنهم كانهم
قالوه اعتذارا والنهر بينهما **كم من فية** اي فرقة وجماعة من الناس من فاوت راسه اذا شققها او من فا اليه اذا رجع
فوزنها على الاول فية وعلى الثاني **قليلة غلبت فية كثيرة** وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع
بالابتدا خبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة **باذن الله** اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة
الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب
نكتة بديعة حيث لم يقل الحاقت بفية كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما
ترى جواب ناشي من كمال ثقتهم بالله تعالى وتوفيقه لا دخل في ذلك لاحد لظن الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد
فان العلم به ربما يورث الناس من الـ ولا لتوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدارا
للحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملايما له فلعل المراد بلقايه تعالى لقا نصره وتاييده عبر عنه بذلك
مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل **والله مع الصابرين** فان المراد به نصره وتوفيقه حتما
وحملها على المعية بالاثابة كما فعل باباه انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتاييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا
لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المودي الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل
ذلك ابتدا كلام من جهة الله تعالى جي به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهة ده
التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده
وايراد خبران اسما مع ان اللقا مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه **ولما برزوا** اي ظهر جالوت ومن معه من
المؤمنين وصاروا اذا ابرز من الارض في موطن الحرب **لجالوت وجنوده** وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد
وايقنوا انهم غير مطيقين لهم عادة **قالوا** اي جميعا عند طموع قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني
متضرعين الى الله مستغيثين به **ربنا افرغ علينا صبرا** على مقاسات شدايد الحرب واقتحام موارده الصعبة
الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح
عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى **وثبت اقدامنا** في مداحض القتال وازال التزال واثبات القدم عبارة عن كمال القوة
والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد **وانصرنا على القوم الكافرين**
بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع الضمير العايد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم راعوا في
الدعا ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه
ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى **فهزموهم** اي كسروهم بلا مكث **باذن الله** بنصره وتاييده اجابة
لدعايهم وايثار هذه الطريقة قوله عز وجل فاتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فية كثيرة
باذن الله **وقتل داود جالوت** كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود عليه السلام
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجا وقد مر في طريقه
بثلاثة احجار قال له كل منها احملني في مخلاته قيل لما ابطا على ابيه اخبر اخوانه في المصاف ارسل داود اليهم لياتيه
بخبرهم فاتاهم وهم في القراع وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان ظله ميلا وقال داود
لاخوته ما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فجا ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض
الناس على القتال فقال لهم داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتي واعطيه شطر ملكي

فبرز له داود ورماه بما معه من الاحجار بالقلاع فاصابه في صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل
انما كلمه الاحجار عند بروزه لجالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم
على ما صنعه فذهب الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل **واتاه الله الملك** اي
ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها **والحكمة** اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله
الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط اخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط **وعلمه مما يشا** اي مما يشا الله تعالى
تعليمه اياه لا مما يشاد او دعليه السلام لان معظم ما علمه تعالى اياه كما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنية بشر
ليتمكن من طلبه ومشيته كالسرد واتالة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية **ولولا دفع
الله الناس بعضهم** الذين يباشرون الشر والفساد **ببعض** اخر منهم بردهم على ما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل
كما في القصة المحكية او غيره وقرى دفاع الله على صيغة المغالبة للمبالغة **لفسدت الارض** وبطلت منافعها
وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وساير ما يعمر الارض بيعتهم وقتلهم المسلمين او لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم
الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض قاطبة **ولكن الله ذو فضل** عظيم لا يقادر قدره **على العالمين** كافة
وهذا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضعه ما
يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه
ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض
فلا يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم **تلك** اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر
طالوت على التفصيل من عنده تعالى والجملة مستانفة وقوله تعالى **ايات الله** المنزلة من عنده تعالى والجملة مستانفة
وقوله تعالى **نتلوها عليك** اي بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الايات والعامل معنى الاشارة واما جملة
مستقلة لا محل لها من الاعراب **بالحق** في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا ارتياب
فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها متوافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين
بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق والصواب **وانك لمن المرسلين** اي من جملة الذين ارسلوا الى
الامم لتبليغ رسالاتنا واجرا اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المقابلة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهو شهادة منه
تعالى برسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتاكيد من مقتضيات مقام الجاحدين بها **تلك الرسل**
استيناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم السلام اثر بيان كونه من جملتهم
والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم فاللام في المال للاستغراق وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو مرتبتهم وبعد طبقتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في التوراة وقيل الى الذين ثبت علمه عليهم
السلام لهم **فضلنا بعضهم على بعض** في مراتب الكمال بان خصصنا حسبما تقتضيه مشيتنا بماثر جليلة خلا عنها
غيره **منهم من كلم الله** تفصيل للتفصيل المذكور اجمالا اي فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام
حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرى كلم الله بالنصب وقرى كالم الله من المكالمة فانه كلم الله تعالى كما انه
تعالى كلمه ويؤيده كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما
بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلوب التفضيل وما لحق من ايتا البينات والتاييد بروح القدس من التفاوت
ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب
فائتة وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما ينبي عنه الاخبار لكونه عليه السلام منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات

المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية الفائقة للحصر والإبهام لتفخيم شأنه وللإشعار
بأنه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل إنه إبراهيم عليه السلام حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل إدريس عليه
السلام حيث رفعه مكاناً علياً وقيل أولوا العزم من الرسل عليهم السلام **وآتينا عيسى ابن مريم البينات** الآيات الباهرة
والمعجزات الظاهرة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل **وأيدناه** أي قويناه
بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها أي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى وإنما وصفت
بالقدس للكرامة أو لأنه عليه السلام لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث وقيل جبريل عليه السلام وقيل
بالإنجيل كما مر وإفراده عليه السلام لما ذكر لرد ما بين أهل الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والإفراط
والآية ناطقة بأن الأنبياء عليهم السلام متفاوتة الأقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع **ولو شاء الله**
ما اقتتل الذين من بعدهم أي جاؤوا من بعد الرسل من الأمم المختلفة أي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن
جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق مفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على
القاعدة وقيل تقديره لو شاء الله هدى الناس جميعاً ما اقتتل إلخ وليس بذاك **من بعد ما جاءتهم** من جهة أولئك الرسل
البينات المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الإعراض
عن سننهم المؤدي إلى الاقتتال ومن متعلقة باقتتل **ولكن اختلفوا** استدراك من الشرطية إشارة إلى قياس
استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها إلا أنه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم
المترتب عليه للإيذان بأن الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم
لأنهم اختلفوا اختلافاً فاحشاً **فمنهم من آمن** أي بما جاءت به أولئك الرسل من البينات وعملوا به **ومنهم من كفر**
بذلك كفراً لا ارعواء له عنه فاقتضى الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم
ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة أيضاً من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب
العادة **ما اقتتلوا** وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما أن الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد
كما ظن بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجباً لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضع
بل هو سبحانه مختار **ولكن الله يفعل ما يريد** أي من الأمور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم
اقتتالهم فإن الترك أيضاً من جملة الأفعال أي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير أن يوجد عليه موجب أو يمنعه عنه
مانع وفيه دليل بين على أن الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيراً كان أو شراً إيماناً كان أو كفراً **يا أيها الذين آمنوا**
أنفقوا في سبيل الله **مما رزقناكم** أي شيئاً مما رزقناكموه على أن ما موصولة حذف عائدها والتعرض لموصوله منه
تعالى للحث على الإنفاق كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الإنفاق الواجب بدلالة ما
بعده من الوعيد **من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة** كلمة من متعلقة بما تعلقت به أختها ولا ضير
فيه لاختلاف معنييهما فإن الأولى تبعيضية وهذه لابتداء أي أنفقوا بعض ما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون
على تدارك ما فرطتم فيه إذ لا تبايع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به
أخلاؤكم أو يعينوكم عليه ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما
في ذممكم وإنما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لأنها في التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقرئ بفتح الكل
والكافرون أي والتاركون للزكاة وإيثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللإيذان
بأن ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة **هم الظالمون** أي الذين ظلموا
أنفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه في غير وجهه **الله لا إله إلا هو** مبتدأ وخبر أي هو

المستحق للعبودية لا غير وفي إضمار خبر لا الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة معروف **الحي** الباقي الذي لا سبيل
عليه للموت والفناء وهو إما خبر ثان أو خبر لمبتدأ محذوف أو بدل من لا إله إلا هو أو بدل من الله أو صفة له ويعضده القراءة بالنصب
على المدح لاختصاصه بالنعت **القيوم** فيعول من قام بالأمر إذا حفظه أي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
وقيل هو القائم لغيره **لا تأخذه سنة ولا نوم** السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي

وسنان أقصده النعاس فرنقت ۞ في عينه سنة وليس بنائم ۞

والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر
الظاهرة عن الإحساس والمراد بيان انتفاء اعتراض شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا لأنهما قاصران
بالنسبة إلى القوة الإلهية فإنه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل إلى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة
والترقي بناء على أن القادر على دفع السنة قد لا يقدر على القوي كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا
كبيرة الآية وأما التعبير عن عدم الاعتراض والعروض بعدم الأخذ فلمراعاة الواقع إذ عروض السنة والنوم
لمعروضهما إنما يكون بطريق الأخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حياً
قيوماً فإن من تعتريه أحدهما يكون هو والحياة قاصراً في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال
مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم **له ما في السموات وما في الأرض** تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في
الألوهية والمراد بما فيهما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم
من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء شأنه وأنه لا يدانيه أحد ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة
فضلاً عن أن يدافعه عناداً أو مناصبة **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** أي ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك
مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو بالعكس أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه
وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والأرض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم أو لما دل عليه من ذا الذي من
الملائكة والأنبياء عليهم السلام **ولا يحيطون بشيء من علمه** أي من معلوماته **إلا بما شاء** أن يعلموه وعطفه على ما قبله
لما أنهما جميعاً دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته **وسع كرسيه السموات والأرض** الكرسي
ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب إلى الكرس الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد
ولا قعود وإنما هو تمثيل لعظمة شأنه وسعة سلطانه عز وجل وإحاطة علمه بالأشياء قاطبة على طريقة قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز
عن علمه أخذاً من كرسي العالم وقيل عن ملكه أخذاً من كرسي الملك فإن الكرسي كلما كان أعظم يكون عظمة القاعد
أكثر وأوفر فعبر عن شمول علمه أو عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه وإحاطته بالأقطار العلوية والسفلية
وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والأرضون السبع
مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك
الثامن وعن الحسن البصري أنه العرش **ولا يؤوده** أي لا يثقله ولا يشق عليه **حفظهما** أي حفظ السموات والأرض
وإنما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما أن حفظهما مستتبع لحفظه **وهو العلي** المتعالي بذاته عن الأشياء والأنداد **العظيم**
الذي يستحقر بالنسبة إليه كل ما سواه ولما ترى من انطواء هذه الآية الكريمة على أمهات المسائل المتعلقة
بالذات العلية والصفات الجلية فإنها ناطقة بأنه تعالى موجود متفرد بالإلهية متصف بالحياة واجب الوجود
لذاته موجود أو لما أن القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير لا مناسبة بينه
وبين الأشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والأرواح مالك الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع والبطش

الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له قيد العالم بجميع الاشيا جليها وخفيها كليها وجزيها واسع الملك والقدرة
لكل من شانه ان يملك اويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما ينالة الاوهام عظيم لا
يحدق به الافهام تعرفت بفضايل رايقة وخواص فايقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القران
اية الكرسي من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحوا من سياته من الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام
ما قريت هذه الاية في هذا الا هجرته الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها
ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال صلى الله عليه وسلم سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس
سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام
القران وسيد القران سورة البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وتخصيص سيادته عليه السلام للعرب بالذكر
في اثنا تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته
عليه السلام لجميع افراد البشر **لا اكراه في الدين** جملة مستانفة جي بها اثر بيان تفرده تعالى بالشيون الجليلة الموجبة
للايمان به وحده ايذانا بان من حقه حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد
وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وقيل هو منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان
قد تنصرا قبل مبعثه عليه السلام ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما **قد تبين الرشد من الغي** استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق
لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله تعالى قد بلغت من لدني عذرا اي اذ قد تبين ما ذكر من نعوته التي يمتنع توهم اشتراك
الغير في شي منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المودي الى الشقاوة
السرمدية **فمن يكفر بالطاغوت** هو بنا مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو
في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل هو اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتذكير لارادة الالهة وهو راي سيبويه
وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل هو يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يعمل اثر ما تبين الحق
من الباطل بموجب الحجج الواضحة والايات البينة ويكفر بالشياطين او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او
صد عن عبادته تعالى لما تبين كونه بمعزل من استحقاق العبادة **ويؤمن بالله** وحده لما شاهد من نعوته الجليلة
المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به
تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية **فقد استمسك بالعروة الوثقى** اي بالغ في التمسك بها كانه
وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه **لا انفصام لها** الكسر بغير ابانة كما ان الفصم هو الكسر
بابانة ونفي الاول يدل على انتفا الثاني بالاولية والجملة اما استيناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال
من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز الخبر اي كاين لها والكلام تمثيل مبني على
تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين
النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم الماموني انقطاعه فلا استعارة في المفردات
ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المودي اليه
كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى

والله

والله سميع بالاقوال **عليم** بالعزايم والعقايد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان والتوحيد رادع عن الكفر
والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد **الله ولي الذين آمنوا** اي معينهم ومتولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه
تعالى ايمانهم في الجملة مالا او حالا **يخرجهم** تفصيل للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي
من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبهة بل بما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية لانه
من نوع ضعف وخفا بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه **الى
النور** الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة
التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال **والذين
كفروا** اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم **اولياؤهم الطاغوت** اي الشياطين وساير المضلين عن طريق الحق
فالموصول مبتدا واولياؤهم مبتدا ثان والطاغوت خبره والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك
للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل والقصد للمبالغة بتكرير الاسناد مع الايما الى التباين بين
الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا **يخرجونهم** بالوسواس وغيرها من طرق الضلال والاغوا **من النور** الفطري
الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة
بها منزلة نفسها **الى الظلمات** ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير
لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر والاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في اسناده من حيث الخلق الى
قدرته سبحانه **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبايح **اصحاب النار** اي
ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرايم **هم فيها خالدون** ماكثون ابدا **الم تر الى الذي حاج ابرهيم في
ربه** استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون كما
ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمومنين وتقرير لها وانما بدا بهذه لرعاية الاقتران بينه وبين ما هو له
واستغلاله امر عجيب حقيق بان يتصدر به المقال وهو اجتراوه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنايها من
العظيمة النادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا وهمزة الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي الم تنظر
اولم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد
تحققت الروية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة
اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريفا له وايذانا بتاييده
في المحاجة **ان اتاه الله الملك** اي لان اتاه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعا للمحاجة
التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك وهي
حجة على منع ايتا الله الملك الكافر **اذ قال ابرهيم** ظرف لحاج او بدل من اتاه على الوجه الاخير **ربي الذي يحيي ويميت**
بفتح ربي وقرى بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعوا اليه فقال
ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الموت والحياة في الاجساد **قال** استيناف مبني على السوال كانه قيل كيف حاجه
في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال **انا احيي واميت** روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الاخر فقال
ذلك **قال ابرهيم** استيناف كما سلف كانه قيل فماذا قال ابرهيم لمن في هذه المرتبة من الحماقة وماذا الحجة فقيل
قال **فان الله ياتي بالشمس من المشرق** حسبما يقتضيه مشيته **فات بها من المغرب** ان كنت قادرا على مثل ما قدر الله
تعالى لم يلتفت عليه السلام الى مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلا والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان
المهتدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس **فبهت الذي**

كفر اي صار مبهوتا وقرئ بنا الفاعل ان الموصول مفعول اي فغلب ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز
الصلة للاشعار بعلية الحكم والتنصيص على كون كفرا **والله لا يهدي القوم الظالمين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله
اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال
او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيامة **او كالذي مر على قرية** استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى وتقرير له
معطوف على الموصول السابق وايثار الفارقة على الواو الجامعة عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر اما
اسمية كما اختاره قوم جي بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قوله الفعل الماضي مثل قصر
واما زائدة كما ارتضاه اخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه
من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اي رأيت ذلك وشاهدته فاذا لا ريب في ان الله ولي الذين امنوا الخ هذا
واما جعل الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج الخ وما جرى عليه من الغرابة بحيث
لا يرى مثل كما استقر عليه راي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شان الجليل فتدبر والمامور هو عزير بن شرخيا
قاله قتادة والربيع وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وقيل هو ارميا بن خلقيا من سبط هرون
عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد هو كافر بالبعث وهو المعبد والقرية
بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هو دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هو دير سابر اباد وقال
السدي هو دير سلما باد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بنو اسرايل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا
في الطغيان كل حد معتاد سلط الله عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت
المقدس وجعل بني اسرايل ثلاثا ثلث فيهم قتلهم وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام
يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه بعد حين فاصاب كل ملك اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما
نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فراه على افظع مراى وافحش منظر وذلك قوله عز وجل **وهي خاوية
على عروشها** اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت
الارض اذا انهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا **قال** اي تلهفا عليها وتشوقا
الى عمارتها مع استشعار الياس عنها **انى يحيي هذه الله** وهي على ما نرى من الحالة العجيبة المباينة للحيوة وتقديمها
على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناش من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب على الظرفية ان كانت
بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي واياما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء له
والسكان من بقاها اصله الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غير منهم وانما عبر عنها بالاحيا الذي هو علم في البعد عن الوقوع
عادة تهويلا للخطب للاستبعاد وكانه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل **بعد موتها** وحيث كان هذا التعبير
معربا عن استبعاد الاحيا بعد الموت على ابلغ وجه واكده اوراد الله تعالى ان يريه ابين بعد الامرين في نفسه ثم في غيره
ثم اراه ما استبعده صريحا في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما حمل احيائها على احيا اهلها فيأباه التعرض بحال القرية
دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل في الاستبعاد لشدة مباينته للحيوة
وغاية بعده عن قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينتها لما لها كما ستحيط به خبرا
فاماته الله والبثه على الموت **مائة عام** روي انه لما دخل القرية ربط حماره وطاف بها ولم ير بها احدا فقال
وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب
وامات حماره وبقيه تينه وعنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته
سبعون سنه وجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان

ثلثماية الف عام فجعلوا يعمرونه واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرايل وردهم
الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت
المائة من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله **ثم بعثه** وايثاره على احياه للدلالة على سرعته وسهولته تاتيه على
الباري تعالى كانه بعثه من النوم وذلك للايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال
قال استيناف مبني على السوال كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال **كم لبثت** ليظهر له عجزه عن الاحاطة
بشئونه تعالى وان احياه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهمه انه غبي في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده
بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر اخر من بدايع اثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما
كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي كم وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى
او ملك مامور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السما يا عزير كم لبثت بعد الموت **قال لبثت يوما او بعض** قاله بناء على
التقريب والتخمين او استقصار المدة لبثته واما ما يقال من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل
النظر الى الشمس يوما فالتفت اليها فراى بقية فقال او بعض يوم على وجه الاضراب فبمعزل من التحقيق اذ لا وجه للجزم
بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من اوله **قال** استيناف كما سلف **بل لبثت مائة عام** عطف
على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار **فانظر** لتعاين امرا اخر من دلايل قدرتنا **الى طعامك وشرابك لم
يتسنه** في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه او عنبه كما جني او عصيره كما عصر والجملة
المنفية حال واحد كقوله تعالى لم يمسسهم سوء اما من الطعام او الشراب وافراد الضمير بجريانهما مجرى الواحد
كالغذاء او ما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة من قرا وهذا شرابك لم يتسن وها سكت واشتقاقه
من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي البازي وقد جوز ان
يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت لا حقيقة بل تشبيها اي هو على حاله كانه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه
بادغام التاء في السين **وانظر الى حمارك** كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من
لبثك المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل **ولنجعلك اية للناس** الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك وانت
من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي منذ احقاب من علم التوراة كما سياتي او متعلق بفعل مقدر بعده
اي ولنجعلك اية على الوجوه المذكورة فعلنا ما فعلنا فهو علة لتقدير التي تدل على ما ذكر من البعث المديد ولذلك قرن
بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وتكرير الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان العظام عظام الحمار ايضا لما ان
المامور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر من حيث تعتريها الحيوة
ومباديها **وانظر الى العظام** عظام الحمار ايضا لما ان المامور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث
المديد وثانيها هو النظر من حيث تعتريها الحيوة ومباديها لتشاهد كيفية الاحيا في غيرك بعدما شاهدت نفسه في
نفسك **كيف ننشزها** بالزاي المعجمة اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركبها تركيبا لايقا بها وقال
الكسائي نلينها ونعظمها ولعل من فسره بنحيها اراد بالاحيا هذا المعنى وكذا من قرا ننشرها بالرا من نشر الله تعالى الموتى اي
احياها لا معناه الحقيقي لقوله تعالى **ثم نكسوها لحما** اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرا ننشرها بفتح النون
وضم الشين فلعله اراد به ضد الطي كما قاله الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام اي وانظر اليها مركبة
مكسوة لحما او بدل اشتمال اي وانظر الى العظام كيف انشارها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح
لما انها لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع كل جزء من اجزائها التي
ذهب بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل وانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به

الضلع بالضلع والذراع بمحلها والراس بموضعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه
الشعور ثم نفخ فيه الروح فقام ينهق فلما تبين له اي دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحيا بمباديه والفا للعطف
على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنايه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في
قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فامرنا فانشرها الله تعالى وكساها
لحما فنظر اليها فتبين كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شي قدير من الاشيا التي
من جملتها ما شاهدها في نفسه وفي غيره تعاجيب الاثار قدير لا يستعصي عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع
للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه وقيل اشعار بانه انما
قال ما قال بنا على الاستبعاد والعاري واستعظاما للامر وقيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين ان الله
على كل شي قدير وقري تبين على صيغة المجهول وقال قال اعلم وقيل علم على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى
محلته وانكره الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عميا مقعدة قد ادركت زمن عزير
فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير وقد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكا شديدا قالت
فاني عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة
فادع الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عليها فصحت فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت صحيحة
كانها نشطت عن عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرايل وهم في انديتهم وكان في
المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاكم فكذبوها فقالت انظروا
فاني بدعايه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سودا بين كتفيه مثل الهلال
فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قرا التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يوجد بينهم نسخة
من التورية ولا احد يعرف التورية فقراها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين
ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن التورية يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني
كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير عن ظهر القلب فما
اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هذا ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذ قال ابراهيم دليل اخر على
ولايته تعالى للمومنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد كما قبله بان يقال او
كالذي قال رب الخ لجريان ذكره عليه السلام في اثنا المحاجة ولانه لا دخل لنفسه عليه السلام في اصل الدليل كداب
عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من احيايه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف
منتصب بمضمر صرح بمثله في قوله تعالى اذ جعلكم خلفا اي واذكر وقت ... عليه السلام وما وقع حينئذ من
تعاجيب صنع الله تعالى على ما مر من ولايته تعالى وهدايته او توجيه الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت
دون الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصودة بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها
ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر
كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شي مما ذكر عند الحكاية ولم يذكر كانها مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف
قدمت بين يدي الدعا مبالغة في استدعا الاجابة ارني من الروية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة
فقلبت مفعولا اخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما يعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا
كيف تحيي الموتى بان تحييها وانا انظر اليه وكيف في محل النصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند
الاخفش والعامل فيها تحيي او في اي حال او على اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سوال عن حال شي

منفرد الوجود عند السايل والمسوول والاستفهام هاهنا عن حالة الاحيا المتقرر عند السايل اي بصرني كيفية
احيايك للموتى وانما ساله عليه السلام ليتايد ايقانه بالعيان ويزداد عليه اطمينانا على اطمينان وانما قيل من ان نمرود
لما قال انا احيي واميت قال ابراهيم عليه السلام ان احيا الله تعالى برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته
فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ذلك فيأباه تعليل السوال بالاطمينان قال استيناف
كما مر غير مرة اولم تومن عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تومن باني قادر على الاحيا كيف اشاء حتى تسالني اراءته قال
استيناف اعلم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين قال
بلى علمت وامنت بانك قادر على الاحيا كيفية انشا ولكن سالت ما سالت ليطمين قلبي بمضامة العيان الى الايمان
والايقان وازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة قال فخذ الفا جواب شرط محذوف اي ان اردت ذلك فخذ اربعة
من الطير قيل هو اسم جمع كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طاير
كهين في هين ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لاربعة اي اربعة كاينة من الطير قيل هي طاوس وغراب وحمامة وقيل نسر
بدل الاخيرة وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تاتي ما يفعل به من التجزية
والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اي اماله وقري بكسر الصاد من صاره يصيره اي ا ٢ واضممهن وقري
فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وصرهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن اليك
لتتاملها وتعرف شاناتها مفصلة حتى تعلم بعد الاحيا ان جزءا من اجزايها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان
يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماها ولحومها ويمسك روسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال
وذلك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزيهن وفرق اجزاءهن على ما يحصل لك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل
سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طاير وقري جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده
عند الوقف ثم اجرا الوقف مجرى الوقف ثم ادعهن ياتينك في محل النصب على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصال نون
جمع المونث سعيا اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا ومشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره تعالى من غير تعرض
لامتثاله عليه السلام ولا لما ترتب عليه من عجايب اثار قدرته تعالى كما روي عنه عليه السلام انه نادى فقال تعالين
باذن الله تعالى فجعل كل منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى روسهن فانضمت كل جثة الى راسها فعادت
الى كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها
عنها من الجلا والظهور بحيث لا حاجة الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضله ويمن الضراعة في الدعا
وحسن الادب في السوال حيث اراه الله تعالى ما ساله في الحال على ايسر ما يكون من الوجوه واري عزيرا ما اراه بعدما
اماته مائة عام عليهما السلام واعلم ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه شي عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في افاعيله فليس
بنا افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي في وجوه الخيرات من النفل والواجب كمثل حبة لا بد من تقدير المضاف في احد
الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل اي اخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب
لكل واحد منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك واسناد
الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدي الناظر
والله يضاعف لمن يشا والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية
تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله جملة مبتداة جي بها لبيان كيفية الانفاق الذي بين فضله
بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه

وبه انه اوجب بذلك حقا ولا اذى ان يتطاول بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة
لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف وقيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين
جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف حين اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم
صدقة ولم يكن يخطر ببالهما شئ من المن والاذى لهم اجرهم اي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدا وخبر وقعت
خبرا من الموصول وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التاكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفا
المفيدة السببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين
لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا وفيا باه مقام الترغيب في
الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب
قل او جل اي لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل
يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا
للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام
قول معروف اي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شئ ومغفرة اي ستر لما وقع من السائل
من الالحاف في المسالة وغيره مما يثقل على المسؤل او صفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف
وبالثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسؤل خير اي للسائل من صدقة يتبعها اذى لكونها
مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستانفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير
المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل وبعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤل وديان
يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير في الجملة بطلانها بالمرة والله غني لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن
والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة
تذييل لما قبله مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا يا ايها الذين آمنوا اقبل
عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
اي لا تحبطوا اجرها بواحد منهما كالذي في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها ابطالا كابطال
الذي هو ينفق ماله رئاء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق والذي
يبطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو راي سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اي لاجل
رئائهم او على انه حال من فاعله اي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى
يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفا لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي في الانفاق وحالته العجيبة كمثل
صفوان اي حجر املس عليه تراب اي شئ يسير تراب فاصابه وابل اي مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس ليس عليه
شئ من الغبار اصلا لا يقدرون على شئ مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله فجعلناه
هباء منثورا والجملة استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة
كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضميران للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز
وجل وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة باعتبار اللفظ والله
لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى على الانفاق
من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوا عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاه وتثبيتا

من

من انفسهم اي ولتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال
شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام
وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم
عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويؤيده قراءة من قرا وتثبيتا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق
تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلاث وقد قرئ بها المكان
المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكاة كمثل بستان كان بمكان مرتفع مامون بان يلطخه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة
فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود
الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اي مثلي ما
كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اي مضاعفا
فان لم يصبها وابل فطل اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر وقيل
والذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت متفاوتة باعتبار ما يقارنها
من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة
باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او
قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه
شئ منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما
والهمزة لانكار الوقوع كما في اضرب ابي لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق
به الود بل اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب اي كائنة منهما على ان
يكون الاصل والركن هذين الجنسين الشريفين الجامعين لفنون المنافع والمتابعة من المستتبعات لا على ان لا يكون
فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال

كان عيني في غربي مقتلة ... من النواضح تسقي جنة سحقا

وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اذ على الاول لا بد من تقدير
مضاف اي من تحت اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سياتي مجازا والجملة في محل الرفع على انها
صفة جنة كما ان قوله تعالى من جنات واعناب كذلك او في محل النصب على انه حال منها لانها موصوفة له فيها من كل
الثمرات الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدا اي صفة للمبتدا اقيمت مقامه اي رزق من الثمرات كما في قوله
تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له مقام الخ وليس المراد العموم بل انما هو بالكلية كما في قوله تعالى
واوتيت من كل شئ واصابه الكبر اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومنه كمال العجز عن تدارك اسباب
المعاش والواو حالية اي وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير في اصابه الكبر اي والحال ان له ذرية ضعفاء
لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اي ريح عاصفة تستدير في الارض ثم
تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال
من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيامة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا
في التحسر والتاسف عليها كذلك توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اي مثل ذلك البيان الجاري
في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا
بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي

انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون **ومما أخرجنا لكم من الأرض**
اي طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه **ولا تيمموا** اصله ولا تتيمموا
وقرئ بضمها وقرئ ولا تأمموا والكل بمعنى القصد اي لا تقصدوا **الخبيث** اي الردي الخسيس وهو كالطيب
من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها **منه تنفقون** الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث قاصدين الانفاق عليه
او من الخبيث اي تخصونه بالانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ
انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع
حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة قوله ❊ كانه في الجلد توليع البهق ❊
او للثاني وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اي ولا تقصدوا الخبيث كائنا من
المال او مما كسبتم ومما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى **ولستم بآخذيه** حال على كل حال من واو
تنفقون اي تنفقون والحال انكم لا تاخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات **الا ان تغمضوا فيه** اي الا وقت
اغماضكم او الا باغماضكم فيه وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه
وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه وتوجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا او تغمضوا بضم
الميم وكسرها وقيل الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون
والحال انكم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم فيه وتاكد الاستفهام الانكاري فكانه قيل امنه تنفقون الى آخره **واعلموا ان الله**
غني عن انفاقكم وانما يامركم لنفعكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث
وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشانه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطي ان الآخذ محتاج الى
ما يعطيه بل مضطر اليه **حميد** مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجهد والاثابة عليه **الشيطان يعدكم**
الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان او غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال
تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك
بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجيء الفقر الى جهته للايذان بمبالغته في الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزله في تقرر الوقوع
منزلة افعاله الواقعة حسب ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون
وبضمتين وبفتحتين **ويأمركم بالفحشاء** اي بالخصلة الفحشاء اي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور على
فعل المأمور به والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن ال

❊ ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي ❊ عقيلة مال الفاحش المتشدد ❊

وقيل بالمعاصي والسيئات **والله يعدكم** اي في الانفاق **مغفرة** لذنوبكم والجار في قوله تعالى **منه** متعلق بمحذوف
هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي افادها تنكيرها اي مغفرة كائنة منه عز وجل **وفضلا** صفة محذوفة لدلالة المذكور
عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اي وفضلا كائنا منه تعالى اي خلفا مما انفقتم زائدا عليه في
الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة **والله واسع** قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف
ما تنفقونه **عليم** مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال
للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله **يؤتي الحكمة** قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروى عن
ابن نجيح انها الاصابة في القول وعن ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل معرفة حقائق الاشياء وقيل هي
الاقدام على الفعل الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسر باربعة اوجه فتارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من عجائب
الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المنبثة في تضاعيف الآيات الكريمة

من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعمل والعلم اي تبيينها ويوفق لها للعلم والعمل بها **من**
يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي يدور
عليها فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة
مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها **ومن يؤت الحكمة** على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اي من يؤتيه الله الحكمة والاظهار
في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشانها وللاشعار بعلة الحكم **فقد اوتي خيرا كثيرا** اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين
وما يذكر اي ما يتعظ بما اوتي من الحكمة او ما يتفكر فيها **الا اولوا الالباب** اي العقول الخالصة عن شوائب الوهم
والركون الى متابعة الهوى وفيه من الترغيب على المحافظة على الاحكام الواردة في شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما
حال واما اعتراض تذييلي **وما انفقتم من نفقة** بيان لحكم كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما
كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي نفقة كانت في حق
او باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة **او نذرتم** النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعله كضرب ويضرب **من نذر**
اي نذر كان في طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلاة ونحوهما **فان الله**
يعلمه الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع
بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيدا او عمرا اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا اشير الى التاويل في قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المتقدم واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية وقوله
تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويله بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثاني
عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله

❊ نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ❊

ونحوهما مما عطف عليه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير
الجملة بان للتاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اي فانه تعالى يجازيكم البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب
ووعد ووعيد **وما للظالمين** بالانفاق والنذر في المعاصي او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذر او بانفاق الخبيث
او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي هو موقعه **من**
انصار اي اعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه لا بشفاعة ولا بمدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي وما
لظالم من الظالمين من نصير من انصار والجملة استئناف لمضمون الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل من الظالمين
لتحصيل الاعادة ورعاية الخلاف **ان تبدوا الصدقات فنعما هي** نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له
ولذلك ترك العطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر
العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بسكون النون واخفاء حركة العين وهذا في الصدقات
المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله تعالى **وان تخفوها** اي تعطوها خفية **وتؤتوها**
الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان
الغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس **فهو خير لكم** اي فالاخفاء خير لكم من
الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا **ويكفر عنكم من سيئاتكم** اي والله يكفر ومن تبعيضية اي شيئا من سيئاتكم كما تسترونها وقيل مزيدة على راي الاخفش
وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء وما بعده لانه جواب

الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك
ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك
الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الايات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي
هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة
جيء بها على تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة
بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه
عليهم حسبما ينطق به ما في الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين
كي تحملهم الحاجة الى الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات
ح في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول
التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين الخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه
عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع
صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء تنفقوا كائن من المال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم
فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا
ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم الاحوال اي ليست
نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل هو نفي في معنى النهي وما تنفقوا
من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على
احسن الوجوه واجملها فهو تأكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه من اتباع دعائه عليه السلام بقوله
اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن
سعيد بن جبير انهم كانوا يتبعون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان اناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في
اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما
الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف
او من الخلف للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع ايات الى فرعون اي اعمدوا او
الكفر واجعلوا ما تنفقونه للفقراء اي صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا نحوا
من الصحابة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية
بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم
بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا من قولهم لحفني
من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألون شيئا وان سألوا لحاجة اضطرارهم لم يلحوا وقيل هو
نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله ... على لاحب لا يهتدى لمناره ... اي لا منار ولا اهتداء وما
تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لاسيما على هؤلاء الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شأن الصديق
رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل

في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل
تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم
عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذا جوز
الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين يأكلون الربا اي يأخذونه والتعبير عنه بالاكل
لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما
فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوات على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي
من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان
الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم
ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم
بسبب اكلهم الربا او بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى في
بطونهم ما اكلوا من الربا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك سيما يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة
الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي
ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع
درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما
فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم
الربا انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه في المناط والجملة ابتداء
لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاء او بمحذوف
وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاء اي فاتعظ
بلا تراخ واتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم اخذه قبل التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء
ان جعلت شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة
وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع
باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب
النار اي ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربا اي يذهب بركته ويهلك المال
الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة وروي عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب اي
لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما
جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما
على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكائيل عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة
في خبر ان اي اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميرهم مزيد لطف وتشريف ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
اي قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربا اي واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على
الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اي ان كنتم مؤمنين فاتقوه
وذروا الى آخره روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالربا فنزلت فان لم تفعلوا اي ما امرتم

به من الاتقا وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها **فاذنوا بحرب من الله ورسوله** اي
فاعلموا بها من اذن بالشي اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فاذنوا اي فاعلموا
غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طريق العلم وقرئ فايقنوا وهو مقيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن
متعلق بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها اي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روي انها
لما نزلت قالت ثقيف لا يدلنا بحرب من الله ورسوله **وان تبتم** من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعدما سمعتموه من
الوعيد **فلكم رؤس اموالكم** تاخذونها كاملا **لا تظلمون** غرمائكم باخذ الزيادة والجملة اما مستانفة لا محل لها من
الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الباء من الاستقرار **ولا تظلمون** عطف على ما قبله اي لا تظلمون
انتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار
الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند ابي حنيفة رضي الله عنه وكذا سائر اموالهم عند الشافعي
وعندنا لورثتهم ولا شي لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتال لم تسلم لهم رؤوسهم
فكيف برؤوس اموالهم والا فكذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما فانه يقول من عامل الربو يستتاب والا ضرب عنقه واما
عند غيره فهم محبوسون الى ان يظهر توبتهم ولا يمكنون من التصرفات اصلا فان لم يتوبوا لم يسلم لهم شي من اموالهم بل انما
يسلم بموتهم لورثتهم **وان كان ذو عسرة** اي ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على
انها ناقصة **فنظرة** اي فالحكم نظرة اي فعليكم نظرة وهي الانظار والامهال وقرئ فناظره اي فمنتظره او فصاحب
نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة اي فسامحه بالنظرة **الى ميسرة** اي الى يسار وقرئ بضم السين
وهما لغتان كمشرقة ومشرفة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله * واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وان تصدقوا بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الصاد اي وان تتصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء **خير لكم** اي
اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان تتصدقوا برؤوس اموالهم كلا او
بعضا على غرمائهم المعسرين لقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة **ان كنتم تعلمون** جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه
واتقوا يوما هو يوم القيمة والتنكير للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد
والاهوال **ترجعون فيه** على البناء للمفعول من الرجع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالبناء على طريق الالتفات وقرئ
تردون وكذا تصيرون **الى الله** لمحاسبة اعمالكم **ثم توفى كل نفس** من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اي
يعطى كلا **ما كسبت** اي جزاء ما عملت من خير او شر **وهم لا يظلمون** حال من كل نفس بعيد ان المعاقبين وان كان عقوباتهم
مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء لانه كان الافراد اوفق بحال
الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما انها اية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة
وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احد وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات
يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما
بينهم بالسلم بالنقود بعد بيان حال الربوا اي اذا داين بعضكم بعضا الجارية وعامله نسيا معطيا اي اخذا وفائدة ذكر
الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه الى تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتابة
وتعيين المرجع للضمير الموصول المتصل بالامر **الى اجل** متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين **مسمى** بالايام
او الاشهر ونظايرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها **فاكتبوه** اي الدين باجلا
لانه اوثق وادفع للنزاع فالجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضي الله عنه المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح

في

في السلف **وليكتب بينكم كاتب** بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف
المفعول اما للتعميم او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي ان
يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى **بالعدل** متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب
اي كاتب كائن بالعدل وليكن المتصدي للكتابة من شانه الكتابة بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص
وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا بالشرع ويجوز ان يكون حالا منه ملتبسا بالعدل
وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق **ولا ياب كاتب** اي ولا يمتنع احد من الكتاب **ان يكتب** كتاب الدين **كما علمه الله** اي على
طريقة ما علمه الله من كتابة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل اي لا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم
الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك **فليكتب** تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن ابائها تاكيدا لها ويجوز ان
يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة **وليملل الذي عليه الحق** الاملال هو الاملاء
وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر **وليتق الله ربه** جمع بين الاسم الجليل للمبالغة في التحذير اي
وليتق المملي دون الكاتب كما قيل بقوله تعالى **ولا يبخس منه** اي من الحق الذي عليه على الكاتب **شيئا** فانه الذي يتوقع منه
البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه نهي عن كلاهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل
وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقا والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول
على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن **فان كان الذي عليه الحق** صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف
والبيان لان الامر والنهي لغيره **سفيها** ناقص العقل مبذرا مجازفا **او ضعيفا** صبيا او شيخا مختلا **او لا يستطيع ان يمل**
او غير مستطيع للاملا بنفسه لخرس وعمي او غير ذلك من العوارض **فليملل وليه** الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل
او مترجم **بالعدل** اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس
واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف
منزلة الكائن **من رجالكم** متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية او شهيدين
كائنين من رجال المسلمين لا من اراذل الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشروع العبيد بطريق العبارة كائن في موضعه
واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا **فان لم يكونا** اي الشهيدان
جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي **رجلين** اما لاعوازهما او بسبب اخر من الاسباب **فرجل وامرأتان** اي فليشهد
رجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي رضي الله عنه **ممن ترضون**
متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في
كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل
بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى واستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراطه
المرامين وبين تعليله وقوله عز وجل **من الشهداء** متعلق بمحذوف وقع حالا اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم
بعدالتهم وثقتكم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب **ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى** تعليل لاعتبار
العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح
ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم
الكريم على ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتاكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال
باحداهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر من الاذكار وقرئ
فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه **ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا** لاداء الشهادة

او لتحملها وتشبيهم شهدا قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مر بيده عن قتادة انه كان الرجل يطوف في
الحوا العظيم في القوم فلا يتبعه منه احد فنزلت ولا تساموا اي لا تملوا من كثرة مداينا تكم ان تكتبوه اي الدين او الحق او
الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذى هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المومن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي مجملا او مفصلا
الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة
الى ما ذكر من الكتب والكتاب للمؤمنين اقسط اي اعدل عند الله اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون
على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قاسط عند سيبويه اي من قاسط بمعنى قسيط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما
صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان
تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم حاضرة بحضور
البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اي فلا باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع
والنسيان ورفع تجارة على انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا
التبايع مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة في الاية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها
ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن المضارة يحتمل البناءين كما ينبئ عنه قراءة من قرا ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن
ترك الاجابة والتغيير والتحريف في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الاضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما
حد لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرى بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الاضرار فانه اي فعلكم
ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضار
ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم كرر لفظ الجلالة في الجمل
الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة والتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان الاول حث على التقوى
والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا
في المداينة وقرى كتابا وكتابا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به عليكم او فليوخذ او فالمشروع رهان مقبوضة
وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه
في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر
الذي هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على وجوب القبض في
تمام الرهن غير مالك وقرى فرهن كسقف كلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرى بسكون الهاء فان امن بعضكم بعضا اي بعض
المداينين بعض المديونين بحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان وقرى فان اومن بعضكم اي امنه الناس ووصفوه
بالامانة قيل فيكون انتصاب بعضا حينئذ على نزع الخافض اي على متاع بعض فليؤد الذي اوتمن وهو المديون وانما
عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء امانته اي دينه وانما سمي امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان
وقرى ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرى بادغام الياء في التاء وهو خطا لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه
في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود والمديون اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه اثم قلبه اثم خبر ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية
كانه قيل ياثم قلبه او مرتفع بالابتداء واثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره
نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وتملك
اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة

وشهادة

وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرى بالنصب كما في سفه نفسه وقرى اثم قلبه اي جعله اثما والله بما تعملون عليم
فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة المتمكنة فيهما
من اولي العلم وغيرهم وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان
تظهروه للناس بالقول او العمل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين فلا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر
من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها ان التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على
منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به وتقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما
في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله قلنا ان المعلق بما في انفسهم هاهنا هو المحاسبة والاصل فيها
الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون
بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه في اي طور علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء
البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر
في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدمة على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى او لا يعلمون ان
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر بفضله لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله
من يشاء ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه
وقرى بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرى بالجزم من غير فاء على بدل البعض من البعض او الاشتمال ونظيره الجزم
على البدلية من الشرط في قوله

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ،، تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ،،

وادغام الراء في اللام لحن والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجبة
لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب امن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة
ان ما انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هنا من الصفات الفاضلة
التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرى الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم
ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما ذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين
والمنافقين ثم شرع في تضاعيفها من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف الامم وغير ذلك حسبما
تقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم بها على طريقة الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال
الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما ان الشهادة الباقية
على ممر الدهور لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض هنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات
الاتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة
المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه تعالى بما انزل اليه ومزيد توضيح لاندراجه
في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه صلى الله عليه
وسلم وتعيين لعنوانه اي امن عليه السلام بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام
والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق
اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال اجلال لمحله عليه السلام واشعار بان
تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا ولذا اوثر التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريفا له وتنبيها على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم

والمؤمنون اي الفريق المعروفين بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل كل مبتدأ ثان وقوله تعالى آمن خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كانهما مختلفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء محوج الى التقوية والتأكيد كل اي كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والعبودية وملائكته اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم الى الله تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث مجيئهما من عند الله لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية ولا على ان مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول عليه السلام مستند اليه لما تلي من الآية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيامة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او الجنس كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر به ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة اليه في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل والحقيق بمقداره الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الى آخره على انه قدم المؤمن على المعطوف اعتناء بشأنه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال اجلال شأنه عليه السلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشأنه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادهما الى غيره عليه السلام وضاع التكرير وان حملا على ما يليق بشأن آحاد الامة كان ذلك حطا للرتبة العلية عليه السلام واما حمل ما يليق بكل واحد منهما من نسب اليه من الآحاد ذاتا وتعلقا بان يجعلا بالنسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم

علـ

على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقوله على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اي يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيد به ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لاظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا وهذا كما ترى صريح في ان القائلين آحاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا افرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفرق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر ولا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس والمراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وبين من عداه كائنا من كان اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه كان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك او نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار واليك المصير اي الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلفنا ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم غفرانك ربنا واليك المصير فمبنى طلبهم الغفران المعلق بمشيئته تعالى فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى ان لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يسعها ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على

عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** للترغيب في المحافظة على
مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن له
مراعاته منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به ضررا يتحقق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة
الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت
من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على
غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من
اعتمال ناشئ من اعتياد النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه **ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا** شروع في حكاية بقية
دعواتهم اثر بيان سر التكليف اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان من تفريط وقلة مبالاة
ونحوهما مما يدخل تحت التكليف وبانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا والامتناع في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي
كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطأ مؤد الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان
لم يكن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من تمام فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله
عليه السلام رفع عن امتي الخطا والنسيان وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم
بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك **ربنا
ولا تحمل علينا اصرا** عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه
اي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له والمعنى اعصمنا من اقترافه وقيل
اصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة **كما حملته على الذين من قبلنا** في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا
مثل حملك اياه على من قبلنا وما كلفه بنو اسرائيل من قتل النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في يوم
وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام ما كان
حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه
الامة عن امثال ذلك وانزل في شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية
السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع عن
امتي الخسف والمسخ والغرق **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق
بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها من التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من يكلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل
لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار
ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا يفي
به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول
ثان **واعف عنا** اي امح ذنوبنا **واغفر لنا** واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الاشهاد **وارحمنا** وتعطف بنا وتفضل علينا
وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية مقدمة على التحلية **انت مولانا** سيدنا ونحن عبيدك وناصرنا او متولي امورنا
فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة
الى ان اعلاء كلمة الله تعالى والجهاد في سبيل الله تعالى حسبما مر في تضاعيف السورة غاية لمطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم
لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل
ان يخلق الخلق بالفي عام من قراهما بعد العشاء الاخيرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرا الايتين من سورة البقرة
كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة

التي

التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة
قال عليه الصلاة والسلام السحرة

سورة ال عمران وعدد اياتها مائتان اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردا
كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد
حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على
نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها
كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على
انه ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف بل هي بقاء حركتها في حكم الثابت المبتدا به والميم تكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على
السكون دون الحركة كما توهموا واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام
الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها
عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها لا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها
وضعا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل ويحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد
فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدا محذوف واما النصب على
اضمار فعل يليق بالمقام كاذكروا او اقرأوا ونحوهما واما الرفع بالابتداء والنصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا
مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية لا للاقسام فان الاسم الجليل مبتدا وما بعده خبره والجملة مستانفة اي هو
المستحق للعبودية لا غير وقيل هو صفة للمبتدا او بدل منه او الخبر الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدا والخبر
مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه وايا ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق العبودية به سبحانه وتعالى لما مر
من ان معنى **الحي** الباقي الذي … عليه للموت والفناء ومعنى **القيوم** الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة
اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق العبودية به تعالى لاستحالة تحققها بدونهما وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي ال عمران الم الله لا
اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سالوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم فقال
الحي القيوم ويروى ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان اصف بن برخيا حين اتى بعرش
بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر من اشرافهم ثلاثة منهم اكابرهم اليهم يؤول امرهم
احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم
حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما
شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى
جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة
بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك وانت تعلم هذا قال
ان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم
فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات
جبب واردية فاخرة يقول بعض من راهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم

فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اوليك الثلاثة مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير
فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو
كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال
عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاوكم لله تعالى ولدا ان لم يكن ولدا لله فمن يكون ابوه فقال عليه السلام الستم
تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفنا قالوا بلى
قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شي يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك
شيا قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما قالوا بلى قال عليه السلام
فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى عليه السلام في الرحم كيف شا
وان ربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى عليه السلام حملته امه كما تحمل المراة ووضعته
كما تضع المراة ولدها ثم اغذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه
السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا الا جحودا فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج
به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون **نزل عليك الكتاب** عبر عنه باسم الجنس ايذانا
بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح
باسمي التورية والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم
والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستانفة او خبر اخر من الاسم الجليل وهي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض او
حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب والظاهر حينئذ ان
يكون مستانفة من العائد وقيل يجوز كونها خبرا بحذف اي نزل الكتاب من عنده **بالحق** حال من الفاعل او المفعول اي نزله
محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه بالصدق في اخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يليها وفي وعده
ووعيده او بما يحقق من عند الله تعالى من الحجج البينة **مصدقا** حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا
من فاعل نزل واما على تقديره حالا منه من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما
عند من يمنعه فقد قيل انه حال من محل الحال الاول على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لانه حينئذ ضمير القائم
مقام عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال موكدة وفايدته تعيين التنزيل بحث اهل الكتاب على الايمان
بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما **لما بين يديه** مفعول لمصدقا واللام
دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد اي مصدقا لما قبله من الكتب السابقة وفيه ايما الى حضورها وكمال ظهور امرها بين
الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل
والاحسان وكذلك في انبا الانبيا والامم الخالية وكذا في نزوله على النعت المذكور فيها وكذا في الشرايع التي لا تختلف باختلاف
الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في الشرايع المختلفة باختلافهما من حيث ان احكام كل واحد منها وارده حسبما تقتضيه
الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللايقة بشانهم **وانزل التوراة والانجيل**
تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شان ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد
في القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بها في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما
على موسى عليه السلام وانما لم يذكر لان الكلام في الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان عجميان عبري والثاني سرياني وتعضد
القراة بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف **من قبل** متعلق بانزل

اي

اي انزلهما قبل تنزيل الكتاب والتصريح به لظهور الامر للمبالغة في البيان **هدى للناس** في حيز النصب على انه علة له
للانزال اي انزلهما لهداية الناس وعلى انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعل نفس
الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جمع فالمراد بالناس الامم
الماضية من حيث نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما
بما عدا الشرايع المنسوخة من الامور التي يصدقها القران فيها ومن جملتها البشارة بنزوله ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم
تعم الناس **وانزل الفرقان** الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا اما جنس الكتب
الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله
عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق
على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه وتعالى فلما جا امرنا
نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق
والباطل الداعية الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تاخره عنه نزولا لقوة مناسبته
للتوراة في الاشتمال وشيوع اقترانهما في الذكر واما القران نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما
لشانه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السما الدنيا واريد بالانزال
القدر المشترك العايد الى ما فصل من قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين
الحق والمبطل **ان الذين كفروا بايات الله** وضع موضع الضمير العايد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات
الايات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا
بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب
بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من ايات الله الناطقة بالحق
لا سيما بتوحيده وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقران
اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واصالة ايضا بان كذبوه
باياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه واياتها المبشرة بنزول القران ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيروها **لهم** بسبب
كفرهم بها **عذاب** مرتفع اما بالفاعلية من الجار والمجرور او على الابتدا والجملة خبران والتنوين للتفخيم اي عذاب **شديد**
لا يقادر قدره وهو وعيد جي به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق بذلك الكتب الالهية
حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان **والله عزيز** لا يغالب يفعل ما يشا ويحكم ما يريد **ذو انتقام**
عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض
تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له **ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما** استئناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى
واحاطته بجميع ما في العالم من الاشيا التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته
وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة
الصفات الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفايه عليه كما سبحانه وتعالى ما يخفى على الله من شي في الارض ولا في
السما ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليست من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه
شايبة خفا بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلا والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد
لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشي مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه
شي ما كاين في الارض ولا في السما اعم من ان يكون من ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلق بيخفى وانما عبر

بها عن كل العالم لانها قطراه وتقديم الارض على السما لاظهار الاعتنا بشان احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما
للدلالة على الترقي من الادني الى الاعلا باعتبار البعد والقرب منهما المستدعي للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز
وجل **هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا** جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته سبحانه وتعالى في الوارد
الموجود حسب مشيته المبنية على علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشية قبل تحققها بمراتب
وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول بيصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول ليشاوه
والجملة في محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم اي يصوركم كاينا على مشيته تعالى او مريدا او من مفعوله يصوركم
كاينين على مشيته تعالى ما تعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف
بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم
ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة ابنا النواسيب المتقلبين في هذه الاطوار على مشية البارئ عز وعلا كمال ركاكة
عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه وعبادته **لا اله الا هو** اذ لا يتصف بشيء
مما ذكر من الشيون العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم الوهيته **العزيز الحكيم** المتناهي في الحكمة والقدرة ولذلك
يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع **هو الذي انزل عليك الكتاب** شروع في ابطال شبههم الناشية عما نطق به القران في
نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستيناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من
عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد ان عيسى
كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب موسس على اصول
رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق واضحة ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال المعدد المشترك المجرد
عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبله من الاعتنا بشانه عليه
السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار
برفعة شانه او بمنفعته تبقى مترقبة فيتمكن لها عند وروده عليها فضل تمكن ولتتصل به تقسيمه الى قسميه **منه ايات** الظرف
خبر وايات مبتدا او بالعكس بتاويل مر تحقيقه في قوله ومن الناس من يقول الاية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني
ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستانفة
او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل الكتاب كاينا على هذه الحال اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف
هو الحال وحده وايات مرتفع به على الحالية **محكمات** صفة ايات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة
محفوظة من الاحتمال والاشتباه **هن ام الكتاب** اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة
بمعنى اللام فان ذلك يودي الى نور الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مفردة وانما افرد اللام
مع تعدد الايات لما ان المراد بيان اصلية كل واحد منها او بيان ان الكل بمنزلة اية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها
اية للعالمين وقيل اكتفي بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر

بها جيف الحسرى فاما عظامها ❊ فبيض واما جلدها فصليب

اي واما جلودها واخر نعت لمحذوف معطوف على ايات اي وايات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول
من الاخر او من اخر من **واخر متشابهات** صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من
بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتامل الانيق والتشابه في الحقيقة لتلك المعاني
وصف به الايات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شان الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز
بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وانما لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله

وامثاله

وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل
العلما ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل الامور التي نيط بها استنباط ما اريد بها الحقة فينالوا
بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها
وبين المحكمات من اليقين والاطمينان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت
من اعترا الخلل او من النسخ او بدت الحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلايل الحكم البالغة
ودقايقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية
المدلول **فاما الذين في قلوبهم زيغ** اي ميل عن الحق الى الاهوا الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى
احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد **فيتبعون
ما تشابه منه** معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان
بكونه من عند الله تعالى بل **ابتغا الفتنة** اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم كما نقل
عن الوفد **وابتغا تاويله** اي وطلب ان يأولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزايغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة
وذلك قوله عز وجل **وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم** فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي
يتبعون المتشابه لابتغا تاويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا
وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغا تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل عن الوصف
بالصحة والحقية ايذان بانهم ليسوا من التاويل في شيء وانما يتبعون ليس بتاويل اصلا لا انه تاويل غير صحيح يعذر صاحبه
من وقع الا الله نفس المتشابه بما استاثر الله عز وجل بعلمه كمدة بقا الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد
لعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد **يقولون امنا به** اي بالمتشابه وعدم التعرض
لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة في الاول استيناف موضح لحال الراسخين او حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى
والراسخون في قوله تعالى **كل من عند ربنا** من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اي كل واحد منه او من المحكم او من متشابهه
ومحكمه منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما فامنا به وبحقيته على مراده تعالى **وما يذكر** حق التذكر **الا اولوا الالباب**
اي العقول الخالصة عن الاهوا الزايغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر
واشارة الى ما به استعدوا للاهتدا الى تاويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث
انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجي الجواب
المفصلة بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون **ربنا لا تزغ قلوبنا** من تمام
مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب
ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شا اقامه على الحق وان شا ازاغه عنه وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ فيه
قلوبنا **بعد اذ هديتنا** الى الحق والتاويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين وهو نصب بلا تزغ وان في محل الجر باضافة
الى ما خرج من الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان **وهب لنا من لدنك** كلا الجارين متعلق بهب
وتقديم الاول لما مر مرارا وتجوز تعلق الثاني بمحذوف وهو حال من المفعول اي كاينة من لدنك ومن لابتدا الغاية
المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليس مرادفه
لعند اذ قد يكون فضلة ولذلك الذي وبعضهم يخصها بظرف المكان تضاف الى صريح الزمان كما في قوله

❊ ينتقض الرعدة في ظهري ❊ من لدن الظهر الى العصر ❊

ولا تنقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله

وَلم تقطع اصلامي لدن ان وَلِيتنا ٭ قرابة ذي رحم ولاحق مسلم ٭

اي من لدن ولاو لابتك ايانا وقد تضاف الي الجملة الاسمية كما في قوله ٭

٭ تذكر نعماه لدن انت يافع ٭ والي الجملة الفعلية ايضا كما في قوله

٭ لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم ٭ فلا يك منكم للخلاف جنوح ٭

وقلما تخلوا عن من كما في التنزيل الا خرين **رحمة** واسعة تزلفنا اليك وتفوز بها عندك او توفيقا للثبات علي الحق وتاخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الي الموخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقي النفس مترقبة لوروده لاسيما عند الاشعار بكونه من المنافع باللام فاذا اورد ها يتمكن عندها فضل تمكن **انك انت الوهاب** تعليل للسوال او لاعطا المسول وانت اما مبتدا او فصل وتاكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب فيه دلالة علي ان الهدي والضلال من قبله تعالي وانه متفضل بنعمه علي عباده من غير ان يجب عليه شيء **ربنا انك جامع الناس ليوم** اي الحساب يوم الجزا يوم حذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه **لاريب فيه** اى في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزا ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الي الرحمة فانها المقصد الاسني عندهم والتاكيد لاظهار ما هم عليه من كمال الطانينه وقرة العين باحوال الاخرة **ان الله لا يخلف الميعاد** تعليل لمضمون الجملة الموكدة او لانتفا الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشي المهيب الهايل بخلاف ما في اخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سياتي او للاشعار بعلة الحكم فان الوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان تكون الجملة مسوقة من جهته تعالي المتقرير قوله الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا **ان الذين كفروا** اثر ما بين الدين الحق والتوفيق وذكر احوال الناطقة به وشرح شان القران العظيم وكيفية ايمان العلما الراسخين به شرع في بيان حال من كفر والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من بني قريظه والنضير ومشركوا العرب **لن تغني عنهم** اى لن تنفعهم وقرى بالتذكير وسكون اليا جدا في الاستثقال الحركة علي حروف اللين **اموالهم** التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار **ولا اولادهم** الذين هم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتاخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب **من الله** من عذابه تعالي **شيئا** من الاغنا وقيل كلمة من بمعني البدل والمعني بدل رحمة الله او بدل طاعة كما في قوله تعالي ان الظن لا يغني من الحق شيئا او بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه جده بدلك اي بدل رحمتك كما في قوله تعالي ان الظن لا يغني من الحق شيئا وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم لدي عندنا زلفي وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالي او طاعته مما لا يخطر ببال احد حتي يتصدق لنفيه والاول هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل امرهم والانسب لما بعده من قوله تعالي **واولئك هم وقود النار** ومن قوله تعالي فاخذهم الله اي اولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فان اريد بيان حالهم عند التسعير وايثار الجملة الاسمية للدلالة علي تحقق الامر وتقرره والا فهو للايذان بان حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهو حال من كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة علي كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفي وهم يحتمل الابتدا وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستانفة مقررة لعدم الاغنا او معطوفة علي خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم منه شيئا وقرى وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها **كداب ال فرعون** الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فغلب

استعماله في معني الشان والحال والعاده ومحل الكاف الرفع علي انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اى تغني عنهم كما لن تغني عن اوليك او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الداب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغنا لاسيما علي تقدير كون من بمعني البدل كما هو راي الجمهور ولا لايقاد النار علي تقدير النصب بلن تغني ولو قوله تعالي وقود النار الا ان يحمل استينافا لا معطوفا علي خبر ان فالوجه هو الرفع علي الخبرية اي داب هولاء في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالي وعذابه كداب ال فرعون **والذين من قبلهم** اى من قبل ال فرعون من الامم الكافره فالموصول في محل الجر عطفا علي ما قبله وقوله تعالي **كذبوا باياتنا** بيان لتفسير دابهم الذي فعله بهم اي فاخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من باس الله تعالي محيصا فداب هولاء الكفره ايضا كدابهم وقيل كذبوا الخ من ال فرعون علي اضمار قد اي داب هولا كداب اوليك وقد كذبوا الخ واما كونه خبرا من الموصول كما قيل مما يذهب برونق النظم الكريم والالتفات الي التكلم اولا للجري علي سنن الكبريا والي الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالايات للسببيه جي بها تاكيدا لما تفيده الفا من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالبا للملابسة جي بها للدلالة علي ان لهم ذنوبا اخراي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالي وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو التابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي تتبع عقابها فاعلها **والله شديد العقاب** تذييل مقرر لما قبله من الاخذ وتكملة له **قل للذين كفروا** المراد بهم اليهود ولما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينه لما شاهدوا غلبة رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسي وفي التوراة نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتي ننظر الي وقعة اخري فلما كان يوم احد شكوا وكان بينهم وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم عهد الي مده فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الي مكة فاجمعوا امرهم علي قتال رسول الله صلي الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الي المدينه وجمع اليهود في سوق قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لين قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم **ستغلبون** البته عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظه واجلا بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية علي من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكه ولذلك قال لهم النبي صلي الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الي جهنم وبئس المهاد فيودي الي انقطاع الاية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر **وتحشرون** اى في الاخرة **الي جهنم** وقرى الفعلان بالياء علي انه عليه السلام امر بان يحكي لهم ما اخبر الله تعالي من وعيدهم بعبارته تعالي كانه قيل ادّ اليهم هذا القول **وبئس المهاد** اما من تمام ما يقال لهم او استيناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المهاد جهنم اي ما مهدوه لانفسهم **قد كان لكم** جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المامور به جي به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب ايضا لليهود والظرف خبر كان علي انها ناقصه والتوسعة بينها وبين اسمها ترك التانيث كما في قوله ٭

٭ ان امرءا غره منكن واحدة ٭ بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور ٭

كما ان التانيث ها هنا غير حقيقي او هو متعلق بكان علي انها تامة وانما قدم علي فاعلها لما مر مرارا من الاعتنا بما قدم والتشويق الي والله قد كان لكم ايها المغرورون بعددهم **اية** عظيمة دالة علي صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون **في فئتين** اي فرقتين او جماعتين فان المغلوبه منهما كانت مدله بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع علي انه صفة لاية وقيل النصب علي خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من اية **التقتا** في حيز الجر علي انه صفة فئتين اى تلاقتا بالقتال يوم بدر **فئة** خبر مبتدا محذوف اى احداهما فئة كما قال في قوله ٭

٭ اذا مت كان الناس نصفان شامت ٭ واخر مثن بالذي كنت اصنع ٭

اي احداهما شاحب واخرمش ۰ وقوله ۰

۰ حتى اذا ما استقل النجم في غلس ۰ وعوزر البقل ملوي ومحصود ۰

والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير ما في الفئتين من الاية وقوله تعالى **تقاتل في سبيل الله** في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مومنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الاية وهي روية القليل كثيرا وقوي مقاتلا على تاويل الفئة بالقوم والفريق **واخرى** نعت لمبتدا محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها لقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المثنى المقدر وعدم الحاجة الى التعريف **كافرة** خبر لمبتدا محذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عايد الى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الى اخره وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد مر انه لا بد من ضمير عايد الى المبدل منه وسمي بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة ۰

۰ وكنت لذي رجلين رجل صحيحة ۰ ورجل رمى فيها الزمان فشلت ۰

وقرئ فئة بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل التقتا مومنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطية لما هو الحال حقيقة ان المقصود بالذكر وصفا لهما كما في قولك جاني زيد ورجلا صالحا **يرونهم** اي يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الروية لكل واحد من احاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او مستانفة مبينة لكيفية الاية **مثليهم** اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعماية وخمسين مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة من عبد شمس وفيهم ابو سفين وابو جهل وكان من الخيل والابل ماية فرس وسبعماية بعير ومن الاسلحة عددا لا يحصى وعن محمد بن ابي الفرات عن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسالوه كم كنتم قال ثلاثماية وتسعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثل عدد الرائين اي ستماية ونيفا وعشرين وحيث كانوا ثلثماية وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين او ماتين وستة وثلاثون من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر تسعون بعيرا او فرسان احدهما للمقداد بن عمرو والاخر لمرثد ابن ابي مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وسبعة وثمانية من الانصار اراهم الله عز وجل ذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام كان ذلك عند التقا الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند ترائيهما ليجترءوا ولا يهربوا من اول الامر حين ينجيهم الهرب وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مايتين والاول هو الاولى لان المثلين عن متغيره من جانب المومنين بل قد وقعت روية المثل بل اقل منه فانه روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم ۰ فرايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى في اعينهم حتى رايتهم عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين فقال اراهم ماية فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد روية المومنين المشركين اقل من عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رويتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها اية من رويتهم مثليهم على ان ابانة اثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة بارائهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقا الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها اية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين

بذلك

بذلك للكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين الحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سوا جعل الجملة صفة او مستانفة اولى من العكس هذا ما تقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما هو الظاهر المستمر به واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الاية الهايلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليهم مع كونها اسنادها الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه وبهذا اتبين حال جعل الخطاب الثاني للمومنين واما قراءة ترونهم بالخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني للمشركين لكنه ليس نصا بذلك وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل روية المشركين نزلت منزلة روية لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعدما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الروية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البنا للمفعول من الاراءة او يريهم او يريكموهم الله كذلك **راي العين** مصدر موكد ليرونهم ان كان الروية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية او روية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى روية العين **والله يويد** اي يقوي **بنصره من يشا** ان يويده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول الماموريه **ان في ذلك** اشارة الى ما ذكر من روية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل **لعبرة** فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة **لاولي الابصار** لذوي العقول والبصاير وقيل لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم **زين للناس** كلام مستانف سيق لبيان حقارة شان الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس **حب الشهوات** الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات وايذانا بانهما كهم في حبها بحيث شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير واستردا لا لها فان الشهوات مسترذلة مذمومة من صفات البهايم والمزين هو الباري سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاوهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الاية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة ووسيلة الى بقا النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبريا وقرئ على البنا للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الاية الكريمة ذمها وفرق الجبائي بين المباحات واسند تزيينها الى الله تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان **من النسا والبنين** في محل النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النسا على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبايل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن **والقناطير المقنطرة** جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل ماية الف دينار وقيل ملي مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل ماية رطل وقيل الف وماتا مثقال وقيل الف دينار وقيل ماية من وماية رطل وماية مثقال وماية درهم وقيل دية النفس واختلف في ان وزنه فعلال او فيعال ولفظ المقنطرة ماخوذ منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض اي المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة **من الذهب والفضة** بيان للقناطير او حال منه **والخيل** عطف على القناطير قيل هو جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خايل وهو مشتق من الخيلا **المسومة** اي المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها للرعي او المطهمة التامة الخلق **والانعام** اي الابل والبقر

والغنم والحرث اي الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك اي ما ذكر من الاشيا المعهوده متاع الحيوة الدنيا اي ما
يتمتع به في الحيوة الدنيا اياما قلايل فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب وفيه دلالة على ان ليس فيما عدده عاقبة حميده وفي
تكرير الاسناد بجعل الجلالة مبتدا واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تاكيد وتفخيم ومزيد اعتنا بالترغيب فيما عند الله عز
من النعيم المقيم والترهيد في ملاذ الدنيا وطامها الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين شان مزخرفات الدنيا
وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب
للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك اللذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شانه والتشويق اليه وقوله
تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات استيناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدا والجار مع المجرور خبرا وعلى ان جنات
مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى
والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الاتيه وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الكرامات به للترغيب في تحصيله
والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من الاستقرار مفيد لكمال رتبة الجنات وسموا
طبقاتها والتعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلق بخير وكذا الظرف
وجنات خبر لمبتدا محذوف والجملة مبينة لخير ويويده قراه بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو
خير لطايفة ربما يوهم ان هناك خيرا اخر لاخرين تجري في محل الرفع والجر صفة لجنات على حسب القراتين من تحتها الانهار
متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار
فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار
وازواج مطهرة عطف على جنات اي بريه مما يستقذر من النسا من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم
وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له موكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان واي رضوان لا يقادر
قدره كاين من الله عز وجل وقرى بضم الرا والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا
ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا اننا امنا في محل الرفع على انه
خبر مبتدا محذوف كانه قيل من اوليك المتقون الفايزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ والنصب على المدح والجر
على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد لذلك والاول اظهر والله بصير بالعباد حينئذ معترضه وتاكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم
ناشي من فور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعا بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الايمان دلالة على
كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار
اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأسا والضرا
وحين الباس والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزايمهم والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين
اموالهم في سبيل الله والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم
المصلون الصبح مع جماعة وقال الحسن مدوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة ثم
يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فان قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في
اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعا والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعا فيها اقرب الى الاجابة اذ
العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على
استقلال كل منها وكمالهم فيها والتغاير الموصوفين بها شهد الله انه بفتح الهمزة اي بانه او على انه لا اله الا هو اي بين وحدانيته
بنصب الدلايل التكوينية في الافاق والانفس وانزال الايات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة
الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرى انه بكسر الهمزة اما باجرا شهد مجرى قال واما
بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الخ على قراة ان بفتح الهمزة كما سياتي وقرى شهدا لله بالنصب

عل

على انه حال من المذكورين او على المدح او بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وما له الرفع على المدح اي هم شهدا الله
وهو اما جمع شهيد كظرفا في جمع ظريف او جمع شاهد كشعرا في جمع شاعر والملايكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة
على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك واولوا العلم اي امنوا به واحتجوا عليه بما
ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبيا عليهم السلام وقيل المهاجرين والانصار وقيل علما مومني اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علما المومنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلايل القاطعة وارتفاعهما
على القراتين الاخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهدا لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراة النصب على
الحالية يودي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملايكة واولي العلم وليس فيه كثير فايدة فالوجه كون ارتفاعهما بالابتدا
والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملايكة واولوا العلم شهدوا بذلك ولك ان تحمل القراتين على المدح نصبا ورفعا
لتحقيق حسن العطف على المستتر على كل حال وقوله تعالى قايما بالقسط اي مقيما بالعدل في جميع اموره بيان لكماله
تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة
ولعل تاخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهودا التوحيد اعتنا بشانه
ورفعا وهو السر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة كما مر في قوله تعالى امن
الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد واحقه لانها حال موكدة او
على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله قايما الى اخره والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به
اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرى القايم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما
في الصفة او هو خبر لمبتدا محذوف وقرى قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير للتاكيد ومزيد الاعتنا بمعرفة ادلة التوحيد
والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بحكمته
تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او خبرية لمبتدا مضمر وقد روي في فضلها انه عليه السلام
قال يجا بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلاثماية وستون
صنما فلما نزلت هذه الاية خروا سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال عليه السلام
نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد قالا فانا نسالك عن شي فان اخبرتنا به امنا بك وصدقناك قال
عليه السلام نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله عز
وجل هذه الاية فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تعالى
سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما
جا من عند الله تعالى وقرى ان الدين عند الله الاسلام وقرى ان الدين الخ على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام
بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير انه بالكسر كما اشير اليه
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جابه النبي صلى الله عليه وسلم
الذي جابه النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتا الكتاب صلة له لزيادة تقبيح
حالهم فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شافته في غاية القبح والسماجة وقوله تعالى الا من بعد ما جاهم العلم
استثنا مفرغ من اعم الاحوال واعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا بعد ان

علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والايات الباهرة
وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلال بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل **بغيا بينهم** اي حسدا
كاينا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفا في الامر تشنيع اثر تشنيع **ومن يكفر بايات الله** اي باية الناطقة بما ذكر من
الدين عند الله تعالى هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او باي اية كانت من ايات الله تعالى على ان يدخل فيه دخولا اوليا **فان الله**
سريع الحساب قايم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بايات الله فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع
الحساب اي ياتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب
على مطلق الكفر بايات الله تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع وكون
ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم **فان حاجوك** اي في كون الدين عند الله الاسلام اي جادلوك فيه بعد ما اقمت
عليهم الحجة **فقل اسلمت وجهي لله** اي اخلصت نفسي وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضا الظاهرة ومظهر
القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراة وبه يحصل التوجه الى كل شي **لله** اي لا اشرك به فيها
غيره وهو الدين القويم قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل عليهم السلام **ومن اتبعن** عطف على المتصل في
اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه **وقل للذين اوتوا**
الكتاب اي من اليهود والنصارى ووضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين **والاميين**
اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب **ااسلمتم** متبعين لي كما فعل المومنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه
ويقتضيه فهل اسلمتم لا محالة فهل اسلمتم وعلمتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما تقول لمن لخص لصاحبه المسئلة
ولم يدع من طرف التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فهمتها على منهاج قوله فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف
عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وقلة القريحة
فان اسلموا اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام
على شي اخر بالكلية **فقد اهتدوا** اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا من مهاوي الضلال **وان تولوا** اي اعرضوا عن الاتباع
وقبول الاسلام **فانما عليك البلاغ** قايم مقام الجواب اي لم يضروك شيا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على
ابلغ وجه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه الاية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه
وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى اتشهدون
ان عيسى كلمة الله عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا **والله بصير**
بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد **ان الذين يكفرون بايات الله** اي باية كانت فيدخل فيهم
الكافرون بالايات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا اوليا **ويقتلون النبيين بغير**
حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبيا عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله
تعالى حايمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصم الله عز وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال
وقري بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان ايضا عندهم بغير حق **ويقتلون الذين يامرون**
بالقسط من الناس اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما عن ابي
عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى
عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنوا اسرايل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام
مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرايل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار وقر
ويقاتلون الذين **فبشرهم بعذاب اليم** خبر ان والفا لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتدا

بل تزيد تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان ا ... كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وكذا النسخ
بلكن كما في قوله ... فوالله ما فارقتكم عن ملالة ... ولكن ما يقضى فسوف يكون ...
وانما يتغير معنى الابتدا في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفا عند النسخ مطلقا فالخبر
عندهما قوله تعالى **اوليك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة** كما في قولك الشيطان فاحذر عدو مبين وعلى
الاول هو استيناف واسم الاشارة مبتدا وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في
فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره اي اوليك المتصفون بتلك الصفات القبيحة اي المبتلون باسوا الحال
الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا
والاخرة وعذاب اليم في الدنيا والاخرة **وما لهم من ناصرين** ينصرونهم من باس الله عز وجل وعذابه في احد الدارين وصيغة
الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار **الم تر** تعجيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه الروية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق ان اختلافهم
انما كان بعد ما جاهم العلم بحقيقته اي الم تنظر **الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب** اي التورية على ان اللام للعهد وحمله
على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقريع بكون التوراة من جملتها لان مدار التشنيع والتعجب انما هو
اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصب للاشعار
بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على ... لا يساعده مقام
المبالغة في تقبيح حالهم **يدعون الى كتاب الله** الذي اوتوا نصيبا منه وهو التوراة والاظهار في مقام الاضمار لايجاب
الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استيناف مبين وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان فقال نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال
صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها
فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا وقيل كتاب الله القران فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقري **ليحكم**
على البنا للمجهول فيكون الاختلاف **بينهم** بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الاخرون **ثم يتولى فريق**
منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه **وهم معرضون** اما حال من فريق لتخصيصه بالصفة او ممن من
المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل **ذلك** اشارة الى ما مر
من التولي وهو مبتدا خبره قوله تعالى **بانهم** اي حاصل بسبب انهم **قالوا لن تمسنا النار** باقتراف الذنوب وركوب المعاصي
الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب **وغرهم في دينهم**
ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان اباءنا الانبيا يشفعون لنا وان الله وعد يعقوب عليه السلام
ان الله لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبايح **فكيف** رد لقولهم المذكور وابطال
لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال فكيف يكون حالهم **اذا جمعناهم ليوم** اي لجزا يوم
لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله
عز وجل على روس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار **ووفيت كل نفس ما كسبت** اجر ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون
وانما وضع المكسوب موضع جزايه للايذان بكمال الاتصال كانهما شي واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط
وان المومن لا يخلد في النار لان توفية جزا ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلوص منها **وهم**
اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس **لا يظلمون** بزيادة عذاب او نقص ثواب بل يصيب كل منهم مقدار ما كسبت **قل**
اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصايص الاسم الجليل لدخوله عليه مع حرف التعريف

وقطع همزته ودخول تا القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات
الفعل وهمزته **مالك الملك** اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرف فيه كيف ما يشاء ايجادا
واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشاركة ولا ممانع عند سيبويه فان الميم لا توصفه **تؤتي الملك** بيان
لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه لاختصاصها به حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبي ايثار الايتا الا
هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة **من تشاء** ايتا اياه **وتنزع الملك ممن تشاء** اي نزعه
فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى اخرين **وتعز من
تشاء** ان تعزه في الدنيا او في الاخرة او فيهما او بالنصر والتوفيق **وتذل من تشاء** ان تذله في احدهما او فيهما من غير ممانعة
من الغير ولا مدافعة **بيدك الخير** تعريف الخير للتعميم وتقديم للتخصيص اي بقدرتك الخير بالذكر لما انه مقتضى
الذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شيء جزئي الا وهو متضمن لخير كلي ولان في حصول الشر دخولا لصاحبه في جملة
لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن
الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ
منه المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضا ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون
وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها قصور الحمر في ارض الروم
ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال
المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم
وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت **انك على كل شيء قدير** تعليل لما سبق وتحقيق له
تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه اي بنقص الاول وزيادة الثاني **وتولج النهار في الليل** على احد
الوجهين **وتخرج الحي من الميت** اي تنشئ الحيوانات من موادها اي من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر **وتخرج
الميت من الحي** اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن **وترزق من تشاء بغير حساب** قال
ابو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القران على ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى
العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب
والبا متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على انه من قدر على امثال هاتيك الافاعيل
العظام المحيرة للعقول والاوهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل
هين عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب واية الكرسي وايتان من
ال عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب
معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت ان
لا يقرأكن دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة قدسي ونظرت اليه بعيني كل يوم
سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا
الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم
عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى
عليكم **لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء** نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة
والمعاشرة كما في قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود

والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى وعن الاستعانة بهم في الغزو وعن سائر الامور الدينية **من
دون المؤمنين** في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى ان الحقيق بالموالاة وان في موالاتهم
مندوحة عن موالاة الكفرة **ومن يفعل ذلك** اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره
فليس من الله اي من ولايته تعالى **في شيء** يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان ولاية المتعادين مما لا تكاد تدخل تحت الوقوع
قال:
تود عدوي ثم تزعم انني ٭ صديقك ليس النوك عنك بعازب ٭
والجملة اعتراضية وقوله تعالى **الا ان تتقوا** على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل
فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا او باطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم **منهم** اي من جهتهم
تقاة اي اتقاء اي شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة مع اطمئنان النفس بالعداوة
والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل
تقاة وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية **ويحذركم الله نفسه** اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق
لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح به محققو المتاخرين بعدم الجواز
وان اريد به الذات لا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر
من الكفرة **والى الله المصير** تذييل مقرر لمضمون ما قبله وتحقيق لوقوعه حتما **قل ان تخفوا ما في صدوركم** من الضمائر التي من جملتها
ولاية الكفرة **او تبدوه** فيما بينكم **يعلمه الله** فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في
تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون **ويعلم ما في السموات وما في
الارض** كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا **والله على كل
شيء قدير** فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة
وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات متصفة
بشيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج
من ملكوته شيء قط **يوم تجد كل نفس** اي من النفوس المكلفة **ما عملت من خير محضرا** عندها بامر الله تعالى والاحضار معتبر
فيه الا انه خص بالذكر الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية **وما عملت**
في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحايف اعمالها من الخير والشر واجزيتها محضرة **وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه** اي بين
ذلك اليوم **امدا بعيدا** لغاية هوله وفي اسناد الوداد الى كل نفس سواء كان لها عمل سيئ او لا بل كانت متمحضة في الخير من
الصلاة دلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على مفعوله
باضمار اذكر وتود اما حال من كل نفس او استئناف مبني على السؤال اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا تود
ان بينها وبينه امدا بعيدا له وكان سائلا قال فماذا يكون حينئذ فقيل تود لو ان بينها وبينه
اي تجد مقصودا على ما عملت من خير تود خبر ما عملت من سوء ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فيجوز كونها شرطية
لكون الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية حال ماضية موافق للقراءة المشهورة **ويحذركم الله نفسه** تكرير لما سبق
واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يعقبه قوله عز وجل **والله رؤوف بالعباد** من ان تحذيره تعالى من رافته بهم ورحمته
الواسعة او ان رافته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرتموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرحمة بل هو متحقق
مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم
الجليل لتربية المهابة **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني** المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها
اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله او بالله والى الله

والى الله ولم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته ورغبته فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة
الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرضى عنكم
ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق
الاستعارة والمشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر
لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي
انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام
زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا
في اذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فقالت
قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله تعالى زلفى فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى
تعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا سنتي وشريعتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار
بطريق الالتفات لتعيين حيثية الطاعة والاشعار بعلتها فان الطاعة المامور بها طاعته عليه السلام من حيث انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام القول
فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التاءين اي فان تتولوا كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي
وفي ترك ذكر احتمال الطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية
عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار
بعلته فان سخطه تعالى بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين ان
الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين لما بين انه عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام
والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو لبغي الحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من بيت النبوة القديمة ابتداء ببيان جلالة اقدار الرسل
عليهم السلام كافة واتبعه ذكر مبدا عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته عليه السلام للناس الى التوحيد والاسلام
تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شانهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابراهيم عليه
السلام وادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل
عليهم السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة
والنبيين وان اممهم قاطبة مامورون بالايمان لمن جاءهم من الرسل مصدقا لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى
الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل وحتم الطاعة له حسبما سياتي تفصيله وتخصيص ادم
عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشا النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه ادم الثاني واما ذكر ال ابراهيم فلترغيب
المعترفين باصطفائه بالايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم و نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من ذريته
مع ما فيه من التنبيه على كونه عليه السلام عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر ال عمران مع انه اندرج في
ال ابراهيم في الاظهر فللاعتناء بامر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الاختلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الاب
الاقرب ادل على تحققه في الاول وهو الداعي الى اضافة الاول الى ادم ونوح وابراهيم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما
اصطفى من الشيء كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات

الجسمانية المستتبعة للرسالة كما في نفس المصطفى كما في ا الرسل عليهم السلام بان خلقه بيده في احسن تقويم
وبتعليمه الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكانه الجنة واصطفاء نوحا عليه السلام لكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل
ذلك تزويج المحارم حراما واطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمسلمين وحمله على متن الما
والمراد بال ابراهيم اسماعيل واسحاق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه عليه
السلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام
الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء ا بدعوته وبقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولذلك قال عليه
السلام انا دعوة ابراهيم وبال عمران عيسى ومريم ابنة عمران بن ماثان بن العازار بن ابي هود بن زربابل بن سلتان بن يوحنا وشا بن
يوزد بن ميشك بن حارفا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راحم بن سليمان بن داود عليهما السلام بن
ايشا بن عويد بن سلمون بن باعز بن عسون بن عاد بن ادم بن حصروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليهم السلام وقيل موسى وهارون
عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة فكيف
اصطفاء عيسى عليه السلام حينئذ بالاندراج في ال ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم
واصطفاء موسى وهارون عليهما السلام بالانتظام في سلك ال ابراهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل
زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب على البدلية من الاولين او على الحالية منهما وقد مر بيان
اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الاولين حال
كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاشتمالة
على الوجه الاول تقريره وعلى الثاني تنبيه والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي من بينهم لخدمته
من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت
امرأة عمران رب في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء ال عمران وبيان كيفيته اي
اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث
وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول
عليه بالاصطفاء كانه قيل واصطفى ال عمران اذ قالت الخ فكان من عطف الجملة على الجملة دون عطف المفردات على المفردات
ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت
اسمها مريم اكبر من موسى وهارون عليهما السلام فظن انه المراد زوجته وليس كذلك فان قصة كفالة زكريا عليه السلام
قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام
واما قوله صلى الله عليه وسلم في شان يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فمتاول بان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت
الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب روي
انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان
لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في
الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل وحينئذ وقولها اني نذرت لك ما في بطني محررا لا بد من حمله على التكرير لتاكيد
نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح
المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله
بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتاكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لقصور ذلك عن درجة
العقلاء محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شان اخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه

نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة واما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد تقييده له
فعليها بالتحرير ليحصل به التقرب الى الله تعالى لا تقييدها لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها **فتقبل مني** اي ما نذرته
والتقبل اخذ الشي على وجه الرضى وهذا في تحقيق استدعا بدونه في تحقق القبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى **انك انت**
السميع بجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي **العليم** بكل المعلومات التي من جملتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل
لاستدعا القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه كونه
تعالى سميعا لدعائها بصحة نيتها واخلاصها مستدعي لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد الجملة الغرض قوة تيقنها بمضمونها
وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لغرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في
الضراعة والابتهال **فلما وضعتها** اي ما في بطنها تانيث الضمير العايد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره في
حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله تعالى **قالت رب اني وضعتها انثى** لا على وضع ولد ما كانه قيل فلما وضعت بنتا
قالت الخ وقيل تانيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى لانه مول بما عمله او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار
شي ما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدار الترتب الجزا عليه وقوله حال موكدة من الضمير او بدل منه وتانيثه للمسارعة الى
عرض ما دهمها من خيبة الرجا او لما مر من التاويل بالحملة او النسمة فالحال مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة
رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتاكيد للرد على اعتقادها الباطل
والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشانها وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشي الذي وضعته
وما علق به من عظائم الامور وجعلها وابنها اية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعتَ على خطاب
الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا المولود وما اودع الله فيه من علو الشان وسمو المقدار وقرئ وضعتُ على صيغة
التكلم مع الالتفات في الخطاب الى الغيبة واظهار الجلال فيكون من كلامها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح
لما نذرته من السدانة وتسلية لنفسها على معنى لعل الله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات
ظاهر وقوله تعالى **وليس الذكر كالانثى** اعتراض اخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر
والانثى للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي
وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراتين الاولتين واما على التفسير
الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تاكيد
الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل عن ذلك
فاللام للجنس وقوله تعالى **واني سميتها مريم** عطف على اني وضعتها وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب الى الله تعالى
واستدعا العصمة لها فان مريم كانت في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن
نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة لسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه **واني اعيذها**
بك عطف على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ بفتح يا المتكلم في المواضع
التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف اتوني افرغ **وذريتها** عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور
عليه لابراز كمال العناية به **من الشيطان الرجيم** اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع
في اغوا كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة **فتقبلها** اي اخذ مريم ورضي
بها في النذر مكان الذكر **ربها** مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى **بقبول حسن** قيل البا زائدة
والقبول مصدر موكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة

التقبل

التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون
الفعل على خلاف طبع الفاعل وان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل
به الشي كالسعوط واللدود لما يسعط ويلد به وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل انثى او
بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها
لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت روس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر
عيسى عليهما السلام في الكتب الالهية فقال زكريا عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا
سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا عليه السلام ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر
فيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى
وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن **وانبتها** مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
نباتا حسنا مصدر موكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا **وكفلها**
زكريا اي جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا لمصالحها وقائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل
وان رغبته عليه السلام في كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من اثار تعالى
وقرئ اكفلها وقرئ زكريا بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفا وكسرها ورفع زكريا ممدودا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها
وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها وهو
نعين لجهة التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس
ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضوع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روي انه كان لا يدخل عليها
الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب **كلما دخل عليها زكريا المحراب** تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية
بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان او محذوف او نكرة موصوفة معناها
الوقت والعامل فيها جوابها وكل زمان دخوله عليها وكل وقت دخل عليها فيه **وجد عندها رزقا** اي نوعا منه غير معتاد اذ
كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتا وفي الشتا فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط **قال**
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الاية فقيل قال **يا مريم انى لك**
هذا اي من اين لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء
ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا عليه السلام فيا باه اشتباه
الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما شاهده انها مويدة من عند الله تعالى بالعلم
والقدرة **قالت** استيناف كما قبله كانه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال فقيل قالت **هو من**
عند الله فلا تعجب ولا تستبعد **ان الله يرزق من يشاء** ان يرزقه **بغير حساب** اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق منه
تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون في محل النصب واما من
كلامه عز وجل فهو مستانف روي ان فاطمة الزهرا اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع
بها اليها فقال يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشا بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها **هنالك** كلام مستانف وقصة
مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها حكايتها من بيان

اصطفا آل عمران فان فضايل بعض الاقربا ادلة على فضايل الاخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف
للخطاب اى فى ذلك حيث قاعد مريم فى المحراب او فى ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان **دعا زكريا
ربه** لما راى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها منه تعالى رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولدها فى النجابة والكرامة على
الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما راى الفواكه فى غير ابانها تنبه على جواز ولادة العجوز
العاقر من الشيخ الفانى فاقبل على الدعا من غير تاخير كما ينبى عنه تقديم الظرف على الفعل على معنى ان ذلك كان هو الموجب
للاقبال على الدعا لا انه كان جزءا من العلة التامة التى من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما
فصل فى سورة مريم قال تفسير للدعا وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب **رب هب لى من لدنك** كلا الجارين متعلق بهب
لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتدا الغاية مجازا اى اعطنى من محض قدرتك من غير وسط معتاد **ذرية طيبة**
كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية اى كاينة من لدنك والذرية النسل يقع على الواحد والجمع
والمذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد فالتانيث فى الصفة لتانيث لفظ الموصوف كما فى قول من قال

ابوك خليفة ولدته اخرى ۞ وانت خليفة ذاك الكمال ۞

وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت حمزة
وذهبت طلحة **انك سميع الدعا** اى مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة **فنادته الملايكة** كان المنادى
جبريل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة من قرا فناداه جبريل والجمع كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس
وثوب قال الزجاج انما اتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملايكة وقيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه خاصة
وقرى فناداه بالامالة **وهو قايم** جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعا وقوله
تعالى **يصلى** اما صفة لقايم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او
حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن فى قايم وقوله تعالى **فى المحراب** فى المسجد او فى
غرفة مريم متعلق بيصلى او بقايم على تقدير كون يصلى حالا من ضمير قايم لان العامل فى الحال حينيذ شى واحد فلا يلزم الاجنبى
كما يلزم التقادير الباقية **ان الله يبشرك بيحيى** اى بان الله وقرى بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه
نوعا منه وقرى يبشرك من الابشار ونبشرك من الثلاثى وايا ما كان فينبغى ان يكون هذا الكلام الخ محكيا بعبارته من
الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية كما يلوح به مراجعته
عليه السلام فى الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما
وقع فى سورة مريم للجرى على سنن الكبريا كما فى قول الخلفا امير المومنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكى هنا من النداء
والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر
وبهذا اتضح اتحاد المعنى فى السورتين الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف دون الفعل روى عن ابن
عباس رضى الله عنهما انما سمى يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان قال
القرطبى كان اسمه فى الكتاب الاول حيى فلا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال اى بولادة يحيى فان التبشير لا
يتعلق بالاعيان **مصدقا** حال مقدرة من يحيى **بكلمة من الله** اى بعيسى عليه السلام وانما سمى كلمة لانه وجد بكلمة كن
من غير اب فشابه البديعيات التى هى عالم الامر ومن لابتدا الغاية متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اى بكلمة
كاينة منه تعالى قيل هو اول من امن به وصدق انه كلمة الله وروح منه وقال السدى لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت
اشعرت بحبلى قالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة
الخ وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر وقيل بثلاث سنين وقيل قبل رفع عيسى

عليها

عليها السلام مدة يسيرة وعلى كل حال يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان مريم ولدت وهى
بنت ثلاث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اى بكتاب الله سمى كلمة كما يقال كلمة الحق يريد به كقصيدة
وسيدا عطف على مصدقا اى رييسا يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان فايقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية
فيالها من سيادة ما اسناها **وحصورا** عطف على ما قبله اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روى
انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت **ونبيا** عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة
من الصالحين اى ناشيا منهم لانه كان من اصلاب الانبيا عليهم السلام او كاينا من جملة المشهورين بالصلاح كما فى قوله وانه فى
الاخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذى لا بد منه فى منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه وعليه مبنى
دعا سليمان وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين **قال** استيناف مبنى على السوال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام
فقيل قال **رب** لم يخاطب الملك المنادى له مع انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى
على نهج دعايه السابق مبالغة فى التضرع والمناجاة وجدا فى التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم
ان علمه سبحانه على توسطه فى عامة الاحوال وان لم يتوقف على غيرها وان لم يتوقف عليه فى بعضها **انى يكون لى غلام** فيه دلالة
على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما فى قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف اى من اين وكان تامة
وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتنا بما قدم والتشويق الى ما اخر كيف او من اين يحدث
لى غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام
متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية **وقد بلغنى الكبر** حال من ياء المتكلم اى ادركنى كبر السن واثر فى
كقولهم ادركته السن واخذته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلايع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه
قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتا وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمسة وستون وقيل سبعون
وقيل خمسة وثمانون ولامراته ثمان وتسعون **وامراتى عاقر** اى ذات عقر وهو ايضا حال من الياء عند من يجوز تعدد الحال
او من يا بلغنى اى كيف يكون لى ذلك والحال انى وامراتى على حالة منافية له كل المنافاة وانما قال عليه السلام مع سبق
دعايه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله
تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه بذلك لا استبعادا له وقيل كان بين الدعا والبشارة ستون سنة
وكان قد نسى دعاه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه **قال** استيناف كما سلف **كذلك** اشارة الى
مصدر يفعل وقوله تعالى **الله يفعل ما يشا** اى ما يشا ان يفعله من عجايب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدا
ويفعل خبره والكاف فى محل النصب على انه فى الاصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل ما يشا ان يفعله فعلا مثل
ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة
الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه فى تفسير
قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او انها على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة ان يفعل الفعل كاينا مثل ذلك او
فى محل الرفع على انه خبر والجلالة مبتدا اى على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشا بيان لذلك الشان
المبهم او كذلك خبر لمبتدا محذوف اى الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشا بيان له **قال رب اجعل لى اية** اى علامة
تدلنى على تحقق المسوول ووقوع الحبل وانما سالها لان العلوق امر خفى لا يوقف عليه فاراد الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة من
حين حصولها بالشكر ولا يوخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السوال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر
ما ذكر من كون التفاوت بين سنى يحيى وعيسى بستة اشهر او بثلاث لان ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى فى سورة مريم
فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الاية اللهم الا ان تكون المحاورة بين زكريا ومريم فى حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم

في الصغر بموجب قولها المحكي والجعل الداعي واللام متعلقة به والتقدير لما مر مرارًا من الاعتنا بما قدم والتشويق الى
ما اخر او بمحذوف وقع حالا من اية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما اية وثانيهما لي والتقديم لانه مسوغ لكون
اية مبتدا عند انحلال الجملة الى مبتدا وخبر سوى تقديم الجار فلا تتعين حالا لما بعد دخول الناسخ **قال ايتك ان لا تكلم الناس**
اي ان لا تقدر على تكليمهم **ثلاثة ايام** اي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما
جعلت اية ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى قضا لحق النعمة كانه قيل اية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا
عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال **الا رمزا** اي اشارة بيد او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اي تحرك ومنه
قيل للبحر الراموز وهو استثنا منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم من المرام ولا ريب
في كون الرمز من ذاك القبيل وقرى رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه
ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله

متى ما تلقني فردين ترجف … روانف اليتيك وتستطارا

واذكر ربك اي في ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض للربوبية **كثيرا** اي ذكرا كثيرا او زمانا
كثيرا **وسبح** اي سبحه تعالى او افعل التسبيح **بالعشي** اي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل
والابكار من طلوع الفجر الى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما ان المراد بالذكر القلبي وقرى الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار **واذ قالت
الملائكة** شروع في شرح بقية احكام اصطفا ال عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضايل بعض اقاربهم اعني زكريا ويحيى عليهما
السلام لاستدعا المقام اياها حسبما اشير اليه وقرى بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من
الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى
اذ قالت امراة عمران منصوب بناصبه وقرى فنذكر اي واذكر ايضا من شواهد اصطفايهم وقت قول الملائكة عليهم السلام
يا مريم وتكرير الاشعار بمزيد الاعتنا بما حكي من الكلام الاصطفا والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة
فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم عليها السلام وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية
المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبي
امراة وقيل الهموها **ان الله اصطفاك** اولا حيث تقبلك امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى ورباك في حجر زكريا ورزقك
من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية **وطهرك** اي مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قذفك به اليهود من انطاق
الطفل **واصطفاك** اخرا **على نسا العالمين** بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك وجعلكما اية للعالمين فعلى
هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا
منها مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيا واحدا وقيل المراد بالاصطفاين واحد
والتكرير للتاكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحل الاشكال في ترتب النظم الكريم اذ يحمل الاصطفا على ما ذكر اولا ويجعل
هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت بها مجتهدة
فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها **يا مريم** تكرير النداء
للايذان بالمقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا لذكره وترغيبا للعمل بموجبه **اقنتي لربك** اي
قومي في الصلاة واطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر **واسجدي
واركعي مع الراكعين** امرت بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته
وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلاة واقصى مراتب الخضوع

ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللايق به الترقي من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعي بالراكعين
للاشعار بان من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من ان لولا توجب الترتيب فعاتبه التصحيح وتجريد الامر
بالركنين الاخيرين قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلاة وقيل حيث قيل به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت
ادامة الطاعات كما في قوله الجبي هو قانت انا الليل ساجدا او قايما والمراد بالسجود الصلاة لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع
الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا **ذلك** اشارة الى ما سلف
من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى
من انبا الغيب او من الانبا المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة مبينة للاولى وقيل لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى **نوحيه
اليك** جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية اما متعلقة بنوحيه او حالا من ضميره اي نوحي من انبا الغيب او
نوحيه حال كونه من جملة انبا الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد **وما كنت لديهم** اي عند الذين
اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله وما كنت بجانب الغربي الاية
وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والواقعات اما المشاهدة واما السماع وعدمه
محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة تهكما بهم **اذ يلقون اقلامهم** ظرف لاستقرار العامل في لديهم والاقلام اقداحهم التي اقترعوا
بها قيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا **ايهم يكفل مريم** متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم ينظرون
او ليعلموا ايهم يكفلها **وما كنت لديهم اذ يختصمون** اي في شانها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر سابقا وتكرير ما كنت لديهم مع
تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى
للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم عند لقا الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة
على نبوته عليه السلام لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب في الذكر موكد له **اذ قالت الملائكة**
شروع في قصة عيسى عليه السلام وهو بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جي بها تقريرا لما سبق
وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان تعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بنا على اتحاد المخاطب والمخاطب
ابدانا بتقارن الخطابين او تقاربهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل
وما كنت حاضرا في ذلك الزمان الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف اخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عليه
السلام بتفاصيل احوال مريم عليها السلام من اولها الى اخرها والقايل جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع لما مر **يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه** من لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كاينة منه عز وجل **اسمه** ذكر
الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدا خبره **المسيح** وقوله تعالى **عيسى** بدل منه او عطف بيان وقيل خبر
اخر وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منصوب باضمار اعني مدحا وقوله تعالى **ابن مريم** صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما يتميز
المسمى عن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة اذ هو المميز له عليه السلام تميزا عن جميع ما عداه والمسيح لقبه عليه السلام وهو
من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا معناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدي لاشتقاقهما من
المسح والعيس وتعليله لانه عليه السلام مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليه السلام او مسح الارض
ولم يقم في موضع او كان عليه السلام يمسح ذا العاهة فيبرا او بانه كان في لون عيس اي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على
الما وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا لامه ولذلك فضلت على نسا العالمين
وجيها في الدنيا والاخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة فانها وان كانت نكرة صالحة لا
ينتصب بها وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة
في الجنة **ومن المقربين** اي الى الله عز وجل قيل هو اشارة الى رفعه عليه السلام الى السما وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال

الاولى وقد عطف عليه قوله تعالى **ويكلم الناس في المهد وكهلا** اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت
والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة
المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية **ومن الصالحين** حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال او من الضمير في يكلم
قالت استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة فقيل قالت متضرعة الى ربها **رب**
انى يكون لي ولد اي كيف يكون لي ولد على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه
الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة واني واللام متعلقة بها وتاخير الفاعل على الجار لما مر
من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تاخر لكان صفة له واما ناقصة
واسمها ولد وخبرها اما اني واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر او خبر واني نصب على الظرفية وقوله تعالى **ولم يمسسني بشر**
جملة حالية محققة للاستبعاد اي واني على حالة منافية للولادة **قال** استيناف كما سلف والقائل هو الله تعالى او
جبريل عليه السلام **كذلك الله يخلق ما يشا** الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد يخلق هاهنا مكان يفعل
هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق المنبي على الاختراع
انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل **اذا قضى امرا** من الامور اي اراد شيا من الاشيا كما في قوله
تعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون واصل القضا الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة
بوجود الشي لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك **فانما يقول له كن** لا غير **فيكون** من غير ريب وهو كما ترى
تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تاتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة
المامور المطيع للامر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشيا مدرجا باسباب ومواد يقدر على خلقها دفعة
من غير حاجة الى شي من الاسباب والمواد **ونعلمه الكتاب** اي الكتابة او جنس الكتب الالهية **والحكمة** اي العلوم وتهذيب
الاخلاق **والتوراة والانجيل** افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما
على غيرهما والجملة على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف الملامة لما علمت
انها تلد من غير زواج وقرئ ونعلمه بالنون **ورسولا الى بني اسرائيل** منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على نعلمه اي ونجعله
رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد
البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف عليه السلام واخرهم عيسى وقيل اولهم موسى واخرهم عيسى عليهما السلام وقوله تعالى
اني قد جئتكم معمولا لرسولا لما فيه من معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الخ وقرئ رسول بالجر عطفا
على كلمة والباء في قوله تعالى **باية** متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة
لظهور تعددها وكثرتها وقرئ بايات او بجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله تعالى **من ربكم** لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف
وقع صفة لاية اي قد جئتكم باية عظيمة كائنة من ربكم او اتيتكم اية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع
الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال بما سياتي من الامر وقوله تعالى **اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير**
بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفرا والجر على راي الخليل والكسائي او بدل من
اية وقيل منصوب بفعل مقدر اي اعني الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اي هي اني اخلق وقرئ بكسر الهمزة على
الاستيناف اي اقدر لكم اي لاجل تحصيل ايمانكم ورفع تكذيبكم اياي من الطين شيا مثل صورة الطير وانفخ فيه الضمير
للكاف اي في ذلك الشي المماثل هيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين كهيئة الطير **فانفخ فيه فيكون طيرا** حيا طيارا كسائر
الطيور **باذن الله** بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي انه عليه السلام
لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السما والارض قال وهب

كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق
الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له نابا ومخلابا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوانات وتضحك
كما يضحك الانسان وتطير بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة
بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير **وابرئ الاكمه** اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين **والابرص** المبتلى بالبرص لم
تكن العرب تنفر من شي نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص هذين الدائين لكونهما مما اعيا الاطبا وكانوا في غاية الحذاقة
في زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه عليه السلام الوف من المرضى من
اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداويه الا بالدعا **واحيي الموتى باذن الله** كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه
اللاهوتية قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيى عازر وكان صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت
فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انت تحيي
من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا فاصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره ففعلوا فقام على
قبره فدعا الله تعالى فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عليه السلام كيف شبت لم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما
دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك الموقف شبت فساله عن النزع قال
يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي
فامن به بعضهم وكذبه اخرون وقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك قوله
وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات اي احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تدخرون بالذال
والتخفيف **ان في ذلك** اشارة الى ما ذكر من الامور العظام **لاية** وقرئ لايات **لكم** دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة **ان**
كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه اي دلالة المذكور عليه اي تنتفعون بها ان كنتم ممن يتاتى منهم صحة
الايمان دلتكم على صحة رسالتي والايمان بها **ومصدقا لما بين يدي من التورية** عطف على المضمر الذي تعلق به قوله تعالى باية اي
قد جئتكم ملتبسا باية الخ ومصدقا لما بين الخ او على رسولا على الاوجه الثلاثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا اي
ونجعله مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او نقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الى اخره ومصدقا الخ وجئتكم مصدقا الخ وقوله من
التورية اما حال من الموصول والعامل يصدقا واما من ضمير المستتر فيه الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف
لقيامه مقام الفعل **ولاحل لكم** معمول عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل الى اخره وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا
لاجتلب رضاه كانه قيل جئتكم لاصدق ولاحل الخ وقيل عطف على باية اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم **بعض الذي حرم عليكم** اي
في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت قيل احل لهم من السمك والطير
ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن
كرم وهذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التورية والانجيل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ بيان لتخصيص في
الازمان وتاخير المفعول عن الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى ما اخر **وجئتكم**
باية من ربكم مشاهدة على صحة رسالتي وقرئ بايات **فاتقوا الله** في عدم قبولها ومخالفة مدلولها **واطيعون** فيما امركم به
وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الاية هي قوله **ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** فانه الحق الصريح الذي اجمع
عليه الرسل قاطبة فيكون اية بينة على انه عليه السلام من علمهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من اية وقد جئتكم باية على ان الله
ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم باية بعد اية مما ذكرت لكم من خلق
الطير وابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى والانبا بالخفيات ولغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك
والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفا قوله تعالى فاتقوا الله لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات

الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله
تعالى لايلاف قريش الخ ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فلانه بلازم الطاعة
التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه السلام قل امنت ثم استقم **فلما احس عيسى منهم الكفر** شروع في بيان ما ال احواله عليه السلام اثر ما
اشير اليه الطرف منها بطريق النقل عن الملايكة فالفا فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملايكة عليهم السلام وخروجه
من القوة الى الفعل حسبما شرحته كما في قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال رب ورب وانما لم يذكر اكتفا بحكاية الملايكة وايذانا بعدم الخلف وثقة
بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم بعثته عليه السلام في سلك الفعل فاما للاعتنا بامرها او لعدم مناسبتها لمقام
البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام للشدايد ومعاناته للمكايد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري
مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه من العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبي عنه الاحساس
فانه انما يستعمل في اصل هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم
منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرايل اي ابتدا من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر **قال** اي لخلص اصحابه
لا لجميع بني اسرايل كما في قوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين الاية وقوله تعالى فامنت طايفة من بني اسرايل وكفرت
طايفة لبس بعض في توجيه الخطاب الى الكل بل يكتفي فيه ببلوغ الدعوة اليهم **من انصاري** الانصار جمع نصير كاشراف
جمع شريف **الى الله** متعلق بمحذوف وقع حالا من اليا اي من انصاري متوجها الى الله ملتجيا اليه اي بانصاري متضمنا
لمعنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل الى بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى
مع **قال** استيناف مبني على السوال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال **الحواريون**
جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخاصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات
لخلوص الوانهن سمي بهن به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرايرهم وقيل لما عليهم من اثار العبادة وانوارها
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على
قصعة لا تزال ياكل منه ولا ينقص فترك ملكه فتبعه مع اقاربه فاوليك هم الحواريون وقيل كانوا صيادون السمك
يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فان
اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه
المعجز وكان شمعون قد رمى بشبكته تلك الليلة فما اصطاد شيا فامر عيسى عليه السلام بالقايها في الما مرة اخرى
ففعل فاجتمع في الشبكة كادت تتمزق فاستعانوا باهل سفينة اخرى وملا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى
عليه السلام وقيل كانوا اثنا عشر رجلا امنوا به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا اجعنا فيضرب بيده الارض
فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا اعطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الما فيشربون فقالوا من
افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين
وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ ان يشتغل يوما ببعض مهماته فقال له عليه السلام ههنا ثياب مختلفة قد جعلت
لكل واحدة منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه السلام كلها في حب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع
الصباغ فساله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر

الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وامنوا به وهم الحواريون قال
القفال ويجوز ان يكون بعض هولا الحواريين الاثنى عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين
وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى بن مريم عليهما السلام واعوانه وهم المخلصين
في طاعته ومحبته **نحن انصار الله** اي انصار دينه ورسوله **امنا بالله** استينافا فجار مجرى العلة لما قبله فان الايمان
به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليايه والمحاربة مع اعدايه **واشهد بانا مسلمون** مخلصون في الايمان منقادون
لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيمة يوم تشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم
ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية **ربنا امنا بما انزلت** تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها
على الرسول مبالغة في اظهار امرهم **واتبعنا الرسول** اي في كل ما ياتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة
دخولا اوليا **فاكتبنا مع الشاهدين** اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبيا الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة
محمد عليه السلام فانهم شهدا على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا **ومكروا** اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم
من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة **ومكر الله** بان رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر
من حيث انه في الاصل حيلة تجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه تعالى الا بطريق المشاكلة روي ان ابن عباس رضي الله
عنهما ان ملك بني اسرايل لما قصد قتله عليه السلام امره جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل من تلك
الروزنة الى السما فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج
يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم
قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان
دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل شبه عيسى ورفعه الله عز وجل الى
السما فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا فصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن
صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم تنازع وقتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب
جات مريم عليها السلام ومعها امراة ابراها الله تعالى من الجنون بدعا عيسى عليه السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب
وانزل الله عز وجل عيسى عليه السلام فقال على من تبكيان قالتا عليك قال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا
شي شبه لهم قال محمد بن اسحاق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك
ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرايل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم
احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين وانتزعهم من ايديهم
وسالهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرايل
فقتل منهم خلقا عظيما وظهر منه اصل النصرانية في الروم ثم جا بعده ملك اخر يقال له ططيوس وغزا بيت المقدس بعد
رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك
قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليهما السلام وهي بنت ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت
لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل فاوحى الله تعالى اليه على راس ثلاثين سنة
ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين
والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الدلالة في موضع
الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لما قبله **اذ قال الله** ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك **يا عيسى اني متوفيك**
اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نايما اذ

روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن او مميتك من الشهوات العايقة عن العروج الي عالم الملكوت وقيل اماته سبع ساعات ثم رفعه الي السماء واليه ذهب النصاري قال القرطبي والصحيح ان الله تعالي رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا علي قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبر بهم ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة الاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال احدهم انا يا نبي الله فالقي الله عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه والقي عليه شبه عيسي عليه السلام فخرج علي اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسي عليه السلام فكساه الله الريش والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب له وذلك قوله تعالي اني متوفيك وطار مع الملايكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الي السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخري منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهولاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الي ان بعث الله تعالي محمدا صلي الله عليه وسلم **ورافعك الي** اي الي محل كرامتي ومقر ملايكتي **ومطهرك من الذين كفروا** اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم **وجاعل الذين اتبعوك** قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلي الله عليه وسلم دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصاري **فوق الذين كفروا** وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل توفيتهم علي توفية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصاري والمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والاقاويل الكفرية بقول من اتباعه عليه السلام **الي يوم القيامة** غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا علي معني ان الجعل او الفوقية ينتهي حينيذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل علي معني ان المسلمين يعلونهم الي تلك الغاية فاما ما بعدها فيفعل الله تعالي بهم ما يريد **ثم الي مرجعكم** اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسي عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به علي تغليب المخاطب علي الغايب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في التبشير والانذار **فاحكم بينكم** يوميذ اثر رجوعكم الي **فيما كنتم فيه تختلفون** من امور الدين فيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا** تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل للكيفية والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالي **في الدنيا والاخرة** متعلق باعذبهم لا بمعني ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الاخرة واحدا انها يوم القيمة بل بمعني اتمام مجموعهما يوميذ وقيل ان المراجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالي الي يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود لا عن الفوقية المحدودة علي نهج قولك ساعيرك سكني هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزمه تاخر الخلع عن الاعادة لا عن الشهر **وما لهم من ناصرين** يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع وليس لواحد منهم ناصر **واما الذين آمنوا** بما ارسلت به **وعملوا الصالحات** كما هو ديدن المومنين **فنوفيهم اجورهم** فيعطيهم اياها كاملة والالتفات الي الغيبة للايذان بما بين مصدري التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقري فنوفيهم جريا علي سنن العظمة **والله لا يحب الظالمين** اي يبغضهم فان هذه الكناية ناشية في جميع اللغات جارية مجري الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود واضعون الكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله تقرير لمضمونه **ذلك** اشارة الي ما سلف من نبا عيسي عليه السلام وما فيه من معني البعد للايذان بالدلالة علي عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلي كونه في ظهور الامر ونباهة الشان بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدا وقوله عز وعلا **نتلوه** خبره وقوله تعالي **عليك** متعلقة بنتلوه وقوله تعالي **من الايات** حال من الضمير المنصوب او بعد خبر او هو الخبر وبينهما حال من اسم

الاشارة او بعد ذلك خبر لمبتدا مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او لما ان الغاية التلاوة لم تتم بعد **والذكر الحكيم** اي المشتمل علي الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القران فمن تبعيضيه او بعد مخصوص منه فمن بيانيه وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدايية **ان مثل عيسي** اي شانه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال **عند الله** اي في تقديره وحكمه **كمثل ادم** اي كحالته العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع **خلقه من تراب** تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسي عليه السلام بلا اب ممن اعترف بخلق ادم عليه السلام بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعني خلق قالبه من تراب **ثم قال له كن** اي انشا بشرا كما في قوله تعالي ثم انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه في التراب ثم كونه ويجوز كون ثم للتراخي في الاخبار لا للتراخي المخبر **فيكون** حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الي العذرا البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت اذ لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام ان ادم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولا يلزم من ذلك كونه ابنا الله سبحانه فكذا حال عيسي عليه السلام وامه والظرف اما حال اي كاينا من ربك او خبر ثان اي كاينا منه تعالي وقيل هما مبتدا وخبر اي الحق المذكور من الله تعالي وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضمير المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الايات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلي الله عليه وسلم ولطف به **فلا تكونن من الممترين** في ذلك الخطاب اما للنبي صلي الله عليه وسلم علي طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبت والاشعار بان الامترا في المحذورية بحيث ينبغي ان ينتهي عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامترا واما لكل من له صلاحية الخطاب **فمن حاجك** اي من النصاري اذ هم المتصدون للمحاجة **فيه** اي في شان عيسي وامه زعما منهم انه ليس علي الشان المحكي **من بعد ما جاءك من العلم** اي ما يوجبه ايجابا قطعيا من الايات البينات وسمعوا منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال **فقل لهم تعالوا** اي هلموا بالراي والعزيمة **ندع ابناءنا وابناءكم** اكتفي بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخري **ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم** اي ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه للمباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم علي النفس في اثنا المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بامنه صلي الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شايبة مكروه اصلا وهو السر في تقديم جانبه عليه السلام علي جانب المخاطبين في كل من المقدم والموخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع في الاسناد **ثم نبتهل** اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اي تركتها بلا صرار **فنجعل لعنة الله علي الكاذبين** عطف علي نبتهل مبين لمعناه روي انه لما دعوا الي المباهلة قالوا حتي نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما تري قال والله لقد عرفتم يا معشر النصاري ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولين فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة علي ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الي بلادكم فاتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصاري اني لاري وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقي علي وجه الارض نصراني الي يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك علي دينك ونثبت علي ديننا قال صلي الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما علي المسلمين فابوا فقال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك علي ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا علي ان نودي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عارية من حديد فصالحهم علي ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلي علي اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتي الطير علي روس الشجر والحال

الحول علي النصارى حتي يهلكوا ان هذا اي ما قص من نبا عيسى عليه السلام وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من
اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الي المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وقرى لهو بسكون
الها والقصص خبران والحق صفة او هو مبتدا والقصص خبره والجملة خبر لان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراق فيه
تاكيد للرد علي النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز القادر علي جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في
القدرة والحكمة ليشاركه في الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعدما بينوا تلك الحجج
والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق
لا محيد عنه بعدما قامت به الحجة افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل
الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا تختلف فيها الكتب والرسل
ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا
لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ابن نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا
من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعض منا بشر امثالنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي
ابن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام اما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو
ذلك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اي قل انت والمومنون اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم
الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم اي اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه
انظر الي ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج في المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام
وما تواردها عليه من الاطوار المنافية الالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الي التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الي المباهلة
بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الي ما اتفق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب ثم لما
ظهر عدم اجداه ايضا امر بان يقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم اي في ملته وشريعته
تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم وما انزلت التوراة علي موسى عليه السلام والانجيل علي عيسى عليه السلام الا من بعده
حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يكون عليهما افلا
تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او تقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هولاء جملة من مبتدا
وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هولاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به
علم في الجملة حيث وجدتموه في التوراة والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم في احد الكتابين
قطعا وقيل هولاء بمعنى الذي وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله اانتم علي الاستفهام قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه
او لكل شي فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اي محل النزاع او شيا من الاشيا التي من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اي مايلا عن العقايد الزايغة كلها مسلما اي منقادا لله تعالى وليس
المراد انه كان علي ملة الاسلام والا اشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد
لادعا المشركين انهم علي ملته عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا
النبي والذين امنوا لموافقتهم في اكثر ما شرعه لهم علي الاصالة وقرى والنبي بالنصب عطفا علي الضمير في اتبعوه والجر عطفا علي
ابراهيم والله ولي المومنين بنصرهم ومجازاتهم الحسنى بايمانهم وتخصيص المومنين بالذكر ليثبت الحكم بدلالة النص ودت طايفة من
اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الي اليهودية وتمنوا ان وما يضلون الا انفسهم جملة
حالية جي بها للدلالة علي كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم علي ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله

اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم وياباه قوله وما يشعرون اي باختصاص وباله وضرره بهم
يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت علي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون
اي والحال انكم تشهدون انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم
تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابرازا الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز وقرى تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح البا
وتلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم
تعلمون اي حقيقته وقالت طايفة من اهل الكتاب وهم روساوهم ومفسدوهم لاعقابهم امنوا بالذي انزل علي الذين امنوا اي
اظهروا الايمان بالقران المنزل عليهم وجه النهار اي اوله واكفروا اي واظهروا ما انتم عليه من الكفر به اخره مرايين لهم انكم امنتم
به بادي الراي من غير تامل ثم تاملتم فيه فوقفتم علي خلل رايكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اي المومنين يرجعون عما هم عليه من الايمان
كما رجعتم والمراد بالطايفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزلت عليهم من الصلوة الي
الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الي الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنى عشر رجلا من احبار
خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماونا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت
الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تومنوا اي لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اي لاهل دينكم او لا تظهروا
ايمانكم وجه النهار الا لمن كان علي دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشا الي الايمان ويثبته
عليه ان يوتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يوتى احد مثل ما اوتيتم اي بلا تومنوا اي ولا تظهروا ايمانكم
بان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الي المسلمين ليلا يزيد ثباتهم ولا الي المشركين ليلا يدعوهم الي الاسلام وقوله قل ان الهدى
هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير محل لطايل وحجران علي ان هدى الله بدل من الهدى وقرى ان يوتى علي الاستفهام التقريعي وهو
موبد للوجه الاول او لان يوتى احد الخ وقرى علي انها نافية فيكون الكلام من كلام الطايفة اي ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا
لهم ما يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم علي ان يوتى علي الوجهين الاولين علي الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا
حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله واسع عليم رد لهم وابطال
لما زعموه بالحجة الباهرة يختص برحمته من يشا كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب شروع
في بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع علي الابتدا حسبما مر تفسيره في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الي اخره خبره
قوله تعالى من ان تامنه بقنطار يوده اليك علي ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كانه
قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تامنه بقنطار اي بمال كثير يوده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الف اوقية ذهبا فاداه وقيل المامونون
علي الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخاينون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قايما استثنا
مفرغ من الاحوال او الاوقات او لا يوده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا في حال دوام قيامك علي راسه مبالغا
في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة الي ترك الادا المدلول عليه بقوله تعالى لا يوده وما فيه من معنى البعد للايذان
بكمال علوهم في الشر والفساد بانهم اي بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي في شان من ليس من اهل الكتاب سبيل اي
عتاب ومواخذه ويقولون علي الله الكذب بادعايهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون علي الله تعالى وذلك بانهم استحلوا ظلم
من خالفهم وقالوا لم يجعل في التوراة في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم
حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعدا الله ما من شي في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها موداة الي البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من اوفى
بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى وعموم المتقين
نايب مناب الراجع من الجزا الي من ومشعر بان التقوى ملاك الامر عام للوفا وغيره من ادا الواجبات والاجتناب عن المناهي ان

الذين يشترون اي يستبدلون وياخذون بعهد الله اي بدلما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم
والوفا بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون
بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الاخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشي اصلا وانما يقع ما
يقع من السوال والتوبيخ والتقريع في اثنا الحساب من الملائكة عليهم السلام او ينتفعون بكلمات الله تعالى وايانه والظ
انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط
عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاده ونظر عينيه ثم كثر حتى صار
عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمه نظر ثم جا فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية
عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم ولا يطهرهم من
اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية
وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل
نزاع في بير واختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذا يحلف ولا يبالي فقال
صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل رجل اقام سلعة في السوق
فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها منه وان منهم اي من اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب اي يفتلونها بقراءته ويميلونها من المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ
يلوون بالتشديد ويلون بالقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقا حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه المحرف
المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الخ وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اي من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال
من الضمير المنصوب اي والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما ذكر من العي والتحريف الطريق
التصريح لا بالتورية والتعريض هو اي المحرف من عند الله اي منزل من عند الله وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدا في الخبر
اي والحال انه ليس من عند الله في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جرائتهم ما لا يخفى واظهار
الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل ما قدموا عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون
على الله تعالى وهو تاكيد تسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على
كعب بن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا له
فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبيا عليهم السلام من حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه
السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وابطاله اي ما صح وما استقام
لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسنده الكفرة اليهم ان يوتيه الله الكتاب
الناطق بالحق الامر بالتوحيد الناهي عن الاشراك والحكم اي الفهم والحكم والحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك
البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لي كائن
متعلق بمحذوف هو صفة عبادا اي عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية
له ويحتمل الحالية لتخصيص النكرة بالوصف او متجاوزين الله تعالى سوا كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز
متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك
ربا فقال عليه السلام معاذ الله ان نعبد غير الله تعالى وان نامر بعبادة غير الله تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت
وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي ان
يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين الرباني منسوب

الى

الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد والتمسك بطاعة الله تعالى
ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ومدارسته اي قراءته فان جعل خبر
كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون للايذان باستقلال كل من استمراره
التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانيه وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب
الاول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس
كاكرم بمعنى كرم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا بالنصب عطفا على ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد معنى النفي على قوله تعالى ما كان لبشر ان يوتيه الله تعالى ثم
يامر الله بعبادة نفسه او يامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق
الحق ببيان ما يليق بشانه ويحق صدوره عنه واما ما قيل من انها مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ
العابدة وتوسيط اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى ما يليق بشانه من العبادة فيقتضي بعبادته ما ذكر من توسيط الاستدراك
بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة انهما في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى ايامركم بالكفر فانه صريح في ان المراد بيان انتفا
كلا الامرين قصدا لا بيان انتفا الاول لانتفا الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستيناف وتجويز الحالية بتقدير المبتدا
اي وهو لا يامركم الخ بين الفساد لما عرفته انفا وقوله تعالى بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون
للسجود له عليه السلام واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت اخذه
تعالى ميثاقهم لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره واذا كان
هذا حكم الانبيا كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم
وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبيا على اممهم وقيل
المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل واسماهم بذلك تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن احق بالنبوة
صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل
ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجي رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي اتيتكموه
وجاكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات
الثلاث استثقالا قال اي الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق ااقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه
يوصر اي يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استيناف مبني على السوال
كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفا بذلك قال فاشهدوا اي فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين اي وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم
شاهد وادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة فيه وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اي اعرض
عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد في معنى الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة الى
من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء
وبعد منزلتهم في الشر والفساد اي فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون
عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طايفة من كان متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اي يتولون
فيبغون غير دين الله تعالى وتقديم المفعول لانه المقصود انكاره او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما
للانكار وقرئ بتا الخطاب على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طوعا

وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق
والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم واليه ترجعون
اي فيها والجمع باعتبار المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية او مستانفة سيقت
للتهديد والوعيد قل آمنا بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير
في قوله تعالى وما انزل علينا وهو القرآن لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة
قد ينسب الى الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان
يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه
عليه السلام اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق بان على لكون
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف الا ترى الى قوله تعالى بما انزل اليك والى اخره وقوله
آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا الخ وانما قدم المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام
مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه
السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم عليه السلام وما اوتي موسى وعيسى من التوراة والانجيل
وسائر المعجزات الظاهرة بايديهم كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع
اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلام اي وبما اوتي النبيون المذكورون وغيرهم من ربهم من الكتب
والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما
انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله في سورة البقرة تفسير قوله تعالى
لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر
والمؤنث والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو
فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم
وغيره كما في قول النابغة ... فما كان بين الخير اذ جاء سالما ... ابو حجر الا ليال قلائل
اي بين الخير وبيني ونحن له مسلمون اي منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له تعالى شريكا فيها وفيه تعريض بايمان
اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا
والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا يدين به وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه
لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن
يقبل منه ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو في الآخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او
استئناف لا محل له من الاعراب اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن ، والطالب لغيره فاقد للنفع
واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها في ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان
حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل
والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعدما
آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين
به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعدما وضح
له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف

على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال
بعد ان آمنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم
الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة
اعتراضية او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
وهو مبتدا وقوله تعالى جزاؤهم مبتدا ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خبره والجملة خبر لاولئك
وهذا ادل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون
من الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه
ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا
هم ينظرون اي يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح
فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم
على ردته فارسل الى قومه ان يسألوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن وكفروا به عليه السلام بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه
والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه
باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم
وابرازا في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم تدخل فيه
الفاء واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء هاهنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا تمييز
وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو
تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم اسم الاشارة مبتدا والظرف خبره لاعتماده على المبتدا ارتفع به عذاب اليم
على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير
ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من نال نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستانف سيق لبيان ما
ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون
ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اي في سبيل
الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة
او موصوفة اي ما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم اي مما يعمها
وغيرها من الاعمال وغيرها والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى
وكان السلف رضي الله عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان
احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رائح فاني
ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اما ان الله تعالى قبلها منك قل وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله عنه الى موسى الاشعري رضي الله عنه ان يشتري جارية من سبي جلولا يوم فتحت مداين كسرى فلما جات اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز كانت لزوجته جارية بادعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المومنين فلتخدمك قال من اين ملكتيها فقالت فتش عن كيفية تملكه اباها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطا المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المومنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى **وما تنفقوا من شي** ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة على المفعولية ومن تبعيضة متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي اي شي تنفقوا كاين من الاشيا فان المفرد في مثل هذه المواضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي اي شي تنفقوا طيب تحبونه وخبيث تكرهونه **فان الله به عليم** تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل شي تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شي من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى **كل الطعام** اي كل افراد المطعوم او كل انواعه **كان حلا لبني اسرايل** اي حلالا لاكلهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم **الا ما حرم اسرايل على نفسه** استثنا متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهي لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع النسا فنذر ان شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احب اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطبا واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى وهو كتحريمه ابتدا **من قبل ان تنزل التورية** متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثنا بينهما وقيل بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التوراة ليس فيه مزيد فايدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التورية مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراة عما نعي عليهم وقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الينا والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها **قل فاتوا بالتورية فاتلوها** امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم وتكليفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم واظهارا شمول التوراة لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى **ان كنتم صادقين** اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بالتورية فاتلوها فان صدقكم بما يدعوكم الى ذلك البتة روي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها **فمن افترى على الله الكذب** اي اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بني اسرايل ومن تقدمهم من الامم **من بعد ذلك** من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح **فاوليك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاوليك هم المصرون على الافترا بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حيلة المحاجة والجدال **هم الظالمون** المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما

والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخل تحت القول عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتورية **قل صدق الله** اي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزلت في شان التورية وقيل في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الخ او صدق كل شان من الشيون وهو داخل تحت في ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح **فاتبعوا ملة ابراهيم** اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم عليه السلام فانكم ان كنتم متبعين لملته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عليه السلام ومن تبعه والفا للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه **حنيفا** اي مايلا عن الاديان الزايغة كلها **وما كان من المشركين** اي في امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه السلام في الاصول لانه لا يدعوا الا الى التوحيد والبراة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها **ان اول بيت وضع للناس** شروع في بيان كفرهم ببعض اخر من شعاير ملته عليه السلام اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا له عليه السلام روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبيا وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اول بيت وضع للناس وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويويده القراة على البنا للفاعل وقوله تعالى **للذي ببكة** خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بسببي الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين البا والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهنا وقولهم امر راتب وراتم وسبد راسه وسمدها واغبطت الحمى واغمطته وهي علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله تعالى وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة روي انه عليه السلام سيل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسيل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم عليه السلام وقيل ادم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان **مباركا** كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة دالة على عظم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال **فيه ايات بينات** واضحات كانحراف الطيور عن موازات البيت على مدار الاعصار ومخالطة ضواري السباع للصيود من غير تعرض لهن وقهر الله تعالى كل جبار قصده بسو كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابراهيم** اي اثر قدمه عليه السلام في الصخرة التي قام عليها وقت رفع الحجارة لبنا الكعبة عند ارتفاعه وعند غسل راسه على ما روي انه عليه السلام جا زايرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسماعيل عليهما السلام انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه وانما هو مبتدا خبره محذوف خبره امنها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه ودلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عليه السلام وكقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على ايات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه في صخرة صما وغوصه فيها الى الكعبين والانه بعض الصخور دون بعض وابقايه دون ساير ايات الانبيا وحفظه مع كثرة الاعدا الوف سنة اية مستقلة ويويده القراة على التوحيد واما بانضمام

من قوله عزوجل ومن دخله كان آمنا فانه وان كان جملة مستانفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من
دخله فتكون بحسب المعنى والمال معطوفة على مقام ابراهيم ولا يخفى ان الامن نوع من الجمع فتكتفي بذلك او الجملة على انه
من تلك الايات اثنتان وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها والمعنى امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم
يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا بلدا امنا وكان الرجل
لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن ابن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب لما مسسته حتى يخرج منه ولذلك
قال ابو حنيفة رضي الله عنه من لزمه القتل بقتال او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يروى ولا يطعم ولا
يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة
امنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله
عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه المقبرة البقعة من
هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت
عنه جهنم مائتي عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدا هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به
الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس
هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف وهو حال من الضمير المستكن على الناس لاستلزامه تقدم
الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت هي ظرفا او حرف جر وعاملها
كذلك بخلاف الحرو حرفا الجر فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد وحجة قصده للزيارة على الوجه
المخصوص المعهود وكسر الحا لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا في محل الجر على انه بدل
من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان
المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدا مضمر اي هم من استطاع الى حجه
وقيل في حيز النصب بتقدير اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اي من
استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او
الى الحج او الجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشانه كما في قوله عزوجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل
لما فيه من معنى الافضاء والايصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيطة من قال او غيره فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال
الزاد والراحلة وهو المراد بما روي انه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما وابن عمر وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رضي الله عنه اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على الاجرة
من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل
الموصل لنفس المستطيع والى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا
وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا
راحلة وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتشديدا
على تاركه وكذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه
عليه الصلاة والسلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء
يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم دخلا فيها دخولا اوليا
اكتفي بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الاية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتنا

بامر

بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية
الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته
وسلك مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه
بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط لانه قد ضرب
عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب
هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب
نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وانه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به
خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه
قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا قبل
ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب
هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به بما يصدقه من القران العظيم مبالغة في
تقبيح حالهم وكفرهم بها وقوله عزوجل لم تكفرون بايات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما
يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد باياته تعالى ما يعم الايات القرانية التي من جملتها ما تلي في شان الحج وغيره وما في التوراة
والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد
التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد
في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون باياته عزوجل والحال
انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انحاء ما تاتونه ويقطع اسبابه بالكلية
قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك
عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل
واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب
لتاكيد الاستقلال ولتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترتيب الناس
فيه فصدهم فيه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالايات الدالة على نبوته
عليه السلام وقرئ تصدون من اصده عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام
من امن مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون
من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة عندهم وقيل اتت
اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العدوان والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على
اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله

فتولى غلامهم ثم نادى ❊ اظليما اصيدكم ام حمارا ❊

اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله تعالى التي هي اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا
عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله
وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم تشهدون بانها سبيل
الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما اي شهداء ان في التوراة ان الدين

الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم تشقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظايم الامور **وما الله بغافل عما تعملون** اعتراض تذيلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمومنين بطريق الخفية ختمت الاية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بايات الله تعالى لما كانت بطريق العلانية ختمت الاية السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون **يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين** تلوين للخطاب وتوجيه له الى المومنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغوا والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر او للمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما راى منهم من تالف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الراي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنان فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الاية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجا النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقراهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله

رمى الحدثان نسوة ال سعد ❊ بمقدار سمدن له سمودا ❊

فرد شعورهن السود بيضا ❊ ورد وجوههن البيض سودا ❊

او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المومنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المومنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته ولممانعة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المومنين ما لا يخفى **وكيف تكفرون** استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الخ لا بمعنى انكار الواقع كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر وانفي جميع احوال وجوده انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل **وانتم تتلى عليكم ايات الله** جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشيون الداعية الى الثبات على الوازعة عن الكفر وقوله تعالى **وفيكم رسوله** معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة ايات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب **ومن يعتصم بالله** اي من يتمسك بدينه الحق الذي بينه باياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله **فقد هدي** جواب للشرط لافادة معنى التحقق كان الهدى قد حصل فهو مخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان

قاصد الكريم متوقع للندى **الى صراط مستقيم** موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتدا اليه هو الاعتصام به بعينه وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز **يا ايها الذين امنوا** تكرير للخطاب بعنوان الايمان تشريف اثر تشريف **اتقوا الله** الاتقا افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة **حق تقاته** اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا اليه عليه الصلاة والسلام وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لايم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتودة من اتاد واصله وقية قلبت واوها المضمومة تا كما في تخمة وتهمة وياوها المفتوحة الفا **ولا تموتن الا وانتم مسلمون** اي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثنا مفرغ من اعم الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبي عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فايدتها والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على اي حال هو غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام ح وحيث كان الخطاب للمومنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلاة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلاة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذلك نهي عنه وعن ما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلاة وان الصلاة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما ورا الموت وقوله عز وجل **واعتصموا بحبل الله** اي بدين الاسلام وبكتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين لا تنقضي عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل موثوق مامون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه **جميعا** حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في الاعتصام **ولا تفرقوا** اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا اي لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها **واذكروا نعمة الله** مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى **عليكم** متعلق به او بمحذوف حال منه وقوله تعالى **اذ كنتم** ظرف له او للاستقرار في عليكم اي اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم **اعدا** في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضا وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة **فالف بين قلوبكم** بتوفيقكم للاسلام **فاصبحتم** اي فصرتم **بنعمته** التي هي ذلك التالف **اخوانا** خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباحينيذ متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا **وكنتم على شفا حفرة من النار** شفا الحفرة وشفتها حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها **فانقذكم** بان هداكم الى الاسلام **منها** الضمير للحفرة او للنار او للشفا والتانيث للمضاف اليه كما في قوله تعالى

❊ وتشرق بالقول الذي قد اذعته ❊ كما شرقت صدر القناة من الدم ❊

اولانه بمعني الشفه فان شفا البير وشفتها جانبها كالجانب والجانبه واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت
في المونث **كذلك** اي مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في
الفضل كالتميز عما عداه انتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من
الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح **يبين الله لكم اياته** اي دلالة **لعلكم**
تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير** امرهم الله سبحانه بتكميل الغير
وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وارشادها وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام
بان يقوم بعضهم بحراستها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويردعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام
الامر وقرئ بكسرها على الاصل ومن كان التامة من التبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهي
امة يدعون صفتها اي لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون
بها ومن للناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها ولتكن منكم داعين الى الخير وايا ما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد
الدعوة الى البعض لتحقق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين
وان اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المومنون لينفروا كافة الاية
ولانه من عظايم الامور وعزايمها التي لا يتولاها الا العلما باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من
لا يعلمها يوشك ان يامر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار
الا التمادي والاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم الاية والامر من كان
الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الاية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الاية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض
عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطاب العامة والدعا الى الخير عبارة عن الدعا الى ما فيه صلاح ديني و
دنيوي فعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى **ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر** مع اندراجهما
فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم
السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلاثة اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويامرونهم وينهونهم واما
للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الدعا الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر **واولئك**
اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه
في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد في كاف الخطاب اما
لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة **هم المفلحون**
اي هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويوكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما سئل عن خير الناس فقال امرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصاهم للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله
في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن
الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومن [illegible] وغضب الله [illegible] والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمامور به واما النهي عن المنكر فواجب كله لان
جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب
الاخر والتوبيخ في قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر عن السلف
مروا بالخير وان لم تفعلوا **ولا تكونوا كالذين تفرقوا** هم اهل الكتاب حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى

فرق

فرقا **واختلفوا** باستخراج التاويلات الزايغة وكتم الايات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا
الدنية **من بعد ما جاءهم البينات** اي الايات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى
المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصوف للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز
وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية
فعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص المبينة او الاجماع لقوله
عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد **واولئك** اشارة
الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدا وقوله تعالى **لهم** خبره وقوله تعالى **عذاب عظيم** مرتفع بالظرف
على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او مبتدا والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول وفيه من التاكيد والمبالغة في وعيد
المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى **يوم تبيض وجوه** اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض **وتسود وجوه** كثيرة وقرئ
تسواد عن عطا تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار
في لهم اي لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول المضمر خوطب به المومنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجي
البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض الى اخره وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور
بهجة السرور وكابة الخوف فيه وقيل يرسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين ايديهم
وبايمانهم واهل الباطل باضداد ذلك **فاما الذين اسودت وجوههم** تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا
وتقديم بيان هولاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم
الكلام بحسن حال المومنين كما بدئ بذلك عند الاجمال **اكفرتم بعد ايمانكم** على ارادة القول اي فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم
وايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعدما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق وبعدما تمكنوا من
الايمان بالنظر الصحيح والدلايل الواضحة والايات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهوا والفا في قوله عز
وعلا **فذوقوا العذاب** اي العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة
مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى **بما كنتم تكفرون** صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا **واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله** اعني الجنة والنعيم
المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المومن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ
ابياضت كما قرئ اسوادت **هم فيها خالدون** استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من السياق كانه قيل كيف يكونون فيها
فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا هم يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على روس الاي **تلك** اشارة الى
الايات المشتملة الى تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شانها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدا
وقوله تعالى **ايات الله** خبره وقوله تعالى **نتلوها** جملة حالية من الايات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وايات الله
بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية
بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى **عليك** متعلق بنتلوها وقوله تعالى **بالحق** حال موكدة
من فاعل نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن
او بزيادة عقاب المسي او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله
تعالى **وما الله يريد ظلما للعالمين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه واكده فان تنكير الظلم وتوحيد النفي الى
ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم باحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعار بالعلة بيان

لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات
فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار يفيده في النفي بحسب المقام على ان ادامة الثبوت عند دخول حرف النفي يدل
على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سلك الجملة نوع ايما الى التعرض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون وَلله ما في السموات وما في الارض اي له تعالى وحده من
غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفانية للحصر ملكا وخلقا احيا واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلا
على العقلا واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في بيان عظمته تعالى والى الله اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة واستقلالا
ترجع الامور اي امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل في ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزا
الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم
كنتم خير امة كلام مستانف سيق لتثبيت المومنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة
التي تدل على تحقق شي بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق ولاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم
كذلك في علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة
باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج
لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تاتون بهم في السلاسل فتدخلونهم
في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يومر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم بالاسلام
فهم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف مبين لكونهم خير امة كما في قولك زيد كريم يطعم
الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان
خاصا بمن شاهد الوحي من المومنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه
عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على
الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اوايلهم واواخرهم لا اوايلهم فقط فلا بد ان يكون اعتبار هذه الامة ايضا كذلك
وكذا فيما روي ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين مرا بنفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود
وابي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهم فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروي عن الضحاك انهم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وتومنون بالله اي ايمانا
متعلقا بكل ما يجب ان يومن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يومن به المومنون
وللايذان بانه هو الايمان بالله تعالى حقيقة وانما ...
ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخره عن الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالته على خيريتهم للناس اظهر منه
قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اي لو آمنوا بما ذكر لكان خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام
ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتا الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر
فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمومن به اصلا للاشعار بظهور انه الذي يطلق عليه اسم
الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المومن به ههنا قيل لهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكان بان
المومنين من حرمه وههنا ذلك منهم المومنون جملة مستانفة سيقت جوابا عما نشا عنه من الشرطية الدالة على انتفا الخيرية

لانتفا

لانتفا الايمان عنهم كانه قيل هل منهم من امن او كلهم على الكفر فقيل منهم المومنون المعهودون الفائزون بخير الدارين
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم الا اذى استثنا
مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم
الادبار اي ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل او اسر ثم لا ينصرون عطف على الشرطية اي لا ينصرون من جهة احد
ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن امن منهم فانهم كانوا يوذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم
بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبا به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة
امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف
عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار كم من بين الموعدين كانه قيل ثم شانهم الذي احكيه عنه وابشركم به انهم مخذولون
منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق وكان كذلك حيث لقي
بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة اي هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك
بالباطل اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضرب
القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدين
الاسلام واتباع سبيل المومنين وباءوا بغضب من الله اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل من متعلقه
وقع صفة لغضب مؤكدة لما افادة التنكير من الفخامة والهول اي كائن من الله عز وجل وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم
من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الامر اذ لا يكاد تحت ايدي المسلمين والنصارى ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب
الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر
بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها ولسائر الآيات القرآنية ويقتلون الانبياء بغير حق اي في
اعتقادهم ايضا ...
يسيرها بيسيرها ذلك اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم
حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغاير يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يودي الى الكفر وقيل
معناه ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن
عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا مؤاخذة بها ليسوا سواء جملة مستانفة سيقت تمهيدا لتعداد
محاسن مومني اهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المومنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم
خاصة وهو اسمه والخبر سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاوصاف القبائح
المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين
في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلا بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة استيناف مبين
لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تامرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم
خير امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العايد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة
ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من ارذالهم والقايمة المستقيمة العادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين
اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان
وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليه السلام وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي
صلى الله عليه وسلم منهم اسعد بن زرارة والبرا بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون
من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرايع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى

يتلون ايات الله في محل علي الرفع علي انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب علي انه حال منها لتخصيصها بالنعت والعامل
فيه الاستقرار الذي تضمنه الجار او من ضميرها في قايمة من او من المستكن من الجار لوقوعه خبر الامة والمراد بالامة بايات الله
القران قوله تعالى اناء الليل ظرف ليتلون اي في ساعات جمع اني بزنة عصا او اني بزنة معا او اني بزنة طي او اني بزنة نحي او
انو بزنة جرو وهم يسجدون اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرا راكعا وساجدا
وتخصيص السجود بالذكر من بين ساير اركان الصلاة لكونه ادل علي كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم ايات الله في الصلاة مع
انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا انفا بالكفرها وهو السر
في تقديم هذا النعت علي نعت الايمان والمراد بصلاتهم التهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في
المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلاة علي الانفراد يا باه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم
الجنس المتبادر منه الصلوات وبالتعبير عن وقتها بالانا المبهمة وقيل صلاة العشا لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد
يذكر الله هذه الساعة وايراد الجملة الاسمية للدلالة علي الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتاكيده وصيغة
المضارع للدلالة علي التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستانفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى
يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلاة من الخضوع لله عز وجل لا في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض يؤمنون بالله واليوم الاخر صفة اخرى
لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما علي الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن
التقييد لظهور انه الذي يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن
الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الاخر بخلاف صفته ليس من الايمان شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم
ان المنتفي عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق اسم الايمان علي ايمانهم بالاصل وهيهات ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود وفي الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص
المتعلقة ~~بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في~~ المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان
من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به واثر الفور علي التراخي اي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات
اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في علي ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى
مغفرة الاية للايذان بانهم مستقرون في اصل الخيرات متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل وايثاره علي الضمير
للاشعار بعلة الحكم والمدح اي واولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين من جملة من
صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناه وما تفعلوا من خير كاينا ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن تكفروه اي لن تعدموا
ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما
يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البنا للمفعول للجري علي سنن الكبريا
وقرئ الفعلان علي صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم
لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة ومنع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا
بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوي علي الخصايص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا
ان الذين كفروا اي بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم
مشركوا قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفين واصحابه اتفق مالا كثيرا علي الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار
كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عليهم فقال لن تغني عنهم اي

لن

لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغنا اولئك اصحاب
النار اي مصاحبوها علي الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا بيان لكيفية عدم
اغنا اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها
اي حال ما ينفقه الكفرة قربة ومفاخرة وسمعة او المنافقون ريا وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح
فيها صر اي برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه علي الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة تجريد كما في قوله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فباؤا بالغضب من الله وانما وصفوا بذلك لان
الاهلاك عن سخط اشد وافظع فاهلكته عقوبة ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية
من غير ان يعود عليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صرفا فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب
الذي مر تفصيله انفا كقوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلا كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل
اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك الريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع
ما انفقوا ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها لا علي ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ
الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة علي التجدد والاستمرار
وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلمهم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة
ويابا ه انه قد مر التعرض له تصريحا واشعارا وقرئ ولكن بالتشديد علي انفسهم ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة ولكن
انفسهم يظلمون واما تقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه لتخصيصه بالشعر ضرورة كما في قوله * ولكن من يبصر جفونك يعشق *
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل ووليجته من يعرفه اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال
عليه السلام الانصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنه كان رجال من المومنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة
والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مجاهد نزلت في قوم من المومنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك
ويؤيده قوله تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهي صفة المنافق واياما كان فالحكم عام للكفرة
كافة من دونكم اي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اي كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم
خبالا جملة مستانفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقال الا في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى
الى مفعولين في قولهم الا لوك نصحا والا لوك جهدا علي تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد لا يقصرون لكم في الفساد
ودوا ما عنتم اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استيناف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي
عنه قد بدت البغضاء من افواههم استيناف اخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه قد ظهرت البغضا في كلامهم لما انهم
لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضا
والافواه جمع فم واصله فوه فلامه ها بدل علي ذلك جمعه علي افواه وتصغيره علي فويه والنسبة اليه فوهي وما تخفي صدورهم اكبر
مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة علي وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المومنين ومعاداة
الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الايات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه ها انتم اولاء جملة من مبتدا وخبر صدرت
بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اي انتم اولاء الخاطئون في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم
في ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة ويجوز ان
ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله اي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في
لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم
في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا

الي التشفي سبيلا **قل موتوا بغيظكم** دعا عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعيف قوة الاسلام واهله الي ان يهلكوا به او
باشتداده الي ان يهلكهم **ان الله عليم بذات الصدور** فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضا والحنق وهو يحتمل ان يكون
من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفي مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك
علي اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل هو امر لرسول الله صلي الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجا والاستبشار بوعد الله
تعالي ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك **ان تمسسكم حسنة
تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها** بيان لتناهي عداوتهم الي حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر
وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما للايذان بان مدار مساتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام
اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة **وان تصبروا** علي عداوتهم او علي مشاق التكاليف **وتتقوا** ما حرم الله تعالي
عليكم ونهاكم عنه **لا يضركم كيدهم** مكرهم وحيلهم التي دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء علي جواب الشرط
من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد **شيئا** نصب علي المصدرية اي لا يضركم شيئا من الضرر
بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المترتب في الاتقاء والصبر يكون جريئا علي الاصل بحسم **ان الله
بما تعملون** في عداوتكم من الكيد **محيط** علما فيعاقبهم علي ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية اي بما تعملون من الصبر والتقوى للضرر علي
ان وجودهما مستتبع لما جود من النجاة عن مضرة كيد الاعداء او ونصب علي المعقولية بمضمر خوطب به النبي صلي الله عليه وسلم خاصة
مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمومنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام اي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما
وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضركم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الي
الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه
في تفسير قوله تعالي واذ قال ربك للملائكة الي اخره والمراد به خروجه عليه السلام الي احد وكان ذلك عليه السلام من منزل عائشة رضي الله
عنها وهو المراد بقوله تعالي **من اهلك** اي من عند اهلك **تبوئ المومنين** اي تنزلهم وتهيئ لهم وتسوي لهم **مقاعد** ويؤيده قراءة من قرأ
تبوي للمومنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا علي انها حال مقدرة اي ناويا وقاصدا للتبوية كما قيل بل ان المقصود تذكير الزمان
الممتد المتسع لابتدا الخروج والتبوية وما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع خروجه
عليه السلام بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه اذ حينئذ وقت التبوية التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير ما لقيهم
لا مر النبي صلي الله عليه وسلم وتزايلهم عن احيازها المعينة لهم عند التبوية وعدم صبرهم وهذا تبين خلل راي من احتج به علي جواز اداء
صلاة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالي **للقتال** اما متعلقة بتبوي اي لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد
اي كائنة ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شايع ذايع كما في قوله تعالي في مقعد
صدق وقوله تعالي قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا فاستشار رسول الله صلي الله عليه وسلم اصحابه
ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما
خرجنا منها الي عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان
دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النسا والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا
الي هؤلا الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي
ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة فدعوهم فقال رجال من المسلمين
قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالي بالشهادة يومئذ اخرج بنا الي اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله
لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن ثم قال بقولي اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى
دخل فلبس لامته فلما راوه كذلك ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير علي رسول الله صلي الله عليه وسلم والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا

يا رسول الله

يا رسول الله ما رايت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة فاصبح بالشعب من احد يوم
السبت للنصف من شوال لسنة ثلاث من الهجرة فمشي علي رجليه فجعل يصف اصحابه فكانما يقوم بهم ان راي صدرا خارجا قال
تاخر وان كان نزوله عليه في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الي احد وامر عبد الله بن جبير علي الرماة وقال لهم انضحوا
عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلم نزال غالبين ما ثبتم مكانكم **والله سميع** لاقوالكم **عليم** بضمائركم والجملة
اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره عنهم **اذ همت** بدل من اذ غدوت مبين لما هو
المقصود او ظرف لسميع عليم علي معنى انه تعالي جامع بين سماع الاقوال والعلم بالضماير في ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالي
سميعا عليما بذلك الوقت قال الفرا معنى قولك ضربت واكرمت زيدا فزيدا منصوب بهما وانهما تسلطا عليه معا **طائفتان منكم
ان تفشلا** متعلق بهمت والبا محذوفة اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو
حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلي الله عليه وسلم وكانا الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم
رسول الله صلي الله عليه وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة الاف انخذل عبد الله بن ابي بثلث
الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم
فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله
عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم علي الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس فلما تخلو النفس عنه
عند الشدائد **والله وليهما** اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان تكون حالا من فاعل همت او من ضمير
تفشلا مفيدة لاستتباع فشلهما او همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالي وان طائفتان من
المومنين اقتتلوا **وعلي الله** وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا **فليتوكل المومنون** في جميع امورهم
فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به وللتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل علي الله واللام في المومنين للجنس فيدخل
فيه الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته **ولقد نصركم الله ببدر** جملة
مستانفة لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما يترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب علي عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل
علي الله تعالي بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ما بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر
واستدارته وقيل اسم الموضع والوادي وكانت وقعة بدر في اليوم السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة **وانتم
اذلة** حال من مفعول نصركم واذلة جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان باتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة اذ كانوا
ثلاثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا علي النواضح يتعقب النفر منهم علي البعير الواحد ولم يكن في العسكر
الا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وتسعون بعيرا وستة ادرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة
فرس وشكة وشوكة **فاتقوا الله** اقتصر علي الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون
الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفيه ترتيب الامر بالتقوى علي الاخبار بالنصر ايذان بان نصرهم المذكور
كان بسبب تقواهم اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ **لعلكم تشكرون** اي راجين ان تشكروا ما ينعم
به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل ولعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه
الذي **اذ تقول** تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلي الله عليه وسلم لتشريفه والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته
عليه السلام واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر
بعده وما طوي ذكره تعويلا علي شهادة الحال فيما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها اي نصركم وقت قولك **للمومنين** حين اظهروا العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المومنين ان كرز بن جابر الحنفي
كان يريد ان يمد المشركين فشق ذلك علي المسلمين وفترت حميتهم فحكى ههنا **الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف** الكفاية

سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة
يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر
كقوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين
والتعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة الامداد والمعنى
انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا حينئذ كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو
وكثرتهم **من الملائكة** بيان او صفة لآلاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة **منزلين** صفة لثلاثة آلاف وقيل حال من الملائكة
وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ مبنيا
للفاعل من الصيغتين اي منزلين للنصر **بلى** ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر
والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال **ان تصبروا** على لقاء العدو ومناهضتهم **وتتقوا** معصية الله ومخالفة نبيه عليه السلام
ويأتوكم اي المشركون **من فورهم هذا** اي من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اي اشتد غليانها ثم استعير
للسرعة ثم اطلق على كل حالة لا ريب فيها اصلا ووصفه بهذا لتأكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة
في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعني الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطأوا
لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله والبيان تحققه على اي حال فرض على ابلغ وجه وآكده بتعليقه بابعد التقادير ليعلم
تحققه في سائرها بالطريق البرهاني فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد
ايذانا بانه حيث تحقق ما ينافيه عادة فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول البستها
وبارزت بها الاعداء فضربوك بايد شداد وسيوف حداد لم يتأثر منها قطعا **يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** من التسويم
الذي هو اظهار سيما الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء
على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة ابن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها
بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد علموا بالعهن نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول بمعناه معلمين من جهة الله تعالى وقيل
مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة **وما جعله الله** كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جهته تعالى لبيان ان الاسباب
الظاهرة بمعزل من التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه وامارته معطوف
على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكر وقته وحكاية الوعد بوقوعه
على وجه مخصوص على الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى وتعين وقته فيما قضي يقتضي بوقوعه قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على
تعاضد الدلائل وتأخذ الامارات والمخايل وايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير او عن ايهام اختلاف احتمال التخلف
في الوعد المحتوم كأنه عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين امدكم بهم وما جعله الله الى آخره والجعل متعد
الى واحد والضمير العائد مصدر حكم ذلك الفعل المقدر له واما عوده الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر
المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل عن حقيق بجزالة التنزيل لان الهيئة البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية
لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه بعد ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب ان المصدرين غير معتبرين من حيث
الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد
على ان الاول هو الامداد بثلاثة آلاف والواقع هو الامداد بخمسة آلاف وقوله تعالى **الا بشرى لكم** استثناء مفرغ من اعم
العلل وتكوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتوقف الاسباب الظاهرة
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنها بما لديه من التأييد الروحاني اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء

الا بشرى لكم بانكم تنصرون **ولتطمئن قلوبكم به** بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة
غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه لاتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله
لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين
بتكثير السواد ونحوه كما هو رأي بعض السلف رضي الله عنه وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم
المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن
قلوبكم به **وما النصر** اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا **الا من عند الله** اي الا كائنا
من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى اي وما النصر المعهود
الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التأثير وانهم قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب **العزيز** اي
الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله
الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم السلام
فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة **ليقطع** متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه
والمقصود من التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل
النصر بالقطع وما عطف عليه اما تعلقه بالخبر في قوله تعالى وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد
اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا ما في تضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك واما تعلقه
بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص
المعلل بعلل معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر والنصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم
الله يومئذ وما النصر الظاهر عند الملائكة الا ثابت من عند الله تعالى ليقطع اي يهلك وينقص **طرفا من الذين كفروا** اي
طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك بحيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون **او يكبتهم** اي يخزيهم
ويغيظهم فان الكبت شدة غيظ اي وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ او الحرقة والغيظ وقيل الكبت
الاصابة بمكروه وقيل هو للوجه واليدين والتاحيد غير مبدلة واو للتنويع **فينقلبوا خائبين** فينهزموا منقطعي الآمال غير
فائزين مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا **ليس لك من الامر شيء** اعتراض وسط بين المعطوف
عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف والمتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير للمنصور اثر بيان ان لا تأثير للناصرين وتخصيص النفي
برسول الله صلى الله عليه وسلم على تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما
قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة **او يتوب**
عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان منتهى ما لك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم
ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب
الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة
والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم نوع تحققها الناس من حيث
تحققهم من علمهم بحقيقة الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على
الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته
عليه السلام فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الكريم الدم وهو يقول كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء الآية كأنه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفلاحهم

وقيل اراد ان يدعوا عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه تعالى بان منهم من يومن فقوله تعالى او يتوب عليهم او يعذبهم شيء او التوبة
عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانباري ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح
به او يعذبهم فتتشفى منهم وايا ما كان فهو كلام مستانف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق
بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت
وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا
لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الاف
لا بثلاثة الاف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولا بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي حينئذ ان ينعى عليهم جناياتهم وحرمانهم
بسببها تلك النعمة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السياق والسباق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما
ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله تعالى اي الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف يبين علته
الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط لكم من الصبر
والتقوى فلم يقع انجاز الموعود فلان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم في انه قد وقع الامداد الموعود لكن
الامداد الموعود لكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى وحمله
استثنينا فامتزاج العدم ووقوع الامداد على معنى النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى
واغتنام من يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الاية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى من عند الله
من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى نصركم الله ببدر لا يليق مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد
من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيان انتفائه
مما لا يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في
اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده يحتمل الوجهين المذكورين وقوله تعالى **فانهم ظالمون** تعليل
على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم **ولله ما في السموات في الارض** كلام مستانف سيق لبيان

وما

اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص شيء طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار
للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا دخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله **يغفر
لمن يشاء** ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح **ويعذب من يشاء** ان يعذبه بمشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين
لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبانهما من مقتضيات
الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا اصرح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا كلام مبتدا مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة
وما بعدهما من الامر المذكور على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه
وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق
عمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول لما لقوا ما لقوا
ولعل ايراد النهي عن الربو في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الله والجهاد
متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب من جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد بالاكل
الاخذ وانما عبر عنه بالاكل لما ان معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في الماكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل
اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل
فاذا حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء القليل الطفيف ماله

بالكلية

بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة **واتقوا الله** فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربا
لعلكم تفلحون راجين الفلاح **واتقوا النار التي اعدت للكافرين** بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو
حنيفة رضي الله عنه يقول هي اخوف اية في القران حيث اوعد الله تعالى المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب
محارمه **واطيعوا الله** في كل ما امركم به ونهاكم عنه **والرسول** الذي يبلغكم اوامره ونواهيه **لعلكم ترحمون** راجين لرحمته
عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة منال الافلاح
والرحمة قال محمد بن اسحاق هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد
وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستيناف اي بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا **الى مغفرة من ربكم وجنة**
اي الى ما يودي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك
جميع المنهيات ويدخل فيها ما امر من الامور المامور بها والنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة
على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
لاظهار مزيد اللطف بهم **عرضها السموات والارض** اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة
والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين
لو وصل بعضها ببعض **اعدت للمتقين** في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصيصها بالصفة اي
هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الان وانها خارجة عن هذا العالم **الذين ينفقون** في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح
لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق ومتروك
بالكلية كما في قولك فلان يعطي ويمنع **في السراء والضراء** في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا
يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال من الاحوال بانفاق ما قدروا عليه من كثير او قليل **والكاظمين الغيظ** عطف على
الموصول والعدول الى الاسم للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم
الحبس يقال كظمه اي حبسه قال المبرد تاويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملاته وشددت عليه اي الممسكين
عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملا الله قلبه امنا
وايمانا **والعافين عن الناس** اي التاركين عقوبة من استحق مواخذته روي انه ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم
على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي
مضت وفي هذين الوصفين اشعار بحسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة وترك مواخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره
عليه السلام وندب له عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين راه قد مثل
به لامثلن بسبعين مكانك **والله يحب المحسنين** اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين
ايذانا بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان
تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها **والذين** مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف
على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من
التقوى اعلى من درجة هولاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر **اذا فعلوا فاحشة** اي فعلة
بالغة في القبح كالزنا **او ظلموا انفسهم** بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة والفاحشة
ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المومنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت
كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل ان ... ان التمار اتته امراة حسناء تطلب
منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على

ذلك واتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري وامراة رجل ثقفي كان بينهما
مواخاة فقدم الانصاري وحثى على راسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فنزلت واياما كان اطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الرماة انتظاما اوليا **ذكروا الله** تذكروا حقه
العظيم وجلاله الموجب للخشية ووعيده او حكمه وعقابه **فاستغفروا لذنوبهم** بالتوبة والندم والفا للدلالة على ان
ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة **ومن يغفر الذنوب** استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان
يلبس الثياب ويركب الخيل لا كل حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى **الا
الله** بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفا اقوى وابلغ
لاشعاره بان كل واحد له حظ من الخطاب يعرف ذلك فيسارع الى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم
المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين اي بين الحال وصاحبها للتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد
والقبول **ولم يصروا** عطف فاستغفروا وتاخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان
الاستغفار واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب ذكره تعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين **على ما فعلوا** اي ما
فعلوا من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار **وهم يعلمون** حال من فاعل يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا
وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل
العلم به **اولئك** اشارة المذكورين فاعل يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد
بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذ لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم للايذان ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو
مبتدأ وقوله تعالى **جزاؤهم** بدل اشتمال منه وقوله تعالى **مغفرة** خبر له او جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر
لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الى اخره على الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة
المنبئة عن سابقة الذنوب في سلك الجزاء على الوجهين الاخرين يكون قوله تعالى اولئك الى اخره جملة مستانفة مبينة لما
قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكروا من اوصاف الاولين نعا فيه شائبة الذنب حتى يذكر في
مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخرين واشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر **من ربهم** متعلق
بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افادها التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف
وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول
خالدين فيها حال من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها
ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير **ونعم اجر العاملين** المخصوص
بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما مستحقان بمقابلة
العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص
التذييل السابق بالاولين وناهيك مضمونها دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت البين والتباين المبين شتان **قد خلت من
قبلكم سنن** رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد وترتيب مقدمات الفوز والخلو المضي والسنن الوقايع
وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم اي كائنة من قبلكم وقايع
سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا الى اخره والفا في قوله تعالى **فسيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** للدلالة على سببية خلوها للسير او للنظر او للامر بهما وقيل المعنى على

الشرط

الشرط اي ان شككتم فسيروا الى اخره وكيف خبر مقدم لكان معلق بفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض
لان الاصل استعماله بالجار **هذا** اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الى اخره **بيان للناس** اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة
بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس بالعهد وهم المكذبون وهذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم
عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل
للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من اثار دمارهم وان لم يكن الكلام
مسوقا لهم **وهدى وموعظة** اي وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل **للمتقين** للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة
لهم وانما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرين الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان لمال امر الناس
وسوء عاقبته وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل وان يراد بالهدى والموعظة
ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما كونها بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على ان كونه هدى وموعظة للمتقين مع ان المقصود له
بالسباق لان اول ما يترتب على مشاهدة اثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص
البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والقطعة والاقتصار عليهما في جانب المتقين
منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الاية اعتراض للبعث على
الايمان وما يستحق به ما ذكر من احوال العاملين وانت خبير بان الاعتراض لابد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة
اثار هلاك المكذبين كما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلاثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة
الى القران ولا يخفى بعده **ولا تهنوا** تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل
يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن
جحش بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رضي الله عنه ومن الانصار سبعون رجلا رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح **ولا تحزنوا** على من قتل منكم **وانتم** جملة حالية من فاعل الفعلين اي
والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد
بالنصر والغلبة والاشعار به فيما سبق او وانتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في
الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما
اصابوا منكم اليوم **ان كنتم مؤمنين** متعلق بالنهي او باعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اي ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا
تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة باعدائه او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان
يقتضي العلو لا محالة او ان كنتم مؤمنين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به
كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري ولذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان **ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله** القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم
المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف
ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتهم بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان
يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم
وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل **وتلك الايام** اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والاتية كافة بها
كالايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة **نداولها بين
الناس** نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

الاعلون

والمداومة المعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه اي عاوروه واسم الاشارة مبتدا والايام اما صفة له او بدل منه او عطف
بيان له فنداولها خبره او خبر فنداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد
والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقها ولاحقها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل **وليعلم
الله الذين امنوا** اما من باب التمثيل اي ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه
مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اي ليميز الثابتين على الايمان كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المومنين على
ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور
عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان
لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل
واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار منشا معين من صفاته تعالى مغاير لمنشا الاخر والجملة علة لما هو فرد من افراده
مطلق المداولة التي نطق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المومنين والكافرين واللام
متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة
معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مباديها كانه قيل نداولها
بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الى اخره فان ظهور اعمالهم وخروجها من القوة الى الفعل من مبادي تميزهم عن غيرهم
ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل
منحصرة فيما عد من الامور فان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوايب ولا يشعر بان لله تعالى في ذلك من الالطاف الخفية ما
لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الى اخره وفيه من تاكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا
يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها الجارية فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما
لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك ان تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها
له علة داعية اليه كانه قيل نداولها كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الى اخره فاللام الاولى متعلقة
بالفعل المطلق باعتبار تقييده بتلك الافراد والثانية باعتبار تقييده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف موخر تقديره
وليعلم الله الذين امنوا فعل ذلك **ويتخذ منكم شهداء** جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية
متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي يتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر
على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيمة فمن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون
المستشهدين فقط وايا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم ما لا يخفى وقوله تعالى
والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وفي نفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى
لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان والتعرض من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين له
للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتعرض من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما
ذكر من الفوائد العائدة الى المومنين وقوله تعالى **وليمحص الله الذين امنوا** اي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير
اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان التمحيص وهذه
الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المومنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تاخير العلة
الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين او ليقترن بقوله عز وعلا **ويمحق الكافرين** فان التمحيق فيه محو
الاثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قال المفضل هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه
قوله تعالى يمحق الله الربو ويربي الصدقات اي يستاصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا **ام حسبتم** كلام مستانف سيق لبيان
ما هي الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة منالها والخطاب
للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من
مبادي الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم **ان تدخلوا الجنة** وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى **ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم** حال من ضمير تدخلوا موكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول
وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم بتحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شي بدون علمه تعالى به
وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على
الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين فقط وكان
يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفيه كلمة
لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تاكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت
النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين **ويعلم الصابرين** منصوب باضمار
ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو
الاستمرار على الصبر والمحافظة على الفواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله فحرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع
كما مر ويويده القراءة بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ ويعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدا
محذوف اي وهو يعلم الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون **ولقد كنتم تمنون الموت** اي تمنون الحرب فانها من مبادي الموت
بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء
بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك **من قبل ان تلقوه** متعلق بتمنون مبين
لسبب اقدامهم على التمني او من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه **فقد رايتموه** اي ما تتمنونه من اسباب الموت
بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى **وانتم تنظرون** حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الروية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد
مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رايتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم
من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلما فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم
وانهزامهم لا على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من تمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير
ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة **وما محمد الا رسول** مبتدا وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى **قد
خلت من قبله الرسل** صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه لا
محالة كانه قيل قد خلت من قبل امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه
السلام رسول لا كساير الرسل في انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس
الا رسول كساير الرسل فسيخلو ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه
عليه السلام نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد
عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الى اخره كلاما مبتدا
مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وايا ما كان فالكلام خارج
على خلاف مقتضى الظاهر **افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم** انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بموته او قتله
بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته

مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه
لما ذكر استعظامهم اياه وهكذا الحال في ساير الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى
بالوقوع بل عدمه بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة
وعظم فيه المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك اهم ولان الوصف
الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين
على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص
فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم وراوهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى اميرهم
عبد الله بن جبير فلم يبق عنده الا ثمانية نفر فلما راهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالقسمة عليهم حمل عليهم في مائتين وخمسين
فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف قفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك
وقا ونفسي لنفسك فدا وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر
رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يزعم انه قتل النبي
صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل هو ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفا الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم
يدعو الى عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت باعلى صوتي يا معشر
المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال
بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم فقال انس بن
النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هولاء وابرا اليك مما جاء به
ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما ان كل اية لم يسمعها
كل احد ولا كل من سمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهايل وقد غفل رضي الله عنه عن هذه الاية
الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
توفي وانه ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة
ثم رجع والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية قال الراوي والله
لكان الناس لم يعلموا ان هذه الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر رضي الله عنه وقال عمر رضي الله عنه
ما هو الا ان سمعت ابا بكر رضي الله عنه يتلوها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات
صلى الله تعالى عليه وسلم **ومن ينقلب على عقبيه** بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره
وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان من المنافقين **فلن يضر الله** بما فعل من الانقلاب
شيئا اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب **وسيجزي الله الشاكرين** اي الثابتين على دين الاسلام
الذي هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايما الى كفران المنقلبين وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ابو بكر من الشاكرين ومن احبا الله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد
الاعتنا بشان جزائهم **وما كان لنفس ان تموت** كلام مستانف سيق للتنبيه على خطابهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبنا

على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به
وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل هايل مخوف وقد اشير بذلك الى انها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي
حذروه فيه ولذلك لم يقتلوا لاحجامهم عن مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله
تعالى **الا باذن الله** استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته
تعالى على ان الاذن مجاز عنها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت
بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا يتسنى للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى او تنزيل
اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند
اقدامها عليه او على مباديه وسعيها في ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا
يخفى **كتابا** مصدر موكد لمضمون ما قبله اي كتب الله كتابا **موجلا** موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة موجلا
بالواو وبدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحياة محض مشية الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل
لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دايرة على اراداتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقال
ومن يرد اي بعمله **ثواب الدنيا نوته** بنون العظمة على طريق الالتفات **منها** اي من ثوابها ما نشاء ان نوتيه اياه كما في قوله
عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وتعريض لمن شغلتهم الغنايم يوم احد وقد مر تفصيله **ومن يرد**
اي بعمله **ثواب الآخرة نوته منها** اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم **وسنجزي الشاكرين** نعمة
الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما اتاهم الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم
عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهدا وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه
دخولا اوليا والجملة اعتراض لمضمون ما قبله ووعد لهم بمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التاكيد ما لا يخفى وقرى
الافعال الثلاثة بالياء **وكاين** كلام مبتدا ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدورهم عن سنن الربانيين المجاهدين
في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف التشبيه واي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير
كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبت في غير قياس وفيها خمس لغات هذه احداهن والثانية كاين مثل كاعن والثالثة
كاين مثل كعين والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كعن وقد قرئ بكل منها
ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى **من نبي** تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله

اطرد الناس بالرجا فكاين ۞ املا حم يسره بعد عسر

وقوله تعالى **قتل معه ربيون كثير** خبرها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرى قتل
وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرى
بضمها وبفتحها ايضا على الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبيا قاتل معه في القتال لا في القتل
قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظما لم يقتل نبي في حرب
قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير
المجرور والراجع اليه وهذا ادخل على القراءة المشهورة بلا خلاف اي كم من نبي قاتل كاينا معه في القتال ربيون كثير واما
على القرائتين الاخريين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم بان مدار التوبيخ انخذالهم للارجاف
بقتله صلى الله عليه وسلم اي كم من نبي قتل كاينا معه في القتل او في القتال ربيون الى آخره وقوله تعالى **فما وهنوا** عطف
على قاتل على ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان
بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول

الفا المرتبة له على ما قبله اي فما فتروا ولا انكسرت همتهم **لما اصابهم** في اثنا القتال وهو علة للمنفي دون النفي نعم
يشعر بعلته قوله تعالى **في سبيل الله** فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيد وهنهم وما موصولة او موصوفة
فان جعل الضمير لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وان جعل للبعض
الباقين بعد ما قتل الآخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المتخاذلين بعد ما استشهد الشهدا فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم
من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على القراءتين المذكورتين الاخيرتين على الاسناد
بسبب الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي في القتال وللجميع ان اعتبر
كونهم معه في القتال **وما ضعفوا** عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين **وما استكانوا** اي وما خضعوا للعدو واصله استكن
من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليصنع به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه طلب ان يكون
لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلا الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي
سفيان **والله يحب الصابرين** اي على مقاساة الشدايد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد
بالصابرين اما المعهودون والاظهار في موقع الاضمار للثنا عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها **وما كان قولهم** كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجملة المبينة له
لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله تعالى **الا ان قالوا** والاستثنا مفرغ من اعم الاشيا
اي ما كان قولا لهم عند لقا العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدايد والاهوال شي من الاشيا
الا ان قالوا **ربنا اغفر لنا ذنوبنا** اي صغايرنا **واسرافنا في امرنا** اي تجاوزنا الحد في ركوب الكباير اضافوا الذنب والاسراف
الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم
وقدموا الدعا بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعا بقولهم **وثبت اقدامنا** اي في مواطن الحرب بالتقوية والتاييد
من عندك وثبتنا على دين الحق **وانصرنا على القوم الكافرين** تقريبا له الى حيز القبول فان الدعا المقرون بالخضوع الصادر عن زكا
وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعا من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور
والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرئ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم
على ان الاسم والخبر ان وما في حيزها اي ما كان قولهم حينئذ شيا من الاشيا الا هذا القول المنبي عن احاسن المحاسن وهذا
كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا كما
تفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر
افادة للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفايدة وموقع البيان في الجملة الخبرية هو
الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج
وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل وما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية
بحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية ويجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات
في باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية
ولا ريب في اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف
به وقولهم مضافا الى المضمر فهو بمنزلة العلم فتامل **فاتاهم الله** بسبب دعائهم ذلك **ثواب الدنيا** اي النصر والغنيمة والعز
والذكر الجميل **وحسن ثواب الآخرة** اي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم وتخصيص الحسن به للايذان بفضله
ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى **والله يحب المحسنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبل فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عنه

وارادة الخير به فهو مبدأ السعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للايذان بان ما حكي عنهم
من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المومنين
في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة **يا ايها الذين آمنوا** شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها
لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتدا بانصار الانبيا عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين
وتصدير الخطاب بالندا والتنبيه لاظهار الاعتنا بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها
لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى **ان تطيعوا الذين كفروا** لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم
والتحذير عن طاعتهم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم
وادخلوا في دينهم فوقوع قوله تعالى **يردوكم على اعقابكم** جوابا للشرط مع كونه في قوة ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا
الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم تهييجا **فتنقلبوا خاسرين** اي للدنيا والآخرة غير فائزين بشي منهما واقعين
في العذاب الخالد على الارتداد على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى
حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم
وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استيمانهم والاستكانة
لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المومنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا
حاجة على هذه التقادير الى ما مر من التبيان **بل الله مولاكم** اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم
حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستعينوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا
الله ومولاكم نصب على انه صفة له مخصوصة بالطاعة والاستعانة **سنلقي** بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن
الكبريا لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتاكيد الالقا **في قلوب الذين كفروا الرعب** بسكون العين وقرئ بضمها على
الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا
الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فعند ذلك القى
الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب وعقيب انقضائه وقيل ما القي في قلوبهم
من الرعب يوم الاحزاب **بما اشركوا بالله** متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات
خذلانهم ونصر المومنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب **ما لم ينزل به** اي باشراكه **سلطانا** اي حجة سميت به لوضوحها وانارتها
او لقوتها او حدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من غير قوله قبيل قوله
ولا ترى الضب بها ينجحر اي ولا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في هو البرهان السماوي دون
الآرا والاهوا الباطلة **وماواهم** بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا اي هي الرعب اي ما ياوون اليه في
الآخرة **النار** لا ملجا لهم غيرها **وبئس مثوى الظالمين** اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل
والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشي في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار
وفي جعلها مثواهم بعد جعلها ماواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما الماوى
فهو المكان الذي ياوي اليه الانسان **ولقد صدقكم الله وعده** نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا وقيل بنزع الجار
اي في وعده نزلت حين قال ناس من المومنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر وهو ما
وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي
رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا
جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى

اذ تحسونهم اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وبموظرف لصدقكم وقوله تعالى **باذنه** اي بتيسيره
وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل بموما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقد مر
تحقيقه ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر امداده عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده
تعالى بموقت وقيل بموما وعده تعالى بقوله سنلقي الى اخره وانت خبير بان لقا الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من
غير سبب او بعد ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين وايا ما كان فلا سبيل الى كونه معنيا بقوله تعالى **حتى اذا فشلتم** اي
جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب **وتنازعتم في الامر** فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون
وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا
لا نخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى
وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب
وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف
وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتلا غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه
قوله تعالى **منكم من يريد الدنيا** وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب **ومنكم من يريد الاخرة** وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى
نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا
يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى
وقت فشلكم وتنازعكم الى اخره وعلى هذا فقوله **ثم صرفكم عنهم** عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما
اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين اي كفكم عنهم حتى حالت الحال وزالت الدولة وفيه من اللطف
بالمسلمين ما لا يخفى **ليبتليكم** اي ليعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها **ولقد عفا عنكم** تفضلا
لما علم من ندمكم على المخالفة **والله ذو فضل على المومنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بذلك العفو وهو متفضل عليهم
في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلا ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمومنين اما المخاطبون والاظهار
في موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا **اذ تصعدون** متعلق بصرفكم
او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من الثلاثي اي في الجبل
وقرئ تصعدون من التفعل بطرح احدى التائين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة **ولا تلوون على احد** اي لا تلتفتون
الى ما وراكم ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون
كيصعدون **والرسول يدعوكم** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي عباد الله انا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يكر فله الجنة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته
سبحانه اسماعا في توبيخ المنهزمين **في اخراكم** في ساقتكم وجماعتكم الاخرى **فاثابكم** عطف على صرفكم اي فجازاكم الله تعالى
بما صنعتم **غما** موصولا **بغم** من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم
وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له **لكيلا تحزنوا على ما
فاتكم ولا ما اصابكم** لتتمرنوا على الصبر في الشدايد فلا تحزنوا على نفع فات او ضر آت وقيل لا زايدة والمعنى لتتاسفوا
على ما فاتكم من الظفر والغنيمة على ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في اصابكم من الجراح وغير ذلك **والله
خبير بما تعملون** اي عالم باعمالكم وبما قصدتم **ثم انزل عليكم** عطف على قوله فاثابكم والخطاب للمومنين حقا **من بعد الغم** المذكور
والتصريح بتاخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا من
بعد ذلك واصلحوا الاية **امنة** اي امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى **نعاسا** بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو

المفعول

المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع امن
كبار على تقدير مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرف على
المفعول لما مر غير مرة من الاعتنا بشان المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم
عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يامنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين
للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد
خوف وانما ينعس من امن وطائف وقال الزبير رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله
علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما
قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رضي الله عنه رفعت راسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميل تحت حجفته
من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ وكان السيف يسقط من يدي فاخذه ثم سقط السوط من يدي فاخذه
وفيه دلالة على ان من المومنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل **يغشى طائفة منكم** قال ابن عباس هم المهاجرون
وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالياء وفيه
ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وان لا يتصل بينهما وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل
دون المبدل منه **وطائفة قد اهمتهم انفسهم** اي اوقعتهم في الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها
من قولهم همني الشيء اي كان من همي وقصدي والقصد مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدا وما بعدها اما خبرها وانما
جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله

سرينا ونجم قد اضا فمذ بدا • محياك اخفا ضوءه كل شارق

او لوقوعها موقع التفصيل كما في قوله

اذا ما بكى من خلفه انصرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول

واما صفتها والخبر محذوف اي ومعكم طائفة او وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين
في الخطاب بانزال الامنة وايا ما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله
تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل
يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصيصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استيناف مبين لما
قبله وقوله تعالى **غير الحق** في حكم المصدر اي يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى
ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى **يقولون**
بدل من يظنون لما ان مسالتهم كانت صادرة عن الظن اي يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد
هل لنا من الامر اي من امر الله تعالى ووعده من النصر **من شيء** اي من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى
قل ان الامر كله لله اي الغلبة بالاخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه
تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى **يخفون في انفسهم** اي يضمرونه فيها
ما لا يبدون لك يقولون اي يقولون فيما بينهم بطريق الخفية فقيل يحدثون انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم
خفية **لو كان لنا من الامر شيء** كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر كله لله او كان لنا
من التدبير والراي شيء **ما قتلنا ههنا** اي ما غلبنا وما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان النفي راجع الى نفس القتل
لا الى وقوعه فقط بنزحام منازلنا كما راه ابن ابي ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى **قل لو كنتم في بيوتكم** اي
لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون **لبرز الذين كتب عليهم القتل** اي في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب

الداعية الى البروز الى مضاجعهم اى مصارعهم التى قدر الله قتلهم فيها فقتلوا هناك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة بالمدينة
قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة فى رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما
فى قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب فى تعيين زمانه كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون روى ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال
الرجل من هذا فقال سليمان عليه السلام ملك الموت قال ارسلنى مع الريح الى عالم آخر فانى رأيت منه مرأى هائلا فامرها عليه
السلام فالقته فى قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك
الرجل فى هذه الساعة فى ارض كذا فلما وجدته فى مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان
فوجدته هناك فقضى امر الله عز وجل فى زمانه ومكانه من غير اخلال بشىء من ذلك على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ لبرز
بالتشديد على البناء للمفعول **وليبتلى الله ما فى صدوركم** اى ليعاملكم معاملة من يبتلى ما فى صدوركم من الاخلاص والنفاق
ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح
جمة وليبتلى الى آخره وجعلها علة لبرز يأباه الذوق السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان
حكمة البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اى وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل
مقدما خال عن هذه الاشارة **وليمحص ما فى قلوبكم** من مخبآت الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس **والله عليم بذات الصدور**
اى السرائر والضمائر الخفية التى لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غنى
عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين او حال من متعلق الفعلين او فعل ما فعل للابتلاء له
والتمحيص والحال انه تعالى غنى عنها محيط بخفيات الامور وفيه وعد ووعيد **ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان** وهم
الذين انهزموا يوم احد حسبما مر حكايتهم **انما استزلهم الشيطان** اى انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل
ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصى التى هى مخالفة امر النبى صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة والحياة
فحرموا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها الى بعض كالطاعة
وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة **ولقد عفا الله عنهم** لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب **حليم** لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفى اظهار الجلالة تربية
للمهابة وتأكيد للتعليل **يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا** وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا
ههنا وانما ذكر فى صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذى اثير وقوله تعالى **وقالوا لاخوانهم**
تعيين لوجه الشبه والمماثلة التى نهوا عنها اى قالوا لاجلهم وفى حقهم لانهم نسبا او مذهبا **اذا ضربوا فى الارض** اى سافروا
فيها وابعدوا للتجارة وغيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضى لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها
الزمان المستمر المنتظم للحال الذى عليه يدور امر استحضار الصورة وقال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان المستقبل
يعنى انها لمجرد الوقت بقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا الى آخره **او كانوا** اى
اخوانهم **غزى** جمع غاز كعفى جمع عاف قال

ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى ❊ لها قلب عفى الحياض اجون

وقد قرئ بحذف الزاى على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب فى الارض لانه المقصود شأنه فى المقام
وذكر الضرب فى الارض توطية له وتقدمة لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب فى الارض اذ المراد به السفر البعيد واما لم
يقل او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اى كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى **لو كانوا عندنا** اى
مقيمين **ما ماتوا وما قتلوا** مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اى اذا ضربوا فى الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا

وليس المقصود بالنهى عدم مماثلتهم فى النطق بهذا القول بل فى الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه انه المنكر على قائليه الا ترى
الى قوله عز وجل **ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم** فانه الذى جعل حسرة فيها قطعا واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج
انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا او تعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه
من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما فى قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة فى
قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهى يعنى لا تكونوا مثلهم فى النطق
بذلك القول واعتقاده ليجعله الله تعالى حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما مر اشارة الى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم
فان مضادتكم لهم فى القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم **والله يحيى ويميت** رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اى هو المؤثر
فى الحياة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة او للسفر مدخل فى ذلك فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى مع اقتحامهما
لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة **والله بما تعملون بصير** تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم
وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولمنشائه الذى هو اعتقادهم ولما يترتب على
ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء
الروعة والمبالغة فى التهديد والتشديد فى الوعيد **ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم** شروع فى تحقيق ان ما يحذرون ترتبه
على الغزو والسفر من القتل والموت فى سبيل الله ليس مما ينبغى ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر بيان
ترتبه عليهما واللام هى الموطئة للقسم وما فى قوله تعالى **لمغفرة من الله ورحمة** لام الابتداء والتنوين فى الموضعين للتقليل
والموت فى سبيل الله تعالى ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدأ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب
للقسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى
لنفحة يسيرة من مغفرته ورحمته كائنة من الله تعالى بمقابلة ذلك **خير مما يجمعون** اى الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها
مدة اعمارهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اى مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار
على بيان خيريتها من ذلك فلا تعرض للاخبار بحصولها لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخييب منه تعالى بعد
الاطماع وقد قيل لا بد من حذف آخر اى المغفرة لكم من الله الخ وحينئذ ايضا يكون اخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر
لنحو ما ذكر من اوغار الظهور والغنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع فى قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبنى على كثرة الوقوع
وقلته للمبالغة فى الترغيب فى الجهاد ببيان زيادة مزية القتل فى سبيل الله وانافته فى استجلاب المغفرة والرحمة وفيه
دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهى انما هو عدم مماثلتهم فى الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا فى
النطق به واضلال الناس به **ولئن متم او قتلتم** اى على اى وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم
من مات يمات **لالى الله** اى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان **تحشرون** لا الى غيره فيوفى اجوركم
ويجزل لكم عطاكم والكلام فى الجملة كما مر فى اختها **فبما رحمة من الله لنت لهم** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة
ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد او نكرة ورحمة بدل منها مبين لابهامها
والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اى فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهى ربطه على جاشه
وتخصيصه بمكارم الاخلاق لنت لهم اى لان جانبك لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان
من مخالفة امرك واسلامك للعدو **ولو كنت فظا** جافيا فى المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه
الخلق وقال الواحدى هو الغليظ الجانب السيئ الخلق **غليظ القلب** قاسيه وقال الكلبى فظا فى القول غليظ القلب فى الفعل

لا انفضوا من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا في مهاوي الردى والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم
لترتيب العفو والامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر لهم فيما
تتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ هو المقصود وفيه وفي امثاله
مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا بارائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض الامر
فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه
مختص به سبحانه وتعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة المتكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل على الله ولا تشاور
بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل والامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال
مستدعي للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فيرشدهم وينصرهم الى ما فيه خير وصلاح والجملة
تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا
للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه وحثهم على اللجا وتحذيرهم عما الجد لانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم في طريق نفي
الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم وان
كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فهما قطعيا هو نفي المساواة
واثبات الغالبية للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل
فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في
قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل وما هو نص قاطع فيما ذكرنا في سورة هود حيث قيل بعده في
حقهم لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما
فعل يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة
بطريق المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور
على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء للترتيب او ترتيب الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم
ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس
والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات وايا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشتراكا
واستقلالا وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان فيما يوجبه قطعا وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم
السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا
اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا
في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه
السلام بل ظننتم ان اغل ولا اقسم بينكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع
فغنم النبي عليه السلام بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما
من العسكر ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد
تنزيهه عليه السلام عما تفوه به بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى
ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة يات بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد
في الحديث الشريف وروي انه عليه السلام قال الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد
يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او بات بما احتمل من اثمه ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما

ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا وضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب
كما وكيف فانهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه
بما غله يوم القيامة من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين وفي
كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه من
اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب او نقص ثواب افمن اتبع
رضوان الله اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما يفعل الطاعات ويترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته كمن باء اي رجع بسخط
عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفي الغلول من النبي صلى الله عليه
وسلم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الاخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه
والاتباع بالبوء والجمع بين والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم على ما ذكر من حال الفاعل كانه قيل
بعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لادخال الروعة
وتربية المهابة وماواه جهنم اما كلام مستانف مسوق لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى بالسخط
عطف على الصلة الاسمية على الفعلية وايا ما كان فلا محل له من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف
اي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى
الموصولين باعتبار المعنى درجات عند الله اي طبقات متفاوتة في علمه تعالى وحكمه شبهوا بها في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات
مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم
بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله اي انعم على المؤمنين اي من قومه عليه السلام اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق
والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه عليه السلام
كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث الى اخره على انه خبر لمبتدا محذوف اي ومنه اذ بعث الى
اخره او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة
للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله
تعالى يتلو عليهم اياته صفة اخرى اي يتلو عليهم القران بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم
عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والسنة وهو
صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة
للشكر فلو روعي ترتيب الوجود يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عند الجميع نعمة واحدة
وهذا السر في التعبير عن القران بالايات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا
يقدح في ذلك شمول الحكمة الى ما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا من قبل اي من قبل
بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه لفي ضلال مبين اي بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من ان المثقلة وضمير
الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة
التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة اما
حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم
مثليها قلتم انى هذا كلام مستانف مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة
منها اثر ابطال بعض اخر منها والهمزة للتقريع ولا قرار للتقرير والواو عاطفة لدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف

الى ما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما
اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين منهم وفي هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين
الهمزة مع ان المقصود انكاره والمعطوف بالواو حقيقته لتاكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته اقبح والانكار
على فاعله ادخل والمعنى حين اصابكم من المشركين نصف ما اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر
على توجيه الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعيا اليه بل على ان كونه
داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة اي افعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم
ما بليته قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم بسببها وتذكير اسم الاشارة في انى هذا مع كونه
اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو
من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز وجل **قل هو من عند انفسكم** امر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار والتقريع وتبكيتهم ببيان ان ما نالهم من جهتهم بتركهم المركز
وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله ولقد صدقكم الله وعده
الاية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الخطر عنهم وخفف جنايتهم فيه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه
كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وانى هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفداء يوم بدر قبل ان يؤذن
لهم والاول هو الاظهر الاقوى وربما يعضده توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين
وتفويض التبكيت اليه عليه السلام فان توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد تاثيرا **ان الله على كل شيء**
قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى والجملة تذييل
مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر **وما اصابكم** رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام لتبكيتهم وارشا
دهم الى حقيقة الحق فيما سالوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم
من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى **يوم التقى**
الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين **فباذن الله** اي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمى ذلك اذنا لكونها من لوازمه **وليعلم**
المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على المسبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس **وليعلم**
الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين
وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين
على وجه جديد وهو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والاخرين بموصول صلته فعل
دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن لتمييز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق **وقيل لهم** عطف على نافقوا
داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدأ قال ابن عباس رضي الله عنهما هم ابن ابي واصحابه حين انصرفوا يوم احد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله
تعالى **تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا** قال السدي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل
او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بكلما
واحد وهو الثاني وذكر الاول ترغيبا لهم وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون **قالوا** استيناف وقع
جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا **لو نعلم قتالا**
لاتبعناكم اي لو نحسن قتالا او نقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبروا عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به
لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس

لقتال

بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود
بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بما لنا العدم مستحيل الوقوع **هم للكفر يومئذ اقرب منهم**
للايمان الضمير مبتدأ واقرب خبره واللام في الكفر متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا
ومعنى بعامل واحد بلا عطف او بدلية وانما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد جهة عملها واما فعل التفضيل
فحيث دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين
به لتشبيههما بالظرفين اي هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك متظاهرين بالايمان
وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون
بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية
المشركين وقوله تعالى **يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم** جملة مستانفة مقررة لما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير
لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم وباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب
اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي مع منشائه الذي لا ينفك
عنه القول اصلا وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود له او لمنشائه في قلوبهم اصلا
من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم انفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال
والاخر الاتباع على تقدير العلم به فقط وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع
ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل **والله اعلم بما يكتمون** زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال
قلوبهم بما يخالف افواههم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من
احكام النفاق ودوام المؤمنين وتخطئة ارائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك
وكيفياته مختصة بالعلم الالهي **الذين قالوا** مرفوع على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده نص بالماء حاتم
والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه **لاخوانهم** اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج فيهم بعض
الشهداء **وقعدوا** حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال **لو اطاعونا** اي فيما امرناهم
به ووافقونا في ذلك **ما قتلوا** كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا واغووهم كما غووا وجعل القعود
على ما استصوبه ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه والعمل به يرده
كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص
عدم الطاعة باخوانهم ينادي باختصاص الامر بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند
المشاورة **قل** تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم **فادرءوا عن انفسكم الموت** جواب الشرط قد حذف تعويلا على ما بعده من
قوله تعالى **ان كنتم صادقين** كما انه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم
من انكم قادرين على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت
معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها
اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم
فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا
سبعون منافقا وقال اريد ان كنتم صادقين في مضمون الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا
مقاتلين فقوله فادرءوا عن انفسكم الموت حينئذ استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه
حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا** كلام مستانف مسوق لبيان

ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب الذي يتنافس فيها المتنافسون اثر
بيان ان الحذر لا يغني ولا يجري وقري ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهدا احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من
المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقري بالياء على الاسناد الى ضميره عليه
السلام او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والفعل الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جاز حذفه عند القرينة والتقدير
ولا يحسبهم الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان يسلوا بذلك
ويبشروا بالحياة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم
يبقا لاعتبار تنبيههم وتبشرهم فايدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وذكر قتلوا لا لتقييد بكثرة المقتولين بل
احيا اي بل هم احيا وقري منصوبا اي بل احسبهم احيا على ان الحساب بمعنى اليقين كما في قوله
** حسبت التقي والمجد خير تجارة ** رباحا اذا ما المرء اصبح ناقلا **
او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدا المقدر او صفة لاحيا او محل النصب او على انه
حال من الضمير في احيا وقيل هو ظرف للفعل بعده والمراد بالعندية التقريب والزلفى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن
التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة تاكيدا لكونهم احيا وتحقيق معنى حياتهم
قال الواحدي الاصح في حياة الشهدا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في اجواف طيور خضر وانهم يرزقون
وياكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر تدور
في انهار الجنة وروي ترد انهار الجنة الى اخره وتاكل من ثمارها وتسرح في الجنة حيث شاءت وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة
في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا متوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ومن
قال بتجرد النفوس من البشرية يقول ان المراد ان نفوس الشهدا تتمثل طيرا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها
تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكسب زيادة كمال فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز
بالحياة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم
اي اخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم
او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان
المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين يتركونهم وهو انهم عند قتلهم
يفوزون بحياة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب ولا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحياة
التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان يخاف ويحذر اي لا يعتريهم ذلك لكن لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفا الخوف
والحزن لا بيان انتفائهما كما يوهم كون الخبر في الجملة مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة
لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل
في قوله تعالى فرحين بما اتاهم الله من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة موكد لما افادها التنكير من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي كاينة منه تعالى وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وان الله لا يضيع اجر المومنين بفتح ان عطف على فضل منتظم معه في سلك البشارة والمراد بالمومنين اما الشهدا
والتعبير عنهم بالمومنين للايذان ان رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهدا

وغيرهم

وغيرهم الذين ذكرت توفية اجورهم وعدت من جملة ما يستبشرون به الشهدا الحكم الاخرة في الدين وقري بكسرها على
انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب
في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المومنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح صفة مادحة للمومنين لا مخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتدا والخبر قوله تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا
اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون
روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحا ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا
بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمرا الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا
على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين
استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب
الخيل ويلبس الثياب وما له سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شا الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه الرعب وبدا له ان
يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان يثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن
مسعود وقد قدم معتمرا فسال ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي
بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم
عليه السلام حين القي في النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او المصدر او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم
لم يلتفتوا الى ذلك بل به تقينهم بالله تعالى وازداد اطمينانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان
الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر
رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار
وقالوا حسبنا الله اي محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يتقيد بالاضافة تعريفا في قولك
هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اي نعم الموكول عليه والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روي انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا فاقام بها ثماني ليال وكانت معهم
تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا والبا في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين
للتفخيم اي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف وقع صفة
لنعمة موكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كاينة من الله تعالى وهي العافية والثبات
على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل اي ربح في التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم لم يمسسهم سوء حال كونهم
سالمين عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شي وعدمه كما في هذه الاية الكريمة ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا واتبعوا في كل ما اتوا
من قول وعمل رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع اضا[فة]
النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل

يكون هذا اغتروا فاعطاهم الله عز وجل ثواب الغزو عنهم **انما ذلكم** اشارة الى المثبط او الى من حمله على التثبط
ويعومنية او قوله تعالى **الشيطان** اما خبره وقوله تعالى **يخوف اولياءه** جملة مستانفة مبينة لشيطنته او حال كما في قوله
تعالى فتلك بيوتهم خاوية واما صفته والجملة خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان
اي ابليس والمستكن في يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اي يخوف به والمراد باوليائه اما ابو
سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوف اولياءه كما في قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ويؤيده قوله تعالى **فلا تخافوهم**
اولياءه اي **وخافوني** في مخالفة امري واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال
وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما امركم به والخطاب لفريقي الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي
او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه **ان كنتم مؤمنين** فان الايمان يقتضي ايثار
خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه **ولا يحزنك** تلوين للخطاب وتوجيه له الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والايذان باصالته في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤونه
الذين يسارعون في الكفر اي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله
تعالى وسارعوا الى مغفرة الاية للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبتدا المسارعة ومنتهاها كما
في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فان ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة ومنتهاها
وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الى آخره فلان المغفرة منتهى المسارعة
والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم
بذلك للاشارة بما في حيز الصلة الى مظنة وجود النهي عنه واعتباره لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك مسارعتهم
في الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهي الى مسارعتهم مع ان المقصود نهيه عليه السلام عن
التأثر منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التأثير نهي عن التأثر باصله ونفي له بالمرة وقد توجه الى اللازم والمراد هو
النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك هاهنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد وقيل معنى
حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن **انهم لن يضروا الله شيئا** تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا
اي لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليل نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه
وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا في حيز النصب على المصدرية اي شيئا من الضرر والتنكير لتاكيد ما فيه من
القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه سبحانه وسلطانه شيئا كما
روى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد
ذلك في ملك الله شيئا ولو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح بعوضة
والاول انسب بمقام التسلية والتعليل **يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة** استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم
فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة
ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم
في الاخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر **ولهم** مع ذلك الحرمان الكلي **عذاب**
عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شانه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم
رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتدأة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان

شيء لهم من الثواب واما حال من ضمير في لهم اي يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم **ان الذين اشتروا**
الكفر بالايمان اي اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق في هذه الاستعارة في تفسير
قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى **لن يضروا الله شيئا** تفسيره كما في نظيره خلا ان فيه تعريضا ظاهرا باقتصار
الضرر عليهم كانه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد باشتراء الكفر بالايمان
ايثاره عليه اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله
في التوراة كما هو شان اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتاكيده ببيان علته فتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز
الصلة من الاشتراء المذكور وصريح بعلة لحوق ضررها بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي
والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتاتى منهم ما يتوقف على قوة الجزم ورزانة الراي
ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهو اعز من الابلق العقوق وامنع من عقاب الجو وان اجري الموصول على عمومه بان
يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الايمان من
الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو داب جميع
الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون
الموصول عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة شان التنزيل
لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهي
عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بهما واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة
المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه السلام مما لا وجه له وقوله تعالى **ولهم عذاب اليم** جملة مبتداة مبينة
لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره به
عند تحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتالمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك **ولا يحسبن الذين كفروا**
انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الاية والفعل مسند وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه
لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدا والخبر او مسد احدهما والآخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية
او موصولة حذف عائدها ووصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه خير لانفسهم
او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة ومآله نهيهم عن السرور بظاهر املاء الله تعالى لهم بناء على
حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن
بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس
الكفرة فيندرج تحت حكم الكلي احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لمراعاة
المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشانهم دهرا طويلا فان المقارن له دائما انما هو
الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر المستمر
وقرئ ولا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتاتى منه الحسبان
قصدا الى اشاعة فظاعة حاله والموصول حال وانما نملي لهم اما بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد
المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض
واما مفعول ثان بتقدير مضاف اما فيه اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب الاملاء خيرا لانفسهم او في المفعول الاول اي لا
تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم استيناف مبين لحكمة وما كانوا واللام لام الارادة
وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة هاهنا وكسرها فيما سبق على انه اعتراض

بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتبار بابطال الحسبان ورده على معنى لا يحسبن الكافرون ان املانا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شأنهم انما هو ليلا في ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان وَلَهُمْ في الآخرة عَذابٌ مُهِينٌ لما تضمن الاملا التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مبتداة مبينة لحالهم في الآخرة اثر بيان ما لهم في الدنيا واما حال من الواو ليزدادوا اثما وعدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ كلام مستانف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في اجرا احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين ففيه تلوين فقط وقيل للمنافقين عطف تفسيري للكفار والا فلا شركة بين المؤمنين والمجاهدين في امر من الامور والمراد بما هم عليه امر من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لايمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلة الحكم والمراد ما هم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب والذي يجنح اليه المفسرون لكونه صريحا في كون المراد بما هو عليه من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بعيدة فالقولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق وما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما وليس فيهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الى آخره ففيه توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد وحنا لغد لبيت في توجهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ غاية لما يفيده النفي المذكور كانه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعددهما اريد بكل منهما وبكثرة لا سيما بعد ما ذكر ما اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الاخر هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد آحادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وافرادهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر ثم بدا خلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغيير من حال الى حال اخرى مع بقاء المؤمنين على ما هم عليه من الاستبشار ولان فيه مزيد تاكيد كما اشير اليه بقوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتبار بشأن من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريف لهم وقوله عز وعلا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ اشارة الى كيفية وقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك او بما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصهم من حسد الشركا وسو جوارهم

والتعرض

والتعرض للاجتبا للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية لا يتاتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتبا لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شانه عليه السلام في هذا الباب امر مبين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام وتعميم الايمان في قوله تعالى فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لايجاب الايمان به بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهدا بصحة نبوته عليه السلام والمامور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخالص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا لضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استاثر الله تعالى به وانت خبير بان الاستدلال باجتبا الرسل المبني على مزيد مزيتهم وفضل معرفتهم عن الخلق اثر بيان قصور رتبتهم على الوقوف على خفايا السرائر صريح في ان المراد جليها ونيل السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفايا واقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على ان تكون مسوقة لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك الى ان يقتضيه من يعرف عنهم المنافقين ولذلك فعله يومئذ يوم حلى الكفرة وشانهم وابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤوس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وَإِنْ تُؤْمِنُوا اي بما ذكر حق الايمان وَتَتَّقُوا اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق فَلَكُمْ بمقابلة ذلك الايمان والتقوى أَجْرٌ عَظِيمٌ لا يبلغ كنهه وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بيان لحال البخل وخامة عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملا وايراد ما يبخلون به بعنوان ايتا الله تعالى اياه لبيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفعل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق بخلهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بيان لكيفية شريته سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للانذار بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لا يؤدي زكاة ماله الا جعله الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وَلِلَّهِ وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يورث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ من البخل والمنع خَبِيرٌ فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتا الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير

حتى سا لنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون القايل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى
انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى
قايله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد **سنكتب ما قالوا** اي سنكتب ما قالوه
من العظيمة الشنعا في صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا ولا ننساه ولا نهمله كما تثبت المكتوب والسين للتاكيد
اي لن يفوتنا ابدا بروبته واثباته لكونه في غاية العظم والهول وكيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزا بالقران العظيم
والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى **وقتلهم الانبيا** ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة
ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترا على قتل الانبيا لم يستبعد منه هذه العظايم والمراد بقتلهم الانبيا رضاهم
بفعل اسلافهم وقوله تعالى **بغير حق** متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كاينا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في
نفس الامر وقري سيكتب على البنا للفاعل وسيكتب على البنا للمفعول وقتلهم بالرفع **ونقول ذوقوا عذاب الحريق** اي
وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول ذوقوا عذاب الحريق كما اذاقوا المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرى يقول
ويقول بالياو يقال على البنا للمفعول **ذلك** اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه
وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى **بما قدمت ايديكم** اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبيا والتفوه
بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لما ان عامة افاعيلها تزاول بهما ومحل ان في قوله
تعالى **وان الله ليس بظلام للعبيد** الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر
انه تعالى ليس بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير بذلك عن نفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم كما تقرر
من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه
عنها ضياعها وصيغة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده
على انها للمبالغة كما لا اكتفا هذا او قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم
للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسي وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا
حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القايل في سورة الانفال وقيل سببيته ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام
انتفا ظلمه تعالى اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه
لا ينافي كون تعذيب هولاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى ذلك لو كان المدعي ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب
المعذبين **الذين قالوا** نصبا ورفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحي بن اخطب وفنحاص بن عازورا
وهب بن يهوذا **ان الله عهد الينا** اي امرنا في التوراة واوصانا **ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار** كما كان
داب انبيا بني اسرايل حيث كان يقرب القربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السما فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق
وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات سوا ولما كان محصل
كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان لتحقق الايمان رد عليهم
بقوله تعالى **قل** اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم **قد جاكم رسل** كثيرة العدد كبيرة المقدار **من قبلي بالبينات** اي المعجزات
الواضحة **وبالذي قلتم** بعينه من القربان الذي تاكله النار **فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين** اي فيما يدل عليه كلامكم
من انكم تومنون لرسول ياتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبيا عليهم الصلاة والسلام قد جاوكم بما قلتم في
معجزات اخر فما بالكم لم تومنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم **فان كذبوك** شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما

ما اوحي اليه ما يجريه عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى **فقد كذب رسل من قبلك** تعليل
لجواب الشرط اي فتسل فقد كذب الى اخره ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل اي كاينة من قبلك **جاوا**
بالبينات اي المعجزات الواضحات صفة لرسل **والزبر** هو جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا
حسنته وقيل الزبور المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته **والكتاب المنير** قيل اي التوراة والانجيل والزبور
والكتاب في عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جا الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقري وبالزبر
باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات وبالبينات **كل نفس ذايقة الموت** وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقري ذايقة
الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا **وانما توفون اجوركم** اي تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال
يوم القيامة اي يوم قيامكم من القبور وفي لفظة التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليه قبله كما ينبي عنه قوله عليه السلام
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران **فمن زحزح عن النار** اي بعد عنها يومئذ ونجي والزحزحة في الاصل تكرير
الزح وهو الجذب بعجلة **وادخل الجنة فقد فاز** بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب
ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يومن بالله واليوم الاخر وياتي الى الناس ما يحب ان يوتى اليه **وما الحيوة**
الدنيا اي لذاتها وزخارفها **الا متاع الغرور** شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها
على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار **لتبلون** شروع في تسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن معه من المومنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا
انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقاية ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام
الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلا الاختبار اي طلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر
يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير
فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور وقيل ان يترتب عليه شيا هو من مباديه العادية كما
مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون اي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال
الحسنة وفايدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلا تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم
من التهيؤ والاستعداد **في اموالكم** بما يقع فيها من ضروب الافات المودية الى هلاكها واما انفاقها في سبيل الخير مطلقا فلا
يليق نظمه في سلك الابتلا لما انه من باب اضعاف المتاعب والمخاوف والهداية ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع
الهلكة فيها **وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** اي من قبل ايتايكم القران وهم اليهود والنصارى
عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الاشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند الى زعمهم عن الكتاب كما في قوله
تعالى ان الله عهد الينا الى اخره والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يويد تمسكهم
به **ومن الذين اشركوا اذى كثيرا** من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يومن
وتخطية من امن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجا المومنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه **وان تصبروا** اي على تلك الشدايد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل **وتتقوا** اي
تبتهلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقا المكروه **فان ذلك** اشارة
الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوجيه حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد
من المخاطبين لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين **من عزم الامور** من معزوماتها
التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال الشرافة والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به
وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرطية ومن في ابراز الامر

بالشرط بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم
اوفعلوا او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك من عزم الامور ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ان صبر المخاطبين
وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد
ما لا يخفى **واذ اخذ الله** كلام مستانف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها
واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه السلام
وللمومنين لكون مضمونه من الوظايف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع
انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض
خليفة اى اذكر وقت اخذه تعالى **ميثاق الذين اوتوا الكتاب** وهم علماء النصارى واليهود ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب
مبالغة في تقبيح حالهم **لتبيننه للناس** حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبي عنه اخذ الميثاق كانه
قيل لهم بالله لتبيننه للناس وتظهرون جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو
المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب **ولا تكتمونه** عطف على الجواب وانما لم يوكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا
يقوم زيد وقيل اكتفى بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدا بعد الواو اى وانتم
لا تكتمونه واما على راى من جوز دخول الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا اى لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان
بعد الامر بالبيان واما للمبالغة وايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الايات الناطقة بنبوته عليه
السلام وبالكتمان المنهي عنه القاء التاويلات الزايغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله **فنبذوه** النبذ الرمي والابعاد
اى طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بعنوان التاكيد والقوة **وراء ظهورهم** ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه فان نبذ الشيء
وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة
على تحتم بيان الحق على علماء الدين واظهار ما صح عندهم من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع
في غرض من الاعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن
طاوس انه قال لوهب بن منبه انى ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم لرايت ان الله
سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن
على رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا **واشتروا به** اى بالكتاب الذي امروا
ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه
كدلايل نبوته عليه السلام ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلاة رفض لكلها او
منزلة كتم الكل من حيث انهما شيئان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته
والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا او تركوا ما امروا به واخذوا بدله **ثمنا قليلا** اى شيئا تافها حقيرا
من حطام الدنيا واعراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في الماخوذ والاعراض
عن المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة
اليه وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الالات والوسايل من نهاية الجزالة
والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدني الحقير على   والله لا له ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة
مكانه **فبئس ما يشترون** ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفتها والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيئا يشترونه
ذلك الثمن **لا تحسبن** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له **الذين يفرحون بما اتوا** اى بما
فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده ماتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما اتوا بمعنى اعطوا او بما اوتوا اى اوتوه من علم

التوراة

التوراة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم صدقوه
واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او
نحوه مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما تستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها
وقد ادمج فيها بيان بعض اخر من شنايعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبايح وفرحهم بذلك ومحبتهم بان يوصفوا بما ليس من
اوصافهم الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم
بذلك وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى **ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا** لشهرة انهم كانوا يفرحون بما
فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون
محبة المومنين وهم في الغاية القاصية من   فالموصول عبارة عن طايفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر
المنافقين كانوا من اليهود وايا ما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى **فلا تحسبنهم** تاكيد له والفاء زايدة والمفعول الثاني
في قوله تعالى **بمفازة من العذاب** اى ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تانيثها بالتاء لما انها مبنية عليها وليست
للدلالة على الوحدة كما في قوله ۞ فلولا رجاء النصر منك ورهبة ۞ عقابك قد كانوا لنا بالموارد ۞
ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اى بمفازة منجية من العذاب لتقدير فعل خاص وقرئ بضم
الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمومنين ايضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل احد ممن يتاتى
منه الحسبان ومفعولا كما ذكر والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل وقوله تعالى فلا تحسبنهم تاكيد للاول والفاء زايدة كما مر
ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله
۞ باى كتاب او باية سنة ۞ ترى حبهم عارا على وتحسب ۞
حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول للرسول عليه السلام او لكل حاسب ومفعوله الاول موصول والثاني محذوف
لدلالة مفعول الفعل الثاني مسندا الى ضمير الموصول والفاعل للعطف لظهور عدم تطوع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه السلام
ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان ارائهم الركيكة وقطع اطماعهم
الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الاخرة كما نجوا به من المواخذة الدنيوية وعليه كان سلى فرحهم واما نهيه
صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم **ولهم عذاب اليم** بعدما اسروا
الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حققوا ان لهم فرقا منهم لا غاية له في المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف
ولله اى خاصة **ملك السموات والارض** اى السلطان القاهر بحيث يتصرف فيهما كيف ما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا
وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شايبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى **والله على كل شيء
قدير** تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بنظومه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكه
شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من
الاشياء فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه
من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير **ان في خلق السموات** جملة مستانفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى
بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اى في انشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها
من الامور التي تحار في فهم اجلاها العقول **والارض** على ما هي عليه ذاتا وصفة **واختلاف الليل والنهار** اى في تعاقبهما في
وجه الارض وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما

بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او
في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول او القصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول
ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان تكون بعض الاوقات
في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل اسم جنس يفرق بين واحده
وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة
كما في كيله وكيالي كانها جمع كيلاه والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قال الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما
وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه **لآيات** اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا
اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة
التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود منها بيان
استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد قصد في ضمنها الى اختصاصه
تعالى بالالوهية ببيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فانما فصل هناك
من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الوهيته ووحدته **لأولي الالباب** اي لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس
والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق الظلمانية المتاملين في احوال الحقائق واحكام النعوت
المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في
الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود متأبرين على
مراقبته وذكراه غير ملتفتين الى شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كل ما
ظهر في مظاهر الابداع وحضر محاضر التكوين والاختراع سبيل سوي الى العالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد
ناطق بآيات قدرته فهل من سامع واع ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل له من واع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب
معقولهم يحاور تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا في الحوار الهامهم وتصريحهم وان من شيء الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل لك يا عائشة ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقالت يا رسول الله اني لاحب قربك
واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل
يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد
بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض
الخ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض **الذين يذكرون الله** الموصول اما موصول
باولي الالباب مجرور على انه نعت له بما في حيز الصلة واما مفصول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدأ
محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه تفكيك لنظم الجليل ما لا يخفى واياما
كان فقد اشير بما في حيز الصلة ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق
سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال في انفسهم والآفاق الا
بقوله عز وجل **قياما وقعودا وعلى جنوبهم** ولا في الآفاق والانفس اشير بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك شانا من شؤونه تعالى

فالمراد

فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر اللساني
اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله
تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله تعالى على اقدامهم فليس مرادهم به
تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها
واما حمل الذكر على الصلاة في هذه الاحوال حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع
فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع قائم
وقاعد كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى
وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر
وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا
ويتفكرون في خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل محله النصب
لانه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق
واشارة الى نتيجة التي يؤدي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وآيات الكتب فكما انها آيات
تشريعية هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منهما
لهم على الثانية ودواعي الاستشهاد بها لهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواضع غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات
للاولى بشواهدها على صحة مضمونها وخفية مكنونها فان من تامل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف
خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الموصوف الذاتي والوحدة الذاتية والملك العام والقدرة التامة
والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال فاحكم على ان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه او قانون ينتحيه
فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم اي علومهم
واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات والمخايل وسائر اعمالهم المتفرعة على ذلك فان
العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو اشرف افرادها لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن
قضيته كون الاول اشرف من الثاني كون عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات
على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله تعالى وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون اي ليعرفون كما
اعرب عنه قوله تعالى عليه السلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وانما طريقها النظري التفكر فيما
ذكر من شؤونه تعالى وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل
اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه
مستتبع ما جاءت به الشريعة الحقة والا لما فسر النبي عليه السلام قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى فان التورع عن
محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة فحينئذ تتصادق الآيات التكوينية وتتوافق
الادلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشريعة في سلك نتيجة
تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهم والايذان بكون
تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الجلوس في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما
للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار
بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة الى بعض آخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر

متأبرين

الى عالم التوحيد

حقويه

أريد وصاله ويريد هجري
فأترك ما أريد لما يريد

كناية عن ... جعل الذكر كناية عن عدم الغفلة

هو قوله تعالى ويتفكرون

بنوع

على حاله اي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجايب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على الاضافه بمعنى في اي
يتفكرون فيما خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق العبرة منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانيه **ربنا ما خلقت هذا باطلا**
كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والتذكير
لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر موكد محذوف
او حال من المفعول به ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشان عبثا عاريا عن الحكم خاليا عن المصلحة كما ينبي عنه اوضاع
الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما حكما جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان تكون مدار المعاش العباد
ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدا والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهيه كما تحققه مفصلا والجملة بتمامها
في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب استيناف مبني لنتيجة التفكر ومدلول الايات
ناش مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الايات المنصوبة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله والتفكر في
مجال الايات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من اثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه
من النتيجه فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبي عن وقوفهم على سر الخلق المودي الى معرفه صدق الرسل وحقيقة الكتب الناطقة
بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه واما جعله حالا من المستكن في الفعل كما اطبق عليه الجمهور
فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على
الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يودي الى اجتلا
تلك الايات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتايجها
المترتبة عليه فاعتباره وعيدا في حيز الصلة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل نعم هو حال عن ذلك على تقدير كون الموصول
مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف واذا الاشتباه في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم
وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى **سبحانك**
اي تنزيها لك مما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض موكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى
فقنا عذاب النار فان معرفه سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميده والقيام بما يقتضيه من الاعمال
الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين احدهما الوقوف على تحقق
العذاب فالفا لترتيب الدعا على ما ذكروا والثاني الاستعداد لقبول الدعا فالفا لترتيب المدعو اعني الوقاية على ذلك كانه
قيل وان عرفنا سرك واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزا الذين لا يعرفون ذلك **ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته** مبالغة في استدعا الوقاية وبيانا لسببه وتصدير الجملة بالندا للمبالغة في التضرع والجوار
وتاكيدها لاظهار كمال التعين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في
موارد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي للاخزا معان متقاربة يقال اخزاه الله تعالى اي ابعده
وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلا
والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراه كقولهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار
بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى **وما للظالمين من انصار** تذييل لاظهار فظاعة حالهم ببيان خلود
عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيد الاستدعا ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم
والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشيا في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اي ما لظالم
من الظالمين نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الاية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين
هم الكفار **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان** حكاية لدعا اخر لهم مبني على تامّلهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق

المبني على التفكر في الادلة تصدير مقدمة الدعا بالندا لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتاكيد للايذان بصدور
المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال العقلية النشاط والمراد بالندا الدعا وتعديته بالى لتضمنها معنى الانتها وباللام لاشتمالها
على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول عليه السلام وتنوينه للتفخيم واشارة على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه
بشان الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت
رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفه لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الخ ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه
وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدوره المسموع عن المتكلم
وللتوسل به الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زايدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي
ثم وصفه بالندا للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع
عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القران العظيم **ان آمنوا** اي امنوا على ان تفسيريه او بان امنوا على انها مصدريه
بربكم بما الحكم فامنوا الى امور كم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه **فامنا** اي فامتثلنا بامره
واجبنا نداءه **ربنا** تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفا في قوله تعالى **فاغفر لنا**
لترتيب المغفرة او الدعا بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي المغفرة والدعا بها **ذنوبنا** اي كبايرنا
فان الايمان يجب ما قبله **وكفر عنا سياتنا** اي صغايرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكباير **وتوفنا مع الابرار** اي مخصوصين
بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقا الله ومن احب لقا الله احب الله لقاءه
والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب **ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك** حكاية لدعا اخر لهم مسبوق بما قبله معطوف على
التاخر التحلية عن التخلية وتكرير الندا لما مر مرارا والمراد بالموعود الثواب وعلى اما متعلقه بالوعد كما في قولك وعد الله
الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بالمحذوف وقع صفة لمصدر موكد محذوف اي وعدتنا وعدا كاينا على السنة
رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع
الرسل مع ان المنادي هو الرسول عليه السلام وحده لما ان دعوته عليه السلام لاسيما في باب التوحيد وما اجمع على الكل من
الشرايع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام كقوله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب الاية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل وابتا الجمع
لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بنا على كثرة الشهود **ولا تخزنا يوم القيامة** قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم
لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه مظهرين انهم ممن معه رجا للانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى **انك لا تخلف
الميعاد** تعليل لتحقق ما نظموا في سلك الدعا وهذه الدعوات ما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم
من اخلاف الميعاد بل لخوفهم اذ لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وهو الخاتمة والمال فرجعها الى الدعا بالتثبت او
للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنه انه البعث بعد الموت وفي الاثار من حزبه امر
فقال ربنا ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لو قرا هذه الاية **فاستجاب لهم ربهم** الاستجابة بمعنى الاجابة
وقال تاج القرا الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطا المسوول ويتعدى باللام وبنفسها كما في قوله فلم يستجبه عند
ذاك مجيب وهو عطف على الاستيناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين
ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل الاداء قبل لهم الان امنتم به ثم قيل الاية وكما ان قوله تعالى في سورة الاعراف ونطبع
على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى او لم يهد لهم كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير في اختلافهم صيغة كما ان
صيغة المستقبل هناك للدلالة على استمرار المناسب لمقام الدعا وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها
كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سياتي وجوزان

يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب لهم كما سياتي واما على تقدير كون المقدر حالا فهو
عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم على مجرد تفكرهم
وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالاخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثنا مدحهم
واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت انحق ما في حيز الصلة ان يكون من
مبادي جريان الحكم على الموصولة وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة المتاخرة عنها وفي التعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار العطف بهم ما لا يخفى **اني لا اضيع عمل عامل**
منكم اي باني وهكذا قرئ اي بحيث والبا للسببية كانه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته السنية
مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتنا بشان الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب
والمراد تاكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعا لا مجرد الدعا وتعميم الوعد لسائر
العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتاكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه
ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلف عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسرة الهمزة على ارادة القول
اي قائلا اني الخ فلا التفات اليه حينئذ وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل منكم
وقوله تعالى **من ذكر او انثى** بيان لعامل وتاكيد لعمومه وقوله تعالى **بعضكم من بعض** جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النسا
في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الاخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين والعمل
مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر
الرجال في الهجرة ولم يذكر النسا فنزلت وقوله تعالى **فالذين هاجروا** الخ تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن
افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين قوله تعالى **واخرجوا من ديارهم**
على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار **واوذوا في سبيلي** اي بسبب ايمانهم بالله
ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين **وقاتلوا** اي الكفار في سبيل الله تعالى **وقتلوا** استشهدوا في القتال
وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعي الترتيب ولان المراد قتل بعضهم وقتال الاخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من
افراد الموصول بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سوا كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول
بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو راي
الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد اضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد **لاكفرن**
عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله
الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى **ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار** اشارة الى ما عبر عنه
الداعون فيما قبل بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له **ثوابا** مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال
الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى **من عند الله** متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه اي لاثيبنهم اثابة كائنة وتثويبا
كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى **والله عنده حسن الثواب** اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او هو مبتدأ ثان
والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث
لا يقدر عليه غيره بحال شي يكون بحضرة احد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سوا جعل عنده خبرا مقدما
لحسن الثواب ولا وفي تصدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف

المسلك

المسلك عن عظم الشان المحسن ما لا يخفى **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد** بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ
الدنيا وكشف عن حقارة شانها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي عليه السلام على ان
المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارات القوم
ورؤسائهم والمراد افهامهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب مبالغة اي لا تنظر الى
ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان
بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخا ولين عيش فيقولون ان اعدا الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد
فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة **متاع قليل** خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من الثواب
قال عليه السلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاذا لا يجدي وجوده لواجده
ولا يضر فقده لفاقده **ثم ماواهم** اي مصيرهم الذي ياوون اليه لا يبرحونه **جهنم** التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى **وبئس**
المهاد هاجة انفسهم وبسبب ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم **لكن الذين اتقوا ربهم لهم**
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان وتكرير اثر تكرير مع زيادة خلودهم في
الجنان ليتم بذلك سرورهم ويزداد به تحسرهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال
المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية
لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها
بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار **نزلا من عند الله** وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل بطعام وشراب قال ابو الصبي

وكنا اذا الجبان بالجيش ضافنا ۞ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مؤكد كانه قيل رزقا او عطا
من عند الله **وما عند الله خير** مبتدأ وخبره قوله تعالى **للابرار** متعلق بمحذوف هو صفة اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة
الدائمة خير كائن للابرار اي مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة
من اعمال البر من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها **وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله** جملة مستانفة سيقت لبيان ان اهل
ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه
وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد اصحمة النجاشي
فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي عليهما السلام فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر
الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس
على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتدا على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن **وما انزل اليكم** من
القران **وما انزل اليهم** من الكتابين وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقران في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن
عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقران
ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة **خاشعين لله**
حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى **لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا** تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله ونظمها
في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشترا فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته عليه السلام **اولئك** اشارة
اليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو مرتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **لهم** وقوله تعالى **اجرهم** اي الاجر المختص بهم الموعود بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله يؤتكم
كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتدا والظرف خبره والجملة خبر لاولئك قوله تعالى **عند ربهم** نصب على الحالية

من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشيا فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر
من غير حاجة الى تامل والمراد بيان سرعة الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين امنوا اثر بيان ما بين في تضاعيف السورة الكريمة
فنون الحكم والاحكام ختمت لما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات وعلى ما يصيبكم من المكاره والشدائد
وصابروا اي غالبوا اعدا الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر
بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين قال
تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر
رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف
السورة الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كي تنتظمون في سلك زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل الكرب
عن النبي عليه السلام من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرا السورة التي يذكر فيها آل
عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تحجب الشمس

سورة النساء مائة وست وسبعون آيات

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعدهم الى يوم
القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة
بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخرين واما بطريق تعميم حكمه لما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف
بما كلف به اولها كما ينبئ عنها قوله عليه السلام ما جرى على لساني الى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيامة وقد فصل
في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ما
اندراجهم في خطاب ما عداهما مما له دخل في تاكيد التكليف وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث
حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل اتقوا ربكم فواردة على طريق التغليب لعدم تناولها حقيقة الاناث عند غير
الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص
لفظ الناس ببعض افراده والمامور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق
بحقوق ابنا الجنس اي اتقوه في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واما ما كان والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به
على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا
النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من
اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة
واحدة هي نفس ادم من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم
السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبل بالمامورين بنا على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من موكدات الامر بالتقوى
وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغنا لان خلقه تعالى للمامورين من نفس ادم حيث كان بوساطة ما بينه
وبينهم عليه السلام ومن الابا والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا لخلق الوسايط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم
متضمن لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح في
ذلك وهو معطوف على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاذ ذلك الاصل لا محالة كانه
قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها وهو استيناف مسوق لتقرير وحدة المبدا وبيان كيفية خلقهم منه
وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل

مع جواز عطف معموله على معمول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الى اخره
لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشا من المادة فانه تعالى خلق حوا
من ضلع ادم عليه السلام روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان
خلق حوا من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتاخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في
تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتنا ببيان مبدايته عليه
السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل وبث منهما اي
نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجال موكد لما افاده التنكير من الكثرة
والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل العدد وقيل هو نعت لمصدر للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي كثيرة وترك التصريح
بها للاكتفا بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتاكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدائية
غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدا اي وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض اخر
من موجبات الامتثال فان سؤال بعضهم بعضا بالله بان يقول اسألك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي
الاتقا من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقا بالاسم الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية
المهابة وادخال الروعة ووقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين
تخفيفا وقرئ بادغام تا التفاعل في السين لتقاربهما في المخرج وقرئ تسالون من الثلاثي اي تسالون به غيركم وقد فسر به القراة
الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رايت الهلال وترائيناه وبه فسر عمر تسالون على وجه وقرئ
تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة
تسالون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسالك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم
الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي
والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الاغرا اي والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير
المجرور وبالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتسال به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه
الجليل على انها صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش
تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا
ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم
من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور
لرعاية الفواصل واتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقا ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر
بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بهم ولملابستهم بالارحام والخطاب للاولياء والاوصياء
وكل التفويض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه
لما جرى مجرى الاسما جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه كان من وادي الافات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق
تقتضي صحة اطلاقه على الكبار واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة
لا تعيين لمعنى اللفظ اي يجري على اليتيم بعد حكم الايتام والمراد بايتا اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف
الكلف الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تاتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي
عن التبدل والاكل لا الاعطا بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الاية
وانما عبر عما ذكر بالايتا مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما

الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاوليا والاوصيا وشمول حكمه للاوليا من كان بالغا عند نزول
الاية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى على اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل
لاوليا الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد
مما سياتي من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتا الاعطا في الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع
لقرب عهدهم باليتم حثا للاوليا على المسارعة على دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان تزول اسمهم المعهود فالايتا بمعنى بالفعل
ويابا هما ما سياتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه
تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم
الايتا للايتا حالا وللايتا مالا وتعميم الخطاب لاوليا كلا الفريقين على ان من بلغ منهم فوليه مامور بالدفع اليه بالفعل وان من
لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى ولا يسبق ما تقدم من حمل ايتا اموالهم اليهم
على ما يودي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطا بالفعل بالدفع سوا اريد باليتامى الصغار او ما يعم
الصغار والكبار حسبما ذكر انفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه
فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة لعموم اللفظ
لا لخصوص السبب **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه
على الاطلاق وتبدل الشي بالشي واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان
ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالبا كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى اتستبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين واخرى بالعكس كما في
قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص على الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما في قوله
تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال
انفسهم مطلقا كما قاله الفرا والزجاج وقيل معناه لا تتذروا اموالكم الحلال وتاكلوا الحرام من اموالهم فالنهي عن اكل ماله
مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو اختزال المال مكان حفظه واياما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما
اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة لا تصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال
اليتيم واعطا الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي
لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبديل الخبيث بالطيب مع انها تبديل الطيب بالخبيث
فللايذان بان الاوليا حقهم ان يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لطلب المطلوب اليه
مشتري كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه **ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم** نهي عن منكر اخر كانوا يتعاطونه اي لا تاكلوها
مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا **انه** اي
الاكل المفهوم من النهي **كان حوبا** اي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحا وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا
كبيرا مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من اوساطها **وان خفتم الا تقسطوا في
اليتامى** اي ان لا تعدلوا وقرئ بفتح التا فقيل هو من قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى قسط
فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك
ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا
لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر اخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم
تبعا عقيب النهي عما يتعلق باموالهم خاصة وتاخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب

من

من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون من تحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا رغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة
والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها
ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من
النسا وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل
التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن
الخ فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم
بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق **فانكحوا ما طاب لكم** ما موصولة او موصوفة ما بعدها صلتها او صفتها اوثرت على من
ذهابا الى الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بناء على ان الاناث من العقلا يجرين مجرى غير العقلا
لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرئ على الاصل من طاب ومن في قوله عز وجل **من النسا** بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير
اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى
مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النسا
بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتنا بصرفهم عن نكاح اليتامى
وهو السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر
قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه
فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل للمحرمات
ولا مخصص له ممن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو اقطع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين
الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا
ولئن حمل قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على ادعا تقدمه في التنزيل فليجعل دالا على التخصيص **مثنى وثلاث
ورباع** معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة
فانها بنيت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل
طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم
معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل منهم ان يختار اي عدد شا من الاعداد
المذكورة لان بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض اخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة
اربعة ولذا افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا
وقيل في تفسير الاية الكريمة لما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاوليا يتحرجون من ولايتهم
خوفا من لحوق الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النسا حيث كان تحت الرجل منهم
عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النسا فقللوا عدد
المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا
وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النسا ولا تحوموا حول
المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الاية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور
توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفها الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا **فان خفتم الا تعدلوا** اي فيما بينهن ولو
في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في حقهن اذ كما لو تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد **فواحدة** اي
فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة **او ما ملكت ايمانكم**

اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري
لا بطريق النكاح كما في عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما
ما سياتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات فمن ما ملكت ايمانكم فان المامور بالنكاح هناك غير
المخاطبين بملك اليمين وانما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في قلة تبعتهن وخفة مؤنتهن
وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء **ذلك**
اشارة الى اختيار الواحدة والتسري **ادنى ان لا تعولوا** الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال في الحكم اي جار
والمراد هنا الميل المحظور المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار العدد في المهاير فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل
والخطر ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو عدم المعول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المونة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر
عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك
المهاير والجملة مستانفة جارية مما قبلها مجرى التعليل **وآتوا النساء** اي اللاتي امر بنكاحهن جمع كسرة وهي المهر وقرئ بسكون
الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما **صدقتهن** على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة
في ظلمة **نحلة** قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لان النحلة اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها
على الحالية من الصدقات اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة من الله تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له
اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا عنه عليهن فانتصابه على الحالية منها ايضا
وقيل عطية من جهة الازواج من نحلة كذا اي اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة نفس نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهاير
بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء
والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم وعلى الحالية من ضمير اتوا
اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج
وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون باخذ مهرها اي فينفج
بها ماله اي يعظمه **فان طبن لكم عن شيء منه** الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في
قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن روبة انه قيل له في قوله

۞ فيها خطوط من سواد وبلق ۞ كانه في الجلد توليع البهق ۞

ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق ينبغي ان يقول كانهما قال لكني اردت كان ذلك اولما وقع
موقعه صدقاتهن او للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كانه قيل واتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن حيث
عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل فكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي
والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي كائن من الصداق وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب **نفسا** تمييز والتوحيد
لما ان المقصود بيان الجنس اي ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل
من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو
طيب النفس وتجافيها عن الموهوب **فكلوه** اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر
لانه معظم وجوه التصرفات المالية **هنيئا مريئا** صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهني الذي
يلذه الاكل والمري ما يحمد عاقبته وقيل ما يساغ في مجراه الذي هو المري وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمي بذلك لمريء الطعام
فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا وعلى انهما حالان من الضمير المنصوب اي كلوه وهو هني مري وقد

توقف

توقف على كلوه وسده هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدر فكانه قيل هنأ ومرأ وهذه عبارة عن
التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روي ان اناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه اليها فنزلت
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها
ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من
حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما
اضيفت اليهم وهي لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الاتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها
منزلة اختصاصها بالاولياء فكان اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة
عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي ولا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم
فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل **التي جعل الله**
لكم قياما اي جعلها الله شيئا تقومون به وتتعيشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زاد في المبالغة حتى
جعل ما به القيام قياما فكانها في انفسها قيام لكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم
الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات
الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة
الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هي متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه
لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذ بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به
الشيء ومصدر قاوم وقرئ بفتحها **وارزقوهم فيها واكسوهم** اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتربحوا حتى
تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امره وما له الى من لا رشد
له من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك بمعزل من جزالة النظم الكريم **وقولوا لهم قولا معروفا** اي كلاما لينا
تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم
وكلما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا وعقلا من قول وعمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر **وابتلوا**
اليتامى شروع في تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها
سفهاء اي اختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط الاموال وحسن
التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان
كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى تتبين
لكم كيفية احوالهم **حتى اذا بلغوا النكاح** بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح **فان آنستم** شاهدتم وتبينتم وقرئ
احستم بمعنى احسستم كما في قول من قال ۞ خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس **منهم رشدا** اي اهتداء
الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والاعتداد
بمدانيه له والتنوين للدلالة على كفاية رشد ما في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير
تاخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الاية
الكريمة ان حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله ۞ فما زالت القتلى تمج دماءها ۞ بدجلة حتى ماء دجلة اشكل ۞ وما بعدها
جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم
واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم فظاهر الاية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع
اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثمانية عشر

فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه
ماله اونس ولم يونس ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم
تعرضون في تفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان تكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع ونهي عن مخالفته وتمهيد
لما بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف الخ اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فيتنزه من اكلها وليقتنع بما
اعطاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء والاوصياء فقيرا فلياكل بالمعروف
بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها عن
النبي عليه السلام ان رجلا قال له عليه السلام ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسقيها
يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما يتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير
فيما لا بد منه وعن الشعبي يعني ياكل من ماله بقدر ما يعين وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف
فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه
فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان
استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة
فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به فاشهدوا
عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة
وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله وكفى بالله حسيبا اي
محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون شروع في بيان احكام
المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع
صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن
على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الى اخره للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن
في استحقاق الارث من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون
النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث
بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة وقتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى النبي عليه السلام
فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من
مال اوس شيئا حتى يبين فنزلت يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على
جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا
البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة
كالخيل والات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد
كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة وعلى الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون
حال كونه مفروضا او على الاختصاص اعني نصيبا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط
حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لكونها المبحوث عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي
الترتيب يفوت تجاوب اطراف الكلام اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم اي اعطوهم شيئا
من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة

وتصدق

وتصدق عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطاهم
ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله
تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء
بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضروا بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة
على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون
حرمانهم او للمؤمنين اي ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية وكونها في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم
لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم
وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد المخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدا
والمنتهى اذ لا نفع للاول بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض
ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا وليقولوا
في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث ان الذين ياكلون اموال اليتامى استئنافا جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي
ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين انما ياكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة انه
قال عليه السلام يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء
مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل
بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان اكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه
وعينيه فيعرفه الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة
اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الاية يوصيكم الله مشروع في تفصيل احكام المواريث
المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الاباء والاولاد والازواج فهولاء قسمان
والثالث الكلالة اي يامركم ويعهد اليكم في اولادكم اولاد كل واحد منكم اي في شان ميراثهم بدا بهم لانهم اقرب الورثة الى
الميت واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستانفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب
بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما راه الفراء فانه يجري ما كان بمعنى القول من الافعال
مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة الاية وقوله تعالى للذكر لا بد له
من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه
والاصل ومثل صفة لموصوف محذوف اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى
كما انها المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار
من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال
كالنساء فان كن اي الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة
لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة فلها
النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما
فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهذا الثلثان فاقتضى
ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يراد النصيب زيادة العدد رد بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان

ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان
البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهن ثلثا ما ترك **ولابويه** اي لابوي الميت غير
النظم الكريم لا لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور **لكل واحد منهما** بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدا الذي هو قوله
تعالى **السدس** وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتاكيدا له بالتفصيل بعد
الاجمال وقرئ السدس بسكون تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن **مما ترك** متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل
الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى **ان كان له ولد** ولد ابن ذكر كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة
الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة **فان لم يكن له ولد** ولا ولد ابن **وورثه ابواه** فحسب
فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم
ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس بان يقال ولابيه الثلثان
منه ايضا لما ان حظها اخصر واستحقاقها اتم واوفر ولان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما
احد الزوجين اما اذا كان معهما فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الام
على الاب مع كونها اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك
خلاف وضع الشرع **فان كان له اخوة** اي عدد من له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما
وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او محجوبين بالاب **فلامه السدس** واما السدس الذي حجبوها عنه
فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنه انه لهم على كل حال خلا ان هذا الحجب عنده
لا يتحقق بما دون الثلث ولا بالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها **من بعد وصية** خبر مبتدا محذوف والجملة
متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد وصية **يوصي بها** اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا
ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها **او دين** عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت
به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على
تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او مفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار
كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة التفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين **اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب**
لكم نفعا الخطاب للورثة فاباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدا واقرب خبره ونفعا نصب على
التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قال ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية
موكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ
وصيته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول
والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الاخر كما في قوله عليه السلام مثل امتي مثل المطر لا تدرى اوله خير ام اخره
فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقاد
بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لما
لمنشا خطائهم ومبالغة في الترغيب بتصوير الثواب الاجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير العاجل كانه قيل
لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الاخرة لتحقق
وصوله الى صاحبه ودوام التمتع به مع غاية قصر ما بينهما من الحياة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه
ابعد واقصى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا فتحروا في شانهم ما
اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال

ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته وقيل فالجملة الاعتراضية حينئذ موكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار
الارث ما ذكر من اقربية النفع مع انه العلاقة النسبية **فريضة من الله** نصبت نصب مصدر موكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك
فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم **ان الله كان عليما** اي بالمصالح والرتب **حكيما** في كل ما قضى وقدر
فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا **ولكم نصف ما ترك ازواجكم** من المال شروع في احكام القسم الثاني من الورثة ووجه
تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره **ان لم يكن لهن ولد** اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا
كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات
وغيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث اخر اصلا **فان كان لهن ولد** على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير
عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه **فلكم الربع مما تركن** من المال والباقي لباقي الورثة **من بعد وصية** متعلق
بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده **يوصين بها** في محل الرفع او الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية
وحث الورثة على تنفيذها **او دين** عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة
على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من كمال العناية بتنفيذها **ولهن الربع مما**
تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور انفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات وذوي الارحام او
لبيت المال ان لم يكن لهن وارث اخر اصلا **فان كان لكم ولد** على النحو الذي فصل **فلهن الثمن مما تركتم** من المال والباقي للباقين
من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمراة كما في النسب لمزيته
عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب لا يستثنى عنه الا
اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن **وان كان رجل** شروع في بيان احكام القسم الثالث
من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت قوله تعالى **يورث** على البناء للمفعول من ورث لا من اورث
خبر كان اي يورث منه **كلالة** الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء واستعيرت للقرابة من غير جهة
الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما ويطلق على من لا يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى
ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انها خبر لكان ويورث
صفة لرجل اي ان كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما
على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به ليورث ذا كلالة واما على انها
مفعول له اي يورث لاجل الكلالة **او امراة** عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امراة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره
للايذان بشرفه واصالته في الاحكام **وله** اي للرجل فقط تاكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل
الضمير لكل منهما **اخ او اخت** اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في اخر السورة
الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسالة وذكر
الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخر بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع
ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع **فلكل واحد منهما** من الاخ والاخت **السدس** من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء
الى الميت بمحض الانوثة **فان كانوا اكثر من ذلك** اي اكثر من الاخ والاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد
مستتبع لذكر احتمال التعدد **فهم شركاء في الثلث** يقتسمونه بالتسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات
هذا واما تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل
الكلالة او ذا كلالة او غير والد وولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه واخته السدس فان كانوا
اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء فبمعزل من السداد اما اولا فلان

المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث ولما يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه ونصيب شريكه ما ذكر تعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا اولاد الام فقد اعترف ببطلان رايه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والاية الاتية في اخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما نصت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا لاقتصر البيان على صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث عن ورث لام او ورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكرنا من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالمورث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث مما لا عهد به **من بعد وصية يوصى بها او دين** الكلام فيه كالذي مر في نظايره خلا ان الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين يوصى به **غير مضار** من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل مضمر ينبئ عنه المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البنا للفاعل اي يوصى بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصى بما زاد على الثلث او تكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم **وصية من الله** مصدر موكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له موكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كاينة من الله تعالى كفريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله للاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله تعالى وعهده لا في شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شان الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضارته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يودي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا يبقى به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه **والله عليم** بالمضار وغيره **حليم** لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة **تلك** اشارة الى الاحكام التي تقدمت في شوون اليتامى والمواريث وغير ذلك **حدود الله** اي شرايعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها **ومن يطع الله ورسوله** في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر انفا **يدخله جنات** نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش **تجري من تحتها الانهار** صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها **خالدين فيها** حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب

المعنى

المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا **وذلك** اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته **الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض **ومن يعص الله ورسوله** ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة **ويتعد حدوده** شرايعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيما يحق فيه دخولا اوليا **يدخله** وقرئ بنون العظمة في الموضعين **نارا** اي عظيمة هايلة لا يقادر قدرها **خالدا فيها** حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة **وله عذاب مهين** اي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب اخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يوذن به وصفه والجملة حالية **واللاتي ياتين الفاحشة من نسايكم** شروع في بيان بعض اخر من الاحكام المتعلقة بالنسا اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها او باشرها وكذا اتاها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ياتين اي اللاتي يفعلن الزنا كاينات من نسايكم اي من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسايهم وقوله تعالى من نسايكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي **فاستشهدوا عليهن اربعة منكم** خبر للموصول والفا للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المومنين واحرارهم **فان شهدوا** عليهن بذلك **فامسكوهن في البيوت** اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن **حتى يتوفاهن** الى ان يستوفي ارواحهن **الموت** وفيه تهويل للموت وابراز له في صورة من يتولى قبض الارواح ويتوفاها او يتوفاهن ملايكة الموت **او يجعل الله لهن سبيلا** اي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم **واللذان ياتيانها منكم** هما الزانية والزاني بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزاني المحصن مبهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحد الحكمين دلالة لاختفاء الشركة في المناط **فاذوهما** اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال ايضا وظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر انفا **فان تابا** عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفا **واصلحا** اي اعمالهما **فاعرضوا عنهما** بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في اوايل الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان النبي عليه السلام قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا كانت عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج عليهن من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور في الزناة والزواني متمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب على انه لا امكان له في الاولى وياباه الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا **ان الله كان توابا** مبالغة قبول التوبة **رحيما** واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض **انما التوبة على الله** استيناف مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله تعالى ليس على الاطلاق كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة

مبتدا او قوله تعالى **للذين يعملون السوء** خبره وقوله على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور
على عامله المعنوي مما لا نزاع له في جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدا المستكن فيما تعلق به الخبر على راي
من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير قوله ولله على الناس حج البيت واياما كان فمعنى كون
التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات
عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل التوبة التي
اوجب الله على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه معرفة على راي من جوز حذف الموصول
مع بعض صلته اي انما التوبة الكائنة على الله والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين
متعلق بما تعلق به الخبر او بالمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على
العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي
بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين خبر الامري الى قوله عز وجل وليست
التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء **بجهالة** متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل
يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفها او بيعملون على ان الباء سببية اي يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب
مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجمع اصحاب الرسول
عليه السلام فراوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطا وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته
وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية **ثم يتوبون من قريب** اي من زمان قريب وهو
ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سياتي من قوله تعالى حتى اذا حضر الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي
لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل
توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعي ما لم يوخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي عليه السلام ان الله
يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطا ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا
افارق ابن ادم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض
زمان قريب كانه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب **فاولئك**
اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول
عليه السلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدا خبره قوله تعالى **يتوب الله عليهم** وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم
وهو وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول **وكان الله عليما حكيما** مبالغا في العلم
والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشا لاتصافه تعالى بصفات الكمال **وليست التوبة للذين يعملون السيئات**
تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات
باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لان المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها **حتى اذا حضر احدهم الموت**
قال اني تبت الآن حتى حرف ابتدا والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات
الى حضور موتهم وقولهم اني تبت الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب واسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي
عن تسميته توبة **ولا الذين يموتون وهم كفار** عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر
هؤلاء مع انه لا توبة لهم راسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسرفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي
في المعطوف اشعار خفي بكون حال المسرفين وعدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين

اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين
واما من يعم الفريقين جميعا فالتسمية حينئذ للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما من يعم الفريقين جميعا
فالتسمية للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى **اولئك** اشارة الى الفريقين وما فيه
من معنى البعد للايذان بتراخي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدا خبره **اعتدنا لهم** اي هيأنا لهم **عذابا اليما**
تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتنا بكون العذاب معدا لهم وتنكير
العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها** كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه
على امراته او على خبائها ويقول ارث امراته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق او على الصداق
الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وان ذهبت المراة الى
اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تاخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث
وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكوهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات
بامساككم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف وكان الرجل اذا
تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل لهم **ولا تعضلوهن**
عطفا على ترثوا ولا لتاكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها
تخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن **لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** اي من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه
اضطرارا فتاخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب
به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب
لانه عبارة عن الذهاب مصحوبا به **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى
صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده
قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنى وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا يحل
عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت اتيانهن بها
او لا لاتيانهن بها فان السبب يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع **وعاشروهن بالمعروف** خطاب للذين يسيئون
العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد هاهنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ونحو
ذلك **فان كرهتموهن** وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن
بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن **فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة
استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى
تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره
ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم
وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار الفعلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير
من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من
موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف
وقيل تقديره والله يجعل فيه خيرا كثيرا وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به هاهنا
الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة **وان اردتم استبدال زوج** اي تزوج امراة ترغبون فيها **مكان زوج** ترغبون عنها بان
تطلقوها **وآتيتم احداهن** اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط

اي قد اتيتم التي تريدون تطليقها **قنطارا** اي مالا كثيرا **فلا تاخذوا منه** اي من ذلك القنطار **شيا** يسيرا فضلا عن الكثير **اتاخذونه بهتانا واثما مبينا** استيناف مقول لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتاخذونه باهتين اثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امراة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجيها الى الافتدا منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل **وكيف تاخذونه** انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشي حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل **وقد افضى بعضكم الى بعض** حال من فاعل تاخذونه مفيدة لتاكيد النكير وتقرير الاستبعاد اي على حال او في اي حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك **واخذن منكم ميثاقا غليظا** عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق الله تعالى عليهم في شانهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي عليه السلام اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله **ولا تنكحوا ما نكح اباوكم** شروع في بيان من يحرم نكاحها من النسا ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الاتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابايهم فنهوا عن ذلك واسم الابا ينتظم الاجداد مجازا فيثبت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطي او ما جرى مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوها بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى لو وقع شي من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها اباوكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر **من النسا** بيان لما نكح على الوجهين **الا ما قد سلف** استثنا مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله. ٭ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتايب ٭ والمعنى لا تنكحوا حلايل ابايكم الا من مات منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثنا مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا فانه موجب للعقاب الا ما مضى فانه معفو عنه وقيل هو استثنا منقطع معناه لكن ما سلف لا مواخذة عليه لا انه مقرر وبابها قوله **انه كان فاحشة ومقتا** فانه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه غاية القبح مبغوضا اشد البغض وان لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلايم ان يوسط بينهما ما يهون امره من ترك المواخذة على ما سلف منه **وسا سبيلا** في كلمة سا قولان احدهما انها جارية مجرى بيس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وسا سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بيس الشراب اي ذلك الما وثانيهما انها كساير الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه سا سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار قيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وسا سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح **حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت** ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفا محليتهن له راسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رقهن فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار

الذي

الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك لا بعبارة بشهادة سياق النظم الكريم وسياقه وانما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة تسببه الذي هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته له كملك النكاح وانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ثم يزول موقع العتق في المواد التي يسبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطي فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات يعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات يتضمن من الجهات الاخوات الثلث وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمي المرضعة اما للمرضع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه لاب وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى يخل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد **وامهات نسايكم** شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنسا المنكوحات على الاطلاق سوا كن مدخولا بهن او لا وعليه جمهور العلما وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم قرؤا امهات نسايكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد ابن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شا فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما اقام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظايرهن والامهات يعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر **وربايبكم اللاتي في حجوركم** الربايب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتا للنقل الى الاسمية والربيبة ولد المراة من اخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعني بكونهن في الحجور فان شانهن الغالب المعتاد ان تكون في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفايدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربايب دون بنات النسا فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهن ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلما ما ذكر اولا على ان ما في قوله تعالى **من نسايكم اللاتي دخلتم بهن** فانه لتقييدها به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربايبكم او من ضميرها المستكن في الظرف فانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربايبكم اللاتي استقررن في حجوركم كاينات من نسايكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لا سترة به ولا معهما ذكرا ولا ضرورة ان حاليته من ربايبكم او من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات او نسايكم يستدعي كونها بيانية وادعا كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتدا والبيان او جعل الموصول صفة للنسايين مع اختلاف عاملهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه سعي في اسكات ما نطق به النبي عليه السلام واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراة فضعيف الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والبا للتعدية

وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظايره كما مر فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن
اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربايب وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفا الاولى للترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم
الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلايل ابنايكم اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما
ازار صاحبه وفي حكمهن مرتبا تهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظايرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعاء دون
ابنا الاولاد والابنا من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابنا الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما قبله من
المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطي بملك اليمين فلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار
ولقوله عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضا
الى الوطي ولا مستلزما له ولذلك يصح شرا المجوسية دون نكاحها حتى لو وطيها لا يحل له وطي احداهما حتى يحرم عليه وطي الاخرى لان
المنكوحة موطوة بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوة لا تحل له وطي احداهما حتى يحرم عليه وطي الاخرى لان المنكوحة
موطوة حكما فكانه جمعهما وطيا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسايكم للاحتراز عن افادة الحرمة
المويدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المراة
وعمتها ونظايرهما فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هولا بل اولى فان
العمة والخالة بمنزلة الام فقوله عليه السلام لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان
التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب الا ما قد سلف استثنا منقطع اي لكن ما قد مضى لا تواخذون
به ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما
افاده الاستثنا فيتحتم الانقطاع وقال عطا والسدي معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهوذا وبين
راحيل ام يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل لما ان ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنه كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى الا امراة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبيد الله عن محمد
ابن الحسن انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امراة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد
عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى ان الاستثنا فيهما على سنن واحد وياباه اختلاف التعليلين
والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاوليا اي اعفهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على
صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراة الاولى ايضا وفتح
الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيريه ملقح ومسهب من الفح واسهب قيل قد ورد الاحصان في القران بازا اربعة معان الاول التزوج
كما في هذه الاية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة
وقوله تعالى من النسا متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كاينات من النسا وفايدته تاكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على
كونها صفة للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثنا من المحصنات استثنا النوع من الجنس اي ما ملكتموه واسناد الملك الى
الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقا لا سيما في اناثهم وهي المرادة ههنا رعاية للمقابلة
بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحراير والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلا وهي اما عامة
حسب عموم صلتها فالاستثنا حينيذ ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم
لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن ليس من المحرمات على الاطلاق
بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة ومن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرايين واما خاصة بالمذكورات
فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم

بدلالة النص لاتحاد المناط لا بالعبارة لما عرفت ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم
ملك النكاح واما ثبوت حرمة التمتع بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثنا قطعا واما عامة من
ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على اختلاف الرايين فمبنى على اعتقاد الناس حيث
كانوا حينيذ غافلين عن الفرقة الا ترى الى ما روي عن ابي سعيد الخدري من انه اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهن ان
نقع عليهن فسالنا النبي عليه السلام وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نسا قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت
والمحصنات من النسا الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا
توطا حامل حتى تضع ولا حايل حتى تحيض فاباح وطيهن بعد الاستبرا وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الاية الكريمة ما يدل
على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له بوجه من وجوه الدلالات لا على افادتها بطريق العبارة ونحوها هذا
وقد روي عن ابي سعيد انه قال انها نزلت في نسا كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض
المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى عن نكاحهن فالمحصنات عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام
والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتعرف حال المتوقع والا فما عداهن بمعزل عن الحرمة له
والاستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلان ينقطع ما
بين المهاجرة وزوجها احق واولى كما يفصح عنه قوله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن الاية كتاب الله مصدر موكد اي كتب الله عليكم تحريم هولا كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغرا بفعل مضمر اي
الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بالمحذوف وقع حالا منه قيل هو اغرا اخر موكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة
المذكور عليه او بنفس عليكم على راي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغرا كما في قوله

يا ايها المايح دلوي دونكا ۞ اني رايت الناس يحمدونكا

وقرئ كتب بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم وقرئ كتب بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ
الفعل واحل لكم عطف على حرمت عليكم الخ وتوسط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات
المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان
مو سستان للتحليل والتحريم المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعدما اكدت
الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا
او جمعا ولعل اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن
من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المراة وعمتها
وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع
الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجميع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال
ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا ترى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلثا
والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضا
العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد
تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما
بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول
محذوف اي تبتغوا النسا او متروك اي تفعلوا الابتغا باموالكم بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال مما وراء ذلكم بتقدير ضمير
المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين

حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل **فما استمتعتم به منهن** اما عبارة عن النسا او عن ما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها وايا ما كان فهي مبتدا خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى **فاتوهن اجورهن** والفا لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النسا فالعايد الى المبتدا هو الضمير المنصوب في فاتوهن سوا كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النسا او بعضهن فاتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعايد الى المبتدا محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوها او فالفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فاتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن **فريضة** حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اي ايتا مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة اي لهن عليكم **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم** اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابرا منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى واتوا النسا صدقاتهن وقوله الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا تساعده رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى **به من بعد الفريضة** اذ لا تعلق لهما بالفريضة الاولى ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمراة واستمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلاثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النسا الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي بالصرف **ان الله كان عليما** بمصالح **حكيما** فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللايقة بحالكم **ومن لم يستطع منكم** من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع اي حال كونه منكم وقوله تعالى **طولا** اي غنى وسعة او اعتلا ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول ليستطع وقوله عز وجل **ان ينكح المحصنات المومنات** اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شايع ذايع كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اي ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا اي طولا موصلا اليه او كاينا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطايل والطايلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حرف الجار نصب عند سيبويه والفرا وجر عند الكسايي والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنى اي لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحراير بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وجل **فمما ملكت ايمانكم** اما جواب للشرط او خبر للموصول والفا لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة اي فلينكح امراة او امة من النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اي فلينكح امراة كاينة من ذلك النوع وقيل من زايدة والموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكته ايمانكم وقوله تعالى **من فتياتكم المومنات** في محل النصب على

الحالية

الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وما قيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من وما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتدا الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اي فلينكح فتياتكم كاينات بعض ما ملكت ايمانكم والمومنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو مفعول الى الفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم انفا ومن فتياتكم حال من العايد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو راي اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رحمه الله متمسكا بالعمومات فحمل الشرط والوصف هو الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى **والله اعلم بايمانكم** جملة معترضة جي بها لتانيسهم بنكاح الاما واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز وجل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم في الايمان الذي ينتظم به احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة تفوق ايمانها ايمان الحراير وقوله تعالى **بعضكم من بعض** ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض اخر مؤكد للتانيس من جهة اخرى والخطاب في الموضعين اما لمن كان في الخطاب الذي يعقبه فقد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتانيس واما لغيرهم من المسلمين كالخطاب بالسابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا وايا ما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى **فانكحوهن** مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى **باذن اهلهن** وتصديره بالفا للايذان بترتبه على ما قبله اي واذ وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له **واتوهن اجورهن** اي مهورهن **بالمعروف** متعلق باتوهن اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجا الى الاقتضا واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورية ان يكون الادا اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتايهن لبيان جواز الادا اليهن لا لكون المهور اليهن واصله اتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه **محصنات** حال من مفعول فانكحوهن اي حال كونهن عفايف عن الزنا **غير مسافحات** حال مؤكدة اي غير مجاهرات به **ولا متخذات اخدان** عطف على مسافحات ولا لتاكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقا على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون الواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اي غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين **فاذا احصن** اي بالتزويج وقرئ على البنا اي احصن لهن فروجهن او ازواجهن **فان اتين بفاحشة** اي فعلن فاحشة وهي الزنا **فعليهن** فثابت عليهن شرعا **نصف ما على المحصنات** اي الحراير الابكار **من العذاب** من الحد الذي هو جلد ماية فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحراير فالفا في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر **ذلك** اي نكاح الاما **لمن خشي العنت منكم** اي لمن خاف وقوعه في الاثم الذي يودي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة الماثم بارتكاب افحش القبايح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللايق بحال المومن دون الثاني لان ما يحذر عنده الحد لا ما يوجبه **وان تصبروا** اي عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي **خير لكم** من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحراير ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال الحال

قبل

الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي
اللائقة بالمومنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر
صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية
لحال المومنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام
وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبيا والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد معنى
الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من
مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم
والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي
وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب ولان اذهب
وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي
موضع وامرت ان اسلم وفي اخر وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل بينكم وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان
وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان اي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذي
قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتدا ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع به ويعزى هذا الراي
الى بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبيا والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم اذا استم الله تعالى عما يقع منكم من
التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه به من الشرايع فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم
او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده
تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطايفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشيا التي من جملتها
ما شرع لكم من الاحكام حكيم مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتداة مسوقة لبيان كمال
منفعة بارادة الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك
غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات للاشارة
الى الحدوث وللايما الى كمال المباينة بين مضمون الجملتين كما مر في قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا الاية والمراد بمتبعي الشهوات
الفجرة فان اتباعها الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود
والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم
تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ وبنات الاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق
موافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا تارة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون ميلا
عظيما اي بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص وما في عهدتكم من
مشاق التكاليف والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة
دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رحمه الله ان المراد
ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس
لضعف البنية مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النسا خاصة
حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النسا فقد اتى علي ثمانون سنة
وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النسا وقرئ ابن عباس رضي الله عنه وخلق الانسان
على البنا للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضي الله عنه ثماني آيات في سورة النسا هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت

يريد الله

يريد الله ليبين لكم • والله يريد ان يتوب عليكم • يريد الله ان يخفف عنكم • ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه • ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا • ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها • ومن يعمل سوا او
يظلم نفسه • ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع في بيان
بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالندا والتنبيه
لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وغير
ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثنا منقطع وعن
متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في • اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا •
اي اذا كان اليوم يوما والا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة
عن تجارة عن تراض اي وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين ساير اسباب
الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروات والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال
المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي رحمه الله حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من
كان من جنسكم من المومنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر
عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل ولا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه القتل
الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما
يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة وايد بما روي عن عمرو بن العاص
انه تاوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه السلام وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ
النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفا فضايلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة
وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق الاستئناف اي مبالغا في الرحمة والرافة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة
عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وللذين هم في معرض التعرض لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد
رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفهم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك
اشارة الى القتل خاصة او بما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهما في الفساد عدوانا وظلما اي
افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها
للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي معتديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف
نصليه جواب للشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء
والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي نارا اي نارا مخصوصة هايلة شديدة العذاب وكان ذلك اي اصلاؤه
النار على الله يسيرا لتحقق الدواعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتاكيد استقلال
الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه اي كباير الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ كبير
على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على طريق الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من
العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم صغايركم ونمحها عنكم قال المفسرون الصلاة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة
ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغاير اذا اجتنبت الكباير واختلف في الكباير والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب
الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عليه السلام انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل
النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله عنه التعرب
بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن [illegible] وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال الكباير سبع

قال هي الى سبعماية اقرب منها الى سبع وروى عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد
به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها او ما
تحتها وبحسب فاعلها وبحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق
عليه الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق عليه من اجتناب
الاكبر من الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح
الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما في
قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم تدع فلم يبق الا مسحت
او مجلف ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي عن المواجهة مما يشق عليهم قال
القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل
نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهر اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا
تتمنوا ما اعطاه الله بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى
صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل احد من المفضل والمفضل عليه ان لا يتمنى
معارضة حكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لان عدمه خير له ولا لانه لو كان خلافه لكان مفسدة كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتي
من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله
تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر
على طلب المعاش منا فنزلت وهذا امر لا يناسب تعليل النهي بقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما
اكتسبن فانه صريح في جريانه فيما بين الفريقين الرجال والنساء ولعل المذكر في النهي لما عبر عنهم بالبعض والمعنى لكل من الفريقين
في الميراث نصيب معين المقدار اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على
تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان
ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى واسألوا الله من فضله عطف على النهي وتوسط التعليل بينهما لتقرير
الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله من خزائن نعمه
التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسألوه ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي
واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوا الله فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم
اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل
العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على اجر الآخرة وابقاء الاكتساب على حقيقته بحمل سبب النزول على ما روي ان ام سلمة
رضي الله عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب
خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال
كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا
يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع
بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الآبية ولكل جعلنا موالي
مما ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول وحذف
تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة في الدرجة يلونها
ويحوزونها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة وما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بالعامل

كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف
اليه اعني غير او ولكل قوم جعلنا موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان
جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله
اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي
ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ
ففيه تفكيك النظم الكريم لانه ان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم ويتحقق الانتظام كما اشير اليه
في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الوالدان والاقربون كما لا يتناولهم الوالدين والذين
عاقدت ايمانكم هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى
ببعض وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن
له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف
العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت ايمانكم مبتدأ
متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه
او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي ان الله كان
على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستأنف مسوق
لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على
صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شانهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة
على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من
ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او متلبسين
بتفضيله تعالى ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه
اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كمال للرجال كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الراي ومزيد القوة في الاعمال
والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة
ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها الى الصلة ومن
تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب ما
انفقوه من اموالهم وهو المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه
امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى فقال عليه السلام لتقتص
منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات شروع في تفصيل احوالهن وبيان
كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن قانتات اي مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج
حافظات للغيب اي لمواجب الغيب اي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبي عليه السلام
خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم
واضافة المال اليها للاشعار بانه لما في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية بما حفظ الله ما
مصدرية اي بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالامر الذي حفظ الله
لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اي بالامر الذي حفظ حق الله
تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام

عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن
وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن ان لم ينفع الوعظ
والنصيحة في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتات اي
لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضجع واضربوهن ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم
بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان
منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم
او انه تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى
يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهجر الاية ان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق ويفرض تحققه
وان الذي يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما بعد ما كان من الزواجر هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفا المبينة عن سببية
ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير السكوت عنه اعني عدم الاطاعة
المودي الى المخاصمة والمواقصة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الاخر واما لان كلا منهما في شق اي جانب غير
شق الاخر والخوف ههنا بمعنى العلم قال ابن عباس رضي الله عنه والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف
وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على
اجرائه مجرى المفعول كما في قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم اي ان علمتم او ظننتم تاكد المخالفة بحيث لا
يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اي الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اهل
الزوج وحكما اخر على صفة الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو
نصبا من الاجانب جاز واختلف في انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رايا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروي عن علي رضي الله عنه وبه
قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالفا ان كان الصلاح فيه ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي
ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة بوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة
والالفة والقى في نفوسهما المودة والرافة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما
ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يليق بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح
وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة مبنية
عن دوران وجود عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما
وقيل كلاهما للزوجين اي ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته
فيما يتوخاه وفقه الله تعالى لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظاهر والباطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا كلام مبتدا مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق
الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي اكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين بنظمها في سلكها كما في
نظم سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اي لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك
جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي احسنوا بهما احسانا وبذي القربى اي بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى
والمساكين من الاجانب والجار ذي القربى اي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب
على الاختصاص تعظيما لحق الجار والجار الجنب اي البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلاثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد هو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب
وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اي الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك ومنهم من قعد

بجنبك في مسجد او مجلس وغير ذلك من ادنى صحبة التاتب بينك وبينه وقيل هي المراة وابن السبيل هو المسافر والمنقطع
به او الضعيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اي متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه
واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل الامر السابق الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بضم الباء
وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين
او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اي من
المال والغنى او من نعوته عليه السلام التي بينها لهم في التوراة وهو انسب لامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها
ويامرون اعقابهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة
الله تعالى ومن كان كافرا بنعمته تعالى فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود
كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم
لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما شاركوهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف
الذي هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف
بناء على اجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
او مبتدا خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الى اخره كانه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله
ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركوا مكة المنفقون اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اي فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره والاستغناء
عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما
رزقهم الله اي على من ذكر من الطوائف ابتغاء لوجه الله تعالى وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان
بالله واليوم الاخر فانه يقتضي ان يكون الانفاق لابتغاء وجه الله تعالى وطلب ثوابه البتة اي وما الذي عليهم او واي تبعة
ووبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض
على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر
لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان بها لاهميته في نفسه ولعدم الاعتداد
بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم ايمانهم بهما مع الموخر كونه اقبح من المتقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم
ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب وبما علمهم
فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا قد امنوا وانفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال
من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم النقص بعينه او بمعنى وضع الشيء في
غير موضعه اي لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه اي لا يظلم
ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلت في النقل اظهر
من قلة النملة فيه وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اي وان تك
مثقال ذرة حسنة انث لتانيث الخبر او لاضافته الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة
الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها اي يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال
الاتصال بينهما كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريق الالتفات عن عثمان النهدي

انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده
المومن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته عليه السلام يقول يعطيه الفي الفي حسنة ثم تلا هذه الاية الكريمة
والمراد الكثرة لا التحديد **ويوت من لدنه** ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زايدا على ما وعده في مقابلة العمل **اجرا عظيما**
عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه **فكيف** محلها اما الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف واما النصب بفعل
محذوف على التشبيه بالحال كما هو راي سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الاخفش اي فكيف حال هولا الكفرة من
اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون **اذا جينا** يوم القيامة **من كل امة** من الامم **بشهيد** يشهد عليهم بما كانوا عليه من
فساد العقايد وقبايح الاعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا
والخبر من هول الامر وعظم الشان والفعل المقدر ومن متعلقة بجينا **وجينا بك** يا محمد **على هولا** اشارة الى الشهدا المدلول
عليهم بما ذكر **شهيدا** تشهد على صدقهم لعلمك بعقايدهم لاستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم
عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد ساير الانبيا على اممهم وقيل الى المومنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهدا على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا **يومئذ يود الذين كفروا** استيناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان
اريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما بعد الاشارة اليهم بهولا لذمهم بما في حيز
الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال القطيعة والامر الهايل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة
تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يومن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا
اوليا والمراد بالرسول حينيذ الجنس المنتظم للنبي عليه السلام انتظاما اوليا واما ما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال
ما لا يقادر قدره وقوله تعالى **وعصوا** عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على
ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع في حق المواخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة موصول اخر اي يود في ذلك اليوم
الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول او الذين كفروا وقد عصوا **الرسول** والذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله
تعالى **لو تسوى بهم الارض** ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود اي يودون اي يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون
انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سوا وقيل تصير البهايم ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها فالمفعول
محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره اي لسروا بذلك وقوله
تعالى **ولا يكتمون الله حديثا** عطف على يود اي ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون
ان يدفنوا في الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك
ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون انهم تسوى بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله تتسوى
فادغم التا في السين وقرئ تسوى بحذف التا الثانية يقال سويته فتسوى **يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم**
سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الاشراك به تعالى نهوا هاهنا عما يودي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان
عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا حين كان الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فاكلوا وشربوا
حتى ثملوا وجا وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه
للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى قربان الصلاة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل
المراد النهي عن قربان المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون
فالمعنى لا تقربوها في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة تعلمون ما تستقرونه في الصلوة وحمل ما تقولون
على ما في الصلاة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما نلفوه على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تستقرونه في
الصلاة تطويل بلا طايل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان اثار ما يقولون على ما تعرفون حينيذ تكون عار عن الداعي

وقيل

وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وايا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقا القيد محالة بل انما هو
القيد مع بقا المقيد على حاله ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين امنوا لا تسكروا في اوقات الصلوة
وقد روي انهم كانوا بعدما نزلت الاية لا يشربون الخمر في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشا شربوها فلا يصبحون الا وقد
ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون **ولا جنبا** عطف على قوله وانتم سكارى فانه حين النصب كانه قيل ولا تقربوا الصلاة
سكارى ولا جنبا والجنب من اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمونث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر **الا عابري**
سبيل استثنا مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الاولى
والعامل فيه فعل النهي اي لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على معنى ان في حالة السفر
ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفا خصوصية البعض
المنتفي ولا على بقا خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزييا فان الاستثنا لا يدل على ذلك عبارة
نعم يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية
فان ملاك الامر في ذلك انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي الا جنبا
غير عابري سبيل ومن حمل الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وعندنا
لا يجوز ذلك الا ان يكون الما او الطريق فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان تصيبهم الجنابة ولا يجدون
ممرا الا في المسجد فرخص لهم ذلك **حتى تغتسلوا** غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثنا عليه للايذان
من اول الامر بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقرره في الاذهان
وفي الاية الكريمة اشارة الى المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية
عند امكان اعاليها **وان كنتم مرضى** شروع تفصيل ما اجمل في الاستثنا وبيان ما هو في حكم المستثنى من الاعذار والاقتصار
فيما قبل على استثنا السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخص للاشعار بانه العذر الغالب المبني على الضرورة التي يدور
عليها امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا مضطرين والى هذا يرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد
بالمرض ما يمنع من استعمال الما مطلقا سوا كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله **او على سفر** عطف على مرضى اي
او كنتم على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثنا لبنا الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته وتقديم المرض
عليه للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الما ونحوه **او جا احد منكم من الغايط** هو
المكان الغاير المطمين والمجي منه كناية عن الحدث لان المعتاد من يريده يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس واسناد
المجي منه الى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به وكذلك اتيان
الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل **او لامستم النسا** على التصريح بالجماع ونظمها في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير
الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى **فلم تجدوا ما** بل هو السبب في
الحقيقة وانما ذكر تمهيدا له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل او لم تكونوا
مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للما بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه
معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعه فيهما واستغنا بهما عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها
حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك
او كنتم مرضى الخ واما لما قيل من ان عموم اعواز الما في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الما القايم مقام عدمه في حق
المريض مغن عن ذكره لفظا او ما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجي من الغايط
والملامسة معتبر في الكل مما لا يساعده النظم الكريم **فتيمموا صعيدا طيبا** فتعمدوا شيا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج

الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى المرفقين لما روي انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله كان عفوا غفورا تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنهما فان الترخص والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب كلام مستانف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتاتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه هنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية على ان الى لتضمينها معنى الانتهاء كما فعلوه يأباه مقام تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه رضي الله عنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التوراة وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما اوليا تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي عليه السلام وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل يشترون الضلالة قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم الخ والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سؤال نشا عنه كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل ياخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صوروا حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يخل بمعنى الاشتراء المنبئ عن تاخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعدما علموا بشأن النبي عليه السلام وتيقنوا بحقية دينه وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوائل سورة البقرة ويريدون عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل به في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته عليه السلام ان تضلوا انتم ايضا ايها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق والله اعلم اي منكم باعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة وكفى بالله وليا في جميع اموركم ومصالحكم وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى لتاكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في مقام الاضمار لا سيما في الثاني لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتاكيد كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة

والاشعار

والاشعار بعليتها فان الالوهية موجبة لهما لا محالة من الذين هادوا قيل هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء الا ان ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للتصرف قيل هو خبر مبتدا محذوف وقع قوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه صفة له اي من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين وقد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقرير تقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده الكلمة ككلم وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به هنا اما ما في التوراة خاصة واما ما هو اعم منه ومما سيحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان يحمل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا الخ على ما قبله عطفا تفسيريا لما ستقف على سره فان اريد به الاول كما هو راي الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم في نعت النبي عليه السلام اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزله الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتاويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التوراة او بتعيين العقل والدين كمواضع غيره وايا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجرى على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف التوراة فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتحاشى عن مثل هذه الجناية والا فحمله على ما قالوه في مجلس النبي عليه السلام من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها به من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع انه معظم جناياتهم المعدودة ومن هنا انكشف لك السر الموعود فتامل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي عليه السلام او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا عنادا او تحقيقا للمخالفة وقوله تعالى واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول ويقولون ذلك في اثناء مخاطبته عليه السلام خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي عليه السلام استهزاء به مظهرين له عليه السلام ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي يقولون في اثناء خطابهم له عليه السلام هذا ايضا يوردون كلا من العظائم الثلاث في مواقعها وهو ايضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبون به عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان

لا يليقون بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به **ليّاً بألسنتهم** اي فتلاً بها وصرفاً للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروهاً واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلاً بها وضماً ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير **وطعناً في الدين** اي قدحاً فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولوا باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين **ولو انهم** عندما سمعوا شيئاً من اوامر الله تعالى ونواهيه **قالوا** بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا **سمعنا واطعنا** انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا الا للتنبيه على عدم اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف عليه ولا بد من ازالته واقامة سماع القبول مقامه **واسمع** اي لو قالوه عند مخاطبة النبي عليه السلام بدل قولهم اسمع غير مسمع **وانظرنا** اي ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شراً وفساداً اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوه من الاقوال **لكان** قولهم ذلك **خيراً لهم** مما قالوا **واقوم** اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حالة بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لان همهم مقصورة على ما ينفعهم **ولكن لعنهم الله بكفرهم** اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك **فلا يؤمنون** بعد ذلك **الا قليلا** اي الا ايماناً قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل والا زماناً قليلاً وهو الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعاً وقد جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايماناً فهم يحدثون شيئاً من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل يأباه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بهذا لافضائه حينئذ الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعد عدم ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعد عدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالاولى ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل لا في يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القرآن الى الاتفاق على غير المختار بل بجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقاً قليلاً فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي **يا ايها الذين اوتوا الكتاب** تلوين للخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التورية واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالتهما اوتوه بمقابلتها بالتحريف ولبس ما ازالوه بذلك كله حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضه فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تأكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بمصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعاً ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتورية نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقاً لكلها وان كان مناط التصديق بعضها منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتماً واما اليهم والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر واياً ما كان فتفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعاً بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل **آمنوا بما نزلنا** من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفاً بما في حيز الصلة وتحقيقاً لكونه من عنده عز وجل **مصدقاً لما معكم** من التورية عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرار المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القرآن مصدقاً لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقاً لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته

لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلاً منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حياً لما وسعه الا اتباعي **من قبل ان نطمس وجوهاً** متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه وآكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيهاً على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة **فنردها على ادبارها** فنجعلها على هيئة ادبارها اي الاقفاء مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغاراً وادباراً او نردهم من حيث جاؤوا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوها وفي التورية فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد مات من السنين من اعقاب اولئك الضالين بإضلال آبائهم العاملين بما مهدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطاً بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سبباً لتأكيد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحاً وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سبباً لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى **او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت** فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت خبير بان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه تعبير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امراً حادثاً مترتباً على الوعيد محذوراً عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف انما الواقع عليهم تداول الالسنة من اللعن المستمر الذي الفوه وهو بمعزل عن صلاحيته ان يكون حكماً لهذا الوعيد او مزجرة للعبيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب رضي الله عنه فمبني على الاحتياط اللائق بشأنهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل في الزجر وعليه مبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم ان المراد هو الثاني والله اعلم واياً ما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما اوجبها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير **وكان امر الله** اي ما امر الله به كائناً ما كان او امره بايقاع شيء من الاشياء **مفعولاً** نافذاً

كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير
بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال **ان الله لا يغفر ان يشرك به** كلام مستأنف
مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون
من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى اي على
التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك
اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم
وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من
انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان
مما يؤدي الى فتحه لان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي **ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء** عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته
وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها
لكن لا لكل احد بل **لمن يشاء** اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتها لمن اتصف بها سواء في استحالة الدخول
تحت المشية المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة باهل الايمان من متممات الترغيب فيه
والزجر عن الكفر ومن علق المشية بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل عن
سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته
وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ
عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان **ومن يشرك بالله** اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك
وتفظيع حال من يتصف به **فقد افترى اثما عظيما** اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا
تتعلق به المغفرة قطعا **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد
بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
هل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار اي
انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة
ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وعمله **بل الله يزكي من يشاء** عطف على مقدر ينساق اليه
الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستاهلها من المرتضين من
عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم عليه متصفون به من القبائح
واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول **ولا يظلمون** عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها وايذانا
بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب **فتيلا** اي ادنى ظلم واصغره وهو
الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المذكورون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا
يساعده مقام الوعيد **انظر كيف يفترون على الله الكذب** كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور
بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان
شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بهما وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه
على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجيب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله
سبحانه فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع

من

من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته تعالى الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر
الكافرين وسائر معاصيهم وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتاكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون
الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم **وكفى به** اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم
وسائر آثامهم العظام **اثما مبينا** ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم
لاشد العقوبات لما مر وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب** تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله تعالى
يؤمنون بالجبت والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى
ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله تعالى وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدلت
السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان وقيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي
ابن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا
فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا
ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ القرآن وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد
فقال ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري
الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى **ويقولون للذين كفروا** اي لاجلهم وفي
حقهم **هؤلاء** يعنونهم **اهدى من الذين آمنوا سبيلا** اي اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل
القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح **اولئك** اشارة الى
القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدا خبره قوله تعالى **الذين لعنهم الله**
اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم **ومن يلعن الله** اي يبعده عن رحمته
فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش
وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد ممن يتسنى له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبي عن
سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى **ام لهم نصيب من الملك** شروع في
تفصيل بعض اخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكي عنهم
الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال لما زعموا ان
الملك سيصير اليهم وقوله تعالى **فاذا لا يؤتون الناس نقيرا** بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب
انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء
منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اي ان جعل لهم نصيب منه فاذا لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر
النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم
ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع والتوبيخ عليه اي لعده منكرا غير
لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى الهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا
اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه الك
هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذن تاكيد للانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا
للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه قيل فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذا لا يؤتوا بالنصب على اعمالها

ام يحسدون الناس منقطعة ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها
لاسيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وحمله على
الجنس ايذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلايمه ذكر حديث ابراهيم فان ذلك لتذكير ما
بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان
يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل يحسدونهم **على ما آتاهم الله من فضله**
يعني النبوة والكتاب وازدياد النصر يوما فيوما وقوله تعالى **فقد آتينا** تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم
عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه
له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجرا الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم
المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا **آل ابراهيم** الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء اعمامه
الكتاب والحكمة اي النبوة **وآتيناهم** مع ذلك **ملكا عظيما** لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام
ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد
الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف
المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يوت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود
وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء الفضل
الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنائهم بآثاره واقتباسهم
من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره والتفخيم من تاكيد الالزام وتشديد الانكار ما
لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر حينئذ ان يكون قوله تعالى **فمنهم من آمن به**
ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن
جنس هولاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث ابراهيم فليس عن
تراخي الاية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما تتصور بعد
وقوع الايمان والاعراض المتاخرين عن سماع الحديث المتاخر عن نزوله وكذا جعلهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد
كل البعد ان يكون المراد لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الاية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي
آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه قيل بل يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يومنون به وذلك ديدنهم
المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتينا فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يومن به والله سبحانه اعلم
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم **وكفى بجهنم سعيرا** نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها **ان الذين كفروا**
بآياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن واما ما يعم كله وبعضه او ما يعم
سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها
الانبياء عليهم السلام **سوف نصليهم نارا** قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكر
ان في الوعد فيفيد التاكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة **كلما نضجت جلودهم** اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه
بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا لا من قبيل يبدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق
عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب والجملة
في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم ومعنى قوله **ليذوقوا**

العذاب

العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك اعزك الله اي ادام عزك الله وقيل يخلق الله مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية
لا لآلة ادراكها قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الاية قرئت عند عمر رضي الله
عنه فقال للقاري اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر
رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة وكلما اكلتهم قيل لهم
عودوا فيعودون كما كانوا روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب
المسرع وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد
وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم بالعذاب
في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة وللاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او
للتنبيه على شدة تاثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تاثرا وعلى سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع
قدرته تعالى على ابقا ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقا ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان
النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التالم والعذاب صيانة
بدنها عن الاحتراق **ان الله كان عزيزا** لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد **حكيما** يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته
والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم
فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** عقب بيان سوء حال الكفرة
ببيان حسن حال المومنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضاها وهو مبتدا
خبره قوله تعالى **سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار** وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تاكيد
للوعد **خالدين فيها ابدا** حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير
المنصوب **لهم فيها ازواج مطهرة** اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب
على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول
بعد خبر **وندخلهم ظلا ظليلا** اي فينانا لا جوب فيه دائما لا تنسخه الشمس اللهم ارزقناه بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين
والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سندخلهم لا على
انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم
من عذاب غليظ **ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها** في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل
وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه
وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق
العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح
اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم
وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان
ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنه اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا فقرا عليه
الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل الامانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق
المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى **واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** امر لهم

بايصال الحقوق المتعلقه بذمم الغير الي اصحابها وحيث كان المامور به ههنا مختصا بوقت المرافعه قيد به بخلاف المامور
به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تودوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا
حكمتم اه وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف **ان الله نعما يعظكم**
به ما اما منصوبة موصوفه بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيا يعظكم به او نعم الشي الذي يعظكم به والمخصوص
بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرى نعما بفتح النون والجملة
مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعايهم الي الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة **ان الله كان سميعا** لاقوالكم **بصيرا** بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر انفا فان فيه تاكيد الكل من
الوعد والوعيد **يا ايها الذين امنوا** بعدما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات
امر ساير الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل **اطيعوا الله**
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين واما امراء
الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع
لقوله تعالى ولو ردوه الي الرسول والي اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى **فان تنازعتم في شي**
فردوه الي الله اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير
الشرطية بالفاء لترتبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه
وسلم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولي الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا فيه الي كتاب الله
والرسول اي الي سنته وقد استدل به منكروا القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الي المنصوص عليه
انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله عليه السلام
فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس **ان كنتم تومنون بالله واليوم**
الاخر متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الي التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند الجمهور
البصريين ثقة بدلالة المذكور اي ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر فردوه اه فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله
تعالى فظ واما الايمان باليوم الاخر فلما فيه من العقاب على المخالفه **ذلك** اي الرد المامور به **خير** لكم واصلح **واحسن** في نفسه
تاويلا اي عاقبة وما لا وتقديم خيريته لهم على احسنيته في نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه
في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شي يشاركه في اصل الخيرية والحسن كما ينبي عنه التحذير
السابق **الم تر الي الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك** تلوين للخطاب وتوجيه له الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعجيبا من حال الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان
بالقران وبما انزل من قبله اعني التورية لتاكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم
وبين ما صدر منهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل **يريدون ان يتحاكموا الي الطاغوت** استيناف سيق لبيان
محل التعجب مبني على سوال نشا من صدر الكلام فانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون اه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الي كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي قضى لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضايه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل
فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه

وسلم فنزلت فهبط جبريل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انت الفاروق فالطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
التشبيه بالشيطان التسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الي غير النبي عليه السلام على التحاكم اليه تحاكما الي الشيطان
وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الي كاهن في جهينة فتحاكما
اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بين بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الي النبي صلى الله عليه
وسلم والي المنافقون منهما الا التحاكم الي ابي برده الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار حينئذ في معرض التعجب
والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضي منه التعجب ولا ينبغي ان يدخل
تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه كما يقتضي كونهم من منافقي
اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتورية وليس التحاكم الي كعب بن الاشرف بهذه
المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى **وقد امروا ان يكفروا به** كونهم مامورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا
الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته ككهنة ونظايرهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها
على الطاغوت [illegible] الجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتاكيد التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز
وعلا **ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا** عطف على يريدون وداخل في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم
واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجب وضلالا اما مصدر موكد للفعل المذكور بحذف الزوايد كما في قوله تعالى
وانبتها نباتا حسنا اي اضلالا بعيدا او اما مصدر موكد لفعله المدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا واياما كان
فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى **واذا قيل لهم تعالوا الي ما انزل الله والي الرسول** تكملة
لمادة التعجيب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الي كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الي
الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت بالة اصلها بالية كعافية
وكما قالوا في اية ان اصلها ايية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في قوله تعالى فضمت فصارت تعالوا ومنه
قول اهل مكة للمراة تعي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الهمداني . يخاطب به حمامة وقبله . تغرد فوق الاغصان ذو
شجون . ايضحك ماسور وتبكي طليقة . ويفرح محزون ويندب سالي . ايا جارتي ما انصف الدهر بيننا . تعالي اقاسمك
الهموم تعي . **ورايت المنافقين** اظهار للمنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة
الحكم والروية بصرية وقوله تعالى **يصدون عنك** حال من المنافقين وقيل الروية قلبية والجملة مفعول ثان لها
الاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى **صدودا** مصدر موكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي اعراض وقيل
هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر المتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه
وصده عنه صدا اي منعه منه وقوله تعالى **فكيف** شروع في بيان غايلة جناياتهم المحكية ووخامة عاقبتها اي كيف يكون حالهم
اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم **بما قدمت ايديهم** بسبب ما عملوا من
الجنايات التي من جملتها التحاكم الي الطاغوت والاعراض عن حكمك **ثم جاؤك** للاعتذار عما صنعوا من القبايح وهو عطف
على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعترائهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجي
للاعتذار **يحلفون بالله** حال من فاعل جاؤك **ان اردنا الا احسانا وتوفيقا** اي ما اردنا بتحاكمنا الي غيرك الا الفصل
بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ولا تواخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم
على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون
بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا اي ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الي عمر رضي الله عنه الا ان يحسن اليه

وبوفق بينه وبين خصمه **اولئك** اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق **الذين يعلم الله ما في قلوبهم** اي من فنون الشرور والفسادات المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب **فاعرض عنهم** جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تبطشهم ولا تهتك سترهم حتى سقوا على وجل وحذر **وعظهم** اي ازجرهم عن النفاق والكيد **وقل لهم في انفسهم** في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطبقة على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر انجع **قولا بليغا** موثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على راي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم موثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال والايذان بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات وانما هي الكافة والتاخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب **وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله** كلام مبتدا جيء به تمهيدا لبيان خطائهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مود عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصية الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله تعالى وبتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته **ولو انهم اذ ظلموا انفسهم** وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك **جاؤك** من غير تاخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة **فاستغفروا الله** بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل **واستغفر لهم الرسول** على طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول **لوجدوا الله توابا رحيما** لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه وايا ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لاولئك المنافقين على ما صنعوا لما ان ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة ومشاهدتهم لاثارها نعمة زائدة عليهما بكمال الرغبة في تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها **فلا وربك** اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم لا لتاكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى **لا يؤمنون** لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره **حتى يحكموك** اي يتحاكموا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق **فيما شجر بينهم** اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه **ثم لا يجدوا** عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا **في انفسهم حرجا** ضيقا **مما قضيت** اي مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره **ويسلموا** اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له **تسليما** تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء حتى يرجع الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار الى الزبير براي فيه سعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله

قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزلت في شان هؤلاء **ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم** اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية ومفسرة لان كتبنا في معنى امرنا **ما فعلوه** اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين **الا قليل منهم** اي الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي ان عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا **ولو انهم فعلوا ما يوعظون به** من متابعة الرسول عليه السلام وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد **لكان** اي فعلهم ذلك **خيرا لهم** عاجلا واجلا **واشد تثبيتا** لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم **واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما** جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لاتيناهم فان اذن جواب وجزاء **ولهديناهم صراطا مستقيما** يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **ومن يطع الله والرسول** كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي **فاولئك** اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره **مع الذين انعم الله عليهم** والجملة جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه **من النبيين** بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا عليه السلام لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي عليه السلام فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك ابدا فنزلت فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وروي ان انسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب **والصديقين** اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق **والشهداء** الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله واعلاء كلمته **والصالحين** الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة **وحسن اولئك رفيقا** الرفيق

الصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن
بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقا للمطيعين او
حال كونهم رفقا وافراده كالصديق والخليط والرسول لستوى فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل
اشارة الى المطيعين فهو تمييز على انهم وصفوا الحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في
الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله موكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى
التعجب قرئ وحسن بسكون السين **ذلك** اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم
ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى **الفضل** صفته وقوله تعالى **من الله**
خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى
الاشارة او ذلك الذي ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا ان اعمال المكلفين توجبه **وكفى بالله عليما** بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل
واستحقاق اهله **يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم** الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا
من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المحذور فكانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وقيل
هو ما يحذر به من السلاح والحذر اي استعدوا للعدو **فانفروا** بكسر الفا وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم **ثبات**
جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض منها تا التانيث وهل هي واو
او يا وفيه قولان قيل انها مشتقة من ثبا يثبو كحلا يحلو اي اجتمع وقيل من تثبت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه وتجمع
ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية **او انفروا جميعا** اي مجتمعين
كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة **وان منكم لمن ليبطئن** اي ليتثاقلن وليتخلفن والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا
وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطا منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطا ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب لما
بعده واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة والراجع اليه
ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن **فان اصابتكم مصيبة** كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا
بصنعه وحامدا لرايه **قال قد انعم الله علي** اي بالقعود **اذ لم اكن معهم شهيدا** اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم
والفا في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر
المبطئ وقوعه **ولئن اصابكم فضل** كفتح وغنيمة **من الله** متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اي فضل كائن من الله تعالى
ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو
يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر **ليقولن** ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا
على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى **كان لم تكن بينكم وبينه مودة**
اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو **يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما** لئلا يتوهم من مطلع كلامه ان تمنيه لمعية المؤمنين
لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة في البين بطريق
التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن اي ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة
في القول اي ليقولن المثبط لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم تكن بينكم وبين محمد عليه السلام مودة حيث لم
يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه عليه السلام وتاكيدها وكان مخففة
من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه
على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه
معطوف على كنت داخل معه تحت التمني **فليقاتل في سبيل الله** قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به **الذين يشرون الحيوة الدنيا**

بالاخرة

بالاخرة اي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفا جواب شرط مقدر اي ان بطا هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون
انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفا للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط
والنفاق وليعقبوه بالقتال في سبيل الله **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه** بنون العظمة التفاتا
اجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحد الحسنيين ولا يخطر
بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او
يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة **وما لكم** خطاب للمامورين بالقتال على طريق الالتفات مبالغة في
التحريض عليه وتاكيد لوجوبه وهو مبتدا وخبر وقوله عز وجل **لا تقاتلون في سبيل الله** حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل
والاستفهام للانكار والنفي اي اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك القتال **والمستضعفين** عطف على اسم الله
تعالى اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص
المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها
واخصها **من الرجال والنسا والولدان** بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين
وضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب الرحمة وتنبيها على تناهي ظلم
المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام آبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعا الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان
شركتهم في التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاما اذ يقال لهما
الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولايد ايضا **الذين** محله الجر على انه صفة
للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب على الاختصاص **يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها**
بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل
والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه **واجعل لنا من لدنك وليا** كلا
الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتنا بهما وابراز الرغبة في
المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال
رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه
لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى **واجعل لنا
من لدنك نصيرا** قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا
وشرعنا وينصرنا على اعدائنا وقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم
خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه عليه السلام فتولاهم اي تولى ونصرهم اي نصره ثم استعمل عليهم عتاب بن
اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا
وتكرير الفعل ومتعلقه للمبالغة في التضرع والابتهال **الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله** كلام مبتدا سيق لترغيب
المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون
انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة **والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت** اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفا في قوله تعالى **فقاتلوا اوليا
الشيطان** لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل
الشيطان والاشعار بان المؤمنين اوليا الله لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية

عزايمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كانه قيل اذا
كان الامر كذلك فقاتلوا اوليا اولياء الله اوليا الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل **ان كيد الشيطان كان ضعيفا** اي في حد
ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله تعالى ولم يتعرض لبيان قوة خلقه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فايدة ادخال كان في
مثل هذه المواضع التاكيد ببيان منذ كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان موصوفا بالضعف **الم تر الى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا
عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبي عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون
يبسطون لهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي عليه السلام منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي
وقدامه بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله تعالى عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى شديدا
فيشكون ذلك الى النبي عليه السلام ويقولون ايذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي عليه السلام كفوا ايديكم **واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة** فاني لم امر بقتالهم وبنا القول للمفعول مع ان القايل هو النبي عليه السلام للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه
ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز
الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم
بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه
بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة
البشرية وذلك قوله تعالى **فلما كتب عليهم القتال** وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ حينئذ
يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور امر التعجيب كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم
كرهه بعضهم وقوله تعالى **اذا فريق منهم يخشون الناس** جواب لما ان فريق مبتدا ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره
وتصديره باذا المفاجاة لبيان مسارعتهم الى الخشية اثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد اي فاجا فريق منهم ان يخشوا او الكفار
ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احدهم
ما ينافي حالتهم الاولى وقوله تعالى **كخشية الله** مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه ما كان ينبغي ان يصدر عن
احدهم ما ينافي حال من فاعل يخشون اي يخشونهم مشبهين لاهل خشية الله تعالى وقوله تعالى **او اشد خشية** عطف عليه
بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله تعالى وعلى انه مصدر موكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده او به
يخشونهم خشية مثل خشية الله او خشية اشد من خشية الله واياما كان فكلمة او اما للتنويع على معنى خشية بعضهم كخشية
الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني
ان من يبصرهم يقول انهم مائة الف او يزيدون **وقالوا** عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجا فريق منهم خشية
الناس **ربنا لم كتبت علينا القتال** في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمني التخفيف
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت اخر حذرا عن الموت وقد جوز ان يكون هذا مما
نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا **قل** اي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه
بالقتال من النعيم الباقي **متاع الدنيا قليل** اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخر
الى ذلك الاجل **والاخرة** اي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال **خير** لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته
وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل **لمن اتقى** حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال بمواجب التكليف **ولا
تظلمون فتيلا** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مساعي
اعمالكم القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرى يظلمون بالياء

اعاده

اعادة للضمير الى ظاهر من **اينما تكونوا يدرككم الموت** كلام مبتدا انف مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتنا بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الاخرة بواسطته عليه
السلام فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت قول المامور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي
لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في
الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرى بالرفع على حذف الفا كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار
وقوع اينما كنتم في موضع اينما تكونوا من ملاحم الحروب ومعارك الخطوب او على انه كلام مبتدا واينما تكونوا متصل بلا تظلمون
اي تنقصون شيئا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا **ولو كنتم في بروج مشيدة** في حصون رفيعة او قصور محصنة وقال
السدي وقتادة بروج بقال شاد البنا واشاده وشيده رفعه وقرى مشيدة بكسر اليا وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما
في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وطلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة
ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة
ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق عند
عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية وان الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى او
لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون **وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله** كلام مبتدا جي به عقيب ما حكي
عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على ما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود
والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي عليه السلام المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا
امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله
تعالى **وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك** وان تصبهم نعمة ورخا نسبوها الى الله عز وجل وان تصبهم بلية من جدب
وغلا اضافوها اليك كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر النبي عليه السلام بان
يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترون على معارضة امر الله
عز وجل حيث قيل **قل كل من عند الله** اي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون
في مدخل في وقوع شيء منها بوجه من الوجوه كما يزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة
ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سياتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى انما طايرهم
عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او بسبب اصابة السيئة التي هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها
اليه ويطيروا به وقوله تعالى **فما لهولاء القوم** الخ كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم
بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفا لترتيبه على ما قبله وقوله **لا يكادون يفقهون حديثا** حال من
هولاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل عن
ان يفقهوا حديثا او استيناف مبني على سوال نشا من الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسال عن
سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فهموا شيئا من ذلك لفهموا هذا
النص وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرانية الناطقة بان الكل فايض من عند الله تعالى وان النعمة منه
تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد ولا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى
وابراهيم الذي وفي الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا اجنايتهم انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى **ما اصابك من حسنة** الخ بيان للجواب
المجمل المامور به واجراوه على لسان النبي عليه السلام ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل
احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني حكمة دقيقة حقيقة

بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الاخرى اي ما اصابك من نعمة من النعم
فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله المرء من
الطاعات التي يعرض كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافي نعمة حيوته المقارنة لادائها ولا نعمه اقداره
تعالى اياه على ادائها فضلا عن استيجابها لنعمة اخرى ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا
انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي
الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عايشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى
انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا
لبيان حاله عليه السلام بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار
بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس
رسولا بيان لجلالة منصبه عليه السلام ومكانته عند الله عز وجل بعد بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام بناء على
جهلهم بشانه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم
اي مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل ورسولا حال موكدة وقد جوز
ان يكون مصدرا موكدا كما في قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ❊ بسر ولا ارسلتهم برسول

اي بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي
الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان
لاحكام رسالته عليه السلام ببيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الامر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو
عليه السلام مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن
اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان نعبد غير الله ما يريد
الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط
كون طاعته عليه السلام طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل من حيث رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة
وتاكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا يابى تخصيص
الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له
اي ومن اعرض عن الطاعة وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك
رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به
قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع في بيان
معاملتهم مع الرسول عليه السلام بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشاننا طاعة
او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من مجلسك
بيت طائفة منهم اي من القائلين المذكورين وهم روساهم غير الذي تقول اي زورت طائفة منهم وسوت غير خلاف
ما قالت لك او خلاف ما قلت لها من القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون
على وجه النفاق والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشاعر

لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث الطايفة غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده
الى طايفة منهم لبيان انهم المتصدقون له بالذات والباقون اتباع لهم في ذلك لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب
ما يبيتون اي يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدوا بذلك الى الاضرار بكم
سبيلا او يثبته في صحايفهم فيجازيهم عليه واياما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اي لا تبال بما صنعوا او تجاف عنهم والفا
لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر لا سيما في شانهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار لتعليل الحكم
وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما
عداها من كل وجه افلا يتدبرون القران انكار واستقباح لعدم تدبرهم القران واعراضهم عن التامل فيما فيه من موجبات
الايمان وتدبر الشيء تامله والنظر في ادباره وما يول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر
اي ايعرضون عن القرآن فلا يتاملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا
الوحي الصادق والنص القاطع الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان اي القران من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان كلها
مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره
المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هولاء المنافقين
كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ويخبره بها
مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه
باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض بان يكون بعضه دالا على معنى صحيح
عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه
الجمهور فمما لا يساعده السياق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض
في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا
به يقال اذاع السر واذاع به اي اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به اي فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام
مسوق لدفع ما عسى ان يتوهم في بعض المواد من شايبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى
الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول
عليه السلام بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا
يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون
ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل ولو ردوه اي ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اي عرضوه على رايه
عليه السلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة
الى رايه عليه السلام والى اولي الامر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء في الامور لعلمه اي لعلمه الرادون معناه وتدبيره وانما
وضع موضع ضمير الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه
واستيضاح فحواه اي لعلمه اولئك الرادون الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اي من جهة الرسول
عليه السلام واولي الامر من صحابته رضي الله عنهم ولما فعلوا في حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف
وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها فكلمة من في منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا
بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا
ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجون تدبيره

بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعدا او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعدا فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا العلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المومنين ولو ردوه الى الرسول عليه السلام والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هولا المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فسياق النظم الكريم حينئذ لبيان جناية تلك الطايفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** للطايفة المذكورة على طريقة الالتفات اى لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول عليه السلام واولي الامر **لاتبعتم الشيطان** وعملتم بارا المنافقين فيما تاتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب **الا قليلا** وهم اولوا الامر الواقفون على اسرار الكتاب لا تبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمة عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثنا متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة والنصرة والظفر بالاعدا اى ولولا حصول النصر والظفر بالاعدا اى ولولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولوا البصاير النافذة والنيات المقوية والعزايم الماضية من افاضل المومنين الواقفين على حقيقة الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة اثار حقيته من الفتح والظفر وقيل لا اتباعا قليلا **فقاتل في سبيل الله** تلوين للخطاب وتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اى اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الاخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل **لا تكلف الا نفسك** اى الا فعل نفسك استيناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرة للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يواخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل اى فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرى لا نكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الامر وقرى بنون العظمة اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك **وحرض المومنين** عطف على الامر السابق داخل في حكم سبب للامر بالقتال وحده بتحريض خلص المومنين والتحريض على الشي الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اى رغبهم في القتال ولا يعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى **عسى الله ان يكف باس الذين كفروا** عدة منه سبحانه وتعالى محمقة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروههم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابو سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج وكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا ووافوا الموعود والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة ال عمران **والله اشد باسا** اى قريش **واشد تنكيلا** اى تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يودي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتاكيد التشديد وقوله تعالى **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها** اى من ثوابها جملة مستانفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امر به من تحريض المومنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة

من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة كذلك من الشفع كان المشفوع له فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع ادعي بها حق مسلم ابتغا لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاعراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمومنين بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واي مضرة مما اعظم ما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعا للمسلم فانه شفاعة الى الله سبحانه وعليه مساق اية التحية الاتية روي انه عليه السلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود **ومن يشفع شفاعة سيئة** وهي ما كانت بخلاف الحسنة **يكن له كفل منها** اى نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شي **وكان الله على كل شي مقيتا** اى مقتدرا من اقات على الشي اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين **واذا حييتم بتحية** ترغيب في فرد شايع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق التشفيع وكيفيته ذاته فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله تعالى والتحية مصدر حيي اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحيي بثلاث يا ات فحذفت الاخيرة وعوض عنها تا التانيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحا قال الراغب اصل التحية الدعا بالحيوة وطولها ثم استعملت في كل دعا وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعا بالسلامة عن الافات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحيوة وليس في الدعا بطول الحيوة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اى اذا سلم عليكم من جهة المومنين **فحيوا باحسن منها** اى بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعها المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماوها **او ردوها** اى اجيبوها بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الاية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الرد واجب وما من رجل على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملايكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القران جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امراته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اى وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبتدا اليهودي بالسلام وان بدا لك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن كون المسلم مسلما ورد مثلها عند كونه كافرا **ان الله كان على كل شي حسيبا** فيحاسبكم على كل شي من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به **الله لا اله الا هو** مبتدا وخبر وقوله تعالى **ليجمعنكم الى يوم القيامة** جواب قسم محذوف اى والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة الى معنى في والجملة القسمية اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدا او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى **لا ريب فيه** اى في يوم القيامة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اى جمعا لا ريب فيه **ومن اصدق من الله**

حديثا انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه
دون غيره **فما لكم** مبتدا وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المومنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى
بعضهم وقوله تعالى **في المنافقين** متعلق بما تعلق به الخبر اي شيء كاين لكم فيهم اي في امرهم وشانهم فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى **فئتين** من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف
وقع حالا من فئتين اي كاينتين في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصب حالا كما هو شان صفات النكرات
على الاطلاق او من الضمير في تفترقون وانتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى
الفعل كما في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين
والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى
المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استاذنوا
رسول الله عليه السلام في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا
بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا
عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وياباه ما سياتي من جعل الهجرة غاية
النهي عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده
ما سياتي من الايات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة
والقتل ولم ينقل في امرهم اختلاف المسلمين **والله اركسهم** حال من المنافقين مفيدة لتاكيد الانكار السابق واستبعاد
وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اي اي شيء يدعوكم الى
الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم الى الكفر كما كانوا **بما كسبوا** بسبب ما
كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعايد الى الموصول محذوف وقيل
ما مصدرية اي بكسبهم بان صيرهم الى النار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسهم ايضا
مخففا **اتريدون ان تهدوا من اضل الله** تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على
زعمهم ذلك واشعار بانه يودي الى محاولة شيء محال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم
وادعاء اهتدائهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار
وتاكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الخ
للمبالغة في انكاره ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما ياباه قوله تعالى
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبيل فضلا
عن تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل
اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين
للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو
واعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية فحينئذ يجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من
المخاطبين اولا ومن غيرهم **ودوا لو تكفرون** كلام مستانف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال
غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع ما بعدها نصب على المفعولية
اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى **كما كفروا** نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضميره كذلك المصدر

كما هو راي سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا **فتكونون سواء** مستوين
في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك
فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي ان يتخذوا احد من المخاطبين وليا
واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من وداد كفركم فلا توالوهم **حتى يهاجروا في سبيل الله** اي حتى يومنوا ويحققوا ايمانهم
بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا لغرض من اغراض الدنيا **فان تولوا** اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة
فخذوهم اذا قدرتم عليهم **واقتلوهم حيث وجدتموهم** من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا **ولا تتخذوا
منهم وليا ولا نصيرا** اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق** استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من
وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد بن مناة وقيل هم خزاعة **او جاؤوكم** عطف
على الصلة اي او الذين جاؤوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثني من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق
بالمعاهدين والاخر من اتى المومنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
والقوم كافين عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون
او استيناف **حصرت صدورهم** حال باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم
وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤوا اي جاؤوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤوكم وهم بنو مدلج
جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض **ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم** اي عن ان يقاتلوكم
او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الخ **ولو شاء الله لسلطهم عليكم** جملة مبتداة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة
الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا
كالطائفة الاولى اي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها **فلقاتلوكم** عقيب ذلك ولم
يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير والابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد **فان اعتزلوكم** ولم يتعرضوا لكم
فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله تعالى **والقوا اليكم السلم** اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون
اللام **فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وعن قتال قومهم ايضا والقاءهم اليكم
السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم **ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم** هم
قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليامنوا
قومهم وقيل بنو عبد الدار وكان غرضهم ما ذكر **كلما ردوا الى الفتنة اركسوا** اي دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا **فيها**
قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير **فان لم يعتزلوكم** بالكف عن التعرض لكم بوجه ما **ويلقوا اليكم
السلم** اي لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم **ويكفوا ايديهم** اي لم يكفوها عن قتالكم **فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم** اي تمكنتم منهم **واولئكم** الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة **جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** حجة واضحة في
الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا
لكم في قتلهم واخذهم **وما كان لمومن** اي وما صح له ولا لاق بحاله **ان يقتل مومنا** بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك **الا خطا** فانه
ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اي ما كان له ان يقتل مومنا في حال من
الاحوال الا في حال الخطا او على انه مفعول له اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطا او على انه صفة للمصدر اي الا قتلا
خطا وقيل الا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمومن ان يقتل مومنا عمدا ولا خطا وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي

لكن ان قتله خطأ وقيل الا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمومن ان يقتل مومنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي بمعنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر
والخطأ القصد الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظورا كرمي مسلم في صف الكفار
مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم
وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي عليه السلام فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يأويها سقف حتى يرجع
فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك
على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة فقال
للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه
ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت **ومن قتل مومنا خطأ فتحرير رقبة** اي فعليه اي فموجبه تحرير
رقبة اي اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالراس **مومنة** محكوم باسلامها وان كانت صغيرة **ودية مسلمة الى اهله** مؤداة الى
الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله يامرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي
من عقل زوجها **الا ان يصدقوا** اي يتصدق اهله عليه سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه
وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي يجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم
عليه فهو في محل النصب على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل **فان كان** اي المقتول **من قوم
عدو لكم** كفار محاربين **وهو مومن** ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعدما
فارقهم لمهم من المهمات **فتحرير رقبة مومنة** اي فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله ولانهم محاربون
وان كان اي المقتول المومن **من قوم** كفرة **بينكم وبينهم ميثاق** اي عهد موبد او موقت **فدية** اي فعلى قاتله دية **مسلمة الى
اهله** من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تاخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا
عن توهم نقض الميثاق **وتحرير رقبة مومنة** كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى
ومن قتل مومنا خطأ الخ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي
او المعاهد لئلا يلزم التكرار فلا فائدة ولا التوارث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومها **فمن لم يجد** اي رقبة لتحريرها
بان لم يملكها ولا ما يتوصل اليها من الثمن **فصيام** اي فعليه صيام **شهرين متتابعين** لم يتخلل بين يوميهما من ايامهما افطار **توبة** نصب
على انه مفعول له اي شرع لكم ذلك **توبة** اي قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر موكد لفعل محذوف اي تاب عليكم
توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف
وقع صفة لتوبة اي كائنة منه تعالى **وكان الله عليما** بجميع الاشيا التي من جملتها حاله **حكيما** في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام
التي من جملتها ما شرعه في شانه **ومن يقتل مومنا متعمدا** لما بين حكم القتل خطأ وفصل اقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا
خلا ان حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروي روي ان مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم
هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه زبير بن
عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يامرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه واداء الدية ان لم يعلموه فقالوا
وطاعة لله ولرسوله عليه السلام ما نعلم له قاتلا ولكن انودي ديته فاتوه مائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا
كان ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون سبة عليك اقتل الذي معك فيكون
نفسا بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو
يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار اصحاب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت

وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا
حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي الحركات **فجزاؤه** اي الذي يستحقه بجنايته **جهنم** وقوله
تعالى **خالدا فيها** حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير
يجزاها وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه انسب لعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما يقدر للحال او للعطف
عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا او يدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان يكون جزاؤه ما ذكر لا يقتضي وقوع
الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى تقدر يجزاها او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى **وغضب الله عليه** فعطف
على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تاكيدا وتقريرا لمضمونها حكم الله بان جزاؤه ذلك
وغضب عليه اي انتقم منه **ولعنه** اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل
الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ **واعد له** في جهنم
عذابا عظيما لا يقادر قدره ولما ترى في الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد
تايدت بما روي من الاخبار الشداد كقوله عليه السلام والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مومن وقوله
عليه السلام لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله عليه السلام من اعان على قتل مومن بشطر كلمة جاء يوم القيمة
مكتوبا بين عينيه ايس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المومن عمدا في النار ولا
متمسك لهم فيها لا لما قيل من انها في حق المستحل كما هو راي عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن صبابة الكناني المرتد
حسبما مر حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر
النصوص الناطقة بان عصاة المومنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس انه لا توبة لقاتل المومن عمدا وكذا ما روي عن
سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما
روي عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المومن توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس رضي الله
عنه ان رجلا ساله القاتل المومن توبة قال لا وساله اخر القاتل المومن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا فقال
كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة
بلا توبة حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي عليه السلام انه قال
هو جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قال الواقدي يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته
فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل في ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف
الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث انس رضي الله عنه قال من وعده
الله على عمله ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور
لانه اخبار منه تعالى بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا
بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير **يا ايها الذين امنوا** اثر ما بين حكم القتل بقسميه وان ما يتصور
صدوره عن المومن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور **اذا ضربتم في سبيل الله** اي سافرتم
للغزو ولما في اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى **فتبينوا** بالفاء اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تاتون وما تذرون ولا تعجلوا
فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا اثباته وقوله تعالى **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام** نهي عما هو نتيجة لترك المامور
به وتعيين لمادة مهمة من المراد التي يجب فيها التبيين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا بغير تامل لمن
حياكم بتحية الاسلام او لمن القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد **لست مومنا** وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه
ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مومنا بالفتح اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقراءتين الاخريين والاقتصار على ذكر تحية

الاسلام في القراة الاولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سياتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على
كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله
تعالى **تبتغون عرض الحيوة الدنيا** حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التاني لكن لا على ان يكون النهي راجعا
الى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام
سريع النفاد وقوله تعالى **فعند الله مغانم كثيرة** تعليل للنهي عن ابتغا ماله بما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله
فعند الله مغانم كثيرة تغنمكونها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى **كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم** تعليل للنهي عن
القول المذكور ولعل تاخيره من نوع تفضيل ربما عل تقديمه يتجاذب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين
التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان
للقصر المفيد لتاكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفا في فمن للعطف
على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية
الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصمتم بها دماءكم واموالكم ولم يامر بالتفحص عن سرائركم والفا في قوله
تعالى **فتبينوا** فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في
اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطي الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه
فخامة شانه الجليل ٭ ومن حسب ان المعنى اول ما دخلتم في الاسلام سمعت افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير
انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه
فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا الخ فقد ابعد عن الحق لان
المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار
ان ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتاتى بتفسيره منه تعالى عليهم
المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشاركة فيما
يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسره بما فسره به لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن
اين له ان يقول فحصنت دماءكم واموالكم حتى يتاتى لبيان وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن اياه بناء على
اساس واه كيف لا وان ما ذكر بصدد التفسير وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته
في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا امر له دخل في وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين
فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله في قصور الرتبة
في الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حاله نظرا الى حالكم السابقة بوده ان قتله لم يكن
لاستقصار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الاية الكريمة نزلت في شان مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان
قد اسلم ولم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما
راى الخيل الجاها الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم
فقتله اسامة غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال
بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه وفي رواية افلا شققت عن
قلبه ثم قرا الاية على اسامة رضي الله عنه فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال عليه السلام
يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب
القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلت مسلما

قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام افلا شققت عن قلبه **ان الله كان بما تعملون** من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها
خبيرا فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستيناف
وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل **لا يستوي القاعدون** بيان لتفاوت طبقات المومنين بحسب تفاوت
درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض المومنين عليه ليانف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة
في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في التعوذ عن الجهاد اكتفا بغيرهم قال ابن عباس هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها
وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم الخارجون الى تبوك مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال
اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى **من المومنين** متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كاينين من المومنين
وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سياتي من الحسنى وغير اولي الضرر
بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثنا وبالجر
على انه صفة للمومنين او بدل منه والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت
رضي الله عنه انه قال كنت على جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم
سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله فكيف
بمن لا يستطيع الجهاد من المومنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين **غير اولي**
الضرر والمجاهدون ايرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس وكذا التقييد
المجاهدة بكونها **في سبيل الله باموالهم وانفسهم** لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع
السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبي عنه عدم الاستوا في الشيين
المتفاوتين زيادة ونقصانا وان زاد اعتباره بحسب زيادة الزايد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل
يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكته اصله المقصود وقوله عز وجل **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين**
درجة استيناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني
على سوال نشا من البدا المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ واما تقدير ما لهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستيناف
تعليلا لعدم الاستوا مسوقا لاثباته وفيه تعكيس ظاهر فان الذي يحق ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين
على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما فقصارى امره ان يكون توطية لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيد كون الجهاد
في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي
فضل الله تفضيله او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها
للتفخيم وقوله تعالى **وكلا** مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة
برسولا والجملة اعتراض جي به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الاخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل **وفضل الله**
المجاهدين على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لما عن ذكر القيود التي تركت على سبيل
التدريج وقوله تعالى **اجرا عظيما** مصدر موكد لفضل على انه بمعنى اجر وايثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل
اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له بتضمينه معنى الاعطا اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل منصوب بنزع الخافض اي
فضلهم باجر وقوله تعالى **درجات** بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى **منه** متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات
دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كاينة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد

المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعماية درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال ان الجنة ماية درجة اعدها الله تعالي للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماوالارض ويجوز ان يكون
انتصاب درجات علي المصدرية كما في قولك ضربه اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالي ومغفرة
بدل من اجر ابدال البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها ما يثمر
الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتي يعدوا من خصائصهم وقوله تعالي ورحمة بدل الكل من اجر امثال درجات ويجوز
ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المبني عن المغايرة
وتقييده بدرجة واخري بدرجات مع افادة الفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما
لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريق
الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالي فلما جا امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين علي القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان
تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسني ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق
الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين
الدرجة والدرجات علي ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالي عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل
الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به في الاخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبي عنه تقديم
الاول وتاخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الاخرة درجات لا تحصي
وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الي تسلية المفضول
والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولي الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين
بمفهوم الصفة وبان الاستثنا من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم لقد خلفتهم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم
ونصحت جيوبهم وكانت افيدتهم تهوي الي الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخري ان في المدينة لاقواما
ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله عليك السلام وهم بالمدينة قال نعم وهم
بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساوات مشروطة بشريطة اخري سوي الضرر قد ذكرت في قوله تعالي ليس علي الضعفا
ولا علي المرضي الي قوله تعالي اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضرا والثاني غيرهم وفيه من تفكيك
النظم الكريم ما لا يخفي ولا ريب في ان الاضرا افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية
وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملايكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة
وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويويده قراة من قرا توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدي التايين واصله تتوفاهم
علي حكاية الحال الماضية والقصد الي استحضار صورتها ويعضده قراة من قرا توفاهم علي مضارع وفيت بمعني ان الله
تعالي يوفي الملايكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفايها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه
وان كان مضافا الي المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعني علي الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالي
غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم
وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة كانوا قد اسلموا ولم
يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملايكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم
واقامة احكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شي كنتم من امور دينكم قالوا استينافا مبني علي

سوال

سوال نشا من حكاية سوال الملايكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما
هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه علي زعمهم كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب
الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الي قطر اخر منها تقدرون
فيه علي اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الي المدينة والي الحبشة فاما حمل تعللهم علي اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملايكة
تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة المجروح بسبب
الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون ببيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتي يتم
التبكيت وقيل كانت الطايفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الي بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن
المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملايكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا
لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت
ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد الله عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة فاوليك الذين
حكيت احوالهم القطعية ماواهم اي في الاخرة جهنم كما ان ماواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فماواهم
مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر لاوليك وهذه الجملة خبر ان والفا فيه لتضمن اسمها معني الشرط وقوله تعالي قالوا فيم كنتم حال
من الملايكة باضمار قد من شرطية وهو الخبر والعايد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفا معطوفة عليه مستنتجة
منه وما في حيزه من قوله تعالي قالوا كنا وقوله تعالي قالوا الم تكن اه وسات مصيرا اي مصيرهم او جهنم وفي الاية الكريمة
ارشاد الي وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة دينه باي سبب كان وعن النبي صلي الله عليه وسلم من فر بدينه من
ارض الي ارض وان كان شبرا من ارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلي الله عليه وسلم الا المستضعفين
استثنا منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن قوله تعالي من الرجال والنسا والولدان متعلقة
بمحذوف حالا من المستضعفين اي كاينين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك والمراهقون ظاهر واما ان اريد بهم
الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم
عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتي كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متي
امكنت وقوله تعالي لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال
منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان
اسباب الهجرة ومباديها واهتدا السبيل معرفة طريق المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاوليك اشارة الي المستضعفين الموصوفين
بما ذكر من صفات العجز عسي الله ان يعفو عنهم جي بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي
ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجا وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا
تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتانيس لها اي يجد فيها متحولا
ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة
الي ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجروهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم علي رغم انوفهم وسعة من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الي الله
ورسوله ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الي المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبي عنه ايثار الخروج من بيته علي
المهاجرة وهو عطف علي فعل الشرط وقري بالرفع علي انه خبر مبتدا محذوف وقيل هو حركة الها نقلت الي الكاف علي نية الوقف
كما في قوله ؎ من عنزي سبني لم اضربه ؎ وقري بالنصب علي اضمار ان كما في قوله ؎ والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره
علي الله اي ثبت ذلك عنده تعالي ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما بعث بالايات المتقدمة

الي مسلي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا
ابيت الليلة بمكة فحملوه علي سرير متوجها الي المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف علي الموت فصفق بيمينه علي شماله ثم قال اللهم هذه
لك وهذه لرسولك ابايعك علي ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا لو توفي
بالمدينة كان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الي الله تعالي والي رسول
الله صلي الله عليه وسلم **وكان الله غفورا** مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود
عن الهجرة الي وقت الخروج **رحيما** مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال هجرته **واذا ضربتم في الارض** شروع في بيان كيفية الصلاة
عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر وفيه تاكيد لعزيمة المهاجر علي المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة
اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة **فليس عليكم جناح** اي حرج وما ثم **ان تقصروا** اي في ان
تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما
هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلي هذا فقوله تعالي **من الصلوة** ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا
علي زيادة من حسبما راه الاخفش واما علي تقدير ان يكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو راي سيبويه اي شيئا من الصلوة
فينبغي ان يصار الي وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته ويراد بالصلاة الجنس ليكون
المقصور بعضها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلاة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار
وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة ايام ولياليها
بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رحمه الله مسيرة يومين وظاهر الاية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام
وبه تعلق الشافعي رحمه الله وبما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عايشة رضي الله عنها انها اتمت تارة
وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم
رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس
وابن عمر وجابر رضي الله عنهم وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر وصلاة السفر
ركعتان تمام غير قصر علي لسان نبيكم عليه السلام وعن انس خرجنا مع النبي صلي الله عليه وسلم من المدينة الي مكة فكان يصلي
ركعتين ركعتين حتى رجعنا الي المدينة وعن عمران بن حصين رحمه الله ما رايت النبي صلي الله عليه وسلم يصلي في السفر
الا ركعتين وصلي بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله عنه صلي بمنى اربع ركعات
استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين وصليت
مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه عن اتمامه بانه
تاهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه اجمع الاقامة بمكة وعن عايشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت
ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين
ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيد في الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذر عنه وقالت
انا ام المؤمنين فحيث حللت فهي داري واما ورود ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم
ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالي فمن حج البيت او اعتمر
فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي رحمه الله وقوله تعالي **ان خفتم ان يفتنكم**
الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم
جناح الي اخره وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار
له اتفاقا لتظاهر السنن علي مشروعيته حسبما وقفت علي تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الاثار مسندا الي يعلي بن امية

انه

انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله قال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته وفيه دليل علي عدم جواز الاكمال لان التصدق مما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه
ولا يتوهمن انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل علي ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه
فساكت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى علي حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك بما سمعت
من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل علي نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد
خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالي ولا تكرهوا فتياتكم علي البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الاية الكريمة
مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوة وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكل ما ورد منه عليه
السلام من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات علي وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب
وقد قيل ان قوله تعالي ان خفتم الي اخره متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه انه قال نزل قوله تعالي واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ثم سالوا رسول الله
صلي الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم اه اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الي اخره وقد قرئ من
الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم علي انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم اه فان المراد
الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم علي ايقاع الفتنة وقوله تعالي **ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** تعليل لذلك
باعتبار تعلله بما ذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله
تعالي **واذا كنت فيهم** بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة
التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير
عن الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب
لرسول الله صلي الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره يتعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده عم ولا يخفى ان الاية بعده نوابه عليه
السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالي خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان
سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فقام
حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلي بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره احد فحل الاجماع
وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلي بهم صلوة الخوف **فاقمت لهم الصلوة** اي اردت ان تقيم بهم
الصلوة **فلتقم طايفة منهم معك** بعد ان جعلتهم طايفتين ولتقف الطايفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم
يصرح به لظهوره **وليأخذوا** اي الطايفة القايمة معك **اسلحتهم** اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان
بالاعتناء باستصحابها كانهم ياخذونها ابتداء **فاذا سجدوا** اي القايمون معك واتموا الركعة **فليكونوا من ورائكم** اي
فلينصرفوا الي مقابلة العدو للحراسة **ولتات طايفة اخرى لم يصلوا** بعد وهي الطايفة الواقفة تجاه العدو للحراسة
وانما لم يعرف لما انها لم تذكر فيما قبل **فليصلوا معك** الركعة الباقية ولم يبين في الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من
الطايفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم حين صلي
صلوة الخوف صلي بالطايفة الاولي ركعة وبالطايفة الاخرى ركعة كما في الاية ثم جاءت الطايفة الاولي وذهبت هذه الي
مقابلة العدو حتى قضت الاولي الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطايفة الاخرى وقضوا الركعة الاولي بقراءة
حتى صار لكل طايفة ركعتان **وليأخذوا** اي هذه الطايفة **حذرهم واسلحتهم** لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها
مظنة لوقوف الكفرة علي كون الطايفة القايمة مع النبي صلي الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قايمين

للحراب وتكليف كل من الطايفتين بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقا السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم
العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استيناف
مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم
شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من
مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامروا مع ذلك
بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليهم غيلة روى الكلبي عن ابن صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع
سلاحه حتى قطع الوادي والسما ترش فحال الوادي بينه عليه السلام وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن
الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على
راسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني
غورث بن الحرث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها من كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله
فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الان قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك
سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت
خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فامن بعضهم قال وسكن
الوادي فقطع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل
للامر باخذ الحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل عذابه
بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفى ذلك الايهام بان الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم
فاذا قضيتم الصلاة صلاة الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي فداوموا
على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمانتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعدما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا الصلاة اي
الصلاة التي دخل وقتها حينئذ اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلاثة الصلوة
فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح
فاذا اطمانتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو راي الشافعي وفيه من
البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها
في حالة الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتان فلا بد من اقامتها في حالة
الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل منجما تودى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا ولا
تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله
ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون
على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله اظهار دينكم على ساير الاديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر
ببالهم وقرى ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تالمون وقوله تعالى فانه تعليل للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في
بدر الصغرى وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم حكيما فيما يامر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه
عواقب حميدة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره
قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخباه عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة

فلم

فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها
الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه ان يجادل عن صاحبهم
وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب
بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعه فانه لجا اليك فتركه واخرجوه من مكة فالتحق بتجار
من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة
الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذوا والقي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك واوحى به اليك ولا تكن
للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبرا اي لا تخاصم
اليهودي لاجلهم والنهي معطوف على امر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فاحكم به ولا تكن الى آخره واستغفر الله مما هممت به
تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت
ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاء له في الاثم
والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض
والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه به بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم
حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم
عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويواخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى
من القول من رمي البري والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب
عنه شي منها ولا يفوت ها انتم هولاء تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم
بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدا او خبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان
يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم الخ صلة له والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة
وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا
حافظا وحاميا من باس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه
بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة
الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة
والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر ومن يكسب اثما من الآثام فانما يكسبه على
نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في
العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه
وقرى ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف ويسنده
وتوحيد الضمير مع تعدد المراجع لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما وقرى يرم بهما وقيل الضمير
مع تعدد المرجع للكسب المدلول عليه كقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا اي مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة
كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البري بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهته ويتحير عند
سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفي في
بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان

به لانها عبارة عن امر واحد هو رمى البرى بخيانه نفسه قد عبر عنه بها تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفحاشة
كون المرمي به للرامي فان رمي البري بخيانه ما خطيئة كانت او اثما مبينا بهتانا واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما
فلان كون الذنب بالنسبة الي من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الي من نسبه الي البري منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك
قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة ويكون تلك الخيانة للرامي تتضاعف ذلك شدة
ويزداد قبحا لكن لا لانضمام خيانته المكسوبة الي رمي البري والا لكان الرمي بغير خيانته مثله في العظم ولا لمجرد اشتماله على
تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير خيانته مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل خيانته على البري
واجراء عقوبتها عليه كما ينبي عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار
بثقل الوزر وصعوبة الامر نعم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الي رمي البري تزداد الخيانة قبحا لكن تلك الزيادة وصف
للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت
طايفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطايفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل
هم وفد ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر اصناما ولا نعشر فردهم عليه
السلام ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي انما هو
تاثيره فقط ايذانا بانتفاء تاثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي
لاهلكوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستانفة اي لقد همت طايفة الخ وما يضلون الا انفسهم لاقتصار وبال مكرهم عليهم
من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على
المصدرية اي وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما ما خطر ببالك فكان عملا الكتاب والحكمة الحال ثقة
باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع
بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من
امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعلم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة
العامة والرياسة التامة لا خير في كثير من نجواهم اي في كثير من تناجي الناس الا من امر بصدقة او معروف
وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء متصل ويجوز
الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة الي اخره ففي نجواه الخير والمعروف كل ما استحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم
اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالعرض الملهوف وصدق التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة
او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق
بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او بمحذوف هو صفة له اي كائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم قال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب
بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي الي الناس اما لايصال المنفعة
او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه
الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور
المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان
ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل
وبيان خيرية الامر لدلالته على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه حسن المامور به وقبحه فحيث تبين خيرية
الامر بالامور المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفيه تحريض للامر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها لانه قيل ومن يامر بها والكلام

في

في ترتب الوعد على فعلها كالذي مر في الخبرية فانه استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتبا
له اولى واحق ابتغاء مرضات الله علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق غير
الحرمات فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض
لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الاتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى
ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل هو
الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اي ندخله
اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اي جهنم وفيها دلالة على حجية وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة طعمة وقد موته كافرا وروي
عن ابن عباس رضي الله عنه ان شيخا من العرب جاء الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم
اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني
اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن
الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم وكذلك جعل
الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان
يدعون اي ما يعبدون من دونه عز وجل الا اناثا هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن رحمه الله انه لم يكن من
احياء العرب حي الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم
كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتها
اناثا لتانيث اسمائها او لانها في الاصل جماد والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها وايرادها
بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب وربي وقرئ على التوحيد وانثا ايضا على
انه جمع انيث كقليب وقلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد على
الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها
واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يتعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح
ممرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف
على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد
برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونه ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي
الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة الشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول انه منهمك
في الغي لا يكاد يتعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا لا يبعد عن الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا
يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية
الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطا ولاضلنهم ولامنينهم
الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اي فليقطعنها بموجب
امري ويشقونها من غير تلعثم في ذلك ولا تاخر وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحاير والسوايب ولامرنهم فليغيرن ممتثلين
به خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقاء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم
اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجملة المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا
او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمامور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان

وليا من دون الله فاثار ما يدعوا اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته **فقد خسر خسرانا**
مبينا لانه ضيع راس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار **يعدهم** اي ما لا ينجزه **ويمنيهم** اي الاماني
الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ
وخسر باعتبار لفظها **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر
الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او
مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد
اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدا وقوله تعالى
ماواهم مبتدا ثان وقوله تعالى **جهنم** خبر للثاني والجملة خبر للاول **ولا يجدون عنها محيصا** اي معدلا ومهربا من حاص
يحيص اذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل المحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها
ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله **والذين آمنوا**
وعملوا الصالحات مبتدا وخبره قوله تعالى **سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا** قرن وعيد الكفرة
بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك **وعد الله حقا** اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان
مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب بمضمر الموصول بفعل يفسره ما بعده وينتصب وعد الله
بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الى اخره وحقا على انه حال من المصدر **ومن اصدق من الله قيلا**
جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه
والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان
لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال **ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب**
اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل باما نيكم ايها المسلمون ولا اماني اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح
ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجدائها في المسلمين اصلا كما في قوله
تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم
اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل
ان المسلمين واهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم
النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين
وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني
اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله
تعالى **من يعمل سوءا يجز به** عاجلا او اجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن او تمرض اما يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك **ولا يجد له من دون الله** اي
مجاوزا لموالاة الله ونصرته **وليا** يواليه **ولا نصيرا** ينصره في دفع العذاب عنه **ومن يعمل من الصالحات** اي بعضها وشيئا منها فان كل
احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها **من ذكر او انثى** في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات فمن
للابتداء اي كائنا من ذكر **وهو مؤمن** حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه
فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها
وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف **يدخلون الجنة** وقرئ يدخلون
مبنيا للمفعول من الادخال **ولا يظلمون نقيرا** اي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة

واذا

واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار
على ذكره عقيب الثواب **ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله** اي اخلص نفسه له لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في
السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك
او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لنفي المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل
من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق
قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن دينه احسن دين من اسلم
الى اخره فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية **وهو**
محسن اي ات بالحسنات تارك للسيئات او ات بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم
لحسنها الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم
واتبع ملة ابراهيم الموافق لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها **حنيفا** مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع او
من ابراهيم **واتخذ الله ابراهيم خليلا** اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامات الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام في موضع
الاضمار لتفخيم شانه عليه السلام والتنصيص على انه الممدوح وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه
ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما
يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض من جملتها الترغيب في
اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته
اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرمق نحوه احداق الامم قيل انه عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة
اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما
اصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤوا بها الى منزل
ابراهيم عليه السلام والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع
الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحواري واختبزت وفي
رواية فاطعمت الناس واستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند
خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا **ولله ما في السموات وما في الارض** جملة مبتداة سيقت لتقرير وجوب طاعته
تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي
كلا بموجب اعماله خيرا وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شان
من شؤونه كما هو داب الادميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان
ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا
يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله عز وعلا **وكان الله بكل شيء محيطا** تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته
تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اكمل تقرير **ويستفتونك في النسا**
اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الاتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه عليه السلام قد سئل عن احوال كثيرة مما
يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى
قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما تلي من
الكتاب فيما سبق باعتبار من على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه ليعطف ما على المبتدا او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول
والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع

حالا من المستكن فيه اي يتلى كاينا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ
والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها
والمحافظة عليها وما يتلى حينئذ متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه
قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على
المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى **في يتامى النساء** على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في
شانهن وعلى الاخيرين بدل من فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء **اللاتي**
لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث وغيره **وترغبون** عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل
حال من فاعل تؤتونهن باضمار مبتدا اي وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن
ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل ما لهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك لما روي عن عائشة
رضي الله عنها انها في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا
ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك لما روي عنها رضي الله عنها انها اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها
فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب
ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول والاخير ميراثهن وبما يتلى
في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوا ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى
الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الاية **والمستضعفين من الولدان** عطف على يتامى
النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال
القوام بالامور وروي ان عيينة بن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف
والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت **وان تقوموا لليتامى**
بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك
ولا بد حينئذ من تقدير كونه في يتامى النساء متعلقا بيتلى اما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على
موضع فيهن اي ويفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي ويامركم وهو خطاب للولاة او للاولياء والاوصياء **وما تفعلوا**
في حقوق المذكورين **من خير** حسبما امرتم به او ما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا **فان الله كان**
به عليما فيجازيكم بحسبه **وان امراة خافت** شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اي ان توقعت امراة **من بعلها**
نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها **او اعراضا** بان يقل مجالستها ومحادثتها لما يقتضي ذلك من
الدواعي والاسباب **فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا** اي في ان يصلحا بينهما صلحا بان تحط له المهر او بعضه او القسم
كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة او بان تهب له شيئا
لتستميله وقرئ يصالحا من تصالحا ويصلحا من اصطلحا وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على تقدير على
انه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا او تصالحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل او بفعل
مترتب على المذكور اي فيصلح لهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها
الاخذ الذي هو مظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والاخذ **والصلح خير** اي من الفرقة
او سوء العشرة او من الخصومة فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى **واحضرت الانفس الشح** اي جعلت
حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المراة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان
فيه تحقيقا للصلح وتقريرا للترغيب فيه كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حاله فانه لذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق

بل

بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعلمها بميله عن حالتها الحالية يحملها على بذل بعض
حقوقها اليه لا يشتاق اليه وكذا شح نفسها بحقوقها مع ما علمه الرجل من نفسها التي يمتنع من بذل شيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك
الصلح **وان تحسنوا** في العشرة **وتتقوا** النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة
لحقوق الصحبة ولم يضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن **فان الله كان بما تعملون** من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا
فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا **خبيرا** فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج
بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى
منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى وروي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن
مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة عليها وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج
غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك
فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء** اي محال
ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شان من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت
اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها **ولو حرصتم** على اقامة العدل وبالغتم في ذلك **فلا تميلوا كل الميل**
فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من
المراتب الداخلة تحت استطاعتكم **فتذروها** اي التي ملتم عنها **كالمعلقة** التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي
الحديث من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل **وان تصلحوا** ما كنتم تفسدون من امورهن
وتتقوا الميل فيما يستقبل **فان الله كان غفورا رحيما** يغفر لكم ما فرط منكم من الميل ويتفضل عليكم برحمته **وان يتفرقا** وقرئ وان يتفارقا
اي وان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره **يغن الله كلا من سعته** اي يجعله مستغنيا
عن الآخر ويكفه مهماته من فضله وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه **وكان الله واسعا حكيما** مقتدرا متقنا في
افعاله واحكامه وقوله تعالى **ولله ما في السموات وما في الارض** اي من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير
ذلك جملة مستانفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته **ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** اي امرنا اليهم
في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا **واياكم** عطف
على الموصول **ان اتقوا الله** اي وصيناكم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية بحذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة
لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى **وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض** حينئذ مرتبة على القول المحكي اي
وقلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الخ وعلى تقدير كون ان مصدرية معنى الكلام ان امرهم
واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الخ الاية وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها هذه الامة وايا ما كان فالمرتب على
كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الاية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض
من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع
ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله **وكان الله غنيا** اي عن الخلق وعبادتهم **حميدا** محمودا في ذاته
حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم لرحمته لا لحاجته
ولله ما في السموات وما في الارض كلام مبتدا مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي
اي لله سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيف ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة **وكفى بالله وكيلا**

في تدبير امور الكل وكلا الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه **ان يشا يذهبكم ايها الناس** اي يفنكم ويستاصلكم بالمرة **ويات باخرين** اي ويوجد دفعة مكانكم قوما اخرين من البشر او خلقا اخرين مكان الانس ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزا اي ان يشا افناكم وايجاد اخرين يذهبكم اي ان ابقاكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيته المبنية على الحكم البالغة بافنايكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا **وكان الله على ذلك** اي افنايكم بالمرة وايجاد اخرين دفعة مكانكم **قديرا** بليغ القدرة وفيه لاسيما في توسيط الخطاب بين الجزا وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ان يشا يميتكم ويات بناس اخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابنا فارس **من كان يريد ثواب الدنيا** كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة **فعند الله ثواب الدنيا** اي فعنده ثوابها له اذا اراده فما له يطلب حصها فليطلبهما كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة اي ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي في جنبه كلا شي او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية **وكان الله سميعا بصيرا** عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا **يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط** مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في حق الاجتهاد **شهدا لله** بالحق فيقيمون شهاداتكم لله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال **ولو على انفسكم** اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سوا كان ذلك عليه او على ثالث او بان يكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه **او الوالدين والاقربين** اي ولو كانت على والديكم واقاربكم **ان يكن** اي المشهود عليه **غنيا** يبتغى في العادة ويتقى سخطه **او فقيرا** يترحم وقرى ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى **فالله اولى بهما** عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرى اولى بهم **فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا** اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق **وان تلووا** اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تاتوا بها لا على وجهها وقرى وان تلوا من الولاية والتصدي اي وان وليتم اقامة الشهادة **او تعرضوا** عن اقامتها راسا **فان الله كان بما تعملون** من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر **خبيرا** فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراة المشهورة وعيد محض وعلى القراة الاخيرة متضمن للوعد **يا ايها الذين امنوا** خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى **امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل** اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او ازدادوا فيه طمانينة وتعيينا او امنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه وبالايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الان من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرى نزل وانزل على البنا للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل امنوا بالله ورسوله محمد وبكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتوراة مع انهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان بها ايمانا مستانفا والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل امنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لان المامور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقران على الوجه الذي اشير اليه انفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل الخطاب لاهل الكتابين فالمعنى امنوا بالكل لا بالبعض وتخصيص وامر كل طائفة بكتابه في ضمن الايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين بالمعنى امنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر** اي بشي من ذلك **فقد ضل ضلالا بعيدا** اي عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الاخر في جانب الكفر لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله عز وجل في انزال الكتب **ان الذين امنوا** قال قتادة هم اليهود امنوا بموسى **ثم كفروا** بعبادتهم العجل **ثم امنوا** عند عوده اليهم **ثم ازدادوا كفرا** بكفرهم بمحمد عليه السلام وقيل هو قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا** لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان عندهم اهون شي وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله عز وجل **بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما** يدل على ان المراد بالمذكورين الذين امنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم **الذين يتخذون الكافرين اوليا** في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى **من دون المومنين** حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكافرين انصارا متجاوزين ولاية المومنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد عليه الصلاة والسلام فتولوا اليهود **ايبتغون عندهم العزة** انكار لرايهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى **فان العزة لله جميعا** تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رايهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة في جنابه عز وجل بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العز والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين يقتضي بطلان التعزز بمن عاداه سبحانه واستحالة الانتفاع وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله جميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدا **وقد نزل عليكم** خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقرى مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه واكده اثر بيان انتفا ما يدعوهم اليه والجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اوليا والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة **في الكتاب** اي القران الكريم **ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره** وذلك قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم الاية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من ايات الله وقوله تعالى ويستهزا بها عطف عليه داخل في حكم الحالية واضافة الايات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب

ايه اذا سمعتم ايات الله مكفورا بها ومستهزا بها وفيه دلالة على ان المنزل على النبي عليه السلام وان خوطب به خاصة
منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في ايات الله ولذلك عبر عن ذلك تارة بالروية واخرى بالسماع وان
المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلولة
عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزا بها **انكم اذا مثلهم** جملة مستانفة سيق لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذا
ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدا والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع
العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغنا بالاضافة الى الجمع وقرى شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله
تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اي في مثل حالهم وقوله تعالى **ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم** تعليل لكونهم مثلهم في الكفرة ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد
وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكمة بماخذ الاشتقاق واما الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا
وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله **الذين يتربصون بكم** تلوين للخطاب وتوجيه
له الى المومنين بتعديد بعض اخر من جنايات المنافقين وقبايحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط
او ههنا المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفا
في قوله تعالى **فان كان لكم فتح من الله** لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما
ان نفس التربص يستدعي شيا ينتظر المتربص وقوعه **قالوا** اي لكم **الم نكن معكم** اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة **وان
كان للكافرين نصيب** من الحرب فانها سجال **قالوا** اي للكفرة **الم نستحوذ عليكم** اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم
فابقينا عليكم **ونمنعكم من المومنين** بان ثبطناهم عنكم وجعلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم ولوانيا في مظاهرتهم
والا لكنتم نهبة للنوايب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين
وتخسيس حظ الكافرين وقرى ونمنعكم باضمار ان **فالله يحكم بينكم يوم القيامة** حكما يليق بشان كل منكم من الثواب والعقاب
واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا **ولن يجعل الله للكافرين
على المومنين سبيلا** حينيذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلا والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل
الحجة **ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** كلام مبتدا سيق لبيان طرف اخر من قبايح اعمالهم اي يفعلون ما
يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله وعدلهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي
الدما والاموال واعد لهم في الاخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على
الصراط نورا كما يعطى المومنون فيمضون بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المومنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم
واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرى بفتح الكاف وهما جمعا كسلان **يراون الناس** ه
ليحسبوهم مومنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه
والجملة اما استيناف مبني على سوال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراون الى اخره او
حال من ضمير قاموا **ولا يذكرون الله الا قليلا** عطف على يراون اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه
بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمراى من الناس وذلك قليل
وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم **مذبذبين بين ذلك** حال من فاعل يراون او منصوب على
الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام او مترددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان ه
وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرى بكسر الذال اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او رايهم
او هو بمعنى متذبذبين كما جا صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود متذبذبين وقرى مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان

المعنى اخذ بهم تارة في دبة اي طريقة واخرى في اخرى **لا الى هولاء ولا الى هولاء** اي لا منسوبين الى المومنين
ولا منسوبين الى الكافرين او لا صايرين الى المومنين ولا الى الاخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على
انه بدل منه او بيان وتفسير له **ومن يضلل الله** لعدم استعداده للهداية والتوفيق **فلن تجد له سبيلا** موصلا الى الحق ه
والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كاينا من كان **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين
اوليا من دون المومنين** نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر
والتحذير **اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا** اي اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون
فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال
تجعلون الى اخره للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله
عز وجل ام تريدون ان تسالوا رسولكم **ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار** وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما
كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزا بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلث
من كن فيه كان منافقا وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن
باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة بعضها تحت بعض وقرى
بفتح الرا وهو لغة كالسطر والسطر وبعضه ان جمعه ادراك **ولن تجد لهم نصيرا** يخلصهم منه والخطاب كما سبق
الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثنا من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر **واصلحوا** ما افسدوا من احوالهم في
حال النفاق **واعتصموا بالله** اي وثقوا به وتمسكوا بدينه **واخلصوا دينهم** اي جعلوه خالصا **لله** لا يبتغون بطاعتهم
الا وجهه **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة
وعلو الطبقة **مع المومنين** اي المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ امنوا والا فهم ايضا مومنون اي معهم في
الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى **وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما** لا يقادر قدره فيساهمونهم
فيه **ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم** استيناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم
لا شي اخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه واكده اي اي شي يفعل
الله سبحانه بتعذيبكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شان الملوك وهو
الغني المتعال عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة
وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والافاقية فيشكر
شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم ويومن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه **وكان الله شاكرا** الشكر من الله
سبحانه هو الرضى باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته **عليما** مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي
من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم **لا يحب الله الجهر بالسو من القول** عدم محبته تعالى لشي كناية
عن سخطه والبا متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السو اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسو كاينا من القول
الا من ظلم اي الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السو فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه
وقيل هو ان يبدا بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الاية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم
فعوتب على الشكاية فنزلت وقري الا من ظلم على البنا للفاعل فالاستثنا منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله
تعالى فيجهر بالسو **وكان الله سميعا** لجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم **عليما** بجميع المعلومات التي
من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثنا **ان تبدوا خيرا** اي خير كان من الاقوال ه
والافعال **او تخفوه او تعفوا عن سو** مع ما سوغ لكم من مواخذة المسي والتنصيص عليه مع اندراجه في ابدا الخير

وأخفاه بدلا لما انه المقصود بالبيان وإنما ذكر إبداء الخير وإخفاءه بطريق التسبب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل **فإن الله كان**
عفوا قديرا فإن إيراده في معرض الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة أي كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته
على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى وقال
الكلبي هو أقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا على إيصال الثواب إليه **إن الذين**
يكفرون بالله ورسله أي يؤدي إليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا أنهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى **ويريدون أن**
يفرقوا بين الله ورسله أي بأن يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بأن يصرحوا بالإيمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل
بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض** أي نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم كما قالت
اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك إلا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله تعالى ورسله
في الإيمان لأنه تعالى قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياء وما من نبي من الأنبياء إلا وقد أخبر قومه بحقيقة دين نبينا عليه
الصلاة والسلام أجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى أيضا من حيث لا يحتسب **ويريدون** بقولهم ذلك
أن يتخذوا بين ذلك أي بين الإيمان والكفر **سبيلا** يسلكونه مع أنه لا واسطة بينهما قطعا إذ الحق لا يختلف وماذا
بعد الحق إلا الضلال **أولئك** الموصوفون بالصفات القبيحة **هم الكافرون** الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه
إيمانا أصلا **حقا** مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي حق ذلك أي كونهم كاملين في الكفر حقا أو صفة لمصدر الكافرين أي هم
الذين كفروا كفرا حقا أي ثابتا يقينا لا ريب فيه **وأعتدنا للكافرين** أي لهم وإنما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا
لوصفهم أو لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا أوليا **عذابا مهينا** سيذوقونه عند حلوله **والذين آمنوا بالله**
ورسله على الوجه الذي بين في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسله الآية **ولم يفرقوا بين أحد منهم** بأن
يؤمنوا ببعض ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على أحد قد مر في سورة البقرة تحقيقه بما لا مزيد عليه **أولئك**
المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة **سوف نؤتيهم أجورهم** الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة
على أنه كائن لا محالة وإن تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة **وكان الله غفورا** لما فرط منهم **رحيما** مبالغا في الرحمة عليهم
بتضعيف حسناتهم **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء** نزلت في أحبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم إن كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح
كما نزلت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعياننا بأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان مقصدهم
بهذه العظيمة إلا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية **فقد سألوا موسى**
أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا أكبر منه وقيل تعليل للجواب أي
فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى أكبر منه وهذه المسألة وإن صدرت عن أسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما
يأتون وما يذرون أسندت إليهم والمعنى أن لهم في ذلك عرقا راسخا وأن ما اقترحوا عليك ليس أول جهالاتهم **فقالوا أرنا**
الله جهرة أي أرناه نره جهرة أي عيانا أو مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية **فأخذتهم الصاعقة** أي النار التي جاءت من
السماء فأهلكتهم وقرئ الصعقة **بظلمهم** أي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها
وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا **ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات** أي المعجزات التي أظهرها لفرعون
من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لأنها لم تنزل عليهم بعد **فعفونا عن ذلك** ولم نستأصلهم وكانوا أحقاء
قبل هذا استدعاء لهم إلى التوبة كأنه قيل إن أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم أيضا حتى نعفو عنكم **وآتينا**
موسى سلطانا مبينا سلطانا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن معصيتهم **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم**
أي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي أنهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها أو ليخافوا

فلا

فلا ينقضوه على ما روي أنهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا وأقلعوا عن النقض وهو الأنسب لما سيأتي من قوله
عز وجل وأخذنا منهم ميثاقا غليظا **وقلنا لهم** على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم **ادخلوا الباب** قال قتادة كنا
نحدث أنه باب من أبواب بيت المقدس وقيل هو إيليا وقيل هو أريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون إليها
فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام **سجدا** أي متطامنين خاضعين **وقلنا لهم لا تعدوا** أي لا تظلموا
باصطياد الحيتان **في السبت** وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على أن أصله تعتدوا فأدغمت التاء في الدال
لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها إلى العين **وأخذنا منهم** على الامتثال بما كلفوه **ميثاقا غليظا** مؤكدا وهو العهد الذي أخذ الله
عليهم في التوراة قيل إنهم أعطوا الميثاق على أنهم إن هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم بأي أنواع العذاب أراد **فبما**
نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتأكيد أو نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف أي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك
فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم روي أنهم اعتدوا في السبت في عهد داود
عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على أن قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون
التحريم معللا بالكل ولا يخفى أن قولهم إنا قتلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متأخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه
قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في
جاره **وكفرهم بآيات الله** أي بالقرآن أو بما في كتابهم **وقتلهم الأنبياء بغير حق** كزكريا ويحيى عليهما السلام **وقولهم قلوبنا غلف** جمع
أغلف أي هي مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد عليه السلام أو هو تخفيف غلف جمع غلاف أي هي أوعية للعلوم
فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وقال الكلبي يعنون أن قلوبنا بحيث لا يصل إليها حديث إلا وعته
ولو كان في حديثك خير لوعته أيضا **بل طبع الله عليها بكفرهم** كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة
إلى رد زعمهم الفاسد أي ليس كفرهم وعدم وصول الحق إلى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب
كفرهم أو ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم **فلا يؤمنون إلا قليلا** منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه أو إيمانا
قليلا لا يعبأ به **وبكفرهم** أي بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم وإعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه
على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من أسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للإيذان
بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام **وقولهم على مريم بهتانا عظيما** لا يقادر قدره حيث نسبوها إلى
ما هي عنه بألف منزل **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** نظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم التي
نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به فإن وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة
إنما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا أيها الذي نزل عليه الذكر وللإنباء عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح
على ما قيل من أن ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى
مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله وإظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك **وما قتلوه**
وما صلبوه حال أو اعتراض **ولكن شبه لهم** روي أن رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى
قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بأن يرفعه إلى السماء فقال لأصحابه أيكم يرضى بأن يلقى عليه شبهي
فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه
السلام فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عليه الصلاة والسلام وألقي شبهه على المنافق فدخلوا
عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى عليه السلام وقيل إن ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله تعالى
عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وقتل وأمثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل إن اليهود لما هموا
بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى إلى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فأخذوا إنسانا وقتلوه وصلبوه

ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم الا قليلا
وشبه مسندا الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى او المقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل
احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمه مقتولا **وان الذين اختلفوا فيه**
اى في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون
فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني
الى السما انه رفع الى السما وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت **لفي شك منه** لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح
احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى **ما لهم به من علم الا اتباع الظن** استثنا منقطع
اى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثنا
حينئذ متصل **وما قتلوه يقينا** اي قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كما في قول من قال

كذاك تخبر عنها العالمات بها ۞ وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا

من قولهم قتلت الشي علما وتجربة علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية **بل
رفعه الله اليه** رد وانكار لقتله واثبات لرفعه **وكان الله عزيزا** لا يغالب فيما يريده **حكيما** في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته
تعالى في امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا **وان من اهل الكتاب** اي من اليهود والنصارى وقوله تعالى **الا ليؤمنن به قبل
موته** جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام اي وما من اهل الكتاب
احد الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف
ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله عنه انه فسره كذلك فقال
له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا يخرج نفسه حتى يحرك شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله
السبع قال يتكلم بها في الهوا ولا يخرج روحه حتى يومن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج انه ما قرأتها الا تخالج في
نفسي منها يعني هذه الاية وقال اني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان
اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد
نبي ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيومن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان
متكيا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقصبة ثم قال لقد اخذتها
من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاع وقت
وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه عليه
السلام ينزل من السما في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة
الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الرجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم
ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول
يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد عليه السلام **ويوم القيامة يكون** اي عيسى عليه السلام **عليهم** على اهل الكتاب **شهيدا** فيشهد
على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا **فبظلم من الذين هادوا** العله ذكرهم
بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعدما هادوا اى تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة
المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اى بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه
والاشكال صادر عنهم **حرمنا عليهم طيبات احلت لهم** ولمن قبلهم لا لشي غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من
المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك

يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى
الامر الينا فكذبهم الله عز وجل في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اى في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه
عليه السلام لما كلفهم اخراج التورية لم يجسر احد على اخراجها لما ان التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا **واخذهم الربا وقد نهوا عنه** فان الربا كان محرما عليهم
كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه **واكلهم اموال الناس بالباطل** بالرشوة وساير الوجوه المحرمة
واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما اى للمصرين على الكفر لا لمن تاب وامن من بينهم سيذوقونه في الاخرة كما ذاقوا في الدنيا
عقوبة التحريم **لكن الراسخون في العلم منهم** استدراك من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا
واجلا اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاوليك الجملة والمراد به عبد الله
ابن سلام واصحابه **والمومنون** اي منهم وصفوا بالايمان بعدما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المبني على
المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى **يومنون بما انزل اليك وما
انزل من قبلك** حال من المومنين مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض موكد لما قبله وقوله عز وجل **والمقيمين الصلاة** قيل
نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدا والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك
على ان المراد بهم الانبيا اى يومنون بالكتب وبالانبيا والملائكة قال مكي اى ويومنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة
لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي يومنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة
وهم الانبيا وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على انه
معطوف على المومنين بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سياتي من
المعطوفين فان قوله تعالى **والمؤتون الزكاة** عطف على المومنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى **والمومنون
بالله واليوم الاخر** فان المراد بالكل مومنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك
موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مومنين بجميع الكتب المنزلة
على الانبيا عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرايع والاحكام واكتفي من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتا الزكاة
المستتبعين لساير العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مومنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه
واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمومنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله
مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الاخر وقوله تعالى **اوليك** اشارة اليهم
باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو
مبتدا وقوله تعالى **سنوتيهم اجرا عظيما** خبره والجملة خبر للمبتدا الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد
الوعد وتنكير الاجر للتفخيم هذا انسب بتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الاخرون
بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المومنون منهم سنوتيهم اجرا عظيما واما
ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يومنون بما انزل اليك خبرا للمبتدا ففي كمال السداد خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين
وقرئ سيوتيهم بالياء مراعاة لقوله تعالى والمومنون بالله **انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده**
جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا
من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان ساير مشاهير الانبيا الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف
في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راي

سيبويه اي اوحينا الايحا حال كونه مشبها بايحاينا ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدي بذكر نوح لانه ابو البشر واول
نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرايع والاحكام واول نبي عذبت امه لرد دعوته وقد اهلك الله بدعايه اهل الارض ه
واوحينا الى ابراهيم عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب عليه السلام وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور
انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملايكته وجبريل وميكال وتكرير
لمن يسمي الهم اليهود من الانبيا وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحا والتنبيه على انهم طايفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي
واتينا داود زبورا قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد
والثنا على الله تعالى وقري بضم الزا وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتا الزبور من باب
الايحا اي وكما اتينا داود زبورا وايثاره واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتا الكتاب بعد تحقيقها
في مطلق الايحا ثم اشير الى تحقيقها في امر لازم لها لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلا نصب بمضمر يدل عليه اوحينا
معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى قد قصصناهم عليك اي
وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على ارسلنا وعلى الوجه
الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقري برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا اي
قصصنا من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب
بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل ه والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين
شانه عليه السلام وبين شون من تعترفون بنبوته من الانبيا عليهم السلام في مطلق الايحا ثم في ايتا الكتاب ثم في الارسال
فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم بمعنى انبياك وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا اليك ايحا مثل ما اوحينا الى نوح
ومثل ما اوحينا الى ابراهيم ومن بعده واتيناك الفرقان ايتا مثل ما اتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا
رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا اخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحا واصل
الارسال فما للكفرة يسالونك شيا لم نعطه احدا من هولا الرسل عليهم السلام من ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا
فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولاريب
في ان قصصنا لا تعلق له بشي من الايحا والايتا حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم تعتبر بينه وبين المذكور
مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول يقتضي تقدير نقيضه في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا
وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقري على القلب وقوله تعالى تكليما مصدر موكد رافع لاحتمال المجاز قال
الفرا العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يوكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة
اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على اتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبي
عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكلم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك
قادحا في نبوة ساير الانبيا فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه عليه السلام جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب
مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرايل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن
نزولها كذلك لما امنوا بها وقع ذلك ما امنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم عليه السلام رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال
بان يكون رسلا موطيا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار
لئلا يكون للناس على الله حجة اي معذرة يعتذرون بها قايلين لولا ارسلت الينا رسولا فتبين لنا شرايعك ويعلمنا ما لم نكن

نعلم

نعلم من احكامكم لقصور القوة البشرية عن ادراك جزيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله
عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك الاية وانما سميت حجة مع ه
استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشا كما يشا للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده
تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
قال النبي عليه السلام ما احد اغير من الله عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله
تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة ه
بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي
كاينة على الله او هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الاخر الذي هو الخبر ولا يجوز
التعلق بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرايع الى الامم على
السهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها كالقتال يوم الجمعة وكان
الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره ومن قضية الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين حكيما في جميع افعاله التي من
جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرايع ه
والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى براهم على انحا شتى
واطوار متباينة حسبما يقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعهدهم بما يليق بشانهم ويقتضيه احوالهم المختلفة واستعداداتهم
المتغايرة من الشرايع والاحكام حسبما يستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من
الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد اذ حينئذ تتعاقب التكاليف
فتثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر قبولا
واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقري بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم
مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى اخره قيل انهم
لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البنا للفاعل وقري على البنا للمفعول والباء صلة للشهادة اي يشهد بصحة
ما انزل اليك من القران المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل
لكن الله يشهد انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه
بحال من انزله عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم
فالجار والمجرور على الاول حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقري نزله وقوله
تعالى والملايكة يشهدون اي بذلك مبتدا وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملايكة
يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد
بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزله الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم
اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقري صدوا
مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان
المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الاقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر انفا وظلموا اي محمدا صلى الله عليه وسلم
بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله
ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق
والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثنا بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة

الموديه بهم الى جهنم عند صرف قدرهم واختيارهم الى كسبها او يسوقهم اليها يوم القيامة بواسطة الملايكة ه
والطريق على عمومه والاستثنا متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثنا منقطع **خالدين فيها** حال مقدرة من الضمير المنصوب
والعامل فيها ما دل عليه الاستثنا دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله تعالى **ابدا** نصب على الظرفية رافع
لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل **وكان ذلك** اي جعلهم خالدين في جهنم **على الله يسيرا** لاستحالة ان يتعذر عليه شي مراداته تعالى
يا ايها الناس بعد ما حكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه
السلام وتقرير رسالته ببيان ان شانه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشون من يعرفون نبوته من مشاهير الانبيا
عليهم السلام واكد ذلك بشهادته سبحانه وتعالى وشهادة الملايكة امر المكلفون كافة على الطريق بكون الخطاب بالايمان بذلك امرا
مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد بينا على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول وقوله عز
وجل **قد جاكم الرسول بالحق من ربكم** تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده عليه
السلام بعنوان الرسالة لتاكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القران الكريم والبا متعلقة بجاكم فهي للتعدية او بمحذوف
وقع حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن ايضا متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاكم به من عنده تعالى
او جاكم بالحق كاينا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم
الى كمالهم اللايق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفا في قوله عز وعلا **فامنوا** للدلالة على ايجاب ما قبلها لما
بعدها اي فامنوا به وبما جاكم به من الحق وقوله تعالى **خيرا لكم** منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو راي الخليل
وسيبويه اي اقصدوا وايتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو راي الفرا اي امنوا ايمانا
خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزا الشرط الصناعي وهو راي الكساي وابي عبيدة اي يكن الايمان
خيرا لكم **وان تكفروا** اي ان تصروا وتستمروا على الكفر **فان لله ما في السموات والارض** من الموجودات سوا كانت داخلة
في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلا وغيرهم فيدخل في جملتهم
المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شي منها فمن هذه شانه فهو قادر على
تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان لذلك فله عبيد
يعبدونه وينقادون لامره **وكان الله عليما** مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا
اوليا **حكيما** مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم **يا اهل الكتاب** تجريد الخطاب وتخصيص
بالنصارى زجر لهم عما هم عليه من الكفر والضلال **لا تغلوا في دينكم** بالافراط في رفع شان عيسى عليه السلام وادعا الوهيته
وانما غلوا اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشده فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق **ولا تقولوا على الله الا**
الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك
انما المسيح قد مر تفسيره في سورة ال عمران وقري بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدا وقوله
تعالى **عيسى** بدل منه او عطف بيان له وقوله **ابن مريم** صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله
تعالى **رسول الله** خبر للمبتدا والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه
مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها **وكلمته** عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا
نطفة **القاها الى مريم** اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بطريق البشارة
وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم قيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه
وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد تعذر معها **وروح منه** قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت
باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح ومن لابتدا الغاية مجازا لا تبعيضيه كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا

حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام
جزء منه تعالى وتلا هذه الاية فقرا الواقدي وسخر لكم ما في السموات والارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع
تلك الاشيا جزءا منه سبحانه تعالى علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة
فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كاينة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام
لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيايه الاموات وقيل لاحيايه القلوب كما سمي بها القران لذلك في قوله تعالى
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم
اذا ارادوا وصف شي بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة
وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود ه
لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين مال ما يحتمله وسد باب التاويل الزايغ **فامنوا بالله**
وخصوه بالالوهية **ورسله** اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكه بوصفه بالالوهية **ولا تقولوا**
ثلاثة اي الهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبي عنه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او
الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون
بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة **انتهوا** اي عن التثليث **خيرا لكم** قد مر وجوه انتصابه **انما**
الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدا واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الهيته **سبحانه**
ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شي ويتطرق
اليه فنا والله سبحانه منزه عن امثاله وقري ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى **له ما في السموات وما في الارض**
جملة مسوقة مستانفة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شي
من الاشيا التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى **وكفى بالله وكيلا** اليه يكل كل الخلق امورهم
وهو غني عن العالمين فاني يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي شان العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم
مقامهم **لن يستنكف المسيح** استيناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته
عن وجهك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع **ان يكون عبدا لله** اي ان يكون عبدا لله تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما
هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع ان
شانه عليه السلام المباهات به كما يدل عليه احواله ويفصح عنه اقواله او لا ترى ان اول ما قاله للناس قوله اني
عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا لوقوعه في موقع الجواب عما قاله الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شي اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه
ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبد الله تعالى دون ان يقال
عن عبادة الله ونحو ذلك مع افادة فايدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا لله تعالى
حال مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما
اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام تكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم
الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها **ولا الملايكة المقربون** عطف على المسيح اي ولا يستنكف
الملايكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله وقيل ان اريد بالملايكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالاية من زعم فضل
الملايكة على الانبيا عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون ه
المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام واجيب بان مناط

كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر افراد البشر
بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عليه السلام عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من
هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات
العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبان الاية ليست
للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما قالوا حينئذ وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله
اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس ولئن سلم ارادة التفصيل
فغاية الامر الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم السلام
من المسيح من الانبيا عليهم السلام وليس يلزم منه فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا وهل التشاجر الا فيه **ومن يستنكف**
عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل المستنكف عنه هاهنا عبادته تعالى لا ما سبق
لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكار اتصافهم به ان قيل لم عبر عن
طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان ذلك منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم
كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو الا الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر له عليه السلام
سوى امره تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله **ويستكبر** الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يؤنف عنه واصله طلب الكبر
لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه
بما يدل على الطلب للايذان بان ماله محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن
سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا ينفونها ويعتقدونها
معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف
المنبي عن توهم لحوق العار والنقص من المستنكف عنه **فسيحشرهم اليه جميعا** اي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر
عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلا على انباء التفصيل عنه وثقة بظهور
اقتضاء حشر احدهما لحشر الاخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما الذين
امنوا بالله الاية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب الاخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل
الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم اليه يوم يحشر العباد للمجازاة وفيه ان الانسب بالتفصيل
الاتي اعتبار حشر الكل في الاجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق
الالتفات **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات** بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة
لفضله ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف
المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات **فيوفيهم اجورهم** من غير ان ينقص منها شيئا اصلا **و**
يزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **واما الذين استنكفوا**
اي عن عبادته عز وجل **واستكبروا فيعذبهم** بسبب استنكافهم واستكبارهم **عذابا اليما** لا يحيط به الوصف **ولا يجدون**
لهم من دون الله وليا يلي امورهم ويدبر مصالحهم **ولا نصيرا** ينصرهم من باسه تعالى وينجيهم من عذابه **يا ايها الناس** تلوين
للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة
التي تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة
لمتعلل ولا عذر لمتعذر **قد جاءكم** اي وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار **برهان** البرهان ما يبرهن به على
المطلوب والمراد به القران الدال على صحة نبوة النبي عليه السلام المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه مما اثبتنا

الايات

الايات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه
به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هي المعجزات التي اظهرها وقيل هو دين الحق الذي اتى به وقوله تعالى **من ربكم**
اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن
منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف اي كائن من براهين ربكم والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم **وانزلنا اليكم**
نورا مبينا اريد به ايضا القران الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما مر واخرى بالنور المنير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين
بنفسه مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله عز وجل باعجازه غير محتاج الى غيره مبين لغيره من الامور المذكورة واشعارا
بهدايته للخلق واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا
للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المنبي عن كمال قوته في البرهانية
كانه يجيء بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجيء على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملابس بحيثية كونه نورا
توقيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا
على تقدير كون البرهان عبارة عن القران العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرسول عليه السلام او عن المعجزات الظاهرة
على يده او عن الدين الحق فالامر هين وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى النبي عليه السلام لكنه
منزل اليهم ايضا بواسطته عليه السلام وانما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس ونظائره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار وتقديمه على المفعول
الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر وللمحافظة على فواصل الاي الكريمة **فاما**
الذين امنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم **واعتصموا به** اي عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان
وغيره **فسيدخلهم في رحمة منه وفضل** قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وعبر عن افاضة الفضل بالادخال على طريقة قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمي
ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة **ويهديهم اليه** اي الى الله عز وجل وقيل الى الموعود وقيل الى عبادته **صراطا**
مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة على الوعد بالهداية
اليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة الى التبشير بما هو المقصد الاصلي قيل انتصاب صراطا على انه
مفعول لفعل محذوف ينبي عنه يهديهم اي يعرفهم صراطا مستقيما **يستفتونك** اي في الكلالة استغني عن ذكره لوروده في قوله
تعالى **قل الله يفتيكم في الكلالة** وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنه يروى
انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان
مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني لي كلالة فكيف اصنع في مالي وروي عنه رضي الله عنه قال عادني
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضا وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثني كلالة
فنزلت وقوله تعالى **ان امرؤ هلك** استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره **ليس له ولد** صفة له وقيل حال من
الضمير في هلك ورد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر
عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر في الكلالة ثقة لظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى **وله**
اخت عطف على قوله تعالى ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر
السورة الكريمة **فلها نصف ما ترك** اي بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة **وهو** اي المرء المفروض
يرثها اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه **ان لم يكن لها ولد** ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع ما لها اذ

هو المشروط بانتفا الولد بالكلية لا ارثها لها في الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الاية ما يدل على سقوط ٥
الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم مع الاب السنة الشريفة **فان كانتا اثنتين** عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا
فلهما الثلثان مما ترك والضمير لمن يرث بالاخوة والتانيث والتثنية باعتبار المعنى قيل وفايدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة
الف التثنية على التنبيه ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما **وان كانوا** اي من يرث بطريق الاخوة
اخوة اي مختلطة **رجالا ونسا** بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المونث **فللذكر** اي فللذكر منهم
مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا اخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق
رضي الله عنه قال في خطبته ان الليلة التي انزلها الله تعالى في سورة النسا في الفرايض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج
والزوجة والاخوة من الام والاية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لابوين ولاب والاية التي ختم بها سورة الانفال
انزلها في اولي الارحام **يبين الله لكم** اي حكم الكلالة او احكامه وشرايعه التي من جملتها حكمها **ان تضلوا** اي كراهة ان تضلوا في
ذلك وهذا راي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفرا وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا
وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال ابو عبيد رويت ذلك في حديث
ابن عمر رضي الله عنه وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله تعالى اجابة اي لئلا يوافق فاستحسنته وليس ما ذكر من الاية
والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي واصحابه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق اه وقيل ليس
هنا حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه
وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطا والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب
وليس كذلك **والله بكل شي** من الاشيا التي من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم **عليم** مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه ٥
مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النسا فكانه تصدق على كل مومن ومومنة ورث ميراثا واعطي
من الاجر كمن اشترى محررا وبري من الشرك فكان في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود** الوفا القيام بموجب العقد وكذا الايفا ٥
والعقد هو العهد الموثق لعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف ∴
والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفا به او يحسن دينا بان يحمل الامر على
معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفا بها وبدي بما يتعلق بضروريات
معايشهم فقيل **احلت لكم بهيمة الانعام** البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة الجنس
اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام والحق بها الظبا وبقر الوحش ونحوهما وقيل
هي المراد بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفايدتها
الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المضافين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين احلالها فيما سبق المماثلة
لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القايم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة
والتشويق الى الموخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن **الا ما يتلى عليكم**
استثنا من بهيمة الانعام اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه **غير محلي الصيد**
اي الاصطياد في البر واكل صيده وهو نصب على الحال من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شايع
في الكتاب والسنة وقوله تعالى **وانتم حرم** اي محرمون حال من الضمير في محلي وفايدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم

احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظبا ونظايرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم
الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التفسير الاول ففايدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير
احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينيذ كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال
كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور
مع حصول المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة
فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما في ذلك من وصفهم
بما هو اللايق بهم **ان الله يحكم ما يريد** من الاحكام حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من
التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفا بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات
كالبحيرة ونظايرها التي سياتي بيانها **يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله** لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعاير
الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال ساير الشعاير واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهو جمع شعيرة
وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرمى الجمار والمطاف والسعي والافعال التي هي علامات الحاج
يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها ويحال بينها وبين المتنسكين بها ويحدث
في اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعاير الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرايضه
التي حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام **ولا الشهر الحرام** اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسي والاول
هو الاولى بحال المومنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس **ولا الهدي** بان يتعرض اليه
بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل وبقر او شاة جمع هدية كجدي وجدية **ولا القلايد** هي جمع
قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل ولحا شجر ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلايد
من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكاييل على الملايكة
عليهم السلام كانه قيل والقلايد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلايد مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى
لا تحلوا قلايدها فضلا عن ان تحلوها كما نهي عن ابدا الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابدا مواقعها **ولا آمين
البيت الحرام** اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اي قتال القوم
او اذى قوم امين الخ وقري ولا امي البيت الحرام بالاضافة وقوله تعالى **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا** حال من المستكن
في امين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى
ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف
عليه بها اي فضلا كاينا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار
بحصول مبتغاهم وقري يبتغون على الخطاب فالجملة حينيذ حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم
هذه للمنهي عنه لا تقييد النهي بها واضافة الرب الى ضمير الامين لدلالتها الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنهم
وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل النهي وتاكيده والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالامين
هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الاية محكمة وقد روي ان النبي عليه السلام قال سورة المايدة من اخر القران
نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن رضي الله عنه ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة ٥
وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المومنين عن احلالهم دون المومنين على ان حرمة
احلالهم ثبت بطريق دلالة النص ويويده ان الاية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها
فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وحده ووعده ان ياتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام فمر بسرح المدينة فاستاقه

فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بن وايل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد والهدي فسال المسلمون النبي عليه السلام ان يخلي بينهم وبينه فاتاه النبي عليه السلام فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله الاية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم ذلك ولا بظن الفاسد وان كان بمعزل من ابتاع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مدار الحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعات حقوق الله وتعظيم شعايره وقال قتادة هو ان يصلح معاشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الاية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الامين للمشركين قطعا اما استقلالا او اما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم فيتعين النسخ كلا او بعضا ولا بد في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الرزق للمومنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمومنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمومنين **واذا حللتم فاصطادوا** تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهائه والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا **ولا يجرمنكم** نهي عن احلال قوم من الامين خصوا به مع اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى كسب في المعنى والتعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم دينا نحو كسبه وجرمته دينا نحو كسبته اياه ان يجرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره هاهنا على الثاني وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراة من قرا يجرمنكم بضم اليا **شنآن قوم** بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت **ان صدوكم** متعلق بالشنان باضمار لام العلة اي لان صدوكم عام الحديبية **عن المسجد الحرام** عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه اية بينة في عموم الامين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم وقد ابرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون ووقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير **ان تعتدوا** اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره والماء الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعاير لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنان عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على وجه اكده فان النهي عن اسباب الشي ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن المسبب كما في قوله لا ارينك هاهنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تاخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم ينقطع علاقتهم عن الشعاير بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لساير الامين بالطريق الاولى **وتعاونوا على البر والتقوى** لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما يحل بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التحلية

على التخلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بالتقوى بقوله تعالى **واتقوا الله** بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله **ان الله شديد العقاب** اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة **حرمت عليكم الميتة** شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح **والدم** اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد له **ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به** اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى **والمنخنقة** اي التي ماتت بالخنق **والموقوذة** اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته **والمتردية** اي التي تردت من علو او الى بير فماتت **والنطيحة** اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة **وما اكل السبع** اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل **الا ما ذكيتم** اي الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد **وما ذبح على النصب** قيل هو مفرد وقيل هو جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد واياما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام **وان تستقسموا بالازلام** جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر **ذلكم فسق** تمرد وخروج عن الحدود ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان هو الذنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدوده لان معنى تحريمها تحريم تناولها **اليوم** اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والاتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي عليه السلام واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى **يئس الذين كفروا من دينكم** اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبايث او غيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب لقوله تعالى **فلا تخشوهم** اي ان يظهروا عليكم **واخشون** اي واخلصوا الي الخشية **اليوم اكملت لكم دينكم** بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوفيق على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى **واتممت عليكم نعمتي** متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا اي اتممتها بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشركين وطواف العريان او باكمال الدين والشرايع او بالهداية والتوفيق وقيل معنى اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم نعمتي عليكم **ورضيت لكم الاسلام دينا** اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المومنين اية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي انزلت على النبي عليه السلام وهو قايم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الاية

بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذ اكمل فانه لا
يكمل شيء الا نقص فقال عليه السلام صدقت فكانت هي الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا
وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها
من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة
يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم غير مائل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من
مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه بذلك يسئلونك ماذا احل لهم شروع في بيان
المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سالوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن السؤال معنى
القول اوقع عليه الجملة وماذا مبتدا واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسئلون بلفظ الغيبة فانه كما تعتبر حال المحكي عنه
فيقال اقسم زيد لافعلن تعتبر حال الحاكي فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسؤل ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات اي
ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح
عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه او مبتدا على ان ما شرطية والجواب
فكلوا وقد جوز حينئذ لها مبتدا على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء لمشابهتها للموصول باسم الشرط
ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد
غالبا مكلبين اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب اكثر ما يقع
فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام في عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظ النبي عليه السلام اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع
الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف مما
علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتاديب كان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما
عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بالفعل الذي يزجره وانصرافه بدعايه وامساك الصيد عليه وعدم اكله
منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مع
على الابتدا خبرها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبنية للمضاف
المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومسيره الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر الفافيها كما في قوله
تعالى امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك
وما موصولة او موصوفة حذف عايدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم ياكلن منه واما ما
اكلن منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب
اكثر الفقها وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لما ان تاديبها الى هذه الدرجة متعذرة وقال آخرون لا يشترط
ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنه انه اذا اكل الكلب ثلثه وبقي ثلثه وقد ذكر
اسم الله فكل واذكروا اسم الله عليه الضمير لما فيما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكوته
واتقوا الله في شان محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع اتمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون
من الزمان والمعنى على التقدير انه يواخذكم سريعا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة
وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام الثلاثة وقت واحد وانما كرر للتاكيد والاختلاف لاحداث الواقعة
فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات مر ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه
نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي والمراد بطعامهم ما يتناوله ذبائحهم

وغيرها

وغيرها حل لكم اي حلال وعن ابن عباس انه سئل عن ذبايح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ
ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون
الملايكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلا ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب
غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من
المؤمنات رفع على انه مبتدا حذف خبره للدلالة ما تقدم اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحراير والعفايف وتخصيصهن بالذكر
للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاما المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفايف منهن واما الاما
الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة خلافا للشافعي رحمه الله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي هن
ايضا حل لهم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل
باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها واذا ظرف عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف
جوابها اي اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم محصنين حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا غير
مسافحين ولا متخذي اخدان اي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطفا على مسافحين وزيدت لا
لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلاثة ومن يكفر بالايمان اي من ينكر شرايع
الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحرمة والحل ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمله
قبل ذلك وهو في الآخرة من الخاسرين هو مبتدا ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف
دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر
في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزاي بالعصا ان اجلدا يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرايع
المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ
بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلاة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك
عن ارادتها او اذا قصدتم الصلاة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قايم اليها
وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم
الفتح بوضوء واحد فقال له عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل
الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا يساعد له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث
الذي هو بدل له وما نقل عن النبي عليه السلام والخلفاء من انهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه
بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه عليه السلام من قوله من توضا على طهارة كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك
كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المايدة من آخر القران نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول
المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما
دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القران من اوله الى آخره وقوله
تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني مبني على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت
الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا
عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت
بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب
كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل

ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها
بربع الراس ومالك بمسح الكل اخذا بالاحتياط **وارجلكم الى الكعبين** بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل
الصحابة وقول اكثر الايمة والمتحدثين اذ المسح لم يعهد محدودا وقرى بالجر على الجوار ونظيره في القران كثير كقوله تعالى عذاب
يوم اليم ونظايره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفايدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الما عليها ويغسلها غسلا قريبا من
المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايما الى فضلية الترتيب وقرى بالرفع اي وارجلكم مغسولة **وان كنتم جنبا فاطهروا** اي
فاغتسلوا وقرى فاطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى
بالحدث الاصغر **وان كنتم مرضى** مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الما **او على سفر او جا احد منكم من الغايط او لا
مستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه** من لابتدا الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا
وقرى فاموا صعيدا وقد مر تفسير الاية الكريمة مشبعا في سورة النسا فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع
الطهارة **ما يريد الله** اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلاة او بالامر بالتيمم **ليجعل عليكم من حرج** من ضيق في الامتثال به **ولكن
يريد** ما يريد بذلك **ليطهركم** اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضو مكفرها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالما
فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا
يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالما **وليتم** بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم
نعمته عليكم الدينية او ليتم برخصته انعامه عليكم بعزايمه **لعلكم تشكرون** نعمته ومن لطايف الاية الكريمة انها مشتملة على
تسعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود
وغير محدود وان آلتهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما
تطهير الذنوب واتمام النعمة **واذكروا نعمة الله عليكم** بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره **وميثاقه الذي واثقكم به** اي عهده
الموكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى **اذ قلتم سمعنا واطعنا** ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في به او
من ميثاقه اي كاينا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفايدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة
عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر
والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه عليه
السلام لكون المرجع اليه كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله
تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام **واتقوا الله** اي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تاتون وما
تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **ان الله عليم بذات الصدور** اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق
الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقا واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة **يا ايها الذين امنوا** شروع في بيان الشرايع المتعلقة بما
يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم **كونوا قوامين لله** مقيمين لاوامره ممتثلين لها معظمين لها مراعين لحقوقها
شهدا بالقسط بالعدل **ولا يجرمنكم** اي لا يحملنكم **شنان قوم** اي شدة بغضكم لهم **على ان لا تعدلوا** فلا تشهدوا في حقوقهم
بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نسا وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك **اعدلوا هو** اي
العدل **اقرب للتقوى** الذي امرتم به صرح لهم بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى
الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين **واتقوا الله** امر بالتقوى اثر
ما بين ان العدل اقرب له اعتنا بشانه وتنبيها على انه ملاك الامر **ان الله خبير بما تعملون** من الاعمال فيجازيكم وتكرير هذا
الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفا ثايرة

الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان مضمونا منبيا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن
حافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل **وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات** التي من جملتها العدل والتقوى
لهم مغفرة واجر عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغنا منه بهذه الجملة فانه استيناف له وقيل الجملة في موقع المفعول
فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول **والذين كفروا وكذبوا باياتنا** التي من جملتها ما تلي من النصوص الناطقة
بالامر بالعدل والتقوى **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الايات **اصحاب الجحيم** ملابسوها ملابسة مويدة
من السنة السنية القرانية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفا بحق الدعوة بالتبشير والانذار **يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم** تذكير لنعمة الانجا من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من
الميثاق **عليكم** متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى **اذ هم قوم** على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما
تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا النعمة كاينة عليكم في
وقت همهم **ان يبسطوا اليكم ايديهم** اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه
وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغايلته اليهم حملا لهم من اول الامر على
الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم
تعجيلا للمسرة **فكف ايديهم عنكم** عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة
اليها والفا للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موضع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم
عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر
الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا
فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من ابايهم وابنايهم يعنون صلاة
العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا
يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سالت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد
عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل ما روي انه عليه
السلام نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجا اعرابي فاخذه
وسله فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول عليه السلام فقال من يمنعك
مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله **واتقوا الله** عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق
نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **وعلى الله** اي عليه تعالى خاصة دون
غيره استقلالا او اشتراكا **فليتوكل المومنون** فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار
صيغة امر الغايب واسنادها الى المومنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب
من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى ووازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل** كلام مستانف مشتمل على ذكر بعض ما
صدر عن بني اسرايل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المومنين على ذكر نعمة الله
ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من
بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية

المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات
في قوله عز وجل **وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا** للجري على سنن الكبرياء ولان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سياتي وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق
من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج
واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى
اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني
ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء
واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وشوكة
فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهودا ويوشع
ابن نون نقيب سبط افراهيم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان
طوله ثلاثة الاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وقد عاش ثلاثة الاف سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم فجعلهم في الحزمة
وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت
لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما
خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى عليه السلام وهارون
فيكونان هما يريان رايهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا
عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا كالبا ويوشع وكان عسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر
اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة
وسطها المحاذي لراسه فانتقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته وصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع فما اصاب
العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا راسه **وقال الله** اي لبني اسرائيل فقط اذ
هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من
الوعد **اني معكم** اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون وما يذرون وعلى كونهم تحت
قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم
ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين يبعثون
احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى **لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكاة وامنتم برسلي**
اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكاة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما
انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى **وعزرتموهم**
اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والصالح وقرئ عزرتموهم بالتخفيف **واقرضتم الله** بالانفاق
في سبيل الخير او بالتصديق بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا **قرضا حسنا** اما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر
كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله تعالى
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط **ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار** عطف
على ما قبله داخل معه في حكم الجواب وتاخيره عنه في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية **فمن كفر** اي برسلي او بشيء
مما عد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من امن تقوية للترغيب بالترهيب **بعد ذلك** الشرط المؤكد
المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا **منكم** متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم

عطفا

عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر
بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان
ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل
جديد وصنع حادث **فقد ضل سواء السبيل** اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطاه خطا واضحا لا عذر معه اصلا بخلاف
من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة **فبما نقضهم ميثاقهم** الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام
وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء اخر استقلالا او انضماما **لعناهم** طردناهم وابعدناهم من رحمتنا
او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق
نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية الشيء البسيطة على هليته المركبة للايذان
بان تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية **وجعلنا قلوبهم قاسية** بحيث لا
تلين عن الايات والنذر وقيل امليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت
كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا له بين وحشوه
وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين **يحرفون الكلم عن مواضعه** استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم
مما يصحح الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من
مفعول لعناهم **ونسوا حظا** اي تركوا نصيبا وافيا **مما ذكروا به** من التورية او من اتباع محمد عليه السلام وقيل حرفوا التورية
وتركت اشياء من حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية **ولا تزال تطلع على
خائنة منهم** اي خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء
للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اي على خيانة او فعلة خائنة
كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون
يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم **الا قليلا منهم** استثناء من الضمير المجرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على
الوجوه الثلاثة الاخيرة والمراد بهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني والمراد
بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا منهم **فاعف عنهم واصفح** اي ان تابوا وامنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف **ان الله يحب المحسنين** تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان
العفو على الاطلاق من باب الاحسان **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم** بيان لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان
قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا والتقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم وتقديم الجار
والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة
الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدا محذوف قامت صفته او صلته مقامه اي ومنهم
قوم اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدم واما في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل
اي اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم
نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض
منهم وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء او اظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته
تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه **فنسوا** عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم **حظا** وافرا **مما ذكروا
به** في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر انفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد عليه
السلام فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم واختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصار الشيطان

فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا الزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغرا وقوله تعالى **بينهم** اما ظرف لاغرينا
او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا **العداوة والبغضا** كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لانه المصدر لا يعمل
فيما قبله وقوله تعالى **الى يوم القيمة** اما غاية للاغرا او للعداوة والبغضا اي يتعادون ويتباغضون الى يوم القيامة حسبما
تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المودية الى الفرق الثلثة فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم وللیهود اي اغرينا
العداوة والبغضا بين اليهود والنصارى **وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** وعيد شديد بالجزا والعذاب كقول الرجل لمن
يتوعده ساخبرك بما فعلت اي يجازيهم بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتاكيد
الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان
برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبيه على انهم لا يعلمونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها
في افادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها **يا اهل الكتاب** التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية
والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن
وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطوا الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب
من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون **قد**
جاكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى **يبين لكم** حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على
غيرها للدلالة على تجدد البيان اي قد جاكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة **كثيرا مما كنتم**
تخفون من الكتاب اي التورية والانجيل كبعثه محمد عليه السلام واية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد عليه السلام في
الانجيل وتاخير كثير من الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان
ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب يبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد
فضل تمكن ولان في المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثير
وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف وهو حال من العائد المحذوف والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفا اي يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار
حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به **ويعفوا عن كثير** اي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية
صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفا ترغيبا وترهيبا
والجملة معطوف على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يواخذه وقوله تعالى **قد جاكم من الله نور** جملة
مستانفة مسوقة لبيان ان فائدة مجي الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله
متعلق بجا ومن لابتدا الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور وايا ما كان فهو تصريح بما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه
من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على انه الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجي من جهته العالية والتشويق الى الجائي
ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمومنين
وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله **وكتاب مبين** القران لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي على الناس
من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول عليه السلام وبالثاني القران
يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات ولكونهما في حكم الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور
للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتنا بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب والنصب على
الحالية منه لتخصصه بالصفة **من اتبع رضوانه** اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة **سبل السلام** اي طرق السلامة
من العذاب والنجاة من العقاب او سبل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان

انتصابه

انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى عليه السلام قومه وانما تعدى الى الثاني بالى وباللام كما في قوله
تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم **ويخرجهم** الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ **من**
الظلمات ظلمات فنون الكفر والضلال **الى النور** الى الايمان **باذنه** اي بتيسيره او بارادته **ويهديهم الى صراط مستقيم** هو
اقرب الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية الى سبيل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير
الذاتي كما في قوله تعالى فلما جا امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ **لقد كفر الذين قالوا ان الله**
هو المسيح بن مريم اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان معين او في روحه
وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه المسيح
لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا
لمعتقدهم **قل** اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر والفاء في قوله **فمن يملك من الله شيئا** فصيحة ومن استفهامية
للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته
تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئا منها **ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا**
ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به ولا بشان من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع
شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام لا
مطلقا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص
على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد مع تحقق الالزام
والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فمن يملك من الله شيئا اذ اراد لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات
المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفا المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة
الى المسيح على ابلغ وجه واكده فيظهر استحالة الوهيته قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه
بان يقال فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا
يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه
اسوة لها في ما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تاكيد عجز
المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل
حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن في الارض جميعا وقد
اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** اي ما بين قطري
العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملايكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات
تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اعني من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع
الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واحيا واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية
به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل سواه وقوله تعالى **يخلق ما يشا** جملة مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على
وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص اي يخلق ما يشا
من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اي خلق يشاؤه فتارة يخلق
من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينها فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل
يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حوا او انثى وحدها كخلق عيسى او منهما كخلق ساير الناس ويخلق بلا توسط شي من المخلوقات كخلق عامة
المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له واحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وغير ذلك

فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده **والله على كل شي قدير** اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة **وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه** حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن ابنا الله تعالى عزير وقالت النصارى نحن ابنا ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي حبيب وهو عبد الله بن الزبير الحبيبون وكما تقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابنا الله واحباوه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابنا له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على ساير الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم **قل** اي الزاما لهم وتبكيتا **فلم يعذبكم بذنوبكم** اي ان صح ما زعمتم فلاي شي يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الاخرة بالنار اياما بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى **بل انتم بشر** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر **ممن خلق** اي من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم **يغفر لمن يشا** ان يغفر له من اوليائه المخلوقين وهم الذين امنوا به تعالى وبرسله **ويعذب من يشا** ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شي منها بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشا ايجادا واعداما احيا واماتة واثابة وتعذيبا فاني لهم ادعا ما زعموا **واليه المصير** في الاخرة خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسي بما يستدعيه علمه من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه **يا اهل الكتاب** تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة **قد جاكم رسولنا يبين لكم** حال من رسولنا وايثاره على مبينا لما مر فيما سبق اي يبين لكم الشرايع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الايات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنيعة وما سياتي من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجي الرسول انما هو لبيانه او يفعل لكم البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين واما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فايدة يرده قوله عز وجل **على فترة من الرسل** فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان ما كتموه على فترة متعلق بجاكم على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي جاكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرايع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان من الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة فترة اي كاينة من الرسل مبتدا الامن جهتهم وقوله تعالى **ان تقولوا** تعليل لمجي الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين **ما جانا من بشير ولا نذير** وقد انطمست اثار الشرايع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجي وتنكير بشير ونذير للتعليل وهذا كما ترى يقتضي ان المقدر او المنوي فيما سبق هو الشرايع والاحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى **فقد جاكم بشير ونذير** متعلق بمحذوف ينبي عنه الفا الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك فقد جاكم بشير اي بشير ونذير اي نذير **والله على كل شي قدير** فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعماية سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستماية او خمسماية وتسع وستون سنة او خمسماية وست وستون سنة واربعة انبيا على ما روي الكلبي ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليلتجئوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم على غفلتهم **واذ قال**

عن

موسى

موسى لقومه جملة مستانفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي عليه السلام ببيانها كقوله يبين لكم كثيرا الاية ومن حيث اشتماله على انتفا فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي عليه السلام بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه **اذكروا نعمة الله عليكم** وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا وبمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا النعمة كاينة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى **اذ جعل فيكم انبيا** اي اذكروا نعمته تعالى كاينة عليكم في وقت جعله او اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربايكم انبيا ذوي عدد كثير واولي شان خطير حيث لم يبعث في امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبيا له **وجعلكم ملوكا** عطف على جعل فيكم داخل في حكمه فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبيا وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم تسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب اليه ولو مجازا ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق **واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين** من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما اتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة** كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبيا ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام **التي كتب الله لكم** اي كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم اي ان امنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوه فانها محرمة عليهم وقوله تعالى **ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين** فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقبا بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر ولا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا ومنصوب على النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخولها كتب لهم **قالوا** استيناف مبني على سوال نشا من مساق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بمقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك **يا موسى ان فيها قوما جبارين** متغلبين لا يتاتى منازعتهم ولا يتيسر مناصبتهم والجبار العاتي الذي يجبر الناس ويقهرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعيل من جبره على الامر اي اجبره عليه **وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها** من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها **فان يخرجوا منها** بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا به **فانا داخلون** حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزا بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر **قال رجلان** استيناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان **من الذين يخافون** اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قرا ابن مسعود

رضي الله عنه وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اي منهم في
النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقبا وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام
قالوا او جنية لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والعايد الى المحذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل
ويعضده قراءة من قرا يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون
من الله تعالى بالتذكير حتى يخوفهم الوعيد **انعم الله عليهما** اي بالتثبت وربط الجاش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده
او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصيصه بالصفة اي قالا لاخوانهم
لهم ومشجعين لهم **ادخلوا عليهم الباب** اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول
الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحرا لئلا يجدوا للحرب مجالا **فاذا**
دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه **فانكم غالبون** من غير حاجة الى القتال فانا قد رايناهم وشاهدنا ان قلوبهم
ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل
انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله
وما عهدا من صنعه تعالى لموسى من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول **وعلى الله** تعالى خاصة **فتوكلوا**
بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل عن التاثير وانما التاثير من عند الله العزيز القدير **ان كنتم**
مؤمنين اي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما **قالوا** استيناف كما سبق اي قالوا
غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا للاصرار على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام
يا موسى انا لن ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم **ابدا** اي دهرا طويلا **ما داموا فيها** اي في ارضهم
وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف بيان **فاذهب** الفا فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب **انت وربك فقاتلا** اي
فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه
غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصدا
وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هارون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا
بذهابهم ولم يعبؤوا بقتالهم وقوله تعالى **انا ههنا قاعدون** يريدون الوجه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التاخر
قال عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها
تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة **رب اني لا املك الا نفسي واخي** عطف على نفسي وقيل على الضمير في اني على معنى اني لا املك
الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل **فافرق بيننا** يريد نفسه واخاه والفا لترتيب الفرق
والدعا به على ما قبله **وبين القوم الفاسقين** الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما
يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم **قال فانها** اي الارض المقدسة والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها
من الدعا **محرمة عليهم** تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث
نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى **اربعين سنة** ان جعل ظرفا لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا
فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها
بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته
ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى
النواشي من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريمها عليهم لما بينهما من العلاقة التامة
المستتبعة للاتحاد وقوله تعالى **يتيهون في الارض** اي يتحيرون في البرية استيناف لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم

وقيل

وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين
فرسخا وقيل هو في ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي انهم كانوا كل
يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء
بهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات
عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق العرك والتاديب قيل كان موسى وهارون معهم ولكن كان ذلك لهما ر
وحا وسلامة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هارون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة
ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعدما قبل دعوته على بني اسرائيل وعذبهم
بالتيه يبعد ان ينجي بعض المدعو عليهم او ذراريهم ويقدر وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة
وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بانهما كانا معهم فيه وقد فسر الفرق
بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق **فلا تأس** فلا تحزن **على القوم الفاسقين** روي انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل
لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء لذلك لفسقهم **واتل عليهم** عطف على مقدر تعلق به قوله تعالى واذ قال موسى الخ وتعلقه
به من حيث انه تمهيد لما سياتي من جنايات بني اسرائيل بعدما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات **نبأ ابني**
آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز
وجل الى آدم ان يزوج كلا منهما توامة الآخر وكانت توامة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك
ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت
نار على قربان هابيل فاهلكته فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد حسدا وسخطا وفعل ما فعل **بالحق** متعلق بمحذوف
وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حال من فاعل اتل او من مفعوله اي ملتبسا انت او نباهما بالحق
والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين **اذ قربا قربانا** منصوب بالنبا ظرف له اي اتل قصتهما ونباهما في ذلك الوقت وقيل بدل
منه على حذف المضاف اي اتل عليهم نباهما نبا ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كيومئذ وحينئذ والقربان اسم
لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل ان قرب كل منهما
قربانا **فتقبل من احدهما** وهو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فاكلته **ولم يتقبل من الآخر** وهو
قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب اردا ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا **قال** استيناف مبني على سؤال نشا
من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده لما ظهر فضله عليه عند
الله عز وجل **لاقتلنك** اي والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة **قال** استيناف كما قبله اي قال الذي تقبل
قربانه لما راى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه **انما يتقبل الله** اي القربان **من المتقين** لا من غيرهم وانما تقبل قرباني
ورد قربانك لما فيهما من التقوى وعدمه اي انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك
مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل
لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد **لئن بسطت**
الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور
على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط
جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتاكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار
براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة
الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفا لا على انتفا الدوام

وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المفيد بالدوام فيرفع قيده اي والله ليس
باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحققوا ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله **اني اخاف الله**
رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده ما لا يخفى كانه قال اني اخافه تعالى ان بسطت يدي
اليك لاقتلك ان تعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عدوانك على ما ظنك بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى
بربوبية العالمين تاكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع
لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وياباه
التعليل بخوفه تعالى الا ان الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى **اني اريد ان تبوء**
باثمي واثمك تعليل اخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متاخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها
على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي
اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على البادي عين اثم
سبه ومثل اثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى باثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب
على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسة للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد
بالاثم عقوبته ولا ريب في عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلا ويأباه قوله عز وعلا **فتكون من اصحاب النار**
فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع اخر يترتب عليها العقوبة النارية
يرده قوله تعالى **وذلك جزاء الظالمين** فانه صريح في كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها
ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار
على الغي والانهماك في الفساد **فطوعت له نفسه قتل اخيه** اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على
ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما ينصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية
وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ ولان هذه المرتبة من التطويع لم
يكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم
تعارضه له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعا نفسه
الى الاقدام عليه فطاوعته ولم يمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل
فتمثل ابليس واخذ طائرا ووضع راسه على حجر ثم شدخها بحجر اخر فتعلم منه فوضع راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي
عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في
موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل ثور ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره
اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمي به فتاكله **فاصبح من الخاسرين** دينا ودنيا
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي ان الله تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى
الثاني ببحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوءة اخيه جسده الميت
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل **قال يا ويلتى** هي كلمة جزع
وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة **اعجزت ان اكون** اي عن ان اكون
مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على
اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري **فاصبح من النادمين** اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي

انه

انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك
ومكث ادم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال اكلت النار قربان
هابيل هرب الى عدن لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد
النار **من اجل ذلك** شروع في ما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض اخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة
الى عظم شان القتل وافراط قبحه المفهوم مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان
كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون
قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب
والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته
ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون ومن
لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى **كتبنا على بني اسرائيل** وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدأ الكتب ومنه نشأ لا من شيء
اخر اي قضينا عليهم وبينا **انه من قتل نفسا** واحدة من النفوس **بغير نفس** اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص **او فساد في الارض**
اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم
بطلت صلاته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلاته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي
على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف
حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما معا ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين
الامرين قبل وروده فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق
احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض
كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في
الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض
الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا
بتحقق احدهما مبهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما
معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد
على المبهم وعلى هذا ابدا وربما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم اثما
او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء او ثوب صحت صلوته فحيث كان الحكم فيه
مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل
مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة
كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما **فكانما قتل الناس جميعا** فمن قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم
الكريم حقه وما في كانما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين
في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى
وعذابه العظيم **ومن احياها** اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها
عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه **فكانما احيا الناس جميعا** وجه التشبيه ظاهر والمقصود
تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم
الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في

الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده
فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات** جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت
بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول
الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالايات الواضحة
الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته وتاييدا لتحتم المحافظة عليه **ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك** اي بعد
ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير
للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد
منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد **في الارض** متعلق بقوله تعالى **لمسرفون** وكذا الظرف المتقدم
ولا يقدح توسط الكلام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدا وانما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها
الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان
اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان الاحياء وجودا وذكرا وكان هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام
التشنيع **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** كلام مستانف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من
الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والاجل اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير
اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل قيل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل
ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة
دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في
تعميمه لغيرهم الى دليل اخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ولرسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل
الحرب السلب والمراد هنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر **ويسعون في الارض** عطف على
يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى **فسادا** اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له اي
للفساد او مصدر موكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل نزلت
الاية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه
من المسلمين فهو امن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون
الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في
العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد
وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون
اخذ المال ومن القتل مع اخذه واخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرع لكل مرتبة من تلك المراتب
عقوبة بطريق التوزيع فقيل **ان يقتلوا** اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق
الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بالة جارحة اولا **او يصلبوا** اي مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا
احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من
خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما **او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف**
اي ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب
كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه
او ينفوا من الارض ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض بدفع

شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد
لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع
وهو بلد من بلاد الحبشة **ذلك** اي ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدا وقوله **لهم خزي** جملة من خبر مقدم
على المبتدا وقوله تعالى **في الدنيا** متعلقة بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع
على انها خبر لذلك فقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب
حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة **ولهم في الاخرة** غير هذا **عذاب عظيم** لا يقادر
قدره لغاية عظم جنايتهم فقوله لهم خبر مقدم وعذاب مبتدا مؤخر وفي الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه
في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كائنا في الاخرة **الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم** استثناء مخصوص
بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى **فاعلموا ان الله غفور رحيم** اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه
فاليهم ذلك ان شاءوا عفوا وان احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه
ان الحرث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرا عنه العقوبة **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله** لما
ذكر عظم شان القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المؤمنين
بان يتقوه تعالى في كل ما ياتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد
وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار **وابتغوا**
اي اطلبوا لانفسكم **اليه** اي الى ثوابه والزلفى منه **الوسيلة** هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من
فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر
حتى لا يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المامور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة
من كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتاكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل
الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل
الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى **وجاهدوا في سبيله** بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة
لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكرامته **ان الذين كفروا** كلام مبتدا مسوق لتاكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة
وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم
القيامة باقوى الوسائل في النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب **لو ان لهم** اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل
نفس ظلمت الخ لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة في تهويل الامر وتفظيع الحال **ما في الارض** اي من اصناف اموالها وذخائرها
وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف خلا انه عند سيبويه رفع على الابتداء ولا حاجة الى
الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف
ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كون ما في الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج
والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى **جميعا** توكيد للموصول او
حال منه **ومثله** بالنصب عطف عليه وقوله تعالى **معه** ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدته
التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما
شيئا واحدا وتمهيد لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى **ليفتدوا به** متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار
المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقديره مقدما او مؤخرا وبالفعل المقدر بعد لو على راي المبرد ومن نحا نحوه ولا
ريب في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير

راجع الي الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله
كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذاك وقيل هو راجع الي الموصول والعايد الي المعطوف اعني مثله محذوف كما حذفت
الخبر من قار في قوله فاني وقيار بها لغريب اي وقيار بها غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله علي انه مفعول معه ناصبه
الفعل المقدر بعد لو تفريعا علي مذهب المبرد ومن راي رايه وانت خبير بانه يودي الي كون الرفع للفاعل غير الناصب للمفعول
معه لان المعنى علي اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل
ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه قد نص علي ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في
المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى **من عذاب يوم القيامة**
متعلق بالافتدا ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يوميذ **ما تقبل منهم**
ذلك وهو جواب لو وترتيبه علي كون ذلك لهم لاجل افتدايهم به من غير ذكر الافتدا بان يقال لو افتدوا به مع ان الرد والقبول
انما يترتب عليه لا علي مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الي الغرض تقديرهم علي ما ذكر او للمبالغة
في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتدا علي منهاج ما في قوله تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده
حيث لم يقل فاتى به فراه فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن
ورؤيتهن له والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من
الوجوه المحققة والمفروضة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارايت لو كان لك ملؤ الارض ذهبا كنت تفتدي به
فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك انتهى وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى **ولهم عذاب اليم** تصريح لما اشير اليه بعدم
قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب علي الحالية وقيل عطفا علي خبر ان وقيل عطف علي ان الذين فلا
محل له كالمعطوف عليه **يريدون ان يخرجوا من النار** استيناف مسوق لبيان حالهم في اثنا مكابدة العذاب مبني علي سؤال
نشا مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الي اخره وقد تبين في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار
قيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار فيرفعهم الي فوقها فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل
يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل **وما هم بخارجين منها**
اما حال من فاعل يريدون واعتراض وايا ما كان فايثار الجملة الاسمية علي الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في حيزها
من الباء علي تاكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام
الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى وما انا بباسط الخ وقرى ان يخرجوا علي بنا
المفعول من الاخراج **ولهم عذاب مقيم** تصريح بما اشير اليه من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته **والسارق والسارقة** شروع
في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضا الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت
السرقة معهودة من النسا كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النسا في الاحكام
الواردة في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتنا بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدا خبره عند سيبويه محذوف
تقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى **فاقطعوا ايديهما** والفا
لتضمين المبتدا معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرى بالنصب وفضلها سيبويه علي قراءة الرفع لان الانشا
لا يقع خبرا الا بتاويل واضمار والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ يساوي
عشرة دراهم فما فوقها بشروط فصلت في موقعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفا
بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الي ان المقطع هو المنكب والجمهور علي انه الرسغ لانه

عليه

عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه **جزاء** نصب علي انه مفعول له اي فاقطعوا للجزا او مصدر موكد لفعله الذي
يدل عليه فاقطعوا اي جازوهما جزا وقوله تعالى **بما كسبا** علي الاول متعلق بجزا وعلي الثاني باقطعوا وما مصدرية اي بسبب
كسبهما او موصولة اي بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى **نكالا** مفعول له ايضا علي البدلية من جزا
لانهما من نوع واحد وقيل للقطع معللا بالجزا او القطع المعلل معللا بالنكال وقيل هو منصوب بجزا علي طريقة الاحوال المتداخلة
فانه علة للجزا والجزا علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان
وقد اجازوا في قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله علي من يشا من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان
يكفروا وانهم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا علي ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى **من الله**
متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كاينا منه تعالى **والله عزيز** غالب علي امره يمضيه كيف شاء من غير ند ينازعه ولا ضد
يمانعه **حكيم** في شرايعه لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرايع المنطوية علي فنون الحكم والمصالح
فمن تاب من السراق الي الله تعالى **من بعد ظلمه** الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى
بتذكير عظم جنايته **واصلح** اي امره بالتفصي من تبعات ما باشره والعزم علي ترك المعاودة اليها **فان الله يتوب عليه** اي يقبل
توبته فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا يسقط بالتوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ويسقط عند الشافعي في احد قوليه
ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاكيد
استقلال الجملة وكذا في قوله تعالى **الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض** فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما
والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدا والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند
الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح
للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد الاستشهاد بذلك علي قدرته تعالى علي ما سياتي من التعذيب والمغفرة
علي ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلا الباهر المستلزمان للقدرة التامة علي التصرف
الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الي غير ذلك حسبما تقتضيه مشيته **يعذب من يشا** ان يعذبه **ويغفر لمن**
يشا ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب علي المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة
اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه او خبر اخر لان **والله علي كل شي قدير** فيقدر علي ما ذكر من التعذيب والمغفرة
والاظهار في موقع الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها **يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**
خوطب عليه السلام بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشي الوقوع فيه بسرعة ورغبة
وايثار كلمة في علي كلمة الي الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الي مغفرة من ربكم وجنة الخ للايذان بانهم مستقرون في الكفر لا
يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الي بعض اخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز اثار الكيد للاسلام
ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستمرون علي الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم
بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الي مدار الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة علي ان يحزنوه عليه السلام
بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التاثر من ذلك والمبالاة به علي ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب
الشي ومباديه المودية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الي المسبب ويراد النهي عن السبب
كما في قوله لا اربنك ههنا يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرى لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاء وقرى يسرعون
يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا يحزنك ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى **من الذين قالوا**
امنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كاينين
من الذين الخ والبا متعلقة بقالوا لا بامنا وقوله تعالى **ولم تؤمن قلوبهم** جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف علي قالوا وقوله

تعالى **ومن الذين هادوا** عطف على من الذين قالوا الى آخره وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين
المنافقين واليهود فقوله تعالى **سماعون للكذب** خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين
هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتدأ
محذوف اي ومنهم قوم سماعون الخ لادائه الى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم
فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف
والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب او في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم
واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا
فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر بهم وايا ما كان فالجملة الجارية مجرى التعليل للنهي فان
كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة واتيانا امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم
وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الافاعيل الفاسدة المودية الى
الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى **سماعون لقوم آخرين** خبر ثان للمبتدأ المقدر
مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثلها في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي
قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم آخرين
وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتأكيد بمعنى سماعون
ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى **لم يأتوك** صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا
عنك تكبرا او افراطا في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** صفة
اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس
الرسول عليه السلام ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجترا
على الافترا على الله عز وجل وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى
فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما حملا على غير المراد واجراء في غير مورده وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى **يقولون** كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة وجوز
ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وان مقول
القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول عليه السلام والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون اليه
عليه السلام لمن لا يحضر حوله عليه السلام قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخاطبين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم
الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم
اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل **ان اوتيتم** من جهة الرسول عليه السلام **هذا فخذوه** واعملوا بموجبه فانه الحق **وان لم
تؤتوه** بل اوتيتم غيره **فاحذروا** اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في
التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا
رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم
فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا
ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه
الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي عليه السلام انت ابن صوريا قال
نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشد
ك

الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع
فوقكم الطور وانزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا
خشيت ان يحرقني التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه السلام اذا شهد اربعة
رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا
انزل الله في التوراة على موسى عليه السلام فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي
بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد **ومن يرد الله فتنته** اي ضلالته او
فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه
عن ذكره **فلن تملك** فلن تستطيع **له من الله شيا** في دفعها والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح
المذكورة ابدا **اولئك** اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
في الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم** اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما
واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح
فنون ضلالاتهم آخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا
واقعة منه تعالى ابتدا **لهم في الدنيا خزي** اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما
خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ ولهم خبره وفي الدنيا
متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى **ولهم في الآخرة** اي مع الخزي الدنيوي **عذاب عظيم** هو الخلود
في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتاكيد
والجملتان استئناف مبني على سؤال نشا من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في
الدنيا الآية **سماعون للكذب** خبر آخر للمبتدأ المقدر كرر تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى **اكالون للسحت** وهو
ايضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم ايضا على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الاكالين والسحت بضم السين
وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد هاهنا
اما الرشى التي كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وساير احكامهم الشريفة وهو المشهور وما كان يأخذه فقراؤهم من اغنيائهم من
المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ للسحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح
السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به **فان جاؤك** لما بين
تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبالاقبال عليهم حسبما امر به عليه السلام خوطب عليه السلام
ببعض ما يبتني عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من
الخصومات **فاحكم بينهم او اعرض عنهم** غير مبال بهم ولا خائف منهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له عليه السلام بين الامرين فقيل
هو في امر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين
وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل
منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سوا وقيل هي عام في جميع الحكومات ثم
اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطا والنخعي والشعبي وقتادة والى بكر الاصم والى مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن
عباس رضي الله عنه والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس رضي الله عنهما لم ينسخ من المائدة الا آيتان لا تحلوا شعائر الله نسختها قوله

قوله تعالى قاتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله
وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان الامن
فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة
بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام فامنه الله عز وجل فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس
وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل
مكروه ومحذور وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص
عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم
وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التورية ان
جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استيناف مسوق لبيان ان عندهم ما
يغنيهم عن التحكيم وتانيثها لكونها نظيرة المونث في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب وثم
للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتاكيد الاستبعاد والتعجب اي ثم يعرضون
عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة
موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل
تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون
بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم
انا انزلنا التورية كلام مستانف سيق لبيان علو شان التورية ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبيا
ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون
من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التورية فان ما فيها من الشرائع والاحكام من حيث
ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة
بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون حال من التورية فان ما فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس
الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها اي انبيا بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبيا مستانفة
مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التورية فيكون حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك
من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتنا بشان المقدم والتشويق
الى المؤخر لان في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على
النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون
وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف في معرض مدح العظما منبئ عن عظم قدر
الوصف لا محالة كما في وصف الانبيا بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك قيل
اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وانهم بمعزل من الاسلام والاقتدا بدين الانبيا
عليهم السلام لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان
اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط
التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين
هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله
وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور كائنا للذين هادوا والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلما من ولد هارون

الذين

الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنه الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم
ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار الفقها واحدهم حبر بالفتح والكسر والثاني افصح وهو راي الفرا ماخوذ من التحبير
والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين
المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفا ونواب لهم في
ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التورية حيث سالوهم ان يحفظوها من التغيير
والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجرا احكامها من غير اخلال بشي منها وفي ابهامها
اولا ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها
بعنوان الكتاب للايما الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والبا الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها
صلة له كالتي في قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفي جر متحدي المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار
ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسالوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك بسببيته
من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة
من الاستحفاظ له وقيل البا صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة اي ويحكم الربانيون والاحبار
بحكم كتاب الله الذي سالهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهدا اي رقبا يحمونه من ان يحوم حوله التغيير
والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو
بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبيا والربانيون والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اي كلفهم الله
تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهدا وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لرؤسا اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام
المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفا لترتيب النهي على ما فصل من حال التورية وكونها معتنى بشانها فيما
بين الانبيا ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظائف
مراعاتها والمحافظة عليها باي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار اجترائهم على ذلك خشية ذي سلطان او رغبة
في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اي اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها
وحفظها بمن قبلكم من الانبيا واشياعهم واخشوني في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسو ولا تشتروا باياتي
الاشترا الاستبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شي بدلا مما كان له عينا كان
او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطي ونبذ كما فصل في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فالمعنى لا تستبدلوا باياتي التي فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه
وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر
بالمشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصد الاصلي بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الايات
التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون في معرض الالات والوسائط حيث قرنت بالبا التي تصحب الوسائل ايذانا بمبالغتهم في
التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا ومن لم يحكم بما انزل الله كائنا من كان دون المخاطبين
خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اي من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف ايات الله تعالى
اقتضا بينا فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون لاستهانتهم
به وهم اما ضمير الفصل او مبتدا ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر
لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد
انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعا انه من عند الله ليشتروا به ثمنا

قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التورية عليهم اي على الذين هادوا وقرى وانزل الله على بني اسرائيل فيها اي في التورية
ان النفس بالنفس اي تقاد بها اذا قتلها بغير حق والعين تفقا بالعين اذا فقئت بغير حق والانف تجدع بالانف المقطوع
بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن المقلوعة بغير حق والجروح قصاص اي ذات قصاص
اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت وقرى وان الجروح قصاص
وقرى وان العين الخ بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة
التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقراءة سورة انزلناها فمن تصدق من
المستحقين به اي بالقصاص اي فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه فهو اي التصدق كفارة له اي
للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرى فهو كفارته له اي فالمتصدق
كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شي وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول
من لا يرى قتل الرجل بالمراة من اليهود تناولا بينا بما انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية
دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشي في غير موضعه والجملة تذييل
مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على
انزلنا التورية اي آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي
قفيناهم بعيسى بن مريم اي ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى عليه السلام وآتيناه الانجيل
عطف على قفينا وقرى بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التورية وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي كائنا فيه ذلك كانه
قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته عليه السلام ومصدقا لما بين يديه من
التورية عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف على
مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة
للمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما
فيه من الامور التي من جملتها دلائل رسالته وشواهد نبوته عليه الصلاة والسلام وما قررته الشريعة من احكامه واما احكامه المنسوخة
فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها
من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي تشهد بصحتها كما سياتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم
على شي حتى تقيموا التوراة والانجيل الاية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل
الانجيل الخ وقرى وان ليحكم على ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل
الانجيل الى آخره وقرى على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
آتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه
ومن لم يحكم بما انزل الله منكرا له مستهينا به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر
لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام
كان مستقلا بالشرع بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل
باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف
الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على جميع افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه
وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف
في اليك وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا لما تقدمه امامه من حيث انه نازل حسبما نعت فيه او

من حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما
ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من
حيث ان كلا من الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي يدور عليها امر الشريعة وليس في المتقدم دليل على ابدية احكامه
المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتاخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها
لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو
بهذا العنوان جنس براسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعلى هذا قالوا اللام للعهد الا ان ذلك لا
ينتهي الى خصوصية الفرد به بل الى الخصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر من الكتاب السماوي ايضا حيث
حصر بما عدا القرآن ومهيمنا عليه اي رقيبا على الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول
شرائعها وما تأبد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل
بها ولا ريب في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكامه كونه مهيمنا عليها وقرى
ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هو من حوفظ من التغيير والتبديل لقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
والحافظ ما من جهته تعالى كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحافظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله تعالى
فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه
من موجبات الحكم المامور به اي اذا كان شان القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتابين عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اي بما
انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم
الحاكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات بالاظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقه بلا تتبع على معنى العدول
ونحوه كانه قيل لا تعدل عما جاءك متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم بتضمين عادلا عما جاءك
وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجي الحق
الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستانف جي به لحمل اهل
الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل الله اليه من القرآن العظيم ببيان انه هو الذي
كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق الالتفات
والتلوين للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار
بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا بين
الصفة والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية
جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث
موسى الى مبعث عيسى عليه السلام شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليه السلام شرعتهم الانجيل واما
انتم ايها الموجودون فشرعتكم الفرقان ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين
لكونه سبيلا الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا
وضح وقرى شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث
انها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير
اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شي من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشية محذوف تعويلا على دلالة الجزاء
عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق

بمحذوف لبيند عيد النظام اي ولكن لم يشا ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين
الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم **فيما اتاكم** من الشرايع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها
معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او
تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى او تستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا
اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الاتباع للحدة في ذلك كما اشير اليه من انطوا الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا
ومعادا كما ينبي عنه قوله تعالى **فاستبقوا الخيرات** اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقايد
الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القران الكريم وابتدروها انتهاز للفرصة واحراز السابقة الفضل والتقدم ففيه
من تاكيد الترغيب في الاذهان للحق وتشديدا لتحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى **الى الله مرجعكم** استيناف مسوق مساق
التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى **جميعا** حال من ضمير الخطاب في العامل فيه اما المصدر المنحل
الى حرف مصدري وفعل مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار **فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** اي فيفعل بكم من الجزاء
الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شايبة شك فيما كنتم فيه تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه
موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار **وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواهم** عطف على الكتاب اي انزلنا
عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتاكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق
وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تاكيد وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى **واحذرهم ان
يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك** اي يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم
الجليل لتاكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان
يفتنوك واعادة ما انزل الله لتاكيد التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن
دينه فذهبوا اليه عليه السلام فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا
وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نومن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره **فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم** اي بذنب توليهم عن
حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي
كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس **وان كثيرا من الناس لفاسقون** اي
متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المحدودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله **افحكم الجاهلية يبغون**
انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم
المفعول للتخصيص المفيد لتاكيد الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه عليه السلام وطلب حكم اخر منكر عجيب وطلب
حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متبوعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام
فيكون تعيير اليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع
الى وحي واما اهل الجاهلية وما حكمهم وما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي ان بني النضير تحاكموا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل
الجاهلية من التفاضل فقال عليه السلام القتلى سوا فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه
مبتدا ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر
وقرئ بتا الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اي افحاكما
كحكام الجاهلية يبغون **ومن احسن من الله حكما** انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساوله وان كان ظاهر

السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله **لقوم
يوقنون** اي عند هم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا
ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها **يا ايها الذين امنوا** خطاب حكمه يعم كافة المومنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب
وروده بعضا منهم كما سياتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل **لا تتخذوا اليهود
والنصارى اوليا** فان تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم
وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافات الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اوليا لكم حقيقة فانه امر ممتنع في
نفسه لا يتعلق به النهي **بعضهم اوليا بعض** اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين اوليا بعض اخر من ذلك الفريق لا من الفريق الاخر
وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفا الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى راسا والجملة مستانفة
مسوقة لتعليل النهي وتاكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اوليا بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما ياتون وما يذرون
ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله
تعالى **ومن يتولهم منكم فانه منهم** حكم مستنتج منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان
الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المومنين تعين ان يكون ذلك بكون من يواليهم
منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله تعالى **ان الله لا يهدي القوم
الظالمين** تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشانهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المضمر
موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشي في غير موضعه وقوله تعالى **فترى
الذين في قلوبهم مرض** بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفا للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب
اما للرسول عليه السلام بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشانهم
فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة
العقد في الدين وقوله تعالى **يسارعون فيهم** حال من الموصول والروية بصرية وقيل مفعول ثان والروية قلبية والاول هو الانسب
بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة على كلمة الى للدلالة
على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض اخر منها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم
خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ بالغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح
منه الروية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف المصدرية والروية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم
مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغا والمراد بهم عبد الله
بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المومنين بانهم لا يامنون ان تصيبهم
صروف الزمان وذلك قوله تعالى **يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة** وهو حال من ضمير يسارعون والدايرة من الصفات الغالبة التي
لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا دايرة من دواير الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى
ان تصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطون الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال
عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدواير لا ابرا من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمومنين انه يريد بالدواير المعنى الاخير
ويضمر في نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل **فعسى الله ان ياتي بالفتح** رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة
وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان ياتي في محل
النصب على انه خبر عسى وهو راي الاخفش او على انه مفعول به وهو راي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث في قولك عسى زيد

ان بقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل
هو القضاء والفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين **او امر من عنده** بقطع شافة اليهود من القتل والاجلاء **فيصبحوا**
اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء
السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة **على ما اسروا في انفسهم نادمين** وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر
والشك في امره عليه السلام وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم
عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها **ويقول الذين آمنوا** كلام مبتدأ مسوق لبيان كال سوء حال الطائفة المذكورة
وقرئ يقول بغير واو على انه جواب سوال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول المومنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا
وقيل على يأتي اعتبارا للمعنى كانه قيل فعسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن
المومنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين
الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة
رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم **اهؤلاء الذين**
اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ
وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطيهم في ذلك او يقول بعض المومنين لبعض مشيرين الى المنافقين
ايضا اهؤلاء الذين اقسموا للكفرة انهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقديرين الا انه على الاول من جهة المومنين وعلى
الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل
انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف
الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد
في اليمين وقوله تعالى **حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين** اما جملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء
الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطالته بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه
جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما في حيز صلته صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير
وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شان موالاتكم وسعوا في ذلك
سعيا بليغا حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع
للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المومنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى على انفسهم
من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا
يتكلفونها في راي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المومنين انما يليق بما لو اظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه
ويقسمون عليه من ولاية المومنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي
كانوا يتكلفونها في راي اعين المومنين ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلاف
ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون
ان ليست ندامتهم الا على ما اظهروه من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة **يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه** وقرئ
يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية
للارتداد عن الدين وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان احوال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر عنها
القرآن قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم
ذو الخمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب

عليه السلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض عليه السلام من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة
قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب عليه السلام من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه
كان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد
ابن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر الصديق فزاره قوم عيينة بن حصن وغطفان
قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر
المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها
مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم
على يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته
مشهورة وقوله عز وجل **فسوف يأتي الله** جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف يأتي الله مكانهم بعد
اهلاكهم **بقوم يحبهم** اي يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى **ويحبونه** اي يريدون
طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي
موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم الانصار رضي الله عنهم وقيل هم الفرس لما روي انه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده
الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من
النخع وخمسة آلاف من كندة وثلاثة آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية **اذلة على المومنين** جمع ذليل لا ذلول فان
جمعه ذلل اي ارقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع
علو طبقتهم وفضلهم على المومنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى **اعزة على الكافرين** اي
اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف
للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تاخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما في
قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر للمبتدأ المحذوف وان من ربهم
ومن الرحمن حالان متقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ اذلة اعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة
يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة **ولا يخافون**
لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين
فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من
فاعل يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز
مباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى **ذلك** اشارة الى ما تقدم من الاوصاف
الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل **فضل الله** اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف
بها **يؤتيه من يشاء** ايتاءه اياه ويوفقه بكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة **والله واسع** كثير الفواضل والالطاف
عليم مبالغ في العلم لجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار
الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** لما نهى عن

وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمومنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمومنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله وولايته عليه السلام وكذا ولاية المومنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** صفة للذين آمنوا جرى مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه **وهم راكعون** حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهم خاشعون متواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكاة والركوع ركوع الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا** اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى **فان حزب الله هم الغالبون** حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا** روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المومنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شانه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة **من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم **والكفار** اي المشركين خصوا لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول وفيه اشعار بانهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين **اولياء** وجانبوهم كل المجانبة **واتقوا الله** في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا **ان كنتم مومنين** اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة **واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها** اي الصلاة او المناداة وفيه دلالة على شرعية الاذان **هزوا ولعبا** بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعا **ذلك** اي الاستهزاء المذكور **بانهم** اي بسبب انهم **قوم لا يعقلون** فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزؤ به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة **قل** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المومنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين حتروه مما يصح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم بسبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة **يا اهل الكتاب** وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سياتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم **هل تنقمون منا** من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي ايضا لغة ما تعيبون وما تنكرون **الا ان آمنا بالله وما انزل الينا** من القرآن المجيد **وما انزل من قبل** اي من قبل تنزيله من التورية والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية **وان اكثركم فاسقون** اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه وانكاره والايمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم

بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا للنقمة مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اي ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون غير مومنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مومنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما اي ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وبانكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اي لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع اي ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقرئ بان المكسورة والجملة مستانفة مبنية لكون اكثرهم فاسقين متمردين **قل هل انبئكم بشر من ذلك** لما امر عليه السلام بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عليه السلام عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعي عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد وخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شان المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المسوقة الى المخبر بها والتنبئة المشعرة بكونه امرا خطيرا لما ان النبا هو الخبر الذي له شان وخطر وحيث كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة او اعتقادا او كان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بانقم من ذلك تحقيقا لشرية ما سيذكر وزيادة تقرير لها وقيل انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال عليه السلام اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبروا الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المعتقد على كمال شريته ليثبت ان دينهم شر من كل شر اي هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان في نفسه خيرا **مثوبة عند الله** اي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل **من لعنه الله وغضب عليه** خبر المبتدا المحذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اي دين من لعنه الخ او بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن اي بشر من اهل ذلك والجملة على التقديرين استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الجملة الاستفهامية اما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم واما باعتبار التقدير فيها فكانه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الخ او قيل في السؤال من ذا الذي هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات **وجعل منهم القردة والخنازير** اي مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع في منهم الى الموصول باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لانبئكم للقصد الى اثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم **وعبد الطاغوت** عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اي عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع انه الاصل

المستتبع لها في الوجود وانه لا دلالة على شريته بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الآثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم به واما للايذان باستقلال كل من المقدم والموخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ لربما فهم ان علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبدة الطاغوت وكذا اعبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على انه اصله عبدة حذفت تاوه للاضافة بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل ان من مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه اخلال النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كلام مقدمة سيقت امام المقصود لهز المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما تلقى اليهم عقيبها بالجملة حرية موافقة في الكيفية للسوال الناشي وهو المقصود افادته وعليه يدور فلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذي يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشا منها من السوال ليحصل به الالزام والتبكيت واما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولابد من موافقته في الكيفية للسوال الناشي من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السوال الناشي منها يستدعي وقوع الشر من تتمة المخبر عنه لا خبرا كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيد اتضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من اطاع في معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تاخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت انما هو شر مما نقموه دينهم او ان من هو شر من اهل ما نقموه انفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة الاثبات لدينهم ولا انفسهم عقب ذلك باثباتها لهم على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم جملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال وداخلة تحت الامر تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل **اولئك شر مكانا** فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا **واضل عن سواء السبيل** عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال **واذا جاءوكم قالوا آمنا** نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاءوكم اظهروا الاسلام **وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** اي يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يوثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول عليه السلام يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل **والله اعلم بما كانوا يكتمون** اي من الكفر وفيه وعيد شديد لهم **وترى** خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والروية بصرية **كثيرا منهم** من اليهود والمنافقين وقوله تعالى **يسارعون في الاثم** حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والروية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة في الشيء المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الى آخره لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل

الحرام

الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الآثام **والعدوان** اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي **واكلهم السحت** اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح **لبئس ما كانوا يعملون** اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار **لولا ينهاهم الربانيون والاحبار** قال الحسن رحمه الله الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض للذين يقتدى بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي اسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه **عن قولهم الاثم واكلهم السحت** مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما **لبئس ما كانوا يصنعون** وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها **وقالت اليهود** قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى بان كفروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء **يد الله مغلولة** وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسب تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه ممسك يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا ترى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما جاد الحمى بسطا اليدين بوابل تشكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال وغداة ريح قد شهدت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في كيفها بناء على طريقة المجاز من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا اولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم في سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء **غلت ايديهم** دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها في الآخرة فتكون المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره **ولعنوا** عطف على الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى **بما قالوا** اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر **بل يداه مبسوطتان** عطف على مقدر يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطوا به بكلتا يديهم وقيل للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على عطائه اكراما وعلى عطائه استدراجا **ينفق كيف يشاء** جملة مستانفة واردة لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه في غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكفرة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سياتي من قوله عز وجل ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق اي ينفق كائنا على مشيئته اي مريدا وترك ذكر ما ينفقه بقصد التعميم **وليزيدن كثيرا منهم** وهم علماؤهم ورؤساؤهم **ما انزل اليك** من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك **من ربك** متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المبتدأ ان يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى وانزل لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام **طغيانا وكفرا** مفعول ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم

العقد بمن اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة ان كلما نزلت اية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم
بحيث المقدار كان الطعام الصالح للاصحا يزيد المرضى مرضا **والقينا بينهم** اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية
وبعضهم مرجية وبعضهم مشبهة **العداوة والبغضا** فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم والجملة مبتداة مسوقة لازاحة ما
عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى اضرار المسلمين قيل العداوة اخص من البغضا لان كل عدو مبغض
بلا عكس كلي **الى يوم القيمة** متعلق بالقينا وقيل بالبغضا **كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله** تصريح بما اشير اليه من عدم وصول
غايلة ما هم فيه الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب
وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله تعالى عليهم بخت نصر
ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة
لنارا اي كاينة للحرب **ويسعون في الارض فسادا** اي يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم
مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد **والله
لا يحب المفسدين** ولذلك اطفا نايرة افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر
مقام الضمير للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد **ولو ان اهل الكتاب** اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب
الجنس المنتظم للتورية والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان تاكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا
محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى **آمنوا** محذوف ثقة بظهوره
مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وبما يحكى من قوله تعالى
ولو انهم اقاموا التورية اي لو انهم مع ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولا وفعلا امنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه الايمان
بهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه السلام خاصة فيأباه المقام لان ما ذكر فيما سبق وما حكي من
كفرهم به عليه السلام انما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام
مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الايمان هنا على الايمان به عليه السلام خاصة مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم **واتقوا** ما عددنا من
معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم **لكفرنا عنهم سيئاتهم** التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم
بها **ولادخلناهم** مع ذلك **جنات النعيم** وتكرير اللام لتاكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان
الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت كل حد معهود **ولو انهم اقاموا التورية والانجيل** بمراعاة ما فيهما من
الاحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي عليه السلام ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما يكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما
من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القران فليست مراعاة الكل من اقامتهما في شي **وما انزل اليهم من ربهم** من القران المجيد المصدق
لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله
الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل
اليهم كتب انبيا بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوة بالبشارة ببعثته عليه السلام **لاكلوا من
فوقهم ومن تحت ارجلهم** اي لوسع عليهم ارزاقهم بان نفيض عليهم بركات السما والارض او بان نكثر ثمرات الاشجار وغلال
الزرع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل
المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او
للقصد الى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتدا الغاية وفي جوابي الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من
الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على
ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شوم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض الاكرم **منهم امة مقتصدة** مستانفة مبنية

على سوال نشا من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفا الايمان والاتقا واقامة الكتب المنزلة
من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدا باعتبار مضمونه
اي بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اي بعض كاين منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الى اخره اي طايفة معتدلة
وهم المومنون منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طايفة حالهم امم في عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم **وكثير منهم** مبتدا تخصصه بالصفة خبره **سا ما يعملون** اي مقول في حقهم هذا القول اي بيس ما يعملون وفيه معنى التعجب
اي ما اسوا عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن
الاشرف واشباهه والروم **يا ايها الرسول** نودي عليه السلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما
امر به من تبليغ ما اوحي اليه **بلغ ما انزل اليك** اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كاينا ما كان وفي قوله تعالى **من
ربك** اي مالك امورك ومبلغك الى كمالك اللايق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلايته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا
خايف ان ينالك مكروه ابدا **وان لم تفعل** اي ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبي عنه قوله تعالى **فما بلغت رسالته**
فان ما لا يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اي فما بلغت شيا من رسالته وانسلخت
مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس اولى بالادا من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداها جميعا كما ان من
لم يومن ببعضها كان كمن لم يومن بكلها لادلا كل منها على ما يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا
غير مبلغ مومنا به غير مومن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك
قيل فكانك ما بلغت شيا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سوا في الشناعة واستجلاب
العقاب وقرى فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثني برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى **والله
يعصمك من الناس** فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له عليه السلام على الجد في تحقيق ما
امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من
قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله وقوله تعالى **ان الله لا يهدي القوم الكافرين** تعليل لعصمته تعالى له عليه
السلام اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة في تضاعيف الايات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل
قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول عليه السلام مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم
ولذلك اعيد الامر فقيل **قل يا اهل الكتاب** مخاطبا للفريقين **لستم على شي** اي دين يعتد به ويليق بان يسمى شيا لظهور بطلانه
ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراه **حتى تقيموا التورية والانجيل** اي تراعوهما وتحافظوا على
ما فيهما من الامور التي من جملتها دلايل رسالة الرسول عليه السلام وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما
المنسوخة فليست من اقامتهما في شي بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة
ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من احكامهما وان احكامهما ما قرره النبي عليه السلام الذي بشرا ببعثته وذكر في
تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى **وما انزل اليكم
من ربكم** اي القرآن المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع انها المقصودة بالذات
لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته
والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل
اليهم كتب انبيا بني اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها امرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التورية حق من عند الله

تعالى فقال عليه السلام بلى فقالوا فانا مومنون بها ولا نومن بغيرها فنزلت وقوله تعالى **وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا** جملة مستانفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماوهم ورؤساهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للانبا عن انسلاخهم عن تلك النسبة **فلا تاس على القوم الكافرين** اي لا تتاسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته ايلة اليهم وتبعته حايقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر **ان الذين آمنوا** كلام مستانف مسوق للترغيب من عدا المذكورين في الايمان والعمل الصالح اي الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطيها قلوبهم اولا **والذين هادوا** اي دخلوا في اليهودية **والصابئون والنصارى** جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتدا وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك له وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتدا كقوله تعالى والصابئون عطفا عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر والا لارتفع الخبران والابتدا معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة بتخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى **من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا** اما في محل الرفع على انه مبتدا خبره **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط وجمع الضماير الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعايد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما في قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوايف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللايق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا او المعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شان المخلصين او بطريق احداثه وانشايه كما هو حال من عداهم من المنافقين وساير الطوايف وفايدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تاخرهم في الاتصاف به غير محل بكونهم اسوة لاوليك الاقدمين الاعلام واما ما قيل المعنى من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة **لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل** كلام مبتدا مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وساير الشرايع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية **وارسلنا اليهم رسلا** ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم ويتعهدونهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى **كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم** جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سوال نشا من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب

الشرط

الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اوليك الرسل بما لا تحب انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرايع عصوه وعادوه وقوله تعالى **فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** جواب مستانف عن استفسار كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهايلة للتعجب منها وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤوس الاي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا واما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة يفسخ ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر آخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب حسبما يفيده جعلها استينافا على ابلغ وجه واكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كلامهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة **وحسبوا ان لا تكون فتنة** اي حسب بنو اسرايل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهيا والخطة الشنعا بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه **فعموا** عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا باس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعدما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة **وصموا** عن استماع الحق الذي القوه اليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذه اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرايل حين خالفوا احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشية عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤوهم بعده عليه السلام بعصا **ثم تاب الله عليهم** حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس فعمره ونجى بقايا بني اسرايل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا احسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن ابن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبيا فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت انه لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى **ثم عموا وصموا** وهو اشارة الى المرة الآخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليه السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان انحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضي بان المراد ما ذكرنا والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى **كثير منهم** بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدا محذوف اي اوليك كثير منهم **والله بصير بما يعملون** اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني اسرايل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب فعملوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد العقوبات والله

بصير بتفاصيلها فكيف لا يواخذهم بها ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله عليهم
بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوا والاول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس
فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرا التورية وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان
احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل الى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الاخرى من الافساد فبعث الله تعالى عليهم
الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرود وقيل خردوس فعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم
فوجد فيه دما يغلي فسالهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم
احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من
اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدا **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم** شروع في تفصيل قبائح
النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها فقيل هم الملكانية
والمار يعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا ان الله تعالى حل في ذات عيسى او اتحد به تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا **وقال المسيح** حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا
عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا **يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** فاني عبد مربوب مثلكم
فاعبدوا خالقي وخالقكم **انه** اي الشان **من يشرك بالله** اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية **فقد حرم الله عليه الجنة**
فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة
وماواه النار فانها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب **وما للظالمين من انصار** اي ما لهم
من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام اما للعهد
والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه موضع
الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه
السلام واما وارد من جهته تعالى تاكيدا لمقالته عليه السلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا
وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين
له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته
وبعده عن المعقول وانت خبير بان التعبير عما حكي عنه عليه السلام من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد
بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن الفايدة تصوير للقوي بصورة الضعيف
وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق لشانه عليه السلام من توهم المساعدة والنصر لاسيما
مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فان
زجره اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل
من الافادة والتاثير ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بالتهكم **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة** شروع في بيان كفر طائفة
اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع
الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة
وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله ويؤكده قوله
تعالى للمسيح انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة آلهة وهو المتبادر
من ظاهر قوله تعالى **وما من اله الا اله واحد** اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا
جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر

واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني
العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد لا اله الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة تعدد بوجه من الوجوه **وان لم**
ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى **ليمسن الذين كفروا** جواب قسم محذوف ساد جواب الشرط اي
والله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر ومن في قوله **منهم** بيانية اي ليمسن الذين
بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جي بالفعل المنبي عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما
ينحي عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زايد على ما كانوا عليه من اصل الكفر **عذاب اليم** اي نوع شديد
الالم من العذاب وهمزة الاستفهام في قوله تعالى **افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه** لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع
وفيه تعجيب من اصرارهم والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقايد الزايغة والاقاويل الباطلة
فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب عدم
الانتها وعدم التوبة معا ويسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما عدم
التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهايلة وقوله عز وجل **والله غفور رحيم** جملة حالية من فاعل يستغفرونه
موكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر
لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله **ما المسيح بن مريم الا رسول** استيناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان
حقيقة حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس
واخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار
على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى **قد خلت**
من قبله الرسل صفة لرسول منبية عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو الرسل الباقية عليه السلام منذر بخلوه المقتضي
لاستحالة الوهيته اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض اخر منها فان احيي الله الموتى على يده فقد
احيي العصا في يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل
ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشونه وافعاله **وامه صديقة** اي وما امه ايضا الا كسائر النسا اللاتي يلازمن
الصدق او التصديق ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما
بما لا يوصف به سائر الانبيا وخواصهم **كانا ياكلان الطعام** استيناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج
الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل **انظر كيف نبين لهم الايات** تعجيب من حال الذين يدعون
لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بل ما بين لهم حقيقة حالهم بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة في
حيز النصب معلقة لانظر اي انظر كيف نبين لهم الايات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال
ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماعها والتامل فيها والكلام فيه كما فيما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب
لاظهار ما بين العجيبين من التفاوت اي ان بياننا للايات امر بديع في بابه لاقاصي الغايات القاصية من التحقيق والايضاح
واعراضهم عنها مع انتفا ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع **قل** امر له عليه السلام بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه
من احوالهم **اتعبدون من دون الله** اي متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى **ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا** لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وايثاره على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من
الالوهية واشيا بيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشيا التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه السلام وان كان يملك
ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة وتقديم
الضر على النفع لان التحرز عن الضر اهم من تحري النفع ولان ادنى درجات التاثير رفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى **والله هو السميع**

العليم حال من فاعل اتعبدون مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون بالله تعالى
ما لا يقدر على شي من ضركم ونفعكم والحال ان الله هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم
عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم
في الدنيا والاخرة **قل يا اهل الكتاب** تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب على لسان النبي عليه السلام بعد ابطال مسلك
كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وارشادهم الى الامم المتنا **لا تغلوا في دينكم** اي لا تتجاوزوا الحد وهو في
النصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية الى
ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعا وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النسا فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكر ان الانجيل ايضا
ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى **غير الحق** نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا او حال من
ضمير الفاعل اي لا تغلوا مجاوزين الحق او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثنا المتصل وقيل على
المنقطع **ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل** هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين او من النصارى على القولين
قبل مبعث النبي عليه السلام في شريعتهم **واضلوا كثيرا** اي قوما ممن شايعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف
وضلوا عند بعثة النبي عليه السلام وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام **عن سوا السبيل** حين كذبوه وحسدوه وبغوا
عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع **لعن الذين كفروا** اي لعنهم الله عز
وجل وبنا الفعل للمفعول للجري على سنن الكبريا **من بني اسرائيل** متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله
تعالى **على لسان داود وعيسى بن مريم** متعلق بلعن اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت
دعا عليهم داود اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل
من المائدة عليه السلام عذابا لم يعذب به احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف
رجل ما فيهم امراة ولا صبي **ذلك** اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه
بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدا
خبره قوله تعالى **بما عصوا وكانوا يعتدون** والجملة مستانفة واقعة موقع الجواب عما نشا من الكلام كانه قيل باي سبب وقع
ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
وبني عليه قوله تعالى **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه** فانه استيناف مفيد بعبارته لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن
استمراره الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الاخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور
لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا
الهلال وقيل التناهي من لا يرجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجا امر
محقق قد انكروه ونعى سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الاية الاولى فيكون مضمون
الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجا امر محقق مفروضا قطعا فان عدم العباده امر مفروض حتما وقوله تعالى
ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدا والعامل فيها هو العامل في الاولى
مقيدا بها اي اي شي حصل لنا غير مومنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نومن على معنى انهم انكروا على انفسهم
عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المومنين وقيل معطوف على نومن وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور **فاثابهم
الله بما قالوا** اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فاتاهم **جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك جزا المحسنين** اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها
نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان

يعني

بمعنى الانتها يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه والجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتدا ومفيدة
لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفا النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته
استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى تقدير فما تفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في
تعلق النهي به لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما يتعلق به النهي والانتها من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان
من افراده على ان المضي المعتبر في الصفة انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى
تقدير المعاودة او المثل وجعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى **لبئس ما كانوا يفعلون** تقبيح لسوء اعمالهم
وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تشبيه بذلك لا دلالة على ان المعاودة كالنهي لا
يتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل والى جعل الفعل عبارة عن ارادته على
خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببيته له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا وان اجرا الحكم على الموصول مشعر
بعلية ما في حيز الصلة له لما ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا **ترى كثيرا منهم** اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف
واضرابه حين خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والروية بصرية وقوله تعالى **يتولون الذين كفروا**
حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وقيل من منافقي اهل الكتاب
يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم **لبئس ما قدمت لهم انفسهم** لبئس شيئا
قدموا ليردوا عليه يوم القيمة **ان سخط الله عليهم** هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على
كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شي واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخط الله تعالى ومحله الرفع على الابتدا والجملة قبله
خبره والرابط عند من يشترط هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدا او على انه خبر لمبتدا انبى عنه الجملة المتقدمة
كانه قيل ما هو واي شي هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية
لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشي شي قدمته
لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شي المحذوف وهذا مذهب سيبويه **وفي العذاب** اي عذاب جهنم **هم
خالدون** ابد الابدين **ولو كانوا** اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب **يومنون بالله والنبي** اي نبيهم **وما انزل اليه** من
الكتاب او لو كان المنافقون يومنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا **ما اتخذوهم** اي المشركين او اليهود **اوليا** فان الايمان بما ذكر
وازع عن توليهم قطعا **ولكن كثيرا منهم فاسقون** خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه
لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقتهم
في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمي اعتنا ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما
اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدا وخبر ومنصب الفائدة هو الخبر لا المبتدا ولا
ضير في التقديم والتاخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس
عداوة للمومنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وان تاخيرهما بانه يحصل من الدلالة على ذلك كيف لا
والافادة في الصورة الثانية اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتاخير اذ المعنى انك اذا قصدت ان تعرف من اشد
الناس عداوة للمومنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بما لديهم خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة
وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد تينك الطائفتين لا غير فتامل واللام الداخلة على
الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مونثة بالتا لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف
هو صفة لعداوة اي كائنة للذين امنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى

وقربهم الي التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم علي التمرد والاستعصا علي الانبيا والاجترا علي تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم
اليهود علي المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص
الناس علي حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص **ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا** اعيد الموصول مع صلته روما
لزيادة التوضيح والبيان **الذين قالوا انا نصارى** عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واودا اهل
الحق وان لم يظهروا اعتقاد احقية الاسلام وعلي هذه النكتة مبني الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيا واحدا قد تفاوتا فيه
بالشدة والضعف او بالتقرب والبعد بان يقال اجرا ولتجدن اضعفهم عداوة او بان يقال او لا يجدن ابعد الناس مودة للايذان
بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والاخر في اقرب مراتب النقيض الاخر **ذلك**
اى كونهم اقرب مودة للمومنين **بان منهم** اي بسبب ان منهم **قسيسين** وهم علما النصارى وعبادهم ورؤساهم والقسيس صيغة مبالغة
من تقسس الشي اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قال الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشي ومنه سمي
عالم النصارى لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه عجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل
ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس **ورهبانا** هو جمع
راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل انه يطلق علي الواحد وعلي الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل الاقبل
الرهبان بعدو ونزل والترهب المتعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة
الكثرة ولابد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل علي مودة جنس النصارى للمومنين فان اتصاف افراد كثيرة بجنس خصلة
مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الي ابن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قايمة
يتلون ايات الله انا الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الي جنس اليهود **وانهم**
لا يستكبرون عطف علي انهم اي وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة
شاملة لافراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمومنين واضحة وفيه دليل علي ان التواضع والاقبال علي العلم والعمل والاعراض
عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر **واذا سمعوا ما انزل الي الرسول** عطف علي لا يستكبرون اي وذلك بسبب انهم لا يستكبرون
ترى **اعينهم تفيض من الدمع** عند سماع القران وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الي قبول الحق وعدم اباءهم اياه
اى تمتلي بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط
البكا كانها تفيض بانفسها **مما عرفوا من الحق** من الاولى لابتدا الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتدا الفيض ونشا من معرفة
الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا
كله وفروا القران كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون واحاطوا بالسنة وقرى ترى اعينهم علي صيغة المبني للمفعول **يقولون**
استينافا مبني علي سؤال نشا من حكاية حالهم عند سماع القران كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون **ربنا امنا** بهذا او بمن انزل هذا
عليه او بهما وحال من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل
اخوانا **فاكتبنا مع الشاهدين** اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امته الذين هم شهدا علي الامم يوم القيمة وانما
قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك **وما لنا لا نؤمن بالله وما جانا من الحق** كلام مستانف قالوه تحقيقا لايمانهم
وتقريرا له بانكار سبب انتفايه ونفيه بالكلية علي ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شي
حصل لنا غير مومنين علي توجيه الانكار والنفي الي السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظايره
لا الي السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يومنون وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع
كما في تضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اضرب ابى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الاية

الثانيه وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجا امر محقق قد
انكر ونفي سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الي المسبب ايضا كما في الاية الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية محققا
فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجا امر محقق مفروض قطعا فان المراد عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله تعالى **ونطمع ان يدخلنا ربنا**
مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدا والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شي حصل لنا غير
مومنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نؤمن علي معنى انهم انكروا علي انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المومنين
وقيل معطوف علي نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور **فاثابهم الله بما قالوا** اى عن اعتقاد من قولك هذا قول
فلان اي معتقده وقرى فاتاهم **جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزا المحسنين** اي الذين احسنوا النظر والعمل
او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضروا القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم
فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم سورة مريم
فبكوا وامنوا **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم** عطف التكذيب بايات الله تعالى علي الكفر مع انه ضرب
منه لما ان القصد الي بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب **يا ايها الذين امنوا لا**
تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى علي الترهب ترغيب المومنين في كسر
النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الثبات اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها علي انفسنا
مبالغة منكم في العزم علي تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع
الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا علي ان لا يزالوا صايمين قايمين وان لا يناموا علي الفرش ولا
ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النسا والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام
واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت **ولا تعتدوا** اي ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الي ما حرم
عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتدا وظلما فنهي عن مطلق الاعتدا ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا
اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك **ان الله لا يحب المعتدين** تعليل لما قبله **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** اي ما احل
لكم وطاب مما رزقكم فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلقة بكلوا ومن ابتدائية وهو المفعول
وحلالا حال من الموصول او من عايده المحذوف او صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا او علي الوجوه كلها لو لم يقع الرزق علي الحرام لم يكن
لذكر الحلال فايدة زايدة **واتقوا الله الذي انتم به مومنون** توكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى
والانتها عما نهي عنه **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم** اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف علي شي يظن
انه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد قيل كانوا حلفوا علي تحريم الطيبات علي انه قربة فلما نزلت النهي قالوا فكيف بايماننا فنزلت
وعند الشافعي رضي الله عنه ما يبدو من المومن من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عايشة رضي الله عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم
او اللغو لانه مصدر او حال منه **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى
ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرى بالتخفيف وقرى عاقدتم بمعنى عقدتم **فكفارته** اي
فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها ان يكفر الخطيئة ويسترها واستدل بظاهره علي جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك
لقوله عليه السلام من حلف علي يمين وراى غيرها خيرا فلياتي الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه **اطعام عشرة مساكين من اوسط ما**
تطعمون اهليكم اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره
ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كاينا من اوسط ما تطعمون او الرفع علي انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرى

اهاليكم لسكون اليا على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلا **او كسوتهم** عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم يعني او كمثل ما يطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط **او تحرير رقبة** اي او اعتاق انسان كيف كان وشرط الشافعي رحمه الله فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف **فمن لم يجد** اي شيئا من الامور المذكورة **فصيام** اي فكفارته صيام **ثلاثة ايام** والتتابع شرط عندنا لقراة ثلاثة ايام متتابعات والشافعي لا يرى الشواذ حجة **ذلك** اي الذي ذكر **كفارة ايمانكم اذا حلفتم** اي وحنثتم **واحفظوا ايمانكم** بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل الاتي لا الى تبيين اخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله بيانا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع **يبين الله لكم اياته** اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا **لعلكم تشكرون** نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج **يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب** اي الاصنام المنصوبة للعبادة **والازلام** سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة **رجس** قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور والمضاف محذوف اي شان الخمر والميسر **من عمل الشيطان** في محل الرفع على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه سبب من تسويله وتزيينه **فاجتنبوه** اي الرجس او ما ذكر **لعلكم تفلحون** اي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل **انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر** وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة** اشارة الى مفاسدهما الدينية او الدنيوية او هما جميعا اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلاة بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصادر عنها كالصادر عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل **فهل انتم منتهون** ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية **واطيعوا الله واطيعوا الرسول** عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه **واحذروا** اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا **فان توليتم** اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما **فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه عليه السلام حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون

انفسهم

انفسهم **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح** اي اثم وحرج **فيما طعموا** اي تناولوا اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما انزل الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى **اذا ما اتقوا** واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من الماكول او المشروب كائنا ما كان اذا ما اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض اخر منه كما هو اللازم من الاول **وآمنوا وعملوا الصالحات** اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى **ثم اتقوا** عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق **وآمنوا** اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان **ثم اتقوا** اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ **واحسنوا** اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرير بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير اليه حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا لها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سياتي بتعضيد كلمة اذا ما لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير لاعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ او الوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظايره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكباير وبالثالث اتقاء الصغاير ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل **والله يحب المحسنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير **يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله** جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم **بشيء من الصيد** اي من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى **تناله ايديكم ورماحكم** فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه

برمحه فقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية والتاكيد
القسمي في ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان
النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل
الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفايدته التنبيه على ان من لم يثبت في مثل هذا كيف
يثبت عند شدايد المحن ومن في قوله من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته
بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظايم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور **ليعلم الله من يخافه** اي ليتميز الخائف من
عقابه الاخروي وهو غايب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك
بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل
فان علمه تعالى بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند
تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اي
ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة
فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قاله بعضهم
اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الآخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح
مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا للتخفيف وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد
ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض للصيد
بعد ما بينا انما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تمييز المطيع من العاصي **فله عذاب اليم** لما ذكر من انه
مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظايم المداحض
والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضي الله عنهما يوسع بطنه وظهره جلدا وينزع ثيابه **يا ايها الذين آمنوا**
شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى **لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم** مع كونه معلوما لا سيما من قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام
في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كردح جمع رداح
فالجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون **ومن قتله** اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين دون الذبح
للايذان بكونه في حكم الميتة **منكم** متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا منكم **متعمدا** حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه عالما
بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محذورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لما ان الاية نزلت في المتعمد كما مر من قصة
ابي اليسر ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن
سعيد بن جبير رحمه الله لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط التعمد في الاية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد
هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له
كفارة **فجزاء مثل ما قتل** برفعهما اي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني
على اضافته الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء مثل ما قتل
والمراد به عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي
تخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر
او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا
اذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى **من النعم** بيانا للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك

يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي ومن يرى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله
تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم انهم اوجبوا في
النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي الحمار الوحشي بقرة وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه
شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل
صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا واذا لم يكن ارادة الاول اجماعا تعينت
ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد الا ترى ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور
لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمته
مع ان المنصوص في امثاله انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم بحيث لم يعتبر تلك المماثلة القوية
مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا يعتبر ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة ماخذها
وتعسر المحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك في
مواقع الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول
انما هو قيمته لكن لا باعتبار ان يهدي الجاني اليها فيصرفها الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احد
الخصال الثلاث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف
له معتبر في ثاني الحال بناء على وصفه الاول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف
المفارق لا على الوصف اللازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سياتي باذن الله تعالى ومما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو
القيمة قوله عز وجل **يحكم به** اي بمثل ما قتل **ذوا عدل منكم** اي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى
النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك ناشئ من الغفلة
عما ارادوا بالمماثلة بل لان ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب المشاكلة والتضاف في بعض الاوصاف
والهيآت مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدي اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية
والارشاد الا المؤيدون بالقوة القدسية الا يرى ان الامام الشافعي اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من
المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة
امثال هذه الدقايق المغوصة الى راي عدلين من احاد الناس على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص
فبعدما عين بمقابلة كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة
الى حكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة وقيل بل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال
منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى **هديا** حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة او بدل من مثل فيمن
نصبه او من محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء **بالغ الكعبة** صفة لهديا لان
الاضافة غير حقيقية **او كفارة** عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدا محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله
تعالى **طعام مساكين** عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدا محذوف اي هي طعام مساكين
وقوله تعالى **او عدل ذلك صياما** عطف على طعام كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام
بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما
الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها بدلا من الآخرين هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى
حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام فالالتجاء الى القياس على الهدي تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع
وعلى سائر القراءات فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين

بالاضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او المفتوح تسميه
بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي
يوسف وللحكمين عند محمد رحمه الله ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق وقيل بفعل يدل
عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي
ينال في العاقبة من سوء عمل لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمروه للعدة عفا الله
عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان تبينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم يتعبدون بشرائع
من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدا محذوف تقديره
فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفا لقوله تعالى فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي فذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن
كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الاخرة واما الكفارة فعن عطا وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن انها
واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد
فينتقم ممن اصر على المعصية والاعتدا احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا وهو
ما لا يعيش الا في الما ماكولا او غير ماكول وطعامه اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما
يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يوكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية عنده احل
لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه متاعا لكم نصب على
انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب عليه السلام اي احل
لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم ياكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر موكد لفعل مقدر اي متعكم به
متاعا وقيل موكد لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بنا الفعل
للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الما في بعض الاوقات كطير الما ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ
بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمر وابن عباس رضي الله
عنهما وعن ابي هريرة وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه
وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد
غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها
ذلك الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجا اليه جعل الله الكعبة قال مجاهد
سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البنا وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها وقوله تعالى البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما يجي الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس نصب على
الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول كما سيجي بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشا والخلق وهو حال كما
مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف
ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع اعل عينه بما اعل في
فعله والشهر الحرام اي الذي يودى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني
محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت
بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبها الحج اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام
وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اي شرع لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لرفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية

مع اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شي من علمه المحيط وقوله تعالى وان الله بكل شي عليم تعميم اثر تخصيص للتاكيد
ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شي الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال
التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على ذلك وقوله تعالى وان الله غفور رحيم
وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ تشديد
في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر
لكم من بعد ذلك في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيواخذكم نقيرا او قطميرا قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام
في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير
عن رديها وان كان سبب النزول ابن ضبيعة البكري الذي مر قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الخ
وقيل نزل في رجل سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اجمر كانت تجارتي واني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال
ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل
الا الطيب وقال عطا والحسن رضي الله عنهما الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان
القصور الذي ينبي عنه عدم الاستوا فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستوا بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز
اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير الى غير
ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما ان صلته ملكة بصلة المفضول ولو
اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرك كثرة الخبيث والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي عليه السلام بخطابهم والواو لعطف الشرطية
على مثلها المقدرة وقيل للحال ولو بمعنى ان اي ولو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان
وكائنين على كل حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اسا اليك اي احسن اليه ان لم يسي اليك وان اسا اليك اي كائنا
على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشي اذا تحقق مع المعارض فلان
يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما
قبلهما عليه وسياتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولي الالباب اي في تحري الخبيث وان كثر وآث
روا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما
كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا هو اسم جمع على راي
الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفا وقصبا واصله شيا بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار
وزنها لفعا ومنعت الصرف لالف التانيث الممدودة وقيل جمع شي على انه مخفف من شيي كهين مخفف من هين والاصل اشيا
كاهوينة افعلا فاجتمعت همزتان اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشيا فوزنها افلا ومنعت الصرف كالف
التانيث وقيل انما حذفت من اشيا اليا المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت اليا المكسورة لتسلم الالف الجمع فوزنها
افعا وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة للاشيا داعية الى الانتها عن السوال عنها وحيث كانت المساواة في هذه الشرطية
متعلقة بابدائها لا بالسوال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السوال عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل وان
تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم اي تلك الاشيا الموجبة للمساة بالوحي كما ينبي عنه تقييد السوال بحين التنزيل والمراد
بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير
فيه فكما ان السوال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السوال عن التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد
لاساتهم الادب واجترائهم على المسالة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشانهم من الاستسلام وعن تلك المتة لامر الله تعالى من
غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا مسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم

ان اقتاكم الله وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوا بها وتحو لبعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك ماروي عن علي كرم
الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فحمد الله واثني عليه ثم قال ان الله تعالي كتب عليكم الحج فقام رجل من بني
اسد يقال له عكاشه بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال في كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتي اعاد مسئلته ثلث مرات
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ويحك وما يومنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم
فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم علي انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم
عن شي فاجتنبوه ومثل ماروي عن انس وابي هريرة رضي الله عنه انه سال الناس رسول الله صلي الله عليه وسلم عن اشيا حتي احفوه في المسالة
فقام عليه السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالي واثني عليه وقال سلوني فوالله لا تسالوني عن شي ما دمت في مقامي هذا الا بينته
لكم فاشفق اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس رضي الله عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا
احد رجلا الا وهو لاف راسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافه وكان اذا لاحي الرجال يدعي
الي غير ابيه وقال يا نبي الله من ابي فقال عليه السلام ابوك حذافه بن قيس الزهري وقام اخر فقال اين ابي قال عليه السلام في النار
ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالي ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله تعالي من الفتن انا حديثو عهد
بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه عليه السلام **عفا الله عنها** استيناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن بمجرد
صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم علي الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفي
وضمير عنها للمسالة المدلول عليها بلا تسالوا اي عفا الله تعالي عن مسائلكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء لمسالتكم
وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية لسائر مسائلكم فلا تعودوا الي مثلها واما جعله صفة اخرى لاشيا علي ان الضمير لها بمعني لا تسالوا
عن اشيا عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو
وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما
ضروري الانتفا قطعا علي انه يستدعي اختصاص النهي بمسالة الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق
للنهي عن السؤال عن الاشيا التي يسوؤهم عقوبة وتشديدا كمسئلة الحج لولا عفوه تعالي عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل
السؤال الموجبة للمساءة بالاخبار بها كمسئلة من قال اين ابي ان قلت تلك الاشيا غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب
المسرة ايضا لان ايجابها للاول ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليست احدي الحيثيتين محققة
عند السايل وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلم عبر عنها بحيثية ايجابها للمساءة
قلت لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تاكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية
ايجابها للمسرة ولا حيثية ايجابها للمسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن
تلك الاشيا الموجبة للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابدا عن السؤال في مسئلة الحج حيث لم يفرض في كل عام
قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد
ولا تخلف فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشي فيما اذا كان السؤال عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة
واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتسني لان ما يتعلق به الابدا هو الذي وقع في نفس الامر له سواء كان السؤال
قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسالة عبد الله بن حذافه فيكون هو الذي يتعلق به الابدا الاخير
فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشيا الموجبة
للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا ما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين
حتي يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشيا
التي توجب ابداؤها المساءة البتة اما بان يكون تلك الاشيا بعرضية الوقوع فتنبدي عن السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا

كما في صورة كونها من قبيل التكاليف فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشا توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء
علي عدم امتياز ما هو موجود من تلك الاشيا في نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود وعدمه
وفايدة هذا الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشيا علي الاطلاق حذارا بدا المكروه **والله غفور حليم** اعتراض تذييلي مقرر لعفوه
تعالي اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يواخذكم بعقوبة ما فرط منكم **قد سالها قوم** اي سالوا
هذه المسئلة لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير **من قبلكم** متعلق بسالها
ثم اصبحوا بها اي بسببها او بمرجوعها **كافرين** فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم في اشيا فاذا امروا بها تركوها فهلكوا **ما**
جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا انتجت الناقة خمسة
ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ما ولا مرعي وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او
بريت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما
ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثي فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثي قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر
لالهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ما ولا مرعي ومعني ما جعل ما شرع
وما وضع ولذلك عدي الي مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتاكيد النفي فان الجعل التكويني كما يجي تارة متعديا الي
مفعولين واخرى الي واحد كذلك الجعل التشريعي يجي مرة متعديا الي مفعولين كما في قوله تعالي جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس واخرى الي واحد كما في الاية الكريمة **ولكن الذين يفترون علي الله الكذب** بفعلهم ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا واما
مهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل الباطلة هذا شان رؤسائهم وكبارهم **واكثرهم** وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من
معاصري رسول الله صلي الله عليه وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم **لا يعقلون** انه افترا باطل حتي يخالفوهم ويهتدوا الي
الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصورهم وعجزهم عن الاهتدا بانفسهم وقوله تعالي **واذا قيل لهم** اي للذين
عبر عنهم باكثرهم علي سبيل الهداية والارشاد **تعالوا الي ما انزل الله** من الكتاب المبين للحلال والحرام **والي الرسول** الذي انزل
هو عليه لتقفوا علي حقيقة الحال وتميز الحرام عن الحلال **قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا** بيان لعنادهم واستعصائهم علي الهادي
الي الحق وانقيادهم الداعي الي الضلال **اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون** قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار
والتعجب اي احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف علي شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الظاهر والتقدير احسبهم
ذلك او يقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم لا يعلمون شيا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتاهما في
موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم كائنا علي كل حال مفروض وقد حذفت الاولي في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها
دلالة واضحة كيف لا وان الشي اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولي وعلي هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من
المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون
ذلك وما في لو من معني الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الي زعمهم لا الي نفس الامر وفايدته المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان
ان ما قالوه موجب للانكار والتعجب اذا كان كون اباءهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب
فيه وقيل مال الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وانت خبير بان الحال علي الوجه الاخير مجموع الجملتين لا
الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالي اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون فتدبر **يا ايها**
الذين امنوا عليكم انفسكم اي الزموا امر انفسكم واصلاحها وقري بالرفع علي الابتدا اي واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل **لا يضركم**
من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم علي انه جواب للامر او نهي موكد له وانما ضمت الرا اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الرا المدغمة
اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الرا وقراءة من قرا لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع علي انه
كلام مستانف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرا لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا [illegible] ان فيه

رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر عن المنكر حسبما تفي الطاقة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
وقد روي ان الصديق رضي الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر
ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا الخ فيقول احدكم علي نفسي والله لتامرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم
شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه عليه السلام ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم
يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تعالى ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة
وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له
سفهت اباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان ضلال ابائه لا يضره ولا يشينه **الى الله** لا الى احد
سواه **مرجعكم** رجوعكم يوم القيامة **جميعا** بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم **فينبئكم بما كنتم تعملون** في الدنيا
من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره **يا ايها الذين آمنوا** استيناف مسوق
لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية
بمضمونه وقوله عز وجل **شهادة بينكم** بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من
الخصومات مبتدأ وقوله تعالى **اذا حضر احدكم الموت** اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن
الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله تعالى **حين الوصية** بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا له
بحضوره كما قيل وفي الابدال تنبيه على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى **اثنان**
خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة بينكم شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد
بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل
في اثنان ايضا اي ليقم شهادة اثنان **ذوا عدل منكم** اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو
اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان **او اخران** عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة اخرين
او ان يشهد بينكم اخران او ليقم شهادة بينكم اخران وقوله تعالى **من غيركم** صفة لاخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل
من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لاسيما في سفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا
ذوي عدل منكم **ان انتم** مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا راي الجمهور من
البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا فقوله
تعالى **ضربتم في الارض** اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا او مرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله
تعالى **فاصابتكم مصيبة الموت** عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ
وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد اخران او فاستشهدوا
اخرين او فالشاهدان اخران كذا قيل والاسد تقديره ما سبق اي فاخران على معنى شهادة بينكم شهادة اخرين او فان يشهد
اخران على الوجه المذكور ثم قوله تعالى **تحبسونهما** استيناف وقع جوابا عما نشا من اشتراط العدد الذي كانه قيل فكيف
نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف **من بعد الصلوة** وقيل هو صفة لاخران
والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فايدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب واهل الاسلام واما اشهاد الاخرين فعند
الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس بالاخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما
بذلك يأباه مقام الامر باشهادهما اذ مآله فاخران شانهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما

كما يفيده

يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه حلف من حلف كما سياتي وقيل بعد اي صلوة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب
والزور ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر **فيقسمان بالله** عطف على تحبسونهما وقوله تعالى **ان ارتبتم** شرطية محذوفة الجواب
لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف
بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل **لا نشتري به ثمنا**
جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الاخر كما هو الواقع غالبا فان
ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمنك ولا ريب في
استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلامهما وقد عرفت ان الشرط من جهته تعالى والاشتراء هو الاستبدال السلعة
بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون
السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في الماخوذ والاعراض عن الزائل
كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله
والمعنى لا ناخذ لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين
لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا ناخذ بدلا منها عرضا من
الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق
او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف
لحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه
وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان
له ههنا حتى يصح التبري منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق
ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعل ما اخذ باستعماله ماخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة
وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتامل وقوله تعالى **ولو كان** اي المقسم
له المدلول عليه بفحوى الكلام **ذا قربى** اي قريبا منا تاكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كانهما قالا لا ناخذ
لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت
اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا نشتري به
ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخ وقوله تعالى **ولا نكتم شهادة الله** اي الشهادة
التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل في حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على
حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن **انا اذا لمن الاثمين** اي ان كتمناها وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها **فان عثر** اي اطلع بعد التحليف **على انهما استحقا اثما** حسبما
اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الاثمين اي فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه
من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سياتي **فاخران** اي رجلان اخران وهو مبتدأ خبره **يقومان مقامهما** ولا محذور في
الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد
بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز
كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما **من الذين استحق** على البناء للفاعل قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله عنهم اي من

اهل البيت الذي استحق **عليهم الاوليان** من بينهم اي الاقربان الي الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه
ومفعول استحق محذوف اي استحقه عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانه احقهما ويظهر ابهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الاخران
القايمان مقام الاولين علي وضع المظهر مقام المضمر وقرئ علي البنا للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جني
عليهم وهم اهل البيت وعشيرته فالاوليان مرفوع علي انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هم فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير في
يقومان او من اخران وقد جوزا ارتفاعه باستحق علي حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة وقرئ للاولين
علي انه صفة للذين اي مجرور او منصوب علي المدح ومعني الاولية التقدم علي الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين
علي التثنية وانتصابه علي المدح وقرئ الاولان **فيقسمان بالله** عطف علي يقومان **لشهادتنا** المراد بالشهادة اليمين كما في قوله
تعالى فشهادة احدهما اربع شهادات بالله اي ليميننا علي انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونه حقه صادقة في نفسها **احق**
بالقبول **من شهادتهما** اي من يمينهما مع كونه كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة
فصيغة التفضيل مع انه لا حقيقة في يمينهما راسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعا تملكها لما ظهر في
ايديهما **وما اعتدينا** عطف علي جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق في غير موضعه او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما **انا اذا لمن**
الظالمين استيناف مقرر لما قبله انا اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة
اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعني النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد علي وصية عدلين من ذوي نسبه او
دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما علي انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا
بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك علي كذبهما بان ظهر بايديهما شي من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم
ولعل تخصيص الاثنين بخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن يزيد خرجا الي الشام للتجارة وكانا حينئذ
نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه
وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصي اليهما بان يدفعا متاعه الي اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه انا من فضة وزنه ثلاث
مائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الي اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا لا ما ندري انما
وصي الينا بشي وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين
امنوا الاية فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا علي
ذلك فخلى عليه السلام سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال لمن بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ
ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما
كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الاية فقام عمرو بن العاص
والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية والي اولياء الميت واعلم انهما
ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف علي البتات والا فهو منسوخ **ذلك** كلام مستانف سيق
لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد علي مقتضي الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله **ادني ان ياتوا بالشهادة**
علي وجهها اي اقرب الي ان يؤدي الشهود الشهادة علي وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب
الاخروي وهذه كما تري حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى **او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم** بيان
لحكمة شرعية رد اليمين علي الورثة معطوف علي مقدر ينبي عنه المقام كانه قيل ذلك ادني ان ياتوا بالشهادة علي وجهها ويخافوا عذاب الاخرة
بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح علي رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية
اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصد الذي هو الاتيان بالشهادة علي وجهها وقيل هو عطف علي ياتوا علي معني ان ذلك اقرب الي
ان ياتوا بالشهادة علي وجهها او الي ان يخافوا الافتضاح برد اليمين علي الورثة فلا يحلفوا علي موجب شهادتهم ان لم ياتوا بها علي وجهها

فيظهر

فيظهر كذبهم بنكولهم واما ما قيل من ان المعني ان ذلك اقرب الي احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة
علي الصدق والامتناع عن اداىها الكذب فياباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الي الجواب به
فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتي يتوسط
بينهما كلمة او وانما يتاتي ذلك في شهود لم يتهموا بخيانة علي ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الي خوف رد اليمين علي الورثة
وتسبب الاتيان بالصادقة الي غيره مع ان ما يقتضي احدهما يقتضي الاخر لا محالة تحكم بحت فتامل **واتقوا الله** في مخالفة احكامه التي
من جملتها هذا الحكم **واسمعوا** ما تومرون به كاينا ما كان سمع طاعة وقبول **والله لا يهدي القوم الفاسقين** الخارجين عن
الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين الي طريق الجنة او الي ما فيه نفعهم **يوم يجمع الله**
الرسل نصب علي انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية والمظروفية
ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لانتقال الذهن من المبدل منه الي البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشيا
كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الي الذهن ان المتقي اي شي من شونه واي فعل من
افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله يوم الخ يجوز انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب
بمضمر معطوف علي اتقوا وما عطف عليه اي واحذروا او اذكروا يوم الخ فان تذكير ذلك اليوم الهايل مما يضطرهم الي تقوى الله
عز وجل وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الي طريق الجنة كما يهدي اليه
المومنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل موخر قد حذف للدلالة علي
ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل
ويقول الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد
التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد
قال الله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم بل لابانة شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الي التصريح بجمع غيرهم بناء علي
ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يحشرون علي
وجه الاجلال واولئك يسحبون علي وجوههم بالاغلال **فيقول** لهم مشيرا الي خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب
عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعراضا واضحا والاصدار الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل **ما**
ذا اجبتم عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب علي المصدرية والاجابة اي اي اجابة اجبتم من جهة الامم اجابة قبول او اجابة
رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلي التقديرين فمعني توجيه السؤال عما صدر
عنهم وهم شهود الي الرسل عليهم السلام كسؤال الموودة بمحضر من الوايد والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا
من الابناع كمال تحقير شانهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفي **قالوا** استيناف مبني علي سؤال نشا من سوق الكلام كانه قيل
ماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون **لا علم لنا** وصيغة الماضي للدلالة علي التقرر والتحقق كما في قوله تعالى
ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظايرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الي علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من
جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته **انك انت علام الغيوب**
تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروا في قلوبهم وفيه اظهار للشكاة ورد للامر الي علمه تعالى بما لقوا
من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجا الي ربهم في الانتقام منهم وقيل المعني لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة
ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفي عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم علي الحق ثم
صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم عقولهم
بالشهادة علي اممهم ولا يلايمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب علي النداء او

الاختصاص بالمدح علي ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انك انت المنعوت بنعوت كالك المعروف بذلك **اذ قال الله يا عيسى
ابن مريم** شروع في بيان ما جرى بينه وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة علي التفصيل اثر ما جرى بينه تعالي وبين الكل علي
وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شان عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر
الرسل عليهم السلام مع دلالتها علي كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شانه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين
من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وادخل في اعضاد هم
وداخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة علي تحقق الوقوع واظهار الاسم
الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة علي في قوله تعالي **اذكر نعمتي عليك وعلي والدتك** متعلقة بنفس النعمة
ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام
يومئذ بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام
عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله تعالي اعتدادا بها وتلذذا بذكرها
علي رؤس الاشهاد وليكون حكاية ذلك انباء عند النظم الكريم توبيخا ومزجرة للكفرة المختلفين في شانه عليه السلام افراطا وتفريطا
وابطالا لقولهما جميعا اذ ايدتك ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت تاييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تاييد
لك وقرئ ايدتك والمعني واحد اي قويتك **اذ ايدتك بروح القدس** بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين
واضافته الي القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الاثام او يحيى به الموتى والنفوس حيوة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها
طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة
نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما **تكلم الناس في المهد وكهلا** استيناف مبين لتاييده عليه السلام او حال من الكاف
وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان علي نسق واحد بديع صادر عن كمال العقل
مقارن لرزانة الراي والتدبير وبه استدل علي انه عليه السلام سينزل من السما لما انه عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس
ارسله الله تعالي وهو ابن ثلثين سنة ومكث في رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله تعالي اليه **واذ علمتك** عطف علي قوله تعالي اذ ايدتك
منصوب بما نصبه اي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك **الكتاب والحكمة** اي جنسهما **والتورية والانجيل** خصا بالذكر مما تناوله
الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب **واذ تخلق من الطين كهيئة الطير** اي تصور
منه هيئة مماثلة لهيئة الطير **باذني** وتيسيري لا علي ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل علي ان يظهر ذلك علي يده
عليه السلام عند مباشرة الاسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالي كما ينبي عنه قوله تعالي **فتنفخ فيها** اي في الهيئة المصورة
فتكون **فتكون** اي تلك الهيئة **طيرا باذني** فان اذنه الله تعالي لم يكن عبارة عن تكوينه تعالي للطير بل عن محض تيسيره مع صدور
الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا التكوين من جهة الهيئة وتكرير قوله باذني في الطين مع كونه شيئا واحدا للتنبيه علي ان كلا
من التصوير والنفخ امر معظم بديع لا يتيسر ولا يترتب عليه شي الا باذنه تعالي **وتبرئ الاكمه والابرص باذني** عطف علي تخلق
واذ تخرج الموتي باذني عطف علي اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتي من قبورهم لا سيما بعد ما صارت رميما معجزة باهرة وحليلة
حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتنا بتحقيق
الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى عليه السلام بل من جهته عليه السلام سبحانه قد اظهرها علي يديه معجزة له ونعمة
خصها به واما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم **واذ كففت بني اسرائيل عنك** عطف
علي اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك **اذ جئتهم بالبينات** بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر
كالاخبار بما كلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجي بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالي
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين فانه قولهم ذلك مما يدل علي انهم قصدوا اعتناءه عليه السلام المحوج الي الكف اي

كففتهم

كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لما في حيز الصلة فكلمة من
بيانية وهذا اشارة الي ما جاء به والتذكير لان اشارتهم الي ما رواه من نفس المسمي من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمي
بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر مبين فهذا حينئذ اشارة الي عيسى عليه السلام **واذ اوحيت الي الحواريين** عطف علي ما قبله من اخواته
الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة عين ما يفيده الجمل التي اضيف اليها تلك الظروف من التاييد
بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان مبني عن غاية الاحسان امر بذكرها
من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد
النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه احداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد
افادة وقوعها ايضا له فيضاف الي الجملة المفيدة للنسبة الاولي ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة
بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذ احسنت الي تريد تنبيه المخاطب علي وقوع احسانك اليه وقت
وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك من المعصية
تريد تنبيهه علي كون منعه منها احسانا اليه لا علي احسان اخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالي
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا الاية وقوله تعالي يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم عنكم الي غير ذلك من النظاير ومعني ايحائه تعالي اليهم امره تعالي اياهم في الانجيل علي لسانه عليه السلام
وقيل الهامه تعالي اياهم كما في قوله تعالي واوحينا الي ام موسى وان في قوله تعالي **ان امنوا بي وبرسولي** مفسرة لما في الايحاء من معني
القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه الايمان عليه السلام كانه قيل امنوا بوحدانيتي في الالوهية
والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيز خطاولا رفعا وقوله تعالي **قالوا** استيناف مبني علي سؤال نشا من سوق الكلام
كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا **امنا** اي بما ذكر من وحدانيته تعالي وبرسالة رسوله كما يوذن به قولهم **واشهد
باننا مسلمون** اي مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضي وحيه تعالي وامره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر
النعم الفائضة عليه عليه السلام وكذلك نعمة علي والدته ايضا روي انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر بذكرها تلك النعم
العظام جعل يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسي بيت
اذ قال الحواريون كلام مستانف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبي عنه الاظهار
في موقع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه
السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالي واتقوا الله الاية فتامل كانه قيل
للنبي عليه السلام عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقال المعدودة من نعم الله تعالي الفائضة علي عيسى عليه السلام اذكر
للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه علي ان ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده
يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السما اختلف في انهم هل كانوا مومنين او لا وقيل كانوا كافرين شاكين
في قدرة الله تعالي علي ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوي الايمان والاخلاص وقيل كانوا مومنين وسؤالهم
للاطمينان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل
الاستطاعة علي ما تقتضيه الحكمة والارادة لا علي ما تقتضيه القدرة وقيل المعني هل يستطيع ربك بمعني هل يجيبك له
واستطاع بمعني اطاع كاستجاب بمعني اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعني هل تسأله ذلك من غير صارف
يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ وسعيد بن جبير في اخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده
اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيد هي فاعلة بمعني مفعوله كعيشة راضية
قال استيناف مبني علي سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال **اتقوا الله**

اي من امثال هذا السؤال **ان كنتم مومنين** اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعا الايمان والاسلام
فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى لتصير ذلك ذريعة لحصول المسؤل
كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة **قالوا**
استيناف كما سبق **نريد ان ناكل منها** تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه على
تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع **وتطمئن قلوبنا**
بكمال قدرته تعالى وان كنا مومنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازديادا لطمانينة وقوة
اليقين **ونعلم** اي علما يقينا لا يحوم حوله شائبة بشبهة اصلا وقري تعلم على البنا للمفعول **ان قد صدقتنا** ان هي المخففة
من ان وضمير الشان محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوة النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل **ونكون**
عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المومنين منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا ويومن
بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون
عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اي شي يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم
كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين **قال عيسى بن مريم** لما راى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم
لا يقلعون عنه اذ مع على اشتهائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى
ركعتين فطاطا راسه وغض بصره ثم قال **اللهم ربنا** ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع
الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبية عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعا **انزل علينا** تقديم الظرف
على قوله تعالى لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى **من السما** متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة
اي كائنة من السما نازلة منها وقوله تعالى **تكون لنا عيدا** في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما
عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضمير
تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل
العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقري تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا
يرثني خلا ان قراة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ **لاولنا واخرنا** بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا
ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤسا منا والاتباع وقيل ياكل منها اولنا واخرنا
وقري لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة **واية** عطف على عيدا **منك** متعلق بمحذوف هو صفة لاية اي كائنة منك
دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي **وارزقنا** اي المائدة او الشكر عليها **وانت خير الرازقين** تذييل جار مجرى التعليل اي
خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعا بتكرير الندا المنبي عن كمال الضراعة
والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مومنين
وان سؤالهم كان لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم لما ذكروه ولما
اضاف اليه من عنده ما يوكده ويقربه الى القبول **قال الله** استيناف كما سلف **اني منزلها عليكم** ورود الاجابة منه تعالى
بصيغة التفعيل المنبية عن التكثير مع كون الدعا منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما
في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله تعالى لئن انجانا من هذه الى اخره مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة
السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجز له لا محالة من غير صارف
يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي انا منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقري بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد
فمن يكفر بعد اي بعد تنزيلها **منكم** متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر **فاني اعذبه** بسبب كفره بعد معاينة هذه الاية الباهرة

مائدة

عذابا

عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان
يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى **لا اعذبه** في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب
مثل ذلك التعذيب **احدا من العالمين** اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان
يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن رحمه الله والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير
الايمة انها قد نزلت روي انه عليه الصلاة والسلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمرا نزلت بين غمامتين من فوقها
وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة
للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا
فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على
واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح
الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شي اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم
الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها
عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقرا
والاغنيا والكبار والصغار ياكلون حتى اذا فا الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض
الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقرا والمرضى دون الاغنيا والاصحا فاضطرب
الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس
ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام
وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسئلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا
انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة
احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكلوا منها اخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السما والارض
عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السما سمكة فيها طعم كل شي وقال
الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شا الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من
لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى الكفر فمسخوا خنازير فمكثوا ثلثة
ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ **واذ قال الله يا عيسى بن مريم** معطوف على اذ قال الحواريون
منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي عليه السلام او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له
عليه السلام في الاخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤوس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة
الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع **اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين** الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين
ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من
ايلا الهمزة المبتدا على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى اانت فعلت هذا بالهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ
والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام ام من تلقا انفسهم كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله تعالى
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتاتى
التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات
التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام ومريم عليها السلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فقد تاه انهم يتخذونهما في بعض الاشيا الهين

مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من تعمق فقال ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كداب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التاويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المستند الى عيسى عليه الصلاة والسلام **قال** استيناف مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا **سبحانك** سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه ومن جهة المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك واما تقديره من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى **ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق** استيناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقول وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفا الحقية وافادة التاكيد بما في خبرها من البا فان اسمها ضمير والعايد الى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحو قوله تعالى **ان كنت قلته فقد علمته** استيناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم **تعلم ما في نفسي** استيناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى **ولا اعلم ما في نفسك** بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى **انك انت علام الغيوب** تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله تعالى **ما قلت لهم الا ما امرتني به** استيناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفا صدور جميع الاقوال المغايرة للمامور به فدخل فيه انتفا صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى **ان اعبدوا الله ربي وربكم** تفسير للمامور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقا الموصول بلا عايد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني **وكنت عليهم شهيدا** رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان **ما دمت فيهم** ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان ودمت صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم **فلما توفيتني** بالرفع الى السما كما في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي فانه التوفي اخذ الشي وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها **كنت انت الرقيب عليهم** لا غيرك فان انت ضمير الفصل او تاكيد وقرى الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسول والايات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا **وانت على كل شي شهيد** اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقه لشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة **ان تعذبهم فانهم عبادك** وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك **وان تغفر لهم فانك انت العزيز** اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب **الحكيم** الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فريقين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من آمن منهم **قال الله** كلام مستانف ختم به حكاية ما حكى مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته وماله اي يقول الله سبحانه يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر مرارا

في

في نظايره وقوله تعالى **هذا** اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدا خبره ما بعده اي هذا اليوم الذي حكي بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا **يوم ينفع الصادقين** بالرفع والاضافة وربما والمراد بالصادقين كما ينبي عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرايع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك وبه يحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اي شي كان ضرورة ان الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه **صدقهم** اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزا مما لا وجه له وهذه القراة هي التي اطبق عليها الجمهور وهي اللايق بسياق النظم الكريم وسياقه وقد قرى يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال فهذا حينئذ اشارة الى قوله اانت قلت الخ واما على انه خبر لهذا فهو حينئذ اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اي هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع اه او الى السوال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف الى متمكن وقرى يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي الاية **لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا** استيناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دايم وثواب خالد وقوله تعالى **رضي الله عنهم** استيناف اخر لبيان انه عز وجل افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبي عنه وقوله تعالى **ورضوا عنه** اذ لا شي اعز منه حتى يمتد اليه اعناق هممهم **ذلك** اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل **هو الفوز العظيم** لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان المطلوب الذي تعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله تعالى **لله ملك السموات والارض وما فيهن** تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اي لله تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلا وغيرهم يتصرف فيها كيف يشا ايجادا واعداما واحيا واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشي من الاشيا مدخل في ذلك وفي ايثار ما على من المختصة بالعقلا على تقدير تناوله للكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصه بغير العقلا تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم **وهو على كل شي** من الاشيا **قدير** مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المايدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله** تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضا اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع افرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبي عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظايم الاثار وجلايل الافعال من قوله عز وجل **الذي خلق السموات والارض** للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار افعاله العظام والاية الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الاثار العلوية والسفلية وعامة الالا الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والافاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشاهما على ما هما عليه من النمط الفايق والطراز الرايق منطويين من انواع البدايع واصناف الروايع على ما تتحير فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والاثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف اثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هي **وجعل الظلمات والنور** عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا

بخلق منشا هما ومحلهما داخل معه في حكم الاشعار بعلية الحمد فكما ان خلق السموات والارض ومافيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة
موجب لاختصاص الحمد بجاعلهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما
والجعل هو الانشا والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشا التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الاية الكريمة
وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الاية واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشي اخر بان يكون فيه اوله اومنه اونحو
ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شي من الظروف لغوا كان اومستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا كما في قوله تعالى
وجعل بينهما برزخا وقوله عز وجل وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الاية فان كل واحد من هذه الظروف واما
متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه
عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في
الحقيقة قيد باحدى الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هنالك
الى ان الذي يقتضي به الذوق السليم وتقتضيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول
الثاني هو خليفة والاول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على
التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين الفريقين وقوله تعالى ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما تحقق
في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما تقتضي ببطلانه بديهة
العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة الموجبة لقصر
الحمد والعبادة عليه ثم هولاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اي يسوون به غيره في العبادة التي هي اقصى غايات الشكر
الذي راسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشي من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الايات
التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالايات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل
كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والبا متعلقة بيعدلون ووضع
الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لزيادة الاهتمام والمسارعة الى تحقيق زيادة الانكار والاستبعاد
والمحافظة على الفواصل وترك المفعول لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار في الاستبعاد
والاستنكار لا خصوصية هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل واطلق بفخامة شانه الجليل واما جعل الباصلة لكفروا على ان يعدلون من
العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته فيرده ان كفرهم به
تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل مع اغفاله ايضا فجعل اهون الشرين
عمدة في الكلام مقصود الافادة واخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي
هذا وقد قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر
على شي منه لكن لا على انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على انه داخل تحت العلة بحيث يكون الكل صلة
واحدة كانه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في سلك الصلة المنبية عن
موجبات حمده عز وجل حقه ان يكون له دخل في ذلك الانبا ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه وادعا ان له دخلا فيه لدلالته
على كمال الجود كانه قيل الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتعكيس يا باه المقام كيف
لا ومساق النظم الكريم كما يفصح عنه الايات الاتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا ببيان
نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعا المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف
المعطوف عليه لما ان خلق العلتان تكون غير مقصودة لافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفنا ان المعطوف هو الذي سبق له

الكلام فتامل وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استئناف مقرر لبطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان
به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر ما يدل على صحة البعث مع ان ما ذكر
من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي عن الحجة النيرة اقبح والالتفات
لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما ان منشا ادم الذي هو اصل البشر وانما نسب هذا
الخلق الى المخاطبين لا الى ادم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه
السلام منه في ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامترا لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه
من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشايه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة
مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر احاد الجنس انطوا اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على
الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا للكل احد من فروعه منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى
جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة
الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتدا احوال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل ولله در شان التنزيل
وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سياتي وقيل المعنى
خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض واياما كان ففيه من
وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احيا ما لم يشم رايحة الحيوة قط كان على احيا ما قارنها
مدة اظهر قدرة ثم قضى اي كتب الموت كل احد منكم اجلا خاصا به اي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم
للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير اجالهم حسبما تقتضيه الحكمة البالغة واجل مسمى اي حد معين لبعثكم جميعا وهو
مبتدا لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مومن ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال اذا ما بكى من خلفها انصرفت
له بشق وشق تحتها عندها لم يحول وتنوينه لتفخيم شانه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع ان الشايع
المستفيض هو التاخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب تفسير كانه قيل اي واجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف
على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته وعلى ما هو المعتاد في اعمار
الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدا المدة الغيبة كما ان مدار التسمية في
الاجل الاول هو كونه اخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن اخر المدة لا عن اولها وقيل
الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على اخر المدة يطلق على كلها وهو
الاوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى بعثه فان كان
برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله
تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب بمعنى عدم تغير الاجل حينئذ عدم تغير اخره والاول هو الاشهر الاليق
بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه
معلوما للخلق ومعينة من غير ان يقع فيه شي من الدواهي كما تستلزمه الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة
الاجل ونقصه فيما روي تاخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم
لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة
الامترا بالكلية فان من قدر على افاضة الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وساير الكمالات البشرية على مادة غير
مستعدة لشي منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل

من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول الباقي او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا لما رايت من ان مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى بحيث اريد به احد ما ذكر من الامور الثلاثة فني اي شي يمترون ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبي عنه قولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونظايره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى **وهو الله** جملة من مبتدا وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المودية الى الجزا اثر الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف كيفية خلقهم وتقدير اجالهم وقوله تعالى **في السموات وفي الارض** متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبي عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السما اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك او المتصرف او نحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد في قوله اسد علي الخ ما اشتهر به من وصف الجراة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جري علي وبهذا تبين ان ما قيل بسبب التفسير والتصوير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض وهو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين انفا لا اشتهاره به الا ترى ان كلمة علي في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى خاصة كانه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شي في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحد او القول في فحوى الكلام بطريق الاستتباع على حمل الاسم الجليل على معنى المتوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والاشباح بكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على صورة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شي فحاصل هذا يكون قوله عز وجل **يعلم سركم وجهركم** اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والافعال بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما تفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الاوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من انه لا دلالة لاستوا السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيها من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعد ويختص به من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في انهما لا يتصوران فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شي من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وبهذا تبين انه ليس بيانا على الوجه الثالث ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او قيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كان هو فيه وانت خارجه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما لتوسيع الدايرة وتصوير انه لا يعزب عن علمه شي منهما في اي

مكان كان لا لانها قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى **ويعلم ما تكسبون** اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا وعلانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتنا بها لانها التي يتعلق بها الجزا وهو السر في اعادة يعلم **وما تاتيهم من اية من ايات ربهم** كلام مستانف وارد لبيان كفرهم بايات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الاية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض ايات التوحيد وفي الاية الثانية امتراوهم في البعث واعراضهم عن بعض اياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبايحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم صفحا ويعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة الايات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجتروا عليه في حقها والمراد بها اما الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم اية من الايات القرانية التي من جملتها هاتيك الايات الناطقة بما فصل من بدايع صنع الله عز وجل المنبية عن جريان احكام الوهيته على كافة الكاينات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها **الا كانوا عنها معرضين** اي على وجه التكذيب والاستهزا كما ستقف عليه واما الايات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم اية من الايات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلايل شونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المودي الى الايمان بمكونها وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الايات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تاتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وايا ما كان ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في ان الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله تعالى **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم** فان الحق عبارة عن القران الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل اية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شي يغايره في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون فان ما جاوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفا ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا للامر كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفا اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تامل تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اثر ذي اثير له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن الايات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله وماله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كما ينبي عنه قوله تعالى **فسوف ياتيهم انبا ما كانوا به يستهزءون** فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا للامر بابهامه وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباوه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها ايات الوعيد وفي لفظ الانبا ايذان بغاية العظم لما ان النبا لا يطلق الا على خبر عظيم الواقع وحملها على العقوبات الاجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته يابا الايات الاتية وسوف لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسياتيهم البتة وان تاخر مصداق انبا الشي الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل يستهزءون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزا كما اشير اليه هذا على ان يراد بالايات القرانية وهو الاظهر واما ان اريد بها الايات التكوينية فالفا لما داخلة على جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الايات فلا تعجب فقد فعلوا ما هو اعظم منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق

الذي هو اعظم الايات ولا مساغ لحمل الايات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين
عن الايات كلها كذبوا بالقران فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله **الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن** استيناف مسوق ل
لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سيق بها الوعيد وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية
مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية متعلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها
منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك
لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله عليه السلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان
والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف
ظاهر ومن لابتداء الغاية متعلقة باهلكنا اي الم يعرفوا بمعاينة الاثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من
قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى **مكناهم في الارض**
استيناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ
وقيل هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى المخصص فاذا وليها ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيته لها وانت خبير بان تنوينه
التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا
مفروغا عنه غير مقصود بسياق النظم مود الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا
له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى مكن له في
الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الاخر ومنه قوله تعالى **ما لم نمكن لكم** بعد قوله تعالى مكناهم في
الارض كانه قيل في الاول مكنا لهم وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف ومحلها النصب
على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشان الفريقين ولدفع الاشتباه
من اول الامر من مرجع الضميرين **وارسلنا السماء** اي المطر او السحاب او المظلة لان مبدا المطر منها **عليهم** متعلق بارسلنا
مدرارا اي مغزارا حال من السماء **وجعلنا الانهار** اي صيرناها فقوله تعالى **تجري من تحتهم** مفعول ثان لجعلنا او انشاناها
فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس
في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم
جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع اسباب نيل المارب ومبادي الامن والنجاة
من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة
في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا **فاهلكناهم
بذنوبهم** اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل
بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى اخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله تعالى **وانشانا من بعدهم** اي احدثنا
من بعد اهلاك كل قرن **قرنا اخرين** بدلا من الهالكين فلبيان قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم
ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشا بدلها اخرى **ولو نزلنا عليك** جملة مستانفة بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة
شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من التاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن ايات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك
لنزول العذاب ونسبة التنزيل هنا اليه عليه السلام مع نسبة اتيان الايات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته
عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل ابن
خويلد حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من

عند الله تعالى وانك رسوله **كتابا** ان جعل اسما كالامام فقوله تعالى **في قرطاس** متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا
كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه **فلمسوه** اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله تعالى **بايديهم** مع ظهور
ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه
بايديهم بعدما راوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شانه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار **لقال الذين كفروا** اي لقالوا
وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي
ان هذا الا سحر مبين اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو داب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج **وقالوا لولا
انزل عليه ملك** شروع في قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب ولئن بذاك لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم
على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم
العلل اي هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان هذا امدادا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيرا
اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك
على صورته يقتضي انتفا جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى **ولو انزلنا
ملكا لقضي الامر** اي لو انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الاحاد
البشرية الا ترى ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابرهيم
ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شانهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من
العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلال العالم
عما عليه يدور نظام الدنيا والاخرة من ارسال الرسل وتاسيس الشرايع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه
كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول في الجواب
للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن
الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى **ثم لا ينظرون** اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود بالانزال
للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجاة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب اهلاكهم
انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي اية لا شيء ابين منها ثم لم يومنوا لم يكن بد من اهلاكهم
وقيل انهم اذا راوه زال الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثاني بقوله تعالى **ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا** على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وانما لم يجعل للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب
المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض
والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدا
والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدا والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي
الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية اريد بها بيان انتفا الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي
هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني اي مفعولا
ثانيا كذلك ابانة لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا للمرجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا
النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الاحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا
على بشرا ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى **وللبسنا عليهم** عطف
على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بها في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا

شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب وقرى الفعلان بالتشديد للمبالغة اي وخلطنا عليهم بتمثيله رجلا **ما يلبسون**
على انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقران المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق
لكذبوه كما كذبوا النبي عليه السلام ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا ما للبس اما لكونه في صورة
اللبس او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تاكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كانه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا
يليق بشاننا من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بايات الله تعالى
البينة **ولقد استهزئ برسل من قبلك** تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف
التحقيق من الاعتنا بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي والله لقد استهزئ
برسل اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه **فحاق** **عقيبه**
اي احاط او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيف ما يشتمل على الانسان من
مكروه فعله وقوله تعالى **بالذين سخروا منهم** اي استهزؤا بهم من اوليك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو
قوله تعالى **ما كانوا به يستهزءون** للمسارعة الى بيان لحوق الشوم بهم وما اما موصوله مفيدة للتهويل اي فاحاط بهم الذي كانوا
يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل **قل**
سيروا في الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم
العصيبة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد
انجز ذلك يوم بدر انجاز اي سيروا في الارض لتعرف احوال اوليك الامم **ثم انظروا** اي تفكروا **كيف كان عاقبة المكذبين** وكلمة
ثم اما لان النظر في اثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر
فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفا في قوله تعالى فانظروا الاية واما ان الامر الاول لاباحة
السير في التجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في اثار الهالكين لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل
النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها
وهي منتهى الامر وماله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه
لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم ان المدار هو ذلك **قل** لهم بطريق الاحتجاج والتبكيت **لمن ما في السموات**
والارض من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى **قل لله** تقرير لهم وتنبيه على ان المتعين
للجواب بالاتفاق بحيث لا يتاتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله
تعالى **كتب على نفسه الرحمة** جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل
مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب
ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده
بنصب الايات الانفسية والافاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات
سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الايات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم
الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك الفائزين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان
على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شي اصلا وقيل هو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما
قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وعنه في رواية انه عليه السلام قال لما قضى الله
تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه انه قال لكعب ما اول شي ابتداه الله تعالى
من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت غضبي

ومعنى

ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي
التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات الا مشاكلة لما ترى من
انتفا المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله تعالى **ليجمعنكم الى يوم القيامة** جواب قسم محذوف والجملة استيناف مسوق للوعيد
على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين اي محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وساير
معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيامة كقوله تعالى
انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيامة **لا ريب فيه** اي في اليوم او في الجمع وقوله تعالى
الذين خسروا انفسهم اي بتضييع راس مالهم وهي الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة
الرسول عليه السلام واستماع الوحي وغير ذلك من اثار الرحمة موضع النصب او الرفع على الذم اي اعني الذين الخ او هو مبتدا والخبر
قوله تعالى **فهم لا يؤمنون** والفا لتضمن المبتدا معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس
والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته
تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر **وله** اي لله عز وجل خاصة **ما سكن في الليل والنهار** نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن
نسبة الاشيا الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون
مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما او تحرك فاكتفي باحد الضدين عن الاخر **وهو السميع** المبالغ في سماع كل مسموع **العليم** المبالغ
في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شي من الاقوال والافعال **قل** لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب **اغير الله اتخذ وليا** اي معبودا
بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله تعالى وليا
لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى اغير الله ابغي ربا وقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد الى اخره **فاطر السموات والارض** اي
مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي وكذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي
عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على
المدح وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها **وهو**
يطعم ولا يطعم اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه او لانه معظم ما يصل الى المرزوق من
الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح اليا وبعكس القراءة
الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله والمعنى اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان
الثاني بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط **قل** بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما
يقضي ببطلانه بديهة العقول **اني امرت** من جنابه عز وجل **ان اكون اول من اسلم** وجهه لله مخلصا له لان النبي امام امته في الاسلام
كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين **ولا تكونن** اي وقيل لي لا تكونن
من المشركين اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الامر وهو **قل اني اخاف**
ان عصيت ربي اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصي
على الاطلاق وقوله تعالى **عذاب يوم عظيم** اي عذاب يوم القيامة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف
لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم **من يصرف** على البنا للمفعول اي
العذاب وقرئ على البنا للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى **عنه يومئذ** ظرف للصرف
اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البنا للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ **فقد رحمه** اي نجاه
وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستانفة مؤكدة لتهويل العذاب
وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي **وذلك** اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد

للايذان لعلو درجته وبعد مكانه من الفضل وهو مبتدا اخبره قوله تعالى **الفوز المبين** اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية
والالف واللام لقصره على ذلك **وان يمسسك الله بضر** اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك **فلا كاشف له** اي فلا قادر على كشفه عنك
الا هو وحده **وان يمسسك بخير** من صحة ونعمة ونحو ذلك **فهو على كل شيء قدير** ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك
من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تاكيد الجوابين يأباه الفا تذكره روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا
ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخا يعرفك
في الشدة فاذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلايق ان ينفعوك بما لم
يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر على ما تكره
خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا **وهو القاهر فوق عباده** تصوير لقهره وعلوه
بالغلبة والقدرة **وهو الحكيم** في كل ما يفعله ويامر به **الخبير** باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلثة للقصر
قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك
عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتدا واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى **قل**
الله امر له عليه السلام بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا
لترددهم في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في هذا الشان وقوله تعالى **شهيد** خبر مبتدا محذوف اي هو شهيد **بيني وبينكم**
ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين له
لتحقيق المقابلة **واوحي الي** اي من جهته تعالى **هذا القران** الشاهد بصحة رسالتي **لانذركم به** بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر
الانذار لما ان الكلام مع الكفرة **ومن بلغ** عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر او من
الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين يوم نزوله ومن
سيوجد بعد الى يوم القيامة خلا ان ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين
يومئذ كما مر في اول سورة النسا **ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى** تقرير لهم مع انكار واستبعاد **قل لا اشهد** بذلك وان
شهدتم به فانه باطل صرف **قل** تكرير للامر للتاكيد **انما هو اله واحد** اي بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا هو **وانني بريء مما تشركون**
من الاصنام او من اشراككم **الذين اتيناهم الكتاب** جواب عما سبق من قولهم لقد سالنا عنك اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس
المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى **يعرفونه** اي يعرفون رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما **كما يعرفون ابناءهم** بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله على نبيه هذه الاية وكيف هذه المعرفة
فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النسا واشهد انه حق من الله
تعالى **الذين خسروا انفسهم** من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات
الموجبة للايمان بالكلية **فهم لا يؤمنون** لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتدا وخبره الجملة المصدرة بالفا
لما فيه من معنى الشرط وقيل على انه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين خسروا الخ وقيل على انه نعت للموصول الاول وقيل النصب
على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين اتيناهم الكتاب الخ **ومن اظلم ممن افترى على الله**
كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افترا على الله سبحانه وبقولهم الملايكة بنات الله وقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب
غير متعرض لانكار المساوات ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من

فلان

فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا ترى الى قوله عز وجل لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون بعد
قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما يتصور غالبا لا سيما في باب المغالبة
بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة **او كذب باياته** كان كذبوا بالقران الذي من جملته
الاية الناطقة بانهم عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك
تكذيب باياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافترا والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا
ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون **انه** الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعا شهرته المغنية عن ذكره وفايدة
تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى
الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو **لا يفلح الظالمون** اي لا ينجون من مكروه
ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم **ويوم نحشرهم جميعا** منصوب على
الظرفية بمضمر موخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايما الى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع
فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا **ثم نقول** لهم ما نقول كان من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به
دايرة المقال وتعبير بصيغة الماضي للدلالة على التحقق ويحسن موقع عطفه تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية
بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرى يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء
فيهما **للذين اشركوا** اي نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد **اين شركاؤكم** اي الهتكم التي جعلتموها شركاء لله تعالى
واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبي عنه قوله تعالى **الذين كنتم تزعمون** اي تزعمونها شركاء فحذف
المفعولان معا وهذا السؤال المبني عن غيبة الشركا مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا
يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبري من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلايق
حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الايات الكريمة اما بعد حضورها حينيذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف
واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها
بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف
فهي من حيث هي شركاء غايبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم
في وقت التوبيخ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجا فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة
الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية على
انها معلومة عندهم من حين الموت والابتلا بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين
القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة **ثم لم تكن فتنتهم** بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسمه والخبر **الا ان قالوا** وقرى
بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتانيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرى بالتذكير مع رفع الفتنة ورفعها
ونصبها النسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثنا مفرغ من اعم الاشيا
وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشيا الا جحوده
والتبري عنه بان يقولوا **والله ربنا ما كنا مشركين** واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في
التبري من الاشراك وقرى ربنا على النداء اي لاظهار الضراعة والاجتهاد في استدعا قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم
بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا انا على خطا في
معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه ما توهموا ان لهم عذرا او ان لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك محل بحال هول اليوم
قطعا على انه قد قضي ببطلانه قوله تعالى **انظر كيف كذبوا على انفسهم** فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في

الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه معتبر عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فمحل بجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى **وضل عنهم ما كانوا يفترون** عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجب وما مصدرية او موصولة قد حذف عايدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم فكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم وما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤا عنه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجب **ومنهم من يستمع اليك** كلام مبتدا مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر اثر بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على مبتدا باعتبار مضمونه او بتقديره الموصوف كما في قوله تعالى وما منا دون ذلك اي وجمع منا جمع ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذي يستمع اليك او فريق يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين وقد مر تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الى اخره روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت **وجعلنا على قلوبهم اكنة** من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعي جانب المعنى في قوله تعالى في سورة يونس ومنهم من يستمعون اليك الاية والاكنة جمع كنان وهو ما يستتر به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنه من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها حاجبة مانعة **ان يفقهوه** اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه **وفي اذانهم وقرا** صمما وثقلا مانعا من سماعه واللام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي عليه السلام وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر الاية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي عليه السلام جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير الاولين وقس عليه ما تقولوه في حق النبي عليه الصلاة والسلام لا الاخبار بان هناك امرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حايل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك **وان يروا كل اية** من الايات القرآنية اي يشاهدوها بسماعها **لا يؤمنوا بها** على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة لعدم اجتلايهم اياها كما هي لما مر من حالهم **حتى اذا جاؤك يجادلونك** هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤك **يقول الذين كفروا** وما بينهما حال من فاعل جاؤا وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الايات الكريمة بل يقولون **ان هذا** اي ما هذا **الا اساطير الاولين** فان جعل احسن الحديث واصدقه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة واسطارة او جمع اسطار وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط **وهم ينهون عنه** الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن اي لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به **وينأون عنه** اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تاخير الناي عن

النبي وقيل الضمير المجرور للنبي عليه السلام وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت **وان يهلكون** اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والناي **الا انفسهم** بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا واجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى **وما يشعرون** حال من ضمير يهلكون اي يقتصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليهم من غير ان يضروا بذلك شيئا من القرآن والرسول عليه السلام والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي من غيرهم مطلق الضرار غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القرآن الكريم الممانعة في تمشي احكامه وظهور امر الدين للايذان بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين يضلونهم بالنهي فقصره على انفسهم حينئذ مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال منزلة العدم **ولو ترى اذ وقفوا على النار** شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبايح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان قصدا الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور العجيبة بل كل من يتاتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرايت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعا وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا **فقالوا يا ليتنا نرد** اي الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص **ولا نكذب بايات ربنا** اي باياته الناطقة باحوال النار واهوالها الامرة باتقائها اذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع اياته المنتظمة لتلك الايات انتظاما اوليا **ونكون من المؤمنين** بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهايل او نكون من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن الماب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجراؤها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وابن اسحاق فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل بتقدير ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدرا ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعها على انه كلام مستانف كقوله دعني ولا اعود اي تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من ضميره فيكون داخلا في حكم التمني كالاخير للنصب وتعلق التكذيب الاتي به لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كما قال المتنبي زرقت مالا فاكفيك علي صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يكفه يكون مكذبا لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجهها **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل** اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الايات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفون في الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا انهم مواقعوها فلجوا فيها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها

اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وايضا بها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشي كفر
به واخبار بانه لا محالة له واشارة على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه
النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بايات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من الميد وهذا هو الذي
يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبايحهم وفضايحهم التي كانوا يكتمونها من
الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدون به في بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه روسا الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علما اهل
الكتابين من صحة نبوة النبي عليه السلام ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص وكفرهم
الذي اخفوه من المومنين والضمير المجرور للمومنين والمرفوع للمنافقين فبعد الاغضا عما في كل منها من الاعتساف والاختلاف
لا سبيل الى شي من ذلك اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها
واشير الى انهم انه اعتراهم عنده ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم بالفا
الفاصية لسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر
واسنادها الى شي من الامور المذكورة التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمه امر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن
امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون ففيه قيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة فتامل ولو ردوا اي من
موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبايح التي من
جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغايب وانهم لكاذبون اي لقوم
ديدنهم الكذب في كل ما ياتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما
لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر لاوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى
لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعدما فارقنا هذه الحياة
كان لم يروا ما راوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر آنفا في نظيره خلا ان الوقوف
ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال عما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عن قرارهم حق التعريف وقيل
وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال استيناف مبني على سوال نشا من الكلام السابق كانه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل
قال اليس هذا مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند
سماع ما يتعلق به ما هو حق وما هو الا باطل قالوا استيناف كما سبق بلى وربنا اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا لكمال يقينهم بحقيته
وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه قال استيناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفا لترتيب
التعذيب على اعترافهم بحقيته ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا
بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به
دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر
الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب
خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقايه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم
على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له بغتة البغت والبغتة
مفاجاة الشي بسرعة من غير شعور به يقال بغته وبغتا اي فجاه وانتصابها اما على انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم
اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر موكد على غير الصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر
موكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك ٥

والحسرة

والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال
عليه السلام من مات فقد قامت قيامته او جعل مجي الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا
في شان الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطنا
في جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشي مع القدرة على فعله وقيل هو
التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير
وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فايدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من
الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا
تنسى بما يكابدون من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما
والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت
ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المالوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات
والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي بئس شيا يزرونه وزرهم وما
الحياة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان ورا الحياة الدنيا حياة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين تعدد
حال تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على
حذف المضاف او على جعل الحياة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنسا فانما هي اقبال وادبار اي وما اعمال الدنيا
اي الاعمال المتعلقة من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل الكسب تلك الاعمال الا لعب لشي يشغل الناس ويلهيهم بما فيه من
منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل
الصالح وللدار الآخرة التي هي محل الحياة الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها
غير منغصة بالالام مستمرة على الدوام افلا يعقلون ذلك حتى يتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفا للعطف على مقدر
اي اتغفلون فلا تعقلون او لا تتفكرون فلا تعقلون وقرى يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون استيناف
مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان
انه عليه السلام بمكانة من الله تعالى عز وجل وان ما يفعلون في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة
اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله
المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل قوله

٭ وان تمس مهجورا الفنا فربما ٭ اقام به بعد الوفود وفود ٭

جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي
وعنده مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته عن التزيد وابرازه ممن يقلل كثير ما عنده
فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح
بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة او ادعا كما في البيت وقوله ٭ قد اترك القرن مصفرا
انامله ٭ وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله ٭ والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما
واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعايده محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم
من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرى ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك
تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا والكف عن التشاغل عنه وعده هينا والاقبال التام على ما
هو اهم منه من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم كون تحزنه عليه السلام

خاصة نفسه بل بطريق التسلي بما تعيبه من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل الى حيث
لاغاية وراه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لاياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
بل نفى تكذيبهم عنه عليه السلام واثبت لاياته تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب
واضمحلال شؤونه عليه السلام في شان الله عز وجل نعم فيه استعظام لجنايتهم مبني على عظم عقوبتهم كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله
تعالى فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي ولكنهم باياته تعالى يكذبون فوضع
المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة
واستعظام ما اقدموا عليه من جحود اياته تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان بان اياته تعالى من الوضوح بحيث
تشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفي ما في القلب ثباته واثبات ما في القلب نفيه والبا متعلقة
بيجحدون يقال جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هي لتضمن الجحود معنى التكذيب وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور
للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روي عن الاخنس بن شريق قال لابي جهل
يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا
ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم
الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله كما يروى ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك
وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر عند الجيب مطابقة خبره لاعتقاده والاول هو
المستدعي لجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كاكثر وكثر وانزل ونزل وهو
الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اي نسبت الكذب اليه واكذبته اي
نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك افتنان في تسليته عليه السلام فان عموم البلية
ربما يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه السلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم
من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين
رسل للتفخيم والتكثير ومن اما متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولوا شان
خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا في زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا ما مصدرية وقوله تعالى واوذوا عطف
على كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصطبر على ما نالك
من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الايذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا وايا ما
كان ففيه تاكيد للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا غاية
للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة
لابراز الاعتنا بشان النصر وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته
تعالى ما ينبي عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى
كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصرة رسول الله ايضا لا نفس الايات المذكورة
ونظايرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون
المواعيد السابقة للرسل عليهم الصلاة والسلام الدالة على نصرة رسول الله ايضا ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي
من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه الصلاة والسلام دخولا اوليا والالتفات الى الاسم

الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجباتها ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه خلف في قول من
الاقوال وقوله ولقد جاءك من نبا المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل
اما باعتبار مضمونه اي بعض نبا المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبا المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول
امنا بالله الاية وايا ما كان فالمراد بنبائهم عليهم السلام على الاول نصرة تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى
بينهم وبين اممهم على ما ينبي عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء
وزلزلوا الاية وقيل في محل النصب على انه حال من المستكن في جاء العائد الى ما يفهم من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر
كائنا من نبا المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستانف مسوق لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه
امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القران الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم من
تسميتهم له اساطير الاولين ونايهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله تعالى ان ياتيهم باية مما
اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان
اذا سالوه اية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر
مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا
حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر
كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الى اخره شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول
والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سالوه
اقتراحا فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما في السماء اي مصعدا تعرج به فيها فتاتيهم
منهما باية مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفاء في فتاتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين اية للتفخيم
اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك اية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف هما نعتان لنفقا وسلما والاول لمجرد
التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا انت
في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وترامي الى حيث لو قدر على ان
ياتي باية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من
النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه
من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشا لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم
للايات الداعية اليه لانه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم
يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد
على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الايات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا
عرفت انه تعالى لم يشا هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من
الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما
اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد
بالنهي منعه عليه السلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف
الجامع بينه عليه السلام وبينهم انما يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي اذانهم وقرا

حاجزا من السما وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اي
انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلا منهم كقوله تعالى فانك لا تسمع الموتى
وقوله تعالى **والموتى يبعثهم الله** تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث
الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بنا على تشبيه جهلهم بموتهم
اي وهؤلا الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم **ثم اليه يرجعون** للجزا فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ
ترجعون على البنا للفاعل من رجع رجوعا والمشهورة اوفى بحق المقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار **وقالوا
لولا نزل عليه اية من ربه** حكاية لبعض اخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القران الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون
روسا قريش وقيل الحرث بن عامر بن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا من البينات
التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤوا على ادعا انها ليست من قبيل الايات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة والمعقبة للعذاب
كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما الاية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبي عنه القراة
بالتخفيف فيما سياتي وما تعبيرهم التعرض لعنوان ربوبيته تعالى عليه السلام من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم
من جهتهم واطلاق الاية في قوله تعالى **قل ان الله قادر على ان ينزل اية** مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا اية من
الايات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها اية من حيث لها اكما لو انزل ملائكة العذاب ونحوه على ان
تنوينها للتفخيم والتهويل كان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في
الجواب على بيان قدرته على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار للايذان بان عدم تنزيله مع انها مع قدرته عليه لحكمة بالغة
يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبي عنه الاستدراك وقوله تعالى **ولكن اكثرهم لا يعلمون** اي ليسوا من اهل العلم على ان
المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيا على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل اية من ذلك
او اية واية ولكن اكثرهم لا يعلمون ولا يدرون اي عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها قلعا للاساس التكليف المبني
على قاعدة الاختيار واستيصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم
العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى **وما من دابة في
الارض** ٥ كلام مستانف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على
تنزيل الاية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة التاكيد للاستغراق وفي متعلقة بمحذوف الوصف للدابة مفيد
لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى **ولا طاير يطير
بجناحيه** مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طاير من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد
وقرئ ولا طاير بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما دابة ولا طاير **الا امم** اي طوايف متخالفة والجمع باعتبار
المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم **امثالكم** اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها متقنة ومصالحها
مرعية جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية **ما فرطنا في الكتاب من شي**
يقال فرط الشي اي ضيعه وتركه قال ساعده بن جويه معه * لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشي اي اهمل ما
ينبغي ان يكون فيه واغفله فقوله تعالى في الكتاب اي القران على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شي مفعول لفرطنا ومن مزيدة
للاستغراق اي ما تركنا في القران شيا من الاشيا المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي
وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شي في موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد منه وكون
واياما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة
في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى **ثم الى ربهم يحشرون** بيان لاحوال الامم في الاخرة

بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلا لاجرايها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى مالك امورهم
يحشرون يوم القيامة كدابكم لا الى غيره فيجازيهم فينصف لبعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله انه ياخذ للجما من القرنا وقيل حشرها
موتها واياه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى **والذين كذبوا باياتنا** متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي
والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الايات ومحله الرفع على الابتدا خبره ما بعده اي اوردنا في القران
جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا باياتنا التي هي منه **صم** لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها
اساطير الاولين ولا يعدونها من الايات ويقترحون غيرها **وبكم** لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك
بها وقوله تعالى **في الظلمات** اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتدا على انه عبارة عن العمى كما في
قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كاينين في الظلمات او صفة لبكم اي بكم
كاينون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسو الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيا باشارة غيره وان
لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات
فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى **من يشا الله يضلله** تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من
اهل الطبع لا يتاتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدا خبره ما بعده ومفعول المشية محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطها
وكون مفعولها مضمون الجزا وانتفا الغرابة في تعلقها به اي من يشا الله يضلله اضلاله اي يخلق فيه الضلالة يضلله اي يخلقه
فيه لكن لا ابتدا بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله ونص عليه قوله تعالى **ومن يشا
يجعله على صراط مستقيم** لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه **قل ارايتكم** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان
يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى التكبر والكاف حرف جي به لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى التركيب وان كان
على الاستخبار عن الروية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني **ان اتاكم عذاب الله** حسبما اتى الامم
السالفة من انواع العذاب الدنيوي **او اتتكم الساعة** التي لا محيص عنها البتة **اغير الله تدعون** هذا مناط الاستخبار ومحط
التبكيت وقوله تعالى **ان كنتم صادقين** متعلق بارايتكم موكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
المذكور عليه اي ان كنتم صادقين في ان اصنامكم الهة كما انها دعواكم المعروفة او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون
ان اتاكم عذاب الله الخ فان صدقهم باي معنى كان من موجبات اخبارهم بدعايهم غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى
اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعايهم غيره تعالى
عند اتيان ما ياتي لا نفس دعايهم اياه وقوله تعالى **بل اياه تدعون** عطف على جملة منفية ينبي عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار
انبا جليا كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى **فيكشف ما تدعون اليه** اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشفه
اثر دعايكم وقوله تعالى **ان شا** اي ان شا كشف لبيان ان قبول دعايهم غير مطرد بل هو تابع لمشيته المبنية على حكم خفية قد استاثر
الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض اخر منها وفي جميع ما
يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي من جملته الساعة وقوله تعالى **وتنسون ما تشركون** اي تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام
كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتاخير الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشان الكشف والايذان
بترتبه على الدعا خاصة وقوله تعالى **ولقد ارسلنا** كلام مستانف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب
ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتاثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتاثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية
لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد
ارسلنا رسلا **الى امم** كثيرة **من قبلك** اي كاينة من زمان قبل زمانك **فاخذناهم** اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم **بالباسا** اي
بالشدة والفقر **والضرا** اي الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما **لعلهم يتضرعون** اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع

والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم **فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا** اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه **ولكن قست قلوبهم** استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة وازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به** عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي فاهملوا ما ذكروا به ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه **فتحنا عليهم ابواب كل شيء** من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكر في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى **حتى اذا فرحوا بما اوتوا** هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الاية ونظائرها وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل عليه كأنه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما ابيح لهم وبطروا واشروا **اخذناهم بغتة** اي نزل بهم عذابنا فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا **فاذا هم مبلسون** متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة القطعية **فقطع دابر القوم الذين ظلموا** الى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات **والحمد لله رب العالمين** على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام **قل ارأيتم** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية **ان اخذ الله سمعكم وابصاركم** بان اصمكم واعماكم بالكلية **وختم على قلوبكم** بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية وافراده لما ان اصله مصدر وقوله تعالى **من اله** مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى **غير الله** صفة للخبر وقوله تعالى **يأتيكم به** اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله تعالى مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى **انظر كيف نصرف الآيات** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة عن اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير **ثم هم يصدفون** عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها **قل ارأيتكم** تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم **ان اتاكم عذاب الله** اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم **بغتة** اي فجأة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى **او جهرة** اي بعد ظهور اماراته وعلاماته وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تعالى بياتا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة واتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى **هل يهلك** متعلق الاخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه **الا القوم الظالمون** تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم وياباه تخصيص الاتيان بهم وقيل

الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كأنه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد احال ما يجديه واشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي **وما نرسل المرسلين** كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى **الا مبشرين ومنذرين** حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم فغيرها معنى العسيلة القاطعة قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دنيويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع الخبرية اصلا وعليه يدور القصر والالزام ان لا يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى **فمن آمن واصلح** لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل او الآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما انه افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا ترى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فان قولك ما ابدا ضربت مفيد لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل **والذين كذبوا** عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى **بآياتنا** اشارة الى ان ما نطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار ويبلغونه الى الامم آياته تعالى وان من آمن به فقد آمن بآياته تعالى ومن كذب به فقد كذبها وفيه من الترغيب في الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا ليخبروا اممهم من جهتنا بما سيقع بهم من الامور السارة والضارة لا ليوقعها استقلالا لا من تلقاء انفسهم او استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا وانذارا في ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي بلغوها عند التبشير والانذار **يمسهم العذاب** اي العذاب الذي انذروه عاجلا او آجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا **بما كانوا يفسقون** اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة **قل لا اقول لكم عندي خزائن الله** استئناف مبني على ما اسس من السنة الالهية في شأن ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار تبريه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيفما اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبرءا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى **ولا اعلم الغيب** عطف على محل عندي خزائن الله ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب ونحوهما **ولا اقول لكم اني ملك** حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة

ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله تعالى عز وجل والعمل بمقتضاه
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى **ان اتبع الا ما يوحى الي** لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى
المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات
في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن
لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما
يقارنه من معنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى
معنى خاص يقومه فان معناه فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فورود القصر في الحقيقة
ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا الاتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل ما في
الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا **قل هل يستوي الاعمى والبصير** مثل للضال والمهتدي على الاطلاق
والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقايق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن
الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتاكيد الالزام وقوله تعالى **افلا تتفكرون** تقريع وتوبيخ
داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او لا تسمعونه فلا تتفكرون
فيه فمناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه **وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم** بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الايات الباهرة ولا يتاثرون بمشاهدة المعجزات
القاهرة قد انفت مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر
الفام قابلوا الا الاباء والنكير وما نجع فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر عليه السلام بتوجيه
الانذار الى من يتوقع منهم في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض
المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة ابائهم الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام كالآخرين او المترددين فيهما معا
كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر راسا والقايلون قطعا
القاطعون بشفاعة ابائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون في الاعمال من المومنين
ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقتضي باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل هو
عليه من القرآن والمفعول الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد
به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى
ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقه محذوف وقع حالا من اسم ليس لانه في
الاصل صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاول لاخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما
نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في
عدم الخوف الذي عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى
لاستلزامه ثبوت ولاية تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا
به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء
والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم ومن هذا اتضح انه لا سبيل الى كون المراد
بالخائفين المفرطين من المومنين اذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذي يخافونه الحشر بدون نصرته عز
وجل وقوله تعالى **لعلهم يتقون** تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او
من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** لما امر عليه السلام بانذار المذكورين

لينتظموا

لينتظموا في سلك المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث يودي الى طردهم المتقين روي ان روسا من
المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المومنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جينا فاذا قمنا فاقعدهم
معك ان شئت قال عليه السلام نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له عليه الصلاة والسلام لو فعلت حتى ننظر الى ما
تصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف من اهل
الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا
وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبي عليه السلام فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت حتى ننظر ما الذي يريدون
والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس
وذووهم من المولفة قلوبهم فوجدوا النبي عليه السلام جالسا مع ناس من ضعفاء المومنين فلما راوهم حوله عليه السلام حقروهم فاتوه
عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم لجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال
عليه الصلاة والسلام ما انا بطارد المومنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك
فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جيناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب
لنا كتابا فدعا بالصحيفة ولعلي رضي الله تعالى عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة
ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم
الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى **يريدون وجهه** حال من ضمير يدعون اي يدعونه
تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتاكيد عليته للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى **ما عليك من
حسابهم من شيء** اعتراض وسط النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم
كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي اي ما عليك شيء ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة
حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام
على موجبها واما بواطنهم فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى **وما من حسابك عليهم من شيء**
مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء
كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة
جملة واحدة لتادية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة
الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعي الى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى انك لا تواخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المومنين وقوله تعالى **فتطردهم** جواب
النفي **فتكون من الظالمين** جواب النهي وقد جوز عطفه على طريقة التسبب وليس بذاك **وكذلك فتنا بعضهم ببعض** استيناف مبين
لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المومنين في امر الدين
بتوفيقهم الايمان مع ما هم عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
في الكمال والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر موكد محذوف والتقدير
فتنا بعضهم ببعض فتونا كاينا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة
فصار نفس المصدر الموكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث
قدمنا الآخرين في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى **ليقولوا** للعاقبة اي ليقول

البعض الاولون مشيرين الي الاخرين محقرين لهم نظرا الي ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل
حقيقة **اهولاء من الله عليهم من بيننا** بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والروسا وهم
العبيد والفقرا وغرضهم بذلك انكار وقوع الروسا علي طريقه قولهم لوكان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير المومنين عليهم مع الاعتراف
بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى **اليس الله باعلم بالشاكرين** رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة الي ان مدار استحقاق
الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اي اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى
يستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الي ان اولئك الضعفا عارفون بحق نعمة الله تعالى في تنزيل القران والتوفيق للايمان شاكرون
له تعالى علي ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى **واذا جاءك الذين يومنون باياتنا** هم الذين نهي عن طردهم
وصفوا بالايمان بايات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة علي عبادته بالاخلاص تنبيها علي احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتاخير
هذا الوصف مع تقدمه علي الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة
علي العبادة وقوله تعالى **فقل سلام** امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بان
يبدأهم بالسلام وقوله تعالى **عليكم كتب ربكم علي نفسه الرحمة** اي قضاها واوجبها علي ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان
بالذات لا بتوسط شي ما اصلا تبشير لهم بشمة رحمته تعالى وبنيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبوله التوبة منهم
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاوا الي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى **انه من عمل منكم سوا** بدل من الرحمة
وقري بكسرانه علي انه تفسير الرحمة بطريق الاستيناف وقوله تعالى **بجهالة** حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه
من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المومن لا يباشر ما يعلم انه يودي الي الضرر او عمله ملتبسا بجهالة **ثم تاب من بعده** اي من بعد
عمله او من بعد سفه **واصلح** اي ما افسده تداركا وعزما علي ان لا يعود اليه ابدا **فانه غفور رحيم** اي فامره انه غفور رحيم او فله انه
غفور رحيم وقري انه بالكسر علي انه استيناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبر المن علي انها موصولة او جوابا لها علي انها شرطية **وكذلك
نفصل الايات** قدم انفا ما فيه من الكلام اي هذا التفصيل البديع نفصل الايات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم
والاوابين **ولتستبين سبيل المجرمين** بتانيث الفعل بنا علي تانيث الفاعل وقري بالتذكير بنا علي تذكيره فان السبيل مما يذكر ويونث
وهو عطف علي علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوايد جمة من جملتها ما ذكر او علة
لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستانفا اي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقري بنصب السبيل علي ان الفعل
متعد وتاوه للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم **قل اني نهيت** امر عليه السلام بالرجوع الي مخاطبة المصرين
علي الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه
السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوي محضا وضلالا بحتا اني صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات
في امر التوحيد **ان اعبد الذين تدعون** اي عن عبادة ما تعبدونه **من دون الله** كائنا ما كان **قل** كرر الامر مع قرب العهد اعتنا
بشان المامور به وايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام
من الانتها عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل **لا اتبع اهواكم** استجهالا لهم وتنصيصا علي انهم فيما هم فيه تابعون لاهوا باطلة
وليسوا علي شي مما ينطق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتها وقوله تعالى **قد ضللت اذا** استيناف موكد لانتهائه
عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواكم فقد ضللت وقوله تعالى **وما انا من المهتدين** عطف علي ما قبله
والعدول الي الجملة الاسمية للدلالة علي الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا اي ما انا
في شي من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله تعالى **قل اني علي بينة** تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه
اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القران

والوحي

والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى **من ربي** متعلق بمحذوف وهو صفة لبينة
موكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضميره عليه السلام
من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى **وكذبتم به** اما جملة مستانفة او حالية بتقدير قد او بدونه جي به لاستقباح
مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للتنبيه والتذكير باعتبار المعنى المراد
والمعنى اني علي بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجي العذاب وقوله تعالى **ما عندي ما
تستعجلون به** استيناف مبين لخطابهم في شان ما جعلوه منشا لتكذيبهم بها وهو عدم مجي ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا لما
يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزا او بطريق الالزام علي زعمهم اي ليس ما تستعجلونه من العذاب
الموعود في القران وتجعلون تاخيره ذريعة الي تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجي به واظهر لكم صدقه اي ليس امره بمفوض الي **ان الحكم**
اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتاخيرا او ما الحكم في جميع الاشيا فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **الا لله** وحده من غير ان يكون لغيره دخل
ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى **يقص الحق** اي يتبعه بيان لشونه تعالى في الحكم المعهود او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما
اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق فتثبت حقية التاخير وقري يقضي فانتصاب الحق حينئذ علي المصدرية اي يقض القضا الحق او علي
المفعولية اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضي الدرع اذا صنعها واصل القضا الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع
الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي علي صاحبه **وهو خير الفاصلين** اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الي ان قص
الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي
وانه لا معبود سواه علي حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم
فيما سبق وما لحق علي وصفهم بتكذيب ايات الله تعالى بسبب عدم مجي العذاب الموعود فيها وتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد مما لا
تعلق له بالمقام اصلا **قل لو ان عندي** اي في قدرتي ومكنتي **ما تستعجلون به** من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا
الي من جهته تعالى **لقضي الامر بيني وبينكم** اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظايره وفي بنا الفعل
للمفعول من الايذان بتعيين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتعالى وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل في تفسيره
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى **والله اعلم بالظالمين** اعتراض
تذييلي مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضا الامر وتعليل له
والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر
بتعجيل العذاب والله اعلم **وعنده مفاتح الغيب** بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها
به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار للمكان من الغيب كانه مخازن خزنت فيها الامور الغيبية
تتعلق عليها وتفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويويده قراة من قرا مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الي تلك الامور بنا علي
الاستعارة الاولى اي عنده تعالى خاصة خزاين غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل **لا يعلمها الا هو** تاكيد لمضمون ما قبلها وايذان
بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا
معلوما لي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسب ما يقتضيه مشيته المبنية علي الحكم والمصالح وقوله تعالى
ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها علي ان الكل بالنسبة
الي علمه المحيط سوا في الجلا اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة علي اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى
وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط
بالذكر ليس الا بطريق الاكتفا بذكرها عن ذكر ساير الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال ساير
ما فيهما من فنون الموجودات الفايتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سايرها وقوله تعالى **ولا حبة** عطف علي ورقة وقوله تعالى

في ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها
وكذا قوله تعالى **ولا رطب ولا يابس** معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى **الا في كتاب مبين** بدل من الاستثنا
الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرى الاخير
بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتدا والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ
لما ليس من شانه السقوط وقد نقل قراة الرفع ولا حبة ايضا **وهو الذي يتوفاكم بالليل** اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من
الاماتة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة من زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشي بتمامه **ويعلم ما جرحتم بالنهار**
اي ما كسبتم فيه والمراد بالتوفي والبعث الموجودين فيها يتحقق قضا الاجل المسمى المرتب عليها لا في بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك
علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص
التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالاخر للجري على سنن العادة **ثم يبعثكم فيه** اي يوقظكم في النهار عطف
على يتوفاكم وتوسيط قوله ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيات
مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي
يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما ستجرحون فيها **ليقضى اجل مسمى** معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد
يتخطى احدما عين له طرفة عين **ثم اليه مرجعكم** اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا **ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** بالمجازات
باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون
الاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم في القبور في شان ما قطعتم به اعماركم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتي وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاختلال لافضائه الى كون البعث معللا
بقضا الاجل المضروب له **وهو القاهر فوق عباده** اي هو المتصرف في امورهم لا غير يفعل بهم ما يشا ايجادا واعداما واحيا
واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك **ويرسل عليكم** خاصة ايها المكلفون **حفظة** من الملائكة وهم الكرام الكاتبون
وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلا وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى
المؤخر وقيل متعلق بمحذوف وهو حال من حفظة اذ لو تاخر لكان صفة اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف
على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله
تحفظ عليه وتعرض على روس الاشهاد وكان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد
على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى في قوله تعالى **حتى اذا جا احدكم الموت** هي التي يبتدا
بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم
حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاه اسباب الموت ومباديه **توفته رسلنا** الاخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك
الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرى توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التائين **وهم** اي الرسل **لا يفرطون**
اي بالتواني والتاخير وقرى مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل
مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى **ثم ردوا** عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم
وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع اخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم
ردوا بعد البعث بالحشر **الى الله** اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب **مولاهم** اي مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق
لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم **الحق** الذي لا يقضي الا بالعدل وقرى بالنصب على المدح **الا له الحكم** يومئذ
صورة ومعنى لا الى احد غيره بوجه من الوجوه **وهو اسرع الحاسبين** يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله
حساب عن حساب ولا شان عن شان وفي الحديث ان الله تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر**

اي قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول
ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في
البحر وقرى ينجيكم من الانجا والمعنى واحد وقوله تعالى **تدعونه** نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كون
كونكم داعين له او من فاعله اي من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى **تضرعا وخفية** اما حال من فاعل تدعونه او
مصدر مؤكد له اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعا اعلان واخفا وقرى خفية بكسر الخا وقوله تعالى **لئن انجيتنا**
حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اي تدعونه قائلين لئن انجيتنا **من هذه** الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات **لنكونن من
الشاكرين** اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعما التي من جملتها هذه وقرى لئن انجانا مراعاة
لقوله تعالى تدعونه **قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب** امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظايفهم للايذان بانه متعين عندهم
وللبنا قوله تعالى **ثم انتم تشركون** عليه اي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب
ثم انتم بعدما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرى ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى **قل هو القادر على ان
يبعث عليكم عذابا** استيناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على القائهم في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد
ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله تعالى افامنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه
تارة اخرى الاية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتنا به والمسارعة الى بيان كونه المبعوث مما يضرهم ولتهويل
امر المؤخر وقوله تعالى **من فوقكم** متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم
لوط واصحاب الفيل واضرابهم **او من تحت ارجلكم** اي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم وسلاطينكم ومن
تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح **او يلبسكم شيعا**
اي يخلطكم فرقا متحزبين على اهوا شتى كل فرقة شايعة لامام فينشب بينكم القتال فيختلطوا في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها
بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي **ويذيق بعضكم باس بعض** عطف على يبعث وقرى بنون العظمة على طريق الالتفات
لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والاخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم
شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه عليه السلام انه قال سالت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني ذلك **انظر كيف نصرف الايات** من حال الى حال **لعلهم يفقهون**
كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد **وكذب به** اي بالعذاب الموعود او القران المجيد الناطق
بمجيئه **قومك** اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه
عليه السلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقوله تعالى **وهو الحق** حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما
نطق به وقيل هو استيناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها **قل** لهم مبينا على ما يؤل اليه امرهم وعلى انك
قد اديت ما عليك من وظايف الرسالة **لست عليكم بوكيل** بحفيظ وكل الى امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما
انا منذر وقد خرجت عن العهدة حين اخبرتكم بما سترونه **لكل نبا** اي لكل شي ينبا به من الانبا التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار
التي من جملتها خبر مجيئه **مستقر** اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله **وسوف تعلمون** اي حال
نبائكم في الدنيا وفي الاخرة فيهما معا وسوف للتاكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نباه بعد حين **واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا**
اي بالتكذيب والاستهزا بها والطعن فيها كما هو داب قريش ودينهم **فاعرض عنهم** بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى **حتى
يخوضوا في حديث غيره** غاية للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير اياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف

الحديث بمغايرتها مشيرا الى اعتبارها بعنوان الحدثية وقيل باعتبار كونه قرانا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك
فتنسى النهي فتجالسهم ابتدا او بقا وقرى ينسّينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين
اي معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذكر الخوض ظالمون واضعون للتكذيب في الاستهزاء موضع التصديق والتعظيم
راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم في الايات
قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين يتقون قبائح
اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء اي شيء ما على انه في محل الرفع على انه مبتدا وما تميمية
او اسم لها وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر للمبتدا او لما الحجازية
على راي من لا يجيز اعمالها في الخبر المقدم مطلقا او في محل النصب على راي من يجوز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر
ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير
ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر موكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم تذكيرا
والرفع على انه مبتدا محذوف الخبر اي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض حيا او كراهة لمساءتهم ويجوز كون الضمير
للموصول اي يذكرونهم رجا ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه [illegible]
لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزوا او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يقصد به طريق
اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحاير والسوايب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو
تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية وغرتهم الحياة الدنيا واطمانوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر
به اي بالقران من يصلح للتذكير ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الاية او مخافة ان تبسل وكراهة
ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل
لان فريسته لا تفلت منه او لانه متمنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع وقد جوز ان يكون
الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشان ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له لما في الابهام اولا
والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بابسال النفوس
وحبسها بما كسبت وقوله تعالى ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع استيناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على
انه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما في
قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في تفسير قوله تعالى وانذر به الذين الاية
وقيل هو خبر لليس فيكون لها حينئذ متعلقا بمحذوف على البيان وان تعدل اي ان تفد تلك النفس كل عدل اي كل فدا كلي
انه مصدر موكد لا يوخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يوخذ منها عدل فانه المفدي
لا المصدر كما عرفته اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم
في سوء الحال ومحله الرفع على الابتدا والخبر قوله تعالى الذين ابسلوا بما كسبوا والجملة مستانفة سيقت اثر تحذيرهم من
الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اي اولئك الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا هم الذين ابسلوا
بما الجؤا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى لهم شراب من حميم استيناف اخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على
سؤال نشا من الكلام كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به امعاؤهم
وعذاب اليم بنار تشتعل بابدانهم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير
ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بساير معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه
العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات هنا وقد جوز

ان

ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتدا والموصول الثاني صفته او بدل منه ولهم
شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله
عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان بما بينهما من الاتصال
والاتحاد تنويها لشان الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهية التي من جملتها القدرة
على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على
اعقابنا عطف على ندعوا داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره
بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت ورا الظهر وايثار نرد على نرتد لتوجيه
الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس في حيز
الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى بعد اذ هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد
النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفي ان يقال بعد ما اهتدينا كانه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ
هدانا الله الذي لا هادي سواه وقوله تعالى كالذي استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي انرد
على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اي انرد ردا
مثل رد الذي استهوته اه والاستهوا استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كانها طلبت هويه وقرى استهواه بالالف
بالامالة وقوله تعالى في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا قوله تعالى حيران حال منه
على انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجيزها او من الذي او من المستكن في الظرف اي تائها ضالا عن الجادة لا يدري ما يصنع
وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى
يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اي لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كانه نفس
الهدى ايتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ايتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على
الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعي ومورد النعيق فقط
قل ان هدى الله الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا
الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتنا بشان المامور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطية لما بعده
فان اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت
القول واللام في لنسلم لرب العالمين لتعليل الامر المحكي وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادي
الذين امنوا يقيموا الصلاة وينفقوا الاية كانه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم وقيل هي بمعنى البا اي امرنا بان نسلم وقيل
زايدة اي امرنا ان نسلم على حذف البا وقوله تعالى وان اقيموا الصلاة واتقوه اي الله تعالى في مخالفة امره عطف على نسلم
على الوجوه الثلاثة على ان ان المصدرية اذا وصلت بالامر يتجرد هو عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اي قيل
لنا اسلموا واقيموا الصلاة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيموا الصلاة ونتقيه تعالى وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلاة
ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذي اليه
تحشرون جملة مستانفة موجبة للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة وهو الذي خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق
ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال
من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد له اي قائما بالحق او ملتبسة بالحق او خلقا ملتبسا به قوله تعالى ويوم يقول كن
فيكون قوله الحق استيناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر
التكويني من غير توقف على شيء اخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد من افراد المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حتى في نفسه

متضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقيقة وترك ذكر المقول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى وامره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اي المشهود له بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى وقوله الحق كائن حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه الحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياؤها فتامل حق التامل وله الملك يوم ينفخ في الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص بجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالمهما وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام معطوف على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام معطوف على قل ندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر لهم بعدما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول ابراهيم الذين يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وعازر وفالغ به وكذلك تارخ ذكره محمد بن اسحاق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر والوزر واريد به عابد آزر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ متعد الى مفعولين هما اصناما آلهة اي اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ أأزرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا لتعززه بها على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نري ابراهيم هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظيرها البصيرة اي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله تعالى اني اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز وجل سلطانه اولا فقد قيل وقيل والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه عليه السلام كشف له عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل اياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم

وملكوت

وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ تري بالتاء واسناد الفعل للملكوت اي تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف موخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا امرا آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مرتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سياتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام اي ليستدل بها وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدايعهما واياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابراهيم داخل تحت ما امر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق ولما لحق فان تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقتضي ان يحكم عليه السلام باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه الصلاة والسلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى راى كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان اراءته عليه السلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين راى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على راي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت باياتهما وعطف قوله تعالى وليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما يخل بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين اي الارباب المنتقلين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما راى القمر بازغا اي مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رايته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستره الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافقه الشرقي مكشوف اولا والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اي على النهج السابق هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم الشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او للتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التانيث وقوله تعالى هذا اكبر تاكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة

من حالة الى اخرى المسخرة لمحدثها اومن اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظريه على الاول دون البزوغ والظهور من ضروريات
سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان
الاول حالة موجبة لظهور الاثار والاحكام ملايمة لتوهم الاستحقاق في الجملة مرتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث
كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الاثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر
عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرا عليه السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال **اني وجهت وجهي للذي فطر**
السموات التي هذه الاجرام التي تعبدونها من اجزائها **والارض** التي تعبدون فيها **حنيفا** اي مايلا عن الاديان الباطلة والعقائد
الزائغة كلها **وما انا من المشركين** في شيء من الاقوال والافعال **وحاجه قومه** اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد **قال** استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجتروا عليه من محاجته
عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم **اتحاجوني في الله** بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف
الاولى وقوله تعالى **وقد هداني** حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه السلام مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من
عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام اي اتجادلونني في شانه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت
طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى **ولا اخاف ما تشركون به** جواب عما خوفوه عليه
السلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء
ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بالهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عايدها وقوله تعالى **الا ان يشاء ربي شيئا** استثناء
مفرغ من اعم الاوقات اي لا اخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشية الله تعالى شيئا من
اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لالهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميره عليه السلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله
تعالى **وسع ربي كل شيء علما** كانه تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها
لسبب من الاسباب وفي الاظهار في موضع الاضمار تاكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى **افلا تتذكرون** اي اتعرضون
عن التامل في ان الهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر
دون التفكر ونظايره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى **وكيف اخاف ما اشركتم**
استيناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي بعد ما نفيه عنه بحسب الواقع ونفس
الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الاية لا لانكار الواقع
واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى
نفسه بان يقال ااخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله
وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل **ولا تخافون انكم اشركتم بالله** حال من ضمير اخاف
بتقدير مبتدا او الواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العايد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عليه السلام ومفيد
لاعترافهم بذلك فانه حيث لم يخافوا في محل الخوف فلان لا يخاف عليه السلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا الله في
حين الخوف اصلا وانتم لا تخافون غايلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء
ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى **ما لم ينزل به** اي باشراكه **عليكم سلطانا** على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور
الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني باشراككم من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما
لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجب مما لا سبيل اليه
اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى الى نفي الخوف عنه عليه السلام

ونفي

ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على الاستبعاد الواقع مما لا مساغ له
على ان قوله تعالى **فاي الفريقين احق بالامن** ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عليه السلام في محل الامن مع تحقق
عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما
هم عليه وانما جيء بصيغة المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن
الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الامن في محل الامن والفريق الامن في محل الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فانا
احق بالامن انا ام انتم لتاكيد الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن
تزكية النفس **ان كنتم تعلمون** المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى
التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالمرة اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني **الذين امنوا**
استيناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق الذين امنوا **ولم يلبسوا ايمانهم** ذلك اي لم يخلطوه **بظلم** اي بشرك
كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب
والشفاعة كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله تعالى زلفى وهذا معنى الخلط **اولئك** اشارة الى الموصول من حيث
اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا ثان وقوله **لهم الامن** جملة من خبر مقدم ومبتدا موخر
وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدا الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبرا للموصول
والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدا ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدا والجملة خبرا للموصول اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط **وهم مهتدون** الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي انه لما نزلت الاية
شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان
لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك
به وليس من قضيته الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر الاول لورود مورد
الجواب عن حال الفريقين **وتلك** اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله تعالى اتحاجوني الى قوله
تعالى مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدا
وقوله تعالى **حجتنا** خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى **اتيناها ابراهيم** اي ارشدناه اليها او علمناه اياها
في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان
او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدا وابراهيم مفعول اول لاتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى **على قومه** متعلق
بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف ان جعل بدلا اي اتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله اتينا **نرفع** بنون العظمة وقرئ بالياء
على طريق الالتفات وكذا الفعل الاتي **درجات** اي رتبا عالية عظيمة من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على
نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى **من نشاء** وتاخيره على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى الموخر ومفعول المشية محذوف اي من نشاء رفعه حسبما يقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة
مستانفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل اتينا اي حال كوننا رافعين الخ **ان ربك حكيم**
في كل ما فعل من رفع وخفض **عليم** بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى
ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية
به عليه السلام **ووهبنا له اسحق ويعقوب** عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى

مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على اتيناها لان له محلا من الاعراب انصبا ووقعا حسبما مر من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للروابط ولا سبيل اليه ههنا **كلا** مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما **هدينا** لا احدهما دون الاخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابراهيم وانهما مقتديان به **ونوحا** منصوب بمضمر يفسره **هدينا من قبل** اي من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار الى الولد **ومن ذريته** الضمير لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الاية والتي بعدها واما المذكورون في الاية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولاد من ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق مع ان اسماعيل عم يعقوب **داود وسليمان** منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشانه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تاخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان **وايوب** هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق **ويوسف وموسى وهارون** او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اي وهديناهم حال كونهم من ذريته **وكذلك** اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف له واصلا التقدير **نجزي المحسنين** جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس ومماثلة جزائهم بجزائه عليه السلام مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير بخس لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به ابراهيم عليه السلام والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده ولو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء اخر ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها **وزكريا** هو ابن اذن **ويحيى** ابنه **وعيسى** هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات **والياس** قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليهم السلام **كل** اي كل واحد من اولئك المذكورين **من الصالحين** اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح **واسمعيل واليسع** هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وانه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله **ويونس** هو ابن متى **ولوطا** هو ابن هاران بن اخي ابراهيم عليه السلام **وكلا** اي كل واحد من اولئك المذكورين **فضلنا** بالنبوة لا بعضهم دون بعض **على العالمين** هو على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاخرتها وقوله تعالى **ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم** اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من ابائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض ابائهم الخ **واجتبيناهم** عطف على فضلنا اي اصطفيناهم **وهديناهم الى صراط مستقيم** تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه **ذلك** اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا **هدى الله** الاضافة للتشريف **يهدي به من يشاء من عباده** وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية **ولو اشركوا** اي هؤلاء المذكورون **لحبط عنهم** مع فضلهم وعلو طبقاتهم **ما كانوا يعملون** من الاعمال

المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم **اولئك** اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر من غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدا خبره قوله تعالى **الذين اتيناهم الكتاب** اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين **والحكم** اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب **والنبوة** اي الرسالة **فان يكفر بها** اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقيين **هؤلاء** اي كفار قريش فانهم يكفرون برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه من القران كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر **فقد وكلنا بها** اي بمراعاتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها **قوما ليسوا بها بكافرين** في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي عليه السلام وقيل كل مؤمن من بني ادم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد مر تحقيقه في تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شانهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القران الكريم وقد قيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها وايا ما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية تاكيد النفي واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر انفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وكلنا بها قوما محافظين ليسوا بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما جاء فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعلى هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقران والعمل باحكامه يتحقق الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عليهم السلام فايمانهم به ليس من قبيل ايمان احاد الامة كما اشير اليه **اولئك** اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدا خبره قوله تعالى **الذين هدى الله** اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى اسم الجليل للاشعار بعلة الهداية **فبهداهم اقتده** اي فاخصص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف والاقتداء بالامام وقرئ باشباعها على انها كناية المصدر **قل لا اسالكم عليه اجرا** اي على القران او على التبليغ فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يسال من قبلي من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما امر عليه السلام بالاقتداء بهم فيه **ان هو** اي ما القران **الا ذكرى للعالمين** اي عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون اخرين **وما قدروا الله** لما بين شان القران العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم ابائهم وكفرهم بها وجه سري ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء مقداره واحواله واوصافه وقوله تعالى **حق قدره** نصب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه اي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا **اذ قالوا**

متكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من شي فنفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية
عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقص نعته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط
والا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من يناجي مستقصرا المعرفة وعبادته
سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما
نطق به القران اجترءوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعا فالنفي بمعناه الحقيقي والقايلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في انكار
انزال القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جا
به موسى اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسايهم قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك
الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شي فنزعوه وجعلوا مكانه
كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لما انه كان عندهم من المشاهير الذايعة ولذلك كانوا يقولون لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى نورا
وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يوكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير
في به والعامل انزل او من الضمير جا واللام في قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كاينا للناس وليس
المراد بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التورية فقط بل بانزال القران ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم الاعتراف بانزاله
قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد بني عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس اي تضعونه في
قراطيس مقطعة ورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة
توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله
تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا معطوف عليه والعايد الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل كلام مبتدا
لا محل لها من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وساير ما كتموه من احكام التورية وقرى الافعال الثلاثة بالياء
حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم قيل هو حال من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه على
اختلاف الراس قلت فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرايع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتاكيد
التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة
كونه ماخذ العلومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما تلقوه من جهة النبي عليه الصلاة والسلام زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس
عليهم وعلى ابايهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كانوا الا ان
تلقيهم لذلك من القران الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتورية اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له بها نفيا ولا اثباتا
واما ما ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف لبس ما وقع فيها من التباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا
عن ذلك بايضاحه وبيانه فيكون الجملة حينئذ خالية عن تاكيد التوبيخ فلا تستحق ان تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ ان يكون
استينافا مقررا لما قبلها من مجي الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجي القران ولا سبيل الى جعل ما
عبارة عما كتموه من احكام التورية كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان
مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون خاصة هذا وقد قيل الخطاب
لمن امن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباوهم وقوله تعالى قل الله امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب
عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي
يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او

متعلق

متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول او من فاعل الثاني او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول
وهذا كتاب انزلناه تحقيق لنزول القران الكريم بعد تقرير انزال ما يشهد به من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعا اثر تكذيب
مبارك اي كثير الفوايد جم المنافع مصدق الذي بين يديه من التورية لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق
للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي اصول الشرايع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك
اي للبركات ولتنذر اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبي عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار اهلها
اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقري لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب
والذين يومنون بالاخرة وبما فيها من فنون العذاب يومنون به اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر
والتامل حتى يومنوا به وهم على صلوتهم يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين ساير العبادات التي لا بد للمومنين
من ادايها للايذان بانافتها من بين ساير الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم
انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم
وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي اصلا وانكاره فان الاستعمال الفاشي من قولك من افضل
من زيد ولا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي الي من جهته تعالى ولم يوح
اليه اي والحال انه لم يوح اليه شي اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي عليه الصلاة والسلام فلما نزلت ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان
ثم قال عليه الصلاة والسلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لين كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه ولين كان كاذبا فقد
قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشا لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى
لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدايده من غمره اذا غشيه والملايكة باسطوا ايديهم
بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب
قايلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم اي وقت الاماتة او الوقت
الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه
بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون فلا
تتاملون فيها ولا تومنون بها ولقد جيتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما اثرتموه من الدنيا او عن
الاعوان والاصنام التي تزعمون انها شفعاوكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرى فرادا كرجال وفراد كثلاث وفردى
كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من
الضمير في فرادى اي مشبهين ابتدا خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جيتمونا اي مجيا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
تفضلناه عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركا اي شركا لله تعالى في الربوبية واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيين
اي وقع الجمع بينهما وقرى بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل
اي تقطع وصلكم وقرى ما بينكم وضل عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها شفعاوكم وان لا بعث ولا جزا ان الله فالق الحب والنوى
شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطيف صنعه وحكمته اثر تقرير دلايل التوحيد والفلق الشق
بالابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اي خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركية
ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحي من الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات
مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستانفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان وقوله تعالى ومخرج الميت كالنطفة والحب من الحي كالحيوان

والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى **ذلكم** القادر
العظيم الشان هو **الله** المستحق للعبادة وحده **فانى تؤفكون** فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا **فالق**
الاصباح خبر اخر لان او لمبتدا محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي فالق عمود الفجر عن بياض
النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح **وجاعل الليل سكنا** يسكن اليه
التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل
الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل
الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه
للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك **والشمس والقمر** معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل معطوفان على محله والاحسن نصبهما
بفعل مقدر وقد قرئ بالجر وبالرفع ايضا على الابتدا والخبر محذوف اي مجعولان **حسبانا** اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات
التي نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب
ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع **تقدير**
العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص **العليم** بجميع المعلومات التي
من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم **وهو الذي جعل لكم النجوم** شروع في بيان نعمته
تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلقة به وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور
لما مر من غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشاها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى **لتهتدوا بها** بدل من المجرور باعادة
العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها
اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل
بمعنى التصيير وهو اي كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عليه قوله تعالى **في ظلمات البر والبحر** اي في
ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما يتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر
عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة **قد فصلنا الايات** اي بينا الايات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الايات
التكوينية الدالة على شؤونه تعالى مفصلة **لقوم يعلمون** اي معاني الايات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الايات التكوينية
فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به **وهو الذي انشاكم من نفس واحدة** تذكير
لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشاكم مع كثرتكم من نفس ادم عليه السلام **فمستقر**
ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او مع استقرار واستيداع
فيما ذكروا والتعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على
كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف
الاستيداع **قد فصلنا الايات** المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الاية ونظايرها **لقوم يفقهون** غوامض الدقائق باستعمال
الفطنة وتدقيق النظر فان لطايف صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بني ادم مما يحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون
على يعلمون كما ورد في شان النجوم **وهو الذي انزل من السماء ماء** تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى
وسعة رحمته اي انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا
فاخرجنا به التفت الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشان ما انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته **نبات**
كل شيء من الاشياء التي من شانها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعها المختلفة في الكم والكيف والخواص والاثار اختلافا
متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى

فاخرجنا

فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق
له شيئا غضا اخضر يقال له شيء اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات
الخارج من الحبة وقوله تعالى **نخرج منه** صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر
حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى
ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى **من طلعها** بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى **قنوان**
مبتدا اي وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا اي ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج
منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شيء من طلعها قنوان
وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذيب وذيبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية
الجمع **دانية** سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تاتي بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة
والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها **وجنات من اعناب** عطف على نبات كل شيء اي
واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتدا اي ولكم ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصلة او ومخرجة
من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تاخر لما ان الانتفاع
بهذا الجنس لا يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده **والزيتون والرمان** منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين
عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى **مشتبها وغير متشابه** حال من الزيتون اكتفي به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر
المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك
وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه مشتبها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار
واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها **انظروا الى ثمره اذا اثمر** اي انظروا
اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره **وينعه** اي والى حال نضجه كيف يصير
الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ
بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه **ان في ذلكم** اشارة الى ما امروا بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة
المشار اليه وبعد منزلته **لايات لقوم يؤمنون** اي لايات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك
الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار في فهمه الالباب لا يكون الا
باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه او ند يقاومه
ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل **وجعلوا لله شركاء** اي جعلوا في اعتقادهم لله الذي شانه ما فصل في تضاعيف
هذه الايات الجليلة شركاء **الجن** اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم بالنسبة
الى مقام الالوهية والشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير
وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام
ان يتخذ لله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له
نص عليه الفراء وابو اسحاق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشا من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء
لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم
شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين **وخلقهم** حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه
على اختلاف الراين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اي وقد علموا ان الله تعالى خالقهم خاصة

وقيل الضمير للشركا اى والحال انه تعالى خلق الجن فكيف تجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرى خلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه
من الاصنام او على شركا اى وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى **وخرقوا له** اى افتعلوا وافتروا له بقا لخلق الافك
واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرى خرقوا بالتشديد للتكثير وقرى وحرفوا له اى زوروا **بنين وبنات** فقالت اليهود عزير ابن
الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طايفة من العرب الملايكة بنات الله **بغير علم** او بحقيقة ما قالوه من خطا او صواب
بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والبا
متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر موكد له اى خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كاينا بغير علم **سبحانه** استيناف
مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا او قولا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به
من سبح فى الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح
سبحانه اى انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل
الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع لمخاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن
ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثى كما ذكر فى القاموس اريد به التنزه التام
والتباعد الكلى ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى ذاته المقدسة اى تنزه بذاته تنزها لا يقابه وهو الانسب بقوله سبحانه
وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة ولما فى السبحان والتعالى من معنى التباعد قيل عما يصفون اى متباعدا عما يصفونه
من ان له شركا او ولدا **بديع السموات والارض** اى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق
على المبدع يطلق على المبتدع نص عليه ايمة اللغة كالصريخ بمعنى المصرخ وقد جا بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه على ما ذكر فى القاموس
وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع فى قوله ؏ امن ريحانة الداعى السميع ؏ وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف
بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سماواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فايق وحسن رايق او
الى الظرف كما فى قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطرى العالم العلوى
والسفلى بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد
وقرى بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور فى سبحانه على راى من يجوزه وارتفاعه فى القراة المشهورة
على انه خبر مبتدا محذوف او فاعل تعالى واظهاره فى موضع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او
مبتدا خبره قوله تعالى **ولم يكن له صاحبة** حال موكدة للاستحالة المذكورة فان انتفا ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفا ان
يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفا الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفا
الثانى اى من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم صاحبة يكون الولد منها وقرى لم يكن بتذكير الفعل ولان الاسم
ضميره تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا موخر والجملة خبر
للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه الاول
كما بين فى موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بالجملة صريحة وقوله تعالى **وخلق كل شى** اما جملة مستانفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر
من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اى انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شى انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التى من
جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه **وهو بكل شى** من شانه ان يعلم كاينا ما كان مخلوقا او غير
مخلوق كما ينبى عنه ترك الاضمار الى الاظهار **عليم** مبالغ فى العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا
يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التى من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التى ما
زعموه فرد من افرادها والجملة استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلايل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعا التى اجترءوا عليها بغير
علم **ذلكم** اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلايل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته فى العظمة

والخطاب

والخطاب للمشركين المعهود من بطريق الالتفات وهو مبتدا وقوله تعالى **الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شى** اخبار اربعة مترادفة
اى ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شى مما كان وما سيكون
فلا تكرار اذ المعتبر فى عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبى عنه صيغة الماضى وقيل الخبر هو الاول والبواقى ابدال وقيل
الاسم الجليل بدل من المبتدا والبواقى اخبار وقيل تعدد الكل من الاخبار الثلثة مبتدا وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى **فاعبدوه**
حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى **وهو على كل شى وكيل** عطف على الجملة المتقدمة
اى وهو مع ما فصل من الصفات الجميلة متولى امور جميع مخلوقاته التى انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى نجاح ماربكم الدنيوية
والاخروية **لا تدركه الابصار** البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشى عبارة عن الوصول والاحاطة
به اى لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطا كانت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكرى
الروية على الاطلاق وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومقاتل لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الاخرة **وهو يدرك الابصار**
اى يحيط بها علمه اذ لا تخفى عليه خافية **وهو اللطيف الخبير** فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على
طريقة اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك
بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى **قد جاكم بصاير من ربكم** استيناف وارد على لسان النبى عليه الصلاة والسلام والبصاير جمع بصيرة
وهى النور الذى به يستبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الايات الواردة هاهنا او جميع الايات المنتظمة لها انتظاما
اوليا ومن لابتدا الغاية مجازا سوا تعلقت بجا او بمحذوف هو صفة لبصاير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
لاظهار كمال اللطف بهم اى قد جاكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللايق بكم من الوحى الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصاير للقلوب
او قد جاكم بصاير كاينة من ربكم **فمن ابصر** اى الحق بتلك البصاير وامن به **فلنفسه** اى فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه
مخصوص بها **ومن عمى** اى ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصاير ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه **فعليها**
اى فعليها عمى او فعماه عليها اى وبال عماه **وما انا عليكم بحفيظ** وانما انا منذر والله هو الذى يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها **وكذلك**
نصرف الايات اى مثل التصريف البديع نصرف الايات الدالة على المعانى الرايقة الكاشفة عن الحقايق الفايقة لا تصريفا ادنى
منه وقوله تعالى **وليقولوا دارست** علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اى وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف
المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هى عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اى مثل ذلك التصريف نصرف
الايات لنلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر وينصره القراة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الايات وليقولوا هم
ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده
يابا‌ه ومعنى درست قرات وتعلمت وقرى دارست اى دارست العلما ودرست اى قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا اساطير الاولين
ودرست بضم الرا مبالغة فى درست اى اشتد دروسها ودرست بنا المفعول بمعنى قريت او عفيت ودارست وفسروها بدارست
اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الايات وهو فى الحقيقة لاهلها اى
دارس اهل الايات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اى درس محمد ودارسات على هى دارسات اى قديمات
او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى **ولنبينه** عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير للايات
باعتبار المعنى او للقران وان لم يذكر او للمصدر اى ولنفعل التبيين واللام فى قوله تعالى **لقوم يعلمون** متعلق بالتبيين وتخصيصه
بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اولياوه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية
جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة **اتبع ما اوحى اليك من ربك** لما حكى عن المشركين فى تصريف الايات عقب ذلك بامره
عليه الصلاة والسلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وبا باطيلهم اى دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحى اليك من الشرايع
والاحكام التى عمدتها التوحيد وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى

لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين موكد لايجاب اتباع الوحي لاسيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا في الالوهية **واعرض عن المشركين** لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم انفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم **ولو شا الله** اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشية من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزا **ما اشركوا** وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض موكد للاعراض وكذا قوله تعالى **وما جعلناك عليهم حفيظا** اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى **وما انت عليهم بوكيل** من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليها للاهتمام به او لرعاية الفواصل **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله** اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لالهتهم كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا **فيسبوا الله عدوا** تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم **بغير علم** اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعدا وعدوانا روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا تستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يودي الى الشر شر **كذلك** اي مثل ذلك التزيين القوي **زينا لكل امة عملهم** من الخير والشر باحداث ما يمكنهم ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم **ثم الى ربهم** مالك امرهم **مرجعهم** اي رجوعهم بالبعث بعد الموت **فينبئهم** من غير تاخير **بما كانوا يعملون** في الدنيا على الاستمرار من السيات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر من هذه النشاة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشاة الاخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الاية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشاة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشاة الاخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى **واقسموا بالله** روي ان قريشا اقترحوا بعض ايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا لئن فعلته لنومنن جميعا فسال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها طمعا في ايمانهم فهم عليه السلام بالدعا فنزلت وقوله تعالى **جهد ايمانهم** مصدر في موضع الحال اي اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم **لئن جاتهم اية** من مقترحاتهم اي من جنس الايات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الايات **ليومنن بها** وما كان مرمى غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض وتسير بها الجبال **قل انما الايات** اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا **عند الله** اي امرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشان من شونها قدرة احد ولا مشيته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعا وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شان الايات وصعوبة منالها وتعاليها من ان تكون عرضة للسوال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الايات عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او اتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى اتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وارادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى **وما يشعركم انها اذا جات لا يومنون** كلام مستانف غير داخل تحت الامر مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق

من

من عدم مجي الايات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام من الهم بالدعا وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة وانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سالوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شي يعلمكم ان الايات التي يقترحونها اذا جات لا يومنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيها طمعا في ايمانهم فكانه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الايات وقيل لا مزيدة فتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اي اي شي يعلمكم ايمانهم عند مجي الايات حتى يتمنوا مجيها طمعا في ايمانهم فيكون تخطية لراي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويويده انه قرئ لعلها اذا جات لا يومنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استيناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شي يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجي الايات لعلها اذا جات لا يومنون بها فما لكم تتمنون مجيها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استيناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تومنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جات لا يومنون فرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجي الايات وبكونها حينئذ كما هي الان **ونقلب افئدتهم وابصارهم** عطف على لا يومنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشي من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار **كما لم يومنوا به** اي بما جا من الايات **اول مرة** اي عند ورود الايات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يومنون وما مصدرية اي لا يومنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم اولهم وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم **ونذرهم** عطف على لا يومنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها اليه واستعدادها له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشانهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تاثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تعالى **في طغيانهم** متعلق بنذرهم وقوله تعالى **يعمهون** حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المومنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذر بالياء على اسنادهما الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم **ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة** تصريح بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جات لا يومنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الايات اثر بيان انها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه واكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتا ما اقترحوه هنا من اية واحدة من الايات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سالوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة **وكلمهم الموتى** وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فاتوا بابائنا **وحشرنا** اي جمعنا **عليهم كل شي قبلا** بضمتين وقرئ بسكون الباء اي كفلا بصحة الامر وصدق النبي عليه السلام على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله تعالى او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي ولو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شي يتاتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شي وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شي نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي او مقابله وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق وان انتصابه على الظرفية **ما كانوا ليومنوا** اي ما صح ولا استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم

في التمرد والطغيان واما سبق القضا عليهم بالكفر من الاحكام المترتبة على ذلك حسبما نبي عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم
يعمهون وقوله تعالى **الا ان يشا الله** استثنا مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اي ما كانوا
ليومنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيته
تعالى لايمانهم او من اعم العلل اي ما كانوا ليومنوا لعلة من العلل المعدودات وغيرها الا لمشيته تعالى له واياما كان فليس المراد بالاستثنا
بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بنا على كون مشيته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالته بنا على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا
ليومنوا الا ان يشا الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب افيدتهم الاية كيف لا وقوله عز وجل **ولكن اكثرهم**
يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثنا لا قبله ولا ريب في ان ذلك يجهلون سوا اريد بهم المسلمون وهو الظ
والمقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشية الله تعالى كما هو اللازم من حمل نظم الكريم على معنى الاول فانه ليس مما يعتقدون الاولون ولا مما
يدعيه الاخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر
المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجي الايات لجهلهم عدم مشيته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون
قوله تعالى وما يشعركم الا على القراة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجي الايات لجهلهم عدم مشيته تعالى لايمانهم
حينيذ فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراة السابقة بيان مبدا خطا المقسمين ومناط اقسامهم وتقرير له
على قراة لا تومنون بالتا الفوقانية وكذا على قراة وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يومنون **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا** كلام مبتدا
مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل
والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر بتلي به كل من سبقك من الانبيا عليهم السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت
لمصدر موكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اي جعلنا لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا والتقديم على الفعل للقصر
المفيد للمبالغة والمعنى مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك ولا يومنون ويبغونك الغوائل
ويدبرون في ابطال امرك مكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداوك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان
عداوة الكفرة للانبيا عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلا **شياطين الانس والجن** اي مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من
البيانية وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اي الشياطين للانس والتي
للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على
التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى **يوحي بعضهم الى بعض** كلام مستانف مسوق لبيان احكام عداوتهم
وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعدا كما في
قوله ٭ اذا انا لم انفع صديقي بوده ٭ فان عدوي لم يضرهم بغضي ٭
والوحي عبارة عن الايما والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وبعض كل من الفريقين الى بعض **زخرف**
القول اي المموه منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه اذا زينه **غرورا** مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال
اي غارين او مصدر موكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا **ولو شا ربك** رجوع الى بيان الشئون الجارية بينه عليه السلام
وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبيا عليهم السلام وبين اممهم كما ينبي عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف في التسلية اي ولو شا ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان
مفعول المشية انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزا وهو قوله تعالى **ما فعلوه** اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك
وايحا بعضهم الى بعض منهم مزخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور الانبيا عليهم السلام ايضا كما قيل
فان قوله تعالى **فذرهم وما يفترون** صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له عليه السلام اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك
من فنون المفاسد بمشيته تعالى فاتركهم وافتراهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب

حميدة لابتنا مشيته تعالى على الحكم البالغة البتة **ولتصغى اليه** اي الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحا
معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافيدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه **افيدة الذين لا يومنون بالاخرة** انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالاخرة دون ما عداها
من الامور التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افيدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الاخرة محفوفة في هذه النشاة
بالمكاره والامها مقرونة بالشهوات فالذين لا يومنون بها وباحوال ما فيها لا يدرون ان ورا تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات الاما
وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الراي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل
واما المومنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها
ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا
اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور **وليرضوه** لانفسهم بعدما مالت اليه افيدتهم **وليقترفوا** اي
يكتسبوا بموجب ارتضايهم له **ما هم مقترفون** له من القبايح التي لا يليق ذكرها **افغير الله ابتغي حكما** كلام مستانف وارد على ارادة
القول والهمزة للانكار والفا للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم امل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم
بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود
او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغا المنكر الى نفسه عليه السلام لا الى المشركين كما في قوله
تعالى افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال
منه واما بالعكس واياما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفا حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغا
غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغا وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على
الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى **وهو الذي انزل اليكم الكتاب** جملة حالية
موكدة لانكار ابتغا غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم
نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي اغيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة
امية لا تدرون ما تاتون وما تذرون القران الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب **مفصلا** اي مبينا فيه
الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شي من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى
الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القران الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل في ذلك كما قيل
فلا وقوله تعالى **والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق** كلام مستانف غير داخل تحت القول المقدر مسوق
من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا
بحكميتهم حسبما نقل انفا من علما اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التورية والانجيل باسم الكتاب
ايما الى ما بينهما وبين القران من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد الطايفتين
بعنوان ايتا الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما لا يختلف من
الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علما الفريقين وهو الظاهر فالايتا هو التفهيم بالفعل
واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر من التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مومنوا
اهل الكتاب وقرى منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والباء في
قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق **فلا تكونن من الممترين** اي في انهم يعلمون ذلك
لما لا تشاهد منهم اثار العلم واحكامه المعروفة فالفا لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشان القران او في انه منزل من ربك
بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عليه السلام صورة

وقيل الخطاب لكل واحد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب
النهي على نفس علمهم بحال القران **وتمت كلمة ربك** شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته
اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق
والعدل وبها يظهر الاثار من الحكم وقرئ كلمات ربك **صدقا وعدلا** مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله
تعالى **لا مبدل لكلماته** اما استيناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر
مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل
شيا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى **وهو السميع** لكل ما يتعلق به السمع **العليم**
بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر على
ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب
بعدها ينسخها **وان تطع اكثر من في الارض** لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل
الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيا منها واستبداده تعالى بالاحاطة
التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقايض تلك الكمالات من النقايص التي هي الضلال
والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون
اليهم والعمل باراءهم والمراد بمن في الارض الناس وباكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما
يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده **ان يتبعون الا الظن** وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على
الحق فهم على اثارهم مهتدون او جهالاتهم واراءهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استيناف مبني على سؤال نشا من
الشرطية كانه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امورهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيا فيضلون ضلالا مبينا ولا
ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى **وان هم الا يخرصون** عطف على
ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل
الميتة وتحريم البحاير ونظائرها او يقدرون انهم على شيء وانى لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين **ان ربك
هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين** تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين
فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه
الصور بل بفعل دل هو عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من
فاعل لنضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تاكيدا للتحذير عن طاعة
الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى من
يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي
يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من
جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله تعالى احق ان تاكلوه
مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه
ان كنتم باياته التي من جملتها الايات الواردة في هذا الشان **مؤمنين** فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احل الله والاجتناب عما
حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه **وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه** انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم
الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحاير والسوايب ونحوها وقوله تعالى **وقد فصل لكم** الخ جملة حالية موكدة
للانكار كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابناءنا اي واي سبب حامل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر

اسم الله عليه او واي غرض يحملكم على ان لا تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم **ما حرم عليكم** بقوله تعالى قل لا اجد فيما
اوحي الي محرما على الخ فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ لانها مدنية واما التاخر في التلاوة فلا يوجب
التاخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول **الا ما اضطررتم اليه** مما حرم
فانه ايضا حلال حينئذ **وان كثيرا** اي من الكفار **ليضلون** الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون **باهوائهم**
الزائغة وشهواتهم الباطلة **بغير علم** مقتبس من الشريعة الشريفة مستند الى الوحي **ان ربك هو اعلم بالمعتدين** المتجاوزين لحدود
الحق الى الباطل والحلال الى الحرام **وذروا ظاهر الاثم وباطنه** اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل
الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان **ان الذين يكسبون الاثم** اي يكسبونه من الظاهر والباطن **سيجزون بما كانوا يقترفون** كائنا ما كان
فلا بد من اجتنابها والجملة تعليل للامر **ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب
داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق
ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله **وانه لفسق** فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما
ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية **وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم** المراد بالشياطين
ابليس وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه
يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام **ليجادلوكم** اي بالوساوس الشيطانية او بما نقل من
اباطيل المجوس ويموهونه التاويل بالميتة **وان اطعتموهم** في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم **انكم لمشركون** ضرورة ان من ترك
طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى بل اثره عليه سبحانه **اومن كان ميتا** وقرئ ميتا على الاصل **فاحييناه** تمثيل
مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين خابطون في
ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه
الكلام اي انتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة **وجعلنا له** مع ذلك من الخارج **نورا** عظيما
يمشي به اي بسببه والجملة استيناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به **في الناس** اي
فيما بينهم امنا من جهتهم او صفة له **كمن مثله** اي صفته العجيبة وهو مبتدا وقوله تعالى **في الظلمات** خبره على ان المراد بها اللفظ لا المعنى
كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى **ليس بخارج
منها** حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي ليس بخارج منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا
يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالايات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشا
لكن لا على ان يدل كل على واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهها بما يناسبه من معانيها فان الفاظ
المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي الممثلين هياة على حدة ومن
الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين
بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الاية الى ان التمثيل قسم براسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة
حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كما في التمثيلين
ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله تعالى ❊ وما الناس الا كالديار واهلها ❊ بها يوم حلوها وغدوا بلاقع ❊ **كذلك**
اي مثل ذلك التزيين البليغ **زين** اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة
والتسويل **للكافرين** التابعين للوساوس الشيطانية الاخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم **ما كانوا يعملون** ما استمروا على
عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل
الاية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل **وكذلك** قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها

جعلنا في كل قرية من سائر القرى **اكابر مجرميها ليمكروا فيها** ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف
لغو اوهما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر
مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهور التحقق عند الناس معهودا فيما
بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر
ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما تعهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اهل مكة لان
مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فان الاقرب ان ذلك اشارة الى
الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا
قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الاية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين
هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين
على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **وما يمكرون**
الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم **وما**
يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا
بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى **واذا جاءتهم اية** رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعدما بين بطريق التسلية ان حال
غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل كما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين اي اذا جاءتهم اية بواسطة
الرسول عليه السلام **قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله** قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل
عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما في
علق بايتاء ما اوتي الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند
الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله
تعالى **الله اعلم حيث يجعل رسالاته** عن ظاهرها ويحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل
اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتاتى كونه جوابا عن اقتراحهم ورد الدبان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك
الاية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى ياتينا جبريل بالذات عيانا كما ياتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبريل
عليه السلام اليه لامر من الامور ابدا ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل
حين قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى ياتينا
وحي كما ياتيه وقال الضحاك سال كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى
صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي
الرسل مجرد تصديقهم برسالته عليه السلام في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان كلمة حتى في قول اللعين حتى ياتينا وحي كما ياتيه
الى غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقدير اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي
والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت
النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان
المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الاية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم اية
نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى
قوله لو كانت النبوة حقا الخ لو كانت ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذ لم يكن الامر كذلك فليست بحق وما له تعلق
الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتاها ايتاء مثل ايتاء

رسل الله

رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه السلام وحيث نصب على المفعولية توسعا لا انتصاب اعلم لما عرفت من انه
لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما يدرك بكثرة المال
والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما تنال بفضائل نفسانية يخص الله تعالى بها من يشاء من خاص عباده وقرئ رسالته **سيصيب**
الذين اجرموا استيناف ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم حرمانهم مما املوه والسين للتاكيد ووضع الموصول
موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اي يصيبهم المشبه مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم
الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة **صغار** اي ذلة وحقارة بعد كبرهم **عند الله** يوم القيامة وقيل من عند الله **وعذاب**
شديد في الاخرة او في الدنيا **بما كانوا يمكرون** اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم موارد اجرامهم صرح له
بسببيته **فمن يرد الله ان يهديه** اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان **يشرح صدره للاسلام** فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس
قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن
فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزوله **ومن يرد ان يضله** ان يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه **يجعل صدره ضيقا حرجا** بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد
يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة **كانما يصعد** ما هو مهيئ
للدخول كان على الحمل لفعلية **في السماء** شبه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن
دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا
في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد **كذلك** اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا
على الوجه المذكور **يجعل الله الرجس** اي العذاب والخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا
والعذاب في الاخرة **على الذين لا يؤمنون** اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من
كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر **وهذا** اي البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان **صراط**
ربك اي طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط
للتربية وافاضة الكمال **مستقيما** لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة لقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة
قد فصلنا الايات بيناها مفصلة **لقوم يذكرون** يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا
فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم
المنتفعون بتفصيل الايات **لهم دار السلام** اي للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة **عند ربهم** اي في ضمانه او ذخيرة
لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى **وهو وليهم** اي مولاهم وناصرهم **بما كانوا يعملون** بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى
ايصاله اليهم **ويوم يحشرهم جميعا** منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر
والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اي واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا **يا معشر الجن** او ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن
او ويوم يحشرهم ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر
الجن الشياطين **قد استكثرتم من الانس** اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر
الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع **وقال اولياؤهم** اي الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى **من الانس** اما للبيان
الجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم اي كائنين من الانس **ربنا استمتع بعضنا ببعض**
اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان الغوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن
بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبولهم لما القوه اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف
واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم **وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا** وهو يوم القيامة قالوه اعترافا

بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهار للندامة عليها وتحسرا عليهم واستسلاما لربهم ولعل
الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا **قال** استيناف مبني
على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال **النار مثواكم** اي منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام
مثوى للمؤمنين **خالدين فيها** حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا **الا ما شاء الله** قال ابن عباس رضي الله
عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي عليه السلام وهذا مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى
من وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم
من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب
وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده **ان ربك**
حكيم في افعاله **عليم** باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء **وكذلك** اي مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم
نولي بعض الظالمين من الانس **بعضا** اخر منهم اي نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرنا بعض في العذاب كما
كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف ما يؤدي اليه من القبائح **بما كانوا يكسبون** بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ
معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم **الم ياتكم** اي في الدنيا **رسل** اي من عند الله عز وجل لكن لا على ان ياتي كل رسول
كل واحدة من الامم بل على ان ياتي كل امة رسول خاص بها اي الم ياتي كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى **منكم** متعلق بمحذوف وقع
صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتاكيد وجوب اتباعهم والايذان
بتقاربهما ذاتا واتحادا تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الاخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل
وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القران وانذروا به قومهم حيث نطق قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الى قوله
تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى **يقصون عليكم اياتي** صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ
والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين **وينذرونكم** بما في تضاعيفها من القوارع **لقاء يومكم هذا** يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه
ما اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة **قالوا** استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد
فقيل قالوا **شهدنا على انفسنا** اي باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك العذاب
المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى **وغرتهم**
الحيوة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها والجاهم في الاخرة الى
الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذمهم بذلك اي واغتروا في الدنيا بالحيوة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا
عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجترؤا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤكد الذي انذرهم اياه **وشهدوا** في
الاخرة **على انفسهم انهم كانوا** في الدنيا **كافرين** اي بالايات والنذر التي اتى بها الرسل على التفصيل المذكور انفا واضطروا الى
الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحذيرهم
وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه **ذلك** اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب
للرسول عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **ان لم يكن ربك مهلك القرى** بحذف اللام على ان مصدرية
او مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى **بظلم** متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من
القرى اي ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية له بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل
فيأباه ان غفلة اهلها ماخوذة في معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى **واهلها غافلون** والمعنى ذلك
ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اي ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينهوا على بطلانه

برسول وكتاب وان قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل
وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر وشهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولا اعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله
تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل بما
ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التقريب في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير تعرض له
اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي
معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث
لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف
بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي
الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين له
فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا كذلك فينزجرون عن الاخلال بمواجب الانذار اشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه
جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وخبر المبتدأ محذوفا كما اطبق عليه الجمهور
فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه اعلم **ولكل** اي من المكلفين من الثقلين **درجات** متفاوتة وطبقات متباينة **مما عملوا** من اعمالهم
صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم **وما ربك بغافل**
عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة **وربك الغني**
مبتدأ وخبر اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف
الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه
ساحته عن توهم شمول الوعيد الاتي لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى **ذو الرحمة** خبر اخر وهو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف
تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى **ان يشأ يذهبكم**
اي ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى **ويستخلف من بعدكم** اي من بعد
اذهابكم **ما يشاء** من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء **كما انشاكم من ذرية قوم اخرين** اي من
نسل قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف
النصب على انه مصدر تشبيهي على غير المصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كائنا كانشائكم الخ او نعت لمصدر الفعل
المذكور اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والشرطية استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة **انما توعدون** اي
الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي **لات** لواقع لا
محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما
يعرب عنه قوله تعالى **وما انتم بمعجزين** اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على
المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل
على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه **قل يا قوم**
اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم
بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم
اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي انتم عليها من قولهم مكان
ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم **اني عامل** ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار
على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر

على ما يودي اليه وتسجيل بان المهدد لا ياتي منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الى التفصي عنه سبيلا فسوف تعلمون من
تكون له عاقبة الدار سوف لتاكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتدا
وتكون باسمها وخبرها خبرها وهي مع خبرها في محل نصب لسدها مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى
التي خلق الله تعالى لها هذه الدار واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع
الانذار انصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه اي الشان لا يفلح الظالمون
وضع الظلم موضع الكفر انذارا بان امتناع الفلاح يترتب على اي فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده
وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهو حكاية ان مشركي العرب كانوا يعينون اشيا من حرث ونتاج
لله تعالى واشيا منها لالهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لالهتهم واذا زكا ما جعلوه لالهتهم
تركوه معتلين بان الله تعالى غني وما ذلك الا لحب الهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى لله مما ذرا
متعلقان به ومن في قوله تعالى من الحرث والانعام بيان وللما فيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر
على شي ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له اي عينوا لله تعالى مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الى الضيفان والمساكين
وتاخيره من المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما مما ذرا على ان من تبعيضية اي جعلوا
بعض ما خلقه نصيبا لله وما قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم لله تعالى نصيبا يدل على انهم جعلوا
لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفا بقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وانما قيد به
الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل لله تعالى غير مستتبع لشي من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه
للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامر الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما
بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل
الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى
من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لالهتهم من
انفاق بذبح نسايك عندها والاجرا على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار الهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم
وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدا وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك ومثل ذلك
التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين الهتهم او مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير
من المشركين قتل اولادهم بوادهم ونحرهم لالهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد
المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البنا
الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركا باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقرئ على البنا للمفعول الذي هو القتل ونصب
الاولاد وجر الشركا باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقرئ على البنا للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار
فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم اي ليهلكوهم بالاغوا وليلبسوا عليهم
دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين
~~او الاردا او اللبس او الفريقان جميع ذلك على اجرا الضمير مجرى اسم الاشارة~~ وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شا الله اي عدم فعلهم
ذلك ما فعلوه اي ما فعله المشركون ما زين لهم من القتل او الشركا التزيين او الاردا او اللبس او الفريقان جميع ذلك على اجرا الضمير
مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفا فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشية الله تعالى فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من
الافك فان فيما شا الله تعالى حكما بالغة انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع
اخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لالهتهم والتانيث للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه

الواحد

الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق
واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشا يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النسا والجملة صفة اخرى لانعام
وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا اي قالوه متلبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدا محذوف والجملة
معطوفة على قوله تعالى هذه الانعام الخ اي قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحاير
والسوايب والحوامي وانعام اي وهذه انعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي
كنظايره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على
احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج
لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طايفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شي من شانها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا
ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افترا عليه نصب على المصدر اما على ان ما قالوه تقول على الله تعالى واما على تقدير عامل من لفظه اي
افتروا افترا والجار متعلق بقالوا او بافتروا او بمحذوف هو صفة له لا بافترا لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي
مفترين او على العلة اي للافترا فالجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزا من التهويل ما لا يخفى
وقالوا حكاية لفن اخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه الانعام يعنون به اجنة البحاير والسوايب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة
والتا للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اي ذو خالصة او للتانيث بنا
على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تعالى ومحرم على ازواجنا اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل
للنظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الخ
ونظايره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القران وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اي وان
ولدت ميتة فهم اي الذكور والاناث فيه اي فيما في بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الاول على الثاني شركا
ياكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر موكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا
من الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا
ثان سيجزيهم وصفهم اي جزا وصفهم الكذب على الله تعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم
تعليل للوعد بالجزا فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا اولادهم
جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي
خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على انه علة له اي لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرزاق لهم ولاولادهم
او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ سفها او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير والسوايب ونحوها افترا على الله نصب على
احد الوجوه المذكورة واظهار اسم الجليل في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا
مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايات او ما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة حينئذ اعتراض وعلى الاول عطف على
ضلوا وهو الذي انشا جنات معروشات تمهيد لما سياتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشاهن من غير شركة لاحد في
ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات
ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اي انشاهما مختلفا اكله وقرئ
اكله بسكون الكاف اي ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع
على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشا والزيتون والرمان اي انشاهما وقوله تعالى
متشابها وغير متشابه نصب على الحالية اي يتشابه بعض افرادهما في اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر
كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فايدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى واتوا حقه يوم حصاده

اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والسورة
مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر باتيانها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية
وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه **ولا تسرفوا** اى فى التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسماية نخلة ففرق ثمرها كلها
ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الاية **انه لا يحب المسرفين** اي لا يرتضي إسرافهم **ومن الانعام حمولة**
وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال لما تقولوا على الله تعالى في شانها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول انشا ومن متعلقة به
والمعنى وانشا من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار
الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها **كلوا مما رزقكم الله** ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اى كلوا بعض ما رزقكم الله
تعالى اى حلاله وفيه تصريح بان انشاها لاجلهم ومصلحتهم **ولا تتبعوا** في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء
انفسهم المفترين على الله سبحانه **خطوات الشيطان** فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم **انه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة
ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا العدد
تمهيد لما سبق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بناصبهما وجعله
مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الاية معترض بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه
مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاولى الى الابل والبقر
وتفصيل الثاني الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه
وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة من تلك المواد لتوجيه الانكار اليها مفصلة واثنين في قوله تعالى
من الضان اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من اي انشا من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان
على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة **ومن المعز اثنين** عطف على مثله
شريك له في حكمه اي وانشا من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن
المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل للتفصيل مع تاخرها في الاجمال لكون هذين النوعين
عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض
للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها **قل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل
انواع الانعام التي انشاها اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب **ءالذكرين** من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس **حرم** اي
الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم **ام الانثيين** وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو موخر عنهما بحسب المعنى وان
توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى **اما اشتملت عليه ارحام الانثيين** اي ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله
تعالى **نبئوني بعلم** امر تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء
يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني تنبئة ملتبسة بعلم صادرة عنه **ان كنتم صادقين** اى في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله
تعالى **ومن الابل اثنين** عطف على قوله تعالى من الضان اثنين اي وانشا من الابل اثنين هما الجمل والناقة **ومن البقر اثنين** ذكر وانثى **قل**
افحاما لهم في امر هذين النوعين ايضا **ءالذكرين** منهما **حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين** من ذينك النوعين والمعنى
انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في
الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت تارة
اخرى مسندين كله الى الله سبحانه وان ما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار ما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع
حصول التبكيت بايراد الامر عقب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال الذكور حرم ام الاناث اما اشتملت عليه ارحام الاناث
لما فيه من التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله تعالى **ام كنتم شهداء** تكرير للافحام كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة

وعنى

ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه اخر اي بل اكنتم حاضرين شاهدين **اذ وصاكم**
الله بهذا اي حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يقود اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة
والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم
المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الانشاء والكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اي فاي فريق اظلم من
فريق افتروا الخ ولا يقدح في ظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم
واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفي صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة **ليضل الناس** متعلق بالافتراء
بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى اى افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك
مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه
تعالى مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من
فاعل يضل اي ملتبسا بغير علم بما يؤدي به عليه **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** كافة بيانا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او اجلا واذا كان
هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته **قل** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم
وبيان انما يقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرم عليهم وفي قوله **لا اجد فيما اوحي الي محرما** ايذان
بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد غيرها ما فصل وفيه مبالغة
في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد ريثما تصفحت ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم التي حرموها **على طاعم**
اي اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تعالى **يطعمه** لزيادة التقرير **الا ان يكون** اي ذلك الطعام
ميتة وقرئ تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى **او دما مسفوحا** حينئذ عطف على ان مع ما في حيزه
اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد **او لحم خنزير فانه** اي الخنزير **رجس** او
لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث **او فسقا** عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته **اهل لغير الله به** صفة موضحة
اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن
راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون **فمن اضطر** اي اصابته الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة **غير باغ** في
ذلك على مضطر اخر مثله **ولا عاد** قدر الضرورة **فان ربك غفور رحيم** مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال
الاول لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام اخر هو اخذه حق مضطر اخر فان من اخذ لحم الميتة
من يد مضطر اخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الاخر واما الحال الثانية فلتحقيق
زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميت وفي التعرض لوصفي المغفرة
والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والاية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك
الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء اخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي
هي غيرها الا مع الاستصحاب **وعلى الذين هادوا** خاصة لا على من عداهم من الاولين والاخرين **حرمنا كل ذي ظفر** اي كل ما له اصبع
من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات
الظفر حلالا لهم فلما ظلموا اعم التحريم كلها وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من قرية اليهود وتكذيبهم
في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا **ومن البقر والغنم**
حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلي والاضافة لزيادة الربط **الا ما حملت ظهورهما**
استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم **او الحوايا** عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية او
حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن **او ما اختلط بعظم** عطف على ما حملت وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بالعجب

الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها **ذلك** اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد
لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم **جزيناهم ببغيهم** بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربا وقد نهوا
عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا به
بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم ذلك واكد بقوله تعالى **وانا لصادقون** اي جميع
اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف
وقد بين فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان **فان كذبوك** قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل
للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم **فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة** لا
يؤاخذكم بكل ما تاتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها **ولا يرد باسه** بالكلية **عن القوم المجرمين** فلا تنكروا ما وقع منه تعالى
من تحريم لبعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم
ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو باس شديد على
المجرمين فاقيم مقامه وقوله تعالى ولا يرد باسه الخ لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير
صارف يصرفه عنهم اصلا **سيقول الذين اشركوا** حكاية لفن اخر من كفرهم واخبار قبل وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند
وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في ان من عند الله تعالى **لو شاء الله ما اشركنا** اي لو شاء خلاف ذلك
مشيئة ارتضاء لما فعلنا الاشراك **نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء** ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من
ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض مهم به دليلا للمعتزلة الاترى الى قوله تعالى **كذلك كذب الذين من
قبلهم** اي مثل ما كذبك هؤلاء في انه تعالى يمنع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف اباؤنا على
الضمير للفصل بلا **حتى ذاقوا باسنا** الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم **قل هل عندكم من علم** من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم **فتخرجوه
لنا** اي فتظهروه لنا **ان تتبعون الا الظن** اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا **وان انتم الا تخرصون**
تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي **قل فلله الحجة البالغة** اي البينة
الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد
كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه **فلو شاء هداكم اجمعين** بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لا يشاء هداية الكل بل هداية
البعض الصارفين هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال اخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم **قل
هلم شهداءكم** اي احضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف على لغة اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على راي الجمهور وقد خالفهم
البعض في فعليته وليس بشيء واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين
هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا
الذين يشهدون ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم
ضلالهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم وكذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفوا بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة
مذهبهم **فان شهدوا** بعد ما احضروا بان الله حرم هذا **فلا تشهد معهم** اي فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فان
تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة **ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا** من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على من كذب بايات
الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها **والذين لا يؤمنون بالاخرة** كعبدة الاوثان
عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله ٭ الى

٭ الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتائب في المزدحم ٭

فان من يكذب باياته تعالى لا يؤمن بالاخرة وبالعكس **وهم بربهم يعدلون** اي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى
لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب ايات الله وبين الكفر بالاخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهي
الجمع المذكور بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بكلها **قل تعالوا** لما ظهر بطلان ما ادعوا من ان اشراكهم واشراك اباءهم
وتحريم ما حرموه بامر الله تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في امر
التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد اخرى عجزا بينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على
الاسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بين بقوله تعالى قل لا اجد الاية وتعال
امر من التعالي والاصل فيه ان يقوله من في مكان عال لمن هو في اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما ان الغنيمة في الاصل اصابة
الغنم من العدو ثم استعملت في اصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة **اتل** جواب الامر وقوله تعالى **ما
حرم ربكم** منصوب به على ان ما موصولة والعائد محذوف اي اقرا الذي حرمه ربكم اي الايات المشتملة عليه او مصدرية اي تحريمه
او بحرم على انها استفهامية والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب القول كانه قيل اقل اي شيء حرم ربكم **عليكم** متعلق بحرم
على كل حال وقيل باتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه مربيا لهم ومالكا على الاطلاق من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم اشد انتهاء وان في
قوله تعالى **ان لا تشركوا به** مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهي عليه
وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات ايضا كذلك حتى يمتنع انتظام
الاوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار الاوامر التي هي النواهي المتعلقة باضداد ما تعلقت هي به
فان الامر بالشيء مستلزم النهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كان الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف الاوامر على النواهي
الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المامور به لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم راجع الى الاضداد
على الوجه المذكور فكانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا او لا تسيؤا الى الوالدين خلا انه قد اخرج مخرج الامر بالاحسان بهما
للتنبيه المكتفيين له المبالغة في ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة اليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن
الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها النصب بعليكم على انه للاغراء وقيل
النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو ان لا تشركوا
او المحرم ان تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الاول لامور من جملتها ان في اخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في
بيان التحريم وقوله تعالى **شيئا** نصب على المصدرية او المفعولية اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء **وبالوالدين**
اي واحسنوا بهما **احسانا** وقد مر تحقيقه **ولا تقتلوا اولادكم** تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق
الوالدين اي لا تقتلوهم بالوأد **من املاق** اي من اجل فقر كما في قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذاك في المتوقع
وقوله تعالى **نحن نرزقكم واياهم** استئناف مسوق لتعليل النهي وابطال سببيته سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لارزاقهم
اي نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى **ولا تقربوا الفواحش** كقوله تعالى ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة الاية الا انه جيء ههنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي عن انواعها ولذلك ابدل عنها قوله تعالى **ما ظهر منها وما
بطن** اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها
اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي
عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم
الاموات وقد قال في حق العزل ذلك الوأد الخفي ومن ههنا تبين ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به
ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله** اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام

أو بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى **إلا بالحق** استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم
بالحق الذي هو أمر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان وقتل النفس المعصومة أو من أعم الأسباب أي لا
تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق وهو ما ذكر أو من أعم المصادر أي لا تقتلوها قتلا إلا قتلا كائنا بالحق وهو القتل بأحد
الأمور المذكورة **ذلكم** إشارة إلى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتها من بين التكاليف الشرعية
وهو مبتدأ وقوله تعالى **وصاكم به** أي أمركم به ربكم أمرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لإيجاب المحافظة
على ما كلفوه ولما كانت الأمور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى **لعلكم تعقلون** أي تستعملون
عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة **ولا تقربوا مال اليتيم** توجيه النهي إلى قربانه لما مر من المبالغة
في النهي عن أكله ولإخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه **إلا بالتي هي أحسن** إلا
بالخصلة التي هي أحسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للأولياء والأوصياء لقوله تعالى **حتى يبلغ أشده** فإنه غاية
لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه إليه كما في قوله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم
أموالهم والأشد جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد ككلب وأكلب أو شد كصر وأصر وقيل هو مفرد كآنك **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط**
أي بالعدل والتسوية **لا نكلف نفسا إلا وسعها** إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الأمر بالعدل للإيذان
بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم **وإذا قلتم** قولا في حكومة أو شهادة أو نحوهما **فاعدلوا**
فيه **ولو كان** أي المقول له أو عليه **ذا قربى** أي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا
وبعهد الله أوفوا أي ما عهد إليكم من الأمور المعدودة أو أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا أو ما عاهدتم الله عليه من الأيمان
والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه **ذلكم** إشارة إلى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل **وصاكم به** أمركم به أمرا مؤكدا
لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الأمم
والأعصار عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب
من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة بسم
الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات **وأن هذا صراطي** إشارة إلى ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي قاله مقاتل وقيل إلى ما ذكر في السورة
فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى إضافته إلى ضميره عليه السلام انتسابه إليه
عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان أن ما فصل من الأوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم
بل متعلقة به عليه السلام أيضا وأنه عليه السلام مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى **مستقيما** حال مؤكدة ومحل أن مع ما في
حيزها الجر بحذف لام العلة أي ولأن هذا صراطي أي مسلكي مستقيما **فاتبعوه** كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله
أحدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه في نفسه كذلك من حيث إن سلوكه فيه داع للخلق
إلى الاتباع إذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ أن هذا مخففة من أن على أن
اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف وقرئ سراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك **ولا تتبعوا السبل**
الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات **فتفرق بكم** بحذف إحدى التاءين والباء للتعدية أي فتفرقكم حسب تفرقها أيادي
سبا فهو كما ترى أبلغ من تفرقكم كما قيل من أن ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب أبلغ من أذهبه **عن سبيله** أي سبيل الله الذي
لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الإسلام الذي ذكر بعض أحكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على أن صراطه عليه
السلام عين سبيل الله تعالى **ذلكم** إشارة إلى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل **وصاكم به لعلكم تتقون** اتباع
سبل الكفر والضلالة **ثم آتينا موسى الكتاب** كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر إنزال
القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل بعد

قوله

قوله تعالى وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما أن قوله ونطبع على قلوبهم
معطوف على ما يدل عليه معنى أولم يهد الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ وأما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام
الملقن كما أجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم للتراخي في الإخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما
صنعت بالأمس أعجب أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى التوراة فإن
إيتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها أعظم من الوصية بها فقط **تماما** للكرامة والنعمة أي إتماما لهما على أنه مصدر
من أتم بحذف الزوائد **على الذي أحسن** أي على من أحسن القيام به كائنا من كان ويؤيده أنه قرئ على الذين أحسنوا وتماما على
المحسنين أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماما على ما أحسنه موسى عليه السلام أي أجاده من العلم والشرائع
أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن دين وأرضاه وآتينا موسى الكتاب تماما
أي تاما كاملا على أحسن ما يكون عليه الكتب **وتفصيلا لكل شيء** وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما
إما على العلية أو على المصدرية كما أشير إليه أو على الحالية وكذا قوله تعالى **وهدى ورحمة** وضمير **لعلهم** لبني إسرائيل المدلول عليهم بذكر
موسى وإيتاء الكتاب والباء في قوله تعالى **بلقاء ربهم** متعلقة بقوله تعالى **يؤمنون** قدمت عليه محافظة على الفواصل قال
ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب **وهذا** الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه أي القرآن كتاب
عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى **كتاب أنزلناه مبارك** أي كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الإنزال مع كونه
غير صريح لأن الكلام مع منكريه أو خبران آخران لاسم الإشارة أي أنزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي
فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى **فاتبعوه** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلا
من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه أي إيجاب **واتقوا** مخالفته **لعلكم ترحمون** بواسطة
اتباعه والعمل بموجبه **أن تقولوا** علة لأنزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل حينئذ بين العامل والمعمول بأجنبي
هو مبارك وصفا كان أو خبرا أي أنزلناه كذلك كراهة أن تقولوا يوم القيامة لو لم تنزله **إنما أنزل الكتاب** الناطق بتلك الأحكام
العامة لكل الأمم **على طائفتين** كائنتين **من قبلنا** وهما اليهود والنصارى وتخصيص الإنزال بكتابيهما لأنهما اللذان اشتهرا حينئذ
فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الأحكام لا سيما الأحكام المذكورة **وإن كنا** إن هي المخففة من إن واللام فارقة بينها وبين النافية
وضمير الشأن محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من أن نزوله عليهما لا ينافي عموم أحكامه فلم لم تعملوا بأحكامه العامة أي
وإن كنا **عن دراستهم لغافلين** لا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الأحكام العامة ونحافظ عليها وإن لم
يكن منزلا علينا وبهذا تبين أن معذرتهم هذه مع أنهم غير مأمورين بما في الكتابين لاشتمالهما على الأحكام المذكورة المتناولة لكافة
الأمم كما أن قطع تلك المعذرة بإنزال القرآن لاشتماله أيضا عليها لا على سائر الشرائع والأحكام فقط **أو تقولوا** عطف على
تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوا واتقوا **لو أنا أنزل علينا الكتاب** كما أنزل عليهم **لكنا أهدى منهم** إلى
الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام والشرائع ودقائقها لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك
تلقفنا فنون العلم كالقصص والأخبار والخطب والأشعار ونحو ذلك طرفا صالحا ونحن أميون وقوله تعالى **فقد جاءكم** متعلق
بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة إما معلل به أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ وإما شرط له أي إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم
من كونكم أهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم **بينة** وأي بينة أي حجة واضحة لا يكتنه
كنهها وقوله تعالى **من ربكم** متعلق بجاءكم أو بمحذوف هو صفة لبينة أي بينة كائنة منه تعالى وأيا ما كان ففيه دلالة على فضلها
الإضافي كما أن في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم مزيد تأكيد لإيجاب الاتباع
وهدى ورحمة عطف على بينة وتنوينهما أيضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة إيذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة
تنبيها على أنه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة **فمن أظلم** الفاء لترتيب ما

بعدها على ما قبلها فإن مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية الظلمة من يكذب به أي وإذا كان الأمر كذلك فمن أظلم **ممن**
كذب بآيات الله ووضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصاً على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعاراً بعلة الحكم وإسقاطاً
لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تهويلاً للأمر وتنبيهاً على أن تكذيب أي آية كانت من آياته تعالى كافٍ في الأظلمية فما ظنك
بتكذيب المنطوي على الكل والمعنى إنكار أن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساوياً له وإن لم يكن سبك التركيب متعرضاً لإنكار المساواة
ونفيها فإذا قلت من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد به حتماً بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل
وقد مر مراراً **وصدف عنها** أي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال **سنجزي الذين يصدفون** الناس **عن آياتنا** وعيد لهم ببيان جزاء إضلالهم
بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم أيضاً ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء **سوء العذاب** أي العذاب السيء لشدة نكايته **بما كانوا يصدفون**
أي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما أشعر به إجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة
له **هل ينظرون** استئناف مسوق لبيان أنه لا يتأتى منهم الإيمان بإنزال ما ذكر من البينات والهدى وأنهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة
واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وأن الإيمان عند إتيانها مما لا فائدة له أصلاً مبالغة في التبليغ والإنذار وإزاحة
العلل والأعذار أي ما ينتظرون **إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك** حسبما اقترحوا بقولهم لولا أنزل عليه ملك ونحو ذلك أو إلا أن تأتيهم
ملائكة العذاب أو يأتي أمر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ يأتيهم بالياء لأن تأنيث الملائكة غير حقيقي **أو يأتي بعض**
آيات ربك أي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا بها إيمانهم والتعبير عنها
بالبعض للتهويل والتفخيم كما أن إضافة الآيات في الموضعين إلى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك وإضافته إلى ضميره عليه السلام للتشريف
وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وبإتيانه سبحانه وتعالى إتيان كل آية بمعنى آيات القيامة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من إتيان بعض
آياته تعالى على أن المراد به أشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الأرض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال
وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن إتيان
هذه الأمور مما ينتظرونه كإتيان ما اقترحوه من الآيات فإن تعلقهم بما لم يأتيا له انتظار منهم له ظاهراً حمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه
حالهم في الإصرار على الكفر والتمادي في العناد إلى أن تأتيهم تلك الأمور الهائلة التي لا بد لهم من الإيمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها
وأنت خبير بأن النظم الكريم بسياقه المنبئ عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الإيمان عند
إتيان ما ينتظرونه يستدعي أن يحمل ذلك على أمور هائلة مخصوصة بهم إما بأن يكون عبارة عما اقترحوه أو عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كإتيان
ملائكة العذاب وإتيان أمره تعالى بالعذاب وهو الأنسب لما سيأتي من قوله تعالى قل انتظروا إنا منتظرون وإما حمله على ما ذكر من إتيان ملائكة
الموت وإتيان كل آيات القيامة وظهور أشراط الساعة مع شمول إتيانها للكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده
المقام على أن بعض أشراط الساعة ليس مما يسد به باب الإيمان والطاعة نعم يجوز لبعض حمل بعض الآيات في قوله عز وعلا **يوم يأتي بعض**
آيات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف فإنه بمنزلة الكبرى من الشكل الأول
فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه في ذلك دخولاً أولياً ويوم منصوب بقوله تعالى **لا ينفع** فإن امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم
وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف أي لا ينفع فيه **نفساً** من النفوس **إيمانها** حينئذ لانكشاف الحال وكون
الأمر عياناً ومدار قبول الإيمان يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ لا تنفع بالتاء لوقوعه لاكتساب
الإيمان من ملابسة المضاف إليه تأنيثاً وقوله تعالى **لم تكن آمنت من قبل** أي من قبل إتيان بعض الآيات صفة لنفساً فصل بينهما بالفاعل
لاشتماله على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لأنه غير أجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى **أو كسبت في إيمانها خيراً** عطف على آمنت
بإيراد الترديد على النفي المفيد لكفاية أحد النفيين في عدم النفع والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً لم تقدم إيمانها أو قدمته ولم
تكسب فيه خيراً ومن ضرورته اشتراط النفع بتحقق الأمرين أي الإيمان المقدم والخير المكسوب فيه معاً بمعنى أن النافع هو تحققهما والإيمان
المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لأنه هو النافع وتحققهما شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فإن قولك لا ينفع الصوم والصدقة

من

من لم يؤمن قبلها معناه أنهما ينفعانه عند وقوعها بعد الإيمان وقد استدل به أهل الاعتزال على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن
الأعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعمومه المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الأمرين معاً
وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق أحدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً لم يصدر عنها
من قبل أحد الأمرين إما الإيمان المجرد أو الخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بأيهما كان حسبما تنطق به النصوص الكريمة من الآيات والأحاديث
وما قيل من أن عدم الإيمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكراراً بلا فائدة على أن الموجب للخلود في النار هو
العدم الأول من غير أن يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعاً فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغواً من الكلام مبني على توهم أن
المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان إيجابهما للخلود فيها وعدم نفع الإيمان الحادث في إنجائها عنه وليس كذلك وإلا
لكفى في البيان أن يقال لا ينفع نفساً إيمانها الحادث بل المقصد الأصلي من وصفها بذينك العدمين في أثناء بيان عدم نفع الإيمان الحادث
تحقيق أن موجب النفع إحدى ملكتيهما أعني الإيمان السابق والخير المكسوب فيه لما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير
من تركهما ولا سبيل إلى أن يقال كما أن عدم الأول مستقل في إيجاب الخلود فيلغو إذ ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في إيجاب
الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغواً لما أنه قياس مع الفارق كيف لا والخلود فيها أمر لا يتصور فيه تعدد العلل وأما الخلاص عنها مع دخول
الجنة فله مراتب بعضها مترتبة على نفس الإيمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كماً وكيفاً وإنما لم يقتصر على بيان ما يوجب أصل النفع وهو الإيمان
السابق مع أنه هو المقابل لما لا يوجبه أصلاً أعني الإيمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد أيضاً إرشاداً إلى تحري الأعلى
وتنبيهاً على كفاية الأدنى وإقناطاً للكفرة عما علقوا به أطماعهم الفارغة من أعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الأرحام وإعتاق
الرقاب وفك العناة وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان أن كل ذلك لغو بحت لابتنائه على
غير أساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وأن الإيمان
الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام أعمالهم السابقة واللاحقة ولك أن تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين
التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الأمرين الواجبين عليهم وإن كان وجوب أحدهما منوطاً بالآخر كما في قوله عز
وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلاً لكمال طغيانهم أو إنما يتضاعف عقابهم لما تقرر من أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة
كما سيجيء عند قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة إذا تحققت هذا وقفت على أن الآية الكريمة أحق بأن تكون حجة على
المعتزلة من أن تكون حجة لهم هذا وقد قيل إنها من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان لم تكن آمنت
من قبل أو كسبت فيه وليس بواضح فإن مبنى اللف التقديري أن يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام وقد ترك ذكره
تعويلاً على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه إياه كما مر في تفسير قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً
فإنه قد طوي في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بإنباء التفصيل عنه أعني قوله تعالى فأما الذين آمنوا الآية ولا ريب في أن ما قدر ههنا
ليس مما يستدعيه قوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيراً ولا هو من مقتضيات المقام لأنه ليس مما لو عدوه وعلقوه بإتيان ما ذكر من الآيات
كالإيمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه إذ ذاك على أن ذلك مشعر بأن لهم بعد ما أصابهم من الدواهي ما أصابهم بقاءً على السلامة وزماناً يتأتى
منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الإخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد أجيب عن الاستدلال بوجوه أخر فصارى أمر
إسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدالة على ما ذكر من كفاية الإيمان المجرد عن العمل في الإنجاء
من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من أن الظني بمعزل عن معارضة القطعي **قل** لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد
انتظروا ما تنتظرونه من إتيان أحد الأمور الثلاثة لتروا أي شيء تنتظرون **إنا منتظرون** لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة
وفيه تأييد لكون المراد بما ينتظرونه إتيان ملائكة العذاب أو إتيان أمره تعالى بالعذاب كما أشير إليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين بمعاينتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه وتعالى أعلم **إن الذين**
فرقوا دينهم استئناف لبيان أحوال أهل الكتاب إثر بيان حال المشركين أي بددوه وبعضوه فتمسك كل بعض منه فرقة منهم وقرئ

فارقوا اى باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض اخر منه ترك للكل ومفارقه وكانوا شيعا اى فرقا تشيع كل فرقة اماما لها
قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة واستثنا الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو
بالنظر الى العصر قبل النسخ واما بعده فالكل فى الهاوية وان اختلف اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى لست منهم فى شى لست من البحث عن
تفرقهم والعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمواخذة وقيل من قتالهم فى شى سوى تبليغ الرسالة واظهار شعاير الدين الحق الذى امرت
بالدعوة اليه فيكون منسوخا باية السيف وقوله تعالى انما امرهم الى الله تعليل للنفى المذكور اى هو يتولى وحده امر اولهم واخراهم
ويدبره كيف يشا حسبما تقتضيه الحكمة يواخذهم فى الدنيا متى شا ويامر بقتالهم اذا اراد وقيل المفترقون اهل البدع والاهوا الزائغة
من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مامور بمواخذتهم والاعتذار بان معنى لست منهم فى شى حينئذ انت برى منهم ومن مذهبهم وهم برآ
منك يأباه التعليل المذكور ثم ينبئهم اى يوم القيامة بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبيه لما بينهما من الملابسة فى انهما سببان
للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اى يظهر لهم على رؤس الاشهاد ويعلمهم اى شى شنيع كانوا يفعلونه
فى الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها استيناف مبين لمقادير اجزية العاملين
وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهم يريد من عمل من المصدقين حسنة كتب له عشر
حسنات اى من جاء يوم القيامة بالاعمال الحسنة من المومنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها فضلا من الله عز وجل وقرى
عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل
المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر فى العدد الخاص ومن جاء بالسيئة اى بالاعمال السيئة كاينا من كان من العاملين فلا يجزى الا
مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هدانى ربى امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذى يدعون انهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال
الاعتنا بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اى قل لاولئك المفرقين ارشدنى ربى بالوحى
وبما نصب فى الافاق والانفس من الايات التكوينية الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من الى صراط فان محله النصب
كما فى قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض
فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرى قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار
الصيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اى مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض
مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون لدينهم من عقد وعمل اى ما كان منهم فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين
يدعون انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله قل ان
صلوتى ونسكى اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بفروع الشرايع وما سبق باصولها اى عبادتى كلها وقيل وذبحى جمع بينه وبين الصلوة
كما فى قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتى وحجى ومحياى ومماتى اى وما انا عليه فى حياتى واكون عليه عند موتى من الايمان والطاعة
او طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرى محياى بكسر اليا اجرا للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين
لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته فى
الفضل اى بذلك الاخلاص امرت لا بشى غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به
لوس من خصايصه عليه السلام بل الكل مامورون به يقتدى به عليه السلام من اسلم منهم قل اغير الله ابغى ربا اخر فاشركه فى العبادة وهو
رب كل شى جملة حالية موكدة للانكار اى والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلى فكيف يتصور ان يكون شريكا له فى المعبودية ولا تكسب
كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم
القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اى لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها عن شخص
وقرارها على شخص اخر حتى يأتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له بالمعنى الثانى اى لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل

نفس

نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه الى الكل لتاكيد الوعد وتشديد الوعيد اى الى مالك امركم رجوعكم
يوم القيامة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغى وتمييز الحق من الباطل وهو الذى جعلكم خلائف الارض
من حيث خلفتم الامم السالفة او خلف بعضكم او جعلكم خلفاء الله تعالى فى ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام ورفع بعضكم فى
الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما اتاكم من المال والجاه اى ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من
الشكر وضده ان ربك تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف
به عليه السلام سريع العقاب اى عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما اتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل ات قريب او سريع التمام
عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادى والالات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغى وفى جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية
الواردة على بناء المبالغة موكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هى له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ
فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل
اية سورة من الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مائتان وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة
البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص اى مسمى به وتذكير اسم الاشارة
مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة اليه مع عدم
سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف هو ما ينبئ
عنه تعديد الحروف كانه قيل المولف من جنس هذه الحروف مرادا به السورة كتاب الخ او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المولف منه
منزلة حضور نفس المولف اى هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثانى خبر بعد خبر على ما اثر من كونه مترجما باسم بديع منبئ عن غرابته فى نفسه ابانة
لجلالة محله ببيان كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا لالمص مبتدأ اى المسمى بالمص كتاب
وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل
فحقها الاخبار بها انزل اليك اى من جهته تعالى بنى الفعل للمفعول جريا على سنن الكبريا وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل
لغاية ظهور تعينه وهو السر فى ترك ذكر مبدأ الانزال كما فى قوله جل ذكره بلغ ما انزل اليك من ربك ونظايره والجملة صفة لكتاب
مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن فى صدرك حرج اى شك كما فى قوله تعالى
فان كنت فى شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه
وانفساحه مبالغة فى تنزيه ساحته عليه السلام عن نسبة الشك اليه ولو فى ضمن النهى فانه من الاحوال القلبية التى يستحيل اعتراؤها
اياه عليه السلام وما قد يقع من نسبته اليه فى ضمن النهى فعلى طريقة التهييج والالهاب والمبالغة فى التنفير والتحذير بايهام ان ذلك
من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار فى قوله تعالى منه متعلق
بحرج يقال حرج منه اى ضاق به صدره او بمحذوف وقع صفة له اى حرج كاين منه اى لا يكن فيك شك ما فى حقيته او فى كونه كتابا منزلا
اليك من عنده تعالى فالفاء على الاول لترتيب النهى او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول
اليقين به قطعا واما على الثانى فهو لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهى الى الحرج مع ان المراد نهيه عليه
السلام عنه اما لما مر من المبالغة فى تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فان النهى عن الشى مما يوهم امكان صدور المنهى عنه عن
المنهى واما للمبالغة فى النهى فان وقوع الشك فى صدره عليه السلام سبب لاتصافه عليه السلام به والنهى عن السبب نهى عن المسبب
بالطريق البرهانى ونفى له عن اصله بالمرة كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم الاية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا فان النهى وارد على

علي المسبب مراد ابه النهي عن السبب فيكون المال نهيه عليه السلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتامل وقيل الحرج علي حقيقته
اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر في القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له
واعراضهم عنه فكان تضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفا حينئذ للترتيب علي مضمون
الجملة او علي الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام علي التبليغ وزوال الخوف قطعًا وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول وقوله تعالى
لتنذر به اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحسما لتوهم ان مورد
الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفا الشك في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا انتفا الخوف
منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر علي ذلك وانت خبير بانه لا يتاتي علي التفسير الاول لان تعليل النهي عن الشك بما ذكر من
الانذار والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلام مشعر بان المنهي عنه ليس محذورا لذاته بل لافضائه الي فوات الانذار
والتذكير لا اقل الايذان بان ذلك معظم غايته ولا ريب في فساده واما علي التفسير الثاني فانما يتاتي التعليل بالانذار لا بتذكير المومنين
اذ ليس فيه شائبة خوف حتي يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى **وذكرى للمومنين** في حيز النصب باضمار فعله معطوفا علي تنذر اي وتذكر
المومنين تذكيرا او الجر عطفا علي محل ان تنذر اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفا علي كتاب او خبر لمبتدا محذوف وتخصيص التذكير
بالمومنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اي لتنذر به المشركين وتذكر المومنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام **اتبعوا
ما انزل اليكم** كلام مستانف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي عليه السلام قبله بتبليغه بطريق
الانذار لانه اهم والتذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلام لتذكيرما يصححه من الانذار والتذكير لتاكيد وجوب
اتباعه وقوله تعالى **من ربكم** متعلق بانزل علي ان من لابتدا الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الي ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتاكيد لوجوبه وحمل ما انزل ههنا
عاما للسنة القولية والفعلية تعيد تعميما حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزله الله تعالى اتباعا له تعالى
عقب الامر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل **ولا تتبعوا من دونه** اي من دون ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم الي الحق ومحله
النصب علي انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى **اوليا** من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة
والاغوا من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم علي البدع والاهوا الزايغة او من اوليا قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي
اوليا كاينة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول علي حذف المضاف في اوليا اي ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اوليا كانه قيل ولا تتبعوا من دون
دين ربكم دين اوليا وقري ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى **قليلا ما تذكرون** بحذف احدي التائين وتخفيف
الذال وقري بتشديدها علي ادغام التا المهموسة في الذال المجهورة وقري يتذكرون علي صيغة الغيبة وقليلا نصب اما بما بعده علي انه
نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا
حيث تتاثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلا
ما يومنون والجملة اعتراض تذيلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات علي القراة الاخيرة للايذان بان اقتضا سو حالهم في عدم الامتثال
بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب علي انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة
به اي لا تتبعوا من دونه اوليا قليلا تذكركم لكن لا علي توجيه النهي الي المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل الي
المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين **وكم من قرية اهلكناها** شروع في انذارهم بما جرى علي
الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم علي اتباع دين اوليايهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع علي الابتدا
كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الي معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع
نصب باهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شي خلقناه بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الي الصلاة اي اردنا
اهلاكها **فجاها** اي فجا اهلها **باسنا** اي عذابنا **بياتا** مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بايتين كقوم لوط **او هم قايلون**

عطف

عطف عليه اي او قايلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة علي اختها استثقالا لاجتماع
العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفا بالضمير كما في جاني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالتين
بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر واردع عن الاغترار باسباب الامن والراحة
ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منها لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم **فما كان دعواهم**
اي دعاوهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم **اذ جاهم باسنا** عذابنا وعاينوا امارته **الا ان
قالوا** جميعا **انا كنا ظالمين** اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات
ولات حين نجاة ادخل في التهويل والا فالترتيب الاحوال الاخروية علي الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اي لنسالن الامم قاطبة
قايلين ماذا اجبتم المرسلين **فلنسالن الذين ارسل اليهم** بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي
احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل في التهويل والا فالترتيب الاحوال الاخروية علي الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اي لنسالن
الامم قاطبة قايلين ماذا اجبتم المرسلين **ولنسالن المرسلين** عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسوال
توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سوال الاستعلام والاول في موقف الحساب والثاني في موقف
العقاب **فلنقصن عليهم** اي علي الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلي المرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه **بعلم**
اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلوماتهم **وما كنا غايبين** عنهم في حال من الاحوال فيخفي علينا شي من اعمالهم واحوالهم والجملة تذييل
مقرر لما قبلها **والوزن** اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه علي الابتدا وقوله تعالى **يومئذ** خبره وقوله
تعالى **الحق** صفته اي والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السوال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل
الحق اي العدل السوي وقري القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور علي ان صحايف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان
وكفتان ينظر اليه الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبيا
والملايكة والاشهاد وكما يثبت في صحايفهم فيقرونها في موقف الحساب ويويده ما روي ان الرجل يوتي به الي الميزان فينشر له تسعة وتسعون
سجلا مدي البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل
توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه لياتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن
القضا السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين بنا علي ان استعمال لفظ الوزن في هذا
المعنى شايع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الي معرفة مقادير الشي ومقادير اعمال العباد لا يمكن
اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلي تقدير بقايها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية تبرز
في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلي ذلك
حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام
في حق من يشرب في انا الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا ترى ان العلم يظهر في عالم المثال علي صورة اللبن كما لا
يخفى علي من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يوتى بالاعمال الصالحة علي صور حسنة وبالاعمال
السية علي صور قبيحة فتوضع في الميزان ان قيل ان المكلف يوم القيامة اما مومن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى
بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم حينئذ ان رجحان بعض الاعمال علي بعض لخصوصيات راجعة الي ذوات تلك الاعمال بل
يسنده الي اظهار الله تعالى اياه علي ذلك الوجه فما الفايدة في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ ويظهر جميع الاشيا بحقايقها علي ما
هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى
لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشاة بصورته الحقيقية المستتبعة
لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم **فمن ثقلت موازينه** تفصيل للاحكام المترتبة علي الوزن والموازين اما جمع

ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الاخر اى فمن رجحت
موازينه التي توزن بها حسناته او اعماله التي لها قدر وزنة وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق
لميزان توضع فيه السيات ان يخف **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين
لذلك واما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف **هم**
المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند
اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الاخرة او اشارة
الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم **ومن خفت موازينه** اى موازين اعماله او اعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله
السيئة **فاولئك** اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا في نظيره **الذين خسروا انفسهم**
اى ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد ايدت بالايات البينة وقوله تعالى **بما كانوا باياتنا يظلمون** متعلق بخسروا وما
مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على استمرار الظلم في الدنيا اى فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر باياتنا ظالمين **ولقد**
مكناكم في الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك في الدنيا
والعذاب المخلد في الاخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اى جعلنا
لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف **وجعلنا لكم فيها معايش** المعاش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب
وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه في قراءته اخلاص الياء وعن ابن عامر انه همزه تشبيها له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الانشاء
والابداع اى انشانا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من
مفعوله المنكر اذ لو تاخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع ان حقهما التاخر عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق
الى المؤخر فان النفس عند تاخر ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم مبنئا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند
الورود فضل تمكن واما تقديم اللام على في فلما انه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشانه اتم والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد
قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الاخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف
الواقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة في الارض وقوله تعالى
قليلا ما تشكرون اى تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالى
قليلا ما تذكرون **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة
وتاخيره عن ذكر ما وقع بعده من نعمة التمكين في الارض اما لانها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما
نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعي ربما يؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة
وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد بهما خلق
ادم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتاكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلقه عليه السلام
وتصويره لما انهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الامور السارية الى ذريته
جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكانهم الذين تعلق به خلقه وتصويره اى خلقنا اباكم آدم طينا غير
مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم سار اليكم جميعا **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** صريح في ان وروده بعد خلقه عليه
السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امر منجز غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين وهو المراد بما حكي بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الاية في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف
وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضي تراخيه عن التصوير من غير تعرض لما جرى بينهما من الامور وقد بينا في سورة البقرة اذ

اذ ذلك ظهور فضل ادم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل واذ
قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الى قوله وما كنتم تكتمون فافهم ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق من التسوية ونفخ
الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم
مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله قد القي الى الملائكة عليهم
السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد
تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فهنالك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى
بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشان المأمور به وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور
المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة
انه ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الايات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون
اي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملأ الاعلى الملائكة وادم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصام
ما جرى بينهم في شان الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام
المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد
ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده
من البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطريقين المذكورين والله اعلم
فسجدوا اى الملائكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم **الا ابليس** استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة
متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة
فقوله تعالى **لم يكن من الساجدين** اى ممن سجد لادم عليه السلام كلام مستانف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء
فان عدم السجود قد يكون للتامل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده اى لكن ابليس لم يكن من
الساجدين **قال** استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشا من حكاية عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه
الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية
الخلق والتصوير **ما منعك ان لا تسجد** اى ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى
لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مصروف الى خلافه فالمعنى ما صرفك الى ان لا تسجد
اذ امرتك قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك ان لا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما
منعك ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة
الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير ادم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل
واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار
بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه **قال** استئناف كما سبق
مبني على سؤال نشا من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال **انا خير منه** متجانفا عن تطبيق جوابه على السؤال بان
يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا بين الالتزام بمنعه من السجود على زعمه ومشعرا بان من شانه هذا لا يحسن ان
يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون فهو اول
من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى **خلقتني من نار وخلقته من طين** تعليل لما ادعاه من
فضله عليه ولقد اخطا اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبا عنه قوله تعالى ما منعك ان

تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الاية دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب **قال** استئناف كما سلف والفاء في قوله تعالى **فاهبط منها** لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السما فيرده ان وسوسته لادم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تعالى **فما يكون لك** اي فما يكون ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك **ان تتكبر فيها** اي في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى **فاخرج** تاكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى **انك من الصاغرين** تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك وعن عمر رضي الله تعالى عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض **قال** استئناف كما مر مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعدما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال **انظرني** اي امهلني ولا تمتني **الى يوم يبعثون** اي ادم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث **قال** استئناف كما سلف **انك من المنظرين** ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله الاخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت اجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء غير ما استثناه الله تعالى من الخلائق وهو النفخة الاولى الى وقت البعث الذي هو المسؤول وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وفي سورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين **الى يوم الوقت المعلوم** وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين اذا صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين فما حكي ههنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار على الاستنظار وقد طبق الكلام في تينك السورتين وفي كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي حسبما حظه واما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة واطوار ان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في الكلام تجريده عنها بل قد تراعى عند نقله كيفيات

وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال فمنشاؤه الغفلة عما يجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا ايهم سامع آخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحليته الكلام بمزايا اخر يرتقي بها الى رتبة الاعجاز لاسيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به **قال** استئناف كما مر **فبما اغويتني** الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى اياه اثر من اثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالاخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي **لاقعدن لهم** او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لادم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة **صراطك المستقيم** الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في قوله * كما عسل الطريق الثعلب * وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقوله * ضرب زيد الظهر والبطن * **ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم** اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنه من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون على وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه **ولا تجد اكثرهم شاكرين** اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى منهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام **قال** استئناف كما سلف مرارا **اخرج منها** اي من الجنة او من السما او من بين الملائكة عليهم السلام **مذؤوما** اي مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما **مدحورا** مطرودا **لمن تبعك منهم** اللام موطئة للقسم وجوابه **لاملان جهنم منكم اجمعين** وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب **ويا آدم** اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المامور به **اسكن انت وزوجك الجنة** هو من السكن الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى **فكلا من حيث شئتما** لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جمعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جمعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة المامور فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة فيه ولتعليق النهي بهما صريحا في قوله تعالى

ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من اليا **فتكونا من الظالمين** اما جزم على العطف او نصب
على الجواب **فوسوس لهما الشيطان** اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي
كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة **ليبدي لهما** اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او له
للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند
الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع **ما ووري عنهما من سوآتهما** ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا
احدهما من الاخر وانما لم يقلب الواو المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف
الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها **وقال** عطف على وسوس بطريق البيان **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة**
اي عن اكلها **الا ان تكونا ملكين** اي الا كراهة ان تكونا ملكين **او تكونا من الخالدين** الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة
على افضلية الملائكة لما ان من المعلوم ان الحقايق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه **وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين** اي اقسم
لهما وصيغة المبالغة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل قالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة **فدلاهما**
فنزلهما على الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل
بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما** اي فلما وجدا
طعمها اخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة
كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا **وطفقا يخصفان** طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل
وانشا وعلق وهب وانبرى اي اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة **عليهما من ورق الجنة** قيل كان ذلك ورق التين وقرئ
يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصفان اصله يختصفان **وناداهما ربهما** مالك امرهما بطريق
العتاب والتوبيخ **الم انهكما** وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اي وقال الم انهكما **عن تلكما
الشجرة** ما في اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي نهيا عن قربانها **واقل لكما** عطف على انهكما اي الم اقل لكما **ان
الشيطان لكما عدو مبين** وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة النهي قيل فيه تنبيه على ان مطلق
النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو ولما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي في سورة طه
بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الاية روي انه تعالى قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجرة الجنة مندوحة عن هذه الشجرة
فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا
فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وذرع ودرس وذرى وعجن وخبز **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** اي ضررناها
بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة **وان لم تغفر لنا** ذلك **وترحمنا لنكونن من الخاسرين** وهو دليل على ان الصغاير يعاقب عليها
ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادات المقربين في استعظام
الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات **قال** استيناف كما مر مرارا **اهبطوا** الخطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما
ولابليس كرر الامر له تبعا لهما ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم مفرقا كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم
يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في ساير المواضع **بعضكم لبعض عدو** جملة حالية من فاعل اهبطوا اي متعادين **ولكم في الارض
مستقر** اي استقرار او موضع استقرار **ومتاع** اي تمتع وانتفاع **الى حين** هو حين انقضاء اجالكم **قال** اعيد الاستيناف
اما للايذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه
الا الضالون وقوله تعالى قال ارايتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى ااسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما
بعده من قوله تعالى **فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى

يا بني

يا بني آدم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره **قد انزلنا عليكم لباسا** اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية
واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الاية وقوله تعالى وانزلنا الحديد **يواري سوآتكم** التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم
حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وروي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب
عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم حينئذ للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان
وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم **وريشا** ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اي تمول وقرئ رياشا وهو جمع
ريش كشعب وشعاب **ولباس التقوى** اي خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبر
جملة **ذلك خير** او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا **ذلك**
اي انزال اللباس **من آيات الله** الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته **لعلهم يذكرون** فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح
يا بني آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سببه **لا يفتننكم الشيطان**
اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة **كما اخرج ابويكم من الجنة** نعت لمصدر محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل
اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في
الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا **ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما** حال من ابويكم او من
فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى **انه يراكم هو وقبيله** اي جنوده وذريته
استيناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه **من حيث لا ترونهم** من لابتداء غاية الروية وحيث ظرف لمكان انتفاء الروية ولا ترونهم
في محل الجر باضافة الظرف اليه ورويتهم لنا من حيث لا نراهم لا يقتضي امتناع رويتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا **انا جعلنا
الشياطين** جعل قبيله من جملته فجمع **اولياء للذين لا يؤمنون** اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة اولياء لهم عليهم وتمكينهم
من اغوائهم وحملهم على ما سولوا اليهم اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل اخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر تحذير **واذا فعلوا فاحشة**
جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها جارية على الموصوف
المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما **قالوا** جوابا للناهين عنها
وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الاباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان اباءهم انما
كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم ولابائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى **قل
ان الله لا يامر بالفحشاء** فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل
بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل
هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل لما فعلها اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين
يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا **اتقولون على الله ما لا تعلمون** من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباح
وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه اليه عز وجل
اشد قبحا واحق بالانكار **قل امر ربي بالقسط** بيان للمامور به اثر نفي ما اسندوا امره اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو
الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط **واقيموا وجوهكم** وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموا
وجوهكم نحو القبلة **عند كل مسجد** في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة عنده ولا تؤخروها حتى
تعودوا الى مساجدكم **وادعوه** واعبدوه **مخلصين له الدين** اي الطاعة فان مصيركم اليه بالاخرة **كما بداكم** اي انشاكم ابتداء
تعودون اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون
اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم **فريقا هدى** بان وفقهم للايمان **وفريقا حق عليهم
الضلالة** بمقتضى القضاء السابق التابع للمشية المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل فريقا **انهم اتخذوا**

الشياطين اوليا من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطي والمعاند
سوا في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اي ثيابكم لموارة عورتكم عند كل مسجد اي طواف
او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم
روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا
تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بالافراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما
اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة فقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف الاية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه
لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق اي المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل
في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في معنى انكاري قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة
وان شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك
نفصل الايات لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل انما حرم
ربي الفواحش اي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش اي جهرها وسرها
والاثم اي ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وهو شرب الخمر والبغي اي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق
بالبغي موكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافترا عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه تعالى بما لا يعلمون وقوعه لا ما يعلمون
عدم وقوعه وقد مر سره ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جا اجلهم ان جعل الضمير للامم المدلول
عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيه اياها بواسطة اكتساب الاجل
بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جا هم اجالهم بان يجي كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها لا يستاخرون عن ذلك
الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتاخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم
عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفا التقدم مع امكانه في نفسه
كالتاخير بل للمبالغة في انتفا التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم القبول في سلك
من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجي الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجي اليوم
الذي ضرب لهلاكهم ساعة منه وليس بذاك وتقديم بيان انتفا الاستئخار لما ان المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما
في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخير اهلاكهم مع استحقاقهم له
حسبما ينبي عنه قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفا السبق يا بني آدم تلوين للخطاب
وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشان ما في حيزه اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون
الثقيلة والخفيفة وفيه تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنون
من جنسكم وقوله يقصون عليكم اياتي صفة اخرى لرسل اي يبينون لكم احكامي وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا
هم يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي والذين كذبوا منكم باياتنا وايراد الاتقا في الاول للايذان
بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقا والاجتناب عنه وادخال الفا في الجزا الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اي تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب ما قاله اي هو اظلم من كل

ظالم

ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى
البعد للايذان بتماديهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافترا والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من
الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه واياما كان فمن للابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اي
ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله عنهما كتب لمن يفتري على
الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت
واعوانه يتوفونهم اي حال كونهم متوفين لارواحهم يويد الاول فان حتى وان كانت هي التي يبتدا بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا
بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون بها الى حين وفاتهم اي ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان تاتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اين ما
كنتم تدعون من دون الله اي اين الالهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة
قالوا استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية سوال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا
اي لا ندري مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على ما قالوا اي اعترفوا على انفسهم انهم كانوا اي في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق
العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجي الرسل وحال التوفي الزمان الممتد من ابتدا المجي والتوفي الى انتهايه
يوم الجزا بناء على تحقق المجي والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزا
كانهما حاصلان عند ابتدا التوفي كما ينبي عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السوال والجواب وما ترتب عليها
من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال اي الله عز وجل يوم القيمة
بالذات او بواسطة الملك ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم
الماضية من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السالفة واللاحقة فيها لعنت اختها التي ضلت بالاقتدا
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجلهم اذ
الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا
قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم وما لكل فريق من
العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم لاخراهم اي مخاطبين لاخراهم حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا
فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول
القادة ان الذين كذبوا باياتنا مع وضوحها واستكبروا عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السما اي لا تقبل ادعيتهم
ولا اعمالهم او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شان ادعية المومنين واعمالهم وارواحهم والتا في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها
وقرئ بالتخفيف وبالتشديد والياء وقرئ على البنا للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات وبالياء على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شانه
الولوج في سم الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل
الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط به كالحرام والمحرم وكذلك
اي ومثل ذلك الجزا الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد اي فراش
من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش
على الغا المحذوف كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك ومثل ذلك الجزا الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة
وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول
الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الاجرام والجرائم والذين آمنوا اي باياتنا او بكل ما يجب ان يومن به فيدخل فيه
الايات دخولا اوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي شرعت بالايات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف

نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدا الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة **اوليك اصحاب الجنة** للترغيب في اكتساب
مايودي الي النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقري لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدا واصحاب الجنة خبره والجملة
خبر للمبتدا الاول والاسم الاشارة بدل من المبتدا الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معني البعد للايذان ببعد
منزلتهم في الفضل والشرف **هم فيها خالدون** حال من اصحاب الجنة وقد يجوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى
الاضافة او اللام المقدرة او خبر لاوليك على راي من جوزه وفيها متعلق بخالدين **ونزعنا ما في صدورهم من غل** اي نخرج من قلوبهم
اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضي للايذان بتحققه وتقرره وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم **تجري من تحتهم الانهار** زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل اما معنى
الاضافة واما العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا وقيل هي مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم **وقالوا الحمد لله الذي هدانا**
لهذا اي لما جزاوه هذا او **وما كنا لنهتدي** اي لهذا المطلب الاعلي او لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها **لولا ان هدانا الله** ووفقنا
له واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد
او لارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقري ما كنا لنهتدي الخ بغير واو على انها مبينة ومفسرة للاولي **لقد جاءت**
رسل ربنا جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه والتهاجا بايمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام والبا في قوله تعالى **بالحق** اما للتعدية
فهي متعلقة بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل اي والله لقد جاؤا بالحق ولقد
جاؤا ملتبسين بالحق **ونودوا** اي نادتهم الملائكة **ان تلكم الجنة** ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشان محذوف
ومعنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رويتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك
الجنة التي وعدوها في الدنيا **اورثتموها بما كنتم تعملون** في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او مقابلة
اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر او الجنة صفة والخبر اورثتموها **ونادى اصحاب الجنة**
اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم **ان قد وجدنا ما وعدنا**
ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل **فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا** حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف
بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعده كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد
وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم **قالوا نعم** اي وجدناه حقا وقري بكسر العين وهي لغة فيه **فاذن موذن** قيل هو
صاحب الصور **بينهم** اي بين الفريقين **ان لعنة الله على الظالمين** بان المخففة او المفسرة وقري بان المشددة ونصب لعنة وقري ان
بكسر الهمزة على ارادة القول او اجرا اذن مجري قال **الذين يصدون عن سبيل الله** صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه
ويبغونها عوجا اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شي منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم
يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحايط **وهم بالاخرة كافرون** غير معترفين **وبينهما حجاب** اي بين الفريقين كقوله تعالى
فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى **وعلى الاعراف** اي على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشي فانه بظهوره اعرف من غيره **رجال** طايفة من الموحدين
قصروا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشا وقيل قوم علت درجاتهم كالانبيا والشهدا والاخيار والعلما
من المومنين او ملايكة يرون في صور الرجال **يعرفون كلا** من اهل الجنة واهل النار **بسيماهم** بعلاماتهم التي علمهم الله بها كبياض الوجه
وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملايكة
ونادوا اي رجال الاعراف **اصحاب الجنة** حين راوهم **ان سلام عليكم** بطريق الدعا والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره **لم يدخلوها**
حال من فاعل نادوا او من مفعوله وقوله تعالى **وهم يطمعون** حال من فاعل يدخلوها اي نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في
دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول لطامعون **واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار** اي الي جهتهم وفي

عدم

عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق
الرغبة والميل والثاني بخلافه **قالوا** متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم **ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** اي في النار ووصفهم
بالظلم دون ما هم عليه حينيذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعا اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع
ما يوجبه ويودي اليه من الظلم **ونادى اصحاب الاعراف** كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير **رجالا** من رؤسا الكفار
راوهم فيما بين اصحاب النار **يعرفونهم بسيماهم** الدالة على سوء حالهم يوميذ وعلى رياستهم في الدنيا **قالوا** بدل من نادى **ما اغنى عنكم**
ما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية **جمعكم** اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال **وما كنتم تستكبرون** ما مصدرية اي ما
اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقري تستكثرون من الكثرة اي من الاموال
والجنود **اهولا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة** من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفا المومنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم
في الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبي عن ذلك كما في قوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال **ادخلوا**
الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اوليك المذكورين اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم **لا خوف عليكم** بعد هذا **ولا انتم تحزنون**
او قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما
قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل لان هذه المقالات وما يتفرع هي عليه من المعرفة لا تليق بمن
لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملايكة ردا عليهم اهولا
الخ وقري ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف عليكم **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة**
بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمانت به الدار **ان افيضوا علينا من الما** اي صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار
او مما رزقكم الله من ساير الاشربة ليلايم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطا بكثرة **قالوا** استيناف
مبني على السوال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا **ان الله حرمهما على الكافرين** اي منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك ه
قطعا **الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا** كتحريم البحيرة والسايبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا
يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب **وغرتهم الحيوة الدنيا** بزخارف العاجلة **فاليوم ننساهم** نفعل
بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفا في فاليوم فصيحة وقوله تعالى **كما نسوا لقا يومهم**
في محل نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقا يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له
وقوله تعالى **هذا وما كانوا باياتنا يجحدون** عطف على ما نسوا اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا **ولقد**
جيناهم بكتاب فصلناه اي بينا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين
منهم والكتاب هو القران **على علم** حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جا حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم
كثير وقري فضلناه اي على ساير الكتب عالمين بفضله **هدى ورحمة** حال من المفعول **لقوم يومنون** لانهم المغتنمون باثاره
المقتبسون من انواره **هل ينظرون الا تاويله** اي ما ينتظرون هولا الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يول اليه امره من تبين صدقه
بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد **يوم ياتي تاويله** وهو يوم القيمة **يقول الذين نسوه من قبل** اي تركوه ترك المنسي من قبل
اتيان تاويله **قد جاءت رسل ربنا بالحق** اي قد تبين انهم قد جاؤا بالحق **فهل لنا من شفعا فيشفعوا لنا** اليوم ويدفعوا عنا العذاب
او نرد اي هل نرد الى الدنيا وقري بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسول احد الامرين اما الشفاعة
لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعا اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد **فنعمل** بالنصب على انه جواب
الاستفهام الثاني وقري بالرفع اي فنحن نعمل **غير الذي كنا نعمل** اي في الدنيا **قد خسروا انفسهم** بصرف اعمارهم التي هي راس مالهم الى
الكفر والمعاصي **وضل عنهم ما كانوا يفترون** اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركا لله وشفعاوهم يوم القيامة **ان**
ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام شروع في بيان مبدا الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ه

وما لكم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان
المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن هي وفي خلق الاشيا مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار
النظار وحث على التاني في الامور **ثم استوى على العرش** اي استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستوا على العرش صفة لله تعالى
بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها على الاستقرار والتمكن والعرش المحيط بسائر الاجسام سمي به
لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك **يغشي الليل النهار** اي تغطيه به ولم يذكر العكس للعلم
به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار **يطلبه حثيثا** اي يعقبه سريعا
كالطالب له لا يفصل بينهما شي والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او من المفعول بمعنى
محثوثا **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره** اي خلقهن حال كونهن مسخرات بقضايه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتدا والخبر
الا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق **تبارك الله رب العالمين** اي تعالى بالوحدانية في الالوهية
وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو
الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خالق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر
والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سماوات في يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة
والهيات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض في يومين اي ما من جهة
السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض في يومين
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له
عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السما الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكرير الليالي
والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين
فقال **ادعوا ربكم** الذي قد عرفتم شئونه الجليلة **تضرعا وخفية** اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفا دليل الاخلاص **انه لا يحب المعتدين**
اي لا يحب دعا المجاوزين لما امروا به في كل شي فيدخل فيه الاعتدا في الدعا دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما
لا يليق به كرتبة الانبيا والصعود الى السما وقيل هو الصياح في الدعا والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون
في الدعا وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا
انه لا يحب المعتدين **ولا تفسدوا في الارض** بالكفر والمعاصي **بعد اصلاحها** ببعث الانبيا وشرع الاحكام **وادعوه خوفا وطمعا**
اي ذوي خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه **ان رحمة الله قريب من
المحسنين** في كل شي ومن الاحسان في الدعا ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف
اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل وللفرق بين القريب من النسب
والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسب التانيث من المضاف اليه **وهو الذي يرسل الرياح**
عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح **نشرا** تخفيف نشر جمع نشير اي مبشرات وقرئ بفتح النون على انه مصدر نشر بمعنى باشرات
او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي باشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان **بين يدي رحمته**
قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه **حتى اذا اقلت** اي حملت واشتقاقه
من القلة فان المقل للشي يستقله **سحابا ثقالا** بالما جمعه لانه بمعنى السحائب **سقناه** اي السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ
لبلد ميت لاجله ولمنفعته او لاحيايه او لسقيه وقرئ ميت **فانزلنا به الما** اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير بتاويل
المذكور وكذلك قوله تعالى **فاخرجنا به** ويحتمل ان يعود الضمير الى الما وهو الظاهر واذا كان للبلد فالبا للالصاق في الاول والظرفية
في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية **من كل الثمرات** اي من كل انواعها **كذلك نخرج الموتى** الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احيا

البلد

البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها
برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس **لعلكم تذكرون** بطرح احد التائين اي تتذكرون فتعلمون ان من قدر
على ذلك قدر على هذا من غير شبهة **والبلد الطيب** اي الارض الكريمة التربة **يخرج نباته باذن ربه** بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات
وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله **والذي خبث** من البلاد كالسبخة والحرة **لا يخرج الا نكدا** قليلا عديم النفع ونصب
على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا
وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرج البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف **كذلك** اي مثل ذلك
التصريف البديع **نصرف الايات** اي نرددها ونكررها **لقوم يشكرون** نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى
مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حيوة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من
مغانم اثارها وقد عقب ذلك بما حققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل **لقد ارسلنا نوحا الى قومه** وهو
جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الا واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة
القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليه السلام قال ابن عباس رضي الله
عنهما بعث عليه السلام على راس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة
فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن ماية سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين
ومكث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربع ماية وخمسين سنة **فقال
يا قوم اعبدوا الله** اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في
شي وقوله تعالى **ما لكم من اله غيره** اي مستحق للعبادة استيناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة
لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتدا والفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثنا وحكم غير حكم الاسم
الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فمن اله ان جعل مبتدا فلكم خبره او خبر محذوف ولكم للتخصيص
والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله **اني اخاف عليكم** اي ان لم تعبدوه حسبما امرت به **عذاب يوم عظيم** هو يوم القيامة
او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع
فيه وتكميل الانذار **قال الملا من قومه** استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا له عليه السلام
في مقابلة نصحه فقيل قال الروسا من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم
وابهتهم **انا لنراك في ضلال** اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والروية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف **مبين** بين كونه
ضلالا **قال** استيناف كما سبق **يا قوم** ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق **ليس بي ضلالة** اي شي ما من الضلالة قصد عليه
السلام تحقيق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال
الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى **ولكني رسول من رب العالمين** استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب
الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بي شي من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن
لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اي رسول واي رسول كاين من رب العالمين **ابلغكم رسالات ربي** استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها
وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني امي حيدرة وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او
لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليه السلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه السلام بعد بيان
عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات امتثاله بامره
تعالى بتبليغ رسالته **وانصح لكم** عطف على ابلغكم مبين لكيفية ادا الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على امحاض

النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب قوله تعالى رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا او قوله تعالى **واعلم من الله ما لا تعلمون** عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما
لا تعلمونه من الامور الاتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه فان باسه لا يرد عن القوم المجرمين
ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين لا يعلمون ما علمه نوح عليه الصلاة والسلام بالوحي **او عجبتم ان**
جاكم ذكر من ربكم جواب ورد لما اكتفي عن ذكره بقولهم انا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله
لانزل ملايكة الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاكم ذكر اي وحي او موعظة
من مالك اموركم ومربيكم **على رجل منكم** اي على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقلتم لاجل ذلك ما قلتم من ان الله
تعالى لو شاء لانزل ملايكة **لينذركم** علة للمجي اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي **ولتتقوا** عطف على العلة الاولى مرتبة عليها **ولعلكم**
ترحمون عطف على العلة الثانية مرتبة عليها اي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفايدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان
التقوى غير موجب للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله عز وجل **فكذبوه**
فتموا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة
المتطاولة بعدما كرر عليه الصلاة والسلام عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله تعالى رب اني
دعوت قومي ليلا ونهارا المراد بالدعاء هو الذي يعقبه الانجا والاغراق لا مجرد التكذيب **فانجيناه والذين معه** من المومنين قيل كانوا
اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة ابناوه الثلاثة وستة ممن امن به وقوله تعالى **في الفلك** متعلق بالاستقرار في الظرف اي
استقروا معه في الفلك او بصحبوه او بفعل الانجا اي انجيناهم في الفلك ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره في الظرف **واغرقنا**
الذين كذبوا باياتنا اي استمروا على تكذيبها وليس المراد منهم الملا المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم
وتقديم ذكر الانجا على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة التي هي بمقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي
يظهر اثره بمقتضى جرايمهم **انهم كانوا قوما عمين** عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد
والنبوة والمعاد وقري عامين والاول ادل على الثبات **والى عاد** متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح
عليه الصلاة والسلام وهو الناصب لقوله تعالى **اخاهم** اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم
يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى واياما كان فلعل تقديم المجرور
هاهنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر يرشدك الى ذلك ما سياتي من قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه لما لم يعهدوا
باسم معروف يقتضي الحال ذكره عليه الصلاة والسلام مضافا اليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته
عليه الصلاة والسلام وبين القصص الثلاث وقوله تعالى **هودا** عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته
واقرب الى اتباعه **قال** استيناف مبني على سوال نشا من حكاية ارساله عليه الصلاة والسلام اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال
يا قوم اعبدوا الله وحده كما يعرب عنه قوله تعالى **ما لكم من اله غيره** فانه استيناف جار مجرى البيان للعبادة المامور بها ٥
والتعليل لها او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله
وقري بالجر حملا له على لفظه **افلا تتقون** انكار واستبعاد لعدم اتقايهم عذاب الله تعالى بعدما علموا ما حل بقوم نوح والفا
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تتفكرون او اتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين فقط وفي سورة هود افلا
تعقلون ولعله عليه الصلاة والسلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفي بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن اخر كما لم يذكر هاهنا
ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظايره في ساير
القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله اعلم **قال الملا الذين كفروا من قومه** استيناف كما مر وانما وصف

الملا بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملا قوم نوح بل كان منهم من امن به عليه الصلاة والسلام ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد
وقيل وصفوا به لمجرد الذم **انا لنراك في سفاهة** اي متمكنا من خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين ابايك الا انهم هم السفهاء ولكن لا
يعلمون **وانا لنظنك من الكاذبين** اي فيما ادعيت من الرسالة قالوا لاغراقهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح **قال** مستعطفا
لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء **يا قوم ليس بي سفاهة**
اي شي منها ولا شايبة من شوايبها **ولكني رسول من رب العالمين** استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية
القصوى من الرشد والاناة والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بي شي مما
تنسبونني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية
الذاتية بالمجازية الاضافية وقوله تعالى **ابلغكم رسالات ربي** استيناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل احوالها وقيل صفة
اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عليه الصلاة والسلام بعد اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي
مر في قصة نوح عليه السلام وقري ابلغكم من الابلاغ **وانا لكم ناصح امين** معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك وانما
جيء بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شايبة السفاهة او الكذب **او عجبتم**
ان جاكم ذكر من ربكم الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه السلام **على رجل منكم** اي من جنسكم **لينذركم** ويحذركم عاقبة ما انتم
عليه من الكفر والمعاصي حتى تنسبوني الى السفاهة والكذب وفي اجابة الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه من يشافههم بما لا
خير فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرافة من الدلالة
على حيازتهم القدح المعلى في مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه **واذكروا اذ جعلكم خلفا** شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة
والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من
الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها فان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولان ٥
الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من
ذلك او تدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفا **من بعد قوم نوح** اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد
ابن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان **وزادكم في الخلق** اي في الابداع والتصوير او في الناس **بسطة** قامة وقوة
فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا
فاذكروا الاء الله التي انعم بها عليكم من فنون النعما التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص
لعلكم تفلحون كي يؤديكم ذلك الى الشكر المودي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب **قالوا** مجيبين عن تلك النصايح
العظيمة **اجيتنا لنعبد الله وحده** اي لنخصه بالعبادة **ونذر ما كان يعبد اباونا** انكروا عليه عليه السلام مجيه لتخصيصه
تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجي اما مجيه عليه
السلام من متعبده ومعتزله واما من السماء على التهكم واما القصد والتصدي مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني من غير
ارادة معنى الذهاب **فاتنا بما تعدنا** من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون **ان كنت من الصادقين** اي في الاخبار
بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اي فات به **قال قد وقع عليكم** اي وجب وحق او نزل باصراركم هذا بنا
على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى اتى امر الله **من ربكم** اي من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثاني مع ان مبدا
الشي متقدم على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى **رجس** مع ما فيه من
التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى **وغضب** فربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب
من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل **اتجادلونني في اسما** عارية عن المسمى
سميتموها اي سميتم بها **انتم واباوكم** انكار واستقباح لانكارهم مجيه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك
عبادة الاصنام اي اتجادلونني في اسما سميتموها الهة ليست هي الا محض الاسما من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية شي ما لان

المستحق للعبودية بالذات لبس الامر اوحد الكل ما انها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما بانزال اية او نصب حجة وكلاهما
مستحيل وذلك قوله تعالى **ما نزل الله بها من سلطان** واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه **فانتظروا** مترتب على قوله
تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فاتنا بما تعدنا الخ **اني معكم من المنتظرين** لما يحل بكم والفا في قوله تعالى **فانجيناه** فصيحة
كما في قوله فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه **والذين معه** اي في الدين **برحمة** اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى **منا** اي من جهتنا متعلق
بمحذوف هو نعت لرحمة موكد لفخامتها الذاتية المنفهمة من تنكيرها بالفخامة الاضافية **وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا** اي استاصلناهم
بالكلية ودمرناهم عن اخرهم **وما كانوا مومنين** عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا
عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق اياته
كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت
وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا
عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلا طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته
الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة
من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا
عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان لمعاوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم
باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهولاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم
فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم	لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا	قد امسوا ما يبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلا الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فلما دخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن
سعد والله لا تسقون بدعايكم ولكن اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا
فانه اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلثا بيضا وحمرا وسودا
ثم ناداه مناد من السما يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمومنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا
والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب
سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل انما سموا بذلك لقلة ما بهم من الثمد وهو الما القليل وقرئ بالصرف
بتاويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز الى وادي القرى واخوه صالح عليه السلام لهم من حيث النسب كهود عليه السلام
فانه صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار برسالته عليه السلام اليهم مظنة لان يسال ويقال فما
ذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** وقد مر الكلام في نظايره **قد جاءتكم بينة** اي
اية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد
والجمع كالصالحة افرادا وجمعا ولذلك قيل كانت الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة
ولذلك اوليت العوامل وقوله تعالى **من ربكم** متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام
منه عليه السلام اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعدما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا ترى
الى ما في سورة هود من قوله تعالى هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها الى اخر الايات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها
وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في
سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم

نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفين فحذرهم وانذرهم وسالوه اية فقال اي اية تريدون قالوا
تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوا الاجابة فلم يجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية
الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفا وبرا والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك
فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتومنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشرا جوفا وبرا كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم
فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يومنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا
فاذا كان يومها وضعت راسها في البير فما ترفعها حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى يملؤوا اوانيهم فيشربون ويدخرون
وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي
فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قاره فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع
عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم
محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين
ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السما ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا
وقوله تعالى **هذه ناقة الله لكم اية** استيناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى
بلا اسباب معهودة ووسايط معتادة ولذلك كانت اية واي اية ولكم بيان لمن هي اية له وانتصاب اية على الحالية والعامل فيها معنى
الاشارة ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدا ثانيا ولكم خبرا عاملا في اية **فذروها** تفريع على كونها اية
من ايات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها **تاكل في ارض الله** جواب الامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها
تاكل ما تاكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينه وبينها وقرئ تاكل بالرفع على انه في موقع الحال اي اكلة فيها وعدم التعرض للشرب مع
الاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله علفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم **ولا تمسوها بسوء** نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الشامل لانواع الاذية وتنكير السوء لمبالغة النهي اي لا تتعرضوا
لها بشيء مما يسوءها اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما لاية الله تعالى **فياخذكم عذاب اليم** جواب للنهي ويروى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هولاء المعذبين الا ان تكونوا
باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال
عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد** اي جعلكم في الارض
خلفاء لهم كما مر **وبواكم في الارض** اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام **تتخذون من سهولها قصورا** استيناف مبين
لكيفية التبوية اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر **وتنحتون الجبال**
اي الصخر وقرئ تنحتون بفتح التاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله

ينباع من ذفرى اسيل حرة	والنحت نحر السبي الطلب

فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى **بيوتا** على الحالية المقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب
الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية
قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتا **فاذكروا الاء الله** التي انعم الله بها عليكم بما ذكر وجميع الاية التي هي هذه
من جملتها **ولا تعثوا في الارض مفسدين** فان حق الاية تعالى ان تشكروا ولا تهملوا ولا تغفلوا عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالفساد

قال الملا الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا استيناف كما سلف وقري بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم
الى اخره واللام في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصوف باعادة العامل بدل الكل ان كان
ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يومن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب
اولا الى جميع المستضعفين من ان المجاوبة مع المومنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمومنين اى قالوا للمومنين الذين استضعفوهم
واسترذلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه بطريق الاستهزا بهم قالوا انا بما ارسل به مومنون عدلوا عن الجواب
الموافق لسوالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبي
عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر رسالته من الظهور بحيث ما لا ينبغي ان يسال عنه وانما الحقيق بالسوال عنه هو الايمان به
قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي
امنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم ورد المقالتهم فعقروا الناقة اي نحروها اسند العقر
الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم فكانه فعله كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت
غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهي وقالوا مخاطبين له
عليه السلام بطريق التعجيز والالزام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اي من العذاب والاطلاق للعلم قطعا ان كنت من المرسلين فان
كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى
من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله فاصبحوا في دارهم جاثمين هامدين لا حراك بهم واصل الجثوم اي تعود لا حراك
بهم ولا ينبسون بنبسة قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتدا نزول العذاب بهم من غير اضطراب
وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك
وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار
وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السما فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد
ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب
وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية اي شانكم
الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم وخاطبهم عليه السلام بذلك خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عليه السلام لعلاماته
تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعا ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج
في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه
فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق عدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على المنعوت حسبما وقع فيما سبق وما
لحق قد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابراهيم
فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهي بلد بحمص وقوله تعالى
اذ قال لقومه ظرف للمضمر المذكور اى ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله عليه السلام بذلك لما ان ارساله
اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله عليه الصلاة والسلام لقومه
اتاتون الفاحشة بطريق الانكار والتوبيخ والتقريع اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في السر به والسو ما
سبقكم بها ما عملها قبلكم على ان البا للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله ومن
في قوله تعالى من احد مزيدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق ومن في قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستانفة مسوقة
لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم

بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض مسابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من
عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سوال مقدر كانه قيل
من جهتهم لم لا ناتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار
ما نرى ذكرا على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحاق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فاذوهم فعرض لهم
ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا
فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك الا بالغربا وقال الكلبي اول من فعل بهم ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل
لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل انكم لتاتون الرجال خبر مستانف لبيان تلك الفاحشة وقرئ
بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تاكيد للانكار السابق وتوبيخ تشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام
زيادة تقبيح وتقريع كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيوكد تاكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما
مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان
العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقا النوع لا قضا الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم
على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبي عنه قوله تعالى من دون النسا اي متجاوزين النسا اللاتي هن محال الاشتها
كما ينبي عنه قوله تعالى هن اطهر لكم بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكاب
امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شي او عن الانكار اليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم عادتكم
الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثنا
مفرغ من اعم الاشيا اي ما كانوا جوابا من جهة قومه شيا من الاشيا الا قولهم اي لبعضهم الاخرين المباشرين للامور معرضين عن
مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اي لوطا ومن معه من اهله المومنين من قريتكم اي الا هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا
لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الى اخره خبرها وهو الاظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة
لان الاعراف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه الا هذه
المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه
السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في ساير السور الكريمة وهذا هو
الوجه في نظايره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزا
والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبايث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه واهله
اي المومنين منهم الا امراته استثنا من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها
والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشا عن استثنايها
عن حكم الانجا كانه قيل فما ذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير ومطر في العذاب والصحيح
ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت الموتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم
الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم
كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لمن يتاتى التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف
على قوله والى عاد اخاهم هودا او ما عطف عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقدم المجرور على المنصوب اي وارسلنا اليهم
وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون

ابن مدين وكان يقال له خطيب الانبيا عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموزون مع كفرهم
قال استيناف مبني على سؤال نشا عن حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
مر تفسيره مرارا قد جاتكم بينة اي معجزة من ربكم متعلق بجاتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله موكدا لفخامته الذاتية المستفادة من
تنكيره بفخامته الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كاينة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام في القران العظيم كا لم يذكر
اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فيها ما روي من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين حين رفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع
خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من ولادها ومنها وقوع عصى ادم على يده في المرات السبع كان كل ذلك قبل ان يستنبا موسى وقيل
البينة مجيه عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما اتاه الله تعالى
من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال كما وقع في سورة هود ويويده قوله تعالى والميزان فان المتبادر منه الالة وان جاز كونه
مصدرا كالميعاد وقيل الة الكيل والوزن على الاضمار والفا لترتيب الامر على مجي البينة ويجوز ان تكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة
الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياهم التي يشترونها
بها معتمدين على تمامها اي شي كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيا
الا مكسوه قال زهير

افي كل اسواق العراق اتاوة ❊ وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم ❊

ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها واهلها الانبيا واتباعهم باجرا الشرايع او اصلحوا
فيها واضافته اليها كاضافة مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة
مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم
ان كنتم مومنين اي مصدقين لي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط
الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا واحدا يشرع في شي منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على
المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن امن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل
الله اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان
بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى من امن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل
وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا اي وتطلبون سبيل الله عوجا بالقا شاينة او بوصفها للناس
بانها معوجة وهي ابعد شي من الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان
عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم وان كان طايفة منكم امنوا
بالذي ارسلت به من الشرايع والاحكام وطايفة لم يومنوا اي به ولم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين
بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملا الذين
استكبروا من قومه استيناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعدما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه
السلام فقيل قال اشراف قومه المستكبرين متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصا عليه والامتناع من الطاعة
بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المومنين واجتروا على اكراههم عليه وعيد
النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا بنسبة الاخراج اليه عليه السلام
اولا والى المومنين ثانيا بعطفهم عليه على اصالته عليه السلام في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبي عنه قوله تعالى معك فانه
متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشية عن غاية الوقاحة
والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن في

ملتنا

ملتنا عطف على جواب القسم اي والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاجلا
لمحض القسر والالجا كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لا نتركهم فيما بيننا حتى يدخلوا في ملتنا وادخاله
عليه السلام في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الواحد على الجماعة وانما لم
يقولوا او لتعيدن بكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذار الاخراج باختيار اهون الشرين لا
اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال استيناف كما سبق اي قال عليه السلام رد المقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم
الفاجرة اولو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله
تعالى اولو جيتك بشي مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان
انتفا الشي في الزمن الماضي لانتفا غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الاعند القصد
الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي
على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفايه معه
ثبوته او انتفاوه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشي متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شي من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها
عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصا الاحوال على سبيل الاجمال وهذا الاجمال ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي
كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي وان كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اسا اليك ولا تهنه ولو اهانك
لبقايه على حاله سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفا لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة
لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس انكار مدلوله من حيث مقارنته
للحالة المذكورة وانما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدايرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه
امر مقدر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف
به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة
المومنين للعود في ملة الكفر ابتداحتى يقال انها معلومة لهم فكيف يكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج
الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الاية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم حينيذ يختارون العود خشية
الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقدير العود فيها لو لم تكن كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في
محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ ما له انعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكار الما تفيده
كلمة الشنيعة باطلاقها من العود على اي حالة كانت غير انه اكتفي بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها
بعدا منه تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنايها عن ذكر الاول اغنا واضحا لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحقق
مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى فان قلت النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح
النفي ولا ريب في ان الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال ولذلك في مثال النفي عدم الاعطا المستفاد من الفعل
المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من النفي المقدر اذ هو الذي تقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما
الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا
معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الاخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك
لا تستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا ترى انك لو قلت مكان انعود فيها الى اخره لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل
المعنى اختلالا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي
يباشر نفي الفعل وينفيه وما ذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما الاستفهام فانما يباشر الفعل وينفيه وما ذكر بعده يرجع اليه

من حيث هو منفي واما الاستفهام فانما تباشر الفعل بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية لدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزامه تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية فكانت حال الكراهة عند كونها قيدا للنفي العود لذلك اي مغنيا عن سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا للنفي بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ما ذكر هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه الاول المذكوران قبل فما وجد استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهوا ان كلا منهما تفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احدهما غير معنى الاخر او متلازمان متفقان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصحح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة **قد افترينا على الله كذبا** اي كذبا عظيما لا يقادر قدره **ان عدنا في ملتكم** التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم **بعد اذ نجانا الله منها** فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ما كنا عليه من الاسلام باطل وما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف وحذف عنه اللام والله لقد افترينا الخ **وما يكون لنا** اي وما يصح وما يستقيم لنا **ان نعود فيها** في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات **الا ان يشاء الله** اي الا حال مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى **ربنا** فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وانت خبير بان ليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له **وسع ربنا كل شيء علما** فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى **على الله توكلنا** اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الشرك بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار في التضرع والجوار وقوله تعالى **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق** اعراض عن مفاوضتهم اثر ما ظهر له عليه الصلاة والسلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله بالدعاء لفصل ما بينهم وبينه بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه **وانت خير الفاتحين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين **وقال الملا الذين كفروا من قومه** عطف على قال الملا الذين الخ ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم من الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكون عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر بعد ان شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله **لئن اتبعتم شعيبا** ودخلتم في دينه وتركتم دين ابائكم **انكم اذا لخاسرون** اي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جواب الشرط والقسم

الذي وطأته اللام **فاخذتهم الرجفة** اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب المترتب تارة والى البعيد اخرى **فاصبحوا في دارهم** اي في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم **جاثمين** اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها **الذين كذبوا شعيبا** استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك والذين امنوا معك من قريتنا او عقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدا وخبره قوله تعالى **كان لم يغنوا فيها** اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول لا بعده ابدا وقوله تعالى **الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين** استئناف اخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عليه الصلاة والسلام عوقبوا بقولهم الاخير فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون له عليه الصلاة والسلام وبهذا القصر اكتفي عن التصريح بانجائه عليه الصلاة والسلام كما وقع في سورة هود من قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه الخ **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم** قال عليه الصلاة والسلام بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال **فكيف اسى** اي احزن حزنا شديدا **على قوم كافرين** مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قال اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف اسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين **وما ارسلنا في قرية من نبي** اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتاكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها **الا اخذنا اهلها** استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا باحد الشرطين واما بتقدير قد كما في هذه الاية او مقارنة قد كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا اخذين اهلها **بالباساء** بالبؤس والفقر **والضراء** بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالاخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة **لعلهم يضرعون** كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم لقوله تعالى لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون **ثم بدلنا** عطف على اخذنا داخل في حكمه **مكان السيئة** التي اصابتهم للغاية المذكورة **الحسنة** اي اعطيناهم بدلها كانوا فيه من المحنة والبلاء الرخاء والسعة لقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات **حتى عفوا** اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة **وقالوا** غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه **قد مس اباءنا الضراء والسراء** كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها **فاخذناهم** اثر ذلك **بغتة** فجاة اشد الاخذ وافظعه **وهم لا يشعرون** بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الاية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعم بعض الاخذ واتمام الاهلاك ايام كدأب ثمود **ولو ان اهل القرى** اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لاذكورها انتظاما **آمنوا** بما امنوا وحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء **واتقوا** اي الكفر والمعاصي واتقوا ما اتوروا به على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك **لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض** لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير **ولكن كذبوا** اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه الثاني **فاخذناهم بما كانوا يكسبون** من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس اباءنا الى اخره وهذه الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل

الحسنة بالسيئة مكان السيئة **أفأمن أهل القرى** اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار
التوبيخ امن كل طايفة ما اتاهم من الباس لا امن مجموع الامم فان كل طايفة منهم اصابهم بأس خاص لا يتعدى اهلها الى غيرهم كما سياتي
والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قال ابو السعود وغيره لقوله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
والفا للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور بما كسبت ايديهم والمعنى ابعد
ذلك الاخذ امن اهل القرى **ان ياتيهم باسنا بياتا** اي تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى
البيتوتة ويجي بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم **وهم نائمون** حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا **او امن اهل القرى**
انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل اذ امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم
يلعبون وقرئ او بسكون الواو على الترديد **ان ياتيهم باسنا ضحى** اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت **وهم يلعبون**
اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كانهم يلعبون **افامنوا مكر الله** تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة
لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان باسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطفه الاول والثالث
بالفا فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة الاول **فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون**
اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الايات **اولم يهد**
للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها
وتعديه فعل الهداية باللام اما لتنزيله منزلة اللازم كانه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الى اخره واما لانها بمعنى التبيين والمفعول
محذوف والفاعل على التقديرين هو جملة الشرطية اي اولم يبين لهم مآل امرهم **ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم** اي ان الشان لو نشاء
اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعولة **ونطبع على قلوبهم** عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد
كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتامل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه
بمعنى طبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو **فهم لا يسمعون** اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها
والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات **تلك القرى** جملة مستانفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص مبينة عن غاية غوايته
الامم المذكورة وتماديهم فيها بعد ما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة تلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله
تعالى **نقص عليك من انبائها** خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها التي فيها
عظة وتذكير وقيل تلك مبتدا والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية
تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما ان حكاية اهلاكهم بالمرة على وجه الاستيصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها
خاوية معطلة اهول وافظع والباقي قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من
فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة
انقسام الاحاد الى الاحاد انما هي بين الرسل وضمير الامم والجملة مستانفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل امة
من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة
للايمان حتما وقوله تعالى **فما كانوا ليؤمنوا** بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم
هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفا لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه
في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث بحو وعظة فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتاكيد النفي اي فاصح وما
استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة
شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم اخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا

والتي

والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى **بما كذبوا من قبل** تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما يجعل ذلك مقصودا
بالذات كالاول بل جعله صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة
وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب
سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر
اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الخ وبما اشير اليه تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرايع
التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى
تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من تلك الامم يتسامعون
بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم
الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما
تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب
الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر
والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضماير الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء
ليؤمنوا بما كذب به الاباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار
التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب
الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء
كما هو راي الاخفش بن السراج ليرجع اليها الضمير في به **كذلك** اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم **يطبع الله على قلوب الكافرين**
اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الايات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية
المهابة وادخال الروعة **وما وجدنا لاكثرهم** اي اكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا
اي ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى **من عهد** لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت
حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا
الله عليه عند مساس الباساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فتخصيص هذا الشان باكثرهم ليس
لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عاهد الله تعالى من الايمان
والتقوى بنصب الايات وانزال الحجج وقيل ما عاهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة
اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهود باي معنى كان **وان وجدنا اكثرهم** اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا
حفاظ وقيل الاول لذلك ايضا وان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ان الشان وجدنا اكثرهم **لفاسقين** خارجين عن الطاعة
ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين **ثم بعثنا من بعدهم موسى** اي ارسلناه
من بعد انقضاء وقايع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد اهلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي
للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر **باياتنا** متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره
اي بعثناه عليه السلام ملتبسا باياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء
والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سياتي على التفصيل **الى فرعون** هو لقب لكل
ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب كل ملك فارس وقيصر لكل ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
وملايه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مامورين بعبادة رب

العالمين عن سلطانه وترك العظيمة الشنعا التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه الفئة الباغية لاضاللهم في تدبير الامور
واتباع غيرهم لهم في الورود والصدود فظلموا بها اي كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر
او التكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا
وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين فكان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على
اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع
ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الايات وكيفية
عاقبة المفسدين يا فرعون اني رسول اليك من رب العالمين على الوجه الذي مر بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالايات من تكذيبه اياه عليه السلام في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق علي ان لا اقول
الخ كما هو قراءة نافع فقلب لامن الالتباس كما في قول من قال ونشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد
لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص
او وضع على موضع الباء لافادة التمكن في ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب
العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه السلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر هاهنا بل بعد ما جرى
بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما الايات وقوله تعالى وما رب العالمين الايات وقد طوى هاهنا ذكره للايجاز ومن
متعلقة اما بالاضافة المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي والاضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته
فيما قبله الى العالمين لتاكيد وجوب الايمان بها فارسل معي بني اسرائيل اي خلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن
ابائهم وكان قد استعبدهم بعد موسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما السلام ومجيئه بالبينة
قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال ما قال فقيل قال
ان كنت جئت باية اي من عند من ارسلك كما تدعيه فأت بها اي فاحضرها عندي لتثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين في
دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهار الاية لا محالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر امره لا يشك في
كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة لذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه
الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون
الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اي من
جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك
ما يروى انه ارى فرعون يده فقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب
شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام ادم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظر لا انها كانت بيضاء في جبلتها قال
الملا من قوم فرعون اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا
لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزى في سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اي من ارض مصر فماذا
تامرون بفتح النون وما في ماذا في محل النصب على انه ثان لتامرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي شيء تامروني وهذا
من كلام فرعون كما في قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملا عن قبله
بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملا الذين شاورهم فرعون وعلى
الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملا ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض
لظهور كونه معه حسبما ينادي به الايات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه وارجه

من ارجأه واجاه وارسل في المدائن حاشرين قيل هي مدائن صعيد مصر وكانوا رؤسا السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا وقد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه
السلام فالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عليه السلام ياتوك بكل ساحر عليم اي ماهر في
السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله
تعالى فارسل في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استئناف
منوط بسؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كانه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا لابد لنا من اجر عظيم حينئذ او بطريق الاستفهام
التقريري بحذف الهمزة وقرئ بائباتها وقولهم ان كنا لمجرد تعيين شرط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر
باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب
كانه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي واخر من يخرج عنه
قالوا استئناف كما مر كانه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشانهم مخاطبين لموسى عليه السلام يا موسى اما ان تلقي
ما تلقي اولا واما ان نكون نحن الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقا اولا خيروه عليه السلام بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا
للجلادة فانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير
الفصل وتاكيد ضمير المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اي القوا ما تلقون فلما القوا ما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا
حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم وجاءوا بسحر عظيم في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت
الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون الفاء فصيحة اي فالقاها فصارت حية فاذا
هي الاية وانما حذف للاشعار بمسارعة موسى عليه السلام للالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كان تلقفها لما يافكون قد حصل متصلا
بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة
والعائد محذوف اي ما يافكونه ويزورونه او مصدرية وهو مع الفعل بمعنى المفعول روي انه لما تلقفت ملأ الوادي من الخشب والحبال
ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اي فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا
اي فرعون وقومه هنالك اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو
الظاهر لقوله تعالى والقي السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم
كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم
ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما امنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على
السحرة موبخا لهم على ما فعلوه امنتم به بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في
ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي امنتم بالله تعالى قبل ان اذن لكم اي بغير اذن لكم
كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعني ان ما صنعتموه ليس مما
اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة يعني مصر قبل ان تخرجوا الى
الميعاد روي ان موسى عليه السلام وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق
فقال الساحر والله لئن غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلص هي
لك ولبني اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى اسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومنشأ هذا نهم بخضوع اعناق
السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا ليمنعهم بها عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام باراءة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم

وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملككم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المالوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال **فسوف تعلمون** اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال **لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف** اي من كل شق طرفا **ثم لاصلبنكم اجمعين** توصيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه تعالى محاربة لله ولرسوله **قالوا** استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تاثروا به وتصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا انا نثبت على ما احدثوا من الايمان **انا الى ربنا منقلبون** اي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا فلا نبالي بوعيدك وانا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا الى لقاء الله تعالى وانا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك **وما تنقم منا** اي وما تنكر وتعيب منا **الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا** وهو خير الاعمال واصل المفاخر مما ليس يأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا **ربنا افرغ علينا صبرا** اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضاع الاوزار وادناس الاثام والصبر على وعيد فرعون **وتوفنا مسلمين** ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون **وقال الملا من قوم فرعون** مخاطبين له بعدما شاهدوا من امر موسى عليه السلام **اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض** اي في ارض مصر منقيين الناس عليك وصرفهم عن متابعتك **ويذرك** عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة

الم اك جاركم ويكون بيني ۝ وبينكم المودة والاخاء

اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استئناف او حالا وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن **والهتك** ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والهتك اي عبادتك **قال** مجيبا لهم **سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم** كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرئ سنقتل بالتخفيف **وانا فوقهم قاهرون** كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك **قال موسى لقومه** تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه **استعينوا بالله واصبروا** على ما سمعتم من اقاويله الباطلة **ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان **قالوا** اي بنو اسرائيل **اوذينا** اي من جهة فرعون **من قبل ان تاتينا** اي بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده **ومن بعد ما جئتنا** اي رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كانوا يفعل بهم لعداوة موسى عليه الصلاة والسلام من فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما لحقهم بواسطته عليه الصلاة والسلام فليس المذكور كثير ملابسة بالمقام **قال** اي موسى عليه الصلاة والسلام لما راى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله ان الارض لله الخ **عسى ربكم ان يهلك عدوكم** الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته **ويستخلفكم في الارض** اي يجعلكم خلفا في ارض مصر **فينظر كيف تعملون** احسانا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه الصلاة والسلام بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما مجيء فعل الطمع للجري على سنن الكرماء **ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين** شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يهملهم

بعد

بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتب اسبابا هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء وتحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وحينئذ لا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر

دعاني من نجد فان سنينه ۝ لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا ۝

وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسني يوسف باللغتين **ونقص من الثمرات** باصابة العاهات عن كعب ياتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم **لعلهم يذكرون** كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم ويرجعوا عما هم عليه من العتو والعناد وقال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوائل السورة في البقرة وقوله تعالى **فاذا جاءتهم الحسنة** الى اخره بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات **قالوا لنا هذه** اي لاجلنا واستحقاقنا لها **وان تصبهم سيئة** اي جدب وبلاء **يطيروا بموسى ومن معه** اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى مشاهد لكمال قسوة قلوبهم ونهاية جهلهم وعنادهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الايات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى **الا انما طائرهم عند الله** استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم وشرهم الا عنده تعالى وهو حكمة ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح اي ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم الا ما عداها وقرئ الا انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون انما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى ويعلمون انما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا **وقالوا** شروع في بيان بعض اخر مما اخذ به ال فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها ايات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعدما راوا ما راوا من شان العصا والسنين ونقص الثمرات **مهما تاتنا به** كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد كما ضمت الى اين فان في اينما تكونوا واما تذهبن بك خلا ان الف الاولى قلبت هاء حذارا من تكرير المتجانسين هذا هو راي البصريين وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تظهره لدينا وقوله تعالى **من اية** بيان لها وتسميتهم اياها اية لمجاراتهم على راي موسى عليه الصلاة والسلام واستهزائهم بها وللاشعار بان عنوان كونها اية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى **لتسحرنا بها** اي لتسحر بها اعيننا وتسحرنا اظهارا لكمال الطغيان والغلو وتسمية للارشاد الى الحق بالسحر وتسكيرا للابصار والضمير المجرور راجع الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه باية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده **فما نحن لك بمؤمنين** مصدقين لك ومؤمنين لنبوتك **فارسلنا عليهم** عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا **الطوفان** اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الطاعون وقيل الموتان **والجراد والقمل** قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد وقيل نبات اجنحتها **والضفادع والدم** روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد

فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نومن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلا ما لم يعهد قبله ولم يومنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه الصلاة والسلام كما ذكر فخرج الى الصحرا واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فسلط الله تعالى عليهم القمل فاكل ما بقيت الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلى منها مضاجعهم وتثبوا الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا واخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله تعالى عليهم الدما فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على انا فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ما على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله تعالى عليهم الرعاف **ايات** حال من المنصوبات المذكورات **مفصلات** مبينات لا يشكل على عاقل انها ايات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم فكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحد اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل **فاستكبروا** اي عن الايمان بها وكانوا **قوما مجرمين** جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها **ولما وقع عليهم الرجز** اي العذاب المذكور على التفصيل واللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الايات المفصلة اي كل وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات **قالوا** في كل مرة **يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك** اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى **لئن كشفت عنا الرجز** الذي وقع علينا **لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل** اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الى اخره **فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه** الحد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون **اذا هم ينكثون** جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير تامل وتوقف **فانتقمنا منهم** اي فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى **فاغرقناهم** عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفا بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفا تفسيرية كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى اخره **في اليم** في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في اللجة **بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين** تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بايات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفا وان دل على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب ايات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الايات الظاهرة على يد رسوله الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون** اي بالاستعباد وذبح الابنا والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العز **مشارق الارض ومغاربها** اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها الشرقية والغربية كيف يشاؤ وقوله تعالى **التي باركنا فيها** اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بعد الصفة والموصوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة **وتمت كلمة ربك الحسنى** وهو وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين وقرى كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت **على بني اسرائيل بما صبروا** اي بسبب صبرهم على الشدايد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه **ودمرنا** اي خربنا واهلكنا **ما كان يصنع فرعون وقومه** من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعايد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان يصنعه فرعون الخ وقيل كان زايدة كما ذكرنا وما موصوله اسميه والعايد محذوف تقديره ودمرنا الذي كان يصنعه فرعون الى اخره اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة **وما كانوا يعرشون** من الجنات وما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرى يعرشون بضم الرا والكسر افصح

وهذا

وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر** شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الايات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظ للمومنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرى جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدي بالبا اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشورا بعد ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله تعالى **فاتوا** اي مروا **على قوم** قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم **يعكفون على اصنام لهم** اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرى بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شان العجل **قالوا** عند ما شاهدوا احوالهم **يا موسى اجعل لنا الها** مثالا نعبده **كما لهم الهة** الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها والهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر هو لهم **قال انكم قوم تجهلون** تعجب عليه السلام من قولهم هذا بعد ما شاهدوا من الاية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله **ان هؤلاء** يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل **متبر** اي مدمر مكسر **ما هم فيه** اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتبرها رضاضا واتاحي بالجملة الاسمية للدلالة على التحقق **وباطل** اي مضمحل بالكلية **ما كانوا يعملون** من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في انها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا **قال اغير الله ابغيكم الها** شروع في بيان شوون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير الابدان بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى لما انه لاختصاص الانكار بغيره تعالى دون انكار الاختصاص بغيره وانتصاب غيره على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله تعالى فغير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا **وهو فضلكم على العالمين** اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان عمدوا الى اخس شيء من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون **واذ انجيناكم** تذكير لهم من جهته تعالى بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرى نجيناكم من التنجية وقرى انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام اي اذكروا وقت انجائنا اياكم **من آل فرعون** من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة على اهلاككم بالكلية وقوله تعالى **يسومونكم سوء العذاب** من سامه خسفا اي اولاه اياه وكلفه اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال المخاطبين او من ال فرعون او منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى **يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بدل من يسومونكم مبين او مفسر له **وفي ذلكم** الانجاء او سوء العذاب **بلاء** اي نعمة او محنة **من ربكم** من مالك امركم فان النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه وتعالى **عظيم** لا يقادر قدره **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة** روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما ياتون وما تذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامر بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملايكة كنا نشم من فيك رايحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة كذلك ولذلك قوله تعالى **واتممناها بعشر** والتعبير عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه الى الله تعالى ثم انزلت عليه التوراة في العشر الاواخر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين وفصله هاهنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرى كذلك وقيل الصيغة على بابها بنا على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلاثين

مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلاثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وقال موسى
لاخيه هارون حين توجه الى المناجاة حسبما امر به اخلفني اي كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح ما
يحتاج الى الاصلاح من امورهم اوكن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه
ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم
الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع
كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك اي ارني ذاتك بان تمكنني من رويتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رويته
تعالى جائزة في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبيا لا سيما ما يقتضي الجهل بشوون الله عز وجل ولذلك رده بقوله لن تراني
دون لن اري او لن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رويته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السوال
لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الروية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل
لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل الاخبار
بعدم رويته اياه على انه لا يراه ابدا او ان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة
الروية قال استيناف مبني على سوال نشا من الكلام كانه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل قال
لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك لبيان انه لا يطيقها وفي تعليقها باستقرار الجبل
ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل اي ظهرت له عظمته وتصدى له
اقتداره وامره وقيل اعطي الجبل حياة ورويه حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ
دكا اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكا للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكا اي قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راه
فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك اي
تنزيها لك من ان اسالك شيئا بغير اذن منك تبت اليك اي من الجراة والاقدام على السوال بغير اذن وانا اول المومنين اي
بعظمتك وجلالك وقيل من امن بك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السوال بغير اذن منك قال يا موسى استيناف مسوق لتسليته
عليه السلام من عدم الاجابة الى سوال الروية كانه قيل اني منعتك الروية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين
فاغتنمها وثابر على شكرها اني اصطفيتك اي اخترتك واتخذتك صفوة واثرتك على الناس اي المعاصرين لك وهارون وان كان
نبيا كان مامورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع برسالاتي اي باسفار التوراة وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك بغير
واسطة فخذ ما اتيتك اي ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين اي ما اعطيتك من جلائل النعم قيل كان سوال
الروية يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا
لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها
فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة جاء جبريل عليه السلام من صخرة صما لينها له فقطعها بيده
وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التوراة وهي سبعون
وقر بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن
الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على اضمار قول معطوف على كتبنا اي فقلنا
خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما اتيتك والضمير للالواح اي لكل شيء لانه بمعنى الاشياء او للرسالة او للتوراة
وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصاص والانتصار وكالاقتصار على طريقة
الندب والحث على اختيار الافضل كما في قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح
وقيل المعنى ياخذوا بها واحسن صلة كما قال قطرب اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة المحتملة

لمعنيين

لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب ساريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى
قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار
الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واضرابهم فان رويتها وهي خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار
عن مثل اعمال اهلها كي لا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر خاصة او مع
ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها مما ابيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث ويويده قراءة من قرا سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ساوريكم ولعله من اوريت الزند اي سابينها لكم وقوله تعالى ساصرف
عن اياتي الذين يتكبرون في الارض استيناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الايات التي هي ما كتب في الالواح
التوراة من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها من الايات التكوينية التي من جملتها ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم
عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما
زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتنا بالمقدم والتشويق الى الموخر مع ان في
الموخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اي ساطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبرا ويرون لهم على الخلق مزية
وفضلا فلا ينتفعون باياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم اثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا امثالهم وقيل المعنى
ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما راه من الايات فابى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا
فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر في الارض وباراءتها للمخاطبين ادخالهم
الشام واسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله
تعالى ساصرف عن اياتي الى اخره جوابا عن سوال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالايات ما تلي انفا ونظايره
ويصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها وظهور احكامها واثارها على يد موسى عليه السلام حيث سار
بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذرياتهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنوا
اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كانه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل ساهلكهم وانما عدل الى الصرف ليزدادوا
ثقة بالايات واطمئنانا بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او
متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل اية لا يومنوا بها عطف على
يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالاية اما المنزلة فالمراد برويتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات
فالمراد برويتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان يشاهدوا كل اية من الايات لا يومنوا بها على عموم النفي لا على
نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذه كما ترى يويد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة
عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاث لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلا اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى
شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الايات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام على سبيل الغي
وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا باياتنا على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها
وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا ضعف
الاشعار بعلية ما في حيز الصلة كيف لا وقد مر ان ذلك في قوله ذلك بما عصوا الاية يجوز ان يكون اشارة الى الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بايات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اي ساصرفهم

ذلك الصرف بسبب تكذيبهم باياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا باياتنا ولقا الاخرة اى وبلقا الدار الاخرة من اجزا ومحل
الرفع على الابتدا وقوله تعالى حبطت اعمالهم خبره اى ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو
ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون اى لا يجزون الا ما كانوا يعملون اى الاجزا ما كانوا يعملونه
من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اى من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنيهما فان
الاول للابتدا والثاني للتبعيض او للبيان او الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تاخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع
انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق
فذلك مشروط بتملك بنو اسرايل غنايم القبط مستامنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم وحلي بضم الحا
وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرى بكسر الحا بالاتباع كدلي وقرى حليتهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور
لما مر من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين
بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اى الها وقوله جسدا بدل من عجلا اى جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى
له خوار اى صوت وقرى بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل
عليه السلام وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت
والانسب بما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكانهم فعلوه واما لان
المراد بالاتخاذ اتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه الم يروا انه لا يكلمهم استيناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم
وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اى الم يروا انه ليس فيه شي من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه اى فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اى واضعين للاشيا في غير موضعها
فلم يكن اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اى ندموا على ما
فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرى على البنا للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد
حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل وراوا انهم قد ضلوا باتخاذ
العجل اى تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كانهم راوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متاخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار
بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية قالوا والله لين لم يرحمنا ربنا بانزال التوراة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم
الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تتقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير
بهم وهو مبدا لانزال التوراة المكفرة لذنوبهم واللام في لين موطية للقسم كما اشير اليه وفي قوله تعالى لنكونن من الخاسرين لجواب القسم
وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الايات الواردة في سورة طه لكن اريد به
بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى عليه
السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى غضبان اسفا حالان من موسى عليه السلام او الثاني من
المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بيسما خلفتموني من بعدي اى بيس ما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم
العجل بعد ما رايتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركا عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم
اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفا ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او بيسما قمتم مقامي ولم تراعوا
عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهارون ومن معه من المومنين كما ينبي عنه قوله تعالى قال يا هارون ما منعك اذ رايتهم
ضلوا الا تتبعني افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلفية ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل
بيس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بيس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اى تركتموه غير تام على تضمين
عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم

بعد

بعد انبيايهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة
الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي تفصيل كل شي وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه
بشعر راسه عليهما السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعله عليه السلام توهما انه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه عليهما السلام
بثلث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بني اسرايل قال اى هارون مخاطبا لموسى عليهما السلام ابن ام حذف حرف الندا
وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مومنة وقد قاست فيه المخاوف والشدايد
وقرى بكسر الميم باسقاط اليا تخفيفا كالمنادى المضاف الى اليا وقراة الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة عشر ان القوم ٥
استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلك بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا
قتلي فلا تشمت بي الاعدا اى فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اى معدودا في عدادهم
بالمواخذة او بالنسبة الى التقصير وهذا ابو يكون الخطاب للكل ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براتي منهم ومن ظلمهم قال
استيناف مبني على سوال نشا من حكاية اعتذار هارون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام عند ذلك فقيل قال رب اغفر
لي اى ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيمة فاستغفر عليه السلام لنفسه ليرضى
اخاه ويظهر للشامتين رضاه لييلا يتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا
في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والاخرة
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اى استمروا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه
في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التايبين فان التصريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم اى في الاخرة
غضب اى عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرايم واقبح الجرايم وقوله تعالى من ربهم اى مالكهم
متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب موكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كاين من ربهم وذلة في
الحياة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من
الانفراد عن الناس والابتلا بلا مساس مروي ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم
في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف وقيل المراد بهم التايبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر عن السين
بان ذلك حكاية كما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتانهم واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون
سابقا على الغضب وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسياقه تابيان عن ذلك بنوا ظاهر كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين
ينادي على خلافه فانهم مشهود انابيون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافترا وايضا ليس جزا الله تعالى لكل المفترين وهذا الجزا الذي
ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد به ابنا وهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابنا بافاعيل الابا
مشهور ومعروف منه تعالى واذ قتلتم نفسا الاية وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى الاية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما
اصابهم من القتل والاجلا وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط
حال هولاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجرة ولحايها والذين عملوا السيات اى سيية كانت ثم تابوا عن تلك
السيات من بعدها اى من بعد عملها وامنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما
فعلوا كالطايفة الاولى ان ربك من بعدها اى من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ
في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام للتشريف ولما
سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصرين وتايبين والاشارة الى مال كل منهما اجمالا اى
لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجي موسى عليه السلام وفي
هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه السلام على ما صدر منه من الفعل والقول منزلة الامر بذلك

المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى
او اخوه او التائبون **أخذ الألواح** اي التي القاها **وفي نسختها** اي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من
الالواح المتكسرة **هدى** اي بيان للحق **ورحمة** للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح **للذين هم لربهم يرهبون** اللام الاولى متعلقة
بمحذوف هو صفة لرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم
للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة **واختار موسى قومه** شروع
في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار من قومه بحذف الجار وايصال الفعل
الى المجرور كما في قوله اخترتك الناس اذ رثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السؤل اي اخترتك من الناس
سبعين رجلا مفعول اول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر **لميقاتنا** الذي وقتناه بعد
ما وقع من قومه ما وقع لا لميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدي امره الله تعالى ان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون
اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحاق اختارهم ليتوبوا اليه
تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم
رجلان فتشاجروا فقال عليه السلام لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا
ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى وهو يكلم موسى يأمره
وينهاه حسبما يشاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة **فلما أخذتهم الرجفة** مما اجترءوا عليه من طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام
اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة اي الرجفة اي الصاعقة ورجفة الجبل فصعقوا
منها اي ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في الامر بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا
رؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فاسدا فحين شاهد موسى عليه السلام تلك الحالة الهائلة **قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل**
اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها **وإياي** ايضا حين طلبت منك الرؤية اي لو
شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا حينئذ اراده عليه السلام تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر
على النعمة مما يرتبط العتيد ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا مشيئتك اياه فحيث لطفت بنا وعفوت
عنا تلك الجرائم فلا عزو في ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على التمني يأباه قوله تعالى **أتهلكنا بما فعل السفهاء منا** اي الذين
يجهلون تفاصيل شؤونك ولا يثبتون في المداحض والمزلة اما لانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري
او للاستعطاف كما قاله المبرد اي لا تهلكنا **ان هي الا فتنتك** استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم اي ما
الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا
بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى **تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء** اما استئناف مبين
لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها الخ اي تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته
الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه **أنت ولينا** القائم اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية ناصرنا وحافظنا لا غير
فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كانه قيل فمن شأن الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه
عليه السلام على ان يقول ان هي الا فتنتك الى آخره جراءة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها **وارحمنا** بافاضة آثار الرحمة
الدنيوية والاخروية علينا **وانت خير الغافرين** اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بالمقام
واكتب لنا اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت **في هذه الدنيا حسنة** اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما
اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة **وفي الآخرة** اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة **انا هدنا اليك** اي
تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد اذا حركه واماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى

اقلنا انفسنا واملنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونه لغة ضعيفة
مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف
التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة والتوبة وفي المعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها
وعما وقع ههنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى
عليه السلام يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى
فكشفها الله تعالى عنهم **قال** استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه
السلام فقيل قال **عذابي أصيب به من أشاء** لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عليه السلام دعاءه
التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في ذلك قتل انفسهم من
العذاب ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شأنه ان اصيب من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم ممن تناوله مشيئتي ولذلك جعلت
توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي **ورحمتي وسعت كل شيء** اي شأنها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشيئة
من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع
ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذانا بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فبمقتضى معاصي العباد والمشيئة
معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا ترى الى قوله تعالى **فسأكتبها** اي اثبتها واعينها فانه
متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فسأكتبها كتبة كائنة
كما دعوت بقولك اكتب لنا في هذه الى آخره اي سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي **للذين يتقون** اي الكفر والمعاصي
اما ابتداء او بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وان كانت مقارنة
للعذاب الدنيوي **ويؤتون الزكاة** وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكاة شاقة عليهم ولعل الصلاة انما تذكر مع انافتها على
سائر العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن آخرها وايراد ايتاء الزكاة لما
مر من التعريض **والذين هم بآياتنا** جميعا **يؤمنون** ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات
العظام التي جاء بها موسى عليه السلام وما سيجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير
الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون بآياتنا عطفا على يؤتون الزكاة كما عطف هو على يتقون لما
اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض **الذين يتبعون الرسول** الذي نوحي اليه
كتابا مختصا به **النبي** اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة الى الله تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة **الأمي** بضم الهمزة
نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها من امه او الى امة العرب كما قال عليه الصلاة والسلام لا نحسب ولا نكتب او الى ام القرى
وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الاول
بدل الكل ومنصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين او هم الذين واما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرون او اولئك هم المفلحون
فغير سديد **الذي يجدونه مكتوبا** باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه
مكتوبا **عندهم** زيد هو للزيادة التقرير وان شأنه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا **في التوراة والانجيل** الذي تعبد
بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عليه
السلام والقرآن المجيد قبل مجيئهما **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** كلام مستأنف لا محل له من الاعراب متضمن لتفصيل
احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط
التكاليف الشاقة من آثار الرحمة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او من المستتر في مكتوبا او
مفسر لمكتوبا او لما كتب **ويحل لهم الطيبات** التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم **ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم**

اي خفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم حينئذ وقطع الاعضا الخاطيه وقرض موضع النجاسه من
الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم السبت وعن عطا انه كانت بنو اسرايل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم
وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ ويضع عنهم اصارهم والاغلال التي
كانت عليهم اصارهم واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه من الحراك **فالذين آمنوا به** تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان لعلو
رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبايث اي فالذين آمنوا به بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه **وعزروه** اي عظموه
ووقروه واعانوه بمنع اعدايه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير **ونصروه** على اعدايه في الدين **واتبعوا النور الذي انزل**
معه اي مع نبوته وهو القران عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقايق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز
ان يكون المراد منه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا القران المنزل مع اتباعه عليه الصلاة والسلام بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او
اتبعوا القران مصاحبين له في اتباعه **اولئك** اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها
للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة **هم**
المفلحون اي هم الفايزون بالمطلوب الناجون عن المكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلام دخولا اوليا حيث لم
ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهايلة وبه يتحقق التحقيق ويتاتى التوفيق والتطبيق بين دعايه عليه السلام وبين الجواب لا بمجرد ما قيل من
انه لما دعا لنفسه ولبني اسرايل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرايل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بايات الله العظام التي
اجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم باياتنا يومنون واريد ان يكون استماع الاوصاف واعيانهم
الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان
والعمل الصالح **قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم** لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه
من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كاينا من كان ببيان عموم
رسالته للثقلين مع اختصاص سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم وارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملايه بالايات التسع انما كان
لامرهم بعبادة رب العالمين وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية وتقبلها منه فيئته الباغية وبارسال بني اسرايل
من الاسر والقسر والعمل باحكام التورية مختص ببني اسرايل **جميعا** حال من الضمير في اليكم **الذي له ملك السموات والارض** منصوب
او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى **لا اله**
الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى **يحيي ويميت** لزيادة تقرير الوهيته والفا في قوله تعالى
فامنوا بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقدم من رسالته عليه السلام وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على
طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسالة بقوله **النبي الامي** لمدحه عليه الصلاة والسلام
بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى **الذي يؤمن بالله وكلماته** اي ما انزل اليه والى سائر
الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان
به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القران تنبيها على ان المامور به هو الايمان به عليه
السلام من حيث انزل عليه القران لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى بن مريم عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها على ان من
لم يومن به لم يعتد بايمانه **واتبعوه** اي في كل ما ياتي وما يذر من امور الدين **لعلكم تهتدون** علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء
لاهتدايكم الى المطلوب او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر
على الغي والضلالة **ومن قوم موسى** كلام مبتدا مسوق لرفع ما عسى يوهمه تخصيص كتبه الرحمة والتقوى والايمان بالايات بمتبعي رسول
الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم **امة يهدون**

اي الناس **بالحق** اي ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق **وبه** اي بالحق **يعدلون** في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في
الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وياباه ان الله قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرايل
لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبيا عليهم السلام تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله تعالى ان يفرق
بينهم وبين اوليك الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك
حنفا مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم فقال
جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم فقال جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد
النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرا مني عليه السلام فرد محمد على موسى السلام عليهما السلام
ثم اقراهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم تكن نزلت يوميذ فريضة غير الصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم
ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع ان منهم من آمن بجميع الشرايع لا يخلوا
عن بعد **وقطعناهم** اي قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى **اثنتي عشرة** ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير
والتانيث للحمل على الامة والقطعة اي صيرناهم اثنتي عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين
هذا العدد وقوله تعالى **اسباطا** على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا **واوحينا الى موسى اذ استسقاه**
قومه حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقايهم اياه عليه السلام بل باستسقايه عليه السلام
لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى **ان اضرب بعصاك الحجر** مفسر لفعل الايحا وقد مر بيان شان الحجر في تفسير سورة
البقرة **فانبجست** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام وقد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته عليه السلام الى الامتثال
واشعارا بعدم تاثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه قيل حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى
اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست **منه اثنتا عشرة عينا** بعدد الاسباط واما ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست
فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها **قد علم كل اناس** كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط
مشربهم اي عينهم الخاصة بهم **وظللنا عليهم الغمام** اي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل
عمود من نار يسيرون بضوءه **وانزلنا عليهم المن والسلوى** اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع
لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منهم ما يكفيه **كلوا** اي وقلنا لهم كلوا **من طيبات ما رزقناكم** اي مستلذاته
وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى **وما ظلمونا** رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة
محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك **ولكن كانوا**
انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم والجمع بين
صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر **واذ قيل لهم** منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
وايراد الفعل على البنا للمفعول مع استناده اليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله تعالى واذ قلنا للجري على سنن الكبريا
والايذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تعالى لاسلافهم
اسكنوا هذه القرية منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وعلى الظرفية اتساعا وهو بيت المقدس وقيل اريحا وهي قرية
الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة راسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا ايذان بان المامور به في سورة البقرة
هو الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفي به عن ذكر رغدا في قوله تعالى **وكلوا منها** اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية
او منها على انها ابتدايية **حيث شئتم** اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا
وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا **وقولوا حطة** اي مسالتنا
وامرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة **وادخلوا الباب** اي باب القرية **سجدا** اي متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على

اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين
الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى بمن بقي من بني اسرائيل
او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روي انهم لم يدخلوها في حيوة موسى عليه
السلام فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون اليها **نغفر لكم خطاياكم** وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم
وخطيئتكم على البناء للمفعول **سنزيد المحسنين** عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على
تقدير سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان **فبدل الذين ظلموا**
منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه **قولا** اخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه زاحفين على استاههم
وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استهزاء بامر الله عز وجل واستهانة بموسى عليه السلام
وقوله تعالى **غير الذي قيل لهم** نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل
وجه **فارسلنا عليهم** اثر ما فعلوا من غير تاخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد من الارسال من فوق فيكون كالانزال **رجزا**
من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روي انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا **بما كانوا يظلمون** بسبب ظلمهم
المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال
عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا مترتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد
الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم **واسألهم** عطف على المقدر في اذ قيل اي فاسئل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع
وتقرير بتقدم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط
به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين انه من جهة الوحي الصريح **عن القرية** اي
عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة
قرية **التي كانت حاضرة البحر** اي قريبة منه مشرفة على شاطئه **اذ يعدون في السبت** اي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت وان
ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ
يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير
العبادة **اذ تأتيهم حيتانهم** ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التقريع والحيتان جمع
حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد
يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه
لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض يوم السبت **يوم سبتهم** ظرف لتأتيهم اي تأتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله
تعالى **شرعا** جمع شارع من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال من حيتانهم اي تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل
ويوم لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اي
لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار
عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت **لا تأتيهم** كما كانت تأتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث
لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها لهم يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون لا تأتيهم **كذلك نبلوهم**
اي مثل ذلك البلاء العظيم العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم لنظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها والتعجيب منها **بما كانوا يفسقون** اي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك

متصل

متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل ما تأتيهم يوم سبتهم فالجملة بعدها حينئذ استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف الحيتان تارة
وعدمه اخرى **واذ قالت** عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات **امة**
منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم بين كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لاخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء
للنفع والتأثير مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار **لم تعظون قوما الله مهلكهم** اي مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم
او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الاخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا
عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون في الدنيا معذبون في الاخرة وايثار صيغة اسم الفاعل
مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا
ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول
بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم
وليس بذاك كما ستقف عليه **قالوا** اي الوعاظ **معذرة الى ربكم** اي نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ اي موعظتنا معذرة اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض
بالسائلين **ولعلهم يتقون** عطف على معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من
الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب **فلما نسوا ما ذكروا به** اي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا عنه اعراضا
كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا **انجينا الذين ينهون عن السوء** وهم الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج
الجواب الذي حقه الترتيب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لاستهلاكهم لما ان ما في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير
كانه قيل فلما ذكر المذكورون ولم يتذكر المعتدون انجينا الاولين واخذنا الاخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر مرارا من المسارعة
الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول **واخذنا الذين ظلموا** بالاعتداء ومخالفة الامر **بعذاب بئيس** اي شديد وزنا ومعنى
من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بئس على وزن فعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبيس على تخفيف ونقل حركتها الى الفاء ككبد
في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس كريس بقلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف لبيس كهين في هين وتنكير العذاب
للتفخيم والتهويل **بما كانوا يفسقون** متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى او باخذنا هم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم
في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح
بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان
والا لما اخروا عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في
الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى **فلما عتوا عما نهوا عنه** اي تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** له
صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس
لخصوصية الحيتان بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية
تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو يوم المعني بقوله تعالى انما جعل
السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كانها المخاض لا يرى
وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر فجاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا
حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم
الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال
له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا
وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين

لم تعظون الى اخره وثالث باشروا الخطيئه فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب
وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا
فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسباهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد
ياتي نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد براسه بلى ثم ماتوا عن ثلث وقيل صار الشبان قردة والشيوخ
خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة
هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر **واذ تاذن**
ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسالهم وتاذن بمعنى اذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم
على الامر يحدث به نفسه فاجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه حيث قيل **ليبعثن عليهم الى يوم القيمة**
اي واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط الله على اليهود البتة **من يسومهم سوء العذاب** كالاذلال وضرب الجزية
وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله عليهم بعد سليمان بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساهم وذراريهم
وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يودونها الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال
مضروبة الى اخر الدهر **ان ربك لسريع العقاب** يعاقبهم في الدنيا **وانه لغفور رحيم** لمن تاب وامن منهم **وقطعناهم** اي فرقنا بني
اسرائيل **في الارض** وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من اقطارها بحيث لا يخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة
وقوله تعالى **امما** اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله **منهم الصالحون** صفة لامما او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ومن
يسير بسيرتهم **ومنهم دون ذلك** اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم **وبلوناهم بالحسنات**
والسيات بالنعم والنقم **لعلهم يرجعون** عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي **فخلف من بعدهم** من بعد المذكورين **خلف** اي بدل
سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا
في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم **ورثوا الكتاب** اي التوراة من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها **ياخذون عرض هذا**
الادنى استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي ياخذون حطام هذا الشيء الادنى اي الدنيا وهو من
الدنو والدناة والمراد به ما كانوا ياخذونه من الرشا في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا **ويقولون سيغفر لنا**
ولا يواخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عايدون الى مثله غير
تائبين عنه **الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق** اي الميثاق الوارد في الكتاب **ودرسوا ما فيه** عطف
على الم يوخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض **والدار الاخرة خير للذين يتقون** ما فعل هولاء **افلا تعقلون**
فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المودي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وبالالتفات تشديد للتوبيخ **والذين يمسكون**
بالكتاب اي يتمسكون به في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه ماكلة وقال عطا هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ
من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى **واقاموا الصلاة** ولعل التغيير في المشهورة للدلالة على ان
التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلاة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين ساير
العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على
الابتداء والخبر قوله تعالى **انا لا نضيع اجر المصلحين** اما الضمير المحذوف كما هو راي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى
فان الجنة هي الماوى وعايد وامهم وقوله تعالى انا لا نضيع الى اخره اعتراض مقرر لما قبله **واذ نتقنا الجبل فوقهم** اي قلعناه من
مكانه ورفعناه عليهم **كانه ظلة** اي سقيفة وهي كل ما اظلك **وظنوا** اي تيقنوا **انه واقع بهم** ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو

وانهم

ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها
فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها فبها والا ليقعن عليكم **خذوا ما اتيناكم** اي وقلنا اي قائلين خذوا ما اتيناكم
من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو **واذكروا ما فيه** بالعمل ولا تتركوه كالمنسي **لعلكم تتقون** بذلك قبايح
الاعمال ورذايل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين **واذ اخذ ربك** منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به او تعقيبا
مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة بعقب اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق
الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك **من بني ادم** المراد بهم الذين ولد
لهم كاينا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على
الاخراج للايذان للاعتنا بشان الماخوذ لما فيه من الانبا عن الاجتبا والاصطفا وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات
مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الاتي واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف وقوله تعالى **من ظهورهم** بدل من بني ادم بدل
البعض من بتكرير الجار كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على
البيان بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الاباء ولم يستودعوا في ارحام
الامهات وقوله تعالى **ذريتهم** مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشائيته
ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني ادم كذلك وتخصيصها باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع
صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التنزيل **واشهدهم على انفسهم** اي اشهد كل واحد من اولئك
الذريات الماخوذين من ظهور ابائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من العبودية على الاختصاص
وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى **الست بربكم** على ارادة القول اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير
ان يكون لاحد مدخل في شان من شؤونكم فينتظم استحقاق العبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى **قالوا** استيناف مبني على
سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا **بلى شهدنا** اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد
في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا في مبدا الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلايل المنصوبة في الافاق
والانفس المودية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه
الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصاير ونصب لهم في الافاق
والانفس من الدلايل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حملة قوله تعالى اياهم على
الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما
في قوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقوله تعالى **ان تقولوا** بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من
حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايا ما كان فهو مفعول له
لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم **يوم القيمة** عند ظهور
الامر **انا كنا عن هذا** عن وحدانية الربوبية واحكامها **غافلين** لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق
والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من جبلتهم على الفطرة السليمة
وقوله تعالى **او تقولوا انما اشرك اباؤنا** عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه **من قبل**
زماننا **وكنا ذرية من بعدهم** لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل **افتهلكنا بما فعل المبطلون** من ابائنا
المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبر والاستبداد بالراي او تواخذنا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم

الكامل بسد عليهم باب الاعتبار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلايل والقدرة على الاستدلال بها مما لامساغ له اصلا هذا
وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لما خلق الله تعالى ادم مسح على ظهره فاخرج منه
كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كاين الى يوم القيامة فقال الست بربكم
قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كاين الى يوم القيامة وقد روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه سئل عن الاية الكريمة فقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق ادم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هولا للنار
وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره عليه السلام ابناوه الصلبيه
ومن ظهورهم ابناوهم الصلبيه وهكذا الى اخر السلسلة لكن لما كانت المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مصدق الحديثين الشريفين
بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسايط عرض على نسب اخراج الكل اليه واما الاية الكريمة فحيث كانت مسوقة
للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى ابايهم اقتضى الحال
نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض لاخراج الابنا الصلبيه لادم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق
لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير رافع لغفلتهم في دار
التكليف اذ لا فرد من الافراد البشر يذكر ذلك فهو مردود لكن لا لما قيل من ان الله عز وجل قد اوضح الدلايل على وحدانيته وصدق رسله فيما
اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل لان
قوله تعالى ان تقولوا الى اخره ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد
والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا
اوليلا تقولوا او ليلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيامة انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم تنتبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه
هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ واو المعنى اذكر لهم الميثاق الماخوذ منهم فيما
مضى ليلا يعتذروا يوم القيامة بالغفلة عنه او بتقليد الاباء هذا على تقدير كونه تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فاما على تقدير
كونه من كلامه تعالى فهو العامل في ان تقولوا ولا محذورا اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيامة الى اخره لانا نردكم
ونكذبكم حينيذ **وكذلك** اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته
والكاف مقحمة موكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقدم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك
التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة **نفصل الايات** المذكورة لا غير ذلك **ولعلهم يرجعون** وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار
على الباطل وتقليد الاباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتدائيان ويجوز ان يكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب عليه على
التفصيل اي وكذلك نفصل الايات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الى اخره **واتل عليهم** عطف على المضمر العامل
في اذ اخذ وارد على نمطه في الابا عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود **نبا الذي اتيناه اياتنا** اي خبره
الذي له شان وخطر وهو احد علماء بني اسرايل وقيل بلعم بن باعورا وبلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل امية
ابن ابي الصلت وكان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله
عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهنات هم **فانسلخ منها** اي من تلك الايات انسلاخ الجلد من الشاة
ولم يخطرها بباله اصلا او خرج منها بان كفر بها ونبذها وراء ظهره وايا ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبي عن اتصال المحيط بالمحاط
خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للايات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال **فاتبعه الشيطان** اي تبعه حتى
لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته **فكان
من الغاوين** فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين وروي ان قومه طلبوا اليه ان يدعوا على موسى
فقال كيف ادعوا على من معه من الملايكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده ان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب

به بنو اسرايل وقد كان ذلك بدعايه عليه السلام عليهم كما مر في سورة المايدة **ولو شئنا** كلام مستانف مسوق لبيان مناط
ما ذكر من انسلاخه من الايات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشية محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزا
على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه **لرفعناه** اي الى المنازل العالية للابرار العاملين بتلك الايات العاملين بموجبها لكن لا بمحض
مشيتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للافعال
بالعباد مع مباشرته للعمل المودي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبي عنه قوله تعالى **بها** اي بسبب تلك الايات بان عمل بموجبها
فان اختياره وان لم يكن موثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه منوط بذلك البتة حسب جريان
العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان اسند ما يودي الى نقيض الثاني اليه حيث قيل **ولكنه اخلد الى الارض**
مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه لا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه
بسبب تلك الايات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشا لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الاخر
تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف
لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه تعالى وتفضلاته وان نقيضه وان اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد بالارادة الذاتية
له سبحانه عما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الاية المذكورة وهو السر في جريان السنة القرانية على اسناد
الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظايره والاخلاد الى الشي الميل اليه مع
الاطمينان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه اثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة
على الرفعة والجلالة **واتبع هواه** معرضا عن تلك الايات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير
بقوله تعالى **فمثله كمثل الكلب** لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل **ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث** اي حاله التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل احواله وهي حالة دوام اللهث به في حالتي التعب والراحة فكانه
قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الى اخره للايذان
بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ في الخطاب
فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد فانه اذا خرج اتساعه وفظاعة حاله اذ هو ضيق الحال
مكروب دايم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا يقدر على نفض الهوا المستحن
وجلب الهوا البارد بسهولة لضعف قلبه وانقطاع فواده بخلاف ساير الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها
الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعيا والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان
وجه الشبه لا محل لها من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم وقيل
هي في محل النصب على الحالية من الكلب بنا على خروجها من حقيقة الشرط وتحولها الى معنى التسوية حيث تحول الاستفهامين
المتنافيين اليه في مثل قوله تعالى اانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين وايا ما كان فلا تظهر انه تشبيه للهيية
المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعام على موسى خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك **ذلك**
اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة
والدناءة اي ذلك المثل السي **مثل القوم الذين كذبوا باياتنا** وهم اليهود حيث اوتوا في التوراة ما اوتوا من نعوت النبي صلى
الله عليه وسلم وذلك القران المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة **فاقصص القصص** القصص مصدر سمي به المفعول به والتسمية كالسلب واللام للعهد والفا
لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هولا المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك **لعلهم يتفكرون**

فيقفون على جلية الحال ويزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادون ايقانا
بك والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم او رجا لتفكرهم ساء
مثلا القوم استيناف مسوق لبيان كمال اقبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب والمنسلخ وساء بمعنى بيس وفاعلها مضمر فيها
ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى الذين كذبوا باياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير
الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اى ساء مثلا مثل القوم الخ او الى التمييز اى ساء اصحاب مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول
مع كفاية كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة لربط قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون به فانه
اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب ايات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم
خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وبالها لا يتخطاها واياما كان ففي يظلمون لمح الى ان تكذيبهم بالايات
متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهدى الله فهو المهتدي لما امر النبي صلى الله عليه
وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هولا الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا
الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسايط العادية في حصول له
الاهتدا من غير تاثير لها فيه سوى كونها داعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط خلق الله تعالى اياه كساير افعال
العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتدا قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة بل لانها المفرد الكامل
من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية اي ما من شانه الايصال اليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى
للمتقين وليس المراد التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية مجرد الاخبار بالاهتدا من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب
الظاهر لظهور استلزام هداية تعالى للاهتدا وحمل النظم الكريم على تعظيم شان الاهتدا والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع
عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتدا على من هداه الله تعالى حسبما يقضي به تعريف الخبر والمعنى من هداه الله اي يخلق فيه
الاهتدا على الوجه المذكور فهو المهتدى لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان يخلق فيه لا الاهتدا بل خلق فيه الضلالة بصرف اختياره نحوها
فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى اللفظ من
وجمع الخاسرين نظرا الى معناها للايذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق الضلال ولقد ذرانا كلام مستانف مقرر لمضمون ما قبله
بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه
من نوع طول يودي توسيطه بينهما وتاخيره عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس في الاتصاف بما عني فيه
من الصفات واكثر الافراد عددا او قدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون
من قبلهم ما يودي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف
يثنيهم من الايات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم
التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب في محل النصب على
انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب موكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير
معهودة مخالفة لساير افراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله وهذا
وصف بكمال الاغراق في القساوة فانها حيث لم يتات منها الفقه بحال فكانها خلقت غير قابلة له راسا وكذا الحال في اعينهم واذانهم
وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلايله
دخولا اوليا وتخصيصه بذلك يخل بالافصاح عن كنه حالهم ولهم اذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيتناول الايات
التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها واذان لا يسمعون
بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات ومافيه

من

من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اي في انتفا
الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانها
ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهولا ليس كذلك حيث لا يميزون
بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه
وهولا لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شي طوع لله من ابن ادم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام
والشرية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون
من شوون الله عز وجل ولا من شوون ما سواه شيئا فيشركون به ولبس كمثله شي وهو السميع العليم اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته
تعالى ولله الاسما الحسنى تنبيه للمومنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما
يليق به من الامور وما يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن اي الاسما التي هي احسن الاسما
واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسما وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد
اللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرى يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق الى الباطل اما
بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد
بالترك المامور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماوه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك
الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان
اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسما اسماوه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها
من البين واما بان يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم الهة واما بان يشتقوا من بعض اسمائه اسما اصنامهم كما سموا اشتقوا اللات
من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسما اسماوه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن
الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسما من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينيذ الاجتناب عن ذلك اذ لا
يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المومنين ليومروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة
بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون كانه استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من الامر بعدم
المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته ويتشفون
بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال
والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى
ومن الناس الى اخره اي وبعض من خلقنا اي وبعض ممن خلقنا امة اي طايفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة
الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
اذا قراها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الاية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى
ينزل عيسى وروي لا تزال من امتي طايفة على الحق الى ان ياتي امر الله وروي لا تزال من امتي امة قايمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم
ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون فيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس
للايذان بان اهتداهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا باياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون
وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتدا به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده من الجملة
الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي
معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من

درج وامّا بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواكان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى
شي فشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب
العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملايمة للنقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك
ترق في مراتب منافعه مع انه في الحقيقة تردي في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهمكهم في
الغي فيحسبوا انها لطف بهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم استدراجا كائنا **من حيث لا يعلمون** انه
لذلك بل يحسبون انها اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم **واملي لهم** عطف على سنستدرجهم غير داخل في
السين لما ان الاملا الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيا فشيا
بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج اثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من
الافتنان المبني على مزيد الاعتنا بمضمون الكلام لابتدايه على تجديد القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير
الالهي والاستدراج بتوسيط المدبرات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة واني ذلك والا لاحترز عن ايرادها في قوله تعالى لا
يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم لانه انما ايرادها في مثل هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبريا **ان
كيدي متين** تاكيد للوعيد وتقرير له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملا مع نتيجتهما التي هي
الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما
ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفا من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة
واستدعايه لاعتبار القيد المذكور حتما **اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة** كلام مبتدا مسوق لانكار عدم تفكرهم في شانه
عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الايات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجب والتوبيخ
والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتدا والخبر بصاحبهم
واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة
معلقة بفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي كذبوا بها ولم يتفكروا في اي شي من جنون
ما كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الامة الهادية بالحق وعليه انزلت تلك الايات او في انه ليس بصاحبهم شي من جنة حتى يودي بهم
التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيومنوا به وبما انزل عليه من الايات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى اولم
يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدي فقيل اي شي بصاحبهم من جنة ما على طريقة الانكار والتعجب والتبكيت او
قيل ليس بصاحبهم شي منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على
نزاهته عليه السلام من شايبة ما ذكر ففيه تاكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح
استحالته ووضوح ثبوته له عليه السلام لما ان التكلم خارق لقضية العقول والعادات لا تصدر الا عمن به مس من الجنون كيفما
اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى او عمن له تاييد الهي يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس به عليه السلام شايبة الاول تعين انه
عليه السلام مويد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه السلام على الصفا ليلا فجعل يدعوا قريشا فخذا فخذا يحذرهم باس الله
تعالى فقال قايلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون حينيذ للرد على عظيمتهم الشنعا
والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة والتعبير المذكور وقوله تعالى **ان هو
الا نذير مبين** جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى
ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرافة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض استيناف اخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتامل في الايات التكوينية
المنصوبة في الافاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الايات المنزلة اثر ما نعي عنه اخلالهم في التفكر في شانه عليه السلام والهمزة
لما ذكر من الانكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم
اي اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تامل فيما تدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة **وما خلق الله**
اي وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او وفي ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات
والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي وقوله
تعالى **من شي** بيان لما خلق مفيدة لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلايل المصنوعات دون دقايقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشي ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وساير شوونه التي
ينطق بها تلك الايات فيومنوا بها لاتحادهما في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عزوهان دليل لايح على الصانع المجيد له
وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى **وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم** عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان
وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان عسى ان
يكون الشان قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه
حكما وايا ما كان فمناط الانكار والتوبيخ تاخيرهم للنظر والتامل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في
الايات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الايات القرانية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم
لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل **فباي حديث بعده يومنون** قطع لاحتمال ايمانهم راسا ونفي له بالكلية مرتب
على ما ذكر من تكذيبهم بالايات واخلالهم بالتفكر والنظر والبا للملابسة متعلقة بيومنون وضمير بعده للايات على حذف المضاف
المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرانا او بتاويلها بالمذكور واجرا الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى كذبوا بها ولم يتفكروا
فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فباي حديث بعد القران يومنون اذا لم يومنوا به وهو النهاية في
البيان وقيل هو انكار وتوبيخ وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا
يبادرون القران بالايمان قبل الفوت فانهم وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يومنوا وقيل الضمير
لاجلهم والمعنى فباي حديث بعد انقضا اجلهم يومنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اي فباي حديث بعد حديثه
يومنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى **من يضلل الله فلا هادي له** استيناف مقرر لما قبله منبي عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى
ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع على الاستيناف اي وهو يذرهم وقرى بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرى
بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد قرى بالجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ
وقوله تعالى **يعمهون** بالياء والرفع على الاستيناف اي وهو يذرهم اي مترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوجيه الضمير
في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل **يسالونك عن
الساعة** استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيمة وهي من الاسما الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها
بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى
الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد استاثر بعلمها وقيل السايلون قريش وقوله تعالى
ايان مرساها بفتح الهمزة وقد قرى بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدا او الفعل المضارع دون الماضي
بخلاف متى حيث كلاهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اوب الى الشي لان البعض اوى الى الكل له
متساند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدا مؤخر اي متى ارساوها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من
ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشي الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرسى السفن ومحل الجملة قبل
الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل
يسالونك عن الساعة ايان مرساها وفي تعليق السوال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من

السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن ايضا
حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل **قل انما علمها** اي علمها بالاعتبار المذكور
عند ربي ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى
خاصة انه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى **لا يجليها لوقتها الا هو** بيان لاستمرار تلك الحالة
الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى
الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسألونني عنه
الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل بان يقيمها
فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية
بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كأنه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست
بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي تسألون عنه وقوله تعالى **ثقلت في السموات والارض** استئناف كما قبله مقرر لمضمون
ما قبله اي كثرت وشقت على اهلها من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حين يشفقون
فيها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما وما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله
تعالى **لا تأتيكم الا بغتة** فانه ايضا استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجأة على غفلة
كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل
يخفض ميزانه ويرفعه **يسألونك كأنك حفي عنها** استئناف مسوق لبيان خطائهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على زعمهم انه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه او ان العلم التشبيهي في محل النصب على انها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم الى
السؤال على زعمهم واشعارا بخطائهم في ذلك اي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفا
وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه
به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل اي استئصاله والاحفاء في المسألة اي الالحاف فيها
وقيل عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى
البر والشفقة فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفي مستحفي بهم
فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي امرها عن غيرهم ففيه تخطئة لهم من جهتين وقيل بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال
عنها تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه **قل انما علمها عند الله** امر عليه السلام باعادة
الجواب الاول تأكيدا للحكم وتقريرا واشعارا بعلته عن الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها الصفات الكمال التي
من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم
ينكرونها راسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه
جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء
هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعلموا
بعلمهم وقوله تعالى **قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا** شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال
زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام ممن يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله
ومغايرته للسؤال الاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلقة باملك
او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما **الا ما شاء الله** ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني

من

من ذلك ويقدرني عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز **ولو كنت اعلم الغيب**
اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة
والمدافعة **لاستكثرت من الخير** اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع
موانعه **وما مسني السوء** اي السوء الذي يمكن التفصي عنه والتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فانه مما لا مدفع له
ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف
على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما
تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما
ان المقام مقام الانذار وقوله تعالى **لقوم يؤمنون** اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير
فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب
الكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان **هو الذي خلقكم** استئناف سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في
جراءتهم على الاشراك بتذكير مبادئ احوالهم المنافية له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شأن المبتدأ اي هو ذلك العظيم الشأن الذي
خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه **من نفس واحدة** هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما
اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته **وجعل** عطف على
خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود **منها** اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل
لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما روي انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية
هي المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى **زوجها** مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم
واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو
حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى **ليسكن اليها** علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا
مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى **فلما تغشاها** اي جامعها **حملت حملا خفيفا** في مبادئ الامر فانه عند
كونه نطفة او علقة او مضغة اخف اليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم في
انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة **فمرت به** اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث
قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من
المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من
الكرب والاذية ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به اي فمضت به الى ميلاده من غير اخراج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى **فلما اثقلت**
اذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما يقابلها
الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها **دعوا الله**
اي آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى **ربهما** اي مالك امرهما
الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا بهما دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية متعلق الدعاء محذوف تعويلا على
الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين **لئن آتيتنا صالحا** اي ولدا من جنسنا سويا **لنكونن** نحن ومن يتناسل من ذريتنا
من الشاكرين الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان
ما علقا به دعاءهما انموذج لسائر افراد الجنس ومعيار لهما ذاتا وصفة وجوده مستتبع له كأنهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا لوجوده
وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حقنا ايضا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فالوجه ظاهر وانت خبير بان
نظم الكل في سلك الدعاء اصالة يأباه مقام المبالغة في الاعتناء بشأن ما هما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محيد عنه لان

توسيع دايرة الشكر غير مخل بالاعتنا المذكور بل موكد له وابا ما كان فمعنى قوله فلما اتاهما صالحا لما اتاهما طلباه اهالة واستتباعا
من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تعالى شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة
بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من السياق البيان وكذا الحال في قوله تعالى فيما اتاهما اي فيما اتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد
مناف وعبد العزي ونحوهما وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان
سياق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة او
ذوي شركة اي شركا ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للمضاف ملابسة ما بالمضاف اليه لت
سراية اليه حقيقة او حكما وتتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في قوله تعالى واذ انجيناكم من ال فرعون الاية فان الانجا منهم
مع ان تعلقه حقيقة او حكما ليس باسلاف اليهود وقد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى قل
فلم تقتلون انبيا الله الاية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات ابايهم وقد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا
في انهما عليهما السلام بريان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى
حيث قدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي
وعداه وعدا موكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جناياتهم ببيان انهم بجعلهم
المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى
الله عما يشركون تنزيه فيه ومعنى التعجب والفا لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى واثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد
وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه ادم وحوا عليهما السلام عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة
اي عما يشركون به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون بتا الخطاب لله
بطريق الالتفات وقيل الخطاب لال قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية
وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير تشركون لهما ولاعقابهما
المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما
يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لادم عليه السلام فاهمهما ذلك ثم عاد اليهما وقال اني من الله تعالى فان دعوته ان يجعله خلقا
مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملايكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه
كيف لا وانه عليه السلام كان عالما في علم الاسما والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباع هذا الشان الخطير امر قريب من المحال
والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استيناف مسوق لتوضيح كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان
شان ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي يشركون به تعالى ما لا يخلق شيا اي لا يقدر على ان
يخلق شيا من الاشيا اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده ولا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون عطف على ما لا يخلق وايراد الضمير
بجمع العقلا مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلا وتسميتهم لها الهة وكذا
حال سائر الضماير الاتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان
اشراك ما لا يقدر على خلق شي ما يخالفه وخلق جميع الاشيا مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان
بتعينه والاستغنا عن ذكره ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم اذا حزبهم امر وحطب ملم نصرا اي نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة
ولا انفسهم ينصرون اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال
منفعة الوجود اليهم والى انفسهم حالا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم اهلا لها وقوله
تعالى وان تدعوهم الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق
حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبي عن مزيد الاعتنا بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها

المشركون

المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم اي مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف
وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون استيناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع
اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى ام
صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعا ببيان مساواته للسكوت الدايم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا
المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم
كما في قوله تعالى سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم فان استوا الدعا وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم
فايزون بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام
وتسمونهم الهة عباد امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها
بهم في ذلك مع كون عجزها عنها اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعايهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى
عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب نفع
او كشف ضر ان كنتم صادقين في زعمكم على انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها الى اخره
تبكيت موكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان الاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما
تتصور اذا كان لها جوارح وقوى محركة ومدركة وليس له شي من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل انهم هذه الالات التي
يتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لهم وقد وجه الانكار الى كل واحد من هذه الالات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية
للتقريع واشعارا بان انتفا كل واحد منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان
مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيقها حيث لم يظهر منها ما يظهر من ساير
الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلاث الباقية وكلام ام في قوله تعالى ام لهم ايد يبطشون بها
منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن اخر منه لما ذكر
من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطا وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد ياخذون بها ما يريدون اخذه وتاخير هذا
عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم
اذان يسمعون بها مع ان الكل سوا في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفا المشي
والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الاذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الى اخره تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاكم
بعد ما بين ان شركاكم لا يقدرون على شي ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكرر عليهم التبكيت والقام الحجر
اي ادعوا شركاكم واستعينوا بهم على ثم كيدون جميعا انتم وشركاكم وبالغوا في ترتيب ما يقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا
تنظرون اي فلا تمهلوني في ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة
المنفهم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل
لا ابالي بكم وبشركايكم لان وليي الله هو الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركايكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن
نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم
والذين تدعون اي تعبدونهم من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم اي في امر
من الامور او في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا اي دعاكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والروية بصرية
وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام راي العين يشبهون الناظر اليك

وتخيل اليك انهم ينظرون لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضية المتلالية وصوروها بصورة من قلب حدقته الي الشي ينظر اليه واكحال انهم غير قادرين علي الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الي المشركين لتوجيه الخطاب الي كل واحد منهم لا الي الكل من حيث هو كالخطابات السابقة تنبيها علي ان روية الاصنام علي الهية المذكورة لا يتيسر لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلي الله عليه وسلم وضمير المفعول علي حاله وقيل للمشركين علي ان التعليل قد تم عند قوله تعالي لا يسمعون اي وتري المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب في قوله وان تدعوا للمومنين علي ان التعليل قد تم عند قوله تعالي يبصرون اي وان تدعوا ايها المومنون المشركين الي الاسلام لا يلتفتون اليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرون بما يحق الابصار تنبيها علي ان ما فيه من شواهد النبوة ودلايل الرسالة من جلايا حيث لا يكاد يخفي علي الناظرين **خذ العفو** لما عد من اباطيل المشركين وقبايحهم ما لا يطاق تحمله امر صلي الله عليه وسلم بجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضا عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهيل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي ضد الجهد اي خذ العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة **وامر بالعرف** بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير **واعرض عن الجاهلين** من غير مماراة ولا مكافاة قيل انه لما نزلت سال رسول الله صلي الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال لا ادري حتي اسال ثم رجع فقال يا محمد ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تعالي نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت الاية الكريمة قال صلي الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالي **واما ينزغنك من الشيطان نزغ** النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس واغراوه لهم علي المعاصي بغرز السايق لما يسوقه واسناده الي النزغ من قبيل جد جده اي واما يحملنك من جهة وسوسة ما علي خلاف ما امرت به من اعترا غضب او نحوه **فاستعذ بالله** فالتجي اليه تعالي من شره **انه سميع** يسمع استعاذتك به قولا **عليم** يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعترا الغضب علي نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالي تهويل لامره وتنبيه علي انه من الغوايل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجا الي حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها **ان الذين اتقوا** استيناف مقرر لما قبله لبيان ان ما امر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها **اذا مسهم طايف من الشيطان** ادني لمة علي ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم وقري طيف علي انه مصدر او تخفيف من طيف من الواو والياء كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذا جمع ضميره فيما سياتي **تذكروا** اي الاستعاذة به تعالي والتوكل عليه **فاذا هم** بسبب ذلك التذكر **مبصرون** مواقع الخطا ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه **واخوانهم** اي اخوان الشياطين وهم المنهمكون **يمدونهم في الغي** اي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقري يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهولاء بالاتباع والامتثال **ثم لا يقصرون** اي لا يمسكون عن الاغواء حتي يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان ويرجع الضمير الي الجاهلين فيكون الخبر جاريا علي ما هو له **واذا لم تاتهم باية** من القران عند تراخي الوحي او باية مما اقترحوه **قالوا لولا اجتبيتها** اجتبا الشي بمعني جباه لنفسه اي هلا جمعتها من تلقا نفسك تقولا يريدون بذلك ان سائر الايات ايضا كذلك او هلا تلقيتها من ربك استدعا **قل** ردا عليهم **انما اتبع ما يوحي الي من ربي** من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك اصلا علي معني تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام باتباع ما يوحي اليه لتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الي نفس الفعل بالنسبة الي مقابله الذي كلفوه اياه عليه السلام لا علي معني تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحي اليه بتوجيه القصر الي المفعول بالقياس الي مفعول اخر في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالي ان اتبع الا ما يوحي الي كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحي الي منه تعالي وفي

التعرض لوصف الربوبية المنبية علي التاييد ما لا يخفي **هذا** اشارة الي القران الكريم المدلول عليه بما يوحي **بصاير من ربكم** بمنزلة البصاير للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصاير مفيدة لفخامتها اي بصاير كاينة منه تعالي والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضميرهم لتاكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالي **وهدي ورحمة** عطف علي بصاير وتقديم الظرف عليها وتعقيبها بقوله **لقوم يومنون** للايذان بان كون القران بمنزلة البصاير متحقق بالنسبة الي الكل وبه تقوم الحجة علي الجميع واما كونه هدي ورحمة فمختص بالمومنين به اذ هم المقتبسون من انواره والمغتنمون باثاره والجملة من تمام القول المامور به **واذا قري القران فاستمعوا له** ارشادا الي طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القران اي واذا ذكر القران الذي ذكر شونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول **وانصتوا** اي واسكتوا في خلال القراة وراعوها الي انقضايها تعظيما له وتكميلا للاستماع **لعلكم ترحمون** اي تفوزون بالرحمة التي هي اقصي ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والانصات عند قراة القران في الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلي عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله تعالي عنهم علي انه في استماع الموتم وقد روي انهم كانوا يتكلمون في الصلاة فامروا باستماع قراة الامام والانصات له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلي الله عليه وسلم قرا في المكتوبة وقرا اصحابه رضي الله تعالي عنهم خلفه فنزلت واما خارج الصلاة فعامة العلما علي استحبابهما والاية اما من تمام القول المامور به او الاستيناف من جهته تعالي **واذكر ربك في نفسك** علي الاول عطف علي قل وعلي الثاني فيه تجريد للخطاب الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان الاخفا ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة **تضرعا وخيفة** اي متضرعا وخايفا **ودون الجهر من القول** اي ومتكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الي حسن التفكر **بالغدو والاصال** متعلق باذكر اي اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقري والايصال وهو مصدر اصل اي دخل في الاصيل موافق للغدو **ولا تكن من الغافلين** عن ذكر الله تعالي **ان الذين عند ربك** وهم الملايكة عليهم الصلاة والسلام ومعني كونهم عنده سبحانه وتعالي قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم علي طاعته تعالي **لا يستكبرون عن عبادته** اي يودونها حسبما امروا به **ويسبحونه** اي ينزهونه عن كل ما لا يليق بكبريايه **وله يسجدون** اي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيا وهو تعريض لساير المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراته عن النبي صلي الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم اية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرا سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيا

بسم الله الرحمن الرحيم **يسالونك عن الانفال** النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالي زايدة علي ما هو اصل الاجر في الجهاد من الثواب الاخروي ويطلق علي ما يعطي بطريق التنفيل زيادة علي السهم من المغنم وقري علنفال بحذف الهمزة والقا حركتها علي اللام وادغام نون عن في اللام روي ان المسلمين اختلفوا في غنايم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنايم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها حتي قال سعد بن معاذ لرسول الله صلي الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هولاء زهادة في الاجر ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلي الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من الاسر والقتل فسالوه عليه السلام ما شرطه لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هولاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السوال استعلام لحكم الانفال بقضية كلمة عن لا استعطا لنفسها كما نطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراة ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطا يسالونك الانفال غير منتهض فان مبناها كما قالوا علي حذف

والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل **قل الانفال لله والرسول** اي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما
امر به من غير ان يدخل فيه راي احد ولو كان السؤال استعطا لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول
لا ينافي اعطاها اياهم بل يحققه لانهم انما يسالونها بموجب شرط الرسول صلى الله عليه وسلم الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق لهم
اليها او نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها
للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعا ان ثبوته بدليل جواز ان متاخرا لتزام خبر المبتدا التكرير
النسخ من غير علم بالناسخ الاخر ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خاصة ليس لاحد فيها شي بهذه الاية فنسخ بقوله عز وجل فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى الاول
حسبما ينطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي الاية على ان الحق انه لا نسخ حينئذ ايضا حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعا اقتصار هذا
الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقا استحقاق المنفل في سائر
الانفال المشروطة يأباه مقام بيان الاحكام كما ينبي عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه عليه
السلام خاصة مما لا يليق بشانه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاعجبني فجيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عليه السلام هذا
لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل
يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتداة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب
مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة ان يعد عليه السلام ما لا يقدر
على انجازه واعطاوه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة ان مناط صيرورته له عليه السلام قوله تعالى الانفال لله
والرسول والغرض انه المانع من اعطا المسول وما هو نص في الباب قوله عز وجل **فاتقوا الله** اي اذا كان امر الغنايم لله تعالى ولرسوله فاتقوه
تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه
دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاوه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم **واصلحوا ذات**
بينكم حال ما بينكم من الحال لملابستها التامة لبينكم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا ما بينكم من الاحوال
بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه
اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله لرسول الله عليه الصلاة والسلام فقسمه بين المسلمين على السوا وكان في ذلك تقوى الله وطاعة
رسوله واصلاح ذات البين وعن عطا كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنايمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد
بعضكم على بعض **واطيعوا الله ورسوله** بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار
كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام ليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة **ان كنتم مومنين** متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب
محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بنا على تحقق المعلق به لتنشيط
للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اي ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلث
طاعة الاوامر واتقا المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان **انما المومنون** جملة مستانفة مسوقة لبيان من اريد بالمومنين
فذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في
الايمان المخلصون فيه **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته
وافعاله استعظاما لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح

الجيم

الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت **واذا تليت عليهم اياته** اي اية كانت **زادتهم ايمانا** اي يقينا وطمانينة نفس فان تظاهر
الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمينان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وانما
زيادته باعتبار زيادة المومن به فان كلما نزلت اية صدق المومن بها فزاد ايمانا عددا واما نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها
بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبيا وارباب المكاشفات ويقين احاد الامة وعليه مبني ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطا ما
ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة **وعلى ربهم** مالكهم ومدبر امورهم خاصة **يتوكلون** يفوضون
امورهم اليه لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** مرفوع على انه
نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبي عن المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلاة والصدقة **اولئك** اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون
بها وفيه دلالة على انهم مميزون بذلك عمن عداهم اكمل تمييز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف **هم المومنون حقا** لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليها ما فصل من افاضل الاعمال القلبية
والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المومنون ايمانا حقا او مصدر موكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا
لهم درجات من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتداة مبنية على سوال نشا من تعداد مناقبهم كانه قيل
ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى **عند ربهم** اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات
موكدة لما افادها التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار
وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مامون الفوات
ومغفرة لما فرط منهم **ورزق كريم** لا ينقضي امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق** الكاف
في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رايت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم
لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق **وان فريقا من المومنين لكارهون** اي
والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة سبب خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة
يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات اخت العباس بن عبد
المطلب رويا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السما فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة
الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها ابو العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبئوا حتى تتنبا نساوهم فخرج ابو جهل بجميع
اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى
ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا فان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضنا
فمضى بهم الى بدر وبدر ما كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطايفتين اما
العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول
فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقا العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال
ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبي
صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين
ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت

بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت
عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه
على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض
يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا
عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد
ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك **يجادلونك في الحق** الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير
استئناف او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى **بعد ما تبين** لهم منصوب
بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم منصورون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت
لنا لنستعد ونتاهب وكان ذلك لكراهتهم القتال **وهم ينظرون** حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت
ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تاهبهم وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا
فارسان **واذ يعدكم الله احدى الطائفتين** كلام مستانف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة
الحزم ودناءة الهمة وقصور الراي والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات
واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكيرها
فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت
مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون
الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى **انها لكم** بدل اشتمال من احدى الطائفتين
مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم
كيف شئتم **وتودون** عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر **ان غير ذات الشوكة تكون لكم** من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي
النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورئيسهم ابو سفيان والتعبير عنهم
بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة
الشوك وشوك القنا شباها **ويريد الله** عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة
هممهم وقصور آرائهم اي اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين وودادتكم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وقوله تعالى
ان يحق الحق اي يثبته ويعليه **بكلماته** اي بآياته المنزلة في هذا الشان او باوامره للملائكة بالامداد بما قضي من اسرهم وقتلهم
وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته **ويقطع دابر الكافرين** اي آخرهم ويستاصلهم بالمرة والمعنى انهم تريدون سفساف الامور
والله عز وجل يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى **ليحق الحق ويبطل الباطل** جملة
مستانفة سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر
مؤخر عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان
الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل **ولو كره المجرمون**
اي المشركون ذلك اي احقاق الحق وابطال الباطل **اذ تستغيثون ربكم** بدل من اذ يعدكم معمول لعامله والمراد تذكير استمدادهم

منه سبحانه والتجاؤهم اليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى لهم وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق
الحق على الظرفية وما قيل ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف للماضي ليس بشيء لان كونه مستقبلا
انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما
عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل
متعلق بمضمر مستانف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اي رب
انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى
اصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه
سينجز لك ما وعدك **فاستجاب لكم** عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة **اني ممدكم** اي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى
قال لان الاستجابة من مقولة القول **بالف من الملائكة مردفين** اي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم والمراد بهم رؤساؤهم
المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين بعضهم لبعض
المؤمنين وانفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال متبعين بعضهم لبعض المؤمنين وانفسهم المؤمنين من اردفته
بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلها مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال
فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين
المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار
تدل على وقوعها **وما جعله الله** كلام مستانف لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير مختص به عز وجل ليثق به
المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه
المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم به وما جعل امدادكم بهم **الا بشرى** وهو استثناء مفرغ من اعم العلل
وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون **ولتطمئن به** اي بالامداد **قلوبكم** وتسكن اليه
نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل
للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار
بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو راي بعض السلف وقيل الجعل
متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم الاوصاف المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن
متعلقة بمحذوف مؤخرة تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر **وما النصر** اي حقيقة النصر على الاطلاق **الا من عند الله** اي
الا كائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية **ان الله**
عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في قضيته **حكيم** يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار
بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة **اذ يغشاكم النعاس** اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من
اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار اذكر
وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في
الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى **امنة منه** على القراءتين الاوليين منصوب على العلية
بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امنا اي كائنا من الله تعالى لا كلالا ولا اعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك اي
فتامنون امنا كما في قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى

القراءة الاخيرة منصوب على العلة بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مرتب عليه كما مر وقرئ امنة
كرحمة **وينزل عليكم من السماء ماء** تقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه
من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال **ليطهركم به** اي من الحدث الاصغر والاكبر **ويذهب عنكم رجز الشيطان** الكلام في تقديم
الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم
على الحق وانتم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم
العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا فاشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا
حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا واوسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت
وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى **وليربط على قلوبكم** اي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما
بعد بمشاهدة طلائعه **ويثبت به الاقدام** ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي
وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى **اذ يوحي ربك الى الملائكة** منصوب بمضمر مستأنف
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المامور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحي
المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر النعم السابقة التي امروا بذكر
وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب
ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملائكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد
التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثان من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب
به عليه السلام مع ما عرفت من ان المامور به ليس من الوظائف العامة للكل كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة **اني معكم** اي بالامداد والتوفيق في
امر التثبيت فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة انما
هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفاء في قوله
تعالى **فثبتوا الذين آمنوا** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبت واختلفوا في كيفية
التثبيت فقالت جماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما يقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم وتتأكد جدهم
في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال
وقد روي انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي
بين الصفين ويقول ابشروا فان الله ناصركم وقال آخرون امروا بمحاربة اعدائهم وجعلوا قوله **سالقي في قلوب الذين كفروا**
الرعب تفسيرا لقوله تعالى اني معكم **فاضربوا** الى آخره تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن ابي داود المازني
رضي الله تعالى عنه وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقعت راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي
وعن سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنه انه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فتقع راسه عن جسده
قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بان قتلهم الكفرة مع عدم ملاءمته لمعنى تثبيت المسلمين مما لا يتوقف على الامداد بالقاء الرعب
فلا يتجه ترتيب الامر به عليه بالفاء وقد اعتذر الاولون بان قوله سالقي في قلوب الذين الى آخره ليس نصا فيما ذكر بل يجوز ان يكون
ذلك اثر قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
فاضربوا الى آخره فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فمبناه توهم

وروده

وروده قبل القتال واني ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى **فوق الاعناق** اي اعاليها التي هي
المذابح والهامات **واضربوا منهم كل بنان** قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الاصابع من اليدين
والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج والضحاك يعني الاطراف
اي اضربوهم في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الاداني وبفوق الاعناق الاعالي والمعنى فاضربوا الصناديد
والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده **ذلك** اشارة الى ما اصابهم
من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد
ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى **بانهم شاقوا الله ورسوله** اي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب
مشاقتهم ومغالبتهم مما لا سبيل الى مغالبته واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المشاقين في شق خلاف شق الآخر كما ان اشتقاق
المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم اي الجانب لان كلا من المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه **ومن يشاقق**
ورسوله الاظهار في موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه والاشعار بعلة الحكم وقوله تعالى **فان الله**
شديد العقاب اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه
الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل
ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد واما انه وعيد لهم بما اعد في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما
بعده من قوله تعالى **ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار** فانه مع كونه المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب
المذكور ما اصابهم عاجلا فانه سواء جعل ذلك اشارة الى نفس العقاب او الى ما تفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم اما على الاول
فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله تعالى وان للكافرين الى آخره بمعنى مع فالمعنى باشروا
ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به
واما على الثاني فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وان للكافرين الى آخره معطوف عليه والمعنى حكم الله
ذلكم اي ثبوت هذا العقاب عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على
الاول لنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الآية الكريمة وجوه اخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم
عاجلا والله تعالى اعلم وقرئ بكسر ان على الاستئناف **يا ايها الذين آمنوا** خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب
جيء به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشانه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه **اذا لقيتم الذين كفروا زحفا** الزحف الدبيب
يقال زحف الصبي زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك
لان الكل يرى كجسم واحد متصل فتحس حركته بالقياس اليه في غاية البطء وان كان في نفس الامر على غاية السرعة قال قائلهم

وارعن مثل الطود تحسب انهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

ونصبه اما على انه حال من مفعول لقيتم اي زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه اي يزحفون زحفا واما كونه
حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى **فلا تولوهم الادبار** اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم
السابق الى العدو وبكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما
سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحف اثنا عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم
قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم **ومن يولهم**
يومئذ اي يوم اللقاء **دبره** فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء **الا متحرفا لقتال** اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من هؤلاء
واما بالفرار بان يخيل عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من في الكمين من اصحابه وهو باب من
خدع الحرب **او متحيزا الى فئة** اي منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما

ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه
وسلم بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت
من الزحف فقال رضي الله عنه انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية
واما على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا **فقد باء** اي رجع **بغضب** عظيم لا يقادر
قدره ومن في قوله تعالى **من الله** متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية
اي بغضب كائن منه تعالى **ومأواه جهنم** اي بدل ما اراد بفراره اي يأوي اليه من مأوى ينجيه من القتل **وبئس المصير** في ايقاع البوء في
موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان
الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة
باهل بيته والحاضرين معه في الحرب **فلم تقتلوهم** رجوع الى بيان بقية احكام الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط
مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم **ولكن الله
قتلهم** بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم وجوز ان يكون التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد التأويلين لما
روي انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فأتاه
جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها
في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب **وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى** تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عليه السلام حينئذ مرافعا له عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلي بيان
حال الرمي نفيا واثباتا اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي به في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل واحد من اولئك الامة
الجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الاثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من
جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد
ولذلك اثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فمدار اثباتها لله تعالى ونفيها عنه عليه السلام كون اثرها من
افعاله سبحانه لا من افعاله عليه السلام وقرئ لكن الله بالتخفيف والرفع في المحلين واللام في قوله تعالى **وليبلي المؤمنين منه** اي ليعطيهم
من عنده تعالى **بلاء حسنا** اي جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متأخر قالوا واعتراضية اي وللاحسان
اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى قالوا وللعطف على علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين
وليبلي الى آخره وقوله تعالى **ان الله سميع** اي لدعائهم واستغاثتهم **عليم** اي بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم **ذلكم**
اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى **وان الله موهن كيد الكافرين** بالاضافة معطوفا عليه
اي المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل او الرمي او المبتدأ الامر اي الامر ذلكم اي
القتل فيكون قوله تعالى وان الله الاية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين **ان تستفتحوا**
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى
الفئتين واكرم الحزبين اي ان تستنصروا لاعلى الجندين **فقد جاءكم الفتح** حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم
الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله **وان تنتهوا** عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم
فهو اي الانتهاء **خير لكم** اي من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية في المفضل
عليه هو التهكم **وان تعودوا** الى حرابه عليه السلام **نعد** لما شاهدتموه من الفتح **ولن تغني** بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تأنيث
الفئة غير حقيقي وللفصل اي لن تدفع ابدا **عنكم فئتكم** جماعتكم التي تجمعونهم وتستغيثون بهم **شيئا** اي من الاغناء او من المضار وقوله

تعالى

ولو كثرت جملة حالية وقد مر التحقيق **وان الله مع المؤمنين** اي ولان الله معين المؤمنين كان ذلك او ولامر ان الله مع المؤمنين ويقرب
منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه
الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لما انه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني
حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان **يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا** بطرح
احدى التاءين وقرئ بادغامها **عنه** اي لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله تعالى للتمهيد
والتنبيه على ان طاعته تعالى في طاعة رسوله عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه
الطاعة وقوله تعالى **وانتم تسمعون** جملة حالية واردة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اي لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن
الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان **ولا تكونوا** تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها
مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اي لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي **كالذين قالوا سمعنا** بمجرد الادعاء من غير فهم
واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع **وهم لا يسمعون** حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون
ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكأنهم لا يسمعونه رأسا **ان شر الدواب** استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير
وتقرير للنهي مرتقى عن ... اي ان شر من يدب على الارض او شر البهائم **عند الله** اي في حكمه وقضائه **الصم** الذين لا يسمعون الحق **البكم** الذين لا ينطقون
به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا فاقدين للجارحتين رأسا
وتقديم الصمم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا
بعدم التعقل فقيل **الذين لا يعقلون** تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة
ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث
ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس **ولو علم الله فيهم خيرا** شيئا من جنس الخير
الذي من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى **لاسمعهم** سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية الرسول عليه السلام واطاعوه
وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم لذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى
ولو اسمعهم لتولوا اي لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط
وارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى **وهم معرضون** اما حال من ضمير تولوا اي لتولوا على ادبارهم والحال انهم
معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم احي قصيا
فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصي الى آخره وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب
ابن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه قاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء
وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن رحمه الله انهم اهل الكتاب **يا ايها الذين آمنوا** تكرير للنداء مع وصف نعت الايمان لتنشيطهم
الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك **استجيبوا لله وللرسول** بحسن الطاعة **اذا دعاكم**
اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى **لما يحييكم** من العلوم الدينية التي هي مناط الحياة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او
وهي ما يحيي القلوب كما ان الجهل موجب موتها وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص
حياة روي انه عليه السلام مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك من اجابتي قال كنت
في الصلاة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الى آخره واختلف فيه فقيل هذا من خصائص دعائه عليه السلام وقيل
لان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله **واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه** تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع من

مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة على اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حايلة
بين المرء وقلبه او تغيير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزايمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته
وتبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المرء بتشديد الراء على حذف
الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف **وانه** اي الله عز وجل والشان **اليه تحشرون** لا الى غيره فيجازيكم بحسب
مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعة الله وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**
اي لا يختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن الى
اخره اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الى اخره وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن
معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في
غير القسم او للنهي على ارادة القول كقول من قال
حتى اذا جن الظلام واختلط ❁ جاوا بمذق هل رايت الذيب قط ❁
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد يجوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقا
الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفايدته التنبيه
على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم **واعلموا ان الله شديد العقاب** وكذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه **واذكروا اذ
انتم قليل** اي وقت كونكم قليلا في العدد واثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف
وقوله تعالى **مستضعفون** خبر ثان او صفة تعليل **في الارض** اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي
فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلا تحت ايدي الطايفتين وقوله تعالى **تخافون ان يتخطفكم الناس** خبر ثالث او
صفة ثانية تعليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار
قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم اي واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس
وخوفكم من اختطافهم **فاواكم** الى المدينة او جعل لكم ماوى تحصنون به من اعاديكم **وايدكم بنصره** على الكفار او بمظاهرة الانصار او
بامداد الملايكة **ورزقكم من الطيبات** من الغنايم **لعلكم تشكرون** هذه النعم الجليلة **يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله
والرسول** اصل الخون النقص كما ان اصل الوفا التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما بتعطيل الفرايض والسنن
او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او في الغلول في الغنايم روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما
صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله كان في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه
انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال
لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل
نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه عليه الصلاة والسلام فحله فقال ان من تمام
توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به **وتخونوا اماناتكم**
فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو **وانتم تعلمون** انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فيه ذلك فلا
يحملكم حبها على الخيانة كابي لبابة **وان الله عنده اجر عظيم** لمن اثر رضاه تعالى عليها وراعى حدوده فيها فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه
يا ايها الذين امنوا تكرير الخطاب والوصف بالايمان للايذان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته
المحافظة عليه كما في الخطابين السابقين **ان تتقوا الله** اي في كل ما تاتون وما تذرون **يجعل لكم** بسبب ذلك **فرقانا** هداية في قلوبكم

تفرقون

تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة
عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم وينشر صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى يسطع الفرقان اي الصبح **ويكفر عنكم
سيئاتكم** اي يسترها **ويغفر لكم** بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغاير والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في
اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم وقوله تعالى **والله ذو الفضل العظيم** تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى
تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل **واذ يمكر بك الذين كفروا** منصوب على المفعولية
بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم الى اخره مسوق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد
تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت مكرهم بك **ليثبتوك** بالوثاق ويعضده قراءة من قرا ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم
ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات **او يقتلوك** بسيوفهم **او يخرجوك** اي من مكة وذلك
انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عليه الصلاة والسلام فرقوا واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في امره عليه السلام فدخل
عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه
في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه
من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال وبئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم
بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل فلا تقوى
بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل عليه السلام النبي عليه
السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه على مضجعه وخرج هو مع ابي بكر الى الغار **ويمكرون ويمكر الله** اي يرد
مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم
ما لقوا **والله خير الماكرين** لا يعبا بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا مساغ له ابتداء لما فيه من
ايهام ما لا يليق به سبحانه وتعالى **واذا تتلى عليهم اياتنا** التي حقها ان تخر لها صم الجبال **قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا** قاله
اللعين النضر بن حارث واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله وياخذون برايه وقيل قاله الذين ائتمروا
في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم
من المشيئة وقد تحدوا عشر سنين وقرعوا على العجز واذاقوا من ذلك الامرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا ما سواه مع انفتهم
وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان **ان هذا الا اساطير الاولين** اي ما يسطرونه في القصص **واذ قالوا اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم** هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال
ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان القران ان كان حقا
منزلا من عندك فامطر علينا حجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على
انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على انه هو مبتدا لا فصل وفايدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه
الذي يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير **وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم** جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب
الاستيصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله
تعالى **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** اما استغفار من بقي منهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا
لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون **وما لهم الا يعذبهم الله** بيان لاستحقاقهم العذاب بعد
بيان الواقع المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون **وهم يصدون عن المسجد الحرام** اي وحالهم
ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية **وما كانوا اولياءه** حال من ضمير يصدون

معيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره في غاية القبح وهو رد لما كانوا
يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشا وندخل من نشا ان اولياوه الا المتقون من اتقا الشرك الذي لا يعبدون فيه
غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون لانه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم
كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاوهم او ما يسمونه صلاة او ما يصنعون موضعها الا مكا اي صفير
افعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف
باليا وقرئ بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم بالمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته
روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنسا مشبكين بين اصابعهم يصفرون ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي
صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب
الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي
سفيان استاجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم
بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم
احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم
تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيرها
ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المومن والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او بيغلبون او ما انفقه المشركون
في عداوته عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه
ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين
كفروا هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما
قد سلف من الذنوب وقرئ نغفر لكم وتغفر لكم على البنا للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين
الذين تحزبوا على الانبيا عليهم السلام فالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا امثال ذلك وقاتلوهم عطف على قل وقد عمم الخطاب
لزيادة ترغيب المومنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد
منهم شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن
الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهايهم عنه واسلامهم وقرئ بتا الخطاب اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم
الى الاسلام وتعليقه بانتهايهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك
فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا
انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال
على راس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعايدها محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم
من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عايد
الموصول قصد به الاعتنا بشان الغنيمة وان لا يشذ عنها شي اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشي حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب

المقتول

المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضي المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدا خبره
محذوف اي فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان ما الى اخره وقرئ بالكسر والاول اكد واقوى للايجاب لما فيه من تكرار
الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى
للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه قوله تعالى وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه
وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله
تعالى عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم هولاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم
ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام
انما بنو هاشم وبنو المطلب شي واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمها عندنا انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة
اسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوي قرباه وثلاثة اسهم للاصناف الثلاثة ويويده ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه منع
بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطي فقيركم ونزوج ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيا وعن
زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند
الشافعي رضي الله تعالى عنه فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرف عليه السلام من مصالح
المسلمين كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيايهم وفقرايهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
والباقي للفرق الثلث وعند مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هولاء وان راه اعطاه بعضا منهم
دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الاية الكريمة وقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى
الى رتاج الكعبة لما روي انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت
المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شان الخمس واما الاخماس الاربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس
سهمان عند ابي حنيفة رضي الله عنه وثلاثة اسهم عندهما قال القرطبي لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك
الغانمين وقوله تعالى ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف ينبي عنه المذكور اي ان كنتم امنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب
التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة
لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم امنتم بالله وما انزلناه على عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول صلى
الله عليه وسلم والمومنون فان بعض ما نزل نازل وهو الملايكة والفتح عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يوم بدر
سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا عليه عليه السلام يوميذ من الوحي والملايكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد
الايصال والتيسير فينتظم انتظاما حقيقيا وحمل الايمان بانزال هذه من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان
الوحي ناطق بذلك وان الملايكة والفتح لما كانا من جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى
والله على كل شي قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم
الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما وهم بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تانيث
الاقصى وكان القياس قلب الواو يا كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو لكنها جات على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا
من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة
حال من الظرف قبلها وفايدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم
ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا
كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ما خلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد

اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما
اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطيب نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على
هذا الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة ولعيش من يعيش عن بينة شاهدة
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك
والحياة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للحياة والهلاك او من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحياة وقرئ ليهلك
بالفتح وهلك وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه ولعل الجمع
بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل اخر من يوم الفرقان او
متعلق بعليم او بعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي امر القتال وتفرقت اراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم
بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر
ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق
والضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني والتعميم معطوف على المضمر وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله
عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى
قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يراهم مثليهم
ليفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم ايات تلك الوقعة فان البصير قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه
ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا
كرر لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وها هنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه
والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيف ما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين امنوا صدر الخطاب بحرفي
النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور
ان المومنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في
تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اي تفوزون بمرامكم وتظفرون
بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل
اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل ما تاتون وما تذرون
فيندرج فيه ما امروا به ها هنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب للنهي وقيل
عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم
وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان
النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع
الصابرين بالنصرة والكلاءة وما فهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته
تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعدما امروا بما امروا به من محاسن الاعمال ونهوا عما
يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة
والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار اثار الجلادة فلقوا
ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهي المومنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان

النهي

النهي عن الشي مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل
مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المومنين وغيرها بان وسوس اليهم
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم
واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته
وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى
اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرا منهم وخاف
عليهم ويئس من حالهم لما راى امداد الله تعالى المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة
فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم فلما راى الملائكة
تنزل نكص وكانت يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث
فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما
اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون
الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن رضي الله عنه واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز
ان يكون من كلامه وبيانا لخوفه وان يكون مستانفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب والذين في قلوبهم
مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير
الوصفين كما في قوله ٥ يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب ٥
غر هؤلاء يعنون المومنين دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله
جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه
واستجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار في فهمه الباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة
المذكور عليه ولو ترى اي ولو رايت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا والخطاب اما لرسول الله صلى
الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تعالى اذ
يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم
المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتدا وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من
الموصول قد استغنى فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميريهما وادبارهم اي
واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اي
ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف
للايذان بخروجه عن حدود البيان اي لو رايت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب والتمحيص
وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره بما قدمت ايديكم اي ذلك
الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر
مبتدا محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب
ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اعتراض تذييلي اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة ال عمران والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببية مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه
لامكن ان تعذيبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة

المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج اليه ذلك **كدأب آل فرعون** في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال **والذين من قبلهم** اي من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح عليه السلام وعاد واضرابهم من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى **كفروا بآيات الله** تفسير لدأبهم الذي فعلوا والغالب بيان كونه من لوازم جبلتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى **فأخذهم الله بذنوبهم** لتأكيد ما افاده الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها لهذا بهم جميع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوا فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من حالة دأبهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر في الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى **ان الله قوي شديد العقاب** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى **ذلك** الى آخره استئناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب المنوط باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لا نفس ما حل بهم من العذاب والانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم حالهم وتوهم ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تحمل ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل وابتعاد عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفر بآيات الله واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك اي ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك **بان الله** اي بسبب انه تعالى **لم يك** في حد ذاته **مغيرا نعمة انعمها** اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها **على قوم** من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت **حتى يغيروا ما بانفسهم** من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها الى اسوأ منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بحروف اللين **وان الله سميع عليم** عطف على ان الله الى آخره داخل معه في حيز التعليل اي وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة حينئذ استئناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا **كدأب آل فرعون والذين من قبلهم** اي كتغييرهم على ان دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى **كذبوا بآيات ربهم** تفسير له بتمامه وقوله تعالى **فاهلكناهم** اخبار بترتب العقاب عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما في نظيره في سورة آل عمران حيث جوز انتصاب محل الكاف بلن تغني مع ما بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا اشكال في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة حينئذ استئناف آخر مسوق لتقرير ما سبق له الاستئناف الاول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير

الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله نعمته تعالى عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوا من تغيير حالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته واما دأب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفى في كل من التشبيهين بتفسير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في الفاء في قوله تعالى **بذنوبهم** كالذي مر وعطف عليه قوله تعالى **واغرقنا آل فرعون** عطف على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام **وكل** اي كل من الفرق المذكورين او كل من هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى قريش **كانوا ظالمين** اي انفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك او واضعين الكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم **ان شر الدواب** بعدما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شروع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى **عند الله** اي في حكمه وقضائه **الذين كفروا** اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى **فهم لا يؤمنون** حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليه وكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا حتى جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى **الذين عاهدت منهم** بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اي عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لقباحة ما نعى عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم **ثم ينقضون عهدهم** عطف على ما عاهدت داخل في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم **في كل مرة** اي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هي المرات الواقعة اثر المعاهدة يبقى النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عن النقض الواقع بلا فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات المحاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروجهم بالنقض من البيان **وهم لا يتقون** حال من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى **فاما تثقفنهم** شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم **في الحرب** اي في تضاعيفها **فشرد بهم** اي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطراب والاضطراب ونكل عنها بان تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب ان ينكل **من خلفهم** اي من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ مشددا بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي افعل التشريد من ورائهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم **لعلهم يذكرون** يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعون عن النقض او عن الكفر وقوله تعالى **واما تخافن من قوم خيانة** بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اي واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما سيأتي بما لاح لك من دلائل الغدر ومخايل الشر **فانبذ اليهم** اي فاطرح اليهم عهدهم **على سواء** على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم في الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لئلا يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال

من انا بذ اى فانبذ اليهم ثابتا على سوا او قيل على استوا في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او يستوي فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثاني من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار الزامه للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه للقتال بالاخرة فيكون حثا له عليه السلام على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا تحسبن الذين كفروا اي انفسهم تحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفروا بهم مفعول ثان لتحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا المغنم مع ان مقاومة المومنين بالغلبة عليهم ايضا مما يتعلق بهم اماتيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي يمكن ان يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة من قرا انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وقوله تعالى اغير الله تامروني اعبد الاية قال الزجاج وقرى بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرى ولا تحسب الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستيناف وقرى بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي المومنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقاتلة على ابلغ وجه واكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقيل لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المومنين لما ان المامور به من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما يحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام اي اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب لسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي بها يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرى ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اي تخوفون وقرى ترهبون بالتشديد وقرى تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم اي لا غيره فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء لاعداد العتاد قل او جل في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد يوف اليكم اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا للسلم اي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اي للسلم والتانيث لحمله على نقيضه قال

السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع

وقري فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيواخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والاية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطان الحراب فان حسبك الله اي فاعلم ان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذي ايدك بنصره تعليل لكفايته تعالى اياه عليه السلام بطريق الاستيناف فان تاييده تعالى فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع مرشد لاىل تاييده تعالى فيما سياتي اي هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله تعالى او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمومنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته عليه السلام لو انفقت ما في الارض جميعا اي لتاليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استيناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة الماخذ اي تناهي التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التاليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التاليف بينها لا يتسنى وان امكن التاليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج فان بينهم احنا لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا يا ايها النبي شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في جميع اموره وامور المومنين او في الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عليه السلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المومنين في محل النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال

فحسبك والضحاك عضب مهند

وقيل في محل الجر عطفا على الضمير كما هو راي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطف على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمومنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلام عمر رضي الله عنهما يا ايها النبي بعدما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امر عليه السلام بترتيب مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المامور به حرض المومنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالاوجه حينئذ ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال اني اراك في هذا حرضا الامراى ممرضا فيه لتهييجه الى الاقدام وقرى حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المومنين على عشرة امثالهم على طريق الاستيناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بتاييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيد لزيادة الاطمينان على انه قد يجري بين الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره هاهنا كما ترك قيد الصبر هاهنا مع كونه معتبرا حسبما ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله وباليوم الاخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما المومنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة ثائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يومن بالله واليوم الاخر لا يومن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر

فيعلب وامامن اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هي الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم
لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقيم فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلايم المقام **الان خفف الله عنكم**
وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الموعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا
ويثبت الواحد للعشره وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثماية راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا
منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف
البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاهتداء الى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه
كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الراي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفا جمع ضعيف والمراد
بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى **فان تكن منكم ماية**
صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ يكن هٰهنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية **وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن**
الله اي بتسهيله وتيسيره وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر
ها هنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى **والله مع الصابرين** فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره
وتاييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحلال المومنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني
نصر المومنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الاخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم
المباشرون للصبر كما مر مرارا **ما كان لنبي** وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما ذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم
الصلاة والسلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبيا عليهم السلام **ان تكون له اسرى** وقرئ بتانيث الفعل واسارى ايضا **حتى يثخن في**
الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبهم ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث
لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة **تريدون عرض الدنيا** استئناف مسوق للعتاب
اي تريدون حطامها باخذكم الفدا وقرئ يريدون بالياء **والله يريد الاخرة** اي يريد لكم ثواب الاخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او
يريد سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كما في قوله

اكل امرئ تحسبين امرأ ❊ ونار توقد بالليل نارا ❊

والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه **حكيم** يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفدا حين كانت الشوكة للمشركين
وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فدا لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمومنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين
اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها
اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ايمة الكفر وان الله اغناك عن الفدا امكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب
له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللين وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من
الحجارة فان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه واخذوا الفدا فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان وجدت بكا بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفدا ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السما لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ ولولا كان هو من اثار بالاثخان **لولا كتاب من الله سبق**
اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي
واما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة
كما في الخمر مثلا لا يرفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفدا **لمسكم** اي لاصابكم **فيما اخذتم** اي لاجل ما
اخذتم من الفدا **عذاب عظيم** لا يقادر قدره **فكلوا مما غنمتم** روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء للترتيب ما بعدها على سبب محذوف

اي

اي قد احلت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة
عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه **حلالا** حال من المغنوم او صفة لمصدر اي اكلا حلالا لا
وفايدته الترغيب في اكلها وقوله تعالى **طيبا** صفة لحلالا مفيدة لتاكيد الترغيب **واتقوا الله** اي في مخالفة امره ونهيه **ان الله غفور**
رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفدا قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم**
اي في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم **من الاسرى** وقرئ من الاسارى **ان يعلم الله في قلوبكم خيرا** خلوص ايمان وصحة نية **يؤتكم خيرا**
مما اخذ منكم من الفدا وقرئ اخذ على البنا للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني
اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له عليه السلام فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل
فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وانه لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني
الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتاول به ما في قوله **ويغفر لكم والله غفور رحيم** فانه وعد بالمغفرة موكد بما بعده من الاعتراض
التذييلي **وان يريدوا خيانتك** اي نقض ما عولوا عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه السلام بطريق
الوعد له والوعيد لهم **فقد خانوا الله من قبل** بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه **فامكن منهم** اي اقدرك عليهم حسبما رايت
يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفدا **والله عليم** فيعلم ما في نياتهم وما [نقص]
يستحقونه من العقاب **حكيم** يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة **ان الذين آمنوا وهاجروا** هم المهاجرون هاجروا اوطانهم
حبا لله تعالى ولرسوله **وجاهدوا باموالهم** بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج **وانفسهم** بمباشرة القتال واقتحام
المعارك والخوض في المهالك **في سبيل الله** متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال
اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال **والذين آووا ونصروا** هم الانصار آووا المهاجرين
وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم واثروهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم **اولئك** اشارة الى الموصوفين
بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدا وقوله تعالى **بعضهم** اما
بدل منه وقوله تعالى **اولياء بعض** خبره واما مبتدا ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدا الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد
كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الاية وقيل في النصرة والمظاهرة
ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم **والذين آمنوا ولم يهاجروا** كسائر المومنين **ما لكم من ولايتهم من شيء** اي من توليهم في
الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم **حتى يهاجروا** وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة **وان استنصروكم في**
الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين **الا على قوم** منهم **بينكم وبينهم ميثاق** معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم
بنصرهم عليهم **والله بما تعملون بصير** فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه **والذين كفروا بعضهم اولياء بعض** اخر منهم اي في الميراث
او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب **الا**
تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار **تكن فتنة في الارض**
اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر **وفساد كبير** في الدارين وقرئ كثير **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا**
في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلى
من الايمان وظهور الكفر مع الموعد الكريم بقوله تعالى **لهم مغفرة ورزق كريم** لا تبعة له ولا منة فيه ولا تكرار لان الاول متعلق
الاول لايجاب التواصل بينهم **والذين آمنوا من بعد وهاجروا** معكم **وجاهدوا معكم فاولئك منكم** اي من

حملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله
تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا
يخفى **واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض** اخر منهم في التوارث من الاجانب **في كتاب الله** اي في حكمه او في اللوح او في القران واستدل
به على توريث ذوي الارحام **ان الله بكل شي عليم** ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية اخرا من الحكم
البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له وشاهد يوم القيمة وبشهدان بانه بري من النفاق واعطي عشر
حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته والله تعالى اعلم واحكم

ولها اسما اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمبيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة
والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرية من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر
عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسما يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعا
اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يابى
مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابي عيينة رحمه الله لا الاشتباه في استقلالها
وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ولا رعاية فيما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك على
ان ذلك ينزع الى القول بان البسملة ليست من القران وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل من قدما الحنفية وان مناط اثباتها في
المصاحف وتركها انما هو راي من تصدى لجمع القران دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذهب انها اية فذة من القران انزلت
للفصل والتبرك وان لا مدخل لراي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا
والا لامتنع ان يقع في الاستقلال اشتباه او اختلاف فهوما لاتحاد السورتين ولما ذكرنا لا سبيل الى الاول والا لبينه صلى الله
عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الخطاب الابانة وطول المدة فيما بين نزولهما فحيث لم
يبينه عليه السلام تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم **براة** خبر مبتدا محذوف وتنوينه للتفخيم
وقري بالنصب اي اسمعوا براة ومن في قوله عز وجل **من الله ورسوله** ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها لتفيدها زيادة تفخيم
وتهويل اي هذه براة مبتداة من جهة الله ورسوله واصلة **الى الذين عاهدتم من المشركين** وانما لم يذكر ما تعلق به البراة حسبما ذكر
في قوله تعالى ان الله بري من المشركين اكتفا بما في حيز الصلة فانه منبي عنه انباظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدا
لتخصصها بالصفة وخبره الى الذين الى اخره والذي يقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراة امر حادث لم يعهد عند
المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات
والعمدة في الاخبار شيا اخر هو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث تلك البراة من جهته تعالى ووصولها
اليهم فانحق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها للموصوف انها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي ان يكون له
صفات كما حقق في موضعه وقري من الله بكسر النون على ان الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصا
لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم
باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمين بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة
اشهر ليسيروا اين شاووا وانما نسبت البراة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها
وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف
على راي المخاطبين لانها عبارة عن انها حكم الامان ورفع الحظر المرتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله
عز وجل لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها وداعية يترتب عليها اثارها من غير توقف على شي

اهلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر على ان يكون لهم مدخل في اتمامها او في
ترتب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا يتحصل في نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة
المتعاقدين على وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه في شانها هو الاذن فيها وانما
الذي يباشرها ويتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحد منهما الى من هو اصل فيها
على ان في ذلك تفخيما لشان البراة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الذل والخذلان وتنزيها لساحة
السبحان والكبريا عما يوهم شايبة النقص والبدا تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه السلام في النسبة الاولى واخراجه عن
الثانية لتنوين شانه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة الاسمية على الفعلية كان يقال
قد بري الله ورسوله من الدين او نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها وللتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه **فسيحوا**
السياحة والسيح الذهاب **في الارض** والسير فيها بسهولة على مقتضى المشية كسيح الما على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على
كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظايره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها
والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشانهم من الاستعداد للحرب او تحصين الاهل والمال او تحصيل المهرب او غير ذلك لا تكليفهم
بالسياحة فيها وتلوين الخطاب لصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود وبصيغة امر الغايب ايضا للمبالغة في الاعلام
بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا للشافة اعتذارهم بعدم استعداد وايثار صيغة الامر مع قصد افادة ذلك المعنى
بطريق الاخبار ايضا كما يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم
فكان ذلك امر مطلوب منهم والفا لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يوذن به البراة المذكورة من الحراب على ان الاول مترتب
على نفسه والثاني بكلا متعلقيه على عنوان كونه من الله العزيز لا لترتيب الاول عليه والثاني على الاول كما في قوله تعالى قل سيروا في
الارض فانظروا الى اخره كانه قيل هذه براة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في اعتاد العتاد من كل
باب **اربعة اشهر واعلموا انكم** بسياحتكم في اقطار الارض في العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول **غير معجزي الله**
اي لا تفوتونه بالهرب والتحصن **وان الله** وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخراج وهو الاذلال بما فيه فضيحة
وعار **مخزي الكافرين** اي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الاخرة بالعذاب وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر
بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة الاخراج هو كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا
والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل عشرون
من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذي الحجة والمحرم على
البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسي الذي كان فيهم ثم صار
في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض روي انه صلى الله عليه
وسلم امر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه على العضبا ليقراها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام
لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه السلام لا يودي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة
الا رجل منها فلما دنى علي سمع ابو بكر رضي الله عنهما الرغا فوقف فقال هذا رغا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال
اميرا او مامورا قال مامور تفصيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة
العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا
يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مومنة وان يتم كل ذي عهد عهده **واذان من الله
ورسوله** اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطا بمعنى الاعطا ورفعه كرفع براة والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل **الى الناس** اي
كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون اخرين كالبراة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمومنين ايضا **يوم الحج الاكبر** هو يوم

العبد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه لما روي انه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة
الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام في ذلك اليوم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج
الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ان الله اي
بان الله وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول برئ من المشركين اي المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على المستكن في برئ او على
محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي برئ معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان
تبتم من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفا لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذيلة
بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم فهو اي فالتوب خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي
عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين
استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ثم لم ينكثوا
عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله
ورسوله الى اخره لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ومرده
بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول للتعميم وقيل هو استدراك من المقدر في
فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم
قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا
عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي
ادوا اليهم كملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
بقي لحي من بني كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق
العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ اي انقضى استعير له
من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه
ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه تعالى اهللنا شهر كذا ادخلنا
فيه ولبسنا فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد

۞ اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله ۞ كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي ۞

وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتملا عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام
والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين
عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر لكونها ذريعة
الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشانها او هي مع ما فهم من قوله
تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين في قوله تعالى فاقتلوا
المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوما من العبارة الا انه يكون
الانسلاخ وما نيط به من القتال حينئذ شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة
الدائرة في كل سنة يباعده النظم الكريم واما انه يستدعي بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لا لانها
نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه يحتمل ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر
وقد صح ان المراد بالذين كفروا في قوله تعالى قل للذين كفروا الى اخره ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان

وسورة

وسورة التوبة انما نزلت في شوال السنة تسع وان اريد به ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان
انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى كون مستنده منقولا الينا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف
لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي ائسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي قيدوهم او امنعوهم من
التقلب في البلاد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه
في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفايدته على التفسير الثاني رفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة
المعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان حسبما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلاة واتوا الزكاة تصديقا
لتوبتهم وايمانهم واكتفا بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشانهم ولا
تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية
السبيل وان احد شروع في بيان ما سلف من الكفر حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر الدين اثر
بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين
استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي سالك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة
ما يدعوا اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء اخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او
للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجارك لانه يودي الى اعمال حتى في المضمر وذلك بالاتحاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله

۞ فلا والله لا يلقى اناس ۞ فتى حتاك يا ابن ابي يزيد ۞

كذا قيل لا لان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه من امور الدين
وما روي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل بسماع كلام الله تعالى
او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الى اخره فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين
لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان ياتي محمدا فان من ياتيه عليه السلام انما ياتيه للامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه
بعد استماعه ان لم يؤمن مامنه اي مسكنه الذي يامن فيه وهو دار قومه ذلك يعني الامر بالاجارة وابلاغ المامن بانهم بسبب انهم
قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى معذرة اصلا كيف يكون للمشركين
عهد شروع في تحقيق حقية ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك كيف تكفرون بالله الى اخره بل
بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر
يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون كما مر
ويجوز ان الخبر للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما
حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على
الوجهين الاخرين نصب على التشبيه بالظرف او الحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد من المبالغة ما
ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على الطريق البرهاني اي على اي حال او في اي حال لوجد لهم عهد معتد
به عند الله وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى اتمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يامنوا
به من عذاب الاخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا مدخل لعهدهم في ذلك الامن قطعا وان كان مرعيا عند الله تعالى وعند
رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين استدراك من النفي المفهوم
من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون
المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم والفا لتضمن معنى الشرط وما اما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان استقاموا

لكم فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثنا متصل محله النصب على الاصل والجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود وايا
ما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقت بوقتها الاستقامة المامور بها عبارة عن مراعاة
حقوق العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا
انه قد صرح ها هنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المامور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفا ان الله يحب
المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون
للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما
يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا انه شي يستدعيه وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا لهما وتمهيدا
لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما في البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له
مترقبة لوروده ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله

وخبرتماني انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب

فانه علة مصححة لا مرجحة اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم
اي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اي لم يراعوا في شانكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعا
والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفي المراعاة الا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا او حقا يعاب على
اغفاله مع ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة
الاخر لها فاما اذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال

علام تقبل منهم فدية وهم * لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا

وقيل الال من اسما الله عز وعلا اي لا يرعوا حق الله تعالى وقيل الجوار وما له الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم لتشهيره
ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شوونهم الخفية والجلية بطريق الاستيناف وبين
انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفا في شي وانما يظهرونه مداهنة ولا مداهنة فقيل يرضونكم بافواههم حيث الوفا المصافاة
ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويوكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضا الى
الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم وتابى قلوبهم ما يفيده كلامهم واكثرهم فاسقون
خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليس لهم مروة رادعة ولا عقيدة وازعة لا يتسترون كما يتعاطا
بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر احدوثة السو اشتروا بايات الله بايات الامرة بالايفا بالعهود والاستقامة في كل امر او
بجميع اياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اي تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اي شيا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهوا وهم وشهواتهم
التي اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم
من صد صدا والفا للدلالة على سببية الاشترا لذلك عن سبيله اي الدين الحق الذي لا محيد عنه والاضافة للتشريف او
سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار انهم سا ما كانوا يعملون اي بيس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص
بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة سا اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اي ساهم الذين يعملونه
او عملهم وقوله عز وعلا لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة ناع عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المومنين على الاطلاق فلا تكرار
وقيل هذا في اليهود او في الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو
مخصوص بالذم فيشعر باختصاص الذم والسو بعملهم هذا دون غيره واوليك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون
المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان تابوا اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظايم والفا للايذان بان تقريعهم بما
نعي عليهم من مساوي اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلاة واتوا الزكاة اي التزموها وعزموا على اقامتها فاخوانكم

اى

اي فهم اخوانكم وقوله تعالى في الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان
وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط
فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظايره فوجب ان يكون جوابها حكما يخالفه البتة ونفصل الايات اي نبينها والمراد بها ما مر
من الايات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الايات فيندرج فيها تلك الايات
اندراجا اوليا لقوم يعلمون اي ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التامل في الاحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة
عليها وان نكثوا عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا ما في ضمايرهم
من الشر واخرجوه من القول الى الفعل حسبما ينبي عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الاية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا
انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل وطعنوا في دينكم قدحوا فيه بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ايمة الكفر اي فقاتلوهم وانما
اوثر ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقا بالقتل والقتال وقيل المراد بالايمة روساوهم وصناديدهم
وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرى ايمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما
التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القرا انهم لا ايمان لهم اي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما
علق النفي بها كالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وحمل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث
والطعن لان حالهم في ان لا ايمان حقيقة بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون
الشرط كانه قيل وان نكثوا ايمانهم وطعنوا اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى ينكثوها او لاستمرار القتال المامور به المستفاد من سياق
الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يومنوا انهم لا ايمان لهم حتى تعقد معهم عهد اخر وقرى بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطا الامان
اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم معنى على طريقة ان يكون اعطا الامان
من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام ففي كونه تعليلا للامر بالقتال او للامر كما قيل للنكث والطعن وان حمل على انتفايه فيما سيا[تي]
فلا يلايم جعل الانتها غاية للقتال فيما سيجي فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من
حالهم لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ايمانهم وعن الطعن في دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوهم اي قاتلوهم
ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظايم التي يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن
الموذين الا تقاتلون الهمزة الداخلة على انتفا مقاتلتهم للانكار والتوبيخ يدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفايها
كانه امر لا يمكن ان يعترف به طايعا لكمال شناعته فيلجاون الى ذلك ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة قوما نكثوا ايمانهم
التي حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حسبما
ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جنايتهم القديمة وهم بدءوكم اول مرة وقيل هم اليهود ونكثوا عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه او لا بالكتاب المبين ولهذا عهد به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدءوا بقتال خزاعة حلفا
النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم اي اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم
اولا بترك مقاتلتهم ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها وتحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط
فيها فالله احق ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدايه ان كنتم مومنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة
بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وتعذيب اعدايهم واخزايهم
وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب
والاخزا ويشف صدور قوم مومنين ممن لم يشاهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة
فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب
ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه السلام

بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة **ويتوب الله على من يشاء** كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب
مشيئته تعالى المبنية على الاحكام البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة
ما اجيب به الامر للتدبر في امورهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي للاختلاف في وجه السببية غير السبك والله تعالى اعلم **والله** ايثار اظهار الجلالة
على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة **عليم** لا يخفى عليه خافية **حكيم** لا يفعل ولا يأمر الا ما فيه حكمة ومصلحة **ام حسبتم** ام منقطعة
جيء بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ السابق الى آخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور اي بل احسبتم
ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب اما لمن شق عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين **ولما يعلم الله**
الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما
لم يعلم لزم عدمه قطعا اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبه على ان ذلك
سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب
وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين **ولم يتخذوا** عطف على جاهدوا داخل في حيز
الصلة او حال من فاعله اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين **من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة** اي بطانة وصاحب سر وهو الذي
تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان جعل
بمعنى التصيير **والله خبير بما تعملون** اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الله الى آخره
او حال من فاعله او مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها **ما كان للمشركين**
اي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما وقع وما
تحقق لهم **ان يعمروا** عمارة معتدا بها **مساجد الله** اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها او لان كل ناحية
من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حاله بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان
لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ويأباه انهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك
على انه مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود **شاهدين على انفسهم بالكفر** اي باظهار آثار الشرك من نصب الاوثان
حول البيت والعبادة لها فان كل ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من
الضمير في يعمروا اي محال ان يكون ما سموه عمارة بيت الله مع ملابستهم بما ينافيها ويحطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة في شيء واما
ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين فمما يستدعي انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود
روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم
وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت **اولئك** الذين يدعون عمارة المسجد الحرام وحجب الكعبة وسقي الحجيج وفك العاني
وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر **حبطت اعمالهم** التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا **وفي النار هم فيها**
خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة
وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب **انما يعمر مساجد الله**
الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا ان ارادة جميع المساجد واندراج المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس
كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد هاهنا قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان
يعمرها عمارة يعتد بها **من آمن بالله** وحده **واليوم الآخر** بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي **واقام الصلاة وآتى الزكاة**
على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احدا جرى كلمة الشهادة
علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش

وتنويرها

وتنويرها بالسراج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد
وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه الله
وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة
وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه **ولم يخش** في امور الدين **الا الله** فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية
ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف
والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم **فعسى اولئك** المنعوتون بتلك النعوت الجميلة **ان يكونوا**
من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع
الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان
المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف بالمؤمنين و
ترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى **اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** اي في
الفضيلة وعلو الدرجة **كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله** السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان
فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الى آخره ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او
اجعلتموهما كايمان من آمن الى آخره وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان
بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء
في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية
وحمل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس يشعر بالحرمان ايضا اما على الاول
فهو توبيخ للمشركين ومدار انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين
من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين في حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان
والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين انحطوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم
فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم على اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده
النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير انكار التشبيه وتأكيده بشيء آخر اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود
فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله او اجعلتموهما في ذلك كالايمان
والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية
ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل **لا يستوون عند الله** اي لا يساوي
الفريق الاول الفريق الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين وبين الآخرين لانه المدار في
التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي هاهنا والانكار فيما سلف
الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي والتشابه
للمبالغة في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور وتأكيده او
حال من مفعولي الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل اسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى **والله لا يهدي القوم الظالمين**
حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ظالمون في هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز
الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى **الذين آمنوا وهاجروا**
وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم

وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للابدان بان ذلك من لوازم الجهاد لانه اعتبر بطريق التدارك امرلم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار
اتصافهم لهذه الاوصاف الجميلة اعظم درجة عند الله اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كاينا من كان وان حاز جميع ما عداها
من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على
بعد منزلتهم في الرفعة هم الفايزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على
الثاني فهو توبيخ لمن يوثر السقاية والعمارة من المومنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا قال للعباس رضي الله عنه بعد اسلامه يا عم
الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت
قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال اخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال
اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة
ولكني اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الاية والمعنى اجعلتم اهل السقاية
والعمارة من المومنين في الفضيلة والرفعة كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الجهاد
في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان انكار مدار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم
يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تعويلا للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما
تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى على هذا النعت ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين
فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الاخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما
والقصر في قوله تعالى واولئك هم الفايزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق ادعا كما مر والله اعلم يبشرهم وقرئ
بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها في تلك الجنات نعيم مقيم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية
تاكيد للبشرية وتربية له خالدين فيها اي في الجنات ابدا تاكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر
عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا اي للاعمال التي في مقابلته والجملة استيناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم
واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجميع بالجمع الموجبة لانقسام الاحاد الى الاحاد
كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طايفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والاية نزلت في المهاجرين فانهم
لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضايعين فنزلت
فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة
الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في
الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه
اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تودي بهم الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اي واحدا منهم
كما اشير اليه وافراد الضمير في الفعل لمراعاة لفظ الموصول وللايذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي فرد واحد
وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كان غيرهم
كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المومنين ويقوي عزايمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الاباء
والاخوان ويزهدهم فيه وفيما يجري مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علايقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه الترهيب والتوبيخ ان
كان اباؤكم واخوانكم وابناؤكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة
وعشيرتكم اي اقرباؤكم ماخوذة من العشرة اي العشيرة وقيل من العشرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشايركم
واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها

للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم ومساكن ترضونها اي منازل تعجبكم
الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا ليس
لتناسي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يوثر حبها على حبه تعالى وحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو
الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله
نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عليه الصلاة والسلام تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا
بان محبته واجبة راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدايهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اي
انتظروا حتى ياتي الله بامره قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او اجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين او القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هولاء دخولا اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو خير
لهم وفي الاية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمومنين
خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير وخيبر وفتح مكة ويوم حنين
عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في احدهما اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه
من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله تعالى عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم
اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بنا على انه لم يكن في المعطوف عليه كثرة
ولا اعجاب اذ لبس في قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطايف
كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة الاف منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين
هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد ساير العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة
ابن سلامة الانصاري لن يغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا
الذراري فاكب المسلمون على الغنايم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضايح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا
وذلك قوله عز وجل فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء
وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اي لا تجدون مفرا تطمين اليه نفوسكم من شدة الرعب
ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ قتلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه
العباس اخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحرث اخذ بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب روي انه عليه الصلاة والسلام
كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين
وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجاش سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك
الا لكونه مويدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ايتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صيح بالناس فنادى الانصار
فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى ثم انزل الله سكينته
على رسوله اي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمين اليها اطمينانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت
حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا وعلى المومنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اي المومنين
الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين
من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال وانزل جنودا لم تروها اي بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة
عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى

يدخلوا المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد
الملائكة يومئذ فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم
بذلك والقاء الرعب في قلوب المشركين وقال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين فقال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم
فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء فلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين
كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب
عليهم منهم بحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان
ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا
واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندي ما ترون
ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه
ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام انا لا ندري لعل فيكم من لا
يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعوا اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر
مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون
ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح
مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل انما
المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة او للمنع
عن دخول الحرم وهو مذهب عطا وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله
ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا
بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله تعالى عنه حين نادى ببراءة
الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام
خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من
تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من
الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعاقبة او حال عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه
آخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان
ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشيئة
تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيد ذلك لينقطع الآمال الى الله تعالى وان الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات
ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امرهم بقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين ومنعهم
من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمة من انقطاعهم ونبههم في تضاعيف ذلك على بعض طرق
الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في
حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله
سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما
ثبت تحريمه بالوحي متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا
يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب من التوراة والانجيل

ثمن

ثمن بيانيه لا تبعيضيه حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا الجزية اي يقبلوا ان يعطوا الجزية اي ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق
من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى
منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم يجب الجزية على
الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب يد عاجزين اذلا او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم
او من الجزية اي نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم صاغرون اي اذلاء
وذلك بان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها
وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند ابي يوسف رحمه الله لا تؤخذ من
العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي رحمه الله تؤخذ من اهل الكتاب عربيا وعجميا ولا تؤخذ
من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الى انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية
منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم
فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبيحتهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام في آخر ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم
ووقت الاخذ عند ابي حنيفة اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال
اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امرأة
وعند الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينارا غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة سيقت
لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على
انه اسم اعجمي كعازر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف
فتعسف مستغنى عنه وقيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف
فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء عليهم
السلام بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه
السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في
صدره وهو غلام الا لانه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما
رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما اماته مائة
عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم قال لهم انا عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فاتل علينا
التوراة ففعل فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل الا لانه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت
فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه
فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير
اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه
من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة القول المذكور
اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج
يضاهون اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همز قول الذين كفروا اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله

لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في القول حتى يتاتى التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل
الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص
الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك
او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من
كفرهما بالله تعالى احبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي لا ادري اهو حبر ام حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان
الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب
الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه
او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال
عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية وهي من النصارى
وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام اليس يحرمون ما احل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه فقلت بلى قال ذلك
عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار
فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعدما قالوا
انه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتاخيره في الذكر مع ان اتخاذهم
له عليه السلام ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لانه
مختص بالنصارى ونسبته عليه السلام الى امه من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رأيهم والقضاء
عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشان
هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة
على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله
تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة الله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا
الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق
الاطاعة فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة
به تعالى لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة
يريدون ان يطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجب لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء
نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان
كان لغير النار والسر في ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حججه النيرة الدالة على وحدانيته
وتنزهه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها
من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخه ويابى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد
واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه
من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه
على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء في اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف
واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف مضافا الى ضميره عز وجل لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها

مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد
حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه
اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا
بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل
الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة
والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون كما سبق فيما خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول
الى الكفر بالله يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم
لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم في ما يأتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال
الناس بالباطل يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على
انه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر
في التوراة والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال الباطلة والذين يكنزون الذهب
والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون
مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير
المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة
على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة في العذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكاة لما روي انه لما نزل كبر ذلك على
المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم ولقوله عليه
السلام ما ادي زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه
الصلاة والسلام من ترك صفرا او بيضا كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة
لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم
خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر
يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء
للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار تنبيها على ان المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت
القصة الى الامير وان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة
كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال
والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة على ان الذهب كذلك بل اولى
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس
البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء
الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على
ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ
بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في
قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في اللوح
المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثني عشر اي اثنا عشر مثبتا في كتاب الله وقوله عز وجل يوم خلق السموات والارض
متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم وهي ذو القعدة

والحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض السنة اثنى عشر شهرا منها **اربعة حرم** ثلاث متواليات ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جادى
وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه من محله بالنسي الذي احدثوه
في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذي الحجة فكانت حجة ابي بكر رضي الله تعالى عنه قبلها في ذي القعدة **ذلك** اي تحريم الاربعة
الاشهر المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو **الدين القيم** المستقيم دين ابراهيم عليه الصلاة
والسلام واسمعيل عليه السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى
انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجب الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسي فغيروا **فلا تظلموا فيهن انفسكم** بهتك
حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها
في الحرم وعن عطا انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخ ويؤيد الاول انه عليه الصلاة
والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** اي جميعا وهو مصدر
كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال **واعلموا ان الله مع المتقين** اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه
من القتال وانما وضع المظهر موضعه مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصرة وقيل هي بشارة
وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم **انما النسيء** مصدر نسأه اذا اخره نسيا ونسأ ونسيئا كمس مسا ومسيسا وقرئ بهن
جميعا وقرئ بقلب الهمزة يا وتشديد الاولى فيهما كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه اخر حتى رفضوا خصوص
الاشهر واعتبروا مجرد العدد وانما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلاثة عشر واربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة
اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تأخير شهر الى اخر **زيادة في الكفر** لانه تحليل ما
حرمه الله وتحريم ما حلله الله فهو كفر اخر مضموم الى كفرهم **يضل به الذين كفروا** ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل
من الافعال لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل للمضل
روساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ بفتح الياء والضاد من ضل يضل ونضل بنون العظمة **يحلونه** اي الشهر المؤخر **عاما**
من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا اخر مما ليس بحرام **ويحرمونه** اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار
احلالهم له في العام الماضي او اسنادهم له الى الهتهم كما سيجيء **عاما** اخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي اول
من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان الناس اذا هموا بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت
وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول المشركون لبيك فيسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فاذا قال ذلك حلوا الاوتار
ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان
مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من
كنانة يقال له القلمس قال قائلهم وما ناسي الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اول من سن النسي عمرو بن لحي بن قمعة
ابن خندف والجملتان تفسير للضلال والحال من الموصول والعامل عامله **ليواطئوا** اي ليوافقوا **عدة ما حرم الله** من الاشهر
الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين **فيحلوا ما حرم الله** بخصوصه من الاشهر المعينة **زين لهم
سوء اعمالهم** وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا
قبيح اعمالهم حسنا واستمروا على ذلك **والله لا يهدي القوم الكافرين** هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما
يوصل اليه واستمروا عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال **يا ايها الذين آمنوا** رجوع الى حث
المؤمنين وتحريضهم من اثمهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك **ما لكم** استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ
اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم واصله تثاقلتم وقرئ كذلك اي اي شيء حصل او حصل لكم او ما تصنعون

حين

حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى
كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم حين
قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ انما هو الظرف الاول **الى الارض** متعلق باثاقلتم
على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة
للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد
رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق
عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عليه السلام بين لهم القصد
فيها ليستعدوا لها **ارضيتم بالحياة الدنيا** وغرورها **من الاخرة** اي بدل الاخرة ونعيمها الدائم **فما متاع الحيوة الدنيا** اظهر في مقام
الاضمار لزيادة التقرير اي فما التمتع بها وبلذائذها **في الاخرة** اي في جنب الاخرة **الا قليل** اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحياة الدنيا
بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الاخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شان الاخرة وعلوها **الا
تنفروا** اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه **يعذبكم** اي الله عز وجل **عذابا اليما** اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط **ويستبدل** بعد
اهلاككم **قوما غيركم** وصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد الوصف والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة في الوصفية والنهاية المستلزمة
الاستيصال اي قوما مطيعين مؤثرين الاخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة
السخط ما لا يخفى **ولا تضروه شيئا** اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء في كل شيء وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فان الله وعده بالنصرة والعصمة وكان وعده مفعولا لا محالة **والله على كل شيء قدير** فيقدر على اهلاككم واتيان بقوم اخرين **الا تنصروه
فقد نصره الله** اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه
فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره **اذ اخرجه الذين كفروا** اي تسببوا في خروجه حيث اذن له عليه
الصلاة والسلام حين هموا باخراجه **ثاني اثنين** حال من ضميره عليه الصلاة والسلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى
المقصور في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد
مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وقد كفر الذين قالوا ان
الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة وجعله عليه السلام ثانيهما لشرف الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط في نفسه
كما ذكر في الاخبار بمحل مستغني عنه **اذ هما في الغار** بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو
جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا **اذ يقول** بدل ثان او ظرف ثاني **لصاحبه** اي للصديق **لا تحزن ان الله معنا** بالعون
والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحول حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص المتبوع
والمراد مما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله تعالى فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار
بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت نسجت عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم
فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى ابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله تعالى عنه
فقد كفروا لانكار الله سبحانه وتعالى **فانزل الله سكينته** امنته التي تسكن عندها القلوب **عليه** عن النبي صلى الله عليه وسلم
فالمراد بها ما لا يحول حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على طمانينة من
امره **وايده بجنود لم تروها** عطف على قوله تعالى على نصره الله عز وجل والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب
وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار وتأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله تعالى **وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى** يعني الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجاء بالقتل والامر ونحو ذلك **وكلمة الله** اي التوحيد

او دعوة الاسلام **هي العليا** لا يدانيها شي وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير حالها دون
غيرها من الكلم وكذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين **والله عزيز** لا يغالب **حكيم** في حكمه وتدبيره **انفروا**
تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله تعالى **خفافا وثقالا** حالان من ضمير المخاطبين اي على اي
حال كان من يسر او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض او الغنى او الفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظمه
مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او
خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين
المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي ان انفر قال عليه الصلاة
والسلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية **وجاهدوا**
باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما او باحدهما عند امكانه واعواز الآخر حتى ان من ساعده النفس والمال
يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم
الاول فقط **ذلكم** اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف **خير لكم** اي خير
عظيم في نفسه او خير مما يبتغى تركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد **ان كنتم تعلمون** اي تعلمون الخير
علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه **لو كان** صرف للخطاب عنهم وتوجيه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم
اي لو كان ما دعوا اليه هو **عرضا قريبا** العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال
وسفرا قاصدا ذا قصد بين القريب والبعيد **لاتبعوك** في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين
يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط **ولكن بعدت عليهم الشقة** اي الشاقة الشاطة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر
العين والشين **وسيحلفون** اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى **بالله** اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد
على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا لك قائلين **لو استطعنا** او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الى آخره اي لو كان لنا استطاعة
من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى **لخرجنا معكم** ساد
مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله
تعالى سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم قبل الوقوع وقد وقع حسبما نبئ به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو
استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت **يهلكون انفسهم** بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب
اهلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل
لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن
والله يعلم انهم لكاذبون اي في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم
يخرجوا **عفا الله عنك** صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع عنه من استيذان للمتخلفين في التخلف معتذرين
بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم تجاوزا عن المراحم من ترك الاولى والافضل الذي هو التأني والتوقف
الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله تعالى **لم اذنت لهم** اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين اعتلوا بعللهم بيان
لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون امره عليه الصلاة والسلام منوطة باسباب قوية من جهة
موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالايمان كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور
صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع
المستاذنين وتوحيد الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل وباعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما يبني

عنه

عنه قوله تعالى **حتى يتبين لك الذين صدقوا** اي فيما اخبروا به عند عدم الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال
او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك **وتعلم الكاذبين** في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان
لذلك الاولى الافضل وتخصيصه له عليه الصلاة والسلام عليه فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها
بقوله تعالى لم اذنت باستلزامه ان يكون اذنه عليه الصلاة والسلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم وان يكون توجيه الا و
استفهام اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تانيت حتى ينجلي
الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين
واخذه الفداء من الاساري فعاتبه الله كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على
الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم
في سلك الصادقين وان ما صدر من الآخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم
في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب
احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه
فامر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو مقتض لمدلوله فيما يتعلق به يكون علما مستانفا واسناده
الى ضميره عليه الصلاة والسلام لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه
عليه الصلاة والسلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق
في عذره وممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق العلم بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف
الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب
استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم
العقاب من مراعاة جانبه عليه الصلاة والسلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب قال سفيان
ابن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام
كناية عن الجناية وان معناه اخطات وبئسما فعلت هب انه كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف
في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة
بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين
او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الى آخره وقد كرهه سبحانه وقد يفصح عنه قوله تعالى
ولكن كره الله انبعاثهم الاية نعم كان الاولى تاخير الاذن حتى يظهر كذبهم اثر ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع
بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه الصلاة والسلام وارضوه بالاكاذيب على انهم لم يهنأ لهم
عيش ولا قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمينان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان **لا يستاذنك الذين لا يؤمنون**
بالله واليوم الآخر تنبيه على انه كان ينبغي ان يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك
في **ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم** وان الخالص منهم ان يبادر من غير توقف على الاذن فضلا ان يستاذنوك في التخلف وحيث استاذن
هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للتاني في امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل هو المستاذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى ان يجاهدوا ثم
قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستاذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فتوجه النفي الى القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو
ان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادئ الامر لكن غائلة احوالهم لما كانت مسببة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد
اي لا يستاذنك المؤمنون في الجهاد كراهة له ان يجاهدوا بناء على ان الاستيذان في الجهاد ربما يكون لكراهته لا يخفى ان الاستيذان في
الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة مما لا يأباه حسب الظاهر بل الاستيذان لعلة الرغبة ولو

سلم فالذي ينبغي على المؤمنين ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لم يستاذنوا في الجهاد لكراهتهم له بل انما استاذنوا في التخلف والله عليم
بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزال الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان
ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستاذنك اي في التخلف مطلقا على الاول او لكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر
تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتبين المؤمنون استبدال
الحياة الابدية والنعيم المقيم بالحياة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق
الريب وتقرره فهم في حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الاثبات ديدن المستبصر
والتعبير بهما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قال عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب
الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح
وغير ذلك مما لا بد له في السفر وقرئ عدة بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال ° واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
اي عدته وقرئ عده بكسر العين وعدة بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية
فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان
والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الي زيد ولكن اساء والاظهر
ان يكون استدراكا على نفس المقدم على نحو ما في الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه
تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع
القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او الوسوسة للشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو
اذن الرسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود والامر بالقعود ما المعذورون او غيرهم واما كان فغير خال عن الذم لو خرجوا فيكم
بيان لسر كره الله تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم اي ما اورثوكم شيئا من الاشيا الا خبالا اي فسادا وشرا
فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذلك ولاوضعوا خلالكم اي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من
موضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع
بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولاوفضوا من رفضت الناقة اسرعت وارفضتها انا وقرئ ولارقصوا اي اسرعوا يبغونكم
الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم وبالقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استيناف
وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم والجملة حالية من
يبغونكم او من الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا للمنفعة ولذلك لم تقتض
الحكمة عدم خروجهم نحو جوامع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلي كره الله انبعاثهم فلم يتيسر
اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير
اذن منه عليه الصلاة والسلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم
يتيسر لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الايات النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم فيما مضى وما ياتي
منهم فيما سياتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين
السامعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك من قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي
سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعد ما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع
وعن ابن جريج وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الوداع ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه
الصلاة والسلام فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الامور تقليب الامر تصريفه من امر الى امر وترديده لاجل التدبير والاجتهاد
في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك

وقرى

وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اي النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم
كارهون لذلك اي على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله
تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات
بها ليس مما يمكن فوته تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني اي ولا توقعني في الفتنة والمعصية
والاثم مريدا انه متخلف لا محالة اذنت او لم تاذن فاذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت هالي
وعيالي بلا كفيل يقوم بهم ومصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني
نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني ولا تفتني من الفتنة من فتنه بمعنى فتنه الا في الفتنة اي في عينها ونفسها واكمل افرادها
الغني عن الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما
فعلوا من العزيمة على التخلف والجراة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن الاذن بالقعود المبني عليه وعلى الاعتذارات
الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم
يحسبون انها منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها
منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين وقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم
على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اي جامعة يوم القيامة من كل جانب واتيان الجملة الاسمية للدلالة
على الثبات والاستمرار محيطة بهم الان تنزيلا للشيء يقع عن قريب منزلة الواقع او وضعا لاسباب الشيء موضعه فان مبادي احاطة
النار بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الان من جميع الجوانب ومن جملتها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي
المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشاة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية
في النشاة الاخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون واتيان وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم
اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر
والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة
يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لارائهم قد اخذنا امرنا اي تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود
عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل اي من قبل اصابة المصيبة في وقت تداركه
يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس
الاجتماع والتحدث الى اهاليهم اي يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه الصلاة
والسلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام
السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم دون المصيبة بان يقال وان تصبك مصيبة تسؤهم للايذان بخلاف
حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من
الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من فعل لانه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب الا
ما كتب الله لنا اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية والاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا
ومتولي امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب
المبادي العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفا
للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل كما في قوله تعالى واياي فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المامور به فاظهار الاسم الجليل
في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تعالى امرا للمؤمنين بالتوكل وامره صلى الله عليه وسلم بما ذكر
فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين لانقطاع حكم الامر في الثاني وان كان امر

الغايب واما على الوجه الاول فهي لابراز كمال العناية بشان المامور به وللاشعار بسده ومسد المامور به اولا من الفرق في السياق
والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والبا للتعدية واحدى الثاني محذوف اي ما تنتظرون بنا الا احدى
الحسنيين اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول
وكشف حقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم
احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك
حذف عامله وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا
معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم قل انفقوا اموالكم
في سبيل الله تعالى طوعا او كرها مصدران واقعان موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم
او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم
القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم ويشاهدوا اعلام القبول وهو جواب في قول جد بن قيس
ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة وهو قوله عز وجل انكم كنتم قوما
فاسقين اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم وقرئ بالتحتانية الا انهم كفروا بالله وبرسوله
استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول نفقاتهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقولهم وقرئ تقبل على البنا للفاعل وهو الله تعالى ولا
ياتون الصلاة الا وهم كسالى اي لا ياتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون
بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فقوله تبارك وتعالى طوعا اي من غير الزام من جهته عليه الصلاة والسلام لا رغبة له وهو فرض
الدابرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها
في الحياة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا
كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم في
الدين والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه
بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استيناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية
اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اي مكانا حصينا يلجاون اليه من راس جبل او قلعة او جزيرة واتيان صيغة الاستقبال في
الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة عدم استمرار الوجدان فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفا استمرار
الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما تقتضيه من المقام فان معنى قولك لو تحسن الي لشكرتك ان انتفا الشكر
بسبب استمرار انتفا الاحسان لا انه بسبب انتفا استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في
موضعه او مغارات اي غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار الثعلب
اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار او مدخلا اي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا ومندخلا من تدخل
والاندخال لولوا اي اصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجاوا اليه اي الى احدها ذكر اليه وهم يجمحون اي يسرعون بحيث لا
يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه
الجمال ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة في الصدقات اي في شانها وقسمتها فان
اعطوا منها بيان لفساد لمزهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة
واستحسنوها وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون اي يفاجئون السخط واذا نائبة مناب فا الجزا قيل نزلت هذه الآية
الكريمة في ابي الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة
واسمه حرقوص بن زهير التميمي راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنايم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة المشركة بتوفير

الغنايم

الغنايم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام ويلك اذا لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم
والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله اي ما اعطاهم الرسول عليه الصلاة والسلام من الصدقات طيبي
النفوس وان قل وذكر الله تعالى للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بامره سبحانه وتعالى وقالوا
حسبنا الله اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسم لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل انا الى الله
راغبون في ان يخولنا فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بنا على ظهوره اي لكان خيرا لهم انما الصدقات
شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول عليه الصلاة والسلام من الضمير ببيان المصارف ورد لمقالة المسألة في ذلك وحسم
لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان المصارف ورد لمقالة القائلة انهم بمعزل من الاستحقاق اي جنس الصدقات المشتملة
على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اي مخصوصة بهاولاء الاصناف الثمانية والآية الكريمة لا تتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما
هي لهم لا الى غيرهم كالذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له ادنى شيء
والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه والعاملين عليها الساعين
في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم اصناف فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فيرضخ
لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فتؤلف قلوبهم باجزال العطا كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من
يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول عليه السلام من خمس الخمس الذي هو خاص ماله وقد
عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام
فلما اعزه الله تعالى واعلى كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب اي وللصرف في فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم
وقيل ان تفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق واياما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية
والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير
وللاشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما ان في للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها والغارمين اي الذين
تدينوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رضي الله تعالى عنه من تحمل لاصلاح ذات
البين واطفاء الناس بين القبيلتين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله اي فقراء الغزاة والحاج المنقطع بهم وابن السبيل اي المسافر
المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق او ما ذكر من ايرادهما لعنوان غير مصحح للمالكية
والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان الامر لبيان انهم
مصارف لا تخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وحذيفة وعند الشافعي لا يجوز الا
ان يصرف الى ثلاثة من تلك الاصناف المذكورة فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية الكريمة اي فرض لهم الصدقات
فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي انما
الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة
من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت هذه الآية في قوم من المنافقين قالوا
في حقه عليه الصلاة والسلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما
شئنا ثم ناتيه فينكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله تعالى ويقولون هو اذن يسمع كل ما قيل
من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه عليه الصلاة والسلام كان
لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة
على المبالغة في الجود والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله
لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما

وقرئ اذن خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل **يؤمن بالله** تفسير لكونه اذن خير للمؤمنين اي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى **ويؤمن للمؤمنين** اي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام فيه للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى انؤمن لك اي وقوله تعالى فما امن لموسى **ورحمة** عطف على اذن خير وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة **للذين امنوا منكم** اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة **والذين يؤذون رسول الله** بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتيب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه بترتيب اشعار بهم كما افصح عنه قوله تعالى فيما سبق فان يتوبوا يك خيرا **لهم** عما يجترون عليه من اذية الرسول عليه الصلاة والسلام كما بني عليه بناء الحكم على الموصول **عذاب اليم** وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا الى الموصول ما لا يخفى من المبالغة وابرازه صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب **يحلفون بالله لكم** الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبي صلى الله عليه وسلم واما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار **ليرضوكم** بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عليه الصلاة والسلام وقد قبل عليه الصلاة والسلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك منهم بمعزل من ان يكون وسيلة الى ارضائه عليه السلام وانه عليه الصلاة والسلام انما لم يكذبهم للايذان رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما اشير اليه **والله ورسوله احق ان يرضوه** اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه عليه الصلاة والسلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجيء الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون اي يحلفون لكم لارضائكم والحال ان الله ورسوله احق بالارضاء منكم اي يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه عليه الصلاة والسلام مندرج تحت رضا الله تعالى وارضاءه عليه الصلاة والسلام ارضاء له تبارك وتعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله الاية الكريمة واما انه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتاويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يتيسر التاويل لما ان الضمير لا يتعرض الا للذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها من اوصاف اسم الاشارة واما لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه رضي الله تعالى عنه ومنه قول من قال

نحن بما عندنا وانت بما ** عندك راض والراي مختلف

او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو راي المبرد **ان كانوا مؤمنين** جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه اي ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء **الم يعلموا** اي اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والانذارات **انه** اي الشان **من يحادد الله ورسوله** المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى **فان له نار جهنم** على انه خبر محذوف اي فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله وان تكرير الاولى تاكيدا لطول العهد لا من باب التاكيد اللفظي المانع للاولى من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال

لقد

لقد علم الحي اليمانون انني ** اذا قلت اما بعد اني خطيبها

وقد جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوفا تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له الى اخره ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم **خالدا فيها** حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر **ذلك** اشير الى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك ايذانا ببعد درجته في الهول والفظاعة **الخزي العظيم** الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الاشهاد بظهورها وحوق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق **يحذر المنافقون ان تنزل عليهم** في شانهم فان ما تنزل فيهم نازل عليهم **سورة تنبئهم بما في قلوبهم** من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبيها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فينتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم بها والمراد بالتنبيه المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بها لتفكيك عند ظهور الامر لعود المعنى لانه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك استارهم قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل شيء ويذكر كل شيء بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به فكذلك قيل **قل استهزئوا** اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد **ان الله مخرج** اي من القوة الى الفعل ومن الكون الى البروز **ما تحذرون** اي ما تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة على ملا الناس والتاكيد لرد انكارهم لذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور اذ ليس ترددهم بطريق الحقيقة **ولئن سالتهم** عما قالوا **ليقولن انما كنا نخوض ونلعب** روي انه عليه الصلاة والسلام كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقران وبالرسول عليه الصلاة والسلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكنا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض في السفر **قل** غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على خطائهم موقع الاستهزاء **ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون** حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به فلا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته **لا تعتذروا** لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان **قد كفرتم** اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن فيه **بعد ايمانكم** بعد اظهاركم له **ان يعف عن طائفة منكم** لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف على اسناد الفعل الى الله سبحانه وتعالى وقرئ على البناء للمفعول اسنادا الى الظرف بتذكير الفعل وبتانيثه ايضا ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة **نعذب** بنون التعظيم وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده **طائفة بانهم كانوا مجرمين** مصرين على الاجرام وهم غير التائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحاق الذي عفي عنه وهو رجل واحد مخشي بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الاية الكريمة تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره **المنافقون والمنافقات** التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق **بعضهم من بعض** اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل رد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى **يامرون بالمنكر** اي بالكفر والمعاصي **وينهون عن المعروف** اي عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان **ويقبضون ايديهم** اي عن المبرات والانفاق في سبيل الله تعالى فان قبض اليد كناية عن الشح **نسوا الله** اغفلوا ذكره **فنسيهم** فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة **ان المنافقين هم الفاسقون** الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة

والانسلاخ من كل خير والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار**
اي المجاهرين **نار جهنم خالدين فيها** مقدرين الخلود فيها **هي حسبهم** عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها **ولعنهم الله** اي ابعدهم
من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى **ولهم عذاب مقيم** اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا
ينقطع ابدا ولهم عذاب معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يامنون ساعة
من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم **كالذين من قبلكم** التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف في محل
الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم **كانوا
اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا** تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم **فاستمتعوا** وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما
ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع **بخلاقهم** بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير وهو ما قدر
لصاحبه **فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع** الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع **الذين من قبلكم
بخلاقهم** ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية
تمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم **وخضتم** اي دخلتم في الباطل **كالذي خاضوا** اي كالذين باسقاط النون او
كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه **اولئك** اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق
الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهومين ضمنا لا صريحا ويؤدي الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة
اذ الظاهر حينئذ اولئكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال
الذميمة **حبطت اعمالهم** ليس المراد بها اعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان غايتها غنية عن البيان بل
اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر **في الدنيا والاخرة** بطريق
المثوبة والكرامة اما في الاخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتيبه عليها على طريق المثوبة والكرامة بل بطريق
الاستدراج **واولئك** اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين **هم الخاسرون** الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه
واسبابه طرا فانه قد ذهب رؤوس اموالهم التي هي اعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به
خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران **الم ياتهم** اي المنافقين **نبا الذين
من قبلهم** اي خبرهم الذي له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير **قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم
واصحاب مدين** وهم قوم شعيب **والمؤتفكات** قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من
سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر **اتتهم رسلهم بالبينات** استئناف لبيان نبائهم
فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك واتيان
ما عليه النظم الكريم في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي ما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكن ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل في قوله عز وجل **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب
وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون
كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل والمفعول وسيجي لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه وتعالى
ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض** بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات
حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا واجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن
الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للاثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة
اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة **يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر** اي جنس المعروف والمنكر المنتظم لكل خير وشر **ويقيمون**

الصلاة فلا يزالون يذكرون الله تعالى فهو في مقابلة ما سبق من قوله نسوا الله **ويؤتون الزكاة** بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم
ويطيعون الله ورسوله بمقابلة قوله تعالى اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة
اولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم
في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة **سيرحمهم الله** اي يفيض عليهم اثار رحمته من التاييد والنصرة البتة
فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سانتقم منك **ان الله عزيز** تعليل للوعد اي قوي قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه **حكيم**
يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا
وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شان المنافقين من قوله فنسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المؤمنين فان منع لطفه
تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين **وعد الله المؤمنين والمؤمنات** تفصيل لاثار رحمة الله تعالى الاخروية بعد ذكر رحمته الدنيوية والاظهار
في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف
وغيره لما انه من لوازمه ومستتبعاته اي وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفا وكما **جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها** فان كل احد فائز بها لا محالة **ومساكن طيبة** اي وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها
النفوس او يطيب فيها العيش في الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر **في جنات عدن** هي ابهى اماكن الجنات
واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله
خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود انها بطنان الجنة وسرتها فعدن
على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس
ما هو اشرف الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه
محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه
بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال **ورضوان من الله** اي وشيء
يسير من رضوان الله **اكبر** اذ عليه يدور كل خير وسعادة وبه يناط كل شرف وزيادة سيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته
في نفسه لانه متحقق ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا
نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا **ذلك** اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة **هو الفوز
العظيم** دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى
شيء من نعيم الاخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا وما تؤتون عند الله جناح
بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعم ما قال من قال تالله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا ما كان من حق حر ان
يذل لها فكيف وهي متاع يضمحل غدا **يا ايها النبي جاهد الكفار** اي المجاهرين منهم بالسيف **والمنافقين** بالحجة واقامة
الحدود **واغلظ عليهم** في ذلك ولا تحابهم ولا تاخذك بهم رافة قال عطاء نسخت هذه الاية الكريمة كل شيء من العفو والصفح **ومأواهم جهنم** جملة
مستانفة لبيان امرهم اثر بيان عاجله وقيل حال **وبئس المصير** تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف **يحلفون بالله
ما قالوا** استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فسمعه من كان منهم معه عليه الصلاة
والسلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير
فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر

فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل واتيان صيغة
الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرير الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان
بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل **ولقد قالوا كلمة الكفر** هي ما حكي والجملة ما عطف عليها اعتراض **وكفروا بعد**
اسلامهم اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام **وهموا بما لم ينالوا** هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
انه توافق خمسة عشر على ان يدفعوا الرسول عليه الصلاة والسلام عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل فكان عامر بن ياسر
اخذ بخطام ناقته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل اراده وان يتوجوا عبد
الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم **وما نقموا** اي وما انكروا او وما عابوا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم
الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم حين كانوا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة فاثروا
بالغنائم وقيل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل
او من اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا ان اغنى الله تعالى اياهم او وما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله تعالى
اياهم **فان يتوبوا** عما هم عليه من الكفر والنفاق **يك خيرا لهم** في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس
يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسن توبته **وان يتولوا** اي استمروا على ما كانوا عليه
من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض **يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا** بالقتل والاسر والنهب وغير
ذلك من فنون العقوبات **والآخرة** بفنون العذاب بالنار وغيرها من افانين العقاب **وما لهم في الارض** مع سعتها وتباعد اقطارها
وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله عز وجل **من ولي ولا نصير** ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة **ومنهم** بيان
لقبائح بعض اخر منهم **من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن** لنؤتين الزكاة وغيرها من الصدقات **ولنكونن من الصالحين** قال
ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله ادع الله لي ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك
بالحق بشيرا ونذيرا لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه قال فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها ارض المدينة
المشرفة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انه كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال
يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي وذلك قوله عز
وجل **فلما اتاهم من فضله بخلوا به** اي منعوا حق الله منه **وتولوا** اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه وتعالى فلما رجعا قال لهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل منك فجعل التراب على
راسه فقال عليه الصلاة والسلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك
في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي ابن الحارث وجد بن القيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر **وهم معرضون** جملة
معترضة وهم قوم عادتهم الاعراض وحالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم **فاعقبهم** اي جعل الله تعالى عاقبة فعلهم
ذلك **نفاقا** راسخا **في قلوبهم الى يوم يلقونه** اي يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيامة
وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل **بما اخلفوا الله ما وعدوه** اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من
التصدق والصلاح **وبما كانوا يكذبون** اي بكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها ما وعدهم المذكور وتخصيص
الكذب به يؤدي الى تخلية الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية فان تسبب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضي
باسناده الى الله تعالى اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل والنفاق والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع

ممهدة

ممهدة عن ترتب اعقاب النفاق المحلة على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض وفيها
ما لا وجه له الترتب المذكور كالمعاهدة لترى ما في ذلك من الايهام بتعبير ما هو المدار في ذلك والله اعلم وقرئ بتشديد الدال **الم**
يعلموا اي المنافقين او من عاهد الله وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا للمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي
الم يعلموا **ان الله يعلم سرهم ونجواهم** اي ما اسروه في انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير
ذلك مما لا خير فيه ومن تقديم السر على النجوى سيظهر في قوله تعالى وستردون الى عالم الغيب والشهادة **وان الله علام الغيوب** فلا يخفى
عليه شيء من الاشياء حتى اخبروا على ما اخبروا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في الموضعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي اسناد
العلم المتعلق بسرهم ونجواهم الحادثين شيئا فشيئا بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة
الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على
انه تعالى يؤاخذهم ويجازيهم بما علم من اعمالهم **الذين يلمزون** نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من ضمير هم في سرهم ونجواهم
وقرئ بضم الميم وهي لغة اي يعيبون **المطوعين** اي المتطوعين المتبرعين **من المؤمنين** حال من المطوعين وقوله تعالى **في الصدقات** متعلق
بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من الذهب وقيل باربعة
الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله تعالى له حتى صولحت رابعة نسائه على ربع الثمن على ثمانين الفا
وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابن عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير بصاعين فتركت صاعا لعيالي
وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء
وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الاية **والذين لا يجدون الا**
جهدهم عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم
الطاقة وبالفتح المشقة **فيسخرون منهم** عطف على يلمزون اي يهزؤون بهم والمراد بهم الفريق الاخير **سخر الله منهم** اخبار المجازاة الله تعالى اياهم
على ما فعلوا من السخرية فالتعبير عنها بذلك للمشاكلة **ولهم** اي ثابت لهم **عذاب اليم** التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية
للدلالة على الاستمرار **استغفر لهم او لا تستغفر لهم** الاخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره
بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه الصلاة والسلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية
الامر كما مر في قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم **ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** بيان لاستحالة المغفرة بعد
المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه الصلاة والسلام فنزلت الاية فقال عليه الصلاة والسلام محافظة على ما هو الاصل
من ان مراتب الاعداد مختلفة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله تعالى قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على اقسام العدد
فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلاثة وثلثها
اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ
الآحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات **ذلك** اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك
الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل **بانهم** اي بسبب انهم **كفروا بالله ورسوله** كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق
بقوله عز وعلا **والله لا يهدي القوم الفاسقين** فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة
الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي يدور عليها فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة
لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوا فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر

والاقبال الى الحق والتمهل فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه عذر على النبي عليه الصلاة والسلام في استغفاره لهم وهو عدم ياسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل **فرح المخلفون** اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم او خلفهم الله تعالى بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم **بمقعدهم** متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو **خلاف رسول الله** اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا او لم يظعنوا ويؤيده قراءة من قرا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من
~~قرا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى~~ المخالفة وانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه الصلاة والسلام او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عليه الصلاة والسلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه الصلاة والسلام **وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله** لا ايثارا للدعة والخوض على طاعة الله تبارك وتعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الاخر مرتبة الكراهة وايماء ونزما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يجاهدوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنفس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبايح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقالوا** اي لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد وللمومنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد وهي التعبير عن ذلك **لا تنفروا في الحر** فانه لا يستطاع شدته **قل** ردا عليهم وتجهيلا لهم **نار جهنم** التي ستدخلونها بما فعلتم **اشد حرا** مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثاركم القعود على النفير **لو كانوا يفقهون** اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المامور به موكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي وان ما لهم اليها لما فعلوا ما فعلوا ولتاثروا بهذا الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المنبي عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا** اخبار عن عاجل امرهم واجله من الضحك القليل والبكا الطويل المودي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفا لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكا لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكا كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان الامر المطاع مما لا يكاد يتخلف عند المامور به خلا ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكا عن الغم وان تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام **جزاء بما كانوا يكسبون** من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي مادام في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي يبكون جزاء ومصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكا الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة **فان رجعك الله** الفا لتفريع الامر الاتي على ما سره من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى **الى طايفة منهم** الى المنافقين من المتخلفين في المدينة فان تخلف لعذر الاسلام او الى من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستاذن البعض عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل **فاستاذنوك للخروج** معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه **فقل** اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم عن محفل صحبتك **لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا** من الاعدا وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك **انكم** تعليل لما سلف اي لانكم **رضيتم بالقعود** اي القعود على الغزو وفرحتم بذلك **اول مرة** هي غزوة تبوك **فاقعدوا** الفا لتفريع الامر

بالقعود

بالقعود اول مرة **فاقعدوا** من بعد **مع الخالفين** الذين ديدنهم القعود والتخلف دايما وقري الخلفين على القصر فكان محو اسامهم من المجاهدين واذ فهم في قرن الخالفين عقوبة لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المونث هو الاكثر الداير على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قايلا يقول هي كبرى امراة او اولى مرة **ولا تصل على احد منهم مات** صفة لاحد وانما جي بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة **ابدا** متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا **ولا تقم على قبره** اي لا تقف عليه للدفن ولا للزيارة ولا للدعا روي انه عليه الصلاة والسلام كان يقف على قبور المنافقين ويدعوا لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فقال عليه الصلاة والسلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتانبني وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مسلما صالحا فاجابه عليه الصلاة والسلام تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلاة او صلى نزلت وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي ودعاه ليصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القايل يوم كذا وكذا والقايل يوم كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه الصلاة والسلام وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى انزل الله ولا تصل الى اخر الاية فما صلى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه الصلاة والسلام لان الضنة بالقميص كانت مظنة الاخلال بالكرم على انه كان مكافاة لقميصه الذي كان البسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور **انهم كفروا بالله ورسوله** تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم **وماتوا وهم فاسقون** اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما بين من معنى الفسق **ولا تعجبك اموالهم واولادهم** تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه للاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول ولعدم الاول في امتثال هذه الوقايع على الاولاد مع كونهم اعزمنها اما العموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الاباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له الاولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقا النفس والاولاد لبقا النوع واما لانها اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سياتي في سورة الكهف **انما يريد الله** بما متعهم من الاموال والاولاد **ان يعذبهم بها في الدنيا** بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شانها **وتزهق انفسهم وهم كافرون** اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر في العواقب **واذا انزلت سورة** من القران ويجوز ان يراد بها بعضها **ان آمنوا بالله** ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان آمنوا **وجاهدوا مع رسوله** لاعزاز دينه واعلاء كلمته **استاذنك اولوا الطول منهم** اي ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا وما لا **وقالوا** عطف على تفسيري لاستيذانك مغن عن ذكر ما استاذنوا فيه يعني القعود **ذرنا نكن مع القاعدين** اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر **رضوا** استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم بكلا الامرين وان لم يردوا الاول صريحا **بان يكونوا مع الخوالف** مع النسا اللاتي شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه **وطبع على قلوبهم فهم** بسبب ذلك **لا يفقهون** ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة **لكن الرسول والذين آمنوا معه** بالله وبما جاء من عنده تبارك وتعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شي وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هولا فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين **واوليك** المنعوتون بالاوصاف الجميلة **لهم** بواسطة نعوتهم المزبورة **الخيرات** اي منافع الدارين من النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان الاية وهي جمع خيرة تخفيف خيرة **واوليك هم المفلحون** اي الفايزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشانهم وربا لمكانهم **اعد الله لهم** استيناف لبيان كونهم مفلحين اي هيا لهم في الاخرة **جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها** حال مقدرة من الضمير

المحور العامل باعد ذلك اشارة الى ما ثم من اعداد الله تعالى لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذي
لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة ه
والمعذرون من عذر في الامر اذا اقصر فيه وانى ولم يجد وحقيقته ان توهم ان لهم عذرا فيما يفعل ولا عذر له اي المعتذرون بادغام
التا في الدال ونقل حركتها الى العين وهم المعذرون بتشديد العين والدال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا الحق اذ التا لا تدغم
في العين ادغامها في التا والطا والزا والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون والمعذرون اي الذين لم
يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيبوا ولم يعتذروا وظهر انهم كذبوا الله ورسوله
في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اي من الاعراب ومن المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسلة لا لكفر عذاب
اليم بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الاخرة ليس على الضعفا ولا على المرضى كالهرمى والزمنا ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون لفقرهم كجزينة وجهينة وبني عذرة حرج اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة
لهما في السر والعلن وتوليهما في السرا والضرا والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من
سبيل استيناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع
الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ولرسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من
جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشيرا الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما
اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سياتي انما السبيل الاية وقيل عطف على الضعفا وهم البكاؤن سبعة
من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنم وعبيد الله بن معقل وعلبة
ابن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ندبتنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز
معك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد بن نعمان وقيل ابو موسى
الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عامة لما سالوه عليه الصلاة والسلام
وغيره مما يحمل عليه عادة وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عليه الصلاة
والسلام يطلبه مما يسالونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل بشدة من الدمع اي دمعا فان من
البيانية مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لافادتها ان العين لغيتها صارت دمعا فياضا والجملة حالية
وقوله تعالى حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي تفيض للحزن لان الحزن يسند الى العين
مجازا كالفيض او تولوا لها وحزنوا ويحزنون حزنا فتكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض الا يجدوا حذف لام متعلقه بحزنا
او بتفيض اي لئلا يجدوا ما ينفقون في شي ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك
في التخلف وهم اغنيا واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استيناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنيا
فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شانهم الضيعة والدناة وطبع الله على قلوبهم اي حملهم فغفلوا عن وخامة العاقبة
فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما نستتبعه اجلا كما لم يعلموا اخساسة شانه عاجلا يعتذرون اليكم استيناف
لبيان ما يتصدون له عند العقول اليهم روي انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه الصلاة والسلام اليهم جاوا يعتذرون
اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط اي ايذانا بان مدار الاعتذار اي يعتذرون اليكم اذا رجعتم من الغزو منتهين
اليهم واتمام نقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل
الرجوع اليها قل تخصيص هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لاصحابه ايضا لما ان الجواب وظيفته عليه
الصلاة والسلام واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين شمول الرجوع لهم للكل لا تعتذروا اي لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى
قال اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعريض بعنوان كذبها فلا ليناعه قوله تعالى لن نؤمن لكم اي لن

نصدقكم

نصدقكم في ذلك ابدا فانه استيناف تعليل للنهي مبني عن سؤال من قبلهم متفرع على ادعا الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم لا
تعتذروا فكانهم قالوا لانا لا نصدقكم ابدا افيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبانا الله من اخباركم
تعليل لانتفا التصديق اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية للتصديق مما باشرتموه من الشر والفساد واضمرتموه في ضمائركم وصايغو
للابراز في معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم اطماعهم من التصديق رأسا ببيان عدم
رواج اعتذارهم عند احد من المومنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام بواسطته
المصدقين للايذان بافتضاحهم بين المومنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سياتي اتنفسبون اليه تبارك وتعالى ما انتم فيه من النفاق ام
تتوبون فكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الروية على ما عطف على فاعله من قوله تبارك وتعالى ورسوله للايذان باختلاف
حال الرويتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة للجزا بما ظهر
منكم من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته
باحوالهم البادرة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون اي بما كنتم تعملونه من
الدنيا على الاعمال من الاستمرار لسته السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعايد اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد
بالتنبيه بذلك المجازاة به وايثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبانا الله من اخباركم فان المنابة الاخبار المتعلقة ه
باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يوميذ سيحلفون بالله لكم تاكيد لمعاذيرهم الكاذبة
وتقرير لها والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بيان لمن يعتذرون
او بيان له اذا انقلبتم اي انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة
تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبي عليه الصلاة والسلام به من قوله تعالى لا تعتذروا الى اخره بل هو امر مبتدا لتعرضوا
وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا عنهم فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض رضا كما هو طلبهم
بل هو اعراض اجتناب ومعرض كما يعرض عنه قوله عز وجل انهم رجس فانه صريح في ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من
الرجس الروحاني واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها الطهر بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل الطهر فلا يتعرض
لهم بها وماواهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما
تعليل مستقل اي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم في ذلك جزا نصب على انه مصدر موكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون
جزا او لمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل مجزون جزا بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيات او على انه
مفعول له يحلفون لكم بدل لما سبق وعدم ذكر المحلوف به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنه
عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله تعالى ساخط
عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه تبارك وتعالى ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجبة
لما حل بهم من السخط وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم
الكاذبة على ابلغ وجه واكده فان الرضى على من لا يرضى عنه الله تبارك وتعالى مما لا يكاد يصدر عن المومن وقيل انما قال ذلك لئلا
يتوهم متوهم ان رضى المومنين مقتض رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما كانوا ثمانين منافقا فقال
الرسول عليه الصلاة والسلام للمومنين حين قدم الى المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جا عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف
عنه ابدا الاعراب هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هذا الجيل
الخاص سوا سكن البوادي ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه فقيل
اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ورجل يهودي ورجل اعرابي ويجمع على الاعراب والاعاريب اي اصحاب
البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشاتهم في معزل من مشاهدة العلما ومفاوضتهم وهذا

من باب وصف الجنس ببعض افراده كما في قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما سيجيء بيانه **واجدر ان لا يعلموا** اي احق واخلق بان لا يعلموا **حدود ما انزل الله على رسوله** لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرايع في تضاعيف الكتاب والسنة **والله عليم** باحوال كل من اهل الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب **ومن الاعراب** شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى الفريقين وعلم اعضادهم في الفريق المذكور كما تراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هولاء المتضرعة على الكفر والنفاق بعد تماديهم وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فهو حمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين بصدد النفاق من اهل النفاق دون فقرائهم او اعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سياتي من قوله تعالى ومن الاعراب من يومن بالله الاية فان اولئك ليسوا من هذا ولا قطعا وانما هم من الجنس ومن جنس الاعراب الذي نعت بنعت افراده **من يتخذ ما ينفق** من المال اي يعد ما يتصدق بصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة **مغرما** اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وانما ينفقه ريا وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو من اعتبار عرض المنفق في الريا والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة **ويتربص بكم الدوائر** اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصايب الدهر اي ينتظر بكم دواير الدهر اي نوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به **عليهم دائرة السوء** دعا عليهم بنحو ما ارادوا بالمومنين على نهج الاعتراض كقوله تعالى غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله تعالى ما كان ابوك امرا سوء الاية وقيل معنى الدائرة تقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتاكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا راسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة **والله عليم** بما يقولونه عند الانفاق مما لا خير فيه **حكيم** بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدواير وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى **ومن الاعراب** اي من جنسهم على الاطلاق **من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ** اي ياخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار **ما ينفق** اي ينفقه في سبيل الله تعالى **قربات** اي ذرايع اليها وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله تعالى **عند الله** صفتها او ظرف ليتخذ **وصلوات الرسول** اي وسايل اليها فانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم وذلك من المصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على ال ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشا والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الاخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شان اتخاذ ما ينفق انه حالا وما لا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العنايات بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتنا بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا **الا انها قربة لهم** شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر لما مر من بعده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة الاسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة لا يخفى والتصديق لبيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول ذرايعها وقوله تبارك وتعالى **سيدخلهم الله في رحمته** وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله تعالى والله واسع عليم وعيد للاولين عقيب الدعا عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقررنه البتة قوله تعالى **ان الله غفور رحيم** تعليل لتحقيق الوعد على نهج الاستيناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسلم وغفار وشي من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان **والسابقون الاولون من المهاجرين** بيان لفضايل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طايفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين

شهدوا الى بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة **والانصار** اهل بيعة الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون **والذين اتبعوهم باحسان** اي ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية **رضي الله عنهم** خبر للمبتدا اي رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضا اعمالهم **ورضوا عنه** بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب **واعد لهم** في الاخرة **جنات تجري تحتها الانهار** وقرئ من تحتها كما في ساير المواقع **خالدين فيها ابدا** من غير انتهاء **ذلك الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مومني الاعراب **وممن حولكم من الاعراب** شروع في بيان منافقي اهل المدينة وممن حولها من الاعراب بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول بلدتكم **منافقون** وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها **ومن اهل المدينة** عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى **مردوا على النفاق** اما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر التمرد على الوجهين الاولين شامل الى الفريقين حيث شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكرهما في اهل البادية اولا ثم ذكرهما في الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهل المدينة واهلها والله تعالى اعلم وقوله تعالى **لا تعلمهم** بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان انفاقهم يعني انهم بالغوا في المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايما الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عليه الصلاة والسلام باعيانهم على عدم علمه عليه الصلاة والسلام بعد مجي هذا البيان على انه عليه الصلاة والسلام يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة فيه وقوله تعالى **نحن نعلمهم** تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا تقف على سرايرهم المذكورة في ضماير هم الا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطال الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله تعالى **سنعذبهم** وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم ما فيهم من موجباته والسين للتاكيد **مرتين** عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عليه الصلاة والسلام قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر والاول اخذ الزكاة لما انهم يعدونها مغرما محضا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق الموكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى **ثم يردون** يوم القيامة **الى عذاب عظيم** هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا واذا اختلفت طبقات عذابهم **واخرون** بيان لحال طايفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم اخرون **اعترفوا بذنوبهم** التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليهم والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما فيه من المنافقين الذين اعتذروا بما الاخير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب ديدنهم المالوف وهو رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وصلى ركعتين حسب عادته الكريمة وراهم كذلك فسال عن شانهم فقيل انهم اقسموا

ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت الاية خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من
الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتندمهم وندامتهم
على ذلك وتخصيصها لاعتراف لا يناسب الخلط لاسيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن
به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت
الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة على جعل كل منهما
متصفا بالوصفين جميعا وذلك يؤيد ما نحن فيه بورود كل من العملين على الاخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من
الاعمال السيئة اولا واخرا وعن الكلبي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى او كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم
عسى الله ان يتوب عليهم اى يقبل توبتهم المعروفة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه
وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة
روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله عليك الصلاة والسلام هذه اموالنا التي خلفتنا بها عنك فتصدق بها وطهرنا فقال
عليه الصلاة والسلام ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت الاية الكريمة فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مامورا بها ولما روي
انه عليه الصلاة والسلام اخذ منهم الثلث وترك الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما
ينبئ عنه قوله تبارك وتعالى تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوصاف التخلف والتا للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع
على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتا للخطاب او للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم
من اطهر بمعنى طهر وتزكيهم بها باثبات اليا وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي
بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فيتسق
جعل التا او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة وعلى الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا
من ضمير المخاطب او صفة للصدقة وعلى الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا او صفة من غير حاجة الى تقدير المبتدا لتوجيه دخول
الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم
سكن لهم تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه وتعالى قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلاة عليهم والله سميع
يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والاستغفار والدعا عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في
التوبة والدعا او سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما
سبق من الايتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتا والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير للصدقة
وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله تعالى وان اسناد الاخذ والتطهير
والتزكية اليه عليه الصلاة والسلام اي الم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين
فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة
لقبولها واما كافة العباد فهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم اندراجا اوليا اي هو الذي يتولى
قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع لشان
النبي عليه الصلاة والسلام على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد
لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المستاثر المختص ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة
والرحمة فان ذلك سنة مستمرة له وشان دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا اسد كل واحد منهما مسد مفعوليه واما عطفه على قوله
اما للتائبين واما لغير التائبين من المومنين فقد روي انهم قالوا لما تيب هولاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون
فما لهم فنزلت الاية اي الم يعلموا اما للتائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المومنين والتلقي

بحسن

بحسن القبول والترغيب والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب فسيرى الله عملكم
اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب والترهيب والسين للتاكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتاخيره عن المفعول
للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت والمومنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان
والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رايتم وتبين لكم ثم ان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر واذا اريد بها ما لها من الجزاء خيرا
او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثنا والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون اي بعد
الموت الى عالم الغيب والشهادة في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر
لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل لان الموجودات عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل
علة للعلم بالمعلومات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة
وما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه
واكده باعلام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه وتعالى بمعلوماته سبحانه منزه عن ان يكون بطريق حصول
الصورة بل وجود كل شي وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تبارك وتعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة
واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شي يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب
فتعلق علمه به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم
القيمة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزا به ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد واخرون
عطف على اخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم اخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ
مرجئون من ارجيته وارجاته اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على
السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه من ان يسلموا عليهم ويكلموهم
وكانوا من اصحاب بدر فتجرو وهجرهم والناس في شانهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجين لامر الله
اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذلك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب
عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي منهم هولا اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل اخرون مبتدا
ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم فيما فعل بهم من الارجا وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا
مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا اي مضارة للمومنين له
وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر موكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا
او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمومنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلي لهم في مسجدهم فلما فعله عليه الصلاة والسلام حسدتهم رفقة ويصلي فيه ابو عامر
الراهب اذا قدم الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن توجه وولى هاربا الى الشام وارسل
الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا
مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان
تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة اي على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شا الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك
سالوه عليه الصلاة والسلام اتيان المسجد فنزلت الاية الكريمة فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن
ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان يتخذ مكانه كناسة الجيف والقمامة

وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين **وكفرا** تقوية الى الكفر الذي يضمرونه **وتفريقا بين المومنين** الذين كانوا يصلون في
مسجد قبا مجتمعين فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا وتختلف كلمتهم **وارصادا** اعدادا وانتظارا وترقبا **لمن حارب الله ورسوله** وهو
الراهب الفاسق اي لاجله حتي يجي فيصلي فيه ويظهر علي رسوله صلي الله عليه وسلم **من قبل** ان نافقوا بالتخلف حيث كانوا نوه قبل غزوه
تبوك او يحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد **وليحلفن ان اردنا** اي ما اردنا ببنا هذا المسجد **الا الحسنى** الا الخصلة الحسنى
وهي الصلاه وذكر الله تعالي والتوسعة علي المصلين او الارادة الحسنى **والله يشهد انهم لكاذبون** في حلفهم ذلك **لا تقم** للصلاه **فيه**
فيه في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه **ابدا لمسجد اسس** اي بني اصله **علي التقوى** يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلي الله عليه وسلم
في ايام مقامه بقبا وهي يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وخروج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم
بالمدينه وعن ابي سعيد انه قال سالت النبي عليه الصلاه والسلام عن المسجد الذي اسس علي التقوى فاخذ حصبا فضرب بها علي
الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينه واللام اما للابتدا او للقسم المحذوف اي والله لمسجد وعلي التقديرين فمسجد مبتدا
وما بعده صفته وقوله تعالي **من اول يوم** اي من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله تبارك وتعالي **احق ان تقوم فيه** اي للصلاه وذكر الله
تعالي خبره وقوله **فيه رجال** جملة مستانفة مبينة لاحقيقه لقيامه عليه الصلاه والسلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث
المحل او صفة اخرى للمبتدا او حال من الضمير في فيه وعلي كلا الحال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاقه القيام فيه والمراد بكونه احق بقن كونه
حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار راسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه والافضلية في الاستحقاق
المتناول لما يكون باعتبار زعم الباقي ومن يتابعه في الاعتقاد وهو الانسب بما سياتي **يحبون ان يتطهروا** من المعاصي والخصال
الذميمه لمرضاة الله تعالي وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها **والله يحب المطهرين** اي يرضي عنهم ويكرمهم من جناب ادنا المحب حبيبه
قيل لما نزلت هذه الاية الكريمة مشى رسول الله صلي الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف علي باب مسجد قبا فاذا الانصار
جلوس فقال امومنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله عليك الصلاه والسلام انهم لمومنون وانا معهم فقال
عليه الصلاه والسلام اترضون بالقضا قالوا نعم فقال عليه الصلاه والسلام مومنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار
ان الله تبارك وتعالي قد اثني عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغايط فقالوا نتبع الغايط الاحجار الثلاثه ثم نتبع الاحجار
الما فتلا النبي عليه الصلاه والسلام فيه رجال يحبون ان يتطهروا الاية وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات
كلها وكانوا يتبعون الما اثر البول وعن الحسن رضي الله عنه هو التطهير من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم
فحموا عن اخرهم **افمن اسس بنيانه** علي بنا الفعل للفاعل وقرئ علي البنا الي المفعول وقرئ اسس بنيانه علي الاضافه جمع اساس واساس
جمع اس وقرئ اساس بنا بجمع اس ايضا بنيانه وهي جملة مستانفه مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار
والفا للعطف علي مقدر اي ابعد ما علم حالهم من اسس بنيانه دينه **علي تقوى من الله ورضوان** اي علي قاعدة محكمة هي التقوى من الله
وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي من كل ما يوثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين علي ان
الالف للالحاق دون التانيث **خير امن اسس بنيانه** ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا اختلافهما وصفا واضافة
علي شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اي استاصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام له
والهار الهاير المتصدع المشرف الي السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قدمت لامه علي عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت
عينه اغتباطا اي تغير موجب فجرى وجوه الاعراب علي لامه **فانهار به في نار جهنم** مثل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة
الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهاره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها علي ان تاسيس ذلك علي امر يحفظه من النار ويوصله الي الرضوان
ومقتضياته التي ادناها الجنه وتاسيس هذا اما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة واما الدلالة
علي ما يرشدهم اليها ان استهروا به فهو متحقق بلا اشتباه **والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا** البنيان مصدر
اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعله للايذان بكيفية بنايهم له وتاسيسهم علي اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار

بعلة

بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما **ريبة في قلوبهم** اي لسبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما
حال بنايه فظاهر لما ان اعتزالهم من المومنين واجتماعهم علي مجمع علي حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من اثار الكفر والنفاق ويدبرون
فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الي بعض ما سمعوا من اسرار المومنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه
فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعف اثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهي اعتقادهم
بخفا امرهم علي المومنين لانهم اظهروا من امرهم بعد البنا اكثر ما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمومنين وساءتظنونهم
بانفسهم فلما هدم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلي الله عليه وسلم هل يتركهم علي ما كانوا عليه
او يامر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال الهدم بنايهم حرارة وغيظا
في قلوبهم **الا ان تقطع قلوبهم** من التفعل بحذف احدى التاءين اي الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتبقى اجزاء بحيث لا يبقى لها اثر قابلية
ادراك واضمار قطعا وهو استثنا من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب علي الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل
الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت سالمة فان الريبة باقية فيها
فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار وقرئ تقطع علي
بنا المجهول من التفعيل وعلي البنا للفاعل منه علي خطاب النبي صلي الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ علي
البنا للمجهول من الثلاثي مذكرا ومونثا وقرئ الي ان تقطع قلوبهم والي ان تقطع قلوبهم علي الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم علي
اسناد الفعل مجهولا الي قلوبهم ولو قطعت قلوبهم علي الخطاب للرسول عليه الصلاه والسلام او لكل احد ممن يصلح الي الخطاب وقيل
الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا علي تفريطهم **والله عليم** بجميع الاشيا التي من جملتها ما ذكر من احوالهم **حكيم** في جميع
احواله وافعاله التي من زمرتها امرها الوارد في حقهم **ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم** ترغيب للمومنين في الجهاد ببيان
فضيلة اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ ذلك في وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالي من المومنين انفسهم واموالهم
التي بذلوها في سبيله تعالي واثابته اياهم بمقابلتها الجنه بالشرى علي طريقة الاستعارة والتبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة
والمقصد في العقد انفس المومنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنه ولم يجعل الامر علي العكس بان يقال ان الله باع
الجنة من المومنين بانفسهم واموالهم ليدل علي ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المومنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة
اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنه بل قيل **بان لهم الجنة** مبالغة في تقرير وصول الثمن اليهم واختصاصه
بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المومنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال
ثقتهم بوعده تعالي وان تمام الاستعارة موقوف علي ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرا حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد
بها فليس بشي لان مناط دلالة النظم الكريم علي الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرية فان ذلك بمعزل من الدلالة علي الاستقبال
بل هو الجنة الموعودة لا الوعد **يقاتلون في سبيل الله** استيناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرا ولا لبيان نفس الاشترا لان
قتالهم في سبيل الله تعالي ليس باشترا الله تعالي منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشترا
المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنه فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الي جهة الله
تعالي وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالي **فيقتلون ويقتلون** بيان لكون القتال في سبيل الله تعالي بذلا للنفس وان المقاتل
في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما
البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سوا وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك
وان لم يصدر من احدهما ايضا كما اذا وجد المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد
العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية علي حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكونه بذلا
للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة غريبة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالي بل بكونه

احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم
وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل يقاتلون الى اخره معنى الامر كما في قوله تبارك وتعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
وعدا عليه مصدر موكد لما يدل عليه كون الثمن موجلا حقا نعت لوعدا او الظرف حال منه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تعالى في التوراة
والانجيل والقران متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التوراة والانجيل كما هو مثبت في القران ومن اوفى بعهده من
الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقيقة الوعد على نهج المبالغة في كونه تبارك وتعالى اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد
مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على
انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه تعالى من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا
فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا
لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد وان قدروا الفا لترتيب
الاستبشار والامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا بنهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم
مع ان الابتهاج باعتبار اوله الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد لعنوان الشرى لان ذلك
من قبل الله تبارك وتعالى لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار
بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع الفاني بالباقي فان كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها
واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما بايعوا النبي عليه الصلاه والسلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك
ما شئت فقال عليه الصلاه والسلام اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون عنه انفسكم قال واذا
فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقراها قال كلام من قال
كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا
من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته في
الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس العقد العظيم ويجعل فوزا في نفسه فالجملة
الاولى تذييل للاية الكريمة وعلى الثاني لقوله تبارك وتعالى فاستبشروا وتقرير لمضمون التائبون اي هم التائبون يعني المومنين المذكورين
كما يدل عليه القراءة بالنصب على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمومنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي
التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا لقوله تبارك وتعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما
بعده خبرا بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون
لنعمائه ولما نابهم من السرا والضرا السائحون الصائمون لقوله عليه الصلاه والسلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات
او لانه رياضة نفسانية موصلة الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون
في الصلاه الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على المتعاطفين
واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فللايذان بهم اختصاصه باحد
الوجهين وبشر المومنين اي الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المومنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان
المومن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وتخصيص الخطاب بالاولى وان اظهر زيادة اعتنائه
بحالهم من الترغيب والتسلية ما كان للنبي والذين آمنوا بالله وحده اي ما صح لهم في حكمة الله عز وجل وحكمه وما استقام ان يستغفروا
للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركون اولي قربى اي ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على
جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما في قوله سبحانه وتعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه عليه الصلاه والسلام قال لعمه
ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه الصلاه والسلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنك فنزلت

وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي واستاذنته في
الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الايتين من بعد ما تبين لهم اي للنبي عليه الصلاه والسلام والمومنين انهم اي المشركين
اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله واغفر لابي اي بان
توفقه الى الايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى
اي بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابراهيم لابيه وما يستغفر ابراهيم لابيه على حكاية الحال الماضية وقوله تبارك وتعالى
الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عليه الصلاه والسلام لابيه ازر ناشيا من شي من الاشيا الا عن موعدة
وعدها ابراهيم عليه الصلاه والسلام اياه اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سا ستغفر لك ربي انه كان بي حفيا
بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم
تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اي لابراهيم بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مومن ابدا او قيل بان مات على الكفر والاول
هو الانسب بقوله تبارك وتعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يابى حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له
وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره ان ابراهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن كمال الرافة ورقة
القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عليه الصلاه والسلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال
رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غير مرضي عنه اجتنابا وتبرأ واما ان الاستغفار على التعيين لو كان غير محظور لما استثني عن الاسوة
به في قوله تبارك وتعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تبارك وتعالى وما كان الله ليضل قوما
اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا
او دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا
ولا يواخذون به فكانه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان العاقل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل
ان الله بكل شي عليم تعليل لما سبق اي انه تبارك وتعالى عليم بجميع الاشيا التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في
معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبرا منهم راسا بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومولى
اموره والغالب عليه ولا يتاتى لهم نصر ولا ولاية الا منه تبارك وتعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه كما غير قاصدين الا
اياه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو في حق زلات
سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مومن الا وهو محتاج اليها حتى النبي عليه الصلاه والسلام
لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره في ساعة العسرة اي في وقتها
والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة في الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا
التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها
الما المتغير وفي عسرة من الما حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة
الشديدة وصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة
الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم بيان للتناهي الشدة
وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم
الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ بتاء تانيث الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المومنين كابي لبابة
واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم
روف رحيم استيناف تعليلي فان صفة الرافة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني من

ايضا لما لمنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي وتاب الله على الثلاثة الذين اخر
امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم بشي الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب
ابن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا
وقرئ على المخالفين والاول هو الانسب لان قوله تبارك وتعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخلف ولا يناسبه الا المعنى
الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم
وهو مثل للشدة والحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا يطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشي
لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي علموا ان لا ملجا من سخطه تبارك وتعالى
الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم الى التوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى لتستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت
الرحيم المتفضل عليهم بفنون الالاء مع استحقاقهم لافانين العقاب روي ان ناسا من المومنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه الصلاة والسلام عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف
درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني
ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتابط زاده ولحق به عليه الصلاة
والسلام قال الحسن كذلك والله المومن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع
اثر الرسول عليه الصلاة والسلام ماشيا فقال عليه الصلاة والسلام رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي
خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل
ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال عليه الصلاة والسلام كن ابا خيثمة فكانه
ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه الصلاة والسلام منهم الثلاثة قال كعب بن مالك
لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت عليه كالمغضب بعدما ذكرني فقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن
برديه والنظر في عطفيه فقال عليه الصلاة والسلام ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم
يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة
سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد
الله يهرول الي حتى صافحني لتهنك توبة الله عليك لطلحة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة
القمر ابشر يا كعب بخير يوم عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية الكريمة وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال
ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين امنوا خطاب عام يندرج فيه
التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله تعالى نية وقولا
وعملا او في كل شان من الشؤون فيدخل ما ذكر وتوبتهم واثباتهم فيكون المراد بهم هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
خطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين
ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن
رسول الله عند توجهه عليه الصلاة والسلام الى الغزو ولا يرغبوا نصب وقد جوز الجزم بانفسهم عن نفسه اي لا يصرفوها عن

نفسه

نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لا يصونه عنه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان
على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظما اي عطش يسير ولا نصب
ولا تعب ولا مخمصة اي مجاعة ما لا يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظما والنصب اليسير من حين يخلو من الثواب فلان
يخلو ذلك من نتيجة اولى فلا حاجة الى تاكيد النفي بتكرير كلمة لا للاستقلال لكل واحد منهما بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله
واعلاء كلمته ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يداس ولا
ينالون من عدو نيلا مصدرا كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا يقال من قبلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور
المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجزيل والزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين
معموله من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كفى في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانه تعليل لما سلف
من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبعوث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين
وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية الماخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط
لا للتنصيص على استبداد الكل منهما بالكتب والجزاء لا لتاكيد النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اي لا يجتازون في مسيرهم واديا
وهو في الاصل كل منفرج من الجبال والاكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب
لهم اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او خير
احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم
ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مستحيل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي طايفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طايفة
اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم
ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من
فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله
المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل
ثلاثة تفردوا بقرية طايفة الى التفقه لينذروا فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبروا اخبارهم لما افاد ذلك وقد
قيل للاية وجه اخر هو ان المومنين لما سمعوا ما انزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان
ينفروا من كل فرقة طايفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل
والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للفرق بعد الطوائف النافرة جمعوا للطوائف اي ولينذروا البواقي من
قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا
بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه الصلاة والسلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم
اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق
وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع
المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع المضمر للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه
المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية
الدائمة وقد ذكر وجه دخول المتبوع في قوله تبارك وتعالى ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من القرآن فمنهم اي من المنافقين من
يقول لاخوانه لتثبيتهم على النفاق او لقوام المومنين وضعفهم لتصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ
نصب على تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادته هذه الاية ايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المومنين حسبما

سبطوبه قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله الاية فاما الذين آمنوا جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين
لحالهم عاجلا واجلا اي فاما الذين آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيه والوقوف
على ما فيها من الحقايق وانضمام ايمانهم بما في ايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزوله وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين
في قلوبهم مرض اي كفر او سوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها مضموما الى الكفر وعقايد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك
وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي لا ينظرون
ولا يرون انهم اي المنافقين يفتنون في كل عام من الاعوام مرة او مرتين والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اي
يبتلون بافتنان البليات من المرض والشدة مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيودي الى الايمان به تبارك وتعالى او بالجهاد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليهم من الايات لاسيما لفراغ الزايدة ايمان النافعة عليهم ما فيهم من القبايح المحرمة
لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى ولا هم يذكرون والمعنى ولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم
عن لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرى بالتاء والخطاب للمومنين والهمزة للتعجب
اي لا ينظرون ولا يرون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تبارك وتعالى ثم لا يتوبون وما عطف
عليه معطوف على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محل تبليغ الوحي كما ان الاولى بيان لها لانهم وهم
غايبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم هل يراكم من احد اي قائلين هل
يراكم احد من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها او يغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج
والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة والتراخي باعتبار
وجدان الرخصة والوقوف على عدم رويته احد من المومنين اي انصرفوا جميعا عن محل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك ثم انصرفوا
صرف الله قلوبهم اي عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء
الفهم او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اي رسول عظيم الشان من انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرى بفتح
الفاء اي اشرفكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من
نتايج ما سلف من المجانسة حريص عليكم في ايمانكم وصلاح حالكم بالمومنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرافة
التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا تلوين للخطاب وتوجيه الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن
الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك ويعينك عليهم لا اله الا هو استيناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف
الا منه وهو رب العرش العظيم اي الملك العظيم الجسم الاعظم الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرى العظيم بالرفع وعن ابي رضي الله
عنه ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعنه عليه الصلاة والسلام ما نزل علي القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل
هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم الصلاة والسلام والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة يونس مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرى بالامالة اجراء للالف الاصلية مجرى المنقلبة من
الياء وقرى بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من
الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على
الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب والاشارة قبل
جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل
لائق بالمقام نحو اذكر او اقرا وكلمة تلك اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التي هي الحروف
المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المولفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسما للسورة

فقد

فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على
بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره قوله تبارك وتعالى ايات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدا فهو مبتدا
ثان او بدل من الاول والمعنى هي ايات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود بيان بعضيتها منه ووصفها بما اشتهر اتصافه
به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القران العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه
وتحققه في علم الله تعالى او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا
الاسم وبام القران في عهد النبوة ولما تحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقران باحد الاعتبارات
المذكورة واما جميع القران النازل وقبل المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي يطلق على مجموع ما نزل في
كل عصر الا ترى الى ما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال كان النبي عليه الصلاة والسلام يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب
واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقران فاذا اشير له الى احدهما قدمه في اللحد فان ما يفهمه الناس من القران في ذلك الوقت
وما يظنون على التفاوت في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله تعالى او في اللوح
ولا لنزوله جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذو الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف
الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب الحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب
عبارة عن نفس السورة فكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الايات فانها في حكم الحاضر لاسيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند
بيان اسمها والامر بذكرها او بقراتها وينبغي ان يكون المشار اليه حينئذ كل واحد منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا
يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه حكمه فلا يتاتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال وان
في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كل واحد
الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيها والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما
ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من
القران الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا
الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع
انه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون الاية لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا
وقيل بعجبا على التوسع المشهور في الظروف وقيل بالمصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل بالمصدر
اذا كان بمعنى اسم الفاعل واسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث ان اوحينا
اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لانه مدار الانكار والتعجب وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الاصل
نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرى برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تاويل المصدر
المضاف الى المعرفة البينة والمختار حينئذ ان تجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا بعجب على حذف حرف التعليل اي احدث للناس عجب
لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجيب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم
تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم
ما لا يخفى الى رجل منهم اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا ومن افناءهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا انزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند
كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه وتعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة
البشر فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملائكة كيف لا وهي منوطة بالتجانس والتناسب فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي يدور

فلك الكونين والتشريع واما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة
القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثاني فلما ان مناط الاصطفا
للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل العلية
والحركات وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه عليه الصلاة والسلام في ذلك الشان في غاية الدرايات
القاصية ونهاية النهايات النامية واما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنية ولا دخل له في ذلك قطعا بل
له اخلال به غالبا كما قال عليه الصلاة والسلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ما **ان انذر الناس**
ان مصدرية بجواز كون صلتها امرا كما في قوله تبارك وتعالى وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشا في الدلالة على المصدر سيان
فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فتجرد عند ذلك عن معناه الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي
والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية وانما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل لا لقصور في دلالة الانشا على
المصدر اي بعضه اذ الايحا فيه معنى القول ويجوز كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشان والقول من الخبر والمعنى ان الشان
قولنا ان انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول وهو النكتة في ايثار الاظهار على الاضمار وكون عين الاول عند اعادة
المعرفة ليس على الاطلاق **وبشر الذين آمنوا** بما اوحينا وصدقوه **ان لهم** اي بان لهم **قدم صدق** اي سابقة ومنزلة رفيعة **عند ربهم**
وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق والمعنى
ان الوصول الى المقام انما يحصل بالتقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على انه مدار نيل ما نالوه من المراتب
العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق **قال الكافرون** هم المتعجبون وايرادهم هاهنا بعنوان الكفر مما لا حاجة الى
ذكر سببه وترك العاطف بجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار او لكونه استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا
صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشي فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد **ان هذا** يعنون
به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير **لسحر مبين** اي ظاهر وقرئ لساحر
على ان الاشارة للرسول عليه الصلاة والسلام وقرئ ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بانما عابوه خارج عن
طرق البشر نازل من جانب خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر المحجوج **ان ربكم** كلام
مستانف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة عقب الاشارة اليه بالانكار والتعجب وتحقيق
حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروا بالتنبيه الاجمالي على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير
ويرشدهم الى معرفتها بادنى تذكير لهم لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله
قل فانى تؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السما والارض الى قوله ومن يدبر الامر فسيقولون الله اي ان ربكم ومالك امركم الذي
تتعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو **الله الذي خلق السموات
والارض** وما فيها من اصول الكائنات **في ستة ايام** اي في ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو
عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سما وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها
دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التاني في الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين
فامر قد استاثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من
الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الاثار والاحكام **ثم استوى على العرش** العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام
سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الاوامر والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه
عليه او لاستوا امره وعن اصحابنا ان الاستوا على العرش صفة له سبحانه وتعالى بلا كيف والمعنى انه سبحانه وتعالى استوى على
العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شانه وسعة

قدرته عام من خلق هاتيك الاجرام **يدبر الامر** التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها ليقع على الوجه المحمود والمراد بها هنا
التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على
اطوار شتى واحوال لا تكاد تحصى من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات التي بعد ما ذكر من امر
الكائنات الذي ما تعجبوا منه من امر البعث والرحمة فرد من علته وشعبة من درجته وتهيئة اسباب كل منها حدوثا وبقا في اوقاتها
المعينة وترتيب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب
على انها حال من ضمير استوى وقد جوز الاستوا خبرا ثانيا لان او مستانفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشا من ذكر
الاستوا على العرش المنبي عن اجرا احكام الملك على كل حال وايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله
جل وعلا **ما من شفيع** بيان لاستبداده سبحانه وتعالى في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد
الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تبارك وتعالى لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله
يدبر الامر جار مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شي **الا من بعد اذنه** استثنا مفرغ
من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من
المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تبارك وتعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه وتعالى ما لا يخفى **ذلكم** اشارة الى معلوم تلك العظمة اي ذلك العظيم الشان
المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية **الله** وقوله تعالى **ربكم** بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا
بعد بيان ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الاية الكريمة لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله
تبارك وتعالى **فاعبدوه** وحده من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع واعبدوا انزل
الحكيم **افلا تذكرون** اي اتعلمون ان الامر كما فصل فلا تتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه **اليه** لا الى احد
سواه استقلالا او اشتراكا **مرجعكم** بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى **جميعا** فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اي اليه
رجوعكم مجتمعين والمعنى والجملة كالتعليل لوجوب العبادة **وعد الله** مصدر مؤكد لنفسه لان قوله تبارك وتعالى اليه مرجعكم وعد
منه سبحانه وتعالى بالبعث او بفعل مقدر اي وعد الله وعدا وايا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لا بالموت
بمعزل من الوعد كانه بمعزل من الاجماع وقرئ بصيغة الفعل **حقا** مصدر اخر مؤكد لما دل عليه الاول **انه يبدأ الخلق** وقرئ يبدئ
ثم يعيده وهو استئناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البداة والاعادة هو جزا المكلفين باعمالهم حسنه
او سيئه وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدا الخلق ثم اعادته مرفوعا بما نصب حقا اي
حق حقا بدا الخلق **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط** اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او
متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم
للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل **والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون** فان معناه ويجزي
الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية الموصول لتقوية الحكم والجمع من صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك
العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سو اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة **هو الذي
جعل الشمس ضيا** تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته باثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على
الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض والاستوا على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة
اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال
الرسول عليه الصلاة والسلام وانزال الكتاب وتبيين طريق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشا

والابداع فضيا حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضيا على حذف المضاف او ضيا محضا الي المبالغه وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضيا على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحاله بل ابدعها كذلك كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضيا مصدر كقيام او جمع ضو كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضيا بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين **والقمر نورا** الكلام فيه كالكلام في الشمس والضيا اقوى من النور وقيل ما بالذات ضو وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس **وقدره** اي قدر له وهيا **منازل** او قدر مسيره في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشرع به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر في كل ليلة واحدا منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين واذا كان في اخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا انقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل ليلة منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانوار المستمطرة وهي السرطان ٭ والبطين ٭ والثريا ٭ الدبران ٭ الهقعة ٭ الهنعة ٭ الذراع النثرة ٭ الطرف ٭ الجبهة ٭ الزبرة ٭ الصرفة ٭ العواء ٭ السماك ٭ الغفر ٭ الزباني ٭ الاكليل ٭ القلب ٭ الشولة ٭ النعائم البلدة ٭ سعد الذابح ٭ سعد بلع ٭ سعد السعود ٭ سعد الاخبية ٭ فرع الدلو المقدم ٭ فرع الدلو المؤخر ٭ الرشا ٭ وهو بطن الحوت **لتعلموا** اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل **عدد السنين** التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية **والحساب** اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شي من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصا ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد يحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد يحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شي كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسامي خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المبني عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شي غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي مما يتعلق به الحساب تفصيلا وان لم تتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر اخر حسبما حقق انفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب **ما خلق الله ذلك** اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والحساب ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل **الا بالحق** استثنا مفرغ من اعم احوال الفاعل والمفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشي من الاشيا الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعي فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم **نفصل الايات** اي الايات التكوينية المذكورة او جميع الايات المذكورة دخولا

اوليا او نفصل الايات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة **لقوم يعلمون** الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الايات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به **ان في اختلاف الليل والنهار** تنبيه اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا **وما خلق الله في السموات والارض** من اصناف المصنوعات **لايات** عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملتها مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول عليه افضل الصلاة والسلام وانزال الكتاب والبعث والجزا **لقوم يتقون** خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات ايات دون غيرهم وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون **ان الذين لا يرجون لقاءنا** بيان لمال امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليها بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تبارك وتعالى وانه يعيده بعد بدئه وهو الى الجزا ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الايات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه بالبعث او لقاء الحساب كما في قوله عز وعلا اني ظننت اني ملاق حسابيه واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجا عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد عدم وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا ولقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل **ورضوا بالحيوة الدنيا** فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تبارك وتعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله تعالى **واطمأنوا بها** اي سكنوا فيها سكون من لا براح له منها امنين من اعتراء المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوؤهم من عذابنا وقيل المراد بالرجا معناه الحقيقي وباللقا حسن اللقا اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحيا بالحياة الابدية ورضوا بدلا منها وما فيها من فنون الكرامات السنية بالحياة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاتيان الباعلى كلمة الى المنبية عن مجرد الوصول والانتها للايذان بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجا على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة الدنيا فانها منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجا **والذين هم عن اياتنا** المفصلة في صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها واياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة معها في الدلالة على حقيقة ما لا يرجونه من اللقا المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحياة الدنيا **غافلون** لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب بهذا واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات والاساوالانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الاخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل بالكلام باعن السداد فتامل **اولئك** الموصوفون بما ذكر من صفات السو **ماواهم** اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه **النار** لا ما اطمأنوا بها من الحيوة الدنيا ونعيمها **بما كانوا يكسبون** من الاعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي والبا متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة

خبر اعن اسم الاشارة وهي مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين آمنوا اي فعلوا الايمان او امنوا بما يشهد به الايات التي غفل
عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج غيره ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة في انفسها
اللايقة بالايمان وانما ترك ذكرا لموصوف بجريانها مجرى الاسما يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا
بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم بسبب ايمانهم اليها واهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس
اليها لاسيما بملاحظة ما سبق من بيان ماوى الكفرة وما اواهم اليه من الاعمال السيئة ومشاهدة ما لحق من التوبيخ والتصريح
وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لابد بعد ذلك من الهداية الربانية وان
الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع به
بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منها الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من
ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق الاية الكريمة ان الايمان المقرون
بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها قطعا كيف لا وقوله
عز وجل الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون متناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق
عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك وان حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من امن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان
يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجري من تحتهم الانهار اي بين ايديهم كقوله وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري وهم على
سرر مرفوعة وارايك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة
بحسب القوة العملية كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر اخر او حال اخرى
منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهديهم فالمراد بالمهدي اليه اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم
وهو مبتدا وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله تعالى سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول المقدر لا يجوز
اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عندما عاينوا فيها من تعاجيب اثار قدرته تعالى ونتايج رحمته ورافته ما
لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوايب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات
الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حياة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملايكة
اياهم كما في قوله تبارك وتعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او تحية الله لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب
رحيم سلام اي سلامة من كل مكروه واخر دعواهم اي خاتمة دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك نعتا له
تعالى بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك
الدعاء وان هي المخففة من ان المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشان كما في قوله ان هالك يحفى وينعل وقرئ ان الحمد لله
بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية من دعاهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان
التحية ليست باجنبية على الاطلاق وترغيب الوقوع ايضا كذلك فان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا حفظ الله تبارك وتعالى
وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملايكة بالسلامة عن الافات والفوز باصناف الكرامات او احاهم
بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه بما هو اهله اضافة الاخر الى دعاهم وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما قال
تعالى واعتزلكم وما تدعون الاية الكريمة ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه او يحمدوه وليس ذلك بعبادة
انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم
البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء مشيرا الى بعض من عظايم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما وعدوا به
من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج
اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء

او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصب دلالة على
اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير
نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف
تعويلا لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي
ايثار صيغة المبني للمفعول على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى
على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لعدم استمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار
الفعل بل قد يفيد استمرار انتفايه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا
للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة والهلاك
امر مغاير للطاعة عليه الصلاة والسلام لهم مترتب عليها في الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا عن البقية بامر يخصه
كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون
ونظايرها اي لو رايت امرها لرايت امرا فظيعا او نحو ذلك كما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا فسر
الجواب بالاستيصال فانه فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن
موقعه في معرض التالي الى المؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل اما نفسه
او جزء منه كما يرجح ونائه من غير مزية له على البقية اولم يعتبر في مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون
في ترتيبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفي التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة
للقضاء المذكور وجودا او عدما كما في قوله تبارك وتعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل
العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزء من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا وعدما مزيد فائدة فانما الفائدة
في بيان ترتيبه على ارادتها حسبما ذكروا ايضا في ترتيب التالي على ارادة المقدم ما ليس في ترتيبه على نفسه من المبالغة وتهويل الامر
والدلالة على الامور الدالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة
الدالة على التشديد في الوعيد وهو عطف على مقدر ينبي عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا لهم
واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون
اي يترددون ويتحيرون ففي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج
واذا مس الانسان الضر اي اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدايد اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه
حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان اي دعانا كاينا على جنبه اي
مضطجعا او قاعدا او قايما اي في جميع الاحوال مما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عادة او دعانا
في جميع احوال مرضه على انه المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقايما لا يستطيع الحراك
فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه عقيب دعايه مر اي مضى واستمر على طريقته التي كان عليها قبل مساس الضر
وتناسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كان لم يدعنا اي كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير
الشان كما في قوله • كان لم يكن بين الحجون الى الصفا • والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مر مشبها من
لم يدعنا الى ضر اي الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك نصب
على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار
اليه افخاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اي مثل ذلك التزيين العجيب
زين للمسرفين اي الموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تبارك وتعالى انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها

الي مصارفها وتستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الي ما لا ينبغي وهي راس ما لم فقد اتلفوها
واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين لنا من جهة الله تبارك وتعالى على طريقة التخلية والخذلان من الشيطان بالوسوسة والتسويل
ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعا والانهماك في الشهوات وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث ان في كل منهما اخلالا للكلام
على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى ومن الضر المقدر في الاخرى ولقد اهلكنا القرون اي القرون
الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن في قوله تبارك وتعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا اي اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب
لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تاييده بالتوكيد القسمي لما ظلموا ظرف للاهلاك اي اهلكناهم
حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والاضلال من غير تاخير وقوله عز وجل وجاتهم رسلهم حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله
تعالى بالبينات متعلق بجاتهم على ان البا للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي
ظلموا بالتكذيب وقد جاتهم رسلهم بالايات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون قوله
وجاتهم عطفا على ظلموا فلا محل له من الاعراب عند سيبويه رحمه الله تعالى وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة
الظرف اليه وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الي الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله
تبارك وتعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا الاية الكريمة بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله
تبارك وتعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان اللام لتاكيد النفي اي وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم
وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا
بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف عاما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما جرى مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله كذلك فان
الجزا المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزا الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستيصال بالمرة نجزي القوم المجرمين
اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول
والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تبارك وتعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات
الي الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة المشرفة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام
في الاجرام وياباه كل الاباء قوله تبارك وتعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتدا تعرض لامورهم
وان ما بين فيه انه مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باشمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك
اثر بيان منتهى امورهم وخطابهم بنت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون
التي يستمعون اخبارها وتشاهدون اثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فيه استعارة
تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على
الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه
اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال
السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعدما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا اثار بعضها فضلا عن ان ينظم ظهورها في
سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بجنسه فلا يكون في
كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاءات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو راي القائل بل يكون حينئذ مستعارة لمعنى
اي شي واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم الي الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد
جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالايات البينات وغير ذلك كداب من قبلهم من القرون
المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الاتي حسب تجدد التلاوة اياتنا الدالة على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك
والاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد

فعل

فعل التلاوة مبنيا الي المفعول مسندا الي الايات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه للفاعل للاشعار بعدم الحاجة
لتعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقانا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا
بعلية ما في حيز الصلة العظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجتروا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقا لانكارهم له ولما هو من
بيان زمن البعث وما نهى بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ايت
بقران غير هذا اشاروا به الي القران الكريم المشتمل على تلك الايات لا الي نفسها فقط قصدا الي اخراج الكل من البين اي
ايت بكتاب نقروه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزا وما نكرهه من ذم الهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او
بدله بتغيير ترتيبه بان يجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا او طمعا في المساعدة ليتوسلوا
به الي الالزام والاستهزا به قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقا نفسي وهو مصدر استعمل
ظرفا وقرئ بفتح التا وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث
لا حاجة الي بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضايعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفها اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن
العقلا ولان ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شي مما اتي واذر الا ما يوحي الي من
غير تغيير له في شي اصلا على معنى قصر حاله عليه الصلاة والسلام على اتباع ما يوحي اليه وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام وهو تعليل لصدر
الكلام فان من شانه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشي دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورده لما عرضوا به
عليه الصلاة والسلام بهذا السوال من ان القران كلامه عليه الصلاة والسلام ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقا نفسي
وسماه عصيانا عظيما بقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار
امره عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي اي اخاف ان عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقا نفسي والاعراض عن اتباع الوحي
عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة الذي لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الي ضميره عليه السلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظمة
لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقران اخر من جهة الوحي بنفسه قوله تعالى ما يكون لي
ان ابدله من تلقا نفسي بانه لا يتسهل لي ان ابدله بالاستدعا من جهة الوحي ما اتبع الا ما يوحي الي من غير صنع ما من الاستدعا وغيره من قبل
لانه يرده التعليل المذكور لكن لا لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعا تبديل الايات النازلة حسبما
تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية للافترا
مع انها المقصودة بما ذكر في التعليل الا ترى الي ما بعده من الايتين الكريمتين فانه صريح في ان مقترحهم الاتيان بغير القران وتبديله
بطريق الافترا وان زعمهم في الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل قل لو شا الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القران الكريم وكونه من عند
الله اثر بيان بطلان ما اقترحوا واستحالته عبارة ودلالة وانما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال
الاعتنا بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيته كما سياتي وما سبق مجرد اخبار
باستحالة ما اقترحوه ومفعول شا محذوف ينبي عنه الجزا اي غير ذلك كما قيل فان مفعول المشية انما يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها
مضمون الجزا وان يكن تعلقها به بمرايه كما في قوله ٭ ولو شيت ان ابكي دما لبكيته ٭ حيث لم يحذف لفقدان الشرط الاخير لان
المستلزم للجزا اعني عدم تلاوته عليه الصلاة والسلام عليهم انما هو مشيته تعالى وليس لي منه شي قط ولو شا عدم تلاوته له عليكم
لا بان شا عدم تلاوتي له من تلقا نفسي بان لم ينزله علي ولم يامرني بتلاوته كما ينبي عنه ايثار التلاوة على القرا ما تلوته عليكم ولا
ادراكم به اي ولا اعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والادرا منتف فينتفي المقدم اعني مشيته عدم التلاوة ولا يخفى انها
مستلزمة لعدم مشيته التلاوة فثبت ان تلاوته عليه الصلاة والسلام القران الكريم بمشيته تعالى وامره وانما قيد نا الادرا كه
بواسطته عليه الصلاة والسلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيته عدم تلاوته عليه الصلاة والسلام فلا

يجوز نظمه في سلك الجزاء وفي اسناده عدم الادرا اليه تبارك وتعالى المبني على اسناد الادرا اليه تعالى ايذان بان لا دخل له عليه
الصلاة والسلام في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا ادرأتكم ولا ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطان وارضات في
اعطيت وارضيت او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا اجعلكم بتلاوته عليكم حسبما تدرونني بالجدال وقرئ ولا انذرتكم به وقرئ لا
اقرأتكم به بلام الجواب اي لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولا اعلمكم به على لسان غيري على معنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به انا
لارسل به غيري البتة او على معنى انه يمن على من يشاء من عباده بهذه الكرامة **فقد لبثت فيكم عمرا** تعليل للملازمة المستلزمة
لكون تلاوته بمشية الله تعالى وامره حسبما بين انفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها لعدم تلاوته فيما سبق بسبب مشيته تعالى
اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوه منه عليه الصلاة والسلام في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة على استحالة كون
التلاوة من جهته عليه الصلاة والسلام بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا له
مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بما لدي خبرا **من قبله** اي من قبل نزول القران لا اتعاطى شيئا مما يتعلق
به لا من حيث نظم المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع **افلا تعقلون** اي الا تلاحظون ذلك فلا
تعقلون امتناع صدوره عن مثلي كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم وانه غير خاف على من يعقل بعقل سليم والحق الذي لا محيد عنه
ان من ادنى مسكة من العقل اذا تامل في امره عليه الصلاة والسلام وانه نشا فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلما في
شان من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغا في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في انشا الخطب
والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى بحواه بدائع
اصناف العلوم كاشف عن الغيب من اسرار الكون ناطق باخبار ما قد كان وما سيكون مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة
مهيمن عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله تعالى وهذا هو الذي اتفقت عليه كلمة
الجمهور ولكن الانسب بمبنى الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام لكونه معصية موجبة
للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي وامتناع استبداده بالراي من غير تعرض هناك ولا هاهنا
لكون القران الكريم في نفسه امرا خارجا عن طريق البشر ولا لكونه عليه الصلاة والسلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد هاهنا
على المطلب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام عما توهموه شائبة صدور
الكذب والافترا عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى والمعنى قد اثبت فيما بين ظهرانيكم قبل
الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب وافترا الا تلاحظونه فلا
تعقلون ان من هذا شانه المطرد في هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر
والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدما ونحو ذلك وانما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل **فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا** استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا له
لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان ولا اعلم منه يفهم منه حسبما
انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تبارك وتعالى كذبا مع ان الافترا لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه
اليه ضمنا وحملوه عليه الصلاة والسلام عليه صريحا مع كونه افترا على الله تعالى كذب في نفسه فرب افترا يكون كذبه في الاسناد فقط
كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه الصلاة والسلام في التفادي عما ذكر من الافترا على الله سبحانه وتعالى **او
كذب باياته** فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم الى القران وحملهم على انه من جهته عليه الصلاة والسلام والفا لترتيب الكلام
على ما سبق من بيان كون القران الكريم بمشية الله تعالى وامره فلا مجال لحمل الافترا على الافترا باتخاذ الولد والشريك اي واذا
كان الامر كذلك فمن افترى عليه تبارك وتعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض اياته تعالى ببعض كما تجوزون
ذلك في شاني وكذا المكذب لاياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم **انه** الضمير للشان واقع اسما لان وخبرها بعده من الجملة

ومدار وضعه موضع ادعا شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها للايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره
في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل
تمكن فكانه قيل ان الشان هذا اي **لا يفلح الظالمون** اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين له
فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا **ويعبدون من دون الله** حكاية لجناية اخرى عنهم نشات عنها جناياتهم الاولى معطوفة
على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحل النصب على الحالية من فاعله اي
متجاوزين الله سبحانه وتعالى لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما يفصح عنه
سياق النظم الكريم **ما لا يضرهم ولا ينفعهم** اي ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة
وتقديم نفي الضر لان ادنى احكام العبادة دفع الضرر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة
الضرر فحيث لم تقدر الاصنام على الضرر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا تضرهم ان تركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها
كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومنات وهبل واسافا ونائلة **ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** عن النضر بن
الحارث اذا كان يوم القيامة تشفع لي اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك له
فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا
بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم
وضعوا طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها ثم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى
اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله تعالى **قل** تبكيتا لهم **اتنبئون الله بما لا يعلم** اي اتخبرونه
بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله تعالى اذ لولاه لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه
من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى **في السموات ولا في الارض** حال من
العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة **سبحانه وتعالى عما يشركون** عن اشراكهم المستلزم لتلك
المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونه انهم شفعاؤهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة
القول المامور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى **وما كان الناس الا امة واحدة** بيان لان التوحيد
والاسلام ملة قديمة اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور
وشقا لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما
لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد ادم عليه الصلاة
والسلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب
خاصة وهو الاظهر بايراد الاية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبريا عن ذلك **فاختلفوا** بان كفر بعضهم
وثبت اخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر لا محالة لمخالفة الاخر فان
الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضي بينهما بابقا المحق واهلاك المبطل والفا للتعقيب
لانها في امتداد زمان الاتفاق او المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق **ولولا
كلمة سبقت من ربك** بتاخير القضا بينهم او بتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل **لقضي بينهم** عاجلا **فيما
فيه يختلفون** بتمييز الحق عن الباطل بابقا المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على
الاستمرار **ويقولون** حكاية اخرى لجناية لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعا
والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة **لولا انزل عليه اية من ربه** ارادوا اية من الايات التي اقترحوها كانهم لفرط العتو

والفساد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا من الآيات النازلة عليه من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع انه قد
انزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب
انما الغيب لله الامر للاختصاص العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه
وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة به سبحانه لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من
المنتظرين اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات واقتراح غيرها وحمل الغيب عبارة عن الصارف
عن انزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تبارك وتعالى واذا اذقنا الناس رحمة صحة
وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم بسوئها فيهم واسناد المساس الى الضر بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب
القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون
ثم رحمهم بالحيا حتى كادوا يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك قوله تبارك وتعالى اذا
لهم مكر في آياتنا اي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجأوا وقوع
المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الامر قل الله اسرع مكرا اي اعجل عقوبة اي عذابه اسرع
وصولا اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا وذكرا ان رسلنا الذين يحفظون
اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون اي مكركم ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه
غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل
من جهته تبارك وتعالى ولوحيا بمثله حدا فان كتابة الرسل لما تمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنهم بالكلية وفيه
من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للتشديد والتوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فتكون
حينئذ تعليلا لما ذكر او للامر هو الذي يسيركم كلام مستأنف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر انفا من اختلاف حالهم
حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اي يمكنكم من السير تمكينا مستمرا عند الملابسة وقبلها في البر مشاة وركبانا وقرئ
ينشركم من النشر ومنه قوله تعالى اذا انتم بشر تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن وانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد
لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه اتيان الكون بالمؤذن بالدوام على
الركوب المشعر بالمحذوف وجرين اي السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب الى
الاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم لتعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله
تبارك وتعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب الى الكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك
المضاف المقدر كما في قوله تبارك وتعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه اي او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة
لمقصدهم وفرحوا بها لتلك الريح الطيبة لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة لطيبتها وموافقتها
اي تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا تسمى مجيء الريح اخرى عادة بل هو استدار للريح الاولى وقيل
الفلك والاول اظهر لاستلزام الثاني من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة بعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح
اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا بها وعلقوا بها حال
رجائهم اكثر ريح عاصف اي ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفرق وقد يذكر الآخر وقيل الريح قد يذكر
وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان اي من امكنة مجيء الموج عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه
من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اي هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك
واصله احاطة العدو بالحي او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او
استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به

شيا

شيا من الهتهم لا مختصين بالدعاء به تبارك وتعالى فقط بل بالعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين
له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اي قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة
بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول
والاول هو الاولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على
كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما
غشيهم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اي فاجأوا الفساد فيها وسارعوا اليه متراقين
في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد وزيادة في الارض للدلالة على شمول
بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تبارك وتعالى بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي اذ
معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تبارك وتعالى ويقتلون النبيين
بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده
النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين انما
بغيكم توجيه الخطاب الى اولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد على انفسكم الذي تتعاطونه وهو
مبتدأ وقوله تعالى على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على الذين يبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحياة
الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل
مقدر بطريق الاستيناف اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى
الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم
بحال تمتعهم في الحياة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اي زمن متاع الحياة الدنيا وفيه ما مر بعينه
وقيل على انه مفعول الفعل دل عليه المصدر اي تبغون متاع الحياة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر
ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستيناف لبيان ما حكي عنهم من البغي المفسر بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاي
مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اي لاجل متاع الحياة
الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اي
يبغون لاجل متاع الحياة الدنيا على ان الجملة مستانفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد
بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحياة الدنيا محذور او ظاهر الفساد او نحو ذلك
وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة اي انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل
متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكن الحق الذي يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه خبر
والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع الآية كما في قوله عز وجل لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهذا
بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور
على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو
المتبادر من السوق واما كون البغي على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس
وغير ذلك واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدأ اما نفس البغي والضمير العائد اليه من حيث
هو لا من حيث كونه وبالا عليهم في صورة كون الظرف صلة الى المصدر فتدبر وقرئ متاع الحيوة الدنيا اما نصب متاعا فعلى انه بدل
من متاعا بدل اشتمال وقيل على انه مفعول به متاعا اذ لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي عليه الصلاة
والسلام انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا ولا تبلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه

البغي والنكث والمكر قال تبارك وتعالى انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه وعنه صلى الله
عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي اثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي
وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي **ثم الينا مرجعكم** عطف على ما مر من الجملة المستانفة
المقدرة كانه قيل يتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم يرجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على
الثبات والقصر **فننبئكم بما كنتم تعملون** في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك
بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشاة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة
لصورته الحقيقية التي بها تظهر في النشاة الاخرة فان المعاصي مثلا سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة يستحسنها نفوس العصاة
وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشاة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال
والتشفي من الاعداء او نحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا
يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضارة لما كانوا يشاهدونه على ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه
اعلم **انما مثل الحياة الدنيا** كلام مستانف سيق لبيان شان الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد
شبه حالها العجيبة الشان البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب اقبالها
واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجاة ذهابها حطاما لم يبق لها اثر بعد ما كانت غضة
طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه
به ما دخله الكاف في قوله عز وجل **كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض** بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب **مما
ياكل الناس والانعام** من البقول والزروع والحشيش **حتى اذا اخذت الارض زخرفها** جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف
النباتات واشكالها والوانها المختلفة المونقة اخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الوان الثياب
والزين فتزينت بها **وازينت** اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة
وازيانت كابياضت **وظن اهلها انهم قادرون عليها** متمكنون من حصدها ورفع غلتها **اتاها امرنا** جواب اذا اي ضرب زرعها
ما يجتاحه من الافات والعاهات **ليلا او نهارا فجعلناها** اي زرعها وسائر ما عليها وقرئ بتذكير الفعل **حصيدا** اي شبيها
بما حصد من اصله **كان لم تغن** كانه لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل **بالامس** اي فيما قبله بزمان قريب فان
الامس مثل لذلك كانه قيل لم تغن انفا **كذلك** اي مثل ذلك التفصيل البديع **نفصل الايات** اي الايات القرانية التي من جملتها هذه
الايات المنبهة على احوال الحياة الدنيا اي نوضحها ونبينها **لقوم يتفكرون** في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم
لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالايات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا
واعداما فانها ايات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحياة الدنيا حالا ومالا **والله يدعوا الى دار السلام** ترغيب للناس
في الحياة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحياة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة عن كل آفة ومكروه وهي
الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للافات او الى دار الله تعالى وتخصيص الاضافة التشريفية
بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله تعالى او الملائكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض **ويهدي من يشاء**
هدايته منهم **الى صراط مستقيم** موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل
على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده **للذين احسنوا** اي اعمالهم اتوا باعمالهم على الوجه اللائق وهو
حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك **الحسنى** اي المثوبة الحسنى **وزيادة** اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل

الحسنى

الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى
الجنة والزيادة اللقاء **ولا يرهق وجوههم** اي لا يغشاها **قتر** غبرة فيها سواد **ولا ذلة** اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا
يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منهما والجملة مستانفة
لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني وان اقتضى الاول الا انه ذكر اذكارا لما ينقذهم الله تعالى برحمته
وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين **اولئك** اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره **اصحاب الجنة هم فيها خالدون** بلا زوال فيه ولا
انتقال **والذين كسبوا السيئات** اي الشرك من المعاصي وهو مبتدا بتقدير المضاف خبره قوله تعالى **جزاء سيئة بمثلها** اي جزاء
الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك لزيادة ما بين الفريقين من
كمال التنافي والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جنايتهم على انفسهم او الموصول معطوف
على الموصول الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد
بالزيادة الفضل **وترهقهم ذلة** واي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة
بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية **ما لهم من الله من عاصم** اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم
من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستانفة او حال من ضمير ترهقهم
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها **مظلما** حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا
وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة
من الليل قال
٭ افتحي الباب وانظري في النجوم ٭ كم علينا من قطع ليل بهيم ٭
فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستانفة او حال من
ضمير ترهقهم **اولئك** اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة **اصحاب النار هم فيها خالدون** وحيث كانت الاية الكريمة في
حق الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيها تمسك للوعيدية **ويوم نحشرهم** كلام مستانف مسوق لبيان بعض اخر من
احوالهم الفظيعة وتاخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق
بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في سورة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية
بمضمر اي انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى
جميعا من افراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى **ثم نقول للذين اشركوا** اي نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم
على رؤس الاشهاد افظع والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين
سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل
للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر انفا **مكانكم** نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه
لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو راي الفارسي اي الزموه حتى تنظروا ما يفعل بكم **انتم** تاكيد للضمير المنتقل اليه من
عامله لسده مسده **وشركاؤكم** عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع **فزيلنا** من زلت الشيء عن مكانه ازيله اي
ازلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضي للدلالة
على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال

رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من
الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركا للشياطين كما سيجي فخابت آمالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل
لهم الياس الكل من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلا بالعذاب لكن هذه المرتبة
من التفصيل انما حصل عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرى كلهم
منهم ومن عبادتهم كما في قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا قالوا وحينئذ في قوله تعالى وقال شركاؤهم حالية
بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الاول لاستدعا المجاورة المحاضرة الغائبة بالمباعدة
وللبس في ترتيب التزييل في هذا المعنى على الامر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة لبضادلاجل
رعايتها الى تفسير التزييل الخارجي فان المباعدة بعد المجاورة حتما واما قران قطع الاقران والعلائق فليس له لذلك ابتداوه
حاصل بعده من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المجاورة اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد بما في
تعقيبه من التفسير لاسيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تاخر جميع مراتبه من المجاورة فمراعاة تلك النكتة كافية في اسناد ما تعقبه
عليها ويجوز ان يكون حالية على هذا التقدير ايضا والمراد بالشركا قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم ففيه
تاييد لرجوع الضمير الى الكل وقولهم **ما كنتم ايانا تعبدون** عبارة عن تبريهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم
الذين اغووهم لانها الامرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الاية وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق
كل شي فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم** فانه العليم الخبير **ان كنا عن
عبادتكم لغافلين** اي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضا والا فعدم
شهود الملائكة لعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركا الشياطين كما قيل فان ارتضاهم باشراكهم مما لا ريب
فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة **هنالك** اي في ذلك المقام المدهش او في ذلك الوقت على
استعارة ظرف المكان للزمان **تبلوا** اي تختبر وتذوق **كل نفس** مومنة كانت او كافرة سعيدة او شقية **ما اسلفت** من العمل وتعاينه
بكنهه مستتبعا لاثاره من نفع او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلا بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلوا
بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما
اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وقرئ تتلوا اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار
او تقرا في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر **وردوا** الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز
وجل هنالك تبلوا اعتراض في اثنا الحكاية مقرر لمضمونها **الى الله** اي الى جزائه وعقابه **مولاهم** ربهم **الحق** اي المتحقق الصادق
ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد **وضل عنهم** وضاع اي
ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل ذلك غير ضال او ضل في اعتقادهم ايضا **ما كانوا يفترون** من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا
يدعون انها الهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلوا وان العدول الى الماضي
للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلايمه التعرض
لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه وان اكتفي فيه بالتعرض ببعضهم او حمل الحق
على معنى العدل في الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتذكير للتدارك قطعا فان ما فيه
من الضماير الثلاثة للمشركين فلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام
والله تعالى اعلم **قل** اي لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم وبين ما يودي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم
عليه من الاشراك **من يرزقكم من السما والارض** اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة
منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السما والارض **ام من يملك السمع والابصار** ام منقطعة وما

فيها من كلمة بل لك جواب عن الاستفهام الاول لكن على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام
اخر تنبيها على كفايته هو فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الافات مع
كثرتهما وسرعة انفعالهما من ادنى شي يصيبهما **ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** اي ومن يحيي ويميت او من ينشي الحيوان من
النطفة والنطفة من الحيوان **ومن يدبر الامر** اي ومن يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعد ما اندرج تحته من الامور الظاهرة
بالذكر **فسيقولون** بلا تلعثم ولا تاخير **الله** اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره **فقل**
عند ذلك تبكيتا لهم **افلا تتقون** الهمزة لانكار عدم الاتقا بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في اضرب ابي
والفا للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم
ما لا يشاركه في شي مما ذكر من خواص الالهية **فذلكم** فذلكة لما تقدم اي ذلكم الذي اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدا
وقوله تعالى **الله** خبره وقوله تعالى **ربكم** اي مالككم ومتولي اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان له كقوله تعالى **الحق** صفة له اي ربكم الثابت
ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه **فماذا** يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا
موصولا بمعنى الذي اي ما الذي **بعد الحق** اي غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة
كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق **الا الضلال** الذي لا يختاره
احد فحيث ثبت عبادة من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجميلة حتى ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة
بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والراي هذا على تقدير كون الحق
عبارة عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت
ربوبيته الا الضلال والضياع اي الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كانه نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعالى
وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني **فانى تصرفون** استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه
من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لابد من ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا واذا انتفى جميع
احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا والفا لترتيب الانكار على ما قبله اي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد
عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة
الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الاخرة وفي ايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الباطل الضلال مما لا
يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي **كذلك** اي كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق
الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق **حقت كلمة ربك** حكمه وقضاؤه **على الذين فسقوا** اي تمردوا في الكفر وخرجوا الى اقصى حدوده
انهم لا يومنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب **قل هل من شركائكم** احتجاج اخر على حقيقة التوحيد وبطلان
الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم
يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت اهلية الاعادة وتحققها لوضوح
مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل **من يبدأ الخلق ثم يعيده** ايذانا بتلازمهما وجودا وعدما يستلزم
الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له **قل الله
يبدأ الخلق ثم يعيده** اي هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عليه السلام عنهم في ذلك كما قيل لان القول المامور به غير ما اريد
منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسئول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى
يكون القول المامور به غير الجواب الذي اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم
فالجواب المطلوب منهم لا غيره نعم امر صلى الله عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترون على التصريح
به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فتدبر واعادة الجملة في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب السابق لمزيد التاكيد

والتحقيق **فاني تؤفكون** الافك الصرف والقلب عن الشي وقد خص بالقلب عن الراي فهو الانسب بالمقام اي كيف تقلبون من الحق
الي الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون **قل هل من شركائكم** احتجاج اخر علي ما ذكر جي به الزاما لهم عقب الزام وافحاما اثر افحام
وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة علي استقلاله **من يهدي الي الحق** اي بوجه من الوجوه فان ادني مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته
الي ما فيه صلاح امرهم واما تعيين طريق الهداية وتخصيصه الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فيحمل علي ما يقتضيه المقام
من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية علي وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدي كما يستعمل بكلمة الي لتضمنه معني
الانتهاء يستعمل باللام للدلالة علي ان المنتهي غاية للهداية وانها لم تتوجه نحوه علي سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الي الله
تعالي حيث قيل **قل الله يهدي للحق** اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب
والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسوال والجواب كما مر فيما مر **افمن يهدي الي الحق** وهو الله عز
وجل **احق ان يتبع امن لا يهدي** بكسر الها اصله يهتدي فادغم وكسرت الها لالتقا الساكنين وقرئ بكسر اليا اتباعا لها الحركة
الها وقرئ بفتح الها فعلا لحركة التا اليها اي يهتدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفي وانما نفي عنه الاهتدا
مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدي الي الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها
لكونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري الفا الترتيب الاستفهام علي ما سبق من تحقق هدايته تعالي صريحا وعدم
هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبي عن الجواب المنبي بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الي الجواب الحق لا لتوجيه
الاستفهام الي الترتيب كما يقع في بعض المواقع فان ذلك مختص بالانكار كما في قوله تعالي افمن اتبع رضوان الله الخ ونحوه والهمزة متاخرة
في الاعتبار وانما تقديمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضا الصدارة كما هو راي الجمهور حتي لو كان السوال بكلمة لاجرت مجرا الاثري
الي قوله تعالي فاي الفريقين احق بالامن اثر تقديرها يلجي المشركين الي الجواب من حالهم وحال رسول الله صلي الله عليه وسلم وقرئ
لا يهدي بمعني لا يهتدي لمجيه لازما ولا يهدي غيره وصيغة التفصيل اما علي حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير
افمن يهدي الي الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام لان لا يهدي احق الخ واما بمعني حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام
للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار علي الخلاف المعروف اي بان يتبع **الا ان يهدي** استثنا مفرغ من اعم الاحوال اي
لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالي له الي الاهتدا او الي هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم
من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعني ام من لا يهتدي من الاوثان الي مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله
الله تعالي من حالة الي ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان لا يهدي من التفصيل للمبالغة **فما لكم كيف تحكمون** اي اي شي لكم
في اتخاذكم هولا شركا لله سبحانه وتعالي والاستفهام منه وتشنيع لهم بذلك والفا الترتيب كلا الانكارين علي ما ظهر من وجوب اتباع
الهادي الي الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون
من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالي بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالي حيث يقولون
هولا شفعاونا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالي للاتباع بطريق الاشراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالي لذلك بطريق له
الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالي من حيث لا يحتسبون **وما يتبع اكثرهم** كلام مبتدا غير داخل في
حيز الامر مسوق من قبله تعالي لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الي الحق الناعي
عليهم بطلان حكمهم وعدم تاثرهم من ذلك لعدم اهتدايهم الي طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم **الا ظنا**
واهيا من غير التفات الي فرد من افراد العلم فضلا ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الي الحق المبنية علي المقدمات اليقينية
الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا علي صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق
الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثنايه اتباع لفرد من
افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون علي حقية التوحيد

وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التاثر من البرهان المزبور وان لم يظهروه وكونهم اشد
كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما يفهم من فحوي الكلام عرفا من كون اوليك اسوا حالا من غيرهم اذ المعتبر سو الحال
من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او وما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل علي
المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينيذ هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص
هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سياتي هذا وقد
قيل المعني في وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالي الا ظنا غير مستند الي برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام
انها الهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتامل وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الي التكلف **ان الظن لا يغني من الحق** اليقيني
والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع **شيا** من الاغنا ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استيناف ببيان شان الظن
وبطلانه وفيه دلالة علي وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفا بالتقليد **ان الله عليم بما يفعلون** وعيد لهم علي افعالهم
القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون
بالالتفات الي الخطاب لتشديد الوعيد **وما كان هذا القران** شروع في بيان ردهم للقران الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية
المندرجة في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القران المشحون من فنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من
جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك **ان يفتري من دون الله** اي افترا من الخلق اي مفتري منهم
سمي بالمصدر مبالغة **ولكن تصديق الذي بين يديه** من الكتب الالهية المشهود علي صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا
دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الذي تصديق الي اخره
وقرئ بالرفع علي تقدير المبتدا اي ولكن هو تصديق الي اخره **وتفصيل الكتاب** عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت
من الحقايق والشرايع **لا ريب فيه** خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه
فانه مفعول في المعني او استيناف لا محل له من الاعراب **من رب العالمين** خبر اخر اي كاينا من رب العالمين او متعلق بتصديق او
بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الاية
الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه **ام يقولون افتراه** اي بل ايقولون افتراه محمد عليه السلام والهمزة لانكار
الواقع واستبعاده **قل** تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون **فاتوا بسورة مثله** اي في البلاغة
وحسن الصياغة وقوة المعني علي وجه الافترا فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة
مثله علي الاضافة اي بسورة كتاب مثله **وادعوا** للمظاهرة والمعاونة **من استطعتم** دعاه والاستعانة به من الهتكم التي
تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومدارهكم الذين تلجاون الي ارايهم في كل ما تاتون وما تذرون **من دون الله** متعلق
بادعوا ودون جار مجري اداة الاستثنا وقد مر تفصيله في قوله تعالي وادعوا شهداكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالي من
استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد او اخراجه سبحانه من حكم الدعا للتنصيص علي براتهم منه تعالي وكونهم في عدوة المضادة
والمشاقة لا لبيان استبداده تعالي بالقدرة علي ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالي لاجابهم اليه **ان كنتم صادقين** اي في
اني افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه **بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القران العظيم بالتحدي الي اظهاره ببيان انه كالناشي
عن جهلهم بشانه الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزا وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن
مثله اي سارعوا الي تكذيبه اثر ذي اثير من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا علي ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة علي كونه كما وصف
انفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير
ان يحيطوا بعلمه ونحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم

مه لما ان ارادة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له ولما ياتهم تاويله عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا
بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرايقة المنبية عن علو شانه والتعبير عن ذلك باتيان التاويل للاشعار بان تاويله متوجه
الى الاذهان متساق اليها بنفسه اولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القران
معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع
ما اخبر به من الامور المستقبلة وفي اتيان التاويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد الذم وتشديد
التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا
الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا واعتدوا ذلك ايضا على ما هم عليه اولا فلا تعرض له ههنا
والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشي من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه
بعد التحدي بل قبله وادعا كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذي يدل عليه ما سيتلى
عليك من قوله تعالى ومنهم من يومن به ومنهم الى اخره والمجازفة من غير تدبر وتامل كذلك كذب الذين من قبلهم اي فعلوا التكذيب او
كذبوا اما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من
المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما او بعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هولا
الظالمين في زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل ومنهم الى اخره وصف حالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن
تنويعهم الى المومن به وغير المومن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده
قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه من يومن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيته بعد ما سمعوا في المعارضة ورأوا
قوارفها فتضالت دونها او بعدها ما شاهدوا وقوع ما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط او يصدق به في
نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهولاهم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الثاني
سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يومن به اي لا يصدق في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط عناوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي
وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام
التي الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التاويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة
وهو لاهم الذين ارتدوا فيما سلف لقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يومن به فيما سياتي بل يموت على كفره
معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اي
بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد والمستدعي لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين
الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين وان كذبوك اي ان تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام
الحجة بالتحدي فقل لي عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء
عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما
تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تواخذون بعملي ولا اواخذكم بعملكم ولما فيه من
ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل
لهم الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سياتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة
المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك
عند قراءة القران وتعليمك للشرائع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب انكار
الاسماع على الاستماع كما هو راي سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار
ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لاداته الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة وايا ما كان فالعطف

عليه

عليه نستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى
النظم كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا لانكار الاستماع فانه امر محقق بل انكار الوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه
حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبي عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل لقوله عز وجل ولو كانوا لا
يعقلون اي ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل
جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اي اعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل تهدي العمي تربية لانكار
هدايتهم وابراز الوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان
المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة وكذلك يحسس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير
الاحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الصم او تهدي العمي عليه
وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في التحوي كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا
يعقلون افانت تهدي العمي لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة
الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف
اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التاكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظايره مرارا ان الله لا يظلم
الناس اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم هو
في المشاعر ونحو ذلك بل لما هو من قبلهم اي لا ينقصهم شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادي
ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل لو فيهم ذلك من غير اخلال بشيء
اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة تعيين وتقرير اي لكنهم بعد اشتمال مشاعرهم فيما خلقت
له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اي ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادي كمالهم وذرايع
اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا
بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في ساير المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة
الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا
انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على راي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة
في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل ونفرة لدى
الطبع وا وجبهما حذرا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى مستلزم لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية
عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احدا من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم ذلك الغير ظالما لغير نفسه
والمفروض ان لا يظلم احدا الا نفسه فاكتفي بالقصر الاول على الثاني مع رعاية ما ذكر من الفايدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا
واثباتا فان حروف النفي اذا دخل على المضارع تفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا نرى الى قولك ما زيد ضرب يدل
على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص ومساق الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت
للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيامة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم للسيئات
الموجبة للتعذيب غير ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات
اي اذكرهم او انذرهم يوم حشرهم كان لم يلبثوا اي كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة
وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي يوم نحشرهم مشبهين في احوالهم
الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض اثار
نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار وفايدة التقييد بيان كمال اليسر لحشر

بالنسبة الى قدرته تعالى او لو بعده هو طويل واظهار لبطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
ونحو ذلك او بيان لتمام الموافقة بين النشاتين في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون
قوله عز وجل **يتعارفون بينهم** بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اى يعرف بعضهم
بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع
التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاهوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال **قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله** شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير
عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق
الحساب والجزاء وحسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضعية والمعنى وضعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة
بالهدى ومعنى قوله تعالى **وما كانوا مهتدين** ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسار الهلاك والضلال
اى قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة **واما نرينك** اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد
الفعل بالنون اى نبصرنكم بان نظهر **بعض الذى نعدهم** اى وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك لتراه والعدول الى صيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار او نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي تخصيص
البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر **او نتوفينك** قبل ذلك **فالينا مرجعهم** اى كيفما دارت الحال اريناك
بعض ما وعدناهم اولا فالينا مرجعهم في الدنيا والاخرة فننجز ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كانه قيل والينا
مرجعهم فنريكه في الاخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اى فذاك **ثم الله شهيد على ما يفعلون** من الافعال السيئة التي حكيت
عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة
لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقرئ ثمة اى هناك **ولكل امة** من الامم الخالية **رسول** يبعث اليهم بشريعة خاصة
مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق **فاذا جاء رسولهم** فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه **قضي بينهم** اى بين كل امة ورسولها **بالقسط**
اى بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمومنين به واهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **وهم لا يظلمون** في ذلك
القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم
الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان لقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم **ويقولون متى هذا الوعد** استعجالا لما
وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في
سورة الملك **ان كنتم صادقين** اى فانه ياتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين الذين يتلون عليهم الايات المتضمنة
للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدمه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فلياتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة
النبي صلى الله عليه وسلم قيل **قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا** اى لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق
النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام
مقامه والمعنى انى لا املك شيئا من شؤوني ردا او ايرادا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم
الموعود **الا ما شاء الله** استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبرؤ
عن ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعلهما
عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئا من الضر
والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على الافعال الاختيارية كالضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من
المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى **لكل امة اجل** بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق
من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امرا منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اى لكل امة امة ممن قضي بينهم وبين

رسولهم

رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله **اذا جاء اجلهم** ان جعل الاجل عبارة عن حد
معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير
ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه
اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء اجلهم بان يجيء كل واحدة من
تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير
لافادة كمال التعيين اى اذا جاءها اجلها الخاص بها **لا يستاخرون** عن ذلك الاجل **ساعة** اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في
غاية القلة منه اى لا يتاخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له **ولا يستقدمون** اى لا يتقدمون عليه وهو
عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفاء التاخر بنظمه في سلك المستحيل
عقلا كما قيل في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين
يموتون وهم كفار فان من مات وهو كافر مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت
ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم
في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء
الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما في
قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم
له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر
هناك **قل** لهم حسبما بينت كيفيته جريان سنة الله تعالى وتنبيها على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا
بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة **ارايتم** اى اخبروني **ان اتاكم عذابه** الذي تستعجلون به **بياتا** اى وقت بيات واشتغال
بالنوم **او نهارا** اى عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة
وقوله عز وجل **ماذا يستعجل منه المجرمون** جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ما تطعمني والمجرمون موضوع موضع المضمر
لتاكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية
متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اى شيء تستعجلون منه تعالى الشيء لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة
في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة
اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار منزلة النهي في قوله عز وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وههنا
ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارايتك ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه
في سلك التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل **اثم اذا ما وقع امنتم به** انكار لايمانهم بنزول العذاب
بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المامور به اي ابعد ما وقع العذاب وحل بكم
حقيقة امنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكار التاخيره الى هذا الحد وايذانا باستتباعه الندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من
العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بارايتم وجواب الشرط محذوف
اى تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى اثم اذا ما وقع الخ
والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جيء بكلمة التراخي
دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد على ان الاول كالتمهيد له وجيء باذا مؤكدا بما ترشيحا
لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى **الآن** استئناف من جهته تعالى
غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اى قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن امنتم به

انكارا للتاخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن لذلك لعدم سبق الانذار به لا للتامل والتدبر في شانه ولا لشي اخر مما عسى يعد
عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزا وقرى الان بحذف الهمزة والقا حركتها على اللام
وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اي تكذيبا واستهزا جملة وقعت حالا من فاعل امنتم المقدر للتشديد في التوبيخ والتقريع وزيادة
التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى ثم قيل الى اخره تاكيد للتوبيخ والعتاب
بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الان للذين ظلموا اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق وظلموا
انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم
ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من
الاستعجال ويستنبئونك اي يستخبرونك فيقولون على طريق الاستهزا او الانكار احق هو احق خبر قدم على المبتدا الذي هو الضمير للاهتمام
به ويويده قوله تعالى انه الحق او مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرى الحق هو تعريضا بانه
باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق قل لهم غير ملتفت الى استهزايهم مقتضيا عما قصدوا وبانيا للامر على
اساس الحكمة اي وربي اي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه
انه اي العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد حسب شدة انكارهم وقويه وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله
عز شانه وما انتم بمعجزين اي بفايتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستانف سيق
لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم
ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما في الارض اي ما في الدنيا من خزاينها واموالها ومنافعها قاطبة مما كثرت لافتدت به اي لجعلته
فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه واسروا اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة
الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع
ما في الارض لكل واحدة من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه الندامة على
ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما راوا العذاب اي عند
معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشي فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط
حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسرها رؤساهم ممن اضلوهم حيا منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شي
غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها او لان سر الشي خالصه حيث تخفى ويضن بها ففيه تهكم بهم وقيل
اظهروا الندامة من قولهم اسروا الشي واسره اذا اظهره حين عيل صبره وفني تجلده وقضي بينهم اي اوقع القضا بين الظالمين من
المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سوا كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما
بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضا على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض
لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا وهم
اي الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض
اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلا على العقلا فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع
الاشيا وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشا ايجادا واعداما واثابة وعقابا الا ان وعد الله حق اظهار الاسم
الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود او جميع ما وعده كاينا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي
استعجلوه وما ذكر في اثنا بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدري وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الاول ثابت واقع لا
محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الايات
الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لقصور عقلهم غفولهم واستيلا الغفلة عليهم والفهم بالاحوال

المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في
ذلك واليه ترجعون في الاخرة بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله
واتباعه غب تحذيرهم من غوايل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم
ومنافعهم قد جاتكم موعظة هي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب سوا كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من
في قوله تعالى من ربكم ابتدايية متعلقة بجاتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كاينة من مواعظ ربكم وفي
التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفا لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين اي كتاب جامع لهذه الفوايد
والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسنها وسييها مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفا لما في
الصدور من الادوا القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقايد الزايغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد
الى الاستدلال بالدلايل المنصوبة في الافاق والانفس وفي مجيبه رحمة للمومنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان
وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليامر الناس بان يغتنموا ما في مجي القران العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته اما بمجي القران من الفضل والرحمة واما الجنس
وهما داخلان فيه دخولا اوليا والبا متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير البا في رحمته للايذان باستقلالها
في ايجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفعل لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا
ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفا الاولى جزايية والثانية للدلالة على السببية
ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
فبذلك فليفرحوا ويجوز ان تتعلق البا بجاتكم اي جاتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيها فليفرحوا وقرى فافرحوا وعن ابي
ابن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد
عليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرى تجمعون اي فبذلك فليفرح المومنون هو خير مما تجمعون
ايها المخاطبون قل ارايتم اي اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق
ما حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر في السما محصل بها وما يتوقف عليه وجودا وبقا باسباب سماوية من المطر والكواكب في الانضاج
والتلوين فجعلتم منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام وحلالا اي وجعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم
هذه انعام وحرث حجر الاية وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر
الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني الله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره تعالى
ام على الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم ياذن لكم بل تفترون
عليه سبحانه وتعالى فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترايهم وتاكيدا للتبكيت اثر تاكيد مع مراعاة الفواصل
ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى بل فيها للاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده
همزتها من التوبيخ على الافترا عليه سبحانه وتعالى وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر بل اعلى الله تعالى خاصة تفترون
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المامور به والتعبير
عنهم بالموصول في موقع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافترا وزيادة الكذب مع ان الافترا لا يكون
الا كذبا لاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدا وظن خبرها ومفعولاه محذوفان
وقوله عز وجل يوم القيامة ظرف لنفس الظن اي اي شي ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقالا لا
بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع
يوم القيامة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم اي اي شي ظنهم انه سيقع يوم

القيامة اتحسبون انهم لا يبالون عما فعلوا او لا يجاوزون عليه او يجاوزون جزا يسيرا او لاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا
انهم لفي اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي **ان الله لذو فضل** اي عظيم لا يكتنه كنهه **على الناس** اي جميعا حيث انعم عليهم
بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في
ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد **ولكن اكثرهم لا يشكرون** تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم
الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم
القيامة فلا يلتفتون اليه فيفعلون فيما يفعلون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه **وما تكون في شان** اي في امر من شانه اي قصدت
قصده مصدر بمعنى المفعول **وما تتلوا منه من قران** الضمير للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشان اذ هي
معظم شؤونه عليه السلام او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثاني
والثالث **ولا تعملون من عمل** تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتضى الكل وقد روعي من كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال
ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير **الا كنا عليكم شهودا** استثنا مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة
اي ما تلابسون بشي منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له **اذ تفيضون فيه** اي تخوضون وتندفعون
فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد الافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا اوثر
في الاستثنا صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي **وما يعزب عن ربك** اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي
التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بالكسر **من مثقال ذرة** كلمة من مزيدة لتاكيد النفي اي ما يعزب عنه ما
يساوي في الثقل نملة صغيرة او هبا **في الارض ولا في السما** اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس فيه احدهما
او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى **ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين** كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتدا
والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثنا منقطعا كانه قيل لا يعزب
عن ربك شي ما لكن جميع الاشيا في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شي منها وقيل يجوز ان يكون الاستثنا متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر
والمعنى لا يصدر عنه تعالى شي الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ **الا ان اوليا الله** بيان على وجه التبشير والوعد
على ما هو نتيجة لاعمال المومنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما ياتون وما يذرون واحاطة علمه
سبحانه وتعالى بجميع ما في السما والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيامة
وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها
والولي لغة القريب والمراد باوليا الله تعالى خلص المومنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم **لا خوف عليهم**
في الدارين من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله
سبحانه وتعالى وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصايص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة
والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عداه من الامور الدنيوية المترددة
بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها
وقوله عز وجل **الذين آمنوا** اي بكل ما جا من عند الله تعالى **وكانوا يتقون** اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية
دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستيناف المبني على

السوال

السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف لانه قيل من اوليك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا
بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاوليا ولا
يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان
ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهو التقوى
الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي يدور اطلاق
الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه عليه الصلاة والسلام تحت الخطاب لقوله عز وعلا وما تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا خلا
ان لهم في شان التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعدادهم الفايضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم
الانيقة اقصاها ما انتهى اليه همم الانبيا عليهم السلام حتى جمعوا بذلك رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح
عن الاستغراق في عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة
بالقوة القدسية فملاك امر الولاية هو التقوى المذكور فاوليا الله تعالى هم المومنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله
هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما روي عن سعيد
ابن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اوليا الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل
من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبيا
ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا ما هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال
هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور ولا يخافون اذا خاف الناس
ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة [illegible] لله تعالى والتحاب في الله سبحانه وتعالى من الاحكام الدنيوية
اللازمة للايمان والتقوى والاثار الخاصة بها الحقيقية بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس قد اورد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين او غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك
من احكامهما فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانيا
مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المومنين الذي لا علاقة بينهم وبينه من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية
ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ذوي ارحامهم واما ما ذكر من انه
يغبطهم الانبيا فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلا وقيل
اوليا الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله
عز وعلا **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** تفسيرا لتوليه اياهم تعالى ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية
غير مناسب لمقام ترغيب المومنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم باثارها ونتايجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق
بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم
عند حصوله حتى يعرفوا احوال الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن اثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان
الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاوليا له
حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم بما لهم من الولاية تفضلا وكرامة من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورها ومكارهها
والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم ورا ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة
على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المومنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن
المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاوليا مع الايذان بان انتفا الخوف والحزن لانتفا بهم عما يودي اليهما
من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن

البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى
الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الحياة الدنيا وحال كونها في الاخرة اي اجلة وعاجلة او حال من الضمير المجرور او حال
كونهم في الحياة الدنيا الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله
الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه الصلاة والسلام تلك عاجل بشرى المومن هذا او قد قيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان
به اما البشرى في الدنيا فهي الاشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي
الرؤيا الصالحة يراها المومن او يرى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطا لهم البشرى عند الموت
تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطا الصحايف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات
فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والاجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن
المقاصد بالذات الى وسايلها مما لا يساعده جلالة التنزيل الكريم **لا تبديل لكلمات الله** لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة
بشارة للمومنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا وبثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير
كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتايجها الدنيوية والاخروية
بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها او وقوعها فيما سياتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر **ذلك** اشارة الى ما
ذكر من ان لهم البشرى في الدارين **هو الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض
لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والسابقة اعتراض **ولا يحزنك قولهم**
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشية من مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل
ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان اولياء الله ولا تباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له عليه
السلام عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وساير ما يتفوهون به في
شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي له
بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول
النهي عن الملزوم السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شايبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام في بعض
الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى **ان العزة** تعليل للنهي على طريقة الاستيناف اي ان الغلبة والقهر **لله جميعا** اي في
ملكته وسلطانه لا يملك احد شيا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة
البشارات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله **هو السميع العليم** يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون
عليه وهو مكافيهم بذلك **الا ان لله من في السموات ومن في الارض** اي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان
بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقاتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم
من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته
بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم
المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة
وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الاخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يدعون ويكون
مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى **ان يتبعون الا الظن** اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة
معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق
عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاء وهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه وتعالى

واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون الا
اسماء سميتموها الى اخره وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة
والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه
الملائكة والنبيون من الحق **وان هم الا يخرصون** يكذبون فيما ينسبونه الى الله سبحانه وتعالى ويحزرون ويقدرون انهم
شركاء تقديرا باطلا **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا** تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة
الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه وتعالى باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته
المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه وتعالى والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فلكم مفعوله الثاني او هو حال
كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية
منها محذوفة اعتمادا على ما في الاول والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما
سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الاية فحذف في كل واحد من
الجانبين ما ذكر في الاخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازي كالذي في نهاره صايم **ان في ذلك** اي في جعل
كل منهما كما وصف او فيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته **لايات** اي عجيبة كثيرة وايات
اخر غير ما ذكر **لقوم يسمعون** اي هذه الايات المتلوة ونظايرها المنبهة عن تلك الايات التكوينية الامرة بالتامل فيها سماع تدبر واعتبار
فيعلمون بمقتضاها وتخصيص الايات بهم انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها **قالوا** شروع في ذكر ضرب اخر من اباطيلهم وبيان
بطلانه **اتخذ الله ولدا** اي تبناه **سبحانه** تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء **هو الغني** على الاطلاق عن كل شيء
في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل **له ما في السموات وما في الارض** اي من
العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى **ان عندكم من سلطان** اي حجة بهذا اي بما ذكر من قولهم
الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن في من سلطان زايدة لتاكيد النفي وهو مبتدأ والظرف
المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفي وهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة
له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام
والافحام وتاكيدها في قوله تعالى **اتقولون على الله ما لا تعلمون** من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة
لا دليل عليها فهي جهالة وان العقايد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد **قل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء عاقبتهم ووخامة عاقبتهم **ان الذين يفترون على الله الكذب** اي في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافترا
بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه وتعالى دخولا اوليا **لا يفلحون** اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم
النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسب مقام المبالغة في الزجر عن الافترا عليه سبحانه
متاع في الدنيا كلام مستانف سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق
او في ضمن افترايهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس
بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله عز وعلا **ثم الينا مرجعهم** اي بالموت **ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون** فيبقون في الشقاء المويد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم
او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به
وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافترا عليه سبحانه وتعالى اقبح القبايح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها
وعده لذلك باعتبار احراحكم ما يودي اليه من رياسة تم عليها مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس بعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر

اي لهم متاع والآية اما مسوقة من جهة الله سبحانه وتعالى لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المامور به كما يقتضيه ظاهر
قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مامور بنقله وحكايته عنه عز وجل **واتل**
عليهم اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون
على العذاب الخالد **نبا نوح** اي خبره الذي له شان وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من
زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر وتنكسر شدة
شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع
ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه وتعالى واختصاص العزة به تعالى وانتفا الخوف والحزن عن
من اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم ما لا يخفى **اذ قال**
معمول لنبا او بدل منه بدل اشتمال وايا ما كان فالمراد بعض نبائه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى
لقومه للتبليغ **يا قوم ان كان كبر** اي عظم وشق **عليكم مقامي** اي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام
ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة او قيامي **وتذكيري بايات الله** فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على
ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالتهم **فعلى الله توكلت** جواب للشرط اي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز
ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل به تعالى **فاجمعوا امركم** عطف على الجواب والفا لترتيب الامر بالاجماع على
التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف
وايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه
يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا **وشركاكم** بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما
يدل عليه القراة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركا على طريقة التهكم وقيل
انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركائكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا
من الجمع اي فاعزموا على امركم الذي تريدون بي من السعي في اهلاكي واحتشدوا فيه على اي وجه يمكنكم **ثم لا يكن امركم** ذلك
عليكم غمة اي مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب او
نحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه
سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلائته فكلمة ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة تقرير
تقتضيها مقام الامر بالاظهار الذي يستلزمه النهي عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام
من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا
باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل **ثم اقضوا الي ولا تنظرون** اي ادوا الي اي احكموا ذلك
الامر الذي تريدون بي ولا تمهلوني لقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر وادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي
الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
وقرئ افضوا بالفا اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضا **فان توليتم** الفا لترتيب التولي على ما سبق
فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحة
ما اقول ودلايلها التي من جملتها ادعوي اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما ياتي منكم واحجامكم عن الاجابة
علما منكم باني على الحق المبين مويد من عند الله العزيز **فما سالتكم** بمقابلة وعظي وتذكيري **من اجر** تؤدونه الي حتى تتولوا لذلك او الى
توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع والسوال واما لثقل دفع المسئول عليكم او حتى يضرني توليكم المودي الى الحرمان فالاول لاظهار
بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفا لجزائية

بسببه

بسببه الشرط لاعلام مضمون الجزا لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في مصحح له ولا تاثر منه وقوله عز وجل **ان اجري**
الا على الله ينتظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول تاكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام عنهم اي ما ثوابي على العظة
والتذكير الا عليه تعالى يثيبني به امنتم او توليتم **وامرت ان اكون من المسلمين** المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو
غيره والمستسلمين لكل ما يصيب من البلاء في طاعة الله تعالى **فكذبوه** فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين
الحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت كلمة العذاب **فنجيناه ومن معه في الفلك** من المسلمين
وكانوا ثمانين **وجعلناهم خلائف** من الهالكين **واغرقنا الذين كذبوا باياتنا** اي بالطوفان وتاخيره عن ذكر الانجاء والاستخلاف
حسبما وقع في قوله عز وعلا ولما جا امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الايات
الكريمة لاظهار كمال العناية بشان المقدم ولتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على
الغضب الذي هو من مستتبعات جرايم المجرمين **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول
صلى الله عليه وسلم وتسلية له صلى الله عليه وسلم **ثم بعثنا** اي ارسلنا **من بعده** اي من بعد نوح عليه السلام **رسلا** التنكير
للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير **الى قومهم** اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل
او الى قوم ما اي قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص
فجاوهم اي جا كل رسول قومه المخصوصين به **بالبينات** اي بالمعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والبا اما متعلقة
بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاوا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي كل رسول ببينة واحدة
بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضا الحكمة فان مراعاة انقسام الاحاد الى الاحاد انما هي بين ضميري جاوهم كما اشير
اليه **فما كانوا ليؤمنوا** بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير
مرة اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يومنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر
والعناد ثم ان كان المحكي اخرا لكل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك
بعد اللتيا والتي وربما اشير اليه في قوله عز وجل **بما كذبوا به من قبل** تكذيبهم من حين مجي الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم
يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج اليه ذلك بعد
تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول
الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا باعتباره عن جميع الشرايع الذي جا بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي
جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجي الرسل الى اخره وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيهم فلا بد
من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرايع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها
وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجي رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد
قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام
فكذبوها ثم كانت حالتهم بعد مجي الرسل كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول
لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يومنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يومنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل
هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة
حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين
فالضماير الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام فالمعنى فما كان قوم الرسل ليومنوا بما كذب بمثله
قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل البا للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان
ذلك يودي الى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسما كما هو راي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير في ارجاعه

الي الحق بادعا كونه مركوزا في الاذهان مالايخفي من التعسف كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقري
بالياء علي ان الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق
وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم في شانهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذه الاية دلالة علي ان الافعال واقعة
بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا عطف علي قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الي قومهم عطف قصة علي قصة من بعدهم
اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهارون خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليه
اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام مع اقوامهم اوشروع في ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شان القصة وعظم وقعها كما في نبا
نوح عليه السلام الي فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل
اليهم في النوازل والملمات باياتنا اي ملتبسين بها وهي الايات المفصلات في الاعراف فاستكبروا الاستكبار ادعا الكبر من
غير استحقاق والفا فصيحة اي فاتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعها وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم
نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الي اخره وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب
الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم الي الجثة فلذلك اجترؤا علي ما اجترؤا اليه من الاستهانة برسالة
الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الايات لا يساعده قوله عز وجل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا
لسحر مبين فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجي الحق الذي سموه سحرا اعني العصا واليد البيضا كما ينبي عنه سياق
النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عليه السلام من الايات العظام والفا فيه ايضا فصيحة معربة كما صرح به في مواضع اخر كانه
قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين فلما جاءهم
الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فايق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقري لساحر
قال موسى استيناف مبني على سوال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستيناف
الانكاري التوبيخي اتقولون للحق الذي هو ابعد شي من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او
من اول الامر من غير تامل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا
بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي اتقولون له ما تقولونه من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قايل ويتكلم
به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره
الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الي اخره فيستغني عن المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل
اسحر هذا انكار مستانف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل
اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال افيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر
الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على ان ليس فيه شايبة عيب ما وما في
هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه اية باهرة من ايات الله المنادية على امتناع
كونه سحرا اي اسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشانه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم
الخبر للايذان بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل
بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون وهي جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال
جا الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر
بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي المؤيد من عند الله العزيز الحكيم الفائز بكل مطلب الناجي من كل محذور
وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الي ذاته قبل بيان
استحالته بالنظر الي صدوره عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبون به

الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون
فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الي ما لا يفهم منه اصلا مما يجب
تنزيه النظم التنزيل عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظايف من يتمسك بالحق المبين
دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه
ساحرا بنا على غلبة من يأتون به من السحرة واما ثالثا فلان قوله عز وجل قالوا اجئتنا الي اخره مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم
الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الي التشبث بذيل التقليد
الذي هو داب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج حتى انه استيناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه الصلاة والسلام على
طريقة قوله تعالى قال موسى الخ حسبما اشير اليه كانه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عندما قال لهم فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة
اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان عما وجدنا عليه اباءنا اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما
يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه الصلاة والسلام على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه
الصلاة والسلام خاليا عن التبكيت الملجي لهم الي العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا الخ وبين انكاره
عليه الصلاة والسلام لما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنه وتكون لكما الكبريا اي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقري ويكون
بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبريا او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف
وقع حالا من الكبريا او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد
افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبريا لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للاخر واما اللفت
والمجي فحيث كانا من خصايص صاحب الشريعة اسند الي موسى عليه السلام خاصة وقال فرعون توحيد الفعل لان الامر من وظايف
فرعون اي قال لملائه يامرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد ما عجز عن الزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر عليم
بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقري بكل سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر
فرعون كما هو شان الفا الفصيحة في كل مقام اي فاتوا به فلما جاؤا به قال لهم موسى لكن لا في ابتدا مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه
السلام ما حكي عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم ملقون اي ملقون له
كاينا ما كان من السحر فلما القوا ما القوا من العصا والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما
صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدا والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من ايات الله سبحانه وهو من
جنس السحر يريهم ان حاله بين لا يبالي به كانه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يبالي به وقري السحر على الاستفهام فما استفهامية اي اي
شي جئتم به اهو السحر الذي يعرف حاله كل جاهل ولا يتصدى له عاقل وقري ما جئتم به سحر وقري ما اتيتم به سحر ولا دلالتهما على
المعنى الثاني في القراة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقي له اثرا اصلا
او سيظهر بطلانه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحرة
دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم
اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا وعدم اثباته واتمامه اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه
الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله تعالى ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة
له ويحق الله الحق عطف على قوله سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين الاخيرين لالقا الروعة وتربية المهابة
بكلماته باوامره وقضاياه وقري بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما امن لموسى
معطوف على مقدر فصل في موضع اخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز
وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وحمله وعطفه على ذلك بالفا مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله

تعالى فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظة فلم يتعظ وصحت به فلم يزدجروا والسر في ذلك ان الايمان بالشي بعد ورود ما يوجب
الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما امن لموسى عليه السلام بمشاهدة تلك الايات
القاهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرايل حيث دعا الابا فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طايفة من شبانهم
وقيل الضمير لفرعون والذرية طايفة من شبانهم امنوا به عليه الصلاة والسلام او مومن ال فرعون وامراته اسيه وخازنه وامراته وماشطته
من بعيد على خوف اي كاينين على خوف عظيم من فرعون وملايهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضماير العظما ولا يا باه بيان علوه في
الفساد وعلوه في التمرد والتسلط على العباد او لان المراد به اله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم او على خوف من فرعون ومن اشراف
بني اسرايل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول لخوف فان اعمال
المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه
الامر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدما او في الكبر
والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبيا والجملتان اعتراض تذييلي موكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما راى تخوف المومنين
منه يا قوم ان كنتم امنتم بالله اي صدقتم به وباياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم من كل شر وضر ان كنتم
مسلمين مستسلمين لقضا الله مخلصين له وليس هذا من تعلق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه فانه المقتضي له
والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه
السلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مومنين مخلصين ثم دعوا ربهم قايلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم
الظالمين اي لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هولا على الحق لما اصيبوا وقوله تعالى ونجنا
برحمتك من القوم الكافرين دعاهم بالانجا من سو جوارهم وشوم مصاحبتهم بعد الانجا ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم
وترتيب الدعا على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاه على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا ان مفسرة لان
في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة
مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلاة اي فيها امروا بذلك في اول
امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المومنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى
بتشاور ثم جميع لان البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المومنين
موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة اي ما يتزين به
من اللباس والمراكب ونحوها واموالا وانواعا كثيرة من المال في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة
احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت او للعلة لان ايتا النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا او تنبيها على ان
المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق وقرى بضم الميم اي اهلكها واشدد على
قلوبهم اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شانهم فلا يومنوا جواب للدعا او دعا بلفظ النهي وعطف
على ليضلوا وما بينهما دعا معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال قد اجيبت
دعوتكما يعني موسى وهارون عليهما السلام لانه كان يومن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة فاستقيما
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه كاين في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعا اربعين
سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات الله سبحانه في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة في الاستعجال او
عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرى بالنون الخفيفة وكسرها لالتقا الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تستبعان ايضا وجاوزنا ببني
اسرايل البحر هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والبا للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا

الشط

الشط وقرى جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا ما هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع في قول الاعشى كما جوز السكي فيتق والا
لقيل وجوزنا بني اسرايل في البحر وخلا النظم الكريم عن الايذان باتصالهم الى البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو
المشهور في الفرق بين اذهبه وذهب به فاتبعهم يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده
حتى تراات الفيتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتدا اي باغين وعادين او للبغي والعدوان وقرى عدوا وذلك ان موسى
عليه السلام خرج ببني اسرايل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وقد خرجوا من البحر ومسلكهم باق
على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل اخرهم واولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه
والجمه قال امنت انه اي بانه والضمير للشان وقرى انه على الاستيناف بدلا من امنت وتفسيرا له لا اله الا الذي امنت به بنوا
اسرايل لم يقل كما قال السحرة امنا برب العالمين رب موسى وهارون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرايل به تعالى
للاشعار برجوعه عن الاستعصا واتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة وانا من المسلمين اي
الذين اسلموا نفوسهم لله تعالى اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بنوا اسرايل خاصة واما الجنس وهو داخل فيه دخولا
اوليا والجملة على الاول عطف على امنت وايثار الاسمية لادعا الدوام والاستمرار وعلى الثاني يحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اي امنت
مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلث عبارات حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما
فات ما فات واي ما هوات وقوله عز وجل الان مقول القول مقدر معطوف على قال اي فقيل له الان وهو الى قوله تعالى اية حكاية لما جرى
معه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار والتوبيخ على تاخيره وتعريضه بالعصيان والافساد وغير ذلك
وفي حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكي في صورة الانشا من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روي
ان جبريل عليه السلام دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فانه تاكيد للرد القولي بالرد الفعلي ولا ينافي تعليله بمخافة ادراك الرحمة
فيما نقل انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم فلو رايتني يا محمد وانا اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة
الدنيوية اي النجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته
ما لا يتصور في شان جبريل عليه السلام حتى يلزم من كراهته الرضا بالكفر اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة
الايمان وان كان ذلك في حالة الياس والباس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر
والله الموفق وحق العامل في الظرف ان يقدر موخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اي الان تومن حين
يئست من الحياة وايقنت بالموت وقوله عز وعلا وقد عصيت قبل حال من فاعل الفعل المقدر جي به لتشديد التوبيخ والتقريع على
تاخير الايمان الى هذا الان ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر في دلايله واياته ولا لشي اخر مما عسى
يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصا والافساد فان قوله تعالى وكنت من المفسدين عطف على عصيت
داخل في حيز الحال اي في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والساري الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرايل عن الايمان والاول
عن عصيانه الخاص به فاليوم ننجيك اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان
مراده بالايمان هو النجاة كما مر او نهلكم به اي نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرايل وقرى ننجيك من الانجا وننحيك بالحا من التنحية
اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو
تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرى بابدانك اي
باجزا بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراك علامة وهم بنوا اسرايل
اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى يروون انهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه
مطروحا على ممرهم من الساحل او لتكون لمن ياتي بعدك من الامم اذا سمعوا امر من شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم

على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبريا وعلو السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية
وقرئ لمن خلفك بالقاف اى لتكون لخالقك اية كسائر الايات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف
تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا وفى
تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة
تفظيع حاله كمن تقتل لم يجر جسده فى الاسواق او يدار براسه فى البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من
اية اى كائنة لمن خلفك وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلى جىء به عند الحكاية
تقريرا لمضمون الكلام المحكى ولقد بوانا بنى اسرائيل كلام مستانف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال
واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اى اسكناهم وانزلناهم بعدما انجيناهم واهلكنا اعداءهم مبوا صدق اى منزلا صالحا مرضيا وهو
الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التى باركنا ورزقناهم من الطيبات اى اللذائذ فما اختلفوا فى امور دينهم حتى جاءهم العلم اى الا بعد
ما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم باحكامها او فى امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته
فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت فى شك اى فى شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما
هو تعليق شىء بشىء من غير تعرض لامكان شىء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما انزلنا اليك من القصص التى من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بنى
اسرائيل فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فان ذلك محقق عندهم ثابت فى كتبهم حسبما القيناه اليك والمراد اظهار نبوته
عليه الصلاة والسلام بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور فى كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا ووصف اهل الكتاب بالرسوخ
فى العلم بصحة نبوته عليه السلام او تهييجه عليه السلام وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه السلام
ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسال وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب واضرابهم
وقيل الخطاب للنبى عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه
تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسال الذين يقرؤن الكتب لقد
جاءك الحق الذى لا محيد عنه ولا ريب فى حقيته من ربك وظهر ذلك بالايات القاطعة التى لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفى
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه
من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله من باب التهييج والالهاب والمراد
به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغى ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به
وفيه قطع لاطماع الكفرة فتكون بذلك من الخاسرين انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع فى بيان سر اصرار
الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اى ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة كلمت ربك حكمه وقضاؤه
بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى النار كقوله تعالى ولكن حق القول منى لاملان جهنم الخ لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا
انتقاص لقضائه اى لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا فى اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باقيا عنده
الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل اية واضحة مقبولة المدلول لذوى العقول حتى يروا العذاب الاليم لان سبب
ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك
فيكون الاستثناء الاتى بيانا لكون قوم يونس عليه السلام ممن لم تحق عليهم الكلمة لاهتدائهم الى التدارك فى وقته فلولا بمعنى هلا
وقرئ كذلك اى فهلا كانت قرية من القرى المهلكة امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقو

فنفعها

فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها الا قوم يونس استثناء منقطع اى لكن قوم يونس لما امنوا
اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا بعدما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز
ان تكون الجملة فى معنى النفى كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما امنت
طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى لما امنوا استئنافا لبيان نفع ايمانهم ويؤيده
قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم الى حين مقدر لهم فى علم الله سبحانه وتعالى روى ان يونس
عليه الصلاة والسلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا
المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت
خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح
وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى
بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم
الجمعة وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه
اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حى حين
لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت
اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لامن من فى الارض تحقيق لدوران ايمان كافة
المكلفين ايمانا وجودا وعدما على قطب مشيئته تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما
يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون فى تعلقها به غرابة كما هو المشهور اى لو شاء سبحانه ايمان من فى
الارض من الثقلين كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة
التى بنى عليها اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما
لم يشأ الله تعالى ايمانه منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع فى الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل اربك
لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى بناء على
ان الهمزة متاخرة فى الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو راى الجمهور واياما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا فائدة
بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الالجاء خاصة فى انكار الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه وفى ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان
بان الاكراه امر ممكن لكن الشان فى المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان يفعل فى قلوبهم ما
يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء فى المشيئة كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية
ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران الكلى عليها وجودا وعدما اى ما صح وما استقام لنفس من النفوس
التى علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اى بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصت النفوس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل
قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى ما كان لنفس ان تؤمن فى حال من احوالها
الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها
عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التى علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال عن
غيرها ويجعل الرجس اى الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذى هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما فى
فى القبح والاستكراه وقيل هو العذاب او الخذلان المؤدى اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاى اى يجعل الكفر وتبعته
على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والايات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع
فلا يحصل لهم الهداية التى عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة

معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فيأذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الى اخره قل مخاطبا لاهل مكة بعثا لهم على
التدبر في ملكوت السموات والارض وما فيهما من تعاجيب الايات الانفسية والافاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم
الكلمة انظروا اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه
الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا معلقا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز
ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب باسقاط الخافض
وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالتذكير الايات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض
والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الايات والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون
في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي اغنا
تغني الى اخره فالجملة حينئذ اعتراضية فهل ينتظرون اي مشركوا مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اي الا يوما مثل ايام الذين خلوا
من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقايعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل تهديدا
لهم فانتظروا اما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل
عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا
رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير حكاية
التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الى اخره ونظايره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله
عز وعلا كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه لذلك
اي انجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى ننجي المومنين اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه والمراد
بالمومنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما
كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس واثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما
للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشأن ما بلغ اليهم ان كنتم في شك من ديني الذي اعبد الله عز وجل وادعوكم اليه ولم تعلموا ما
هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل
من فنون العذاب فاعلموا انه تخصيص العبادة لله تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة
الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر وان كنتم في شك من صحة ديني
وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على
عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى
من التهديد والتعيير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو
الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا وامرت ان
اكون من المومنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل والعرف بالامداد
السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل كما في قوله امرتك
الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز
وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل
الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة بالدين والاستبداد
فيه باداء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلاة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال حنيفا حال من الدين
او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا

وقوله

وقوله عز وعلا ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده
من الجمل الى اخر الآية متسق لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ووجه ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تأكيد النهي المذكور
وتفصيل لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من دون الله استقلالا لا
ولا اشتراكا ما لا ينفعك ولا يضرك اذا دعوته بدفع مكروه وتقديم النفع على الضر عن بيان السبب فان فعلت اي ما نهيت
عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به تنويها لشأنه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في
ضمن الجملة الشرطية فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر
تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما
كان الا هو وحده فثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع بدفع المكروه المستلزم لعدم
النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه اول مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق
لسلب الضر الوارد في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد بك من الخير فهو دليل على
جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر
على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها او
بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات
وانما الضر انما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولي او اريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه لا
راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الاخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك
في الجانب الاخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي
يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المضمر موضع المظهر لما ذكر
من العناية بابائه قوله عز وجل من يشاء من عباده فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز وعلا وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى
يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لاولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما اوحي اليك يا ايها
الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر انفا من اصول الدين واطلعتم
على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما في مطاويه فانما يهتدي لنفسه اي
منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه
ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عليه السلام من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون
ذلك بواسطته وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم واتبع اعتقادا وتبليغا وعملا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار
من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنافي
واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في
حكمه لاطلاعه على السرائر واطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق بفرعون وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمين آمين

سورة هود عليه السلام مائة واحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول هو
الاظهر كما اشير اليه في سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة
على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه
الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها

على جلايل الحكم البالغة ودقايقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او أُيِّدَت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله
عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فان المراد بالايات جميعها او على خفية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بعضها المشتمل
عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما على تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم
احكم الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه الحكم ايهام ما لا يكاد يليق بشان الايات الكريمة من التداعي
الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى ايات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل
ابنيه سه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلايل
والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير يجعلها ابتداءً لا ابتداءً عن المقام
لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فهما وان كانا تابعين الاحكام
زمانا حيث لم تنزل الايات محكمة مفصلة لا نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة واثارا معتدا بها
وبملاحظة مصالح العباد ... ان يشاء والى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها ابتداءً على معنى تفريق بعضها
عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في غايته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والاثار او فرق في التنزيل منجمة
بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسب ما تقتضيه
الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت اياته ثم فصلت على صيغة
التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل **من لدن حكيم خبير** صفة للكتاب وصف بها بعد ما وصف
باحكام اياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شانه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدا المذكور
او المحذوف او صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلايلها ودقايقها منكرا
بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على
فخامتها وكونها على اكمل ما يكون مما لا يكتنه كنهه **أن لا تعبدوا الا الله** مفعول له حذف عنه اللام مع فقد ان الشرط اعني كونه
فعلا للفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كانه قيل كتاب احكمت اياته ثم فصلت
لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم
الى الايمان بالتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله
انني لكم منه من جهة الله تعالى **نذير** انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله **وبشير** ابشركم بثوابه ان انتم
بدوام تمحضكم في عبادته ولما ذكر شؤون الكتاب من احكام اياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى واورد معظم ما نظم في سلك
العبادة او الامر من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينه اعني الاستغفار والتوبة ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب
مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى
اوردا بالذكر وايدا ايجابه بالخطاب عقب الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للحكم برسالته عليه السلام كذلك
في الذكر لانفكاك احدهما عن الاخر وقد روعي في سوق الخطاب تقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على
الاثبات والتخلية على التحلية لتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله
وارد على لسانه عليه السلام اغراءً لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه عليه السلام قال ترك عبادة غير الله اي الزموه على معنى اتركوا
عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم من جهة الله نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه
على تقدير ترككم وتوحيدكم ولما سيق اليه حديث التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول عليه السلام على وجه الانذار والتبشير شرع
في ذكر ما هو من تتماته على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف البشير والنذير فقيل **وان استغفروا ربكم** وهو معطوف على ان لا
تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية بجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان

مدار

مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل
الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة
على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة له
الفعلية عن معنى المضي والاستقبال **ثم توبوا اليه** عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام
والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه
من التوحيد والاستغفار او تستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل في اثناء تفصيل الايات لا تعبدوا
الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح
لما يعقبه من التمتع وايتاء الفضل بقوله **يمتعكم متاعا حسنا** اي تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف منه الزوايد كقوله تعالى
انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا
لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات **الى اجل مسمى** مقدر عند الله عز وجل وهو اخر اعماركم ولما كان ذلك غاية
لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع اليها مجرى التابيد عادة او لا يهلككم بهلاك الاستيصال **ويؤت كل ذي فضل** في الطاعة
والعمل **فضله** جزاء فضله اما في الدنيا او في الاخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعز فهم حكمته من
بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا اكثر مما تمتع اخر دونه
في الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الاخرة
وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل **وان تولوا** اي تتولوا عما القي اليكم
من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب او لان العذاب قد علق بالتولي عما
ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي **فاني اخاف عليكم** بموجب الشفقة والرافة
او اتوقع **عذاب يوم كبير** هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
اما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدايد
وقد ابتلوا بالقحط الذي اكلوا فيه الجيف واياما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له **الى الله مرجعكم** رجوعكم بالموت ثم البعث
للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره **جميعا** لا يتخلف منكم احد **وهو على كل شيء قدير** فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم
وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم مجري الكتاب على لسان النبي عليه السلام
وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم
الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها
من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه **الا انهم يثنون صدورهم** يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من
التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى خبر مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري
ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وجل **ليستخفوا منه** التجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا
من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعلهم جعله في قود المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك
البحر فانفلق اي فضربه فانفلق ولا يخفى ان السياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدر وبين الاستخفاء ليس كانسياقه
الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق
وعداوة النبي عليه السلام بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك
استهجانا بذكره او ايماء الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما
ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله

عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله عليه الصلاة والسلام ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي عليه السلام فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي عليه السلام لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ تثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلا وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي **الا حين يستغشون ثيابهم** اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين ياوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فانما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي **يعلم ما يسرون** اي يضمرون في قلوبهم **وما يعلنون** اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا باقتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكانه علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان واردا لصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضاء التوكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن ثم سلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغنية عنه بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه وتعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية **انه عليم بذات الصدور** تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها **وما من دابة في الارض الا على الله رزقها** غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه **ويعلم مستقرها** محل قرارها في الاصلاب **ومستودعها** موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبعي ومنشاها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع باماكنها في الممات ولا يلايمه مقام التكفل بارزاقها **كل** من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها **في كتاب مبين** اي مثبت في اللوح المحفوظ

البين

البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه وتعالى محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدا فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدا خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استاثر بعلمه ما يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبايع ومتفاوتة الاثار والاحكام **وكان عرشه** قبل خلقهما **على الماء** ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثار فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما **ليبلوكم** متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معاشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنايع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم **ايكم احسن عملا** فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظري التفكر في بدايع صنايع الملك الخلاق والتدبر في اياته البينات المنصوبة في الانفس والافاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا انما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والقصد الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرايع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللايقة واكمل الاساليب الرايقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقايضها والله اعلم **ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت** على ما يوجبه قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال **ليقولن الذين كفروا** ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم فهو وارد على طريقة الذم **ان هذا الا سحر مبين** اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن

لا بابه عند في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا عن سنن
الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلايمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شي موجود ظاهر لا اصل له في الحقيقة ونفس
البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الاية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتماته لا يتعلمون في الرد ويعدون
ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هو من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع
المخلوقات ابتدا لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله
عما يصفون وقرى حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القايل والى القران على اسلوب شعر شاعر وقرى بالفتح على تضمين
قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى علك في علك اي ولين قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجا والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي
توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يتسارعوا الى اللجاج والعناد ريث
ما قرع اسماعهم بت القول بخلاف ما الفوا والفوا عليه اباهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر وما
فعلوه قاتلهم الله انى يوفكون **ولين اخرنا عنهم العذاب** المترتب على تكذيبهم او العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم
عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قتل جبريل عليه السلام للمستهزءين والظاهر ان المراد به العذاب
الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون **الى امة معدودة** الى طايفة من الايام قليلة
لانها يحصرها العد قليل **ليقولن ما يحبسه** اي اي شي يمنعه من المجي فكانه يريده ويمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال
استهزا لقوله تعالى ما كانوا به يستهزءون ومرادهم انكار المجي والحبس راسا لا الاعتراف به والاستبشار عن حاله **الا يوم ياتيهم**
ذلك **ليس مصروفا** محبوسا **عنهم** على معنى انه لا يدفعه دافع ابدا ان اريد به عذاب الاخرة او لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم
ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول تابع للعامل
فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف لا يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يتقدم المعمول حيث لا يجوز تقدم العامل
كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السايل فلا تنهر فان اليتيم والسايل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا
الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم
معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الاية الكريمة وقول الشاعر

٭ فيابى فما يزداد الا لجاجة ٭ وكنت ابيا في الخنا لست اقدم ٭

وحاق بهم اي احاط بهم **ما كانوا به يستهزءون** اي العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزا وفي التعبير عنه بالموصول
تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنهما بالماضي لوروده على عادة الله تعالى
في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكاينة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرر وقوع المخبر به ما
لا يخفى **ولين اذقنا الانسان منا رحمة** اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها **ثم نزعناها
منه** اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها **انه ليئوس** شديد القنوط من روح الله قطوع رجاه من عود
امثالها عاجلا او اجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به **كفور** عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى
ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصف ياسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل
على ان الياس من فضل الله سبحانه وقطع الرجا عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في الاجل من باب الكفران للنعمة السالفة
ايضا **ولين اذقناه نعماء بعد ضراء مسته** كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعما
بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضرا بالمس المشعر بكونها في ادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها
واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على
احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كانما يلاصق البشرة من غير

تاثير

تاثير واما نزع الرحمة فانما صدر عنه بقضية الحكمة الداعية الى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع
بها **ليقولن ذهب السيئات عني** اي المصايب التي تسوءني ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شان اوليك الاشرار فان الترقب لورود
امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش **انه لفرح** بطر واشر بالنعم مغتر بها **فخور** على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام
بحقها واللام في لين في الايات الاربع موطية للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط **الا الذين صبروا** على ما اصابهم من الضرا سابقا
او لاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضايه **وعملوا الصالحات** شكرا على الايه السالفة والانفة واللام في الانسان اما للاستغراق
الجنس فالاستثنا متصل او للعهد فمنقطع **اوليك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اوليك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة **لهم مغفرة** عظيمة لذنوبهم وان جمت **واجر** ثواب
لاعمالهم الحسنة **كبير** ووجه تعلق الايات الثلث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعما ومساس الضرا فصل من باب الابتلا واقع موقع
التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعما ونزعها مع كونه ابتلا للانسان ايشكر
ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه الى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين
او من حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان
مجبولة على ذلك **فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك** من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له
اذن واعية **وضايق به صدرك** اي عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم في اثنا الدعوة والمحاجة **ان يقولوا** لان
يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح **لولا انزل
عليه كنز** مال خطير مخزون يدل على صدقه **او جاء معه ملك** يصدقه قيل قاله عبد الله بن امية المخزومي وروي عن ابن عباس رضي الله
عنه ان رؤسا مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال اخرون ايتنا بالملايكة تشهد بنبوتك فقال لا
اقدر على ذلك فنزلت فكانه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظايم غير قانعين بالبينات الباهرة التي
كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة
بالتكذيب والاستهزا وتسميتها سحرا مثل حاله صلى الله عليه وسلم بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الايات
الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل **انما انت نذير** ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك
غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول **والله على كل شي وكيل** يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق
بحالهم والاقتصار على النذير في اقصى غاية من اصابة المحز **ام يقولون افتراه** اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما
يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته عليه السلام
وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب والضمير المستكن في افتراه للنبي
عليه السلام والبارز لما يوحى اي بل ايقولون افتراه وليس من عند الله تعالى **قل** ان كان الامر كما تقولون **فاتوا** انتم ايضا **بعشر سور مثله**
في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى
يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايما الى ان وجه الشبه المماثلة في الجميع شي واحد هو البلاغة
المودية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد **مفتريات** صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة
بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافترا فلا يتعلق به غرض يدور عليه شي في مقام التحدي وانما
ذكر على نهج المساهلة وارخا العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في الافترا والمعنى فاتوا بعشر سور
مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني فانكم عرب فصحا بلغا قد
مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقايع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر **وادعوا** للاستظهار
في المعارضة **من استطعتم** والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تاتون وما تذرون والكهنة ومداركم

الذين تلجاؤن الى اراايهم في الملمات لبعد وكم فيها **من دون الله** متعلق بادعوا اي متجاوزين الله تعالى **ان كنتم صادقين** في اني افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور **فان لم يستجيبوا لكم** اي فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله دعا لهم الى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال ۝ وان شئت حرمت النساء سواكم ۝ اوله وللمؤمنين لانه اتباع له عليه السلام في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمانينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل **فاعلموا** اي اعلموا احين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالككم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاشعار بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم متتبع لتنزيل الجزم لعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم **انما انزل** ملتبسا **بعلم الله** المخصوص له بحيث لا يحوم حوله العقول والاوهام مستندا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب **وان لا اله الا هو** اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه احد **فهل انتم مسلمون** اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التنشيه والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول عليه السلام داخلا تحت الامر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجب لكم الهتكم وسائر من اليهم تجارون ومهماتكم وملمات الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر وايراد كلمة الشك حينئذ مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة الهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعا المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعدما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل ومن حيث ان من يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان الهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهه في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القران من عند الله تعالى دخولا اوليا او منقادون للحق الذي هو كون القران من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم الهتهم من باس الله تعالى عز سلطانه هذا والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما سياتي من قوله تعالى فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا **من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها** اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله تعالى **نوف اليهم اعمالهم فيها** وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الاخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك منوط بالمشية الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلق واريد بها ثمرتها فالمعنى توصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله ۝

۝ وان اتاه خليل يوم مسغبة ۝ يقول لا غائب مالي ولا حرم ۝

وهم فيها اي في الحياة الدنيا **لا يبخسون** اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر

الحال

الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا او لا يحرمونها حرمانا كليا واما في الاخرة فهم في الحرمان المطلق والياس المحقق كما ينطق به قوله تعالى **اولئك** فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحياة او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحياة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس **الذين ليس لهم في الاخرة الا النار** لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا اخر فلا جرم لم يكن لهم في الاخرة الا النار وعذابها المخلد **وحبط ما صنعوا فيها** اي ظهر في الاخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة للاخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر وشرط الاعتداد بها الاخلاص **وباطل** اي في نفسه **ما كانوا يعملون** في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شانه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنيه وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او بمعنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن انس رضي الله عنه ان المراد بقوله تعالى من كان يريد اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل لك ذلك وهكذا لغيره ممن يعمل اعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيه القادحون في القران العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه عليه السلام والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القران منزل بعلم الله تعالى وبان لا يقدر على مثله غيره على شيء اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقران والتوحيد والاسلام فقيل **افمن كان على بينة من ربه** اي برهان نير عظيم الشان يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القران وباعتباره او بتاويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى **ويتلوه** اي يتبعه **شاهد** يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه اي ما وقع في بعض اياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له مشاهد بكونه من عند الله عز وجل عبر انه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين في تمسكهم بالقران عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز **منه** اي من القران غير خارج منه او من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقران الواردة من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقران الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم دخولا اوليا وقيل هو النبي عليه السلام وقيل مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل

العقل او بالشاهد القرآن فالضمير في منه لله عز وجل والبينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان النبي
عليه السلام على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاول هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان
اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه
الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامرها الى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز قائلا **ومن قبله
كتاب موسى** على فاعله مع كونه متقدما عليه في النزول فكأنه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من
قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير
في بينة وشاهد للتفخيم **اماما** اي مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى
من تفخيم شأن المتلو **ورحمة** اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيامة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقرآن
العظيم وهما حالان من الكتاب **اولئك** الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من الله وكأن ذلك عبارة عن مطلق
التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التعلم لما سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم **يؤمنون به** اي
اي بصدق قوته حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته **ومن يكفر به** اي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد
الحقة **من الاحزاب** من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله عليه السلام **فالنار موعده** يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا
ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب **فلا تك في مرية منه** اي في شك من
امر القرآن وكونه من عند الله عز وجل حسبما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل تمكن من تمسك به **انه الحق من ربك** الذي
يربيك في دينك ودنياك **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم
ثم في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين
ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم وما لهم يعني ان بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار
توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعدد من هناتهم كأنه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة على
ما ذكر من صفاتهم وعدد من هناتهم كأنه قيل ابعد ظهور حالهم بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والآجل كما في
قوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل
اليك من ربك الحق كمن هو اعمى **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن
ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله تعالى يفترون عليه كذبا وهذا التركيب
وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن القصد به قصدا مطردا انكاره
المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فاذا
قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل **اولئك** الموصوفون بالظلم البالغ
الذي هو الافتراء على الله تعالى وفي هذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم والتفي باسناده اليهم حيث
قيل **يعرضون** لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض
عمله مع غيبته **على ربهم** الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم في اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل **ويقول الاشهاد** عند العرض
من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف **هؤلاء الذين كذبوا على ربهم** بالافتراء عليه
كأن ذلك امر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء
كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضور وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم ذما لهم لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد الى آخره وتوطئة لما يعقبه من قوله **الا لعنة الله
على الظالمين** بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله عز وجل تهويلا عظيما لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم

اللهم

اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤوس الاشهاد **الذين يصدون** اي كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد **عن سبيل الله** عن
دينه القويم **ويبغونها عوجا** انحرافا اي يصفونها بذلك وهو ابعد شيء منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها يقال بغيتك خيرا او شرا
اي طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله **وهم بالآخرة هم كافرون** اي يصفونها بالعوج
والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون ان لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم
به كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم **اولئك** مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير **لم يكونوا معجزين** الله تعالى مفلتين نفسهم
من اخذه لو اراد ذلك **في الارض** مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب **وما كان لهم من دون الله من اولياء** ينصرونهم من بأسه ولكن اخر
ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كأنه قيل وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى
فيكون ذلك بيانا لحال الهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية **يضاعف لهم العذاب** استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ ابن
كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد **ما كانوا يستطيعون السمع** لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كأنهم لا يقدرون على السمع ولما
كان قبح حالهم في عدم اذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالابصار بالغ في
نفي الاول عنهم حيث نفي عنهم الاستطاعة واكتفي في الثاني بنفي الابصار فقال **وما كانوا يبصرون** لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة
في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا لتضاعف العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا يبصر
بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعاه عليهم من اول الامر سوء العاقبة **اولئك** المنعوتون بما
ذكر من القبائح **الذين خسروا انفسهم** باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه **وضل عنهم ما كانوا يفترون** من الآلهة
وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة **لا جرم** فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا
نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعل والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق **انهم في الآخرة هم الاخسرون** وهذا
مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من
ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون وايا ما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر
فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان
يريد الحياة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة للاخسرين
فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم وما لهم شرع في بيان حال
اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة
من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقيل **ان الذين آمنوا** اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده
من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في
الانفس والآفاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع **وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم** اي اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته
بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كأتهم وانجد دخل في تهامة ونجد **اولئك** المنعوتون
بتلك النعوت الحميدة **اصحاب الجنة هم فيها خالدون** دائمون وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل **مثل
الفريقين** المذكورين اي حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات **كالاعمى والاصم والبصير والسميع**
اي كحال هؤلاء فكونوا ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير
والسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب الى ما اشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع
وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على ان
تكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم وايا ما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها امر التشبيه ما يلائم الاحوال

المذكورة المعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة ايات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين
الاعتبار وتصامهم عن استماع ايات القران الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم
فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لاجمعه
الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يودي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم
في الاخر فان ذلك ينزع الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب
ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فيشبه بهيئة منتزعة من فقد مشعري البصر والسمع فتخبط
في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في ايات الله تعالى حسبما
ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه
هل يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري مذكر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة الاية
مثلا اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اي اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او اتغفلون عنه
فلا تتذكرونه بالتامل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا
الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بحال الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون ومعنى الهمزة
انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه
وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انه كتاب محكم
الايات مفصلها نازل في شان التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وتعالى وان الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقدر في
تضاعيف ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد المحققة الدالة
على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول عما عداه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقران
تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عليه السلام والمومنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في
تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتاكد
ذلك بطريقين احدهما ان ما امروا من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبيا قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى بما شاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدايد من جهتهم
فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدايية واللام جواب قسم محذوف وحرفه الباء لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع
واوان ولا يكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك
ابن متوشلح بن ادريس عليه السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنه بعث عليه السلام على راس اربعين من عمره ولبث
يدعو قومه تسعماية وخمسين سنه وعاش بعد الطوفان ستين سنه وكان عمره الفا وخمسين سنه وقال مقاتل بعث وهو ابن ماية سنه
وقيل وهو ابن خمسين سنه وقيل هو ابن ماتين وخمسين سنه فكان عمره الفا واربعماية وخمسين سنه اني لكم نذير بالكسر على ارادة
القول اي فقال او قايلا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكساي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم
نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه الصلاة
والسلام نذيرا لا لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا ترى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السما عليكم مدرارا الاية بل لانهم لم يغتنموا مغانم ابشاره عليه السلام مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص
منه لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للحذر منه فيتعلق صفته بكلا وصفيه ان لا تعبدوا الا الله اي بان
لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض

اوصافه واحواله عليه السلام وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق
بين الكتاب ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله عليه السلام وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في
صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذير او مفعول لمبين وعلى
قراة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيامة او يوم الطوفان ووصفه
بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نحو نهاره صايم وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عليه السلام في اثنا الدعوة على
ما عرى الله وفي اثنا السور لما لم تصدر عنه عليه السلام مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق قوله
تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعده جوابهم المتعرض لاحوال
المومنين الذين اتبعوه عليه السلام بعد اللتيا والتي بالفاء التعقيبية فقيل فقال الملا الذين كفروا من قومه اي الاشراف
منهم من قولهم فلان ملي بكذا اي مطيق له لانهم ملاوا بكفايات الامور او لانهم ملئوا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملا
بالاحكام والارا الصايبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك
الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرايناه
لا ان ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي فالفعلان من روية
العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على جاله او بتقدير قد عند من
يشترط ذلك ويجوز ان يكون من روية القلب وهو الظاهر فيهما المفعول الثاني وتعلق الراي في الاول بالمثلية لا بالبشرية
فقط وانما لم يقولوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ارادة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التامل في الامر
والتدبر فيه وكذلك اقتصروا على ذكر فيما سياتي وتعريضا من اول الامر براى المتبعين فكان قولهم وما نراك جوابا عما يرد عليهم
من انه عليه السلام ليس مثلهم حيث عاين دلايل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هولا اراذلنا اي
اخساونا واداينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع رذل كالكالب واكلب وكلب
يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة راي وقد كان ذلك منهم في بادي الراي اي ظاهره من غير تعمق
من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قراه ابو عمرو بها وانتصابه على الظرفية على حذف
المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة لتقوهم فانهم
لما لم يعلموا الا ظاهر الحياة الدنيا كان الاحرف الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله
جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى لكم
اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغايبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة
تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم روية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق
واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا
لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم
الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام بطريق الارادة على نهج الانصاف قال يا قوم ارايتم اي اخبروني وفيه ايما الى ركاكة رايهم
المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز ان
يكون هي البينة نفسها جي بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله
فعميت عليكم حينيذ ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منها او لكون الضمير
للبينة والاكتفا بذلك لاستلزام خفايها خفا النبوة او لتقدير فعل اخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت وقرى عميت ومعناه

خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل بصيرة وبصيرة تجعل عميا لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم
على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارايتم وساد مسد جواب الشرط وقرا ابو
عمرو باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله فسيكفيكهم
الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي
الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره
يشعر بصدوره عنه عليه السلام بطريق اظهار الياس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الى اخره لكنه
محمول على ان مراده عليه السلام ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بطريق الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى
الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وحسبه تمتاز افراد البشر بعضها عن بعض
وبه مناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتبا للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وتخفيتها على الكفرة على ان يكون الضمير
للبينة لعدم ادراكهم لكونه عليه السلام عليها وبالرحمة النبوة لا يبال الامر له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه دونهم
اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي واتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم
تنالوها حتى تجزموا بكوني عليها الى الان حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون
لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبههم التي ادرجوها
في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأنه ارائهم الركيكة ويا قوم لا اسألكم
عليه اي على ما قلته في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على
الله الذي يثيبني في الاخرة وفي التعبير حين نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم
انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك انفة من الانتظام معهم في
سلك واحد انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عن طردهم اي انهم فائزون في الاخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا
ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او
مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من
ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما يعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق على قلوبهم واتعرف
سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ياباه الجزم بترتب غضب الله عز وجل على طردهم كما سياتي وايضا انهم قالوا ان اتباعهم
لك انما هو بحسب بادي الراي بلا تامل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمواخذة في الاخرة غايته ان لا يكونوا في
مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الراي يودي الى الرجوع عنه عند التامل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون
على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى ولكني اراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل وبمنزلتهم عنده
وباستحقاق طردهم لغضب الله كما سياتي وبركاكة رايهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في مسلك واحد
وزعمهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او تتسافهون على المؤمنين
بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول سخطه علي ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا
لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان لا سيما عما قدم وما يلوح به من احوالهم فكانه قيل من يدفع عني غضب
الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى افلا تذكرون اي اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل
المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تاتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة
على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم ولا اقول لكم حين ادعي النبوة عندي خزائن الله اي رزقه

واموال

واموالة حتى تجدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان تنال باسباب
دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اي لا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم
اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست
من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا
الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم كما تقولون للذين
تزدري اعينكم اي تستحقرهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الذي الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا
الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شانهم ما فعلوا ذلك اي لا اقول في شان الذين استرذلتموهم
لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الاخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيري الدارين ان قلت هذا القول مما يستنكره
الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة او استتباعا كادعاء الملائكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه
عليه السلام عن نفسه بطريق التبري والتنزه عنه فما وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم ٥
الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تتبع الامور المذكورة وانها لا تتسنى ممن ليس على تلك الصفات وان
العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من داب الاراذل فاجابه عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك
الاشيا من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور
مع انه عليه السلام جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع
القوم واكتفا بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني
اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة اني اذا اي اذا قلت ذلك لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص
حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت
شيئا مما ذكر من ادعاء الملائكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في
زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيته بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بتعدد وقوع
اصله فلذلك عطف بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولما حجهم عليه السلام وابرز لهم
بينات واضحة المدلول وحججا تتلقاها العقول بالقبول والقمهم الحجر برد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل
وقالوا فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون
المراد باليوم يوم القيامة ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما ياتيكم به الله ان شاء يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما
يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الذي كفرتم به وعصيتموه ياتيكم به عاجلا او اجلا ان تعلقت به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى
من تهويل الموعود فكانه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين بالهرب
او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من فعل او قول وحقيقته اخلاص
ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم شرط جوابه
حذف لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى ان كان
الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا اذا ذهب اليه البصريون من عدم تقديم
الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط
الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وانبا بان ما سبق منه ليس بطريق
الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم ولانه لم يال جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله ٥

المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوايهم وتقييد عدم النصح بارادته مع انه محقق لا محالة
للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوايهم وانما
اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وعلا حيث دل ذلك على
ان نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوايهم فكيف عند تحقق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار
بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة لا للدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا
من قوله تعالى انما ياتيكم به الله ان شاء اعلاما لهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال
وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى
اذا بشم وهلك **هو ربكم** هو خالقكم ومالك امركم **واليه ترجعون** فيجازيكم على اعمالكم لا محالة **ام يقولون افتراه** قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما يعني نوحا عليه الصلاة والسلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل **قل**
يا نوح **ان افتريته** بالفرض البحت **فعلي اجرامي** اثمي ووبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ونصره ان فسره الاولون
بآثامي **وانا بريء مما تجرمون** من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا عليه السلام
ومعناه بل ايقول مشركو مكة افترى رسول الله عليه الصلاة والسلام خبر نوح فكانه انما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها
تحقيقا لحقيتها وتاكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بين نبيه عليه الصلاة
والسلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم **واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك** اي المصرين على
الكفر وهو اقناط له عليه السلام من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه **الا من قد آمن** الا من وجد منه ما كان يتوقع من
ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد سلف **فلا تبتئس بما كانوا يفعلون** اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم
بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام **واصنع الفلك**
ملتبسا **باعيننا** اي بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في
الصنعة **ووحينا** اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله
تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما
للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بامره
تعالى ووحيه من شانه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه السلام في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت من خشب
الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي
البطن الاعلى جبر البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب
والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وقال
الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا يشهد
السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله
اعلم قال هذا كعب بن حام قال وضرب بعصاه فقال قم باذن الله تعالى فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له
عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال
كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال
عد باذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا **ولا تخاطبني في الذين ظلموا** اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه
من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه اكد التعليل فقيل **انهم مغرقون** اي محكوم عليهم
بالاغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين **ويصنع**

الفلك

الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك او قيل يصنعها فاقتصر على يصنع
وايا ما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تعالى **وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه**
استهزؤا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه
كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت
نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما راوا
اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل
المشاق التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك **قال ان تسخروا منا** مستجهلين لنا فيما نحن فيه **فانا نسخر منكم** اي
نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام سخرية من المؤمنين ايضا
او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم
الى آخره فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه
السلام اياهم بذلك والا فعده عليه السلام اياهم جاهلين فيما ياتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه عليه السلام
لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة
حسب تجدد مرورهم منه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الى آخره بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية
كما يؤذن به الاستئناف فكان سائلا سال فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي تستجهلونا
فيما نحن بصدده من التاهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهد وتسخروا منا لاجله فانا نستجهلكم فيما انتم فيه
من الاعراض عما يستدفعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها
استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل **كما تسخرون** اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر
عن ملأ بعد ملأ لا في الكيفيات والاحوال التي لا تكون تليق بشان النبي عليه السلام فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في
المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس
السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا سداد له لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتامل **فسوف تعلمون**
من ياتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق **ويحل عليه** حلول الدين المؤجل **عذاب مقيم** هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن
عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان
جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت
الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من ياتيه
العذاب يعني ان ما باشرته ليس فيه عذاب لاحق لي فسوف تعلمون من العذاب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه ووصف العذاب
بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل
وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة **حتى اذا جاء امرنا** حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك
غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب
وسخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان القصد بيان تناهيهم في ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم
لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام **وفار التنور** نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها
والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما
نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة
وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام يقال

له عين ورووده وعن ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه
وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر **قلنا احمل فيها** اي في السفينة وهو جواب اذا **من كل** اي من كل نوع لا بد منه في الارض
زوجين اثنين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك
الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للاخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المومنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه
يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه عن بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل
من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى
فيجعلها في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لانه انما تحمل مباشرة البشر وهم انما يدخلونها
بعد حملهم اياها **واهلك** عطف على زوجين او على اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم **الا من سبق عليه القول** بانه من المغرقين
بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الاية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثنا منقطع
ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثنا المعلومية عند المراجعة
الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجي بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جي باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى **ومن آمن** من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثنا المذكور وايثار صيغة الافراد
في من محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قايلا **وما آمن معه الا قليل** قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام
واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحاق كانوا عشرة رجال وخمسة نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل
كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار
المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة **وقال** اي نوح عليه السلام لمن معه من المومنين كما ينبي عنه قوله تعالى ان ربي
لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله سبحانه وتعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كانه
قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك وقال للمومنين **اركبوا فيها** كما سياتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شي
متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله هاهنا بكلمة في ليس لان المامور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام
حمل الوحوش ونظايرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية
في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شي له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول
يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز وجل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول
بكلمة في فيقال ركب في السفينة وعليه الاية الكريمة وقوله عز قايلا فاذا ركبوا في الفلك فاذا ركبا في السفينة خرقها **بسم الله** متعلق
باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين الله تعالى او قايلين بسم الله **مجراها ومرساها** نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها
على انهما اسما زمان او مصدران كالاجرا والارسال بحذف الوقت كقولك اتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصابا بما في بسم الله من معنى
الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها مستقلة من مبتدا وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا
فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب ثم
اخبرهم بان اجراها وارساها بسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا اراد ان يجريها يقول بسم الله فجرت
واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما واريد بالله اجراؤها
وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز وجل ومجراها ومرساها بفتح الميم
مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسى **ان ربي لغفور** للذنوب والخطايا **رحيم** لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية
العامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله تعالى وغفرانه ورحمته على ما عليه راي
اهل السنة **وهي تجري بهم** متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري وهم ملتبسة بهم **في موج كالجبال** وهو ما ارتفع

من

من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولين صح ذلك فهذا الجريان
انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى **ونادى نوح ابنه** فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة
والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعا الى السفينة والجواب بالاعتصام
بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وما نقل عن انه كان لغير رشده لقوله تعالى فخانتاهما
فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبيا صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما
المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا ملابسة للاستدعا
الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع من جهته باس بعد **وكان في معزل** اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لا
يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك
دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه وظن انه مومن وقيل يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه عند
مشاهدة تلك الاحوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول ايضا
في كونه ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك **يا بني** بفتح اليا اقتصارا عليه من الالف المبدلة من يا
الاضافة في قولك يا بنيا وقرئ بكسر اليا اقتصارا عليه من يا الاضافة او سقطت اليا والالف لالتقا الساكنين لان الراء بعدها
ساكنة **اركب معنا** قرا ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام البا في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عند ذكر الفلك لتعينها
وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغنا المعية عن ذلك **ولا تكن مع الكافرين** اي في المكان وهو وجه
الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد
التحذير عن المهلكة فلا يلايمه النهي عن الكفر **قال ساوي الى جبل** من الجبال **يعصمني** بارتفاعه **من الما** زعما منه ان ذلك كساير
المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى واني له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما
كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجا الى ملجا المومنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال
ويصرفه عن ذكر الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما من الما بان يقول
لا يعصمك منه مفيدا النفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف اصلا لكنه عليه السلام حيث **قال لا
عاصم اليوم من امر الله** سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيها ديار ولا مجيب اي احد
من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كساير الايام التي تقع فيها الوقايع وتلم
فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجا الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الما في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي
اشير اليه حيث قيل حتى اذا جا امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه كساير المياه التي
يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة
في جناب الله عز جاره بالاستثنا كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل **الا من رحم** تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير
وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق
ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعليل بما لا يغني عنه شيا وارشاده الى العياذ
بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله
وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى **فكان من المغرقين** اذ هو
انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجي اليه
موج وفيه دلالة على هلاك ساير الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراده كان دون صار مبالغة

في كونه منهم وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له من ازدرا الحيوان ما يا كله للدلالة علي ان ذلك ليس كالنشف المعتاد
التدريجي ماءك اي ما علي وجهك من ما الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالما بعد ما عبر عنه فيما
سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتعجيل لا بقا ومرام التهويل والتفخيم ويا سما اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر
يقال اقلعت السما اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت وغيض الما اي نقص ما بين السما والارض من الما وقضي الامر
اي انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجايه باهله او اتم الامر واستوت اي استقرت الفلك علي الجودي هو
جبل بالموصل او بالشام او بآمل روي انه عليه الصلاة والسلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصار
ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعلية للهلاك
ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقد بلغت الاية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت
من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام
في هذا الباب ونفوض الامر الي تامل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه اي اراد ذلك بدليل الفا في قوله
تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاهم في ضمن الامر بحملهم في الفلك او الندا علي حقيقته والفا للتفصيل ما فيه
من الاجمال وان وعدك الحق اي وعدك ذلك او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا
اوليا وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم علي ان الحاكم من الحكمة كالدراع من الدرع
وهذا الدعا منه عليه السلام علي طريقه ايوب عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان
دعاوه عليه السلام بتذكير وعده حصل ذكره مبنيا علي كون كنعان من اهله نفي اولا كونه منهم بقوله تعالى انه ليس من اهلك
اي ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المومن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم
في الفلك لخروجه عنهم بالاستثنا وعلي التقديرين ليس هو من الذين وعدنا انجاهم ثم علل عدم كونه منهم علي طريقة الاستيناف
التحقيقي بقوله تعالى انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء
فانما هي اقبال وادبار واثار غير صالح علي فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق علي ما فسد ومن شانه الصلاح فلا يكون نصا
فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هي لصلاحه وقرا الكسايي ويعقوب انه عمل غير
صالح اي عمل عملا غير صالح ولما كان دعاوه عليه السلام مبنيا علي ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفي ذلك وحقق ببيان علته
فرع علي ذلك النهي عن سوال انجايه الا انه جي بالنهي علي وجه عام فيدرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسالني اي اذا وقفت
علي جلية الحال فلا تطلب مني ما ليس لك به علم اي مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة علي تقدير كون ما عبارة
عن المسوول الذي هو مفعول للسوال او طلبا لا تعلم انه صواب علي تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون
النهي واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك به علم بانه صواب او غير صواب فيكون
النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما
ذكرناه وهذا كما ترى صريح في ان ندايه عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم انجا ابنه مع سبق وعده بانجا
اهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما لم يعلمه غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشي داع الي الاستفسار عنه لا الي
تركه مع ان عامة لا انجا انه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما لتقريبه الي الفلك بتلاطم الامواج او بقربها اليه وقيل
بانجايه في قلة الجبل وباباه تذكير الوعد في الدعا فانه مخصوص بالانجا في الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ومجرد
حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجا اهله ولم يكن
ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه السلام ان يدعوه الي الفلك او يدعو اربه لانجايه واعتزاله عنه عليه السلام وقصده
الالتجا الي الجبل ليس نصا في الاصرار علي الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري

مجراه او لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله سآوي الي جبل يعصمني من الما بعد ما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع
الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او ستاوي او يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين
ربما يشعر بانواره من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره به نوح عليه السلام الا انه عليه السلام لو تامل في شانه
حق التامل وتفحص عن احواله في كل ما ياتي ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمومن وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل اني اعظك
ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسالن بغير يا الاضافة وبالنون الثقيلة بيا وبغيريا قال رب
اني اعوذ بك ان اسالك اي اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه
صواب سوا كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير صواب علي ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه
وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهار الرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان
يقول اتوب اليك ان اسالك لما فيه من الدلالة علي كون ذلك امرا هايلا محذورا لا محيص عنه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته
قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لي ما صدر عني من السوال المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالا
بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعدا والاشتغال
بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع الي الله تعالى في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين
وتاخير ذكر هذا الندا عن حكاية الامر الوارد علي الارض والسما وما يتلوه من زوال الطوفان وقضا الامر واستوا الفلك علي
الجودي والدعا بالهلاك علي الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ
يتصور الدعا بالانجا لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلال التعرض بهم هو جعل قرابة الدين غامرة القرابة النسب وان لا
تقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا علي ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها علي ذكر القتل الذي هو
اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها فقلنا اذبحوا البقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير
الترتيب هناك للدلالة علي كمال سو حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع علي حدة فقوله
تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الاية لتقريعهم علي الاستهزا وترك المسارعة الي الامتثال وما يتبع
ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الي اخره للتقريع علي قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة علي ترتيبها
لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا
وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الي اخره لا يفوت علي تقدير سوق الكلام علي ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر
هذا الندا كما ترى مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عليه السلام المودي ذكرها الي قبولها في ضمن الامر الوارد
بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام والبركات الفايضة عليه وعلى المومنين حسبما سيجي مفصلا ولا ريب في ان هذه المعاني اخذ
بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الايات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك
انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا الندا وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه
النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فايدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر الي ان يرد قوله انه ليس من اهلك الخ
انه يجوز بدعايه عليه السلام فنص علي هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد علي الارض والسما الذي هو عبارة عن تعلق الارادة
الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وجريان قضايه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا
بتمام الطوفان واستوا الفلك علي الجودي قصة القصة الي هذه المرتبة وبين ذلك اي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما
جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عليه السلام قبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك وقرئ
بضم البا بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره كاينة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام علي نوح في العالمين وبركات عليك
اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول

توبة وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات عليه في كل ما ياتي وما يذر وعلى امم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن
ابتدائية والمراد الامم المومنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة وامم سنمتعهم اي ومنهم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان
ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا
عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الاخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما عليهم ومباركا صريحا وانما
يعمهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كونهم ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى هم الذين معك
وانما سموا امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة اولان جميع الامم انما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله
تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيمة ويبقى امر الامم المومنة الناشئة منهم
بها غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبره المحذوف خفا لان من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية
او ابتدائية فتامل ثم يمسهم اما في الاخرة او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مومن و
مومنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم
ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى ما قص
نوح عليه السلام تاما لكونها بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدا خبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليست
من قبيل سائر الانبا بل هي ليست وحدها منفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك وهو اخير
ومن انبا متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انبا اي موحاة اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر
اخراء مجهول عندك وعند قومك من قبل هذا اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من
قبل هذا الوقت او حال من ها في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عليه السلام لم يتعلمه
اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر متفرع على الايحا او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك
كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك الى اخره ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الاخرة للمتقين كما شاهدت في نوح عليه السلام وقومه ولعلك ولك فيه
اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله عليه السلام وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في اقصى درجات
التقوى والمومنون كلهم متقون مما يسليه عليه السلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على
تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
ويجوز ان يراد الدرجة الثانية منه وهي ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطاهر
بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للمتقين
للصابرين والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا
الى عاد واخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر
وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم
وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالح بن ارفخشد بن
سام بن نوح بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه به قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام
اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله
تعالى ما لكم من اله غيره فانه استئناف يجري مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا
به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام

شركا

شركا له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا
على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التاثير
وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا
يتاتى الا بجريان على موجب امره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا تعقلون اي اتغفلون عن هذه
القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او اتجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلا
ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا
التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السما اي المطر عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم
قوة مضافة ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم
القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا
تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على
صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي الهتنا اي بتاركي
عبادتها عن قولك اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته
على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
اباؤنا وما نحن لك بمومنين اي بمصدقين في شيء مما تاتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة وفيه
من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض
الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره
ان انتم الا مفترون والتنكير في سو للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض الهتهم دون كلها والجملة مقول
القول والا لغو لان الاستثنا مفرغ وهذا الكلام مترتب لما مر من قولهم وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمومنين فان اعتقادهم
بكونه عليه السلام كما قالوا وما شاؤوه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل
بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه
ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريق المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه
بالبينة مع احتمال كونه ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وان لم تكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله
عليه السلام وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه
السلام بقولهم وما نحن لك بمومنين مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما
قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله اي
من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسما سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما
تشركونه من الهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقا المبنية على اعتقاد كون الهتهم مما يضر وينفع وانها بمعزل عن ذلك ولما كان
ما وقع اولا منه عليه السلام في حق الهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها
وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها مسته عليه السلام بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق
وصدع به حيث اخبر ببراءته القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا
به استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع الهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض الهتنا والتعاون في
ايصال الكيد اليه عليه السلام ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم
به من كون الهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي

ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفا لتفريع الامر على زعمهم في قدرة الهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كلتيهما وهذا من اعظم المعجزات
فانه عليه السلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم والهتهم
وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب المعارة والمعازة فلم يقدروا على مباشرة شي مما كلفوه وظهر
عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجا الى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني
انكم وان بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شي مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وانما جي بلفظ الماضي لكونه ادل على الانشا
المناسب للمقام واوثق بكلائي وحفظي من غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شي ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيته ثم برهن
عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها بصير فيها كيف يشا غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل
لذلك ان ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم
علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفا لظهور المراد واما
لان قابلية كونه تعالى مالكا لهم ايضا راجعة اليه عليه السلام فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التائين اي ان تستمروا على ما كنتم
عليه من التولي والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا
التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما اخرين
او عطف على الجواب بالفا ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف
مكانكم اخرين وفي اقتصار الرب عليه السلام رمزا الى اللطف به والتدبير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالته
ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ان ربي على كل شي حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او
حافظ مستول على كل شي وهو الحافظ للكل ولما جا امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله
بالمجي لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورد امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة عظيمة كائنة
منا وهي الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق والهداية اليه ونجيناهم من عذاب غليظ اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ
وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا
عذاب اغلظ منه واشد وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجي الامر لكن جي بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد اي انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم
واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها بعد ان استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود عليه السلام
تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق
كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالايات ما اتى به هود وغيره من الانبيا عليهم السلام وفيه زيادة ملايمة لما
تقدم من جميع الايات وما تاخر من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل
فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف لبيان كما سبق من جحود الايات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد منهم
فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤسا وعنيد فعيل من عند عندا وعنودا وعنادا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى به
واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك
بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساهم يعني
انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك لعنة جزا لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيمة اي اتبعوا يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذف
لدلالة الاولى عليها وللايذان بكون كل من اللعنتين نوعا براسه لم يجمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة
كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة
والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم جحدوا على نقيضه الذي

هو الشكر او جحدوه الا بعدا لعاد دعا عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاكا تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب
الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فايدته
التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايما الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه والى
ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر
ابن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الما القليل وصالح عليه السلام هو ابن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد
ابن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسال ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال
يا قوم اعبدوا الله اي وحده وعلل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثم زيد فيما بعثهم على الايمان والتوحيد وحثهم على زيادة الاخلاص
فيه بقوله هو انشاكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فقصر قلب او قصر افراد فان خلق ادم عليه السلام منها خلق لجميع
افراد البشر منها لما مر مرارا من ان خلقته عليه السلام لم يكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته
التي ستوجد الى يوم القيامة انطوا اجماليا وقيل ان خلق ادم عليه السلام وانشا مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب
انشا لجميع الخلق من الارض فتدبر واستعمركم فيها من العمر اي عمركم واستبقاكم فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها او امركم بها
وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لمن بعدكم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا
يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ذلك ما يوجب ذلك فقيل ان ربي قريب اي قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب
من المحسنين مجيب لمن دعاه وساله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار
والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتاخرة عنهما في الوجود من الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى
منك من دلايل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك
على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة
الالهة او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الان على ياس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالان قد انصرم عنك رجاؤنا
وقرا طلحة مرجوا بالمد والهمز اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اي يعبدون والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة مريب اي موقع في الريبة اي
قلق النفس وانتفا الطمانينة او من اراب اذا كان ذا ريبة واسنادها في الاسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال
يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي امري واتاني منه
من جهته رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الامور لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن
المحاورة لاستنزالهم من المكابرة فمن ينصرني من الله اي منجيا من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفا لترتيب انكار
النصرة على ما سبق من ايتا النبوة وكونه على بينة من ربي على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى ان عصيته اي بالمساهلة
في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تاتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شانه ابعد والمواخذة عليه الزم وانكار الصورة فما
تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبي عنه قولكم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي لا تعبد ونبي اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى
تزيدوه غير تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى
الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفا لترتيب عدم الزيادة على انتفا الناصر المفهوم من انكاره على تقدير
العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتا النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف
والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم اية معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله
والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من اية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تاخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من

هذه او عطف بيان ولكم خبر او حالا في آية فذروها تأكل في أرض الله ترع نباتها وتشرب ماءها واضافة
الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها ولا تمسوها بسوء مبالغ في النهي عن التعرض لها
بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء
فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاتبة ناقة عشراء
مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في
العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره
فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا
اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم او في الدنيا ثلاثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا
مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من
نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور
كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كأن الواعد قال له أفي بك فإن وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه
مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه
متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين
برحمة ورأفة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على
معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة كما فسر به العذاب
الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيامة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب
المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب
لرسول الله عليه الصلاة والسلام هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء
لا سيما عند الانبياء بحلول العذاب اليهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالعلية لنزول العذاب بهم الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها
صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت
عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهوى فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى
لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى
ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح
من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم
الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اي كأنهم لم يقيموا فيها
في بلادهم او في مساكنهم وهو في موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمودا وضع موضع المضمر
لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفي النجم وقرأ حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه
معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرأ

الكسائي

الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انهم جبريل عليه السلام وملكان
وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدي
احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى
دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا
الى قوم لوط وانما جاءه لداعية البشرى ولما كان المقصد في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق
العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه السلام ممن حق بهم العذاب بل انما حق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد
فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اي
ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحاق الآية وقوله وبشرناه بغلام
حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع
المجادلة على مجيئها كما سيأتي وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام في شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف
تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اي سلمنا
او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اي قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اي عليكم سلام او سلام عليكم
حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحذر في حرام وقرأ ابن ابي عبلة قال سلاما ومنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث اي ابراهيم ان جاء
بعجل اي في المجيء به او ما لبث مجيئه بعجل حنيذ اي مشوي بالرضف في الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت الفرس
اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره
بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم
في اللحم ولا تصل اليه ايديهم هذا الانكار منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية
عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا ترى الى قوله تعالى في سورة الذاريات سلام قوم
منكرون واوجس منهم اي احس واضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول
الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لانه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم
وتحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما رأوا منه
مخايل الخوف ازالة له منهم بل بعد اظهاره عليه السلام قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك هاهنا اكتفاء بذلك
انا ارسلنا ظاهره انه استئناف في معنى التعليل للنهي المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين
يوجب امنهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى فما خطبكم ايها المرسلون قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر
بحيث تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت
سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها تقول لابراهيم
اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ
بفتح الحاء فبشرناها باسحاق اي عقبنا سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحاق يعقوب بالنصب على انه
مفعول لما دل عليه قوله بشرناها اي وهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الظرف اي من بعد
اسحاق يعقوب مولود او موجود او كلا الاسمين داخل في الاشارة ليحيى او واقع في الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه
البشارة هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام
عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استئناف ورد جوابا عن سؤال من سأل وقال فما فعلت

اذا بشرت بذلك فقيل قالت **يا ويلتا** اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من يا الاضافة كما في يا لهفا
ويا عجبا وقرا الحسن على الاصل واما لها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك وقيل هي الف الندبة
ويوقف عليها بها السكت **االد وانا عجوز** بنت تسعين او تسع وتسعين سنة **وهذا** الذي تشاهدونه **بعلي** اي زوجي واصل
البعل القائم بالامر **شيخا** وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرى بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف اي هو شيخ او هو خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في االد
لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي االد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان
مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز فاوهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها
صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى
من المحذور واقتصارها على الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق
بها استبعاده **ان هذا** اي ما ذكر من حصول الولد ممن هو من مثلنا **لشيء عجيب** بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين
عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها في ضمن
الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى **قالوا اتعجبين من امر الله** اي قدرته وكلمته او
تكوينه او شانه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والايات ومظهر المعجزات والامور التي
رقت للعادات فكان حقها ان توقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الحقيقية
ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لاسيما على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند
الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله وتحمده وتمجده والى ذلك اشاروا بقوله تعالى **رحمة الله** التي وسعت كل شيء واستتبعت
كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها **وبركاته** اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة
الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليه السلام **عليكم اهل
البيت** نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم
حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف علل به انكار
تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شيء قدير ولستم بالاهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر
الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة
لازمة لكم لا تفارقكم **فلما ذهب عن ابرهيم الروع** اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم
والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض غب انفصال بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السياق
والسياق وتاخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان بتاخير ما حقه التقديم تبقى النفس مستطرة الى وروده فيتمكن فيها
عند وروده اليها فضل تمكن **وجاءته البشرى** ان فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف ومجي السرور له
للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى **يجادلنا في قوم لوط** اي جادل رسلنا في شانهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار
صورتها او طفق يجادلنا فاظهره واما ان فسرت ببشارة الولد او بما يعمها فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمينان
قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ارايتم لو كان فيها خمسون
رجلا من المومنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها
رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام
ان يكون ابراهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في
شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا

لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شريعة ابراهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما راى من الملائكة
ما راى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه
السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق **ان ابراهيم لحليم** غير عجول على
الانتقام من المسيء اليه **اواه** كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس **منيب** راجع الى الله تعالى والمقصد بتعداد صفاته الجميلة بيان
ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة **يا ابراهيم** اي قالت الملائكة يا ابراهيم **اعرض عن هذا** الجدال انه اي الشان **قد جاء
امر ربك** اي قدره الجاري على وفق قضائه الاولي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات
على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر **وانهم اتيهم عذاب غير مردود** لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما
ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضي الله عنه انطلقوا من عند ابراهيم عليه السلام الى لوط عليه السلام وبين القريتين اربعة
فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك **سيء بهم** اي ساء مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن
مدافعتهم وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو وسيء وسيئت باشمام السين الى الضم روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى
يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد
بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته واخبرت به قومه وقالت ان
في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط **وضاق بهم ذرعا** اي بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض عن
العجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المراد وكانه قدر البدن مجازا
اي انه بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى
ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذراع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل تقاصر
عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر **وقال هذا يوم عصيب** شديد من عصبه اذا شده **وجاءه** اي لوطا
وهو في بيته مع اضيافه **قومه يهرعون اليه** اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله
ومن قبل اي من قبل هذا الوقت **كانوا يعملون السيات** اي جاؤا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى
لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين **قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم** فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن
من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي عليه السلام ابنته من عتبة
ابن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وايا ما كان فقد اراد به وقاية
ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهارا
لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار
العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه **فاتقوا الله** بترك
الفواحش او بايثارهن عليهم **ولا تخزون في ضيفي** اي لا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه ولا تخجلوني من الخزاية وهو الحياء
اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح **قالوا** معرضين عما نصحهم من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن
اخزائه مجيبين عن اول كلامه **لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة
بيننا وبينك وما عرضك الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك **وانك لتعلم ما نريد** من اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم
عما هم عليه من الغي **قال لو ان لي بكم قوة** اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى **او اوي الى ركن شديد** عطف على ان لي بكم قوة اي لو قويت على دفعكم بنفسي او اويت الى
ناصر عزيز قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي عليه السلام رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد
انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب **قالوا** اي

الرسل لما شاهد واعجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم
ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر
جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا
اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوم سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسرا وقرا ابن كثير
ونافع بالوصل حيث جا في القران من السرى والفا لترتيب الامر بالاسرا على الاخبار برسالتهم الموذنة بورود الامر والنهي من جانبه عز
وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم اي لا يتخلف ولا ينظر الى ورائه احد منك ومن اهلك وانما نهوا عن
ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراه لا يخلو عن ادنى وقفة او ليلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امراتك استثنا
من قوله تعالى فاسر باهلك ويويده انه قرئ فاسروا باهلك بقطع من الليل الا امراتك وقرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى
التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونه عليه السلام غير مامور بالاسرا
بها والرفع كونه مامورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسرا بها حتى يلزم المناقضة
لجواز ان تسرى هي بنفسها كما يروى انه عليه السلام لما سرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر
فقتلها وان يسرى بها عليه السلام من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسرا بها لا النهي عن الاسرا بها حتى يكون عليه
السلام بالاسرا بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثنا الى الالتفات يستدعي بقا الاسرا على العموم فيكون الاسرا بها
مامورا قطعا وفي حمل الاهلية في احدى القراتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف
كر على ما فر منه من المناقضة فالاولى حينئذ جعل الاستثنا على القراتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل
فان ابن عامر قراه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القرا على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل
عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو امطار الحجر وان
لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدا والجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى
من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثنا منقطعا على قراة الرفع ان موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسرا
والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع اليس الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسرا للتباعد
عن موقع العذاب وروي انه قال للملايكة عليه السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا له انما جعل ميقات
هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين فلما جا امرنا اي وقت عذابنا
وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالموتفكات وهي خمس مداين فيها اربعماية الف الف سافلها اي
قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعول اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع
الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي ان جعل
جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السما حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل
والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها على اهل المداين او شذاذهم حجارة من سجيل
من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل معرب وقيل هو من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشي المرسل او مثل
العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد في
السما نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به
عن حجارة الارض او باسم من ترمى به عند ربك في خزاينه التي لا يتصرف فيها غيره سبحانه وتعالى وما هي اي الحجارة الموصوفة من الظالمين من
كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله عليه السلام انه سال
جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من

ظالمي

ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرايه على موصوف مذكر اي
شي بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السما وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها في اسرع شي لحوقا بهم فكانها
بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر تستوي في الوصف بها المذكر والمونث والى مدين اي اولاد
مدين بن ابراهيم عليهما السلام او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه اخاهم اي نسيبهم شعيبا
وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعة قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا
اي وارسلنا الى مدين شعيبا قال استيناف وقع جوابا عن سوال نشا عن صدر الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله
من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم
بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه وهما من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا
المكيال والميزان كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس اني اراكم بخير اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى
حقها ان تقابل بغير ما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة
للنهي عقيب بعلة اخرى اعني قوله عز وجل واني اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم
مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي
حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب
ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي
بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الالة محظورة كالنقص فلعل
الزايد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في
الحمل على الايفا والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا الة
لظلمهم وقانونا لعدوانهم ولا تبخسوا الناس اشياهم التي تشترونها بها وقد صرح بالنهي عن البخس
بعد ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفايه اهتماما بشانه وترغيبا في ايفا الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز
ان يكون المراد بالامر بايفا المكيال والميزان الامر بايفا المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما
بعد التخصيص كما في قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس
كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن ابي سلمى

افي كل اسواق العراق اتاوة ۞ وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفايدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق
السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امور اخرتكم ومصالح دينكم بقيت الله اي ما ابقاه لكم من الحلال بعد
التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هبا منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله
تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ان كنتم مومنين بشرط ان تومنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط
بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين بي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وجل والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ
تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبايح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا
ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم ال في ذلك جهدا او وما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سو
الصنيع قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله تعالى
وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي
الامر بذلك على ادعوا ان لا امر به من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا طريق

الاستهزا اصلواتك التي هي من نتايج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها اباً عن جد
وانما جعلوه عليه السلام مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرايع لانه عليه الصلاة والسلام
لم يكن يامرهم بذلك من تلقا نفسه بل من جهة الوحي فانه كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلاة
من بين ساير احكام النبوة لانه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفا بذلك وكانوا اذا راوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من
بين ساير شعاير الدين ضحكة لهم وقرئ اصلواتك **او ان نفعل في اموالنا ما نشا** جواب عن امره عليه السلام بايفا الحقوق ونهيه
عن البخس والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشا من الاخذ والاعطا والزيادة والنقص وقرئ بالتا
في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اي اصلواتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشا وتجويز العطف على ما على قبله يستدعي ان
يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفا والعدل في معاملتهم لا نفس الايفا فان ذلك ليس من
افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم يتعطف على ان نترك لان الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل المامور به تكليفه عليه
السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلواتك تامرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد اباونا وحمله على معنى اصلواتك تامرك بما ليس في
وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رويه عليه السلام واستهزا به من تلك الجهة باباه دخول الهمزة
على الصلاة دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عليه السلام في اثنا الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه واني ذلك قيل والوقري بالنون
في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك اعا او ان نفعل نحن في اموالنا عند المعاملة ما تشا انت من التسوية والايفا **انك
لانت الحليم الرشيد** وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق انك انت العزيز
الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فياباه
مقام الاستهزا اللهم الا ان يراد بالصلاة الدين كما قيل **قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة** اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما
اتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعا في جعلهم امره ونهيه غير مستند الى سند **من ربي** ومالك اموري وايراد حرف
الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظايره
ورزقني منه من لدنه **رزقا حسنا** هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط
الحياة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي اتقولون في شاني ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في
سلك السفهاء والغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة
والجنون واستهزاتم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امرتكم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يامر به
امر العقل ويقضي به قاضي الفطنة وانما يامر به صلواتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت من جهة ربي ومالك اموري
ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراها غاية للكمال ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في شاني وفي شان افعالي ما تقولون فيما لا خير فيه
ولا شر وراه وهذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق ويساعده النظم الكريم واما ما قيل من ان المحذوف ايصح ان لا امركم بترك عبادة
الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا الانعام الي مع السعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره
ونهيه فمعزول من ذلك وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على معنى ادينك يامرنا ان نكلفنا بترك
الهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في اموالنا ونحالفك في ذلك ونشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانت انت المشهور
بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان يقول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرورا على ذلك النمط فاجيبوا بما اجيبوا
به عن العالمين ايصح ان اخالف امره واخالفكم فيما تاتون وما تذرون **وما اريد** بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف **ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه** اي اقصده بعدما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن
كذا اذا كان الامر على العكس **ان اريد** اي ما اريد بما اباشره من الامر والنهي **الا الاصلاح** الا ان اصلحكم به من النصيحة والموعظة **ما
استطعت** اي مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفا بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه منه **وما**

توفيقي اي كوني موفقا لتحقيق ما انتحيه من اصلاح **الا بالله** اي بتاييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق مستندا اليه
سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يتوهم من اسناد الاستطاعة اليه سبحانه بارادته
من استبداده بذلك **عليه توكلت** في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار بمعزل من رتبة الاستمداد به والاستظهار **واليه انيب** اي ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كوني
موفقا لاصابة الحق والصواب في كل ما اتي واذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي واليه
انيب اي عليه اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري وايثار صيغة الاستقبال على المضارع الانسب للتقرر والتحقيق لما في التوكل من استحضار
الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن
المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ
عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم واما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزا كما قيل فلا لان الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل
الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزا وما يتبعه **ويا قوم لا يجرمنكم** اي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا **شقاقي** اي
معاداتي واصلها ان احد المتعاديين يكون في عدوة وشق والاخر في اخرى **ان يصيبكم** مفعول ثان ليجرمنكم اي لا يكسبنكم معاداتكم لي
ان يصيبكم **مثل ما اصاب قوم نوح** من الغرق **او قوم هود** من الريح **او قوم صالح** من الصيحة والرجفة وقرا ابن كثير بضم اليا من اجرمته ذنبا
اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا
واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى الا ان الاول اصح وادور على السنة الفصحا وقرا ابو حيوة مثل ما اصاب بالفتح
لاضافته الى غير متمكن كقوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ❊ حمامة في غصون ذات اوقال

وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على الطف
اسلوب وابدعه كما مر في المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم الاية **وما قوم لوط منكم ببعيد** زمانا او مكانا فان لم تعتبروا
من قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ابذانا
بان ذلك مغن عن ذكره لشهرته كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد
ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلاككم على نية المضاف او وما هم بشي بعيد لان المقصد افادة عدم
بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قدما او وما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة المصادر
كالنهيق والشهيق ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على
الاستغفار والتوبة فقال **واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه** مر تفسيره في اول السورة **ان ربي رحيم** عظيم الرحمة للتائبين **ودود**
مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما **قالوا
يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول** الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مرادك وانما قالوه بعدما سمعوا منه دلايل الحق المبين
على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن مناهج العقل والسلوك
الى سبيل الشقا كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ
وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من
المواخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا **وانا لنراك فينا ضعيفا** لا قوة لك
ولا قدرة على شي من الضر والنفع والايقاع والدفع **ولولا رهطك** لولا مراعاة جانبهم لا لولا هم بمعونتنا ويدافعوننا **لرجمناك** فان
ممانعة الرهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة او الى العشرة لهم وهم الوف مولفة مما لا يكاد يتوهم وقد ايد ذلك بقوله عز وجل **وما انت
علينا بعزيز** مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك

دونها وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لا سيما
مع قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عايدا
الى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق
منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم
ارهطي اعز عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع
ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم
اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم من الله فانه لا يكاد يصح والحال انكم لم
تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء
الظهر منسيا لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس ان ربي بما تعملون من الاعمال السيئة
التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل ان يكون الانكار للرد
والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله
حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة ويا قوم اعملوا لما راى عليه السلام اصرارهم على الكفر وانهم
لا يرعون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة
التهديد اعملوا على مكانتكم اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عليه السلام ردا لما
ادعوا انهم اقويا قادرون على رجمه وانه ضعيف بينهم لا عزة او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى
اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في
امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤتيني الله ويوفقني بانواع التاييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم عليه
السلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسال منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من ياتيه
عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون
الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا على انه قسيمه بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب
والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء
عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس بمترقب كاتيان العذاب
بل انما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب
يخزيه وانا كاذب واما موصولة اي سوف تعرفون الذي ياتيه والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول لكم اني معكم
رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال
الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا كما ينبي عنه قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن
بذلك نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا وهي الايمان الذي وفقناهم له او برحمة كاينة منا لهم وانما ذكر بالواو كما في قصة
هود عليه السلام لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط عليهما السلام
فانه قد سبق هناك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا عدل اليه عن الضمير
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبريل
عليه السلام فهلكوا وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها
كما مر فيما قبل فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون
من ياتيه عذاب الخ نفس مجيء العذاب بل من يحته ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل

تنجيه

تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشانها وايذانا بسبق الرحمة
التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرايمهم كان لم يغنوا اي لم يقيموا فيها متصرفين في
اطرافها متقلبين في اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم
الى هذه المرتبة وليكون النسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب
وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد
بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي الايات التسع المفصلات
التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة
وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التوراة حين اباه بنوا اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول
ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات
الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد
اي ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو
الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون
من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التوراة او ادراجها في جملة الايات
يرده قوله عز وجل الى فرعون وملائه فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنوا اسرائيل فيما ياتون وما
يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية
ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه
كافة لاصالتهم في الراي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الصدور والورود وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان
عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شان ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اي امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام
من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامر ملائه بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى
ذلك شان ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء في اتباعهم المترتب على امر
فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجاتهم في الاتباع ومسارعة فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله
لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور
وطريقته الزايغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والتمثل ما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان
بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتامل وترك الاضمار
لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد
والضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد
ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد او ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازي وعلى الثاني
مجاز والاسناد حقيقي يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيامة اي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف
لبيان حاله في الاخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مآل امره
وسوء عاقبته فاوردهم النار اي يوردهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط
الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اي بئس الورد الذي
يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملأ الذين اتبعوا امر فرعون
في هذه اي في الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيامة ويوم القيامة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف

قاطبة فهي تابعة لهم حيث ما ساروا دائرة معهم اينما داروا في المواقف فلما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا
واكتفى ببيان حالهم والقطع وشانهم التشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في
هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد
المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام واصله ما يضاف الى غيره لتعمده والمخصوص بالذم محذوف
اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص
من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام وهو مبتدا خبره من انباء القرى
المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبا بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اي من تلك القرى قائم
وحصيد اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل بالحصيد والجملة
مستانفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم بان اهلكناهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه
فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت باس الله تعالى عنهم الهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله اوثر صيغة المضارع حكاية
للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اي حين مجيء عذابه وهو
منصوب باغنت وقرئ الهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا
وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله اخذ ربك وقرئ اخذ
ربك فالمحل للكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسراية اثره اليها حسب ما ذكر وقرئ
اذ اخذ وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار
بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى
من التهديد والتحذير ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة فانه المعتبر به
حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على اهوال عذاب الاخرة واما من انكر الاخرة واحال فناء العالم
وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما تقع باسباب تقتضيه من
الاوضاع الفلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي تعتريها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما
لهم من الافكار ذلك اشارة الى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الاخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس للمحاسبة
والجزاء والتعبير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم
ليوم الجمع وذلك اي يوم القيامة مع ملاحظة جمع الناس له يوم مشهود اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله تعالى ۝ في محفل من نواصي الناس مشهود ۝ اي كثير شاهدوه ولو جعل
نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك وما نؤخره اي ذلك
اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة قليلة مضروبة حسب ما تقتضيه الحكمة يوم يأتي اي
حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تاتيهم الساعة وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل فان
المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو
العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي او المضمر المعهود اعني اذكر الا
باذنه عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه وتعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها في
اخرها والماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول
الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة

الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم
الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون فيها
لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره قال الشماخ يصف حمار الوحش ...
۝ بعيد مدى التطريب اول صوته ۝ زفير ويتلوه شهيق محشرج ۝
والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا
بالضم والجملة مستانفة كان سائلا قال ما شانهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور
كقوله عز اسمه خالدين فيها حالا انه ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما
وهذا التوقيت عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف
الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التابيد لا لتعليق قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق فالمراد سموات
الاخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من
الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الاخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا حاجة
الى الوقوف على تفاصيل احوالهما وكيفياتهما الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة
معلومة بحكم العقل يعني انهم مستقرون في النار في جميع الازمنة الا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك
المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة
تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال ان ربك فعال لما يريد يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث
يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد
والعدول من الاضمار الى الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب الله فانهم لا يخلدون فيه بل
يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وانت
تدري انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير من
تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك للاستثناء ولك ان تقول انهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني
الذي هو عذاب النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى وهي العقوبات والالام الروحانية التي لا يقف
عليها في هذه الدنيا المنغمسون في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوه من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي
ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا القي اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفى بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل وهذه
العقوبات وان كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها وهذه العقوبات وان كانت تعتريهم وهم
في النار لكنهم ينسون بها عذاب المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقيل الا بمعنى سوى وهو اوفق بما ذكر وقيل ما بمعنى من على
ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم
يذكر ههنا ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفيرا وشهيقا لان المقام مقام التحذير والانذار الا ما شاء
ربك ان حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله سبحانه وتعالى عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة
خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر محذوف الزوائد كقوله تعالى انبتكم
من الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة مشيئة الخروج الى الله تعالى يحتمل ان تكون على جهة عطاء

محدود وهو رافع للايهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشا لاهل الجنة فقال عطا غير مجذوذ ولم يخبرنا
بالذي يشا لاهل النار ويجوز ان تتعلق بكلا النعيمين او بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثنا من انقطاعه **فلا تك
في مرية** اي في شك والفا لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية **مما يعبد هولا** اي من
جهة عبادة هولا المشركين وسو عاقبتها او من حال ما تعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل
الشروع في القصص لبيان غاية سو حال الكفرة وكمال حسن حال المومنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم
والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد عقب ذلك من انبا الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر
نهى رسول الله عليه الصلاه والسلام عن كونه في شك من مصير امر هولا المشركين في العاجل والاجل ثم علل ذلك بطريق الاستيناف
فقيل **ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم** الذين قصت عليك قصصهم **من قبل** اي هم واباوهم سوا في الشرك ما يعبدون عبادة
الا كعبادتهم او ما يعبدون شيا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما حل باباىهم فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب تقتضي
تماثل المسببات **وانا لموفوهم** اي هولا الكفرة **نصيبهم** اي حظهم المعين لهم حسب جرايمهم وجراىرهم من العذاب عاجلا واجلا كما وفينا
اباهم انصباهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تاخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه **غير منقوص** حال موكدة
من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفايدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على
الذهول عن كون العامل هو التوفية فتامل **ولقد اتينا موسى الكتاب** اي التورية **فاختلف فيه** اي في شانه وكونه من عند الله تعالى
فامن به قوم وكفر به اخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما اتيناك من القران وقولهم لولا انزل عليه كنز او جا معه ملك وزعمهم انك افتريته
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضا بانظارهم الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك **لقضي بينهم** اي لاوقع القضا
بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميز به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس كذلك **وانهم** اي وان
كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس **لفي شك** عظيم **منه** اي من القران وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتا موسى
ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي **مريب** موقع في الريبة **وان كلا** التنوين عوض عن المضاف اليه اي وان
كل المختلفين فيه المومنين منهم والكافرين وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل **لما ليوفينهم ربك اعمالهم**
اي اجزية اعمالهم واللام الاولى موطية للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما مركبة من الجارة وما الموصولة او الموصوفة واصلها
لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك
وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الاية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه
اكلا لما وقرا ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به **انه بما يعملون** اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير
والشر **خبير** بحيث لا يخفى عليه شي من جلايله ودقايقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين
وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزا المخصوص يوجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر **فاستقم كما امرت** لما بين في
تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سو عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هولا الكفرة في الكفر والضلال
واستحقاق العذاب مثل اوليك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقران مثل تكذيب قوم موسى
عليه السلام للتورية وانه لو لم يسبق كلمة القضا بتاخير عقوبتهم العامة ومواخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم ما فعل باباىهم من
قبل وانهم موفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المومنين والكافرين يوفى جزا عمله امر رسول الله عليه الصلاه والسلام بالاستقامه
كما امر به في العقايد والاعمال المشتركة بينه وبين ساير المومنين ولا سيما في الاعمال الخاصة من تبليغ الاحكام الشرعية
والقيام بوظايف النبوة وتحمل اعبا الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
وضايق به صدرك الاية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج

عن

عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله عليه الصلاه والسلام شيبتني سورة هود **ومن تاب
معك** اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعني بالمعية وهو المعطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن
من غير تاكيد لمكان الفاصل القايم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو
منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو البقا والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك **ولا تطغوا** ولا تنحرفوا عما حد لكم بافراط او تفريط
فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال ساير المومنين على حاله عليه السلام
انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الاية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف
بمجرد الراي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على
موجب النصوص الامرة بالاجتهاد **ولا تركنوا** اي لا تميلوا ادنى ميل **الى الذين ظلموا** اي الى الذين وجد منهم ميل الظلم في الجملة
ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة
في مداهنتهم انما يتم ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك **فتمسكم** بسبب ذلك **النار** واذا كان حال
الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضا الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما
ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويتبهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية
ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوضة خفيف بمعزل من ان تميل اليه القلوب
ضعف الطالب والمطلوب والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول عليه السلام ومن معه من المومنين
للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم
وتركنوا على صيغة البنا للمفعول من اركنه **وما لكم من دون الله من اوليا** اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحال
من قوله فتمسكم النار ونفي الاوليا ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اوليا حتى يصدق مع ان يكون له ولي بل لمكان لكم بطريق انقسام
الاحاد على الاحاد لكن لا على معنى نفي استقلال لكل منهم بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام **ثم لا تنصرون**
من جهة الله سبحانه وتعالى اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا تبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته
تعالى بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفا بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان
غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا **واقم الصلاة طرفي النهار** اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى
الوقت **وزلفا من الليل** اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلوتها صلاة
الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلاة الزلف المغرب والعشا وقرئ زلفا بضمتين وضمة
وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة **ان الحسنات** التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات **يذهبن السيات**
التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكباير وقيل نزلت في ابي اليسر
الانصاري اذ قبل امراة ثم ندم فاتى رسول الله عليه الصلاه والسلام فاخبره بما فعل فقال عليه السلام انتظر امر ربي فلما صلى صلاة
العصر قال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت ومعنى من اقترافها كقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر **ذلك** اشارة
الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القران **ذكرى للذاكرين** اي عظة للمتعظين **واصبر** على مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر
السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان
يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد
منه ظلم ما فان في الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس
اصلا وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطا الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى
يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه وتعالى من القبايح

وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصد مع افادة فايدة عامة لكل من يتصف
به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايما الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكاينة من قبلكم على
راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كاينة من قبلكم اولوا بقية من الراي والعقل اولوا فضل وخير وسميا بها لان الرجل
انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه ما
قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى التقوى كالتقية من التقوى اي فهلا كان منهم ذووا البقاء على
انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولوا بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اي
اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد في الارض الواقع منهم حسبما حكي عنهم الا
قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع
الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما اذا
قلت هلا قرا قومك القران الا الصلحا منهم مريدا الاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم
للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة
الفساد وترك النهي عنه ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيله اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك
من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام
وكانوا مجرمين اي كافرين فهو بيان لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وترك النهي عن المنكرات مع
الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع الى اخره فيكون العدول الى الظهر لادراج المباشرين معهم في
الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب او على استيناف يترتب على قوله الا قليلا اي الا قليلا
ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار يقتضي الظاهر وقوله وكانوا
مجرمين عطف على اترفوا وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم
وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون
الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اي ما صح وما استقام بل استحال في
الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتاكيد النفي وقوله بظلم
اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن
ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل
السنة وقد مر تفصيله في سورة ال عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى واهلها مصلحون حال من المفعول
والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بها وقد جعل الامر فاعله اعني بظلم للدلالة على تقييد نفي الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا
ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والبا للسببية اي لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوق الله تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند
تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقرا على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدري ان مقام
النهي عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلايمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من
الرسل الذين قصت انباؤهم امته اولا عن الاشراك ثم عن ساير المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد
الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي وبعضهم متوجهين الى
الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق ودين
الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشا ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين له كقوله تعا

وما

وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله تعالى بفضله
الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يجعلوا فيه وحمله على مطلق الخلاف الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل
يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اي لما ذكر من الاختلاف خلقهم اي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او
للرحم فالضمير لمن واللام في معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكل المعنيين وتمت كلمة ربك اي
وعيده وقيل او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اي
وكل نبا فالتنوين عوض من المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من انباء الرسل بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل
منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص اي كل اقتصاص اي كل اسلوب من اساليبه نقص عليك
من انباء الرسل وقوله سبحانه وتعالى ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفايدته التنبيه على ان المقصد بالاقتصاص زيادة تقيينه عليه
السلام وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال الامم السالفة في تماديهم
في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة او الانباء المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد
عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اي الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا له في
نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعني في هذه على الفاعل لان المقصد بيان منافع السورة او الانباء
المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تاخير ما حقه التقديم تبقى النفس
مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في الموجز طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون
بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به
والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض
واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفا
لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفي تاخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع
دونها وما ربك بغافل عما تعملون فيجازيهم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اي انت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبيا المعدودين فيها عليهم السلام
وبعدد من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والايات والكتاب في قوله تعالى
تلك ايات الكتاب عين ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان انا انزلناه اي الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى
وفي اعجازه بنوعيه لاسيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقايقه ولا يلتبس لديهم دقايقه لنزوله
على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام والشرايع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشاتين في الدارين وغيرها من
الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فبانه انباؤه عن قصة يوسف فانه قد روي ان احبار اليهود
قالوا لرؤسا المشركين سلوا محمدا عليه السلام لماذا انتقل الى يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام
ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سياتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب
ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل قرانا عربيا اذ هو المشهود بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما
فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرانا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض
كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه طرا وتحيطوا بما فيه
من البدايع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك

واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيا فشيا كما يقال تلا القران لانه يتبع ما حفظ منه اية
بعد اية **احسن القصص** اي احسن الاقتصاص فنصبه علي المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح
والخلل وترك المفعول اما للاعتماد علي انبائه عنه من قوله عز وجل **بما اوحينا اليك** اي بايحائنا اليك **هذا القران** اي هذه السورة فان
كونها موحاة مبني علي كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرانيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام والوحي غير المتلو واما
لظهوره من سوال المشركين بتلقين علما اليهود واحسنيته لانه قد اقتص علي ابدع الطرايق الرايقة واعجب الاساليب الفايقة اللايقة
كما لا يكاد يخفي علي من طالع القصة من كتب الاولين والاخرين وان كان لا يميز الغث والسمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة
هذا ايما الي مغايرة هذا القران لما في قوله تعالي قرانا عربيا بان يكون المراد به الكل المجموع فتامل او نقص عليك احسن ما يقص من الانبا
وهو قصة يعقوب عليه السلام علي ان القصص فعيل بمعني المفعول كالنبا والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد وتعب
احسن علي المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفي كل احسنه **وان كنت** ان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الواقع اسما
لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر لعبي وان الشان كنت **من قبله** من قبل ايحائنا اليك هذه السورة **لمن الغافلين** عن هذه القصة
ثم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحي والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبي عليه السلام وان غفل عنه
بعض الغافلين **اذ قال يوسف** نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجاز للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص علي تقدير
كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل علي المقصوص من حيث اشتماله علي اقتصاص المقصوص ويوسف اسم عبري
لا عربي لخلوه من سبب اخر غير التعريف وفتح السين وكسرها علي بعض القراات بنا علي التلقب به لا علي انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من
اسف لشهادة المشهورة بعجمته **لابيه** يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام ان الكريم بن الكريم
ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم **يا ابت** اصله يا ابي فعوض عن اليا تا التانيث لتناسبهما في الزيادة
فلذلك قلبت ها في الوقف علي قراة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة
اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقري بالضم اجرا لها مجري الالفاظ
المونثة بالتا من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب **اني رايت**
من الرويا لا من الروية لقوله لا تقصص رءياك هذا تاويل رءياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة
لا يختص بروية راي فيكون طامة كبري لا تخفي علي احد من الناس **احد عشر كوكبا والشمس والقمر** روي عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا
جا الي رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت النبي عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام
فاخبره بذلك فقال عليه السلام اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه السلام جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان
والفليق والصبح والضروح والفرع والوثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السما وسجدن له فقال اليهودي
اي والله انها لاسماوها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار
مزيتهما وشرفهما علي ساير الطوالع لعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكال علي الملايكة عليهم السلام وقد جوز ان تكون الواو بمعني مع اي
رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الي تاخر ملاقاته عم لها عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه
السلام راي وهو ابن سبع سنين ان احدي عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة غضب عليها
حتي اقتلعها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راي وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب
تسجد له فقصها علي ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوايل وقيل كان بين رويا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون
رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها كان سايلا سال فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجري العقلا
في الضمير لوصفها بوصف العقلا اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية
الفاصلة **قال يا بني** صغره للشفقة او لها ولصغر السن وهو ايضا استيناف مبني علي سوال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه

الرويا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرويا ان يوسف عليه السلام سيبلغه الله تعالي مبلغا جليلا من الحكمة
ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بابايه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك
وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالي سيحققه ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة
لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الروية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربي والقربة وحقيقتها ارتسام
الصورة المتحدرة من افق المتخيلة الي الحس المشترك والصادقة منها انما تكون اتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب
عند فراغها من تدبير البدن ادني فراغ ويتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه
فترسلها الي الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعني بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية
والجزية استغنت الرويا عن التفسير والا احتاج اليه **علي اخوتك فيكيدوا** انصب باضمار ان اي فيفعلوا **لك** اي لاجلك
ولاهلاكك **كيدا** شيا راسخا لا تقدر علي التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدي لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير
وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين علي تحويل ما دلت الرويا علي وقوعه وهذا الاسلوب اكد من ان يقال فيكيدوك
كيدا اذ ليس فيه دلالة علي كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل انما جي باللام لتضمينه معني الاحتيال المتعدي باللام ليفيد
معني المضمن والمضمن فيه للتاكيد اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته هاهنا الذين يخشي غوايلهم ومكايدهم
من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينه بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي
وجاد واشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهولاهم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق يوسف عليه
السلام وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب بعد وفات اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل
تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشي معرته ولم يكن بنيامين معدودا معهم في الرويا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد
نهيه عن اقتصاص الرويا عليهم كلا او بعضا **ان الشيطان للانسان عدو مبين** ظاهر العداوة فلا تالوا جهدا في اغوا اخوتك
واضلالهم وحملهم علي ما لا خير فيه وهو استيناف كان يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشين في بيت
النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم علي ذلك ولما نبهه عليه السلام علي ان لرؤياه شانا عظيما يستتبع منافع وحذف اشاعتها المودية
الي ان يحول اخوته بينها وبين ظهور اثارها وحصولها او بوعر واسباب حصولها شرع في تعبيرها وتاويلها علي وجه اجمالي فقال
وكذلك اي ومثل ذلك الاجتبا البديع الذي شاهدت اثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وبحسبه علي
وفقه **يجتبيك ربك** يختارك بجانب كبريايه ويستنبيك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك علي اشراف الخلايق وسراة
الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرويا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة
بين الصور المرتية في عالم الشهادة اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك
خاضعين لك علي وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه انما لم يصرح به حذرا من اذاعته **ويعلمك** كلام
مبتدا غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما اخبره علي
طريقة التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلمك **من تاويل الاحاديث** اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع علي
حقية ما اقول ولا يخفي ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث والتعب علي تلقي ما سياتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير
الرويا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس والشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث
كاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا حديثا علي احدثة ثم جمعوا الجمع علي احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع
وقيل هو تاويل غوامض كتب الله تعالي وسنن الانبيا عليهم السلام والاول هو الاظهر وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئي ايلا
الي ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه اليه فكانه عليه السلام اشار بذلك الي ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره
لرويا صاحبي السجن ورويا الملك وكون ذلك ذريعة الي ما يبلغه الله تعالي من الرياسة العظمي التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف

يعقوب ذلك منه عليه السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز
ان تكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلايل والامارات والمخايل بان من وفقه الله
تعالى لمثل هذه الرويا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو بافي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن
نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل للمعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور
الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوعا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكاينات
الظاهرة على وفقها في العالم الاخر وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدارا لجريان احكامه
فان لكل نبي من الانبيا عليهم السلام معجزة بها يظهر اثاره ويجري احكامه **ويتم نعمته عليك** بان يضم الى النبوة المستعارة من اجتبا
الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتبا ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشير
اليه من كون اثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرويا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها
مصداقا لها تماما لتلك النعمة **وعلى ال يعقوب** وهم اهله من بنيه وغيرهم فان روية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى
بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما
لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون اثاره من العز والجاه والمال
كما اتمها على ابويك نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك اتماما كاينا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها
على ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وانجايه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحاق بانجايه من الذبح وفدايه بذبح عظيم وباخراج
يعقوب في الاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه
مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه **من قبل** اي من قبل هذا الوقت او من قبلك **ابراهيم واسحاق** عطف بيان لابويك والتعبير
عنهما بالاب مع كونهما اباجده واباابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبيا الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمين
قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لروياه والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتبا من قبيل الاكتفا
ولان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المقتضية للاجتبا **ان ربك** استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر
لانه **عليم** بكل شي فيعلم من يستحق الاجتبا وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور **حكيم** فاعل
لكل شي حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين
لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الاية الكريمة اي كما اجتباك بمثل هذه الرويا الدالة على
شرفه وعزه وكمال نفسي يجتبيك ربك للنبوة والملك او لاعظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة حيث
جعلهم في الدنيا انبيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي **لقد كان**
في يوسف واخوته اي في قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علاته المعدودون فيما
سلف او عليهم بدور حالها **ايات** علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة **للسايلين** لكل من
سال عن قصتهم وعرفها او للطالبين للايات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج
تحت قوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص او على نبوته عليه
السلام لمن ساله من المشركين او اليهود من قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هو عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شي من الكتب فالمراد
بها اختصاصها وجمع الايات حينيذ للاشعار بان اقتصاص كل طايفة اية بينة كافية في الدلالة على نبوته عليه السلام على نحو
ما ذكر في قوله تعالى مقام ابراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى ايات بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا
ومعنى وقرا ابن كثير اية وفي بعض المصاحف عبرة وانما قص الله تعالى على النبي عليه السلام خبر يوسف عليه السلام وبغي اخوته عليه لما
راى من بغي قومه عليه ليتاسى به **اذ قالوا ليوسف واخوه** اي شقيقه بنيامين وان لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته من

الطرفين الا ترى الى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف **احب الى ابينا منا**
وحد الخبر مع تعدد المبتدا لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والموث نعم اذا عرف وجب الفرق
واذا اضيف جاز الامران وفايدة لام الابتدا في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده **ونحن عصبة** اي والحال ان جماعة قادرون
على الحل والعقد احقا بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم **ان ابانا لفي** ترجيحهما
علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة **لفي ضلال** اي ذهاب عن طريق التعديل اللايق وتنزيل
كل منا منزلته **مبين** ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرويا ضاعف له
المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم **اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا** من جملة ما حكى بعد قوله
قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين لقضية الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القايل شمعون او دان والباقون
كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الى اخره فجعلوا كانهم القايلون واذ رجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم
مخاطبا للبقية وهو اول على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاوها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة
بعيدة من العمران وكذلك نصب الظروف المبهمة **يخل** بالجزم جواب للامر اي يخلص **لكم وجه ابيكم** فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت
عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم **وتكونوا** بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان
او الواو بمعنى مع مثل قوله وتكتموا الحق واثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة من حملهم على القبول فان اعتنا المرء بشان نفسه واهتمامه
بتحصيل منافعه اتم واكمل **من بعده** من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه **قوما صالحين** تايبين الى الله تعالى عما
جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في اموردنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم **قال قايل**
منهم هو يهودا فكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الى اخره وقيل روبيل وهو استيناف مبني على سوال من سال
وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الضيم ام خالفهم في ذلك احد فقيل قال قايل منهم **لا تقتلوا يوسف** اظهره في مقام الاضمار
استجلابا لشفقتهم عليه واستعظاما لقتله وهو هو فانه روي انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيه عن الخصلة الاخرى
واحاله على اولويه ما عرضه عليهم بقوله **والقوه في غيابة الجب** اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البير التي لم
تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شي وقرا نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراده
بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقري غيابات وغيبة **يلتقطه** ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان
الالتقاط اخذ شي يشرف على الضياع **بعض السيارة** اي بعض طايفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما
وفي البعض من الابهام لتحقق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنا يوسف عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروى
خبره وقري تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله ❊ كما شرقت صدر القناة من الدم ❊ ومنه قطعت بعض
اصابعه **ان كنتم فاعلين** بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رايه وحذرا من نسبتهم
له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسوال سايل يقول
فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه او لا فاجيب بطريق الاستيناف على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجي من قوله
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل **قالوا يا ابانا** خاطبوه بذلك تحريكا لصلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الاخوة بينهم
وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه السلام عن رايه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا
ما لك اي اي شي لك **لا تامنا** اي لا تجعلنا امنا **على يوسف** مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا **وانا له لناصحون** مريدون له
الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقت قط والقراة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام
ومن الشواذ ترك الادغام **ارسله معنا غدا** الى الصحرا **نرتع** اي نتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ
ونلعب بالاستباق والتناضل ونظايرهما مما يعد من باب التاهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما
راموا من استصحاب يوسف عليه السلام بتصورهم بصورة ما يلايم حاله عليه السلام وقري نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتعي

من ارتعى ونافع بالكسر والباقية وفي نلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويرتع بالرفع على الابتدا **وانا له**
لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلام
وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم **قال** استيناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال
اني ليحزنني اللام للابتدا كما في قوله تعالى ان ربك ليحكم بينهم **ان تذهبوا به** لشده مفارقته علي وقلة صبري عنه **و**مع ذلك
اخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذأبة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه
ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل
راى في المنام ان قد شد عليه السلام ذئب وكان يحذره فقال ذلك ولقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقرا ابن كثير ونافع في
رواية الغير الذئب بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة ورجا وقيل اشتقاقه تاذءبت الريح اذا هاجت من كل
جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو الظاهر لفظا ومعنى **وانتم عنه غافلون** لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بارائنا
وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله **انا اذا لخاسرون** جواب مجزئ عن الجزا اي انا لكون ضعفا وفودا
او عجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار وقيل لخسرهم
الله ومكرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل انا لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا وخسرناها
وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم
ياتون به عن قريب **فلما ذهبوا به واجمعوا** اي ازمعوا **ان يجعلوه** مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر واجمع عليه فاجمعوا امركم ولا يستعمل
ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي الى فعلها **في غيابة الجب** قيل هو بير بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة
فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كان مدين كذلك واما ما قيل من انها بير بيت المقدس فيرده
التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب
لما محذوف ايذانا لظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة في محله فعلوا به من الاذية ما فعلوا روي انهم لما برزوا
الى الصحرا اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا
به الى البير فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه
بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه
فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه وظن انها رحمة ادركتهم
فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهودا وكان ياتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وجرد
عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب
فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه من التميمة فالبسه اياه **واوحينا اليه** عند ذلك
تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة للوحشة وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا
قال الحسن كان له سبع عشرة سنة **لتنبئنهم بامرهم هذا** اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك
بما فعلوا بك **وهم لا يشعرون** بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبر سلطانك وبعد حالك عن
اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف
وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم
لا يشعرون بالايحا على معنى انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق
ومستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير **وجاؤا اباهم عشاء**

اخر

آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكا **يبكون** متباكين روي انه لما سمع
يعقوب عليه السلام بكاهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف **قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق** اي متسابقين في العدو او
الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظايرهما **وتركنا يوسف عند متاعنا** اي ما نتمتع به من
الثياب والازواد وغيرها **فاكله الذئب** عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع الا
في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لاسيما اذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه
فكانهم قالوا انما لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مامننا ومجمعنا بمراى منا لان ميدان السباق لا يكون
عادة الا بحيث يتراءى غايتاه وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان **وما انت بمؤمن لنا** بمصدق لنا
في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره **ولو كنا** عندك في اعتقادك **صادقين** موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك
ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم
الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته
او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره
اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال
المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة
الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين **وجاؤا على قميصه** محله النصب على الظرفية من قوله **بدم** اي جاؤا فوق قميصه
بدم كما تقول جاء على جماله بحماله او على الحالية منه والخلاف في تقديم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا **كذب** مصدر
وصف بالدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير
اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرات عايشة رضي الله عنها بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف
البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع
يعقوب بخبر يوسف عليه السلام صاح باعلى صوته قال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
والله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب
على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليل براءة يوسف حين قد من دبر **قال** استيناف مبني على سؤال فكانه قيل فما قال يعقوب
هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل فان لم يكن ذلك **بل سولت لكم انفسكم** اي زينت وسهلت قال ابن عباس رضي الله عنه التسويل
تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسوية تفعيل من سوال الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين
لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخا **امرا** من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف **فصبر جميل** اي
فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وامثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه
السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان
وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها وقرا ابي فصبرا جميلا **والله المستعان**
اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة **على ما تصفون** على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا
واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو اللائق بما سيأتي من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله
ان ياتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية يأباه تكذيبه عليه السلام
لهم في ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشرنا اليه **وجاءت** شروع في بيان ما جرى على يوسف
في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء لما بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بجانب المصري من
مدين الى مكان يوسف وفي بنائه على المرور او الاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظ

ان الجب كان في الاجم المثنا فان المتبادر من اسناد المجي الي السيارة مطلقا في قوله عز وجل **سيارة** اي رفقة تسير من جهة مدين
الي مصر ووقوعه باعتبار سيدهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قولهم تعالي فيما سبق يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في
قفرة بعيدة من العمران لم يطرق الا المرعاة فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماوه ملحا فعذب حين القي فيه **فارسلوا**
واردهم الذي يرد الما ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجي اعني الجب
للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا **فادلى دلوه** اي ارسلها الي الجب الغرق للماعرفة فتدلى بها يوسف فخرج **قال** استبينا
مبني علي سو اليقتضيه الحال **يا بشراي هذا غلام** كانه نادي البشرى وقال تعالي هذا اوانك حيث فاز بنعمة نادرة واي نعمة فكان
ما يوجد ما حا من الما وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه علي اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي واما فتحة الراحمزة والكساي وقرا
ورش بين اللفظين وقري با بشراي بالادغام وهي لغة ويشراي علي قصد الوقف **واسروه** اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة
وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الما لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهودا كان
ياتيه كل يوم بطعام واتاه يوميذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة فقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف عليه السلام
مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد **بضاعة** نصب علي الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال
بضعة عندا اي قطعة للتجارة **والله عليم بما يعملون** ويهددهم علي ما صنعوا من فعلهم مثل يوسف وهدهد عرضه للابتذال بالبيع والشرا
وما دبروا في ذلك من الحيل **وشروه** اي باعوه والضمير للوارد واصحابه **بثمن بخس** زيف ناقص العيار **دراهم** بدل من الثمن اي لا
دنانير **معدودة** اي غير موزونة تنويها ن لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما يبلغ اربعين العدد دون
الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما والسدي انها كانت اثنين وعشرين درهما **وكانوا** اي البايعين **فيه** في
يوسف **من الزاهدين** من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشي ما
تهاون به غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من
اخوته علي ما حكي وهم غير راغبين في شراه خشية ذهاب ما لهم لما ظن في اذنهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبية عن
الاتخاد لما مر من ان اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاشتبا والاقتنا وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما
زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شي زهدوا فقيل زهدوا فيه لانه يتعلق بالصلة لا يتقدم علي الموصول **وقال الذي**
اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان علي خزاينه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لترشيه بتوع عليه من الامور مع الاشعار
لكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يوميذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عليه السلام
بعد ان امن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الي الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعماية لقوله
عز وجل ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليه السلام والاية من قبيل خطاب الاولاد
باحوال الابا واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه
فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه ادراك سبع عشرة سنة
واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الله تعالي العلم والحكمة
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن ماية وعشرين سنة **لامراته** راعيل وزليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام
متعلقة بقال لا باشتراه **اكرمي مثواه** اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده **عسى ان ينفعنا** في ضياعنا واموالنا
ونستظهر به في مصالحنا **او نتخذه ولدا** اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة
عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر **وكذلك** نصب علي المصدرية وذلك اشارة الي ما تقدم من كلام
العزيز وما فيه من معنى البعد اي مثل ذلك التمكين البديع **مكنا ليوسف في الارض** اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته فيه
ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الاخر قال عز وجل وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في

الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها ومكنا لهم في الارض الي اخره والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما جعلنا له مكانة رفيعة في
ارض مصر ولعله عبارة عن جعلها وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يودي الي الغاية المذكورة
في قوله تعالي **ولنعلمه من تاويل الاحاديث** اي يوقفه لتعبير بعض المناجاة التي عمدتها رويا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالي
ذلكما مما علمني ربي سواجعلناه معطوفا علي غاية معداة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا
ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محل محبته ليترتب عليها ما يترتب مما جرى بينه وبين امراة العزيز ولنعلمه بعض تاويل
الاحاديث وهو تاويل الرويا المذكورة فيودي ذلك الي الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين
دون غيره مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي يدور عليه هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب
الناس كافة فتودية الي ذلك انما هو باعتبار اشتماله علي ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة مصدرا الي قوله تعالي مكنا ليوسف
علي ان يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض لملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين اخر يشبه به كما
مر في قوله تعالي وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الي مصدر الفعل المذكور بعده لا الي جعل اخر يقصد تشبيه هذا الجعل
به فالكاف مقحمة للدلالة علي فخامة شان المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل
وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فهو من اثار ذلك التعليم ونتايجه المتفرعة
عليه كما عرفته لا من مباديه المتفرعة اليه فلا سبيل الي جعله غاية ولم يعهد منه عليه السلام في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات
المنبهة عن الحوادث عمدا مصححا لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرويا السابقة المعهودة
اللهم الا ان يراد تعليم تاويل الاحاديث ما سبق من فهم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقايق سنن الانبيا عليهم السلام فيكون
المعنى مكنا له في الارض ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالي واحكامها ودقايق سنن الانبيا فيقضي بها فيما بين اهلها
والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كانت غير متاخرة عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى معين في ضمن الحوادث
والارشاد الي الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له **والله غالب علي امره** لا يستعصي عليه امر ولا يمانعه
شي بل انما امره لشي اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شوونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متولي علي امر يوسف
لا يكله الي غيره وقد اراد به من اخوته ما اريد مرة غب مرة فلم يكن الا ما اراد الله له من العاقبة الحميدة **ولكن اكثر الناس لا يعلمون**
ان الامر كذلك فياتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شي وان لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطايف صنعه وخفايا
فضله **ولما بلغ اشده** اي اشتداد جسمه وقدرته وهو بين الوقوف ما بين الثلاثين الي الاربعين وقيل سن الشباب ومبدوه بلوغ
الحلم والاول هو الاظهر لقوله تعالي **اتيناه حكما** وهو العلم المويد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة **وعلما** اي تفقها في الدين
وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما اتاه الله تعالي عند تكامل القوة سوا كانا عبارة عن النبوة
والحكم بين الناس او غيرهما كيف وقد جعل ايتاهما جزا العمل عليه السلام حيث قيل **وكذلك** اي مثل الجزا العجيب **نجزي المحسنين** اي
كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضا اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاعمال والاحزان الشدايد وقد فسر العلم
بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة له الا ان يخص بعلم تاويل الرويا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلا صح ان يعد ايتاه من
جملة الجزا واما رويا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها في السجن وفي تعليق الجزا المذكور بالمحسنين اشعار بعلية
الاحسان له وتنبيه علي انه سبحانه انما اتاه لكونه محسنا في اعماله متقيا في عنفوان امره هل جزا الاحسان الا الاحسان **وراودته**
التي هو في بيتها رجوع الي شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعدما امر امراته باكرام مثواه وقوله تعالي وكذلك مكنا ليوسف الي هنا
اعتراض جي به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة
حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالة السرا والضرا ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الي هذا
الاعتراض قبل تمام الاية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجا السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالي

وكذلك محكا كما فعله الجمهور رواه من التعريب فتامل والمراد المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شي ومنه الرائد لطالب الما
والكلاء وهي مفاعلة من واحد بحسب مطالبة الداين ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظايرها مما يكون من احد الجانبين الفعل
ومن الاخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الاخر جعلت كانها صادرة
عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشي يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي
تجزى فان فعل البادي وان لم يكن جزا لكنه لكونه سببا للجزا اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلاه وارادة قراة القران حيث
كانتا سببا للقيام والقراة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلاه فاذا قرات القران وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب
الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب القابل بجانب فاعلها فان مطالبة الداين لمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه
المطالبة التي هي من جانب الداين وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه بحال يوسف
عليه السلام نزل صدورها عن محالها منزلة صدور سببياتها التي هي تلك الافعال فبنيت الصيغة على ذلك وروعي جانبه الحقيقه
بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغه على بابها
بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل يعني لتضمينها معنى المخادعة وادعته **عن نفسه**
اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شي لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياها
والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى
ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام
فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج
العفه والنزاهة **وغلقت الابواب** قيل كانت سبعة ولذلك جا الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق
والاحكام **وقالت هيت لك** بفتح الها وكسرها مع فتح التا وبناوه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه
اقبل وبادر واللام للبيان اي لك اقول هذا كما في هلم لك وقيل هيت على صيغة الفعل بمعنى تهيات يقال هاء يهي كجاء يجي اذا تهيا
وهيت لك واللام صلة للفعل **قال معاذ الله** اي اعوذ بالله معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة
الى التعليل بانه منكر يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان
النير على ما هو عليه في حد ذاته على ما هو عليه من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل **انه ربي احسن مثواي**
تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي
لا يكاد يصل لما سولت لها نفسها والضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعا شهرته المغنيه عن ذكره وفايدة تصدير الجملة به
الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى
الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ربي اي سيدي العزيز احسن
مثواي اي احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسي له بالخيانة في حرمه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف
وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبران واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف
اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة
من غير تعرض لاقتضايها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية لما لا يخفى على احد استحالته وكونه مما لا
يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى **انه لا يفلح الظالمون** تعليل للامتناع المذكور غب تعليله والفلاح الظفر وقيل البقاء في
الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كاينا من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة
والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله **ولقد همت به** بمخالطته اذ الهم لا
يتعلق بالاعيان اي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة

وتغليق

المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها قصدت هنالك لافعاله اخر من بسط
يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال
اقلاعها كما رغبت عليها بما في مقالته عليه السلام من الزواجر **وهم بها** لمخالطتها اي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة
الشباب وميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الا ترى الى ما سبق من استعصامه المبني على كمال
كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هذا الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما
وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا في قرن
واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالاخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد وعقب الثاني بما يعفو
اثره من قوله عز وجل **لولا ان راى برهان ربه** اي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله فالمراد برؤيته لها كمال ايقانه
بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي تتجلى هناك حقايق الاشيا بصورها الحقيقية وتتخلع عن
صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشاة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وكانه عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه
ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من تركبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته
برهان ربه في شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان
وفايدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع
وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ايمة الصناعة على ان لولا
في امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن
الهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم
حينئذ على معناه الحقيقي فالمعنى لولا مشاهدته برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما
يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر همه عليه السلام بحل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعد بين
شعبها وبرؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث ثم ولم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته وقيل
ضرب على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فلم ينصرف ثم رات فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا فلم ينته ثم رات فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع ه
فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيه فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف اتعمل
عمل السفها وانت مكتوب في ديوان الانبيا وقيل راى تمثال العزيز وقيل ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الاذان وتردها
العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها **كذلك** الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول
عليها بقوله تعالى لولا ان راى برهان ربه اي مثل ذلك التبصير فالتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبت اللازم له اي مثل
ذلك التثبت ثبتناه **لنصرف عنه السوء** على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا **والفحشاء** والزنى لانه مفرط القبح
وفيه اية بينة وحجة قاطعة على انه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرف عنه السوء
والفحشاء فانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتامل وقرئ ليصرف على
اسناد الفعل الى ضمير الرب **انه من عبادنا المخلصين** تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين
اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين
فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة
احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلام **واستبقا الباب** متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه

وقوله كذلك الى آخره اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وابى هو **واستبقا** اي تسابقا الى الباب البراني لانه هو المخلص ولذلك وحد هنا وجمع فيما سلف وحذف الجار واوصل الفعل الى المجرور نحو واذا كالوهم او ضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق في ضمن الاستباق الى الجانبين مع ان مرادها مجرد منع يوسف ومراده الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقد قيل في وصف علي كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع انه لقوة يوسف دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها فيه لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح **والفيا سيدها** اي صادفا زوجها وانما لم يكن ملكه ليوسف عليه السلام صحيحا لم يقل سيدهما قيل الفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم المرأة **لدا الباب** اي البراني كما مر روي كعب انه لما هرب يوسف عليه السلام جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب **قالت** استئناف مبني على سؤال سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت **ما جزاء من اراد باهلك سوءا** من الزنا وغيره **الا ان يسجن او عذاب اليم** ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن والعذاب الاليم وقيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اي اي شيء جزاؤه غير ذلك ولقد اتت في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف من رأيه في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها كرها عند يأسها من ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هو عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها فهي تريد ايقاعه حسبما يقتضيه قانون الايالة وفي ابهام المراد تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب والحمية **قال** استئناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال **هي راودتني عن نفسي** اي طالبتني للمواتاة لا اني اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسندت اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامر وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها **وشهد شاهد من اهلها** قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام وانفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روي ان النبي عليه السلام قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم **ان كان قميصه قد من قبل** اي ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان يعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك **فصدقت** بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهي وان لم تصرح بانه عليه السلام بانه اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب ولذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشاءات **وهو من الكاذبين** وهذه شرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يقع القد من قبل بمدافعتها له عليه السلام عن نفسها عند ارادته المخالطة والتكشيف مجرى الظاهر

الغالب

الغالب الوقوع نفسه لما هو للمعصية باقامة الشهادة اعني مضمون الجملة الشرطية التي هي قوله عز وجل **وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين** الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على الظاهر وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا الى آخره وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب اليه بتأديتها اليهما بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من الولاء ايضا واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو متعين لعدم تقدير الشرطية للاولى ويوجز وتقديم الشرطية الثانية ومن ضرورية الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساق ما هو من الخروج والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقته فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعلق صدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورية تعين كذبها والثانية تعلق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة زوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقال الرجل فاذا لا زوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشيء بامر متحقق تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث بالعلمية وقرئ بسكون العين **فلما رأى قميصه قد من دبر** كانه لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال **قال انه** اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك البلاء قوله تعالى **من كيدكن** اي من جنس حيلكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يكن تجديده عن الاضافة اليها الا انها لما صورته بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق ولا محيص عنه لهن العذر وجدها سجية نفس كل غابتها هند ورجع الضمير في قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ارادة السوء من هي الى البحث عنه شعبة من شعبه وفعله للسوء او للامر المعبر به عن طمعها في يوسف عليه السلام بابائه الاخر وان الكيد يستدعي ان يعتبر مع ذلك هيئات اخر من قبلها كما اشرنا اليه **ان كيدكن عظيم** فانه الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال **يوسف** حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله **اعرض عن هذا** اي عن هذا الامر وعن التحديث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك **واستغفري** انت يا هذه **لذنبك** الذي صدر منك او ثبت عليك **انك كنت** بسبب ذلك **من الخاطئين** من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة **وقال نسوة** اي جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي لتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والبنة وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث **في المدينة** ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة لنسوة **امرأة العزيز** اي الملك يريدن قطفير واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او باسمه ليست لقصد المبالغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل كما قيل وليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشباع في لومها بقولهن **تراود فتاها** اي تطالبه بمواقعته لها وتتمحل في ذلك وتخادعه **عن نفسه** وقيل تطلب منه الفاحشة وايثارهن لصيغة المضارع للدلالة على وجه المداومة والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذه وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو

المراد ههنا وفي الحديث لا يقل احد عبدي وامتي وليقل فتاي او فتاتي وتعبيرهن عن يوسف بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما لنوع عدة الابانة ما بينهما من التباين البين الناشي عن المالكية والمملوكية وكذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشباع في اللوم فان من لا زوج لها من النسا اولها زوج وفي وقد بعد في مراودة الاخوان لاسيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التي لها زوج وهي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لاسيما لعبدها الذي لا كفاة بينها وبينه اضلالا وتمارها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال **قد شغفها حبا** اي شغف حبه شغافة قلبها وهو حكاية او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فوادها وقرى شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله واياما كان فهو تكرير للوم وتاكيد للعزل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الابتدا مصير الى الاستدلال على الاجل ما لا يخفى ومن حيث اللمية ميل الى تمهيد العذر من قبلها وليس بذلك المقام وانتصاب حبا على التميز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه **انا لنراها** اي نعلمها علما متاخما للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقره **في ضلال** عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل **مبين** واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها بين الناس والجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيله عليها بانها في امرها على خطا عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه **فلما سمعت بمكرهن** باغتيابهن وسوء مقالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكر وان كان ظاهر الغرض وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام **ارسلت اليهن** تدعوهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات **واعتدت** اي احضرت وهيات **لهن متكا** اي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد او رتبت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى الرجل ان يأكل متكيا وقيل متكا طعاما من قولهم اتكانا عند فلان اي طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكا طعاما محزحزا كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكي على المقطوع بالسكين وقرى متكا بغير همز وقرى بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرى متكا وهو الاترج والشعور

هدت متكة لبني ابيها ❁ تخب بها العثمثمة الوقاح ❁

او ما يقطع من متك الشي اذا بتكه ومتكا من تكي اذا اتكي **واتت كل واحدة منهن سكينا** يستعمله في قطع ما يعهد ما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكيات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن **وقالت** ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه والعطف بالواو وبالنشر الى ان قولها **اخرج عليهن** اي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن **فلما رأينه** عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجات رويتهن كأنها تفوق عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام بامرها فيما لا يشاهد معصيته من الافاعيل **اكبرنه** عظمنه وهبن حسنه الفايق الرايع الرايق فان فضل جاله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب عن النبي عليه السلام انه قال رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل يري تلالا وجهه على الجدران كما يري نور الشمس على الماء وقيل يعني اكبرن حضن والها للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله ❁ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق ❁
وقطعن ايديهن اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتبار حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به **وقلن**

حاش لله تنزيه له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجب من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثنا فلا يستثنى الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه كمعنى حاشا اليه تنزه اليه وبراءة الله وهي قراة ابن مسعود باللام لبيان المنزه والمبرا كما في سقيا لك والدليل على وضعه موضع الصدر قراة ابي السماك حاشا بالتنوين وقراة ابي عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراة الاعمش بحذف الاولى فان الضمير التصرف من خصايص الاسم فيدل على تنزيله منزلته وقدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله عدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقري حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش الا له وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رمته به لله اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله **ما هذا بشرا** على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقري بشر على لغة تميم وبشرى اي بعبد شرى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الكمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملائكة بقولهن **ان هذا الا ملك كريم** بناء على ركز في العقول من ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والكمال **قالت فذلكن** الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفته به الان من الخروج في الحسن والكمال من المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدا والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم الثاني عن المراتب البشرية هو **الذي لمتنني فيه** اي عيرتنني في الافتتان به حيث رايتن محل بنسبتي الى العزيز وصفتن جداره بكونه من المماليك او بالعنوان الذي وصفته به فيما سبق بقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدا محذوف اي فهو ذلك العبد الذي صورتن في انفسكن وقلتن فيه وفي ما قلتن فالان قد علمتن من هو وما قولكن فينا واما ما يقال ببعني انكن لم تصورونه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا تلايم المقام فان مرادها تبعيتهن وتمهيد عذرها لهن بتبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المعنى ربما يلوح لظهور معذرته وقد قيل في تعليل الملكية وهو ايضا لا يلايم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما يباين تمشية مرامها ثم بعدما اقامت عليهن الحجة اوضحت لديهن عندها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت **ولقد راودته عن نفسه** حسبما قلتن وسمعتن **فاستعصم** امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة تدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك واستجمع الراي وفيه برهان منير على انه لم يصدر منه عليه السلام شي مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من لهم وغيره اعترفت لهن ولا تمكن لسمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا لابتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها قط اظهرتم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا تلوم العوازل ولا باعراض الحبيب فقالت **ولئن لم يفعل ما امره** فيما سياتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير والضمير للموصول او امري اياه اي موجب امري ومقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها واقتصارا للامتثال لامرها **ليسجنن** بالنون المثقلة اثرت بنا الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او انها بالسعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل بينها فعل فاعل **وليكونن** بالمخففة **من الصاغرين** الاذلاء في السجن وقد قرى الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفاعل حكم الرقق واللام الداخلة على حرف الشرط موطية للقسم وجوابه ساد مساد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التاكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست في امرها على خفية وسخيفة من احد فيضيق عليه الحيل فيعيي به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الابراق والارعاد منها بظنه لسوال سايله تقول فما صنع يوسف حينئذ قيل **قال** مناجيا لربه عز سلطانه **رب السجن** الذي اوعدتني بالالقافيه وقرا يعقوب بالفتح على المصدر **احب الي مما يدعونني اليه** اي اثر عندي لانه مشقة قليلة نافذة اثرها راحات جليلة ابدية مما يروني اليه من مواتاتها التي تودي الى الشقاوة والعذاب الاليم وهذا الكلام عليه السلام منه مبني على ما مر من انكشاف الحقايق لربه وبروز كل

مها اصوريما اللابقة بالصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونها
واقربهما الى الايثار السجن والتعبير على الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على السجن من جانب
الصاغرين توعدته مستعانا به واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعوته الى
انفسهن وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسال الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله عليه الصلاة
والسلام على من كان يسال الصبر **والا تصرف** اي لم تصرف **عني كيدهن** في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان تثبتني على ما انا عليه
من العصمة والعفة **اصب اليهن** اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام
الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة على الشرور على جناب الله عز وجل وسلب التقوى والقدرة
عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب
الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن والصبابة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو
اليها لطيب نسيمها وروحه ها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق **واكن من الجاهلين** اي الذين لا يعملون بما يعلمون
لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح **فاستجاب**
له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الى اخره فانه فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي
اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف **فصرف عنه كيدهن** حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة
انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه **العليم** باحوالهم وما يصلحهم **ثم بدا لهم** اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ويقال الكتوا
بامر يوسف بالكتمان والاعراض عنه **من بعد ما راوا الآيات** الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على براءته عليه
السلام وفاعل بدا اما مصدره او الراي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله **ليسجننه** والمعنى بدا لهم بدا او راي
او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فاللام جواب القسم المحذوف والجملة معمول للقول المقدر الا من خبيثهم وما كان ذلك البداء الا
باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها حيث قالت السدي انها قالت لزوجها ان
هذا العبد قد فضحني في الناس يخبرهم اني راودته عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد اراد بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته
لما انصرفت حيلها عنه استتباعا لعرض الحال والترغيب نفسها وباعوا لها وقري ليسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب
بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الراي المباشرين للسجن والحبس
حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الراي عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذللها السجن ويسخرها ويحسب
الناس انه المجرم وقرئ عتي حين بلغة هذيل **ودخل معه السجن فتيان** اي مصاحبة السجن فتيان من فتيان الملك وهما ساقيه وخبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما لا يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابهم اليه ثم ان الساقي نكل عن
ذلك ومضى الخباز على عزمه فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها
الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابي فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما
فاتفق ان ادخلا معه وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس
حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى وتاخير السجن عن
الظرف لانه هو العكس اي يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا او يكون الجملة حالا من فاعل دخل تامل **قال احدهما** استئناف
مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي **اني اراني** اي رايتني والتعبير
بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية **اعصر خمرا** اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم
للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا **وقال الآخر** وهو الخباز **اني اراني احمل فوق راسي خبزا** تاخير المفعول عن الظرف لما مر
انفا وقوله **تاكل الطير منه** اي تنهش منه صفة للخبز او استئناف مبني على السؤال **نبئنا بتاويله** بتاويل ما ذكر من الرؤيين او ما

بما روي بما اجرى الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى المتعدد كما في قوله
فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
انتهى ان ذلك والسر في المصير الى اجرا الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما روي ان
الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتسنى تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى
اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه باعتبار الذي يجري عليه الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما وجعلهما
معا واما اذا قال كل منهما اثر ما قص مارآه فالخطاب المذكور ليس عبارة عن تاويلها بل عبارة احدهما وجعلهما المرجع بل عبارة كل
منهما تبني تاويله مستقر المارآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به **انا نراك** تعليل لعرض
رؤياهما عليه واستعبارهما **من المحسنين** اي من الذين يحسنون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه
فيؤولها له تاويلا حسنا ومن العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا
بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق عليه وسع له واذا
احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك
الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله
اسحاق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت
وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها
في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها **قال لا**
ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما هذا حسب عادتكما المطردة **الا نباتكما بتاويله** استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما
طعام في حال من الاحوال الا حال ما نباتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله **قبل ان ياتيكما** واطلاق التاويل عليه
اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما روي في المنام وشبيه له واما
بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتاويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل الشي الايل اليه فانه في الاصل جعل
شي الاولا الى اخر فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نباتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق
للواقع وكان عليه السلام يقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل منهما
بهيما من الامور المترتبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة
حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيين المتعلقين بالشراب والطعام وقد جعل الضمير لما قص من الرؤيين على معنى لا ياتيكما
طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتاويل ما قصصتما علي قبل ان ياتيكما ذلك الطعام الموقت مراده الاخبار بالاستعجال
في التنبيه وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتاويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله
في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تاويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تاويل رؤياهما مع ان فيه دلالة
على فضله لانها لما تعاني عبارة الانتظام في سمط المحسنين لما انهما قد علماه ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين فرسم عليه
السلام بما اخبرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير عما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق مهد قبل الخوض في ذلك
مقدمة تزيد بها علما بعظم شانه وثقة بامره وتوقعا على علو طبقته في بدايع العلوم برسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص
اليه من كلامهما فكانه قال لا تاويل ما قصصتماه علي وطرف التمام حيث رايتماه في المنام واني اخبركما بكل جليل ودقيق من
الامور المستقبلة كما اشرنا اليه معه وان لم يكن هنا فعقد منه المقامر ان الطعام الموظف الذي ياتيكما كل يوم ابتداء لكما
قبل اتيانه اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء من يصطفيه للنبوة

ذلكما اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي
والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة
من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباع ملة ابائه الانبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال اني تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليلا له لا للتعليم الواقع صلة له
للموصول لتاديته الى معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون
التاويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لماذا اعلمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل
لاني تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع راسا كما يفصح عنه قوله
ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام
والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل
على ما مر في قوله تعالى انه عمل غير صالح وهم بالاخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر واتبعت
ملة اباءي ابراهيم واسحاق ويعقوب يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة ابائه الكرام ولم
يتبع ملة قوم كفروا بالمبدا والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك
والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة ابائه لان التخلية متقدمة على التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع
لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد والبحت ذلك
اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا اي ناشئ من تاييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لاقتداء
الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد وهو اعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة
بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون
فان التوحيد مع كونه من اثار ما ذكر من التاييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس
لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا
حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس والافاق وقد اعطى سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثر
الناس لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الافاقية والانفسية
والعقلية والنقلية يا صاحبي السجن اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة فاداهما بعنوان الصحبة في مدار الاشتمال
ودار الاحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق
اتضاح فقال ءارباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كل منهم حسبما اراد غير مراقب للاخرين مع عدم استقلاله
خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد وبعدما نبههما على فساد تعدد
الارباب بين لهما سقوط الهتهما عن درجة الاعتبار راسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون
من دونه اي من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا
فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن
مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم واباؤكم بمحض جهلكم وضلالكم
ما انزل الله بها من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم في امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه
المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله
فكانه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشان فقيل امر على السنة الانبياء عليهم السلام ان لا تعبدوا الا اياه حسبما يقتضيه
قضية العقل ايضا ذلك اي تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا

ولكن

ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء
انفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيان ما هما عليه ومقداره الرفيع ومرتبة علمه
الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما
وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذارا من مشافهته بما يسوءه فيسقي ربه اي سيده
خمرا روي انه عليه السلام قال له ما رايت من الكرامة وحسنها الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضي
في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرئ عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول اي يسقى ما يروى به واما الاخر وهو الخباز
فيصلب فتاكل الطير من راسه روي انه عليه السلام قال له ما رايت من السلال الثلاث فثلاثة ايام تمر ثم تخرج فتقتل قضي اي اتم واحكم
الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤيين قطعا لا الذي هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الاخر كما يوهمه
اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه في الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال
استفتاه في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال
افتى كذا في حكمها او جوابها بكذا او ما هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملا افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه طلبهما وبيانه بقولهما نبئنا
بتاويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تاويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشانه اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة
الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما بما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام من الجواب
وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال ماله لانه في الحقيقة عين ذلك المال وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة واما توحيده
مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتاويله لا لان الامر ما اتهما وسجنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه
ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة لماله وعاقبته فتامل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا لتعبيره وتاكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما
جحدا وقالا ما راينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان يكون ذلك
لمراعاة جانبه وقال اي يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده
قوله تعالى قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر في ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي ظن ناجيا منهما من صاحبيه وانما
ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك
وادعى الى تحقق ما وصاه به لكنه ليس بوضعه فارق يدور عليه الاعتناء بشانه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو
يوسف عليه السلام لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن بل على ظن يوسف عليه السلام وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى
اني ظننت اني ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الامر الى اخره وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر
انبيا اجتهادي اذكرني بما انا عليه من الحال والقصة عند ربك سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي
انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء حقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته
عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغير الله سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك
والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث اي يوسف بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع سنين البضع ما بين
الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي
يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب
الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال الملك اي الريان اني ارى اي رايت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية سبع
بقرات سمان جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام ياكلهن اي اكلهن والعدول للمضارع لاستحضار
الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا تجمع
على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الاخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة

لبيت بجماعة لذلك فلا يقال ثلاثة صخام واربعة غلاظ فاما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى
الاسماروي انه راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان **وسبع**
سنبلات خضر قد انعقد حبها **واخر يابسات** اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي وهل عدم
التعرض بذكره بالاكتفا بما ذكر من حال البقرات **يا ايها الملا** خطاب للاشراف من العلما والحكما **افتوني في رؤياي** هذه اي عبروها وبينوا
حكمها وما يؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتا لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه **ان كنتم للرؤيا تعبرون** اي تعلمون عبارة
جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصورة الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الافاقية او الانفسية
الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اذا ذكرت مالها وعبارة الرؤيا ثبت من
عبرتها تعبيرا او للجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل
او لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم منتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر
اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا اخر **قالوا** استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الملا فقيل قالوا هي **اضغاث**
احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس
ووساوس الشيطان ويريها في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث
من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليه ويعتنى بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان لما
في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة او لتضمنها اشيا مختلفة من البقرات السبع السمان
والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر واخر يابسات فتامل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شان التنزيل **وما**
نحن بتاويل الاحلام اي المنامات اي الباطلة التي لا اصل لها **بعالمين** لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تاويل لها وانما
التاويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا متحارين في تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كما
يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او
عبارتها الى التاويل المنبي عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الايل والمال من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتاويله **وقال**
الذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي **وادكر** بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه السلام وشئونه
التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تاويلها على الملا **بعد امة** اي مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهي النعمة اي بعد ما انعم
عليه وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان
تكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد
العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة **انا انبئكم**
بتاويله اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقا نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله **فارسلون** اي الى يوسف وانما
لم يذكره لما سبق من التذكر وما يلوح من قوله **يوسف ايها الصديق** اي ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق
حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام اثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال **افتنا في سبع بقرات**
سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق
من معاملتهما وللدلالة على ان مضمون الحادثة علية حيث لا امكان لوقوعه في علم الشهادة اي بين لنا مالها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه
السلام في الفضل عبر عن ذلك بالافتا ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتاويله وفي قوله افتنا مع ان المستفتي واحد اشعار بان الرؤيا
ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما اذن بذلك حيث قال **لعلي ارجع الى الناس** اي الى
الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك **لعلهم يعلمون** ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون
فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من

الرجوع

الرجوع فربما اخترم دونه لعل المنايا دون ما تعدانى ولا من علمهم بذلك فربما لم تعلموه **قال** استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
قال يوسف عليه السلام في التاويل فقيل قال **تزرعون سبع سنين دابا** قرئ بفتح الهمزة وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر داب في العمل
اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين او تدابون دابا على انه مصدر موكد لفعله هو الحال اول عليه السلام
البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين
على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم
فقال **فما حصدتم** اي في كل سنة **فذروه في سنبله** ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام
استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها
امرا محققا الوقوع وتاويلا للرؤيا مصداقا لما فيها من البقر السمان **الا قليلا مما تاكلون** في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام
لهم للتقليل في الاكل والاقتصار على استثناء الماكول دون البذر لكون ذلك معلوما من تزرعون سبع سنين وبعد اتمامه شرع في بيان
بقية التاويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال **ثم ياتي** وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة
في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا **من بعد ذلك** اي من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا
الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية **سبع شداد** اي سبع سنين صعاب على الناس **ياكلن ما قدمتم**
لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لقوة الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن
مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل الاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكانما امر في السنابل من الحبوب شي
فذهبا وقدمتم لهن كالذي يقدم للنازل والا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن **الا قليلا مما تحصنون** تحرزون للبذور والزراعة **ثم**
ياتي من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة **عام** لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول
الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق **فيه يغاث الناس** من الغيث اي يمطرون يقال غيثت
البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع المكاره حين اظلتنا **وفيه يعصرون** اي ما من
شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفا عنه
بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات
يتوقف صلاحها على ما يبدا اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالة الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها
حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع والتكرير فيه اما للاشعار باختلاف ما يقع فيه
الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد
منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان القصر الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لبيان
انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للاصل على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم
بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البنا للمفعول من عصره
اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث
بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون منه من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعديته تعديته واما بحذف الجار
وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام
من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اولوا الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه
محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا
نباتكما بتاويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام **وقال الملك** بعد
ما جاءه البشير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقير وقطمير **ائتوني به** لما علم من علمه وفضله **فلما جاءه** اي يوسف **الرسول** واستدعاه الى

الملك قال ارجع الى ربك اي سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شأنهن وانما لم يقل فاسأله
ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث
للتفصي عما توجه اليه واما الطلب فما قد يتسامح ويتساهل فيه فلا يبالى به وانما لم يتعرض لامرأة العزيز مع ما لقي منها من مقاساة
الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة
فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها انها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي
ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن
مع الملك وانتصابهن للخصومة ذابّات عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى النسا قال استئناف مبني على السؤال كان قيل فماذا
قال بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شأنكن وهو الامر الذي يحق لعظمه ان يخاطب
المرء فيه صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعته عن نفسه ورغبته في اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله
تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امرأة العزيز
وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وتبين وظهر بعد خفاء قاله
الخليل وقيل هو مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تبين حصص الاراضي وغيرها وقيل
بان ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه اي القاها في
الارض للاناخة قال

بحصحص في صم الصفا ثفناته ❊ وناء بسلمى نوأة ثم صمما ❊

والمعنى اقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد في ذلك بمجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط
به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في
ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن
نفسه لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله حين افترت عليه هي راودتني عن نفسي وارادت بالآن زمان تكلمها
لهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل ايها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها
والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما
عند العزيز قبل ان يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي ذلك التثبت المؤدي
الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه في حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على
الخروج من السجن بل قال لما ذكر من نقض ما ابرمته ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور
حقيقة بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رأيه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح
امره عند الملك تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق بشأنه عليه السلام في الوثوق بامره والتوكل على ربه بالغيب اي بظهر الغيب وهو
حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة
وايا ما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اي وليعلم انه تعالى لا يهدي
كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى
يضاهون قول الذين كفروا اي يضاهونهم في قولهم وفيه تعريض بامرأته في خيانتها امانته وبه في خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها
على حبسه بعدما رأوا آيات نزاهته عليه السلام ويجوز ان يكون ذلك لتأكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هداه الله عز وجل امره
واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربئا بمكانها عن
التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحدثا بنعمة الله

عز وجل وابرازا لسره المكنون في شأن افعال العباد اي لا انزهها عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها
بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات
مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله الا ما رحم ربي من النفوس التي
يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي او هي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع
اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ان ربي غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري
النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها في الجريان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية
لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل انه من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام اني لم اخنه ولم
اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت
ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور لمن يستغفر لذنبه واعترف
به رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه عليه السلام في الخروج عن السجن لعدم رضاه بملاقاة الملك وامره بين فعل ما فعل حتى
يتبين نزاهته وانه انما سجن مطبل عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاكرام والاجلال وقد
وقع وقال الملك ائتوني به استخلصه اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه اي فاتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان به
فكأنه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف عليه السلام والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف
اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس
بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئها احترازا عن احتمال كونها بعد حين روي انه عليه السلام لما جاءه الرسول
خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال له ما هذا اللسان قال لسان ابي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه
بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه السرير وفوض اليه
امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرايم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد
تعيينه عليه السلام لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد
والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن لا يقدر على
اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام ولعل ايثاره عليه
السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصل في التأويل لكونه من
فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الارض
ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا
مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف
اي جعلنا له مكانا في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض
مسندا الى ضمير العزة سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل
بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكه
وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع
له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من
لباسي ولا لباس ابائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام
العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي

واخواهم وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس **نصيب برحمتنا** بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم **من نشاء** بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة **ولا نضيع اجر المحسنين** بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من نصيبه الرحمة المرقومة وانها اجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد **ولاجر الاخرة** اي اجرهم في الاخرة والاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له **خير** لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل **للذين آمنوا وكانوا يتقون** تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل **وجاء اخوة يوسف** ممتارين لما ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين **فدخلوا عليه** اي على يوسف وهو في مجلس ولايته **فعرفهم** لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لما لهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيآتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له **وهم له منكرون** اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم امرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه اياهم **ولما جهزهم بجهازهم** اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم **قال ائتوني باخ لكم من ابيكم** لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قال ذلك لما انهم سألوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به لا لما قيل من انه لما رأوه وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا فقالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء واسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وانما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة ائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسالهم معهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال **الا ترون اني اوفي الكيل** اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كونه هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة **وانا خير المنزلين** جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ويلحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقل عليه الصلاة والسلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء **فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي** من بعد فضلا عن ايفائه **ولا تقربون** بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه السلام **قالوا سنراود عنه اباه** اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله **وانا لفاعلون** ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون عليه لا نتعاياه **وقال** يوسف **لفتيانه** لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهو جمع قلة **اجعلوا بضاعتهم في رحالهم** فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون

به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله **لعلهم يعرفونها** اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك ولكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق به **اذا انقلبوا الى اهلهم** فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا فاما معرفة حق التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به **لعلهم يرجعون** حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل انما فعله عليه السلام لما لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور واما ان علته تحمل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرا **فلما رجعوا الى ابيهم قالوا** قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع **يا ابانا منع منا الكيل** اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام **فارسل معنا اخانا** بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم **نكتل** بسببه من الطعام ما نشاء وقرئ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا **وانا له لحافظون** من ان يصيبه مكروه **قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل** وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله **فالله خير حافظا** وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة **وهو ارحم الراحمين** فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا كما ترى قبل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة **ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** اي تفضلا وقد علموا ذلك بامر من دلالة الحالة وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل قيل وكيل **قالوا** اي استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح **يا ابانا ما نبغي** اذا قصد البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى **هذه بضاعتنا ردت الينا** جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندري بعدما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلب فلم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى **ردت الينا** حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل **ونمير اهلنا** اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي فنستظهر بها ونمير اهلنا **ونحفظ اخانا** من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه **ونزداد** اي بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين المعرب به **كيل بعير** اي وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط **ذلك** اي بالجملة اباعرنا **كيل يسير** اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اي لا حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي مطلب نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اي اي شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك او اي شيء تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه

بمعنى لا انطلب وراما فيه والمعنى ما نبتغي شيا غير ما رابنا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل
ما نطلب مال بضاعة اخرى والجملة المستانفة تعليل واما اذا فسرا لبغي بالمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما
نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستانفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير
اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه ونحصل امثاله من نمير اهلنا ونحفظ اخانا فان ذلك اهون شي بواسطة احسانه
وقد يجوز ان يكون كلاما مبتدا اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا وشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان
وعجبا لي اسعى وانت خبير بان شان الجمل التذييلية ان تكون موكدة لمضمون الصدر ومقررة له كالمثال المذكور وقولك فلان
ببطوتها بحق ما نعني البلوان قوله ونمير الى اخره وان ساعدنا في جملة على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك او ما نبغي في الراي
وما نعدل عن الصواب فما ننتشر به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى اخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رايهم اي
بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتامل **قال لن ارسله معكم** بعد ما عاينت منكم ما عاينت **حتى تؤتون**
موثقا من الله اي ما اتوثق به من جهة الله عز وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان توكيد العهود به ماذون فيه من جهته تعالى فهو اذن
منه عز وعلا **لتاتنني به** جواب للقسم اذ المعنى حتى تحلفوا لتاتنني **الا ان يحاط بكم** اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا
واصله من احاطة العدو فالدين احاط به العدو وقد هلك غالبا وهو استثنا من اعم الاحوال او اعم العلل على تاويل الكلام بالنفي الذي
بسياق المبالغة اي ليتاتين به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال او لعله من العلل الا حال والاحاطة بكم او لعلة الاحاطة ونظيره قولهم
اقسمت عليك الا فعلت والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك وقد جوز الاول بلا تاويل ايضا لتاتنني به على كل حال الا حالة الاحاطة
بكم او لعلة الاحاطة ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلته والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك وقد وانت تدري انه حيث لم يكن له
الاتيان به من الاحوال المعتد بها الشاملة للاحوال على سبيل البدل كما في قولك لا لزمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام
مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان يكون محدثا بل مجرد تحقيقه ونحوه من غير اخلال به كما
في قولك لاتجيني العام الا ان احصر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك
الاحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فال المعنى الى التاويل المذكور
فلما اتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام **قال الله على ما نقول** اي على ما طلبناه في اثنا طلب الموثق واتيانه من الجانبين
واشار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المودية الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته **وكيل** مطلع رقيب يريد به عرض ثقته
بالله تعالى ليشهدهم على مراعاة ميثاقهم **وقال** ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا **يا بني لا تدخلوا** مصر **من باب واحد** نهاهم عن ذلك حذرا
من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا عملوا في هذه المرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر
بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى وكانوا مثنة لكل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست
مما ينكر وقد ورد عنه عليه السلام ان العين حق وعنه عليه الصلاة والسلام يعوذ ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان
عليه الصلاة والسلام يعوذ الحسنين رضي الله عنهم بقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان
يقول كان ابوكما يعوذ بها اسماعيل واسحاق عليهم السلام رواه البخاري عليه في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول
من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب متفرقة وكان في دخولهم من بابين او ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع
مصحح لوقوع المحذور قال **وادخلوا من ابواب متفرقة** بيانا لما هو المراد بالنهي وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا
لكنه لما كان المراد به الامر المذكور لا تحقيق شي اخر **وما اغني عنكم** اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري **من الله من**
شي اي شيا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغا الحذر بالمرة كيف وقد قال عز قايلا ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التاثير وترتب
المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه **ان الحكم** مطلقا **الا لله** لا يشاركه

احد ولا يمانعه شي **عليه** لا على احد سواه **توكلت** في كل ما اتيه واذره وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخلة بالتوكل **وعليه**
دون غيره **فليتوكل المتوكلون** جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره
من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفا سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا
اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير معتبرين بما وصاهم به من التدبير
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفي بذكره
لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه **ما كان** ذلك الدخول **يغني** فيما سياتي عند وقوع ما وقع **عنهم** عن الداخلين لان العصا استدفاع
الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم الاغنا بالفعل
انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق حينيذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما
سياتي فتامل **من الله** من جهته **من شي** اي شيا مما قضا عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الراي حيث وصاهم به يعقوب عليه
السلام وعلموا ان تقيته بحد وانى فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم الاغنا كما في قوله تعالى
فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجي النذير هناك سبب زيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته للاغنا مع كونها متوقعة في
بادي الراي كما في قولك حلف ان يعطيني حقي عند طول الاجل فلما حل لم يعطني شيا فان المراد بيان سببية حلول الاجل للاعطا مع
كونها مرجوة موجب الحلف لا لبيان سببيته لعدم الاعطا كما لم يبان عدم ترتب الغرض المعتمد على التدبير المعهود مع كونه مرجوا
لوجوه لا لبيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بنا على ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته منه انه لا يغني عنهم من الله
عنها فكانه قيل لما لم تلقوا ما لقوا واغنا وصاهم به لم يعد ذلك شيا ووقع الامر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع
فتاحل الا حاجة استثنا منقطع اي ولكن حاجة وحذارة كاينة **في نفس يعقوب قضاها** اي اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة
غير معتقد ان للتدبير تاثيرا في تغيير التقدير وقد جعله ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضا حاجة في نفس
يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيا ولكن قضا حاجة حاصلة
في نفس يعقوب لوقوعه حسب ارادته فالاستثنا منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فايدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة
العين فانها لم تقع لكونها غير مقدرة لا لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم **وانه لذو علم** جليل **لما علمناه** لتعليمنا اياه بالوحي
ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التاثير حتى يتبين الخلل في رايه عند تخلف الاثر وحيث
ستر العقول بانه لا يغني عنهم من الله شيا فكان الحال كما قال وفي تاكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند
اليه انه سبحانه من الدلالة على جلالة شانه يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى **ولكن اكثر الناس لا يعلمون**
اسرار القدر ويظنون انه يغني عنه الحذر واما ما يقال من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيا من القدر فيا باه
مقام بيان تخلف الظاهر عن المبادي **ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه** بنيامين اي ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما
روي انهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا قد جيناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم
مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم فريدا واجلسه معه على مايدته
وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا وبقي بنيامين فقال هذا لا ثاني معه فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رايحته حتى اصبح
وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال
من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وتعرف اليه وعند ذلك **قال اني انا اخوك**
يوسف **فلا تبتئس** فلا تحزن **بما كانوا يعملون** بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس
رضي الله تعالى عنه وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاه منهم
من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي بي فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل

الى ذلك الان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي
ردك بعد تسريحك معهم قال افعل **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية** اي المشربة قيل كان مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل
كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت انا مستطيلة
تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر **في رحل اخيه** بنيامين وقرئ وجعل على
حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا **ثم اذن مؤذن** نادى منادي **ايتها العير** وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير
اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد
اصحابها كما في قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر
بهم فادركوا ونودوا **انكم لسارقون** هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين
فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسباق وقرا اليماني بلا لام **قالوا** اي الاخوة
واقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم **ماذا تفقدون** اي تعدمون يقول فقدت
الشيء اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمال ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من افقدته
اذا وجدته فقيدا او على التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق
منهم شيء فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسالونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب
والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرآء الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث **قالوا** في جوابهم **نفقد صواع** وصوع
الملك ولم يقولوا سرقتموه او سرقوه وقرئ صاع وصوع بفتح الصاد وضمها وباهمال العين واعجامها من الصياغة ثم قالوا ترتيبا لما
تلقوه من قبلهم وارادة لاعتقاد انه انما بقي في رحلهم اتفاقا **ولمن جاء به** من نفسه مظهرا له قبل التفتيش **حمل بعير** من الطعام جعلا له
لا على نية تحقيق الوعد لكونهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله **وانا به زعيم** كفيل اوديه اليه وهو
قول المؤذن **قالوا تالله** الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن
في قول ضعيف ولو قلت بالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه تعجب **لقد علمتم** علما جازما مطابقا للواقع
ما جئنا لنفسد في الارض اي لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها اي افساد كان فضلا عما نسبتمونا
اليه من السرقة ونفي المجيء للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذي يترتب
عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره
عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم في الجملة الذي هو
مقتضى الظاهر المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكانهم قالوا ان صدر عنا
افساد وكان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه يصفون انه قد شاع ذكر في كرتين مجيئنا ما نحن عليه وقد
كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما ياتون ويذرون حتى روي انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول
زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يصدر عنا افساد **وما كنا سارقين** اي ما كنا نوصف
بالسرقة وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفي الامرين
المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم **قالوا** اي اصحاب يوسف عليه
السلام **فما جزاؤه** الضمير للصاع على حذف المضاف اي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم **ان كنتم كاذبين** لا في دعوى البراءة
عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل **قالوا جزاؤه من وجد** اي
اخذ من وجد الصواع **في رحله** حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم
المبني على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره

كيف

كيف ما كان فتامل واحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله **فهو جزاؤه** تقرير
لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة
الظاهر مقام الضمير والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول للمن والثاني للظاهر الذي وضع موضعه **كذلك** الاية
اي مثل ذلك الجزاء الاوفى **نجزي الظالمين** بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال
براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون **فبدأ** يوسف بعدما رجعوا اليه للتفتيش **باوعيتهم** باوعية الاخوة العشرة اي بتفتيشها
قبل تفتيش **وعاء اخيه** بنيامين لنفي التهمة روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا تتركه حتى
تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا **ثم استخرجها** اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث **من وعاء اخيه** لم يقل منه على
رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح **كذلك**
نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو
عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وتحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز
وجل **كدنا ليوسف** صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله
فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى **ما كان لياخذ اخاه في دين الملك** استئناف
وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن لياخذ اخاه بما فعله في دين الملك
في امر السارق اي في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه قاله قتادة الاية لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف
ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها
اليه في حال من الاحوال **الا ان يشاء الله** الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك
الوجه ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن عباده المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال
حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد
كدنا لا كيدا اخر ولا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه في دين الملك في شان السارق قطعا اذ لا علاقة بين
مطلق الكيد ودين الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم
يكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك به الا حال مشيئتنا له بايجاد ما يجري مجرى الجزء الاخير من العلة
التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه
اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط الى اخره وعلى كل حال فالاستثناء
من اعم الاحوال كما اشرنا اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن لياخذ اخاه لعلة من العلل او لسبب من
الاسباب الا لعلة مشيئته تعالى وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه
وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك فقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد
بما نبه ما عليه حينئذ فتفسيره محل بالاتصال وارادة مطلق ما تبين به اعم منه ومما يحدث بعضي الكون الاستثناء من قبل التعليق
بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه حينئذ ولم يتعلق المشيئة بجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا
يؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور
فتدبر وقد جوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين الملك **نرفع درجات** اي رتبا كثيرة عالية من
العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى **من نشاء** اي نشاء رفعه حسبما
تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة
بهن الماوة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب **وفوق كل ذي علم** من اولئك المرفوعين **عليم** لا ينالون شأوه واعلم انه ان

جعل الكيد عبارة عن العنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية او الشطرية من ارشاده عليه
السلام الى دس الصواع في رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما تم من قبله والمعنى ارشدنا كلا منهم ومن يوسف
واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم
توضيح له للتعلق معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شئ بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده
وفوق كل واحد منهم عليم لا تناهى قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما
يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دأبه علمه لا يفي بمرامه فارسل اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه الصلاة
والسلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا او علما والتعرض
لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شانه عز وعلا
وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء
وان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ
الى هذا الحد علمناه ولم يقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي يصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع
درجات من نشاء توضيح لقوله كذلك وبيان لانه ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها
وقوله وفوق كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال
ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل
منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته
ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من اوليائك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة
به والله تعالى اعلم **قالوا ان يسرق** يعنون بنيامين **فقد سرق اخ له من قبل** يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من
جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها
منطقة ورثتها من ابيها اسحاق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه
ثم قالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب
عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا اصغر من ذهب
كانوا يعبدونه فدفنه **فاسرها يوسف** اي الحزازة الحاصلة مما قالوا **في نفسه** لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت
لهم اسرارا **ولم يبدها لهم** لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق **قال** اي في نفسه وهو استيناف مبني على سؤال
نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال **انتم شر مكانا** اي منزلة
حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البرئ وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا **والله
اعلم بما تصفون** اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب ان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة
لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم **قالوا** عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين
يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا **شيخا كبيرا** في
السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة له يتعلل عن شقيقه الهالك **فخذ احدنا مكانه** فليس له عنده بمنزلته من المحبة والشفقة
انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك **قال معاذ الله** اي نعوذ بالله
معاذا من **ان ناخذ** فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار **الا من وجدنا متاعنا عنده** لان
اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة المتكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد
من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط باراء اولي الحل والعقد وايثار من وجدنا

عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرامة فانهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على
محمل غير السرقة **انا اذا** اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه **لظالمون** في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي اريد
بالكلام في اثناء الحوار وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان اخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت
ظالما وعاملا بخلاف الوحي **فلما استيأسوا منه** اي يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم
هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز
عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون **خلصوا** اعتزلوا وانفردوا عن الناس **نجيا** ذوي نجوى على
ان يكون بمعنى النجوى والتناجي او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والسامر ومنه قوله تعالى وقربناه
نجيا ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير **قال كبيرهم** في السن وهو روبيل او في
العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون **الم تعلموا** كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم
الم تعلموا **ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله** عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم
ومن قبل اي من قبل هذا **ما فرطتم في يوسف** قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة
او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شان يوسف عليه
السلام والاخير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم
تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان يوسف عليه السلام وان تفريطكم الكائن او كائنا في شان يوسف عليه السلام وقع وفيه
ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان
الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا الا عند البعض كما يصدر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء
والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع على الابتداء **فلن ابرح الارض** متفرع على ما
ذكره وذكره اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق **حتى ياذن لي
ابي** في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام **او يحكم الله لي** بالخروج
منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك
لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكانوا بنو يعقوب
اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف قم الى جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان
في البلد بذرا من بذر يعقوب **وهو خير الحاكمين** اذ لا يحكم الا بالحق والعدل **ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق**
على ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة **وما شهدنا** عليه **الا بما علمنا** وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه **وما كنا
للغيب** اي باطن الحال **حافظين** فما ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه وما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق
او انا نلاقي في هذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف **واسال القرية التي كنا فيها** اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي
عندها اي ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة **والعير التي اقبلنا فيها** اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان
من جيران يعقوب وقيل من صنعاء **وانا لصادقون** تاكيد في محل القسم **قال** اي يعقوب عليه السلام وهو استيناف مبني على سؤال نشأ
مما سبق فكانه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما اخذت
للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جوابه اياهم **بل سولت** اي زينت
وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانما لم يصدقهم
مما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت **لكم انفسكم امرا** من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ
السارق بسرقته **فصبر جميل** اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل **عسى الله ان ياتيني بهم جميعا** بيوسف واخيه والمتوقف بمصر **انه هو**

العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة وتولى عنهم اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفا على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء قال ابو اي اسفي تعال فهذا اوانك وانما تاسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء عنده وان تقادم عهده اخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد عليه السلام الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ بنبأ يقين ونظائرهما وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال لما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتأ اي لا تفتأ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله

فقلت يمين الله ابرح قاعدا

لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات فيكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وعذب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه الذي بابه في دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت عليه السلام في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه سيخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف اي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم من ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة

ثم

ثم قالوا فأوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا عليه الصلاة والسلام وانما لم يبدأوا بما امروا به استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على المحملين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرض بذلك وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف عليه السلام واذلالهم له بذلك حتى لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون عاقبته وانما قال له نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وموبخا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلم رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه كتاب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي في النار فجعلها الله تعالى وجعلت النار بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكدوه بان واللام قالوا استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ أئنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسألتهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأن اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حسبما يفيده قوله قد من الله علينا فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا والاجتماع بعد الفرقة والمغفرة بعد الزلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن وعلى مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اي لا عتب ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر خبرا للا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه حينئذ صفح عن جريمتهم وعفا عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الكبائر والصغائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم

كانوا ينظرون اليه بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الان وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام **اذهبوا بقميصي هذا** قيل هو الذي كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبريل عليه السلام بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي **فالقوه على وجه ابي يات بصيرا** اي يصر بصيرا او يات الي بصيرا ويشهد له قوله **واتوني باهلكم اجمعين** اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النسا والذراري قيل انما حمل القميص يهودا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا **ولما فصلت العير** خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرى ابن عباس رضي الله عنه انفصل العير **قال ابوهم** يعقوب عليه السلام لمن عنده **اني لاجد ريح يوسف** اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهودا **لولا ان تفندون** اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الراي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف لصدقتموني **قالوا** اي الحاضرون عنده **تالله انك لفي ضلالك القديم** لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقايه وكان عندهم انه قد مات **فلما ان جا البشير** وهو يهودا **القاه** اي القى البشير القميص **على وجهه** اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه **فارتد** عاد **بصيرا** لما انتعش فيه من القوة **قال الم اقل لكم** يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان وقوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله **اني اعلم من الله ما لا تعلمون** فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اولي يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم عن الياس من روح الله تعالى اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف روي انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة **قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين** ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك اقتصروا على استدعا الاستغفار اذ اوجوا ذلك في الاستغفا **قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم** وهذا مشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه قد عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه انه استقبل القبلة قايما يدعو وقام يوسف خلفه يومن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وانما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنبا وقيل المراد الاستمرار على الدعا فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا على اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين **فلما دخلوا على يوسف** روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومايتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظما واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي متوكا على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ست مائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف ومايتي الف **اوى اليه ابويه** اي اباه وخالته وتنزيلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل واله اباك ابراهيم واسماعيل واسحاق ولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه وقال الحسن وابن اسحاق كانت امه في الحياة فلا حاجة الى التاويل ومعنى اوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما اليه وكانه عليه السلام ضرب للملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فاواهما اليه **وقال ادخلوا مصر ان شا الله امنين** من الشدايد والمكاره قاطبة والمشية متعلقة بالدخول على الامن **ورفع ابويه** عند نزولهم بمصر **على العرش** على السرير تكرمة **لهما** فوق ما فعله لاخوته **وخروا له** اي ابواه واخوته **سجدا** تحية

له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحنا دون تعفير الجباه وتاباه الخرور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى **وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي** التي رايتها وقصصتها عليك **من قبل** في زمن الصبا **قد جعلها ربي حقا** صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتاخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب كونها على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تاخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله **وقد احسن بي** المشهور استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل بالبا ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا بتضمين لطف وهو الاحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشا وفيه فايدة لا تخفى اي لطف بي محسنا الي عبر هذا الاحسان **اذ اخرجني من السجن** بعدما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذارا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا واكتفا بما يتضمنه قوله **وجا بكم من البدو** اي البادية **من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي** اي افسد بيننا بالاغوا واصله من نخس الرايض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان **ان ربي لطيف لما يشا** اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجي على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل **انه هو العليم** بوجوه المصالح **الحكيم** الذي يفعل كل شي في قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليه السلام وطاف به في خزاينه فادخله في خزاين الورق والذهب وخزاين الحلي وخزاين الثياب وخزاين السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزاين القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال اوما تساله قال انت ابسط اليه مني فساله فقال جبريل الله تعالى امرني بذلك لقولك اخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك الدايم الخالد فتمنى الموت فقال **رب قد اتيتني من الملك** اي بعضه عظيما لبعضا وهو ملك مصر **وعلمتني من تاويل الاحاديث** اي بعضا من ذلك كذلك ان اريد بتعليم تاويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقايق سنن الانبيا عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتا الملك عليه في الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفايضة عليه من الله سبحانه والملك اعرف في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هناك وارد على نهج العلة الغايية للتمكين فان حمل معنى التمليك لزم تاخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التاخير في الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود **فاطر السموات والارض** مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او منادى اخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله **انت وليي** مالك اموري **في الدنيا والاخرة** او الذي يتولاني بالنعمة فيهما واذ قد انعمت علي بنعمة الدنيا **توفني** اقبضني **مسلما والحقني بالصالحين** من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعا به توفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاجروا في ذلك حتى هموا بالقتال فراوا ان يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل ليمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واخذا في التبرك وولد له افرائيم وميشا ولافرائيم نون وليوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنوا اسرايل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وابايه الى ان بعث الله موسى عليه السلام **ذلك** اشارة الى ما سبق من نبا يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او كونه بالانقضا في حكم البعيد والخطاب للرسول صلعم وهو مبتدا خبره **من انبا الغيب** الذي لا يحوم حوله احد وقوله **نوحيه اليك** خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انبا الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك **وما كنت لديهم** يريد اخوة يوسف **اذ اجمعوا امرهم** وهو جعلهم اباه في غيابة الجب **وهم يمكرون** به ويبغون له الغوايل حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها لتطلع على سرايرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه السلام في مشهد اجماعهم ومكرهم فقط بل في ساير المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما

بني عند قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ذلك من انباء
الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك فيه
المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فكانهم يشكون في ذلك فيدفع
شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتب ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق
بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر **وما اكثر الناس** يريد به العموم او اهل مكة **ولو حرصت** اي على
ايمانهم وبالغت في اظهار الايات القاطعة الدالة على صدقه **بمؤمنين** لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود
وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا احزن النبي عليه السلام فقيل
له ذلك **وما تسألهم عليه** اي على الانباء او على القرآن **من اجر** من جعل كما يفعله حملة الاخبار **ان هو الا ذكر** عظة من الله تعالى **للعالمين**
كافة لا ان ذلك مختص بهم **وكاين من اية** اي كاين عدد شئت من الايات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه
وقدرته وحكمته غير هذه الايات التي جئت بها **في السموات والارض** اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير
احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الفائتة للحصر **يمرون عليها** اي يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع
الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى ويطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما
يمرون فيها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الايات والعبر **وهم عنها معرضون** غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها **وما يؤمن اكثرهم**
بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته **الا وهم مشركون** بعبادتهم لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه
ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم في حال شركهم قيل نزلت الاية
في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب **افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله** اي عقوبة تغشاهم وتشملهم **او**
تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة **وهم لا يشعرون** باتيانها غير مستعدين لها **قل هذه سبيلي** وهي الدعوة الى
التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله **ادعوا الى الله على بصيرة** بيان وحجة واضحة غير عمياء او هي حال من الضمير من سبيلي
والعامل فيها معنى الاشارة **انا** تأكيد للمستكن في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة **ومن اتبعني** عطف عليه
وسبحان الله وما انا من المشركين مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا** رد لقولهم لو شاء الله
لانزل ملائكة **يوحى اليهم** كما اوحينا اليك وقرئ بالياء **من اهل القرى** لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك **ولدار**
الاخرة اي الساعة او الحياة الاخرة **خير للذين اتقوا** الشرك والمعاصي **افلا يعقلون** فيستعملوا عقولهم ليعرفوا خيرية دار
الاخرة وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت قل **حتى اذا استيأس الرسل** غاية لمحذوف دل عليه السياق اي لا يغرنهم تماديهم فيما هم
فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في
الطغيان من غير وازع **وظنوا انهم قد كذبوا** كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانهم يوصفون
بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى
استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا **جاءهم نصرنا** فجأة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وظنوا انهم قد اخلفوا
ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن
تهويلا للخطب واما الظن الذي هو احد الجانبين على الاخر فلا يتصور من ذلك من احاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم
ومنزلتهم في معرفة شؤون الله تعالى منزلتهم وقيل الضميران للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل
ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتحقيق على بناء الفاعل على ان الضميرين للرسل اي ظنوا انهم كذبوا ما عند قومهم فيما حدثوا به

لما

لما تروا له اثرا او على ان الاول لقومهم **فنجي من نشاء** هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف
والتشديد وقرئ فنجا **ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين** اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشيئة **لقد كان في قصصهم** اي
قصص الانبياء واممهم وينصره قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف واخوته **عبرة لاولي الالباب** لذوي العقول المبرأة
عن شوائب احكام الحس **ما كان** اي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة **حديثا يفترى ولكن** كان **تصديق الذي**
بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ولكن هو تصديق الذي **وتفصيل كل شيء** مما يحتاج
اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القرآن بالذات او بوسط **وهدى** من الضلالة **ورحمة** ينال بها خير الدارين
لقوم يؤمنون اي يصدقونه لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت
واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد اربعون وثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **المر** اسم السورة ومحله اما الرفع على
انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا
وقوله تعالى **تلك** على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثاني او بدل من الاول اشير به اليه ايذانا بفخامته
واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ او اذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم
وارى على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه والخبر على التقادير قوله تعالى **ايات الكتاب** اي الكتاب العجيب الكامل الغني
عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل
حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس عليه السلام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف
الايات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة
في الاتصاف بتلك الصفة المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع اياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها
وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس **والذي انزل اليك من ربك** اي الكتاب المذكور بكماله هذه السورة
وحدها **الحق** الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه
ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه
بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة
على فخامة المنزل التابعة لجلال شأن المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر لا يخفى **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** بذلك الحق
المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لان المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا
كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار **الله الذي رفع السموات** اي خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر
الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذي مد الارض **بغير عمد** اي بغير دعائم
جمع عماد كاهاب واهب وهو ما تعمد به اي تسند يقال عمدت الحائط اي دعمته وقرئ عمد على جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول
وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد **ترونها** استئناف استشهد به على ما ذكر من رفع
السموات بغير عمد وقيل صيغة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله سبحانه **ثم استوى** اي استولى **على العرش**
بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف وايا ما كان فليس المراد به القصد
الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة **وسخر الشمس والقمر** ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من
الحركات وغيرها **كل** من الشمس والقمر **يجري** حسبما اريد منهما **لاجل مسمى** لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان

كلا منهما يجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية او لمدة ينتهي فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى
الفعل او الغاية تتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما **يدبر** ما صنع من الرفع والاستوا والتسخير اي يقضي حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة **الامر** امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته **يفصل الايات** الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اي ياتي بها مفصلة
وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيا فشيا المستتبعة للاثار الغريبة في السفليات
على موجب التدبير والتقدير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستوا واما مفسرتان له او
الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها او كلاهما من ضماير الافعال المذكورة وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من
قوله الله خبر بعد خبر والموصول صفة للمبتدا جي به للدلالة على تحقق الخبر وتعظيم شانه كما في قول الفرزدق

ان الذي سمك السما بنا لنا ... بيتا دعايمه اعز واطول

لعلكم عند معاينتكم وعثوركم على تفاصيلها **بلقاء ربكم** بملاقاته للجزا **توقنون** فان من تدبرها حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع
هذه الصنايع البديعة على كل شي قدير وان لهذه التدبيرات المعينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على لسنة الانبيا
عليهم السلام ان ذلك ابتلا للمكلفين ثم جزاوهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الاتيان بالجزا ولما قرر الشواهد العلوية اردفها
بذكر الدلايل السفلية فقال **وهو الذي مد الارض** اي بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه
فقيد لا لة على بعد مداها وسعة اقطارها **وجعل فيها رواسي** اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة
ولم يذكر الموصوف لاغنا غلبة الوصف بها عن ذلك وانحصار مجي فواعل جمعا لفاعل في فوارس وهوالك وتراكس انما هو في صفات
العقلا واما في غيرهم فلا يراعى ذلك اصلا كما في قوله تعالى اياما معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى
ان يجعل مفردها صفة بجمع القلة اعني اجبلا ويعتبر في جمع الكثرة اعني جبالا لانتظامها لطايفة من جموع القلة وتنزيل كل منها
منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جميعه كل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الافراد تحتها باعتبار انتظام جمع
القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوايف جمع طايفة ولا الى ان يلتجا الى
جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسما التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون الفرد
والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها **وانهارا** مجاري واسعة فالمراد ما يجري فيها من المياه وفي
نظمها مع الجبال في معمولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشا للانهار وبيان لفايدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن
الاضطراب اجل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكينه وتقلبه وهي تعيشه بالما والكلا **ومن كل الثمرات** متعلق بجعل
في قوله تعالى **جعل فيها زوجين اثنين** اي ثنيتين حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الاخر واكد به الزوجين لئلا يفهم ان
المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينيته ذلك اثنينية اعتبارية اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة
في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية
كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استينافا لبيان كيفية ذلك الجعل **يغشي الليل
النهار** استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشيا الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار
بالليل والتركيب فان احتمل العكس ايضا يحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضو النهار ايضا ساتر الظلمة الليل الا ان
الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف الايات السفلية وان كان تعلقه بالايات العلوية الظاهرات
باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا لان الليل والنهار لما تعلق بالثمرات من حيث
العقد والانضاج على انهما جران ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرى يغشي من التغشية **ان في ذلك** اي فيما ذكر من مد الارض
واثباتها بالرواسي واجرا الانهار وخلق الثمرات واغشا الليل والنهار وفي الاشارة لذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه في
بابه **لايات** باهرة وهي اثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها فعلى معناها فان تلك الاثار مستقرة في تلك الافاعيل

سوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الاثار المدلول عليها بتلك الافاعيل فمعنى بها **لقوم يتفكرون** فان التفكر فيها
يودي الى الحكم بان تكون كل من ذلك على هذا النمط الرايق والاسلوب اللايق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشا ويختار ما يريد
لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد **وفي الارض قطع** جملة مستانفة مشتملة على طايفة اخرى من الايات اي بقاع كثيرة مختلفة في
الاوضاع فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى وهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك **متجاورات** اي متلاصقات وفي بعض مصاحف قطعا
متجاورات اي جعل في الارض قطعا **وجنات من اعناب** اي بساتين كثيرة منها **وزرع** من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة
اصله ولعل تقديم ذلك الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها وما بينها لسابر رسوخ ذلك فيها وتاخير قوله
تعالى **ونخيل** لئلا يقع بينها وبين صفتها وهو قوله تعالى **صنوان وغير صنوان** فاصله في الصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة
التي لها راسان واصلها واحد وقرى بضم الصاد على لغة بني تميم وقيل وقرى جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات
فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات
بمحض جعل الخالق العليم جلت قدرته حين مد الارض ودعاها الى الايما الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرى
وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات **تسقى** اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرى بالتانيث مراعاة للفظ والاول
اوفق للمقام ببيان اتحاد الكل في حالة السقي **بماء واحد** لا اختلاف في طبعه سوا كان السقي بما المطر او بما الانهار **ونفضل** مع تاخذ اسباب
التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا **بعضها على بعض** اخر منها **في الاكل** فيما يحصل من الثمر والطعم وقرى بالياء على بنا الفاعل ردا على
يدبر ويفصل ويغشي وعلى بنا المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل الى فاعل اخر مغن عن بنا
الفعل للفاعل **ان في ذلك** الذي فصل من احوال القطع والجنات **لايات** كثيرة عظيمة ظاهرة **لقوم يعقلون** يعملون على قضية
عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدايع وخلق تلك الاثمار المختلفة في الاشكال
والالوان والطعوم والروايح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدايق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي له
اهون في القياس وهذه الاحوال وان كانت هي الايات انفسها لا انها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة في كونها اية
ففي تجريدية في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد والمشار اليه الاحوال الكلية والايات افرادها الحادثة شيا فشيا في الازمنة واختارها
الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها فمعنى على معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولها اظهر مما سبق علق
كونها ايات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات
مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر لا حاجة في ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين **وان تعجب** يا محمد
من شي **فعجب** اي لا عجب منه حقيق بان يقصر عليه التعجب **قولهم** بعد مشاهدة ما عدا ذلك من الايات الشاهدة بانه تعالى على كل شي
قدير **ائذا كنا ترابا** على طريقة الاستفهام الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على انه
بمعنى القول او في محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر فالتعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل فيما اذا دل
عليه قوله **ائنا لفي خلق جديد** وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه اليه في حال منافية له
وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتاكيد الانكار وليس المراد انكارهم كونهم في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية
ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب
قولهم والمال وان تعجب فقد تعجب في موضع التعجب وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل وقد يجوز كون
الخطاب لكل من يصلح اي ان تعجب يا من ينظر في هذه الايات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلايل
قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله ويستعجلونك بالسية هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدا للقصر
والتسجيل من اول الامر بكون قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدا لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان
تعجب فالعجب الذي لا عجب وراه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول وان تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه **اوليك** مبتدا

والموصول خبره اي اوليك المنكرون لقدرته تعالي علي البعث وفيما عاينوا ما فصل من الايات الباهرة الملجية لهم الي الايمان لو كانوا
يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واي كفر واوليك مبتدا خبره وقوله الاغلال في اعناقهم
اي يقيدون بقيود الضلال لا يرجي خلاصهم او مغلولون يوم القيمة واوليك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها
خالدون لا ينفكون فيها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل يجمع المدلول عليه بقوله تعالي اوليك الذين
كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذروها وذلك حيث سالوا رسول الله صلي الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب
استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنه اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة رايهم في الاستعجال بطريق الاستهزا اي يستعجلونك
بها مستهزين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة علي امثالهم من المكذبين المستهزين
والمثلة بوزن الثمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين العاقب عليه من المماثله ومنه المثال للقصاص وقري المثلات بضمتين باتباع
الفا للعين والمثلات بفتح الميم وسكون الثا كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثا تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة
كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس علي ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحلها النصب علي الحالية اي ظالمين
والعامل فيه المغفرة فالمعني ان ربك لغفور للناس علي ان يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها وان ربك لشديد
العقاب يعاقب من يشا منهم حين يشا فتاخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا لاحد العيش ولولا
وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الي الموصول ذما لهم ونعيا عليهم لكفرهم
بايات الله التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الايات وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه مثل ايات موسي
وعيسي عليهم السلام عنادا ومكابرة والا ففي ادني اية انزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولي الالباب انما انت منذر مرسل للانذار
من سوء عاقبة ما ياتون ويذرون كدابه من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا
حاجة الي الزامهم والقامهم الحجة بالاتيان بما به اقترحوا من الايات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم
نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم لما يختص به حكم لا يعلمها الا الله تعالي ولكل قوم هاد عظيم الشان قادر علي ذلك
هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للايات المنزلة عليك وازدراهم بها ثم عقبه بما يدل علي كمال علمه
وقدرته وشمول قضايه وقدره للتنبيه علي الحكم والمصالح تنبيها علي ان تخصيص كل قوم نبي وكل نبي بجنس معين من الايات انما هو للحكم الداعية
الي ذلك اظهار الكمال قدرته علي هدايتهم لكن لا يهدي الا من تعلق بهدايته مشية التابعة لحكم استاثر بعلمها فقال الله يعلم ما
تحمل كل انثي اي يحمل فما موصوله اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الي زمن الولادة بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الي واحد او
اي شي يحمل وعلي اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا في استفهامية معلقة للعلم او حملها في مصدرية وما تغيض الارحام
وما تزداد اي تنقصه وتزداده في الجثة كالخدج والتام وفي المدة كالولد في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك
ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروي ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها
وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالي وغيض الما وقوله وازدادوا تسعا وقوله وتزداد كبل بعير او لازمان قد اسند
الي الارحام مجاز او هما لما فيها وكل شي من الاشيا عنده بمقدار بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله انا كل شي خلقناه بقدر فان كل حادث
من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور
العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشيا في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الي الله عز
وجل عالم الغيب اي الغايب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو
خبر مبتدا محذوف او خبر بعد خبر وقري بالنصب علي المدح وهذا كالدليل علي ما قبله من قوله الله الكبير العظيم الشان الذي كل شي دونه
المتعال المستعلي علي كل شي بقدرته او المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته

ومحيط بعالمي الغيب والشهادة مع انه تعالي عالم بجميع ما ياتون وما يذرون من الافعال والاحوال وانه لا فرق بالنسبة اليه
بين السر والعلن فقال سوا منكم من اسر القول في نفسه او جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفا كانه مختف بالليل
وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف علي من هو مستخف او علي مستخف ومن عبارة
عن الاثنين كما في قوله، فان عاهدتني لا تخونني نكن ، مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قيل سوا منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار
والاستوا وان اسند الي من اسر ومن جهر والي المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند الي ما اسره وما جهر به والي الفاعل من حيث
هو فاعل كما في الاخيرين وتقديم الاسرار والاستخفا لاظهار كمال علمه تعالي فكانه في التعليق بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا
فنسبته الي الكل سوا الماعرفه انه له اي لكل ممن اسر وجهر والمستخفي والسارب معقبات مليكة يعتقد في حفظ جميع معقبه
مبالغة عقبه اذا جا علي عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التا في القاف
والتا للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقري معاقيب جمع معقب او معقبة علي تعويض اليا من احدي القافين من بين يديه
ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من باسه حتي اذنب بالاستمهال والاستغفار له او يحفظونه
من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالي وقد قري به وقيل من بمعني البا وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات
الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضا الله تعالي ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتي يغيروا ما
بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الي اضدادها واذا اراد الله بقوم سوا السوا ختيارهم
واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم
السو الذي اراده بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة علي ان تخلف مراده تعالي محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث
واستعجال السيه واقتراح الايه قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالي وعذابه هو الذي يريكم
البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر وجه تقديم الخوف علي الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس والرزق العتيد والمطموع فيه
الرزق المترتب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخايف منه غير الطامع فيه كالخراب والحداث وبازايه الترتيب اللهم الا ان يتكلف
ما اشير اليه من ان الخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصابهما اما علي المصدرية اي فيخافون خوفا ويطمعون طمعا او علي الحالية من
البرق او المخاطبين باضمار ذوي او يجعل المصدر بمعني المفعول او الفاعل مبالغة او علي العلية بتقدير المضاف اي اراده خوفا وطمعا
او بتاويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل الفعل هي الروية التي تتضمنها الارادة علي طريقة قول النابغة

وحلت بيوتي في يفاع ممنع ، تخال به راعي الحمولة طايرا ،
حذارا علي ان لا تنال مقادتي ، ولا نسوتي حتي يمتن حرايرا ،

اي احللت بيوتي حذارا اذ لا سبيل اليه لان ما وقع في معرض العلة الغايه لا سيما الخوف لا يصلح علة لرويتهم وينشي السحاب الغمام
المنسحب في الجو الثقال بالما وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معني الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة
وسحاب ثقال كما يقال امراة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتمسين بحمده اي
يصيحون سبحان الله والحمد لله واسناده الي الرعد لحمله لهم علي ذلك او يسبح الرعد نفسه علي ان تسبيحه عبارة عن دلالته علي وحدانيته
تعالي وفضله المستوجب لحمده وعن النبي عليه السلام انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك
ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنه ان اليهود سالت النبي
عليه الصلاة والسلام عن الرعد فقال ملك من الملايكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من
خلق الله تعالي ليس بملك والملايكة اي تسبح الملايكة من خيفته من هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشا فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة المخاطبون في قوله تعالي هو الذي يريكم البرق والتفت الي الغيبة ايذانا باسقاطهم
عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدي كل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة

من اراة البرق وانشا السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المومنين والرعد نفسه او الملك الموكل به والملايكة ويعلمون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهؤلاء الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شانهم **يجادلون في الله** اي في شانه حيث يفعلون ما يفعلون بانكار البعث واستعجال العذاب استهزا واقتراح الايات قالوا والعطف الجملة على قوله ويقول الذين كفروا كما قيل فلا محال له لان قوله تعالى الله اعلم الى اخر الايتين لبيان بطلان قولهم ذلك ونظايره من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع بعطفه ما بعده على ما قبله وقيل الحال اي فيصيب به بالصواعق من يشا وهم في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله عليه الصلاة والسلام يبغيانه الغوايل فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر من الاصحاب رضي الله تعالى عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كانا وصيا اربد انه اذا رايتني اكلم محمدا عليه الصلاة والسلام فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه الصلاة والسلام فدار اربد من خلفه عليه السلام فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فراى النبي عليه الصلاة والسلام الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شيت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صايف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحرا ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لين اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمح فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم عاد بفرسه فركبه حتى جرجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي عليه السلام نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو من ذهب او فضة ام من نحاس ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي عليه السلام فقالوا ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فما زاد الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه عليه السلام واخبروا بما صنع فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه اذا ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر فجاوا يسعون ليخبروه عليه السلام فاستقبلهم اصحابه فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا اوحى الى النبي عليه السلام **وهو شديد المحال** اي والحال انه شديد المماحلة والمكابرة والمماكرة لاعدايه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو محال من المحل بمعنى القوة وقيل مجول من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من فاعل يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد **له دعوة الحق** اي الدعوة الثابتة الواقعة في محلها مجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونه بمعزل عن شايبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه وتعالى اي الدعوة اللايقة بحضرته كما في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصفها الحقيقة لقرينة معنى الاستجابة والاولى هو الاول لقوله تعالى وما دعا الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد وعامر من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الاية نزلت في شانهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله عليه السلام بحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم **والذين يدعون** اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العايد **من دونه** من دون الله عز وجل **لا يستجيبون لهم بشيء** من طلباتهم **الا كباسط كفيه الى الما** اي الا استجابة كاينة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل المصدر من المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كاينة كاستجابة من بسط كفيه الى الما كما في قوله

وعصية دهر كابن مروان لم تدع ۞ من المال الا مسحت او مجلف

اي

اي لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف **ليبلغ** اي الما بنفسه من غير ان يوخذ بشيء من الانا ونحوه **فاه وما هو** اي الما **ببالغه** ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه وفضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم في دعا الهتهم على شيء اصلا وركاكة رايهم في ذلك بحال عطشان هايم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الما يبغي وصوله من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه نافع بخلاف الهتهم والمراد نفي الاستجابة راسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون شيئا من الاستجابة الا استجابة كاينة في هذه الصورة التي ليس فيها شايبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ يدعون بالياء وكباسط بالتنوين **وما دعا الكافرين الا في ضلال** اي ذهاب وضياع وخسار **ولله** وحده **يسجد** يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد **من في السموات والارض** من الملايكة والثقلين **طوعا وكرها** اي طايعين وكارهين او انقياد طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقياده لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاووا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره تعالى في تلك الشيون مما لا يخفى على احد **وظلالهم** اي تنقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيته وتتاتى لارادته في الامتداد والتقلص والفي والزوال **بالغدو والاصال** ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع اوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقني في جمع قناة والاصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويويده انه قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعني بقوله تعالى وكرها يخصون السجود بالله سبحانه قال تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح فظهرت فيها اثار التجلي كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة لله سبحانه لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخا مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل على انقياد غيرهم على انه بين ذلك بقوله عز وجل **قل من رب السموات والارض** فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله **قل الله** امر بالجواب من قبله عليه السلام اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سوا او امر بحكاية اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر او امر بتلقينهم ذلك ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام وانهم لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره **قل** الزاما لهم وتبكيتا **افاتخذتم** لانفسكم والهمزة لانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفا للعطف على مقدر بعد الهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم عقيبه **من دونه اوليا** عاجزين **لا يملكون لانفسهم نفعا** يستجلبونه **ولا ضرا** يدفعونه عن انفسهم فضلا من القدرة على جلب النفع لغيره ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله افلا تعقلون اذا قدر المعطوف عليه لا يسمعون بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى بعد ان علمتم ان ربهما هو الله عز وجل اتخذتم من دونه اوليا عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه فعكستم الامر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف الاوليا ههنا بعدم المالكية للنفع والضر في ترشيح الكلام الانكار وتاكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما يقوي الانكار ويوكده **قل** تصويرا لاراءهم الركيكة بصورة المحسوس **هل يستوي الاعمى** الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها **والبصير** الذي هو الموحد العالم بذلك والاول عبارة عن المعبود العاقل والثاني اشارة الى المعبود العالم بكل شيء **ام هل تستوي الظلمات** التي هي عبارة عن الكفر والضلال **والنور** الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم

على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اوليا من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطا البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي الى شي اصلا وليس لهم في ذلك شبهة يصح ان يكون عذرا لغلطهم وخطابهم فضلا عن الحجة الكذ للتقبل ام جعلوا لله اي بل اجعلوا لله شركا خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركا خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هولا خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشا خطاهم بل انما جعلوا له شركا ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رايهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شي كافة لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المنفردة بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعدما مثل الشرك بالاعمى والظلمات والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القران العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد في جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي نباته فيها مع كونه ممدا لحياتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالما النازل من السما السائل في اودية يابسة لم تجر عادة تنهاله سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة في احيا الارض ومن عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وساير الفلزات التي تتخذ منها انواع الالات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة له فيها واخلال بصفاتهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السما اي من جهتها ما اي كثيرا او نوعا منه وهو ما المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو مفرج بين جبال او تلال او اكام على الشذوذ كانه ناد واندية وناج وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجي بمعنى فعيل كناصر ونصير وشا وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناده السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جري النهر وايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شانها وشان ما مثل بها كما اشير اليه بقدرها اي سالت متلبسة بمقدارها الذي عند الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا او كبرا لا بكونها مالية لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الما وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان مورد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بطريق الا بقدر تلك الاودية على نحو ما عرفته انفا ويراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل معه زبدا اي غثا ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى رابيا اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون الحمل غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شانه الظهور في بادي الراي من غير مداخلة في الحق ومما توقدون عليه في النار اي يفعلون الايقاد عليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر مع سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغا حلية او متاع اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل كالحلي المتخذة من الذهب والفضة واتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والالات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبيث مثله مثل ما ذكر من زبد الما في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدا خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدا وناشيا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جري على سنن الكبريا باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة بالنار اشعار بالمبالغة في الاحتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في

التمثيل

التمثيل كما ان لعنوان انزال الما من السما دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل له اخلال بذلك كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانبا عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايما في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابداع وجه وانقه حسبما اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ابه المماثلة من الذهاب والبقا تتميما للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفا اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس منهما كالما الصافي والفلز الخالص فيمكث في الارض اما الما فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنا والابار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الالات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقا في ايدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في العد لكنه الموافق للترتيب الواقع في التمثيل له لمراعاة الملائمة بين حالتي الذهاب والبقا وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقا الباقي بعد ذهاب الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الله الامثال في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتنا هذا على الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعدما بين شان كل من الحق والباطل حالا ومالا اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اي دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز للاوابد في هيئات المانوس فاي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من اصناف الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به اي بما في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما هم فيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدا والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوأى فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة قطعا كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوأى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سو حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوأى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سو الحساب في قوله اولئك لهم سو الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدا في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدا في الجملة السابقة كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة وهنا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا لذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سو وذلك في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا له سو الحساب مع زيادة تاكيد فقد حسن المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بين مودى ذلك فقيل وماواهم اي مرجعهم جهنم وفيه نوع تاييد لتفسير الحسنى بالجنة وبيس المهاد اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال اي الامثال السالفة وقوله الحسنى صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الى اخره كلام مستانف مسوق لبيان مال غير المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما مثل الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس بمثل الفريقين بل مثل للحق والباطل والامتناع لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا ان يحمل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فتامل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك من القران الذي مثل بالما المنزل من السما والابريز الخالص في المنفعة والجدوى الحق الذي

لاجرم وراه او الحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى عمي القلب لا يشاهده وهو باق على علم ولا
مثال يعقد قدره وهو في اقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حائرا في ظلمات وعلائق الضلال او لا يتذكر بما ضرب من الامثال
اي كمن لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وايراد الفا بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتيب توهم
المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمال كانه قيل ابعد ما بين حال كل من الفريقين وما لهما توهم المماثلة
بينهما ثم استونف فقيل انما يتذكر بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنافي اولوا الالباب اي العقول
الخالصة المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوا على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين
قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم
وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تاكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله به
ان يوصل من الرحم وموالاة المومنين والايمان بجميع الانبيا المجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع
حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر به ويخافون
سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا على كل ما تكرهه
النفس من الافعال والترك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق ريا او سمعة ولا الى جانب
النفس زينة وعجبا وحيث كان على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضي
اعتناء بشانه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما في نفس الصلاة كما في عدا الاولى والرابعة والخامسة او في
اظهار احكامها كما في الصلاة الثلاث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية
والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجرى على موجبها غير خال عن الاحتياج اليه واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما
رزقناهم اي بعضه الذي يجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال او لمن لا يتهم بترك الزكاة او عند انفاقه واعطائه من يمنعه
المروة من اخذه ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كما ذكر او الاول في التطوع والثاني في الفرض ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يجازون
الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة بالسيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم
من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا فاذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا
منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات
الجميلة وهو مبتدا خبره الجملة الظرفية اعني قوله لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مال اهلها وهي الجنة وقيل
الجار والمجرور خبر لاوليك وعقبى الدار فاعل الاستقرار واياما كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم
التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة او استيناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات
ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في
التذكر جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنان اي جنات يقيمون فيها
وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من اباءهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه من اباءهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم وهو عطف على
المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم
تبعا لهم تعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من
القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم اي بسبب صبركم او بدل مما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى
لبن تعبتم في الدنيا فقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا في مزية زايدة من

حيث

حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيا منها لا يعتد به الا ان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار اي نعم
الدار الجنة وقرى بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان ياتي قبور الشهدا على راس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفا الاربعة رضي الله عنهم
والذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم في الاتصاف بنقايض صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبيا المجمعين على الحق حيث يومنون ببعضهم
ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المومنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم
يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققه
في ضمن الحسنات المعدودة ليقع معتدا به فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة
مما لا يحوم حول اصل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرايع وان اريد بالانفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما امر الله
تعالى بوصله واما درا السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ويحق فان من يجازي احسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة
الامر ويباشر الفساد حسبما حكيه قوله عز وعلا ويفسدون في الارض اي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة
الاساة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان له دخلا في الافضا الى العقوبة التي ينبي عنها قوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من القبايح لهم بسبب ذلك اللعنة اي الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او
عذاب جهنم فانها دارهم لان ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى ان لا دخل له في ذلك على اكثر التفاسير فان
مجازاة السيئة بمثلها ماذون بها ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الاعطا عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع
ليس مما يورث تركه تبعة واما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضرر في ذلك لان اعتباره
من حيث انه من مستتبعات الاخلال بالعزايم بالكفر ببعض الانبيا وعقوق الوالدين وترك ساير الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتاكيد
والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشا من عباده ويقدر اي يضيقه على من يشا حسبما
يقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر املا واستدراجا وربما يضيقه على المومن زيادة
لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدرة المومن وفرحوا اي اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحياة
الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحياة الدنيا وما يتبعها من النعيم في الاخرة في جنب نعيم الاخرة الا متاع الا شي نزر يتمتع
به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الاخرة والحال ان ما اشروا به في جنب ما اعرضوا
عنه نزر قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب
ذكر فرحهم بالحياة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا انزل عليه اية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب
المكابرة والعناد وكان ما انزل عليه عليه السلام من الايات العظام الباهرة ليس باية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من
الايات المخصوصة التي لا يبقى لاحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشا
اضلاله مشيه تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع
فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى
الاهتدا ولو جاءته كل اية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان
ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف من اناب اقبل الى الحق وتامل في تضاعيف ما انزل من الايات الواضحة
وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشية كما في الصلة الاولى للتنبيه على الداعي الى
الهداية بل الى مشيتها والاشعار بما دعا الى المشية الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد
وايثار صيغة الماضي للايذان باستدعا الهداية سابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار

المشيه حسب استمرار مكابرتهم **الذين آمنوا** بدل من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مودنا
اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اي الصائرين الى التقوى والا
فالايمان لا يودي الى الهداية نفسها او خبر مبتدا محذوف اي هم الذين آمنوا او منصوب على المدح **وتطمئن قلوبهم** اي تستقر وتسكن
بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون ان لا اية اعظم
منه فيقترحوا والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمينان وتجدده حسب تجدد الايات وتعددها **الا بذكر الله** وحده **تطمئن
القلوب** دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنياويات وهذا ظاهر اما ساير المعجزات فالقصر من حيث انها ليست في افادة
الطمانينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة للقران المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب
كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافيدتهم هوا حيث لم يطمينوا بذكر الله ولم يعدوه اية وهو اعظم الايات وابهرها
وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وبذكر
دلايله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها **الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما مر اي قلوب الذين آمنوا وفيه ايما الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدا خبره
الجملة الدعائية على التاويل اعني قوله **طوبى لهم** او خبر مبتدا مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب
كبشرى وزلفى والواو منقلبة من اليا كموقن وموسر وقرا مكوزة الاعرابي طيبى ليسلم اليا والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلام الله
او الرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك على الاستدا احتاج لك الارسال العظيم الشان المضمون بهذه المعجزة الباهرة على الابتدا
وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعا كسلام عليك يدل على ذلك القران في قوله تعالى **وحسن مآب** بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان
مثلها في سقيا لك **كذلك** مثل ذلك الارسال العظيم الشان المضمون بهذه المعجزة الباهرة **ارسلناك في امة قد خلت** اي مضت **من قبلها
امم** كثيرة قد ارسل اليهم رسل **لتتلوا** لتقرا **عليهم الذي اوحينا اليك** من الكتاب العظيم الشان وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم
المجرور على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد
وحسن قبولها له عند وروده عليها **وهم** اي والحال انهم **يكفرون بالرحمن** بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شي رحمته واحاطت به نعمته
والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشي منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا
قدره ولم يشكروا نعمه لاسيما ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال القران الذي هو مدار المنافع الدينية والدنياوية عليهم
وقيل نزلت في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن **قل هو** اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته **ربي** الرب في
الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشي الى كماله شيا فشيا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى
مراتب الكمال وايراده قبل قوله تعالى **لا اله الا هو** اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية
وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين ونزل قوله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية **عليه توكلت** في جميع اموري لاسيما في النصرة عليكم لا على احد سواه **واليه** خاصة **متاب** اي
توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك امره عليه السلام بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبيا وبعثا
للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عليه السلام حيث امر وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان
قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم
بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على مصابرتكم فتامل **ولو ان قرانا** اي قرانا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى **سيرت به الجبال** وجواب
لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمعنى اما بيان عظم شان القران وفساد راي الكفرة حيث
لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الايات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهم السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد
وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الاول لو ان قرانا سيرت به الجبال اي بتلاوته وبتلاوته عليها او زعزعت عنه مقارها كما

فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام **او قطعت به الارض** اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه موسى
عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعة **او كلم به الموتى** اي بعد ان احيي بقراءته عليها كما احيت لعيسى عليه السلام لكان ذلك
هذا القران لكونه الغاية القصوى في الانطوا على عجايب اثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الاثار ولا في التذكر والانذار والتخويف لاختصاصها
بالعقلا مع انه لا غاية لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة
على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان تقديم ما حقه التاخير يبقي النفس مستشرفة ومترقبة الى
المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد
ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عليه الصلاة والسلام لا بظهورها بواسطة القران لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم
اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة
رايهم في شانه الرفيع كانه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القران الذي لم يعدوه اية
وفيه من تفخيم شانه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى **بل لله الامر جميعا** اي له الامر الذي يدور عليه فلك الاكوان وجودا
وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعوا اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه
بل باعتبار موجبه ومراده اي لو ان قرانا فعل ما ذكر لكان هذا القران ولكن لم نفعل بل فعل ما عليه الشان الان لان الامر كله له وحده
فالاضراب ليس بمتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يودي اليه ذلك من كون الشان على ما تقتضيه الحكمة من بنا التكليف على
الاختيار **افلم ييأس الذين آمنوا** اي افلم يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال الياس في معنى العلم لتضمنه له
ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم افلم يتبين بطريق التفسير والفا للعطف على مقدر
اي اغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا **ان لو يشاء الله** على حذف ضمير الشان وتخفيف ان **لهدى الناس جميعا** باظهار
امثال ذلك الاثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم
مما ذكر فهو متوجه الى وقوع ترتب المعطوف على المعطوف عليه اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار
انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قولك الم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار
ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كانه قيل الم تعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم
وانه لم يشاها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الايات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثاني لو ان قرانا فعل به ما فعل
من التعاجيب لما امنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية فالاضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم
مع كونهم في العناد على ما شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يات به حسبما يستدعيه داعية
الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح والياس بمعنى القنوط اي الم يعلم الذين آمنوا حال هؤلاء فلم يقنطوا من ايمانهم
حتى اخفوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم وهو متوجه الى وقوف المعطوف
بعد معطوف عليه اي الى تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون
ونظايره لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منهم مما لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف اي افلم ييأسوا من
ايمانهم علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشا ذلك او امنوا اي فلم يقنط الذين آمنوا بان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المفهوم من مكابرتهم حسبما
يحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكار ياسهم وقيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام ان كنت رسولا
فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا وتتخذ منها البساتين والقطايع وقد سخرت لداود فلست باهون على الله منه ان كنت نبيا
كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع المشقة البعيدة او ابعث لنا به

رجلا وثلاثة حموعات من اباينا قرئت فمعنى تقطيع الارض حينئذ بالسير ولا حاجة حينئذ الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة الى القرآن كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره **ولا يزال الذين كفروا** من اهل مكة **تصيبهم بما صنعوا قارعة** اي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الايذان ورسوخهم في ذلك **قارعة** داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان تصيبهم من انواع البلاء والمصائب من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم اثر ذي اثير **او تحل** تلك القارعة **قريبا** اي مكانا قريبا **من دارهم** فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح **حتى ياتي وعد الله** اي موتهم او القيمة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله **ان الله لا يخلف الميعاد** اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضي الله عنه اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم والاصابة والحلول حينئذ على احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله بالحديبية فالمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة **ولقد استهزئ برسل** كثيرة خلت **من قبلك فامليت للذين كفروا** اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بل هو امر مطرد وقد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فامليت للذين فعلوه بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان المملي لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اي فامليت للذين كفروا مع استهزائهم فقط **ثم اخذتهم فكيف كان عقاب** اي عقابي اياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى **افمن هو قائم** اي رقيب مهيمن **على كل نفس** كائنة من كانت **بما كسبت** من خير او شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك انكار لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة غب ما يعلم ما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون هداية الناس جميعا منوطة لمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان ياتي وعد الله كانه قيل امر كذلك فمن هذا شانه كما ليس في عداد الاشياء حتى تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتيب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف المقدر اعني كون الامر كما ذكر كما في قولك العلم احق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت لا تعلمه فلا تعمل به وقوله تعالى **وجعلوا لله شركاء** جملة مستقلة جي بها للدلالة على الخبر او حالية اي افمن هذه صفاته كمن ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا ومعطوفه على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي افمن هذا شانه لهم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما والتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى **قل سموهم** تبكيت لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة **ام تنبئونه** اي بل اتنبئون الله **بما لا يعلم في الارض** اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الا الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض وقرئ بالتخفيف **ام بظاهر من القول** بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التي وردت عليها الآية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين **بل زين للذين كفروا** وضع الموصول موضع المضمر

ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر **مكرهم** تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم **وصدوا عن السبيل** اي سبيل الحق من صد صدا **ومن يضلل الله** اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره او يخذله **فما له من هاد** يوفقه للهدى **لهم عذاب** شاق **في الحياة الدنيا** بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم **ولعذاب الآخرة اشق** من ذلك بالشدة والمدة **وما لهم من الله** من عذابه المذكورين **من واق** من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتاكيد **مثل الجنة** اي صفتها العجيبة الشان التي في الغرابة كالمثل **التي وعد المتقون** عن الكفر والمعاصي وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى **تجري من تحتها الانهار** تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد الى الجنة التي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شان زيد يأتيه الناس ويعظمونه او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري الى آخره **اكلها** ثمرها **دائم** لا ينقطع **وظلها** ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا **تلك** الجنة المنعوتة بما ذكر **عقبى الذين اتقوا** الكفر والمعاصي اي مآلهم ومنتهى امرهم **وعقبى الكافرين النار** لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين **والذين آتيناهم الكتاب** هم المسلمون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة **يفرحون بما انزل اليك** اذ هو الكتاب الموعود في التوراة والانجيل **ومن الاحزاب** اي من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما **من ينكر بعضه** وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه ولا ينبغي عليهم من اول الامر ان مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم وانهم ايضا يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة حينئذ يكون قوله تعالى ومن الاحزاب الى آخره بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه **قل** الزاما لهم وردا لانكارهم **انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به** اي شيئا من الاشياء او لا افعل الاشراك به والمراد بالعبادة على الله تعالى لا لقصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف اي وانا لا اشرك به **اليه** الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد **ادعوا** الناس لا الى غيره او لا الى شيء آخر مما لم يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم الصلاة والسلام فما وجه انكاركم **واليه** الى الله تعالى وحده **مآب** مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يحيدون عنها محيصا امر عليه السلام بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل **وكذلك انزلناه** اي ما انزلنا اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب على المصدرية اي مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه **حكما** حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه **عربيا** مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الخ يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وانه لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع **ولئن اتبعت اهواءهم** التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلاة الى بيت المقدس بعد التحويل **بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله** من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة قال الازهري لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا **من ولي** يلي امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل **ولا واق** يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف حرف النفي للتاكيد

كقولك ما تجرينا او اولادهم او ما لك من باس الله من ناصر وواق لاتباعك اهواهم وامثال هاتيك القوارع انما هي لقطع اطماعهم الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم **ولقد ارسلنا رسلا** كثيرة كاينة **من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية** نساء واولادا كما جعلنا هالك وهو رد لما كانوا يعيبونه عليه السلام بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام الى اخره **وما كان لرسول** منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه **ان ياتي باية** مما اقترح عليه وحكم ما التمس منه **الا باذن الله** ومشيته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور الكاينات لا سيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قدمناه والتحقيق مضمون الجملة بالايمان الى العلة **لكل اجل** اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات **كتاب** حكم معين يكتب على العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدا والمعاد ومن قضية ذلك ان يختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حيث تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات **يمحو الله ما يشا** اي ينسخ ما يشا نسخه من الاحكام لما يقتضيه الحكمة بحسب الوقت **ويثبت** بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشا اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشا ابتدا او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبه كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزا ويثبت الباقي او يمحو سيات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت الاخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكاينات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل والسعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم والقايلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعله سعدا وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك موارد الانكار دخولا اوليا وقرى بالتشديد **وعنده ام الكتاب** اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شي من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو **واما نرينك** اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة لحقت النون بالفعل **بعض الذي نعدهم** اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسب ما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض رمز الى ارادة بعض الموعود **او نتوفينك** قبل ذلك **فانما عليك البلاغ** اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها **وعلينا** لا عليك **الحساب** محاسبة اعمالهم السيئة والمواخذة بها اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الذي سوى او لم نركه فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخيره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشيره فقال **اولم يروا** استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا **انا ناتي الارض** اي ارض الكفرة **ننقصها من اطرافها** بان نفتحها على المسلمين شيا فشيا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلا اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل ناتي او من مفعوله وقرى ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلا المحوم والاستيلا العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا **والله يحكم** ما يشا كما يشا وقد حكم على الاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالزلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والاثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبنا الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جي بها لتاكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى **لا معقب لحكمه** اعتراض في اعتراض لبيان علو شان حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشي فيبطله وحقيقته من يعقبه وتعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضا والطلب **وهو سريع الحساب** فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الاخرة بافانين العذاب بعدما عذبهم بالقتل والاسر والاجلا حسبما يرى وقال ابن عباس رضي الله عنه سريع الانتقام **وقد مكر الذين من قبلهم** من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله

صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تاثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفا بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعني قوله تعالى **فلله المكر** اي جنس المكر **جميعا** لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما ياتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل له ولا تاثير حسبما ينبه قوله عز وجل **يعلم ما تكسب كل نفس** ومن قضيته عصمة اوليايه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزا ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى مكره وانهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالى حيث يواخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبيا بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السي الا باهله **وسيعلم الكافر** اي حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزا ما تكسبه **لمن عقبى الدار** اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يوميذ وقيل السين لتاكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينيذ وقرى سيعلم الكافر على ارادة الجنس وسيعلم الكافرون وسيعلم الكفر اي اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** قيل قاله رؤسا اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعا تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد اخر **ومن عنده علم الكتاب** اي علم القران وما عليه من النظم المعجز او من هو من علما اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم والاية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه وتعالى اي كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد سمى كتابة بالدعوة الى عبادته وايدني بانواع التاييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشيا الكاينة التي من جملتها رسالتي وقرى ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدا خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبنا المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة ابراهيم عليه السلام خمسون وخمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **الر** مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى **كتاب** خبر له على تقدير كون الر مبتدا او لمبتدا مضمر على تقدير كونه خبرا لمبتدا محذوف او مسرودا على نمط التعديد وجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدا المحذوف وقوله تعالى **انزلناه اليك** صفة له وقوله **لتخرج الناس** متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقايد الحقة وقرى ليخرج الناس **من الظلمات** اي ليخرج به الناس من عقايد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة **الى النور** الى الحق الذي هو نور بحت لا لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت **باذن ربهم** اي بتيسيره وتوفيقه وللانبا عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشي الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن لهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سو اختيارهم غير مخل بذلك والبا متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يابا اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل **الى صراط العزيز الحميد** على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم واخلال البدل والبيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه وتعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استيناف مبني على سوال كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده

اوالبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في اية الكرسي فعبه على القراتين بيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وتحذير الرفع على الابتدا بجعل الموصول خبرا مبناه المعقول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب كساير المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحياة الدنيا اي يوثرونها استفعال من المحبة فان الموثر للشي على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الاخرة اي الحياة الاخرة الابدية ويصدون الناس عن سبيل الله التي بين شانها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزوم الاقتصار وهو من صده صدا وقرئ يصدون من اصد المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح في صده ووقفه لمدروحه عن تكلف النقل ويبغونها اي يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اي يطلبون لها عوجا اي زيغا واعوجاجا وهي ابعد شي من ذلك اي يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزايغة غير مستقيمة ومحل الموصول هذه الصلات الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازا كونه نورا واستحباب الحياة الدنيا القا الفصحة عن خامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازا كونه مامونا وفيه من الدلالة على عتوهم ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتدا او الخبر قوله تعالى اولئك في ضلال بعيد وعلى الاول جملة مستانفة وقعت تعليلا لما سبق من لحوق الويل بهم تاكيدا لما اشعر به بنا الخبر على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبايح المذكورة من استحباب الحياة الدنيا على الاخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه منزه في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهيا ويجوز ان يكون المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعله الضلال محيطا بهم احاطة الطرق بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول الا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سوى بعث فيهم وقرئ بلسن وهو لغة كريش ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملون بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يومر به وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة في شان سيدنا عليه الصلاة والسلام وعليهم اجمعين له لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان استقبال البعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع امر قريب الى الاحالة وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المبني عن العزة وجلالة الشان المستتبع لفوايد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل احد من معرفة توافق الكل وتخالفه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك ممن يترجم عن الكل واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما [illegible] الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه الصلاة والسلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المتين بلسان عربي مبين فانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه الصلاة والسلام فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام وكل من نزل عليه من الانبيا عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبيين العرب وفي وجه الى قوم كل نبي كانه قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه محمد عليه الصلاة والسلام لتبيين الرسول لقومه الذين من ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله

اي

اي يخلق فيه الضلال لمباشرة اسبابه المودية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشا هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شانهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من يشا اضلاله لما يليق الا به وهدى من يشا هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايذان بمسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغتي الاستقبال لاستحضار الصورة وللدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقا ما كان على ما كان والهداية انشا ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تاثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيته تعالى بايهام ان ترتيب الضلال على ذلك اسرع من ترتيب الاهتدا وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيته الحكيم الذي لا يفعل شيا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الاية باياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سوا وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وساير ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمايه وبلايه بنبي عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبي عنه قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم الايات او بايامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شانها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل بايام الله وقايعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقوايعها وحروبها وملاحمها اي انذرهم وقايعه التي دهمت الامم الدارجة ويرده ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السرا والضرا ما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك ان في ذلك اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعما والبلا او في ايامها لايات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته في على الاول عبارة عن الايام سوا اريد بها انفسها او ما فيها من النعما والبلا ومعنى ظرفية التذكير لها لكونه مناطا لظهورها وعلى الثالث من تلك النعما والبلا ومعنى ظرفيه التذكير لها لكونه مناطا لظهورها وعلى الثاني من تلك النعما والبلا ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثاني فعن كل واحدة من تلك النعما والبلا والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلايه شكور لنعمايه وقيل لكل مومن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المومن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر او الايمان ويصير امره اليها لا لمن اتصف بها بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذاكرة المودي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من النعما والبلا وتنبه لعاقبة الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الايات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلا على متعلق الشكر اعني النعما وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان القصة تذكيرا لما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام اذكروا نعمة الله جدا عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلته مصدرا او بالمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا النعمة كاينة

عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى **اذ انجاكم من ال فرعون** اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من ال فرعون او اذكروا
نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منها او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية **يسومونكم** يبغونكم من
سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشي **سوء العذاب** السوء مصدر سا يسوء والمراد به جنس العذاب
السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم **ويذبحون**
ابناءكم المولودون وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب وانما فعلوا ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له
الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهد في ذلك فلم يغن عنه من قضاء الله شيا **ويستحيون نساءكم** اي يبقونهن في الحياة مع
الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجملة احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما
وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة **بلاء من ربكم** اي ابتلاء منه لان البلاء عين تلك الافعال اللهم الا ان يجعل نحو مدته
فنسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين **عظيم** لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء
الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المال الذي هو الانجاء او
باعتبار ان بلاء المؤمنين تربية له **واذ تاذن ربكم** من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا نعمة
الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم اي اذن ايذانا بليغا لا تبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول
في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اي اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فان هذا
التاذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم تنالون بها خيري الدنيا والاخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم
عليه السلام اولا بنعمائه تعالى صريحا وضمنه تذكيرا ما اصابهم قبل ذلك من الضر ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد
بالزيادة على تقديم الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكيرها وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي
محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كانه مشاهد معاين **لئن شكرتم** يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير
ذلك من النعم والالاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة **لازيدنكم** نعمة الى نعمة **ولئن كفرتم** ذلك وغمطتموه **ان عذابي**
لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون
المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مساد جوابي الشرط
والقسم والجملة اما مفعول لتاذن لانه ضرب من القول او القول مقدر بعده كانه قيل واذ تاذن ربكم فقال الى اخره **وقال موسى ان**
تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها **انتم** يا بني اسرائيل **ومن في الارض** من الخلائق **جميعا فان الله لغني** عن شكركم وشكر غيركم **حميد**
مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم الناطقة بحمده
والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا لم
يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام لما قال لهم ما قال عندما عاين منهم دلائل العناد ومخايل
الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله غب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز
وجل تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال **الم ياتكم نبا الذين**
من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمن والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو
ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام فيختص بذكر موسى عليه السلام بما اختص ببني اسرائيل
من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وايضا لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين
في عهد النبي عليه السلام بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو قيل هؤلاء **قوم نوح** بدل من الموصول او عطف
بيان **وعاد** معطوف على قوم نوح **وثمود والذين من بعدهم** اي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى
لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدا ولا يعلمهم الى اخره خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله

سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنه بين عدنان واسماعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرا هذه
الاية قال كذب النسابون بانهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد **جاءتهم رسلهم** استئناف لبيان
نباهم **بالبينات** بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى
النور **فردوا ايديهم في افواههم** مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعني قولهم انا كفرنا ونحوها للرسل
على تلقيها والمحافظة عليها واقناطا لهم عن التصديق والايمان بالاعلام ان لا جواب لهم سواه **وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم**
به اي على زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالتهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها
الكفر بدلالتها على صحة رسالتهم او عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها
عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام
يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم
افي الله شك الى اخره وقيل الايدي بمعنى الايادي عبر بها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية
لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه **وانا لفي شك** عظيم **مما تدعوننا اليه** من الايمان بالله والتوحيد
فلا يناقض شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس
المعجزات ولذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام **مريب** موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة من اراب الرجل
وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء **قالت رسلهم** استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم
فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء **افي الله شك** بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار
ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا منقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم في
شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي افي شانه سبحانه
من وجوده ووحدته ووجوب الايمان بوحدته شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى يكونوا من قبله في شك مريب وحيث
كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة
انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على
انتفاء المنكر فقالوا **فاطر السموات والارض** اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في
شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدا على ان الظرف خبره يفضي
الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدا والفاعل ليس باجنبي من واقعه فقد جوز ذلك ايضا **يدعوكم** الى الايمان
بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه **ليغفر لكم** بسببه او يدعوكم لاجل
المغفرة كقولك دعوته لينا معي **من ذنوبكم** اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجب ما قبله كذا
اوقع في جميع القران في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة
مرتبة على محض الايمان وفي شان المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم
وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم **ويؤخركم الى اجل مسمى** الى وقت سماه تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان **قالوا**
استئناف كما سبق **ان انتم** اي ما انتم **الا بشر مثلنا** من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة **تريدون** صفة ثانية لبشر حملا
على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا او كلام مستانف اي تريدون لما تتصدون له من الدعوة والارشاد **ان تصدونا** بتخصيصكم
العبادة بالله سبحانه **عما كان يعبد اباؤنا** اي عن عبادة ما استمر اباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه والا **فاتونا** اي ان لم يكن
الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فاتونا **بسلطان مبين** يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة
او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الايات الظاهرة والبينات الباهرة

ما عجز له صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظام مكابرة وعنادا افاراه لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما ينطلق عليه
السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجازاة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما
سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما يقولون ولكن الله يمن بالنبوة
على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجد قالوه
تواضعا وهضما للنفس او ما نحن فيه من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى يمن بالفضائل
والاستعدادات والكمالات على من يشاء المن بها وما يشاء ذلك الا لعلمه باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات
هي التي يدور عليها تلك الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح وما استقام ان ناتيكم بسلطان اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان
المبين بشيء من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله فانه امر يتعلق بمشيته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما
عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اثرا ذي اثر الا ترى الى قوله عز وجل وما لنا
اي اي عذر لنا ان لا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل
التوكل وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي
شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد
القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما اذيتمونا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل
المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين
المؤمنين والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل دون غيره وقال الذين كفروا لعل هؤلاء القائلين
بعض المتمردين المعاندين الغالين في الكفر من اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم
ولذلك لم يقل قالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يقتنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما راوا البينات
الفائتة للحصر حتى اجترؤا على مثل هاتيك العظيمة التي لا تكاد تحيط دائرة الافكار فحلفوا على ان يكون احد الامرين العود اما
بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسياتي في الكهف فاوحى اليهم اي الى الرسل ربهم
مالك امرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا يطمع بعدها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء
الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى
كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت
لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام
مقحم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي
استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة
كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل
وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اي اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اي
خسر كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف به المتقون اي فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سالوا وافلحوا وخاب كل جبار
عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم
على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا
ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم يصبهم الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى
الحرمان غب الطلب وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اي بين يديه فانه مرصد لها واقف على

شفيرها

شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر جوابا عن
سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد وهو قيح اي دم مختلط بمدة
يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان لماء كانه اولا ابهم ثم بين بالصديد تهويلا للامر وتخصيصه
بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استئناف مبني على السؤال كانه قيل
فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان
يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فتطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه
به على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه
وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من
الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اي والحال
انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه من
بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في
عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي
ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته عليه السلام وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اي
صفتهم وحالهم العجيبة الشان التي هي كالمثل في الغرابة مبتدا خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد كقوله صفة زيد عرضه مصون وماله
منهوب وهو استئناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى
واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت
به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقوله ليله ساهر وانما السهور
لريحها شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه به اليه تعالى برماد طيرته الريح
العاصفة او استئناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام او مبتدا خبره محذوف كما هو رأي سيبويه اي فيما يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم
جملة مستانفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد وكيت سواء اريد بها صنائعهم واعمالهم لاصنامهم وقيل اعمالهم
بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اي يوم القيامة مما كسبوا من تلك الاعمال على شيء ما اي لا يرون له اثرا
من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها
عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل
دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب
للرسول عليه الصلاة والسلام والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى ان يشا يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله
خلق السموات والارض ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلقها بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق
ان تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم يعدمكم بالمرة ويات بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا اخر مستانفا
لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق
الاستدلال فان من قدر على خلق هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق اخر بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم
والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
ومن هذا شانه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيامة وانما صيغة الماضي
للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ولانه لا مضي ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه
والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله

سبحانه فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفا الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الراي وانما كتبا بالواو
على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسايهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا في الدنيا لكم تبعا في تكذيب
الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غايب او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون
دافعون عنا والفا للدلالة على سببية الاتباع للاغنا والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شي من الاولى
للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشي الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض
اي بعض شي هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب
بعض الاغنا ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اي المستكبرين جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا
عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا واضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو
هدانا الله طريق الخلاص ولات حين مناص سوا علينا اجزعنا ام صبرنا على ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم
الانجا والهمزة وام لتاكيد التسوية كما في قوله تعالى سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم وانما اسندوها ونسبوا استواها الى ضمير
المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلام انهم شركا لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سوا
علينا الخ من كلام الفريقين على سوق قوله تعالى ليعلم اني لم اخنه ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسماية عام فلا ينفعهم
فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم
ببيان ان الاجدى فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت
والمضيف او مصدر كالمغيب والشيب وهي جملة مقررة لاجمال ما فيه الاستوا فلا محل لها من الاعراب او حال موكدا وبدل منه وقال
الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما اعتبابهما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو
الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقيا من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه
ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزا ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام
شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف
منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك وما كان لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي
اياكم الى الغي وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرض على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن
نفسه كانه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعا من بابه ويجوز كون الاستثنا منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي
فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجا كما يدل عليه الفا وقرئ باليا على وجه الالتفات في قوله تعالى حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا
ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل في توجه الائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة
على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه
فانه سبحانه وتعالى انما خلق افعاله حسب اختياره وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني
ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم
اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم نصرته
اخراجه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك اثر الجملة الاسمية فكان
ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جوابا عن استغاثتهم واستغاثتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر
اليا اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل اي باشراككم اياي بمعنى تبرات منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون
بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اود ذلك واغ

فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمد ولم اقبله منكم بل تبرات منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت
السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل كما في قوله سبحان ما سخركن لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله
سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سوا كان ذلك بالدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ
لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره توهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين
لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتدا كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم
ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم
اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم
الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة المتكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي تحيتهم
الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا
اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللايق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة
كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها الا انه تعالى لما صيرها مثلها في اعاجيب
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة
صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل وقد اخر عن ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن
صفته التي هي كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتدا اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض وقرا انس بن مالك رضي الله عنه
كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب لقرينته اعني قوله تعالى وفرعها اي اعلاها في السما في جهة
العلو ويجوز ان يراد فروعها على الاكتفا بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن
ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني في تصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعا
الى الله وتكذيب الحق او ما يعم الكل وكل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا تطيب ثمرها كالحنظل والكشوث
ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود للضرب والبيان وانما ذلك ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استوصلت
واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت اي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهي الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحياة الدنيا فلا
يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة لا يتلعثمون اذا سئلوا
عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم احوال القيامة وعند سؤال القبر روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المومن فقال ثم
تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد
عليه السلام فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وهذا مثال اثبات الشجرة
المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلاث مائة قال سمعت ابا الطيب
محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رايت يزيد بن هارون في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في
قبري ملكان فظان فقالا من ربك ومن دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضا فقلت لهما لمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما
ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المومنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم
الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم للشي في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي
فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في
مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين امنوا حينئذ المخلصون في الايمان الراسخون في الايمان كلهم عند التثبيت لكونه بوهم كونه

كلمة التوحيد اذا كانت لاعن ايقان داخله تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلا **ويفعل الله ما يشاء** من تثبيت بعض واضلال اخرين حسبما يوجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وترتيب المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدا التثبيت والاضلال فان مبدا صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو مبدا صدور الاخر **الم تر** تعجيب لرسول الله عليه الصلاة والسلام او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له ادراك اي الم تنظر **الى الذين بدلوا نعمة الله** اي شكر نعمته بان وضعوا موضعه **كفرا** عظيما وعملا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الامن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد عليه الصلاة والسلام فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلا مسلوبين النعمة باقين الكفر بدلها وعن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهم هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين كانهما ارادا لان ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا **واحلوا** اي انزلوا **قومهم** بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلول الهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار **دار البوار** دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه **جهنم** عطف بيان لها وفي الابهام ما لا يخفى من التهويل **يصلونها** حال منها او من قومهم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلول او نصب لفعل مقدر ضيا جهنم فالمراد بالاحلال حينئذ تعريضهم للهلاك بالتمثيل والاشراكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول **وبئس القرار** على عطف المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم واحلالهم على وجه الدوام والاستمرار **وجعلوا** عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معها في حكم الصلة وحكم التعجب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم **لله** الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار **اندادا** اشباها في التسمية او في العبادة **ليضلوا** قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا **عن سبيله** القويم الذي هو التوحيد وتوقعهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لتوهمهم المودي الى احلالهم دار البوار لتثبيت التعجب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد والضلال امر يقتضي منه العجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح وايا ما كان فليس لهم غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد ولكن لما كان ذلك نتيجة له شبه له بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة **قل** تهديدا لاولئك الظالمين المضلين ونعيا عليهم وايذانا بهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال الاخفا بان تضرب عنهم صفحا وتعطف عنهم عنان العظة وتخلوا وشانهم ولا تنهوا عنهم بل يومروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبة الوخيمة وتقال لهم **تمتعوا** بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام **فان مصيركم الى النار** ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حسب ما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار فهو تعليل للامر المامور فيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل لهم تصويرا لحالهم وتعبيرا عما يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم بفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مامورون بذلك من قبل امر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كذاب مامور ممتثل في طاعة امره مطاع فليس قوله تعالى كان مصيرهم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب الشرط ينبئ عليه الكلام كانه قيل هذه حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الامر **قل لعبادي الذين آمنوا** خصهم بالاضافة اليه تنويها وتنبيها على انهم المقيمون لوظايف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حاليهما باعتبار القول تهديدا او تشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه فان مقول الامر تهديدي ومقول الثاني الامر التشريعي الجواب اي قل لهم قيموا وانفقوا **يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم** اي يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول عليه الصلاة والسلام وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون

الحذف في قوله ه محمد تفد نفسك كل نفس ه اذا ما خفت من امر تبالا ه لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذاك **سرا وعلانية** منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفا المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المومنين على الشكر لنعم الله سبحانه وبالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة **من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه** فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفتدي به نفسه والمقصر نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفا البيع يستلزم انتفا الشرا على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تخصيص الايجاب من قبل البايع **ولا خلال** ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بما لا يفتدي به نفسه او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بما يتعاطيه من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق لوجه الله تعالى والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم التاكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع اثار البيع والخلال للواقعين في الدعا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى الاتيان بما يبقى عوايده ويدوم فوايده من الانفاق في سبيل الله عز وجل ومن حيث ادخار المال ترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك في الاخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التاكيد بذلك بميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضن به ولا يبعد ان يكونا تاكيدا لمضمون الامر باقامة الصلاة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالبيوعات والمخالات كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل بيع فيه او خلال **الله** مبتدا خبره **الذي خلق السموات** وما فيها من الاجرام العلوية **والارض** وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المومنين باقامة مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمومنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدا الاسم الجليل واخبار الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الاثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان **وانزل من السما** اي السحاب فان كل ما علاك سما او من الفلك فان المطر منه يبتدي الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص ومن اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان فمن ابتدائية **ما** اي نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدا لنزوله او لتشريفه كما في قولك اعطاه السلطان من خزانته مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر **فاخرج به** بذلك الماء **من الثمرات** القابلة للحصر اذ الان صيغ الجموع يتعاور بعضها موضع بعض واما لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان **رزقا لكم** تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا وجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدر من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السما بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذا لم ينزل من السما كل الماء والاخراج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيئته تعالى وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة من الماء والتراب او اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشيا بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنايع وحكما تجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس ذلك في ابدائها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم **وسخر لكم الفلك** بان اقدركم على صنعها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك **لتجري في البحر** جريا تابعا لارادتكم **بامره** بمشيته التي يناط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الالات كما يتراءى من ظاهر الحال **وسخر لكم الانهار** ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يرى اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها

وزعم وجبانهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين لذبان في
سيرهما وانارتهما اصالة وتلافه واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ولمعاشكم
ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحد منها في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رفعة
مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر
والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير
تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلقه وخلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع
ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال الما منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملة ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او
للتفادي عن توهم كون الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة وآتاكم من كل ما سألتموه
اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما يقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وينيط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكأنكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان
الاستعداد او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقوله فلان يعطي كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم
ابواب كل شيء وقيل للاصل واتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية
ومحل سألتموه النصب على الحالية اي اتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التي انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا حصرها
ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظه بها ففيه ايذان
بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلا
باصناف العنايات متقلب بانواع الرزايا بحيث لو تاملته القيته متقلبا في نعم لا تحد ومنن لا تحصى ولا تعد كأنه قد اعطي كل ساعة
وان من النعماء ما حواه حيطة الامكان وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة
وخضعت لهيبته رقاب العناة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير مزاحم ولا شريك يساهمه
بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس دراهم قد انه وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم
فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة ترويه من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب
الاموال والاهلاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة
الخسران فاذن تلك اللقمة والشربة خير منها في الدنيا بالف رتبة مع انهما في طرف التمام بالنسبة لما ياتي شأمن الليالي والايام او قدر انه قد
احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج واحس بقرب حلول الموت من كل مكان اما يعطي ذلك كله بمقابلة
نفس واحد بل يعطيه وهو لرائه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بحملتها وقد ظاهر مرتها مع انه قد اتيح له كل آن من آنات الليالي
والايام حال انقطاء المنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق فالوقوف
على كل ما حل من الورود فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة له
والملكات الرائقة بحيث انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا في مطمورة
العدم بالبوار ومهاوي الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجنايات قدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي آن من يمر وينقضي
من انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير
ولا يعلمه الا العليم الخبير فسبحانه من عليم اعلم العلماء وغيرهم جل وعلا وتقدس وتعالى سبحانه ثم قال ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتدا لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جانب المبدا
الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتدا ما لم تنسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي
وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل

تحت

تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وليست كذلك اذ لا اشتمال له في ان يكون لشيء واحد في غير متناهية
وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود بارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاها على العدم مع امكان وجودها في انفسها
في كل ان من آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة وكذا الحال في وجود علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابدا وبقا وكذا في
كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه كل ان نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك
العيون بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها شانك لا يضاهى واحسانك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب
اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها في غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار شديد الكفران
وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من
وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى آخره دخولا اوليا واذ قال ابراهيم اي واذكر وقت قوله عليه
السلام والمقصود من تذكيره وتذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به تأكيد ما سلف من تعجيبه عليه السلام
ببيان قبائح من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم
بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلاة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأل الله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من
الثمرات ويهدي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك
النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله تعالى
آمنا اي ذا امن وامنا اهله بحيث لا يخاف عليه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا
آمنا ان المسؤول هنالك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول
فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سال اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر لما يقتضيه
من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعا والابتهال او كان المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد
وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصار
على ذلك لانه المعظم الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرير
الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن
ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل
افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو سؤال البلدية قد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول
ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام لما اسكن اسماعيل وهاجر هناك
وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال
نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى استوى على ثنية كدا اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية وانما فصل ما بينهما تنبيه
للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كما كثير كما في قصة البقرة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام
واجعله منه في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ اجنبني من الافعال
وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله
تعالى والظاهر ان المراد ببنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضي الله عنه على ان احدا من اولاد اسماعيل عليه السلام
لم يعبد الاصنام وانما كان لكل قوم حجر نصبوه قالوا هو حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا
يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القران العظيم من قوارع سجلت على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرامة لهم منه
رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالندا اه
اظهار الاعتنائه به ورغبته في استجابته فمن تبعني منهم فيما ادعوا اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اي بعضي قال عليه

السلام مبالغة في بيان اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير بالعصيان للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيان لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتدا او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اي عليه السلام ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والاكراه في قوله رب اجنبني الى اخره بل لان الدعا المصدرية وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله اني اسكنت الاية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة للمسؤول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسماعيل عليه السلام كانت سارة وهبتها من ابراهيم عليه السلام فلما ولدت له اسماعيل غارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التعرض الى الله تعالى والالتجا الى جواره الكريم كما ينبي عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجا وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة في كل عصر او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بنا وانما كان نشزا مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه ينزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بنا الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين ساير شعاير الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلاة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعايه واعطاء مسؤوله الذي لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفا فقال فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدتهم فمن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم واما ما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ المسؤول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعا بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما مر او للابتدا الغاية كقولك القلب مني سليم اي افئدة ناس وقرئ افيدة على القلب كادر في ادؤر على انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة على النقل من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد او قرئ على البنا للمفعول من اهواه غيره وتهوى من باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع واول اثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائن على الما فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وانسناك والما ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسماعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج اسماعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعا بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر اكتفا بذكر اقامة الصلاة من الثمرات من انواعها بان يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلاة واداء ساير مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلاة والدعا من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفا في قوله تعالى فاجعل الى اخره وفي دعايه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرافة ما لا يخفى فانه عليه السلام بذكر كون

الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤول وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعوازمرافق المعاش لمحض اقامة الصلاة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سوا تعلق به الاخفا او لا اي تعلم ما نظهره كما نعلم ما نضمره لا اخطر ببالنا مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما نخفي اقدم منه بما نعلن او لان مرتبة السر والخفا متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شي يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصوده عليه السلام ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما لما انه العالم بالذات فما من مريد يدخل تحت الوجود كائنا كان في زمان من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله الى اخره دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شايبة خفا بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشي اي من شي كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بيخفى وتقديم الارض على السما مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعي للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشان يختص به او من يتعلق به شامل لجميع الاشيا فالمناسب ذكره تعالى بعنوان يتصحح لمبدايته الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون من الاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبر ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا للشكر لها اسماعيل واسحاق روي انه ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة ان ربي لسميع الدعا لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعا الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعا بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فايضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلاة مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من المذكورين ومن تسيير سيرتها او لادهما للاشعار بانه المقتدي في ذلك وذريته اتباع له وان اكثرهم بطريق الاستطراد والا كما في قوله ربنا اني اسكنت فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعا الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعا ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلاة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاي اي دعاي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جي بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عز وجل انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه ادم وحوا وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسياتي تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعا وبالمغفرة جي بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة المكلفين

على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل اسند اليه
قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسئل القرية واعلم انما حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس صادرا
عنه على الترتيب المحكي لا على وجه الهيئة بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في المسئلة
وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون** خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم تثبيت على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه
واجب للاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير
عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم
لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد
للكفرة وسائر الظالمين شديدا ولكل احد ممن يستعجل عذابهم ويتوهم اهمالهم للجميل بصفاته تعالى والاعتذار بامهاله وقيل
معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد
بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة
التاخير المبني عنه قوله تعالى قل تمتعوا الاية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا **انما يؤخرهم** يمهلهم متمتعين بالحظوظ
الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهدونه وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق اعم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا
عن اعمالهم ولا تغتر بتاخير ما يستوجبه من العذاب الاليم ان تاخيره للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى
من التاخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال
ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرة
وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم الخ لما فهم ذلك
ليوم هائل **تشخص فيه الابصار** ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة
لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما بجعل الصيغة
من شخص من بلد الى بلد وسار في ارتفاع **مهطعين** مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين بابصارهم
عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الداعي قيل **مقنعي رؤسهم** اي رافعيها مع
ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله العتبي وابن عرفة او ناكسيها ويقال اقنع راسه اي طاطاه ونكسها فهو من الاضداد
وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال متداخلة من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية
لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا او هو نفس الجفن
قال الفيروزابادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان
يرجع الى شيء اخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل ممن يقتضي الى اخره او استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص
الابصار وتاخيره عما هو من تتمته من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى
وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم لحيرة والدهش كانها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي
لا قوة ولا راي فيه ولا اعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مقيدة لكون شخوص ابصارهم وعدم
ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة **وانذر الناس** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه انما تاخيرهم
لماذا امر له بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه
من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب
عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث

كونها

كونها في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم **يوم ياتيهم العذاب** المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا
يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او يوم هلاكهم
بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق **فيقول الذين ظلموا** اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم
بالظلم والاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثاره على صيغة الفاعل حسبما ذكر للايذان بان الظلم في الجملة كاف
في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال الى غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم
المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية
فان اتيان العذاب على التقدير يعمهم كما يشعر به لك وعدهم باتباع الرسل **ربنا اخرنا** ردنا الى الدنيا وامهلنا **الى اجل قريب** الى
امد وحد من الزمان قريب **نجب دعوتك** اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في
انهم مرسلون من عند الله تعالى **ونتبع الرسل** فيما جاؤوا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار
اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسل عليهم السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم
جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها **اولم تكونوا اقسمتم من قبل** على اضمار القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا
وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها **ما لكم من زوال** مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ
الدنياوية او بالنسبة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد
زمان التاخير وبعد مداه او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة
حال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة
لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى فذوقوا
~~بما نسيتم لقاء يومكم هذا الاية~~ ثم يقولون ربنا ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الاية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع
رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا نعوذ بك ونلوذ بعز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك
وسكنتم في السكنى بمعنى التبوؤ والا ... وانما استعمل بكلمة في حيث قيل **في مساكن الذين ظلموا انفسهم** جريا على الاصل لانه منقول
عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي
غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان
غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاصه الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين
واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومها للكل وهذا الخطاب وما بعده باعتبار حال اواخرهم **وتبين لكم** بمشاهدة الاثار وتواتر
الاخبار **كيف فعلنا بهم** من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد كيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين
كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة اي فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرئ نبين **وضربنا لكم الامثال**
اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات
ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم وما لكم على ما لهم
وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر
واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم

وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل **وقد مكروا مكرهم** حال من الضمير الاول
في فعلنا بهم ومن الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال
انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه
غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او وقد مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود
اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى **وعند الله مكرهم** اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف
الى فاعله او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا او ذكرا او لكونه في صورة المكر في الاتيان من
حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد بيان ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لانه وعيد مستانف والجملة حال من الضمير في مكروا اي
مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رايهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه **وان كان مكرهم** في
العظم والشدة **لتزول منه الجبال** اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لازالة الجبال عن مقارها
لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن
مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذفت تلك الجملة حذفا مطردا لدلالة المذكور عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود
المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية من تاكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو
قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه وما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن
لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة
الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي عليه الصلاة والسلام وامر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون
هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول
منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم المعهود وان الشان
كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع منعا من مباشرة المكر على انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شان الآيات والشرائع مانعا
من مباشرة المكر لازالته وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها فارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم
اي عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح
لام كي وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذي تقتضيه النظم الكريم ويساق اليه الطبع السليم وقيل ان الضمير في مكروا للمنذرين
والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية وغيره من انواع مكرهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى وقد مكروا الى آخره حالا من القول المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال انهم
مع ما فعلوا من الاقسام المذكورة مع ما بينا فيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال وقد مكروا مكرهم
العظيم اي لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذي يجوابه بل فتروا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير
مكروا حسبما ذكرنا من قبل قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقق الجزاء بين كون مكرهم
قويا او ضعيفا كما مر هنالك وعلى تقدير كونها نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم قد مكروا
والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام
مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر لذلك لما
ان لشانه الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فلينامل **فلا**
تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي
كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروي بل ما سلف آنفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الآية لما

يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله والتيقن بانجاز وعده
المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد
ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة واخبرناك
بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تاملهم في احوال من سبقهم من الامم الذين
اهلكناهم بظلمهم بعدما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا **ان الله عزيز** غالب لا
يماكر وقادر لا يقادر **ذو انتقام** لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من
تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير
اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر **يوم تبدل الارض غير الارض** ظرف لمضمر مستانف ينسحب عليه النهي المذكور اي ينجزه يوم الخ او معطوف
عليه نحو وارتقب يوم تبدل الارض غير الارض او لانتقام وهو يوم ياتيهم العذاب بعينه ولكن لما اختلف احواله يذكر كل مرة بعنوان مخصوص
والتقييد به مع عموم انتقامه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية
اليه وقيل بدل من يوم ياتيهم العذاب او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الى آخره وفيه ابطال ما في الوجه الثالث من الحاجة
الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام
جملة اعتراضية فلا يبالي بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم
جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض
الاقوال والآية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين وعن علي كرم الله تعالى وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه تبدل الارض بارض كالفضة البيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه هي تلك
الارض وانما تغير صفاتها وانشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ٭ وما الدار بالدار التي كنت تعلم

وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا **والسموات** اي وتبدل
السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها منا وكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا **وبرزوا** اي الخلائق
او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا
ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك لعل البروز المهمل مع انهم لاعمالهم للاعيان ثبت كلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على
تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو **لله الواحد**
القهار للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على كونه ظرفا
له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم ياتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يضار ولا
يعار كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة **وترى المجرمين** عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او
للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل
الظرف المقدم على تقدير كونه نحوه **يومئذ** اي يوم اذ ابرزوا لله عز وجل ويوم اذ تبدل الارض او يوم اذ يخرج **مقرنين** قرن بعضهم
مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة
والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم
وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين **في الاصفاد** في القيود والاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين او حال من ضميره اي مصفدين
سرابيلهم اي قمصانهم **من قطران** جملة من مبتدا وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين او ضميرهم في مقرنين رابطها الضمير فقط

كان في كلمة فوه الي في او مستانفه لا محل لها والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربا فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته الي الجوف وهو اسود منتن يشرع فيه اشتعال النار يطلي به جلود اهل النار حتي يعود طلاوه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعة وحرقة واسراع النار في جلودهم واللون الوحش والنتن علي التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لما يكاد يتعاد رقدره فكان ما نشاهده منها اسما مسميا تها في الاخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحوط بجوهر النفس من الملكات الرديه والهيات الوحشة فتجلب اليها الالام والغموم بل وان يكون القطران المذكور عين ما لابسوه في هذه النشاة وجعلوه شعارا لهم من العقايد الباطلة والاعمال السيه المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشاة الاخرة لتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرى من قطران اي نحاس مذاب متناهي حره **وتغشي وجوههم النار** اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لساير اعضا الظاهر واشرفها كقوله تعالي افمن يتقي بوجهه سوء العذاب الي اخره ولكونها مجمع المشاعر والجوامين التي خلقت لادراك وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كان الفواد اشرف الاعضا الباطنه ومحل المعرفه وقد ملوها بالجهالات وكذلك فيل تطلع علي الافيدة او يخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعادفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي علي روس الاشهاد وقري تغشي اي تتغشي بحذف احدي التاين والجملة نصب علي الحالية لا علي ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل علي انها معطوفة علي الحال قاله ابو البقا **ليجزي الله** متعلق بمضمر اي يفعل ذلك بهم ليجزي **كل نفس** مجرمة **ما كسبت** من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاوهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا علي تقدير كونه معطوفا علي تبدل والضمير للخلق وقوله وتري المجرمين الي اخره اعتراض بين المتعلق والمتعلق به اي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية بما كسبت من خير او شر وقد اكتفي بذكر عقاب العصاة تعويلا علي شهادة المال لاسيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة **ان الله سريع الحساب** اذ لا يشغله شان عن شان فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزا بحسبه او سريع المجي ياتي عن قريب او سريع الانتقام كما قاله ابن عباس رضي الله تعالي عنه في قوله تعالي وهو سريع الحساب **هذا** اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الي قوله سريع الحساب **بلاغ** كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الي ما انطوي عليه السورة الكريمة او كل القران المجيد من فنون العظات والقوارع **للناس** للكفار خاصة علي تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالي وانذر الناس او لهم وللمومنين كافة علي تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرع مختصا بالظالمين **ولينذروا به** عطف علي مقدر واللام متعلق بالبلاغ اي كفاية لهم في ان ينصحوا وينذروا وهذا ابلاغ لهم لينصحوه ولينذروا به علي ان البلاغ بمعني الابلاغ كما في قوله تعالي ما علي الرسول الا البلاغ او متعلقه محذوف اي ولينذروا به انزل وقري لينذروا به بذر بالشي اذا علمه وحذره واستعد له **وليعلموا** بالتامل فيما فيه من الدلايل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان اخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق **انما هو اله واحد** لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الي التامل المودي الي ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالي **وليذكر اولوا الالباب** اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شوون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقايد اللايقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار دلالة علي ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة في شانهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلي ما سيق للمومنين ايضا فان فيه ما يبصرهم فايدة جليلة وحيث ما كان يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه الكلام بالنسبة الي الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الي اولي الالباب الثبات علي ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود من الختم بالحسني والله سبحانه اعلم ختمنا الله بالسعادة والحسني ورزقنا العفو بمرضاته في الاولي والعقبي امين عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والله اعلم

سورة الحجر تسع وتسعون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها **تلك** اشارة الي ما تضمنته السورة الكريمة العظيمة الشان **ايات الكتاب** الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به علي الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القران او عن جميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الي الفهم حينيذ عند الاطلاق وعليه يترتب فايدة وصف الايات بنعت ما اضيف اليه من نعوت الكلام لا علي جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف لذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتي يستغني عن التصريح بالوصف علي انها عبارة عن جميع اياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الي كل واحدة منها وفيه من التكليف ما لا يخفي كما ذكر في سورة الرعد **وقران** اي قران عظيم الشان **مبين** مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شانه العظيم مع ما فيه من وصف الكتابية والقرانية علي طريقتين احداهما اشتماله علي صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية طريقه كونه ممتازا عن غيره نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن دايرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الي امتيازه عن ساير الكتب بعد التنبيه علي انطوايه علي كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتمال علي نعوت كمال ساير الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القران علي الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقران لتوجيه المخاطبين الي حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما يتضمنه فقيل **ربما** بضم الراء وتخفيف البا المفتوحة وقري بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة التا مشددا وفيه ثمان لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التا ايضا مشددا او مخففا وانه حرف جر لا يدخل الا علي الاسم وما كافة مصححة لدخوله علي الفعل وحقه الدخول علي الماضي ودخوله علي قوله تعالي **يود الذين كفروا** لما ان المترقب في اخباره تعالي كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقران وبكونه من عند الله تعالي **لو كانوا مسلمين** منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعدما علموا كونه من عند الله تعالي وتلك الودادة يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رويتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسي الاشعري انه قال النبي عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شا الله تعالي من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلي قالوا فما اغني عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الي النار فقالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فامر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينيذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالي عنه انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتي يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول علي شدة ودادتهم واما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل ان يمر عليهم وان المراد بيان ذلك علي ما هو من الكثرة وانما جي بصيغة التعليل جريا علي سنن العرب في ما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه يقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتايب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براته من التزيد وابراز انه ممن تعلل لعلو همته كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شايبة ريب فيصار اليه هضما للحق فدل النظم الكريم علي ودادة الكافرين للاسلام في كل ان من انات اليوم الاخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه علي احد ولو جي بكلام يدل علي ضده وعلي ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الي جناب الكبريا وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالي ذرهم ياكلوا الاية او ذهابا الي الاشعار بان من شان العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يفارق قصده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم علي ما فعلت وربما ندم الانسان علي ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه علي ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم ويقل وقوعه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه كافا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار

الترفه والاستغنا عن التصريح بالغرض بنا على ادعا ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يغاروا قوه
فكيف وهم يودونه كل ان وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متماثران ذاتا ومقاما فم طرها
واحدا فقد بان عن توفية المقام حقه **ذرهم** دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك
وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه **ياكلوا ويتمتعوا** بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من
قبيل تمتع البهايم بالماكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا استماع ما ينغص عيشهم
من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشانهم **ويلههم** ويشغلهم عن اتباعك
او عن التفكر عما هم يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع سيان الى ذلك **الامل** والتوقع لطول الاعمار
وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال بان لا يلقوا في العاقبة والمال الا خيرا فالافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر
حسبما هو من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز او على ان يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة
عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبايح مما يشوش عليهم
تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامر عليه السلام بتركه ليتمتعوا فيما هم فيه من حظوظهم فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون **فسوف يعلمون**
سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجاتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من حينئذ وهو مع كونه وعيدا اثر وعيد
وتهديدا عقب تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يته
تحقق الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما ترتب عليه من الاكل والتمتع والالها **وما اهلكنا** شروع في
بيان سر تاخير عذابهم الى يوم القيامة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا **من قرية** من القرى بالخسف
بها وباهلها كما فعل باهلها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم كما فعل باخرين **الا ولها** في ذلك الشان **كتاب** اي اجل مقدر مكتوب
في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له **معلوم** لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف
عنه بالتقدم والتاخر فكتاب مبتدا خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تاكدها بكلمة في حكم الموصوفة كما اشير
اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا
يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للقرية المقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا
قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام
المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شي
من الاشيا الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه
فللايذان بكمال الاتصال بينهما من حيث ان الواو شانها الجمع والربط فانما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها في قوله
تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه السنة
الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة
من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التاخر عنه فقيل **ما تسبق من امة** من الامم المهلكة وغيرهم **اجلها** المكتوب
في كتابها اي لا يجي هلاكها قبل مجي كتابها او لا تمضي قبل مضي اجلها وان السبق اذا كان واقعا على زمان فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت
سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه وراه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه
الى المتكلم حاسبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سياتي من الزمان والسابق ما تقدم الى المقصد
وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الهلاك **وما يستاخرون**
اي وما يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعدما ذكر نفي الاهلاك
بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى

القرية لما ان السبق والاستئخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت
عقوباتهم الى الاخرة وتاخير ذكر عدم تاخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار
تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر
للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تاخير عذابهم الى
يوم القيامة حسبما اشير اليه شان ودابهم للاسلام اذ ذاك والامر بتركهم وشانهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتاخر
اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة **وقالوا** شروع في بيان
كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقايلون مشركوا مكة لغاية تماديهم في العتو والغي
يا ايها الذي نزل عليه الذكر خاطبوا به رسول الله عليه الصلاة والسلام لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه السلام
واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم **انك لمجنون** كذاب فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل
هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك عندما تدعي انه ينزل عليك لمجنون وتقديم
الجار والمجرور على القايم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله
بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم لان الانكار هناك متوجه الى كون
المنزل عليه رسول الله تعالى وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل
عليه لا الى اسناده الى الفاعل **لو ما تاتينا** كلمة لو عند تركبها مع ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشي لوجود غيره ومعنى
ومعنى التحضيض خلا انه عند ارادته لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا الاسم ظاهرا او مقدرا
عند البصريين والمراد هنا هو الثاني اي هلا تاتينا **بالملايكة** يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الانذار كقوله تعالى
لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبوننا على التكذيب كما اتى الامم المكذبة لرسلهم **ان كنت من الصادقين** في دعواك
فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او ان كنت من
جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم **ما ننزل الملايكة** بالنون على بنا الفعل لضمير الجلالة من التنزيل
وقرئ من الانزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البنا للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا منه ومن
التنزيل ومن الثلاثي وهو كلام مسوق الى النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا لاقتراحهم الباطل ولشدة
استدعا ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر الى اخره كما فعل في قوله تعالى قال انما
ياتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فاتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الاية مع كونه جوابا عن اول كلامهم
الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضايه للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم
انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان يقال ما ناتيهم بهم للايذان
بانهم قد اخطاوا في التعبير حسبما اخطاوا في الاقتراح وان الملايكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل
للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الاخر منها ثم من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم اوليك الكفرة وان
يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشانهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب
الجليل **الا بالحق** اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية كقوله سبحانه
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة
والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الانبيا
الكرام من افراد كمل المومنين فكيف على امثال اوليك الكفرة اللئام وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل
للتعذيب والاستيصال كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستوصلوا بالمرة **وما كانوا اذا منظرين** جزا الشرط

مقدروقيه ابدا ان باتناج معد ما تهم لنقض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لايلبثون خلفك الا قليلا قال
صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين يقول ابنك اذ جئتني اي حين جئتني ثم ضم اليه ان فصار اذ ان ثم
استثقلوا الهمزة فحذفوها فجي لفظة اذن دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذن كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو
نزلنا هم ما كانوا مؤخرين كداب سائر الامم المكذبة المستهزية ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضا بتاخير عذابهم الى يوم القيمة
حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الى اخره وحال حايل الحكمة بينهم وبين استيصالهم لتعلق العلم
والارادة بازدياد هم عذابا وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر
والعناد وتحاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل
للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار او انه لا حكمة في ان ياتيكم بصورة يشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزل
الملايكة لا يكون الا بالحق وحصول الفايدة بانزالهم وقد علم الله من حال هؤلا الكفار انه لو انزل اليهم الملايكة لبقوا مصرين على
كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا او لا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك بقطعية التالي لا يلزم من فرض وقوع شي من ذلك تعجيل العذاب
الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا التقدير كون اقتراحهم لاتيان الملايكة لاجل الشهادة اما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم
فالمعنى انا ما ننزل الملايكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي يقتضيه الحكمة ويستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه ولو
نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتاخير عذابهم الى يوم القيمة لارتقابهم بل تجديدا عليهم
كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه
الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتاخير عقابهم وقيل المراد
بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
وتسلية له اي نحن بعظم شاننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا
منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايما الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم
له واستهزائهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقص واشباهها فليس يقتضي
المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل
من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبريا والجلال
وعلى فخامة شان التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول
عليه السلام كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتاخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول الباطل ردلما ذكر انفا ولا رتبة بما يعقل
من قوله تعالى ولقد ارسلنا اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف
اي رسلا كاينة من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب سميت من شاعه اذا
تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة عند الفرا ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين
ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طايفة منهم ليتابعوه في كل ما ياتي ويذر من امور الدين وما ياتيهم من رسول المراد
نفي اتيان رسول لشريعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل واحد من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب
من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزءون كما يفعله اولئك الكفرة والجملة على في محل النصب
على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في ياتيهم اذا كان بالاتيان حدوثه او في محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على
الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزءون واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من استغراقه في الاثبات ويجوز ان
يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثنا وان كان المختار الرفع على البدلية هذا كما ترى تسلية لرسول الله

صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبيا عليهم الصلاة والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله
تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القا الوحي
مقرونا بالاستهزا اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب اوليك المستهزئين برسلهم وبما جاوا به من الكتب نسلكه اي
الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال
منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزا غير مقبول لما تقتضيه الحكمة
فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم
السالفة او للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشي في اخر يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به
اي بالذكر حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل في نسلكه الضمير للاستهزا فيتعين الباء
الى ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اي نسلك الاستهزا في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال
اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقا كما في قولهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي
قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حيث فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزا وهو استيناف جي به بكلمة
للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على هؤلا المقترحين المعاندين بابا من السما اي بابا ما من ابوابها
المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون بالة او بغيرها ويرون ما فيها من العجايب عيانا
كما يفيده الظلول او فظل الملايكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم
لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتماديهم عن قبول الحق انما سكرت ابصارنا اي سدت من الاحساس من السكر كما
يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما يعضده قراءة من قرا سكرت اي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله
عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الايات الباهرة وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وانما يرونه لا
حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان
انكارهم لغير ما يرونه فان عروج كل ملك منهم الى السما وان كان مرتبا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر
عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع اخر من السحر غير سحر تسكير الابصار ولقد جعلنا في السما بروجا قصورا ينزلها السيارات
وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من
بساطة السما والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له
متعلق بمحذوف اي جعلنا بروجا كاينة في السما وزيناها اي السما بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت
او ثوابت للناظرين اليها بمعنى التزيين ظاهرا او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فزينتها
ترتيبها على نظام بديع مستتبع للاثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس
في اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها الا من استرق السمع محله النصب على الاستثنا المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين
عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة والمنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبي عليه
الصلاة والسلام منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من السموات لما بينهم
من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اي تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة
وقد يطلق على الكواكب والسنان لما فيهما من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري اكان يرمى
بالنجوم في الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمي به الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى
مكانه قال افرايت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه عليه السلام ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام قالت
ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان الشياطين تركب بعضهم بعضا الى السما الدنيا يسترقون السمع من الملايكة فيرمون بالكواكب
فلا يخطي ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث شا الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس
في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل
وقال الحسن وطايفة يقتل قال والاول اصح **والارض مددناها** بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير
ولم يقرا بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله تعالى ولقد جعلنا الى اخره وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى
والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت **وانبتنا فيها** اي في الارض وفيها او في رواسيها **من كل شي موزون** بميزان الحكمة ذاتا او
صفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شي مستحسن مناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة
وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقا وهي بيا صريحة وقرى بالهمزة تشبيها له بالشمايل
ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال
والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفونهم مونتهم والتحقيق
ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين **وان من شي** ان للنفي ومن زيدت للتاكيد
وشي في محل الرفع على الابتدا اي ما من شي من الاشيا الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا **الا عندنا خزاينه** الظرف خبر
للمبتدا وخزاينه هو يرتفع به على انه فاعل لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدا الاول والخزاين جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفايس
الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين ومن خزاين ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الغايبة للحصر المندرجة
تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول الله ايهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها
مهياة متاتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تاخر بنفايس الاموال المخزونة في الخزاين السلطانية
فذكر الخزاين على طريقة الاستعارة التمثيلية **وما ننزله** اي ما نوجد وما نكون شيا من تلك الاشيا ملتبسا بشي من الاشيا **الا
بقدر معلوم** اي الا ملتبسا بمقدار معين يقتضيه الحكمة وتستدعيه المشية التابعة لها لا بما يقتضيه القدرة فان ذلك غير
متناه فان تخصص كل شي بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه لك مع استوا الكل في الامكان واستحقاق
تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا لبيان سر عدم تكوين الاشيا على وجه الكثرة
حسبما هو في خزاين القدرة وهذا اما عطف على مقدر اي ننزله وما ننزله الى اخره او حال مما سبق اي عندنا خزاين كل شي والحال
انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان تابع الحكمة وحيث كان انشا ذلك بطريق التفضل من
العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل
وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار **وارسلنا الرياح** عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق
وترشيح ما حواه اي ارسلنا الرياح **لواقح** اي حوامل شبهت الريح التي تجي بالخير من انشا سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون
كذلك او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره والطوايح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما يطيح الطوايح اي المهلكات وقرى
وارسلنا الريح على ارادة الجنس **فانزلنا من السما** بعدما انشانا بتلك الرياح سحابا ماطرا **فاسقيناكموه** اي جعلناه لكم سقيا
وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاوا **وما انتم له بخازنين** نفي عنهم ما اثبته لجنابه
بقوله وان من شي الا عندنا خزاينه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل
ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه في الغدران والابار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الما تقتضي
الغور **وانا لنحن نحيي** بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها **ونميت** بازالتها عنها وقد يعمم الاحيا والاماتة لما يشمل
الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول او مبتدا خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لان

اللام ما نعد عن ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص
الحق بل لانه لم يقع بين اسمين **ونحن الوارثون** اي الباقون بعد فنا الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضا زمان الملك
المجازي الحاكمون في الكل اولا واخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على ان المتاخر ليس بوارث
للمتقدم كما يرى من ظاهر الحال **ولقد علمنا المستقدمين منكم** من تقدم منكم ولادة وموتا **ولقد علمنا المستاخرين** من تاخر
ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الابا ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تاخر في ذلك
لا يخفى علينا شي من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه في تكرير قوله تعالى ولقد
علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت
وقيل ان امراة حسنا كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر اخرون ليروها فنزلت
والاول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى **وان ربك هو يحشرهم** اي للجزا وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه
هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لا لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو
يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلية الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام دلالة
على اللطف به عليه السلام **انه حكيم** بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقايق الاشيا على ما هي عليه
والاتيان بالافعال على ما ينبغي **عليم** وسع علمه كل شي ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضايها للحشر والجزا **ولقد خلقنا
الانسان** اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطوا اجماليا كما مر
تحقيقه في سورة الانعام **من صلصال** من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت عند نقره قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو
صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن **من حما** من طين تغير واسود بطول مجاورة الما وهو
صفة لصلصال اي من صلصال كاين من حما **مسنون** اي مصور من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الما صبه اي مفرغ على هيئة
الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحما وعلى الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر
عن حما تنبيها على ان ابتدا مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حما كانه سبحانه افرغ الحما فصور منه تمثال انسان
اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر اخر فتبارك الله احسن الخالقين **والجان** ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس
كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بامره مخلوقا منها وقرى
بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره **خلقناه** وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية **من قبل** من قبل خلق الانسان ومن هذا
يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستاخرين الاخر والخطاب بقوله منكم للكل **من نار السموم** من نار الحر
الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن
الاجساد المولفة التي غالب اجزايها الجزا الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزايها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب
كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الاية الكريمة كما هو للدلالة يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحيا **واذ
قال ربك** نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف
الربوبية المنبية عن تبليغ الشي الى كماله اللايق به شيا فشيا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بعلية الحكم وتشريف
له عليه السلام اي اذكر وقت قوله تعالى **للملايكة اني خالق** فيما سياتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى
فاعل البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه **بشرا** اي انسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظ
ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل
خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر **من صلصال** متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا كاينا من صلصال كاين **من حما
مسنون** تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين

من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض عند الحكاية لذلك عند وقوع المحكي غايته
انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا **فاذا سويته** اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه
بتعديل طبائعه **ونفخت فيه من روحي** النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ
وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى من الروح التي هي
من امري **فقعوا له** امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له **ساجدين** تحية له وتعظيما
او اسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه

اليس اول من صلى لقبلتكم ... واعلم الناس بالقران والسنن

فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة **كلهم** بحيث لم يبق منهم احد **اجمعون** بحيث لم يتاخر في
ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان
فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطابي التنزيل على اكمل احوال الشيء ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف
السجود لكن شاع استعماله تاكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم
يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما
حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا
بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في سورة البقرة **الا ابليس** استثناء متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة
فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى **ابى ان يكون مع الساجدين** استئناف مبين لكيفية
عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل
به ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رايه حيث ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر
والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام **قال** استئناف
مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال **يا ابليس ما لك** اي اي سبب لك لكلمة اي غرض لك كما قيل لقوله
تعالى ما منعك **الا تكون** في ان لا تكون **مع الساجدين** لآدم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه
لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وفي سورة
ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر
واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في
سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه **قال** اي ابليس وهو ايضا استئناف مبني على السؤال الذي ينساق
اليه الكلام **لم اكن لاسجد** اللام لتاكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني وانا مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد
لبشر اي جسم كثيف **خلقته من صلصال من حما مسنون** اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف
المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من
التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفي في سورة
الاعراف وسورة ص بما حكي عنه ههنا واقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قال
ااسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله
عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة وانى له ذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك
الملائكة بل عما لا يليق بشاني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك
الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها التكبر والاستعصاء على امر رب العالمين جل

جلاله **قال فاخرج منها** اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته لآدم عليه السلام في الجنة انما كانت
بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى هبوط واي هبوط او من الجنة على
ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق المشافهة بعد ان احتال في دخولها او ترسل اليه
بالحية كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ولا ينافي هذا اطراده على رؤوس الاشهاد لما يقتضيه من الحكم البالغة **فانك رجيم**
مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض
النص بالقياس فهو رجيم ملعون **وان عليك اللعنة** الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على السنة
العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي **الى يوم الدين** الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتاخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع
كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها
تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين العذاب فتصير هي كالزائل وقيل انما حد به لانه ابعد
غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن تاخير العقوبة مع الموت كسائر من اخرت
عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تاخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى **قال رب فانظرني** اي فامهلني واخرني ولا تمتني
والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني **الى يوم يبعثون** اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد
بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث **قال فانك من المنظرين** وورود الجواب
بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله للآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار
المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما يقتضيه حكمة
التكوين فالفاء ليست لربط الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله فان ترحم فانت لذاك اهل فانه لا امكان
لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة
بوقوعها او الرحمة الحادثة بل هي لربط وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل
ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن وحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار
مع الحياة ولان ذلك التاخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال
انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي سورة
ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم لا بد ان يكون
له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وانما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة ان اقتضى احد
الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن مرتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى
معالم الاعجاز تصدى لتحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف **الى يوم الوقت المعلوم** وهو وقت النفخة الاولى التي علم انه
يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات
لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر او
لاستئثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في اوله ويبعث في اواسطه
ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس جنيد
انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو
يقول لما حضر آدم عليه السلام قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيامة فاجيب ان يا آدم انك
سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف لي كيف تذيقه الموت
فلما وصفه قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحاق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه وتعالى لملك الموت عقيب

الوفاة

النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع واني لبستك اليوم اثواب السخط والغضب
كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيم ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والاخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة
وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلاوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع
روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات
والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا
هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا ملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار
فتنزّ منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر ادم عليه السلام
ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه ادم عليه السلام وقد
نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث
يشاء الله تعالى ويقال لادم وحوا اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب
فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك **قال رب بما اغويتني** الباء للقسم وما مصدرية والجواب **لازينن لهم** اي اقسم باغوائك اياي
لازينن لهم المعاصي **في الارض** اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة
بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من اثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا
واخرى بذاك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسببك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما
فعلت بي من التسبب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له
بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام واعتذروا عن امهاله تعالى اياه وتسليطه له على اغواء بني ادم بانه تعالى قد علم منه وممن
تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى العذاب امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب **ولاغوينهم
اجمعين** لاحملنهم على الغواية **الا عبادك منهم المخلصين** الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي
وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل **قال هذا صراط علي** اي حق علي ان اراعيه **مستقيم** لا عوج فيه والاشارة
الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه والاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال
والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الاية
وقرئ علي من علو الشرف **ان عبادي** وهم المشار اليهم بالمخلصين **ليس لك عليهم سلطان** تسلط وتصرف بالاغواء **الا من
اتبعك من الغاوين** وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء
عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم **وان جهنم لموعدهم** اي موعد المتبعين
او الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في
الفظاعة **اجمعين** تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم
مكان **لها سبعة ابواب** يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم
الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية **لكل باب منهم** من الاتباع او الغواة **جزء مقسوم** حزب معين مفرز من غيره حسبما
يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس
والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنه ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة
لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار
المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاي وبحذف الهمزة والقاء حركتها
الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها

ان

ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرهما مكفرة **في جنات وعيون** اي مستقرين فيها خالدين لكل واحد منهم جنة
وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القران العظيم **ادخلوها**
على ارادة القول امر من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امر منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرئ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول
على صيغة الماضي من الادخال **بسلام** ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما عليكم **امنين** من الافات والزوال **ونزعنا ما في صدورهم
من غل** اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضي الله عنهم **اخوانا** حال من الضمير وقوله
تعالى جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في امنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى **على سرر
متقابلين** ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم
الاسرة حيث ما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم **لا يمسهم فيها نصب** اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد
لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قدرتهم وهو استيناف
او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين **وما هم منها بمخرجين** ابد الاباد لان تمام النعمة بالخلود **نبئ عبادي** وهم الذين عبر عنهم
بالمتقين **اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم** فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار
بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانه
مما يقتضيها الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج **ونبئهم** عطف على نبئ عبادي والمعنى اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه
السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب وبنجاته عليه السلام مع اهله التابعين له في ضمن الخوف وتنبيههم
حلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم **عن ضيف ابراهيم** عن ابن عباس رضي الله عنه انهم جبريل عليه السلام
وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه عليه السلام وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة
وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان
رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام بل الى قوم لوط حسبما ياتي ذكره **اذ دخلوا عليه** نصب بمضمر معطوف على نبئ
اي واذكر وقت دخولهم عليه او بخبر مقدر مضاف الى ضيف اي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في
الاصل **فقالوا** عند ذلك **سلاما** اي نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما **قال انا منكم وجلون** اي خائفون فان الوجل اضطراب
النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لان المعتاد عندهم اذا نزل بهم ضيف فلم
ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال
لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لما اجابوه ولم يقصد عليه السلام تقريب الطعام
اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا ترى الى انه لم يذكر ههنا رده عليه السلام لسلامهم **قالوا لا توجل** لا تخف
وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله **انا نبشرك** استيناف لتعليل النهي عن الوجل وان المبشر
به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا **بغلام** هو اسحاق عليه
السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحاق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود **عليم** اذا بلغ وفي
موضع بغلام حليم **قال ابشرتموني** بذلك **على ان مسني الكبر** واثر في تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة منافية للولادة
وزاد في ذلك فقال **فبم تبشرون** اي باي اعجوبة تبشرونني او باي شيء تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة
بغير شيء او باي طريقة تبشرونني فان البشارة وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية **قالوا بشرناك
بالحق** اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله **فلا تكن من القانطين** من
الايسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده
عليه السلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك

بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين ونحوه **قال ومن يقنط**
استفهام انكاري اي لا يقنط **من رحمة ربه الا القوم الضالون** المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال
علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس
بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة
ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم تكن هذه المقاولة من الملائكة عليهم السلام مع ابراهيم عليه
السلام خاصة بل مع بشارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك هاهنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هاهنا هناك اكتفاء
بما ذكر هاهنا **قال** اي ابراهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله **فما خطبكم** اي امركم وشأنكم الخطير الذي لاجله
ارسلتم سوى البشارة **ايها المرسلون** صريح بان بينهما مقالة مطوية لهم اشير اليها مكانها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طينا
قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الاية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم وان
توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليه السلام بعنوان الرسالة
بعدما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء ليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة
بل لهم شأن اخر لاجله ارسلوا فكانه قال عليه السلام ان لم يكن المقصد ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى العدد
ولذلك اكتفي بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصد لابتدؤوا
بها فتأمل **قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين** هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم **الا
آل لوط** استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى
انا ارسلنا الى قوم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الاخرين ويدل عليه قوله تعالى **انا لمنجوهم** اي لوطا وآله **اجمعين** اي مما
يصيب القوم فانه لاستئناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان
ذلك قد يكون لحالهم بين او لتعليله فانهم تعلق بهم النتيجة بمعنى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل
بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى **الا امراته** استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف
الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقد قرئ بالتخفيف **قدرنا انها لمن الغابرين** الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ
قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء
قولي واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص **فلما جاء آل لوط
المرسلون** شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر
موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان
ما حكي عنه عليه السلام بقوله تعالى **قال انكم قوم منكرون** انما قاله عليه السلام بعد اللتيا والتي حيث ضاقت عليه الحيل وعيت به
العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكائد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود
والمعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه وتخليصهم انكار لخذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية
له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد
حسبما فصل في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بمحاوراتهم المحكي بقوله **قالوا
بل جئناك بما كانوا فيه يمترون** اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد فسروا القضاء وبينوا له عليه السلام
جلية الامر فاني يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما
تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقربه عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم
بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقالة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة

من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام
بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم
يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض
امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانهم جاؤوه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به **واتيناك بالحق** اي باليقين
الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب
المذكور وفي قوله تعالى **وانا لصادقون** تأكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر
او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تأكيد اثر تأكيد وقوله تعالى **فاسر باهلك** شروع في ترتيب مبادي النجاة
اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير **بقطع من الليل** بطائفة منه
او من اخره قال ** افتحي الباب وانظري في النجوم ** كم علينا من قطع ليل بهيم **
وقيل هو بعدما مضى منه شيء صالح **واتبع ادبارهم** وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع
على السوق مع انه المقصد بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر على بعض ويلزمه عادة الغفلة عن
حال المتأخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى **ولا يلتفت منكم احد** فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا
ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وهو نهي عن ربط القلب بما خلفوه
او هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء والالتفات لا يستدعي عدم وقوعه
فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر **وامضوا حيث تؤمرون** الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام
او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه واللحوق به للايذان بماهية النجاة ولمراعاة
المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين **وقضينا اليه** اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى **ذلك الامر** ثم فسره بقوله **ان دابر
هؤلاء مقطوع** على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم
اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظة القضاء
والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة
الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد **مصبحين** داخلين
في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء **وجاء اهل المدينة** شروع في
حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعدما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه
عليه اي جاء اهل سدوم منزل لوط عليه السلام **يستبشرون** اي مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعا فيهم **قال ان هؤلاء ضيفي**
الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده
عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم لذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشأنهم وتشمره لمراعاة
حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال **فلا تفضحون** عندهم اي بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة
او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه وفضيحه اذا اظهر من امره ما يلزمه العار **واتقوا الله**
في مباشرتكم فيما يسوءني **ولا تخزون** اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض
لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله تعالى فلا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض
للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار عبر عليه السلام
عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفتهم بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي
عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه

بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى **قالوا اولم ننهك عن العالمين** اي عن التعرض لهم
بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم عليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل
احد من الغربا بالسوء وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا فكانهم قالوا
ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما تصدي له لما اعتراك تلك الحالة ولما راهم لا
لا يقلعون عما هم عليه **قال هؤلاء بناتي** يعني نسا القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا من
قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود
ان كنتم فاعلين اي قضا الوطر وما اقول لكم **لعمرك** قسم من الله تعالى بحيوة النبي عليه السلام او من الملايكة بحياة لوط عليه السلام
والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة **انهم لفي سكرتهم** غوايتهم او شدة غلمتهم
التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطا والصواب **يعمهون** يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة
اعتراض **فاخذتهم الصيحة** اي الصيحة العظيمة الهايلة وقيل صيحة جبريل عليه السلام **مشرقين** داخلين في وقت شروق
الشمس **فجعلنا عاليها** عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى **سافلها** مفعول ثان وهو ادخل في الهول
والفظاعة من العكس كما مر **وامطرنا عليهم** في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب **حجارة** كائنة **من سجيل** من طين متحجر او طين عليه
كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود **ان في ذلك** اي فيما ذكر من القصة **لايات** لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق **للمتوسمين** اي المتفكرين
المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشي بسمته **وانها** اي المدينة او القرى **لبسبيل مقيم** اي طريق ثابت
يسلكه الناس ويرون اثارها **ان في ذلك** فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها بمراي من الناس يشاهدونها في ذهابهم واياهم
لاية عظيمة **للمومنين** بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم
واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الاية بعد جمعها **وان كان** ان مخففة من ان وضمير الشان
الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة وان الشان **كان اصحاب الايكة** وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة والليكة
الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعث الله تعالى اليهم **لظالمين** متجاوزين عن الحد
فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجاوا اليها يلتمسون الروح فبعث تعالى
عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة **وانهما** يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان
مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الاخر **لبامام مبين** لبطريق واضح والامام اسم ما يوتم به سمي به الطريق ومطمر البنا واللوح
الذي يكتب فيه لانها مما يوتم **ولقد كذب اصحاب الحجر** يعني ثمود **المرسلين** صالحا فان من كذب واحدا من الانبيا فقد كذب
الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المومنين كما قيل
الخبيبون الخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه **واتيناهم اياتنا** وهي الايات
المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم **فكانوا عنها معرضين** اعراضا كليا
بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا **وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين** من الانهدام ونقب اللصوص
وتخريب الاعدا لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولا
ثم زجر رسول الله عليه السلام راحلته فاسرع حتى خلفها **فاخذتهم الصيحة مصبحين** وهكذا وقع في سورة هود وقيل
صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السما صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شي في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم
وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهوا تموجا شديدا يفضي
اليها كما مر في سورة هود **فما اغنى عنهم** ولم يدفع عنهم ما نزل بهم **ما كانوا يكسبون** من بنا البيوت الوثيقة بالاموال الوافرة والعدد

المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفا لترتيب عدم الاغنا الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا لعدم الاغنا المطلق فانه
امر مستمر **وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق** اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلايم له
استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هولا دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح
او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزا على الاعمال كما ينبي قوله تعالى **وان الساعة لاتية** فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك
فاصفح اي اعرض عنهم **الصفح الجميل** اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة
باية السيف **ان ربك** الذي يبلغك الى غاية الكمال **هو الخلاق** لك ولهم ولساير الموجودات على الاطلاق **العليم** باحوالك واحوالهم
بتفاصيلها فلا يخفى عليه شي مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم
وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهم
هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير **ولقد اتيناك سبعا** سبع ايات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن
مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك
لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس والحواميم السبع وقيل الصحايف السبع وهي الاسباع **من المثاني** بيان للسبع من التثنية وهي
التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراتها في الصلاة واما تكرر قراتها في غير الصلاة كما قيل فليس بحيث يكون
مدارا للتسمية ولانها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلاة واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل
نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك يكرر قراته والفاظه او قصصه
ومواعظه او من المثنى لاشتمالها على ما هو ثنا على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من
تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثنا على الله تعالى كانها تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز
ان يراد بالمثاني القران لما ذكر او لانه مثني عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض على الاول للبيان **والقران العظيم** ان اريد بالسبع
الايات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القران فهو عطف احد الوصفين على الاخر
كما في قوله ❁ الى الملك القرم وابن الهمام ❁ وليث الكتايب في المزدحم ❁
اي ولقد اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم **لا تمدن عينيك** لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك **الى
ما متعنا به** من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها **ازواجا منهم** اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال
والذخاير بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبا به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله تعالى عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي افضل
مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع
البز والطيب والجواهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله تعالى فقيل
لهم قد اعطيتم سبع ايات وهي خير من هذه القوافل السبع **ولا تحزن عليهم** حيث لم يومنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك لتتقوى
بهم ضعفاء المسلمين وقيل وانهم المتمتعون به وبابه كلمة على فان تمتعهم به لا يكون مدارا للحزن عليهم **واخفض جناحك للمومنين** اي
تواضع لهم وارفق بهم وطب نفسا من ايمان الاغنيا **وقل اني انا النذير المبين** اي النذير المظهر لنزول عذاب الله
وحلوله **كما انزلنا على المقتسمين** قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد اتيناك الى اخره اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب **الذين
جعلوا القران عضين** اي قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل
مخالف لهما او اقتسموه لانفسهم استهزا حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا او قسموا ما قروا من
كتبهم وحرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب
ذلك بانه حل المقام عن التشبيه فلقد اوتي عليه السلام ما لم يوت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله وقل اني انا
النذير المبين فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير

والتصبير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما يشبه به العذاب المنذر ولا بد ان يكون محقق الوقوع
معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فايدة التشبيه وهي تاكيد الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه
اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعجاز لكن اذا صادف
مقاما يقتضيه كما في قوله تعالي انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظايره علي ان تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور
بهم مع شركتهم للنصارى في الاقتسام المتفرع علي الموافقه والمخالفه وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص
العذاب المذكور بهم مع كونهم من نتايج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا اول لانذر اي انذر المعضين
الذين يجزون القران الي سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا علي المقتسمين وهم الاثني عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله عليه السلام يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول
الاخر شاعر والاخر كذاب فاهلكهم الله تعالي يوم بدر وقبله بافات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب
الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي الي تخصيص وصف التعضية واخراج
المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله عليه السلام عما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع علي
وصفهم للقران بذلك وهل هو الا نفس التعضية ولا الي اخراجهم من حكم الانذار علي ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث
يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما لكلا الفريقين وغيرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود
ابن المطلب قد هلكوا قبل هلاك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الي تقديم المفعول الثاني علي الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير
اقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كما مر وفيه ما مر ان قوله تعالي كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالي لا من قول
الرسول عليه السلام والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الامر هو الملك حسبما سلف في قوله
تعالي قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من الهرب الي مسلك الكوفيين او
المصير الي جعله مفعولا لا غير صريح اي انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا
علي ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالي وانت تدري ان عذابهم حيث كان متحققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به
القران العظيم صالحا لان يقع مشبها به للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يكن كونه صفة للمقتسمين حينئذ
فسرا جعلناه مفعولا اول للنذير او لما دل هو عليه من انذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام
بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني فايدة كما ان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف
فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان العضين بمعزل من التقاسم
علي التبييت الذي هو السبب لهلاك اوليك كما ان اوليك بمعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هولاء ولا علاقة بين
السببين مفهوما ولا وجودا تصحح وقوع احدهما في جانب والاخر في جانب واتفاق الفريقين علي مطلق الاتفاق المفهوم من الاتفاق
علي النشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية علي ذلك وانما يدل علي
اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدا علي ان خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شانه الجليل اذا عرفت هذا
فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة
لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب علي المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لواح النظر الجليل والمعنى لقد
اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين علي اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين
لان الغرض بيان المماثلة بين الايتايين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه علي ما في جانب المشبه بان
يقال كما اتينا علي المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالي الذين اتيناهم الكتاب الي اخره للتنبيه علي ما بين الايتاءين من التنافي
فان الاول علي وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو لمسلميته

عندهم وتقدم وجوده علي المشبه زمانا لا لمزية تعود الي ذاته كما في الصلوات الخليلية فان التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله
تعالي الفايضة علي ابراهيم عليه السلام واله اتم واكمل مما فاض علي النبي عليه السلام وانما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه
في القران العظيم فليس في التشبيه شايبة اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام افضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به
الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام انكار الاتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان يومنوا بكله
حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالي لا تمدن الخ لكمال
اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما اوتي النبي عليه السلام ولقد بين اولا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه السلام
لمكانه واستغناءه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الي زهرة الدنيا وعبر عن اتيانها لاهلها بالتمتيع المبني عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن
بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المومنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وباظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في
تضاعيف ما اوتي من القران ثم رجع الي كيفية اثباته علي وجه ادرج فيه ما يزيح شبه المنكرين ويستنزلهم من العناد من بيان مشاركته
لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فتامل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل اني انا النذير المبين كما قد انزلنا في الكتب
انك ستاتي نذيرا علي ان المقتسمين اهل الكتاب وبدان ما في كما موصوله والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة وهي مع
ما في حيزها في محل النصب علي الحالية من مفعول قل اي قل هذا القول حال كونه كما انزلنا علي اهل الكتابين اي موافقا لذلك فالانسب
حينئذ حمل الاقتسام علي التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي عليه الصلاة والسلام وقوله تعالي
عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضا الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف
كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة القران بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون
مطلق التجزية والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص علي كمال قبح ما فعلوه بالقران العظيم وقيل هي
فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش فنقصانها علي الاول واو وعلي الثاني هاء **فوربك لنسالنهم**
اجمعين اي لنسالن يوم القيامة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سوال توبيخ وتقريع **عما كانوا يعملون** في الدنيا من قول وفعل
وترك فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا وليجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء
لترتيب الوعيد علي اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض بوصف الربوبية مضافا الي ضميره عليه السلام اظهار اللطف به عليه السلام
فاصدع بما تومر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او
موصولة والعايد محذوف اي بما تومر به من الشرايع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني السبع والقران العظيم **واعرض عن**
المشركين اي لا تلتفت الي ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتصد للانتقام منهم **انا كفيناك المستهزئين** بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا
خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والحارث بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
يبالغون في ايذاء النبي صلي الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومي الي ساق الوليد فمر
بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومي الي اخمص العاص فدخلت فيه شوكة
فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات واشار الي عيني الاسود بن المطلب فعمي والي انف الحارث فامتخط قيحا
فمات والي الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل الشجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوكة حتى مات **الذين يجعلون**
مع الله الها اخر وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا علي الاستهزاء به
عليه السلام بل اجتروا علي العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه **فسوف يعلمون** عاقبة ما ياتون ويذرون **ولقد نعلم انك يضيق**
صدرك بما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القران والاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتاكيد لافادة تحقيق ما تضمنه من
التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار تعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة **فسبح بحمد ربك**
فافزع الي الله تعالي فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي

ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعنى الامر بالتسبيح والحمد **وكن من الساجدين** اي المصلين يكشف الغم عنك او فتزهه عما يقولون ملتبسا بحمده وعلى ان هداك الحق المبين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا احزنه امر فزع الى الصلاة **واعبد ربك** دم على ما انت عليه من العبادة تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السالف اثر التاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر والعبادة **حتى ياتيك اليقين** اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كتب الله له عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

بسم الله الرحمن الرحيم **اتى امر الله** اي الساعة او ما معها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات وايا ما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل **فلا تستعجلوه** فان النهي عن استعجال الشيء وان صح تفرعه على قرب وقوعه وعلى وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفرعه على وقوعه بالوقوع يستحيل الاستعجال راسا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغايب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهاه عنه بضرب من التهكم لا مع المومنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المومنين استعجال الساعة وما معها وغيرها من العذاب حتى يعمم النهي عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما مما من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشان التنزيل الجليل وما روي من انه لما نزل اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤسهم فلما نزلت فلا تستعجلوه اطمانوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لما توهم من ان التصدير بالغايبا باه فانه بمعزل عن ابايه حسبما تحققه بل لان مناط اطمانانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المومنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتايج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يعجزه عن انجاز وعده او امضا وعيده وقد قالوا ان صح مجي العذاب فالاصنام تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستيناف **سبحانه وتعالى عما يشركون** اي تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المودي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبايحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنايعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمومنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب **ينزل الملايكة** بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبريا وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شي في شي وايذان بانه دين اجمع عليه جمهور

الانبيا عليهم السلام وامروا بدعوة الناس ليدمع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول عليه السلام باتيان ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهار لبطلان رايهم في الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملايكة اما جبريل عليه السلام قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وينزل بحذف احدى التاءين وعلى صيغتي المبني للمفعول من التنزيل **بالروح** اي بالروح الذي من جملته القران على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل ويقوم في الدين مقام الروح في الجسد والبا متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح **من امره** بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالوحي وحال منه اي حال كونه ناشيا ومبتدا منه او صفة له على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره الناشي منه او متعلق بينزل ومن للتسبيب كالبا مثل ما في قوله تعالى مما خطاياهم اي ينزلهم بامره **على من يشاء من عباده** اي ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك **ان انذروا** بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا القول والمخاطبون به الانبيا الذين نزلت الملايكة عليهم السلام والامر هو الله سبحانه والملايكة نقلة للامر كما يشعر به البا في البدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملايكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملايكة لمن يشاء من عباده ان انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية بجواز كون صلتها انشا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوايل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشي اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس اي اعلموا الناس **انه لا اله الا انا** فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعا شهرته المغنية عن التصريح به وفايدة تصدير الجملة به للايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتدا الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وانما مضمونه عن المحذور وليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه **فاتقون** خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفا فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملايكة على الانبيا عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل **خلق السموات والارض بالحق** اي اوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفايق والنمط اللايق **تعالى** وتقدس بذاته لاسيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذه المخلوقات **عما يشركون** عن اشراكهم المعهود وعن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلايقه فبدا بفعله المتعلق بالانفس فقال **خلق الانسان** اي هذا النوع غير الفرد الاول منه **من نطفة** جماد لا حس له ولا حراك سيالة لا تحفظ شكلا ولا وضعا **فاذا هو** بعد الخلق **خصيم** منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم **مبين** لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطا القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قايل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هناة الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي عليه السلام بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت **والانعام** وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى **خلقها** او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله **لكم** اما متعلق بخلقها وقوله **فيها** خبر مقدم وقوله **دفء** مبتدا وهو ما يدفا به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدا المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان صفة **ومنافع** هي درها وركوبها وحملها وحراثتها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى **ومنها تاكلون** اي تاكلون ما يوكل منها من

ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد **وكن من الساجدين** اي المصلين يكشفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده وعلى ان هداك الحق المبين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا احزنه امر فزع الى الصلاة **واعبد ربك** دم على ما انت عليه من العبادة له تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السالف انفا لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر والعبادة **حتى ياتيك اليقين** اى الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كتب الله له عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

بسم الله الرحمن الرحيم **اتى امر الله** اي الساعة او ما معها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات واياما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل **فلا تستعجلوه** فان النهي عن استعجال الشي وان صح تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال راسا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراة على صيغة نهي الغايب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزا لكنه حمل على الحقيقة ونهاهم عنه بضرب من التهكم لا مع المومنين سوا اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة وما فيها وغيرها من العذاب حتى يعمهم النهي عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزا كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة والالتجا الى ارادة معنى مجازي يعمهما مقام من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سوى تعسف لا يليق بشان التنزيل الجليل وما روي من انه لما نزل اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كاين فلما تاخرت قالوا ما نرى شيا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤسهم فلما نزلت فلا تستعجلوه اطمانوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لما توهم من ان التصدير بالفا باباه فانه بمعزل من اباية حسبما تحققته بل لان مناط اطمانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعاي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كاينا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المومنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتايج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يعجزه عن انجاز وعده او امضا وعيده وقد قالوا ان صح مجي العذاب فالاصنام تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستيناف **سبحانه وتعالى عما يشركون** اى تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المودي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضا ذكر قبايحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنايعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمومنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب **ينزل الملايكة** بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبريا وتعاليه عن ان يحوم حوله شايبة ان يشاركه شي في شي وايذان بانه دين اجمع عليه جمهور

الانبيا

الانبيا عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القا الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول عليه السلام باتيان ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهار لبطلان راتهم في الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملايكة اما جبريل عليه السلام قال الواحدي يسمي الواحد بالجمع اذا كان ريسا او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وينزل بحذف احدى التايين وعلى صيغتي المبني للمفعول من التنزيل **بالروح** اي بالروح الذي من جملته القران على نهج الاستعارة فانه يحيى القلوب الميتة بالجهل ويقوم في الدين مقام الروح في الجسد والبا متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح **من امره** بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالوحي او حال منه اي حال كونه ناشيا ومبتدا منه او صفة له على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكاين من امره الناشي منه او متعلق بينزل ومن للتسبيب كالبا مثل ما في قوله تعالى مما خطاياهم اي ينزلهم بامره **على من يشا من عباده** اي ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك **ان انذروا** بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا القول والمخاطبون به الانبيا الذين نزلت الملايكة عليهم السلام والامر هو الله سبحانه والملايكة نقلة للامر كما يشعر به البا في البدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملايكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملايكة لمن يشا من عباده ان انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية بجواز كون صلتها انشا اتفاقا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوايل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشي اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس اي اعلموا الناس **انه لا اله الا انا** فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعا شهرته المغنية عن التصريح به وفايدة تصدير الجملة به للايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتدا الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن له بعد وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وانما مضمونه عن المحذور وليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كون اعلامه انذارا او قوله سبحانه **فاتقون** خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفا فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملايكة على الانبيا عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزا وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل **خلق السموات والارض بالحق** اي اوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفايق والنمط اللايق **تعالى** وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذه المخلوقات **عما يشركون** عن اشراكهم المعهود وعن شركة ما يشركونه من الباطل الذي لا يبدي ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلايقه فبدا بفعله المتعلق بالانفس فقال **خلق الانسان** اي هذا النوع غير الفرد الاول منه **من نطفة** جماد لا حس له ولا حراك سيالة لا تحفظ شكلا ولا وضعا **فاذا هو** بعد الخلق **خصيم** منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم **مبين** لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطا القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قايل من يحيى العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي عليه السلام بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت **والانعام** وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى **خلقها** او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله **لكم** اما متعلق بخلقها وقوله **فيها** خبر مقدم وقوله **دفء** مبتدا وهو ما يدفا به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدا المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان صفة **ومنافع** هي درها وركوبها وحملها واحراثها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى **ومنها تاكلون** اي تاكلون ما يوكل منها من

الحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايذان الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والحمل يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار الماكولة تكسب باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها **ولكم فيها** مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية **جمال** اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم **حين تريحون** تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي **وحين تسرحون** تخرجونها بالغداة من حظايرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور الجمال من تزيين الافنية والاكناف بها وبتجاوب معاشها ورغاءها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظاير لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملاء البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه **وتحمل اثقالكم** جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم **الى بلد** قال ابن عباس اريد بها اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق **لم تكونوا بالغيه** واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل **الا بشق الانفس** فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشا وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة بحسب المنشا خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين ودائما او في عامة الاوقات **ان ربكم لرؤف رحيم** ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة **والخيل** هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل **والبغال والحمير لتركبوها** تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه **وزينة** عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتاخيره لان الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتتزينون بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعولها اي متزينين بها او متزينا بها **ويخلق ما لا تعلمون** اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شانكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه السلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلايق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان مثل عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيمة **وعلى الله قصد السبيل** القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على طريق الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه

اي

اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكه الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدي بمناره وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادي الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن مهاوي الضلالة ومهالك الردى الا يرى كيف بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشتراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشتراك ثم كر على بيان تعاليه عنه ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال الحد ابفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني وهو كده بقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم فصل الى افعاله المتعلقة بما بينهما مبتدئا بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان سبيل التوحيد عن بيان وتعديل له ايما تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى **ومنها** في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر **جائر** اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع اليها بتقدير المضاف اي ومن جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة فالعدالة لا تقويمه بعد انحرافه واياما كان فليس في النظم المذكور تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب مما قيل وانما ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يسقين ويشفين ولكن عبر الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناد انه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما هو من نصب الادلة بهداية الناس البتة ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى يقتضي الحال وقع ذلك بان يقال لا جائرها ثم تغير سبك النظم الكريم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جئ بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك فالمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى القصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل اليه الظاهر لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله **ولو شاء لهديكم اجمعين** اي ولو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشاه لان مشيته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشية لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها نيط الجزاء هذا هو الذي تقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتاكيد الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتاكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر

معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شا لهداكم اجمعين الى
الاول وانت خبير بان هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين له
الطريق السمعي للتوحيد على وجه اجمالي وفصل بعض الادلة المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي اليه بعثا للمخاطبين
على التامل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل هو الذي انزل بقدرته الباهرة من السما
اي من السحاب او من جانب السما ما اي نوعا منه وهو المطر وتاخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المهم هو الاخبار بانه انزل من السما شيا
هو الما لا انه انزله من السما والسر فيه ما سلف من ان عند تاخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده
عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدا او خبره والجملة صفة لما والظرف الثاني
نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه العيون
والابار منه بقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب
والجملة صفة لما وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني بين الما وصفته مما لا يليق بجزالة النظم
التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سوا كان له ساق اولا او تبعيضية
مجازا لانه لما كان سقيه من الما جعل كانه منه كقوله اسنمت الابال في ربابه يعني المطر الذي ينبت به الكلا الذي تاكله الابل فتسمن اسنمتها
وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة
وهي العلامة لانها توثر بالرعي علامات في الارض ينبت اي الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به بما انزل من السما الزرع والزيتون والنخيل
والاعناب بيانا للنعم الفايضة عليهم من الارض بطريق الاستيناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانما سنة
الجارية على ممر الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من التقديم او لما من الاهتمام به لادخال
المسرة ابتدا وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة
من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقايها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص
الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذا للانعام لحصوله بغير
صنع من البشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه بامر نفسه او لان
اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم غذايه فانه غذا حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية
وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه ان في ذلك اي في انزال الما وانبات ما فصل لاية عظيمة دالة على تفرده تعالى
بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة والنواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة
تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو له
ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والاثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبايع وعلى نواة قابلة
لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستوا نسبة الطبايع السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم
ان في هذه افعاله واثاره لا يمكن ان يشبهه شي في شي من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشيا في اخص صفاته التي هي
الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الاية الكريمة
بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يدابان في سيرهما وانارتهما
اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد
بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاوا كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظايره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب
عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايما الى ما في المسخرات
من صعوبة الماخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجددت اثاره والنجوم مسخرات

بامره مبتدا وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته
ومشيته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم بارادة الاختصاص
بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شي اخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية
المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور
ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات ومسخرات حال من كل والعامل ما في سخر من
معنى نفع اي نفعكم حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شا او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف
الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها
بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار
واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر
كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن
الله الاية وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شانه لا يتوهم ان يشاركه شي في شي فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية
ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا واجمالا لايات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الاثار العلوية
متعددة ودلالة ما فيها من عظم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جميع الايات علقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التامل
والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه حينئذ تعاجيب الدقايق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير
الذي لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علما الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرا عطف على قوله تعالى والنجوم
رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان او نبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها غالبا
يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف
لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان
الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق وانت على
ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخيرات ونحوها لاية بينة الدلالة على ان من هذا شانه واحد لا ند
له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما عسى ان يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في
الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما لوح به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت
حقيقة الحال فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات
المسلمة جي به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شي في الالوهية وهو الذي سخر البحر
شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به
بالركوب والغوص والاصطياد لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به
في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع الى الفساد كما ينبئ عنه جعل
البحر مبدا اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ما زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى ان من
حلف لا ياكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه
بشرا اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا اني ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا
يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللولو والمرجان تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن لبس نسايهم بلبسهم
لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها
من المخر وهو شق الما وقيل هو صوت جري الفلك ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغا

ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا ذكره الانباري او متعلقه بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا
من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداءها بالطاعة والتوحيد
ولعل تخصيصه هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر
بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالظاهرين لا بتغاوا الشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به
وعطفها على قوله والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب
او كيلا تميد بكم لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او
تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله
تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا اي وجعل فيها انهارا لان
في معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل
ان الجماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم
الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو
ومن النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن
الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هولاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه لهم اوجب
عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هذه الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو تبكيت وابطال
لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا
وتعقيب الفاء لتوجيه الانكار الى ترتيب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى
المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يوذن ما تلوناه من قوله ولئن سالتهم الاية والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها
واستتباعه اياها وكون كل منها خلقا مخصوصا اي ابعد ظهور اختصاصه تعالى بمبدائية هذه الشؤون الواضحة الدلالة على وحدانيته
تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم
وتعدادها وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمتنسبين اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة
لحق سبق الملكة الى العدم وتفاديا عن توسيط عدمها بينها وبين جرياتها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك
ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط المنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما
هذا شانه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق
حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد واما كان دخول الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج
تحت الموصول العام واما بطريق الالتزام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لانها هي المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون اي الا
تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد
طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا
يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه
ودلالتها وان لم تكن مقصورة على خشية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنه حيث كانت من مستتبعات
الحيثية الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال اي ان تعدوا نعمته الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب
عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا بحصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام
بشكرها وقد مر تحقيقه في سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال
بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تؤثرون وتذرون من اصناف

الكفر

الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على
نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال وما تعلنون اي تظهرونه منها
وحذف العائد لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه
بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرنا في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما
على ابلغ وجه كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك يضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم
من تعلقه بحالته الثانية والذين تدعون شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه
شائبة ريب بتعداد اوصافها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت
للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي والالهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ
على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء اصلا اي ليس من شانهم ذلك ولما لم يكن بين الخالقية وبين المخلوقية
تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون اي شانهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات
ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبنا الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي
المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق
الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مضرعين لعبدتهم واعجز عنهم وايذانا بكمال
ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق
ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة ولما كان اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح
بذلك فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدا محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه الحياة سابقا
او لاحقا كاحياء الحيوان والنطف التي ينشرها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير احياء اي لا يعتريها الحياة اصلا فهي اموات
على الاطلاق واما قوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اي ما يشعر اولئك الالهة ايان عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد
بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة
وقته مما لا بد منه في الالوهية الهكم اله واحد لا يشاركه شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة غب اقامة الحجة فالذين لا
يؤمنون بالاخرة واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم ودلالتهم قلوبهم منكرة للوحدانية
جاحدة لها او للايات الدالة عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على
الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج
والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبنا الحكم المذكور على الموصول
للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالاخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على
المعصية يودي الى قصر النظر عن العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجبة لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار
عن اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة الى التامل في الايات والدلائل رغبة ورهبة
فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اي حق وقد مر تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار
قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقران اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين
تعليل لما تضمنه الكلام الوعيد اي لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الايات الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر
عما ذكر واذا قيل لهم اي لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او
المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اي اي شيء انزله او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين اي ما
تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شيء وقيل هولاء القائلون هم المقتسمون الذين
اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله عليه السلام عن سؤال وفود الحجاج عما نزل عليه عليه السلام ليحملوا متعلق بقالوا اي قالوا ما

قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار صفاتهم كاملة لم يكفر منها شي بنكبة اصابتهم في الدنيا مما يكفر بها اوزار المومنين
يوم القيمة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله
وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال
اوباعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال عن الفاعل اي يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمله على معنى غير
عالمين بانهم يحملون يوم القيامة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل في الحال يحملوا وتاييده بما سياتي من قوله تعالى واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون من حيث ان المحمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال من قبل اتيان العذاب من حيث لا يشعر وتجريده ان المحمل المذكور
انما هو يوم القيامة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف عليه او حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال
وفايدة التقييد بالاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبيا والجهلة والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا
اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق بالاتباع وبين المبطل الا ساء ما يزرون اي بئس شيا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من
قبلهم وعيد لهم برجوع غايلة مكرهم الى انفسهم كداب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اي قد سووا
منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله اي امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين التي
تعمده او اساسه فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم
القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك
الحيل والمكايد وجعل اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوا بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم
السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون
اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هولا الماكرين القائلين للقران العظيم اساطير الاولين سياتيهم من العذاب مثل ما
اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيمة يخزيهم فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي هذا
الذي فعلنا بهم من التمثيل من عذاب هولاء او ما هو اعم منه او مما ذكر من عذاب اولئك جزاوهم في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب
الخزي على رؤس الاشهاد واصل الخزي ذل يستحيى منه وثم للايماء الى ما بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتفسير
السلف بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا موذن
بان لهم جزاء اخرويا فتبقى النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا مع تيقنها بانه في الاخرة فسيق الكلام على وجه يوذن بان المقصود
بالذكر اخزاوهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين في حق القران الكريم اولهم ولمن مثل بهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصه بهم
باباء السباق والسياق كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا اي اخر بيان للاخزاء اين شركاي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم
الكاذبة ففيه توبيخ اثر توبيخ مع استهزائهم الذين كنتم تشاقون فيهم اي تخاصمون الانبيا والمومنين في شانهم بانهم شركا حقا حين
بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء او التبكيت والاستفسار عن مكانهم
لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليفقدوها في ساعة علقوا بها الرجا فيها او بانهم
لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية
فليس هناك شركا ولا مكان لها على ان قول ليفقدوا الليس يشد بدفانه قد تبين عندهم الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل
فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اي تشاقونني على ان مشاقة الانبيا والمومنين لا سيما في شان متعلق به سبحانه مشاقة
له عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبيا والمومنون الذين اوتوا علما بدلايل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا
الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم
به وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى
اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على راي من يرى اعمال المصدر باللام او بالاستقرار في
الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظرف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسو

العاجل

يذلهم

العذاب

العذاب على الكافرين بالله تعالى وباياته وبرسله الذين تتوفاهم الملايكة بتانيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء
والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل
منه وفي محل النصب او الرفع على الذم وفايدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من آمن منهم ولو في اخر عمره
اي على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم اي حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم
واي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اي فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على
تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى ويقول اين شركاي وما بينهما جملة اعتراضية جي بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤس الاشهاد
اي فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين ما كنا نعمل من سوء اي من شرك
قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سوءا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف
بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركاي
كما في سورة الانعام لا عن قوله اولي العلم اذ عابعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما
نفوه اي بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه فهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها
اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها
فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعلية
لثوابهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتاويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا وما للمحافظة على ان
لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اي المومنين وصفوا
بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشي من التقوى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اسلكوا في الجواب مسلك السوال من غير
تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى اي انزل خيرا فانه جواب مطابق للسوال سبكا وللواقع في نفس الامر مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله
تعالى لما عبروا الجواب عن لحاق الواقع الذي ليس له من واقع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السوال حيث رفعوا الاساطير ردا
لما امر من انكار النزول روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي عليه السلام فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون
وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب
النبي عليه السلام ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اي اعمالهم او فعلوا الاحسان في هذه
الدار الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة مكافاة لها ولدار الاخرة اي مثوبتهم فيها خير مما اوتوا في الدنيا من المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز
اسناد الخيرية الى نفس دار الاخرة ولنعم دار المتقين اي دار الاخرة لدلالة ما سبق عليه وهذا الكلام مبتدا امدح الله تعالى به للمتقين
وعد جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والاخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا وتفسير له اي انزل
خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدا محذوف اي لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح
يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجري من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها في تلك الجنات
ما يشاءون الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل ما في الاول او متعلق به اي حاصل لهم فيها ما يشاءون من انواع المشتهيات
وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشية او لما مر مرارا من ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده
عليها فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الاوفى يجزي الله المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون
المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملايكة نعت
للمتقين وقوله تعالى طيبين اي طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفايدته الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو
الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه حث للمومنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبين ببشارة الملايكة اياهم
بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملايكة اي قائلين لهم سلام عليكم قال القرطبي

فلبئس

حينئذ اذا استدعيت نفس المومن جاءه ملك الموت عليه السلام وقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقريك السلام وبشره بالجنة
ادخلوا الجنة اللام للعهد اي جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخي
المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ لا لبس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب
ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملون ذلك وقيل المراد التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اي ما
ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لا لانه
يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم لاسبابه الموجبة له المودية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بالتذكير
الفعل او ياتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بان اتيانه لطف به عليه السلام وان كان
عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي مع القيمة لكن لا لان انتظارها جامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلايمه العطف
باو لانها ليست نصا في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى فيما
سياتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح في ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل فعل هولاء من
الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيحل بهم من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين
عليه من القبايح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم
الكريم لافادة ان غايلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره من
حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم
لانفسهم سيئات ما عملوا اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف وانه يوهم
ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة واقطع ما كانوا به يستهزؤن من
العذاب وقال الذين اشركوا ان اهل مكة وهو بيان لفن اخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم
بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول ما عبدنا ذلك نحن ولا اباونا
الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء من السوايب والبحاير وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه الصلاة والسلام
وطعنا في الرسالة راسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا
شيئا كما تقوله الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل فكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه
لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من
قبلهم من الامم اي اشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نهوهم عن الخطا وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين
يبلغون رسالات الله عز وجل وعزايم امره ونهيه الا البلاغ المبين اي ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا
وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي التي من جملتها حتم تعلق مشية الله باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من
وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور احكام التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور اثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيته
تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق المشية بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف
اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين فالفا للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان
الرسل ليس شانهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونها واجبار موجبها على الناس قسرا والجاء وايراد كلمة على
الايذان بانهم في ذلك مامورون او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم ايفاؤه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء الايلام والله
تعالى اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظايف
الرسالة ولا من باب المشية المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية

رسولا

بهذا التوفيق صح

رسولا [illegible] ان اعبدوا الله يجوز ان يكون مفسرة لما في البعث من معنى القول وان تكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده
واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة فمنهم اي من تلك الامم والفاء فصيحة اي فبلغوا ما بعثوا به من الامر
بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم
واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة اي وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته
الى تحصيل الحق [illegible] للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشية الهداية
وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيته تعالى بعبادتهم
له تعالى وحده فسيروا يا معشر قريش في الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار بسيرتهم
ممن حقت عليهم الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم اثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد
الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب الخبر على السير لما
[illegible] وملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص خطاب للرسول عليه
السلام وقرئ بفتح الراء وهو لغة على هداهم اي ان تطلب هدايتهم بجدك فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه تعالى لا يخلق
الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت
عليه الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله
لا يهدي من يضله وهو من جملتهم وقرئ لا يهدى على بناء المفعول اي لا يقدر احد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء
وادغام التاء في الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين
ينصرونهم في الهداية او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي
انقسام الاحاد الى الاحاد لا لان المراد نفي طايفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن اخر من اباطيلهم وهو انكارهم
البعث جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق
بلى يبعثهم وعدا مصدر موكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه او لمحذوف اي وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اي
وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اي حق
حقا ولكن اكثر الناس لجهلهم بشئون الله عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم
وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما يقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه
يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قايلين لقد وعدنا نحن واباونا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
ليبين لهم [illegible] متعلق بما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المومنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة
حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم بذلك وما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها
بصورها الحقيقية الشان الذي يختلفون فيه من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا
اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وعده الحق انهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا
يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه
وجعلها غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يرد
عنهم من المخالفة ويلجيهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقق البعث اذا كان لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره
كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك تصلي الاصلين
[illegible] لانكار الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو
الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته انما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج

علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بلا مجيء بصيغة العلم لان ذلك ليس مما تعلق به التبيين الذي هو
عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القران فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين
فليس من هذا القبيل فانما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين
صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الاية لان علم المومنين بذلك حاصل قبل ذلك قطعا **انما قولنا** استئناف
لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على انية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدا وقوله **لشيء** اي
اي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير
عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لانه شيء قبل ذلك **اذا اردناه** ظرف لقولنا اي وقت ارادتنا لوجوده **ان نقول له كن**
خبر للمبتدا **فيكون** اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام اي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون واما جواب لشرط محذوف اي اذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مامور حتى يقال انه يلزم منه احد
المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال ان ما يستدعيه انحصار قوله تعالى في قوله تعالى وليس يلزم منه انحصار اسباب
التكوين فيه كما تفيده قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشان الشامل للقول والفعل ومن
ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات حيث تعلق مشيئته تعالى بها
وتصويره لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المامور المطيع لامر الامر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به ان
توجد في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالمطلق فتامل وفي الاية الكريمة
من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر **والذين هاجروا في الله**
اي في شان الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه **من بعد ما ظلموا** ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه **لنبوئنهم في الدنيا حسنة** اي مباءة
او تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلث آيات من آخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضي الله
عنهما من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن
الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال ربح
البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون السورة مدنية وما نقل
عن قتادة من كون هذه الاية الى اخر السورة مدنية فيحمل ما نقلنا عنه من نزول الاية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين
الهجرتين واما جعل رسول الله عليه الصلاة والسلام من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شانه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواة
حسنة او لنثوينهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة على العرب قاطبة واهل المشرق والمغرب كافة **ولاجر**
الاخرة اي اجر اعمالهم المذكورة في الاخرة **اكبر** مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء
قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الاخرة افضل **لو كانوا يعلمون** الضمير للكفار اي لو علموا
ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد ولما تالموا لما اصابهم
من المهاجرة وشدائدها **الذين صبروا** على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على
المدح **وعلى ربهم** خاصة **يتوكلون** منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم
الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا **وما ارسلنا**
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر كما هو مبني
قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه بواسطة
الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصد من الخطاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام تنبيه الكفار على مضمونه صرف

الخطاب اليهم فقيل **فاسألوا اهل الذكر** اي اهل الكتاب وعلماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك **ان كنتم لا**
تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه
رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امراة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى
جواب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم **بالبينات والزبر** بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا
فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما
ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تاخير صلة
ما قبل الا الى ما بعده او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعل
يوحي وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي
وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين **لتبين للناس** كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا **ما نزل اليهم**
في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه
التفصيل بيانا شافيا كما ينبي عنه صيغة التفعيل في الفعلين لاسيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم
من التصريح بالمقصود من الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز
وجل **ولعلهم يتفكرون** اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتاملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزون عما يودي الى مثل ما اصاب
الاولين من العذاب **افامن الذين مكروا السيئات** هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله عليه الصلاة والسلام وراموا صد اصحابه عن
الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان المراد تحذيرهم عن اصابة مثل ما اصاب اولئك
من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على
تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات بقوله تعالى **ان يخسف الله بهم الارض** مفعول لامن اذ السيئات صفة لما هو المفعول اي امن الماكرون
العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الخ بدل من ذلك على كل حال والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر
لتبين للناس لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك الم يتفكروا فامن الذين مكروا السيئات ان
يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين معا او تفكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد
التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبي عنه الصلة اي امكروا فامن الذين مكروا الخ **او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون**
باتيانه اي في حالة غفلتهم او من مامنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين **او ياخذهم في تقلبهم**
اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم **فما هم بمعجزين** بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء
اما لتعليل الاخذ او لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته حسبما قال عليه السلام ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه
لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا لنفي الدوام **او ياخذهم على تخوف** اي مخافة معدد عن الهلاك والعذاب بان
يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالة التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب
فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم

تخوف الرحل منها تامكا قردا … كما تخوف عود النبعة السفن

اي ياخذهم على ان ينتقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلث بيان قدرته تعالى على اهلاكهم
باي وجه كان لا الحصر فيها **فان ربكم لرءوف رحيم** حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها **اولم يروا** استفهام
انكاري وجرى على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم ينظروا ولم يروا متوجهين **الى ما خلق الله من شيء** اي
من كل شيء **يتفيؤ ظلاله** اي ترجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتانيث الفعل **عن**
اليمين والشمائل اي الجرم والاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يميني الانسان

وشمايله سجدا لله حال من الظلال لقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال والمراد بسجودها تصرفها على مشية الله تعالى وثانيها
لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون اي صاغرون منقادون حال من
الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلا لما ان الدخور من خصايصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى
جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير
العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة
لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة
لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها
اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين
والشمايل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر اخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان
الظلال في اول النهار مبتدية من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدي من المغرب واقعة على الربع الشرقي منها
وبعد ما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات
المتحركة بالارادة سوا كانت لها ظلال او لا فقيل ولله يسجد اي له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشي غيره استقلالا او اشتراكا له
فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يوذن بقوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في
السموات قاطبة وما في الارض كاينا ما كان من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلته وليلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد
مع ان المراد الجميع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال
مثله والملايكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملايكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح
او يراد به ملايكة السموات وهم لا يستكبرون عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من فاعل
يسجد مسند الى الملايكة او استيناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اي مالك امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلية الحكم من فوقهم اي
يخافونه جل وعلا خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر لقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم
والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يومرون اي
يومرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول لجري على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل
لاستحالة استناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملايكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجا وبعد ما بين ان جميع الموجودات يخضعون
الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملايكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا بالله عز وجل اردف ذلك بحكاية
نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر
للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك به لان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتها عنه بتعرض بهما
كان اي قال تعالى لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على مساق
النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات
الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على
راي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه فاياي فارهبون التفات
من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاها الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيا فاياي
فارهبون لا غير واني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض وله ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد
ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى
وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب

اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزا اي وله الجزا الدايم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة
للانكار والفا للعطف على مقدر يقتضيه السياق اي عقيب تقرر الشيون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى وكون ذلك
كله ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شانه ما ذكر تتقون فتطيعون
وما بكم اي اي شي يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اي نعمة كانت فمن الله فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجارون تتضرعون
في كشفه لا الى غيره والجوار رفع الصوت بالدعا والاستغاثة قال الاعشى

وصحيت من صلوات المليك طوارا سجودا وطورا جوارا

وقري تجرون بطرح الهمزة والقا حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المبني عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث
مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة
الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بالمصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل
ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم وقري كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان
مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجاة الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه
اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق
فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى
البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما
اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات
الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقري بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك
ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبي عن اخذ شديد حيث
لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجوار
الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه ويجعلون لما لا يعلمون اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات
التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعايد اليها محذوف او لما لا علم اصلا
وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا والعايد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلا لكونها عبارة عن الهتهم التي
وصفوها بصفات العقلا او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع
والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسالن سوال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بانها الهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير
الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبي عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم
خزاعة وكنانة الذين يقولون الملايكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جراتهم على التفوه
بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين ما مرفوعة المحل على انه مبتدا والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض في
خلال موضعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يودي الى جعل الجعل بمعنى الزعم
والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحيا من الناس واسوداد
الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم ممتلي حنقا وغيظا يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوءه والتعبير عنها
بما لاستعظامها عن درجة العقلا ايمسكه اي متردد في امره محدثا نفسه في شانه ايمسكه على هون ذل وقري هوان ام يدسه يخفيه
في التراب بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقري بالتانيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهون والحقارة لله
تعالى عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنهم ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطا جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابايهم اياه لا جعلهم

البنين لانفسهم ولاعدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مداره التعكيس كقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون
بالاخرة مما ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار
الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لرفع العار وخشية الاملاق المنادي كل منهما ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول
موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالاخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشان
التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والوجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه
تعالى عما قالوا علوا كبيرا وهو العزيز المتفرد بكمال القدرة لاسيما على مواخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل ما يفعل بمقتضى الحكمة
البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد
من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها
على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله
حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء
لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم
بذلك يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستاخرون عن ذلك اي
الاجل لا يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون اي
لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجي الاجل مبالغة في بيان عدم الاستيخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في
قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا
مع انه لا توبة له راسا قد نظم في سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في سورة يونس ويجعلون لله اي يثبتون له
سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب
اي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اي حقا ان
لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التي ليس وراءها عذاب وهو علم في السوء وانهم مفرطون اي مقدمون اليها من افرطته اي قدمته
في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة
من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكون حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم
يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اي قرينهم وبئس القرين اليوم اي يوم زين لهم
الشيطان اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية او في الدنيا او يوم القيمة على طريقة حكاية الحال الاتية وهي حال كونهم معذبين
في النار والولي بمعنى الناصر اي هو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي
قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم ولهم في الاخرة
عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اي القران الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة من
العلل الا لتبين لهم اي للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان
على محل لتبين اي وللهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثري فاعل الفعل المعلل بخلاف لتبين حيث لم ينتصب لفقد
شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة للمؤمنين لانهم المغتنمون اثاره والله انزل من السما من
السحاب او من جانب السماء ماء وهذا تكرير لما سبق تاكيد لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد فاحيا به الارض بما انبت فيها

من

من انواع النباتات بعد موتها اي بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في
ذلك اي في انزال الماء واحياء الارض الميتة به لاية واية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير
ونظايره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة وهي عبرة تحار في دركها العقول وتهيم في فهمها الباب
الفحول نسقيكم استيناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما في بطونه اي بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك
عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكياش واخلاق كما ان تانيثه في سورة المومنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل
الضمير للبعض فان اللبن ليس لجميعها او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المومنين من بين فرث ودم لبنا
الفرث فضالة ما تبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعدة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان البهيمة اذا اعتلفت
وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي
يغذو اللبن لان عدم تكونهما في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما
تهضمها فتحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى
الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد
اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد
او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية البيض ويلذ طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدايع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط
والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوة المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال
علمه وقدرته وحكمته وتناهي رافته ورحمته ومن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء
اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم
وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التاخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجب لفضل تمكنه عند وروده عليها لاسيما
اذا كان المقدم متضمنا لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتنافيا بحيث لا يتراءى نارهما فان ذلك مما يزيد
الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى هو الذي اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه
موضع العبرة خالصا عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين
له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات
النخيل والاعناب متعلق بما يدل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب
اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استيناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او
بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف
الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من سائغ نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف
اعني العصير او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل
والاية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان في ذلك لاية باهرة لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في الايات بالنظر والتامل واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير
وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير في ان النحل
مذكر للحمل على المعنى ولانه جمع نحلة والتانيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا وامكنة فيها من الكلاء وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن
الشجر ومما يعرشون اي يعرشه الناس اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك
بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل
عرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها فاسلكي ما اكلت منها سبل ربك اي مسالكه التي راها

بحيث يجمل فيها بقدرته القاهرة النور المرّ عسلاً من اجوافك اي فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس **ذللا** جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة لما امرت به **يخرج من بطونها** استيناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعدما امرت بما امرت به **شراب** اي عسل لانه مشروب واحتج به بقوله تعالى من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تلقيه ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسّر البطون بالافواه **مختلف الوانه** ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف سن النحل والفصل او الذي اخذت منه العسل **فيه شفاء للناس** اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في ساير الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع قال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقران شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقران **ان في ذلك** الذي ذكر من اي حيث اثار قدرة الله تعالى **لآية** عظيمة **لقوم يتفكرون** فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بآلات دقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان لها خالقا قادرا حكيما الهمها ذلك وحملها عليه عز وجل **والله خلقكم** لما ذكر سبحانه من عجايب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجايب احوال البشر من اول عمره الى اخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء الثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكثير وهي سن الشيخوخة **ثم يتوفاكم** حسبما تقتضيه مشيته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة اطفالا وشبانا وشيوخا **ومنكم من يرد** قبل توفيه اي يعاد **الى ارذل العمر** اي اخره واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله عنه خمسة وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة **لكيلا يعلم من بعد علم** كثير **شيئا** من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا **ان الله عليم** بمقادير اعماركم **قدير** على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الاجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدّل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبايع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق** اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم **فما الذين فضلوا** فيه على غيرهم **برادي رزقهم** الذي رزقهم اياه **على ما ملكت ايمانهم** على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية **فهم** اي الملاك والمماليك **فيه** اي في الرزق **سواء** اي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم اشباههم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هو اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل عن درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الاية **افبنعمة الله يجحدون** حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفايضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عنده تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعد ما انعم بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي ايشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب او ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم فلا يحسبوا

انهم يعطونهم شيئا وانما رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا بتقدم ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين او على تعليم الموذن بذلك او ما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردونه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت **والله جعل لكم من انفسكم** اي من جنسكم **ازواجا** لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع ادم عليه السلام **وجعل لكم من ازواجكم** وضع الظاهر موضع الضمير للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره **بنين** وبان نتيجة الازواج هو التوليد **وحفدة** جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبّر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم ازدياد التشويق وتقوية له اي جعله لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة **ورزقكم من الطيبات** من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الاخرة **افبالباطل يؤمنون** وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحاير ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اي يكفرون بالله الذي شانه هذا فيؤمنون بالباطل والبعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه **وبنعمة الله** تعالى الفايضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان **هم يكفرون** حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب ما فعلوا للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا مما فعلوه **ويعبدون من دون الله** لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي يكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه **ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا** ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية فيه اي لا يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا منهما ويجوز كونه تاكيدا للاملاك اي لا يملك رزقا شيئا من الملك **ولا يستطيعون** ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم راسا لانها اموات لا حراك بها فالضمير للالهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس له **فلا تضربوا لله الامثال** التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشان النهي اي لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك به تعالى في شان من الشؤون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقضية بقضية اي لا تشبهوا به شيئا من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظايره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفايضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل عن ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد **ان الله يعلم** تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تاتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح **وانتم لا تعلمون** ذلك فانكم لو علمتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم وقفوا في مواقف الامتثال بما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تدعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال **ضرب الله مثلا** اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا **عبدا مملوكا لا يقدر على شيء** بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا

ووصف العبد بالمملوكية للتميز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبد الله سبحانه وقد ادمج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة
عن المكاتب والماذون الذي لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل والايم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من
موصوفه معطوفة على عبدا اي رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق منا من
جنابنا الكبير المتعال رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو ينفق منه تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق
على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق منه واثبارهما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على
ثبات الانفاق واستمراره التجددي سرا وجهرا اي حال السر والجهر والانفاق جهرا والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول
العامة لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله
عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال كونه دل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقق الحق
بان الاحرار ايضا تحت رتبة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لا يملكونه ليست الا بان يرزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم
مدخل في ذلك مع مجادلة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين المثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد
المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف
المذكورة من الجنسين المذكورين لا فرادهما معنيان منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين
سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى
اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا دليل ول منه وهو الاصنام الحمد لله اي كله له لانه مولى
جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسايط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما
يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع الى الله سبحانه كما لوح به قوله تعالى ومن رزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى
غيره ويعبدونه لاجله ونفي العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وان لا يعلمون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله
ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا اي مثلا اخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك
لينتظر النفس الى وروده وتترقبه حتى تتمكن لديها عند وروده بين فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر على شيء
من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي امره
وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على كل شيء مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه اي حيث يرسله
مولاه في امر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ يوجه على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي لا
يأت بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل اي من هو منطيق فهم ذو راي
وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام على صراط
مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حاق ما يقابلهما فان محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المامور
به وملخص هذين استحقاق كمال المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والاخر امر بالعدل لانه لمراعاة
الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد
انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا بخلق الفريقين على ما هما عليه وكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم
تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره
استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض اي الامور الغايبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة
ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مالا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد بيان
الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية بان كان الامر كذلك في نفس الامر
وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب في نفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض

وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور اثارها فيهما عند وقوعها فان
وقت وقوعها بعينه من الغيوب بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور اثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة
به سبحانه وان كان انيها من الغيوب التي نصب عليها الادلة اي ما شانها في سرعة المجيء الا كلمح البصر اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة
الى اسفلها او هو اي بل امرها فيما ذكر اقرب منه ذلك واسرع زمانا بان يقع في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة انية لها هوية
اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هي ازمنة ايضا بل في ان غير منقسم في ذلك الزمان وهو ان ابتدا
تلك الحركة او ما امرها الا كالشيء الذي يستقرب ويقال هو كلمح او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة
الشريفة بالاتيان ان الله على كل شيء قدير ومن جملة الاشيا ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة الساعة التي
كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحيا واحياء الاموات من الاولين والاخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد
انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التاتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله
على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما ان علمه بخصوصه غايب عن اهلهما
فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم
معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات
بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذت زيادتها في الواحد قال امهتي خندف والياس ابي لا
تعلمون شيئا في موقع الحال اي غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على
تاخير الجعل المذكور عن الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه
الاشيا الات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشيا وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات
والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب
وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوب لما مر من الايذان من اول الامر
بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب
طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل الم
يروا وقرئ بالتاء الى الطير جمع طاير اي الم ينظروا اليها مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة
وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقادا لاخر يتصرف فيه كيف شاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان والواقع ههنا
تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع
الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها
من الناظر ولاظهار كمال القدرة ما يمسكهن في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام
الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات او من الطير واما مستانفة
ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة
بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها خرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير
لايات ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شانهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم منتفعون به والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم
على ما سياتي من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى من بيوتكم
اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتاكيد لما سبق من التشريف سكنا فعل بمعنى مفعول
اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم وتسكنون اليه من غير ان تنتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتا اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط ويوم اقامتكم وقت نزولكم

تستخفونها يوم ظعنكم

في الضرب والبنا ومن اصوافها واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى والضماير للانعام على وجه التنويع اي وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا وجعل لكم من اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث ومتاعا الى حين
اي شيا يتمتع بعرض البلى والفنا وقيل الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم
ظلالا اشيا تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة وجعل لكم من الجبال اكنانا
مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع
سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر ما خصه بالذكر اكتفا بذكر احد الضدين عن ذكر
الاخر اولان وقايته هي الاهم عندهم لما مر انفا وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم باسكم اي الباس الذي يصل الى بعضكم
من بعض في الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفايضة على جميع الطوايف فبدا بما يخص المقيمين حيث قال
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الخ ثم بما يعم ما لا
يقدر على ذلك ولا ياويه الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما لا غنى
عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم باسكم ثم قال كذلك اي مثل ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي ارادة ان تنظروا
فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والافاقية فتعرفوا حق منعمها فتومنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون
وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبريا شي قليل وقرى تسلمون من العذاب
او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله عليه السلام
تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اي فلا
قصور من جهتك ان وظيفتك هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب يعرفون
نعمة الله استيناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم ما عدوا من نعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله
تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث يعبدون غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد عليه
السلام عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف
بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى جميع المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنوا
فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم لم يعرفوا كذلك لقوله تعالى واكثرهم الكافرون اي المنكرون بقلوبهم غير
المعترفين والحكم عليهم بمطلق الكفر المودن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر
اما لان بعضهم لم يعرفه لنقصان العقل والتفريط في النظر او لم يتفكر تقوم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر ويوم نبعث
من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يوذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم
وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبي عن الاقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلاهم
بشهادة الانبيا عليهم السلام عليهم واطم ولا هم يستعتبون يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربهم اذ الاخرة دار الجزاء لا دار
العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث الخ ويوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما لا يوصف وكذا قوله تعالى واذا
راى الذين ظلموا العذاب الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اي يمهلون كقوله
تعالى بل تاتيهم بغتة فتبهتهم واذا راى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان او الشياطين
الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال قالوا ربنا هولاء شركاونا الذين كنا ندعوا من دونك اي
نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبي عنه قوله سبحانه فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول انكم
لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا لدفع والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم
لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن

يعنون ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركا والهة تنزيها لله سبحانه من الشريك والشيا
وكانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجا كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا الى الله يوميذ السلم الاستسلام
والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع وبطل ما كانوا يفترون من ان الله سبحانه شركا وانهم ينصرونهم
ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبروا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر
زدناهم عذابا فوق العذاب الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع
احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار بما كانوا يفسدون متعلق
بقوله زدناهم عذابا بسبب استمرارهم على الفساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد في كل امة شهيدا
عليهم اي نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم وجئنا بك
ايثار لفظ المجي على البعث لكمال العناية بشانه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هولاء الامم وشهدائهم
لهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد
به يوم القيامة ونزلنا عليك الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق بان يخص باسم الجنس وهو اما استيناف او حال بتقدير قد تبيانا بيانا
لكل شي يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملة ما
اخبر به هذه الامة الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم والتبيان كالتلقا في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شي من امور
الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي عليه السلام وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى
وحثا على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد
اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفا
في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده
وظلام لعبيده ومن قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم اثاره من تفريطهم لا
من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله يامر اي فيما نزل تبيانا لكل شي
وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط
والتفريط وهو راس الفضايل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة
القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين
التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد
باداء الواجبات المتوسطة بين البطالة والرهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اي الاتيان بما امر
به على الوجه اللايق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه وينهى
عن الفحشاء الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط في اظهار اثار القوة الغضبية والبغي
الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من اثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين
الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلث ولذلك قال
ابن مسعود هي اجمع اية في القران للخير والشر ولم يكن فيه غير هذه الاية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شي وهدى يعظكم بما يامر
وينهى وهو اما استيناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله
هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي حافظوا

علي جدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله عليه السلام **ولا تنقضوا الايمان** التي تحلفون بها عند المعاهدة **بعد توكيدها**
حسبما هو المعهود في اثناء العهود لا علي ان يكون النهي مقيدًا بالتوكيد مختصًا به **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** شاهدا رقيبا فان الكفيل
مراع لحال المكفول به محافظة عليه **ان الله يعلم ما تفعلون** من نقض الايمان والعهود فيجازيكم علي ذلك **ولا تكونوا** فيما تصنعون من النقض
كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول **من بعد قوة** متعلق بنقضت اي كالمراة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه
انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه علي الحالية من غزلها او علي انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض
بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقا المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقا اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة
عظيمة علي قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الي الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن **تتخذون ايمانكم دخلا بينكم** حال من الضمير
في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر مشابهين بامراة شانها هذا حال كونكم تتخذون ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل
الدخل الشي ولم يكن منه **ان تكون امة** بان تكون جماعة **هي اربى** اي ازيد عددا او اوفر مالا **من امة** من جماعة اخرى اي لا تغدروا بالقوم لكثرتكم
وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفايهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم **انما يبلوكم الله به**
اي بان تكون امة اربى من امة اي يعاملكم لذلك معاملة من يختبركم لينظر المتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وبيعة رسوله عليه السلام
ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المومنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال **وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون** حين جازاكم
باعمالكم ثوابا وعقابا **ولو شا الله** مشيته قسر والجا **لجعلكم امة واحدة** متفقة علي الاسلام **ولكن** لا يشا ذلك لكونه مزاحما لقضية
الحكمة بل **يضل من يشا** اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزيي اليه **ويهدي من يشا** هدايته حسبما يصرف اختياره
الي تحصيلها **ولتسالن** جميعا يوم القيمة **عما كنتم تعملون** في الدنيا وهذا اشارة الي ما لوح به من المكسب الذي عليه يدور امر الهداية
والضلال **ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم** تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه
فتزل قدم عن محجة الحق **بعد ثبوتها** ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت
او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة **وتذوقوا السوء** اي العذاب الدنيوي **بما صددتم** بصدودكم او بصدكم غيركم **عن سبيل الله**
الذي ينتظم الوفا بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره **ولكم** في الاخرة **عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد**
الله اي لا تاخذوا بمقابلة عهده وبيعة رسوله عليه السلام او اياته الناطقة بايجاب المحافظة علي العهود والايمان **ثمنا قليلا** اي لا
تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم علي الارتداد من حطام الدنيا **انما عند الله**
عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي **هو خير لكم** مما يعدونكم **ان كنتم تعلمون** اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل
للنهي علي طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى **ما عندكم** تعليل للخيرية بطريق الاستيناف اي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا بل الدنيا وما
فيها جميعا **ينفد** وان جم عدده وينقضي وان طال امده **وما عند الله** من خزاين رحمته الدنيوية والاخروية **باق** لا نفاد له اما الاخروية
واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم علي صيغة
المضارع من الدلالة علي الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى **ولنجزين** بنون العظمة علي طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله
تعالى انما عند الله هو خير لكم علي نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل علي الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان
يقال وليجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الي التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين **الذين صبروا** علي
اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفا بالعهود والفقر وقري بالياء من غير التفات **اجرهم** مفعول ثان لنجزينهم اي
لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم علي ما منوا به من الامور المذكورة **باحسن ما كانوا يعملون** اي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من
الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الاخرة لا لافادة قصر الجزا علي الاحسن
منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم علي معنى لنعطينهم
بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة

في

في مراتب الحسن بان يجزى الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باعتبار التفسير بما مر
فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح كونه تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات دلالة علي ذلك بمواد الجزاء وبما قوله
وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث علي الثبات علي ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل
التعرض لاخراج بعض اعمالهم عن مدارية الجزا من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها **من عمل صالحا** اي عملا صالحا اي عمل كان
وهذا شروع في تحريض كافة المومنين علي كل عمل صالح ترغيب طايفة منهم في الثبات علي ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص
الاجر الموعود بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى **من ذكر او انثى** مبالغة في بيان شموله للكل **وهو مومن** قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة
في استحقاق الثواب او تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية
علي نظمه في سلك الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح **فلنحيينه حياة طيبة** في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان
موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فلتطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصايم يطيب نهاره بملاحظة نعيم
ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه **ولنجزينهم** في الاخرة
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شايبة تكرار والجمع في الضماير العايدة الي الموصول لمراعاة
جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك علي العكس لما ان وقوع الجزا بطريق الاجتماع المناسب للجمعية
ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملايم للافراد واذ قد انتهى الامر الي ان مدار الجزا المذكور هو
صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفا الارشاد الي ما به يحسن العمل ويخلص عن شوب الفساد فقيل **فاذا قرات القران** اي اذا اردت قراءته
عبر بها عن ارادتها علي طريقة اطلاق اسم المسبب علي السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة **فاستعذ بالله** فاساله
عز وجل ان يعيذك **من الشيطان الرجيم** من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية وتوجيه الخطاب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتخصيص قراءة القران من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه علي انها لغيره عليه السلام وفي ساير الاعمال الصالحة
اهم فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القران الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنك بمن عداه فيما عدا القراءة
من الاعمال والامر للندب وهو مذهب الجمهور وعند عطا للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة
ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القرا وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرات علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم
عن اللوح المحفوظ **انه** الضمير للشان او للشيطان **ليس له سلطان** تسلط وولاية **علي الذين امنوا وعلي ربهم يتوكلون** اي
اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما ياتون وما يذرون فان وسوسته لا يوثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة
الماضي في الصلة الاولى للدلالة علي التحقق كما ان اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض
لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجواب الامر اي يعذك او نحوه **انما سلطانه** اي
تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجا فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى **علي الذين يتولونه** اي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه
فان المقسور بمعزل من ذلك **والذين هم به** سبحانه وتعالى **مشركون** او بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم علي الاشراك
بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المومنين المتوكلين دليل علي ان لا واسطة في الخارج بين التوكل علي الله تعالى وبين تولي
الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم
التعليل ففيه مبالغة في الحمل علي التوكل والتحذير عن مقابلة وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار
التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة علي الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية

علي جدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله عليه السلام **ولا تنقضوا الايمان** التي تحلفون بها عند المعاهدة **بعد توكيدها**
حسبما هو المعهود في اثنا العهود لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** شاهدا رقيبا فان الكفيل
مراع لحال المكفول به محافظة عليه **ان الله يعلم ما تفعلون** من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك **ولا تكونوا** فيما تصنعون من النقض
كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول **من بعد قوة** متعلق بنقضت اي كالمراة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه
انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض
بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقا المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقا اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة
عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن **تتخذون ايمانكم دخلا بينكم** حال من الضمير
في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر مشابهين بامراة شانها هذا حال كونكم تتخذون ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل
الدخل الشي ولم يكن منه **ان تكون امة** بان تكون جماعة **هي اربى** اي ازيد عددا واوفر مالا **من امة** من جماعة اخرى اي لا تغدروا بالقوم لكثرتكم
وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي خلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعدائهم **انما يبلوكم الله به**
اي بان تكون امة اربى من امة اي يعاملكم لذلك معاملة من يختبركم لينظر المتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وبيعة رسوله عليه السلام
ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المومنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال **وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون** حين جازاكم
باعمالكم ثوابا وعقابا **ولو شا الله** مشية قسر والجا **لجعلكم امة واحدة** متفقة على الاسلام **ولكن** لا يشا ذلك لكونه مزاحما لقضية
الحكمة بل **يضل من يشا** اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي اليه **ويهدي من يشا** هدايته حسبما يصرف اختياره
الى تحصيلها **ولتسالن** جميعا يوم القيمة **عما كنتم تعملون** في الدنيا وهذا اشارة الى ما لوحت به من المكسب الذي عليه يدور امر الهداية
والضلال **ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم** تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه
فتزل قدم عن محجة الحق **بعد ثبوتها** ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت
او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة **وتذوقوا السوء** اي العذاب الدنيوي **بما صددتم** بصدودكم او بصدكم غيركم **عن سبيل الله**
الذي ينتظم الوفا بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره **ولكم** في الاخرة **عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد**
الله اي لا تاخذوا بمقابلة عهده وبيعة رسوله عليه السلام او باياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان **ثمنا قليلا** اي لا
تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا **انما عند الله**
عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي **هو خير لكم** مما يعدونكم **ان كنتم تعلمون** اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل
للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى **ما عندكم** تعليل الخيرية بطريق الاستيناف اي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا بل الدنيا وما
فيها جميعا **ينفد** وان جم عدده وينقضي وان طال امده **وما عند الله** من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية **باق** لا نفاد له اما الاخروية
واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة
المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى **ولنجزين** بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله
تعالى انما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان
يقال وليجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين **الذين صبروا** على
اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفا بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات **اجرهم** مفعول ثان لنجزين اي
لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة **باحسن ما كانوا يعملون** اي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من
الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الاخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن
منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم
بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة

في

في مراتب الحسن بان يجزي الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باعتبار التفسير بما يرجح
فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على ذلك بمواد المدار للجزاء دون ما فعله
وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل
التعرض لاخراج بعض اعمالهم عن مدارية الجزا من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها **من عمل صالحا** اي عملا صالحا اي عمل كان
وهذا شروع في تحريض كافة المومنين على كل عمل صالح اثر ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص
الاجر الموعود بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى **من ذكر او انثى** مبالغة في بيان شموله للكل **وهو مومن** قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة
في استحقاق الثواب او تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية
على نظمه في سلك الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح **فلنحيينه حياة طيبة** في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان
موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فلتطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم
ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه **ولنجزينهم** في الاخرة
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة
جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزا بطريق الاجتماع المناسب للجمعية
ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى ان مدار الجزا المذكور هو
صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفا الارشاد الى ما به يحسن العمل ويخلص عن شوب الفساد فقيل **فاذا قرات القران** اي اذا اردت قراءته
عبر بها عند ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة **فاستعذ بالله** فاسال الله
عز وجل جاره ان يعيذك **من الشيطان الرجيم** من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتخصيص قراءة القران من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عليه السلام وفي ساير الاعمال الصالحة
اهم فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القران الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنك بمن عداه فيما عدا القراءة
من الاعمال والامر للندب وهذا مذهب الجمهور وعند عطا للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة
ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم
عن اللوح المحفوظ **انه** الضمير للشان او للشيطان **ليس له سلطان** تسلط وولاية **على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** اي
اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما ياتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة
الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان ايثار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض
لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعذك او نحوه **انما سلطانه** اي
تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجا فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى **على الذين يتولونه** اي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه
فان المقسور بمعزل من ذلك **والذين هم به** سبحانه وتعالى **مشركون** او بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم على الاشراك
بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المومنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولي
الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم
التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابلة وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار
التجددي كما ان ايثار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية

منفذة لعدم دخول عبد المشركين من اوليا الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما
سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق بانفصل كل من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا
اية مكان اية اي اذا انزلنا اية من القران مكان اية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخناها بها والله اعلم بما ينزل اولا واخرا وان كلا من
ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الاخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت
اخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح
والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رايهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات
ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت
مفتر اي متقول على الله تعالى تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان
وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم من يعلم ذلك
وانما ينكره عنادا قل نزله اي القران المدلول عليه بالاية روح القدس يعني جبريل عليه السلام اي الروح المطهر من الادناس البشرية
واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع منه وفي صيغة التفعيل
في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال كما يقتضيه الحكم البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره عليه السلام من الدلالة على تحقق
افاضة اثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المنبئة على التلقين المحض بالحق اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق
للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا
سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين
المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من
الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القران بشر اي على طريق التعلم ظهور انه نزله روح
القدس عليه السلام وتحلية الجملة بفنون التاكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب الاستمرار
التجددي في متعلقه بانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان
السيف بمكة ويقرءان التوراة والانجيل وكان الرسول عليه السلام يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم
فكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي رضي الله عنه وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم
ليس بنسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الاولين والاخرين لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة من لحد القبر اذا امال حفرة عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة
فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء
بتعريف اللسان وهذا القران الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقديره ان القران
معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثنا
الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل على عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي لا يصدقون انها من عند الله بل
يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افترا واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المط
لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الاخرة عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بايات الله ونسبة
رسول الله عليه السلام الى الافترا والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا
يؤمنون بايات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله بواسطة روح
القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الاية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي
يكذب بايات الله ويقولون انه افترا وتعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافترا على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بان

ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافترا كما يحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان
قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا
يؤمن بايات الله لانه لا يترقب عقابا ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افترا البتة
واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بايات الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب
ايات الله تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج حينئذ الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع
ما هو واقع في نفس الامر خلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة له سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله
المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر منهم بالله اي تلفظ
بكلمة الكفر من بعد ايمانه لله تعالى وهو ابتدا كلام لبيان حال من كفر بايات الله بعد ما امن بها ببيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها
الرفع على الابتدا والخبر الاتي عليه او هو خبر لهما معا والنصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو
استثنا متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يتم بالقول كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من
المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا تجدي نفعا وانما المجدي مقارنته
للكفر الواقع به اي الا من كفر باكراه والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل
على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك شرح بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه
كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين
المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية
على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما
اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل
ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد عليه السلام قال
رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال انا
اصم فاعاد ثلثا فاعاده جوابا فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة واما الثاني فقد صدع بالحق ذلك
اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا الحياة الدنيا اثروها على الاخرة وان الله لا يهدي الى الايمان
والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجا القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم
ولولا احد الامرين اما ايثار الحياة الدنيا على الاخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان اثروا الاخرة على الدنيا او بان
هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اي
اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون
اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من غفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها الى ما يفضي الا الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية
والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الاتي عليه ويجوز
ان يكون ذلك خبرا لهما ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثنا
من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما
يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بنا الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا

في سبيل الله وصبروا على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول
من تحلية الصلة له او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة
لما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر في الطائفة
المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه السلام واشعار بان افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم اتباعا
له يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او بما رتب عليها او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى
في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس اي تعطى وافيا كاملا ما عملت اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق
اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف
وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم ولا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على
ذنوبهم وضرب الله مثلا قرية قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي
الى اثنين لتضمنه معنى الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التاخير عن الكل
مخل بتجاذب اطراف النظم الكريم وتجاوبها ولان تاخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لا سيما اذا كان في
المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتاخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية
اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل
الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا كانت آمنة ذات امن من كل مخوف مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج ياتيها رزقها اقوات
اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا من
كل مكان من نواحيها فكفرت اي كفر اهلها بانعم الله اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابؤس
والمراد بها نعم الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة
فاذاقها الله اي اذاق اهلها لباس الجوع والخوف شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه
واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئ عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراك اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها
لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ** غلقت لضحكته رقاب المال

فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته
الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف
بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر البشع الملائم للجوع الناشئ
من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومئ اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع
ادراك اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المرتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان
الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف او
اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور واسند ذلك
الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران
النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة لقضية
العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله تعالى على الخلق ايضا ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم اي من جنسهم يعرفونه باصله
ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما ياتون وما يذرون فكذبوه في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر
فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجاتهم بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب المستاصل لشافتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك

وهم ظالمون اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من
مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفران والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول
جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل
لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة مجاذبة لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد
كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم اي رسول
حار في ادراك سمو رتبته العقول عليه السلام ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله عليه السلام فاصابهم ما اصابهم
من جدب شديد وازمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم
وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم
يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير
في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعدما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصادهم
عما يؤدي الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا وآخرا
فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول عليه السلام في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما
تفترون من تحريم البحائر ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما
ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا
ريب في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستاصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع فمن ذا الذي يحذر ومن ذا الذي يؤمر
بالاكل والشرب وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع يأباه التصدي لاستصلاحهم بالامر والنهي
وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه خطاب الهي متوجه الى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين
مما رزقكم الله من الغنائم كما لا يليق بشأن التنزيل الجليل ان كنتم اياه تعبدون اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة
عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لحل ما امرهم باكله مما رزقهم اي انما حرم هذه
الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها فمن اضطر بما اعتراه من الضرر فتناول شيئا من ذلك غير باغ اي على مضطر آخر ولا
عاد اي متجاوز قدر الضرورة فان الله غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم
وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم
دليل كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم اللام صلة مثلها في
قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في شأن ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحي او قياس مبني عليه
الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف
السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا
حرام وان يكون القول المقدر حالا من السنتهم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا
واللام للتعليل وما مصدرية اي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب
وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له في المسامع كان السنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه
للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال

وجهه يصف الجمال ** وعينه تصف السحر

وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها الكذب يعني الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهايم بالحل والحرمة
وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن
جني لتفتروا على الله الكذب فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى والحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير
ان يكون ذلك منه واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب في امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافترا
للفوز بها متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يكتنه كنهه
وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والاخرين حرمنا ما قصصنا عليك اي بقوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما الاية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود
وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمنا وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم
بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم الاية ولقد الغمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها ان تحريم
ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافترا على الله تعالى
وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اي من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتاكيد والمبالغة واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا
في الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد واظهار
كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر في التائبين للايما الى ان اضافة اثار الربوبية
من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان امة على حاله لحيازته من الفضائل
البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب
التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقي ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج
الدامغة او لانه عليه السلام كان امة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وايراد ذكره
عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقيقة دين الاسلام وبطلان
الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من
المشركين في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لارداد على كفار قريش فقط في قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم بل عليهم وعلى
اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم انه عليه السلام كان على ما هم عليه كقوله سبحانه وتعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة
لامة وايثار صيغة جمع القلة للايذان بانه عليه الصلاة والسلام كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح
بكونه عليه الصلاة والسلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه
الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه وتعالى وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه الصلاة والسلام بل
مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتبا واتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة
حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم
لاظهار كمال الاعتنا بشانه وتفخيم مكانه عليه الصلاة والسلام وانه في الاخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما
ساله بقوله تعالى والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو
رتبتك ان اتبع ملة ابراهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبيا عليهم الصلاة والسلام من امللت الكتاب اذا امليته

وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى
من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تكاد توجد مضافة الى الله
سبحانه ولا الى احاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرايع دون احادها فالمراد بملته عليه السلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم
حنيفا حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به عليه الصلاة والسلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رايت
وجه هند قايمة والمامور به الاتباع في الاصول دون الشرايع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان
هذه النعمة اجل النعم الفايضة عليه عليه الصلاة والسلام وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تاكيد وتقرير لنزاهته عليه
السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه وتعالى انما جعل السبت اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه
تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
الى اخره فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان محافظا عليه اي ليس السبت
من شرايع ابراهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عليه السلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني
اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبريا وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة
الاسناد الى الغير وقد قرئ على البنا للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما
جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد والابتلا المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه قبل
الوقوع ايثارا على ما امر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار
حال منشا الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا
للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شر
ذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا
يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله تعالى قردة دون اولئك المطيعين وان ربك ليحكم بينهم اي بين الفريقين
المختلفين فيه يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اي يفصل بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب
والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الاخر بالنسبة الى ما سيقع في الاخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي
يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى
وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله تعالى سبحانه وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم
اخرى ووجه ايراده هاهنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي
كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان حكمه بينهم لحكمه بان المراد بما حكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ
للانذار المذكور بين حكاية امر النبي عليه الصلاة والسلام باتباع ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبين امره عليه الصلاة والسلام
بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتامل ادع اي من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما
في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطا والمنع فحذفه للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود
الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي عليه
الصلاة والسلام في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به عليه
الصلاة والسلام والايما الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة
الحسنة اي الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة
الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القران المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اي ناظر معانديهم

بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفا للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعدما بين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامر والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جلي فما شرعه لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكم فانه كان في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية او الضلالة والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم من يبقى على الضلال او من يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها واعراض الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جي به على صيغة المبني عن الثبات وتكرير هو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين حال المعلومين وما لهما من العقاب والثواب وبعدما امره عليه السلام فيما يختص به من شان الدعوة بما امر به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم اي ان اردتم المعاقبة على طريق قول الطبيب للمحتمي ان اكلت فكل قليلا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصد ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين ما آل الجدال الى القتال وادى النزاع الى الصراع فان الدعوة المامور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم لفساد ما ياتون وما تذرون من بطلان دين استمرت عليه اباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه عليه السلام لما راى حمزة رضي الله عنه يوم احد وقد مثل به قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الاكمل فقيل ولئن صبرتم اي عن المعاقبة بالمثل لهو اي الصبر كونه ذلك خير من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كذلك دخولا اوليا ثم امر عليه السلام صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور ثوابه فقيل واصبر على ما اصابك من جهتهم من فنون الالام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق في مراقبة شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسلية عليه السلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم اي على الكافرين بوقوع الياس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك فلا تاس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل ايلا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اي في امر ضيق مما يمكرون اي من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التالم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التالم بمحذور من جهتهم ات والنهي عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المامور به لاسيما على الوجه الاول لزيادة التاكيد واظهار كمال العناية بشان التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه وتعالى بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شيء من مطلوب فيهتم بفواته او محذور فيكترث بوقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع على المتقين انما هي من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله ان الله مع الصابرين ونظائرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه

الجامعة

الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه او هو التوقي الحقيقي المورث لولايته تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه وتعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين يتبتلون اليه بالكلية ويتنزهون عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو المعنى بعناية الصبر المامور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على ان احد التفسيرين كما حقق في مقامه والاقتصار على التوقي عن المعاصي لا يلائم مدار الشيء من العزائم والرخص في تركهما فكيف بالصبر المشار اليه وارد نفيه وانما مداره المعنى المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على انه من خصائص اجل النعوت الجليلة وروادفه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بانه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فعل ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد نبه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه وتعالى من غير ان يكون احدهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو صلى الله عليه وسلم داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو صلى الله عليه وسلم ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى ان صنيعه صلى الله عليه وسلم له مستتبع لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الراس عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص فقال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا فان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنا لا عينا وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد العادل او حاتم وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحانه الى اخره وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول الى المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة مقامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء لا لانه على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضية من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت بالليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه السلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به اضافة الاسراء وانتهاء اضافة التنزيه والتنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعليته ما في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف في مبدا الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد

بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به اولان الحرم كله مسجد فانه روى عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان
نايما في بيت ام هاني بعد صلاة العشا فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه صلى الله عليه وسلم لتمنعه
خشية ان يكذبه القوم قال صلى الله عليه وسلم وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره صلى الله عليه وسلم بحديث الاسرا فقال
ابو جهل يا معشر كعب بن لوي بن غالب هلموا فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد رجال ممن كان امن به وسعى
رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني اصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق
وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته اليهم فقالوا اما النعت فقد اصاب
فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك
اليوم نحو الثنية فقال قايل منهم والله هذه الشمس قد اشرقت هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا
قاتلهم الله انى يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن ابن عباس والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه
في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف
ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه
وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبي عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعاجيب فان الروحاني ليس
في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة وكذلك تعجب منه قريش واحالوه والاستحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة
ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى طرفها الاعلى بحركة فلكها الاعظم مع مقاومة
فلكها له في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي من جملتها الحركة فان الله سبحانه قادر على ما يحيط به حيطة
الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولم يكن مستبعدا لم يكن معجزة **الى
المسجد الاقصى** اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد او في ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى **الذي باركنا
حوله** ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبيا عليهم الصلاة والسلام **لنريه** غاية للاسرا **من اياتنا** العظيمة التي من جملتها
ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس تمثيل الانبيا له ووقوفهم
على مقاماتهم العلية صلى الله عليهم جميعا وسلم والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرئ ليريه بالياء **انه هو السميع** لاقواله
صلى الله عليه وسلم بلا اذن **البصير** بافعاله بلا قصير حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايما الى ان الاسرا المذكور ليس
الا لتكرمته صلى الله عليه وسلم ورفع مرامه والاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية
المهابة **واتينا موسى الكتاب وجعلناه** اي التورية وفيه ايما الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين
المتحدين في المعنى ولم يذكر هاهنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السما وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا
الى الاسرا الى عقول السامعين اي اتيناه التورية بعدما اسرينا به الى الطور **هدى** اي ذلك الكتاب **لبني اسرايل** يهتدون بما في مطاويه
الا تتخذوا اي بان لا تتخذوا **من دوني وكيلا** اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد الى ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى **ذرية من حملنا
مع نوح** نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي تاكيد الحمل على التذكر التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجا ابايهم من الغرق
في سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النهي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا
الملايكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبدل من واو لا تتخذوا ابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب
بعض البغادده وقرئ ذرية بكسر الذال **انه** اي ان نوحا عليه السلام **كان عبدا شكورا** كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان
انجا من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتدا به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفر وقيل الضمير
لموسى عليه السلام **وقضينا** اي اتممنا واحكمنا منزلين **الى بني اسرايل** بوحينا اليهم **في الكتاب** اي في التورية فان الانزال والوحي الى
موسى عليه السلام انزال ووحي اليهم **لتفسدن في الارض** جواب قسم محذوف ويجوز اجرا القضا المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا

لتفسدن

لتفسدن **مرتين** مصدر والعامل فيه من معنى غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التورية وقتل شعيا عليه السلام وحبس ارميا حين
انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام **ولتعلن علوا كبيرا** لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه
وتعالى او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان ولتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحدود **فاذا جا وعد اولاهما** اي اولى كرتي الفساد
اي حان وقت حلول العقاب الموعود **بعثنا عليكم** لمواخذتكم بجناياتكم **عبادا لنا** وقرئ عبيدا لنا **اولي باس شديد** ذوي قوة وبطش في
الحروب هم سنحاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت **فجاسوا** اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ
بالحا والمعنى واحد وقرئ وجوسوا **خلال الديار** في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماهم وكبارهم واحرقوا
التورية واخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل توليه بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية **وكان وعدا مفعولا**
لا محالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل **ثم رددنا لكم الكرة** اي الدولة والغلبة **عليهم** على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم
ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو وقيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرايل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم
وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف القى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد اساراهم الى الشام
وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل قتل داود عليه السلام جالوت **وامددناكم باموال**
كثيرة بعد ما نهبت اموالكم **وبنين** بعد ما سبيت اولادكم **وجعلناكم اكثر نفيرا** مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من
قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والعبيد **ان احسنتم** اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية
الى الغير اي عملتموها على الوجه اللايق ولا يتصور ذلك الا بعد ان تكون الاعمال صالحة في انفسها وان فعلتم الاحسان **احسنتم لانفسكم**
لان ثوابها لها **وان اساتم** اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللايق ويلزمه السو الذاتي او فعلتم الاساة **فلها** اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله
وجهه ما احسنت الى احد ولا اسات عليه وتلاها **فاذا جا وعد الاخرة** حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الاخرة **ليسوءوا وجوهكم** متعلق
بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا اثار المساة والكابة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين
كفروا وقرئ ليسو على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوءن بالنون العظمة في قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ
لنسوءن بالنون الخفيفة ولنسوءن واللام في قوله عز وجل **وليدخلوا المسجد** عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به **كما دخلوه اول مرة** اي
في اول مرة **وليتبروا** اي يهلكوا **ما علوا** ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم **تتبيرا** فظيعا بان سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فغزاهم
ملك بابل من ملوك الطوايف اسمه جودرز وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم
قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك الوفا فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا ثم قال يا يحيى قد علم ربي
وربك ما اصاب قومك لاجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا ابدا فهدا **عسى ربكم ان يرحمكم** بعد المرة الاخرة ان تبتم
توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي **وان عدتم** الى ما كنتم عليه من الفساد مرة اخرى **عدنا** الى عقوبتكم ولقد عادوا فاعاد الله سبحانه
عليهم النقمة بان سلط الله عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها
ابد الابدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا
بعلة الحكم **ان هذا القران** الذي اتيناكه **يهدي** اي الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي اتيناه موسى **للتي**
للطريقة **التي هي اقوم** اي اقوم الطرايق واشدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها للبس بقصد التعميم لها وللحالة وللخصلة ونحوها مما
يعبر به عن القصد المذكور بل للايذان بالمعنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي من روادفها والمراد بهدايته لها
كونه بحيث يهتدى اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتدا بالفعل فانه مخصوص بالمومنين حينئذ **ويبشر المومنين** اي بما في تضاعيفه من الاحكام
والشرايع وقرئ بالتخفيف **الذين يعملون الصالحات** التي شرحت فيه **بان لهم** اي بان لهم بمقابلة تلك الاعمال **اجرا كبيرا** بحسب
الذات وبحسب التضعيف عشر مرات **وان الذين لا يومنون بالاخرة** واحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزا وتخصيصها

بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعات التناسب بين اعمالهم وجزيائها الذي انبا عنه قوله
تعالى اعتدنا لهم عذابا اليما وهو عذاب جهنم اي اعتدنا لهم فيما كفروا به وانكروا وجوده من الاخرة عذابا اليما وهو ابلغ في الزجر
لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب اقطع واوجع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة تحت التبشير
المراد به مجاز امطلق الاخبار المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنبا الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القران بالترغيب والترهيب
ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المومنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدايهم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر بيان لحال
المهتدي ابشرحال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكي عنه حالة في بعض
احيانه فالمعنى عن الاول ان القران يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراه من
العذاب الاليم وهو اي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم ومن قال فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير
ذلك مما حكي عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم دعاه بالخير اي مثل دعايه بالخير المذكور فرضا لا
تحقيقا فانه بمعزل من الدعا به وفيه رمز الى انه اللايق بحاله وكان الانسان اي من اسند اليه الدعا المذكور من افراده عجولا يسارع الى
طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو اتيه لا محالة بقية نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعا
على اعمالهم حمل العجولية على اللج والتمادي في استجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني ان القران يدعو الانسان الى ما هو خير وهو
في بعض احيانه كما عند الغضب يدعو ويدعو الله تعالى لنفسه واهله وماله بما هو شر وكان في الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا
يتاني الى ان يزول عنه ما يعتريه روي انه صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة اسيرا فارخت كتافه رحمة لانينه بالليل لالم القيد فهرب
فلما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يدها فرفعت سودة يدها بتوقع الاجابة فقال صلى الله عليه وسلم اني سالت الله تعالى
ان لا يجعل دعاي على من لا يستحق عذابا رحمة بل يدعوا بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير متبصر لا يتدبر في اموره حق
التدبر ليستحق ما هو خير حقيق بالدعا به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار ايتين شروع في بيان بعض
وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالايات والدلايل الافاقية التي كل واحدة برهان نير لا ريب فيه ومنهاج
بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو اية الليل وجعل اية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية
لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرانية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي اذ به ينسلخ النهار وفيه
يظهر غرر الشهور ولو ان الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر اخر ولترتيب غاية النهار عليها بلا
واسطة اي جعلنا الملوين بتباينهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول ايتان تدلان
على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتبيدان ان الهدى اليه القران الكريم من ملة الاسلام والتوحيد فمحونا اية الليل الاضافة
اما بيانية كما في اضافة العدد اي محونا الاية التي هي الليل وفايدتها تحقيق مضمون الجملة الاولى السابقة ومحونا جعلنا ممحوة الضو
ومطموسة لكن لا بدان ان لم يكن كذلك بل ابدعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي انشاهما كذلك والفا
تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين ايتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته وجعلنا
اية النهار اي الاية التي هي النهار على نحو ما مر مبصرة مضية يبصر فيها الاشيا وصفا لها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره فبصره
واما حقيقية اية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر اما خلقه مطموس النور في نفسه فالفا كما ذكر واما نقص ما استفاده من الشمس شيئا
فشيئا الى المحاق على ما هو معنى المحو والفا للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضية بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشيا
المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا اية النهار كما اشير اليه اي وجعلناها مضية لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار فضلا من
ربكم اي رزقا لا يتيسر ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغا والتعرض بصفة الربوبية المنبية عن
التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد في تحصيل الرزق تاثير سوى الطلب واما الاعطا فالى الله سبحانه لا بطريق

الوجوب

الوجوب عليه بل تفضيلا بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعني محو اية الليل وجعل اية النهار مبصرة لا باحدهما فقط
اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا لعلم المذكور اي لتعلموا بتفاوت الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او
حركاتهما واوضاعهما وساير احوالهما عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي
الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اي الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شي من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث
تحققها مما ينتظمه الحساب وانما الذي يتعلق به العدد طايفة منها وتعلقه في ضمن ذلك كل واحدة منها ليس من الحقيقة المذكورة اعني
حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر وتحصل كل واحدة منها من عدة ايام قد حصل كل واحدة منها بطايفة
من الساعة مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطايفة المعدودة بعدها اي بعينها من غير ان يعتبر في ذلك
تحصيل شي معين وتحقيقه ما مر في سورة يونس من ان الحساب احصاء ما له كمية منفصلة بتكرر امثاله من حيث يتحصل بطايفة معينة
منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليه العدد وعلق الحساب باعدادها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة
واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدودات وتقديم العدد
على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعدما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين
من الاوقات او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفضيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شي
حسب ما ذكرنا نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب او لان العلم بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقدم في مقام
الامتنان والله سبحانه اعلم وكل شي تفتقرون اليه في المعاش والمعاد بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم سوى ما ذكر من
جعل الليل والنهار ايتين وما يتبعه ومن المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا اي بيناه في
القران الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا وكل
انسان مكلف الزمناه طايره اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له في القسمة
الازلية الواقعة حسب استحقاقه من العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا في عنقه تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه
عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقري بسكون النون ونخرج له بنون العظمة
وقد قري بالياء مبنيا بالفاعل على ان الضمير لله عز وجل والمفعول والضمير للطاير كما قراة يخرج من الخروج يوم القيامة والبعث للحساب
كتابا مسطورا فيه ما ذكر من عمله تفسيرا وتطهرا وهو مفعول ليخرج على القراتين الاولتين او حال من المفعول المحذوف الراجع
الى الطاير وعلى الاخرين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطاير يلقاه اي يلقى الانسان او يلقاه الانسان منشورا وهما صفتان
للكتاب فالاول صفة والثاني حال منها وقري يلقاه من لقيته كذا اي يلقى الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك
ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يسارك فيحفظ سياتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى يخرج
لك يوم القيمة اقرا كتابك اي قايلين لك ذلك عن قتادة تقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة
باثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث منه في جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى ما دام الروح متعلق بالبدن
مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند
ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطا وتنكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شي عمله في مدة
عمره وهذا معنى الكتابة والقراة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه
كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال مبني على تاويل
النفس بالشخص على انها عبارة عن نفس الذكر كقول حلة بن حريب
يا نفس انك باللذات مسرور ... فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القران هاديا لاقوم الطرق ولزوم الاعمال لاصحابها اي من اهتدى

بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانه تقول فعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لا
يهتدي **ومن ضل** عن الطريقة التي يهديه اليها **فانما يضل عليها** اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن يباشره حتى يمكن مفارقة العمل
صاحبه **ولا تزر وازرة وزر اخرى** تاكيد للجملة الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن
وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما يحمل كل منهما وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه
واما ما يدل عليه قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة له
لذلك جزاء الضلال المقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال وانما خص التاكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة
حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم **وما كنا معذبين** بيان للعنايات الربانية اثر بيان
اختصاص اثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مواخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما
استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال
والاوزار اكتفاء بقضية العقل **حتى نبعث اليهم رسولا** يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف
الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال كما قال الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده او
الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من افراده ايا ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لعدم وقوعه مطلقا كيف
والاخروي لا يمكن وقوعه بعد البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا ترى الى قوم نوح كيف
تاخر عنهم ما حل بهم الف سنة وقوله تعالى **واذا اردنا ان نهلك قرية** بيان لكيفية وقوع العذاب بعد البعثة التي جعلت غاية لصحته
وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد والارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدار اذ لا يقارنه
الجزاء الاتي بل دنو وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اي واذا دنا تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب
الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنوا تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين **امرنا** بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها
مترفيها متنعميها وجبابرتها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر
اليهم اكد وعدم التعرض للمامور به اما لظهور ان المراد الى الكل لانهم الاصول به الحق والخير ان الله لا يامر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر
هداية القران لما هي اقوم واما لان المراد وجد منا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع **ففسقوا فيها** اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا
فحق عليها القول اي كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها **فدمرناها** بتدمير اهلها **تدميرا** لا يكتنه كنهه
ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق
وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فامر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج ويعضده
قراءة امّرنا وآمرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلنا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال
والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة ابطرتهم وحملتهم على
الفسق حملا حقيقيا بان يعبر عنه بالامر به **وكم اهلكنا** اي وكثيرا ما اهلكنا **من القرون** بيان لكم وتمييز لهم والقرن مدة من الزمان
يعتبر بها القوم وهي عشرون او ثلاثون او اربعون او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك فانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا
فعاش مائة سنة او مائة وعشرون **من بعد نوح** من بعد زمنه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القران العظيم
ومن لم يقص وعدم نظم قومه عليه السلام رمزا الى ذكرهم **وكفى بربك** اي وكفى بربك **بذنوب عباده خبيرا** يحيط بظواهرها وبواطنها
فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث تعلق بغير
المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل
قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه **من كان يريد** باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال

البر

البر او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الاخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى
الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة **العاجلة** فقط من غير ان يريد معها الاخرة كما ينبئ عنه الاستمرار
المستفاد من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون
مطالبها لقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ويجوز ان يراد الحياة العاجلة لقوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
لكن الاول انسب لقوله تعالى **عجلنا له فيها** اي في تلك العاجلة فان الحياة استمرارها من جملة ما عجل له فلا انسب بذلك كله من كما في قوله
تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها **ما نشاء** اي ما نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد **لمن نريد** تعجيل ما نشاء له وهو بدل منه من الضمير
في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المبني من الكثرة وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا
بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشية والارادة لما ان الحكمة التي يدور عليها فلك التكوين لا
يقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يترائى من قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مومل لجميع اماله ووصول كل عامل الى نتيجة عمله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في
سورة هود بفضل الله تعالى **ثم جعلنا له** مكان ما عجلنا له **جهنم** وما فيها من اصناف العذاب **يصلاها** يدخلها وهو حال من الضمير
المجرور او من جهنم او استيناف **مذموما مدحورا** مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم
ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة مكية سوى ايات معينة **ومن اراد** باعماله **الاخرة** الدار
الاخرة وما فيها من النعيم المقيم **وسعى لها سعيها** اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امروا والانتهاء عما نهوا لا التقرب بما يخترعون
باراءهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص **وهو مومن** ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة
على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد
للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي
اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة اعني ارادة الاخرة والسعي الجميل لها والايمان **كان سعيهم مشكورا** مقبولا عند الله تعالى
احسن القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينه اشعار بانه العمدة فيها **كلا** التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل
واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق بالاسعاف فقط **نمد** اي نزيده مرة بعد اخرى بحيث يكون الانف مددا للسالف ما به
الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للاخر من العطايا الاجلة المشار اليها بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على
ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما يحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى **هؤلاء** بدل من كلا **وهؤلاء** عطف عليه اي نمد هؤلاء
المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار وفيه تذكير لما
به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير وتاكيدا للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله
تعالى **من عطاء ربك** اي من معطاه لا العمل بل بمحض التفضل **وما كان عطاء ربك** اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد
الاعتناء بشانه واشعارا بعليته للحكم **محظورا** ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشية المبنية على الحكمة وان
وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار
بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض** كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد
توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الاخرى
اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وضالع وظليع ومالك
ومملوك وموسر وصعلوك لتعرف بذلك مراتب العطايا الاجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال
الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى **وللاخرة** اذ هي وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ اكثر **اكبر درجات واكبر تفضيلا** لان التفاوت فيها
بالجنة ودرجاتها العالية لا يكاد يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

هذا يجوز ان يراد بابه الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعني كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لامن ذكرنا ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاوه الدنيوي محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا ذلك العطا بعض كل من الفريقين على بعض اخر منهما وللاخرة الاية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الي الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوت له فضلا عن ايهام اختصاصه **لا تجعل مع الله الها اخر** الخطاب للرسول صلي الله عليه وسلم والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب **فتقعد** بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او بمعنى العجز من قعد فيه اي عجز عنه **مذموما مخذولا** خبران او حالان جامعان اي جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمومنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة **وقضى ربك** اي امر امرا جيرما وقري واوصى ربك ووصى ربك **ان لا تعبدوا الا اياه** اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية ولا نافية او لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتعصيل للسعي للاخرة **وبالوالدين** اي بان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما **احسانا** لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش **اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما** اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتاكيدها ولذلك دخل الفعل نون التاكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التاخر عنه للتشويق الي وروده فان مدار تضاعف الرعاية والاحسان واحد فاعل للفعل وتاخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقري يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الي جعل كلاهما تاكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع والاحتراز عن القياس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تافيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام **فلا تقل لهما** اي الواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع **اف** وهو صوت ينبي عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وقري بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اي لا تتضجر مما تستقذر منهما وتستثقل عن معرفتهم وبعد النهي منهم النهي عن سائر ما يوذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتنا بشانه فقيل **ولا تنهرهما** اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظه قيل النهي والنهر والنغم اخوات **وقل لهما** بدل التافيف والنهر **قولا كريما** ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروة مثل ان يقول يا اباه ويا اماه كدأب ابراهيم عليه السلام اذ قال يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من سوء الادب وديدن الوغار وسيل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان تقوم الي خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ماعا شا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداءيهما من بعدهما فعن النبي صلي الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه **واخفض لهما جناح الذل** عبارة عن لين الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكانه قيل واخفض لهما جناحك الذليل وجعل الذل جناحا كما جعل لبيد في قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة ۞ اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ۞

للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام **من الرحمة** من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورافتك لهما لافتقارهما اليوم الي من كانت افقر خلق الله اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى برحمته الواسعة الباقية **وقل رب ارحمهما** برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية الي الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما **كما ربياني** الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما ومثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والاخر في الاخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعا كانه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني **صغيرا** ويجوز ان تكون الكاف

للتعليل

للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولو بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمها في سلك القضا بهما معا ثم ضيق الامر في باب مراعاتهما حتى لم ترخص في ادني تنقلت من مضجر المتضجر مع ما له من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شي مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشا ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشا ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني اليهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وروي ان شيخا اتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد انشا في ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فانشدها الشيخ فقال

غذوتك مولودا ومنتك يافعا ۞ تعل بما اجني عليك وتنهل ۞

اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت ۞ لسقمك الا باكيا اتململ ۞

كاني انا المطروق دونك بالذي ۞ طرقت به دوني وعيني تهمل ۞

فلما بلغت السن والغاية التي ۞ اليها مدا ما كنت فيك اومل ۞

جعلت جزاي غلظة وفظاظة ۞ كانك انت المنعم المتفضل ۞

فليتك اذ لم ترع حق ابوتي ۞ فعلت كما الجار المجاور يفعل ۞

وقال انت ومالك لابيك **ربكم اعلم بما في نفوسكم** من البر والعقوق **ان تكونوا صالحين** قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد **فانه** تعالى **كان للاوابين** اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر **غفورا** لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفي من التشديد في الامر بمراعات حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا **وآت ذا القربى** اي ذا القرابة **حقه** توصية بالاقارب اثر التوصية بالوالدين ولعل المراد بهم المحارم ويحتم النفقة كما ينبي عنه قوله تعالى **والمسكين وابن السبيل** فان المامور به في حقهما المواساة المالية لا محالة اي واتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية **ولا تبذر تبذيرا** نهي عن صرف المال الي من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه موخوذ من تفريق حبات والقائها كيف ما كان من غير تعهد لمواقعه عن الاكثار في صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير اي كانوا امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وساير ما لا خير فيه من الملاهي والتناهي والمقارنة او قرناءهم في النار على سبيل الوعيد **وكان الشيطان لربه كفورا** من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران النعمة لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الي غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله تعالى وكفران نعمه الفايضة عليهم وصرفها الي غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين ساير اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الي غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الي مصرفها والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الي شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان **واما تعرضن عنهم** اي ان اعتراضك امر اضطرك الي ان تعرض عن اوليك المستحقين **ابتغاء رحمة من ربك** اي لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء **ترجوها** من الله تعالى لتعطيهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سيل شيا وليس عنده اعرض السايل وسكت حيا فامر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا تعتريهم الوحشة بسكوته

صلى الله عليه وسلم فقيل فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الامر نحو سعد وقيل القول لهم رزقنا الله
واياكم من فضله على انه دعاء لهم بتيسير عليهم فقرهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح
واسراف المبذر اجرا لها عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح واسراف معارنا له معلوما
من اول الامر روعي في ذلك من التصوير باقبح الصور ولما كان عليه غاية الاسراف في اخره بين اثره في قبحه فقيل فتقعد ملوما اي
فتصير ملوما عند الله وعند نفسك اذا اصبحت وندمت على ما فعلت محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا
بلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رضي الله عنه انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذا تاه صبي فقال ان امي تستكسك
الدرع الذي عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظر فلم يخرج للصلاة فنزلت
فيأباه ان السورة مكية خلا آيات في اخرها وكذا ما قيل انه صلى الله عليه وسلم اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن
الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشا يقول

اتجعل نهبي ونهب العبيد ◦ بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس ◦ يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرء منهما ◦ ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت ان ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل لما مر اي يوسعه على بعض ويضيقه على اخرين حسبما تتعلق به مشيئته البالغة للحكمة فليس ما
يرهقك من الاضافة التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين او معلوما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك انه كان بعباده
خبيرا بصيرا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والبسط من امر الله العالم
بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر حسب
مشيئته فلا تنبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخا
كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عن ذلك نحن نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم
وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار
باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز وكذلك قيل من املاق وهاهنا الاملاق المتوقع ولذلك
قيل خشية املاق فكأنه قيل نرزقهم من غير ان ينتقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطا
كبيرا تعليل اخر ببيان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطا الذنب والاثم يقال خطئ خطأ واثم اثما وقرئ بالفتح والسكون
وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك
ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق وحق من القتل
للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه وبين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس
المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة فعلة ظاهرة
القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن
كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على راسه مثل الظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال
صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اياكم والزنا
فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الاخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الاخرة
فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق
الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا وهو استثناء مفرغ اي لا تقتلوا بسبب من الاسباب الا

سبب

سبب الحق او ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشيا ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلا ملتبسا بالحق
ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله
غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولي انا امرته بذلك ان لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الوارث
والسلطان عند عدم الوارث سلطانا تسلطا ولا سبيل على القاتل يؤاخذ بالقصاص او بالدية حسبما تقتضيه جنايته او حجة
غالبة فلا يسرف وقرئ لا تسرف في القتل اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان يزيد عليه المثلة
او بان يقتل غير القاتل او من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل في مدة مادة
الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي انه كان منصورا تعليل للنهي والضمير للولي على معنى ان الله تعالى نصره بان
اوجب له القصاص والدية فامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يستزد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر
او للمقتول ظلما على ان الله تعالى نصره لما ذكر فلا يسرف وليه في شانه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن
مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضميران في التعليل عايدان الى الولي والمقتول فالمراد
بالاسراف حينئذ اسراف القاتل على نفسه لتعريضها للهلاك العاجل والاجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل اي لا يسرف
على نفسه في شان القتل اي لا يسرف كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن
قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضا ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى الا بالتي هي احسن
الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه
الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من
الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرق بينه وبين الايفاء الحسي
كالكيل والوزن ان العهد كان اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد
المعهود مسؤولا اي فيه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول لقوله تعالى وذلك يوم مشهود
ونظيره ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد
انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه قيل للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا
الكيل اي اتموه ولا تخسروه اذا كلتم كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال
على الناس فلا حاجة للامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الاية وزنوا بالقسطاس هو القرسطون وقيل
ميزان صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم
القاف المستقيم اي العدل المستوي ولعل الاكتفا باستقامته على الامر بايفا الوزن لما ان عنده استقامته لا يتصور الجور
غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الالة كما ان الاكتفا بايفا الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور
بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا كما في قوله تعالى واوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك اي ايفا الكيل والوزن
بالميزان خير في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تاويلا عاقبة تفعيل من آل اذا
رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع من قفا اثره اذا اتبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع
القائف ما ليس لك به علم اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج
لمنع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما
لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه
الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج ومنه قول الكميت

ولا ارمي البري بغير ذنب ◦ ولا اقفوا الحواصن ان رمينا

ان السمع والبصر والفواد وقرئ بفتح الفا والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفا كل اوليك اي كل واحد من تلك الاعضا
فاجريت مجرى العقلا لما كانت مسئولة عن احوالها مشاهدة عن اصحابها هذا وان اولا وان غلب في العقلا لكنه من انه اسم جمع كذا
الذي يعم القبيلتين جا لغيرهم ايضا قال

۞ ذم المنازل بعد منزلة اللوى ۞ والعيش بعد اوليك الايام ۞

كان عنه مسئولا اي كان كل من تلك الاعضا مسئولا من نفسه على انه اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون
الاسم ضمير الثاني بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت مسئولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسئولا معللا بان
الجار والمجرور وما يلتبس بالمبتدا او هو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القايم مقام
الفاعل اذا كان جارا او مجرورا او جوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير وحذف الجار من المفسر ولعود الضمير مستكنا كما ذكرنا
في قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون مسئولا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السوال وعنه في
محل النصب وسال ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب الرغبا بمعنى تفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع ان يفعل الاعطا والمنع وجوز ان
يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسئولا او مسئولا صاحبه ولا تمش في الارض التقرير لزيادة التقدير
والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحا تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح
وقرئ بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق الارض
بدوسك وشدة وطاتك وقرئ بضم الرا ولن تبلغ الجبال التي هي بعض اجزا الارض طولا حتى يمكنك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون
بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وعليه تعريض بما عليه المختال من رفع راسه ومشيه على صدور قدميه كل ذلك اشارة الى
ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرون كان سيئه الذي نهي عنه وهو اثنتي عشر خصلة عند ربك مكروها
غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشيا واقعة بارادته سبحانه وهي تتمة
لجميع الامور المنهي عنها جميعا او وصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في
وجوب الانتها عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون ان توجهها اليه ابتدا لما ان البعض المذكور ليس بمذكور
جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة
بيانية كما في اية الليل واية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة
او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او مجرى على موصوف محذوف اي امرا مكروها واجري مجرى الاسما زال عنه معنى
الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيئاته وقرئ شانه ذلك اي الذي تقدم من التكاليف
المفصلة مما اوحي اليك ربك اي بعض منه او من جنسه من الحكمة التي هي علم الشرايع او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام
المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هذه الايات الثمانية عشر كانت في الواح موسى
عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظة وهي عشر ايات في التوراة ومن
اما متعلقة باوحي على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من عايده المحذوف في الصلة اي كاينا من الحكمة
واما بدل من الموصول باعادة الجار ولا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره مما يتصور منه
صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبتدا الامر ومنتهاه وانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لا ينفعه علومه
وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكما وحك بيافوخه عنان السما وقد رتب عليه ما هو غاية الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما
مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة الله
تعالى وفي ايراد الالقا مبنيا للمفعول جريا على سنن الكبريا وازدرا بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة ياخذها اخذ بكفه فيطرحها في
التنور افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملايكة اناثا خطاب للقايلين بان الملايكة بنات الله سبحانه والاصفا بالشي جعله

خالصا والهمزة للانكار والفا للعطف على تقدير نفسه المذكور اي افضلكم على جانبه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص
واثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتعرض
لعنوان الربوبية تشديد التنكير وتاكيده واشير بذلك بذكر الملايكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم
اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه
لقضايا العقول بحيث لا يجتري عليه احد حيث يجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شي وهو الواحد
القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملايكة الذين هم من
اشرف الخلايق بالانوثة التي هي اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم اوصاف الحيوانات فيا لها من جهلة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها
وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القران على وجوه من التصريف في مواضع وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور
وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضا الحال ان يعرض عنهم ويحكى
للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القران ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الايات
الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف كقوله ۞ يجرح في عراقيبها نصلي ۞
وقد جوز ان يراد به ابطال اضافة البنات اليه تعالى وانت تعلم ان ابطالها من اثار القران ونتايجها وما يزيدهم اي والحال انه ما
يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عن التذكر المودي الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبايح قل في اظهار
بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه تعالى الهة كما تقولون اي المشركون قاطبة وقرئ بالتاخطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي كونا مشابها لما يقولون فالمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا
جوابا عن مقالتهم الشنعا وجزا للو اي لطلبوا الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة
كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى لقوله تعالى اوليك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه
محذور عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغا السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا
يشعرون بل هو امر يعتقدونه راسا اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه الهة
وان يكون له بنات علوا تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراه كيف لا والله سبحانه وتعالى في اقصى غايات
الوجوب وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من ان له تعالى شركا واولادا في ابعد مراتب العدم اعني الامتناع لانه تعالى في اعلا مراتب الوجود
وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاوه كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد
بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه الهة ولا ريب في ان ذلك ليس بداخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى
مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من شانه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقيل سبحت له السموات السبع والارض
ومن فيهن من الملايكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به اللسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شي
من الاشيا حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده اي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان
ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا
للتسلسل ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني
للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر في الدلايل
الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القران الناطق بالتسبيح والتنزيه
ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرايع جعلنا بقدرتنا ومشيتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية

بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر
ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله
ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤا على تفوه العظيمة التي هي قولهم
ان تتبعون الا رجلا مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنه من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام
جميل امرأة ابي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله تعالى عنه فلما راها قال يا رسول الله
لقد اقبلت هذه وانا اخاف ان تراك فقال صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرا قرآنا فوقفت على ابي بكر رضي الله تعالى عنه ولم تر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم اي مستورا عن الحس
بمعنى غير حسي او مستور في نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية
كثيرة جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه ومفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا على كنهه ويعرفوا انه من
عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم
وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم للتسبيح
لسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان
حالهم هذا اقبح من السابق لا حكاية لما قالوه قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقد قصدوا
بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان لكون
القرآن شعرا او سحرا او اساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه مما لا ابكا ذلك يلايم المقام
واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم اي
هربوا ونفروا نفورا اي ولوا نافرين نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزو بك وبالقرآن يروى انه كان
يقوم عن يمينه صلى الله عليه وسلم رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار اذ
يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته تاكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد
من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن من حيث تعلقه بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون
ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم والاول ظرف لما يستمعون والثاني يتناجون والمعنى
نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تاخير وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو
نجوى او هو جمع نجي كقتيل جمع قتيل اذ متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على انما يتناجون به غير ما يستمعون
وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون للحد اي يقول كل منهم للآخر عند تناجيهم ان تتبعون
اي ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللهو والهزو الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس
اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا
يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد
وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال
الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامر
من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو
الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام
لا تعمل فيما قبلها وهو نبعث او نعاد وهو الراجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت
وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث لتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتاكيد النكير وتحلية

الجملة

الجملة بان واللام لتاكيد عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون
ونظائره على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين
في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم ومرجعه الى
انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على
المصدرية من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريعا كونوا حجارة او حديدا او خلقا آخر مما
يكبر في صدوركم اي يعظم عندكم من قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون والمنافاة بينها وبينه
فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم
تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم اول
مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحياة اليس الذي يقدر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها
المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك رؤسهم اي سيحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرتم
من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما
في حيزها نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او وقوعه في زمان قريب
يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا او على انه ظرف ليكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز
اعمال الناقصة في الظرف او مضمر المصدر المستكن في عسى ان يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير

٭ وما الحرب الا ما علمتم وذقتم ٭ وما هو عنها بالحديث المرجم ٭

فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة
التاتي بان المقصود الاحضار للمحاسبة والجواب بحمده حال من ضمير تستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم مستعصين وحامدين
له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اي تظنون عندما ترون من الامور
الهائلة ان لبثتم اي ما لبثتم في القبور الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي المؤمنين يقولوا عند محاورتهم
مع المشركين التي اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان
ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر والمراد يغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمشارة والمغاورة والمضارة فلعل ذلك يؤدي
الى تاكيد العناد وتمادي الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا فهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم
اعلم بكم ان يشا يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشا يعذبكم بالاقامة على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا
لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى
يهديهم الى الايمان وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم
ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزل في عمر رضي الله عنه شتمه رجل
فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن
ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن في السموات والارض وتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستاهلون
الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان
يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة
وذكر من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية
والتبرؤ عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليه السلام فان ذلك ايتاء
الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم بنعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في

الزبور وان المراد بعباد الله الصالحين في قوله تعالي ان الارض يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلي الله عليه وسلم وامته
وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخري اما لانه في الاصل فعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد اتينا داود زبورا
من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلي الله عليه وسلم وقري بضم الزاي علي انه جمع زبر بمعني مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة
من دونه تعالي من الملائكة والمسيح وعزير وغيرهم فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك
ولا تحويلا اي ولا تحويله الي غيركم اولئك الذين يدعون اي اولئك الالهة الذين يدعونهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون
لانفسهم الي ربهم ومالك امورهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو
اقرب اليه تعالي الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغا معني الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالي بالطاعة والعبادة
ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر عن الالهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل واحد حتي الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالي ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل
لما ان المقام مقام التحذير من العذاب فان بينهم العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه بما لا يحذره اثر بيان انه
حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم السلام علي حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية
القرية الكافرة اي ما من قرية من قري الكفار الا نحن مهلكوها اي مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من
عظائم الموبقات المستوجبة لذلك في صيغة الفاعل وان كانت بمعني المستقبل ما ليس من الدلالة علي التحقق والتقرر وانما قيل
قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقري الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اي
معذبوا اهلها علي الاسناد المجازي عذابا شديدا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقطعا لا يكتنه كنهه من
فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من
القري العاتية قد اخرت عقوبتها الي يوم القيمة كان ذلك الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب في الكتاب اي اللوح المحفوظ
مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شي الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقري الصالحة
والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع
والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال
الحافظ ابو عمر والداني في كتاب الفتن انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة امنة من الخراب حتي تخرب ارمينية وارمينية امنة حتي
تخرب مصر ومصر امنة حتي تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبري حتي تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبري فتحت قسطنطينية علي
علي يدي رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل
واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتي لا يستطيعون ان يشربوا من
الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان
من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب
المدينة من الجوع وعن ابي هريرة ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اخر قرية من قري الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمري من هذا
الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده عدة السياق والسباق وما منعنا ان نرسل بالايات اي الايات التي اقترحها قريش
من احيا الموتي وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك الا ان كذب بها الاولون استثنا من اعم الاشيا اي وما منعنا ارسالها شيا من
الاشيا الا تكذيب الاولين بهاحين جاتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالي بها وانه كانت بمشيئته المبنية علي الحكم البالغة لا لمنع
مانع عن ذلك التكذيب او غيره لاستحالة العجز عليه تعالي لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستيصالهم بحكم السنة
الالهية واستلزامه لتكذيب الاخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائهم الي ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في
الجريرة لما كان منافيا لارسال ما اقترحوه من الايات لتعين التكذيب المستدعي للاستيصال المخالف لما جري به قلم القضا من

تاخير

تاخير عقوبات هذه الامة الي الاخرة حكم باهوه من جملتها ما يتوهم من ايمان لبعض اعقابهم عبر عن ذلك المنافاة بالمنع علي نهج
الاستعارة اي انا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالي لتاييده صلي الله عليه وسلم بالمعجزات وهو
السر في الارسال علي الايتا لما فيه من الاشعار بتداعي الايات الي النزول لولا ان تمسكها بذ التقدير واسناد هذا المنع الي تقدير
تكذيب الاولين لا الي علمه تعالي بما سيكون من الاخرين كما في قوله تعالي ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج والالزام بان مدار عدم الاجابة الي ايتا مقترحهم ليس الا صنيعهم واتينا ثمود الناقة عطف
علي ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون حيث ما اقترحوا من الايات الباهرة
فكذبوها واتينا باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة علي صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر يدركها الناس او اسند اليها حال
من يشاهدها مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقري علي صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب علي
الحالية وقري بالرفع علي انه خبر مبتدا محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من
العقر وظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا
مزيد عليه حيث يشاهدون هلاكهم ورودا وصدورا ولانها من جهة انها حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل علي تحقيق مضمون قوله
تعالي قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا لمن ارسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستاصل كالطليعة
له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم مثل ما فعل فلا محل للجملة حينئذ من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اي فظلموا بها ولم
يخافوا عاقبته والحال انا نرسل بالايات التي هي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل واذ قلنا لك ان
ربك احاط بالناس اي علما كما نقله الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفي عليه شي من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر
والتكذيب في قوله تعالي وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس الي اخر الاية تنبيه علي تحققها بالاستدلال عليها بما
صدر عنهم عند مجي بعض الايات لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادة منزلة من جناب الله تعالي لتصديق النبي صلي الله عليه وسلم
فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما ان تكذيب الاخرين لغير المقترحة يدل علي تكذيبهم بالايات المقترحة به والمراد بالرويا
ما عاينه صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجائب الارض والسما حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرويا
اما انه لا فرق بينها وبين الرويا ولانها وقعت بالليل ولان الكفرة قالوا لعلها رويا اي وما جعلنا الرويا التي اريناك عيانا مع
كونها اية عظيمة واية حقيقية بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادني بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتي ارتد بعضهم والشجرة
الملعونة في القران عطف علي الرويا والمراد بلعنها فيه لعن طاعميها علي الاسناد المجازي او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت في اصل
الجحيم في ابعد مكان من الرحمة او وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول
تنبت فيها الشجر لقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد
المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندرة تلقي في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقري بالرفع
علي حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القران كذلك ونخوفهم بذلك ونظايرها من الايات فان الكل للتخويف وايثار صيغة
الاستقبال للدلالة علي التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا متجاوزا فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الايات
لفعلوا بها ما فعلوا بنظايرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الي الطامة الكبري هذا
هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة علي الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم
عما عسي يعتريه من عدم الاجابة الي انزال الايات التي اقترحوها لان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا
يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتي بها موسي وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا
لك ان ربك اللطيف قد احاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون علي الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم به وامض لما
امرتك به من تبليغ الرسالة الا ترى ان الرويا التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا

الامام

لامرك وفتورا في حالك وقد فسر الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبي عنه
قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه
في اخباره واولت الرؤيا بما راه صلى الله عليه وسلم في المنام من مصارعهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم لما ورد ماء بدر قال والله كاني
انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما راه صلى الله عليه
وسلم انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي
باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون الافتتان بذلك
واقعا بعد ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الاية وقد قيل الرؤيا ما راه صلى الله عليه وسلم في وقعة بدر من مضمون قوله
تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس واذ
قلنا للملائكة تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا او بعلم من حال الملائكة
حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس من عانده الحق وخالف الهوى اي
واذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لادم تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا له من غير تلعثم امتثالا للامر وتحقيقه
صلى الله عليه وسلم الا ابليس وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود قال اي عندما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما
لك ان لا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة
الحجر ءاسجد وانا مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض اي من طين وحال من الراجع الى الموصول اي
خلقته وهو طين او نفس الموصول اي ءاسجد له واصله طين والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة
قال اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملا الاعلى باللعن
المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم
ابتنائه عليه بل على غيره بل على قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ارايتك هذا الذي كرمت علي
الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن
هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدا محذوف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته صفته له
والمقصود الاستصغار والاستحقار اي اخبرني اهذا من كرمته علي وقيل معنى ارايتك انا المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما
ما يخاطبه به عقيبه لئن اخرتن الى يوم القيامة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لاحتنكن ذريته اي لاستاصلنهم من
قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها
اذا جعلت في اسفل حنكها حبلا تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك الطلب له تلقيا من جهة
الملائكة عليهم السلام او استنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او توسما من خلقه الا قليلا منهم وهم المخلصون
الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب اي امض لشانك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم
فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك
عرضه فره اي وفره وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله
موفورا واستفزز اي استخف من استطعت منهم اي تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اي صح عليهم من الجلبة وهي
الصياح بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العبث والفساد وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد
وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية
الله فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والراكب وقرئ

بكسر الجيم وهي قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل ككتف وتاعب وبضمها مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما اي جمعك
الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا بتسلطه على من يغويه
فكانه مغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استاصلهم
وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب
المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد
الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان
شان مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس ومن الاشعار
بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس
منهم فان الاضافة اليه لثبوت الحكم في قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له
سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويعتمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية
المبنية على المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بكيفية كفايته تعالى اعني سلب قدرته على اغوائهم
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر مبتدا وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لنفعكم الفلك ويجريها
في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض
النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الاية انه كان بكم ازلا وابدا
رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة
الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق
فيه ضل من تدعون اي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة او المسيح او غيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر
ببالكم احد منهم وتدعون لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء
المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد واتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق
من الاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم ان يخسف بكم جانب البر الذي هو مامنكم اي
يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى وقهره
وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من
ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر واوثرت كلمة في على كلمة الى المنبية عن مجرد الانتهاء للدلالة
على استقرارهم فيها تارة اخرى اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه
ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من
الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر فيغرقكم بعد
كسر فلككم كما ينبي عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب كفرانكم اشراككم لنعمة الانجاء
ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا كقوله سبحانه وتعالى ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا
بني ادم قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به
والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان كل حيوان
يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد
والرجل فانه متناول له برجله التي يطا بها القاذورات لا بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من جملة اذا
جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم الماء وانت خبير بان الاول

هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك **ورزقناهم من الطيبات** اي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم
وبغير صنعهم **وفضلناهم** في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي يتميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح **على**
كثير ممن خلقنا وهم من عدا الملائكة عليهم السلام **تفضيلا** عظيما فحق عليهم ان يشكروا نعم الله ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في
تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملا الاعلى الذين
هم العقول المحضة وانما استثني جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطا والخلل وليس فيه دلالة على
افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك
هو الفضل في اعظم الدرجات وزيادة القربة عند الله سبحانه وتعالى ان قيل اي حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد
بالمفضلين فان استثنا الملائكة عليهم السلام من تفضيل جميع افراد البشر عليهم السلام لا يستلزم استثناهم من تفضيل بعض
افراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا
بل هم ادنى من كل حسبما نعي عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا **يوم ندعوا**
نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف فيما دل عليه قوله تعالى ولا تظلمون وقرئ بالياء على البنا للفاعل وللمفعول ويدعوا بقلب الالف
واوا على لغة من يقول في افعى افعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميرا وكل بدل منه والنون محذوفة
لقلة المبالات بها فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعي **كل اناس** من بني ادم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا
من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الاخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا **بامامهم** اي بمن ائتموا به من نبي او
مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر ويا اهل دين كذا يا اهل
كتاب كذا وقيل الامام جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اي اجلال لعيسى عليه الصلاة والسلام وتشريف الحسنين رضي الله
عنهما والستر على اولاد الزنا **فمن اوتي** يومئذ اولئك المدعون **كتابه** صحيفة اعماله **بيمينه** بانه يحضر الكتاب الموتى وتشريفا لصاحبه
وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه **فاولئك** اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانه حزب مجتمعون على شان جليل واشعارا بان قراءتهم
لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتا وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم اي اولئك
المخصوصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتا المزبور **يقرؤون كتابهم** الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه الحسنات المستتبعة
لفنون الكرامات **ولا يظلمون** اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة **فتيلا** اي قدر فتيل وهو القشرة
التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة **ومن كان** من المدعوين المذكورين **في هذه** الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل
من فنون التكريم والتفضيل **اعمى** فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اولاه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها
والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعنا فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف الحقة **فهو في الاخرة** التي عبر عنها بيوم
ندعوا **اعمى** كذلك اذ لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على
ان عماه في الاخرة اشد من عماه في الدنيا وكذلك قرأ ابو بكر وعمرو الاول ممالا والثاني مفخما **واضل سبيلا** اي من الاعمى لزوال الاستعداد
الممكن وتعطل الالات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الطريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره
بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة
له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله فاما ان كان من اصحاب اليمين والرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في
احد الجانبين المسبب وفي الاخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الاخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله **وان كادوا ليفتنونك** نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نحشر ولا نعشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا
فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وجنبه كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك

وقيل

وقيل في قريش حيث قالوا ائته برحمة آية عذاب آية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من
المشددة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك
فاتنين **عن الذي اوحينا اليك** من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا **لتفتري علينا غيره** لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك
مما اقترحه ثقيف او قريش حسبما نقل **واذا لاتخذوك خليلا** اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي **ولولا ان ثبتناك**
على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك **لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا** من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا
يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس
الركون وهذا صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم بحابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته **اذا** اي لو قاربت
ان تركن اليهم ادنى ركنة **لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات** اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل
هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الاخرة وبضعف
الممات عذاب القبر **ثم لا تجد لك علينا نصيرا** يدفع عنك العذاب **وان كادوا** الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل مكة **ليستفزونك** اي
يزعجونك بعداوتهم ومكرهم **من الارض** اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة **ليخرجوك منها واذا لا يلبثون** بالرفع عطفا على خبر كاد
وقرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذا على ان الجملة معطوفة ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ **خلفك الا قليلا** الا زمانا قليلا
وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عليه الصلاة والسلام وقيل نزلت الاية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي صلى الله عليه
وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن لك فوقع ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم فخرج
مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل **سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا** نصب على المصدرية اي سن
الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولها من بين ظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل فانها سنة لاجلهم على ما ينطق به
قوله تعالى **ولا تجد لسنتنا تحويلا** اي تغييرا **اقم الصلاة لدلوك الشمس** لزوالها كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل عليه
السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت
الشمس اي غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتاقيت مثلها في قولك لثلاث خلون **الى غسق الليل** الى
اجتماع ظلمته وهو وقت صلاة العشا والمعنى المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار اقامة كل صلاة مركونة الى بيانه عليه
الصلاة والسلام ولعل الاكتفا ببيان المبتدا والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لان الانسان فيما بين هذه الاوقات على
اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشا والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الاخر ولذلك فصل وقت
الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدائه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب
الشفق فقيل **وقران الفجر** اي صلاة الفجر بالنصب عطفا على مفعول اقم او على الاغرا قاله الزجاج وانما سميت قرآنا لانه ركنها كما سمي
ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة
الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلاة الفجر **ان قران**
الفجر اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به **كان مشهودا** يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل
الضيا والظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالاية على تفسير الدلوك
بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر **ومن الليل** قيل هو نصب على الاغرا والذم بعض الليل
وقيل المغري به حرفا ولا يجدي نفعا كون معناها التبعيض فان واو مع معناها التبعيض ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى
الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل **فتهجد به** اي ازل والق الهجود اي النوم فان صيغة التفعل تجي
للازالة كالتحرج والتحنث والتاثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من

قوله تعالى ومن الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقران لبعض الليل على طريقة واياي
فارهبون نافلة لك فريضة زائدة على الصلاة الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تاخير ذكرها عن ذكر صلاة
الفجر مع تقدم وقتها على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرايض بل لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد
والسدي فانه صلى الله عليه وسلم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم
لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرايضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه اي بجعلنا نافلة تهجد فان
ذلك عبارة زائدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القران اي حال كونها صلاة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل
وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الذي يبلغك الى كمالك اللايق بك من بعد النوم
الاكبر لما انبعث من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلاة والعبادة مقاما نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى
الاقامة اذ لابد من ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك
ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال المقام المحمود المقام الذي اشفع لامتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع
الخلايق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوايك وعن حذيفة رضي الله عنه تجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم فيه
نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وله
واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب ادخلني اي القبر مدخل صدق اي ادخالا مرضيا
واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعا بما وعده من البعث المقرون بالاقامة
المعهودة التي لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصود وقيل
ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعبا الرسالة واخراجه منه موديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من
مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا لقوله ،

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ، من المال الا مسحتا او مجلف ،

اي لم تدع فلم تبق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر
فاجيب دعوته صلى الله عليه وسلم بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله
ليستخلفنهم في الارض وقل جا الحق اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق الباطل اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات
الشيطان من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كاينا ما كان كان زهوقا اي شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة
الدعا بالسلطان النصير الذي لقد ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة
وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد فيقول جا الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي
صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القران وقرئ مخففا من الانزال ما هو
شفا لما في الصدور من ادوا الريب واسقام الاوهام ورحمة للمومنين به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو في تقويم دينهم
واستصلاح نفوسهم كالدوا الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتنا فان كل القران كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم
يستشف بالقران فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما تستدعي الحكمة
نزوله حينيذ فيقع ذلك فيمن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدوا الشافي المصادف لابانه من المرضى
المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفا لكن لا في كل حين بل عند تنزيله تحقق التبعيض
باعتبار الشفا الجسماني كما في الفاتحة وايات الشفا لا يساعده قوله سبحانه وتعالى ولا يزيد الظالمين اي لا يزيد القران كله او كل
بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشيا في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفا من الاسقام الا خسارا اي هلاكا بكفرهم

وتكذيبهم

وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبي عن حصول بعض
مبادي الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالايات النازلة تدريجا ازدادوا
هلاكا وفيه ايما الى ان ما بالايمان من الشبه والشكوك المعترية في اثنا الاهتدا والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل
والفساد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القران مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا
لذلك وفيه تعجيب من امره حيث يكون مدارا للشفا والهلاك واذا انعمنا على الانسان بالصحة والنعمة اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام
بموجب الشكر ونأى تباعد عن طاعتنا بجانبه النأي عن الجانب ان يلوي عن الشي عطفه لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من
فقر او مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر
ليس كذلك كان يووسا شديد الياس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى
واذا مسه الشر فذو دعا عريض ونظايره فان ذلك شان بعض اخر منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء اما على القلب كما يقال
راء في راى واما انه على انه بمعنى نهض قل كل اي كل احد منكم ممن هو على هدى او ضلال يعمل على شاكلته طريقته التي تشاكل حاله في الهدى
والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذي برأكم على هذه الطبايع المتخالفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا
اي اشد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت المشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الظاهر ان السوال كان عن
حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدأ حياته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح
وهو مبهم في التوراة قل الروح اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتنا بشانه من امر ربي كلمة من بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة
للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه
اي هو من جنس ما استاثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا تكاد تحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن
تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال صلى الله عليه وسلم بل نحن
وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
الاية وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينيط به المعاش والمعاد وذلك
بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه وتعالى قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان وهو من الابداعيات الكاينة
بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضا الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وماله انه من عالم الامر لا من عالم
الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه وتعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سوا كان
الكاين من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه داىرة البشر وانما الممكن هو القدر الاجمالي المندرج تحت ما
استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من
احساس الجزئيات ولذلك من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشيا لا يدركه الحس والاشيا من احواله التي يدور عليها معرفة ذاته واما
حمل ما ذكر عن السوال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كاين بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني فمع عدم ملايمته
بحال السايلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم حينيذ وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل
عليه السلام وقيل القران ومعنى من امر ربي وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولين شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك من القران
الذي هو شفا ورحمة للمومنين ومنبع للامور التي اوتيتموها وثبتناك عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيا
قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتدا اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام
المخلوق واللام موطية للقسم ولنذهبن جوابه النايب مناب جزا الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشية والمراد بالذهاب به
المحو من المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون

الصلاة وليصلين قوم لادين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم من شي فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا
واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناءنا ابناءهم فقال يسري عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف وينزع ما
في الصدور ثم لا تجد لك به اي بالقران علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان
نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا لابقائه بعد
المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدر قدر الجليل ويفرط في القيام بشكره ومواجل النعم واعظمها ان
فضله كان عليك كبيرا كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل
ولا يفهمون فخامة شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت الانس والجن اي اتفقوا على ان ياتوا بمثل هذا القران
المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من
عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة لا ياتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا
من ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا ياتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب
العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جواب الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير
جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير

يقول لا غائب مالي ولا حرم ۞ وان اتاه خليل يوم مسالة ۞

وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القران مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على
الانفراد او من المجموع بان يتالبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اي لا ياتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الى اخره وقد
المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه
اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا ياتون بمثله
على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض اياتها ببعض
ولا مساغ لكون الاية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد
عينه ولعل الشي انما يقرر بنفي ما دونه لا بنفي ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى عن الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه لان الجملة القسمية
ليست مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله صلى الله عليه وسلم ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب
زيادة تقرير وبيان ورسوخ واطمينان للناس في هذا القران المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة من كل مثل من كل معنى بديع هو في
الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس اوثر الاظهار على الاضمار توكيدا وتوضيحا الا كفورا اي الا
جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة
ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك بالغوا في عدم
الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيل وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن
في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نومن لك حتى تفجر وقرئ بالتشديد لنا من الارض
ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة اي بستان يستر اشجاره ما
تحته من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة
اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع وقرئ لفظا ومعنى وقرئ
بالسكون كسدرة وسدر وهي حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت
يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا بالشهد بصحة

ما ندعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اي والملائكة قبيلا كما حذف الخبر في قوله

۞ فاني وقيار بها لغريب ۞

او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة
او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نومن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده ولن نصدق
رقيك فيها حتى تنزل منها علينا كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان يتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية
لن نومن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول
وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا الفساد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الايات ما زادهم ذلك الا
مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد
يليق من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان ربي وقرئ
قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور الرقي مني في السماء ونحوه رسولا مامورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون
لي خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا
على الله بشي منها وقوله بشرا خبر للكن ورسولا صفته وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يومنوا مفعول ثان للمنع وقوله اذ جاءهم
الهدى اي الوحي ظرف للمنع او يومنوا اي وما منعهم وقت مجي الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يومنوا بالقران او بنبوتك او
ما منعهم ان يومنوا بذلك وقت ما ذكر الا ان قالوا في محل الرفع على انه فاعل منع اي الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول
الله من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا اخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول
منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه اول قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وعند حصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان
لهم موانع شتى لما انه معظمها او لما انه هو المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي
يتشبثون به حينئذ من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور
مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجيا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه مانعا منه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب
لو كان اي لو وجد واستقر في الارض بدل البشر ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق
المفاوضة الملائكية كيف وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك
من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المويدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب
ويلقوا الى جانب وقوله تعالى ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا في قوله ابعث الله بشرا رسولا قل لهم ثانيا
من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه راسا كفى بالله وحده شهيدا على اني
اديت ما علي من مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه صلى الله عليه وسلم رسولا
باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل انما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة
للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على
ذلك وهو تعليل الكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدا مفصل لما اشار اليه الكلام
السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتدي اليه والى ما يؤدي اليه من
الثواب والمهتدي الى كل مطلوب ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره كهولاء المعاندين فلن تجد لهم اوثر ضمير الجماعة اعتبارا
للمعنى من عن ما اوثر في مقابلة الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال
اولياء من دونه من دون الله تعالى اي انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الطريق الموصل الى مطالبهم الدنيوية او الاخروية او الى طريق النجاة من
العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما تقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الاحاد الى الاحاد

ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتنا بامر الحشر يوم القيمة على وجوههم حال من الضمير المنصوب
اي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم او مشيا فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا حال من الضمير المجرور في الحال السابقة
وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون
بالايات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار بعد عرض القوى والحواس وان
يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه ماواهم جهنم اما حال او
استئنافية وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق به النار
وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة مستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها
مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم
كفروا باياتنا العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدا وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدا ثانيا
وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا منه او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار أئذا كنا
عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا او اما حال اي مخلوقين مستانفين
اولم يروا اي ألم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر
على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف على اولم يروا فانه
في قوة قد راوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لبعثهم اجلا محققا
لا ريب فيه هو يوم القيمة فابى الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اي جحودا قل لو انتم
تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم ٭ لو ذات سوار لطمتني ٭
وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا
احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذا هو بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكان الانسان
قتورا مبالغا في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون
ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن
حينئذ وان الاوليين لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم
عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا
تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل
اليهودي يده ورجله صلى الله عليه وسلم ولا يساعده ايضا ما ذكر ولعل جوابه صلى الله عليه وسلم بذلك لما انه المهم للسائل وقبوله لما انه
كان في التوراة مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحي فاسئل بني اسرائيل اذ جاءهم وقرئ فسال
اي فقلنا له سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر
عند فرعون ما اتيناه من الايات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك
قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الايات التي اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى
لهما للايذان بانه لا يقدر على ايتاء مثل هاتيك الايات العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الايات اي بينات مكشوفات
تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم من ضرورة ذلك العلم بانه صلى الله عليه وسلم على كمال

وضافة

وضافة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة المتكلم اي لقد علمته تتعين ان هذه الايات الباهرة انزلها الله
عز سلطانه فكيف يتوهم ان يحوم حولي سحر واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن
هذا اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان ما بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام
يتاخم اليقين فاراد اي فرعون ان يستفزهم ان يستخفهم ويزعجهم من الارض من ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل
ابناءهم ونستحيي نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقه
لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة الاخرة والحياة او الساعة والدار الاخرة اي قيام
القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل اي وما انزل القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من
السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما
ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته صلى الله عليه وسلم اثر انزال القران وقرانا
منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد لدلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر
للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات
قل للذين كفروا امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم لا يزيده كمالا واعراضكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اي العلماء الذين
قرؤوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ورأوا فيها
نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اي القران عليهم يخرون للاذقان اي يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى او شكرا
لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها وايثار اللام للدلالة
على اختصاص الخرور بها كما في قوله ٭ فخر صريعا لليدين وللفم ٭ وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى امنوا به او لا تؤمنوا من عدم
المبالاة بذلك اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان ربنا عما يفعل
الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اي ان الشان هذا ويخرون
للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من
مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم اي القران بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو
يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان
عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضا
الى المقصود وهو الاوفق لقوله تعالى ايا ما تدعوا والدعاء بمعنى التسمية وهو متعد الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير
والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا
ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه مستدعي من ذلك
الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين
فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها اي بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك اي من الجهر
والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا وقصدا فان خير الامور اوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه
المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر
رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا

وعمران يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا
وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا** كما
زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا **ولم يكن له
شريك في الملك** اي الالوهية كما يقول الثنوية القايلون بتعدد الالهة **ولم يكن له ولي من الذل** ناصر ومانع منه لاعتزازه به او لم
يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها به وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره
اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمه منعم عليه ولذلك عطف
عليه قوله تعالى **وكبره تكبيرا** وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في الطاعة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور
في ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بني اسرايل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومايتا اوقية والحمد لله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم **الكتاب** اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال
المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القران او عن الجميع المنزل حينئذ كما مر مرارا وفي
وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة
الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه صلى الله عليه وسلم الى اعلى معارج
العبادة وتشريف له اي تشريف واشعار بان شان الرسول ان يكون مرسلا للعبد لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتاخير
المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى **ولم يجعل له عوجا** اي شيئا من العوج بنوع اختلال
في النظم وتناف في المعنى او انحراف في الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع
كون الجبال من الاعيان فذلك لان عدم انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس
الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل العوج في اعوجاج المنتصب كالعود والحايط والكسر
في اعوجاج غيره عينا كان او معنى   بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبي عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون
وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا في الاستقامة فيكون
تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع كونه من شانه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبي عنه نفي العوج
تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حينئذ بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ
قيما **لينذر** متعلق بانزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق على ذكر المفعول الاول للايذان بان ما
سيق له الكلام هو المفعول الثاني فان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر به الذين كفروا **باسا** اي عذابا
باسا شديدا من لدنه اي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة
وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع **ويبشر** بالتشديد وقرئ بالتخفيف **المومنين** اي المصدقين به **الذين يعملون
الصالحات** الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة
واستمرارها واجرا الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان **ان لهم** اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة
اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى **ماكثين** حال من الضمير المجرور في لهم **فيه** اي في ذلك الاجر **ابدا** من غير انتهاء اي
خالدين فيه وهي منصوب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه من مراعات
تقديم التخلية عن التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى **وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** استئنافا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه
الانذار السابق من مستحقي الباس الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر هولاء

المتفوهين

المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القايلين عزير ابن الله
تعالى والنصارى القايلين المسيح ابن الله وترك اجرا الموصول على الموصوف كما قيل في قوله تعالى ويبشر المومنين للايذان بكفاية
ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق
وجعل المحذوف المفعول فيما سلف عبارة عن هذه الطايفة يودي الى خروج ساير اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الابدال
هناك للمومنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الصادر من غير اعتبار حلول الباس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان
يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم **ما لهم به** اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا **من علم** مرفوع
على الابتدا او الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفي والجملة حالية او استينافية لبيان حالهم في مقالهم بذلك شي من علم
اصلا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه **ولا لابايهم** الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الغي والضلال
وما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام خطا بل انما قالوه رميا عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او
تحقيقه ما قالوه لعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جيتم شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الايات
وهو الانسب بقوله تعالى **كبرت كلمة** اي عظمت مقالتهم هذه بالكفر والافترا لما فيها من نسبته سبحانه وتعالى الى ما لا يكاد يليق بجناب
كبريايه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم يفسره ما بعده من النكرة المنصوبة
تمييزا كبيس رجلا والمخصوص بالذم محذوف كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشباع الضم وقرئ كلمة بالرفع
تخرج من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترايهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الهوا المتكيف
بكيفية الصوت الملابسة بها **ان يقولون** ما يقولون في ذلك الشان **الا كذبا** الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق
اصلا والضمير ان لهم ولابايهم مثل حاله صلى الله عليه وسلم في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقران كمال المتحسر
عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تاسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة
التمثيل حملا له صلى الله عليه وسلم على الحذر والاشفاق من ذلك **فلعلك باخع** اي مهلك **نفسك على اثارهم** غما ووجدا على فراقهم
وقرئ بالاضافة **ان لم يومنوا بهذا الحديث** اي القران الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يومنوا فاعمال باخع بحمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل
باسط ذراعيه **اسفا** مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متاسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على
الاستعارة التبعية بجعل النسبة بين اجزا الطرفين لا بين الحسيين المنتزعين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى
ختم الله على قلوبهم **انا جعلنا ما على الارض** استيناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه
التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا **زينة** مفعول ثان للجعل ان حمل على
معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في **لها** اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كاينة لها اي ليتمتع بها الناظرون
من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكرهما لعذاب الاخرة من قبيل المنافع بل كل حادث
داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحياة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع
ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلا **لنبلوهم**
متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم **ايهم احسن عملا** فنجازيهم بالثواب والعقاب فنجازيهم حسبما
بين المحسن من المسي وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات
اعمالهم المتفرعة على ذلك كما رتباه في مطالع سورة هود اما استفهامية مرفوعة بالابتدا واحسن خبرها والجملة في محل النصب
معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسوال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة
التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول نبلو هم والتقدير

لتبلوا الذي هو احسن عملا تحقيقه يحتمل ان تكون الضمة في ايهم للبنا كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن
عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البنا الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون له الاعراب لان ما ذكر شرط لجواز
البنا لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتامل في شانها وجعلها ذريعة الى
معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله
الكفرة واصحاب الاهوا وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلا شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن
والاحسن فقط والاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم
ايكم احسن عملا **وانا لجاعلون** فيما سياتي عند تناهي عمر الدنيا **ما عليها** من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار
لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه **صعيدا** مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من
الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه **جرزا** ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار
يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفرا جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد
والشاه والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن مما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك
من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشيا زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون عن جميع ذلك عن قريب ومجازون
لهم بحسب اعمالهم **ام حسبت** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي
للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت **ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا** في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر **من اياتنا** من بين اياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة
المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كان لم تغن بالامس **عجبا** اي اية ذات عجب وصفا له موضع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر
مبالغة وهو خبر لكانوا ومن اياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الايات
التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية ابن
ابي الصلت
ليس بها الا الرقيم مجاورا ... وصيدهم والقوم في الكهف همد
وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه
وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم اخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر
كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين **اذ اوى** ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجا **الفتية** اصحاب الكهف اوثر
الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك
فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيان التجائهم **الى الكهف** فجعلوه
محل جلوس واتخذوه ماوى **فقالوا ربنا آتنا من لدنك** من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائيه
متعلقة باتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة له اي اتنا كائنة من لدنك
رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعدا **وهيئ لنا من امرنا** الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والثابرة على
طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشي اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا **رشدا** اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه
وكلا الجارين متعلق بهي لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتنا بهما وابراز الرغبة في الموخر بتقديم
احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبي عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه
بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه باتنا وتقديم لنا على من امرنا للايذان من اول الامر بكون المسو
مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريديه مثلها في قولك رايت منك اسدا **فضربنا على اذانهم** اي انمناهم على طريقة
التمثيل المبني على تشبيه الاقامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الاذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الاذان بالذكر مع

اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب على الشعور عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا
سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الاذن كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير
على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملايمته لما سياتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في ضربنا كما في قوله عز وجل
فاستجبنا له بعد قوله اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة
لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم **في الكهف** ظرف مكان لضربنا **سنين** ظرف زمان له باعتبار
بقائه لا ابتدائه **عددا** اي ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما
للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الايات العجيبة فان مدة
لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل **ثم بعثناهم** اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت **لنعلم** بنون العظمة وقرئ
بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات وايا ما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز او حمله على ما يصح وقوعه
غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي به يتعلق الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله
تعالى وليعلم الله الذين ونظائرها التي يتحقق فيها العلم بتحقيق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى
منقلب ومتبع وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم
الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هولا فلم يترتب على تفرقهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم تقديرا غير مصيب ومفوض الى
العلم الرباني وليس شي منهما من الاحصا في شي بل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم
المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف
التعجيزية كقوله تعالى فات بها من المغرب وهو المراد هنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم **اي الحزبين** اي الفريقين
المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سياتي **احصى** اي اضبط **لما لبثوا** اي للبثهم **امدا** اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا
ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا احالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث
ويكون ذلك لطفا لمومني زمانهم واية بينة لكفارهم وقد اقتصر هنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبداها الصادر عنه عز وجل
وفيما سياتي على ما صدر عنهم من التساؤل المودي اليها وهذا ادنى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الى اخره
حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا على احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت
على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم ارادة عن الاختبار
فاختبر واختير هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة باي في موقع
المفعول الثاني فقط ان جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الخ وروى عطا
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والاخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول
هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتدا الغاية وانتها الغاية وهو مفعول لاحصى
والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصا تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى
احصا بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد
على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان
لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسبب تكونه
له امدا لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع عليه غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب
انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو ان اشغالهم من توهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد ولا تسمى احصا كما مر
بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى

مرتبة معينة مراتب العدد كاحقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصا في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلاثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلاثمائة وتعلق الاحصا بالامد بالمعنى الاول ظاهر وانما تعلقه بالمعنى الثاني فبتعلق انتظامه لاخته مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون قوله تعالى بما لبثوا مصدرية ويجوز ان يكون موصولة حذف عايدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فالامد معناه الوضعي علما تحققه وقيل اللام مزيدة والموصول مفعوله وامدا انتصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في ساير الايات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصا المتقدم على البعث لا بالاحصا المتاخر عنه وليس كذلك وادعا ان معنى افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مردود بانه عند سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذلك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات واما بالتمييز فيجب كونه فاعلا في المعنى فلمانع ان يمنعه بصحة ان يقال ايهم احفظ لهذا الشعر وزنا وتقطيعا او يقال ان العامل في امدا فعل محذوف يدل عليه المذكور اي يحصي لما لبثوا امدا كما في قوله

واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث المرفوع في المذكور المحذوف بلا فايدة ومدفوع بما اشير اليه من فايدة الموافقة للنظاير مع ما فيه من الاعتساف والخلل بعزل من السداد لان مراده ان يكون المقصود بالذات بالاختبار اظهار فضل الحزبين وتميزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصا فيهما ومن البين ان لا يتحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه راسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصا المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم **نحن نقص عليك** شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الى اخره اي نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام **نباهم** النبا الخبر الذي هو له شان وخطر **بالحق** اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبايهم او صفة له على راي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص قصصا ملتبسا بالحق ونقصه ملتبسين به او نقص نباهم ملتبسا به ونباهم حسبما ذكره محمد بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبدة الاوثان فمن رغب في الحياة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن اثر عليها الحياة الابدية قتله وقطع راسه وعلقها على سور المدينة وابوابها فلما راى الفتية ذلك وكانوا عظما اهل مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعا فبينا هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال فخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شانه وامهلهم الى رجوعه ليتاملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم بساير المسلمين فاجمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجا الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه انا الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجوار وفوضوا امر نفقتهم الى تمليخا فكانوا اذا اصبحوا يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس ثياب المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر اباهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق فلما راى تمليخا ما راى من الهم رجع وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينا هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على اذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قايل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن

كهفهم

كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شانهم ما قص الله عز وجل عنهم **انهم فتية** استيناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي **آمنوا بربهم** اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعات ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم **وزدناهم هدى** بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنهم وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم **وربطنا على قلوبهم** اذ قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجتروا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار **اذ قاموا** منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيا ان ربي رب السموات والارض فقالوا ونحن ايضا كذلك نجد فقاموا جميعا **فقالوا ربنا رب السموات والارض** ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضي بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما اي اقتضا وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فحينيذ يكون ما سياتي من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده **لن ندعو من دونه الها** معبودا اخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول الى عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم الهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية **لقد قلنا اذا شططا** اي قولا ذا شطط اي تجاوز عن الحد او قولا على انه عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهيته تعالى والتضرع اليه قيل لقد قلنا اذا جواب وجزا اي لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم **هؤلاء** هو مبتدا وفي اسم الاشارة تحقير لهم **قومنا** عطف بيان له **اتخذوا من دونه الهة** خبر وفيه معنى الانكار **لولا ياتون** تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز فهلا ياتون **عليهم** على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها الهة **بسلطان بين** بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام حجر **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا انه والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك الكلام النظم على سبك الاكثر منه من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود **واذ اعتزلتموهم** اي فارقتموهم بالاعتقاد واردتم الاعتزال الجسماني **وما يعبدون الا الله** عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اي اذا اعتزلتموهم ومعبودهم الا الله او عبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثنا متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه **فاووا** اي التجئوا **الى الكهف** عن الفرا هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اي اذا اعتزلتموهم اعتزالا جسمانيا وان اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجا الى الكهف **ينشر لكم** يبسط لكم ويوسع عليكم **ربكم** مالك امركم **من رحمته** في الدارين **ويهيئ لكم** يسهل لكم **من امركم** الذي انتم بصدده من الفرار بالدين **مرفقا** ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفا مصدرا كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين فيما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده **وترى الشمس** بيان لحالهم بعدما اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن راي صايب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه وتعالى اذ اوى الفتية الى الكهف وما يحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الروية تحقيقا بل الانبا بكون الكهف بكون يجب لو رايته ترى الشمس **اذا طلعت تزاور** اي تتزاور وتتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التا في الزاي وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزوير وكلها من الزور وهو الميل **عن كهفهم** الذي اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة **ذات اليمين** اي جهة ذات اليمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيوذيهم **واذا غربت** تراها عند غروبها **تقرضهم** اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم **ذات الشمال** اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه وتعالى على منهاج خرق

العاده كرامة لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا يحوم
حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان صرفها عنهم يد التقدير ذلك اي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها
حالتي الغروب والطلوع مع كونهم في موقع شعاعها من ايات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله
عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات نعش واقرب المشارق والمغارب الى
محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب
وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل
الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم والقرض على انفسهم فلذلك حينئذ اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا شانه
واما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه وتعالى اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه وتعالى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على اخبارهم فلا يساعده ايراده في تضاعيف القصة من يهد الله الى الحق بالتوفيق فهو المهتدي الذي اصاب الفلاح
والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم والتنبيه على ان امثال هذه الاية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن
يضلل اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره عليه فلن تجد له ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء وليا ناصرا مرشدا يهديه الى ما
ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا والخطاب
فيه كما سبق ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل لكثرة تقلبهم
ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود اي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على اذانهم ونقلبهم
في رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية اي جهة تلي ايمانهم وذات الشمال اي جهة تلي شمائلهم كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم قال
ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين
وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدرية منصوبا بمضمر ينبئ عنه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به
فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباب الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع تبعهم
على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد زرع احدهم او غنمه ولا اختلف في لونه فقيل كان انمر وقيل كان
اصفر وقيل كان اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تتود وقيل قطمور وقيل نود قال خالد بن معدان ليس
في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حال
ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى راس الاصابع
الوسطى بالوصيد اي بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة
والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار
من واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قوله فانما هي اقبال وادبار
واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ بضم العين اي ملأ الصدور ورعبها وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما
البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيبة كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا
يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم
اجرامهم ولعل تاخير هذا عن ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم
ترتب المجموع من حيث هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف
لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس ذلك لك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الاية
قال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال اذهبوا وانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد
اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم وحفظنا اجسامهم من البلى والتحلل

اية

اية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اي ليسال بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة
وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ما ذكره لاستتباعه لسائر
اثاره قال استيناف لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله قاله لما راى من مخالفة
حالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا اي بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لما انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم
اخر النهار فقالوا لبثنا يوما او بعض يوم فلما راى ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى
الكذب قالوا اي بعض اخر منهم لما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه وتعالى ربكم اعلم بما لبثتم اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما
يعلمها الله سبحانه وتعالى وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق
وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستيناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضي بان الكلام
جار على منهاج المحاورة والاتصال ثم قالوا لما علموا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اقبالا على التعمق في البحث
واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل
ناولها بعض اصحابه ليشتري قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام
وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اي اهلها ازكى احل واطيب واكثر وارخص طعاما فليأتكم
برزق منه اي من ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تاسيس وعلى
الثاني تاكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم
اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم اي يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم اي يصيروكم اليها
ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة لقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة
على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على
الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية
فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشان نفسه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء
لن تفوزوا بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى وكذلك اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم
في مراتب اليقين اعثرنا اي اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اي
وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث او ان كل وعده او كل موعوده ويدخل فيه وعده بالبعث والمبعث الموعود دخولا اوليا
حق صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت
بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنة
واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد
اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجازيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله تعالى اعثرنا عليه قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية
بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم
امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل التنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر به وجاحد له وقائل يقول
تبعث الارواح دون الاجساد واخر يقول يبعثهما معا قيل كان ملك المدينة يومئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في
البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل
من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى وروي
ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه انه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص

عليه العصبة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هولا فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من كل شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل واحد منهم تابوتا من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدًا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدًا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل **فقالوا** فصيحة اي اعثرناهم عليهم فرارًا فماتوا فقالوا اي قال بعضهم **ابنوا عليهم** اي على باب كهفهم **بنيانا** لئلا يتطرق اليهم الناس ضنابتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى **ربهم اعلم بهم** من كلام المتنازعين كانهم لما راوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه وتعالى ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شانهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى **قال الذين غلبوا على امرهم** وهم الملك والمسلمون **لنتخذن عليهم مسجدًا** وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما متعلقه باعثرنا فتأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو موخر في الوقوع **سيقولون** الضمير في الافعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم **ثلاثة رابعهم كلبهم** اي هم ثلاثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قالت اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاث بادغام الثاء **ويقولون خمسة سادسهم كلبهم** قيل قالت النصارى او العاقب منهم نسطوريا **رجما بالغيب** رميا بالخبر الخفي الذي لا يطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستانف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك **ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم** هو ما تقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي اخر كما قيل **قل** تحقيقا للحق وردا على الاولين **ربي اعلم بعدتهم** اي اقوى علما بعدتهم **ما يعلمهم** اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم **الا قليل** من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي اخر ما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انه سبعة نفر اسماوهم تمليخا ومكشلينا ومشلينيا هولاء اصحاب يمين الملك وكان يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هولاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشططيوش **فلا تمار** الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذا عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم **فيهم** في شان الفتية **الا مراء ظاهرا** قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق **ولا تستفت فيهم** في شانهم **منهم** من الخائضين **احدا** فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطا الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكره من الشواهد لارشاد المومنين الى صحة القول الثالث وفيه محيص عما في الاول من التكليف في حمل احد الاقوال المحكية المنظومة في سمط واحد نائيا من الحكاية مع كون الاخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في الاثمار والمعنى حينئذ والله قد وقفت على انهم كلهم ليسوا على خطا في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم

في

في شان الوحي **ولا تقولن لشيء** اي لاجل شيء تعزم عليه **اني فاعل ذلك** الشيء **غدا** اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه صلى الله عليه وسلم فقال ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول من العبارة هو الغد وما بعد ذلك مفهوم بدلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فان وسعة المحاد دليل القدرة فليتامل **الا ان يشاء الله** استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسة بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله تعالى او في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله ان يقوله مطلقا لا مشيئة اذا فان النسيان ايضا بمشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التاكيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله **واذكر ربك** بقولك ان شاء الله منه تداركا له **اذا نسيت** اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته عن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للاسم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه اي واذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك واذكر اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها **وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا** اي يوفقني لشيء اقرب واظهر من نبا اصحاب الكهف من الايات والدلائل الدالة على نبوتي **رشدا** ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حتى اتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي **ولبثوا في كهفهم** احياء مضروبا على اذانهم **ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا** وهي جملة مبينة مستانفة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة منالة وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلاث مائة وروي عن علي رضي الله عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلاثمائة وثلاث سنين عطف بيان لثلاثمائة وقيل بدل وقرئ بالاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع **قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض** اي ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب **ابصر به واسمع** دل بصيغة التعجب على ان شان علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول حوله حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والحقير والجليل والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة وان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات **ما لهم** لاهل السموات والارض **من دونه** تعالى **من ولي** يتولى امورهم وينصرهم استقلالا **ولا يشرك في حكمه** في قضائه او في علم الغيب **احدا** منهم ولا يجعل فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة نهي الحاضر على نهي الخطاب لكل احد لما دل عليه انتظام القران الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغيبيات على انه وحي معجز امره صلى الله عليه وسلم لك بالمداومة على دراسته فقال **واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك** ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله **لا مبدل لكلماته** لا قادر على تبديله وتغييره غيره **ولن تجد** ابد الدهر وان بالغت في الطلب **من دونه ملتحدا** ملجا تعول عليه عند الملم ملمه **واصبر نفسك** احبسها وثبتها مصاحبة **مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** اي دائبين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهي علم في الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء المومنين مثل صهيب وعمار وخبيب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة

وكانوا اسبعمائة رجل قيل انه قال قوم من روسا الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر لما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة **يريدون** بدعائهم ذلك **وجهه** حال من المستكن في يدعون اي مريدين لرضاه تعالى وطاعته **ولا تعد عيناك عنهم** اي لا يجاوزهم نظرك اليهم الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو ولا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه صلى الله عليه وسلم عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنيا **تريد زينة الحياة الدنيا** اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنيا واصحاب الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين والاسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله ❊ لمن زحلوقة زل ❊ بها العينان تنهل ❊ ومن المستكن في الفعل على القراتين الاخيرتين **ولا تطع** في تنحية الفقراء عن مجلسك **من اغفلنا قلبه** اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة ووجدناه غافلا كقولك احمدته واجلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اي لم نسمه بالذكر **عن ذكرنا** كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وتعالى وجهته وانهماكه في الحساب حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا **واتبع هواه وكان امره فرطا** ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل وهو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره تعالى تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة **وقل** لاولئك الغافلين المتبعين هواهم **الحق من ربكم** اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل ويمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** اما من تمام القول المأمور به والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها وطريق التهديد لا لتفريقه عليه كما في قوله تعالى عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي عقيب تحقق ان ما اوحي الحق لا ريب فيه وان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد على الامر لا على مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به وان يكذبك فيه فليفعل وقوله تعالى **انا اعتدنا** وعيد شديد وتأكيد للتهديد وتعليل لما يفهم منه من الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء والامهال على الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم ذلك انا اعتدنا **للظالمين** اي هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه وتعالى والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع الشيء في غير موضعه **نارا** عظيمة عجيبة **احاط بهم** اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق **سرادقها** اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار **وان يستغيثوا** من العطش **يغاثوا بماء كالمهل** كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم **يشوي الوجوه** اذا قدم ليشرب انشوى الوجه بحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه **بئس الشراب** ذلك **وساءت** النار **مرتفقا** متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا **ان الذين آمنوا** في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي حالي الفريقين اي ان الذين آمنوا بالحق الذي اوحي اليك **وعملوا الصالحات** حسبما بين في تضاعيفه **انا لا نضيع اجر من احسن عملا** خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي آمن وعمل صالحا **اولئك** لهم

المنعوتون بالنعوت الجليلة **لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار** استئناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر **يحلون فيها من اساور من ذهب** من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار **ويلبسون ثيابا خضرا** خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة **من سندس واستبرق** اي مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين **متكئين فيها على الارائك** على السرر على ما هو شأن المتنعمين **نعم الثواب** ذلك **وحسنت** اي الارائك **مرتفقا** اي متكأ **واضرب لهم** اي للفريقين الكافر والمؤمن **مثلا رجلين** مفعولا لاضرب اولاهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آنفا من ان للاولين في الآخرة كذا وللآخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومسلم وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد زوج ام سلمة رضي الله عنها اولا **جعلنا لاحدهما** وهو الكافر **جنتين** بستانين **من اعناب** من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين **وحففناهما بنخل** اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به **وجعلنا بينهما** وسطهما **زرعا** ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق **كلتا الجنتين آتت اكلها** ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين اي اكله **ولم تظلم منه** لم تنقص من اكلها **شيئا** لعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار تأتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض **وفجرنا خلالهما نهرا** فيما بين كل من الجنتين **نهرا** على حدة ليدوم شربهما وتزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي لقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار **وكان له** لصاحب الجنتين **ثمر** انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة **فقال لصاحبه** المؤمن **وهو** اي القائل **يحاوره** اي صاحبه المؤمن وان جاز العكس اي يراجعه في الكلام من حار اذا رجع **انا اكثر منك مالا واعز نفرا** حشما واعوانا واولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه **ودخل جنته** التي شرحت احوالها وحدها وصفاتها وهيأتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددهما واما لاتصال احداهما بالاخرى اما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة **وهو ظالم لنفسه** ضار لها لعجبه وكفره **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال **ما اظن ان تبيد هذه** الجنة التي تغني **ابدا** لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن الاغترار بها وامره بتحصيل الباقيات الصالحات **وما اظن الساعة قائمة** كائنة فيما سيأتي **ولئن رددت** بالبعث عند قيامها كما تقوله **الى ربي لاجدن** يومئذ **خيرا منها** اي من هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين **منقلبا** مرجعا وعاقبة ومدارها الطمع واليمين الفاجرة اعتقادا انه تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج **قال له صاحبه** استئناف كما سبق **وهو يحاوره** جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة **اكفرت** حيث قلت ما اظن الساعة قائمة **بالذي خلقك** اي في ضمن خلق اصلك **من تراب** فان خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه منه لانه اصل مادته اذ به يحصل الغذاء الذي تحصل النطفة فتدبر **ثم من نطفة** هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد **ثم سواك رجلا** اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الى آخره **لكنا هو الله ربي** اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربي

وتلك الجملة خبرانا والعايد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه
بالها ولكن يطرح انا ولكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكني مومن موحد ولا اشرك
بربي احدا فيه ايذان ان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف على
المحضض عليه للايذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ما شا الله اي الامر ما شا الله او ما شا الله كاين على ان ما
موصولة مرفوعة المحل او اي شي شا الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تخصيصه على الاعتراف بانها وما فيها
بمشية الله تعالى ان شا ابقاها وان شا افناها لا قوة الا بالله اي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها
وتدبيرها وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى وقدرته عن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال ما شا الله لا قوة الا بالله
لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا اما موكد لليا المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الروية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال
ان جعلت بصيرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه فصل توسطه بين المبتدا والخبر واما اصله المبتدا والخبر وقرئ اقل بالرفع
خبرا لانا والجملة مفعول ثان للروية او حال وفي قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك هو
جواب الشرط والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله سبحانه وتعالى ان يقلب ما بي وبك من الفقر والمعنى فيرزقني لايماني جنة خيرا
من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب وهو حساب ما كسبت يداه وقيل
مرامي جميع حسبانة وهو الصواعق ومساعدة النظم الكريم فاسيائي للاولين اكثر من السما فتصبح صعيدا زلقا مصدر اريد به
المفعول مبالغة اي ارضا ملسا لا تثبت عليها لاستيصال ما عليها من البنا والشجر والنبات او يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح على الوجه
الثالث على يرسل ماوها غورا اي غايرا في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع ابدا له اي للما الغاير طلبا فضلا عن وجدانه
ورده واحيط بثمره اهلك امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما اصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع ما توقع من المحذور
واهلك امواله وانما حذف لدلالة السياق والسباق عليه كما في المعطوف عليه بالفا الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو
كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه
دون ما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه في مصالحها رجا ان يتمتع
بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا ينالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على
ما صنع بنا على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشي السريع الزوال وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية
ساقطة على عروشها اي دعايمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة
وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى
واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغار ماوها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو
يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه مما اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا لم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل
ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فية ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او
على رد المهلك او على الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده
وما كان في نفسه منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه وتعالى هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق اي
النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله اي ينصرفيها اوليا المومنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخا المومن ويعضده
قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز
وجل لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى اذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين لتكون تنبيها على ان قوله يا ليتني
لم اشرك الى اخره كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى
الاخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على انه مصدر موكد وقرئ عقبا

بضم

بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها
وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الاخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة
كالمثل كما استيناف لبيان المثل اي هي كما انزلناه من السما ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به اي فاشتبك بسببه
نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه ونجع الما في النبات حتى روي ورف فمقتضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات
الارض واثار ما عليه النظم الكريم علمية للكثرة للمبالغة للكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات
الملتف اثر بهجتها ونضرتها هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه
به نفس الما بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالما حضرا وازهارا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم يغن بالامس
وكان الله على كل شي من الاشيا التي من جملتها الانشا والافنا مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحياة الدنيا
بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر
من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الاية المحكية انفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك من الايات
الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الابا
والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقا النفس والبنون
لبقا النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم لانه اقدم منهم في الوجود لانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون بلا
مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانها
نفس الزينة والمعنى ان ما تفتخرون به من المال والبنين شي يتزين به في الحياة الدنيا وقد علم شانها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال
فكيف بما هو من اوصافها التي شانها ان تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كلما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقرا المومنين الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاوها فبقا عوايدها عند فنا كل ما تطمح اليه
النفس من حظوظ الدنيا خير اي مما نعت شانه من المال والبنون واخراج بقا تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها
مع ان حقها ان يكونا مقصودي الافادة لا سيما في مقابلة اثبات الفنا لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم
ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاها امر محقق لا حاجة الى بيانه لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف
وانما الذي يحتاج الى التعرض له خيرتها عند ربك اي في الاخرة وهو بيان لما يظهر فيه اثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحياة
لا لافضليتها من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الاخرة ثوابا عايدة تعود الى صاحبها
وخير املا حيث ينال بها صاحبها في الاخرة وكل ما كان يومله في الدنيا واما من المال والبنين فليس لصاحبه امل يناله وتكرير
خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو
على هيآتها كما ينبي عنه قوله عز وجل وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اي نسير اجزاها بعد ان نجعلها هبا منبثا والمراد
بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند
الله ويوم القيامة وقرئ تسير على صيغة البنا للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبريا وايذانا بالاستغنا عن الاسناد الى
الفاعل لتعينه وقرئ تسير وترى الارض اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما يتاتى منه الروية
وقرئ ترى على صيغة البنا للمفعول بارزة اما بروز ما تحت الجبال بخروجه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب واتيان صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر
المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزا وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة
على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر اي لم نترك منهم احدا

يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفا والغدير الذي هو ما يتركه السيل في الارض الغائرة وقرئ با
بالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت **وعرضوا على ربك** شبهت حالتهم هذه بحالة جند عرضوا
على السلطان ليامر فيهم بما يامر وفي الالتفات الى الغيبة وبنا الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره صلى الله
عليه وسلم من تربية المهابة والجري على سنن الكبريا واظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى **صفا** اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا
تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد صفوفا **لقد جئتمونا** على اضمار
القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم واما كونه عاملا في القوارع مع انه خاص لتعلق ما قبله من العرض والحشر ون
تسيير الجبال وبروز الارض **كما خلقناكم** نعت لمصدر مقدر اي مجيا كائنا كمجيكم عند خلقنا لكم **اول مرة** او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين
كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شي مما تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم **بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا** اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اي زعمتم في
الدنيا انه لن نجعل لكم حدا ابدا او وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها
لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعائية والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق ٥
والابداع **ووضع الكتاب** عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد تذكيرها بتذكير وقتها واورد فيه ما اورد في امثاله من اخواته
من صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفا بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها في ايدي اصحابها
يمينا وشمالا واما في الميزان **فترى المجرمين** قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا **مشفقين** خائفين **مما فيه** من الجرايم
والذنوب **ويقولون** عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا او قطميرا **يا ويلتنا** منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها
ليهلكوا ولا يروا اهوال ما لاقوه اي يا ويلتنا احضري فهذا اوان حضورك **ما لهذا الكتاب** اي اي شي له وقوله تعالى **لا يغادر صغيرة**
ولا كبيرة الا احصاها اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب كانه قيل ما شانه حتى يتعجب منه فقيل
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **ووجدوا ما عملوا** في الدنيا من السيئات او جزا ما عملوا **حاضرا** مسطورا عتيدا **ولا يظلم ربك**
احدا فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهارا لعدله العلم الازلي **واذ قلنا للملائكة** اي اذكر وقت قولنا لهم
اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله **فسجدوا** جميعا امتثالا للامر **الا ابليس** فانه لم يسجد ابى واستكبر وقوله تعالى **كان**
من الجن كلام مستانف سيق مساق التعليل لما يفيده استثنا اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا
ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعته كما ينبي عنه الفا وصار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية
النافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن
الانتظام في سلك فقرا المومنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبي عنه قوله **افتتخذونه** الى اخره
فان الهمزة للانكار والتعجب والفا للتعقيب اي عقيب علمكم بصدور تلك القبايح عنه تتخذونه **وذريته** اي اولاده واتباعه جعلوا ذريته
مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو ادم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين **اولياء من دوني**
فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي **وهم** اي والحال ان ابليس وذريته **لكم عدو** اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين ٥
وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتاكيد الانكار وتشديده
فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا **بئس للظالمين** اي الواضعين للشي في غير موضعه **بدلا** من الله سبحانه وتعالى ابليس
وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير للايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا
يخفى **ما اشهدتهم** استيناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عنه من جنايته الحسد
والفسق والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته **خلق السموات والارض** حيث خلقتهما قبل خلقهم **ولا خلق انفسهم** اي ولا اشهدت
بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس

وذلك

وذلك ان ترجع الضمير الثاني الى الظالمين وتلتزم التفكيك بنا على عود المعنى اليه فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم
هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اوليا بنا على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث لا حضور ولا مصحح للتولي قطعا واما
نفي اشهاد بعض منهم فليس من مدار الانكار المذكور في شي على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولي الشاهد بنا على ما لا
على كماله باعتبار ان له مدخلا في خلق المشهود بالجملة فهو مخل بتولي المشهود بنا على قصوره ممن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور
متمحضا في نفي الكمال المصحح للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور **وما كنت متخذ المضلين** اي متخذهم وانما وضع موضعه المظهر
ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اوليا **عضدا** اعوانا في شان الخلق او في شان من شووني حتى يتوهم شركتهم
في التولي بنا على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة ارايهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي
لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك
للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والعونة من تلقا انفسهم
من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شانهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين
والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضايل لا يحوزها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيومنوا بايمانهم
كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراة بفتح التا خطابا للرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ وقرئ متخذ المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم
العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كرصد وراصد **ويوم يقول** اي الله عز وجل
للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة **نادوا شركائي الذين زعمتم** انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه
تعالى وقيل ابليس وذريته **فدعوهم** اي نادوهم للاستغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باغاثتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريقة
الى المدافعة **فلم يستجيبوا لهم** فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك في ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا
بالتصريح به **وجعلنا بينهم** بين الداعين والمدعوين **موبقا** اسم مكان او مصدر من وبق يبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق يوبق وبقا كفرح فرحا اذا
هلك اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك لقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا
وقيل البين الوصل وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الاخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركا الملايكة وعزيرا وعيسى عليه السلام
وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلا الجنان **ورأى المجرمون**
النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك **فظنوا** اي فايقنوا **انهم مواقعوها** مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذا راوها
من مكان بعيد انهم مواقعوها في الساعة **ولم يجدوا عنها مصرفا** انصرافا او معدولا لا ينصرفون اليه **ولقد صرفنا** اي كررنا واوردنا على وجوه
كثيرة من النظم **في هذا القرآن للناس** لمصلحتهم ومنفعتهم **من كل مثل** من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا او من كل نوع
من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة واحسن استجلاب النفس ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوه **وكان الانسان**
بحسب جبلته **اكثر شي جدلا** اي اكثر الاشيا التي يتاتى منها الجدل وهو هاهنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو
الفتل والمجادلة الملاوية لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من كل مجادل **وما منع الناس**
اي اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم **ان يومنوا** من ان يومنوا بالله تعالى بترك ما هم عليه من الاشراك **اذ جاءهم الهدى** اي القرآن ٥
العظيم الهادي الى الايمان وبما فيه من فنون المعاني الموجبة له **ويستغفروا ربهم** عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها المجادلة بالباطل
الا ان تاتيهم سنة الاولين الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقديره فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم
الاستيصال **او ياتيهم العذاب** اي عذاب الاخرة **قبلا** اي انواعا جمع قبيل او عيانا كما في قراة قبلا بكسر القاف وفتح البا وقرئ
بفتحتين اي مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم
من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة العقوبة لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط

وما نرسل المرسلين الا ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للعصاة بالعقاب
ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به
اي بالجدال الحق اي ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو
شاء الله لانزل ملائكة ونحوهما واتخذوا آياتي التي تخر لها صم الجبال وما انذروا اي والذي انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب ه
والعذاب او انذارهم هزوا اي استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم ه
فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي نفس الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان
مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا
خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في
عواقبها انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما
دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه على كنهه ومفعول له اي كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا اي جعلنا فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي فلم يكن منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذا جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي صلى الله
عليه وسلم المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال صلى الله عليه وسلم ما لي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع
الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور
خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب لان
المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى
وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تاخير العقوبة عنهم بعد استحقاقهم لها كما
يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم اي لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم
عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المبالغة المؤاخذة المنبئة
عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف الشدة كما
ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة
المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان وهو يوم
بدر او يوم القيامة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجا او ملجأ يقال
وأل اي نجا ووأل اليه اي لجأ اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابها وهو مبتدأ على تقدير المضاف واهل تلك القرى خبره
قوله تعالى اهلكناهم او مفعول لمضمر مفسر به لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما
لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد
الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الخ وجعلنا لمهلكهم اي عينا لهلاكهم موعدا اي وقتا معينا
لا محيد لهم عنه وذلك استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتاخير العذاب وقرئ
بضم الميم وفتح اللام اي لاهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله صلى الله عليه وسلم لفتاه هو
يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام سمي فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه وسمي التلميذ فتى وان كان شيخا
ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا
ابرح من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر
وان كان لا على ما يعقبه من قوله تعالى حتى ابلغ فان ذلك غاية تستدعي فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا ه
والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كمي الى يزال اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو

ملتقى

ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضي حقبا
اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على
مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديعة رقت منها
القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم الى الله عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك
عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر
وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى
او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث ما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني
فذهبا يمشيان فلما بلغا الفاء فصيحة كما اشير اليه مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل نسيا
حوتهما الذي جعل فقده امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان يقدمه وموسى عليه السلام
ان يامره فيه بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي وضعا رؤسهما على الصخرة
فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعدما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضأ عليه السلام
من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق قيل امسك الله عز وجل
جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام وانتصابه سربا على انه مفعول ثان وفي البحر حال منه او من السبيل
ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل او بجاوز وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى
عليه السلام الجوع فعند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة
الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر باتيان الغداء اما باعتبار
ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اتيان الغداء من استراحة ما قال اي فتاه عليهما السلام ه
ارأيت اذ اوينا الى الصخرة اي التجأنا اليها واقمنا عندها وذكر الاواء اليها مع ان المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة
تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الاواء اليها والنوم عندها
مما يؤدي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام
مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب
معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارأيت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه
ولا استخبارة عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل فاني نسيت الحوت وفيه تاكيد للتعجيب
وتربية الاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المامور بايتائه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من
قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وانما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو
حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته
الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ان اذكره لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره
ثانيا على طريق ابدال المبني عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره واثار
ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة ه
امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف
آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه عجبا فعجبا ثاني مفعولي
اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب

او مصدر فعل محذوف اي تتعجب منه عجبا وقد قيل انه من كلام موسى عليه السلام وليس بذلك **قال** اي موسى عليه السلام **ذلك**
الذي ذكرت من امر الحوت **ما كنا نبغ** وقرئ باثبات اليا والضمير العايد الي الموصول محذوف اصله نبغيه اي نطلبه لكونه امارة للفوز
بالمرام **فارتدا** اي رجعا **علي اثارهما** طريقهما الذي جا امنه **قصصا** يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او مقتفيين حتي اتيا الصخرة
فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور علي انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم
الصلاة والسلام **اتيناه رحمة من عندنا** هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبريا **وعلمناه من لدنا علما**
خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب **قال له موسى** استيناف مبني علي سوال نشا من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام
فقيل قال له موسى **هل اتبعك علي ان تعلمني** استيذان منه في اتباعه علي وجه التعلم **مما علمت رشدا** اي علما ذا رشد ارشد به في ديني
والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الي مفعول واحد ويجوز كونه
علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي اخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم
الخفية ولقد راعي في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام **قال** اي الخضر **انك لن تستطيع معي صبرا** نفي عنه استطاعة الصبر
معه علي وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله **وكيف تصبر علي ما لم تحط به خبرا** اي وانا اتولي امورا خفية المدار منكرة
الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال يا موسى اني علي علم من علم الله
تعالى علمنيه لا تعلمه وانت علي علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك **قال** موسى عليه السلام **ستجدني ان شا الله
صابرا** معك غير معترض عليك وتوسط الاستثنا بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتنا بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر **ولا اعصي لك
امرا** عطف علي صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان
او علي ستجدني ولا محل له من الاعراب والاول هو الاولي لما عرفته والظهور تعلقه بالاستثنا حينيذ وفيه دليل علي ان افعال العباد
بمشية الله تعالى **قال فان اتبعتني** اذن له في الاتباع بعد اللتيا واللتي **فلا تسالني عن شي** من افعالي فلا تفاتحني بالسوال عن حكمته
فضلا عن المناقشة والاعتراض **حتي احدث لك منه ذكرا** اي حتي ابتدي ببيانه وفيه ايذان بان ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة
البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسالني بالنون المثقلة **فانطلقا** اي موسى والخضر عليهما
السلام علي الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الي بني اسرايل قيل انهما مرا بسفينة فكلما اهلها فعرفوا
الخضر فحملوها بغير نول **حتي اذا ركبا في السفينة** استعمال الركوب في امثال هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل
لتركبوها وزينة علي ما تقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول **خرقها**
قيل خرقها بعد ما لججوا حيث اخذ فاسا فقطع من الواحها لوحين مما يلي الما فعند ذلك **قال** موسى **اخرقتها لتغرق اهلها** من الاغراق
وقرئ بالتشديد من التفريق والتغرق اهلها من الثلاثي **لقد جيت** اي اتيت وفعلت **شيا امرا** اي عظيما هايلا من امر الامر اذا عظم
قيل الاصل امر مخفف **قال** اي الخضر **الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا** تذكير لما قاله قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار علي عدم
الوفا بوعده **قال لا تواخذني بما نسيت** بنسياني او بالذي نسيته او نسي نسيته وهو وصيته بان لا يساله عن حكمة ما صدر عنه من
الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة علي الناسي كما روي في صحيح البخاري من ان الاول كان من موسى
نسيانا او اخراج الكلام في موضع النهي عن المواخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي
تتقي بها الكذب مع التوسل الي الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة **ولا ترهقني** اي لا تغشيني
ولا تحملني **من امري** وهو اتباعه اياه **عسرا** اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضا وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين
فانطلقا الفا فصيحة اي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا **حتي اذا لقيا غلاما فقتله** قيل كان الغلام يلعب مع الغلمان فقتل
عنقه وقيل ضرب براسه الحايط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين **قال** اي موسى عليه السلام **اقتلت نفسا زكية** طاهرة عن الذنوب
وقيل الزكية **بغير نفس** اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين ساير المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد

الاحصان لانه الاقرب الي الوقوع نظرا الي حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عليه السلام ههنا من
جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في معرض الجزا المقصود افادته مع ان التحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر
عليه السلام من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الي ورود خبرها لقلة وقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الي الاذهان
ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولي لما ان صدور الخوارق منه عليه السلام خرج بوقوعه من مخرج العادة فانصرفت النفس
من ترقبه الي ترقب احوال موسى عليه السلام هل يحافظ علي مراعات شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق اخر ويسارع الي المناقشة
كما مر في المرة الاولي فكان المقصود افادة ما صدر عنه عليه السلام فعل ما فعل ولله در شان التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح
والاعتراض عليه ادخل فكان جديدا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شي بل هو مويد لها فان كون القتل اقبح من مبادي
قلة صدوره عن المومن العاقل وندرة وصول خبره الي الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل
من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك **لقد جيت شيا نكرا** قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تدارك
الاول بالشد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة **قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا** زاد لك الزيادة المكافحة بالعتاب علي رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشميزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير
حتي زاد في النكير في المرة الثانية **قال** اي موسى عليه السلام **ان سالتك عن شي بعدها** اي بعد هذه المرة **فلا تصاحبني** وقرئ من الافعال
اي لا تجعلني صاحبك **قد بلغت من لدني عذرا** اي قد اعذرت من قبل عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم
الله اخي موسى استحيي فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد
فانطلقا حتي اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله من السما وقيل برقة وقيل هي بلدة بالاندلس عن النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا اهل قرية لياما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى **استطعما اهلها**
في محل الجر علي انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم علي ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم علي سو صنيعهم فان الابا من
الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم **فابوا ان يضيفوهما**
بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف
مال اليه عن ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار **فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض** اي يريد ان يسقط فاستعيرت
الارادة للمشارفة للدلالة علي المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض
منه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من
انقاصت السن اذا انشقت طولا **فاقامه** قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة
ذراع **قال لو شيت لتخذت عليه اجرا** تحريضا له علي اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما هو في لوم النفي كانه لما راي
الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك من الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند
البصريين وقرئ بادغام الذال في التا **قال** اي الخضر عليه السلام **هذا فراق بيني وبينك** علي اضافة المصدر الي الظرف اتساعا
وقد قرئ علي الاصل والمشار اليه اما في نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك ه
والسوال الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود **سانبيك** السين للتاكيد لعدم تراخي التنبية **بتاويل ما لم
تستطع عليه صبرا** التاويل رجع الشي الي ما له والمراد به ههنا المال والعاقبة اذ هو المنبا به دون التاويل وهو خلاص السفينة
من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة
موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رايت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب **اما السفينة** التي
خرقتها **فكانت لمساكين** لضعفا لا يقدرون علي مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمني وخمسة **يعملون في البحر**
واسناد العمل الي الكل حينيذ انما هو بطريق التغليب او لان عمل الوكلا بمنزلة عمل الموكلين **فاردت ان اعيبها** اي اجعلها ذات عيب **وكان**

وراءهم ملك اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لامحالة واسمه جلندي بن كركر وقيل منوله بن جلندي الازدي
ياخذ كل سفينة اي صالحة وقد قرئ كذلك غصبا من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب
السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التاويل وللايذان
بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخصيص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير
فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي قتله فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفره او بكفر اشعارا
بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه
ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما فيرتدا بسببه وانما
خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله سبحانه وتعالى اعلمه بحاله واطلعه على سرائره وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء
عاقبة الامر فغيره ويجوز ان تكون القراءة المشهورة على حكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه بان
يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما زكاة طهارة
من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من
الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدل لهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه على التمييز مثل
زكاة واما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار
نوع الاعتداد بها لاعتداد ما فيها من اليتيمين واهلهما الصالح قيل اسماهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما من
فضة وذهب كما روي مرفوعا الذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يودي زكاتها وسائر حقوقها وقيل لوح
من ذهب فيه عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل بينهما وبين الاب الذي حفظا
فيه سبعة آباء فاراد ربك اي مالكك ومدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام
على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه وتعالى ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا
اشدهما اي حلمهما وكمال رايهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ
المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك مصدر في موقع الحال اي مرحومين من عنده عز وجل او مفعول له او مصدر موكد لاراد فان ارادة
الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما
فيكون قوله عز وعلا وما فعلته عن امري عن رايي واجتهادي تاكيدا لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو درجتها في الفخامة تاويل ما لم تسطع اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور التي رايتها
اي مآله وعاقبته فيكون انجازا للتنبيه الموعود والى البيان نفسه فيكون التاويل بمعناه وعلى كل ذلك فهو تذييل لما تقدم وفي جعل الصلة
غير ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعقاب تنبيه اختلفوا في حياة الخضر فقيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات
اصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها واخطا ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحياة يلتقيان كل سنة
بالموسم وقيل انه ميت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة لا يبقى ممن
هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لما عاش بعد مائة عام وروي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني
قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلب لتعمل به ويسالونك عن ذي القرنين هم اليهود سالوه على وجه الامتحان او ساله قريش بتلقينهم
وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال
ابن اسحاق اسمه مرزبان بن مردبه من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن
قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن غوث بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل فيه ان اسمه مرزبان بن مدركه ذكره

ابن

ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن النعمان الذي قتل الضحاك وذكره ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى
بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب سمي بن عمير بن افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها
وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ⁂ ملكا علا في الارض غير معبد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ⁂ اسباب امر من حكيم مرشد

وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي اعيف وذي يزن وذي جدن قال
الامام الرازي والاول هو الظاهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر
اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن الى
البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ودخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم
انعطف الى ارمينيه وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه الى نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه
واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع
الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروي ان اهل النجوم قالوا له لا تموت الا
على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فانبسط
له دروع فنام عليها فاذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وثمانية
سنة وقيل ثلاثة الاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قال ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلاثين سنة او ثنتين
وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام
من قصة بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتاتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه
وولايته فقيل انه كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة وقوله تعالى وآتيناه من كل
شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل انه كان ملكا لما روي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول
لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسمتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا
ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى
سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة
الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عليه السلام وطاف معه بالكعبة هو واسماعيل وروي انه حج ماشيا فلما
سمع ابراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك
سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عليه السلام فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم قال
ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه وسخر له
السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل انه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس
وقيل الروم والترك وقيل لانه كان في راسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل انه كانت له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا راسه من
النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى
وقيل لانه راى في منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا
سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه
الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن يونه بن سرحون بن رومية بن ثوبط بن نوفل
ابن رومي بن الاصفر بن العيز بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام كذا نسبه ابن عساكر المعدود في اليوناني المصري باني

الاسكندرية الذي يورخ بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو
من ثلثماية سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطي ارضهم ثم قال وانما
بينا هذا لان كثيرا من الناس يعتقدوا انهما واحد وان المذكور في القران العظيم هو المتاخر ليقع بذلك خطا كبيرا وفسادا كثيرا كيف لا
والاول كان عبدا صالحا مومنا وملكا عادلا ووزيره الخضر عليه السلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطاليس
الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان كثير من الفي سنة فاين هذا من ذلك انتهى قلت المقدونى نسبة الى بلدة من بلاد الروم غربي دار
السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لازالت مشحونة بالشعاير الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند
مدينة سيروز واسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر رومي اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علايم تحكي كال
عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها عند رايتها القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الاثار ما
فيه عبرة لاولي الابصار **قل** لهم في الجواب **سأتلوا عليكم** اي ساذكر لكم **منه** اي من ذي القرنين **ذكرا** اي نبا متلوا وحيث كان ذلك بطريق
الوحي المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل قيل ساتلوا في شانه اي ساتلوا من جهته تعالى ذكرا اي نبا مذكورا اي قرانا والسين للتاكيد ۞
والدلالة على التحقق المناسب لمقام تاييده عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال

۞ ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ۞ ايادي لم تمنن وان هي جلت ۞

لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الاية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة قبل الوحي بتمامها بل موصولة
بما بعدها وبتمام سالوه صلى الله عليه وسلم عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم ايتوني غدا اخبركم فابطا عليه الوحي خمسة عشر
يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل **انا مكنا له في الارض** شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا
الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قوة وقدرة ولتلازمهما في الوجود
وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الاخر كما في قوله عز وجل مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث القوى
والاسباب والالات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعل لكم من المال والقوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه
قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وهذا اذا كان التمكين ماخوذا من المكانة
بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف عليه السلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث
التدبير والراي والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه
السير في الارض وذللت له طرقها **واتيناه من كل شيء** اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه **سببا** اي طريقا يوصله
اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او الة **فاتبع سببا** بالقطع فاراد بلوغ المغرب اتبع المراعاة الحركة الشمسية
وقرى فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني **حتى اذا بلغ مغرب الشمس** اي منتهى
الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على ساحل البحر المحيط الغربي الذي يقال اوقيانوس الذي فيه الجزاير
المسميات بالخالدات التي هي مبدا الاطوال على احد القولين **وجدها** اي الشمس **تغرب في عين حمئة** اي ذات حماة وهي الطين
الاسود من حميت البير اذا كثرت حماتها وقرى حامية اي حارة روي ان معاوية رضي الله عنه قرا حامية وعنده ابن عباس رضي الله
عنهما فقال حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرا قال كما يقرا امير المومنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد
الشمس تغرب قال في ماء وطين وروي في ثاطه فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين
جامعة بين الوصفين وكون الباقي الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضي الله عنه
بما سمعه من كعب مع ان قراته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراة ابن عباس قطعية في مدلولها وقراته محتملة ولعله لما بلغ ساحل
المحيط راها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب **ووجد عندها** عند تلك العين **قوما** قيل كان
لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله

قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر **واما ان تتخذ فيهم حسنا** اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على
طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرايع ومحل ان مع صلته اما الرفع على
الابتدا والخبرية واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك واقع او اما امر تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في
الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك بالتخيير
موافقا لشريعة ذلك النبي **قال** اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى مختارا الشق الاخير
اما من ظلم اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه من الظلم الذي هو الشرك **فسوف نعذبه** بالقتل وعن قتادة انه
كان يطبخ من كفر في القدور ومن اطاعه وكساه **ثم يرد الى ربه** في الاخرة **فيعذبه** فيها **عذابا نكرا** اي منكرا فظيعا وهو عذاب
النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي او من عنده من اهل مشورته **واما
من امن** بموجب دعوتي **وعمل عملا صالحا** حسبما يقتضيه الايمان **فله** في الدارين **جزاء الحسنى** اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة
الحسنى والجزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدا اعتناء به او منصوب بمضمر اي يجزى بها جزاء والجملة حالية
او معترضة بين المبتدا والخبر المتقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز او قرى منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين
ومرفوعا منونا على انه المبتدا والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم
لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعي في حقه قوة الاسلام واما المومن فلا يتعرض له الا بما يحب ويجوز ان يكون
اما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب **وسنقول له من
امرنا** اي مما نامر به **يسرا** اي سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرى بضمتين **ثم اتبع سببا**
اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها **حتى اذا بلغ مطلع الشمس** يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من
معمورة الارض وقرى بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في اثني عشر سنة وقيل في اقل من ذلك
بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوي له الاسباب **وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا** من اللباس والبناء قيل
هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار
خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هولاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا
احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف بلسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا
كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا
لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند
مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض **كذلك** اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره
في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي
تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس والجبال والاكنان وغير ذلك **وقد احطنا بما لديه** من الاسباب
والعدد والعدد **خبرا** يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية
فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتامل **ثم اتبع سببا** اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من
الجنوب الى الشمال **حتى اذا بلغ بين السدين** بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية
واذربيجان كما توهم وقرى بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية
لانه مبلوغ وهو من الظروف الذي تستعمل اسما ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى فراق بيني وبينك
وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما **قوما** اي امة من الناس **لا يكادون يفقهون قولا** لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرى
من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك

سوية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة
سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت قبيلة واحدة فسمي الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه
السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الخزر والترك والصقالبة
وياجوج وماجوج **قالوا** اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين كلامهم وافهامهم كلامه من جملة ما آتاه الله
تعالى من الاسباب **يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج** قد ذكرنا انهم من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل ياجوج من الترك وماجوج من
الجيل والديلم واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدرهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسد وطول القامة تبلغ
قدرهم نحو مائة وعشرون ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم من عرضه مخالب واضراس مثل السباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع
الصرف وقيل عربيان من اجاج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث **مفسدون**
في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا **فهل نجعل لك خرجا** اي جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما
واحد كالنول والنوال وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه **على ان تجعل بيننا وبينهم سدا** وقرئ بالضم **قال ما مكني** بالادغام
وقرئ بالفك اي ما مكنني **فيه ربي** وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب **خير** اي مما تريدون ان تبذلوه الي من الخراج
فلا حاجة لي اليه **فاعينوني بقوة** اي بفعلة وصناع يحسنون البنا والعمل وبالات لا بد منها في البنا والفا لتفريع الامر بالاعانة على
خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من ما لهم او على عدم قبول خرجهم **اجعل** جواب للامر **بينكم وبينهم** تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على
اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم **ردما** حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من
السد واوثق يقال ثوب مردم اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه **اتوني زبر الحديد** جمع زبرة كغرف في غرفة
وهي القطعة الكبيرة وهذا الايتا في دخراجهم لان المامور به الايتا بالثمن والمناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد
على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتا الالة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتا بها دون
سائر الالات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر الاساس حتى بلغ الما
وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة
فرسخ وذلك قوله عز وجل **حتى اذا ساوى بين الصدفين** اي اتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من
البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسووي
على البنا للمجهول **قال** للعملة **انفخوا** اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا **حتى اذا جعله** اي المنفوخ فيه **نارا** اي كالنار في الحرارة
والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الالة **قال** للذين
يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها **اتوني افرغ عليه قطرا** اي اتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي
وقفت عليه انفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى جعل **فما اسطاعوا** بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي
المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به
من ايتا القطر او الاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار صلدا فجا ياجوج وماجوج فقصدوا ان يعلوه
وينقبوه فما استطاعوا **ان يظهروه** اي يعلوه ويرقوه لارتفاعه وملاسته **وما استطاعوا له نقبا** لصلابته وثخانته وهذه معجزة
عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيه حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن
افراغ القطر فيها فكانه سبحانه وتعالى صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل
شيء قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضه ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا **قال**

اي

اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم **هذا** اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم اي هذا
الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال **رحمة** اي اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها
مبالغة **من ربي** على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه من قبيل الاثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان
الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة **فاذا جاء وعد ربي** مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة
لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال
ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التي تحكى تقع بعد مجيئه حتما **جعله** اي السد المشار
اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور **دكا** اي ارضا مستوية وقرئ دكاء
اي مدكوكا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الاندك المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء
الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته **وكان وعد ربي** اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل
فيه ذلك دخولا اوليا **حقا** ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر
لمضمونها وهو اخر ما حكي من قصته وهو قوله عز وجل **وتركنا بعضهم** كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا
ومحقق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق **يومئذ** اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه **يموج في بعض** اخر اي يضطربون اضطراب امواج البحر
ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى وتركنا بعضهم ياجوج وماجوج يموج في بعض اخر منهم حين
يخرجون من السد مزدحمين في البلاد روي انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن
من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا وهو دود يكون في انوف الغنم في اقفائهم فيدخل
اذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا فيغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها
كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال **ونفخ في الصور** هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى
فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في
النشاة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها في النشاة الاخرة اي جمعنا الخلائق بعدما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم
في صعيد واحد للحساب والجزاء **جمعا** اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه **وعرضنا جهنم** اظهرناها وابرزناها **يومئذ** اي يوم اذ جمعنا الخلائق
كافة **للكافرين** منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا **عرضا** عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض
بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة **الذين كانت اعينهم** وهم في الدنيا **في غطاء** كثيف وغشاوة غليظة محاطة
بذلك من جميع الجوانب **عن ذكري** عن الايات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم
في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشاني او عن القران الكريم **وكانوا** مع ذلك **لا يستطيعون** لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول
صلى الله عليه وسلم **سمعا** استماعا للذكر وكلامي الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة
السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الايات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم لما في حيز
الصلة وللاشعار بعلية الاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من
الايات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الاخرة **افحسب الذين كفروا** اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي
والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا انكار
الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على وجه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف
عليه في قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي اتسمعون فلا تعقلون
والمعنى اكفروا بي مع جلالة شاني فحسبوا **ان يتخذوا عبادي من دوني** من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني
وملكوتي **اولياء** معبودين ينصرونهم من باسي وما قيل من انه للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الى اخره دلالة على ان الحسبان

ناشيا من التعامي والتصام وادخل عليها همزة الانكار دما على ذم وقطعا لدعن المعطوف عليها لفظا لامعني للايذان للاستقلال
المؤكد للذم بإباه ترك الاضمار والتعرض لوصف اخر غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكر
من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة لحسبانهم ليحسن تفريعه عليها وايضا فانه دون قديم لهم لا يمكن جعله ناشيا عن تصامهم عن
كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتاخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان سادمسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى
وحسبوا ان لا تكون فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شي لما انه انما يكون من الجانبين وهم
عليهم السلام متبرءون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم
والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقري افحسب الذين كفروا اي افحسبهم وكافيهم ان يتخذوهم
اولياء على الابتدا والخبر والفعل والفاعل وان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوي الفعل في العمل والهمزة حينيذ بمعني انكار الوقوع **انا اعتدنا**
جهنم اي هيانا ها **للكافرين** المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتداد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل
نزلا اي شيا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطية لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان
اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتداد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة
والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزول ايما الي ان لهم وراء جهنم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس
رضي الله عنهما بالمثوى **قل هل ننبيكم** الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر والايذان بحلول حمية
النبا للمومنين ايضا **بالاخسرين اعمالا** نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان بحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال
الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة اثارها غب بيان حالها باعتبار اعمالهم السيئة
في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم **الذين ضل سعيهم** في اقامة تلك الاعمال اي ضاع وبطل بالكلية **في الحياة الدنيا** متعلق بالسعي
لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال
حينيذ ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات
الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع انه خبر مبتدا محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الخ
وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب ما سياتي من قوله تعالى اولئك الاية ياباه ان صدره ليس
منبيا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت عن انبا ما هو العمدة
في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال راسا اذ
لا مجال لادراجه تحت الصلة لعظمه **وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا** الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها
الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا
في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اي بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم محسنون في ذلك ومنتفعون باثاره ومن المضاف
اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اي بطل سعيهم والحال انهم الي اخره والفرق بينها ان المقارن لحال حسبانهم المذكور
في الاول ضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق لتعريف غير المخاطبين غير داخل تحت الاوامر **اولئك** المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي
مع الحسبان المزبور **الذين كفروا بايات ربهم** بدلايله الداعية الي التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح
حالهم في الكفر المذكور **ولقايه** بالبعث وما يتبعه من امور الاخرة على ما هي عليه **فحبطت** لذلك **اعمالهم** المعهودة حبوطا كليا **فلا نقيم**
لهم اي لاولئك الموصوفين بما ذكر من حبوط الاعمال وقري بالياء **يوم القيامة وزنا** اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان
مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو
من اجزية الكفر فسيجي بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيات من الموحدين لتميز به مقادير
الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية

فلا

فلا يوضع لهم الميزان قطعا وذلك بيان لمال كفرهم وساير معاصيهم اثر بيان مال اعمالهم المحبطة بذلك الامر **ذلك** وقوله عز
وجل **جزاؤهم جهنم** جملة مبينة له او ذلك مبتدا والجملة خبره والعايد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان
للخبر **بما كفروا** تصريح بان ما ذكر جزا الكفر هو المتضمن لساير القبايح التي انبا عنها قوله تعالى **واتخذوا اياتي ورسلي هزوا** اي مهزوا
بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالايات والرسل بل كذبوا وارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا **ان الذين آمنوا** بيان بطريق الوعد لمال الذين
اتصفوا باضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان ما لهم بطريق الوعيد اي امنوا بايات ربهم ولقايه **وعملوا الصالحات** من الاعمال **كانت**
لهم فيما سبق من حكم الله ووعده وفيه ايما الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرافة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه
بموجب ما حدث من سوء اختيارهم **جنات الفردوس** عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال
الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال
المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها
الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس
اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سالتم الله تعالى فسلوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة **نزلا** خبر كانت والجار
والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما
يهيا للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا وجعلت نفس الجنان نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها عند ما اعد الله لهم
على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة
الى الضيافة وان جعل بمعنى النزل فالمعنى ظاهر **خالدين فيها** نصب على الحالية **لا يبغون عنها حولا** مصدر كالعود والصغر اي لا يطلبون
تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شي اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد
الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فتكون حالا متداخلة **قل لو كان البحر** اي جنس البحر **مدادا** وهو ما تمد به الدواة من
الحبر **لكلمات ربي** لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الايات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك **لنفد البحر** مع كثرته
ولم يبق منه شي لتناهيه **قبل ان تنفد** وقري بالياء والمعنى من غير ان تنفد **كلمات ربي** لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر
وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار
البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير **ولو جئنا** كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جي به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله
مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستانفة المقابلة لها المحذوفة للدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي
لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجي بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة **بمثله مددا** عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه
بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقري مدادا جمع مدة وهو
ما يستمده الكاتب وقري مدادا **قل** لهم بعد ما بينت لهم شان كلماته تعالى **انما انا بشر مثلكم** لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة **يوحى الي**
من تلك الكلمات **انما الهكم اله واحد** لا شريك له في الخلق ولا في ساير احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك **فمن كان يرجو لقاء ربه**
الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقايه تعالى امنه وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المومن الاستمرار
والاستدامة على رجاء كرامته تعالى **فليعمل** لتحصيل تلك الطلبة العزيزة **عملا صالحا** في نفسه لايقا بذلك الموعود كما فعل الذين امنوا
وعملوا الصالحات **ولا يشرك بعبادة ربه احدا** اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بايات ربهم ولقايه ولا اشراكا خفيا كما
يفعله اهل الريا ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير
وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني
لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال له اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك

الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الريا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه
الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السما وعنه صلى الله عليه وسلم من قراها عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم
الخ كان له من مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا
من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **كهيعص** بامالة الها والياء واظهار الدال وقرى بفتح الها وامالة اليا وبتفخيمهما
وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريقه التلفظ بها الحكاية فقط
ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما للسورة او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف
قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على الاصل وقرى بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة
على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف والتقدير هذا كهيعص اى مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع جريان ذكره
لانه باعتبار كونه على جناح صار في حكم المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انه مبتدا خبره **ذكر رحمة ربك** اى المسمى به ذكر
رحمة ربك الى اخره فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت عليه جعلت كانها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان
ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب عليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه
الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر خبر لمبتدا محذوف هو ما ينبي عنه تعديد الحروف
كانه قيل المولف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الى اخره واسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة
المولف منها اى هذا ذكر رحمة الى اخره وقيل هو مبتدا قد حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقد قرى ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من
التذكير اى هذا المتلو ذكرها وقرى ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبية عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره
صلى الله عليه وسلم للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه السلام تكميل له عليه السلام **عبده** مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما
اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان
اى بلغني وقوله عز وعلا **زكريا** بدل منه او عطف بيان له **اذ نادى ربه ندا خفيا** ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله
اتساعا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها ولقد راعى عليه
السلام حسن الادب في اخفاء دعايه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الريا واقرب الى الخلاص عن
لايمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تواطيها في اوان الكبر والشيخوخة وعن غايلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان
ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينيذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير
سورة آل عمران **قال** جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب **رب اني وهن العظم مني** اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن
ودعايم الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزايه صلابة وقواما واقلها تاثرا من العلل فاذا وهن كان ما
وراه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبي عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرى وهن بكسر
الها وبضمها ايضا وتاكيد الجملة لابراز كمال الاعتنا بتحقق مضمونها **واشتعل الراس شيبا** شبه عليه السلام في البياض والانارة
بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة الى محل الشعر ومنبته
واخرجه مخرج التمييز واطلق الراس اكتفا بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل
شيب راسي فاسند الاشتعال الى الراس كما اسند الاشتعال الى النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيم بالتنكير وقرى بادغام
السين في الشين **ولم اكن بدعايك رب شقيا** اى لم اكن بدعاي اياك خايبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل كلما دعوتك استجبت
لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل راسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من

الاستجابة عند كل دعوة واثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرافة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عود
عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية
لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التعرض ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاه
فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمايه وصفاته **واني خفت الموالي من ورايي** عطف على قوله تعالى اني وهن مترتب مضمونه فان ضعف
القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي امره بعد موته ومواليه بنو اعمه وكانوا اشرار بني اسرايل فخاف ان لا يحسنوا
خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله تعالى من ورايي اى بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اى فعل الموالي من بعدي
او جور الموالي وقد قرى كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اى خفت الذين يلون الامر من ورايي لا بخفت لفساد المعنى وقرى
ورايي بفتح اليا وقرى خفت الموالي من ورايي اى قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرون على اقامة
مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اى ارتحلوا مسرعين او درجوا قدامي ولم يبق منهم تقوى واعتضاد فالظرف حينيذ متعلق
بخفت **وكانت امراتي عاقرا** لا تلد من حين شبابها **فهب لي من لدنك** كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له
ومن لابتدا الغاية وتقديم الاول يكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل
ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوايل سورة آل عمران اى اعطني من محض فضلك الواسع
وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية **وليا** اى ولدا من صلبي وتاخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتنا
بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع كون ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند
وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتاخيرهما عن الكل وتوسيطهما بين الموصوف والصلة مما لا
يليق بجزالة النظم الكريم والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المراة موجب
لانقطاع رجايه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان
يكون هناك داع اخر الى الاقبال على الدعا المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى
هنالك دعا زكريا ربه الاية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعا هناك للاكتفا بذكرها ههنا فان الاكتفا بما
ذكر في موطن عما ترك في موطن اخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى **يرثني** صفة لوليا وقرى هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعا اى يرثني
من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر الانبيا لا نورث ما
تركنا صدقة وقيل يرثني الحباة وكان عليه السلام حبرا **ويرث من آل يعقوب** يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين
يوول امرهم اليه للقرابة او الصحبة او للموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت مريم اى ويرث منهم الملك وقيل هو يعقوب بن
اسحاق بن ابرهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان
آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان روس بني اسرايل يومئذ وملوكهم وكان زكريا رييس الاحبار يومئذ فاراد ان
يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرى ويرث وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرى او يرث آل يعقوب
بالتصغير ففيه ايما الى وراثته عليه السلام لما يرثه في حال صغره وقرى وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اى
يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام انبيا ولا علما **واجعله رب رضيا** مرضيا عندك قولا وفعلا
وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتنا بشان ما يستدعيه **يا زكريا** على ارادة القول اى قال تعالى يا زكريا **انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى** لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكي له عليه السلام هذه العبارة عنه عز
وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندايه ووعد باجابة دعايه
لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما يقتضيه السنة الالهية المبنية على الحكم البالغة
فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة ابراهيم عليه السلام في

حق ابيه والى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وسالته ان لا يذيق بعضه باس بعض فمنعنيها وقد كان من قضا به عز وعلا
ان يهب يحيى نبيا مرضيا ولابيه فاستجيب دعاه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل
بقي بعده برهة فلا اشكال حينيذ وفي نصبه اسمه عليه السلام تاكيد للوعد وتشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب
عنه قوله تعالى **لم نجعل له من قبل سميا** اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احدا قبله يحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان
التسمية بالاسامي البديعة الممتازة على اسما ساير الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال كما في قوله
تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه السلام مثل في انه لم يعص الله
تعالى ولم يهم بمعصية وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل من قوله تعالى مصدقا بكلمة من
الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حي
به رحم امه او حيي دين الله تعالى بدعوته **قال** استيناف مبني على السوال فماذا قال عليه السلام حينيذ فقيل قال **رب** ناداه تعالى
بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسيط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد والتبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى
يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوسط على توقفه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه وتعالى متوقف
على ذلك في عامة الاوقات **انى يكون لي غلام** كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على
الفاعل لما مر مرارا من الاعتنا بما قدم والتشويق الى المؤخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا
من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له اي انى يحدث كان لي غلام اذ لو تاخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا كامر او بما نجز وانى نصب على
الظرفية وقوله تعالى **وكانت امراتي عاقرا** حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى **وقد بلغت من الكبر عتيا** حال منه موكد
للاستبعاد اثر تاكيد اي كانت امراتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الان عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة
ونحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتو كقعود فاستثقل توالي الضمتين
والواوين فكسرت التا فانقلبت الاولى يا لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو واليا وسبق احداهما بالسكون
وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية ههنا بذكر حال امراته على عكس ما في سورة ال عمران لما انه قد ذكر حاله في
تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعا ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر
حال امراته لما ان المسارعة الى بيان قصر شانه انسب وانما قال عليه السلام مع سبق دعائه عليه السلام بذلك وقوة يقينه بقدرة
الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة ال عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته
تعالى عليه ذلك باظهار انه من محض لطف الله عز وجل وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله
ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل كان ذلك
بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعا والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاه وهو بعيد **قال** استيناف كما مر مبني على سوال نشا مما
سلف والكاف في قوله تعالى **كذلك قال** مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى
مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول اخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله
تعالى **ربك هو علي هين** جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول
البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقيل هو علي هين والجملة حينيذ
حال من ربك والباعبارة من ضميره كما ستعرفه او اعتراض وعلى كل حال فهي موكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات
جريا على سنن الكبريا لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفا امير المؤمنين يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى
ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه السلام من ايجاده من العدم وتصويره في
اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه السلام

الاطمينان

الاطمينان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغايب العايد الى الرب الى يا العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه
هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي
هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراة بالواو لانها لا
تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده اي قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو
واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراة الثانية معطوفة على المحكية الاولى
او حال من المستكن في الجار والمجرور وايا ما كان فتوسط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتنا بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب ثم
ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر انفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه السلام اي قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه
من الحالة المتباينة للولادة في نفسه وفي امراته وقوله تعالى قال ربك الى اخره استيناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال
تعالى مع بعده في نفسه على هين والقراة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فيخل بسداد
المعنى لان ما له تقرر صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه سبحانه وتعالى مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا جملة مستانفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتدا خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض
لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى ادم عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد
خلقت اباك او ادم من قبل ولم يك شيا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حالة عليه السلام لتاكيد الاحتجاج
وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة
مقصورة على نفسه بل كان انموذجا منطويا على فطرة سائر احاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان ابداعه
عليه السلام على ذلك الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته
ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته
وكان عدم زكريا حينيذ اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير
الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق ادم
ولم تك اذ ذاك شيا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا او اما حمل الشي على المعتد به اي ولم تك شيا معتدا به فيابا المقام ويرده نظم
الكلام وقرئ خلقناك **قال رب اجعل لي اية** اي علامة تدلني على تحقق المسوول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السوال منه عليه السلام
لتاكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريفه وقت العلوق حيث كانت البشارة
مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يوخره
الى ان تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة ال عمران الى ان هذا السوال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة
برهة من الزمان لما يروى ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعا زكريا عليه السلام كان
في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلاث عشر سنة والجعل
ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من
اية اذ لو تاخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما اية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه مسوغ لكون اية مبتدا
عند انحلال الجملة الى مبتدا وخبر سوى تقديم الظرف فلا تتغير حالهما بعد ورود الناسخ **قال ايتك الا تكلم** اي ان لا تقدر على ان تكلم
بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح **الناس ثلاث ليال** مع ايامهن للتصريح بها في سورة ال عمران **سويا** حال من فاعل تكلم مفيد
لكون انتفا التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اي الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شايبة بكم
ولا خرس **فخرج على قومه من المحراب** اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا
اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا له ما لك **فاوحى اليهم** اي اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وان في قوله تعالى

ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اى صلوا او بان صلوا **بكرة وعشيا** هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما
صلاة الفجر وصلاة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح شكرا وان يامر قومه بذلك **يا يحيى** استيناف طوى قبله جمل
كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اى قلنا يا يحيى **خذ الكتاب** اي التوراة **بقوة** اى بجد واستظهار بالتوفيق **واتيناه الحكم**
صبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم استنباه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين روى انه دعاه الصبيان
الى اللعب فقال ما للعب خلقنا **وحنانا من لدنا** عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له موكدة
لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية من الفخامة الاضافية اي واتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه
ونحوهما وغيرهما **وزكاة** اي طهارة من الذنوب او صدقة تصدقنا به على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس **وكان تقيا** مطيعا متجنبا عن المعاصي
وبرا بوالديه عطف على تقيا اى بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما **ولم يكن جبارا عصيا** متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه **وسلام عليه** من الله عز
وجل **يوم ولد** من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم **ويوم يموت** من عذاب القبر **ويوم يبعث حيا** من هول يوم القيامة وعذاب النار **واذكر**
في الكتاب كلام مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة
لا القران اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبيا المذكورين فيها اى واذكر للناس **مريم** اي نباها فان الذكر لا
يتعلق بالاعيان وقوله تعالى **اذ انتبذت** ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المامور به ذكر نباها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكى
بعده بطريق الاستيناف داخل في حيز الظرف متمم للنبا وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نباها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل
الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى
من اهلها متعلق بانتبذت وقوله تعالى **مكانا شرقيا** مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المرتب وجودا او اعتبارا على اصل معناه العامل
في الجار والمجرور وهو السر في تاخيره عنه اي اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل
قعدت في مشربة لتغتسل من الحيض محتجبة بحايط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى **فاتخذت من دونهم حجابا** وكان موضعها المسجد فاذا حاضت
تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك عليه السلام في صورة ادمي شابا امرد وضي الوجه جعد الشعر
وذلك قوله تعالى **فارسلنا اليها روحنا** اي جبريل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام وقرى بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي
هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان **فتمثل لها بشرا سويا** سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت
الادمية شيا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدمة بيت المقدس وذلك لتستانس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ
لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام
بيان اثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى **قالت اني اعوذ بالرحمن منك** فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا
عما ذكر من الحالة المرتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر
منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به واستجلاب اثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة
مما دهمها وقوله تعالى **ان كنت تقيا** تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق عليه اي فاني عائذة به
او فتتعظ بتعوذي او فلا تتعرض لي **قال انما انا رسول ربك** يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك
الذي استعذت به **لاهب لك غلاما** اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويويده القراءة بالياء
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض
المصاحف امرني ان اهب لك غلاما **زكيا** طاهرا من الذنوب اي ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح **قالت انى يكون لي**
غلام كما وصفت **ولم يمسسني بشر** اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة **ولم اك**
بغيا وعطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اى ولم اكن فاجرة تبغي الرجال وهي
فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي فادغمت الواو بعد قلبها يا في اليا وكسرت الغين للياء وقيل اى فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغوي كما يقال نهو

عن

عن المنكر وانما لم يلحقه التا لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي بغتها الفجور بها **قال** اي الملك تقريرا لمقالته وتحقيقا
لها **كذلك** اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى **قال ربك** الى اخره استيناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك **هو** اي ما ذكرت لك
من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا **علي** خاصة **هين** وان كان مستحيلا عادة لما انى لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى
ولنجعله اية للناس اي علامة لعلة محذوف اي ولنجعل وهب الغلام اية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا فعلنا ذلك او
معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظيم قدرتنا ولنجعله اية الى اخره قالوا او على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة
لاظهار كمال الجلالة **ورحمة** كائنة عظيمة **منا** عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده **وكان** ذلك **امرا مقضيا** محكما قد
تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة
فحملته بان نفخ جبريل عليه السلام في درعها فدخلت النفخة في جوفها قيل انه عليه السلام رفع فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل
الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره
وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته وسنها حينئذ ثلاث عشر سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين
فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله ٭ تدوس بنا الجماجم والتريبا ٭ فالجار والمجرور في حيز النصب
على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به **مكانا قصيا** بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل **فاجاءها المخاض**
اي الجاها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كاعطى وقرى المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد في
بطنها للخروج **الى جذع النخلة** لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة
وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها
ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافق لها **قالت يا ليتني مت** بكسر الميم من مات يمات كخاف وقرى بضمها من
مات يموت **قبل هذا** الذي لقيت منه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم
استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر
عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم اك شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده
امه **وكنت نسيا** اي شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرى بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر
اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرى نسا كعصا **منسيا** لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت
للمبالغة وقرى بكسر الميم اتباعا للسين **فناداها** اي جبريل عليه السلام **من تحتها** قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اي من مكان
اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرى فخاطبها بفتح الميم **الا تحزني** اي لا تحزني على ان ان مفسرة
او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار **قد جعل ربك تحتك** اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري جرى وان امرته
بالامساك امسك **سريا** نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه السلام ضرب برجله الارض فظهرت ماء
عين عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان نهرا يابسا اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت
نخلة يابسة لا راس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها اذ ذاك راسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو
الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا سيدا نبيلا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه السلام فالتنوين للتفخيم
والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل التسلية
وهزي هز الشيء تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد هاهنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى **اليك** اي الى
جهتك والباء في قوله عز وعلا **بجذع النخلة** صلة للتاكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الى اخره قال الفراء تقول العرب
هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام او للالصاق الفعل بمدخولها اي افعلي الهز به او هزي الثمرة به وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا
من مفعول الهز اي هزي عليك الرطب كائنا بجذعها **تساقط** اي تتساقط النخلة **عليك** اسقاطا متواترا من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط

باظهار التاين وتساقط بطرح التانية وتساقط بادغامها في السين وتساقط باليا كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التا في
الكل للنخلة واليا للجذع وقوله تعالى رطبا على القراات الثلاث الاول مفعول وعلى الست الباقي تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما
قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتنا وقيل بمعنى اي رطبا طيبا وقرى جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلي واشربي اي
ذلك الرطب وما السري او من الرطب وعصيره وقري عينا طيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما احتلج
في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسايط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم
الى الوقوف على سريرة امرك وقرى بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه من
النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة العين حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا
اي ادميا كاينا من كان وقرى ترين على لغة من يقول لبات بالحج لما بين الهمزة واليا من التاخي فقولي له ان استنطقك اني نذرت للرحمن صوما
اي صمتا وقد قرى كذلك او صياما بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اي بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملايكة واناجي ربي وقيل امرت بان
تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفرا العرب تسمي كل ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يوكد بالمصدر فاذا اكد
لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك كراهة مجادلة السفها والاكتفا بكلام عيسى عليه السلام فانه نص قاطع في قطع الطعن
فاتت به قومها اذ جاتهم مع ولدها راجعة اليهم عندما طهرت من نفاسها تحمله اي حاملة له قالوا متوبخين لها يا مريم لقد جيت اي فعلت
شيا فريا اي عظيما بديعا منكرا من فري الجلد او قطعه او جيت مجيا عجيبا عبر عنه بالشي تحقيقا للاستغراب يا اخت هرون استيناف
لتجديد التعيير وتاكيد التوبيخ عنوا به هارون النبي عليه السلام وكانت من اعقابه من كان معه في الطبقة الاخرة وقيل كانت من نسله
وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او سموها به ما كان ابوك
امرا سو وما كانت امك بغيا تقرير لكون ما جات به فريا منكرا وتنبيه على ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت
اليه اي عيسى عليه السلام ان كلموه والظاهر انها بينت حينيذ نذرها وانها بمعزل عن محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المامور
به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما ما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد
فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان الايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو هنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق
للتعجب وقيل هي زايدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او هي تامة او دايمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استيناف
مبني على سوال نشا من سياق النظم الكريم فاذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام اني عبد الله انطقه الله عز وجل بذلك اثر ذي
اثير تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي رضي الله عنه لما اشارت اليه غضبوا
وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروي انه عليه الصلاة والسلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على
يساره واشار بسبابته فقال لما قال الى اخره وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان اتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني
نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلاثة اما باعتبار ما سبق في القضا المحتوم او بجعل
ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل اكمله الله عقلا واستنباه طفلا اينما كنت اي حيث ما كنت واوصاني بالصلاة اي امرني بها امرا
موكدا والزكاة زكاة المال ان ملكته او بتطهير النفس عن الرذايل ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطف على مباركا اي جعلني بارا بها وقرى
بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويويده القراة بالكسر عطفا على الصلاة والزكاة
والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تعالى لفرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى
على ان التعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدايه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده
كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من
معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة من غيره ونزوله منزلة الشاهد المحسوس عيسى ابن مريم لا ما
يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على

انه

انه مصدر موكد لقال اني عبد الله الى اخره وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرى بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف اي هو القول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او
خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرى قال الحق وقول الحق والقول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون اي يشكون اذ يتنازعون له
فتقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وتعالى وقرى بتا الخطاب ما كان لله اي ما صح وما استقام له ان يتخذ من ولد سبحانه
تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شانه تعالى اذا قضى
امرا من الامور ان يتعلق به ارادته فيكون حينيذ بلا تاخير فمن يكون هذا شانه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرى فيكون بالنصب على الجواب
وقوله تعالى وان الله ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى قيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرى بغير واو
وقرى بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه لقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف
على الصلاة هذا اي الذي ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفا في قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها
على ما قبلها تنبيها على سو صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشا للاختلاف فان ما حكي من قول عيسى عليه السلام مع كونها نصوصا
قاطعة في كونه عبده ورسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى
فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السما تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية
هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم
اي من شهود يوم الهول والحساب والجزا وهو يوم القيامة او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان
يشهد عليهم الملايكة والانبيا عليهم السلام والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم وساير ارابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من
مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب من شدة سمعهم وابصارهم يوميذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم
يوم ياتوننا للحساب والجزاء اي يوم القيامة جديران يتعجب منهما بعدان كانوا في الدنيا صما وعميا او تهديدا بما سيسمعون ويبصرون يوميذ
وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب
لكن الظالمون اليوم اي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير
للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسي فعلى اسااته واما المحسن فعلى قلة
احسانه اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن ذلك فقال حين يجا
بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة
فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم
فكيف بالظرف وهم في غفلة اي عما يفعل بهم في الاخرة وهم لا يومنون وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين
اي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مومنين فتكون حالا متضمنة لمعنى
التعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها اي لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافنا والاهلاك توفي
الوارث لارثه والينا يرجعون اي يردون الى الجزا لا الى غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب اي في السورة او
في القران ابراهيم اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم لقوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام فعساهم
باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبايح انه كان صديقا ملازما للصدق في كل ما ياتي ويذر او كثير الصدق للكثرة ما صدق به من
غيوب الله تعالى واياته ورسله والجملة استيناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر
اخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبى عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الاية اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا
الترتيب للمبالغة للاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق اذ قال بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض
مقرر لما قبله او متعلق بكان او نبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اي كان جامعا

بين الاثرين حين قال لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اي يا ابي فان التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك وجؤارك اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا ولا يغني اي لا يقدر على ان يغني عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف قال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني اهدك صراطا سويا اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم وانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها ويغريك عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله تعالى يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا اي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بامره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال ابوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم اي امعرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير فيه وقوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني اي فاحذرني واتركني مليا اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال استئناف كما سبق سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي اي استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحذور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا ترى انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم عليه السلام وكذا قوله تعالى لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة

التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او لموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ترد في شأن الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله النهي اصلا فان الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل لان المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم اي اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي وادعو ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله تعالى رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السباق والسياق عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحاق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسماعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاه الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو اعداد كثير هذا وقد روي انه عليه السلام لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحاق وولد لاسحاق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر وكلا اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد جعلهم انبياء للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احدا من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسماعيل عليه السلام لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليه السلام انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه اي قربناه وقيل مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا اي من اجل رأفتنا ورحمتنا او بعض رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي لا نفسه لانه كان اسن منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هارون عطف بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسماعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله

ان شا الله صابرا او في وكان رسولا نبيا فيه دلالة علي ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم عليهم السلام
كانوا علي شريعته وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل علي نفسه وعلي من هو اقرب
الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلاة والزكاة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الي تكميل الكل بتكميلهم
لانهم قدوة يوتسي بهم وقيل اهله امته فان الانبيا عليهم ابا الامم وكان عند ربه مرضيا لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر
من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس
عليهم السلام وهو اشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته
روي انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم وتسطر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق في جميع
احواله نبيا خبر اخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفي عند الله عز وجل وقيل
علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السما السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره
في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب قد مشيت بها يوما وقد اصابني ما اصابني فكيف من
يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي
قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك حملها وحرها قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الي السما
اولئك اشارة الي المذكورين في السورة المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله
تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدنيوية والدينية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان
للموصول وقوله تعالى من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبيا واخص من
الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم ما عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن
ذرية ابراهيم وهم الباقون واسرائيل عطف علي ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل علي ان اولاد
البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اي ومن جملة من هديناهم الي الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم ايات الرحمن
خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئنافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم
من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفي من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين
عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو
والياء وسبق احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت اليا في اليا وحركت الكاف بالكسر المجانس للياء وقري يتلى بالياء التحتانية لان
التانيث غير حقيقي وقري بكيا بكسر البا للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق بها ههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك
المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وفي اية الاسرا يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي
اية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم
خلف يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب السو خلف بالسكون اي فعقبهم وجا بعدهم عقب سو اضاعوا الصلوة وقيل وقري
الصلوات تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي وعن
علي رضي الله عنه هم من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اي شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله

۞ فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ۞ ومن يغو لا يعدم علي الغي لائما ۞

وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى
الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل علي ان الاية في حق الكفرة فاولئك اشارة الي الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم وقري يدخلون علي
البنا للمفعول ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه علي ان كفرهم السابق لا يضرهم

ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض ونصب علي المدح وقري بالرفع علي انه
خبر لمبتدا محذوف اي هي او تلك جنات الي اخره او مبتدا خبره التي وعد الي اخره وقري جنة عدن نصبا او رفعا وعدن علم بمعنى العدن
وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعانيها المعينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس تجري كذلك
مجرى العدن او هو علم الارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه
بقوله تعالى التي وعد الرحمن عباده وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا علي ان البدل بالمشتق
ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والبا في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر
هو حال من المضمر العايد الي الجنات او من عباده اي وعدها اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اي موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه
الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل ماتيا اي ياتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل
وقيل ماتيا اي مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا فعله لا يسمعون فيها لغوا اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور
اللغو عن اهلها وفيه تنبيه علي ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة
عليهم او تسليم بعضهم علي بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغوا الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال
سماعهم له بالكلية كما في قوله

۞ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۞ بهن فلول من قراع الكتائب ۞

او علي ان معناه الدعا بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
وارد علي عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة وعشي تلك الجنة مبتدا وخبر جي به لتعظيم
شان الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث اي نورثها من عبادنا من
كان تقيا اي نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي علي الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل في التمليك والاستحقاق
من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل نورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا
واطاعوا زيادة في كرامتهم وقري نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل عليه السلام حين استبطاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما سيل عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فابطا عليه اربعين يوما او
خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية وسورة
الضحى والتنزل النزول علي مهل لانه مطاوع للتنزيل وقد يطلق علي مطلق النزول كما يطلق التنزيل علي الانزال والمعنى وما نتنزل وقتا غب
وقت الا بامر الله تعالى علي ما تقتضيه حكمته وقري وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو
ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الي مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك نسيا اي
تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن لعدم الامر به الا لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة
[illegible] عن التبليغ الي الكمال اللايق مضافا الي ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول
الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما نتنزل الجنة الا بامر الله ولطفه
وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم
من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما
بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض كيف يتصور ان يحوم حول ساحة سبحانه الغفلة والنسيان
وهو خبر مبتدا محذوف او بدل من ربك والفا في قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامرين علي ما قبلها
من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له صلى الله عليه وسلم او غير ناس اعمال العاملين والمعنى
فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الي اخره فان ايجاب معرفته كذلك لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفت انه تعالى
لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل علي عبادته واصطبر علي مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه

مراقبك ومراعيك وتلطف بك في الدنيا والاخرة وتعديه الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلا كما في قوله تعالى واصطبر عليها
لتضمنه معنى الثبات والعبادة فيما تورد عليه من الشدايد والمشاق كقولك للبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من
شداته **هل تعلم له سميا** السمي هو الشريك في الاسم والظاهر ان يراد به الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات
والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم نفيه على ابلغ وجه واكده والجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل
لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفا اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك
في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق والمعنى هل تعلم شيا يسمى بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير
الجملة لوجوب العبادة حينيذ باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر **ويقول الانسان** المراد به اما
الجنس باسره واسناده القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد
منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة وابي بن خلف اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه
الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد **ايذا ما مت لسوف اخرج حيا** اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاوه حرف
الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله وهي هاهنا مخلصة
للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرى اذا ما مت بهمزة واحدة
مكسورة على الخبر **اولا يذكر الانسان** من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية
من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شوون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك
العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه اي القول ذلك ولا يذكر **انا خلقناه من قبل** اي
من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقايه **ولم يك شيا** اي والحال انه لم يكن حينيذ شيا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة النافية
للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجميع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع
فيما يقع فيه من النكير وقرى يذكر ويتذكر على الاصل **فوربك** اقسامه باسمه عزت اسماوه مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتحقيق
الامر بالاشعار بعليته وتفخيم شانه صلى الله عليه وسلم ورفع منزلته **لنحشرنهم** لنجمعن القايلين بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم
من الارض احيا ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما
بعد ذلك من الاهوال **والشياطين** معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنايهم من الشياطين التي
كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القايل بعض افراده **ثم لنحضرنهم حول جهنم**
جثيا ليرى السعدا ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقيا ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا
غيظا من رجوع السعدا عنهم الى دار الثواب وشماتتهم به والجثي جمع جاث من جثي اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل
اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت التا فانقلبت الواو الاولى يا لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو ويا وسبقت احداهما بالسكون
فقلبت الواو يا وادغمت فيها اليا الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرى بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي نحضرهم
حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب
فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان
الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطي جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة **ثم لننزعن من كل**
شيعة اي من كل امة شاعت دينا من الاديان **ايهم اشد على الرحمن عتيا** اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد
تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من طايفة اعصاهم واعتاهم
فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كل منهم طبقتها اللايقة بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كساير

الموصولات

الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل
بننزعن ولذلك قرى منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتدا على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن
بعض كل شيعة لقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كانه سايلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق
بافعل وكذا البا في قوله تعالى **ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا** اي هم اولى بصليها وصليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان
يكون يراد بهم وباشدهم عتيا روسا المشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم فاصليهم اولى طايفتي صنعة وعلا الاصم الصاد **وان منكم**
التفات لاظهار مزيد الاعتنا بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويويد الاول انه قرى وان منهم اي ما
منكم ايها الانسان **الا واردها** اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المومنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه صلى الله عليه
وسلم سيل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي
خامدة واما قوله تعالى اوليك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها **كان** ورودهم
اياها **على ربك حتما مقضيا** اي امرا محتوما اوجبه الله تعالى على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه **ثم ننجي الذين**
اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرى ننجي بالتخفيف وينجي على
البنا للمفعول وقرى ثم ننجي بفتح الثا اي هناك ننجيهم **ونذر الظالمين** بالكفر والمعاصي **فيها جثيا** منهارهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد
ورود الجثو حواليها وان المومنين يفارقون الكفرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الكفرة فيها على هيآتهم وقوله تعالى **واذا تتلى عليهم اياتنا** الاية
الى اخرها حكاية لما قالوا عند سماع الايات الناعية عليهم بفظاعة حالهم ووخامة مالهم اي واذا تتلى عليهم على المشركين اياتنا التي من جملتها
هاتيك الايات الناطقة بحسن حال المومنين وسو حال الكفرة وقوله تعالى **بينات** اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او
ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات حال موكدة من اياتنا **قال الذين كفروا** اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم
قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا انهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحرث واتباعه الفجرة
واللام في قوله تعالى وقال الذين كفروا **للذين آمنوا** لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس
في حق المومنين فقط كما ينطق به قوله تعالى **اي الفريقين** اي المومنين والكافرين كانهم قالوا اينا **خير** نحن وانتم **مقاما** اي مكانا وقرى بضم
الميم اي موضع اقامة ومنزل **واحسن نديا** اي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين
الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقرا المومنين يريدون بذلك ان خيرهم حالا واحسنهم مقاما لا يحتمل الانكار وان كان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه
ولقاهم عنده اذ هو العيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته ان المومنين به تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا
القياس العقيم والراي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهة بقوله
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورييا اي كثيرا من القرون التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد
وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هولا اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما اتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد
والوعيد ما لا يخفى كانه قيل فلينتظر هولا ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم
يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا ورييا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة وهو
متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورث والري المنظر فعل من الروية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرى على قلب الهمزة يا
وادغامها او على انها من الري وهو النعمة والترفه وقرى ريا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فانه عبارة
عن المحاسن المجموعة **قل من كان في الضلالة** لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان هولا المفتخرين بما لهم من الحظوظ بيان مال امر الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذة
الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذمهم والاشعار بعلة الحكم اي من كان
مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور **فليمدد له الرحمن مدا** اي يمد له ويمهله بطول العمر واعطا المال والتمكين

من التصرفات في خراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغي ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبي عنه قوله عز
وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وللاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعا بالمد والتنفيس
واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما
ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى **حتى اذا راوا ما يوعدون** غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد
بحسب الظاهر الذات وهو ظاهر والاستمرار بحسب الاستكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين اعتبار معنى من كما ان
الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى **اما العذاب واما الساعة** تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما
العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة
منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى **فسيعلمون** جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اي
حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي او الاخروي فقط فسيعلمون حينئذ **من هو شر مكانا** من الفريقين بان يشاهدوا الامر
على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما **واضعف جندا** اي فيه وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس
المراد ان له ثمة جندا ضعفا كلا ولم يكن له فية ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا
من الاعيان وانصارا من الاحبار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** كلام مستانف سيق لبيان
حال المهتدين اثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين
هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة
ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المومن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى **والباقيات
الصالحات خير** على تقدير الاستيناف والعطف كلام مستانف وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام
الملقن لقوله تعالى **عند ربك** اي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه صلى الله عليه وسلم **ثوابا**
اي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لاسيما وما لها النعيم المقيم وما لهذه الحسرة السرمدية والعذاب
الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى **وخير مردا** اي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتنا ببيان الخيرية وتاكيدها وفي التفضيل مع ان ما
للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم **افرايت الذي كفر باياتنا** اي باياتنا التي من جملتها ايات البعث نزلت في العاص
ابن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثتني
فيكون ثمة لي مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا اكفر به حتى يميتك ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت
وابعث فاوتي مالا وولدا فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجب من حالة والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى
منها العجب ومن فرق بين الم تر وارايت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجب بان الاول تعلق بنفس المتعجب منه فيقال
الم تر الى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني تعلق بمثل المتعجب منه فقال ارايت مثل الذي صنع كذا بمعنى انه من
الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقط حفظ شيا او غابت عنه اشيا وكانه ذهب اليه قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين والفا
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انظرت فرايت الذي كفر باياتنا الباهرة التي حقها ان يومن بها كل من يشاهدها **وقال** مستهزئا بها
مصدرا الكلام باليمين الفاجرة والله **لاوتين** في الاخرة **مالا وولدا** اي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجراته الشنيعة
هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان ارايت في معنى اخبر بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه
من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى **اطلع
الغيب** رد لكلمته الشنعا واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجيب منها اي قد بلغ من عظمة الشان الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي
استاثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يوتى في الاخرة مالا وولدا واقسم عليه **ام اتخذ عند الرحمن عهدا** بذلك فانه لا يتوصل الى

العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة
الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب ما منطوق كلامه كما ان كلامه مع جناب
كان كذلك وقوله تعالى **كلا** ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطابه **سنكتب ما يقول** اي سنظهر ما كتبنا قوله كقوله
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ۝ اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة
لا تكاد تتاخر عن القول لقوله عز وجل ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الامر
المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤوس الاشهاد باحداثها
ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا **ونمد له من العذاب مدا** مكان ما يدعيه لنفسه من
الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب ما يستحقه ونزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه وتعالى واستهزائه
باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب **ونرثه** بموته **ما يقول** اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من
المال والولد وفيه ايذان بانه ليس مما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه ما اتيناه **ويأتينا يوم القيمة فردا** لا يصحبه مال ولا
ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم ان يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه والياء معنى الارث وقيل
المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا
له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبني على ان صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه
ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق ارادته بالمحال **واتخذوا من دون الله الهة** حكاية
لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المتبوع واستتباعها لنقيض مضمونها اي اتخذوا
الاصنام الهة متجاوزين الله تعالى **ليكونوا لهم عزا** اي ليتعززوا بهم فليكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعا عنده **كلا** ردع لهم في ذلك
الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة **سيكفرون بعبادتهم** اي سيجحد الالهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى
وتقول ما عبدتمونا او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى
ويكونون عليهم ضدا على الاول يكون الالهة التي كانوا يرجون ان يكون لهم عزا ضد العز اي ذلا وهوانا ويكون عونا عليهم والة لعذابهم
حيث يجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه
باعانته له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضدا واعداء للالهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى
الذي عليه مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب
نونا في الوقف قلب الالف الاطلاق في قوله ۝

اقلي اللوم عاذل والعتابن ۝ وقولي ان اصبت فقد اصابن ۝

او على معنى كل هذا الراي كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الى اخره **الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الايات الكريمة السالفة وحكت عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة
من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والافراد في العناد والتصميم على الكفر من غير
صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على موافقة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال
الشياطين واضلالهم لان له مسوغا في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم
وليس المراد تعجيبه صلى الله عليه وسلم من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من اثار اغواء
الشياطين كما ينبي عنه قوله تعالى **تؤزهم ازا** فانه اما حال مقدرة من الشياطين او استيناف وقع جوابا عما نشا من صدر الكلام كانه قيل
ماذا تفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الاز
والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج **فلا تعجل عليهم** اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن اخرهم وتطهر

الارض عن فساد اثم والفا للاشعار عن ان يكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى انما نعد لهم عدا
تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تستعجلوا بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب
على الظرفية بفعل موخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه وكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة
كانه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه كما تفد الوفود على الملوك منتظرين
لكراماتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا اعطاشا فان من يرد الما لا يورده الا العطش او كالدواب التي ترد الما نفعل
بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم
بطريق الترغيب يوم نحشر الى اخره وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة
التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استينافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضميره عائد الى العباد
المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين
مصدر من المبني للفاعل وعلى الثاني ينبغي ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثنا
متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل والنصب على اصل الاستثنا والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له
بالتحلي بالايمان والتقوى او من امره بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى
المودي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثنا من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثنا اي لا يملك
المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثنا من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع
على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون من يشفع لهم الا من كان مسلما وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى
ومن زعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله
تعالى لقد جئتم شيا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبي عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية
التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر واداني
اثقلني وعظم علي اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جا واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى تكاد
السموات الى اخره صفة لادا او استيناف ببيان عظم شانه في الشدة والهول وقرى يكاد بالتذكير يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى
من عظم ذلك الامر وقرى ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض
اي وتكاد تنشق الارض وتخر الجبال اي تسقط وتهد هدا مصدر موكد لمحذوف هو حال من الجبال اي تهد هدا او مصدر
من المبني للمفعول موكد لتخر على غير المصدر لانه بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على
الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعا وعظمها بحيث لو تصورت بصورة
محسوسة لا تطيق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها في استجلاب الغضب او استيجاب السخط بحيث لولا
حلمه تعالى لخرب العالم وبدد قوايمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها
اي تكاد السموات ينفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير
المجرور في منه كما في قوله ٭ على جوده لضن بالما حاتم ٭ وقيل خبر مبتدا محذوف اي الموجب لذلك ان دعوا الى اخره وقيل
فاعل هدا اي هدها ادعا الولد والاول هو الاول ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما
ليتناول كل ما ادعي له ولدا او من دعى بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا
حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال
انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان
كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدا النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح

به قوله عز وجل ان كل من في السموات والارض اي ما منهم احد من الملائكة والثقلين الا اتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك
له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من
حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدا اي عد اشخاصهم وانفاسهم واحوالهم وكل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا
اي كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم لذلك البتة ما ليس في صيغة
المضارع لو قيل ياتيه فاذا كان شانه تعالى وشانهم كما ذكر فاني يتوهم احتمال ان يتخذ شيا منهم ولدا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المومنين فقال سيجعل لهم الرحمن ودا اي سيحدث لهم في القلوب مودة
من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله
عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السما ان الله احب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السما ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم
انجزه حين جا الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على روس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان
في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيوتون يوم القيمة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع منهم يوميذ تباغض
وتضاد وتقاطع وتلاعن فانما يسرناه اي القران بلسانك بان انزلناه على لغتك والبا بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اي
يسرناه القران منزلين له بلغتك والفا لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايحا هذه السورة الكريمة بلغ هذا
المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين لتبشر به المتقين اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر
والنهي وتنذر به قوما لدا لا يومنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له صلى الله عليه وسلم على
الانذار اي قرنا كثيرا اهلكنا قبل هولا المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استيناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل
تشعر باحد منهم وترى او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفا ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز
المال المدفون والمخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية واستاصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع لهم صوت خفي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وساير الانبيا المذكورين
فيها وبعدد من دعا الله تعالى ومن لم يدع والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطا وحده ابو عمرو و
ورش لاستعلايه واما لهما الباقون وهو من الفواتح التي يصدر بها السورة الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل
وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية
وعند : على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل
اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب اليا طا وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر

٭ ان السفاهة طه من خلايقكم ٭ لا قدس الله اخلاق الملاعين ٭

ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طاها بصيغة الامر من الوطي فقلبت الهمزة في يطا
الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال ٭ لا هناك المرتع ٭ وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يطا الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يا باه كتابتهما على صورة الحرف كما ياباه
التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون اللفظ بخلافه من خصايص حروف المعجم وقرئ طه اما على ان اصله طا فقلبت
همزته ها كما في اراق هرقت او قلبت الهمزة في يطا الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق به ها السكت واما على انه اكتفى في التلفظ

تسطري الاسمين واقيا مقامهما في الدلالة على المسميين فكانهما اسماؤهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال او اكتفى
بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمها والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما لايقعان معبرا عنهما بل من حيث انهما جزآن لهما
وقد اكتفي بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بضمير التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان
لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسمها الشطران من حيث هما قايمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفي بشطري الكلمتين اي الاسمين فعبر عنهما
اي عن الشطرين حيث هما قايمان مقام الاسمين وانما حمله على معنى انه اكتفي في الكتابة بشطري الكلمتين يعني لما على تقديري كونه امرا وكونه
حرف نداوها على تقدير كونها كناية عن الارض وكونها حرف تنبيه وعبر عنه بتلك الشطرين في التلفظ باسمهما فبين البطلان كيف وطاوها
على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر وحرف ندا والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف
والتلفظ بغير من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف من انها من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة
البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى **ما انزلنا عليك القران لتشقى** فانه استئناف مسوق لتسلية صلى الله عليه
وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقا شايع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رايض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة
في مكابرة الشدايد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التاسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا لقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك
على اثارهم الاية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه صلى الله عليه وسلم عما كان من المبالغة في المجاهدة
كما يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تورم قدماه فقال له جبريل عليه السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه
عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشدايد الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث
قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك شقي حيث تركت دين ابائك وان القران نزل عليك لتشقى فرد ذلك فانا ما انزلناه عليك كما قالوا والاول
هو الانسب كما يشهد به الاستثنا الاتي هذا واما اسم للقران محله الرفع على انه مبتدا ما بعده خبره والقران ظاهر اوقع موقع العايد الى
المبتدا كانه قيل القران ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين
يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدا يبقى حينئذ بلا عايد ولا قايم مقامه
فان القران صادق على السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج ان اريد به
الكل لان نفي كون انزاله للشقا يستدعي سبق وقوع الشقا مترتبا على انزاله قطعا اما بحسب الحقيقة كما اريد به معنى التعب او بحسب زعم
الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب
الشقا السابق عليه حتى يتصدى لنفيه عنه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان ماله ان يقال هذه السورة ما انزلنا
القران المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انها لا دخل لانزالها في الشقا السابق اصلا مما لا يليق بشان التنزيل الجليل
وقوله تعالى **الا تذكرة** نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقا على معنى ما انزلنا عليك القران لتتعب بتبليغه
الا تذكرة الاية كقولك ما ضربت للتاديب الا اشفاقا لما انه يجب في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة بالسببية حتما كما في
المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتاذى الا لزجر الغير فان التاديب في الاول سبب عن الاشفاق والتاذي في الثاني
سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقا والتذكرة من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في الجملة الجامع للتذكرة لظهور ان ملابسة
بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة الا تكثيرا لثوابك فان الاجر بقدر التعب ولا من حيث
انه بدل من محل لتشقى كما في قوله ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالها بل من حيث انه معطوف عليه بحسب
المعنى بعد نفيه بطريق الاستبدال الاستدراك المستفاد من الاستثنا المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة
لمن يخشى وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن شانه ان يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة
والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى **تنزيلا** مصدر مؤكد لمضمر مستانف مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا او لما تفيده الجملة الاستثنائية
فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب لما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب

يخشى

بيخشى على المفعولية اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية ونظايرها بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد تعلق
ذلك ببعض اجزايه المشتملة على الوعيد ونظايرها كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم وقيل
هو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشي بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال
من الكاف في عليك او من القران ولا مساغ له الا ان يكون قيد الانزلنا بعد تقييده بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل
على انه خبر مبتدا محذوف ومن في قوله تعالى **ممن خلق الارض والسموات العلى** متعلق بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة
لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص
خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض الاية لاصالتهما واستتباعهما
لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة
مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسما الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل
الداعي الى تربية المهابة وادخال الروعة المودية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية له
المفضية الى التذكر والايمان **الرحمن** رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة ان المرفوع مدحا في حكم
الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدا ليكون في صورة متعلق من متعلقاته
وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من ان الاسما الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين واياما كان
فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالق السموات والارض للاشعار بان خلقهما من اثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القران ايضا من احكام رحمته كما ينبئ عنه
قوله عز وجل الرحمن علم القران او رفع على الابتدا واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى **على العرش استوى** وجعل
الرحمة عنوان الموضوع الذي شانه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة به غني عن الاخبار
به صريحا وعلى متعلقة باستوى وقدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدا محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز
ان يكون خبرا بعد خبر والاستوا على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى
فلان على سرير الملك ويراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكاينات وتدبير امرها
وقوله تعالى **له ما في السموات وما في الارض** سوا كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما **وما بينهما** من الموجودات الكاينة في الجو دايما
كالهوى والسحاب او اكثريا كالطير اي وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا لا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحيا واماتة وايجادا واعداما
وما تحت الثرى اي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير روي عن محمد بن كعب انه قال ما تحت الارضين السبع
وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة **وان تجهر بالقول** بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشيا اثر بيان سلطنته
وشمول قدرته لجميع الكاينات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعايه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك **فانه يعلم السر واخفى** اي ما اسررته الى
غيرك وشيا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيما سياتي
وتنكيره للمبالغة في الخفا وهذا اما نهي عن الجهر لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد
الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه وتعالى بل لغرض اخر من تصوير النفس وتثبيته فيها ومنعه من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها
وهضمها بالتضرع والجوار وقوله تعالى **الله** خبر مبتدا محذوف والجملة استيناف مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك
المنعوت بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى **لا اله الا هو** تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله
من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما
يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى **له الاسما الحسنى** بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماؤه وصفاته

من غير تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا نهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الهين اخر
واجمع من المذكر كما رب اخرى وآياتنا الكبرى **وهل اتاك حديث موسى** استئناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق
الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه
ختم صلى الله عليه وسلم مقاله حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك ترغيب النبي عليه مقاساة الخطوب
في تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لصرفه صلى الله عليه وسلم عن اقتحام المشاق وقوله تعالى **اذ راى نارا** ظرف
للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين راى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اي اذكر وقت رؤيته نارا روي انه عليه السلام
استاذن شعيبا عليه السلام في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى
وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده
وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك اذ راى نارا على يسار الطريق من جانب الطور **فقال لاهله امكثوا** اي اقيموا مكانكم امرهم عليه
السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع اخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب
للمراة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال ٭ وان شئت حرمت النساء سواكم ٭ **اني
انست نارا** اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر والمامور به **لعلي اتيكم منها**
اي اجيئكم من النار **بقبس** اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس **او اجد على النار
هدى** هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اي ذا هداية على انه اذا وجد الهادي فقد وجد
الهدى وقيل هاديا يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار معمورة بالهمة الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو
الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة الاية وكلمة او في
الموضعين لمنع الخلو دون معنى الجمع ومنع الاستعلاء في قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها اولانهم عند الاصطلاء
بها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي اما علة لفعل قد حذف
ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم اي فاذهب اليها لاتيكم او كي اتيكم كما قيل في ان اتيكم
منها بقبس الاية قد مر تحقيق ذلك تفصيلا في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون **فلما
اتاها** اي النار التي انسها قال ابن عباس رضي الله عنهما راى شجرة خضراء اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوا ما يكون
فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها ~~وشدة خضرة الشجر فلا النار
تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة~~ بتغيير قالوا النار اربعة اصناف صنف ياكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب وهي نار الشجر
الاخضر وصنف ياكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا ياكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام وقالوا ايضا هي اربعة انواع
نوع له نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع
له احراق بلا نور وهي نار الجحيم روي ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت ثمرة **نودي يا موسى** اي نودي فقيل يا موسى **اني انا ربك**
او عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتاكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي
انه لما نودي يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال اني عرفت انه
كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لان سماع ما ليس من شانه ذلك من الاعضاء ليس الا من اثار
قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك لبدنه وانتقل الى
الحس المشترك وانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة **فاخلع نعليك** امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ابلغ في التواضع وحسن
الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانتا من جلد
حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى عليه السلام من موجبات

الامر

الامر ودواعيه وقوله تعالى **انك بالواد المقدس** تعليل لجواب الخلع المامور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف
البقعة وقدسها روي انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء الوادي **طوى** بضم الطاء غير منون وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن
نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثني من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرة بعد اخرى **وانا
اخترتك** اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى **فاستمع** لترتيب الامر
والمامور به واللام في قوله تعالى **لما يوحى** متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك
كما قيل لكن لما قيل انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد حينئذ من اعادة الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى **انني انا الله لا اله
الا انا** بدل مما يوحى ولا ريب في ان اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى **فاعبدني** لترتيب المامور به على
ما قبلها فان اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل **واقم الصلاة** خصت الصلاة بالذكر
وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وذلك قوله تعالى **لذكري** اي لتذكرني فان ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلاة او لتذكرني فيها
لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا
اخر ولتكون ذاكرا لي غير ناس اياها وامري بها في الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكري لان الله تعالى يقول
واقم الصلاة لذكرى وقرئ لذكرى بالف التانيث وللذكر معرفا وللذكرى بالتعريف والتذكير وقوله تعالى **ان الساعة اتية** تعليل
لوجوب العبادة واقامة الصلاة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض امر محقق متوجه
نحو المخاطبين **اكاد اخفيها** اي لا اظهرها بان اقول بانها اتية ولولا ان في ذلك الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت
او اكاد اظهرها بايقاعها من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه من الاضداد
يجيء بمعنى الاظهار والستر في قوله تعالى **لتجزى كل نفس بما تسعى** متعلق باتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية
اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المخصوص بها وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه تجزى كل نفس بما صدر عنها سواء كان
سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العذاب
بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المامور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان
تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم
المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخير لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع على ذلك
النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة موجب العمل بموجبه لا يحيد
احد عن سننه المبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف
واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو
عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل **فلا يصدنك عنها** اي عن ذكر الساعة ومراقبتها
وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشان موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى
من لا يؤمن بها لما مر مرارا من ان الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند
وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد
موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء
ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد الكافر حيث كان سببا
لانصداده عليه السلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن السبب وارادة النهي عن

السبب على ان يراد نهيه عليه السلام على الطف وجه كما في قوله لا اريتك ها
هنا فان المراد به نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته **واتبع هواه** اي ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية **فتردى** اي
فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف اي فانت تردى **وما تلك بيمينك يا موسى** شروع في حكاية ما كلمه عليه السلام من الامور المتعلقة بالحوائج حكاية
لما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى وهو اوفق بالجواب
وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك قارة ومأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخا وقيل تلك موصول
اي ما التي هي بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التانيس
والتنبيه **قال هي عصاي** نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصي
على لغة هذيل **اتوكأ عليها** اي اعتمد عند الاعيا عليها والوقوف على راس القطيع **واهش بها** اي اخبط الورق واسقطه **على غنمي** وقرئ اهش
بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الاقبال
والاقبال اي ازجرها منحيا ومقبلا عليها **ولي فيها مآرب اخرى** اي حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا
سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والجلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى
عليهما الكساء واستظل به واذا قصر الرشا وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين
ومحجن فاذا طال الغصن حناه المحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل
منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها ايات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى
وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها
ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال العليم الخبير **قال القها يا موسى** لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتاكيد
التنبيه **فالقاها** على الارض **فاذا هي حية تسعى** روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت
فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو
الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما
صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة **قال** استئناف كما سبق **خذها ولا تخف** مشاهدة الاحوال والمخاوف من الفزع والنفار
وفي عطف الامر على النهي اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المامور به فقط وقوله تعالى **سنعيدها سيرتها الاولى**
مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات احدهما وعدم الخوف مع عدة كريمة باظهار
معجزة اخرى على يده عليه السلام واذان بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمانينة من امره ولا تعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون
اي سنعيدها الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية وقيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده
في فمها وياخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول
من عاد بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت
من قبل تسير سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع من قبل بها كما كنت تنتفع من قبل **واضمم يدك الى جناحك** امر عليه السلام
بذلك بعد ما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار
من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى **تخرج** جواب الامر وقوله تعالى **بيضاء** حال من الضمير فيه
وقوله تعالى **من غير سوء** متعلق بمحذوف وهو حال من الضمير في بيضاء او كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن العورة لما ان
الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر **آية اخرى**
اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في

الجار

الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك وقوله تعالى **لنريك من آياتنا الكبرى** متعلق بمضمر ينساق اليه
النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا او نريك بذلك
من آياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك اي دللنا بها لنريك الى آخره او بقوله تعالى واضمم اي بقوله تخرج او بما قدر
من خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فعدي الى غرابة العصا عن وصف الكبر فقد بر **اذهب الى فرعون** تخلص الى ما هو المقصد
من تمهيد المقدمات السالفة فصلا عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رايته من الآيات الكبرى وادع الى عبادتي
وحذره نقمتي وقوله تعالى **انه طغى** تعليلا للامر او لوجوب المامور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظمة التي
هي دعوى الربوبية **قال** استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير
والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل **رب اشرح لي صدري ويسر لي امري** لما امره بما امره به من الخطب الجليل تضرع
الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون
الحق واحوال الخلق حليما حمولا ليستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح
وجأش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع
وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تاكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي
تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتنا بشان كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعا حصولهما له واختصاصهما به **واحلل عقدة من لساني**
روي انه كان في لسانه عليه الصلاة والسلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته فنتفها
لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها
في فيه قيل واحرقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرا ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت
عنها واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح مني
وهو قوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسال حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها
ووصفها بقوله من لساني اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى **يفقهوا قولي** جواب الامر وغرضا من الدعا فبحلها في
الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها اصلا بل يستدعي عدم البقا لان الافصحية توجب ثبوت اصل
الفصاحة في المفضول ايضا وذلك مناف للعقدة راسا واما في قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان
والا لدل على عدم ذواتها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله
تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها مقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق
بذلك الشيء ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتدا حصوله منه **واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي** اي موازرا يعاونني في تحمل اعبا
ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او ملجا اعتصم برايه على انه من الوزر وهو الملجا وقيل اصله ازير من الازر بمعنى
القوة فعيل بمعنى فاعل كالجليس والعشير قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول
الذي هو قوله تعالى هارون اعتنا بشان الوزارة ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل وهو
اهلي اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهارون عطف بيان اخر وقيل هما وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في
قوله ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدا وخبره
عنه بما بعده **اشدد به ازري واشركه في امري** كلاهما على صيغة الدعا اي احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون
على ادائها كما ينبغي وفصل الاول عن الدعا السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر
فحيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف **كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا** غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان فعل كل
واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتاييده

اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون
منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد
فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من اظهار الحق ما لا يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف اي
زمان محذوف اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية
من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون
واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده الكلام المقام **انك كنت بصيرا** اي
عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفتنه من اقامة مراسيم الرسالة وبان هارون نعم الردء في اداء ما امرت
به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل **قال قد اوتيت سؤلك** اي اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى
المخبوز والماكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره اياها حتما وكلها
حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر باعتبار قوله سنشد عضدك باخيك وقوله
تعالى **يا موسى** تشريف له عليه السلام لشرف الخطاب اثر تشريفه بقبول الدعاء وقوله تعالى **ولقد مننا عليك** كلام مستأنف مسوق لتقرير
ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه
وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا **مرة اخرى**
اي في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك موخر من هذا فان اخرى تانيث آخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة
واحدة من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من افراد ما له افراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في
ذلك معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي
ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى **اذ اوحينا الى امك ما يوحى** ظرف لمننا والمراد بالايحاء ما على لسان نبي في وقتها لقوله تعالى
واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم واما الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى
النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سياتي من الامر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشانه ثم فسر ليكون
اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحي وفيه انه لا يلائم المعنيين
الاخيرين للوحي اذ لا تأخير تفخيم لشانه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة في المنام وان في قوله تعالى **ان اقذفيه في التابوت** مفسرة
لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء اي بان اقذفيه ومعنى القذف ههنا الوضع واما في قوله تعالى **فاقذفيه في اليم** لما كان
القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر
والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل
التابوت تبعا له في ذلك **ياخذه عدو لي وعدو له** جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته له مع
تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر
بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما
يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه الى نهر فرعون لما روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته
في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فامر
به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى **والقيت عليك**
محبة مني كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالاضافية اي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في
القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل من متعلقة بالقيت اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته
القلوب وقوله تعالى **ولتصنع على عيني** متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي

او

او بفعل موخر وهو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتداة اي ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها وقرئ
بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على عيني لئلا تخالف به عن امري **اذ تمشي اختك** ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه
مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني اذ لا
شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف
وهو الانسب بما سياتي من قوله تعالى فنجيناك من الغم فان جميع ذلك من المنن الالهية وتعلق شيء منها بالصنع المذكور واما كونه ظرفا
لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت **فتقول** اي لفرعون
وآسية حين راتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية
هل ادلكم على من يكفله اي يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها روي انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما في
النيل لا يرتضع ثدي امراة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت
بامه فقبل ثديها والفاء في قوله تعالى **فرجعناك الى امك** فصيحة معربة عن محذوف قبلها تعطف عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها
فجاءت بامك فرجعناك اليها **كي تقر عينها** بلقائك **ولا تحزن** اي لا يطرأ عليها الحزن لفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور
المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها **وقتلت نفسا** وهي نفس القبطي الذي
استغاثه الاسرائيلي عليه **فنجيناك من الغم** اي غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء عنه بالمهاجرة
الى مدين **وفتناك فتونا** اي ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجور في حجرة وبدور في
بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي ان
سعيد بن جبير سال عنه ابن عباس فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه
في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة
فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل
وصوله عليه السلام الى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى **فلبثت سنين في اهل مدين** اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما
وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه عليه السلام في تضاعيف تلك السنين
العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحدة منها فتنة واي فتنة ومدين بلد شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر **ثم جئت**
اي المكان الذي اونس فيه النار ووقع فيه النداء والجؤار وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال
الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك **على قدر** اي على تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت عينته لذلك فما
جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو راس اربعين سنة
وقوله تعالى **يا موسى** تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله
تعالى **واصطنعتك لنفسي** تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه
تذكير المنن السالفة السابقة تأكيدا لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وجل من الكرامة العظمى
بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض اموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك
ونظيريه السابقين تمهيد لافراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص اي اصطنعتك برسالاتي
وبكلامي وقوله تعالى **اذهب انت واخوك** اي وليذهب اخوك حسبما استدعيته استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع
باياتي اي بمعجزاتي التي اريتكهما من اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات
مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى وكونه
مع ذلك مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية اخرى ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها في

نفسه اية وشفعاهما اية ثم رجوعهما الي حالتهما الاولي اية اخرى والبا للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الي فرعون ملتبسين
بالايات متمسكين بها في اجرا الاحكام الرسالة واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها او ايصالها اليه **ولا تنيا** لا تفترا ولا تقصرا
وقرى ولا تنيا بكسر التا للاتباع **في ذكري** بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعا الي وقيل المعنى
لا تنيا في تبليغ رسالتي فان الذكر يقع علي جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنسياني حيث تقلبتما واستمدا به العون له
والتاييد واعلما ان امرا من الامور لا يتاتي ولا يتسني الا بذكري **اذهبا الي فرعون** جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة هارون
اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه اوحي الي هارون وهو بمصر ان يتلقا موسي عليه السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه
انه طغى تعليل لموجب الامر والفا في قوله تعالي **فقولا له قولا لينا** لترتيب ما بعدها علي طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد
العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الي ان تزكي واهديك الي
ربك فانها دعوة في سورة عرض ومشورة ويرده ما سيجي من قوله تعالي فقولا انا رسولا ربك الايتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كني
ابو العباس وابو الوليد وابو مره وقيل عداه شبابا لا يهرم وبقي له لذة المشرب والمطعم والمنكح وملكا لا يزول الا بالموت وقرى
لينا **لعله يتذكر** بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه **او يخشى** عقابي ومحل الجملة النصب علي الحال من ضمير التثنية اي فقولا
له قولا لينا راجين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة من يرجوا او يطمع ان يثمر له ولا يخيب وهو يجتهد بطوقه
ويحتشد باقصي وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة **قالا ربنا** اسند القول اليهما مع ان القايل
حقيقة موسي عليه السلام بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل وتبعية هارون عليه السلام له في كل ما ياتي ويذر ويجوز
ان يكون هارون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسي عليه السلام له في كل ما ياتي عند نزول الاية كما في قوله تعالي يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة
استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب **اننا نخاف ان يفرط علينا** اي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الي تمام الدعوة واظهار
المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرى يفرط من افرطه اذا حمله علي العجلة اي نخاف ان يحمله حامل
من الاستكبار او الخوف علي الملك او غيرهما علي المعاجلة والعقاب **او ان يطغى** اي يزداد طغيانا الي ان يقول في شانك ما لا
ينبغي لكمال جراته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعني بدونه لاظهار كمال الاعتنا بالامر والاشعار
بتحقق الخوف من كل منهما **قال** استيناف مبني علي السوال الناشي من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الي ضمير الغيبة للاشعار
بانتقال الكلام من مساق الي مساق اخر فان ما قبله من الافعال الواردة علي صيغة التكلم لموسي عليه السلام بخلاف ما سياتي
من قوله تعالي قلنا لا تخف انك انت الاعلي فان ما قبله ايضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلي الله عليه وسلم كانه قيل فماذا
قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال **لا تخافا** ما توهمتما من الامرين وقوله تعالي **انني معكما** تعليل لموجب النهي ومزيد
تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبي عنه قوله تعالي **اسمع واري** اي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في
كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب خير ونفع ويجوز ان لا يقدر شي علي معني انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان
كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها **فاتياه** امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امر بالذهاب اليه فلا تكرار وهو
عطف علي لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده **فقولا انا رسولا ربك** امرا بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شانهما
ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالي والفا في قوله تعالي **فارسل معنا بني اسرائيل** لترتيب ما بعدها فان كونهما رسولي ربه
مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا
معهما الي الشام كما ينبي عنه قوله تعالي **ولا تعذبهم** اي بابقايهم علي ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستعملونهم
ويستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون ذكورهم عاما
دون عام ويستخدمون نساهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجي باية دالة علي صحتها لاظهار الاعتنا به مع ما فيه

من

من تهوين الامر علي فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة
ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجي الاية نوع طول كما تري فتاخيره لذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما
ما قيل من ان ذلك دليل علي ان تخليص المومنين من الكفرة اهم من دعوتهم الي الايمان فكلا **قد جيناك باية من ربك** تقرير لما
تضمنه الكلام السابق من دعوي الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيهما بالاية من جهته تعالي مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب
الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الي ضمير المخاطب لتاكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الاية
مع تعددها لان المراد اثبات الدعوي ببرهانها لا لبيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالي قد جيتكم ببينة وقوله تعالي او لو جيتك بشي
مبين واما قوله تعالي فات باية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها اية من الايات **والسلام** المستتبع لسلامة الدارين من الله
تعالي او الملايكة وغيرهم من المسلمين **علي من اتبع الهدى** بتصديق ايات الله تعالي الهادية الي الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما علي
الطف وجه ما لا يخفي **انا قد اوحي الينا** من جهة ربنا **ان العذاب** الدنيوي والاخروي **علي من كذب** اي باياته تعالي **وتولي** اي اعرض
عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه **قال** اي فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به
وانما طوي ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك تسارعا الي الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الي
التصريح به **فمن ربكما يا موسي** لم يضف الرب الي نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالي انا رسولا ربك وقوله تعالي قد جيناك باية من
ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالي للكل بان قالا
انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعرا والاقتصار هاهنا علي ذكر ربوبيته تعالي لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفا لترتيب
السوال علي ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما وتخصيص موسي عليه السلام مع توجيه
الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهارون وزيره واما ما قيل من ان ذلك قد عرف انه عليه السلام رتته فاراد ان يفحمه فيرده
ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والزعارة
كما مر **قال** اي موسي عليه السلام مجيبا له **ربنا** اما مبتدا وقوله تعالي **الذي اعطي كل شي خلقه** خبره او هو خبر لمبتدا محذوف والموصول
صفته واياما كان فلم يريد بالضمير المتكلم انفسهما حسبما وارد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق ورد اعليه كما يفصح عنه ما في حيز
الصلة اي هو ربنا الذي اعطي كل شي من الاشيا خلقه اي صورته وشكله اللايق بما نيط به من الخواص والمنافع واعطي مخلوقاته كل
شي يحتاج هو اليه ويرتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام واعطي كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر
والبعير بالناقة والرجل بالمراة ولم يزوج شيا من ذلك بخلاف جنسه وقري خلقه علي صيغة الماضي علي ان الجملة صفة للمضاف او
المضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار وللاهتمام علي الاول الذي كل شي خلقه الله تعالي لم يحرمه من عطايه وانعامه
او للاختصار من كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطي كل شي خلقه تعالي ما يحتاج اليه **ثم هدي** اي الي طريق الانتفاع
والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الي بقايه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات وطبعا كما في الجمادات والقوي الطبيعية
والنباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزا وتسوية الاجسام متقدما علي الهداية التي هي عبارة
عن ابداع القوي المحركة المبدعة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه علي نمط رايق
واسلوب لايق حيث بين انه تعالي عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشيا منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه لان ارساله
تعالي اياه الي الطاعة من جملة هدايته تعالي اياه بعد ان هداه الله تعالي الي الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وساير
المشاعر والالات الظاهرة والباطنة **قال فما بال القرون الاولي** لما شاهد هذا اللعين ما نظمه عليه السلام في سلك الاستدلال
من البرهان النير علي الطراز الرايع خاف ان يظهر للناس حقيقة مقالاته عليه السلام عن سننه الي ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق
لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسي يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الي ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة
فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جري عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم

مفصلا اما لاملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله تعالى واما ما قيل من انه سال عن حال من خلا من القرون وعن شقاوة من شقي منهم وسعادة من سعد فيا باه قوله تعالى **قال علمها عند ربي** فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤل عنه ما ذكر من الشقاوة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الايتين **في كتاب** اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون تلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظ العالم وقيده بالكتبة كما يلوح قوله تعالى **لا يضل ربي ولا ينسى** اي لا يخطي ابتدا ولا يذهب عليه بتعاليل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه ابتدا واظهار ربي في موضع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سياتي من الالتفات **الذي جعل لكم الارض مهادا** على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدا محذوف اي جعلها لكم كالمهد تمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم **وسلك لكم فيها سبلا** اي جعل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها حاجاتكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها **وانزل من السماء ماء** هو المطر **فاخرجنا به** اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتاتى الا من قادر مطاع عظيم الشان ينقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشيا المختلفة كما في قوله تعالى ان الله انزل من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قيل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم **ازواجا** اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض **من نبات** بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى **شتى** اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل من حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى **كلوا وارعوا انعامكم** حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين لكم كلوا وارعوا انعامكم اي معدينها لانتفاعكم بالذات او بالواسطة اذنين لكم **ان في ذلك** اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى **لايات** للتفخيم كما وكيفا اي لايات جليلة كثيرة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهارون عليهما السلام **لاولي النهى** جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما تدعيه الطاغية ويقبله منه الفئة الباغية وتخصيص كونها ايات بهم مع انها ايات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها **منها خلقناكم** اي في ضمن خلق ابيكم ادم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسايط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من النطفة **وفيها نعيدكم** بالاماتة وتفريق الاجزا وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها **ومنها نخرجكم تارة اخرى** بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلفة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات

المتجددة

المتجددة كما مر من المرة **ولقد اريناه** حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام من الدلائل بغاية الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة او الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الايات وتفخيم شانها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في العناد والمكابرة اي وبالله لقد بصرناه فرعون وعرفناه حين قال لموسى عليه السلام ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها اية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك باياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحدة منها داهية دهيا فانه روي انه عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاخر على سور القصر وتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت وفرعون يقول يا موسى الى اخره ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء ضياء نورانيا خارجا عن حد العادات قد غلب شعاعها شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الاتنتين ايات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه اياتنا بجميع مستتبعاتهما وتفاصيلهما قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الايات التسع منها لما انها قد ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة مترقب بعد وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الايات الظاهرة لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر الذي انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الايات الظاهرة على يد الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه وارادته اياها لاستحالة الكذب عليه عليه السلام وان حكايته اياها لفرعون مما لم يجر ذكرها ههنا على ان ما سياتي من حمل ما اظهره عليه السلام على السحر والتصدي للمعارضة بالمثل يابا اباء بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز جعل ما فصله عليه السلام من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية واحكامه من جملة الايات **فكذب** موسى عليه السلام من غير تردد وتاخير مع ما يشاهد ما في يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا **وابى** الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالايات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى **قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى** استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجي اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدي له اي اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب مجادلة المحال وانما قال ذلك ليحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام بابراز ان مراده عليه السلام ليس مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره عليه السلام من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثل ما اوتي به عليه السلام فقال **فلناتينك بسحر مثله** الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لناتينك بسحر مثل سحرك **فاجعل بيننا وبينك موعدا** اي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى **لا نخلفه** فانه المناسب لا المكان والزمان اي لا نخلف ذلك الوعد **نحن ولا انت** وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة وارائة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب الات المغالبة طال الامر ام قصر كما ان تقديم امر ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط كلمة النفي بينهما للايذان واظهار مسارعته الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عليه السلام ولذلك اكد النفي بتكرير حرفه وانتصابه **مكانا سوى** بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان فكان مضاف اليه فحينئذ يكون مطابقة الجواب في قوله تعالى **قال موعدكم يوم**

الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل فكان موعدكم مكان يوم الزينة
كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا تستوي
فيه مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشورا او يوم النيروز
او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما خصه عليه السلام بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه من ثقة على امره وعدم مبالاته بهم لما ان
ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل
حاضر وباد وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ على البنا للفاعل بالتا على خطاب فرعون وباليا على ان الضمير له على
سنن الملوك او لليوم فتولى فرعون اي انصرف عن المجلس فجمع كيده اي ما يكيد به من السحرة وادواتهم ثم اتى الى الموعد ومعه
ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايما الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لاي وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى الخ بطريق الاستيناف
المبني على السؤال كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام عند ذلك فقيل قال لهم الخ ويقضي بان المترقب من احواله عليه السلام حينئذ والمحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه اتيان فرعون
بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون
فيسحتكم اي يستاصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ يسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم
ونجد وقد خاب من افترى اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافترا المنهي عنه دخولا اوليا وقد خاب فرعون المفتري
فلا تكونوا امثاله في الخيبة والجملة مقررة لمضمون ما قبلها فتنازعوا امرهم بينهم اي السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام كان
ذلك غاظهم وتجاذبوا اهداب القول في ذلك واسروا النجوى اي من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم
ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق التناجي والاسرار ان هذان لساحران الى اخره وانه تفسير له ونتيجة تنازعهم وخلاصة ما
استقرت عليه اراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان وقيل
هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية
تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدا وخبر وفيهما ان اللام
لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان الموكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران
وهي قراءة واضحة يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اي ارض مصر بالاستيلا بسحرهما الذي اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم
المثلى اي بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر
فانهم كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام فارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم
فيما بينهم ويابأه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلا عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل
الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء فرعون على حاله مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغرا بالمبالغة
في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل
من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم امنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لما انهم
قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزية فيه وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات
والفا فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاذهاب والاخراج فاجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا
عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي ادوات سحركم
ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفا اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين
قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنين من القبط والباقي
من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلاثمائة من الروم وثلاثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا والله
اعلم ولعل الموعد كان متسعا خاطبهم موسى عليه السلام بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر اخر منه ثم امرهم بان

ياتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر المصنف مكانا بالمصلى لاجتماع الناس في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان
يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة المصلى من المصليات بعد تعيين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله
تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم موكد لما قبله من الامر اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب
ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حالهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاذب اطراف النظم الكريم وقد
قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل
ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما فله امر فيتكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه ويحمل قولهم ان هذان
لساحران الى اخره على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت اراؤهم
على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف
وامروهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم
قالوا استيناف على سوال ناش من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وانما
لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور امرهما وغنائهما عن البيان اما ان تلقي اي ما تلقيه اولا على ان المفعول
محذوف لظهوره او تفعل الالقا اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول من القى ما يلقيه او اول من يفعل الالقا
خيروه عليه السلام بما ذكر مراعاة للادب لما راوا منه عليه السلام ما راوا من مخايل الخير ورزانة الراي واظهارا للجلادة بارادة
انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدا محذوف اي اختر القاك اولا او
القانا او الامر اما القاؤك او القاؤنا قال استيناف كما سبق من حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل
قال بل القوا انتم اولا للادب باحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من
الميل الى البداءة وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه
فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم انه سيظهر بيده بتلقف ما يصنعون من مكايد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من
سحرهم انها تسعى الفا فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقا كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا فاذا
حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكن خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة
والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزيبق
فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتا على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها
تسعى منه بدل اشتمال وقرئ يخيل باسناده اليه تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التائين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى
اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع
ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذلك كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اي
مما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه النهي عن الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه واكده كما يعرب عنه
الاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبي عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في
يمينك اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست من جنس العصي
المعهودة المستتبعة للاثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لاثار غريبة وعدم مراعاة
هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع اخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي عنه وحمل هذا الابهام على التحقير بان يراد
لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور
حالها فيما مر من انه على ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت العصي ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى تلقف

ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتانيث لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي يخيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرى تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التائين من تتلقف وقري بالرفع على الحال والاستيناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجبه ببيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه السلام لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام والا لعلل بما يزيله من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم له عليه السلام وقوله تعالى انما صنعوا الى اخره تعليل لقوله تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه او ان شيا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف للتحقير وقري بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقري كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في قفه او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اوحيث كان واين اقبل من تمام التعليل وكون التعرض لشان العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة معربة عن جمل وقد بنساق اليها النظم الكريم غنيه عن التصريح بها لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اي فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي اية من ايات الله عز وجل روي ان رييسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الالات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما لقفه من الايات فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته لاجرم القوا وهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وامنوا واتوا انما هو غاية الخضوع وقيل لم يرفعوا روسهم حتى راوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الى اخره لان كون تلك المنازل منازلهم صل باعتبار صدور هذا القول قالوا استيناف كما مر غير مرة امنا برب هارون وموسى تاخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفوا وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هارون عليه السلام واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام في صغره فلو قدموا موسى عليه السلام لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال فرعون للسحرة امنتم له اي لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرى على الاستفهام التوبيخي قبل ان اذن لكم اي من غير ان اذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان اذنه له في ذلك واقع بعد او متوقع انه يعني موسى عليه السلام لكبيركم اي في فنكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطاتم على ما فعلتم او فعلكم شيا دون شي فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوطا باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما اظهره كما لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتدا الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن اي والله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدا من مخالفة العضو فان المبتدا من المعروض مبتدي من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات تعيين تلك الحالة للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفية المعهود في باب السياسة لا لانه اقطع من غيرها ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقايهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار الظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقريا بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد به نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى امنتم له قبل ان اذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى عليه السلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لارادة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان من خوف من قبل

موسى عليه السلام حيث راوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي امنوا به بقولهم امنا برب هارون وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا غير مكترثين بوعيده لن نوثرك لن نختارك بالايمان والاتباع على ما جانا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة فانما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلايلها ودقايقها والذي فطرنا اي خلقنا وساير المخلوقات وهو عطف على ما جانا وتاخيره لان ما في ضمنه اية عقلية ونظرية وما شاهدوه اية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بعد قوله امنتم له قبل ان اذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نوثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب لكن لا على شذوذ وقوله تعالى فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الى اخره اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى انما تقضي هذه الحياة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالات المستفادة مما سبق من الامر بالقضا اي انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة في عذابها انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يواخذنا بها في الدار الاخرة لا ليمتعنا بتلك الحياة الفانية حتى نتاثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المداين القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل ارادوا بالاكراه على تعلم السحر حيث روي ان روساوهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نايما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه وياباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله خير اي في ذاته وثوابا نظرا الى قولهم والذي فطرنا وابقى اي جزاء ثوابا كان او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى انه اي الامر والشان تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرها بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا اي في قوله تعالى من يات ربه مجرما بان مات على الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى حياة ينتفع بها ومن ياته مومنا به تعالى وبما جا من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالبا مع الموصوف وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فاوليك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اي فاوليك المومنون العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة الدرجات العلى اي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهل التشاجر الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى وبيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او الارض الجنة فقوله تعالى تجري من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم والعامل معنى الاستقرار والاشارة وذلك اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزا من تزكى اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون ايانا اشد عذابا

وابقي هدا اوقد قيل هذه الايات الثلاث ابتدا كلام من الله عز وجل قالوا الليس في القران ان فعل باوليان المومنين ما اوعدهم ولم
يثبت في الاخبار **ولقد اوحينا الي موسي** حكاية اجالية لما انتهي اليه امر فرعون وقومه وقد طوي في البين ذكر ماجري عليهم من الايات
المفصلات الطاهرة علي يد موسي عليه السلام بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الاعراف وتصديرها
بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها فان في قوله تعالي **ان اسر بعبادي** اما مفسرة لان الوحي فيه معني القول او مصدرية حذف عايدها
الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباده تعالي لاظهار الرحمة والاعتنا بامرهم والتنبيه علي غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم
وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل ولقد اوحينا اليه عليه السلام اي اسر بعبادي الذين ارسلتك لانقاذهم من
ملكة فرعون اي سر بهم من مصر ليلا **فاضرب لهم** اي فاجعل او فاتخذ لهم **طريقا في البحر يبسا** اي يابسا علي انه مصدر وصف به الفاعل
مبالغة وقري يبسا وهو اما مخفف منه او وصفا كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط
لا تخاف دركا حال من المامور اي امنا من ان يدركم العدو او صفة اخري لطريقا والعايد محذوف وقري لا تخف جوابا للامر **ولا
تخشي** عطف علي لا تخف داخل في حكمه اي ولا تخشي الغرق وعلي قراة الجزم استيناف اي وانت لا تخشي عطف عليه والالف للاطلاق
كما في قوله تعالي وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الي ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا
لمدركون **فاتبعهم فرعون بجنوده** اي تبعهم ومعه جنوده حتي لحقوهم يقال اتبعتهم اي تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويويد
انه قري فاتبعهم من الاتباع وقيل المعني تبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل البا زايدة والمعني فاتبعهم فرعون جنوده
اي ساقهم خلفهم واياما كان فالفا فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسي عليه السلام
الي الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسرابهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روي ان موسي عليه
السلام خرج بهم اول الليل وكانوا ستماية وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعماية الف
فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراي الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر فانفلق علي اثني عشر فرقا كل فرق كالطود
العظيم فعبر موسي عليه السلام بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده **فغشيهم من اليم ما غشيهم** اي علاهم منه وغمرهم
ما غمرهم من الامر الهايل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذلك فان مدار التهويل والتفخيم
خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سيما قصته وقري فغشاهم من اليم ما غشاهم اي اعطاهم ما اعطاهم والفاعل هو الله عز
وعلا او ما غشاهم وقيل هو فرعون لانه هو الذي ورطهم للهلكة وبابا الاظهار في قوله تعالي **واضل فرعون قومه** اي سلك بهم
مسلكا اداهم الي الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا علي الكفر بالعذاب الهايل الدنيوي المتصل بالعذاب
الخالد الاخروي وقوله تعالي **وما هدي** اي ما ارشدهم قط الي طريق موصل الي مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير
لاضلاله وتاكيد له اذرب مضل قد يرشد من يضله الي بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالي وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان
نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية علي
ما يختص بالديني وجعلها عبارة عن الاضلال في البحر والانجا منه مما لا يقبله العقل السليم **يا بني اسرايل** حكاية لما خاطبهم الله
تعالي بعد اغراق فرعون وقومه وانجاهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض
وقيل هو انشا خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلي الله عليه وسلم علي معني انه تعالي قد من عليهم بما فعل بابايهم اصالة وبهم
تبعا ويرده ما سياتي من قوله تعالي وما اعجلك الاية ضرورة استحالة حمله علي الانشا فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا علي
اوحينا اي وقلنا يا بني اسرايل **قد انجيناكم من عدوكم** فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوايل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون
ابناكم ويستحيون نساكم وقري نجيناكم وانجيتكم **وواعدناكم جانب الطور الايمن** بالنصب علي انه صفة للمضاف وقري بالجر للجوار
اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان اجانبه الايمن نظرا الي السالك من مصر الي الشام اي اتيان موسي عليه السلام للمناجاة وانزال
التوراة عليه ونسبت المواعدة اليهم مع كونها لموسي عليه السلام نظرا الي ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وقري واعدتكم

ووعدناكم

ووعدناكم **ونزلنا عليكم المن والسلوي** اي الترنجبيل والسمان حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر
الي الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منهم ما يكفيه **كلوا** جملة مستانفة مسوقة لبيان
اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم **من طيبات ما رزقناكم** من لذايذه او حلالاته وقري رزقتكم وفي البدة بنعمة الانجا ثم بالنعمة
الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفي **ولا تطغوا فيه** اي فيما رزقناكم في الاخلال بشكره
والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق **فيحل عليكم غضبي** جواب للنهي اي عقوبتي وتجب لكم من حل الدين اذا وجب
اداوه **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوي** اي تردي وهلك وقيل وقع في الهاوية وقري فيحل بضم الحا من حل يحل اذا نزل **واني لغفار
لمن تاب** من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر **وامن** بما يجب الايمان به **وعمل صالحا** اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع
والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث علي التوبة والايمان وقوله تعالي **ثم اهتدي** اي استقام علي الهدي اشارة الي
الهدي الي من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي **وما اعجلك عن قومك يا موسي** حكاية لما جري بينه تعالي وبين موسي
عليه السلام من الكلام عند ابتدا موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي وقلنا له اي شي عجلك منفردا عن قومك وهذا كما
تري سوال عن سبب تقدمه علي النقبا مسوق لانكار انفراده عنهم الي ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتذار بهم
مع كونه مامورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللايق
باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث **قال هم اولا علي اثري** يعني انهم معي وانما
سبقتهم بخطي يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر
عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال **وعجلت اليك رب لترضي** عني بمسارعتي الي الامتثال
بامرك واعتنايي بالوفا بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر **قال** استيناف مبني علي سوال نشا
من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده علي صورة الغايب لا انه التفات من التكلم الي الغيبة لما ان المقدر فيما سبق
من الموضعين علي صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا قال ربه حينيذ فقيل قال **فانا قد فتنا قومك من بعدك** اي
ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون عليه السلام وكانوا ستماية الف ما نجا منهم من
عبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون الا اثني عشر الفا لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلا علي اخبار
موسي عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما
الي الاخر من حيث ان مدار الابتلا المذكور عجلة بالقوم فانه روي انهم اقاموا علي ما وصي به موسي عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه
فحسبوها مع اياما اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسي عين ولا اثر **واضلهم السامري** حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال
لهم انما اخلف موسي عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخبار
تعالي بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار تحققها في علمه ومشيته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما
في قوله تعالي ونادي اصحاب الجنة ونظايره اولان السامري كان قد عزم علي ايقاع الفتنة عند ذهاب موسي عليه السلام وتصدي لترتيب
مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقري واضلهم السامري علي صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل
والسامري منسوب الي قبيلة من بني اسرايل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسي بن ظفر وكان
منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر **فرجع موسي الي قومه** هي باعتبار الرجوع المستفاد من قوله تعالي **غضبان
اسفا** لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور ولذهب الوهم عند
الاخبار بالفتنة كما قلت شابعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا
رجوعهم اثر الدعا وان سببية الدعا باعتبار وصف السلامة لا باعتبار وصف الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين
قال استيناف مبني علي سوال ناشي من حكاية رجوعه لذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال **يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا**

بان يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه وآكده اي وعدكم
بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفا في قوله تعالى افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه
فقط اي اوعدكم ذلك فطال الزمان الانجاز فاخطاتم بسببه ام اردتم ان يحل اي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كاين من ربكم
اي من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي اي وعدكم اياي بالثبات على ما امرتكم به الى ان ارجع من الميقات على اضافة
المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه
السلام اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفا لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم
الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطا ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الوعد مضافا الى فاعله وحمل الطلاقه
على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد الاربعين مما لا يساعده السباق ولا السياق اصلا قالوا
ما اخلفنا موعدك اي وعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر انفا
بملكنا اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفنا
وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق
واعتذار عما فعلوا ببيان منشا الخطا وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج
من مصر باسم العرس وقيل كان استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي ما القاه
البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات واثام حيث لم تكن الغنايم تحل حينئذ فقذفناها
اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها فكذلك اي فمثل ذلك القذف القى السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا
يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سياتي روي انه قال
لهم انما تاخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالراي ان يحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اي
السامري لهم للعالمين عجلا من تلك الحلي المذابة وتاخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم
والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا اي ذا دم ولحم او جسدا
من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت عجل نعت له فقالوا اي السامري ومن افتتن به اول مرة هذا الهكم
واله موسى فنسي اي غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة
تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج
والقولين المذكورين للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم
بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم
وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا بامر كنا نملكه
بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم
نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا يرون الى اخره انكار وتوبيخ
من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على
احد وهو اتخاذه الها والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا يتفكرون فلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا اي انه لا يرجع
اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه الها وقرئ يرجع بالنصب فالروية حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا تقع بعد
افعال اليقين اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه
على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف على لا يرجع داخل معه
في حيز الروية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او لا ينفعهم ان

عبدوه ولقد قال لهم هارون من قبل جملة قسمية موكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم
على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هارون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى عليه السلام
اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كانه عليه السلام اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم
منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اي اوقعتم في الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر
المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد اخر على معنى
انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما
ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غيره والفا في قوله تعالى فاتبعوني لترتيب
ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين واطيعوا امري هذا واتركوا
عبادة ما عرفتم شانه قالوا في جواب هارون عليه السلام لن نبرح عليه اي على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا
موسى جعلوا رجوعه عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل
بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام لا يرجع بشيء مبين تعويلا على مقالة السامري روي انهم لما قالوه
اعتزلهم هارون عليه السلام في اثني عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل ولما رجع موسى عليه السلام سمع الصياح وكانوا يرقصون
حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استيناف
مبني على سؤال نشا من حكاية جوابهم لهارون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى لهارون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته يا هارون
ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء ان لا تتبعني اي ان تتبعني
على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وعامل في اذ اي اي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى
من المقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان
تلحقني وتخبرني بضلالهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه ان نصائح هارون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلان
لا يزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى
عليه السلام فينزجرون عن ذلك بمعزل عن حيز القبول كيف لا وهم قوم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام
افعصيت امري اي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليهما السلام اخلفني يتضمن للامر بهما حتما فان الخلافة
لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للانكار التوبيخي والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تتبعني او اخالفتني فعصيت امري قال يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه
كان اخاه لام فان الجمهور على انهما كانا شقيقين لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي لا بشعر راسي روي انه عليه السلام اخذ شعر
راسه بيمينه وناصيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك
حين راهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى اني خشيت الى اخره استيناف سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي
الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عارض لامره بل تمثيل لامره اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا ان تقول فرقت
بين بني اسرائيل برايك مع كونهم ابناء واحد كما ينبي عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق
ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي يريد به قوله عليه السلام اخلفني في قومي
واصلح الى اخره يعني اني رايت ان الاصلاح في حفظ الدهماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استانيتك لتكون انت
المتدارك للامر حسبما رايت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني قال استيناف وقع جوابا عما نشا من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى
السامري واعتذار هارون عليه السلام كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقرار
اصل الفتنة على السامري فقيل قال موبخا له هذا شانهم فما خطبك يا سامري اي ما شانك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه

عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم
من الامم **قال** اي السامري مجيبا له عليه السلام **بصرت بما لم يبصروا به** بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في الاول وفتحها في الثاني
وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت ما لم يفطنوا له ورايت ما لم يروه
وهو الانسب بما سياتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام جراة عظيمة
لا تليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه السلام فانه مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان راى ان جبريل عليه السلام
جاء راكبا فرسا وكان كلما رفع الفرس يديه ورجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له شانا فاخذ من موطئه
حفنة وذلك قوله تعالى **فقبضت قبضة من اثر الرسول** وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة موطئ فرس الملك الذي ارسل اليك
ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تاكيدا لما صدر به
مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض
كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم
فنبذتها وكذلك اي في الحال المذابة فكان ما كان **سولت لي نفسي** اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى وذلك اشارة الى
مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لي نفسي
تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة
فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه
ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا بشيء اخر من البرهان العقلي والالهام الالهي فعند ذلك **قال**
عليه السلام **فاذهب** اي من بين الناس وقوله تعالى **فان لك في الحياة** الى اخره تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في لك اي
ثابت لك في الحياة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدا معنى لا بقوله
تعالى **ان تقول لا مساس** لمكان ان اي ثابت لك كائنا في الحياة اي بمدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار
بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حم من
ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى صوته لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته
وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار فيما بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية
ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة
خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشا الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحياة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته
سببا للحمى التي هي من اسباب موت الاحياء **وان لك موعدا** اي في الاخرة **لن تخلفه** اي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك
البتة بعدما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز
وجل **وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا** اي ظللت مقيما على عبادته فحذف اللام الاول تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل
حركة اللام اليها **لنحرقنه** جواب قسم محذوف اي بالنار ويؤيده لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد
بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه **ثم لننسفنه** اي لنذرينه وقرئ بضم السين **في اليم** رمادا او مبرودا كانه هباء **نسفا** بحيث
لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره
واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين **انما الهكم الله** استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه
الى الكل اي انما معبودكم المستحق للعبادة الله **الذي لا اله** في الوجود لشيء من الاشياء **الا هو** وحده من غير ان يشاركه شيء
من الاشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى **وسع كل شيء** ما من
شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذي وسع كل شيء **علما** لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسع

بالتشديد

بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين
صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع علمه كل شيء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به
خاتمته **كذلك نقص عليك** كلام مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء
الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في
الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اي نقص عليك **من انباء ما قد سبق** من الحوادث الماضية الجارية على الامم
الخالية قصصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من انباء في حيز النصب اما على انه
مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي جمع دون ذلك والمعنى
نقص عليك بعض انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتاخيره لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر اي مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك
وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من امتك **وقد اتيناك من لدنا ذكرا** اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار
حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة باتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة
كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما وقرانا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده
من الصفة فتقديمه يذهب رونق النظم الكريم **من اعرض عنه** عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله
عز وجل ومن اما شرطية او موصولة واما ما كانت فالجملة صفة لذكرا **فانه** اي المعرض عنه **يحمل يوم القيامة وزرا** اي عقوبة
ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل
وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر اي الاثم والاول هو الانسب بما سياتي من تسميتها حملا وقوله تعالى **خالدين فيه** اي في الوزر او في احتماله
المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من
الضمائر الثلاثة بالنظر الى لفظها **وساء لهم يوم القيامة حملا** اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي
ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كانه قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيامة لزيادة التقرير وتهويل الامر
يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيامة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه
حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد
النفخ الى الامر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله تعالى او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته **ونحشر
المجرمين يومئذ** اي يوم اذ ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون **زرقا**
اي حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوا الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى
عدوهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوا الوان ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال
وازرق العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى **يتخافتون بينهم** اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب
والهول استئناف ببيان ما ياتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة **ان لبثتم**
اي ما لبثتم في الدنيا **الا عشرا** اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتاسفهم عليها لما
عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم
حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يسعهم ان يقولوا ذلك اعترافا به
وتحقيقا لسرعة وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا فحالهم اقطع من ان تمكنهم من الاشتغال
بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتاسف عليها **نحن اعلم بما يقولون** وهو مدة لبثهم **اذ يقول امثلهم طريقة**
اي اعدلهم رايا وعملا **ان لبثتم الا يوما** ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاع منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق

بل لكونه ادل على شدة الهول **ويسألونك عن الجبال** اي عن حال امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو اهل مكة على طريق الاستهزاء **فقل ينسفها ربي نسفا** اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين **فيذرها** الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطح اجزاء الارض بعد نسف ما نشأ منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل **قاعا صفصفا** لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كأن اجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى **لا ترى فيها** اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل **عوجا** بكسر العين اي اعوجاجا ما كأنه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية **ولا أمتا** اي نتوا يسيرا استئناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم **يومئذ** اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى **يتبعون الداعي** وقيل بدل من يوم القيامة وليس بذاك ان يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه **لا عوج له** لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه **وخشعت الاصوات للرحمن** اي خفضت لهيبته **فلا تسمع الا همسا** اي صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر **يومئذ** اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة **لا تنفع الشفاعة** من الشفعاء احدا **الا من اذن له الرحمن** اي يشفع له **ورضي له قولا** اي ورضي لاجله قول الشافع في شأنه او رضي قوله لاجله وفي شأنه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لان حكم الشفاعة ممن لا يؤذن ان يملكها ولا تصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها ممن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى تهويل مقام اليوم وقوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها **يعلم ما بين ايديهم** اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا **وما خلفهم** وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الاخرة **ولا يحيطون به علما** اي لا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه **وعنت الوجوه للحي القيوم** اي ذلت وخضعت خضوع العناة اي الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين لقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى **وقد خاب من حمل ظلما** قال ابن عباس رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم واعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى **ومن يعمل من الصالحات** الى آخره قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما انه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق **وهو مؤمن** فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات **فلا يخاف ظلما** اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد **ولا هضما** ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي **وكذلك** عطف على كذلك نقص عليك

اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيامة واهوالها اي مثل ذلك الانزال **انزلناه** اي القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شأنه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان **قرآنا عربيا** ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر **وصرفنا فيه من الوعيد** اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا **لعلهم يتقون** اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل **او يحدث لهم ذكرا** ايقاظا واعتبارا مؤديا الى الاتقاء **فتعالى الله** استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعيد والوعد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله **الملك** النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده **الحق** في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته **ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه** اي يتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليهما السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل **وقل** اي في نفسك **رب زدني علما** اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته **ولقد عهدنا الى آدم** كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اي واقسم او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه **من قبل** اي من قبل هذا الزمان **فنسي** اي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه او تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان **ولم نجد له عزما** تصميم رأي وثبات قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان منه عليه السلام في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كأنه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صار الحوادث كأنها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه **فسجدوا الا ابليس** قد سبق الكلام فيه مرارا **ابى** جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده كأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى ومفعول ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوي رأسا بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره **فقلنا** عقيب ذلك اعتناء بنصحه **يا آدم ان هذا** الذي رأيت ما فعل **عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما** اي لا يكونن سببا لاخراجكما **من الجنة** والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قوله لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها **فتشقى** جواب للنهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال **ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى** تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام لتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عليه

السلام فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان ما فيه من الترغيب
في البقاء فيها ما لا يخفى اليه ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على
ما فيها من انواع الشقوة التي حذره عنها للمبالغة في التحامي عن السبب المؤدي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع
بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما
وطوى ذكره هاهنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الخ ان لا
يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد يحصل بعد عروض اضدادها باعواز الطعام والشراب
واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كل ما وقع فيها شهوة وميل الى شيء من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة
ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظما عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري
والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع
والظما لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على
ان نفي كل واحد من الامور المذكورة مقصودة بالذات مذكورة بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي
بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور بالفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة
المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوع خبرها لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق
في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزهما بخلاف ما لو وقع خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما
لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى
ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي والسلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لا اسمها
لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة
بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوز
ان يقال ان زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي انك قائم للتحامي عن صورة الاجتماع
والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضائها واجراء
احكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان
لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظما خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف
المصدري المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظماك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسة او اسرها
اليه قال اما بدل من وسوس او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم هل
ادلك على شجرة الخلد اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا كقوله تعالى الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله
عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره في سورة
الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر
بقول العدو وقرئ فغوى من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم
لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى
جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعته او من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب
هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتبا وقبول

التوبة قدم وجهه وهدى اي الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استئناف مبني على سؤال نشأ من
الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا امره الله تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اي انزلا من
الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشأ الاولاد اي متعادين
في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة
الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى الذاكر
لي والداعي الي فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى
وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب
للآخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان اهل
القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا
على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى فاقد البصر كما في قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا
وبكما وصما اعمى عن الحجة كما قيل قال استئناف كما مر رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وقرئ بالامالة في الموضعين
وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك مثل ذلك
النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا الى الابد كما قيل بل الى ما يشاء الله تعالى
ثم يزيله عنه فيرى اهل القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى
عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا وكذلك اي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات ولم يؤمن
بآيات ربه بل كذبها واعرض عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد وابقى اي من ضنك العيش او منه ومن الحشر
على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية
والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة
الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير للمشركين المعاصرين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد
في قوله عز وجل اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله تعالى عز وجل ويؤيده القراءة بنون
العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا الخ اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ
له مفعول كانه اولم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب
على انه وصف لمميز كم اي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال من القرون او مفعول اي اهلكناهم وهم
في حال امن وتقلب في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من اصحاب
الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام لآثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى
الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمكنون من المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير
للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الى آخره وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته
وعلو شانه في بابه لآيات كثيرة عظيمة واضحات الدلالة على الحق فاذا هو هاد وايما هاد ويجوز ان تكون كلمة في تجريدية فافهم
لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك
من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستأنف
سيق لبيان حكمة وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اي ولولا الكلمة السابقة

وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الي الاخرة لحكمة مقتضية ومصلحة مستدعية **لكان** عقاب جناياتهم **لزاما** اي لازما
لهولا الكفرة بحيث لايتاخرون عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل باوليك القابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي
ضميره عليه السلام تلويح بان ذلك التاخير لتشريفه عليه السلام كا ينبي عنه قوله تعالي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما
مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعني مفعل جعل اله لفرط لزومه كا يقال لزاز خصم **واجل مسمي** عطف علي كلمة اي ولولا اجل
مسمي لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تاخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة الي بيان وجوب لولا والاشعار
باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الاي الكريمة وقد جوز عطفه علي المستكن في كان العايد الي الاخذ العاجل المفهوم
من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التاكيد اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمي لازمين لهم كدأب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل
المسمي دون الاخذ العاجل **فاصبر علي ما يقولون** اي اذا كان الامر علي ما ذكر من تاخير عذابهم ليس باهمال بل امهال فانه لازم لهم البتة فاصبر
علي ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلي الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله علي الصبر **وسبح** ملتبسا **بحمد ربك**
اي وانت حامد لربك الذي سلغك الي كالك علي هدايته وتوفيقه او نزهه تعالي عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشانه الرفيع حامدا له
علي ما ميزك بالهدي معترفا بانه مولي النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالي **قبل طلوع الشمس** الي اخره فان توقيت التنزيه
غير معهود والمراد صلاة الفجر **وقبل غروبها** يعني صلواتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله تعالي
قبل طلوع الشمس وقيل صلاة العصر **ومن آناء الليل** اي من ساعاته جمع اني بالكسر والقصر وانا بالفتح والمد **فسبح** اي فصل والمراد
به المغرب والعشا وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الي الاستراحة اميل فتكون العبادة
فيهما اشق ولذلك قال تعالي ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا **واطراف النهار** تكرير لصلاتي الفجر والعصر ايذانا باختصاصهما بمزيد
مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقول من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار
وبداية النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار **لعلك ترضي** متعلق بسبح اي سبح في
هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالي ما ترضي به نفسك وقري ترضي علي صيغة البناء للمفعول من ارضي اي يرضيك ربك **ولا تمدن**
عينيك اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل **الي ما متعنا به** من زخارف الدنيا وقوله تعالي **ازواجا منهم** اي اصنافا من الكفرة
مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او حال من الضمير والمفعول منهم اي الي الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم علي
انه من للتبعيضية او بعضا منهم علي حذف الموصوف كا مر مرارا **زهرة الحياة الدنيا** منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اي
اعطينا او به علي تضمين معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقري
زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهر او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهائهم بخلاف ما عليه المومنون
الزهاد **لنفتنهم فيه** متعلق بمتعنا جي به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مالا اثر بيان بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يبتليهم
ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه **ورزق ربك** اي ما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدي **خير**
مما متعهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون ما مون الغايلة بخلاف ما متعوه **وابقي** فانه لا يكاد ينقطع
نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا **وامر اهلك بالصلاة** امر صلي الله عليه وسلم بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته
بالصلاة بعدما امر هو بها ليتعاونوا علي الاستعانة علي خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة
واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش **لا نسالك رزقا** اي لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك **نحن نرزقك** واياهم
ففرغ بالك لامر الاخرة **والعاقبة** الحميدة **للتقوي** اي لاهل التقوي علي حذف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها علي ان ملاك الامر
هو التقوي روي انه صلي الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية **وقالوا لولا ياتينا باية من ربه**
حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر صلي الله عليه وسلم بالصبر عليها اي هلا ياتينا باية تدل علي صدقه في دعوي النبوة او باية مما اقترحوه
بلغوا من المكابرة والعناد الي حيث ما عدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الايات حتي اجتروا علي التفوه بهذه

العظيمة الشنعاء وقوله تعالي **اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولي** اي انكار لاتيان القران الكريم التي هي ام الايات وراس المعجزات
واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اي امر كان ولا ريب في ان العلم اجل
الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته بجميع علوم الاولين والاخرين علي يد امي لم يمارس شيا من
العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي اية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف
الاولي من التوراة والانجيل وساير الكتب السماوية اي شاهدا بحقية ما فيها من العقايد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت عليها كافة
الرسل وبصحة ما تنطق به انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره مما لا يخفي من تنويه شانه واثارة
برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه ماتيا به للتنبيه علي اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة
للتنبيه والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف علي تقدير يقتضيه المقام كانه قيل الم ياتهم ساير الايات ولم تاتهم خاصة بينة
ما في الصحف الاولي تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتاتي منهم انكاره اصلا وان اجتروا علي انكار ساير الايات مكابرة
وعنادا وقري اولم ياتهم بالياء التحتانية وقري الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالي **ولو انا اهلكناهم بعذاب** الي اخر الاية جملة
مستانفة سيقت لتقرير ما قبلها من كون القران اية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم القيامة والمعني لو انا اهلكناهم
في الدنيا بعذاب مستاصل **من قبله** متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذابا اي بعذاب كاين من قبل اتيان البينة او من قبل محمد
صلي الله عليه وسلم **لقالوا** اي يوم القيامة **ربنا لولا ارسلت الينا** في الدنيا **رسولا** مع كتاب **فنتبع اياتك** التي جاءنا بها **من قبل**
ان نذل بالعذاب في الدنيا **ونخزي** بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلي قد جاءنا
نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي **قل** لاوليك الكفرة المتمردين **كل** اي كل واحد منا ومنكم **متربص** منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم
فتربصوا وقري فتمتعوا **فستعلمون** عن قريب **من اصحاب الصراط السوي** اي المستقيم وقري السواء اي الوسط الجيد وقري السوي
والسوء والسوي تصغير السوء **ومن اهتدي** من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرها ما بعدها والجملة
سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولي لعدم العايد فيكون معطوفة علي محل الجملة الاستفهامية
المعلق عنها الفعل علي ان العلم بمعني المعرفة او علي اصحاب او علي الصراط عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة طه اعطي يوم القيامة
ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة من القران الا سورة طه ويس والله سبحانه وتعالي اعلم

سورة الانبيا عليهم السلام مائة واحدي عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة
غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه من
اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الي الساعة مع استتباعها له ولساير ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق
الكلام الي بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها علي الفاعل للمسارعة الي ادخال الروعة فان
نسبة الادخال الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور علي المفعول الصريح
في قوله تعالي هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كون الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق
لهم وشوقا اليه وجعل تاكيدا للاضافة علي ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم
اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام مما قدمناه والمعني دني منهم حساب
اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبي عن التوجه نحوهم علي الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه
والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفي لما فيه من تصويره بصورة شي مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم
لا محالة ومعني اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة
السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الي ما مضي من الزمان او بالنسبة الي الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا

تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا
في نفسه ايضا فيصار حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه
تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة على الحدوث فاما
الثالث فلا دلالة فيه على القرار حقيقة ولو بالنسبة الى شيء اخر **وهم في غفلة** اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم
غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء **معرضون** اي عن الايات والنذر
المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف
الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون **ما يأتيهم من ذكر** من طائفة نازلة من القران تذكرهم
ذلك اكمل تذكير وتنبيههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن في قوله تعالى **من ربهم** لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف
هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع
محدث بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى **الا استمعوه** استثناء مفرغ محله
النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى **وهم يلعبون** حال من فاعل استمعوه وقوله
تعالى **لاهية قلوبهم** اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم
اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في
الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر **واسروا النجوى** كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة
اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها واسروا نفس
التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى **الذين ظلموا** بدل من واو واسروا مبني على كونهم موصوفين بالظلم الفاحش
فيما اسروا به وهو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا
على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى **هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر** الى اخره في حيز النصب على انه مفعول
لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الى اخره او بدل من اسروا او
معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى **وانتم تبصرون** حال من فاعل
تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه
على وجه الاذعان وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد
البشر من الخوارق من قبيل السحر وزل عنهم ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي يقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون
وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم نور النبوة
واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون **قل ربي يعلم القول في السماء والارض** حكاية من جهته تعالى لما قال عليه السلام بعدما
اوحي اليه اقوالهم وافعالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى
بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم
الخلق وقرئ قال ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى **وهو
السميع العليم** اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد **بل قالوا اضغاث احلام** اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية
قول اخر مضطرب في تضارب البطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا الا بشر مثلكم وجوز ما
ظهر على يده من القران الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط احلام او شبهة اضلت ثم قالوا **بل هو شاعر** وما اتى به شعر يخيل الى السامع
معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول

كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى
انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال بل قالوا اضغاث احلام والاعتذار بان بل قالوا مقول
لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم الى اخره كانه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام وانما
صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله **فليأتنا باية** جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كانه
قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله فليأتنا باية **كما ارسل الاولون** اي مثل الاية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا ونظائرهما
حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انه صفة لاية ويجوز ان تكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر
محذوف اي فليأتنا باية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالاية من فروع الارسال بها اي مثل
اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه
ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الاخر حسبما مر في اخر سورة
يونس عليه السلام **ما آمنت قبلهم من قرية** كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير
اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الايات كالباحث عن حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا
مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استيصالهم لجريان سنة الله عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل
بهم عذاب الاستيصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستيصال فقوله تعالى من قرية
اي من اهل قرية والهمزة في قوله تعالى **افهم يؤمنون** لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع
ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم تؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الايات اهم لم يؤمنوا فلا
يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما آمنت على ان الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار
مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وقوله عز وجل
وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل هذا الا بشر الى اخره متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعرض
لعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا باية ولانهم قالوا ذلك
بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قل انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى
ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والحق ان ما
اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق
به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق
المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي يدور عليها فلك التكوين
والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالارواح القدسية
المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى **يوحى اليهم** استئناف مبين لكيفية
الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصيته والمعنى وما ارسلنا الى
الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس متأهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي
من الشرائع والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه
قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم من البشرية فما لهم لا
يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بالياء على صيغة المبني
للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى **فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** تلوين للخطاب وتوجيه
الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه

الحقيق بالخطاب في امثال تلك الحقايق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظايف العوام والفا لترتيب ما
بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكرنا فسألوا اهل الكتاب
الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام لتزول شبهتكم امروا بذلك لان اخبارهم الجم الغفير يوجب العلم لا
سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في امره صلى الله عليه وسلم ففيه من الدلالة على كمال
وضوح الامر وقوة شان النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وما جعلناهم جسدا بيان لكون الرسل عليهم السلام اسوة لساير افراد
الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول
ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس
المنتظم للكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى لا ياكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا
عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثار ما كانوا
على ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الى اخره لا بالجعل المستانف والمراد بالخلود
اما المكث المديد كما هو شان الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت
بالاخرة على حسب احوالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم
فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام
وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا
ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن يستدعي
الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالاخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين اي المجاوزين
للحدود في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم كلام مستانف مسوق لتحقيق حقية القران العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض
الناس عما ياتيهم من اياته واستهزاءهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته
صلى الله عليه وسلم ببيان انه كساير الكرام عليهم الصلاة والسلام قد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون
المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشان نير البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة
لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل المقدار جميل الاثار مستجلبا لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى
وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل
فيه موعظتكم وهو الانسب لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر
الكتاب والتامل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفا للعطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او الا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله
تعالى وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم
وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر
بابانة اجزاء المكسور وازالة تاليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في
محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الاتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بايات الله تعالى كافرين
بها كدابكم وانشانا بعدها اي بعد اهلاكها قوما اخرين اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استيصال الاولين وقطع
دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا باسنا اي
ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كانه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او

مشبهين لهم في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمه من المؤمنين بطريق الاستهزاء
والتوبيخ وارجعوا الى ما اترفتم فيه من النعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها لعلكم تسالون
تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تسالون اذا رايت مساكنكم خالية وتسالون اين اصحابها او يسالكم
الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رياء او بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا
بنزول العذاب يا ويلنا اي هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم باستتباعه للعذاب وندم عليه
حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوة لان المولول كانه يدعو الويل قائلا يا ويل
تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت
النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم لمماثلة الحصيد والخمود حال
من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد وما خلقنا
السموات والارض اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني ادم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه
على ان ما حكي من العذاب الهايل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين
المقتدين باثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها واحادها
على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى
عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدا الوجود
الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا استيناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب
لاتخذناه من لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشاننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن
الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وهو
قوله تعالى ان كنا فاعلين جواب محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخذنا
اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء الثاني وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى ما بعده
بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد
على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شانه هذا من بين ساير شؤونه تعالى بالحكم بالذكر للتخلص الى ما سياتي من الوعيد فيدمغه
اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة
ولمحقه للباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا له بذلك
فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من
الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا
مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر
وما اما مصدرية او موصوفة اي واستقر لكم الويل من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشانه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه من الولد
او كانا بما تصفونه تعالى به وله من في السموات والارض استيناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكم بالغة ونظام
كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتصرفا وتدبيرا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة
من غير ان يكون لاحد دخل ما استقلالا او استتباعا ومن عنده هم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات
تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدا خبره لا يستكبرون عن عبادته

اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا ولا يستحسرون لا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبية عن المبالغة
في الحسورة للتنبيه على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسورة
مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة
نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات
والارض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكائيل فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية يسبحون الليل والنهار اي ينزهونه
في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استيناف وقع جوابا عما نشا مما قبله كانه قيل ماذا يصنعون في عبادتهم وكيف يعبدون
فقيل يسبحون الى اخره او حال من فاعل يستحسرون وقوله تعالى لا يفترون اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل اخر ام
اتخذوا الهة حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضطراب والانتقال من فن الى فن اخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه
تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون
له عن كل ما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى
من الارض متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لالهة وايا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون اي
يبعثون الموتى صفة لالهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اي بل اتخذوا الهة
من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها الهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا
لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من خصايص الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير
تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى افي الله شك وقوله تعالى
ابالله واياته كنتم تستهزءون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزا به ويجوز ان يجعل
ذلك من مستتبعات ادعايهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية وكانوا
ادعوا لها الاستقلال بالانشار كانهم جعلوها مدعين لاصل الانشار لو كان فيهما الهة الا الله ابطال لتعدد الاله باقامة
البرهان على انتفايه بل على استحالته وايراد الجمع لايراده لوروده اثر انكار اتخاذ الالهة لا لان للجمعية مدخلا في الاستثناء وكذا فرض
من كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة الالهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضايه الى فساد
المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بكلام غير
موجب اي لو كان في السموات والارض الهة غير الله كما هو اعتقاد هولاء الباطل لفسدتا اي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى الثاني
علم انتفاء الاول قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا
وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاوهما على ما هما عليه اما بتاثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة
واما بتاثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الالهية والا فالبرهان يقتضي باستحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق
في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالف فيه تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى الثاني تعين انتفاء المقدم والفا في
قوله سبحانه وتعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه سبحانه التسبيح اللايق
به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها ان يكون له شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موضع الاضمار للاشعار
بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله
تعالى رب العرش صفة للاسم الجليل موكدة لتنزهه عز وجل عما يصفون متعلق بالتسبيح اي فسبحوه عما يصفونه من ان
يكون من دونه الهة لا يسئل عما يفعل استيناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته
ان يناقشه ويسايله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالهية وهم اي العباد يسالون عما يفعلون نقيرا
وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون فيه وعيد للكفرة ام اتخذوا من دونه الهة اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون

ما اتخذوه

ما اتخذوه الهة حقيقة باظهار خلوها عن خصايص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة
تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الالهة مع عرايها عن تلك الخصايص بالمرة
شركا لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجايهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا
متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شوونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية الهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية قل
لهم بطريق التبكيت والقام الحجر هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور
الدينية لا سيما في مثل هذا الشان الخطير وفي اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله
تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي اشارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به
السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اي هذا الوحي الوارد في شان التوحيد
المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر من معي اي عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا
كتاب انزل على امتي وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها وانظروا هل من واحد
منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد كقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون الحق اضراب
من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية
الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فهم لاجل ذلك معرضون اي مستمرون على الاعراض
عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القي عليهم
من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وسط بين السبب والمسبب تاكيدا للسببية وقوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون استيناف مقرر لما اجمل
فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغايب مبنيا للمفعول
وايا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية فريق من المشركين
جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون
الملايكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وخزاعة وبني سلمة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض
لعنوان الرحمانية المنبية عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اي
تنزه بالذات تنزهه اللايق به على ان السبحان مصدر من سبح اي بعد او اسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد
او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملايكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون
مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشا غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة اخرى لعباد
منبية عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اي لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى او يامرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى
فترك سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى
وجعل القول محلا للسبق وادارة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم البا من سابقته
فسبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته في السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى
وابانة تنزيههم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فاني يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون بيان
لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى كانه قيل
هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فان القصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره يعلم

ما بين ايديهم وما خلفهم استيناف وقع تعليلا عما قبله وتمهيدا لما بعده فانه لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال
والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة
منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلما
والاشفاق الخوف مع الاعتنا فعند تعديته بمن لكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى بالعكس الامر ومن يقل منهم اي من
الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم اني اله من دونه متجاوزا اياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض محال
نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم المسنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة
جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي موكد
لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزا الفظيع نجزي الذين يضعون الاشيا في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد
من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اي الاجزا انقص منه اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر
في الايات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف
على مقدر وقرى بغير واو والروية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اي جماعتا السموات والارضين كما
في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف المضاف او هو بمعنى المفعول
اي كانتا ذواتي رتق او مرتوقتين وقرى رتقا اي شيا رتقا اي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن
البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السما الى حيث هي واقر الارض وقال كعب خلق
الله تعالى السموات والارض ملتزقتين ثم خلق ريحا فتوسطها ففتقها وعن الحسن خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس
كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق السموات منه وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله
تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض
كانت مرتتقة ففتقها فجعل سبع ارضين وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطا وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانتا رتقا
مستوية صلبة لا تمطر والارض لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السما الدنيا والجمع باعتبار
الافاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعاني الاول
فهم وان لم يعلموهما لكنهم متمكنون من علمهما اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى موثر قديم واما الاستفسار
من العلما ومطالعة الكتب وجعلنا من الما كل شي حي اي خلقنا من الما كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ما وذلك لانه من اعظم
مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شي حي من الما اي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام
به لا لمجرد ان المفعولين في الاصل مبتدا وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدا فان ذلك محض لا مرجح وقرى حيا على
انه صفة كل ومفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول الاهتمام به والتشويق الى الموخر افلا يؤمنون انكار لعدم
ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الايات الافاقية والانفسية الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون
ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفا للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اي يعلمون ذلك فلا
يومنون وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت اي جمع راسية من رسى الشي اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المونث في
غير العقلا مما لا ريب في صحته كقوله اشهر معلومات واياما معدودات ان تميد بهم اي كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد
بهم بحذف اللام ولا لعدم الالتباس وجعلنا فيها اي في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه
وفي الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا مسالك وسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا لانه
فيفيد انه تعالى حين خلقها كذلك او ليبين انها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم
يهتدون اي الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السما سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت

المعلوم

المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن اياتها الدالة على وحدانيته تعالى وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها
محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال
وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر اللذين هما ايتان بيان لبعض تلك الايات التي هم عنها معرضون بطريق
الالتفات الموجب لتاكيد الاعتنا بفحوى الكلام اي هو الذي خلقهن وحده كل اي كل واحد منها على ان التنوين عوض عن المضاف اليه
في فلك يسبحون اي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الما والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من
الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلا لان السباحة حالهم وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية افاين مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون
نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفا لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية
لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته صلى الله عليه وسلم فان الشماتة بما
يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل افاين مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت اي
ذائقة مرارة مفارقة جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق
الالتفات اي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون او لا فتنة مصدر موكد لنبلوكم من غير
لفظه والينا ترجعون اي الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى
الثاني وعيد محض وفيه ايما الى ان المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلا والتعرض للثواب والعقاب وقرى يرجعون بالياء على
الالتفات واذا راك الذين كفروا اي المشركون ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا به على قصر معاملتهم معه
صلى الله عليه وسلم على اتخاذهم اياه هزوا كانه لا شاذ كانهم ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع
الا ما يوحى الي اهذا الذي يذكر الهتكم على ارادة القول اي ويقولون او قائلين ذلك اي يذكرهم بسو كما في قوله تعالى سمعنا فتى
يذكرهم الى اخره وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه
صلى الله عليه وسلم ان يذكر الهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسو والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد
الخلق بارسال الرسول وانزال الكتب او بالقران كافرون فهم احقا بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدا خبره كافرون وبذكر
متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تاكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالموكد
وبين الموكد والموكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من
الاخلاق منزلة ما طبع عليه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله
بالوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
الاية وعن ابن عباس المراد بالانسان ادم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما
دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى اخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس
فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشيا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد
به الجنس وان كان خلقه عليه السلام ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له هاهنا وقوله تعالى ساريكم
اياتي تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اي ساريكم نقماتي
في الاخرة بعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون
متى هذا الوعد اي وقت مجي الساعة التي كانوا يوعدون وانما كانوا يقولون استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزا والانكار كما
يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في وعدكم بانه ياتينا والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين الذين يتلون الايات الكريمة المنبية عن مجي الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة

ما قيل عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين استبطائهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق
العجلة فان ذلك في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فلياتنا بسرعة ان كنتم صادقين **لو يعلم الذين كفروا** استيناف مسوق
لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشانه وايثار صيغة المضارع في الشرط
وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار
الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء
الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى **حين
لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم** مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته الى
الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع انكار الكفرة لذلك الايذان
بانه من الظهور بحيث لا حاجة الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اي ولو لم
يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه
والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب في استلزام الاحاطة بها لكن لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب
من جوانبهم **ولا هم ينصرون** من جهة الغير في دفعها الى اخره لما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا
منزلة اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الى اخره استيناف مقرر لجهلهم مبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل
حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال **بل تاتيهم** عطف على لا يكفون اي لا يكفونها بل تاتيهم اي العدة او النار او الساعة **بغتة
فتبهتهم** اي تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الها في قوله تعالى **فلا يستطيعون ردها**
عنهم بالكلية **ولا هم ينظرون** اي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا **ولقد استهزئ برسل من قبلك**
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به صلى الله عليه وسلم في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب
المستهزئين بالرسل السالفة عليهم السلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة
بمحذوف هو صفة له اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه **فحاق** اي احاط عقيب ذلك او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد
يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى **بالذين سخروا منهم** اي من اولئك الرسل عليهم
السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى **ما كانوا به يستهزءون** للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة
مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون
من حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير راجع حينئذ الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه
على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اي فنزل بهم جزاء استهزائهم
على وضع السبب مكان المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروي بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة
في هذه النشاة بصورة عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن وقد مر
تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية الى اخرها **قل** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له صلى الله عليه وسلم بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت
من يكلؤكم اي يحفظكم **بالليل والنهار من الرحمن** اي من باسه الذي تستحقون نزوله ليلا ونهارا وتقديم الليل لما ان الدواهي اكثر
فيه وقوعا واشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعدما امر صلى الله عليه وسلم بما ذكر من
السؤال على الوجه المذكور وحسبما يقتضيه حالهم بانهم بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الافات فهم احقاء بان
يكلفوا الاعتراف به للتخويف بحوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى **بل هم عن ذكر ربهم معرضون** ببيان ان لهم

حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا باسه ويعدوا ما كانوا عليه من
الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسالوا عن الكالئ على طريقة قول من قال

عرجوا تحيوا لنعمى دمنة الدار ۞ ماذا تحيون من نوي واحجار

وفي تعليق الاعراض بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة
على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى **ام لهم الهة تمنعهم من دوننا** منقطعة وما فيها من
معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى
توبيخهم باعتمادهم على الهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة للانكار ان يكون لهم الهة يقدر على ذلك والمعنى بل الهم الهة تمنعهم من العذاب
تتجاوز منعنا او حفظنا او من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الالهة
الموصوفة بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم الهتهم الى اخره من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن
رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا **لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون** استيناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح
لبطلان اعتقادهم اي لا هم يستطيعون نصر انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى
بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار
او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا
كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل **افلا يرون** اي لا ينظرون فيرون **انا
ناتي الارض** اي ارض الكفرة **ننقصها من اطرافها** فكيف يتوهمون انهم ناجون من باسنا وهو تمثيل وتصوير لما يجريه الله تعالى من
ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام **افهم الغالبون** على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفا لانكار
ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر
في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريض تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة
المعروفون بها **قل انما انذركم** بعدما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه
ونعي عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي احوالهم امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة **بالوحي** الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من
الاهوال اي انما شاني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية التشريعية اذ الايمان برهاني لا عياني
وقوله تعالى **ولا يسمع الصم الدعاء** اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد امر صلى الله عليه وسلم بان يقوله
لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى **اذا ما ينذرون** مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان
او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام كذلك فان النداء عادة يكون
باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة
قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه
قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو صلى الله عليه وسلم وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر
احد على اسماع الصم وقوله تعالى **ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك** بيان لسرعة تاثرهم من مجيء نفس العذاب اثر بيان عدم
تاثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة او في شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها
وبنائها فان اصل النفحة هبوب رائحة الشيء **ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين** ليدعون على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها
بالظلم وقوله تعالى **ونضع الموازين القسط** بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحائف

الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف
وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيامة التي كانوا يستعجلونها اي لجزائه او لاجل اهله او فيه كما في قولك
جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها او شيئا من الظلم بل يوفي كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان
شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين وان كان اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اي
مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع
على ان كان تامة اتينا بها اي احضرناه ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتانيث لاضافة الى الحبة وقرئ اتينا بها
اي جازينا بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ بها وكفى بنا حاسبين
اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتاكيد
القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء وبالذكر اي وبالله لقد اتيناهما وحيا ساطعا
وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص
المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون لمغانم اثاره وذكرى ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان
النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القران المشارك لسائر الكتب الالهية لاسيما التوراة
فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه
حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع
على المدح بالغيب حال من المفعول الذين يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون
بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة
الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم
بضد ما اتصف به المستعجلون واختيار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي القران الكريم اشير اليه
بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر
السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به انزلناه اما صفة ثانية لذكر او خبر اخر افانتم له منكرون انكار لانكاره
بعد ظهور كون انزاله كايتاء التوراة كانه قيل ابعد ان علمتم ان شانه كشان التوراة في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا
فان ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له اصلا ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي الرشد اللائق به وبامثاله من
الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال
النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان [illegible] وقيل من قبل استنبائه وقيل بلوغه ويأباه المقام وكنا به عالمين اي بانه
اهل لما اتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لاتيناه على انه
وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من اقواله وافعاله وقيل مفعول لمضمر مستانف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت
الايتاء وما ترتب عليه من افعاله قوله لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال
اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سالهم عن اصنامهم التي يطلب بها بيان الحقيقة
او شرح الاسم لانه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف
الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخهم على اجلالها واللام
في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه
قوله تعالى قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين اجابوا بذلك لما ان حال سؤاله صلى الله عليه وسلم الاستفسار عن سبب عبادتهم

لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كانه عليه السلام قال لهم ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها
فلما لم يكن لهم ملجا يعتد به التجاوا الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث لقد كنتم انتم واباؤكم الذين
سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى
كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولابائهم اي والله لقد كنتم
مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة قالوا لما سمعوا مقالته
عليه السلام استبعادا للكلام بكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في
كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق اي بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح
وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم
من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن
اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي انشاهن بما
فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم واباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل
ادخل في تضليلهم واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التامل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات وانا
على ذلكم اي الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي العالمين على
سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته بها كانه قال
وانا ابين ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب لاكيدن
اصنامكم اي لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه
رجل واحد بعد ان تولوا مدبرين من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى التائين ويعضده قوله تعالى فتولوا
عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة اي فولوا فجعلهم جذاذا اي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع
كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع جذيذ كخفيف وخفاف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا
جمع جذة روي ان آزر خرج في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب
وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله
تعالى الا كبيرا لهم اي للاصنام لعلهم اليه اي الى ابراهيم عليه السلام يرجعون فيحاجهم بما سياتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى
الكبير فيسالونه عن الكاسر لان من شان المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده الى عند تحققهم
عجز الهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم قالوا اي حين رجعوا من عيدهم وراوا ما راوا من فعل هذا بالهتنا
على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله
تعالى انه لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبرها والمعنى الذي فعل
هذا الكبير والحكم بالهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجراته على اهانتها وهي حقيقة بالاعظام او لافراطه في الكسر
والحطم وتماديه في الاستهانة لها وتعريض نفسه للهلكة قالوا اي بعض منهم مجيبين للسائلين سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم
فلعله فعل ذلك بهم فقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان
القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح يقال له
ابراهيم صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم قالوا اي السائلون فاتوا به على اعين الناس اي بمراى منهم بحيث يكون نصب
اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى لعلهم يشهدون اي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ [illegible]

للناس بل لبعض منهم او معهود **قالوا** استئنافا مبني علي سؤال نشا من حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا
به اولا فقيل قالوا **ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم** اقتصارا علي حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه علي ان
اتيانهم به ومسارعتهم الي ذلك امر محقق غني عن البيان **قال بل فعله كبيرهم هذا** مشيرا الي الذي يكسره عليه السلام تعريضا
يؤدي به الي مقصده الذي هو الزامهم الحجة علي الطف وجه واحسنه بحملهم علي التامل في شان الهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث
ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك المعرض فلا يجعل الفاس في عنقه وقد قصد اسناده اليه
بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عليه السلام حيث ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وتعالى وكان
غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يعود الي تجويزه مذهبهم
كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يدعى الها ان يقدر علي ما هو اشد من ذلك ويحكي انه عليه السلام قال فعله
كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم علي غضب الله تعالى لاشراكهم
بعبادته الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الي الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته
لها علي اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل ذلك بما لو قال لك اي فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن
الخط اانت كتبت هذا فقلت له انت كتبته كان قصدك تقريرا لكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسايل وتجهيله في السؤال لا ابتنائه علي
صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب في ان مراده عليه السلام من اسناد الكسر الي الصنم ليس مجرد تقريره
لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه علي احتمال الصدور عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التامل في احوال
اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى **فاسئلوهم ان كانوا ينطقون** اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه السلام ان كانوا يسمعون
او يعقلون مع ان السؤال موقوف علي السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد
حصل ذلك ولا حسبنا نطق به قوله تعالى **فرجعوا الي انفسهم** اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان من لا يقدر علي دفع المضرة عن نفسه
ولا علي الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر علي دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا له
فقالوا اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم **انكم انتم الظالمون** اي بهذا السؤال لانه كان علي طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة
الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين وانتم الظالمين بهذا السؤال لانه كان بعبادتها لا من كسرها **ثم نكسوا علي رؤوسهم**
اي انقلبوا الي المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الي الباطل بصيرورة اسفل الشي اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد
ونكسوا علي البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم **لقد علمت ما هؤلاء ينطقون** علي ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس من شانهم
النطق فكيف تامرنا بسؤالهم علي ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع **قال** مبكتا لهم **افتعبدون**
اي اتعلمون ذلك فتعبدون **من دون الله** اي متجاوزين عبادته تعالى **ما لا ينفعكم شيئا** من النفع **ولا يضركم** فان العلم بالحالة
المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا **اف لكم ولما تعبدون من دون الله** تضجر منه عليه السلام من اصرارهم
علي الباطل البين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان
المتافف له **افلا تعقلون** اي الا تتفكرون فتستقبحون صنيعكم **قالوا** اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل
وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة **حرقوه** فانه اشد
العقوبات **وانصروا الهتكم** بالانتقام لها **ان كنتم فاعلين** اي للنصر او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب
ابن نمرود بن كوش بن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسفت به الارض روي انهم لما اجمعوا علي احراقه
عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له اصناف
الحطب من اصلاب الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو
فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد ايحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم علي المنجنيق فعملوه وقيل صنعه

لهم رجل من الاكراد فخسف الله به الارض فهو يتخلخل فيها الي يوم القيامة ثم عمدوا الي ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه ورموا
به فيها فقال له جبريل عليه السلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى
ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى **قلنا يا نار كوني بردا وسلاما علي ابراهيم** اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي
بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى ماخوذة مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم واقعدوه
علي الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروي انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او
خمسين يوما وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الي جنبه يؤنسه فنظر نمرود
من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس علي احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم
هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود فعظمه وقال من الرجل الذي رايت معك
قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الي ربك قربانا لما رايته من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام
لا يقبل الله منك ما دمت علي دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة الاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم
عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ستة عشر سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من
قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك علي تلك الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار علي حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام
اذاها كما تراه في السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تعالى **وارادوا به كيدا** مكرا عظيما في الاضرار به **فجعلناهم الاخسرين** اي
اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا علي انه عليه السلام علي الحق وهم علي الباطل وموجبا لارتفاع
درجته واستحقاقهم لاشد العذاب **ونجيناه ولوطا الي الارض التي باركنا فيها للعالمين** اي من العراق الي الشام وبركاته
العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة
النعم والخصب الغالب روي انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة **ووهبنا له اسحق**
ويعقوب نافلة اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة علي ما سال وهو اسحاق فتختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة
وكلا اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض **جعلنا صالحين** اي بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا
كاملين **وجعلناهم ائمة** يقتدى بهم في امور الدين اجابة له عليه السلام بقوله ومن ذريتي **يهدون** اي الامة الي الحق **بامرنا**
لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين **واوحينا اليهم فعل الخيرات** ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الي العلم
واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى **واقام الصلاة وايتاء الزكاة** وهو من عطف الخاص علي العام دلالة علي
فضله واناقته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه **وكانوا لنا** خاصة دون غيرنا **عابدين**
لا يخطر ببالهم غير عبادتنا **ولوطا** قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى **آتيناه** اي واتينا لوطا وقيل باذكر **حكما** اي حكمة او
نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق **وعلما** بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام **ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث** اي
اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها علي حذف المضاف اقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى **انهم كانوا قوم سوء فاسقين**
فانه كالتعليل له **وادخلناه في رحمتنا** اي في اهل رحمتنا او في جنتنا **انه من الصالحين** الذين سبقت لهم منا الحسنى **ونوحا**
اي اذكر نوحا اي خبره وقوله تعالى **اذ نادى** اي دعا الله تعالى علي قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت
دعائه **من قبل** اي من قبل هؤلاء المذكورين **فاستجبنا له** اي دعاءه الذي من جملته قوله تعالى اني مغلوب فانتصر **فنجيناه**
واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد **ونصرناه** نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار
ولذلك قيل **من القوم الذين كذبوا باياتنا** وحمله علي فانتصرنا به مما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد
الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى **انهم كانوا قوم سوء** تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى

فلا غرو فيه **فاغرقناهم اجمعين** فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا **وداود وسليمان**
اما عطف على نوحا معمول العاملة واما مضمر معطوف ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى **اذ يحكمان** ظرف للمضاف المقدر وصيغة
المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما **في الحرث** اي في الزرع والكرم المتدلي عناقيده كما قيل
او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى **اذ نفشت** اي تفرقت وانتشرت **فيه غنم القوم** ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم **وكنا**
لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ
لحكمهما **شاهدين** حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتنا بشانه **ففهمناها سليمان** عطف على يحكمان فانه في
حكم الماضي وقرئ فافهمنا والضمير للحكومة والفتيا روي انه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا
دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين
فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم لصاحب الارض
لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضا ما قضيت وامضى
الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام لا ظاهرا عنده بل وجب عليه
ان يظهره بدا وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضا السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول
والله تعالى اعلم ان راي سليمان عليه السلام استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين وراي داود عليه السلام قياس كما ان
العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك عند الشافعي وقد روي انه لم يكن
بين قيمة الحرث وبين قيمة الغنم تفاوت واما سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازا ما فات من الانتفاع
بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله
كما قال اصحاب الشافعي رضي الله عنهم فيمن غصب عبدا فابق منه ان يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازا ما فوته الغاصب
من المنافع فاذا ظهر الابق ترادا وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع ان
الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد اخر وان كان اقوى منه كما ان ذلك من خصايص شريعتنا على انه ورد في الاخبار ان داود
عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسئلة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لا
ضمان ان لم يكن معها سايق او قايد وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى **وكلا اتينا حكما وعلما** لدفع ما
عسى توهمه تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا اي وكل واحد منهما اتينا حكما وعلما
كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطا المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل يدل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف
لقوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عليه السلام كان حينيذ ابن احدى وعشرين سنة **وسخرنا مع**
داود الجبال شروع في بيان ما يختص كل منهما من كراماته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما **يسبحن** اي يقدسن الله عز وجل معه
بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السياحة وهو حال من الجبال او استيناف مبين بكيفية
التسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد **والطير** عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتدا والخبر محذوف اي والطير
مسخرات وقيل العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد والفصل **وكنا فاعلين** اي من شاننا ان نفعل امثاله
فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم **وعلمناه صنعة لبوس** اي عمل الدروع وهو في الاصل اللباس قال قايلهم

البس لكل حالة لبوسها ... اما نعيمها واما بوسها

وقيل كانت صفايح فحلقها وسردها **لكم** متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة لبوس **لتحصنكم** اللبوس بتاويل الدرع وقرئ بالتذكير
على ان الضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص
والمنفعة المستفادة من لام لكم **من باسكم** قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم **فهل انتم شاكرون** امر وارد على صورة

الاستفهام

الاستفهام للمبالغة او التقريع **ولسليمان الريح** اي وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول على ما بين التسخيرين
من التفاوت فان تسخير ما سخرنا له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية
تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بطريق التبعية له عليه السلام والاقتدا به
في عبادة الله عز وجل **عاصفة** حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من
حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخا في نفسها طيبة وقيل
كانت رخا تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتدا والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة
حينيذ حال من ضمير المبتدا في الخبر والعامل ما فيه معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا **تجري بامره** بمشيته حال
ثانية او بدل من الاول او حال من ضميرها **الى الارض التي باركنا فيها** وهي الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان
سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام الى حيث شا ثم يعود الى منزله **وكنا بكل شي عالمين** فنجريه حسبما
تقتضيه الحكمة **ومن الشياطين** اي وسخرنا له من الشياطين **من يغوصون له** في البحار ويستخرجون له من نفايسها وقيل من
رفع على الابتدا وخبره ما قبله والاول هو الاظهر **ويعملون عملا دون ذلك** اي غير ما ذكر من بنا المدن والقصور واختراع
الصنايع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل الاية وهولا اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه
قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعدما روعي جانبه بقوله تعالى ومن الشياطين روي ان المسخر له عليه
السلام كفارهم لا مومنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى **وكنا لهم حافظين** اي من ان يزيغوا عن امره اي فيفسدوا
على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملايكة وجمعا من مومني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا
وكان دابهم ان يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار **وايوب** الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان اي واذكر خبر ايوب
اذ نادى ربه اي باني **اني مسني الضر** وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين الندا معناه والضر شايع في كل ضرر وبالضم
خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما **وانت ارحم الراحمين** وصفه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن
عرض المطلب لطفا في السوال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحاق استنباه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله
تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر
وسبع ساعات روي ان امراته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى
فقال لها كم كانت مدة الرخا فقال ثمانين سنة فقال استحي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها
على هيية عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السما فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك
جميع ما اخذته منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة
لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه السلام كانك افتتنت بقول اللعين لين عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط
وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر
ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض فنبعت عين
اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه دا الا خرج وعاد صحيحا ورجع الى شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى **فاستجبنا له فكشفنا**
ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى **واتيناه**
اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امراته قالت في نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت
جوعا وتاكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رات تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت تلك الامور فجعلت تطوف حيث
كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تاتيه وتسال منه فارسل اليها ايوب ودعا فقال ما تريدين يا امة الله فبكت
وقالت بعلي فقال اتعرفينه اذا رايتيه فقالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته **رحمة من عندنا**

وذكرى للعابدين اي اتيناه ماذكر لرحمتنا ايوب وتذكيرا لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب اولرحمتنا العابدين
الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسماعيل وادريس وذا الكفل اي واذكرهم وذو الكفل
الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبيائه وثوابهم فان الكفل يجي بمعني النصيب
والكفالة والضعف كل اي كل واحد من هولاء من الصابرين اي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استيناف وقع جوابا
عن سوال نشا من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا اي في النبوة او في نعمة الاخرة انهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح
الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبيا عليهم السلام فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اي واذكر
صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا اي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم
مهاجرا عنهم قبل ان يومر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة او لانه
اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرى مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة
من القدر ويويده انه قرى مشددا اي لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحالة بحال من يظن ان لن نقدر عليه اي نعامله معاملة
من عسى ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرى بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا
للمفعول فنادى الفاء فصيحة اي كان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة
او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطن الحوت وظلمتي البحر والليل ان لا اله
الا انت اي بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اي لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك انزهك
تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث
بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اي دعاه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعا الا استجيب له ونجيناه من الغم بانه قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات
كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة وكذلك اي مثل ذلك الانجا الكامل ننجي المؤمنين
من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجا ادنى منه وفي الامام ننجي على البنا للمفعول فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها
تخفى مع حروف الفم وقرى بتشديد الجيم فانه اصل ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت لحذفها
اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر
الادغام وامتناع الحذف في تجافي لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند
الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن اخره وزكريا اي واذكر خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرني فردا اي وحيدا
بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فحسبي انت ان لم ترزقني وارثا فاستجبنا له اي دعاه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان كيفية
الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها
وكانت حردة وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبيا المذكورين
اي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة المسعرة بخلاف المقصود
من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي
رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب والمعصية او للرغب والرهب وكانوا لنا
خاشعين مخبتين متضرعين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي
احصنت فرجها اي اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شانها وتنزيهها عما
زعموه في حقها اثر ذي اثير فنفخنا فيها اي احيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ
فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما اية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرته

عز وجل

عز وجل فالمراد بالاية ما حصل بهما من الاية التامة مع انكار ايات كل واحد منهما وقيل اريد بالاية الجنس الشامل لما لكل واحد
منهما من الايات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها وابنها اية فحذفت الاولى للدلالة عليها ان هذه اي ملة التوحيد والاسلام
اشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد امتكم اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها
ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبيا عليهم السلام اذ لا
مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرى امتكم
بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله غيري فاعبدون خاصة
لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره قطعا موزعة
وينهى قبائح افعالهم الى الاخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هولاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة الانبيا كل اي كل
واحد من الفرق المتقطعة وكل واحد من احاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب
اعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات الى اخره تفصيل للجزاء اي فمن
يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مومن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك
بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال تنزهه تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح
وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفى الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به وانا
له اي لسعيه كاتبون مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرى حرم
وهي لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه
مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر
في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم
رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون
غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرى انهم لا يرجعون بالكسر على انه استيناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدا
محذوف اي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الاية السابقة من العمل الصالح المستتبع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى
انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها اي انهم لا يرجعون
وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج الى اخره هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه
قيل مستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيمة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الى اخره وعلى الثاني غاية للحرمة اي
مستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت الصيحة يرجعون اليها حتى لا تنفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر
اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيمة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ياجوج وماجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة
اجزا تسعة منها ياجوج وماجوج والمراد بفتحهما فتح سدهما على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرى فتحت بالتشديد
وهم اي ياجوج وماجوج وقيل الناس من كل حدب اي نشز من الارض وقرى جدث وهو القبر ينسلون اي يسرعون واصله مقاربة
الخطو مع الاسراع وقرى بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب
والجزا لا النفخة الاولى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفا الجزائية كما في
قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفا تظاهرتا على وصل الجزا بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على
تقدير قول وقع حالا من الموصول اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا
الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء او لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن
غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالايات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الايات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب

الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه
معلوم مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة للاعذار وما يعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما يفصح
عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الاية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود
عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله عليه السلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما
لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه صلى الله عليه وسلم رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان الزبعرى
قال هذا شي لالهتنا خاصة ولكل من عبد من دون الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شيا منها
نصا في عموم كلمة ما كان الاول نص في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبادة بل يكفي في ذلك شمولهم بطريق دلالة
النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله صلى الله عليه وسلم بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول
المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تاكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام
لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين عابوهم
الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شي حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب
شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت
ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية فهم داخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون
المذكورين عليهم السلام هذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلا ايضا وجعل ما سياتي من قوله
تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز والتخصيص فيما لا يساعده السياق والسياق كما يشهد به الذوق
السليم والحصب ما يرمى به وتهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصبا وقري بسكون الصاد وصفا له بالمصدر مبالغة انتم لها
واردون استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما
يعبدون تغليبا لو كان هولا اي اصنامهم الهة كما يزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها الهة
بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما تعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية
الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة لاغرار الكلام البديع عند
بيان ما سيق له النظم الكريم بطريق العبادة حيث سال ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكل فيها خالدون وكان الاقتصار
على الجواب الاول حماية لهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم
داخلون في حكم النص لا خلاص لهم فيها لهم فيها زفير اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب
ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول
وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال المومنين اثر
شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم منا في
التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة
وهو الاظهر الادخل في الحمل عليها لما ان الاولين مع خفايهما ليسا من مقدرات المكلفين فالجملة وما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله
تعالى وحرام الى اخره اوليك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم
وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اوليك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة
وشتان بينها وبين النار وما روي ان عليا رضي الله عنه خطب يوما فقرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم اجمعين ثم اقيمت الصلاة فقام
يجر رداه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طايفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اي لا يسمعون

صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون الصوت بعيدا او ان كان صوته في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه
فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقة للمبالغة في ابعادهم عنها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم
خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم على المهالك والمعاطب اي دايمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر
والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم
يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة عن الحسن رضي الله عنه انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على
النار وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة وقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وليس بدلك
فان الامن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شا الله لا جميع المومنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثر
على ان ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سياتي في سورة النمل وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنين لهم هذا يومكم
على ارادة القول اي قايلين هذا اليوم يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات والاعمال الصالحات
لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوي السما بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله
تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقيل تتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقيل
يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة اي طيا كطي الطومار وقري السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل
على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتاب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صلة على راي من يجوز حذف
الموصول مع بعض صلته او كطي السجل كاينا للكتب او الكاين للكتب فان الكتب عبارة عن الصحف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه
يتعلق الطي حقيقة وقري للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل اي كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا
وقيل السجل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدانا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدا اعادة مثل بدينا اياه في
كونها ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزا المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدا لشمول الامكان الذاتي
المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السوا وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا بفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف
متعلقة بمحذوف يفسره نعيده مثل الذي بداناه واول خلق ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر موكد لفعله
ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور
هو كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر اي التوراة وقيل اللوح المحفوظ اي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التوراة
او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا واثبتنا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي عامة المومنين بعد
اجلا الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبي عنه قوله
تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه
وسلم ان في هذا اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة
على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اي كفاية او سبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين اي لقوم همهم العبادة دون العادة وما
ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرايع والاحكام وغير ذلك من الامور التي هي مناط السعادة في الدارين الا رحمة للعالمين هو في حيز
النصب على انه استثنا من اعم العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة اي وما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة
لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشا لانتظام مصالحهم في النشاتين ومن لم يغتنم مغانم اثاره فانما فرط في نفسه
وحرمه حقه لانه تعالى حرمه ممن يبتغيه وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستيصال حسبما ينطق به قوله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه
المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه من الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشي كقولك انما يقوم زيد اي ما
يقوم الا زيد والثانية لقصر الشي على الحكم كقولك انما زيد قايم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اي مخلصون

العبادة لله تعالى مخصوص لهاية تعالى والفا للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها فالوافه دلالة على ان صفة الوحدانية
يصح ان يكون طريقها السمع **فان تولوا** عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوحيه من الوحي **فقل آذنتكم** اى اعلمتكم ما امرت به
او قولي لكم **على سواء** كائنين على سواء في الاعلام به لم اطو عن احد منكم او مستوين به انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او
ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء اى عدل واستقامة راى بالبرهان النير **وان ادري** اى ما ادري **اقريب ام بعيد ما توعدون**
من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه اتيا لا محالة **انه يعلم الجهر من القول** اى ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام
وتكذيب الايات التي من جملتها ما نطق به مجي الموعود **ويعلم ما تكتمون** من اللاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا
وقطميرا **وان ادري لعله فتنة لكم** اى ما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم وامتحان لكم لينظر كيف
تعملون **ومتاع الى حين** اى وتمتع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم **قال رب احكم**
بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرى قل رب على صيغة الامر اى اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب
والتشديد عليهم وقد استجيب دعاءه صلى الله عليه وسلم حيث عذبوا ببدر اى تعذيب وقرى رب احكم بضم الباء وقرى احكم على صيغة
التفضيل وربي احكم من الاحكام **وربنا الرحمن** مبتدا وخبر اى كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى **المستعان** اى المطلوب منه المعونة
خبر اخر للمبتدا او اضافة الرب فيما سبق الى ضميره صلى الله عليه وسلم خاصة لما ان الدعاء من الوظايف العامة له **على ما تصفون**
من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير
ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم
يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقرى يصفون بالياء التحتانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر في القران والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم كافة المكلفين عند
النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة وان كان خطاب
المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع سورة النسا ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة
واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمامور به مطلق التقوى الذي هو
التجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الاخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اى
احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى **ان زلزلة الساعة شيء عظيم** تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة
فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعتها ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التي لا ملجا منها سوى التدرع بلباس التقوى
مما يوجب مزيد الاعتنا بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث تزيل
الاشيا من مقارها وتخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كانها هي التي تزلزل
الاشيا واضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة
المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس زلزلة الساعة قيامها
وعن علقمة والشعبي انها تكون قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة حينئذ لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء
ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى **يوم ترونها** منتصب
بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اى وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها **تذهل كل مرضعة** اى مباشرة
للارضاع **عما ارضعت** اى تغفل وتذهب مع دهشة عما هي بصدد ارضاعه من طفلها الذي القمته ثديها والتعبير عنه بما دون من

لتاكيد

لتاكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا الا انها تعرف شيئه ولكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اى
تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرى تذهل من الاذهال مبنيا للفاعل مع نصب كل اى تذهلها
الزلزلة **وتضع كل ذات حمل حملها** اى تلقى جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة
والشعبي واما على ما روى عن ابن عباس فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف
واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل
على حملها ولا ريب في ان قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر **وترى الناس** بفتح الراء والتاء على
خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها
الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل احد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة
فان المراد بيان تاثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره لان مدار حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل وتصير
الناس سكارى الى اخره وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهوره تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلا الى حد لا يكاد يخفى على احد
اى يراهم كل احد **سكارى** اى كانهم سكارى **وما هم بسكارى** حقيقة **ولكن عذاب الله شديد** فغير هقهم وطير عقولهم وقرى بضم
التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قايما والناس منصوب اى تظنهم سكارى وقرى برفع الناس على اسناد الفعل المجهول
اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرى بضم التاء وكسر الراء اى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرى سكرى وسكرى كعطشى
وجوعى اجرا للسكر مجرى العلل **ومن الناس** كلام مبتدا جي به اثر بيان عظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين
لها ومحل الجار والرفع او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اى وبعض الناس وبعض كائن من الناس **من يجادل في الله** اى في شانه تعالى
ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى **بغير علم** حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر بها المجادلة من الجهل اى ملابسا بغير علم
روي انها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له
ولاضرابه من العتاة المتمردين **ويتبع** اى فيما يتعاطاه من المجادلة اى في كل ما ياتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك
كل شيطان مريد عات متمرد متجرد للفساد واصله العرى المبني عن التمحض له كالتشمر ولعله ماخوذ من تجرد المصارعين عند
المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما روسا الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس و
جنوده وقوله تعالى **كتب عليه** اى على الشيطان صفة اخرى له **انه** فاعل كتب والضمير للشان اى رقم به لظهور ذلك من حاله ان
الشان **من تولاه** اى اتخذه وليا وتبعه **فانه يضله** بالفتح على انه خبر مبتدا محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية
وخبرها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اى من تولاه فشانه انه يضله من طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله
قطعا وقيل فانه يضله على ان فيه من التعسف ما لا يخفى وقيل ما لا يحفظ عن التمحل والتاويل وقرى فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب
لها وقرى بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يامر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او تضمين
الكتب معناه على راي من يراه **ويهديه الى عذاب السعير** بحمله على مباشرة ما يودي اليه من السيئات **يا ايها الناس** اثر ما حكى احوال
المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث **ان كنتم في ريب من البعث**
من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرى من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه
بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تعرضها لهم في ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم
على ان يقال ان ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا **فانا خلقناكم** اى فانظروا
خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اى خلقنا كل فرد منكم **من تراب** في ضمن خلق ادم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر
له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس
انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا **ثم من**

نطفة اي ثم خلقنا كم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب ثم من علقة اي قطعة من الدم جامدة
متكونة من المني ثم من مضغة اى قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة
اي مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة اى لم تستبين خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة
لم يظهر فيها من الاعضا ثم ظهرت بعد ذلك شيا فشيا وكان مقتضي الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة على
القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة
وبالساقطة وليس بذلك وفي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدا لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا
النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الاية مزيد دلالة على عظيم قدرته تعالي وكسر السورة استبعادهم لنبين لكم متعلق
متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اي خلقنا كم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقايق
والدقايق التي من جملتها سر البعث فان من تامل فيما ذكره من الخلق التدريجي تاملا حقيقيا جزم جزما ضروريا بان من قدر على
خلق البشر اولا من تراب لم يشم رايحة الحياة قطعا وانشاه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصويره في اطوار الخلقة
من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون في القياس نظرا الى
الفاعل والقابل وقرى ليبين بطريق الخبر والالتفات وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشا استيناف مسوق لبيان حالهم
بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادي
التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالي بل جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن
نقر في الارحام بعد ذلك ما نشا اي نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع
سنين وفيه اشارة الى بعض ما في الارحام لا يشا الله تعالي اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه والتعرض للاول لانه لا يناسب
المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا اصرح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وانما فصل
الى هنا من الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرى نقر بالنصب وبالياء ونقر ويقر بضم القاف من قرت الماء اذا صببته ثم نخرجكم
اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة
الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرى يخرجكم بالياء وقوله تعالي ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له
مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيا فشيا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الى
اخره وما قيل انه معطوف على نبين مثلها والمعني خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا
والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل
للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة الكلام ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة
اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدى الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى ضمير المخاطبين على التبليغ مسندا
اليه تعالي كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدية الاثار والافعال والاشد
من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسود والقتود وكانها حيث كانت شدة في غير شي بنيت على لفظ الجمع ومنكم من
يتوفى اي بعد بلوغ الاشد وقبله وقرى يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالي ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم
والخرف وقرى بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجرى على سنن الكبريا بالتعين الفاعل لكيلا يعلم
من بعد علم اي علم كثير شيا اي شيا من الاشيا او شيا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود على ما كان
عليه في اول الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من
التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الروية
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت

فاذا انزلنا عليها الما اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرى ربات اي ارتفعت وانبتت
من كل زوج اي صنف بهيج حسن رايق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستانف جي به اثر تحقيق حقية البعث واقامة
البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك من اثار الوهيته تعالي واحكام شؤونه الذاتية والوصفية
والفعلية وان ما ينكرون وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من اسباب تلك الاثار العجيبة التي تشاهدونها
في الانفس والافاق ومبادي صدورها وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره
ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق
ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في
احوال متباينة واحيا الارض بعد موتها وما فيه من معني البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدا خبره الجار والمجرور
اي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالي هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشيا وانه
يحي الموتى اي شانه وعادته احياوها وحاصله انه تعالي قادر على احيايها بدا واعادة والا لما احيا النطفة والارض الميتة
مرارا وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شي قدير
اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات الفايتة للحصر التي من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته
تعالي لذاته التي نسبته الى الكل سوا فلما دلت المشاهدة على قدرته على احيا بعض الاموات لزم اقتداره على احيا كلها فتشاوه
العقول بما سبق له النظم الكريم من بيان كون الاثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصيص
احيا الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشيا المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتنا
به وان الساعة اتية اي فيما سياتي وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لا قتضا
الحكمة اياه لا محالة وتعليله بان التعبير من مقدمات الانصرام وطلايعه مبني على ما ذكر من العقول وقوله تعالي لا ريب فيها اما
خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلايلها التكوينية والتنزيلية بحيث
ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالبا كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها
في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى موثران فيما ذكر من افاعيله
تعالي تاثير القدرة فيهما بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رافته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من
خلقهم واحيا الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على مكانهما ليتاملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة
ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالي ما فعل بل لما خلق العالم راسا وهذا
كما ترى حقيقته تعالي في افعاله وابتنايها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام حقيقته تعالي في صفاته وكونها في غاية الكمال
وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالي حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالي
قادر على احيا الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بان
مال الاستدلال بحكمته تعالي على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما مر من خلق الانسان
واحيا الارض فتامل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالي ان الساعة اتية ليس معطوفا على المجرور بالبا ولا داخلا في حيز السببية
بل هو خبر والمبتدا محذوف لفهم المعني والتقدير والامر ان الساعة اتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك ليعلموا
بان الله هو الحق الاية ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من
يتصدى لاضلال الناس واغوايهم كاينا من كان كما ان الاول من يقلدهم على ان الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق
بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اي كاينا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله
تعالي ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب منير وحي يظهر الحق اي يجادل في شانه تعالي من غير

تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس
لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به المجادل الاول والتكرير للتاكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او
وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر لغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي
والسمعي **ثاني عطفه** حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفا بجانبه وطاويا كشحه معرضا مستكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر
وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه **ليضل عن سبيل الله** متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال
والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المومنين او الناس جميعا بتغليب المومنين على غيرهم واما
التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح اليا وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد
به الضلال المبين الذي لا هداية له بعده ومع تمكنه منها قبل ذلك **له في الدنيا خزي** جملة مستانفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه
من الطريقة اي ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار **ونذيقه يوم القيامة عذاب**
الحريق اي النار المحرقة **ذلك** اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية
من الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى **بما قدمت يداك** اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه
لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي والالتفات لتاكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله تعالى **وان الله ليس بظلام**
للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم
مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل
عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في
سورة الانفال **ومن الناس من يعبد الله على حرف** شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده
تعالى على طرف من الدين لا ثبات له كالذي ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر **فان اصابه خير** اي دنيوي من الصحة
والسعة **اطمأن به** اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا الا انه اطمأن به اطمئنان المومنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف
وان اصابته فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله **انقلب على وجهه** انها نزلت في اعاريب قدموا
المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت
في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الاخيرا الا شرا وانقلب وعن ابي
سعيد رضي الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال صلى الله عليه
وسلم ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم **خسر الدنيا والاخرة** فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط
عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على
انه خبر مبتدا محذوف **ذلك** اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون **هو الخسران المبين**
الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله **يدعو من دون الله** استئناف مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى
ما لا يضره اذا لم يعبده **وما لا ينفعه** ان عبده اي جمادا ليس من شانه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما **ذلك** الدعاء **هو**
الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعارا من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق **يدعو لمن ضره اقرب من نفعه**
استئناف مسوق لبيان ماله دعاؤه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق
المباشرة نفيه عنه بطريق التسبب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدا وضره
مبتدا ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدا الاول وقوله تعالى **لبئس المولى ولبئس العشير** جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر
للمبتدا الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله
والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه

اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز
ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول لا تاكيدا له فقط وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال
البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم يقول لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس
العشير وكلمة من وصيغة التفضيل تهكم به ايضا وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب
من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم ايضا والجملة القسمية مستانفة **ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات**
جنات استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المومنين العابدين له تعالى وان الله تعالى يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من اجل المنافع
واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقي المجاهدين والمذبذبين وان معبودهم لا يجدي بهم شيئا من النفع بل
يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى **تجري من تحتها الانهار** صفة
لجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف
اي من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق
اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى **ان الله يفعل ما يريد** تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق
اي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من امن به وصدق رسوله
صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب برسوله صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا من اثار نصرته تعالى له صلى الله عليه وسلم
عقب بقوله عز وعلا **من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة** تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه واكده وفيه ايجاز
بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والاخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه
ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته بعض الامور ومباشرة ما يرده من المكايد فليبالغ في استفراغ
المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق خنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته
ومباديه **فليمدد بسبب الى السما** فليمدد حبلا الى سقف بيته **ثم ليقطع** اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس
مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره على ان المراد بالنظر في قوله تعالى **فلينظر هل**
يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اي فليتصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي هو اقصى ما انتهت اليه قدرته
في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصر كلا ويجوز ان يراد فلينظر الان انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى
فليمدد حبلا الى السما المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره ويأباه ان مساق
النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور
الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحي فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة
غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه صلى الله
عليه وسلم من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه صلى الله عليه وسلم ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر
بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر
ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يغلب القسمة ولا يرده مرزوقا **وكذلك** اي مثل ذلك الانزال
البديع المنطوي على الحكم البالغة **انزلناه** اي القران الكريم كله وقوله تعالى **ايات بينات** اي واضحات الدلالة على معانيها
الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك **وان الله يهدي** به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد فيه **من يريد**
هدايته او تثبيته او زيادة فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اي ولان الله يهدي من يريد انزله كذلك
او الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي والامر ان الله تعالى يهدي من يريد هدايته **ان الذين امنوا** اي بما ذكر من الايات
البينات بهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **والذين هادوا والصابئين والنصارى**

والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل
اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة
الاصنام وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة في حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفي الجملتين بحرف التحقيق
لزيادة التقرير والتاكيد اي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما
حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثاني حسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله على كل شيء شهيد تعليل لما قبله من
الفصل اي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضية الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة
واجزاء اجزائه اللائقة عليه وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الى آخره بيان لما يوجب
الفصل المذكور من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر ما
بوجه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التي من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور
المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره
تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل افعال المكلف في باب الطاعة ايذانا بكونه في اقصى مراتب التسخر والتذلل
سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق فيهما
او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها
واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس
فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة من قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل
هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود
والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم على الحقيقة وهم الصالحون المتقون وان يكون قوله تعالى
وكثير معطوفا على كثير للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم بحقية استحقاق العذاب كانه قيل وكثير من الناس حق عليه العذاب
اي بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اي حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من
صرف اختياره الى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء التي
من جملتها الاكرام والاهانة هذان تعيين لطرفي الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست
وبين البواقي وتحرير لمحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان اي فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا
في ربهم حملا على المعنى اي اختصموا في شانه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد
كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما
التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم ثم كفرتم
به حسدا فنزلت فالذين كفروا تفصيل لما اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة قطعت لهم اي قدرت على مقادير جثثهم
وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب من فوق رؤوسهم الحميم اي الماء الحار
الذي انتهت حرارته قال ابن عباس رضي الله عنهما لو قطرت قطرة منه على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستانفة او خبر ثان
للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اي يذاب ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ بتضعيف التشديد والجلود عطف على ما وتاخيره
عنه لمراعاة الفواصل وللاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تاثيرها في الباطن اقدم من تاثيرها في الظاهر مع ان
ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهي آلة القمع كلما
ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منها حسبما روي انهم تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في
اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم اي من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار

والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اي في قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها
وذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلو
ب باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر
المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس
اي يحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليها ومن في قوله تعالى من اساور اما للتبعيض اي بعض اساور
وهو جمع اسورة جمع سوار او للبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون
فانه بمعنى يلبسون من ذهب بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه
يحلون اي يؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولؤا بقلب الهمزة الثانية ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبها واوا وليليا بقلبهما ياء ولباسهم
فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن لا للدلالة على ان الحرير لباسهم المعتاد او لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل
بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف
الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية
على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قوله الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض الآية وهدوا الى
صراط الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته وهي الجنة ووجه تاخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتاخر عن
دخول الجنة المتاخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل
وصراطه الاسلام ووجه التاخير حينئذ ان ذكر الحمد لذاته يستدعي ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ليس
المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان من الحد في الحرم حيث
عوقب بالعذاب الاليم فلأن يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله باشد من ذلك احق واولى والمسجد الحرام عطف على
سبيل قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذي جعلناه للناس اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي سواء العاكف فيه
والباد اي المقيم والطارئ وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف
المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدا والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ
العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول
عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك
واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا يقال بوأه منزلا اي انزله فيه ولما لزمه جعل الثاني مباءة للاول قيل
لابراهيم مكان البيت وعليه مبني قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلنا اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام اي
مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير
مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة
حمراء فاعلم الله ابراهيم عليه السلام بمكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روي ان الكعبة
الشريفة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام
والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير رحمه الله تعالى والخامسة
بناء الحجاج وقد اوردنا ما في هذا الشأن من الاقاويل في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان في قوله تعالى
ان لا تشرك بي شيئا مفسرة لبوانا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه

في اوايل سورة هود اي فعلنا ذلك ليلا تشرك بي في العبادة شيئا **وطهر بيتي للطايفين والقايمين والركع السجود** اي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل به باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء **واذن في الناس بالحج** اي ناد فيهم وقرئ اذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النسا فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ويابى كون السورة مكية **ياتوك** جواب للامر **رجالا** اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قايم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى **وعلى كل ضامر** عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله **ياتين** صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ ياتون على انه صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس **من كل فج** طريق واسع **عميق** بعيد وقرئ معيق يقال بير بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ **ليشهدوا** متعلق بياتوك لا باذن اي ليحضروا **منافع** عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى **لهم** متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كاينة لهم **ويذكروا اسم الله** عند اهدا الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايذانا بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه **في ايام معلومات** هي ايام النحر كما ينبي عنه قوله تعالى **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالرزق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر **فكلوا منها** التفات الى الخطاب والفا فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر وقد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانفجرت اي فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقرا ومساواتهم **واطعموا البايس** الذي اصابه بوس وشدة **الفقير** المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا **ثم ليقضوا تفثهم** اي ليودوا ازالة وسخهم اي ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال **وليوفوا نذورهم** ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء **وليطوفوا** طواف الركن الذي به يتم التحلل فانه قرينة قضا التفث وقيل طواف الوداع **بالبيت العتيق** اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فعصمه الله عز وجل واما الحجاج الثقفي فانه قصد اخراج ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما منه لا التسلط عليه **ذلك** اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد **ومن يعظم حرمات الله** اي احكامه وساير ما لا يحل هتكه للعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبها وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة وما يتعلق بالمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام **فهو خير له** اي فالتعظيم خير له **عند ربه** اي في الاخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره للتشريف والاشعار بعلة الحكم **واحلت لكم الانعام** وهي الازواج الثمانية على الاطلاق **الا ما يتلى عليكم** اي الا ما يتلى عليكم اية تحريمه استثنا متصل فهو على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ورفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرم به كما يحرم الصيد وعدم الاكتفا ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثنا المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا المراعات حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى **فاجتنبوا الرجس من الاوثان** فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من دواعي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم اية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى **واجتنبوا قول الزور** تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع

ذلك

ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحاير والسوايب ونحوهما والافترا على الله سبحانه بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك الماخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف منصرف عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك **حنفاء لله** مايلين عن كل دين زايغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى **غير مشركين به** اي شيئا من الاشيا فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا **ومن يشرك بالله** جملة مبتدأة موكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك وقرئ **فتخطفه** **فكانما خر من السما** لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر **فتخطفه الطير** فان الاهوا الردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلهما تختطفه **او تهوي به الريح** اي تسقطه وتقذفه **في مكان سحيق** بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شبيها بهلاك احد الهالكين **ذلك** اي الامر ذلك اي لتلواذ ذلك **ومن يعظم شعاير الله** اي الهدايا فانها من معالم الحج وشعايره تعالى كما ينبي عنه والبدن جعلناها لكم من شعاير الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار **فانها** اي فان تعظيمها **من تقوى القلوب** اي من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعايد الى من او فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في ساير الاعضاء **لكم فيها** اي في الهدايا **منافع** هي درها ونسلها وصوفها وظهرها **الى اجل مسمى** هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه **ثم محلها** اي وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية **الى البيت العتيق** اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الذي اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظم منها في النفع محلها اي وجوب نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعاير مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضا المناسك واقامة شعاير الحج الى اجل مسمى هو انقضا ايام الحج ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضا المناسك واضافة المحل اليها لادنى ملابسة **ولكل امة** اي لكل اهل دين **جعلنا منسكا** اي متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض **ليذكروا اسم الله** خاصة دون غيره ويجعلون نسكهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك تذكر المعبود **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى **فالهكم اله واحد** للكل تغليبا والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد في ذاته كما انه واحد في الهيته للكل والفا في قوله تعالى **فله اسلموا** لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك **وبشر المخبتين** تجريد الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظايف الخاصة بهم **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها **والصابرين على ما اصابهم** منه تعالى لا من مشاق التكاليف ومويات النوايب **والمقيمي الصلاة** في اوقاتها وقرئ بنصب الصلاة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلاة على الاصل **ومما رزقناهم ينفقون** في وجوه الخيرات **والبدن** بضم البا وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة والسكون تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذ من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في

الاجزا على سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنه عن سبعة والبقرة عن سبعة جملا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه
بمضمر يفسره جعلناها لكم وقرى بالرفع على انه خبر وقوله تعالى من شعاير الله اي من اعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان
للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير اى منافع دينية ودنيويه جملة مستانفه مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها
بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر والله اكبر اللهم منك واليك صواف اى قايمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرى صوافن من صفن الفرس
اذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنه تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرى صوافنا بدل التنوين من حروف
الاطلاق عند الوقف وقرى صوافي خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله
لعلي ارى باق على الحدثان فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهي كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا
القانع اى الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسالة ويويده انه قرى القنع والسايل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السوال والمعتر
اى المتعرض للسوال وقرى المعتري يقال عره واعتراه وعراه واعتره كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف
سخرناها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله لتكبروا الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر غيره فتوحدوه بالكبريا وقيل هو التكبير
عند الاحلال والذبح على ما هداكم اى ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على هدايته اياكم او على
ما هداكم اليه وعلى متعلقه بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اى المخلصين في كل ما ياتون وما يذرون في امور دينهم ان الله
يدفع عن الذين آمنوا كلام مستانف مسوق لتوطين قلوب المومنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدايهم بحيث لا يقدرون على
صدهم عن الحج ليتفرغوا على اداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتنا التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او
للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اى يبالغ في دفع غايلة المشركين
وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين
كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وقرى يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما
في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل
خوان في امانة تعالى وهي اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التي معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا
لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا اذن اى رخص وقرى على
البنا للفاعل على اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا للذين يقاتلون اى يقاتلهم المشركون والماذون فيه محذوف لدلالة
المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرى على صيغة المبني للفاعل اى يريدون ان يقاتلوا
المشركين فيما سياتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر بانهم ظلموا اى بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم كان المشركون يوذونهم وكانوا ياتونه صلى الله عليه وسلم من مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول صلى الله عليه وسلم
اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول اية انزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين اية وان الله على
نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتاكيد لما مر من العدة الكريمة بالرفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم من ايدي المشركين
بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبريا وتاكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق
مضمونه وزيادة توطين نفوس المومنين وقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان
له او بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدا والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة
بغير حق متعلق باخرجوا اى اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اى بغير موجب سوى
التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتايب

وقيل الاستثنا منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المومنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرى دفاع لهدمت

لخربت

لخربت باستيلا المشركين على اهل الملل وقرى هدمت بالتخفيف صوامع للرهبانية وبيع للنصارى وصلوات اى كنايس
لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اى ذكرا كثيرا او
وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز
وجل من الصوامع والبيع والكنايس بعد انتساخ شرعتها مما لا يقتضيه المقام ولا ترتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره
اى وتالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او ينصر دينه ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد
العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم
عزيز لا يمانعه شي ولا يدافعه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطايه
اياهم زمام الاحكام منبي عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثنا قبل بلا اى انه تعالى
اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع
السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقا وعن الحسن رضي الله عنه وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ولله خاصة عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتدبيره وفيه تاكيد للوعيد باظهار اوليايه
واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من
يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه
تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته صلى الله عليه وسلم عما يترتب على التكذيب من الحزن
المتوقع اى وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم بانك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين اى رسلهم ممن ذكر وممن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد ولان المراد تعيين
الفعل اى فعلوا التكذيب قوم نوح الى اخره وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبنا الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل
وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان اخر على ان بني اسرائيل ايضا
قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق عليه قوله تعالى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الايات الكريمة بل للايذان بان
تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون اياته في كمال الوضوح وقوله تعالى فامليت للكافرين اى امهلتهم حتى انصرمت حبال
اجالهم والفا للترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب الامهال على كل تكذيب الكل ووضع
الظاهر موضع الضمير العايد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بتكذيب موسى عليه السلام حيث لم يذكر فيما قبل صريحا
ثم اخذتهم اى اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء املايه وامهاله فكيف كان نكير اى انكاري عليهم بالاهلاك
اى فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها
اى فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتدا واهلكناها خبره اى وكثير
من القرى اهلكناها وقرى اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي ظالمة جملة حالية من مفعول
اهلكناها وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فعلى الاول
لا محل لها من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخوا اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط
فهي ساقطة حيطانها على عروشها اى سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم انهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد
السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله
فالمعنى فهي باقية مع بقا عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز على عروشها خبرا بعد خبر اى فهي خالية وهي على عروشها اى قايمة
مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت على الارض وبقيت الحيطان قايمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد

الاشراف الى الكل مع كونه حال الحبطان لما مرانفا وبير معطلة عطف على قرية اي وكم بير عامرة في البوادي تركت لا يستقى
منها لهلاك اهلها وقرى بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص اخليناه وهذا يؤيد كون
معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبير بير بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم
حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح عليه السلام فقتلوه فاهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا
ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على
ذلك والفا لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد
الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او
من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار
وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم
باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتاكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف
الذي يختص به البصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا
اعمى افاكون في الاخرة اعمى ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجي العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به
استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار وقوله تعالى ولن يخلف الله
وعده اما جملة حالية جي بها لبيان بطلان انكارهم لمجيه في ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف تنكرون مجي العذاب
الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيه حتما او اعتراضية مبنية لما ذكر وقوله تعالى وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستانفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم
في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى
مدة طوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيه ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترون
على الاستعجال ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقرئ يعدون على صيغة الغيبة
اي يعده المستعجلون او فق بهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول
صلى الله عليه وسلم ومن معه من المومنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبنية لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة
مجيه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه
فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفى في رد
انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا او حمل المستعجل به على عذاب الاخرة وحمل اليوم عبارة عن العذاب المستطال
لشدته او عن ايام الاخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه فان كلا منهما
ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل طوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا
ترى الى قوله تعالى وكاي من قرية الى اخره فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل
الشديد بعد الاملاء المويد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضماير والاحكام مبالغة
في التعميم والتهويل امليت لها جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال
انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كهولاء وهي ظالمة بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى والي
المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مال امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي
الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا شركة فافعل بهم ما يفعل بما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين

اتدركم

اتدركم انذارا بينا بما اوحي من انبا الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به
والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بما اشير اليه من ان مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المومنون وثوابهم
زيادة في غيظهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما اندر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما
يجمع فضائله ويحوز كمالاته والذين سعوا في اياتنا معجزين اي مسابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم
للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه وعجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الاخر عن اللحاق به
وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم
اي ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى
بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى
عليهما السلام ولذلك شبه صلى الله عليه وسلم علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم سئل عن
الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا فقيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من
جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى
اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيا في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال
صلى الله عليه وسلم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب
بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته اي يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة
المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية
من موجبات احكام اياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم لكل ما من شانه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل
عمدا او خطا حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه
بزوال المسكنة وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليهم ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة
النجم فاخذ يقرؤها فلما فرغ وبلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى تابعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مومن ولا مشرك الا
سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الاية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت
على الايمان عن المتزلزل وقيل تمنى بمعنى قرا كقوله

تمنى كتاب الله اول ليلة ٭ تمني داود الزبور على رسل

وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق بالقران ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله وفي الاية
دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان
من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم لما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في
حق سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سياتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين في
قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الاية والقاسية قلوبهم اي المشركون وان الظالمين اي الفريقين
المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد اي عداوة
شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القران الحق من ربك اي الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين
الشيطان من الالقاء الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجليلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم عليه السلام

فحينئذ لاحاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقا في حقه عليه السلام لكن يا باه قوله صلى الله عليه وسلم فيؤمنوا به اي
بالقران اي شتبوا على الايمان او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من
الاوامر والنواهي ورجع الضميرين لاسيما الثاني الى تمكين الشيطان من الالقا مما لا وجه له وان الله لهادي الذين آمنوا اي في
الامور الدينية خاصة خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح
والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية اي في شك وجدال منه اي من القران وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم
والاول هو الاظهر بشهادة من سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله اياته وقوله تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا
باياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته فمما لا امتناع له لان ذلك ليس من هنا تهم التي تستمر الى الامد المذكور بل انما
هي مريتهم المستمرة كانها ليست متبدلة ليست ناشية منه ضرورة انما مستمرة منهم من لدن نزول القران الكريم حتى تاتيهم الساعة
اي القيامة نفسها كما يوذن به قوله تعالى بغتة اي فجاة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او ياتيهم عذاب يوم
عقيم اي يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد يوما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا كانه قيل او ياتيهم
عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على شروطها لما عرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون
فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النسا يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابنا الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما
اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير فيهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشا مطرا او لما لم يلقح شجرا او لانه لا مثل له
لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصريف الكلي فيه بالله عز
وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخروي يقتضي بان المراد به يوم القيمة قضا بينا لا ريب فيه الملك
اي السلطان القاهر والاستيلا التام والتصرف على الاطلاق يومئذ لله وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف
من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين
نائبا عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عن ما يستلزمه ذلك ومن ايمانهم كما قيل لان القيد المعتبر مع اليوم حيث
وسط بين طرفي الجملة يجب ان لا يكون مدار احكامها اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في
ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما ليس له تعلق ما بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شي منهما مع اليوم قطعا واما الذي
يدور عليه مما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدا ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فاذا هو نايب عن نفس الجملة
الواضعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يومئذ اذ تاتيهم الساعة او عذابها لله تعالى وقوله تعالى يحكم بينهم جملة مستانفة وقعت جوابا
عن سؤال نشا عن الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين الفريقين المومنين به والممارين فيه
بالمجازاة وقوله تعالى فالذين آمنوا الى اخره تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين امنوا بالقران الكريم ولم يماروا فيه وعملوا
الصالحات امتثالا لما امروا في تضاعيفه في جنات النعيم اي مستقرون فيها والذين كفروا وكذبوا باياتنا اي اصروا على ذلك ه
واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدا وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من
مبتدا وخبر معتمد عليه وقعت خبرا لاولئك اي لهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا ه
واولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفا للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول
الاول عنها للايذان بان اثابة المومنين بطريق لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى مهين صفة
لعذاب موكد لما افاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد اي
حسبما يلوح به قوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتدا وقوله تعالى ليرزقنهم الله
جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدا يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى

رزقا حسنا جواب لقسم محذوف والجملة خبره اما مفعول على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر موكد
والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة
فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله
هولا الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت
وقيل نزلت في طوايف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير
حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه
بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استيناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر
ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انما قيل يرضونه لما انهم يرون فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك والجملة
لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده اي الامر ذلك كلام مستانف ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي
الابتدا بالعقاب الذي هو جزا الجناية للمشاكلة او لكونه سببا له ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه
لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والغفران فيعفوا عن المستنصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو ه
والصبر والمغفرة ولمن صبر وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور فان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه
تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان ان تعلو رتبته
ومحله الرفع على الابتدا خبره قوله تعالى بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي بسبب انه تعالى من شانه وسنته
تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشيا المتضادة وعبر ذلك بادخال احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص
عن الاخر او بتحصيل احدهما في مكان الاخر لكونه اظهر المواد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب ه
بصير بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر انفا مبتدا
خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان
لكونه مبتدا لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات واما الثابت الهية فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون
من دونه الها وقرى على البنا للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الالهة وقرى بالتا على خطاب المشركين هو الباطل اي
المعدوم في حد ذاته والباطل الهيته وان الله هو العلي على جميع الاشيا الكبير من ان يكون له شريك لا شي اعلى منه شانا واكبر
سلطانا الم تر ان الله انزل من السما ما استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف
على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف
يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا له ما في السموات وما في الارض خلقا
وملكا وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل شي الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
اي جعل ما فيها من الاشيا مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شيتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من
النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والتشويق الى
الموخر والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرى بالرفع على الابتدا تجري في البحر بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الاخير ه
ويمسك السما ان تقع على الارض اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك الا باذنه اي
بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لساير الاجسام القابلة للميل اليها فتقبله لقبول
غيرها ان الله بالناس لرءوف رحيم حيث هيا لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالايات
التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجي

احياكم **ثم يحييكم** عند البعث **ان الانسان لكفور** اي جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده **لكل امة** كلام مستانف جي به لزجر معاصريه صلى الله عليه وسلم من اهل الاديان السماوية عن منازعته صلى الله عليه وسلم ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطاهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية **جعلنا منسكا** اي وضعنا وعينا منسكا خاصا من الشرائع خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا يتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى **هم ناسكوه** صفة لمنسكا موكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا امر كما مر قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفا في قوله تعالى **فلا ينازعنك في الامر** لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا يتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عين لابائهم الاولين من التوراة والانجيل فانهم شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهولا امة مستقلة منسكهم القران المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما ما جعله عبارة عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن منازعتهم فلا ينازعنك بساعدة المقام وقرئ فلا ينازعنك على تهييجه عليه الصلاة والسلام والمبالغة في تثبيته واما ما كان محل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر السائل وجعله عبارة على قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وساير ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل **وادع** اي فادعهم او وادع الناس كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا **الى ربك** الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم **انك لعلى هدى مستقيم** الى طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين او الشريعة او ادلتهما **وان جادلوك** بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم **فقل** لهم على سبيل الوعيد **الله اعلم بما تعملون** من الاباطيل التي من جملتها المجادلة **الله يحكم بينكم** يفصل بين المومنين والكافرين **يوم القيمة** بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والايات **فيما كنتم فيه تختلفون** من امور الدين **الم تعلم** استيناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت **ان الله يعلم ما في السماء والارض** فلا يخفى عليه شي من الاشيا التي من جملتها ما يقولونه الكفرة او يعملونه **ان ذلك** اي ما في السماء والارض **في كتاب** هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له **ان ذلك** اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح اي الحكم بينكم **على الله يسير** فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شي من الاشيا ولا يتعسر عليه مقدور **ويعبدون من دون الله** حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم بما امر دينهم على غير مبني من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله **ما لم ينزل به** اي بجواز عبادته **سلطانا** اي حجة **وما ليس لهم به** اي بجواز عبادته **علم** من ضرورة العقل واستدلاله **وما للظالمين** اي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلما بداهة العقول **من نصير** يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير ارائهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم **واذا تتلى عليهم اياتنا** عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي **بينات** اي حال كونها واضحات الدلايل على العقايد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل **تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر** اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام اي الفظيع من التجهم او التسور او الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى **يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا** اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واظلم من ان يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شيا ما اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق المبين بالسلطان المبين

مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير **قل** ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين **افانبيكم** اي اخاطبكم فاخبركم **بشر من ذلكم** الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطواتكم بهم او مما تبغونهم من الغوائل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم **النار** اي هو النار على انه جواب لسوال مقدر كانه قيل ما هو وقيل مبتدا خبره قوله تعالى **وعدها الله الذين كفروا** وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استينافا كالوجه الاول او حالا من النار باضمار قد **وبئس المصير** اي النار **يا ايها الناس ضرب مثل** اي بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل الله مثل اي مثل في استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام **فاستمعوا له** اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى **ان الذين تدعون من دون الله** الى اخره بيان للمثل وتفسير على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه وتعالى في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بيا الغيبة ومبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف **لن يخلقوا ذبابا** اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين النفي والمنفي عنه **ولو اجتمعوا له** اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال **وان يسلبهم الذباب شيا** بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان ياخذ الذباب منهم شيا **لا يستنقذوه منه** مع غاية ضعفه ولو جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هي اعجز الاشيا وبين ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما تختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله **ضعف الطالب والمطلوب** اي عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كانه يطلب منه ويستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال **ما قدروا الله حق قدره** اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشيا عن مناسبته **ان الله لقوي** على خلق الممكنات باسرها وافنا الموجودات عن اخرها **عزيز** غالب على جميع الاشيا وقد عرفت حال الهتهم المقهورة لاذلها المعجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى **الله يصطفي من الملائكة رسلا** يتوسطون بينه تعالى وبين الانبيا عليهم السلام بالوحي **ومن الناس** وهم المختصون بالنفوس الزكية المويدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جانب الحق فيدعوهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرايعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شي من الاشيا بين ان عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتدا بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شا الله لانزل ملائكة وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ونحو ذلك من الاباطيل **ان الله سميع بصير** عالم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شي من الاقوال والافعال **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور** لا الى غيره لا اشتراكا ولا استقلالا **يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا** اي في صلاتكم امرهم بهما لما انهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا **واعبدوا ربكم** بسائر ما تعبدكم به **وافعلوا الخير** وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تاتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق **لعلكم تفلحون** اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير مستيقنين له واثقين باعمالكم والاية اية سجدة عند الشافعي رحمه الله لظاهر ما فيها من الامر بالسجود لقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها **وجاهدوا في الله** اي لله تعالى ولاجل اعدا دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه

صلى الله عليه وسلم انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **حق جهاده** اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد الى الضمير اتساعا اولانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه من اجله **هو اجتباكم** اي هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه **وما جعل عليكم في الدين من حرج** اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع له عنهم ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليه لقوله عليه الصلاه والسلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد **ملة ابيكم ابراهيم** نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف او وسع عليكم دينا توسعة ملة ابيكم او على الاغرا او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب حياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة اولان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه الصلاه والسلام فغلبوا على غيرهم **هو سماكم المسلمين من قبل** في الكتب المتقدمة **وفي هذا** اي في القران والضمير لله تعالى ويويده انه قرئ الله سماكم اولا براهيم وتسميتهم بالمسلمين في القران وان لم يكن منه صلى الله عليه وسلم كانت بسبب تسميته من قبل في قوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل في هذا تقديره في هذا بيان غير تسميته اياكم مسلمين **ليكون الرسول** يوم القيامة متعلق بسماكم **شهيدا عليكم** بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى **وتكونوا شهدا على الناس** بتبليغ الرسل اليهم **فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة** اي فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما **واعتصموا بالله** اي ثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه **هو مولاكم** ناصركم ومتولي اموركم **فنعم المولى ونعم النصير** اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا اولى ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها او عمرة اعتمرها بعدد من حج او اعتمر فيما مضى وما بقي والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المومنون

الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول في ذلك كالابشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجي متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرا على البنا للمفعول وكلمة قد هاهنا بافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا دنو وقوعه لا لحاله ضرورة ان المتوقع من حال المومنين ثبوت الفلاح لهم وانه ايانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعي الصلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه اريد بالافلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق الا في الاخرة فالاخبار به عن صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت ان اريد به كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وفيه افلح بضمة اكتفى بها عن الواو وكما في قول من قال ‎٭ ولو ان الاطبا كان حولي ٭‎ والمراد بالمومنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظايرهما في قوله تعالى **الذين هم في صلاتهم خاشعون** وما عطف عليه صفات مخصصة واما الاقوال الاتون بفروعه ايضا كما ينبي عنه اضافة الصلاة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة لهم حسبما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الايمان اجمالا وتفصيلا كما مر في اوايل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اي خايفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السما فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه **والذين هم عن اللغو** اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال **معرضون** اي في عامة اوقاتهم كما ينبي عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولا اوليا واعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبنا

الحكم

الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم منه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه **والذين هم للزكاة فاعلون** وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة للدلالة على انهم بلغوا الغايات القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وساير ما توجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلاة والزكاة مصدر لان الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه ومعنى الفعل قدم تحقيقه في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف **والذين هم لفروجهم حافظون** ممسكون لها فلا استثنا في قوله تعالى **الا على ازواجهم** من نفي الارسال الذي ينبي عنه الحفظ اي لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفا مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفرا كما في قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اي حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضميرها حافظون اي حافظون لها في جميع الاحوال الا حال كونهم والين قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل يحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظين فروجهم على الازواج لا تتعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تاكيدا على تاكيد تكلف على تكلف **او ما ملكت ايمانهم** اي سراريهم غير عمهن بما اجراهن لمملوكتهن مجرى غير العقلا ولانوثتهن المنبية عن القصور وقوله تعالى **فانهم غير ملومين** على عدم حفظها فيهن **فمن ابتغى وراء ذلك** الذي ذكره من الحد المتسع وهو اربع من الحراير وما شاء من الاما **فاولئك هم العادون** الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتما على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له واما لانها ليست بزوجة له فانها لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة في الجملة واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحياة لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان وجها **والذين هم لاماناتهم وعهدهم** لما يوتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق **راعون** اي قايمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم **والذين هم على صلواتهم** المفروضة عليهم **يحافظون** يواظبون عليها ويودونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر لما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة **اولئك** اشارة الى المومنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليه حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة **هم الوارثون** اي الاحقا بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغايب الاموال والذخاير وكرايمها **الذين يرثون الفردوس** بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار **هم فيها** اي في الفردوس والتانيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان **خالدون** لا يخرجون منها ابدا والجملة اما مستانفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون عنها **ولقد خلقنا الانسان** شروع في بيان مبدا خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال البعض افراده السعدا واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق ادم عليه السلام خلقا اجماليا حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا

من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار واطوار فبعيد من سلالة السلالة ما سل من الشي واستخرج منه فان فعالة اسم
لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصودة بالشك ومن ابتدائية متصلة بالخلق وما في قوله
تعالى من طين بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق بسلالة على
انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد
وقعت على التحقيق ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لآدم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان
آدم عليه السلام نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار اي
مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق
سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة اي دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء
علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة اي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها عظاما بان
صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة فكسونا العظام العظام المعهودة لحما من
بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة
مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء
بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم انشاناه خلقا اخر هي صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه
او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه
ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله فتعالى شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافعال العجيبة من احكام الالوهية والايذان بان حق كل من يسمع
ما فصل من آثار قدرته عز وجل ولاحظه ان يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى احسن الخالقين بدل من
الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو احسن الخالقين خلقا اي المقدرين
تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه
اي احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستتر روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الوحي فلما انتهى عليه الصلاة والسلام الى قوله خلقا اخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه فقال صلى الله عليه وسلم
اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على
كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية قال عمر رضي الله عنه فتبارك الله احسن
الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر فكان عمر رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في
اربع في الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او ليبدلنه خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن
الاية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله تعالى عنه وشقاوة
ابن ابي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح
في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الاية الكريمة منوط بما قبلها تعرب عنه
الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم انكم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في
اسم الاشارة من معنى الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك
ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية لميتون لصائرون الى الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت
دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم انكم يوم القيمة اي عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم

الحساب والمجازاة للحساب للثواب ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة
العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها
لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او الكواكب في مسيرها
وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس غافلين مهملين امرها
بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة
ويصل الى ما في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء هو المطر والانهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة انهار
سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة
فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على
المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المتاخر والعدول عن الاضمار ولان الانزال لا يعتبر فيه عنوان
كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم
ومصالحهم فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا قارا فيها وانا على ذهاب به اي ازالته بالافساد او التصعيد او التعمير بحيث يتعذر
استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به وكذلك جعل من ابلغ
قوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به اي بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم
فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولكم فلان
ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب
والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة بالنصب عطفا على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف دل
عليه ما قبله اي ومما انشانا لكم به شجرة تنبت بعد الطوفان تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة
وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منها علم له كامرئ القيس
ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو
النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم
وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشا الاصلي لها
وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية
اي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات
كما في قول زهير ** رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم ** قطينا لهم حتى اذا انبت البقل **
او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهن وصبغ
للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الاخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه
وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من
جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة
لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما ان
محل العبرة فيه اظهر مما في النبات وقوله تعالى نسقيكم مما في بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان
فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء
اي تسقيكم الانعام ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما
يحصل منها وعليها اي وعلى الانعام فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هي الابل

الابل خاصة لانها هي المحمول عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض عندهم والمناسب للفلك فانها سفاين البر
قال ذو الرمة ... سفينة بر تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن **وعلى الفلك تحملون**
اي في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها للحمل وهو الداعي الى تاخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من
المنافع الحاصلة منها من ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه** شروع في بيان اهمال الامم السابقة وتركهم
النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفايتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين
وتقديم قصة نوح عليه السلام على ساير القصص ما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا
يوصف فالواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتنا بمضمونها اي وبالله لقد ارسلنا نوحا الى اخره
ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود **فقال** متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى
الحق **يا قوم اعبدوا الله** اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود الا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانها
هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة المامور بها او للتعليل للامر بها وتعليله بالرفع صفة لاله باعتبار محله
الذي هو الرفع على انه فاعل او مبتدا اخره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره وقري بالجر باعتبار
لفظه **افلا تتقون** اي افلا تتقون انفسكم عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم الى اخره وليس بذاك وقيل افلا
تخافون ان يزيل عنكم نعمه الى اخره وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اتعرفون
ذلك اي مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره افلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله
تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقا مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين
فالمبالغة حينيذ في الكمية وفي الاول في الكيفية **فقال الملا** اي الاشراف **الذين كفروا من قومه** وصف الملا بما ذكر لاشتراك
الكل فيه للايذان بكمال اعراقهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم **ما هذا الا بشر مثلكم** اي في الجنس والوصف من
غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة **يريد ان يتفضل عليكم**
اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعا الرسالة مع كونه مثلكم ووصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه الصلاة والسلام واغرا
لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى **ولو شا الله لانزل ملايكة** بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق
بشريته عليه الصلاة والسلام اي لو شا الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملايكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملايكة لا يكون
الا بطريق الانزال فمفعول المشية مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شا لهداكم ونظايره **ما سمعنا بهذا**
اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام في دعوى النبوة **في**
اباينا الاولين اي الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم واباؤهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد
وانهماكهم في الغي والفساد واياما كان فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته عليه الصلاة والسلام كما ينبي عنه الفا
في قوله تعالى فقال الملا الى اخره وقيل معناه ما سمعنا به عليه الصلاة والسلام انه نبي فالمراد باباءهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه
السلام وقولهم المذكور هو الذي صدر عنهم في اواخر امره عليه الصلاة والسلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعايه عليه الصلاة
والسلام وقولهم **ان هو** اي ما هو **الا رجل به جنة** اي جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول **فتربصوا به** اي احتملوه واصبروا
عليه وانتظروا **حتى حين** لعله يفيق مما فيه محمول حينيذ على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من
البشرية وارادة التفضيل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا وعلى الاول
على تناقض اقوالهم مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون **قال** استيناف مبني على سوال نشا من حكاية كلام الكفرة كانه
قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما راهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال

حتى

حتى ييس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن **رب انصرني** باهلاكهم بالمرة فانه حكاية
اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى اخره **بما كذبون** اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل
تكذيبهم **فاوحينا اليه** عند ذلك **ان اصنع الفلك** ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول **باعيننا** ملتبسا بحفظنا وكلايتنا كان
معه عليه الصلاة والسلام منه عز وجل حفاظا وحراسا يكلونه باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة **ووحينا** وامرنا
وتعليمنا لكيفية صنعتها والفا في قوله **فاذا جا امرنا** لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب
كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيه كمال اقترابه او ابتدا ظهوره اي اذا جا اثر تمام الفلك
عذابنا وقوله تعالى **وفار التنور** عطف بيان لمجي الامر روي انه قيل له عليه السلام اذا فار الما من التنور اركب انت ومن معك وكان
تنور ادم فصار الى نوح عليهما السلام فلما نبع منه الما اخبرته امراته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة او في
موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفسيره في سورة هود **فاسلك فيها** اي ادخل
فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر **من كل** اي من كل امة **زوجين** اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه
قوله تعالى **اثنين** فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين وقري بالاضافة على ان المفعول اثنين اي من كل امة زوجين وهما
امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا اصرح في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا
جا امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على انه حكاية لامر اخر تنجيزي ورد عند فوران التنور الذي نيط
به الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به في ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد
مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم **واهلك** منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين
على القرايتين لادايه الى اختلال المعنى اي واسلك اهلك والمراد به امراته وبنوه وتاخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها
لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة من اهله واتباعه وانما هم داخلوها
باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثنا وغيره فتقديمه يودي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم
الا من سبق عليه القول منهم اي القول باهلاك الكفرة وانما جي بعلى لكون السابق ضارا كما جي باللام في قوله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى لكونه نافعا **ولا تخاطبني في الذين ظلموا** بالدعا لانجايهم **انهم مغرقون** تعليل للنهي او لما ينبي عنه من عدم قبول
الدعا اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وساير المعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد
امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى **فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم**
الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين **وقل رب انزلني** في السفينة او منها **منزلا مباركا**
اي انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقري منزلا اي موضع نزول **وانت خير المنزلين** امر عليه السلام ان يشفع دعاه بما يطابقه
من ثنايه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام ان يشفع بالامر مع شركة الكل في الاستوا والنجاة لاظهار فضله عليه
السلام والاشعار بان في دعايه وثنايه مندوحة عما عداه **ان في ذلك** الذي ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه **لايات** جليلة
يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذووا الاعتبار **وان كنا لمبتلين** ان مخففة واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان
محذوف اي وان الشان كنا مصيبين قوم نوح بعذاب عظيم وعقاب شديد اي مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر
ويتذكر لقوله تعالى ولقد تركناها اية فهل من مدكر **ثم انشانا من بعدهم** اي من بعد اهلاكهم **قرنا اخرين** هم عاد حسبما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في ساير السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر
قصة قوم نوح وقيل هم ثمود **فارسلنا فيهم** جعلوا موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة ونحوه لا غاية له كما في
مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم ياتهم من غير مكانهم بل انما نشا فيما بين اظهرهم
كما ينبي عنه قوله تعالى **رسولا منهم** اي من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان في قوله تعالى **ان اعبدوا الله** مفسرة لارسلنا

المتضمنة معنى القول اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله وقوله تعالى ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المامور بها
او للامر بها او لوجوب الامتثال به افلا تتقون اى عذابه الذي تستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في
العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقال الملا من قومه حكاية لقولهم الباطل الذي تنطق به حكاية ارسال الرسول
بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المجاورة
والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستيناف المبني على السؤال كما ينبي عنه ما سياتي من حكاية سائر الامم اي وقال الاشراف
من قومه الذين كفروا في محل الرفع على انه صفة للملا وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتاخيره من قومه لعطف
قوله تعالى وكذبوا بلقاء الاخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى اي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب اي بمعادهم
الى الحياة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم مضلين لهم
ما هذا الا بشر مثلكم اى في الصفات والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة في تهوين امره عليه السلام وتهوينه ياكل
مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وتاخيره والعايد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور وقد حذف مع الجار
لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اي فيما ذكر من الاحوال والصفات اي امتثلتم باوامره انكم اذا اى على تقدير الاتباع
لخاسرون ومغبونون في ارائكم حيث اذللتم انفسكم نظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة الدارين
خسرانا دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يوفكون واذا وقع بين اسم ان وخبرها لتاكيد مضمون
الشرط والجملة جواب قسم محذوف قيل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اى والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا
لخاسرون ايعدكم استيناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع الى الايمان واستبعاده
انكم اذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرى بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب كان بعض
اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان
متقدمو كم ترابا صرفا ومتاخروكم عظاما وقوله تعالى انكم تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى
مخرجون اي من القبور احياء كما كنتم قبل وقيل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم
وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم وقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذي يقتضيه
جزالة النظم الكريم هو الاول وقرى ايعدكم اذا متم الى اخره هيهات هيهات لتكرير لتاكيد البعد اى بعد الوقوع او الصحة
لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في هيت لك لانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما توعدون وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرى بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر
على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا حياتنا فاقيم الضمير
مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما هي للنفس تتحمل ما حملت وهي العرب
تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى
نموت ونحيى جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحياة هي الحياة الدنيا بعد الموت ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله
كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال اى
هو عليه السلام عند ياسه من ايمانهم بعد ما سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم
لي منهم بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه قال تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اى
عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اى شيء
قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اتم بنا دم اصابتهم
الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روي ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنى منها

بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم
صاح الزمان بال برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان
بالحق متعلق بالاخذ اي بالامر الثابت الذي لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء اي كغثاء السيل
وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التي لا تكاد تستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام
لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ثم انشانا من بعدهم اي بعد هلاكهم قرونا اخرين هم قوم صالح
ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم اي ما
تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستاخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشانا لكن لا على معنى ان
ارسالهم متراخ من انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه
قيل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوف بالجملة المعترضة
الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترى اي متواترين واحدا بعد
واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج وتتقون والالف للتانيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه
مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه استيناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عنده
تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة
كلهم حيث ارسلوا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال اللائق
بالرسل والمجيء بالرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة اسبابه التي هي الكفر والتكذيب
وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما
يتحدث به تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر هاهنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما
القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد في الكفران والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هارون
باياتنا هي الايات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر
منها اذ المراد هي الايات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها
بالذكر مع اندراجها في الايات لما انها ام اياته عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها
لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها
شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما
نفس الايات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين
وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اي اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط بارائهم لا بارا
اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين ومتمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض
مقرر للاستكبار اى كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اي كانوا فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر
لانه يطلق على الواحد لقوله بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في
حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل
شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون
بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب
ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم
كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض

بشا بهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه اخر غير البشرية واللام في لنا متعلق بعابدون قدم عليه
رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نومن موكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد الموسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات
الدنيوية الدايرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كداب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفا للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز
الملكات السنية جبلة واكتسابا **فكذبوهما** اي فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا **فكانوا من المهلكين** بالغرق في بحر
القلزم **ولقد اتينا** اي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من مهلكهم **موسى الكتاب** اي التوراة وحيث كان ايتاوه عليه الصلاة والسلام
اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شان الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل **لعلهم يهتدون** اي الى طريق الحق بالعمل بما فيها من
الشرايع والاحكام وقيل اريد اتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم
اي من ال فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التوراة انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما
الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى مما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد
بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم لوط كما سياتي في سورة
القصص **وجعلنا ابن مريم وامه اية** اي اية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالاية امر واحد نسب اليهما
او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهرت منه معجزات جمة وامه اية بان ولدته من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه السلام ابنها وكونها امه عليهما السلام للايذان من اول الامر بحقيقة كونهما اية
فان نسبته عليه السلام اليها مع ان النسب الى الاباء دالة على ان لا اب له وان امه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب وتقديمه
عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونه اية كما ان تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها
من الاحصان والنفخ **وآويناهما الى ربوة** اي ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد السما واقرب
الارض الى السما بثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربا
وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم **ذات قرار** مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع
لاجلها يستقر فيها ساكنوها **ومعين** اي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الما اذا جرى واصل الابعاد في المشي او من الماعون وهو النفع
لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للايذان بكونها جامعا لفنون
المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق **يا ايها الرسل كلوا من الطيبات** حكاية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جي بها اثر حكاية ايواء عيسى عليه السلام وامه الى الربوة
ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصايصه عليه السلام بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام
ووصوا به اي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند
الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبانية من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه
السلام وامه عند ايوايهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن
ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي رضي الله عنهم انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وحده على داب العرب في مخاطبة الواحد
بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل عند حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات الماكل والفواكه
حسبما ينبي عنه سياق النظم الكريم فالامر للترويح **واعملوا صالحا** اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم **اني بما تعملون**
من الاعمال الظاهرة والباطنة **عليم** فاجازيكم عليه **وان هذه** استيناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه
المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها
في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة **امتكم** اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل والامم **امة واحدة**

اي

اي ملة وشريعة متحدة في اصول الشرايع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المومنة بالرسل والمعنى ان هذه جماعتكم
واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة **وانا ربكم** من غير ان يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى **فاتقون**
في شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقا حتما وقرئ وان
هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون كما مر في قوله تعالى واياي فارهبون وقيل على العطف
على ما اي اني عليم بان امتكم امة الى اخره وقيل على حذف فعل عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الى اخره وقرئ وان هذه على انها مخففة
من ان **فتقطعوا امرهم** حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها على
التفسير والفا لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي فتقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة
بينهم زبرا اي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح البا جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول ثان
له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف البا كرسل في رسل
كل حزب من اولئك المتحزبين **بما لديهم** من الدين الذي اختاروه **فرحون** معجبون ومعتقدون انه الحق **فذرهم في غمرتهم** شبه ما هم فيه
من الجهالة بالما الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفا لترتيب الامر
بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم **حتى حين**
هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والاخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال
بعذابهم والجزع من تاخيره وفي التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل **ايحسبون انما نمدهم به** اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما
موصولة وقوله تعالى **من مال وبنين** بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف لا خبر لان
وانما الخبر قوله تعالى **نسارع لهم في الخيرات** على حذف الراجع الى الاسم اي ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال
والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى **بل لا يشعرون** عطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشي اصلا كالبهايم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا ويعرفوا ان
ذلك الامداد استدراج الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة في الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان
يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول **ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون** استيناف مسوق لبيان من له المسارعة
في الخيرات اثر اقناط الكفار وابطال حسبانهم الكاذب اي من خوف عذابه حذرون **والذين هم بربهم لا يشركون** شركا جليا
ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالايات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم
الاشراك **والذين يوتون ما اتوا** اي يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات
وايا ما كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار **وقلوبهم
وجلة** حال من فاعل يوتون او ياتون اي يوتون ما اتوا ويفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خايفة اشد الخوف
انهم الى ربهم راجعون اي من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللايق
فيواخذوا به حينيذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طايفة واحدة متصفة
بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوايف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون وبايات ربهم يومنون الى اخره وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات
بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها **اوليك** اشارة اليه باعتبار اتصافهم بها وما
فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اي اوليك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم **يسارعون
في الخيرات** اي في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الاخرة وقوله تعالى واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير

الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن
اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة
كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الاية **وهم لها سابقون** اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم
لها عاملون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات
اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى **ولا نكلف نفسا الا وسعها** جملة مستانفة
سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع
والطاقة اي عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار
كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل
الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم
يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى **ولدينا كتاب** الى اخره تتمة ما قبله ببيان ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الثواب
والحساب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤونها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى **ينطق بالحق** كقوله
تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هي عليه او اعمال
السابقين والمقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الاخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله متعلق بينطق اي
يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم
ودقائقها ويترتب اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى **وهم لا يظلمون** بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه
في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او زيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها
صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب
بعض اعمالهم التي من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل نكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها
والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن ايجاب
مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب
بما فوقها زيادة وكذلك تكليف ما في الوسع وكتب الاعمال ليس مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة
السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى **بل قلوبهم في غمرة من هذا** اضراب عما
قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القران من ان لديه كتابا ينطق
بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سياتي من قوله تعالى قد كانت اياتي تتلى عليكم الى اخره
وقيل اشارة الى ما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة **ولهم اعمال** سيئة كثيرة **من دون ذلك** الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة
عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سياتي من طعنهم في القران حسبما ينطق عنه قوله تعالى مستكبرين
به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم الخبيثة
بالتخطي للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره **هم لها عاملون**
مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها **حتى اذا اخذنا مترفيهم** اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله
تعالى بما ذكر من المال والبنين ومع كونها غاية لاعمالهم مبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية اي لا يزالون يعملون اعمالهم الى
حيث اذا اخذنا رؤساءهم **بالعذاب** قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام
المحروقة والعذاب والحق انه العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب

يوم

يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد
بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط روي انه عليه الصلاة والسلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك **اذا هم يجأرون** وهو جواب
الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم
وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متنعمين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة
الفظيعة فلان يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى واقدم **لا تجأروا اليوم** على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم
واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم
وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان تكون
مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود اصلي وقوله تعالى **انكم منا لا تنصرون** تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم
من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى
يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى **قد كانت اياتي تتلى عليكم** الى اخره صريح في انه تعليل لما ذكرنا من عدم
لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالايات ولو كان النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلة اي بعزة الله تعالى وقوته اي
قد كانت اياتي تتلى عليكم في الدنيا **فكنتم على اعقابكم تنكصون** اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل
بها والنكوص الرجوع قهقرى **مستكبرين به سامرا تهجرون** اي بالبيت الحرام او والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم
وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه او بكتابي الذي عبر عنه باياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على
المسلمين قد حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى سامرا اي يسمرون بذكر القران وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون
حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته شعرا وسحرا والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل
هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان يتعلق بقوله تعالى تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك اي تهجرون
في شان القران او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش فيه وقرئ تهجرون من هجر
الذي مبالغة في هجر اذا هذى **افلم يدبروا القول** الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه
الكلام اي افعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القران ليعرفوا ما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول
والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوه في شانه من القبائح وام في قوله تعالى **ام جاءهم ما لم يات**
اباءهم الاولين منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ باخر والهمزة لانكار الوقوع لا
لانكار الواقع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يات اباءهم الاولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر
والضلال يعني ان مجيء الكتاب من جهته تعالى الى الرسل عليهم الصلاة والسلام سنة قديمة له تعالى لا تكاد تنسى انكاره وان
مجيء القران على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يات اباءهم الاولين كاسماعيل عليه السلام واعقابه
من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقيس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة ابن اد فامنوا به تعالى وبكتبه
تعالى ورسله واطاعوه **ام لم يعرفوا رسولهم** اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه اخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا
اي بل الم يعرفوه عليه الصلاة والسلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه
من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام **فهم له منكرون** اي جاحدون بنبوته فجحدهم له مترتب على عدم معرفتهم بشانه
عليه الصلاة والسلام ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه او فهم غير ما رفيق له عليه الصلاة والسلام فهو تبكيت لقوله تعالى **ام**
يقولون به جنة انتقال الى توبيخ اخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل يقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس عقلا
واثقبهم رايا واوفرهم رزانة ولقد دعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان متعلقان بالقران والباقيان

به عليه الصلاة والسلام الترقي من الادني الي الاعلي حث عجزوا ولا لعدم التدين وذلك تحقق مع كون القول غير
متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشي لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلي الله
عليه وسلم من عدم معرفتهم به صلي الله عليه وسلم وذلك تحقق لعدم المعرفة بخبر ولا شرثم بما لو كان فيه عليه الصلاة والسلام
وذلك يقدح في رسالته صلي الله عليه وسلم بل جاءهم بالحق اضراب عما يدل عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق القران والرسول
صلي الله عليه وسلم بل جاءهم عليه الصلاة والسلام بالحق اي بالصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلا ولا مدخل للباطل بوجه
من الوجوه واكثرهم للحق من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار كارهون لما في جبلتهم
من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي
الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتامل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لان منهم من
ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنتهم لعدم تفكره لا لكراهة الحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم
للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم
الزايغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملة ما جاء به صلي الله
عليه وسلم موافقا لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات والارض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط
النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شان الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفي واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عليه الصلاة والسلام
اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالي بالقيامة ولاهلك العالم ولم يوخر ففيه ان لا يلايم فرض مجيئه عليه الصلاة والسلام به وكذا
ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية مما لا احتمال له اصلا بل اتيناهم بذكرهم
انتقال من تشنيعهم لكراهة الحق الذي به يقوم العالم الي تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد
بالذكر القران الذي هو فخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا من النكوص عن ذكرهم اي فخرهم
وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع المضمر
مزيد تشنيع لهم وتقريع والفا لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من اتيانا ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الاتيان
مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو اتيانا ذكرهم لا اتيانا مطلقا وفي اسناد الاتيان بالذكر الي نون العظمة بعد
اسناده الي ضميره صلي الله عليه وسلم تنويه بشان النبي صلي الله عليه وسلم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القران
الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالي بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفي فان
التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شانه واما التشريف فانما يليق به تعالي
لا سيما رسول الله صلي الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم وايد ذلك
بانه قرئ بذكراهم وعن ذكراهم الذي والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن ذكرهم ليس في مثابة اعراضهم عن وعظهم وعن
ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة ام تسالهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة الي التوبيخ بوجه اخر
كانه قيل ام يزعمون انك تسالهم على اداء الرسالة خرجا اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالي فخراج ربك خير اي رزقه في
الدنيا وثوابه في الاخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسالهم ذلك فان ما رزقك الله في الدنيا والعقبي خير لك من
ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضميره صلي الله عليه وسلم من تعليل الحكم وتشريفه عليه الصلاة والسلام والخرج
بازاء الدخل يقال لما تخرجه الي غيرك والخرج غالبا في الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص
من الخراج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه
تعالي وانك لتدعوهم الي صراط مستقيم تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شايبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه
من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وجل وازاح عللهم في هذه الايات حيث حصر اقسام ما يودي الي الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم

للحق وقلة فطنتهم وان الذين لا يؤمنون بالاخرة وصفوا بذلك تشنيعا بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حياة
الا الحياة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالاخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الي طلب الحق وسلوك
سبيله عن الصراط اي من جنس الصراط لناكبون لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم وعن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه
والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدب للجوا لتمادوا في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلي الله عليه
وسلم والمومنين يعمهون اي عامهين روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن اهل مكة واخذهم الله تعالي
بالسنين حتي اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين
فقال بلي فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعني لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا
الخصب لارتدوا الي ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله
تعالي ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اي لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه انما استفعال من الكون واللام
جواب قسم محذوف لان الخاضع ينتقل من كون الي كون وافتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا
عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالي وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم التضرع الي الله تعالي حتي
اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد هو عذاب الاخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد اذا
هم فيه مبلسون اي متحيرون ايسون من كل خير اي محناهم من كل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روي منهم
لين مقادة وتوجه الي الاسلام قطعا واما ما اظهره ابو سفيان فليس من باب الاستكانة له تعالي والتضرع اليه تعالي في شي وانما
هو نوع جنوح الي ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا وان اشبع طغي واكثرهم مستمرون على ذلك الي ان يروا عذاب الاخرة
فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من الاسر والقتل والمعني اخذناهم بما جري عليهم يوم بدر من قتل
صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتي فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم
وجاءك اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتشاهدوا
بها الايات التنزيلية والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبرون اعتبارا لائقا قليلا ما تشكرون اي تشكرون
قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان العمدة في الشكر صرف تلك القوي التي هي في انفسها نعم باهرة الي ما خلقت هي
له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون
يوم القيامة بعد تفرقكم لا الي غيره فما لكم لا تومنون به ولا تشكرونه وهو الذي يحيي ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شي من الاشياء
وله خاصة اختلاف الليل والنهار اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او اختلافهما ازديادا وانتقاصا او لامره وقضائه
اختلافهما افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الكائنات التي من جملتها
البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الي الغيبة لحكاية سوء الخطابين لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المومنين
وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي افلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون اي اباؤهم ومن دان بدينهم
قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه لقد
وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل والمحذوف وقع حالا من اباؤنا اي كائنين من قبل ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين اي
الاكاذيب التي سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا
للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون شيئا فاخبروني به فان ذلك كاف في
الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفي وان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم
ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل سيقولون لله لان بديهة العقل تضطرهم الي الاعتراف بانه تعالي خالقها قل اي عند

اعترافهم بذلك تبكيتا لهم **افلا تذكرون** اي اتعلمون او تقولون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض ومن فيها ابتدا
قادر على اعادتها ثانيا فان البدليس باهون من العبادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل **قل من رب**
السموات السبع ورب العرش العظيم اعيدوا الرب تنويها لشان العرش ورفعا لمحله من غيران يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا
ولقد روعي في الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى **سيقولون الله** باللام قطعا نظرا الى المعنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو
في معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال **قل** افحاما لهم وتوبيخا **افلا تتقون** اي اتعلمون ذلك فلا تتقون
انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية **قل من بيده ملكوت كل**
شيء مما ذكر وما لم يذكر اي ملكه التام القاهر وقيل خزاينه **وهو يجير** اي يغيث غيره اذا شا **ولا يجار عليه** اي ولا يغيث احد عليه اي
لا يمنع احد منه بالنصر عليه **ان كنتم تعلمون** اي شيا ما وذلك فاجيبوني على ما سبق ان كنتم تعلمون **سيقولون الله** اي لله ملكوت
كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه **قل فاني تسحرون** اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما كنتم عليه من الغي
كان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك **بل اتيناهم بالحق** الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث **وانهم لكاذبون**
فيما قالوا من الشرك وانكار البعث **ما اتخذ الله من ولد** كما تقوله النصارى والقايلون ان الملايكة بنات الله تعالى جواب محاجتهم
وجزا الشرطية قد حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما تزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به الله عن ذلك
علوا كبيرا **وما كان معه من اله** يشاركه في الالوهية كما تقوله عبدة الاوثان وغيرهم **اذا لذهب كل اله بما خلق** جواب محاجتهم وجزا
الشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما تزعمون لذهب كل اله منهم بما خلقه واستبد به فامتاز ملكه عن ملك الاخرين
ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك **ولعلا بعضهم على بعض** فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول
به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات **سبحان الله عما يصفون** اي يصفونه
من ان يكون له انداد واولاد **عالم الغيب والشهادة** بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
واياما كان فهو دليل اخر على انتفا الشريك بنا على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفا قوله تعالى **فتعالى عما يشركون**
فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك **قل رب اما تريني ما يوعدون** اي ان كان لا بد من ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي
المستاصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام **رب فلا تجعلني في القوم الظالمين** اي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه
ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام وكونه حيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد
لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزا به وقيل امر به صلى الله عليه وسلم هضما لنفسه وقيل لان شوم الكفرة قد يحيق
بمن وراهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي انه تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بان له في امته نقمة
ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعا وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزا بالابراز كمال الضراعة والابتهال **وانا على ان نريك ما**
نعدهم لقادرون ولكنا نوخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم يومنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم
يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا مستاصلا لا يظهر على يديه عليه
الصلاة والسلام للحكمة الداعية اليه **ادفع بالتي هي احسن السيئة** وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يودي الى
وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد فالسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة
لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام **نحن اعلم بما يصفون** اي بما يصفونك به
او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزا والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له صلى الله عليه
وسلم الى تفويض امره اليه تعالى **وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين** اي وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي
من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرايض شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرايض الدواب على
الاسراع والوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف **واعوذ بك رب ان يحضرون** امره صلى الله عليه وسلم بان يعوذ به تعالى

من حضورهم بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء استدعا لاظهار كمال
الاعتنا بالماموروعرض نهاية الابتهال في الاستدعا اي اعوذ بك من ان يحضرون ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص
حال الصلاة وقراة القران كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وحال حلول الاجل كما روي عكرمة لانها احرى الاحوال بالاستعاذة
فيها **حتى اذا جا احدهم الموت** حتى هي التي يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة
بيصفون وما بينهما اعتراض موكد للاغضا بالاستعاذة تعالى من الشياطين ان يلووه صلى الله عليه وسلم عن الحلم ويغروه على
الانتقام لكن لا بمعنى انه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا
ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جا احدهم اي احد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال الاخرة **قال** تحسرا
على ما فرط من الايمان والطاعة **رب ارجعون** اي ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله رب ارجعون كما في بقاتك
ونظيره **لعلي اعمل صالحا فيما تركت** اي في الايمان الذي تركته لم تنتظمه في سلك الرجا كسائر الاعمال الصالحة كان يقول لعلي او من
فاعمل الى اخره للاشعار بانه امر متعذر الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع اي لعلي اعمل في الايمان
الذي اتي به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال او من الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين المومن الملايكة قالوا نرجعك
الى دار الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول ارجعون **كلا** ردع عن طلب الرجعة
واستبعاد لها **انها** اي قوله رب ارجعون الى اخره **انها كلمة هو قايلها** لا محالة لتسلط الحسرة عليه **ومن ورايهم** اي من امامهم
والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ **برزخ** حايل بينهم وبين الرجعة
الى يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجعة الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحياة الاخروية **فاذا نفخ في الصور**
لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عليها عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور
جمع الصورة لا القرن ويويده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد **فلا انساب بينهم** تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من
فرط الحيرة واستيلا الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اي لا انساب يفتخرون بها **يومئذ** كما هي بينهم
اليوم **ولا يتساءلون** اي لا يسال بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لان هذا عند ابتدا النفخة الثانية وذلك بعد ذلك **فمن ثقلت موازينه** موزونات حسناته من العقايد والاعمال اي فمن
كانت له عقايد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى **فاوليك هم المفلحون** الفايزون بكل مطلوب الناجون
عن كل مهروب **ومن خفت موازينه** ومن لم يكن له من العقايد والاعمال ما له وزن وقدر عند الله تعالى وهم الكفار لقوله تعالى ولا
نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف **فاوليك الذين خسروا انفسهم**
ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه
باعتبار معناه كما ان افراد الضمير في الصلتين باعتبار لفظه **في جهنم خالدون** بدل من الصلة او خبر ثان لاوليك **تلفح وجوههم**
النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضا فبيان حالها ازجر عن المعاصي
المودية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل **وهم فيها كالحون** من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين على الاسنان
وقرئ كلحون **الم تكن اياتي تتلى عليكم** على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا
على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن اياتي تتلى عليكم في الدنيا **فكنتم**
بها تكذبون حينئذ **قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا** اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبي عنه اضافتها
الى انفسهم وقرئ شقاوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر **وكنا** بسبب ذلك **قوما ضالين** عن الحق وكذلك فعلنا ما
فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم
من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم

ضرورة ان العلم تابع للمعلوم برده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد والظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا لما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليها لا احداثها قال اخسئوا فيها اي اسكتوا في النار سكوت هوان وذل وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اي انزجر ولا تكلمون اي باستدعا الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون راسا وهو اخر كلام يتكلمون به لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير له والعواء كعوا الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تعالى انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعا اي الشان وقرئ بالفتح اي لان الشان كان فريق من عبادي وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن الدعا بقولكم ربنا الى اخره لانكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا امنا الى اخره وتتشاغلون باستهزائهم حتى انسوكم اي الاستهزاء بهم ذكري من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما اذوهم بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصون به وقرئ بكسرها لهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اي الله عز وجل او الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها الى اخره وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها فسئل العادين اي المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي المتعدين فانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اي القدما المستمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اي الله تعالى او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اي عابثين او مفعول له اي انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما اي فحسبتم عدم رجوعكم الينا وان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله وصفاته وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة واحياء واماتة وعقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القران الكريم او الخير والرحمة والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة للرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها اخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة لازمة لا لها كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله تعالى يثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجازله على قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اي ان الشان الى اخره وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع ولذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين

وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لقد انزلت علي عشرة ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها نجا وافلح والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف اي هذه السورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير مع الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما كونها مبتدا محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فلا محل لها حينئذ من الاعراب فيأباه ان مقتضى المقام بيان شان هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم سورة انزلناها ولا محل لها حينئذ من الاعراب او على تقدير اقرأ ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلنا النصب على الوصفية وفرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتاكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف وانزلنا فيها اي في تضاعيف السورة ايات بينات ان اريد بها الايات التي نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها اسوة لسائر الايات في ذلك وتكرير انزلناها مع تكرير انزال السورة لان انزالها لابراز كمال العناية بشانها وان اريد جميع الايات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزالها مع تكرير انزال السورة لان انزالها لابراز كمال العناية انزلنا مع ان جميع الايات عين السورة وانزلناها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها لقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التائين وقرئ بادغام الثانية في الذال تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من الايات البينات وبيان احكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعها على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وقيل الخبر محذوف اي فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الى اخره بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة والمتفق عليها فجاز الزيادة بها على الكتاب وروي عن علي رضي الله تعالى عنه جلدتها بكتاب الله تعالى ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ باية منسوخة التلاوة الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي رضي الله عنه ولا تاخذكم بهما رافة وقرئ بفتح الهمزة بالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه تعالى وذكر اليوم الاخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اي ليحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطواف واقلها ثلاثة كما روي

عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد
زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة كانت من بغايا المشركين فاستاذنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين لانه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما فلا تحوموا
حوله كيلا تنتظموا في سلكهما وتتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصرهن الرغبة عليهن حيث
استاذنوا في نكاحهن او لتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى
اشتراكا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة وحرم ذلك اي نكاح الزواني على المؤمنين لما فيه من التشبه بالفسقة
والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد التي لا يكاد يليق باحد من
الاداني والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته
والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه صلى الله
عليه وسلم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان والذين
يرمون المحصنات بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذي هو
العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة الالة وايلام المرمي وبعده عن الرامي
ايذان بشدة تاثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن
بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان اخر نزول الاية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي
بغير الزنا على ان فيه شبهة المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفائف المتنزهات عما رمين به من الزنا ثم لم ياتوا باربعة شهداء يشهدون
عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تاخير الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره حلا ان
اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعي فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج
المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم وافترائهم لعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله
تعالى فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن
بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة عطف على اجلدوا داخل في
حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد اذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا
واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تاخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم
الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست
ناشئة عن اهليته السابقة بل من اهليته حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل ان المسلمين لا يعباون بسبب
الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بمعزل من الاعتبار بتعليله في مقابلة
النص لانه يحتج جالة فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي ابدا اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما
عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله واولئك هم الفاسقون كلام مستانف
مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم
المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم
من الفسقة وقوله تعالى الا الذين تابوا استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الاتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله
تعالى من بعد ذلك لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم
بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف فان الله غفور رحيم تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المواخذة

بموجب

بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه مبالغ في المغفرة
والرحمة هذا وعلق الشافعي رحمه الله بالمنهي لنهي تحمل الاستثناء حينئذ الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه
قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها والذين يرمون ازواجهم بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين
لغيرهن لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الاية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط من
يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سياتي فتاتي الاية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد
النسخ لما بين في موضعه ان ضمير النسخ غير معلل ولم يكن لهم شهداء يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتانيث الفعل الا انفسهم
بدل من الشهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر لعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة
في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى فشهادة احدهم اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدا وقوله تعالى اربع
شهادات خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ اربع شهادات بالنصب
على المصدر والعامل فشهادة على انه اما خبر لمبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر فشهادة احدهم واجبة انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا واصله
على انه الى اخره فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتاكيد والخامسة اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها
خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر
واظهار الصدق وهي مبتدا خبره ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة
حتى تعترف فترجم او تلاعن ويدرا عنها العذاب اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم الذي هو اشد
العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه اي الزوج لمن الكاذبين اي فيما رماني به والخامسة بالنصب عطفا على اربع شهادات
ان غضب الله عليها ان كان اي الزوج من الصادقين اي فيما رماها به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ ان
بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المراة للتغليظ عليها لما انها مادة
الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي
ان اية القذف لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عاصم بن عدي الانصاري رحمه الله فقال جعلني الله فداك ان وجد
رجل مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة
شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امراتي خولة
وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة
فانكرت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتابد حكمها حتى اذا
كذب الرجل نفسه بعد ذلك تحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله تعالى هي فرقة
بغير طلاق يوجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم التفات الى
خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة
عن حصره كانه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وان الله تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها
ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف
مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهادته موجبة
لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر اليه ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة
والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما
في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه واطم وفي ذلك من احكام الحكم البالغة واثار الفضل والرحمة ما لا يخفى اما على
الصادق فظاهر واما على الكاذب فامهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته

سبحانه وما اعظم شانه واوسع رحمته وادق حكمته **ان الذين جاؤا بالافك** اي بابلغ ما يكون من الكذب والافترا وقيل هو
البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه مافوك عن وجهه وسننه والمراد به ما افك به الصديقة ام المومنين
رضي الله عنها وفي لفظ المجي اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عايشة رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة
بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول اية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة
نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار
قد انقطع فرجعت فلمسته فحبسني ابتغاوه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه
لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب
فتيممت منزلي وظننت انهم سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينما انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي
من ورا الجيش فلما راني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهو
حين اناخ ناقته واحلته فوطي على يدها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول
وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجم علينا فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك **عصبة منكم**
خبر ان اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى **لا تحسبوه شرا لكم** استيناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعايشة وصفوان
تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك **بل هو خير لكم** لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة اية
في نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثنا على من ظن بكم خيرا **لكل امري منهم** اي من اوليك العصبة **ما اكتسب**
من الاثم بقدر ما خاض فيه **والذي تولى كبره** اي معظمه وقري بضم الكاف وهي لغة فيه **منهم** من العصبة وهو ابن ابي فانه
بدا به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح فافراد الموصول باعتبار
الفوج او الفريق ونحوهما **له عذاب عظيم** اي في الاخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا
عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم
من تهويل الخطب ما لا يخفى **لولا اذ سمعتموه** تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخايضين بطريق الالتفات
لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول الى الغيبة في قوله تعالى **ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا** لتاكيد التوبيخ
والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض
عليه ويقتضيه اقتضا تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اسايته بانفسهم
اي بابنا جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ
عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخايضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ
خاص بالمومنين فان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي
مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص عليه عن ذلك الان والتردد فيه ليفيد ان عدم
الاتيان فيه داسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن المومنون والمومنات اول ما سمعوه ممن اخترعه
بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من احاد المومنين خيرا **وقالوا** في ذلك الان **هذا افك مبين** اي ظاهر مكشوف
كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم **لولا جاؤا عليه باربعة شهدا** اما من تمام القول
المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المستمعين وتكذيبهم اثر ما سمعوه منهم بتوبيخهم على تركه اي هلا جا
الخايضون باربعة شهدا يشهدون على ما قالوا **فاذ لم ياتوا بالشهدا** وانما قيل بالشهدا لزيادة التقرير **فاوليك** اشارة الى الخايضين وما فيه من معنى

البعد

البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اوليك المفسدون **عند الله** اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلايل
الظاهرة المتقنة **هم الكاذبون** الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك
رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدا مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا **ولولا**
فضل الله عليكم خطاب للسامعين والمسمعين جميعا **ورحمته في الدنيا** من فنون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة **والاخرة** من ضروب
الالا التي من جملتها العفو والمغفرة **لمسكم** عاجلا **فيما افضتم فيه** بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان
بذكره يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى **عذاب عظيم** يستحقر دونه التوبيخ والجلد **اذ تلقونه** بحذف احدى التايين
ظرف للمس اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين **بالسنتكم** والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلاف
ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقري تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه
وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا
طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه **وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم** اي تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق
ومنشا في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم لقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم **وتحسبونه هينا** سهلا لا تبعة
له او ليس له كثير عقوبة **وهو عند الله** والحال انه عنده عز وجل **عظيم** لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب **ولولا اذ سمعتموه**
من المخترعين او التابعين لهم **قلتم** تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه **ما يكون لنا** ما يمكننا **ان نتكلم بهذا** وما يصدر عنا ذلك بوجه من
الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة او الاستقامة والابتغا وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف
بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تاخير القول المذكور عن ذلك الان ليفيد انه
المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه واما القول نفسه فاساسا مما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا
ينبغي ان يحمل ما قيل من ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم
واما ما قيل من ان ظروف الاشيا منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما يستعمل
فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا للفعل المذكور كما في قوله واذكروا اذ جعلكم خلفا او يقدر كعامة الظروف المنصوبة
باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها اصلا لما تحقق ان مناط التقديم توجه التحضيض اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها **سبحانك** تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنايعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان
يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود
الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى **هذا بهتان عظيم** لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها
باعتبار متعلقاتها **يعظكم الله ان تعودوا لمثله** اي كراهة ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا
فتركه **ابدا** اي مدة حياتكم **ان كنتم مومنين** فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع **ويبين الله لكم الايات** الدالة على الشرايع
ومحاسن الاداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتادبوا بها اي ينزلها كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك
اي مبينة ظاهرة كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتفخيم شان البيان **والله عليم** باحوال جميع مخلوقاته جلايلها ودقايقها **حكيم** في جميع تدابيره وافعاله
فانى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم
الجليل ههنا لتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية الالوهية للعلم والحكمة **ان الذين يحبون** اي يريدون ويقصدون
ان تشيع الفاحشة اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا والمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون
شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفا بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة **في الذين آمنوا** متعلق بتشيع الفاحشة
فيما بين الناس وذكر المومنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المومنين خاصة اي يحبون ان تشيع الفاحشة

كاينة في حق المومنين وفي شانهم **لهم** بسبب ماذكر **عذاب اليم في الدنيا** من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره **والاخرة** من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل **والله يعلم** جميع الامور التي من جملتها ما في الضماير من المحبة المذكورة **وانتم لا تعلمون** كما لا يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي في السراير فيعاقب في الاخرة على ما تكنه الضماير والصدور وهذا اذا جعل العذاب العظيم في الدنيا عبارة عن حد القذف ومنطاله كما اطبق عليه الجمهور اما اذا بقي على اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيبا للعذاب عليها تنبيها على ان عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب العظيم لهم وتعليلا **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة **وان الله رؤف رحيم** عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرافة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرافة التي هي كمال الرحمة وبالرحمة التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رافته ورحمته بهم كما انه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه **يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان** اي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تاتون وما تذرون من الافاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا **ومن يتبع خطوات الشيطان** وضع الظاهران موضع ضمير هما حيث لم يقل ومن يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير **فانه يامر بالفحشا والمنكر** علة للجزاء وضعت موضعه كانه قيل فقد ارتكب الفحشا والمنكر لان دابه المستمر ان يامر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشا ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضميرانه للشيطان وقيل للشان على راي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على انه الاصل بامره وقيل هو عايد الى من اي فان ذلك المتبع يامر الناس بهما لان شان الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها **ما زكى** اي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد اي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى **منكم من احد** **ابدا** الاولى بيانية والثانية زايدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على القراة الثانية لا الى نهاية **ولكن الله يزكي** يطهر **من يشاء** من عباده بافاضة اثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم **والله سميع** مبالغ في سمع الاقوال التي من جملتها ما اظهروه من التوبة **عليم** بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعا الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي **ولا ياتل** اي لا يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو والاول هو الاولى لنزوله في شان الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقرا المهاجرين ويعضده قراة من قرا ولا يتال **اولوا الفضل منكم** في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله عنه **والسعة** في المال **ان يوتوا** اي على ان لا يوتوا وقرئ بتا الخطاب على الالتفات **اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله** صفات لموصوف واحد جي بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه للايتا وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره او على ان لا يوتيهم شيا **وليعفوا** ما فرط منهم **وليصفحوا** بالاغضا عنه وقد قرئ الامران بتا الخطاب على وفق قوله تعالى **الا تحبون ان يغفر الله لكم** اي بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اسا اليكم **والله غفور رحيم** مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المواخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كانه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي انه صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا **ان الذين يرمون المحصنات** اي العفايف مما رمين به من الفاحشة **الغافلات** عنها على الاطلاق

بحيث لم يخطر ببالهن شي منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات او السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سو **المومنات** اي المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يومن به من الواجبات والمحظورات وغيرهما ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبي عنه تاخير المومنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم فالمراد بها عايشة الصديقة رضي الله تعالى عنها والجمع باعتباران رميها رمي لساير امهات المومنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظايره وقيل امهات المومنين فيدخل فيه الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها بالصفات المذكورة من نسا الامة فيابا ان العقوبات المرتبة على رمي هولا عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولاريب في رمي امهات المومنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن قد خصصن من بين ساير المومنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم حوله احد بسو حتى ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جعله اغلظ من ساير افراد الكفر حين سيل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة رضي الله تعالى عنها وهل هو منه رضي الله تعالى عنه الا للتهويل امر الافك والتنبيه على انه كفر غليظ **لعنوا** بما قالوا في حقهن **في الدنيا والاخرة** حيث يلعنهم اللاعنون من المومنين والملايكة ابدا **ولهم** مع ما ذكر من اللعن الابدي **عذاب عظيم** هايل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى **يوم تشهد عليهم** الى اخره اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور وتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع ساير جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هايلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب وان اعتباره لا يخل وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على انه ظرف لفعل موخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كانه قيل يوم تشهد عليهم **السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون** يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذكور عبارة عن جميع اعمالهم السيية وجناياتهم القبيحة المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها الا ان كلا منها يخبر بجناياتهم المعهودة بحسب المفعول المحذوف عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها بحيز للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى الموخر كما مر مرارا وقوله تعالى **يوميذ يوفيهم الله دينهم الحق** اي يوميذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدا مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لزيادة لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويوميذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد بالتذكير للفصل **ويعلمون** عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القران الكريم **ان الله هو الحق** الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها كلماته التامة المنبية عن الشيون التي يشاهدونها منطبقة عليها **المبين** المظهر للاشيا كما هي في انفسها والظاهر انه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما ان تفسير الحق بذي الحق المبين اي العادل الظاهر عدله لذلك ولو تتبعت ما في القران المجيد من ايات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذلك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشان والنزاهة وقوله تعالى **الخبيثات** الى اخره كلام مستانف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله تعالى ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النسا **للخبيثين** من الرجال اي مختصات بهن لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص **والخبيثون** ايضا **للخبيثات** لان المجانسة من دواعي الانضمام **والطيبات** منهن **للطيبين** منهم **والطيبون** ايضا **للطيبات** منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين وخير الاولين والاخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها

من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى **اولئك مبرؤن مما يقولون**
على ان الاشارة الى اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان
وما في الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن مما
يقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي
ان يقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين
مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون في حقهم فماله تبرئة
الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا يصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث
القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون
بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فماله تنزيه
القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم **لهم مغفرة** عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب **ورزق كريم** هو الجنة **يا ايها الذين آمنوا لا
تدخلوا بيوتا غير بيوتكم** اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى احدهما
من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم الاداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين
ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل احد في مسكنه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ
بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء **حتى تستانسوا** اي تستاذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من
آنس الشيء اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستاذن
مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استانس **وتسلموا على اهلها** عند الاستيذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان التسليم ان يقول السلام عليكم اادخل ثلاث مرات فاذا اذن له دخل والا رجع **ذلكم** اي الاستيذان مع التسليم **خير لكم** من
ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما
اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال ليس لها خادم غيري ا
استاذن عليها كلما دخلت قال صلى الله عليه وسلم اتحب ان تراها عريانة قال لا قال صلى الله عليه وسلم فاستاذن **لعلكم تذكرون**
متعلق بمضمر اي امرتم او قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه **فان لم تجدوا فيها احدا** اي ممن يملك الاذن على ان من لا
يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه
من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة
بدلالة النص لان الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على العورات اولى **فلا
تدخلوها** فاصبروا **حتى يؤذن لكم** اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى ياتي من ياذن لكم او حتى تجدوا من
ياذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا بل في
تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى **وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا** اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء
كان الامر ممن يملك الاذن او لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلحوا بالاصرار على الانتظار الى ان
ياتي الاذن كما في الثانية فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة **هو** اي الرجوع **ازكى لكم** اي اطهر مما لا يخلو
عند اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة **والله بما تعملون عليم** فيعلم ما تاتون وما تذرون مما كلفتموه
فيجازيكم عليه **ليس عليكم جناح ان تدخلوا** اي بغير استيذان **بيوتا غير مسكونة** اي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط
بل يستمتع من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها مسكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس
كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى **فيها متاع لكم** فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان

من

من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما لا يليق بحال البيوت وداخلها فلا باس
بدخولها بغير استيذان من داخلها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ه
ومتصرفي الحمامات ونحوهم وروي ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف
في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه
البيوت لا انها المرادة فقط وقوله تعالى **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع
على عورات **قل للمؤمنين** شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستاذنين عند دخولهم البيوت اندراجا
اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رايه صلى الله عليه
وسلم لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الامر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول
الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا **يغضوا من ابصارهم** عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل **ويحفظوا
فروجهم** الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ
ههنا خاصة هو الستر **ذلك** اي ما ذكر من الغض والحفظ **ازكى لهم** اي اطهر لهم من دنس الريبة **ان الله خبير بما يصنعون** لا يخفى
عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك ه
فليكونوا على حذر منه في كل ما ياتون وما يذرون **وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن** فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه
ويحفظن فروجهن بالتستر او التصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد **ولا يبدين زينتهن** كالحلي
وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى **الا ما ظهر منها** عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم
والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية
والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي
عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فامرن بارسال
خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم **ولا يبدين زينتهن** كرر
النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد ما استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور **الا لبعولتهن** فانهم
هم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود **او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن
او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن** لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين
من النفرة عن مماسة الاقارب ولهم ان ينظروا منهن الى ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان
يتسترن عنهم حذارا من ان يصفوهن لابنائهم **او نسائهن** المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن
عن وصفهن للرجال **او ما ملكت ايمانهن** اي من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي انه
صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها
لم يبلغ راسها فقال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك **او التابعين غير اولي الاربة من الرجال** اي
اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ والممسوحون وفي المجبوبين والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم
ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية **او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** لعدم تمييزهم من
الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف
ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن اي ما يخفينه من الرؤية اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم
انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابدائها
من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى **وتوبوا الى الله جميعا** تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل

بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو
الامر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم
شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لاسيما اذا كان المامور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم
تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى
ايها المؤمنون تاكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك
بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم لما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات
من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا
كما يفصح عنه قول من قال ** فان تنكحي انكح وان تتايمي ايم ** وان كنت افتى منكم اتايم **
اي وزوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في
الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشانه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا
وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح
على انهم يستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في
ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام ان يكونوا فقراء يغنهم الله من
فضله ازاحة لما عسى ان يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله
عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
الغنا في هذه الاية لكنه مشروط بالمشية كما في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع غني ذو سعة
لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف
ارشاد للعاجزين على مبادي النكاح واسبابه الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي ليجتهدوا في العفة وقمع
الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اي اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم
بالغنى ولطف بهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب
بعدما امر بانكاح المماليك الاحفاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة
مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك
فان اداه اليه عتق كما لو معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت لي بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك
الوفاء بالمال وكتبت علي العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة
بالايجاب والقبول ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان بشطره
معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك
الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق الاخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور
تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه
اياه من جانب المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رايه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي لذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد
الكتابة ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله
فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه مفعول مضمر يفسره
هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالا او مؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي رحمه الله
لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه ان علمتم فيهم خيرا امانة ورشدا او قدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي

الناس بعد العتق واطلاق العنان وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال
الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي
للوجوب ويرده قوله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وايضا لو وجب
الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا هو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل
معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على
الامتثال بالامر بتحقيق المامور به كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع
كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة المامور بها وقيل هو امر باعطاء سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما
والاضافة والوصف لتعيين الماخذ وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل
العنوان حسبما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اي اماءكم فان كلا من الفتى
والفتاة كناية مشهورة من العبد والامة وعلى ذلك مبني قوله صلى الله عليه وسلم ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه
العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغاء وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن
اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغار وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن
التعفف عن الزنا واخراج ما عداها عن حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص
المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف
عنه مع وفور شهوتهن الامرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن ابي كانت
له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم
وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن امرهن به
او اكراههن عليه لاسيما عند ارادتهن التعفف فتامل ودع عنك ما قيل من ان ذلك لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن في حيز
التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بان الارادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى
بالكلية ياباه اعتبار تحققها اما ظاهرا وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل
باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير اي لا تفعلوا ما انتم عليه من
اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه
بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه ومن يكرههن الى آخره جملة مستانفة
سيقت لتقرير النهي وتاكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اي ومن يكرههن
على ما ذكر من البغاء فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وكما
ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها
للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرا هذه الاية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصهما بهن
وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كانه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير
اكتفي به عن العائد الى اسم الشرط فيجوز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معهن اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين الامر النهي في
مقابل التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة
مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل امر الزنا
وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة
والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات كلام مستانف جيء به

فيقتضيا عقيب ما ورد من الايات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شوونها المستوجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر
بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية لشانه اي وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة ايات مبينات لكل ما بكم حاجة
الى بيانه من الحدود وساير الاحكام والاداب وغير ذلك مما هو مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازي او ايات واضحات تصدقها
الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرى على صيغة المفعول اي
بينت واوضحت في هذه السورة في معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرايه
مجرى المفعول **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم** عطف على ايات اي فانزلنا مثلا كاينا من قبل امثال الذين مضوا من قبلكم من القصص
العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبيا عليهم السلام فتنتظم قصة عايشة رضي الله عنها
المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم عليها السلام وساير الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص
الايات البينات بالسوابق وحمل المثل على القصة فقط يا باه تعقيب الكلام بما سياتي من التمثيلات **وموعظة** تتعظون به وتنزجرون عما
لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وساير ما يخل بمحاسن الاداب فهي عبارة عما سبق من الايات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى
المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الايات بما بين الحدود والاحكام والموعظة
بما وعظ به من قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الايات الواردة في شان الاداب
وانما قيل **للمتقين** مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتنا بالانتظام في سلك
المتقين ببيان انهم المغتنمون لاثارها المقتبسون من انوارها فحسب وقيل المراد بالايات البينات والمثل والموعظة جميع ما في
القران المجيد من الايات والامثال والمواعظ فقوله تعالى **الله نور السموات والارض** الى اخره حينيذ استيناف مسوق لتقريرها فيها
من البيان مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة
الكريمة بل هو شامل لكل ما يحق بيانه من الاحكام والشرايع ومبادها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والاخرة وغير ذلك مما له مدخل في
البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن النور بنفس النور
تنبيها على قوة التنوير وشدة التاثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير
به واضيف النور للسموات والارض لله لا له على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما لا يليق من الامور التي لها مدخل في
ارشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسماني
الذي لا مظهر للنور الحسي سواه وعلى شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احواله ما يستحق
البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان
باهلهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما
حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفا او على تزيين السموات
بالنيرين وساير الكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملايكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبيا عليهم السلام والعلما والمومنين او
بالنبات والاشجار وعلى تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما مما لا يلايم المقام ولا يساعده حسن النظام **مثل نوره** اي نوره الفايض
منه تعالى على الاشيا المستنيرة به وهو القران المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف اياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا
ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وزيد بن اسلم وجعله عبارة عن الحق وان شاع
استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يا باه مقام بيان شان الايات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر
في مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شان القران الكريم واما الحق فالمعتبر من مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار
والمراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة نوره العجيبة **كمشكاة** اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير **فيها مصباح**
سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة **المصباح في زجاجة** اي قنديل من

الزجاج

الزجاج الصافي الازهر وقرى بفتح الزاي وكسرها في الموضعين **الزجاجة كانها كوكب دري** متلالي وقاد شبه بالدر في صفا
وزهوه ودراري الكواكب عظامها المشهورة وقرى دري بدال المكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدر
وهو الدفع اي يبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزا ضوئه لبعض عند البريق واللمعان وقرى بضم الدال والباقي على حاله وفي
اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة
كانها كوكب دري من تفخيم شانهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وبالثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبي
عن القصد الاصلي دون الوصف المبني على الاشارة الى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية
الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كانه قيل فيها مصباح هو في زجاجة كانها كوكب دري **توقد من شجرة** اي ابتدى ايقاد
المصباح من شجرة **مباركة** اي كثيرة المنافع بان رويت زبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى
فيها للعالمين **زيتونة** بدل من الشجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال ههنا تفخيم لشانها وقرى توقد بالتاء على ان الضمير القايم مقام
الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرى توقد على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدا ثبوت المصباح منها وقرى توقد بحذف احدى التائين
من تتوقد على اسناده الى الزجاجة **لا شرقية ولا غربية** تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة او صحرا
واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله تعالى عنهم وقال الفرا والزجاج لا
شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من
الامرين فيكون زيتها اضوا وقيل لا نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى
تشرق الشمس عليها فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دايما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة لا خير فيها في مضحى **يكاد زيتها
يضي ولو لم تمسسه نار** اي هو في الصفا والانارة بحيث يكاد يضي بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست
لبيان انتفاء شي في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تقدما لدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى
بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم
الشرط كما في هذه الاية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفايه معه ثبوته او انتفاوه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشي متى
تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شي اخر من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر
الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصا الاحوال
على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد
بيان تحقق الاعطا في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم
يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما فيها هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي او لا يعطي كاينا
على جميع الاحوال وتقدير الاية الكريمة يكاد زيتها يضي لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اي يضي كاينا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد
حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب بدلالة الثانية عليها دلالة واضحة **نور** خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى **على نور** متعلق
بمحذوف هو صفة له موكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه
اي ذلك النور الذي عبر به عن القران ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كاين على نور كذلك لا انه
عبارة عن نور واحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح
اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوا له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان
المتسع فان الضو ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شي على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاوه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد
نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه مما لا يليق بشان التنزيل الجليل **يهدي الله لنوره** من

يشاء اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار لزيادة
تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل من يشاء هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم
ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار بالغيب وغير ذلك من موجبات الايمان وفيه ايذان بان مناط هذه
الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب **ويضرب الله الامثال للناس** في
تضاعيف الهداية حسبما يقتضي حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد
المعاني بصورة المانوس وكذلك مثل نوره المعبر به عن القران المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان
باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاول بمن يشاء والثانية بالناس كافة **والله بكل شيء عليم**
معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان يتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم
لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه احوالهم
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وما ذكر من اختلاف حال المحكوم
ذاتا وتعلقا **في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه** لما ذكر شان القران الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومبانيها وغاياتها
المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الاخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل
ما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته
دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير لبعض اعمالهم المعربة عن كيفية احوالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت
المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس وقيل هي المساجد التي بناها نبي من انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابراهيم واسماعيل
عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما النبي صلى الله عليه وسلم
وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون
عطف الذكر عليها من قبيل العطف التفسيري واياما كان ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المامور ان يكون متوجها الى المامور
به قبل وروده ناويا لتحققه كانه مستاذن في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى
وكلمة في متعلقة بقوله تعالى **يسبح له** وقوله تعالى **فيها** تكرير لها للتاكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام
لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم
ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى **بالغدو والاصال** اي بالغدوات والعشايا
على ان الغدو اما جمع غداة كقني في جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالاصال وهو جمع اصل وهو العشي وهو شامل
للاوقات ما عدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه في اثناء الصلوات واوقاتها لزيادة
شرفه واناقته على سائر افراده وعما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها لكونهما مشهودين
وكونهما اشهر فيما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى **رجال** فاعل يسبح وتاخيره
عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على
البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد
ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتانيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة
المؤنث ومبنيا على ان يسند الى اوقات الغدو والاصال بزيادة الباء ويجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير
التسبيحة اي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما بل
هذا اولى منه لانه ليس هنا مفعول صريح **لا تلهيهم تجارة** صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم
الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها

اقوى

اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة **ولا بيع** اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في
غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع
في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهائه ما عداه نفي الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتاكيده وقد نقل عن الواقدي ان
المراد بالتجارة هو الشراء لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه **عن ذكر الله** بالتسبيح
والتمجيد **واقام الصلاة** اي اقامتها لمواقيتها من غير تاخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها
الاضافة كما في قول من قال ٭ واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ٭ اي عدة الامر **وايتاء الزكاة** اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين
وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلاة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم
غير منحصرة فيما يقع في المساجد ولذلك قوله تعالى **يخافون** الى آخره فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم واياما كان فليس
خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى **يوما** مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى **تتقلب فيه القلوب والابصار** صفة
ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتتغير
احوالها وتتقلب فتتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين النجاة وخوف
الهلاك والابصار اي من ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم **ليجزيهم الله** متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية او يفعلون ما يفعلون
من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكاة والخوف من غير صارف عن ذلك ليجزيهم الله تعالى **احسن ما عملوا** اي احسن جزاء اعمالهم
حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف **ويزيدهم من فضله** اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها
او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله
صلى الله عليه وسلم حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من
المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى **والله يرزق من يشاء بغير حساب** فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية
اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في
سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز
الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا تظاهر
الاسباب وللايذان بانهم ممن يشاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن يشاء الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم
الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وخوف اليوم الاخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من
القران العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الى
اخره من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكاة اي كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بتوقد
والكل مما لا يليق بشان التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور ما قبل
الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي
يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهديين لنور القران الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم
مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه كلام المعجز **والذين كفروا** عطف على ما ينساق اليه ما قبله
كانه قيل الذين امنوا اعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا **اعمالهم** اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة
وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل
الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الاية **كسراب** وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي
يجري **بقيعة** متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار
وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على انه جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف **يحسبه الظمآن ما**

صفة أخرى للسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن من شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقق شركة
طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطلع والمقطع الموئس حتى إذا جاءه العطشان حسبه ماء وعلق به رجاءه وقيل موضعه لم يجده أي
ما حسبه ماء وعلق به رجاءه شيئا أصلا لا متحققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان أحوال الكفرة بطريق
التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق
التكملة لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر أنه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا
قدر عنده للخيبة أصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة
عينا ولا أثرا كما في قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وإن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن
ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا حكم بأنها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم حتى إذا جاءوها لم يجدوها شيئا كأنه قيل حتى إذا جاء الكفرة يوم
القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا ووجدوا الله أي حكمه وقضاءه وعنده المجيء وقيل عند العمل
فوفاهم أي أعطاهم وافيا كاملا حسابهم أي حساب أعمالهم المذكورة وجزاءها فإن اعتقادهم لنفعها بغير إيمان وعملهم بموجبه كفر
على كفر موجب للعقاب قطعا وإفراد الضميرين الراجعين إلى الذين كفروا إما لإرادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل وإما للحمل على كل
واحد منهم وكذا إفراد ما يرجع إلى أعمالهم هذا وقد نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس
الدين فلما جاء الإسلام كفر أو كظلمات عطف على كسراب وكلمة أو للتنويع إثر ما مثلت أعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد
ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت أعمالهم القبيحة التي ليست فيها شائبة خيرية يغتر بها
المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي أي عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو أعظم ماء البحر وقيل إلى اللجة وهي أيضا معظمه يغشاه صفة أخرى
للبحر أي يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنها صفة لموج أو الصفة هي
الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور يغشاه أمواج متراكمة متراكبة
بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة لموج الثاني على أحد الوجهين المذكورين أي من فوق ذلك الموج سحاب ظلمات
ستر أضواء النجوم وفيه إيماء إلى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدأ محذوف أي هي ظلمات بعضها
فوق بعض أي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا أن ذلك
متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الإبدال من الأولى وقرئ بإضافة السحاب إليها إذا أخرج أي
من ابتلي بها وإضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعله بمرأى منه قريبة من عينيه لينظر إليها لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نورا إلى آخره تذييل جيء به لا لتقرير ما أفاده التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هدايته
تعالى إياهم لنوره وإيراد الموصول للإشارة بما في حيز الصلة إلى علة الحكم وأنهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم أي ومن لم يشأ الله أن يهديه
لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للإيمان به فما له من نور أي فما له هداية ما من أحد أصلا وقوله
تعالى ألم تر إلى آخره استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للإيذان بأنه تعالى قد أفاض عليه صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب النور
وبين له من أسرار الملك والملكوت أدقها وأخفاها والهمزة للتقرير أي قد علمت يقينا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي
الصريح والاستدلال الصحيح أن الله يسبح له أي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص
أو خلل من في السموات والأرض أي ما فيهما إما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان أو بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا
تفهمه العقول السليمة فإن كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده وأحواله يدل على
وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة
وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان
المقال وأكد ذلك بإيثار كلمة من على ما كأن كل شيء مما عز وهان وكل فرد من أفراد الأعراض والأعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه

تعالى

تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضا لما أن مساق الكلام له
لتقبيح حال الكفرة في إخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الألوهية ونسبتهم إلى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل
التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات بأن يراد به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى
قد علم صلاته وتسبيحه يرده أن بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وإنما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة
التي يشاركهم فيها غير العقلاء أيضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتخجيل ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية
والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار أشرفها التي هي الإنسانية والطير بالرفع عطف على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في
الأرض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وإنشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح إنبائها عن كمال القدرة
صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى صافات أي تسبحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فإن إعطاءه تعالى
للأجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الأجنحة والأذناب الخفيفة وإرشادها إلى كيفية استعمالها
بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد
وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد بما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من
يعلم ما يصدر عنه من الأفاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد أدمج في تضاعيفه الإشارة إلى أن لكل واحد من
الأشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية إليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه أن كل واحد
من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لأن يفيض عليه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما
يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته
ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة
المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وإفادة تميز المرايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في
الذكر لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الإدراك وبما ناب عنه التنوين في كل أنواع الطير
وأفرادها وبالصلاة والتسبيح ما ألهمها الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على أن يكون الطير معطوفا على
كلمة من مرفوعا برفعها فإنه يؤدي إلى أن يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل
بفعل مضمر أريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس أي وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال
كونها صافات أجنحتها وقوله تعالى قد علم صلاته وتسبيحه أي دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله عز وجل إياه لبيان كمال رسوخه فيهما
وأن صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بل روية عن علم وإيقان من غير إخلال بشيء منهما حسبما ألهمه الله تعالى فإن في إلهامه تعالى لكل
نوع من أنواع المخلوقات علوما دقيقة لا تكاد تهتدي إليها جهابذة العقلاء ما لا سبيل إلى إنكاره أصلا كيف لا وإن القنفذ مع كونه
أبعد الأشياء من الإدراك قالوا إنه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل إلى جحره حتى روي أنه كان بقسطنطينية قبل
الفتح الإسلامي رجل قد أثرى بسبب أنه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بإنذاره بتدارك أمور سفائنهم وغيرها وكان
السبب في ذلك أنه كان يقتني في داره قنفذا يستدل بأحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما أن أصواتها أظهر
وجودا وأقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون أي بما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الأول
عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسندا إلى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ
مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الأولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل إن الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلاته وتسبيحه لكل
أي قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات والأرض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على أن يكون
ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسبيحه بل عن جميع أحواله العارضة وأفعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيهما دخولا
أوليا ولله ملك السموات والأرض لا لغيره لأنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها إيجادا

واعدا اما بدا او اعادة وقوله تعالى والى الله اي واليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير اي رجوع الكل بالفنا والبعث بيان له
الاختصاص للملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدا واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة
والاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله يزجي سحابا الازجا سوق الشي برفق وسهولة غلب في سوق شي يسير او غير معتد به ومنه البضاعة
المزجاة ففيه ايما الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يولف بينه اي بين اجزايه بضم بعضها الى بعض وقرى يولف
بغير همزة ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله
اي من فتوقه حال من الودق لان الروية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برويته خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج
على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتنا بتقرير الروية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد
كحجاب وحجاز ويويده انه قرى من خلله وينزل من السما من الغمام فان كل ما علاك سما من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في
العظم كاينة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتدا الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من
الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتديا من السما من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال اي ينزل مبتديا من
السما من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على
ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السما بعض جبال كاينة فيها من برد اي يشبه الجبال في الكثرة وايا ما كان فتقديم
الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى الموخر وقيل المراد بالسما المظلة وفيها جبال من برد
كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت
الطبقة الباردة من الهوى وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزا
البخارية قبل اجتماعها نزل بردا او قد يبرد الهوا بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله
تعالى فيصيب به من يشا ويصرفه عن من يشا اي يصرفه عنه فينجو من غايلته يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر
من الاجزا والتاليف وغيرها واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنايه عن التصريح به وقرى سنا بالمد بمعنى
الرفعة والعلو وبادغام الدال والسين وبرقه بفتح الرا على انه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع لضمة البا
يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط الاضاة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تاثيره فيها كانه
يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلايل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرى يذهب من
الاذهاب على زيادة البا يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما
مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من احوال السحاب وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل انفا وما فيه من معنى البعد مع
قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة اي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة
علمه بجميع الاشيا ونفاذ مشيته وتنزهه عما لا يليق بشانه العلي لاولي الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة اي كل حيوان
يدب على الارض وقرى خالق كل دابة بالاضافة من ما هو جزء مادته وما مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من
الحيوان ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ما متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها
زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش وعدم
التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلا والتعبير
عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمالي والترتيب لتقديم ما هو اعرق في القدرة يخلق الله ما يشا مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا
كان او مركبا على ما يشا من الصور والاعضا والهيات والحركات والطبايع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية ان الله على كل شي قدير فيفعل
ما يشا كما يشا واظهار الجلالة لما ذكر مع تاكيد استقلال الاستيناف التعليلي لقد انزلنا ايات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من

الاحكام

الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله يهدي من يشا اي هدايته بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في
مطاويها الى صراط مستقيم موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال بعض من لم
يشا الله تعالى هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر وقيل
نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وايل
خاصم عليا رضي الله عنه في ارض وما فابى ان يحاكم الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قال في المغيرة بن وايل خاصم عليا رضي الله عنه
وايا ما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقايل طايفة يساعدونه ويتابعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا
والقاتل واحد منهم واطعنا اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد ما صدر عنهم
من ادعا الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب
المراعاة وما اوليك اشارة الى القايلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضا نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف
العكس فان نفيه عن القايلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر
والفساد اي وما اوليك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل بالمومنين اي المومنين
حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمومنين المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم
اي الرسول بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بجلالة محله
عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون اي فاجا فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه صلى الله عليه وسلم لكون الحق عليهم وعلمهم بانه
صلى الله عليه وسلم يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين
لجزمهم بانه صلى الله عليه وسلم يحكم بالحق لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجي يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع
والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم
المذكور وبيان لمنشايه بعد استقصا عدة من القبايح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشاية بينها فمدار الاستفهام
ليس ما وليه الهمزة وامر من الامور الثلاثة بل هو منشايتها له كانه قيل ذلك اي اعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب بكفرهم
ونفاقهم ام ارتابوا في امر نبوته صلى الله عليه وسلم مع ظهور حقيقتها ام لانهم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اضراب
عن الكل وابطال لمنشايته وحكم بان المنشا شي اخر من شنايعهم حيث قيل بل اوليك هم الظالمون اي ليس ذلك لشي مما
ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشي منهما لاعرضوا عنه صلى الله عليه وسلم عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه صلى الله عليه وسلم مذعنين
لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينيذ ايضا واما الثالث فلانتفايه راسا حيث كانوا لا يخافون اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله
صلى الله عليه وسلم في الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيابون
المحاكمة اليه صلى الله عليه وسلم لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في الاولين هو
وصف منشايتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بما له
منشا مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى ام ارتابوا بان راوا منه تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به صلى الله عليه وسلم فمدار النفي حينيذ
نفس الارتياب ومنشايته معا فتامل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل انما كان قول المومنين
بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرى بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل
في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المومنين فانه يحتمله كما اذا اعزلت عنه الاضافة
لكن قراة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لما ان مصب الفايدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر
افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا
في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذا الاحق بالخبرية واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية بحيث كانت قليلة

الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كانه حقها ان تلاحظ ملاحظة مجمله وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى اذا كان مطلق القول
الصادر عن المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم اي وبين خصومهم سوا كانوا منهم او من
غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا اخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما
كان قول المؤمنين اي انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا ..
وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافها في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم
على بنا الفعل للمفعول مسندا الى المصدر مجاوزا لقوله تعالى اذا دعوا ليفصل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع
بينكم واولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في
الفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل محذور ومن يطع الله
ورسوله استئناف جي به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اي ومن يطعهما ..
كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرايض والسنن والاول هو الانسب بالمقام ويخش الله
ويتقه باسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر الها والقاف وباسكان الها اي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما
يستقبل فاولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقا هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم واقسموا بالله
حكاية لبعض اخر من اكاذيبهم مؤكدا بالايمان الفاجرة وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب
على انه حال من فاعل اقسموا اي اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه
اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا اي اقسموا اقسام
اجتهاده في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن امرتهم اي بالخروج الى الغزو ولا عن ديارهم واموالهم كما قيل لانه
حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله
تعالى ليخرجن جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر صلى الله عليه وسلم
بردها حيث قيل قل اي ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا اي على ما ينبئ عليه
كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهي اي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعات لان
طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطاة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها بذلك
مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا او حملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من
مبتدا او خبر او فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة او اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام ان الله خبير بما تعملون من
الاعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق
والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعرة بان مدار شهرة
امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل اطيعوا الله والرسول
كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى
اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المامور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما
بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة في شي اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب للمامورين بالطاعة من جهته تعالى
وارد لتاكيد الامر بها والمبالغة في ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني
وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى ولو
جئنا بمثله مددا لا سيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى
اياهم بواسطته عليه الصلاة والسلام في تصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولي عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التاكيد

والمبالغة

والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل بالامور القول بامور الحكاية من جهته تعالى وانه ابلغ في التبكيت يعكس في الامر
والفا لترتيب ما بعدها على تبليغه صلى الله عليه وسلم للمامور اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهور مسارعته صلى الله عليه وسلم
الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر اي ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم بها فانما عليه اي فاعلموا انما عليه صلى الله عليه وسلم ما
حمل اي ما امر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم اي ما امرتم به من الطاعة ولعل
التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعد كانه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل
وقيل قوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان تطيعوه اي فيما امركم به من الطاعة تهتدوا الى الحق الذي هو المقصد الاعلى ..
الموصل الى كل خير والمنجي عن كل شر وتاخيره من بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تاكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه
من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من ان غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان
عليهم واللام اما للجنس المنتظم له صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا او للعهد اي ما جنس الرسول كائنا ما كان او ما عليه صلى الله عليه
وسلم الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه فعله بما لا مزيد عليه وانما بقي
ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم استئناف مقرر لما في قوله تعالى وان تطيعوه من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح
ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتدا ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط
بها الاهتدا والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طائفة كان وفي اي وقت كان لا من آمن من طائفة
المنافقين فقط ولا من آمن من بعد نزول الآية الكريمة حسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة والخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين
خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي امر بها ورتب عليها ما
نظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته في استتباع الآثار والاحكام
وللايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تاخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه الصلاة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين
الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليها فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بلا مهلة هذا ومن جعل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والامة عموما على ان من تبعيضية او له صلى الله عليه وسلم لمن معه من المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما يقتضيه
سياق النظم الكريم وسباقه بمراحل والبعد عما يليق بشانه صلى الله عليه وسلم بمراحل ليستخلفنهم في الارض جواب للقسم اما
بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في مماليكهم خلفا
من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في
مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التي اشير اليهم في قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين
ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تاكيده بالقسم وما مصدرية اي ..
ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البنا للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ
الفعل المذكور بل هو ما يدل عليه من فعل مبني للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين
لا محالة كانه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله
تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين اي فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من
قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ⁂ من المال الا مسحت او مجلف ⁂

اي فلم يبق الا مسحت الى آخره وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتاخيره عنه مع كونه اجل
الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم

ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما ياتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل
الشي مكانا لاخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض ونظايره وكلمة في للايذان بان جعل
مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبوت الدين ورضا به احكامه في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح لـ
للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولان في توسطها بينه وبين وصفه
اعني قوله تعالى **الذي ارتضى لهم** وتاخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام
ثم وصفه بارتضائه لهم تاليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه **وليبدلنهم** بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال
من بعد خوفهم اي من الاعدا **امنا** حيث كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا
الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما ياتي علينا يوم نامن فيه فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون
الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله هذه الاية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب
وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عاداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو
عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة **يعبدونني** حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد
الوعد بالثبات على التوحيد واستيناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد **لا يشركون بي شيئا** حال من
الواو في يعبدونني اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا **ومن كفر** اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتاثر بما مر من الترغيب والترهيب
فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلايل التوحيد كفر مستانف زايد على الاصل وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام
بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها ۵
فاولئك البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال **هم الفاسقون** الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر
والطغيان **واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمامورين بالطاعة
على طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فان تولوا الى اخره وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الى اخره
ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل الله من الاستخلاف وما يتلوه من الرغايب الموعودة ووعيده على الكفر مما
يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فامنوا واعملوا صالحا واقيموا او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على اطيعوا الله
مما لا يليق بجزالة النظم الكريم **واطيعوا الرسول** امرهم الله تعالى بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعته
التي هي طاعة الله تعالى في الحقيقة تاكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة
للاداب المرضية ايضا اي فاطيعوه في كل ما يامركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلاة والزكاة
على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرايع اي واطيعوه في ساير ما يامركم به الى اخره **لعلكم ترحمون** متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل
على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلاثة اي بما ذكر من الاقامة والايتا والاطاعة راجين ان ترحموا **لا تحسبن الذين كفروا**
لما بين حال من اطاعه صلى الله عليه وسلم واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من
عصاه صلى الله عليه وسلم ومال امره في الدنيا والاخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلا لامر الترغيب والترهيب والخطاب اما
لكل احد يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظايره للايذان بان
الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على
انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى **معجزين** ثانيهما وقوله تعالى **في الارض** ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا
في غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزايها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم
واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بالياء على ان الفاعل كل احد والمعنى كما ذكر اي
لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض او هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم قيل لا يحسبن ۵

الكافرون انفسهم معجزين في الارض وانما جعل معجزين مفعولا اولا وفي الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من الطايفة لمقتضى المقام
ضرورة ان مصب الفايدة هو المفعول الثاني ولا فايدة في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة
وقوله تعالى **وماواهم النار** معطوف على جملة النهي بتاويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه قيل
ليس الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم الى اخره او على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض
فانهم مدركون وماواهم الى اخره وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر **ولبئس المصير** جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم
محذوف اي وبالله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها ماوى ومصيرا لهم
اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراه فلله در شان التنزيل **يا ايها الذين امنوا** رجوع الى بيان تتمة
الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب
والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق التغليب
روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري
وكان غلاما ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نايم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله تعالى عنه لوددت ان الله تعالى
نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد
وقد انزلت عليه هذه الاية **ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم** من العبيد والجواري **والذين لم يبلغوا الحلم** اي الصبيان
القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلايله **منكم** اي من الاحرار **ثلاث مرات** اي ثلاثة اوقات
في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستاذنين بالمخاطبين
لا انفسها **من قبل صلاة الفجر** لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلاث
مرات او الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي احدها من قبل الى اخره **وحين تضعون ثيابكم** اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها
لاجل القيلولة وقوله تعالى **من الظهيرة** وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعني وضع الثياب
في هذا الحين دون الاول والاخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبي عنها ايراد الحين مضافا الى فعل
حادث منقض ووقوعها في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق
والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به **ومن بعد صلاة العشاء**
ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت
الممتد المتخلل بين الصلاتين كما في قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
بل ما يعرض منهما طرفي ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلاتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى **ثلاث عورات** خبر مبتدا
محذوف وقوله تعالى **لكم** متعلق بمحذوف هو صفة لثلاث عورات اي كاينة لكم والجملة استيناف مسوق لبيان علة وجوب
الاستيذان اي هن ثلاث اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه والعناية به
اطلق على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات **ليس عليكم ولا**
عليهم اي على المماليك والصبيان **جناح** اي اثم في الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات
بعدهن اي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل
وقت من تلك الاوقات قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي هو عبارة عن رفعه اذ
الرخصة انما تتصور في فعل يقع بعد زمان وقع موقع الفعل المكلف والجملة على القراتين مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد
والعكس وقد جوز على القراة الاولى كونها في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلاث عورات واما على القراة الثانية فهي مستانفة لا غير
اذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهي بدل من ثلاث مرات لكان التقدير ليستاذنكم هولاء في ثلاث عورات لا اثم في ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان

انتفا الاذن حينئذ مما لم يعلمه السامع الابذا الكلام لم يحسن ابرازه في معرض الصفه بخلاف قراة الرفع فان انتفا الاذن
حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الايذان وهي المخالطة الضرورية
وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم على بعض اي
بعضكم طايف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
من تفخيم شان المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات
الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل تبيين
على الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الايات بما ذكر ههنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم حكيم في جميع
افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم لما بين فيما مر انفا حكم الاطفال في انه لا جناح
في ترك الايذان فيما عدا الاوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كساير الاجانب بسبب
اعتيادهم الدخول اي اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستاذنوا اي ان ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استاذن الذين من
قبلهم في حيز النصب على انه نعت لمصدر موكد للفعل والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية ووصفهم بكونهم
قبل هولاء باعتبار ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هولاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى
ذلك الا بتشبيهه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب في ان بلوغهم قبل بلوغ هولاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك في
الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكر هولاء اي فليستاذنوا استيذانا كائنا مثل استيذان المذكورين قبلهم بان يستاذنوا في جميع
الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي سبق والتكرير
للتاكيد والمبالغة في الامر بالاستيذان واضافة الايات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النسا اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض
والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه
لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل
التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله الا انه خص بكشف
المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين
الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هذه الطوائف
يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم اياهم وخوفا من تاذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله
ولا يشعر به والاعرج يتفسح في مجلسه فياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل
لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت ابائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل في الاية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك
ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كانوا كذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو وخلفوا هولاء الضعفا
في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان ياكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هولاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل
لهم ليس على الطوائف المعدودة ولا على انفسكم اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المومنين حرج ان تاكلوا اي ان تاكلوا انتم وهم معكم وتعميم الخطاب
للطوائف المذكورة ايضا يا باه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما من بيوتكم اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت
الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم
وبكسر الاول وفتح الثانية او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم
مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه الذي مر بيانه قيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه
او صديقكم اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم راضون بالتبسط في ذلك وان كان الامر كذلك واسر به من كثير من

الاقربا وروي عن ابن عباس ان الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات وانما
قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا اذا علم رضى صاحب
البيت بصريح الاذن او بقرينة داله وكذلك خص هولاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان
تاكلوا جميعا او اشتاتا كلام مستانف مسوق لبيان حكم اخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المومنين كبني ليث بن عمرو
ابن كنانه يتحرجون ان ياكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من يواكله
لم ياكل شيا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها
حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه
فيقول اني اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان من قوم الانصار لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص
لهم ان ياكلوا كيف شاوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليا كلوا طعاما عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس
بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال شت
اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم ان تاكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم شروع في بيان
الاداب التي يجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه بيوتا اي من البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم اي
على اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله اي ثابتة بامره
مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم
مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلاة الضحى فانها صلاة
الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات تكرير لتاكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون اي ما في تضاعيفها من
الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك بسعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد
تذييل الاوليين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله استيناف جي به في اواخر الاحكام السابقة
تقريرا لها وتاكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض اخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله تعالى ورسوله في حيز الصلة للموصول
الواقع خبرا للمبتدا مع ان ما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه فقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع
الى اخره معطوف على امنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما
في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب
الاتفاق كما اذا كانوا معه صلى الله عليه وسلم على امر مهم يجب اجتماعهم في شانه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية
الى اجتماع اولي الارا والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب
حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستاذنوه صلى الله عليه وسلم في الاستيذان
الذهاب لا على ان نفس الاستيذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الاذن المنوط برايه صلى الله عليه وسلم والاقتصار
على ذكره لانه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه
كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير اذنه صلى الله عليه وسلم
من الجناية والتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فقضى بان
المستاذنين هم المومنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان الكاملين في الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين
الاستيذان وفي اولئك من تفخيم شان المستاذنين ما لا يخفى فاذا استاذنوك بيان لما هو وظيفته صلى الله عليه وسلم في هذا
الباب اثر بيان ما هو وظيفة المومنين فان الاذن عند الاستيذان ليس بامر محتوم بل هو مفوض الى رايه صلى الله عليه وسلم والفا

لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعد ما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستاذنون فاذا استاذنوك **لبعض شانهم** اي
لبعض امورهم المهمة او خطبهم الملم **فاذن لمن شئت منهم** لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة **واستغفر لهم الله** فان الاستيذان
وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الاخرة **ان الله غفور** مبالغ في المغفرة لفرطات العباد **رحيم** مبالغ
في افاضة اثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم** استئناف مقرر
لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشانه اي لا تجعلوا دعوته صلى الله عليه وسلم اياكم في الاعتقاد والعمل بها **كدعاء
بعضكم بعضا** اي لا تقيسوا دعاءه صلى الله عليه وسلم اياكم ~~في الاعتقاد والعمل بها~~ على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور
التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه صلى الله عليه وسلم بغير استيذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه
صلى الله عليه وسلم مما يوجب امتثالهم باوامره صلى الله عليه وسلم المؤدي الى ما يوجب هلاككم من دعائه صلى الله عليه وسلم عليهم واما ما
قيل ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله
يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم**
الى اخره وعيد للمخالفين لامره صلى الله عليه وسلم فما ذكر من قبل فتوسط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية
وقد للتحقيق كما ان ربما للتكثير حسبما بين في سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية **لواذا** اي ملاوذة بان
يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون
اي ملاذين او على انه مصدر مؤكد بفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى **فليحذر الذين يخالفون عن امره**
لترتيب الحذر او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه سيما خلاف سمته وعن
اما لتضمينه معنى الاعراض او حمله على يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما ان المقصود
بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الامر حقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر **ان تصيبهم فتنة** اي
محنة في الدنيا **او يصيبهم عذاب اليم** اي في الاخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير
واستدل به على ان الامر للايجاب فان ترتيب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال حتما **الا
ان لله ما في السموات والارض** من الموجودات باسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدءا واعادة **قد يعلم ما انتم عليه** ايها
المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق **ويوم يرجعون اليه** عطف على ما انتم عليه اي
يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك
وغاية تقريره لما علم ان العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه واكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من
الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا
للفاعل **فينبئهم بما عملوا** من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه
التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية **والله بكل شيء عليم** لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات فيما بقي وفيما مضى والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة
الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله التي من
جملتها تنزيل القران الكريم المعجز الناطق بعلو شانه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة
الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى
الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القران

المنطوي

المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا
وانا فانا بحيث حدوثها وحدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب
للانشاء والانباء عنها التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر
فرق بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القران لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل باعجازه او بكونه مفصولا
بعضه عن بعض في نفسه او في انزاله **على عبده** محمد صلى الله عليه وسلم وايراده صلى الله عليه وسلم بذلك العنوان لتشريفه والايذان
بكونه صلى الله عليه وسلم في اقصى مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى **ليكون** غاية
للتنزيل اي منزلة عليه ليكون هو صلى الله عليه وسلم او الفرقان **للعالمين** من الثقلين **نذيرا** اي منذرا او انذارا مبالغة او ليكون
تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل القران
في معرض الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها
على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى لا ريب فيه **الذي له ملك السموات والارض** اي له خاصة دون غيره لا
استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما
ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
والجملة مستانفة مقررة لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام صلته ومعلومية
مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ونظائره او مدح له تعالى بالرفع
والنصب **ولم يتخذ ولدا** كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله
من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير
ما قبله **ولم يكن له شريك في الملك** اي في ملك السموات والارض وهو ايضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص
ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الالهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد
بينهما على استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول **وخلق كل شيء** اي احدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا
على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى
وخواص مختلفة الاحكام والاثار **فقدره** اي هيأه لما اراده من الخصائص والافعال اللائقة **تقديرا** بديعا لا يقادر قدره
ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في امور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال
المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير من غير تعاد
ففيه انه ارتكاب للمجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى التقدير واعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل
المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى وايا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها
في سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضي
انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه
او شريكا في ملكه **واتخذوا من دونه الهة** بعد ما بين حقيقة الحق ومطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسوله
صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل
سبحانه والمنزل عليه على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم اي اتخذوا
لانفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه
وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير الهة **لا يخلقون شيئا** اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا **وهم يخلقون** كسائر
المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان يختلقوا شيئا وهم يختلقون حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى **ولا يملكون**

لا نفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق
ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهولا لا يقدرون علي التصرف في دفع ما ليد فعوه عن انفسهم ولا في نفع
ما حتي يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه اول مراتب النفع واقدمها
والتنصيص علي قوله تعالي ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا يقدرون علي التصرف في شي منها بامانة الاحيا واحيا الموتى
وبعثهم بعد بيان عجزهم عما يهون من هذه الامور من رفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر علي التفصيل
والتنبيه علي ان الاله يجب ان يكون قادرا علي جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاها
نفي عن الهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الي التصريح بذلك وقال وقال الذين كفروا ان هذا الا افك شروع في
حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر
ابن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهم وروي عن الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع له
لمتابعة الباقين له في ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم غيرهم لذمهم بما في حيز الصلة والايذان بان ما
تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه افتراه يريدون ان اختلقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانه عليه اي علي اختلاقه قوم اخرون يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة
وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرون التوراة والانجيل وقيل هو عابس وقد مر
تفصيله في سورة النحل فقد جاوا ظلما وزورا منصوب بجاوا فان جا واتي يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته او
بنزع الخافض او بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاوا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت
الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمع
الانس والجن علي مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل اية من اياته ومن جهة اشتماله علي الحكم الحقيقية والاحكام المستتبعة له
للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناوله ولا تبلغه القوي والقدرة وزورا اي كذبا كبيرا
لا يبلغ غايته حيث انسبوا اليه صلى الله عليه وسلم ما هو بري منه والفا لترتيب ما بعدها علي ما قبلها لكن لا علي انهما امران
متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الاخر ويحصل بسببه بل علي ان الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب
التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاهم من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في
المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفا ترتيب اللازم علي الملزوم تهويلا لامره وقالوا اساطير الاولين بعد ما جعلوا
الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا علي زعمهم الفاسد كيفية الاستعانة والاساطير جمع اسطار او
اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات اكتتبها اي كتبها لنفسه علي الاسناد المجازي واستكتبها وقرى
علي البنا للمفعول لانه صلى الله عليه وسلم امي واصله كتبها له كاتب فحذفت اللام وافضي الفعل الي الضمير فصار اكتتبها
اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه فهي تملى عليه اي تلقى
عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر علي ان يتلقاها منه
بالقراءة او تملى علي الكاتب علي ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها واستكتابها ورجع الضمير المجرور اليه صلى الله عليه وسلم كاسناد
الكتابة في ضمن الاكتتاب لرايه صلى الله عليه وسلم بكرة واصيلا اي دايما او خفية قبل انتشار الناس وحين ياوون الي مساكنهم
نظر الي هذه الرتبة من الجراة العظيمة قاتلهم الله اني يوفكون قل لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض وصفه تعالي باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطوايها اي انزله علي اسرار مطوية عن عقول البشر
مع ما فيه من التعريض لمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالي اي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم
وكتابة اخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الله تعالي الذي لا يعزب عن علمه شي من الاشيا

واودع فيه فنون الحكم والاسرار علي وجه بديع لا يحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات
مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدي اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير
واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم صوت العذاب صبا فقوله تعالي انه كان غفورا رحيما تعليل لما هو المشاهد من تاخير
العقوبة اي انه تعالي ازلا وابدا مستمر علي المغفرة والرحمة المستتبعين للتاكيد ولذلك لا يعجل بعقوبتكم علي ما تقولون في
حقه مع كمال استيجابه اياها وغاية قدرته عليها وقالوا ما لهذا الرسول شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل
عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة علي الابتدا خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه
صلى الله عليه وسلم وتسميته صلى الله عليه وسلم رسولا بطريق الاستهزا به صلى الله عليه وسلم كما قال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم وقوله تعالي ياكل الطعام حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي شي واي سبب حصل
لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لابتغا الارزاق كما نفعله علي توجيه الانكار والنفي
الي السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالي فما لهم لا يومنون وقوله تعالي ما لكم لا ترجون
لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجا امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لا انتفا سببه بل الوجود بسبب نقيضه كذلك
كل من الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزا فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق
سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما علي زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو
الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم علي المحسوسات فان تميز الرسل عما عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور
نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالي قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك اي علي صورته وهيئته
فيكون معه نذيرا تنزل منهم علي اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الي اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون
ردا له في الانذار وهو يعبر عنه وتفسير ما يقوله للعامة وقوله تعالي او يلقى اليه كنز تنزل من تلك الرتبة الي اقتراح ان يلقى
اليه من السما كنز يستظهر به ولا يحتاج الي طلب المعاش ويكون ذلك دليلا علي صدقه وقوله تعالي او تكون له جنة ياكل منها
تنزل من تلك الرتبة الي اقتراح ما هو السوهنه واقرب من الوقوع وقرى ناكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم وقال
الظالمون هم القايلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا لكونه اضلالا
خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته صلى الله عليه وسلم الي المسحورية اي قالوا للمومنين ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا
مسحورا قد سحر فغلب علي عقله وقيل ذا سحر وهي الرية اي بشرا لا ملكا علي ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم
انظر كيف ضربوا لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترءوا علي التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك
الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة
من الوقوع فضلوا اي عن طريق المحاجة حيث اتوا بما لا يمكن صدوره عمن له ادنى عقل فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلا الي القدح
في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان
من اعتاد امثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الي استعمال المقدمات الحقة تبارك الذي اي تكاثر وتزايد خير الذي ان شا
جعل لك في الدنيا عاجلا شيا خيرا لك من ذلك الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة تاكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة وقوله
تعالي جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ومحقق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار
ويجعل لك قصورا عطف علي محل الجزا الذي هو جعل وقرى بالرفع عطف علي نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزايه الرفع والجزم
كما في قول القايل ٭ وان اتاه خليل يوم مسالة ٭ يقول لا غايب مالي ولا حرم ٭
ويجوز ان يكون استينافا بالوعد بما يكون له في الاخرة وقرى بالنصب علي انه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيته تعالي للايذان بان عدم
جعلها بمشيته المبنية علي الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين للتنبيه علي خروجهما من دايرة العقل واستغنايهما عن الجواب

لظهور بطلانها اومشانها تهما للحكمة بالكلية فان بعض الانبيا عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما **بل كذبوا**
بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جنايتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الاخرة
بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى **واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** الى اخره اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شانها
كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم
دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان يكن مجرد تكذيبهم بسائر ما جاءت به
الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اسند اليها سببيته تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على ما
قالوا ما لهذا الى اخره على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها واعتدنا انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا
فان جراوتهم على التكذيب وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من
الجواب المبني على التحقيق المبني عن الوعد بالجنات في الاخرة مسوق لبيان ذلك لا لتحدي نفعا ولا يحل بطائل على طريقة قول من
قال ۞ عرجوا النعم نحو ادمنة الدار ۞ ماذا تحيون من نوي واحجـاز ۞
والمعنى انهم لا يومنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما اوعدك في الاخرة وقيل المعنى بل
كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيويه وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله
تعالى **اذا راتهم** الى اخره صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمراى الناظر في البعد كقوله صلى الله عليه وسلم لا تتراى نارهما اي لا يتقاربان
بحيث يكون احدهما بمراى من الاخر على المجاز كان بعضها يرى لبعض فنسبة الروية اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ والزفير منها
لهيجان غضبها عليهم عند رويتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى **من مكان بعيد** اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة
حين راتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي من مسيرة عام وقيل من مسيرة
مائة سنة **سمعوا لها تغيظا وزفيرا** اي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيرا وهو صوت يسمع من جوفه هذا
وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسبت
اليها على حذف المضاف **واذا القوا منها مكانا** نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له **ضيقا** صفة لمكانا مفيدة
لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولهذا السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس
وابن عمر رضي الله عنهما تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده
انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون
فيها وقرئ ضيقا بسكون اليا **مقرنين** حال من مفعول القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى
اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد **دعوا هنالك** اي في ذلك المكان
الهائل والحالة الفظيعة **ثبورا** اي يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعالى فهذا حينك واوانك **لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا** على تقدير
قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بان تخاطبهم الملايكة به لتنبيههم على خلود عذابهم فانهم
لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك
قول ولا خطاب اي دعوه حال كونهم احقا بان يقال لهم ذلك واما مستانفا وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا يكون
عند دعايهم المذكور فقيل يقال ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجي لهم الى استدعا الهلاك
بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعا ثبورا واحدا **وادعوا ثبورا كثيرا** اي بحسب كثرة الدعا المتعلق به لا بحسب كثرته
في نفسه فان ما يدعونه ثبورا واحدا في حد ذاته لكنه كلما تعلق دعا من تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعا واحد
وتحقيقه لا تدعوه دعا واحدا وادعوا ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعا
في كل ان وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعا وتجدده لتجدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتعدد

الخلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى من انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب الوان وانواع
كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانه كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلايم المقام كيف لا وهم انما يدعون
هلاكا كما هي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته وبيان ما يوجب استدعاهم العذاب
الشديد وتقييد النهي باليوم والامر لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كساير الايام المعهودة **قل** تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا
على ما فاتهم **اذلك** اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهايلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في
غاية القاصية من الهول والفظاعة اي قل لهم ذلك الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشانها كيت وكيت وشان
اهلها ذيت وذيت **خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون** التي وعدها المتقون فاضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات
الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط **كانت** تلك الجنة **لهم** في علم الله تعالى او
في اللوح او لان ما وعده الله تعالى فهو كاين لا محالة فحكي تحققه ووقوعه **جزا** على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم **ومصيرا** ينقلبون اليه
لهم فيها ما يشاون اي ما يشاونه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل
فريق منهم يقتنع بما اتيح له من درجات النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي
مراتب اهل الجنان **خالدين** حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا وقيل من فاعل يشاون **كان** اي ما يشاونه
وقد قيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون **على ربك وعدا مسؤلا** اي موعودا حقيقا بان يسال ويطلب لكونه مما يتنافس فيه
المتنافسون او مسؤلا يساله الناس في دعايهم بقولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك او الملايكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجا الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد
الموجب للانجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه والاشعار بانه صلى الله عليه
وسلم هو الفايز اثر ذي اثير بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى **ويوم يحشرهم** نصب على انه مفعول بمضمر مقدر معطوف على قوله تعالى قل اذلك
الى اخره اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث
الهايلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر موخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعته ما فيه الايذان بقصور العبارة عن
بيانه اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم
وبكسر الشين ايضا **وما يعبدون من دون الله** اريد به ما يعم العقلا وغيرهم اما بان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبي عنه انك اذا رايت
شبحا من بعيد تقول ما هو او لانه اريد به الوصف لا الذات كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام غيرها تنبيها على انهم مثلها في السقوط
عن رتبة العبودية واعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملايكة والمسيح وعزير بقرينة السوال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى
او تكلم بلسان الحال كانه قيل في شهادة الايدي والارجل **فيقول** اي الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا
لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة **ءانتم اضللتم عبادي هولاء** بان
دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله **ام هم ضلوا السبيل** اي عن السبيل بانفسهم
لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول كما في قوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى
السبيل او للسبيل وتقديم الضمير على الفعل لما ان المقصود بالسوال هو التصدي للفعل لا نفسه **قالوا** استيناف مبني على سوال
نشا من حكاية السوال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا **سبحانك** تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملايكة معصومون او جمادات
لا قدرة لها على شي او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتاتى منهم اضلال عباده او تنزيها عن الاعتداد
ما كان ينبغي لنا اي ما صح وما استقام لنا **ان نتخذ من دونك** اي متجاوزين اياك **من اوليا** نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فاني
يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان يتخذنا وليا اي ان نتخذ من دونك اوليا اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق
على التابع كالمولى بمعنى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه اوليا الشيطان اي اتباعه وقرئ على البنا للمفعول من التعدي الى المفعولين كما في

قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اوليا على ان من للتبعيض اي نتخذ بعض اوليا وهي على الاول مزيدة وتنكير اوليا من حيث انهم اوليا مخصوصون وهم الجن والاصنام **ولكن متعتهم واباءهم** استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون لعد بيان تنزههم عن اضلالهم ولقد نعى عليهم هو صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم ولكن متعتهم واباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها **حتى نسوا الذكر** اي غفلوا عن ذكرك في الايات والتدبر في اياتك فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية **وكانوا** اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة **قوما بورا** هالكين على ان بورا على مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ في عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى **فقد كذبوكم** حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب الى افعال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة **بما تقولون** اي في قولكم انهم الهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا وياباه ان تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم الهتهم وناصروهم واياما كان فالبا بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ باليا اي كذبوكم بقولهم سبحانك الاية **فما يستطيعون** اي ما يملكون **صرفا** اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة **ولا نصرا** اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفا لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم كانوا يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اي فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم ورتب ما بعد الفاعل ما قبلها كما مر بيانه **ومن يظلم منكم** ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد **نذقه** في الاخرة **عذابا كبيرا** لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه وقيل للمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة الكبير فان الشرط في اقتضا الجزا مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا **وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق** جواب عن قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم لياكلون الى اخره الا انهم لياكلون وقرئ يمشون على البنا للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس **وجعلنا بعضكم** تلوين للخطاب وتعميم لساير الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى **لبعض** رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول **فتنة** اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا منهم من الاولين فتنة لبعض منهم من الاخر ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولكن لفرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض منهم من الاولين لبعض منهم من الاخر بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث بما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب بجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض اخر منكم فياباه قوله تعالى **اتصبرون** فان غاية للجعل ومن البين ان ليس ابتلاء كل احد من احاد الناس معنيا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان الاصرار على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما ادى لما يدل على اللائق بحال المعتوبين والمتوقع حضور

صدره

صدره عنهم هو الضمير لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به مشيته صلى الله عليه وسلم فالمعنى جرت سنة لا تنو كلمتنا على ابتدا المرسلين باممهم وبمناصبهم لهم العداوة وايذائهم لهم وباقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لتعلم صبرهم وقوله تعالى **وكان ربك بصيرا** وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم بالاجر الجزيل بصبره الجميل مع مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم **وقال الذين لا يرجون لقانا** شروع في حكاية بعض اخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول الى اخره ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقا الشي عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع ما منع عن ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقا حسابه تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لعدم املهم حسن اللقا لان عدمها غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وان كان البعث والحساب راسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا اي حسابنا المودي الى سو العذاب الذي يستوجبه مقالتهم **لولا انزل علينا الملائكة** اي هلا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب بقولهم **او نرى ربنا** من حيث ان كلا القولين ناشي عن غلبة علوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى **لقد استكبروا في انفسهم** اي في شانهم حتى اجتروا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعا **وعتوا** اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان **عتوا كبيرا** بالغا اقصى غاياته بحيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا يكاد يدنوا اليها احداق الامم ولا تمتد اليها احداق الهمم ولا ينالها الا اولوا العزائم الماضية من الانبيا عليهم الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الاية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى **يوم يرون الملائكة** استيناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم تنزل الملائكة ايذانا من اول الامر بان رويتهم له ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه اخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه وقوله تعالى **لا بشرى يومئذ للمجرمين** فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهويل للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعران بان هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت المدري لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يكره لبشرى على ان لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رويتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان التقدم الظرف للاهتمام لا لقصد نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث لا يتناول فساق المومنين ثم الالتجا في اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت اخر بمعزل عن الحق بعيد **ويقولون** عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبي عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له **حجرا محجورا** وهي كلمة يتكلمون بها عند لقا عدو موتور وهجوم نازلة مهولة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم وكان المعنى نسال الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحا الصرف منافيه لاختصاصه بموضع واحد كما قعدك وعمرك وقرئ حجرا بالضم والمعنى انهم

يطلبون نزول الملايكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا راوهم كرهوا لقاهم اشد كراهة وفرحوا فرحا شديدا وقالوا
ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وطول باس فظيع ومحجورا صفة لحجرا واردة للتاكيد كما قالوا زيل زايل وليل اليل
وقيل يقولها الملايكة قنا طا للكفرة بمعني حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم
وليس بواضح **وقدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا** بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف
وقرى ضيف ومن على اسير ومن غير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم
المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى الشام اشباههم وقصد الى ما تحت ايديهم فاتى عليها بالافسا
والتحريق ومزقها كل تمزيق بحيث لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون
هناك قدوم على شي ولا شي يقصد تشبيهه به والهبا شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار
نشورا صفته تشبيه به اعمالهم الحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول
ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين **اصحاب الجنة** هم المومنون المشار اليهم بقوله تعا
ذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الى اخره **يومئذ** اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل
اعمالهم هبا منثورا **خير مستقرا** المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحارب **واحسن مقيلا** المقيل
المكان الذي يودي اليه للاسترواح في الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا
وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن
مع حصول الخيرية لعطفه على المستقر من الى انه مزين بفنون الزيف والزخارف والتفضل المعتبر فيهما اما الارادة الزيادة
على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيري المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة ما للكفرة المتنعمين في الدنيا والى ما
لهم في الاخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الاية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة
الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة **ويوم تشقق السما** اي تتفتح واصله تتشقق وحذف احدى التائين
كما في تلظى وقرى بادغام التاي الثاني في الشين **بالغمام** بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرايل **ونزل الملايكة تنزيلا** اي
تنزيلا عجيبا غير معهود وقيل تتشقق سما سما وتنزل الملايكة خلال ذلك الغمام بصحايف اعمال العباد وقرى ونزلت
الملايكة وننزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل وتنزول الملايكة وننزل الملايكة على حذف النون الذي هو
فا الفعل من ننزل **الملك يومئذ الحق للرحمن** اي السلطنة القاهرة والاستيلا الكلي العام السابق صورة ومعنى ظاهرا
وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدا والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدا
وفايدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما ما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في
الجملة وقيل الملك مبتدا والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ
والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وايا ما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد الله بالملك يوم تشقق وقيل الظرف
منصوب بما ذكر والجملة حينئذ استيناف مسوق لبيان احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه
تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن **وكان** ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ في الرحمة العباده **يوما على
الكافرين عسيرا** شديد الهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما المومنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جا
في الحديث انه يهون يوم القيمة على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما
قبله **ويوم يعض الظالم على يديه** عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ

والحسرة

والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم
فدعاه يوما الى ضيافة فابى صلى الله عليه وسلم ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه
وقال صبات فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحيت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى عنك الا ان تطا تأتيه
فتطا قفاه وتبزق في وجهه فاتاه فوجده ساجدا في دار الندوه ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من
مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن صلى
الله عليه وسلم ابيا يوم احد في المبارزة فرجع الى مكة ومات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى **يقول**
الى اخره حال من فاعل يعض وقوله تعالى **يا ليتني** الى اخره محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى محذوف
اي يا هولا ليتني **اتخذت مع الرسول سبيلا** اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم يتشعب في طريق الضلالة
او حصلت في صحبته صلى الله عليه وسلم طريقا ولم اكن ضالا لا طريق لي قط **يا ويلتى** بقلب يا المتكلم الفا كما في صحارى ومدارى وقرى
على الاصل يا ويلتي اي هلكتي تعالى واحضري فهذا اوانك **ليتني لم اتخذ فلانا خليلا** يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن
الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانه عن علم اناثهم وقيل كناية عن نكرة من يعقل
من الذكور وفلانه عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانه عن غير العاقل ويختص فل بالندا الا في ضرورة كما في قوله
في لجة امسك فلانا عن فل وقوله خذا حدثاني عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفرا
واختلفوا في لام فل وفلان فقيل وا وقيل يا هذا فان اريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم
كل من يضله كاينا من كان من شياطين الجن والانس هذا التمني منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع من
تذلل واعتذار بتوليه جنايته الى الغير وقوله تعالى **لقد اضلني عن الذكر** تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعليله وتصديره باللام
القسمية للمبالغة في بيان خطاه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى او عن القران او عن موعظة الرسول
صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة **بعد اذ جاني** وتمكنت منه وقوله تعالى **وكان الشيطان للانسان خذولا** اي مبالغا في الخذلان
حيث يواليه حتى يوديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم على انه سمى
خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على
مخالة المضلين ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم بوسوسته واغوايه فان وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه
بان ينفعه في الاخرة وهو اوفق بحال ابليس **وقال الرسول** عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقانا وما بينهما اعتراض
مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الاخرة من الاهوال والخطوب وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة
لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث ما كان حكي عنهم قدحا في رسالته صلى الله عليه وسلم اي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما
شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى رب عز وجل **يا رب ان قومي** يعني الذين حكي عنهم ما حكي من الشنايع
اتخذوا هذا القران الذي من جملته هذه الايات الناطقة بما يحيق بهم في الاخرة من فنون العقاب كما تنبي عنه كلمة الاشارة
مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يومنوا به ولم يرفعوا اليه راسا ولم يتاثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق المومن ان يكون كثير
التعاهد للقران كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم قال من تعلم القران وعلق مصحفا ولم ينظر
فيه جا يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذا اي جعلوه
مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكي عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا وقيل ان يكون
المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين** تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتدا بمن قبله من الانبيا عليهم السلام الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من حرى

قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى **وكفى بربك هاديا ونصيرا** وعد كريم له صلى الله عليه وسلم بالهداية الى كافة مطالبه والنصر
على اعدائه اي كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله
واجرا احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيمة ونصيرا لك على جميع من يعاديك **وقال الذين كفروا** حكاية لاقتراحهم الخاصة بالقران
الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه صلى الله عليه وسلم والقايلون هم القايلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار بعلة
الحكم **لولا نزل عليه القران** التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما
ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله **جملة واحدة** كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقا مما لا يكاد
يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القران العظيم فبينة صحته واية
كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على ممر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزايه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدي
ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما
على ان فيه فوايد جمة قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى **كذلك لنثبت به فوادك** فانه استيناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم
الباطلة وبيان الحكمة في التدريج التنزيل التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر موكد معلل بما بعده وذلك
اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق
فوادك فان فيه تيسير الحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الاحكام على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة
على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتدا او تكليفا بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القران المجيد من الاخبار
وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة
الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الاخرة على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث
امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعاوضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالكلمة وقوله تعالى
ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي لذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله
تفريقه اية بعد اية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال
السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته لقوله تعالى ورتل القران ترتيلا وقيل
قرانا عليك بلسان جبريل شيا فشيا في عشرين او في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل **ولا ياتونك بمثل** من الامثال التي من جملتها
ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دايرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا ياتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان
يريدون به القدح في حقك وحق القران **الا جيناك** في مقابلته **بالحق** اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم
مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القاطعة لعروق اسيلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى **واحسن تفسيرا**
عطف على الحق اي جيناك باحسن تفسيرا اي على محل بالحق اي اتيناك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على انه في غاية ما يكون من
الحق في حد ذاته لان ما ياتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثنا مفرغ محله النصب على الحالية اي لا ياتونك
بمثل الا حال اتياننا اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فواده صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى وهذه العبادة ناطق ببطلان جميع الاسيلة وصحة جميع الاجوبة وباشارته مبني على بطلان السوال الاخير وصحة جوابه
اذ لولا ان تنزيله القران على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فواده صلى الله عليه وسلم
من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه السلام عليها من مقارنة
الملك في الاستغنا عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القران عليه جملة واحدة على معنى لا ياتونك بحالة عجيبة
يقترحون اتصافك بها قايلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا
ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات والصفات ويابا الاستثنا المذكور

كان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الملكات السنية اللايقة بالرسالة قد اتاه من اول الامر لا بمقابلة ما
حكي عنهم من الاقتراحات لاجل دفعها وابطالها **الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم** اي يحشرون على وجوههم كاينين
على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل
متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او
توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتدا وقوله **اوليك** بدل منه او بيان له وقوله
شر مكانا واضل سبيلا خبر له او اسم الاشارة مبتدا ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالاضلال من
باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل انبيكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه صلى الله عليه وسلم وتضليل سبيله ولا
يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة يوميذ خير مستقرا واحسن مقيلا
ولقد اتينا موسى الكتاب جملة مستانفة سيقت لتاكيد ما مر من التسلية والوعد بالكفاية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا
ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبيا عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم
محذوف اي وبالله لقد اتينا موسى التورية اي انزلناها عليه بالاخرة **وجعلنا معه** الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى **اخاه**
مفعول اول له وقوله تعالى **هارون** بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى **وزيرا** مفعول ثان
له وقد مر معنى الوزير اي جعلناه في اول الامر وزيرا له **فقلنا** لهما حينيذ **اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا** هم فرعون
وقومه والايات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه الصلاة والسلام ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما
اليهم بهذا الوصف ضرورة تاخر تكذيب الايات عن ظهورها المتاخر عن ذهابهما المتاخر عن الامر فالمعنى فذهبا اليهم فارياهم اياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا
فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر **تدميرا** عجيبا هايلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة
اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فايدة يعتد
بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع فانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتا الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل
في هلاكهم كساير الايات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الامال التي هي انجا بني اسرايل
من ملكه فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التورية من الاحكام اذ به يحصل تاكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه
وقرئ فدمرتهم وقرئ فدمراهم وفدمرا بهم على التاكيد بالنون الثقيلة **وقوم نوح** منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي
ودمرنا قوم نوح وقيل على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله تدميرهم ولا عليه لا سيما وقد بين سببه
بقوله تعالى **لما كذبوا الرسل** اي نوحا ومن قبله من الرسل ونوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام
وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى **اغرقناهم** وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما تقدير كونها
حرف وجود لوجود فلا لانه حينيذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع انه محل لعطف المنصوبات الاتية على قوم نوح لما
ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استيناف مبين لكيفية تدميرهم **وجعلناهم** اي جعلنا
اغراقهم او قصتهم **للناس اية** اي اية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهو مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او
متعلق بمحذوف وقع حالا من اية اذ لو تاخر عنها لكان صفة لها **واعتدنا للظالمين** اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان
بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب **عذابا اليما** هو عذاب الاخرة اذ لا فايدة في الاخبار باعتاد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه
من قبل او بجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب
الدنيوي والاخروي **وعادا** عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل الظالمين اذ هو في معنى وعدنا

الظالمين وكلاهما بعيد **وثمودا** الكلام فيه وفيما بعده كما في ما قبله وقرئ وثمودًا على تاويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى
واصحاب الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي
تطوى بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل
هم الاخدود وقيل بئر بانطاكيه قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله
تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم
فتخطفهم ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه
السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه اي دسوه في بئر **وقرونا** اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون
وقيل مائة وقيل مائة وعشرون **بين ذلك** اي بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير
اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب **كثيرا** لا يعلم
مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة
القصة بمثابة الامم المذكورة **وكلا** منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف
الذي عوض عنه التنوين عبارة عنها اما عن الامم التي ذكر سبب هلاكهم واما عن الكل فانما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم
بالايات والرسل لا بعدم التاثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين **ضربنا له الامثال** اي بينا له
القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل **وكلا** اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض **تبرنا**
تتبيرا عجيبا هائلا لما انهم لم يتاثروا بذلك ولم يرجعوا اليه راسا وتمادوا عليه من الكفر والعدوان التتبير التفتيت قال
الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة **ولقد اتوا** جملة مستانفة مسوقة لبيان مشاهدتهم
لاثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في
متاجرهم الى الشام **على القرية التي امطرت** اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجا منها الا واحدة كان اهلها
لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المراد بقوله تعالى **مطر السوء** وانتصابه اما على انه مصدر
موكد بحذف الزوائد كما قيل في انبته الله نباتا حسنا اي امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء
افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من اثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الروية معا
وفي الثاني عدم الروية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى **بل كانوا لا يرجون نشورا** اما اضراب عما قبله من عدم رويتهم
لاثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لعدم كون اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم
رويتهم لاثارها خلا انه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية
من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي
ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء
الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتعظوا ويتذكروا بما شاهدوه من اثار
الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقال بما ذكر من التوبيخ من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور
واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معك عليه السلام على معنى قصر اتخاذهم
على كونه هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى **اهذا الذي بعث الله رسولا**
محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزؤون بك قائلين اهذا الذي الى اخره والاشارة للاستحقار وايراد الله
بعث رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عليه الصلاة والسلام مع كونهم في غاية النكير لبعثه عليه
السلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا او اهذا الذي يزعم انه بعث الله رسولا **ان كاد** ان

مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي انه كاد **ليضلنا عن الهتنا** اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا لا عن عبادتها فقط
والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي **لولا ان صبرنا عليها** واستمسكنا بعبادتها ولولا في
امثال هذا الكلام تجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الى اخره وهذا
اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث
شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل **وسوف يعلمون** جواب من جهته تعالى
لاخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان
تراخى **حين يرون العذاب** الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم **من اضل سبيلا** وفيه ما لا يخفى من الوعيد
والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم **ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا** تعجيب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمال وتنبيه على
ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه واله مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور
عليه امر التعجب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب هو
المتلبس بالحالة الحادثة اي ارايت من جعل هواه الها لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا عن استماع الحجة
الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى **ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون** اضراب
وانتقال من الانكار المذكور الى انكار حسبانه صلى الله عليه وسلم لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده صلى الله عليه
وسلم في الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا ينبغي ان يقع الى بل تحسب ان اكثرهم يسمعون ما يتلى عليهم من
الايات حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني بشانهم وتطمع في
ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين للاكثر لا لما
اضيف هو اليه وقوله تعالى **ان هم الا كالانعام** الى اخره جملة مستانفة مسوقة لتقرير النكير وتاكيده وحسم مادة الحسبان
بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع اذانهم من قوارع الايات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا
كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة **بل هم اضل سبيلا** لما انها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف
من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتاوي الى معاطنها وهؤلاء لا
ينقادون الى ربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا يطلبون
الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو الشرع الهني
والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف
هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها الاحكام والشرور ولان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى
الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد
ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت له فلا تقصير في طلبها من قبلها في طلب الكمال
واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد
النكال **الم تر الى ربك** بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والهمزة للتقرير لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم وللايذان بان
ما يعقبه من اثار ربوبيته ورحمته تعالى اي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى **كيف مد الظل** اي كيف انشا ظل اي ظل كان من
جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا انه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك
مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه ياباه سياق النظم الكريم فاما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع

الفجر وطلوع الشمس فانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تتفرع عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر
البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود فغير سديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز
وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين
الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكروا ان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا
ولا يصفونه باوصاف المعهودة لان توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد به تقرير رؤيته صلى الله عليه وسلم لكيفية مد الظل للتنبيه
على ان نظره صلى الله عليه وسلم متصور على ما يطالعه من الانظار والصنايع بل مطمح انظاره معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله
تعالى **ولو شاء لجعله ساكنا** جملة اعتراضية بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية
وانما المؤثر فيه المشية والقدرة ومفعول المشية محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعه شرطا ويكون مفعولها مضمون الجزاء
اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي هو
تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين الظل والشمس يرى راي العين حركة وانتقالا وحاصله ان لا يعتريه اختلاف حال بان
لا تنسخه الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره العقل عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان
كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة
السببية والتاثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات بذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في
مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها
فهو اولى واحق بالايراد في معرض البيان وقوله تعالى **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا** عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها
علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتاثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة ۝
والالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التاثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المبني
عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى **ثم قبضناه** عطف على مد
داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما في بيان كون القبض والمد مرتبتين دائرتين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على
الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعدما انشاناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند ايقاع شعاع
الشمس موقعه من غير ان يكون له تاثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المبني عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي
هو البسط طولا وقوله تعالى **الينا** للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل **قبضا يسيرا** اي على مهل قليلا قليلا
حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السما كالقبة المضروبة
ودحى الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق
الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقاص
ثم ينسخه بها فيقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير او قبضا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر
باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه باليسير على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق
الوقوع **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا** بيان لبعض بدايع اثار قدرته تعالى وحكمته وروايع احكام رحمته ونعمته الفايضة على
الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتنا ببيان كون ما يعقبه من
منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اي هو الذي جعل
لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس **والنوم سباتا** اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الافاعيل
المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع الحياة وعليه قوله تعالى هو الذي
يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها **وجعل النهار نشورا** اي ذا نشور ومان بعث من النوم كالبعث

كيف

كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم
واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر **وهو الذي ارسل الرياح**
وقرئ بالتوحيد على ان المراد هو الجنس **نشرا** تخفيف نشر جمع نشور اي منشورين وقرئ نشرا بالنون جمع نشور اي ناشرات
للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى **بين يدي رحمته** استعارة بديعة
اي قدام المطر والالتفات الى نون العظمة في قوله تعالى **وانزلنا من السما ما طهورا** لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة
ما ذكر من ارسال الرياح اي انزلنا بعظمتنا بما ارسلنا رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ما بليغا في الطهارة وما قيل انه ما
يكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به فان
الطهور في العربية اما صفة كما تقول ما طهورا او اسم كما في قوله صلى الله عليه وسلم التراب طهور المومن وقد جا بمعنى الطهارة
كما في قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوا حسنا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور ووصف الما به اشعارا
بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما يتبعه بعده فان الما الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما
كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك واولى **لنحيي به** اي بما انزلناه من السما الطهور **بلدة ميتا** بانبات النبات ۝
والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كساير ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد والمراد به القطعة من
الارض عامرة كانت او غيرها **ونسقيه** اي ذلك الما الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض او المنابع والابار
مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان
اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السما وساير الحيوانات تبعد في
طلب الما فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الايات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة ۝
والانعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احيا الارض فانه
سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي كظرابي في ظربان على ان
اصله اناسين فقلبت نونه يا وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف يا افاعيل كانا عم في اناعيم **ولقد صرفناه** اي وبالله لقد كررنا هذا
القول الذي هو ذكر انشا السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجميلة في القران وغيره من الكتب السماوية **بينهم** اي بين
الناس من المتقدمين والمتاخرين **ليذكروا** ليتفكروا وليعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته
حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها او في بعض الاوقات دون بعض وجعله تارة وابلا
واخرى طلا وحينا ديمة ووقتا رهمة والاول هو الاظهر **فابى اكثر الناس** ممن سلف وخلف **الا كفورا** اي لم يفعل الا كفران
النعمة وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا
من الانوا فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانوا امارات بجعل الله تعالى **ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا** نبيا
ينذر اهلها فيخف عليك اعبا النبوة لكن لم نشا ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين
نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على ساير الرسل **فلا تطع الكافرين** اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار
الحق والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما انه صلى الله عليه وسلم
كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد وافي ذلك تاليف قلوبهم اشد الاجتهاد **وجاهدهم** اي بالقران بتلاوة ما في تضاعيفه
من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة **جهادا كبيرا** فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد
كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان مجرد ترك الطاعة
يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم
بما ذكر من احكام القران الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل جاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما في قوله تعالى

يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من
كونه صلى الله عليه وسلم نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكثر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له صلى الله عليه وسلم وجاهدهم بسبب كونك نذيرا
كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه
بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية **وهو الذي مرج البحرين** اي خلاهما متجاورين متلاصقين
بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها **هذا عذب فرات** قاطع للعطش لغاية عذوبته **وهذا ملح اجاج** بليغ الملوحة
وقرئ ملح ولعله بتخفيف مالح كبرد في بارد **وجعل بينهما برزخا** حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها **وحجرا محجورا**
وتنافرا مفرطا كان كلا منهما يقول من الاخر ما يقوله المتعوذ وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله
فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالمالح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة
في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية **وهو الذي خلق من الما**
بشرا هو الماء الذي خمر به طينة ادم عليه السلام او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات
بسهولة او هو النطفة **فجعله نسبا وصهرا** اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر
بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى **وكان ربك قديرا** مبالغا في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا
ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من مادة واحدة توامين ذكرا وانثى **ويعبدون من دون الله**
الذي شانه ما ذكر **ما لا ينفعهم ولا يضرهم** اي ما ليس من شانه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ
ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر **وكان الكافر على ربه** الذي ذكرت اثار ربوبيته **ظهيرا** يظاهر الشيطان بالعداوة
والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك
فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر **وما ارسلناك الا مبشرا** للمؤمنين **ونذيرا** للكافرين **قل** لهم **ما اسالكم عليه** اي على تبليغ الرسالة
التي ينبئ عنه الارسال **من اجر** من جهتكم **الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا** اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب
الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثني منه
قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم صلى الله عليه وسلم وقيل الاستثناء
منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل **وتوكل على الحي الذي لا يموت** في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن
اجورهم فانه الحقيق ان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شانهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم **وسبح بحمده** ونزهه
عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه **وكفى به بذنوب عباده** ما ظهر منها
وما بطن **خبيرا** اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وفاقا **الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم**
استوى على العرش قد سبق تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية
التي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتاكيده فان من انشا هذه
الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها
دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من ان يتوكل عليه واولى من ان يفوض الامر اليه **الرحمن** مرفوع على
المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف اخر للحي كما قرئ بالجر مفيدة لزيادة تاكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم
يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك
سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة
متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الاية وقيل

الموصول مبتدا والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى **فاسئل به** اي بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق
والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد شانهما لا يبقى الى السؤال حاجة الا في تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمنه معنى
الاعتناء المستدعي لكون المسؤول امرا خطيرا مهما بشانه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس
كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسئل به خبيرا على ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم وغيره بمعزل من السداد بل
التقدير ان شئت تحقق ما ذكر او تفصيل ما ذكرنا فاسئل معتنيا به **خبيرا** عظيم الشان محيطا بظواهر الامور وبواطنها
وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسئل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا
وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم
وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدا وما بعده خبر وقرئ فسل **واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن** قالوه
لما انهم ما كانوا يطلقونه على الله سبحانه او لانهم ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا **انسجد لما تامرنا** اي للذي تامرنا
بسجوده او لامرك ايانا من غير ان نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يامرنا بالياء الغيبة على انه قول
بعضهم لبعض **وزادهم** اي الامر بسجود الرحمن **نفورا** عن الايمان **تبارك الذي جعل في السما بروجا** هي البروج الاثني
عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره
وجعل فيها سراجا هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار **وقمرا منيرا**
مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع قمراء ولما ان الليالي بالقمر تكون قمرا اضيف اليها ثم حذف واجري حكمه على المضاف
اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي الله تعالى عنه

بردى يصفق بالرحيق السلسل

اي ماء بردى ويحتمل
ان يكون القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة** اي ذوي خلفة يخلف كل منهما
الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه وبان يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة
والجلسة من ركب او جلس **لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا** اي ان يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم او ليكونا وقتين
للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الاخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر **وعباد الرحمن** كلام مستانف مسوق
لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة
للتشريف وهو مبتدا خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في اخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة
وقرئ عباد الرحمن اي عباده المقبولين **الذين يمشون على الارض هونا** اي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما
على انه حال من فاعل يمشون او على انه لمصدره اي يمشون هينين لينى الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله تعالى **واذا**
خاطبهم الجاهلون اي السفهاء كما في قول من قال

الا لا يجهلن احد علينا ٭ فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة
لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال
نسختها اية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله تعالى **والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم
ان يكونوا ساجدين لربهم وقائمين اي يحيون الليل كلا او بعضا بالصلاة وقيل من قرا شيئا في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما
وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل **والذين يقولون** في اعقاب
صلواتهم او في عامة اوقاتهم **ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما** اي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد
مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الحق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم
غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون **انها سات مستقرا ومقاما**

تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا للاولى وليس بذلك
وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير
هو الذي يربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها قيل ويجوز ان تكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او
تمييز وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والقتر
منع الواجبات والغرض وقرئ بكسر التاء مع فتح اليا وبكسرها مخففة مشددة مع ضمير اليا وكان بين ذلك اي بين ما ذكر من
الاسراف والقتر قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما تقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال موكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته
الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها اخر شروع في
بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصار والتصريح بوصفهم
بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض
بما كانوا عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى
حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم الا بالحق اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب
الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او يقتلون قتلا ما اي قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين
بالحق ولا يزنون اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعتهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه
مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموءودة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا ومن يفعل ذلك اي ما ذكر كما هو
دأب الكفرة المذكورين يلق في الاخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد محروما اثاما وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال
وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقدير للتفخيم وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو
ايام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله

٭ متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ٭

وقرئ بالرفع على الاستئناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب
ويخلد فيه في ذلك العذاب المضاعف مهانا ذليلا محتقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول
من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبي عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما
ينبئ عنه قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء
به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة فاولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال
الثلاثة باعتبار لفظه اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم
بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية
وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل بدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين
وبالزنا عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب اي عن المعاصي بتركها
بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات فانه بما فعل يتوب الى الله اي
يرجع اليه تعالى متابا اي متابا عظيم الشان مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي
يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور
لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا على طريق الاتفاق باللغو

اي ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك
الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم المنطوية
على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما وعميانا اي اكبوا عليها سامعين باذان واعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا لما
يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة الله وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم
عينه لما يشاهده من متابعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم ومن ابتدائية
او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين ولا ريب في قلتها نظرا
الى غيرها واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل له
وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا ولان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم
كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار الكل ثبوت هذا اصدور هذا الدعاء عن الكل
بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة وانما عن كل
واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة
كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على
طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقي اماما على حاله وقيل الامام جمع ام بمعنى قاصد كصيام جمع
صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة
الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله شان خطير حقيق بان يفرد
له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تتمة لذلك وتوسط العاطف بين الموصوف لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف
الذاتي كما في قوله ٭ الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتيبة في المزدحم ٭
اولئك اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك
اكمل تميز ومنتظمون في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله
تعالى يجزون الغرفة والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية لما لهم في الاخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم
في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل لكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس
اريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات امنون وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات
ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها من جهة الملائكة تحية وسلاما اي يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة
والسلامة على الافات او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل افة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون خالدين
فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كالذي مر في مقابله قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين
للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا
اي قل لهم كافة مشافها بما صدر عن جنسهم من خير وشر ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم اي اي عبء يعبأ بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم
له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اي وزن
يكون لكم عنده وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة ويجوز ان تكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من
المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتكم به وخالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين
وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدة
الايذان لان مناط فوز احدهما وخسران الاخر مع الاتحاد بالجنس المصحح للاشتراك في الفوز ليس الا اختلافهما في الاعمال فسوف

يكون لزاما اي يكون جزاوه التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفا الدالة على
لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره للتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل
يكون العذاب لزاما وعن مجاهد انه القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتل وقرى لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مومن بان الساعة اتية دخل الجنة بغير نصب والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط
التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق
الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتدا وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او
النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرا وتلك في قوله تعالى **تلك ايات الكتاب المبين** اشارة الى السورة سواكان طسم
مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلته
المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول
والمراد بالكتاب القران وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان والمبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل
بين الحق والباطل والمعنى هي ايات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل
من النعوت الفاضلة **لعلك باخع نفسك** اي قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن القفا وذلك اقصى
حد الذبح وقرى باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام
قومك **الا يكونوا مومنين** اي لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يومنوا به وقوله تعالى **ان نشا** الى اخره استينا
مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي والتحسير المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيته تعالى **ننزل عليهم من السماء اية**
اي ملجية لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر **فظلت اعناقهم لها خاضعين** اي منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان
موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفة العقلا اجريت مجراهم في الصفة ايضا كما في قوله تعالى
رايتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الروسا والجماعات من قولهم جانا عنق من الناس بصفة العقلا اجريت مجراهم في الصفة ايضا
اي فوج منهم وقرى خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى **وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا
كانوا عنه معرضين** بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوايهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب لغير ما ذكر من الاية الملجية
لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجايه عنه ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية
لابتدا الغاية مجازا متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا
به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما ياتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع
قبيح وعما ياتيهم بموجب رحمته تعالى المحض منفعتهم اشنع واقبح اي ما ياتيهم من موعظة من المواعظ القرانية او من طايفة نازلة
من القران تذكرهم كل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد
تنزيلها حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزا واصروا على ما كانوا عليه من الكفر
والضلال فالاستثنا مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول ياتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور
اي ما ياتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه **فقد كذبوا** اي كذبوا بالذكر الذي ياتيهم تكذيبا صريحا
مقارنا للاستهزا به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفا في قوله تعالى
فسياتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسياتيهم البتة من غير تخلف اصلا **انبا ما كانوا**

به يستهزون عدول عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزا كما اشير
اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاهم فسوف ياتيهم
انبا ما كانوا به يستهزون وانباوه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والاجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبا بها القران
الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القران كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانبا وفيه تهويل لان
النبا لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اي فسياتيهم لا محالة مصداق ما كانوا به يستهزون بعد قبل من غير ان يتدبروا في
احواله ويقفوا عليها **اولم يروا** الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر تقتضيه المقام اي يفعلوا ما فعلوا من الاعراض
عن الايات والتكذيب والاستهزا بها ولم ينظروا **الى الارض** اي الى عجايبها الزاجرة كما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه
والى الايمان به وقوله تعالى **كم انبتنا فيها من كل زوج كريم** استيناف مبين لما في الارض من الايات الزاجرة عن الكفر الداعية
الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف تمييز
والكريم من كل شي مرضيه ومحموده اي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص المنافع انباته بالذكر دون ما عداه من
الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف
الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى لما انبت شيا الا وفيه فايدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد
يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون **ان في ذلك** اشارة الى مصدر انبتنا او الى
كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل **لاية** اي اية عظيمة دالة على كمال
قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وادعة عن الكفر **وما كان اكثرهم** اي اكثر قومه صلى الله عليه
وسلم **مومنين** قبل اي في علم الله تعالى وقضايه حيث علم انهم لا يبصرون فيما لا يزال الا ما هم الذي عليه يدور امر التكاليف الى
جانب الكثر ولا يتدبرون في هذه الايات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم مومنين وهو الانسب بمقام علوهم
وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد بيان موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضايه فربما يوهم
تنحيهم لكونهم معذورين فيه بحسب الظاهر انما اشير اليه من التحقيق مما حاما حوله العلما المتقنين كانه قيل ان في ذلك لاية باهرة
موجبة للايمان وما اكثرهم مومنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان
الى اكثرهم لان منهم من سيومن **وان ربك لهو العزيز** اي الغالب على كل شي ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من هو **الرحيم**
المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يواخذهم بغتة بما اجترووا عليه من العظايم الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف
الربوبية من الكفرة ما لا يخفى **واذ نادى ربك موسى** كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما ياتيهم من الايات
التنزيلية وتكذيبهم لها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الايات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم اي واذكر لاوليك المعرضين المكذبين وقت ندايه تعالى اياه عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب
تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الضالين حتى يتضح لك انهم
لا يومنون بما ياتيهم من الايات لكن لا بقياس حال هولا بحال اوليك فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق
بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت مع ان المقصود بذلك تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا **ان ايت** بمعنى اي ايت على ان ان مفسرة او
بان ايت على ان ان مصدرية حذف عنها الجار **القوم الظالمين** اي بالكفر والمعاصي والاستعباد وبني اسرايل وذبح ابنايهم وليس هذا
مطلع ما ورد في حين الندا وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله لنريك من اياتنا الكبرى وامرا وما
جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قدم تحقيقه في اوايل سورة الاعراف عند قوله قال انظرني
قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان جي به للايذان بانهم علم في الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمة قوم فرعون ٥

والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة الى نفسه اول داخل في الحكم **الا يتقون** استيناف جيء به اثر رسالته عليه السلام
اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتا الخطاب على طريقة الالتفات المبني على زيادة الغضب
عليهم كان ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا غيبا لكنهم قد اجري مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث
انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتامل وقرئ بكسر النون اكتفاء به عن
يا المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا **قال** استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية ما مضى كانه
قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا الى الله عز وجل **رب اني اخاف ان يكذبون** من اول الامر **ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني** معطوفان على اخاف **فارسل** اي جبريل عليه السلام **الى هارون** ليكون معي اعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه
السلام استدعاء ذلك على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر ازديادا ما كان فيه من حبسة اللسان بانقباض الروح الى
باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت تمس الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى
لا تختل دعوته ولا ينقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد
عذر فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه **ولهم علي ذنب** اي تبعة ذنب فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او سمى باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة
الى قصة مبسوطة في غير موضع **فاخاف** اي ان اتيتهم وحدي **ان يقتلون** بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا
تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى **قال كلا فاذهبا باياتنا** حكاية لاجابته تعالى
الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف
على مضمر ينبئ عنه الردع كانه قيل ارتدع عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى باياتنا رمز الى انها تدفع ما تخافه
وقوله تعالى **انا معكم مستمعون** تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما
اسمع وارى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية وقيل اجري مجرى الجماعة ويأبى ما بعده وما قبله من ضمير
التثنية اي سامعون لما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري
بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم مبالغة في الوعد بالاعانة واستعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو
العلم بالحروف والاصوات وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفا في قوله تعالى **فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب
العالمين** لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تاكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد
التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تعالى **ان
ارسل معنا بني اسرائيل** مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشانهم ليذهبوا معهما
الى الشام **قال** اي فرعون لموسى عليه السلام بعدما اتياه وقالا له ما امرا به روي انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى
قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام
فقال عند ذلك **الم نربك فينا** في حجرنا ومنازلنا **وليدا** اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة **ولبثت فينا من عمرك
سنين** قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين واقام به عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة
ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم **وفعلت فعلتك التي
فعلت** يعني قتل القبطي بعدما عدد نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظمه ذلك
وقطعه وقرئ فعلتك بكسر الفا لانها كانت نوعا من القتل **وانت من الكافرين** اي بنعمتي حيث عمدت الى رجل من خواصي
افانت ممن تكفرهم الان وقد افترى عليه عليه السلام او جهل امره عليه السلام حيث كان يعايشهم بالتقية والا فاين هو
عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة حينئذ حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته

او ممن يكفرون في دينهم حيث كانت لهم الهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل
هذه الجناية بدعا منه **قال** مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر **فعلتها اذا وانا من الضالين** اي من
الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمه افتراء اي من فعلة الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد
تاديبه او الذاهلين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى **ففررت منكم** الى مدين
لما خفتكم اي ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب **فوهب لي ربي حكما** اي حكمة او نبوة **وجعلني
من المرسلين** رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير
قادح في دعواه بل نبه على ان ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال **وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل** اي تلك التربية
نعمة تمن علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي
في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي اوتلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار البا او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعا مبهمة وان عبدت عطف
بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار
منه ومن ملائه **قال فرعون** لما سمع منه عليه السلام تلك المقالة المبينة وشاهد تصلبه في امره وعدم تاثره بما قدمه من الابراق
والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه عليه السلام فبدا بالاستفسار عن المرسل فقال **وما رب العالمين** حكاية لما وقع في
عبارته عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله
انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري ونطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه السلام **قال** موسى عليه السلام مجيبا له **رب
السموات والارض وما بينهما** بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل
العالمين على ما تحت مملكته **ان كنتم موقنين** اي ان كنتم موقنين بالاشيا محققين لها علمتم بذلك او ان كنتم موقنين بشيء من الاشيا
فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله **قال** اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تاثيره في قلوب قومه واذعانهم
له **لمن حوله** من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكانوا اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من
تاثيره في قلوب قومه واذعان خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة **الا تستمعون** مرائيا لهم انما سمعوه من
جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا
منه حيث يدعي خلاف امر محقق الاستنابة وفيه تعريض بربوبيته نفسه **قال** عليه السلام صريحا بما كان مندرجا تحت جوابه
السابقين **ربكم ورب ابائكم الاولين** اي تبكيتا وحطا له عن ادعا الربوبية الى مرتبة المربوبية **قال** فرعون لما واجهه
موسى عليه السلام بما ذكر لحاظه ذلك وخاف من تاثر قومه منهم فاراهم ان ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء
صدا لهم فقال مؤكدا لمقالته الشنعا بحرف التاكيد **ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون** ليصرفهم بذلك ويصرفهم عن
قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه **قال** عليه السلام **رب
المشرق والمغرب** قال عليه السلام بجوابه الاول وتفسيرا وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته
تعالى للسموات والارض وما بينهما فان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد
حركات السموات وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارتدهم الى طريق معرفة
ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها وتنور المنوطين بحركات السموات وما فيهما
على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع المرضية وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث عليم حكيم لا لذوات السموات
والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باسرارها استغناؤها عن الموجد المتصرف **وما بينهما ان كنتم تعقلون** اي ان كنتم
تعقلون شيئا من الاشيا او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه

علي من له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دايرة العقل فانهم متصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون **قال** لما
سمع اللعين منه عليه السلام تلك المقالات المبنية علي اساس الحكم البالغة وشاهد شايبة جرأته وقوة عزمه علي تشبثه بامره
فانه فيمن لا يجاري في حلبة المجاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف ونا بجانبه الي عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا
لما كان يضمر عند السؤال والجواب **لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين** لم يقتنع منه عليه السلام بترك دعوى
الرسالة وعدم التعرض حتي كانه عليه السلام ان يتخذ الها لغاية علوه فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا صريح في تجهيد
وتحيته من الجواب الاول وتسفيه عليه السلام الي الجنون في الجواب الثاني كان لتسفيه عليه السلام الربوبية علي عدوه واثبا
ما قيل من ان سواله كان حقيقة الرسل وتحيه عن جواب كان لعدم مطابقته لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا
حال فرعون ولا مقاله واللام في المسجونين للعهد اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتي
يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك **قال اولو جيتك بشي مبين** اي اتفعل بي ذلك ولو جيتك بشي مبين اي موضح لصدق دعواي يريد به
المعجزة فانها جامعة بين الدلالة علي وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة علي صدق دعوى من ظهرت علي يده والتعبير عنها بالشي
بالتهويل قالوا الواو في اولو جيتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اي جائيا بشي مبين اي موضح لصدق دعواي يريد بها المعجزة
وقد سلف مرارا انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفا التي في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ له جواب قد حذف تعويلا
علي دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصد به الا عند القصد الي بيان الاعراب علي القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام
السابق من الحكم الموجب او المنفي علي كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له علي الاجمال بادخالها علي ابعدها منه واشدها منا
فاوله ليظهر ثبوته او انتفاوه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية ان الشي متي تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره
اولي ولذلك لا يذكر معه شي من سائر الاحوال ويكتفي فيه بذكر العاطف للجملة علي نظيرها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال
المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر عند تحقق الحكم علي جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان
تحقق الاعطا منه علي كل حال من احوالها المعروضة فتعلق الحكم بما بعدها منه ليظهر بتحققه مع ما عداه من الاحوال
التي لا منافاة لها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفا بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن
فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة علي
ان الواو للحال وتصدير المجي بما ذكر بكلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده من نفسه بل بالنسبة الي فرعون والمعني اتفعل بي ذلك
حال عدم مجيئي بشي مبين او حال مجيئي به **قال فات به ان كنت من الصادقين** اي فيما يدل عليه كلامك من انك تاتي بشي مبين موضح
لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه **فالقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين**
مبين اي ظاهر ثعبانيته لا انه شي يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الما فانثعب اي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية
الحال في سورة الاعراف وفي سورة طه **ونزع يده** من جيبه **فاذا هي بيضا للناظرين** قيل لما قال فرعون الاية الاولي
قال هل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع كاد يغشي الابصار
ويسد الافق **قال للملا حوله** اي مستقرين حوله فهو ظرف وقع موضع الحال **ان هذا لساحر عليم** فائق في السحر **يريد ان**
يخرجكم بما صنع **من ارضكم بسحره فماذا تامرون** بهره سلطان المعجزة وحيره حتي حطه عن ذروة دعوى الربوبية الي حضيض
الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم او الي مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا بالراي والتدبير واظهر استشعار
الخوف من استيلايه علي ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسي عليه السلام **قالوا ارجه واخاه** اخر امرهما وقيل
احبسهما **وابعث في المداين حاشرين** اي شرطا يحشرون السحرة **ياتوك** اي الحاشرون **بكل سحار عليم** فائق في السحر وقرئ بكل
ساحر **فجمع السحرة لميقات يوم معلوم** هو ما عينه موسي عليه السلام لقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحي **وقيل**
للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك استبطا لهم في الاجتماع وحثا لهم علي المبادرة اليه **لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين**

لاموسى عليه السلام وليس مرادهم ان يتبعوا بهم حقيقة وانما هو ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق
الكناية حملا لهم علي الاهتمام والجد في الغالبية **فلما جا السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا** اي اجرا عظيما **ان كنا نحن الغالبين**
لاموسى عليه السلام **قال نعم** لكم ذلك **وانكم** مع ذلك **اذا لمن المقربين** عندي قيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج
من عندي وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان **قال لهم موسى** اي بعد ما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين **القوا ما**
انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الي اظهار الحق وابطال الباطل **فالقوا حبالهم**
وعصيهم وقالوا اي وقد قالوا عند الالقا **بعزة فرعون انا لنحن الغالبون** قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما
يمكن ان يوتي به من السحر **فالقي موسى عصاه فاذا هي تلقف** اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التائين من تتلقف **ما يافكون**
اي ما يقلبونه عن وجهه وصورته وسموا بهتانهم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمافوك به مبالغة **فالقي**
السحرة ساجدين اي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كان ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر
وانه امر الهي قد ظهر علي يده عليه السلام لتصديقه وفيه دليل علي ان قصارى ما ينتهي اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شي لا
حقيقة له **قالوا آمنا برب العالمين** بدل الاشتمال من القي او حال باضمار قد وقوله تعالى **رب موسى وهارون** بدل من رب العالمين
للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك والاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه علي ايديهما
من المعجزة القاهرة **قال** اي فرعون للسحرة **آمنتم له قبل ان آذن لكم** اي بغير ان اذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي لا ان الايمان منه ممكن او متوقع **انه لكبيركم الذي علمكم السحر** فتواطاتم علي ما فعلتم او علمكم شيا دون شي فلذلك غلبكم اراد
به بذلك التلبيس علي قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ امنتم بهمزتين **فلسوف تعلمون** اي وبال ما فعلتم
وقوله **لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين** بيان لما وعدهم به **قالوا** اي السحرة **لا ضير** اي لا ضرر فيه علينا في
وقوله تعالى **انا الى ربنا منقلبون** تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى
من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت
والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى **انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا** اي لان كنا **اول المومنين** اي من اتباع فرعون او من
اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير اي لا ضير علينا في قتلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المومنين وقرئ ان كنا
علي الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالطاعة بالخاتمة او علي طريقة قول المدل بامره كقول العامل المتاجر اخر اجرتي ان كنت
عملت لك فوفني اجري **واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي** وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر
لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الايات
وقرئ بكسر النون ووصل الالف من السير وقرئ ان سر **انكم متبعون** تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين
فاسر بمن معك حتى لا يدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم **فارسل فرعون** حين اخبر
بمسيرهم **في المداين حاشرين** جامعين للعساكر ليتبعوهم **ان هؤلاء** يريد بني اسرائيل **لشرذمة قليلون** استقلهم وهم ستمائة
الف وسبعون الف بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج
فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل وهو علي حصان وعلي راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون
في الف الف حصان سوى الاناث **وانهم لنا لغائظون** اي فاعلون ما يغيظنا **وانا لجميع حذرون** يريد انهم لقلتهم لا يبالي
بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال
الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفا نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به ما
يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال علي التجدد والثاني علي الثبات وقيل الحاذر المودي في السلاح وقرئ حادرون
بالدال المهملة اقويا واشدا وقيل مدججون في السلاح قد اكسبهم ذلك حدارة في اجسامهم **فاخرجناهم** بان خلقنا فيهم داعية

الخروج بهذا السبب محلهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت لهم جملة في ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي
لاخرجنا من ذلك الاخراج العجيب خرجنا هم او صفة لمقام كريم اي من مقام كريم كاين كذلك او خبر مبتدا محذوف اي الامر
كذلك واورثناها بني اسرائيل اي مكناها اياهم على طريقة مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان
يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرى فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان
تقاربا بحيث راى كل واحد منهما الاخر وقرى تراءت الفيتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاءوا بالجملة الاسمية موكدة بحرف
التاكيد دلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرى لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشيء اذا تتابع انا لمتابعون في
الهلاك في ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم
بالكلية روي ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع
عليه السلام الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مؤمنا من فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال
اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق الفاء فصيحة اي فضرب فانفلق فصار اثنا عشر فرقا بعدد الاسباط
بينهما مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا
اي قربنا ثم الاخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر
على تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الاخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما ظهر عن موسى عليه السلام
وظهر على يده من المعجزات القاهرة وما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم
الاشارة من معنى البعد لتهويل امر المشار اليه وتفظيعه لتنكير الاية في قوله تعالى لاية اي اية اية واية عظيمة لا تكاد توصف موجبة
لان تعتبرها المعتبرون فيقيسوا شان النبي صلى الله عليه وسلم بشان موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك ويجتنبوا ما
كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم كيلا
يحل بهم مثل ما حل باولئك وان ما فصل من القصة من حيث حكايته عليه السلام اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لاية
عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان اكثرهم
اي اكثر هؤلاء الذين يسمعون قصتهم منه عليه السلام مؤمنين لا بان يقيسوا شانه بشان موسى عليهما الصلاة والسلام وحال انفسهم
بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصته من غير ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين
لا يؤدي الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين وما كان اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو راي سيبويه فيكون كقوله
تعالى وما كان اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الايات الناطقة بالقصة
تقرير لما مر من قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الى اخره فايثار الجملة الاسمية للدلالة
على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى
وما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الاية العظيمة الموجبة له مما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل
الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقربه كقوله تعالى اتى امر الله الاية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من
جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الاية العظيمة
بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى اخر القصص
السبع بل الى اخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان
المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا اسية وحزقيل ومريم ابنة ناموسى التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام
وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل عن التحقيق كيف لا

وضاق

ومبنا فكل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام انما هو لبيان طايفة معينة قد عتوا عن
امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا ما بايديهم من الايات العظام
ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة
الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم الايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد المؤمنين من
جملتهم اولا واخراجهم منهم اخرا مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من الجنايات اصلا انما يجب عن تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر
واتل عليهم عطف على المضمر المقدر عاملا لاذ نادى الى اخره واتل على المشركين نبا ابراهيم اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي اليك
لتقف على ما ذكر من عدم ايمانهم بما ياتيهم من الايات باحد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية للنبا اي نباه وقت قوله لابيه
وقومه لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبا اي واتل عليهم وقت قوله لهم ما تعبدون على ان المتلو ما قاله لهم في
ذلك الوقت سالهم عليه السلام عن ذلك ليبني على جوابهم ما يعيدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله
تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظايرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا الى ابراز ما في
نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف
كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زايد فكانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها ومستديرين حولها وهذا ايضا من جملة
اطنابهم قال استيناف مبني على سؤال نشا من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او
يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليهم وقرى هل يسمعونكم من الاسماع
اي يسمعونكم شيئا من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم
بسبب عبادتكم لها او يضرون اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها
من جلب نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة
واضطروا الى اظهار ان لا سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما راينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اي
مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون اي انظرتم فابصرتم او تاملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون حق الابصار او حق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان لحال ما تعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم
بذلك اي فاعلموا انهم اعداء العابدين لهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من عدوه او لان
من يغويهم على عبادتهم ويحملهم عليها الشيطان الذي هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه السلام صور الامر في نفسه تعريضا بهم
على انه انفع النصيحة من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان بمعنى
الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو وتشبيها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء
منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والاخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى
به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من ابائهم من عبد الله تعالى وقوله سبحانه وتعالى
الذي خلقني صفة لرب العالمين وجعله مبتدا وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل حسبما يعرب عنه ما وصف به تعالى من احكام
وانما وصفه تعالى بذلك وما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام
وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية ودفع المضار العاجلة
والاجلة عليه تعالى فهو يهدين اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين والدنيا هداية متصلة حين خلق
ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له في امور المعاش والمعاد

بداية مندرجة من مبتدا ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة
الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتمتع بنعيمها المقيم **والذي هو يطعمني**
ويسقين عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على
صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في ايجاب الحكم حقيق بان يجري عليه تعالى
بحيالها ولا يجعل من روادف غيرها **واذا مرضت فهو يشفين** عطف على يطعمني ويسقين نظم معهما في سلك واحد الصلة الموصول
واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفا الى الله تعالى مع انهما منه تعالى لرعاية
حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما الآية فحيث كان من معظم خصائصه
تعالى كالاحيا بدا واعادة وقد نيطت امور الاخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث ونظمها في سمط واحد في قوله تعالى **والذي يميتني**
ثم يحيين على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه السلام للحياة الابدية بمعزل من غير ان يكون مطبوع عنده عليه السلام **والذي**
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكره عليه السلام هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب
المغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه السلام من الصغاير وتنبيها لابيه وقومه على ان يتاملوا في امرهم فيقفوا
على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث
كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم
بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما
صدرت بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما
الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق
مغفرة الخطية بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين وفي ذلك تهويل له واشارة الى وقوع الجزا
فيه ان لم تغفر **رب هب لي حكما** بعد ما ذكر عليه السلام فنون الالطاف الفايضة عليه من الله عز وجل من مبدا خلقه الى يوم
بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعايه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم والحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن
من خلافة الحق ورياسة الخلق **والحقني بالصالحين** ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة
الكاملين الراسخين في الصلاح المتنزهين عن كباير الذنوب وصغايرها واجمع بيني وبينهم في الجنة فقد اجابه تعالى حيث قال
وانه في الاخرة لمن الصالحين **واجعل لي لسان صدق في الاخرين** اي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين
ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له ومثنية عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت عليه
ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام
واجعلني في الاخرة **من ورثة جنة النعيم** وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم **واغفر لابي** بالهداية والتوفيق للايمان
كما كان يلوح به تعليله بقوله تعالى **انه كان من الضالين** اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما
لا مزيد عليه **ولا تخزني** بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفا العاقبة وجواز التعذيب عقلا
كل ذلك مبني على هضم النفس منه عليه السلام او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو
من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحيا **يوم يبعثون** اي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من
الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم **يوم لا ينفع مال ولا بنون** بدل من يوم يبعثون جي به
تاكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثنا وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر
والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحا مستاهلين للشفاعة احدا **الا من اتى الله بقلب سليم** اي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة
اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تاييد لكون استغفاره لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا

مع

مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثنا من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من اذنبوا
من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع
اي الا حال من اتى الله بقلب سليم عن الغنا عبارة عن سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال
والبنون من الغنا وهو المستثنى منه كانه قيل لا ينفع غنا الا غنا من اتى الله الآية وقيل المضاف اي الا مال من اذنبوا من
اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف لانه غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثنا منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه
تنفعه **وازلفت الجنة للمتقين** عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيها وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف
للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على الاستمرار انتفا النفع ودوامه حسبما
يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من
فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها **وبرزت الجحيم للغاوين** الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى
اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاهوال الهايلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا **وقيل**
لهم اينما كنتم في الدنيا **تعبدون من دون الله** اي اين الهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاكم في هذا الموقف **هل**
ينصرونكم بدفع العذاب عنكم **او ينتصرون** بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل
فكبكبوا فيها اي الهتهم في الجحيم على وجوههم مرة اخرى الى ان يستقروا في قعرها **هم** اي الهتهم **والغاوون** الذين كانوا يعبدونهم
وفي تاخير ذكرهم عن ذكر الهتهم رمز الى انهم يوخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم **وجنود ابليس**
اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وساير فنون الكفر
والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه **اجمعون**
تاكيد للضمير وما عطف عليه قوله تعالى **قالوا** الى اخره استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا
حين فعل بهم ما فعل فقيل قالوا العبدة **وهم فيها يختصمون** اي قالوا معترفين بخطاياهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين
لانفسهم والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوداتهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام
صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على النطق والفهم **تالله ان كنا لفي ضلال مبين** ان مخففة من الثقيلة قد
حذف اسمها الذي هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية اي ان الشان كنا في ضلال واضح لا خفا فيه ووصفهم له
بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان لعظم خطايهم في رايهم مع وضوح الحق كما ينبي عنه تصدير قسمهم بحرف
التا المشعرة بالتعجب وقوله تعالى **اذ نسويكم برب العالمين** ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا
وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر المحذوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة الماضية اي والله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام في استحقاق
العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم **وما اضلنا الا المجرمون** بيان لسبب ضلالهم بعد
اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم
والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي
رحمه الله تعالى الاولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه اوفر نصيب من التعريض للذين قالوا انا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي **فما لنا من شافعين** كما للمؤمنين من الملائكة
والانبيا عليهم الصلاة والسلام **ولا صديق حميم** كما يرى لهم اصدقا او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم
شفعا واصدقا على ان عدمهما كناية عن عداوتهما كما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبي
عنه قوله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا هاهنا شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما

عدم اثرها وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه الجمع كالعدو تشبيها لها بالمصادر
كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى فلو ان لنا كرة للتمني لما ان بين معنيهما تلاقيا في العرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة
اي رجعة الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه
قوله تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة ولا اختلاف كما هو مقتضى حالهم
وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق
كرتهم وايمانهم من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلا مع انها المقصود حتما ان في ذلك اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم
عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كانوا عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيامة من
اعترافهم بخطاياهم الفاحشة وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا مؤمنين عند مشاهدتهم
لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب لاية اي اية عظيمة لا
تقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل
الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق بها ولبث من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه وان ذكر نبائه وتلاوته
عليهم على ما هو عليه من غير ان يسمعه من احد لاية عظيمة دالة على ان ما يتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة
للايمان به قطعا وما كان اكثرهم مؤمنين اي اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر
والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه
عليه السلام الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤوا على تلك العظيمة التي فعلوها به عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما
امن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام وقد مر بقية الكلام في اخر قصة موسى عليه السلام وان ربك لهو العزيز الرحيم اي هو القادر
على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم
يؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول الشرائع التي
لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد
في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما
صدر عنهم من حين دعوته عليه السلام الى انتهائها اخوهم اي نسيبهم نوح الا تتقون الله حيث تعبدون غيره اني لكم رسول من
جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسألكم عليه اي
على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر اصلا ان اجري فيما اتولاه الا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه السلام من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتأكيد
والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء قالوا انؤمن لك واتبعك
الارذلون اي الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل
جمع رذل كالكلب واكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او هو جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة لاتباعهم
لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة راي وقد كان ذلك منهم في بادي الراي كما ذكر في موضع اخر وهذا من كمال سخافة عقولهم
وقصرهم انظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم انها لا تزن عند الله
جناح بعوضة وان النعيم هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما
اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي وما وظيفتي الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم
والشق عن قلوبهم ان حسابهم اي ما محاسبة اعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه المطلع على السرائر
والضمائر لو تشعرون اي بشيء من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما انا

بطارد

بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله
تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من
الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي
استرضاء بعضكم بطرد الاخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح عن قولك لتكونن من المرجومين من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم
الله تعالى في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون صمموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة
المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا
وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم فانجيناه
ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون اي المملوء بهم وبما لا بد لهم منه ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين اي من قومه ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر
من قوم ابعد من السداد كذبت عاد المرسلين انث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود
الا تتقون اني لكم رسول امين الكلام في ان المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر في صدر قصة نوح عليه السلام
الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب
المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب بان الانبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة
باختلاف الازمنة والاعصار وانهم منزهون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان
مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها
او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع اي مآخذ للماء وقيل
قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اي راجين ان تخلدوا في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها واذا
بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا
هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون به من انواع النعماء واصناف الالاء اجملها
اولا ثم فصلها بقوله امدكم بانعام وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في
ذلك وجنات وعيون اني اخاف عليكم ان لم تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فان كفران النعمة مستتبع
للعذاب كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كانهم قالوا
ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشرته اصلا ان هذا اي ما هذا الذي جئتنا به الا خلق الاولين اي عادتهم كانوا يلفقون مثله
ويسطرونه او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت
والحياة الا عادة قديمة لم تزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اي اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما
خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الاعمال فكذبوه اي
اصروا على ذلك فاهلكناهم بسببه بريح صرصر ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود
المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون الله تعالى اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين ههنا امنين انكار ونفي لان يتركوا فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة في تخلية الله تعالى اياهم واسباب تنعمهم
امنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر
او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل

اتتركون فيما

واوراد النخل بفضله على سائر اشجار الجنات اولان المراد به غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين بطرين
او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا
تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد المامور لامتثال الامر وارتسامه اولنسب حكم الامر الى امره مجازا الذين
يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص فسادهم عن مخالطة الاصلاح
قالوا انما انت من المسحرين اي الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر اي الرئة اي من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا
بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت من الصادقين اي في دعواك قال هذه ناقة اي بعدما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه
عليه السلام حسبما مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود لها شرب اي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت
وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموا على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم
وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لما ان عاقرها برايهم ولذلك عمهم
العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق الندم
وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم قيل في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء الى انه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما
عصموا من مثله ببركة من امن منهم فانت خبير بان قريشا هم المشهورون بعدم ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم
اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتاتون الذكران من العالمين اي اتاتون من بين بني ادم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون من اولاد
ادم مع كثرتهم وغلبة اناثهم كونهم اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون
ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى من ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث وهو الظاهر او للتبعيض
ان اريد بها العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون متجاوزون الحد
في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط
اي عن تقبيح امرنا ونهينا عنه او عن دعوى النبوة التي من جملتها احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين من قريتنا
ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي من المبغضين غاية البغض كانه يقلي الفؤاد
والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال اني لعملكم قال لدلالته على انه عليه السلام من زمرة الراسخين في بغضه المشهورين في قلاه ولعله
عليه السلام اراد اظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تعالى
قائلا رب نجني واهلي مما يعملون اي من شوم عملهم وغائلته فنجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته ومن اتبعهم في الدين باخراجهم
من بينهم عند مشارفة نزول العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط استثنيت من اهله فلا يضر كونها كافرة لان لها شركة في الاهلية بحق
الزوج في الغابرين اي مقدرا كونها من الباقين في العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر في الطريق
فاهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقي في القرية ولم يخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم
اشد الاهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اي مطرا غير معهود وقيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر
المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب
مدين يسكنها طائفة فبعث اليهم شعيب عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل
اخوهم وقيل الايكة الشجرة الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة
على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتب ههنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما

اسالكم

اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اي اتموه ولا تكونوا من المخسرين اي حقوق الناس بالتطفيف
وزنوا اي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو وان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين
والا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض
المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين اي وذوي الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالطلقة
قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة
مبالغة في التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين فيما تدعيه من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اي قطعا وقرئ بسكون
السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة والمراد بالسماء اما السحاب او المظلة ولعله
جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان كنت من الصادقين في دعواك ولم يكن طلبهم بذلك الا لتصميمهم على
الجحود والتكذيب والا لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه فكذبوه اي فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم
الظلة حسبما اقترحوا اما ان ارادوا بالسماء السحاب فظاهر واما ان ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفي
اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذانا بان لهم يومئذ عذابا اخر غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر
سبعة ايام ولياليها فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا
لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روي ان شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين
واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اي
في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع التي اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه صلى الله عليه وسلم
عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله
تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الاية فان كل واحدة من هذه الايات ذكر مستقل متجدد
النزول قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مومنين بعدما سمعوها على التفصيل قصة لا بان يتدبروا
فيها ويعتبروا بما في كل واحدة من الدواعي الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بان يتاملوا في شان الايات الكريمة
الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بانه صلى الله عليه وسلم لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه
من الكفر والضلال كان لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق في خاتمة قصة موسى عليه السلام وانه اي ما ذكر من الايات
الكريمة الناطقة بالقصص المحكية او القران الذي هو من جملته لتنزيل رب العالمين اي منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة
ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى ورافته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين نزل به اي انزله الروح الامين اي جبريل عليه السلام فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام
وقرئ بتشديد الزاي ونصب الروح والامين اي جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك اي روحك وان اريد به
العضو فتخصيصه به لان المعاني الروحانية تنزل اولا على الروح ثم ينتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم يتصعد الى
الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل به اي انزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات
الهائلة وايثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه صلى الله عليه وسلم في سلك اولئك المنذرين المشهورين في حقية
الرسالة وتقرر وقوع المنذر به بلسان عربي مبين ظاهر المعنى واضح المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل
به وتاخيره للاعتناء بامر الانذار والايماء الى ان مداره كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه
الصلاة والسلام لا انزاله باللسان العربي وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي الى ان غاية الانزال كونه صلى الله عليه

وسلم من جهة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب
الانذار وما انذره نوح وموسى عليهما السلام اشد الزواجر تاثيرا في قلوب المشركين ما انذرهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة فان احكامه التي لا تحتمل الفسخ والتبديل بحسب تبدل
الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل
الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح اولم يكن لهم اية الهمزة لانكار النفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه
المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم اية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه لفي زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون
قدم على اسمه وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال من اية قدمت عليها لكونها نكرة واية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله
تعالى ان يعلمه علماء بني اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالتقديم والتشويق الى المؤخر اي ان يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم
ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد
قيل في يكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم اية هي جملة البيان وان يعلمه بدلا من اية ويجوز
مع نصب اية تانيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز
على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ
الاعجميين وفي لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقراه عليهم قراءة صحيحة خارقة
للعادات ما كانوا به مومنين مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقرو لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل ولو نزلناه
على بعض الاعجمين بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مومنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من
المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه اي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اي ادخلنا القران
في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن
الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للبشارة لانذاره وبعثه من انزل عليه باوصافه فقوله
تعالى لا يومنون به جملة مستانفة مسوقة لبيان انهم لا يتاثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ما
هم عليه حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان فياتيهم بغتة اي فجاة في الدنيا والاخرة وهم
لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك
سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر والتكذيب له وصفناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يومنون به في موضع الايضاح
والتلخيص له اي في موقع الحال او سلكناه فيها غير مومن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد
ادلة الايمان وتاخذ مبادي الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بقوله تعالى ما
كانوا به مومنين ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين افبعذابنا
يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقولهم فائتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب
الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد او الغافلون عن ذلك مع تحققه وتقرره ويستعجلون الى اخره
انما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل افرايت
لما كانت الروية من اقوى اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع استعمال ارايت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا
من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم بل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة
وتاخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو راي الجمهور فاخبرني ان متعناهم سنين متطاولة بالاعمار وطيب المعاش
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اي شيء او اي شيء اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اي كونهم ممتعين ذلك التمتيع
المويد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على انها موصولة حذف عايدها وايا ما كان فالاستفهام

للانكار والنفي وقيل ما نافية اي لم تغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق
لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من شانه الخطاب قد كلف بان يخبر بان تمتيعهم ما افادهم
واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر احد ان يخبر بشيء من ذلك اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة
الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر او لانها في معنى
الانذار كانه قيل مذكرون ذكرى او على انه مصدر موكد لفعل هو صفة لمنذرين اي الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع على
الفاصلة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراضية وضميرها للقرى
المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على معنى ان للكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد او اكثر وما كنا ظالمين
فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من
قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في تفسير
سورة ال عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة في حق القران الكريم
من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم اي وما يصح وما يستقيم
لهم ذلك وما يستطيعون ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفات
الذات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم
خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول الاخر فيه اصلا من فنون الشر فمن اين لهم ان يحوموا حول القران
الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم السلام فلا تدع مع الله الها اخر
فتكون من المعذبين خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة النهي عنه صلى الله عليه وسلم تهييجا وحثا على
ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والشوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه
فكيف بمن عداه وانذر العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام
بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم
مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف
افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية
عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين اي لين جانبك مستعار
من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع الدين او لغيره او للتبعيض على ان
المراد بالمومنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فحسب فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون اي
مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه ويكفيك شر من يعصيك منهم ومن
غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم اي الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك
في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام
والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله صلى الله عليه وسلم التي بها يستاهل
ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبي عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه صلى الله
عليه وسلم انه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم على من تنزل الشياطين اي تتنزل بحذف
احدى التائين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع
تنزيلهم بالقران ودخول حرف الجر على الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام على الاصل امن فحذف حرف الاستفهام
واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل على كل افاك اثيم قصر لتنزيلهم على كل من اتصف

بالافك الكبير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبية وتخصيص لهم بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة من ان يحول حولها شائبة من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه الصلاة والسلام **يلقون** اي الافاكون **السمع** الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى **واكثرهم كاذبون** اي فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل ما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اي يلقون السمع اي المسموع من الملا الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم وافهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسميعهم وانصاتهم الى الملا الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما ان يلقون كما صرحوا به اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل للالقاء او استيناف مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان القاء السمع الى الملا الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل ويكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه وحمله على الاستيناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل واما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استينافا اخبارا بحالهم على كلا التقديرين لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استينافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل ما كانوا يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون فتدبر **والشعراء يتبعهم الغاوون** استيناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون ويذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الاقوال والافعال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى **الم تر انهم في كل واد يهيمون** استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه الصلف والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والمجون والابتهار والتردد بين طرفي الافراط في المدح والهجاء **وانهم يقولون ما لا يفعلون** من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في مسلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم

رائق

رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه صلى الله عليه وسلم من ان يكون الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تقابل عدم كونه صلى الله عليه وسلم منهم بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشانه العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة ابن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية ابن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا** استثناء للشعراء الصالحين الموحدين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن مالك وكعب بن زهير بن سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك **وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون** تهديد شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الانقلاب بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانقلاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا طس اي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعدها خبر ضعيف لما ذكر هناك **تلك** اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها الى القرآن كما سيأتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره **آيات القرآن** والجملة مستأنفة مقررة لما افادته التسمية من نباهة شان المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك آيات القرآن المعروف بعلو الشان اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص **وكتاب** اي كتاب عظيم الشان **مبين** مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد والغي وفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولقد فخم شانه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة على اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكانه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر فيما مر من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين **هدى وبشرى للمؤمنين** في حيز النصب على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل

للمبالغة كأنها نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الإشارة أي هادية ومبشرة والرفع على أنهما بدلان من الآيات أو
خبران أخر لتلك أو لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى فأما الذين
آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما معنى تبشيرها إياهم فظاهر لأنها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات
لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لأنهما
قرينا الإيمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة وقوله تعالى **وهم بالآخرة هم يوقنون**
جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الإيقان لا من عداهم لأن
تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب أو هو من تتمة الصلة والواو حالية أو عاطفة له على الصلة الأولى
وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم أوحديون فيه **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة** بيان لأحوال الكفرة بعد
بيان أحوال المؤمنين أي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الأعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن
زينا لهم أعمالهم القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم حفت النار بالشهوات
والأعمال الحسنة ببيان حسنها في أنفسها حالا واستتباعها الفنون المنافع مآلا وأضافتها إليهم باعتبار أمرهم بها وإيجابها
عليهم **فهم يعمهون** يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها
من نفع أو ضر أو في الضلال والإعراض عنها والفاء على الأول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب كما في قولك
وعظته فلم يتعظ وفيه إيذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الأمور **أولئك** إشارة إلى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده
أي أولئك الموصوفون بالكفر والعمه **الذين لهم سوء العذاب** أي في الدنيا كالقتل والأسر يوم بدر **وهم في الآخرة هم الأخسرون**
أي أشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العذاب **وإنك لتلقى القرآن** كلام مستأنف مسوق قد سيق بعض شؤون القرآن
الكريم تمهيدا لما يعقبه من الأقاصيص وتصديره بحرفي التأكيد لإبراز كمال العناية بمضمونه أي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين
من لدن حكيم عليم أي أي حكيم وأي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على طبقته صلى الله عليه وسلم في معرفته والإحاطة
بما فيه من الجلائل والدقائق فإن من تلقى الحكم والعلوم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول
العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على إتقان الفعل والإشعار بأن ما في القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع
ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار الغيبية وقوله تعالى **إذ قال موسى لأهله** منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله
عليه وسلم فأمر بتلاوة بعض من القرآن الذي تلقاه صلى الله عليه وسلم من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له أي اذكر لهم وقت
قوله صلى الله عليه وسلم لأهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فأصلد زنده فبدا له من جانب الطور نارا **إني آنست**
نارا سآتيكم منها بخبر أي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد الوعد والجمع إن صح أنه لم
يكن معه عليه السلام إلا امرأته لما كني عنها بالأهل أو للتعظيم مبالغة في التسلية **أو آتيكم بشهاب قبس** بتنوينهما على أن الثاني بدل من
الأول أو صفة له لأنه بمعنى مقبوس أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها وقرئ بالإضافة على التقديرين فالمراد تعيين المقصود
الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لأن من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن
ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للإيذان بأنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بسنة الله تعالى فإنه
تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين **لعلكم تصطلون** رجاء أن تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة **فلما جاءها نودي** من جانب الطور
أن بورك معناه أي بورك على أن أن مفسرة لما في النداء من معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة
المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لما أن الدعاء يخالف غيره في كثير من الأحكام
من في النار ومن حولها أي في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة
المباركة ومن حولها وقرئ تباركت الأرض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من أرض الشام الموسومة بالبركات

لكونها

لكونها مبعث الأنبياء عليهم السلام وكفاتهم أحياء وأمواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى وقيل المراد موسى والملائكة
الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضي له أمر عظيم ديني تتبشر كلمته بركاته في أقطار الشام وهو تكليمه تعالى
إياه عليه السلام واستنباؤه له وإظهار المعجزات على يده عليه السلام **وسبحان الله رب العالمين** تعجيب لموسى عليه من ذلك
وإيذان بأن ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون من أحكام تربيته تعالى للعالمين
يا موسى إنه أنا الله استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة فالضمير إما للشأن وأنا الله جملة مفسرة له وإما راجع إلى
المتكلم وأنا خبره والله بيان له وقوله تعالى **العزيز الحكيم** صفتان لله تعالى ممهدتان لما أريد إظهاره على يده من المعجزة أي أنا
القوي القادر على ما تناله الأوهام من الأمور العظام التي من جملتها أمر العصا واليد الفاعل كلما أفعله بحكمة بالغة وتدبير
متين **وألق** عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء أي نودي أن بورك وأن ألق **عصاك** حسبما نطق به قوله تعالى
وأن ألق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليه أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن حج وأن اعتمر والفاء في قوله تعالى **فلما رآها**
تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه بعد
قوله تعالى اخرج عليهن كأنه قال فألقاها فانقلبت حية تسعى فلما أبصرها بسرعة واضطراب وقوله تعالى **كأنها جان** أي حية
خفيفة سريعة الحركة جملة حالية إما من مفعول رأى مثل تهتز كما أشير إليه أو من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة
من جد في الهرب من التقاء الساكنين **ولى مدبرا** من الخوف **ولم يعقب** أي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كر بعد الفر وإنما
اعتراه الرعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى **يا موسى لا تخف** أي من غير ثقة بي ومطلقا لقوله تعالى **إني لا يخاف**
لدي المرسلون فإنه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الأوقات بل حين يوحى إليهم بوقت الخطاب فإنهم حينئذ
مستغرقون في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلا وأما في سائر الأحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أو لا
يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه **إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم** استثناء منقطع استدرك به ما عسى
يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع أن منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم وإن
صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى
عليه السلام رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له **وأدخل يدك في جيبك** لأنه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لأنه
يجاب أي يقطع **تخرج بيضاء من غير سوء** أي آفة كبرص ونحوه **في تسع آيات** في جملتها أو معها على أن التسع هي الفلق والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم أو الذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به **إلى فرعون**
وقومه وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثا أو مرسلا **إنهم كانوا قوما فاسقين** تعليل للإرسال أي خارجين عن الحدود في الكفر
والعدوان **فلما جاءتهم آياتنا** وظهرت على يد موسى **مبصرة** بينة اسم فاعل أطلق على المفعول إشعارا بأنها لفرط إنارتها ووضوحها كأنها
تبصر نفسها لو كانت مما تبصر أو ذات تبصر من حيث إنها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا عن الهداية أو مبصرة كل من ينظر إليها
ويتأمل فيها وقرئ مبصرة أي مكانا يكثر فيه التبصر **قالوا هذا سحر مبين** واضح سحريته **وجحدوا بها** أي كذبوا بها **واستيقنتها**
أنفسهم الواو للحال وقد استيقنتها أي علمتها أنفسهم علما يقينا لأنفسهم وليس بذلك **ظلما وعلوا** أي استكبارا عن الإيمان
بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما إما على العلة من جحدوا بها أو على الحالية من فاعله أي جحدوا
بها ظالمين لها مستكبرين عنها **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** من الإغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين
وإنما لم يذكر تنبيها على أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر **ولقد آتينا داود وسليمان علما** كلام مستأنف مسوق
لتقرير ما سبق من أنه صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن من لدن حكيم عليم فإن قصتهما عليهما السلام من جملة القرآن الكريم لقيه عليه
السلام من لدنه كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه أي آتينا كل واحد منهما طائفة
من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير وعلما سنيا غزيرا **وقالا**

اي قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم **الحمد لله الذي فضلنا** بما اتانا من العلم **على كثير من عباده المؤمنين**
على ان عبارة كل منهما فضلني الا انه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سوا
كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ٥
واعملوا صالحا وقد مر في سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفا ترتب حمد
كل منهما على ايتا ما اوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو اشعار بان ما قاله بعض ما احدث فيهما ايتا العلم وشي من مواجبه
فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الاية فتامل
والكثير المفضل عليه من لم يوت مثل علمهما وقيل من لم يوت علما وياباه تبيين الكثير بالمؤمنين فان خلودهم من العلم بالمرة
مما لا يمكن وفي تخصيصهما الاكثر بالذكر رمزا الى ان البعض متفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على ان فضل العلم وشرف اهله
حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يوته غيرهما وتحريض العلما على ان يحمدوا
الله تعالى على ما اتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم
ونعما قال امير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر **وورث سليمان داود** اي النبوة والعلم او الملك بان قام
مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر **وقال** تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعا الناس الى التصديق بذكر
المعجزات الباهرة التي اوتيها **يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي** المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر
عما في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف
من اصناف الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه
واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول فقالوا الله ونبيه اعلم
قال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس
فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل
جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة فقال
تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وقال الحدا يقول كل شي هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا
تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شئت اخرك الموت والعقاب
يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد عليه السلام بقوله علمنا واوتينا النون التي يقال
لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل لما اراد منهم من حسن الطاعة والانقياد
له في اوامره ونواهيه حيث كان على عوعة المسير وبقوله من كل شي كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل
شي وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما يهمه من امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس ٥
والشياطين والريح **ان هذا** اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتا **لهو الفضل** والاحسان من الله تعالى **المبين** الواضح
الذي لا يخفى على احد وان هذا الفضل الذي اوتيه لهو الفضل المبين على انه عليه السلام قاله على سبيل الشكر والحمد ٥
كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه السلام رتب على كلامه
ذلك دعوة الناس الى الغزو فان اخبارهم بايتا كل شي من الاشيا التي من جملتها الات الحرب واسباب الغزو مما ينبي عن
ذلك فمعنى قوله تعالى **وحشر لسليمان جنوده** جمع له عساكره **من الجن والانس والطير** بمباشرة مخاطبته فانهم كانوا
رؤسا مملكته وعظما دولته من الثقلين وغيرهم بيتهم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة الى
الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لما ان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر
والتسخير **فهم يوزعون** اي يحبس اوائلهم على اواخرهم اي يلحق تلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم

احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم
الى السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بسبب ذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين
على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع وهذا الم يسيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ
في مائة خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه السلام
الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ
وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبيا عليهم السلام على
كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه
الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخا تسيره فاوحى الله تعالى
اليه وهو يسير بين السما والارض اني قد زدت في ملكك ان لا يتكلم احد بشي الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد
اوتي ال داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم
قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي ال داود **حتى اذا اتوا على وادي النمل** حتى هي التي يبتدا بها الكلام ومع
ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جا امرنا وفار التنور قلنا احمل الاية وهي ههنا غاية لما ينبي عنه قوله تعالى
فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الى اخره ووادي النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف
على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد
بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشي اذا انفده وبلغ اخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم
ما في الارض لا عند مسيرهم في الهوا وقوله تعالى **قالت نملة** جواب اذا كانها لما راتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة
تنبهت بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلا ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة
وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل **يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم** مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما
عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ
بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجا تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة اميال وقيل
كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى **لا يحطمنكم سليمان وجنوده** نهي في الحقيقة للنمل عن التاخر في دخول مساكنهم وان
كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له
ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وكسرها واصله لا يحطمكم وقوله
تعالى **وهم لا يشعرون** حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا به لم يحطموا وارادت بذلك
الايذان بانها عارفة بشؤون سليمان وسائر الانبيا عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذا وقيل هو استيناف اي فهم سليمان ما قالته
والقوم لا يشعرون بذلك **فتبسم ضاحكا من قولها** تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله
وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعد ما من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما
خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهوا فامر سليمان الريح فوقفت
لئلا يذعروا حتى دخلن مساكنهن **وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك** اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه ٥
بحيث لا ينفك عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح يا اوزعني **التي انعمت علي وعلى والدي** ادرج فيه ذكرهما تكثيرا
للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر **وان اعمل صالحا ترضاه** اي تماما للشكر واستدامة للنعمة **وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين** في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين **وتفقد الطير** اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما
بينها **فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين** كانه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب اخر ثم بدا له انه كان غائبا ٥

فاضرب عنه فاخذ يقول اهو غايب **لاعذبنه عذابا شديدا** قيل كان تعذيبه للطير نتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده وقيل بالتفريق بينه وبين الفه **اولاذبحنه** ليعتبر به ابنا جنسه **اوليأتيني بسلطان مبين** بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرى ليأتينني بنونين اولاهما مفتوحة مشددة وقيل انه عليه السلام لما اتم بنا بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شا وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يوم سهيلا فوافى صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسنا اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الما وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الما من تحت الارض كما يرى الما في الزجاجة فيجي الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الما فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فراى هدهدا واقفا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شي وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثنا عشر الف قايد تحت يد كل قايد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى **فمكث غير بعيد** اي زمانا غير مديد وقرى بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان عليه السلام فنظر فاذا هو موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد علمه عنده ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو يقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنى منه اخذ عليه السلام براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم ساله **فقال احطت بما لم تحط به** اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرى احطت بادغام الطا في التا باطباق وبغير اطباق ولا يخفى ان قوله انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقايق العلوم ودقايق المعارف التي تكون معرفتها والاحاطة بها من وظايف ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علوم رصين وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي نبي الله سليمان تعديا عن طوره وتجاوزا عن دايرة قدره وينفيها عنه عليه السلام جناية فيحتاج الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلا له عليه السلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلما بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا تعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلا وغيرهم وقد علم انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه السلام وترغيبه في الاصغا الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المبني عن امر بديع اقبل والى تلقي ما لا تعلمه اميل ثم ايده بقوله **وجئتك من سبا بنبا يقين** حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عليه السلام انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبا الذي هو الخبر الخطير والشان الكبير ووصفه بما وصفه والافادة اصدر عنه عليه السلام مع ما حكي عنه من الحمد والشكر واستدعا الايزاع حتى يتبين بالحكمة الالهية تنبيهه عليه السلام على تركه وسبا منصرف على انه اسم لحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرى بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة ثلاث وعلى هذه القراة يجوز ان يراد به القبيلة او المدينة واما على القراة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نبا بهم قبل انبا الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من حكمة داعية البتة وان استحال خلو افعاله تعالى من الحكم والمصالح لما ان المسافة بين محطه عليه السلام وبين مارب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين تزوله عليه السلام هناك وبين مجي الهدهد بالخبر ايضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه مبني على حكم بالغة يستاثر بها علام الغيوب وقوله تعالى **اني وجدت امراة**

تملكهم

تملكهم استيناف لبيان ما جاء به من النبا وتفصيل لما اثير الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها ورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون النار وايثار وجدت على رايت لما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كانها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبا على انه اسم الحي او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انه اسم لها **واوتيت من كل شي** اي من الاشيا التي يحتاج اليها الملوك **ولها عرش عظيم** قيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوايمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها او الى عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان عليه السلام مثله واياما كان فوضعه بذلك بين يديه عليه السلام لما مر من ترتيبه عليه السلام في الاصغا الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه السلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله** اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى **وزين لهم الشيطان اعمالهم** التي هي عبادة الشمس ونظايرها من اصناف الكفر والمعاصي **فصدهم** بسبب ذلك **عن السبيل** اي عن سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقبيح طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق الى العوج **فهم** بسبب ذلك **لا يهتدون** اليه وقوله تعالى **الا يسجدوا لله** مفعول له اما للصد او للتزيين على حذف اللام منه اي فصدهم لان لا يسجدوا او قيل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون لان لا يسجدوا لله تعالى وقرى الا يا اسجدوا على التنبيه والندا والمنادى محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله **الا اسلمي يا دارمي على البلا** ونظايره وعلى هذا يحتمل ان يكون استينافا من جهة الله تعالى او من سليمان ويوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه واياما كان فالسجود واجب وقرى هلا وهلا بقلب الهمزتين ها وقرى هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب **الذي يخرج الخبا في السموات والارض** اي يظهر ما هو مخبو مخفي فيهما كاينا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين ساير اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة اثاره التي من جملتها ما اودعه تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الما تحت الارض واشار بعطف قوله تعالى **ويعلم ما يخفون وما يعلنون** على ان الله تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد يخرج ما يخفونه يظهر ما يخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دايرة العلم للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرى ما تخفون وما تعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبا يعم اشراق الكواكب واظهارها من افاقها بعد استتارها وراها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشا الذي هو اخراج ما في الشي بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغيره ذلك من غيوبه عز وجل وقرى ان لا تسجدوا والله الذي يخرج الخبا من السما والارض ويعلم سركم وما تعلنون **الله لا اله الا هو رب العرش العظيم** الذي هو اول الاجرام وقرى العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكي عن الهدهد من قوله الذي يخرج الخبا الى ههنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام اورده بيانا لما هو عليه واظهار التصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها **قال** استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فما فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال **سننظر** اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التامل والسين للتاكيد اي سنعرف بالتجربة البتة **اصدقت ام كنت من الكاذبين** كان مقتضى الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه بان مساق هذه

الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق تستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق اصلا لاسيما بين يدي نبي
عظيم الشان لايكاد تصدر الاعمن له قدم راسخ في الكذب والافك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم استيناف مبين لكيفية
النظر الذي وعده عليه السلام وقد قاله عليه السلام بعدما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عليه السلام
اياه بالرسالة دون ساير ما تحت ملكه من انبا الجن الاقويا على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة
الفراسة ولئلا يبقى له عذر اصلا ثم تول عنهم اي تنح الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر اي تامل وتعرف ماذا يرجعون ماذا يرجع
بعضهم الى بعض من القول وجمع الضماير لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اي بعدما ذهب الهدهد
بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به فانما طوى ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا
باستغنايه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد
فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة
وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حوالها فرفرف ساعة
والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارية كاتبة عربية من نسل تبع الحميري كما مر فلما رات
الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه من
عند ملك كريم او لكونه مختوما او لغرابة شانه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد انه من سليمان استيناف وقع جوابا لسوال
مقدر كانه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان وانه اي مضمونه او المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفيه
اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرئ انه بالفتح على حذف اللام كانها عللت كرمه من كونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم
الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب او خبر لمبتدا محذوف مضمر يليق بالمقام اي مضمونه ان لا تعلوا او النصب باسقاط الخافض
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم على ان ان المفسرة ان لا تعلوا علي ان مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا كما يفعل
جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية محلها الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدا محذوف مضمر يليق
بالمقام اي مضمونه ان لا تعلوا او النصب باسقاط الخافض اي بان لا تعلوا علي وقرئ ان لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا
احدكم واتوني مسلمين اي مومنين وقيل منقادين والاول هو الاليق بشان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الايمان مستتبع
للانقياد حتما روي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد
ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعا للتقليد
فان القا الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسله دلالة بينة قالت كررت حكاية قولها
للايذان بغاية اعتنايها بما في حيزه من قولها يا ايها الملا افتوني في امري اي اجيبوني في امري الذي حزبني وذكرت لكم
خلاصة وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار
بانهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة امرا اي من الامور المتعلقة بذلك حتى تشهدون اي الا
بمحضركم وبموجب ارايكم استعطاف واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الراي والتدبير قالوا استيناف مبني على سوال نشا
من حكاية قولها كانه قيل فماذا قالوا في جوابها قالوا نحن اولوا قوة في الالات والاجساد والعدد واولوا باس شديد اي
نجدة وشجاعة مفرطة وبلا في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك فانظري ماذا تامرين نحن مطيعون لك فمرينا
بامرك نمتثله ونتبع رايك او ارادوا نحن من ابنا الحرب لا من ابنا الراي والمشورة واليك الراي والتدبير فانظري
ماذا ترين نكن في الخدمة فلما احست منهم الميل الى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المنبية
من الغفلة عن شان سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية من القرى على منهاج المقاتلة
والحرب افسدوها بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالقتل والاسر والاجلا وغير ذلك

من

من فنون الاهانة والاذلال وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بان ذلك
عادتهم المستمرة وقيل هو من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جينا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي واني مرسلة اليهم بهدية تقرير لرايها بعدما زيفت اراءهم واتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف
التحقيق للايذان بانها مصممة على رايها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اي واني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة
فناظرة بم يرجع المرسلون حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي انها بعثت خمسماية غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن
الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسماية جارية
على رماك في زي الغلمان والف لبنة من الذهب والفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه
درة عذرا ودرة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان
نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان
فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان عليه السلام بذلك فامر الجن فضربوا
لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حايطا شرفاته من الذهب
والفضة وامر باحسن الدواب التي في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق
كثير فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا
والوحوش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم نظروا وبهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم
نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال ابن الحق واخبره جبريل عليه السلام
بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة
بيضا الخيط بفيها ونفذت في الدرة الخرزة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالما فكانت الجارية تاخذ الما بيدها فتجعله
في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جا سليمان اي الرسول
قال اي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغايب وقيل للرسول ومن معه ويويده انه قرئ فلما جاوا والاول
اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ لبلقيس وقومها ويويده الافراد في قوله تعالى ارجع اليهم اتمدونن بمال وهو
انكار لامداده عليه السلام بالمال مع علو شانه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى فما
اتاني الله اي مما رايتم اثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراه خير مما اتاكم اي من المال الذي من جملته ما جيتم فلا
حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل ولعله عليه السلام انما قال لهم هذه المقالة الى اخرها بعدما جرى بينه وبينهم
ما حكي من قصة الحق وغيرها لما اشير اليه لا انه عليه السلام خاطبهم بها اول ما جاوه كما يوهم من ظاهر قوله تعالى فلما جا
الى اخره وقرئ اتمدوني بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف اليا وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب
عما ذكر من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه السلام افتخارا وامتنانا واعتدادا
بها كما ينبي عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفايدة الاضراب التنبيه على ان امداده
عليه السلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ
به ادخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا
من الحياة الدنيا ارجع افراد الضمير هاهنا بعد جمع الضماير الخمسة فيما سبق لاختصاص المرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه
للكل اي ارجع ايها الرسول اليهم اي الى بلقيس وقومها فلناتينهم اي فوالله لناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة
لهم بمقاومتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبا اذلة اي حال كونهم اذلة بعدما كانوا فيه من العزة
والتمكين وفي جمع القلة تاكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق

الاجلا وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال كانه قيل ارجع اليهم
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان لم يأتوا مسلمين والا فلنا تنبيهم الى اخره **قال يا ايها الملا ايكم يأتيني بعرشها** قال عليه السلام لما دنى مجى بلقيس اليه يروى
انها لما رجعت رسلها اليها بما حكى من خبر سليمان عليه السلام قالت والله قد علمت ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى
سليمان انى قادمة اليك بملوك قومى حتى انظر ما امرك وما تدعوا اليه من دينك ثم اذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت
اليه فى اثنى عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وروى انها امرت فجعلت عرشها فى اخر سبعة ابيات بعضها فوق بعض فى اخر قصر
من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحرسونه ولعله اوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد
ان يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من اجرا العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام
ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فتنظر اتعرفه ام لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى **قبل ان يأتوني مسلمين** لما ان ذلك ابدع واغرب
وابعد من الوقوع عادة وادل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدايع المعجزات
فى اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذها لها بغير رضاها **قال عفريت** اى مارد خبيث **من الجن** بيان له اذ يقال
للرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخر **انا اتيك به** اى بعرشها **قبل ان تقوم من مقامك** اى من مجلسك
للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعا الاتيان به لا محالة واوفق
لما عطف عليه من الجملة الاسمية اى انا اتى به فى تلك المدة البتة **وانى عليه** اى على الاتيان به **لقوى** لا يثقل على حمله **امين**
لا اختزل منه شيا ولا ابدله **قال الذى عنده علم من الكتاب** فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقالتيهما وكيفيتى قدرتهما
على الاتيان به من كمال التباين ولاسقاط الاول عن درجة الاعتبار وقيل هو اصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل
رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا سيل به اجاب وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو
سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم
والرمز الى انه علم غير معهود ومن ابتدائيه **انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك** الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى
شى وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة
ما كما فى وعد العفريت استغنى عن التاكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بانه امر متحقق غنى عن الاخبار به وجى
وطوى بالفا الفصيحة لا داخلة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كان قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره
بل داخلة على الشرطية حيث قيل **فلما راه مستقرا عنده** اى راى العرش حاضرا لديه كما فى قوله عز وجل فلما راينه اكبرنه
للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه استغنا به عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام
اياه واستغنا به ايضا عن التصريح بهذا التقدير فاتاه به فلما راه الى اخره فحذف ما حذف لما ذكر ولا بد ان يجال سرعة
الاتيان به كانه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه السلام اياه شى ما وفى تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام
تاكيدا لهذا المعنى لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتدا الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام
قراره عنده منتظما فى سلك ملكه **قال** اى سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابنا جنسه من انبيا الله
تعالى عليهم السلام وخلص عباده **هذا** اى حضور العرش بين يديه فى هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة
او بالذات كما قيل **من فضل ربى** اى تفضله على من غير استحقاق له من قبلى **ليبلونى ااشكر** بان اراه محض فضله تعالى من غير
حول من جهتى ولا قوة واقوم بحقه **ام اكفر** بان اجد لنفسى مدخلا فى البين او اقصر فى اقامة مواجبه كما هو شان ساير
النعم الفائضة على العباد **ومن شكر فانما يشكر لنفسه** لانه مرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط عن ذمته عبا
الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران **ومن كفر** اى لم يشكر **فان ربى غنى** عن شكره **كريم** بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم
الشكر ايضا **قال** اى سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكى سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين

السابق

السابق واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثانى امر لخدمه **نكروا لها عرشها** اى غيروا هيأته
بوجه من الوجوه **ننظر** بالجزم على انه جواب الامر وقرى بالرفع على الاستيناف **اتهتدى** الى معرفته او الى الجواب اللايق
بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة فى مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه
الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب وياباه تعليقه النظر المتعلق بالاهتدا بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير **ام**
تكون اى بالنسبة الى علمنا **من الذين لا يهتدون** اى الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها فى نفس الامر منهم وان
كان امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث يظهر بالاختبار **فلما جاءت** شروع فى حكاية
التجربة التى قصدها سليمان عليه السلام اى فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام بالذات او بالواسطة **اهكذا عرشك** لم
يقل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش فى معرض الاشكال والاشباه
حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل **قالت كانه هو** فانبات عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل
هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة فى الصفات مع اتحاد الذات ومراعات لحسن الادب
فى محاورته عليه السلام **واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين** من تتمة كلامها كانها ظنت انه عليه السلام اراد
بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التى
شاهدناها بما سمعناه من المخبر من الايات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة
رايها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى **وصدها ما كانت تعبد من دون الله** بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار
ما ادعته من الاسلام الى الان اى صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى **انها كانت من قوم كافرين**
تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اى انها كانت من قوم راسخين فى الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهى
بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملك سليمان عليه السلام وقرى انها بالفتح على البدلية من فاعل صد او على التعليل بحذف اللام
هنا واما ما قيل من ان قوله تعالى واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملايه كانهم لما سمعوا
قولها كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشانها اصابت فى الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من
المنذر من الايات المتقدمة وبما عاينت من هذه الاية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا
العلم الخ اى واوتينا نحن العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهرانى
الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف **قيل لها ادخلى الصرح** الصرح القصر وقيل صحن الدار وروى ان سليمان عليه السلام
امر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره
فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا
على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فيفضى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد لها منه ولد
تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان فى عقلها شيا وهى شعرا الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها **فلما راته** وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الا
بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله خبرا **حسبته لجة وكشفت عن ساقيها** وتشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هى احسن الناس
ساقا وقدما خلا انها شعرا قيل هى المسبب فى اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه السلام وامر الجن
فبنوا لها سلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على
اليمن وامر زوبعة امير الجن ان يطيعه فبنى لها المصانع وقرى ساقيها حملا للمفرد على الجمع فى سؤق واسؤق **قال** عليه السلام
حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب **انه** اى ما توهمته ماء **صرح ممرد** اى مملس **من قوارير** من الزجاج **قالت** حين
عاينت تلك المعجزة ايضا **رب انى ظلمت نفسى** بما كنت عليه الى الان من عبادة الشمس وقيل بظنى بسليمان حيث ظننت انه يريد

وقد كان العرش بين يديه **قيل** اى من جهة سليمان عليه

اعراقها في اللجة وهو بعيد **واسلمت مع سليمان** تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى **لله رب العالمين** من الالتفات الى الاسم
الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات
التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس **ولقد ارسلنا** عطف على قوله تعالى اتينا داود وسليمان مسوقا لما سيق هو له
من تقرير انه عليه الصلاة والسلام تلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من اجل القران الكريم الذي لقيه
عليه السلام واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد ارسلنا **الى ثمود اخاهم صالحا** فان في قوله تعالى **ان اعبدوا الله** مفسرة لما
في الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها البا وقرئ بضم النون اتباعا للبا **فاذا هم فريقان يختصمون** ففاجوا التفرق
والاختصام فامن فريق وكفر فريق والواو للمجموع الفريقين **قال** عليه السلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد
من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عليه السلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين **يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة** اي بالعقوبة السيئة **قبل الحسنة** اي العقوبة فتوخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم
يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه **لولا تستغفرون الله** هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها **لعلكم
ترحمون** لقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول **قالوا اطيرنا** اصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما انهم كانوا
اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطير
استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد او تشاءمنا **بك ومن معك** في دينك حيث تتابعت علينا
الشدائد وقد كانوا قحطوا ولم نزل في اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم **قال طائركم** اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم
من الشر **عند الله** وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى **بل انتم قوم تفتنون** اي تختبرون بتعاقب السراء والضراء
وتعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي
اليه **وكان في المدينة** وهي الحجر **تسعة رهط** اي اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق
بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب
الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورياب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان
ابن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم **يفسدون في
الارض** لا في المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شيء ما من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشيا **قالوا** استئناف لبيان
بعض ما فعلوا من الفساد اي قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح عليه السلام وكان ذلك غب ما انذرهم
بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام الى اخره **تقاسموا بالله** لعله امر مقول لقالوا او ماض وقع حالا منه او بدلا من
فاعله باضمار قد وقوله تعالى **لنبيتنه واهله** اي لنباغتن صالحا واهله ليلا ونقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم بعضا
وقرئ بالياء الغيبة وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض **ثم لنقولن لوليه** اي لولي صالح وقرئ بالياء والتاء كما قبله **ما شهدنا
مهلك اهله** اي ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا ان نتولى اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام
فيكون مصدرا **وانا لصادقون** من تمام القول او حال اي نقول ما نقول والحال انا صادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير
المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين **ومكروا مكرا**
بهذه المواضعة **ومكرنا مكرا** اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود **وهم لا يشعرون** او جزيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة
النصب بنزع الخافض اي تفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى **انا دمرناهم** اما بدل من عاقبة مكرهم على ان كان
فاعل وهي تامة وكيف حال اي فانظر كيف حصل على اي وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدا محذوف والجملة مبينة لما في
عاقبة مكرهم من الابهام اي هي تدميرنا اياهم **وقومهم** الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت **اجمعين** بحيث لم يشذ منهم

كما ينطق به قوله تعالى **ولا يصلحون** لا يفعلون شيئا من الاصلاح

شاذ

شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار اي لانا دمرناهم
الى اخره وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان حالا وجه حسدا ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الى اخره تعليلا
لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الى اخره تعليلا بالكسر على الاستئناف روي انه كان لصالح عليه السلام مسجدا في الحجر في شعب
يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جا
يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم
اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجا صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهري سيوفهم وقد
ارسل الله تعالى الملائكة ملأت دار صالح فدمغوهم بالحجارة ولا يرون راميا **فتلك بيوتهم** جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى
خاوية اي خالية او ساقطة منهدمة **بما ظلموا** اي بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف **ان في ذلك** اي فيما ذكر من التعجيب التدمير العجيب بظلمهم **لآية** لعبرة عظيمة **لقوم يعلمون** اي ما
من شانه ان يعلم من الاشيا او لقوم يتصفون بالعلم **وانجينا الذين آمنوا** صالحا ومن معه من المومنين **وكانوا يتقون** اي الكفر
والمعاصي تقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة **ولوطا** منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز
القسم اي ارسلنا لوطا وقوله تعالى **اذ قال لقومه** ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين
قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل العطف على الذين امنوا اي وانجينا لوطا وهو بعيد
اتاتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى **وانتم تبصرون** جملة حالية من فاعل تاتون مفيدة
لتاكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب اي اتفعلونها والحال انكم
تعلمون علما يقينيا لكونها كذلك وقيل تبصرونها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها **اينكم لتاتون الرجال شهوة** تثنية
للانكار وتوبيخ وتكرير للتوبيخ وبيان لما ياتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التاكيد للايذان بان مضمونها
مما لا يصدق وقوعه لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة
التي علل بها الاتيان **من دون النسا** متجاوزين النسا اللاتي هن محال الشهوة **بل انتم قوم تجهلون** تفعلون فعل الجاهلين
بقبحه او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم مع كونهم
في حيز الخطاب **فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون** يتنزهون عن افعالنا
او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزا وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي
صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام اخر غيره **فانجيناه واهله الا
امراته قدرناها** اي قدرنا انها **من الغابرين** اي الباقين في العذاب **وامطرنا عليهم مطرا** غير معهود **فسا مطر المنذرين** قد مر
بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة **قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى** اثر ما قص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه
وسلم قصص الانبيا المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شانه وبما خصهم به من الايات القاهرة
والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم وبين على السنتهم حقيقة الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر
والاشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره للاسلام بما في تضاعيف
القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله
عز وجل وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم امره صلى الله عليه وسلم بان يحمده تعالى على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها
لطامع ولا مطمح من دونها لطامح وسلم على كافة الانبيا الذين من جملتهم الذين قصت عليهم اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي
اوحيت اليه عليه السلام بان يحمده تعالى على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى
بعده **الله خير اما يشركون** اي الله الذي ذكرت شوونه العظيمة خير اما يشركونه به تعالى من الاصنام ومرجع التعريض الى التردي

بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه ارائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن
ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرئ يشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو
الا ليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المامور به يأباه قوله تعالى فانبتنا الى اخره فانه
صريح في ان التبكيت من قبله عز وجل بالذات وحمله على انه حكاية منه عليه السلام لما امر به بعبادته كما في قوله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى **امن خلق السموات والارض** منقطعة وما فيها من
كلمة بل على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اجهر منه لمزيد التاكيد والتشديد
واما على القراءة الثانية فتثنية التبكيت وتكرير الالزام كتظاهرها الاتية والهمزة لتقرير هم اي حملهم على الاقرار بالحق على وجه
الاضطراب فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به من
منافعه من اخس تلك المخلوقات وادناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدا خبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة
تعويلا على ما سبق من الاستفهام الاول خلا ان تشركون هنا بتا الخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الاتية
والمعنى بل امن خلق قطري العالم الجسماني ومبدا منافع ما بينهما **وانزل لكم** التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الاولى لتشديد
التبكيت والالزام اي انزل لاجلكم ومنفعتكم **من السما ما** اي نوعا منه هو المطر **فانبتنا به حدائق** اي بساتين محدقة ومحاطة
بالحوائط **ذات بهجة** حسن ورونق يبتهج به النظار **ما كان لكم** اي ما صح لكم وما امكن لكم **ان تنبتوا شجرها** فضلا عن ثمرها وسائر
صفاتها البديعة خير ام ما تشركون وتقديم صيغتي الانزال على امر معمول للمامور مرارا امر للتشويق الى الموخر والالتفات الى التكلم
في قوله تعالى فانبتنا لتاكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف
والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبها الرائع بما واحد ما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده
حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الى اخره سواء كانت صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان
المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نحو قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها **االه مع الله** اي االه اخر كائن مع الله الذي
ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الخيرية عنه بادخال عن
الترديد فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انتفاء الالوهية عنه رأسا
لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الاتية وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى
اله اخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط فكيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله
تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى في العبادة وما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى
فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه قيل االه مع الله تعالى في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى اغيره
يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في
الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والا في حق تام لافادته نفي وجود اله اخر معه
تعالى رأسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ االه بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ االها باضمار
فعل يناسب المقام مثل اتدعون او تشركون **بل هم قوم يعدلون** اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم
وحكاية لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور ولذلك يفعلون
ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به
تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة **امن جعل الارض قرارا** قيل هو بدل من امن خلق السموات الى اخره وكذا ما بعده من الجمل
الثلاث وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه اخر ادخل في الالزام
بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم

وجعل خلالها اوساطها **انهارا** جارية ينتفعون بها **وجعل لها رواسي** اي جبالا ثوابت تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها
المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يخفى **وجعل بين البحرين** اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم
حاجزا برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في تفسير سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلاثة الاخيرة ابداعي وتاخير مفعوله عن الظرف
لما مر مرارا من التشويق **االه مع الله** في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر **بل اكثرهم لا يعلمون** اي شيئا من الاشياء
ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره **امن يجيب المضطر اذا دعاه** وهو الذي احوجته شدة من
الشدائد والجاته الى اللجا والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس هو
المجهود وعن السدي من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر **ويكشف السو**
وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه **ويجعلكم خلفا الارض** اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل
المراد بالخلافة الملك والتسلط **االه مع الله** الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام **قليلا ما تذكرون** اي تذكرا
قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتاكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري مجراه في الافادة وعدم الجدوى
وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه
اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل وتذكرون ويذكرون بالياء والتاء مع الادغام **امن يهديكم في ظلمات البر والبحر** اي في
ظلمات الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها **ومن يرسل الرياح**
نشرا بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة
لانكسار حرها وتموجها للهوا فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفاعل للسبب فاعل للسبب
قطعا **االه مع الله** نفي لان يكون معه اله اخر وقوله تعالى **تعالى الله عما يشركون** تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
للاشعار بعلة الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة بجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية
لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده
بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى او عن اشراكهم **امن يبدا الخلق ثم يعيده** اي بل امن يبدا الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث له
ومن يرزقكم من السما والارض اي باسباب سماوية قد رتبها على ترتيب بديع مقتضية للحكمة التي عليها بني امر التكوين خير اما يشركونه
في العبادة وقوله تعالى **االه مع الله قل هاتوا برهانكم** امر له صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا او نقليا
يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شي مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من
لوازم الالوهية وان كان منها في الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم
تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا **ان كنتم صادقين** اي في تلك الدعوى **قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله** بعد
ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه
وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثنا منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية
للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه لكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم
من يعلم الغيب او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى
مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة **وما يشعرون ايان يبعثون** اي متى ينشرون من القبور مع
كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما
ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سياتي من الضمائر الخاصة بهم مطلقا وقيل للكل من واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل
قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم **بل ادرك علمهم في الاخرة** لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما
هو مصيرهم لا محالة بولغ في تقريره وتاكيده ان يضرب عنه ويبين انهم في جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الاخرة

مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان ادراك علمهم في الاخرة تدارك وتتابع علمهم في شان الاخرة التي ماذكر من البعث
حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشي مما سيكون فيها قطعا لكن لا على انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا
بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلايل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجرا ساقطها عن درجة اعتبارهم
كالاخطوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان علمهم بها او ايمانهم بما هو اسوا منه وهو حيرتهم في ذلك حيث
قيل **بل هم في شك منها** اي في شك مريب من نفس الاخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد فيه دليلا فضلا عن الامور التي ستقع فيها
ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد واقطع من الشك حيث قيل **بل هم منها عمون** بحيث لا يكادون يدركون دلايلها لـ
لاختلال بصايرهم بالكلية وقري بل ادرك علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم بان القيامة كانت لا
محالة من الايات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب
وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب عن وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد
منه واقطع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينيذ لـ
ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاضراب على ما ذكر
واصل ادراك تدارك وبه قرا ابي فابدلت التا وسكنت فتعذر الابتدا فاجتلبت همزة الوصل فصار ادراك وقري بل ادرك
واصله افتعل بل ادرك بهمزتين وبل اادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك وبلى ادرك ولم تدارك وام ادرك
وهذه ثنتى عشرة فما فيه استفهام صريح او مضمر من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه
التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها
بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم **وقال الذين كفروا** بيان لجهلهم بالاخرة وعميهم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع
الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلتهم والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم **ايذا كنا ترابا واباونا اينا لمخرجون** اي
اتخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبي عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع
وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينيذ فقط فانهم منكرون للاحيا بعد الموت مطلقا وان كان
البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى واباونا عطف على اسم كان وقام الفعل مع الخبر
مقام الفصل بالتاكيد وتكرير الهمزة في اينا للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد
كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضايها الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظايره على راي الجمهور فان المعنى
عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقري اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقري انا لمخرجون على الخبر **لقد
وعدنا هذا نحن واباونا من قبل** اي من قبل وعده صلى الله عليه وسلم وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث
اخر قصد به المبعوث والجملة استيناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التاكيد وقوله تعالى **ان هذا الا
اساطير الاولين** تقرير اثر تقرير **قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين** بسبب تكذيبهم للرسل عليهم
السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الاخر الذي ينكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية
لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمومنين في ترك الجرايم **ولا تحزن عليهم** لاصرارهم على الكفر والتكذيب
ولا تكن في ضيق في حرج صدر **مما يمكرون** من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقري بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز
ان يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قري كذلك اي لا تك في امر ضيق **ويقولون متى هذا الوعد** اي العذاب العاجل
الموعود **ان كنتم صادقين** في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المومنين في الاخبار بذلك **قل عسى ان يكون ردف لكم**
اي تبعكم ولحقكم مزيدة للتاكيد كالبا في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام وقري
بفتح اللام وهي لغة فيه **بعض الذي تستعجلون** وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها

وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى
ووعيده وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يرد فكم الى اخره لكونه ادل على تحقق الوعد **وان ربك لذو فضل
على الناس** اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تاخير عقوبة هولاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي
من جملتها استعجال العذاب **ولكن اكثرهم لا يشكرون** لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه
كداب هولا **وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم** اي ما تخفيه وقري بفتح التا من كننت اي سترت **وما يعلنون** من الاقوال
والافعال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبايح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل
وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون **وما من غايبة
في السما والارض** اي من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتا للمبالغة كما في الرواية او اسمان لما يغيب ويخفى و
والتا للنقل الى الاسمية **الا في كتاب مبين** اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضا العدل
بطريق الاستعارة **ان هذا القران يقص على بني اسرايل اكثر الذي هم فيه يختلفون** من جملته ما اختلفوا في شان المسيح
وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن العلو والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر في اشياء حتى
بلغت المسافة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القران الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف **وانه لهدى ورحمة
للمومنين** على الاطلاق فيدخل فيهم من امن من بني اسرايل دخولا اوليا **ان ربك يقضي بينهم** اي بين بني اسرايل **بحكمه** بما يحكم
به وهو الحق او بحكمته ويويده انه قري بحكمه **وهو العزيز** فلا يرد حكمه وقضاوه **العليم** بجميع الاشيا التي من جملتها ما يقضى
به والفا في قوله تعالى **فتوكل على الله** لترتيب الامر على ما ذكر من شوونه عز وجل فانها موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض
جميع اموره اليه وقوله تعالى **انك على الحق المبين** تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه صلى الله عليه وسلم على الحق المبين او
الفاصل بينه وبين الباطل وبين المحق والمبطل فان كونه عليه السلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتاييده
لا محالة وقوله تعالى **انك لا تسمع الموتى** الى اخره تعليل اخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر
والاعراض عن التسبب بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاه بالحق وتاييده للمحق ثم علل ثانيا بما يوجبه لكن
لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التسبب بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم
ومعاضدتهم راسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تاثرهم مما
يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشي من المسموعات ولعل تشبيه قلوبهم بالموتى فيما
ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذان والعين كما في قوله تعالى
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر للتشبيههم
بالصم والعمي مزيد مزية **ولا تسمع الصم الدعا** اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى **اذا ولوا مدبرين** لتكميل
التشبيه وتاكيد النفي فانهم جميع صممهم عن الدعا الى الحق معرضين عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعا
مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقري ولا يسمع الصم الدعا **وما انت بهادي العمي عن
ضلالتهم** هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتدا منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية
باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية وقري وما انت
تهدي العمي **ان تسمع** اي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا **الا من يومن باياتنا** اي من شانهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي
والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يومن الى اخره لما ان طريق الهداية هو اسماع الايات التنزيلية **فهم
مسلمون** تعليل لايمانهم بها كانه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله تعالى **واذا وقع
القول عليهم** بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي يستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول

مانطق به الآيات الكريمة بمجي الساعة وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها ولو قوعد قيامها وحصولها عبر عن
ذلك به للايذان بشدة رتعها وتاثيرها واسناده الي القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصعدا والقول الناطق بمجيها
وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله اتى امر الله اي اذا دني وقوع مدلول القول المذكور الذين لا يكادون يسمعونه
ويصدقونه **اخرجنا لهم دابة من الارض** وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتاكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة
على غرابة شانها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها
هارب وروي ان لها اربع قوايم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق
نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة بقرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنى عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام
وقال وهب وجهها وجه الرجل وسائر خلقها خلق الطير وعن علي رضي الله عنه انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه
يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروي لا يخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السما او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي
عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله تعالى عنه
انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من
اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية
ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني
مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارا وقيل تخرج من الصفا وروي بينما عيسى عليه السلام يطوف
بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصى
موسى وخاتم سليمان عليه السلام فتضرب المومن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضا فتفشو حتى يضي لها وجهه وتكتب بين
عينيه هو مومن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت
يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان
الدابة تسمع قرع عصاي هذه وروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بيس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا
قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين متكلم بالعربية بلسان ذلق
ولذلك قوله تعالى **تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون** اي تكلمهم بانهم كانوا لا يومنون بايات الله تعالى الناطقة
بمجي الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرى بان الناس الاية واضافة الايات الى نون العظمة لانها حكايتها منه تعالى
لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقوله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص
الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بايات ربنا وصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين
بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرى ان الناس بالكسر على اضمار القول
واجرا الكلام مجراه في الاضافة كالذي سبق وقيل هو استيناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها او تكلمها ويرده
الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة
على الاطلاق او مشركوا مكة وقد روي عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون وقرى تكلمهم
من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراة المشهورة ايضا منه لمعنى التكثير
ولا يخفى بعده **ويوم نحشر من كل امة فوجا** بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا
من كل امة من امم الانبيا عليهم السلام او من كل اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق

ومكذب

ومكذب وقوله تعالى **ممن يكذب باياتنا** بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها **فهم يوزعون** اي يحبس اولهم على اخراهم حتى
يتلاحقوا ويجتمعون في موقع التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وهكذا الحشر قادة سائر الامم من بين
ايديهم الى النار **حتى اذا جاءوا** الى موقف السوال والجواب والمناقشة والحساب **قال** اي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب في
الالتفات لتربية المهابة **اكذبتم باياتي** الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى **ولم تحيطوا بها علما** جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة
التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يودي الى العلم بكنهها وانها
حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في ان المراد بالايات فيما سلف في الموضعين هي الايات القرانية لانها هي المنطوية على دلايل
الصحة وشواهد الصدق التي لم تحيطوا بها علما مع وجوب ان يتاملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على
كذبتم اي اجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها **اماذا كنتم تعملون** ام اي شي كنتم تعملون بها او ام اي شي كنتم تعملون غير ذلك
بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي مع انهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم
يكبون في النار وذلك قوله تعالى **ووقع القول عليهم** اي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله **بما ظلموا**
بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بايات الله **فهم لا ينطقون** لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلايهم بشغل شاغل من العذاب الاليم
الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الروية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر
من قبيل المعقولات اي الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار **والنهار مبصرا** اي ليبصروا بما
فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه
التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما ان تاثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تاثير ضوء النهار
في الابصار **ان في ذلك** اي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته في الفضل **لايات** اي عظيمة
كثيرة **لقوم يومنون** دالة على صحة البعث وصدق الايات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تامل في تعاقب الليل واختلافهما
على وجوه بديعة مبنية على حكم رايقة تحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وعلا وشاهد في الافاق تبدل ظلمة الليل الحاكية
للموت بضيا النهار المضاهي للحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحياة قضى بان
الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قضا متقنا وجزم بانه تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على
تحققه وان الايات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهانا عليه وساير الايات كلها حق نازل من عند الله تعالى **ويوم ينفخ
في الصور** اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه
اسرافيل عليه السلام فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يومر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت
كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده ان عظم داره فيه كعرض السموات والارض فيومر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحيا
احد الا من شا الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض الا من شا الله ثم يومر باخرى فينفخ نفخة
لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ونفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سياق النظم الكريم
وسباقه ان المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى **ففزع من في السموات ومن في الارض** ما يعتري
الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات في الانفس والافاق من الرعب والتهيب الضروريين
الجبليين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه اعني ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تاخير بيان
الاحوال الواقعة عند ابتدا النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا
بان كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهيا حقيقة بالتذكير على حالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل داهية واحدة

قد امر بذكرها كما مر في سورة البقرة الا من شاء الله اي ان لا يفزع قبل هم عند النفخة وكل اتوه حضروا الموقف بين يدي رب
العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب وقرئ اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه
وقرئ اتوه اي حاضرون داخرين اي صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله
عز وعلا تحسبها جامدة اي ثابتة في اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى وهي تمر مر السحاب حال
من ضمير الجبال في تحسبها او في جامدة اي تراها راي العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب الذي تسيرها الرياح سيرا حثيثا
وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال

بارعن مثل الطود تحسب انهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

وقد اندرج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتقاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن
المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال
عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى فتسييرها وتسوية
الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى يوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فان صيغة الماضي في
المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد
قيل ان المراد هي النفخة الاولى او الفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن
في الارض الى اخره فيختص اثرها بمن كان حيا عنده وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم وجوزان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم
الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه
النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي اريد بقوله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله
تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا فترتج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر او القنديل المعلق
وترجه الرياح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه وما هو نص في الباب ما سياتي من قوله تعالى
وهم من فزع يومئذ آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور
وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شان تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم
وافساد احوال الكائنات الكلية من غير ان يدعو اليها داعية ويكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على
اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين
كما يعرب عنه قوله تعالى الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما تفعلون تعليل لكون ما
ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من
الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا
بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة
علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه
اضعافها واما باعتبار دوامه وفنائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة
وهم اي الذين جاؤا بالحسنات من فزع اي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة
وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه حين يؤمر بالعبد الى
النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ
في الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في الارض
غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه

احد

احدكم الحيلة وان كان امنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افامنوا مكر الله وقرئ من فزع
يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار
الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار اي كبوا
فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات
للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة التي حرمها امر صلى الله عليه وسلم بان يقول
لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها له على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك شان سوى الاشتغال بعبادة الله تعالى والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا
صلحوا ام فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه صلى الله عليه وسلم بامر دعوتهم انه صلى الله عليه
وسلم يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة
والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شانها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف
وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي
اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا ترى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء
خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي افجر افراد الفجور واشنع
احاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف
وقوله تعالى وله كل شيء اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة
لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من
كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خاصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله وان اتلو القرآن اي اواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه الرائعة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على تلاوته على الناس
بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى
فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام
وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الى
غيره ومن ضل بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة
الانذار فليس علي من تبعات ضلاله شيء وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها نعمة النبوة
المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين
النيرة وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام المامور به اي سيريكم البتة في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن
كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عدمنها وقعة بدر ورويا به قوله تعالى فتعرفونها اي فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا
تنفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون
كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله
عليه وسلم وتخصيص الخطاب اولا به صلى الله عليه وسلم وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما تعمل انت من
الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض
والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فيسبقهم البتة فلا تحسبوا ان تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله اعلم عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر حسنات بعدد من صدق سليمان وهودا وصالحا وابراهيم وشعيبا عليهم
السلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين قدم ما يتعلق به من الكلام والاجمال والتفصيل في اشباهه نتلوا عليك اي نقرأ بواسطة جبريل ويجوز ان تكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبا موسى وفرعون مفعول نتلوا اي بعض نبا بهما بالحق بمحذوف هو حال من فاعل نتلوا او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلوا عليك بعض نبا بهما ملتبسين او ملتبسا بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلوا وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئنافا جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتنا بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعا اي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او تشنيع بعضهم بعضا في طاعة او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف ويتسخره فيه من بناو حرث وحفر وغيرها من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضا لئلا يتفق كلمتهم يستضعف طايفة منهم وهم بنوا اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فايدة القتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اي الراسخين بالافساد ولذلك اجترا على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبيا عليهم الصلاة والسلام ونريد ان نمن اي نتفضل على الذين استضعفوا في الارض على الوجه المذكور بانجائهم من باسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا الى اخره لتناسبهما في الوقوع في التبيين للنبا او حال من يستضعف بتقدير المبتدا اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة الاستضعاف مقارنة المراد له لما ان تعلق الارادة للمن تعلق الاستقبال على ان منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراوها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المنافية لها ونجعلهم ائمة نقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لاخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتاخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمهم عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى ونمكن لهم في الارض الى اخره نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيها كيف ما يشاؤن واصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم اي من اولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكه وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالهام او رويا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه فالقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ولا تحزني انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتنا بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روي ان بعض العوايد الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها وطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاوه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت بردي مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقا قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي

فالقته

فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه ال فرعون اي اخذوه اخذ اعتنا به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان بها برص شديد وعجزت الاطبا عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا فلما كان في ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه امراته اسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل يضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ايتوني به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرات نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرات من ساعتها وقيل لما نظرت الى وجهه برات فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته اسية فتركه كما سياتي واللام في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة ابرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما ياتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله الوفا ثم اخذوا يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه عليه السلام تسعون الف وليد فكانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى الى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتاكيد خطاهم ولبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين الصواب الى الخطا وقالت امرات فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرت عين لي ولك اي هو قرة عين لنا لما انهما لما راياه اخرجا او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعده فيما تريده عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رات فيه من العلامات المذكورة او نتخذه ولدا اي نتبناه فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من ال فرعون والتقدير فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراته كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطا عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجا النفع منه والتبني له وقوله ان فرعون الاية اعتراض وقع بين المعطوفين لتاكيد خطاهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به اي انها كادت لتظهر بموسى او بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح لتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين اي المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى اجرا للضمة في جارة الواو مجرى ضمها في استعاضتها همزة واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخوته عليه السلام دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة للامتثال بالامر قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به وابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه وتتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اي منعناه ان يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او مرضع هو الرضاع او موضعه اعني الثدي من قبل اي من قبل قصها اثره فقالت عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتنا فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله

فدفعته اليها فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة طيبة
الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقرره في يدها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه الى
امه كي تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله اي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين حق
لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فيرتابون فيه ولما بلغ اشده اي المبلغ الذي
لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لما بعث نبي الا على راس الاربعين سنة
واستوى اي اعتدل قده او عقله اتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا
يفعل فعلا يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنباه بعد الهجرة الى الراجعة وكذلك مثل ذلك الذي فعلنا بموسى
وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اي مصر من قصر فرعون او منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من
اهلها اي في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا
من شيعته اي ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية
فاستغاثه الذي من شيعته اي ساله ان يغيثه بالعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذي من عدوه فوكزه موسى
اي ضرب القبطي بجميع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك
الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مامورا بقتل الكفار ولانه كان مامونا لديهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك
في عصمته لكونه خطا وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم
ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال توسيط بين كلاميه عليه السلام لابانة ما بينهما
من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول رب اني ظلمت نفسي اي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو الغفور
الرحيم اي المبالغ في مغفرة ذنوب العباد ورحمتهم قال رب بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن
فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي بحق احسانك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن تؤدي معاونته الى الجرم وعن
ابن عباس انه عليه السلام لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعن اولياءك فلن
استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة او الاجناد فاذا الذي استنصره بالامس
يستصرخه اي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين اي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد
ان يبطش بالذي هو عدو لهما اي لموسى والاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش
بضم الطاء قال اي الاسرائيلي ظانا انه عليه السلام يبطش به لما توهمه من تسميته اياه غويا يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك
وامر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطي ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض وهو الذي يفعل كل ما
يريده من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله سبحانه وتعالى وما تريد ان تكون من المصلحين
بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اي كائن من آخرها او جاء من آخرها يسعى اي يسرع صفة لرجل او حال منه على
ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق له بجاء فان تخصيصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان
قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يامر الآخر ويأتمر فاخرج اي من
المدينة اني لك من الناصحين اللام للبيان لما ان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها اي من المدينة خائفا يترقب لحوق الطالبين
قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين اي نحو مدين وهي قرية شعيب عليه السلام سميت
بمدين بن ابراهيم عليه السلام ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
توكلا على الله وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرائق فاخذ الوسطى وجاء الطلاب عقيبه فشرعوا في الاخريين وقيل

خرج

خرج جائعا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين
ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اي فوق شفيرها امة جماعة كثيفة من الناس يسقون ووجد
من دونهم في موضع اسفل منهم امراتين تذودان اي يمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم
الغاية في التقدم قال عليه السلام لهما حين راهما على ما هما عليه من التاخر والذود ما خطبكما ما شانكما فيما انتما عليه من التاخر
والذود ولم لا تباشران السقي كداب هولاء قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا ان لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها
عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لانا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والاصدار
لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسى عليه السلام الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عليه السلام
انما رحمهما لكونهما على الذياد والعفة وكونهم على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ
لا نسقي من الاسقاء ويصدر من المصدر والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرجال واما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى
وابونا شيخ كبير ابلاء منهما للعذر اليه في توليهما للسقي بانفسهما كانهما قالتا انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة
الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يقضي الناس
اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر انفا وروي ان الرجال كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا يقله
الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه السلام
زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فان الظاهر انه غب مشاهدة حالهما سارع الى السقي لهما وقد
روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عليه السلام سالهم دلوا من ماء
فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما ثم
تولى الى الظل الذي كان هناك فقال رب اني لما انزلت الي اي اي شيء انزلته الي من خير جل او قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة
المقام فقير اي محتاج لتضمنه معنى السؤال والطلب جيء بلام الدعاء لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي من خير عظيم وهو خير الدارين
صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما قيل هي
كبراهما واسمها صفورا او صفرى وقيل صغراهما واسمها صفيرا اذ جاءت به عقيب ما رجعتا الى ابيهما روي انه لما رجعتا الى ابيهما
قبل الناس واغنامهما حفل بطان وقال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي
وقوله تعالى تمشي حال من فاعل جاءت وقوله تعالى على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي اي جاءته تمشي على استحياء فمعناه انها
كانت على استحياء حالة المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير الاستحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء وقيل قد استترت
بكم درعها قالت استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية مجيئها اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت له عليه السلام فقيل قالت
ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه
من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روي انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها
فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليه السلام فلما جاءه وقص عليه القصص اي ما
جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي يلوح من ظاهر النظم
الكريم ان موسى عليه السلام انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برايه لا لياخذ بمعروفه
اجرا حسبما صرحت به الا ترى الى ما روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ولا ناخذ على
معروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول ولو اعده ذلك على سبيل التقبل بمعروف
سبق كيف لا وقد قص قصته وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بانه يضيف ويكرم لا سيما
في دار نبي من انبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه السلام ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي

عن عطا بن السايب انه رفع صوته بدعايه ليسمعه ولذلك قيل له ليجزيك الى اخره ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة
الى استدعايه لا لاستيفا الاجر قالت احداهما وهي التي استدعته الى ابيها وهي التي زوجها موسى عليه السلام يا ابت استاجره
اي لرعي الغنم والقيام بامرها ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق للاستيجار وللمبالغة في
ذلك جعل خيرا اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على مجرب روي ان شعيبا عليه السلام من قال الحجر ونزع الدلو
وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك ابنتي هاتين اي ان تكون اجيرا لي وتسليني من اجرته
كذا اذا اتيته اياه فقوله على ان تاجرني ثماني حجج على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل
عن المبرد انه يقال اجرت دارا اي ومملوك غير ممدود واجرت ممدودا والاول اكثر فعلى ذلك يكون المفعول الثاني محذوف
والمعنى ان تاجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا في الخدمة والعمل فمن عندك اي فهو عندك
بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عليه السلام عرض لرايه على موسى عليه السلام واستدعا منه
للعقد لا انشا وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر والمناقشة في مراعات الاوقات واستيفا الاعمال
واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في طاقته ويوزع رايك في مزاولته ستجدني ان شا الله
من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفا بالعهد مراده صلى الله عليه وسلم بالاستثنا التبرك به وتفويض امره الى
توفيقه لا تعليق صلاحه بمشيته تعالى قال ذلك بيني وبينك مبتدا وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قايم
وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى ايما الاجلين اي اكثرهما
او اقصرهما قضيت اي وفيتكه باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب
الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفا العدوان لكلا الاجلين لمصدر المشارطة بعدم تحقق العدوان في اكثرهما
راسا للقصد الى التسوية بينهما في الانتفا اي كما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني وايما الاجلين
قضيت فلا اثم علي بمعنى كما لا اثم علي في قضا الاكثر لا اثم علي في قضا الاقصر فقط وقري اي الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتاكيد
القضا كما انها في القراة الاولى مزيدة لتاكيد ابهام اي وشياعها وقري ايما بسكون اليا كقول من قال

تنظرت نصرا والسماكين ايهما ... علي من الغيث استهلت مواطره

والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عليهما
السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشا عقد النكاح وعقد الاجارة بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما
يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روي انهما لما اتما العقد
قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصا وكانت عنده عصي الانبيا عليهم السلام فاخذ
عصا هبط بها ادم عليه السلام من الجنة ولم تزل الانبيا يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا
فضن بها وقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت ادم عليهما السلام فكانت معه
حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتت بها فردها سبع مرات فلم
يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك
فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت الا
عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح
قال له شعيب صلوات الله عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا
اخشى عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا
بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا

ارتاح

ارتاح الى ذلك ولما رجع الى شعيب عليه السلام حبس الغنم فوجدها ملا البطون فاخبره موسى بالشان ففرح وعلم ان لموسى
والعصى شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعا فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم
ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت
ادرع ودرعا فوفى له بشرطه والفا في قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة اي فعقد العقد وباشر ما التزمه فلما اتم الاجل
وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روي انه عليه السلام قضى ابعد الاجلين عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على
العود الى مصر فاستاذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله انس من جانب الطور نارا اي ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا قال
لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه او جذوة اي عود غليظ سواء كانت في
راسه نار او لا قال قايلهم

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

والقى على قبس من النار جذوة ... عليها حرها والتهابها

وكذلك بين بقوله تعالى من النار وقري بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون فلما اتاها اي النار
التي انسها نودي من شاطئ الوادي الايمن اي اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام في البقعة المباركة متصل بالشاطئ
او صلة لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف
لفظا لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفا في قوله تعالى
فلما راها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحققها لولا تها اي فالقاها
فصارت ثعبانا فاهتزت فلما راها تهتز كانها جان اي في سرعة الحركة مع غاية ضخمها ولى مدبرا انهزم من الخوف ولم
يعقب اي لم يرجع يا موسى اقبل اي اقبل يا موسى ولا تخف انك من الامنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اي
اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك المبسوطتين لتتقي بهما
الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما في الجيب فيكون تكرير الغرض اخر
هو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جرأة ومبدا الظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا
ثعبانا استعارة من حال الطاير فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب اي من اجل الرهب اي اذا
عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا او ضبطا لنفسك وقري بضم الرا وسكون الها وبضمها والكل لغات فذانك اشارة الى العصا
واليد وقري بتشديد النون فالمخفف مثنى ذلك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل
اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمراة برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من التسليط وهو
الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن في قوله تعالى من ربك متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان اي كاينان منه
تعالى الى فرعون وملايه واصلان ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود الظلم والعدوان وان كانوا
احقا بان نرسلك اليهما بايتين المعجزتين الباهرتين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخي هارون
هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا اي معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدف وقري ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق
وتقرير الحجة بتوضيحها او بزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند الحاجة وقيل المراد تصديق القوم
لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقري يصدقني بالجزم على انه جواب الامر قال سنشد عضدك
باخيك اي سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد
ونجعل لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلا او محاجة باياتنا متعلق بمحذوف
به قد صرح به في مواضع اخر اي اذهبا باياتنا او بنجعل او بتسلطكما باياتنا واصحابه او بمعنى لا يصلون اي يمتنعون منهم بها وقيل

هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى
الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد
اذ هما اللتان اظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع وقد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى
اي سحر لم يفعل قبل هذا مثله وسحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اي
السحر او ادعاء النبوة في ابائنا الاولين او واقعا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ
قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة
الدار اي العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة ومزرعة لها والمقصود
بالذات منها الى الثواب واما العقاب فمن نتايج اعمال العصاة وسيآتهم وقرئ يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوزون
بمطلوب ولا ينجون عن محذور وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة
فكان من امرهم ما كان فاوقد لي يا هامان على الطين اى اصنع الاجر فاجعل لي منه صرحا اي قصرا رفيعا لعلي اطلع الى اله موسى كانه
توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الرقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين واراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع
الكواكب فيرى فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في
السموات والارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء
معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع
ما فيه من التعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو الانسب بالمقام
فاخذناه وجنوده عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم في اليم قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شان
الاخذ وتهويله واستحقار الماخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف فطرحهم في البحر ونظيره قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اى صيرناهم في عهدهم ايمة يدعون الناس الى النار الى ما يؤدي اليها من الكفر والمعاصي
اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال لما صرف اختيارهم الى تلك الحالة وقيل سميناهم ايمة دعاة الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قالا لا تناسب حينئذ ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم وتكون الدعوة الى نفس النار وقيل
معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم في
هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا تزال تلعنهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنون خلفا عن
السلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه
قاله ابن عباس رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيامة اما
متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين
ولقد اتينا موسى الكتاب اي التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام
والتعرض لبيان ان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيد لانزال القران على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرايع وانطماس اثارها واحكامها المؤدي الى
اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على ممر الدهور وترتيب
الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كانه قيل ولقد اتينا موسى التوراة على حين حاجة
الى ايتائها بصائر للناس اى انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الادراك بالكلية فان

البصيرة

البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر وهدى اي هداية الى الشرايع والاحكام
التي هي سبيل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر
والهدى والرحمة على حذف المضاف اي ذا بصائر الى اخره وقيل على العلة اي اتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة لعلهم
يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى
وما كنت بجانب الغربي شروع في بيان ان انزال القران الكريم ايضا واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد
صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن
يشاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم
يكفل مريم الاية اي وما كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه
او الجانب الغربي على اضافة الموصوف واقامة الصفة مقامه او الجانب الغربي على اضافة الموصوف كمسجد الجامع اذ قضينا الى موسى
الامر اي عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحي وايتاء التوراة وما كنت من الشاهدين اي من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون
المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبه التوراة له في الالواح فتخبره الناس ولكنا انشانا قرونا
اي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرايع والاحكام وعميت عليهم
الانباء لا سيما على اخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه قوله
تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته صلى الله عليه وسلم للقصة بالسماع ممن شاهدها اي وما كنت مقيما في
اهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى تتلوا عليهم اي تقرا على اهل مدين بطريق التعلم منهم اياتنا الناطقة بالقصة اما
حال من المستكن في ثاويا او خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الايات ونظايرها وما كنت بجانب الطور
اذ نادينا اي وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون ولكن رحمة من ربك اي ولكن
ارسلناك بالقران الناطق بما ذكر لغيره لرحمة عظيمة كاينة منا لك للناس وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات
الى اسم الرب للاشعار بعلية الرحمة وتشريفه صلى الله عليه وسلم بالاضافة وقد اكتفى عند ذكر المستدرك ههنا بذكر ما
يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا بما هو المقصود واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در شان التنزيل وقوله
تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من رسالته صلى الله عليه وسلم بالقران حتما لما انه المعلل بالانذار
لا تعليم ما ذكر وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما اي لم ياتهم نذير
لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسماية وخمسون سنة او بينك وبين اسماعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة
ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اي يتعظون بالتدارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء في اهل مدين والنداء للتنبيه
على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عليه الصلاة والسلام للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكر اولا للترتيب الوقوعي
لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في سورة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة بما قدمت ايديهم بما اقترفوا من
الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع
المعطوف عليه وانما ذكر في حيزها للايذان بانها السبب الملجي لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا
رسولا مويدا من عندك بالايات ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا ترى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلا
خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي فجرا فراد الفجور واشنع احاد
الالحاد حيث فنتبع اياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة
الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه
ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اي اهل مكة الحق من عندنا وهو القران المنزل عليه صلى الله عليه وسلم قالوا تعنتا

واقترحا لولا اوتي يعنونه صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتي موسى عليه السلام من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا
تعلق لهما بالمقام كساير معجزاته عليه السلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل رد عليهم واظهار يكون ما قالوه تعنتا محضا
لاطلبا لما يرشدهم الى الحق اي الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا
استيناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى ساحران خبر لمبتدا محذوف اي هما يعنون
ما اوتي محمدا صلى الله عليه وسلم وما اوتي موسى عليه الصلاة والسلام ساحران تظاهرا اي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الاخر
وذلك انهم بعثوا رهطا منهم الى روسا اليهود في عيد لهم فسالوهم عن شانه صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نجده في التوراة بنعته
وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا انا بكل اي بكل واحد من الكتابين كافرون
تصريح بكفرهم بهما وتاكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرا ساحران تظاهرا
يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم التنزيلي الجليل فتامل ودع عنك ما قيل وقيل الا
ترى الى قوله تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اوتياه من التوراة والقران وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر
وقوله تعالى اتبعه جواب للامر اي ان تاتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما ياتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان
بما هو اهدى من الكتابين امر من الاستحالة فيوسع دايرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اي في انهما سحران مختلفان
وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اي فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله
تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كان امره صلى الله عليه وسلم له بالاتيان
بما ذكر دعا لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعا بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعا عنده ذلك غالبا ولا يكاد يقال
له دعا فاعلم انما يتبعون اهواهم الزايغة من غير ان يكون لهم متمسك اصلا اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع
هواه استفهام انكاري للنفي لا اضل ممن تبع هواه بغير هدى من الله اي هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل
لا لنفي المساوي كما مر في نظايره مرارا وتقييد اتباع الهوى لعدم الهدي من الله تعالى لمزيادة التقرير والاشباع في التشنيع
والتضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى والاعراض عن الايات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرى بالتخفيف اي انزلنا القران عليهم
متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصايح لعلهم
يتذكرون فيؤمنون به الذين اتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل ايتا القران هم به يؤمنون وهم مومنوا اهل الكتاب وقيل
اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى اي القران عليهم قالوا امنا به انه
الحق من ربنا اي الحق الذي كنا نعرف حقيقته وهو استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من قبله اي من قبل نزوله
مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول القران
اوليك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم
على الايمانين وعلى الايمان بالقران قبل النزول او بعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرون بالحسنة
السيئة اي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل
الخير واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما لقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لهم لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدي هداية
موصلة الى البغية لا محالة من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد
معهود ولكن الله يهدي من يشا اي يهديه ويدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب
فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك

لصادق

لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند
الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع
الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك
على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب انما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما
امنا اي الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما امنا بحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم امنون يجبى اليه وقرى بالتاء اي يحمل
ويجلب اليه ثمرات كل شي من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا فاذا
كان حالهم ما ذكر وهم عبدة الاصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اي
جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون انه رزق
من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر موكد لمعنى يجبى اليه او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق
لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقا بان يخافوا باس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي
وكثيرا من اهل قرية كانت حالهم كحال هولا في الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم
خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا او الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يسكن من
يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وساير ذات ايديهم
وانتصاب معيشتها بنزع الخافض ويجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليها او بجعل مفعولا لبطرت
بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اي وما صح وما استقام
على استحال في سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمه الماضي وقضايه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت
عادته ان يهلكها حتى يبعث في امها اي في اصلها او قصبتها التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلوا عليهم
اياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع اياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى عطف على ما
كان ربك وقوله تعالى الا واهلها ظالمون استثنا مفرغ من اعم الاحوال اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد بعثنا في امها
رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية
لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة بني
اسرايل وما اوتيتم من شي من امور الدنيا فمتاع الحياة الدنيا وزينتها اي فهو شي شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلايل وما عند الله
وهو الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوايب الالم وبهجة كاملة عارية من سمة الهم وابقى لانه ابدي
افلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرى بالياء على الالتفات
المبني على اقتضا سو صنيعهم والاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اي وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن
الموعود فهو لاقيه اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك جي بالجملة المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفا
المنبية عن السببية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذي هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على
الانقطاع ومعنى الفا الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الاخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت الظاهر بسوى
بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة موكد لانكار التشابه مقرر
له كانه قيل كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيامة او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق
حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان او في الرتبة وقرى ثم هو بسكون الها تشبيها للمنفصل بالمتصل
ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول تفسير للندا اين شركاي الذين

كنتم تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم شركاى فحذف المفعولان معانقة بدلالة الكلام عليهما **قال** استيناف مبنى على حكاية
السؤال كانه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال **الذين حق عليهم القول** وهو شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين
اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم فى كل ما امروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق
مؤداه وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع
ايضا لانهم فى الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع
كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا
واما لان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء انما قالوه ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره **ربنا هؤلاء الذين اغوينا**
اى هؤلاء الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين
على انكاره ورده وقوله تعالى **اغويناهم كما غوينا** هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اى ما اكرهناهم على الغى وانما اغويناهم
بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة
واغويناهم الخبر **تبرأنا اليك** منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصى هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله
تعالى **ما كانوا ايانا يعبدون** اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اليك اى تبرأنا
من عبادتهم ايانا **وقيل ادعوا شركاءكم** اما تهكما بهم وتبكيتا لهم **فدعوهم** لفرط الحيرة **فلم يستجيبوا لهم** ضرورة عدم قدرتهم بل
الاستجابة والنصرة **ورأوا العذاب** قد غشيهم **لو انهم كانوا يهتدون** لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما
لقوا ما لقوا وقيل للتمنى اى تمنوا لو انهم كانوا مهتدين **ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين** عطف على ما قبله سئلوا اولا
عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك **فعميت عليهم الانباء يومئذ** اى صارت كالعمى عليهم لا تهتدى اليهم
واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس للمبالغة والتنبيه على ما يحضر الذهن انما يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة
الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه وهو المراد بالانباء اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل وجميع الانباء
وهى الحجة فضلا وابدا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم فى ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم
عن غائلة السؤال فما ظنك بالضلال من الامم **فهم لا يتساءلون** لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم
بان الكل سواء فى الجهل **فاما من تاب** من الشرك **وآمن وعمل صالحا** اى جمع بين الايمان والعمل الصالح **فعسى ان يكون من المفلحين**
اى الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجى من قبل التائب بمعنى فليتوقع
الافلاح **وربك يخلق ما يشاء** ان يخلقه **ويختار** ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه لا منع له اصلا **ما كان لهم الخيرة** اى التخير
كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفى الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا
عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل فى قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله
الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذى كان لهم فيه الخير والصلاح **سبحان الله** اى تنزه بذاته تنزها خاصا به من
ان ينازعه احد او يزاحم اختياره **وتعالى عما يشركون** عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به **وربك يعلم ما تكن صدورهم**
كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده **وما يعلنون** كالطعن فيه **وهو الله** اى المستحق للعبادة **لا اله الا هو** لا احد
يستحقها الا هو **له الحمد فى الاولى والآخرة** لانه المولى للنعم كلها عاجلها على الخلق كما انه يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى
الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده **وله الحكم** اى القضاء
النافذ فى كل شىء من غير مشاركة فيه لغيره **واليه ترجعون** بالبعث لا الى غيره **قل ارأيتم** تقرير لما ذكر اى اخبرونى **ان جعل الله**
عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما فى دلامص من الدلاص يقال درع دلاص اى ملساء
الى يوم القيامة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر **من اله غير الله** صفة لاله **يأتيكم بضياء** صفة له

اخرى

اخرى عليها بدوام التبكيت والالزام كما فى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما
خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الى آخره لابراز التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضياء
بهمزتين **افلا تسمعون** هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه **قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا**
الى يوم القيامة باسكانها فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الارض **من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه** استراحة من متاعب
الاشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع **افلا تبصرون** هذه
المنفعة الظاهرة التى لا تخفى على من له بصر **ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه** اى الليل **ولتبتغوا من فضله**
اى فى النهار بانواع المكاسب **ولعلكم تشكرون** ولكى تشكروا النعمة تعالى فعل ما فعل ولتعرفوا النعمة وتشكروه **ويوم يناديهم** منصوب
باذكر **فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون** تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شىء اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما
لا شىء ادخل فى مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى **ونزعنا** عطف على يناديهم وصيغة الماضى للدلالة على التحقق او حال من
فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشان النزع وتهويله اى اخرجنا **من كل امة** من الامم **شهيدا** نبيا
يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد **فقلنا** لكل من تلك الامم **هاتوا برهانكم** على صحة ما كنتم تدينون
فعلموا يومئذ **ان الحق لله** فى الالهية لا يشاركه فيها احد **وضل عنهم** اى غاب غيبة الضائع **ما كانوا يفترون** فى الدنيا من الباطل
ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى عليه السلام بن عمران بن قاهث وقيل
كان موسى عليه السلام ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان وقيل كان اقرأ بنى اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى
وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون فما لى وروى انه لما جاوز موسى بهم البحر وصارت الرسالة والحبورة
والقربان لهارون وجد قارون فى نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شىء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله تعالى
قال لا اصدقك حتى تأتى باية فامر رؤساء بنى اسرائيل ان يجىء كل واحد منهم بعصا فحزمها والقاها فى القبة التى كان الوحى ينزل لها
فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر
وقوله تعالى **فبغى عليهم** فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل وقيل حسدهم
وذلك كما ذكرناه فى حق موسى وهارون عليهما السلام **وآتيناه من الكنوز** اى الاموال المدخرة **ما ان مفاتحه** اى مفاتح صناديقه
وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها الفتح بالمفتح **لتنوء بالعصبة اولى القوة** خبر ان والجملة
صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء
المضاف حكم المضاف اليه كما مر فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين **اذ قال له قومه** منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بان
البغى ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو اظهر الفرح
ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه **لا تفرح** اى لا تبطر والفرح فى الدنيا
مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح
حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى هاهنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا **ان الله لا يحب الفرحين** اى بزخارف
الدنيا **وابتغ** وقرئ واتبع **فيما آتاك الله** من الغنى **الدار الآخرة** اى ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه **ولا تنس**
اى لا تترك ترك المنسى **نصيبك من الدنيا** وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك **واحسن** اى الى عباد الله تعالى **كما**
احسن الله اليك فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام **ولا تبغ الفساد فى الارض**
نهى عما كان عليه من الظلم والبغى **ان الله لا يحب المفسدين** لسوء افعالهم **قال** مجيبا لناصحه **انما اوتيته على علم عندى** كأنه
يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله
اى فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم فى موقع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل

هي الكيميا وقيل هي علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفاين وعندي صفة له او متعلق باوتيته
كقولك جاهدا عندي وفي ظني ورايي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ
له من حيث عز وجل علي اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراة في التوراة وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ
التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرا التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به ورد
لادعايه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل
عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها كان قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك
بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اوليك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه
عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كاينا في زينته
قيل خرج على بغلة شهبا عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب هو واربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر
وعن يمينه ثلثماية جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم روي فيه المعصفر
قال الذين يريدون الحياة الدنيا من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا انه لذو حظ
عظيم تعليل لتمنيهم وتاكيد له وقال الذين اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والاخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الاخرة
تنبيها على ان العلم باحوال النشاتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم
بها كما ينبغي ويلكم دعا بالاهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الاخرة خير مما تمنونه لمن امن وعمل صالحا
فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه ولا يلقاها في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات وعن الشهوات
فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه على كل الف على واحد
فحسبه واستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طشتا من ذهب
مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه فقال من سرق قطعنا يده ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال
قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت
جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه
ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي
فليعتزل له فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى
وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم
انما دعا عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فية جماعة مشفقة ينصرونه
من دون الله يدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي من الممتنعين عنه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي
منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر اي يفعل كل واحد من البسط والقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض ويكان عند
البصريين مركب من وي وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الى اخره وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وان
وتقديره ويك اعلم ان الله وانما استعمل عند التنبيه على الخطا والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطايهم في تمنيهم وتندموا على
ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطايه ايانا ما تمنينا واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقري لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف
به وقري لخسف بنا على البنا للمفعول وبنا هو القايم مقام الفاعل وقري لانخسف بنا كقولك انقطع به وقري لتخسف بنا
ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا به من ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة اشارة

تعظيم

تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي غلبة وتسلطا
ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كداب فرعون وقارون وفي تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير
منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة للمتقين
اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الاقوال والافعال من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا
ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القران
اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد اي معاد تمتد اليه اعناق الهمم وترنوا اليه احداق الامم وهو المقام المحمود
الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده
اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابايه وحرم ابراهيم عليه السلام
فنزل جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب
والنصرة ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب
والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي سنردك
الى معادك كما القي اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى
كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم
ولا يصدنك اي الكافرون عن ايات الله اي عن قراتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئت عليك وقري يصدنك من اصده
المنقول من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله
الها اخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته صلى الله عليه وسلم لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح
والسرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه كاينا ما
كان ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم اي القضا النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزا بالحق والعدل
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا
شهد له يوم القيمة بانه كان صادقا

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كما الذي مر مرارا في نظايره من الفواتح المكرمة خلا ان ما
بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان ونظايره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجملة المفيدة
لثبوت شي لشي او انتفا شي من شي بحيث يتحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة
بان والواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا امنا وان يقال احسبوا تركهم
غير مفتونين بقولهم امنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان للزكاة واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة
والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظايف الطاعات وفنون المصايب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في
الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان من خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي
انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابوه وامراته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم

متصل بقوله تعالى احسب او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم
كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هولاء فصبروا كما
يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله الايات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد
كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من عظم
وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه **فليعلمن الله الذين امنوا** صدقوا اي في قولهم امنا **وليعلمن الكاذبين** في ذلك والفاء لترتيب ما
بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية
المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي والله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي
اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين
وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعلمن فهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها **ام حسب الذين
يعملون السيات ان يسبقونا** اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على
مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى
التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسياتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا
نفوسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله
اخلده **ساء ما يحكمون** اي بيس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بيس حكما يحكمونه حكمهم ذلك **من كان يرجوا لقاء الله** اي يتوقع ملاقاة
جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيامة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل
لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على
سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضده لما يسخطه **فان
اجل الله** الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي
فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك **لآت** لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم
دايما ولا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما
يودي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الاية وفيه من
الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى **وهو السميع** لاقوال العباد
العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والباطنة **ومن جاهد** في طاعة الله عز وجل **فانما يجاهد لنفسه** لعود منفعتها اليها **ان الله
لغني عن العالمين** فلا حاجة الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم بالثواب بموجب رحمته **والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سياتهم** الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات **ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون** اي احسن جزاء اعمالهم
لا جزاء احسن اعمالهم فقط **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن وما هو في حد ذاته
حسن لفرط حسنه لقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المامور به نفع
عايد الى المامور وغيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول
مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف بما بوالديه وقرئ حسنا واحسانا **وان
جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم** اي بالهيته عبر عنها بنفي العلم بها للايذان لان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لا
يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه **فلا تطعهما** في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما
قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية **الي
مرجعكم** اي مرجع من امن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق **فانبئكم بما كنتم تعملون** بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير

وان شرا فشر والاية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا ينتقل من
الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب ولا تاوي سقفا حتى يراك فاخرج معنا وقيل انه في الغدوة والعاد ب فاستشار عمر رضي
الله عنه فقال عمر انهما يجد عانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زال الابه حتى اطاعها وعصى عمر فقال عمر رضي الله عنه اما اذا
عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال الا وان ناقتي قد كلت فاحملني
معك فنزل ليوطي لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلداه كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب
حتى ترجع عن دين محمد **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين** اي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال
والصلاح منتهى درجات المومنين وغاية مامول انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين وقال في حق ابراهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة **ومن الناس من يقول
امنا بالله فاذا اوذي في الله** اي في شانه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان **جعل فتنة الناس** اي ما يصيبه من اذيتهم **كعذاب
الله** في الشدة والهول فيشتد فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذاب الله تعالى اصلا **ولين جاء نصر من ربك** اي
نصر او غنيمة **ليقولن** بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح **انا كنا معكم** اي مشايعين
لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مستهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من
المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى **اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين** اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق
حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق
من قوله تعالى **وليعلمن الله الذين آمنوا** اي بالاخلاص **وليعلمن المنافقين** سواء كان كفرهم باذية الكفرة او لا اي ليجزينهم
بما لهم من الايمان والنفاق **وقال الذين كفروا للذين آمنوا** بيان لحملهم للمومنين على الكفر لاستمالة بعد بيان حملهم له عليه
بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جناياتهم وفيما سبق لبيان جناية من اصلوه واللام
للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم **اتبعوا سبيلنا** اي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في
الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش اخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه اي واتبعونا في طريقتنا **ولنحمل
خطاياكم** اي ان كانت ذلك خطيئة يواخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع
للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى **وما هم بحاملين من
خطاياهم من شيء** وفرع من خطاياهم اي وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموها ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين
والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض او حال **انهم لكاذبون** وحيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على
انجازه وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى انبئوني
باسماء هولاء ان كنتم صادقين **وليحملن اثقالهم** بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الاخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم
منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة فاللام جواب قسم مضمر اي وبالله
ليحملن اثقال انفسهم كاملة **واثقالا مع اثقالهم** لما تسببوا له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من
اثقال من اضلوه شيء اصلا **وليسئلن يوم القيمة** سؤال تقريع وتبكيت **عما كانوا يفترون** اي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب
والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما** شروع في بيان
افتتان الانبياء عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المومنين باذية الكفار وتاكيدا للانكار على الذين يحسبون ان
يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره
وصبروا عليها فلان يصبر هولاء اولى واحرى قال كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة
وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد تطلق على ما

يعهد عند ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته
على ما كان عليه من مكابدة لما يناله من الكفرة واظهار ركاكة راى الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميز لنا
في التكرير من نوع بشاعة **فاخذهم الطوفان** اى عقب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشئ على كثرة
وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء **وهم ظالمون** اى والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما
سمعوا من نوح عليه السلام من الايات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية **فانجيناه** اى نوحا عليه
السلام **واصحاب السفينة** اى ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية
نصفهم ذكور ونصفهم اناث **وجعلناها** اى السفينة او الحادثة والقصة **اية للعالمين** يتعظون بها **وابراهيم** نصب بالعطف
على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم **اذ قال لقومه** على الاول ظرف للارسال اى وارسلناه
حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق
الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم **اعبدوا الله** اى وحده **واتقوه** ان تشركوا به شيئا **ذلكم** اى ما ذكر من العبادة والتقوى
خير لكم اى مما انتم عليه والمعنى التفضيل مع انه لا خير فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل **ان كنتم تعلمون** اى الخير والشر
وتميزون احدهما من الاخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة
والتقوى **انما تعبدون من دون الله اوثانا** بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى دين الحق اى
انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك **وتخلقون افكا** اى وتكذبون كذبا
حيث تسمونها الهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد وللتكثير
في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب
او نعت بمعنى خلقا ذا افك **ان الذين تعبدون من دون الله** بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا **لا
يملكون لكم رزقا** اى لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق **فابتغوا عند الله الرزق** كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين
واعبدوه وحده **واشكروا له** على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد **اليه ترجعون**
اى بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا **وان تكذبوا** اى وان تكذبوني فيما اخبرتكم به من
انكم اليه ترجعون **فقد كذب امم من قبلكم** تعليل للجواب اى فلا تضرونني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي
من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب
فكذا تكذيبكم **وما على الرسول الا البلاغ المبين** اى التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه البتة وقد خرجت
عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك اصلا **اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق** كلام مستانف سيق
مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب
لتقريرها والواو للعطف على مقدر اى الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى
الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اى قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتاكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى
ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز
العطف على يبدئ بتاويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشاه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان
ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب **ان ذلك** اى ما ذكر من الاعادة **على الله يسير** اذ لا يفتقر في فعله
الى شئ اصلا **قل سيروا في الارض** امر لابراهيم عليه السلام اى يقول لهم ذلك اى سيروا فيها **فانظروا كيف بدأ الخلق**
اى كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبايع متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال
اصناف الخلق القاطنين في اقطارها **ثم الله ينشئ النشأة الاخرة** بعد النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة

التي

التي هي محل النزاع بالنشأة الاخرة المشعرة بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على انهما شان واحد من شؤون الله تعالى
حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود ولا فرق بينهما الا بالاولية والاخروية وقرئ النشاءة
بالمد وهما لغتان كالرافة والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف
العامل اى ينشئ فينشؤون النشأة الاخرة كما في قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض
داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة
بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى **ان الله على كل شئ قدير** تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته
تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعدما اخبر به **يعذب** اى
بعد النشأة الاخرة **من يشاء** ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما **ويرحم من يشاء** ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة
تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب **واليه تقلبون** عند ذلك لا الى غيره
فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة **وما انتم بمعجزين في الارض** له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض **ولا في
السماء** اى في التهادي في الارض والهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله
تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف
معطوف على بمعجزين اى ولا من في السماء **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض
او ينزل من السماء ويدفعه عنكم **والذين كفروا بايات الله** اى بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته
وافعاله فيدخل فيه النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والايات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته
تعالى لا يناسب المقام **ولقائه** الذي ينطق به تلك الايات **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الكفر باياته تعالى ولقائه
يئسوا من رحمتي اى ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او يئسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث
والجزاء واولئك لهم عذاب اليم وفي تكرار اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على
تكرر فظاعة حالهم ما لا يخفى اى **واولئك** الموصوفون بالكفر بايات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك
عن سائر الكفرة **لهم** بسبب تلك الاوصاف القبيحة **عذاب اليم** لا يقادر قدره في الشدة والايلام **فما كان جواب
قومه** بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى **الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه** وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه
في نظايره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر
من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من
الخرافات والاباطيل ما لا يخفى **فانجاه الله من النار** الفاء فصيحة اى فالقوه في النار فانجاه الله تعالى بان جعلها عليه الصلاة
والسلام بردا وسلاما حسبما بين في مواضع اخر وقد مر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه السلام فيها وانجائه
الله تعالى تفضلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا **ان في ذلك** اى في انجائه منها **لايات** بينة عجيبة هي حفظه
تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها **لقوم يؤمنون** واما من عداهم فهم عن اجتلائها
غافلون ومن الفوز بمغانم اثارها محرومون **وقال** اى ابراهيم مخاطبا لهم **انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم
في الحياة الدنيا** اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف
اى اوثانا الهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او بتاويلها بالمودودة منونة منصوبة ناصبة للظرف
وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اى هي مودودة او نفس المودة او بسبب مودة بينكم والجملة صفة
اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة فيه
بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في

في الحياة وقد اجريتم احكامه حيث فعلتم ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصار امنيي كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا الهتكم ثم يوم القيمة تنقلب الامور ويتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم ببعض وهم العبدة بعض وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الاخر وماواكم النار اي هي منزلكم الذي تاوون اليه ولا ترجعون عنه ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي ما لاحد منكم من ناصر اصلا فآمن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل من انه امن له حين راى النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا وعلى ان يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهي التي لا يرتقي اليها الا همم الافراد ولوط هو ابن اخيه عليهما السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي الى حيث امرني انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا فيه حكمة ومصلحة فلا يامرني الا بما فيه صلاحي وروي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحاق ويعقوب ولدا وحين يئس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اي جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة واتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى اخر الدهر وانه في الاخرة لمن الصالحين اي الكاملين في الصلاح ولوطا اما منصوب بالعطف على نوحا او على ابراهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه كالذي مر في قصة ابراهيم انكم لتاتون الفاحشة اي الخصلة المتناهية في القبح وقرئ اينكم ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تستقذره الطباع وتنفر منه النفوس اينكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة وروي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتاتون في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصا والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي فما كان جوابا من جهتهم بشيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الاية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم الاية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف قال رب انصرني اي بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اي بالبشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فهلا من لم يتعرض له ابراهيم عليه السلام من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشانهم اتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم ابراهيم عليه السلام لوطا سيء بهم

اي اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان لتاكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي الى ان ال به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد لا تخف اي من قومك علينا ولا تحزن اي على شيء وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امراتك كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء واياما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اي من القرية اية بينة هي قصتها العجيبة واثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الاخر اي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاحوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تامنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها للهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم ومنازلهم والافراد لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ ثمود اي الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اي وقد ظهر لنا اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذاهبا الى الشام وايبا منه وزين لهم الشيطان اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او مبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا وقيل تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي كل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاستمرار على ما يوجب من ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التانيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجمع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا ترى شيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون اي شيئا من الاشياء لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله الى اخره وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم وما للنفي اونافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا من هذا

شانه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شي البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية
كالمعدوم البحت وان من هذا صفاته قادر على مجازاتهم **وتلك الامثال** اي هذا المثل وامثاله **نضربها للناس** تقريبا لما بعد من
افهامهم **وما يعقلها** على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوايد **الا العالمون** الراسخون في العلم المتدبرون في الاشيا على
ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه **خلق الله السموات
والارض بالحق** اي محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية
والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شوونه تعالى المتعلقة بذاته
وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى **ان في ذلك لاية للمومنين** دالة على ما ذكر من شوونه سبحانه وتخصيص المومنين بالذكر مع عموم الهداية
والارشاد في خلقها للكل لانهم المنتفعون بذلك **اتل ما اوحي اليك من الكتاب** تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكيرا لما في تضاعيفه
من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الاداب ومكارم الاخلاق **واقم الصلاة** اي داوم على
اقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة الموداة بالجماعة وكان امره صلى الله عليه وسلم باقامتها متضمنا لامر الامة
بها علل بقوله تعالى **ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر** كانه قيل وصل بهم ان الصلاة تنهاهم عن الفحشا والمنكر ومعنى نهيها عنهما
انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض عن كل معاصيه قال ابن مسعود وابن
عباس رضي الله عنهم في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته
من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر فصلاته وبال عليه وروي انس رضي الله عنه ان
فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله **ولذكر الله اكبر** اي وللصلاة اكبر من ساير الطاعات وانما عبر عنها كما
في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكره تعالى هو العمدة في كونها متفضلة على الحسنات ناهية عن السيات
ولذكر الله تعالى عند الفحشا والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه
بطاعته **والله يعلم ما تصنعون** منه ومن ساير الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة **ولا تجادلوا اهل الكتاب** من اليهود والنصارى
الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والمسورة بالاناة
على وجه الذي لا يودي الى الضعف ولا يودي الى اعطا الدنيا الدنية وقيل منسوخ باية السيف **الا الذين ظلموا منهم** بالافراط
في الاعتدا والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينيذ المدافعة بما يليق بحالهم **وقولوا آمنا
بالذي انزل الينا** من القران **وانزل اليكم** اي وبالذي انزل اليكم من التوراة والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة
سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا
لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم **والهنا والهكم واحد** لا شريك له في الالوهية **ونحن له مسلمون** مطيعون له خاصة وفيه
تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله **وكذلك** تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك
الانزال البديع الموافق لانزال ساير الكتب **انزلنا اليك الكتاب** اي القران الذي من جملته هذه الاية الناطقة بما ذكر من المجادلة
بالحسنى **فالذين اتيناهم الكتاب** من الطايفتين **يومنون به** اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كان
من عداهم لم يوتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما
شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتا الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم
الكتاب بالنسخ فلم يوتوه والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور **ومن هولا** اي من العرب
او من اهل مكة على الاول او ممن في عصره صلى الله عليه وسلم على الناس **من يومن به** اي من القران **وما يجحد باياتنا** عبر عن الايات

بالكتاب للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من
يجحد بها **الا الكافرون** المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التامل فيما يوديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم
كعب بن الاشرف واصحابه **وما كنت تتلوا من قبله** اي ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيا **من كتاب ولا تخطه**
لا تقدر على ان تخطه **بيمينك** حسبما هو المعتاد او ما كنت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه **اذا لارتاب المبطلون** اي لو كنت ممن
تقدر على التلاوة والخط او ممن يعتاده لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوايل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شانك
منشا ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور
نزاهته عليه السلام عن ذلك **بل هو** اي القران **ايات بينات** واضحات ثابتة راسخة **في صدور الذين اوتوا العلم** من غير ان
يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه **وما يجحد باياتنا** مع كونها كما ذكر **الا الظالمون** المتجاوزون للحدود في
الشر والمكابرة والفساد **وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه** مثل ناقة صالح وعصى موسى ومايدة عيسى عليهم السلام وقرى
اية **قل انما الايات عند الله** ينزلها حيث ما شا من غير دخل لاحد في ذلك قطعا **وانما انا نذير مبين** ليس من شاني الا الانذار
بما اضيفت من الايات **اولم يكفهم** كلام مستانف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم اية مغنية عن ساير الايات **انا انزلنا عليك الكتاب** الناطق
بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها **يتلى عليهم** في كل زمان ومكان فلا يزال
معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من
نعتك ونعت دينك **ان في ذلك** الكتاب العظيم الشان الباقي على ممر الدهور **لرحمة** اي نعمة عظيمة **وذكرى** اي تذكرة
لقوم يومنون اي لقوم همهم الايمان لا التعنت كاوليك المقترحين وقيل ان ناسا من المومنين اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكتف فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت **قل كفى بالله بيني
وبينكم شهيدا** بما صدر عني وعنكم **يعلم ما في السموات والارض** اي من الامور التي من جملتها شاني وشانكم فهو تقرير لما قبله
من كفايته تعالى شهيدا **والذين آمنوا بالباطل** وهو ما يعبد من دون الله سبحانه **وكفروا بالله** مع تعاضد موجبات الايمان به تعالى
اوليك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية
الموجبة للايمان والاية من قبيل المجادلة التي هي احسن لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على
منهاج الاسلام كما في قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين **ويستعجلونك بالعذاب** على طريقة الاستهزا بقولهم
متى هذا الوعد وقوله امطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم ونحو ذلك **ولولا اجل مسمى** قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه
في اللوح لعذاب الاستيصال وان يوخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنايهم باجالهم وفيه بعد ظاهر
لانهم ما كانوا يوعدون بفنايهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به **لجاهم العذاب وليأتينهم** جملة مستانفة مبينة لما اشير اليه
في الجملة السابقة من مجي العذاب عند محل الاجل اي وبالله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الاجل **بغتة** اي فجاة **وهم
لا يشعرون** اي باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا ياتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسولهم فان ذلك
اتيان برايهم وشعورهم لا انه ياتيهم وهم غارون امنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا
وهم نايمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الاخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل **يستعجلونك بالعذاب وان
جهنم لمحيطة بالكافرين** استيناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رايهم وفيه دليل على ان ما استعجلوه عذاب الاخرة اي
يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب انه لمحيط بهم اي
سيحيط بهم وانما جي بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمراره وتنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر
والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة ظهرت في هذه النشاة بهذه الصورة وقد

من تفصيله في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر
اما للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا **يوم يغشاهم العذاب** ظرف لمضمر قدم طوي ذكره ايذانا بغايته
كثرته وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا تفي
به المقال وقيل ظرف للاحاطة **من فوقهم ومن تحت ارجلهم** اي من جميع جهاتهم **ويقول** اي الله عز وجل وبعضده القراة بنون
العظمة او بعض ملائكته بامره **ذوقوا ما كنتم تعملون** اي جزا ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيات التي من جملتها
الاستعجال بالعذاب **يا عبادي الذين آمنوا** خطاب تشريف لبعض المومنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي
لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم **ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون** اي اذا لم تتسهل لكم العبادة في بلد ولم تتيسر
لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتيسر لكم ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب
الجنة وكان رفيق ابراهيم عليه السلام ومحمد عليه السلام والفا جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا له
العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص
كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستانفة جي بها حثا على المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس من النفوس
واجدة حرارة الموت وكونه واصلة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالنا فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد
لها وقرى يرجعون **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم** لننزلنهم **من الجنة غرفا** اي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة
وقرى لنثوينهم من الثوا بمعنى الاقامة وانتصاب غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت
بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم **تجري من تحتها الانهار** صفة لغرفا **خالدين فيها** اي في الغرف او في
الجنة **نعم اجر العاملين** اي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرى فنعم **الذين صبروا**
اما صفة للعاملين او نصب على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق **وعلى ربهم
يتوكلون** ولم يتوكلوا فيها يأتون ويذرون الا على الله تعالى **وكاين من دابة لا تحمل رزقها** روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر
المومنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدا ليس لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها
لضعفها ولا تدخره انما تصبح ولا معيشة عندها **الله يرزقها واياكم** ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم
سوا في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة **وهو السميع**
البالغ في السمع فيسمع قولكم هذا **العليم** البالغ في العلم فيعلم ضمائركم **ولئن سالتهم** اهل مكة **من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله** اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التسوية فيه **فانى يوفكون** انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم
العمل بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير **الله
يبسط الرزق لمن يشا** ان يبسطه له **من عباده ويقدر له** اي يقدر لمن يشا ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير منهم حسب
ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسطه له على التعاقب **ان الله بكل شي عليم** فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسط ومن يليق بقدره
له فيقدره له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته **ولئن سالتهم
من نزل من السما ما فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله** معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم
انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على اي شي ما اصلا **قل الحمد لله** على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ
المبطلون على جحوده وان اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده **بل اكثرهم لا يعقلون**
اي شيا من الاشيا فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك
عند مقالهم هذا **وما هذه الحياة الدنيا** اشارة تحقير وازدرا للدنيا وكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا
تزن جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ما **الا لهو ولعب** اي الا كما يلهو ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به

580

ساعة ثم يتفرقون عنه **وان الدار الآخرة لهي الحيوان** اي لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفنا عليها او
في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي به سمي ذو الحياة واصله حييان فقلبت اليا الثانية واوا لما في بنا فعلان من معنى
الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة **لو كانوا يعلمون** اي لما اثروا
عليها الدنيا التي اصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال **فاذا ركبوا في الفلك**
متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلا على الشي المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال
والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان الركوب في نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية
كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا في البحر ولقوا شدة **دعوا الله مخلصين له الدين** اي
كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المومنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو **فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون** اي فاجأوا المعاودة الى الشرك **ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا** اي يفعلون الاشراك ليكونوا
كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجا التي حقها ان يشكروه **فسوف يعلمون** اي عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب **اولم
يروا** اي اولم ينظروا ولم يشاهدوا **انا جعلنا** اي بلدهم **حرما آمنا** مصونا عن النهب والتعدي سالما اهله من كل سو **ويتخطف
الناس من حولهم** اي والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب **افبالباطل يومنون**
اي ابعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يومنون دون الحق **وبنعمة الله يكفرون** وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون
به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوه **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** بان زعم ان له شريكا اي هو
اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم الاعلى نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا **او كذب بالحق لما جاءه** اي
بالرسول او بالقران وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اثر ذي اثير **اليس في جهنم
مثوى للكافرين** تقرير لثوائهم فيها كقول من قال ✻ الستم خير من ركب المطايا ✻ اي الا يستوجبون
الثوا فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافترا على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح وانكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافترا
والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترءوا هذه الجراة **والذين جاهدوا فينا** اي في
شاننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة **لنهدينهم سبلنا** سبل السير الينا والوصول
الى جنابنا ولنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم **وان الله لمع المحسنين** بالنصرة والمعونة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العنكبوت كان له
من الاجر عشر حسنات بعدد كل المومنين والمنافقين والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **الم** الكلام فيه كالذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة **غلبت الروم
في ادنى الارض** اي ادنى ارض العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم من العرب على ان
اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرى
في ادانى **وهم** اي الروم **من بعد غلبهم** اي من بعد مغلوبيتهم وقرى بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب **سيغلبون** اي سيغلبون
فارس **في بضع سنين** روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح
المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم
فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل
بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر به ابو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادة في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع

سنين ومات ابي بن خلف من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند راس سبع سنين وذلك يوم الحديبية
وقيل كان يوم النصر يوم بدر للفريقين واخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان
ذلك قبل تحريم القمار وهذه الايات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القران من عند الله عز وجل حيث اخبرت عن
الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت في ريف
الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم واضافة الغلب حينئذ الى
الفاعل **لله الامر من قبل ومن بعد** اي في اول الوقتين وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم
مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا منهم من كونهم مغلوبين اولا وغالبين اخرا ليس الا بامر الله تعالى
وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى
اولا واخرا **ويومئذ** اي يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم **يفرح المؤمنون بنصر الله** وتغليبه من له كتاب
على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس
وقيل بنصره تعالى انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وحل كل منهما شوكة الاخر وفي ذلك قوة وعن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب
لقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد **ينصر من يشاء وهو العزيز** المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان
الرحيم المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لما ان كلا
الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخرى فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد بها نصرهم الذي هو
من اثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار **وعد الله** مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه قيل
وعد الله وعدا **لا يخلف الله وعده** اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والاخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار
لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا
غير مخلف **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** اي ما سبق من شؤونه تعالى **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا** وهو ما يشاهدونه من زخارفها
وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم
بملاذها كما قيل فانهما ما علموه منها بل من افعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم اي
يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا **وهم عن الاخرة** التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى **هم غافلون** لا يخطرونها بالبال
ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما سياتي والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية
للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد
على تمكن غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم
عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة
دون احوالها التي هي من مبادي العلم بامور الاخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى **اولم يتفكروا في انفسهم**
ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق امره وتصوير حال المتفكر وقوله تعالى **ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما** الى اخره متعلق اما بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا اي اعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط او قصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر في
قلوبهم فيعلموا ان الله تعالى ما خلقها وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء **الا ملتبسة بالحق** او يقولوا
هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض
الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته

واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحياة الابدية ومجازاتهم بحسب اعمالهم غب
ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم
فيما نصب في المصنوعات من الدلائل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان
عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى **واجل مسمى** عطف على الحق
اي وباجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز ان يكون قوله تعالى في
انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشؤونها واخبر باحوالها منهم باحوال
ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهائها الى وقت
يجازيها الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار
على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان
هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الاجراء تعكيس للامر فتدبر وقوله
تعالى **وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال الاخرة
والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه
تعالى وجزائه بالبعث **اولم يسيروا** توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير
المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا **في الارض** وقوله تعالى **فينظروا** عطف على يسيروا
داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا **كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** من الامم المهلكة
كعاد وثمود وقوله تعالى **وكانوا اشد منهم قوة** الى اخره بيان لمبدا احوالهم ومآلها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا
حيث كانوا اشد منهم قوة **واثاروا الارض** اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك
وعمروها اي عمروها اولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها **اكثر مما عمروها** اي عمارة اكثر كما
وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهؤلاء اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا
مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب في اكناف الارض
باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجؤون الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس **وجاءتهم رسلهم بالبينات** بالمعجزات والايات
الواضحات **فما كان الله ليظلمهم** اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله تعالى ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن
ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى
عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة ال عمران **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بان
اجترؤا على اقتراف ما يوجب من المعاصي العظيمة **ثم كان عاقبة الذين اساؤا** اي عملوا السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم
للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم **السوأى** اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها
تانيث الاسوأ كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء وهي مرفوعة على انها
اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى **ان كذبوا بايات الله** علة لما اشير اليه من تعذيبهم
الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا او بان كذبوا بايات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله
تعالى **وكانوا بها يستهزؤن** عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره
وتجدده وهذا هو اللائق بجزالة النظم الكريم وقد قيل وقيل **الله يبدؤا الخلق** اي ينشئهم **ثم يعيده** بعد الموت بالبعث **ثم
اليه ترجعون** اي موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء **ويوم تقوم الساعة** التي هي وقت

اعادة الخلق ورجعهم اليه **يبلس المجرمون** اي يسكتون متحيرين لا ينطقون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا الحجه واسكته **ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء** يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا **وكانوا بشركائهم كافرين** بسببهم وليس بذلك اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها **ويوم تقوم الساعة** اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى **يومئذ يتفرقون** تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمين خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الاخر بل تفرقهم الى فريقي المومنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون** تفصيل وبيان لاحوال الفريقين والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الاقاويل لاحتمال وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة سماع فقال صلى الله عليه وسلم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدردا رضي الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة اشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا **واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا** التي من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل **ولقاء الاخرة** صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الايات للاعتناء بامره وقوله تعالى **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب باياته تعالى وبلقاء الاخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد للمشار اليه لبعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما فصل من القبائح **في العذاب محضرون** على الدوام لا يغيبون عنه ابدا **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون** اثر ما بين حال فريقي المومنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالايات وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجي من الثاني ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الاول على الثاني لما ان التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه عما ذكر سبحانه اي تسبيحه اللائق به في هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض في معنى الامر به على ابلغ وجه واكده وتوسيط بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الايات والاحاديث وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من ايات قدرته تعالى واحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك انه ليس من الاوقات التي تختلف فيها احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما في المساء والصباح فظاهر واما في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلاة لاشتمالها عليهما وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء

وتصبحون

وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن رضي الله عنه الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي اخره هن خمس صلوات في كل يوم وليلة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وتصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه **يخرج الحي من الميت** كالانسان من النطفة والطير من البيضة **ويخرج الميت من الحي** النطفة والبيضة من الحيوان **ويحيي الارض** بالنبات **بعد موتها** بيبسها **وكذلك** مثل ذلك الاخراج **تخرجون** من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي **ومن اياته** ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها **ان خلقكم** اي في ضمن خلق ادم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا **من تراب** لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم وصفاتكم **ثم اذا انتم بشر تنتشرون** اي فاجاتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية **ومن اياته** الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء **ان خلق لكم** اي لاجلكم **من انفسكم ازواجا** فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع ادم عليه السلام متضمن لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس اخر وهو الاوفق لقوله تعالى **لتسكنوا اليها** اي لتالفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر **وجعل بينكم** اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل وبين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء ويابا قوله تعالى **مودة ورحمة** فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم وقيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا **ان في ذلك** اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته **لايات** عظيمة لا يكتنه كنهها ولا يقادر قدرها **لقوم يتفكرون** في تضاعيف تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن اياته بل هي مشتملة على ايات شتى **ومن اياته** الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزاء **خلق السموات والارض** اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك اما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا **واختلاف السنتكم** اي لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه ووضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه **والوانكم** بياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهياتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمييز بين الاشخاص حتى ان التوامين مع توافق موادهما واسبابهما والامور المتلاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الايات الافاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الايات الانفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق في خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم **ان في ذلك** اي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان **لايات** عظيمة في نفسها كثيرة في عددها **للعالمين** اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الايات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة **ومن اياته منامكم بالليل والنهار** لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية **وابتغاؤكم من فضله** فيهما فان كلا من

المقام واتبعا الفصل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني ومنامكم بالليل وابتغاوكم
بالنهار كما هو المعتاد لسائر الايات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينتين الاولين بالقرينتين الاخيرتين لانهما زمان والزمان
مع ما وقع فيه كشئ واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي شانهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم
واستبصار حيث يتاملوا في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شوونه تعالى ومن اياته يريكم البرق الفعل اما مقدر
بان كما في قول من قال ٭ الا ايهذا الزاجري احضر الوغا ٭ اي احضر او ينزل منزلة المصدر وبه فسروا المثل المشهور
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او هو على حاله صفة لمحذوف اي ايه يريكم بها البرق كقول من قال
٭ وما الدهر الا تارتان فمنهما ٭ اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ٭
اي فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن اياته شئ وسحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث
او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراتهم البرق مستلزمة لرويتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف
نحو اراده خوف وطمع او على تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها
وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها بيبسها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فانها من الظهور
بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره اي
لارادته تعالى بقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادئ والاسباب وليس المراد باقامتهما انشا
لانها قد بين حاله بقوله تعالى ومن اياته خلق السموات والارض واقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمة انشائهما
وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الاية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما
عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى فما قيل ما خلق الله السموات والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الاية متاخرة
عن سائر الايات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بالبعث بوقوع البعث ووجوده انقضاء اجل قيامهما مترتب على تعداد اياته
الدالة عليه غير منتظم في سلكها كما قيل كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض على هيئتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله
تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم بعد انقضاء الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال ايها الموتى اخرجوا فاجاتم الخروج
منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل
الوادي فطلع الي لا بيخرجون لان ما بعد اذ لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من في السموات والارض من الملايكة والثقلين خلقا
وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له قانتون اي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شان من شؤونه
تعالى وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده بعد موتهم وتكريرهم لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه
اي بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سوا وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما
انها مؤولة بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشا بطريق التفضيل الذي يتحير فيه الفاعل
بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشا المتردد بين
الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد بما هونية الفعل وقربه الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية الى الفاعل
الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل سهولة تاتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا
تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى العجيب
الشان من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره
بقوله لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية في السموات والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى انه تعالى قد
وصف به وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره

في

في الاعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة
ضرب لكم مثلا يبين به بطلان الشرك من انفسكم اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها
دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى هل لكم الى اخره تصوير للمثل اي هل لكم مما ملكت
ايمانكم من الاماء والعبيد من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وما يجري مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية
والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتاكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى فانتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة
وبيان لكونهم وشركائهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليهم على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم لانه عام
للفريقين بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال ان عندكم امثالكم من البشرية واحكامها ان يشارككم فيما رزقناكم
هو مستعار لكم فانتم وهم فيه سواء شرع يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم خبر اخر لانتم او
حال من ضمير الفاعل في سواء اي تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه دون رايهم كخيفتكم انفسكم اي خيفة كائنة مثل خيفتكم
من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية اي لا ترضوا بان يشارككم فيما هو معار
لكم مما بايديكم وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه
الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه كذلك اي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل
الايات اي نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد المدركات
على هيئة المانوس فيكون في غاية البيان والايضاح لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر
مع عموم تفصيل الايات للكل لانهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل
وتفصيل الايات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق قبل لم يعقلوا شيئا من الايات المفصلة
بل اتبعوا اهواءهم الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون الشئ في غير
موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم اي جاهلين ما اتوا مكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف
العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من اضل الله اي خلق فيه الضلال بصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته
احد وما لهم اي لمن اضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وافادته على
معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فاقم وجهك للدين تمثيل لاقباله على الدين واستقامته
واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم لشئ محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه اي فقوم
وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة وانتصابها
على الاغراء اي الزموا او عليكم فطرة الله وان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد في اقم لما ان الرسول صلى الله
عليه وسلم امام الامة فامره صلى الله عليه وسلم مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى
وتسويل الشياطين وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب
الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم وتمكنهم من ادراكه او عن ملة الاسلام من موجبات
لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين
الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم و
وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه
وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال
بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه بقبول الهوى واتباع وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من
حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها راسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان

التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا والتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة في كل احد فلا بد
من لزومها بترتيب مقتضاها عليه وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك اشارة الى الدين
المامور باقامة الوجه او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغرا او الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتاويل المذكور
او باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا منيبين اليه حال
من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لعمومه للامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اي راجعين اليه من اناب
اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تعالى واتقوه اي من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى واقيموا الصلاة ولا
تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم
اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى حزب من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال
المبين وقرئ فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا اي فرقا تشايع كل منها امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم
من الدين المعوج المؤسس على الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المقدم اعني من الذين فرقوا ولا يخفى
بعده فاذا مس الناس ضر اي شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين عن دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة
اذا فريق منهم بربهم الذي كانوا دعوا منيبين اليه يشركون اي فاجا فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان
بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على الطريق القصد او متوسط في الكفر لانزجاره
في الجملة ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي لقوله تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا
فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض
عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة
كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم به تعالى او بالامر الذي بسببه يشركون
واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة وصحة وسعة فرحوا بها بطروا واشروا لا حمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم
بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا ان
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فات ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل
ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته
او جهته او يقصدونه بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما
بسط لهم النعيم المقيم وما اتيتم من ربا زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اي غشيتموه او
قصدتموه من اعطاء ربا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله اي لا يبارك فيه وقرئ ليربوا
اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله اي تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك هم
المضعفون اي ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذوي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم
واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم
يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه
شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من تنزهه
عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون وقد جوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى
من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي كل

منها مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق
والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور
بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر بان جلندى
كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا اي بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم
بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا اثارهم كان اكثرهم
مشركين استئناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم
فاقم وجهك للدين القيم اي البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر احد على رده من الله متعلق بياتي او بمرد
لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة
وفريق في السعير من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون منزلا في الجنة
وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل
بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز
ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الاخر بقوله تعالى انه
لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن اياته ان يرسل الرياح اي
الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فانها ريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول
المطر المسبب عنها والروح الذي هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم
بها وليذيقكم او بمحذوف ينهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر اخر لا تعلق له بمنافعكم
ولتجري الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله تعالى فيما ذكر من الغايات
الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم كما ارسلناك الى قومك فجاؤوهم بالبينات اي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات
كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم
الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف
وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد توقف على انه متعلق له
بالانتقام ولعل توسيط الاية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم
عن الاخلال بموجب الشكر المطلوب بقوله تعالى ولعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل
باولئك الامم من الانتقام الله الذي يرسل الرياح استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا متصلا
تارة فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله
كسفا تارة اخرى اي قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من
خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اي بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون اي فاجؤوا الاستبشار بمجيء الخصب
وان كانوا ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير
للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على
القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال الياس
بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اي ايسين فانظر الى اثار رحمة الله المترتبة
على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي

اي الله تعالى الى الارض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اي فانظروا الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتاويل وايا ما كان فالمراد بالنظر التنبيه على عظيم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما فيه من امر البعث وقرئ تحيي بالتانيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان في ذلك العظيم الشان الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه اي الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب ولانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام في ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فراوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب للقسم الساد مسد الجوابين اي بالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فراوه مصفرا من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجاوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر والطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار ويصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احديهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته لشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سموا عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا فهم مسلمون منقادون لما تامرهم به من الحق الله الذي خلقكم من ضعف مبتدأ وخبر اي ابتداكم ضعفاء وجعل اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق الروح بابدانكم ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قراتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقراني ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتاخر يخلق ما يشاء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اي في القبور او في الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سياتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهي اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه وقضائه او ما كتبه واوجبه او في اللوح او في القرآن وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه واكدوه باليمين كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعونه انه يكون بعد فناء الخلق كافة ويعدون لذلك زمانا مديدا او انهم لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويكذبون بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون

انه حق فتستعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ۞ ثم القفول فقد جئنا خراسانا

فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة في قصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم باية من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط غلوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان انتم الا مبطلون اي مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون بل يعتقدون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهده منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولابد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ لا يستحقنك من الاستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين وايا ما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استحقاقه صلى الله عليه وسلم واستخفافه لكنه في الحقيقة نهي له صلى الله عليه وسلم عن التاثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بنعته تعالى او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشتبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انهما خبران آخران لاسم الاشارة او لمبتدأ محذوف للمحسنين اي العاملين للحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله

الالمعي الذي يظن بك الظن ۞ كان قد راى وقد سمعا ۞

وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن الناس الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى من يشتري لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يشتري او فريق يشتري على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان اريد بالحديث

المنكر بمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الاية في النضر بن الحرث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث
بها قريشا ويقول ان كان محمد صلى الله عليه وسلم يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم واسفنديار والاكاسرة
وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل اليه تعالى
او عن قراءة كتابه الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت ويستمر على ضلالته او ليزداد فيه بغير علم اي بحال ما
يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر
ويؤنث وهو دين الاسلام او القران او يتخذها هزوا مهزوة بها وقرئ او يتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله تعالى
اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر
المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشترا والاضلال لهم عذاب مهين لما اتصفوا به
من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه واذا تتلى عليه اي على المشتري افراد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة
الاول باعتبار لفظه من بعد ما جمع فيما بينهما اياتنا التي هي ايات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين ولى اعرض عنها غير معتد بها
مستكبرا مبالغا في التكبر كان لم يسمعها حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة
اي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور
الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال ٭ كان لم تجزع على ابن طريف ٭ كان في اذنيه وقرا حال من
ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز ان يكونا استينافين وقرئ في اذنيه بسكون الذال
فبشره بعذاب اليم اي فاعلمه بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
بيان لحال المؤمنين بايات الله تعالى اثر بيان الكافرين بها اي الذين امنوا باياته وعملوا بموجبها لهم بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم
جنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم اي من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل
ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان في قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعد الله
جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز
الذي لا يغلبه شي ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات
بغير عمد الى اخره استيناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد
قاعدة التوحيد وتقريره وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي ما يسند يقال
عمدت الحائط اذا ادعمته اي بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استيناف جي به للاستشهاد على ما
ذكر من خلقه تعالى اياها غير معمودة بمشاهدتهم لها او صفة لعمد اي خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد
لا ترى هي عمد القدرة والقى في الارض رواسي بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكم في قرار السموات اي القى فيها
جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها
واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشي من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواعها
وانزلنا من السماء ماء هو المطر فانبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة
في الفعلين لابراز مزيد الاعتنا بامرهما هذا اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة خلق الله اي مخلوقه
فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا ابدا العبودية وماذا نصب بخلق او ما
مرتفع بالابتدا وخبره ذا الصلة واروني متعلق به وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم بما ذكر من
التسجيل عليهم بالضلال المبين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا
به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتاثروا عن الالزام والتبكيت لينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم

باشراكم

باشراكم واضعون الشي في غير موضعه ومتعدون عن الحد والظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ولقد اتينا لقمن
الحكمة كلام مستانف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعورا من اولاد ازر بن اخت ايوب عليه السلام او خالته
وعاش حتى ادرك داود عليه السلام واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور على انه كان
حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلما استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على
الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسال عنها فلما اتمها
لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وان داود
عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يد غيري فتفكر داود عليه السلام فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه
ان يذبح شاة وياتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان ياتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا
فساله عن ذلك فقال هما اطيب شي اذا طابا واخبث شي اذا خبثا ومعنى ان اشكر لله اي اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان
ايتا الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر الى اخره استيناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال للامر اي ومن يشكر له
تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فان الله غني عن كل شي
فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان
الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر وهو راسه كما قال صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر لم
يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر قطعا واذ قال لقمان لابنه انعم وقيل اشكم وقيل ماثان وهو يعظه يا بني
تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان اليا وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك
جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي والامر عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الى اخره كلام مستانف اعترض
به على نهج الاستطراد في اثنا وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله عامين اعتراض بين
المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى على وهن
صفة للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال تتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال
وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي رحمه الله تعالى وعند ابي
حنيفة رحمه الله هي ثلاثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض
مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له عليه الصلاة والسلام من ابر قال امك ثم قال بعد
ذلك ثم اباك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر منك من الشكر
والكفر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي بشركته تعالى في استحقاق العبادة فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما
في الدنيا اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي
مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير
والشر وقوله تعالى يا بني الى اخره شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتاكيده بالاعتراض
انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على
ان الضمير للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال ٭ كما شرقت صدر القناة من الدم ٭
او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والخفاء
في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله
لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعد ما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه
على كمال علمه تعالى وقدرته امره بالصلاة التي هي اكمل العبادات وتكميلا له من حيث العمل به تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له

يا بني اقم الصلاة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد والمحن
لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى اي قطعه قطع ايجاب والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق
من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصاعر خدك للناس اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين
من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل
علي وعالى واعلى ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر موكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل
المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال هو بمقابلة الماشي
مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه صلى الله عليه وسلم
سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقولها بشه في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع
الهمزة من اقصد الرامي اذا اشتد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت
الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه واكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع
الصوت او التنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى
يجمع بل بيان هذا حال صوت هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في
الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل
التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسب ما يريد كعامة
ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة من الجماد او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل
في استعماله كجميع ما في السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا ومعادا واما جعله منقادا للامر مذللا على ان معنى
لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشا
بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد
مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنت الغين او الخا او القاف كما تقول في سلخ
صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا
هدى من جهة الرسول عليه السلام ولا كتاب منير انزله الله تعالى بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا يريدون به عبادة الاصنام اولو كان الشيطان يدعوهم اي اباهم
لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اي ايتبعونهم ولو
كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة في حيز النصب على
الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة مما لا مزيد عليه ومن يسلم
وجهه الى الله بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد وهو
محسن اي في اعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في اخر سورة النحل فقد استمسك بالعروة الوثقى اي
تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك
باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا
يضرك لا في الدنيا ولا في الاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي ليس بمستفيض الينا مرجعهم لا الى غيرنا
فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها ان الله عليم بذات
الصدور تعليل للتنبيه المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة

الى

الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد لله على ان جعل
دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم لا يعلمون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعلمون بمقتضى اعترافهم وقيل لا
يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن العالمين الحميد المستحق للحمد وان لم
يحمده احد والمحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي ولو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان
المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده اي من بعد نفاده سبعة ابحر اي والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا
لا ينقطع ابدا او كتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها
واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها تنصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار
جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه شيء وحكمته امر
فلا تنفد كلماته المؤسسة عليها ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي اذ لا يشغله شان عن شان لان
مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر قيل الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق بما سبق وما لحق اي الم تعلم علما قويا جاريا مجرى
الرؤية ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل كل واحد منهما في الاخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة
ونقصانا وسخر الشمس والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد في كل حين واما
تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في اثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجري اي بحسب حركته
الخاصة القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعدده حسب تعدد الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو
يوم القيامة كما روي عن الحسن رضي الله عنه فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين
لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى طريق اختصاصه به عليه الصلاة والسلام يجوز ان يكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما
الى يوم القيامة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل المسمى عن
منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين
في الاخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس والقمر على مداراتهما اليومية فكلما كان جريانهما متوجها الى سمت الراس تزداد
القوس التي فوق الارض فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت
وذلك عند بلوغها الى راس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسي التي فوق الارض
تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الراس
وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالى وان الله بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديري
خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل
اعماله ودقائقها ذلك اشارة الى ما تلي من الايات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل وهو مبتدا
خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اي بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بالتوحيد وان ما يدعون
من دونه الباطل اي ولاجل بطلان الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها مشاهدة بذلك شاهدة ببينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء
والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال
الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على ما ذكر ليس بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا وان الله هو العلي

الكبير اي وبيان انه تعالى المترفع عن كل شي المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الايات الكريمه مبني لاختصاص العدو والكبريا
به تعالى بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وانت خبير بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان
كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له في المناطة قطعا فلا مساغ لنظمه في
سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لان بطلانها يقتضيها الم تر ان الفلك
تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيية اسبابه وهو استشهاد اخر على ما هو قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والبا اما
متعلقه بتجري او بمقدر هو حال من فاعله اي ملتبسة بنعمته تعالى وقرى الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز
فيه الفتح والكسر والسكون ليريكم من اياته اي بعض دلايل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
تعليل لما قبله اي ان فيما ذكر لايات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر
في الانفس والافاق يبالغ في الشكر على نعمايه وهما صفتا المومن فكانه قيل لكل مومن واذا غشيهم اي علاهم واحاط بهم موج
كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرى كالظلال هو جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما
ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدايد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على القصد
السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري
او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ في كفران نعم الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما
لا يجزي والد عن ولده اي لا يقضي عنه وقرى لا يجزى من اجزا اذا اغنى والعايد الى الموصول محذوف اي لا يجزى فيه ولا مولود
عطف على والد وهو مبتدا خبره هو جاز عن والده شيا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من
المومنين اباه الكافر في الاخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق اى لا يمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي فيزينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم
الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة وانا قد القيت حباتي في
الارض ومتى السما تمطر وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الاية وينزل الغيث في اوانه الذي قدره الى محله الذي عينه في علمه وقرى ينزل من الانزال ويعلم ما في الارحام
من ذكر او انثى وتام او ناقص وما تدري نفس من النفوس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شي منهما فتفعل خلافه
وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل
من جلسايه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت قال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني في بلاد الهند وهو عندك والحكاية
مشهورة ونسبة العلم الى الله عز وجل والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيلة وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو لا
حق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه باية ارض وشبه سوبة تا تيثهما تانيث كل في كلتهن ان الله عليم
مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شي من الاشيا التي من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم الم اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا
محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سره واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله
تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف اي المولف من جنس
ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اى المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم
الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخرين

وقيل

وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كاينا منه تعالى لا بتنزيل لان
المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه حينئذ انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير فيه راجع الى مضمون الجملة كانه
قيل لا ريب في ذلك اى في كونه منزلا من رب العالمين ويويده قوله تعالى ام يقولون افتراه فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من
رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصودا الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جي بام
المنقطعة انكارا له وتعجبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه حيث قيل
بل هو الحق من ربك باضافة اسم الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له صلى الله عليه
وسلم ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان غاية
الشي وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشي ويوكده لا محالة
ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله
صلى الله عليه وسلم اي ما اتاهم من نذير من قبل تداركك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته لتنذرهم راجيا لاهتدايهم
او لرجا اهتدايهم واعلم ان ما ذكر من التاكيد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدا واما على ساير الوجوه فلا تاكيد
اصلا لان قوله من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين واياما كان فكونه من رب العالمين
حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم اخر فتدبر الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
مر بيانه فيما سلف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من باسه
او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا
اخذ لكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون اي الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او تسمعونها فلا تتذكرون
بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع
يدبر الامر من السما الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملايكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج
اليه اي يثبت في علمه موجودا بالفعل في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اى في برهة من الزمان متطاولة والمراد
بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فتنزل
بها الملايكة ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السما والارض مسيرة خمسماية عام وقيل يقضي قضا
الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر
كله عند قيامها وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السما الى الارض بالوحي ثم لا يرجع اليه خالصا الا في مدة متطاولة
لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا يقتضي بطء رجوعها الى السما بل قلته وقرى يعدون
بالياء ذلك اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض والاستوا على العرش وانحصار الولاية
والنصرة فيه وتدبير امر الكاينات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدا خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان عالم الغيب
والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران اخران وفيه ايما الى انه
تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذي احسن كل شي خلقه خبر اخر او نصب على المدح اي حسن كل مخلوق خلقه
اذ ما من مخلوق الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن
كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اي ما يحسن معرفته
ويعرفه معرفة حسنة وقيل بتحقيق واتقان وقرى خلقه على انه بدل اشتمال من كل شي والضمير للمبدل منه اي حسن خلق كل
شي وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعوله الاول وكل شي مفعوله
الثاني وقيل الخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه وتعالى على تضمين الاحسان معنى الالهام والتوفيق والتعريف والمعنى الهم

خلقه كل شي مما يحتاجون اليه وقاله ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شي يحتاجون اليه فيؤل الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شي
خلقه ثم هدى **وبدا خلق الانسان** من بين جميع المخلوقات **من طين** على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث براد ادم عليه السلام
على فطرة عظيمة عجيبة منطوية على فطرة ساير افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب
استعدادها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى **ثم جعل نسله** الى اخره اي ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه
من سلالة من ماء مهين هو المني الممتهن **ثم سواه** اي عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي **ونفخ فيه من روحه** اضافه
اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شانا له مناسبة الى الحضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهي اليه العقول
البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل
الروح من امر ربي **وجعل لكم السمع والابصار والافئدة** الجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر
مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر
لتعرفوا النافع لكونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بساير النعم الدنيوية والدينية الفائضة عليكم
وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الايات التنزيلية الناطقة بالبعث وبالتوحيد وبابصاركم
الايات التكوينية المشاهدة بها وتستدلوا بافئدتكم على حقيتها وقوله تعالى **قليلا ما تشكرون** بيان لكفرهم بتلك النعم
بطريق الاعتراض التذييلي على ان القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية
احوال الانسان من مبدا فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده
للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه **وقالوا** كلام مستانف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر
من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة **ائذا ضللنا في الارض** اي صرنا ترابا
مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه اي غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم
اذا انتن وقيل من الصلة وهي الارض اي صرنا من جنس الصلة قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل
والعامل فيما يدل عليه قوله تعالى **ائنا لفي خلق جديد** وهو نبعث او نجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق لتاكيده
وقرئ انا على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها في
الاعتبار وانما تقدمها عليها لاقتضائها الصدارة **بل هم بلقاء ربهم كافرون** اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو
ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا **قل** بيانا للحق وردا على زعمهم
الباطل **يتوفاكم ملك الموت** لا كما تزعمون ان الموت من الاهوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اي يقبض ارواحكم
بحيث لا يدع فيكم شيئا ولا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها من ضرب وجوههم وادبارهم **الذي وكل بكم** اي بقبض
ارواحكم واحصاء اجالكم **ثم الى ربكم ترجعون** بالبعث للحساب والجزاء **ولو ترى اذ المجرمون** هم القائلون ائذا ضللنا في
الارض **ناكسوا رؤوسهم عند ربهم** من الحياء والخزي وعند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا **ربنا** اي يقولون ربنا **ابصرنا**
وسمعنا اي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الايات المبصرة والايات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما
لا ندرك شيئا **فارجعنا** الى الدنيا **نعمل عملا صالحا** حسبما تقتضيه تلك الايات وقوله تعالى **انا موقنون** ادعاء منهم لصحة
الافئدة والاقتدار على فهم معاني الايات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا
وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك
للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سالوه من الرجعة وانهم لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما
يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بان مصيرهم الى النار لا محالة
فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا منك تصديق رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم يكون باظهار

مدلول

مدلول ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل اي سمعناه سمع
طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو يكون منك رؤية ذلك الموقف مما ينبئ عنه صلة اذ او المضي فيها ولو باعتبار
ان الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح له
كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد
مشاهدة الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتاتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب
بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص رؤيته راء دون راء بل كل من يتاتى منه الرؤية
له مدخل في هذا الخطاب فقد ناى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال
ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر **ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها** مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا
ابصرنا الى اخره اي ونقول لو شئنا اي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي
به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء **ولكن حق القول مني** اي
سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهو المعنى بقوله **لاملان جهنم من الجنة**
والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فيوجب ذلك القول لمن نشاء اعطي الهداية على العموم بل منعناه من اتباع
ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم
تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشا اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سياتي
قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الاية فمناط عدم مشيئته اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قدمنا المشيئة
بما مر من التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها ان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة
على تحقيق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناط علمه تعالى اذ لا يصرف اختيارهم فيما سياتي على الغي وايثارهم
له على الهدى فلو اريدت هي من تلك الحيثية لا استدراك بعدها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله
فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن
لم نعطهم لما علمناه منهم من اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى **فذوقوا** لترتيب الامر بالذوق
على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى **بما نسيتم لقاء يومكم هذا** للايذان بان
تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا او حق
وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية **انا نسيناكم** اي تركناكم في
العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى **وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون** تكرير للتاكيد والتشديد وتعيين المفعول
المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا
مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي ابهام الذوق اولا
وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم
ما لا يخفى وقوله تعالى **انما يؤمن باياتنا** استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايتائهم لو
اتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون باياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما
تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها **الذين اذا ذكروا بها** اي وعظوا **خروا سجدا** اثر
ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى ما نطقت به من الوعد والوعيد اي سقطوا على وجوههم **وسبحوا بحمد**
ربهم وهم لا يستكبرون اي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث متلبسين بحمده تعالى
على نعمائه التي اجلها الهداية باتيان الايات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة

الي ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد **تتجافى جنوبهم** اي تتنبو وتتنحى **عن المضاجع** اي الفرش ومواضع المنام والجملة ٥
مستانفة لبيان بقية محاسنهم وهم المجتهدون بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع
الي رحالنا حتى نصلي العشا مع النبي صلي الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه ايضا انه قال نزلت في ناس من اصحاب النبي صلي الله
عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الي صلاة العشا وهي صلاة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال عطا هم الذين لا ينامون حتي يصلون العشا الاخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه
صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلي الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان
شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي صلي الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه
صلي الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين جا منادي ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولي بالكرم
ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافي جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأسا
والضرا فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الي الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالي **يدعون ربهم** حال من ضمير جنوبهم
اي داعين له تعالي علي الاستمرار **خوفا** من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته **وطمعا** في رحمته **ومما رزقناهم** من المال
ينفقون في وجوه الحسنات **فلا تعلم نفس** من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم **ما اخفي لهم** اي لاوليك
الذين عددت نعوتهم الجليلة **من قرة اعين** مما تقر به اعينهم وعنه صلي الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر هو ما اطلعتم عليه اقراوا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وما
خفي لهم وما اخفيت لهم علي صيغة المتكلم وما اخفي لهم علي البنا للفاعل والله سبحانه اعلم وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها
والعلم بمعني المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل **جزاء بما كانوا يعملون** اي جزوا جزاء او جزي لهم للجزاء بما كانوا يعملون
في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هولاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفي الله ثوابهم **افمن كان مومنا كمن كان فاسقا** اي بعد ظهور ما
بينهما من التباين البين يتوهم كون المومن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكر قبل حاله **لا يستوون** التصريح
به مع افادة الانكار نفي المشابهة بالمرة علي ابلغ وجه واكده لبنا التفصيل الاتي عليه والجمع باعتبار معني من كما ان الافراد
فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالي **اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوي** تفصيل لمراتب الفريقين في
الاخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الي الماوي لانها الماوي الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل
الماوي جنة من الجنات وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه رمز الي ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي ماواهم في الدنيا **نزلا**
اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازلين من الطعام والشراب وانتصابه علي الحالية **بما كانوا يعملون** في الدنيا من الاعمال
الصالحة او باعمالهم **واما الذين فسقوا** اي خرجوا عن الطاعة **فماواهم** اي ملجاوهم ومنزلهم **النار** مكان جنات الماوي للمومنين
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استيناف لبيان كيفية النار ماواهم يروي انه يضربهم لهيب النار فيرتفعون
الي طبقاتها حتي اذا قربوا من ابوابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم لهيب النار فيهوون الي قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في
للدلالة علي انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الي بعض **وقيل لهم** تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم **ذوقوا**
عذاب النار الذي كنتم به اي بعذاب النار **تكذبون** علي الاستمرار في الدنيا **ولنذيقنهم من العذاب الادني** اي عذاب الدنيا
وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر **دون العذاب الاكبر** الذي هو عذاب الاخرة **لعلهم** لعل الذين شاهدوه
وهم في الحياة **يرجعون** يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الايات
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل ايات الله تعالي بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود
والتسبيح وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الي سعادة الدارين كما في بيت الحماسة ٥ ٥

٥ لا يكشف الغما الا ابن حرة ٥ يري غمرات الموت ثم يزورها ٥

اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب علي نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا **انا من المجرمين**
اي من كل من اتصف باجرام وان هانت جريمته باسم الجنس لتحقق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه علي ان اتيانه لرسول الله صلي الله عليه وسلم كاتيانها لموسي عليه السلام **ولقد اتينا موسي الكتاب** اي التوراة عبر عنها باسم الجنس لتحقق المجانسة بينها وبين
الفرقان والتنبيه علي ان اتيانه لرسول الله صلي الله عليه وسلم كاتيانها لموسي عليه السلام **فلا تكن في مرية من لقايه** من لقاء الكتاب
الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقي القران والمعني انا اتينا موسي مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا
تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقا موسي الكتاب او من لقايك موسي عليه السلام وعنه صلي الله عليه وسلم رايت
ليلة اسري بي موسي عليه السلام رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوة **وجعلناه** اي الكتاب الذي اتيناه موسي **هدي لبني**
اسرايل قيل لم يتعبد بما في التوراة ولد اسماعيل **وجعلنا منهم ايمة يهدون** بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الي طريق
الحق ويهدونهم الي ما فيه من دين الله وشرايعه **بامرنا** اياهم بذلك او بتوفيقنا له **لما صبروا** هي لما التي فيها معني الجزا نحو احسنت اليك
لما جيتني والضمير للايمة تقديره لما صبروا جعلناهم ايمة او هي ظرف بمعني الحين اي جعلناهم ايمة حين صبروا والمراد صبرهم علي
مشاق الطاعات ومقاساة الشدايد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي لصبرهم **وكانوا باياتنا يوقنون**
التي في تضاعيف الكتاب لامعانهم فيها والمعني لذلك لنجعلن الكتاب الذي اتيناكه هدي لامتك ولنجعلن منهم ايمة يهدون
مثل تلك الهداية **ان ربك هو يفصل** اي يقضي **بينهم** قيل بين الانبيا واممهم وقيل بين المومنين والمشركين **يوم القيمة** فيميز بين
المحق والمبطل **فيما كانوا فيه يختلفون** من امور الدين **اولم يهد لهم** الهمزة للانكار والواو للعطف علي منوي يقتضيه المقام ولعل
الهداية اما من فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما
دل عليه قوله تعالي **كم اهلكنا** اي اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او لم يبين لهم مال امرهم كثرة اهلاكنا **من قبلهم من القرون**
مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل علي القراءة الاولي ايضا ضميره تعالي فيكون قوله
تعالي كم اهلكنا الي اخره استينافا مبينا لكيفية هدايته تعالي **يمشون في مساكنهم** اي يمرون في متاجرهم علي ديارهم وبلادهم
ويشاهدون اثار هلاكهم والجملة حال من ضميرهم وقرئ يمشون للتكثير **ان في ذلك** اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا الامم الخالية
العاتية او في مساكنهم **لايات** عظيمة في انفسها كثيرة في عددها **افلا يسمعون** هذه الايات سماع تدبر واتعاظ **اولم**
يروا انا نسوق الما الي الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن **فنخرج به** من تلك
الارض **زرعا تاكل منه** اي من ذلك الزرع **انعامهم** كالتبن والقصل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ ياكل بالياء
وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار **افلا يبصرون** اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به علي كمال قدرته
تعالي وفضله **ويقولون** كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا علي المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه
يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء **متي هذا الفتح** اي النصر والفصل بالحكومة **ان كنتم صادقين** في ان الله تعالي ينصركم
او يفصل بيننا وبينكم **قل** تبكيتا لهم وتحقيقا للحق **يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون** يوم الفتح يوم
القيامة وهو يوم الفصل بين المومنين واعدايهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول
عن تطبيق الجواب علي ظاهر سوالهم للتنبيه علي انه ليس مما ينبغي ان يسيل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم
يوميذ وانما المحتاج الي البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الامهال كانه قيل لا تستعجلوا فكاني بكم قد امنتم فلم ينفعكم واستنظرتم
فلم تنظروا وهذا علي الوجه الاول ظاهر واما علي الاخرين فالموصول عبارة عن المقتولين يوميذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه
الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقا يوم الفتح وناسا امنوا يوم بدر **فاعرض عنهم** ولا تبال بتكذيبهم **وانتظر** النصرة عليهم
وهلاكهم **انهم منتظرون** قيل اي الغلبة عليكم كقوله تعالي فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون ٥
اهلاكهم كما في قوله تعالي هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام الاية وقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا فانهم منتظرون

منتظرون فكيف عمن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم

فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كمن احيى ليلة القدر وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله في ندائه صلى الله عليه وسلم بعنوان النبوة تنويه بشانه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المامور بها الثبات عليها والازدياد منها فان لها بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روي ان سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه صلى الله عليه وسلم في الموادعة التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يامرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لمضمون وجوب الامتثال بهما واتبع اي في كل ما تاتي وما تذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتاكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب واياما كان فالجملة تعليل للامر وتاكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترهيب والترغيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملون من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويامرك بما ينبغي لك ان تفعله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي الذي امر عليه الصلاة والسلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل واحد وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة في امراة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين احكام الدعوة واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق والحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التاءين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهرون وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا

وادعياءكم جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ اختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه في اللفظ فجمع جمعه كقتيل واسراء ذلكم اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من مساق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذا هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله هذا عز وجل ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله عز وجل هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى يعني بعضه فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية والولاية وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطاتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا له اثبت العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب فكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون صلى الله عليه وسلم احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي انه صلى الله عليه وسلم اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس من نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام اي ذوو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية وآية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما تقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام لابانة خطره الجليل واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا عظيم الشان او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشانه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسال يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوا لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسال المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيابا مقام ذكر ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان الله تعالى اكد على الانبياء بالدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم كانه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين

الآية **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم** ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها
اي كائنة **اذ جاءتكم جنود** ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله تعالى والمراد بالجنود
الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم
ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج بثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم
وامر بالذراري والنسا فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن
قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر الآن ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس
من قريش منهم عمرو بن ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا
خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي
الله عنه يا عمرو اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي لا احب ان
اقتلك قال علي رضي الله عنه ولكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره
او ضرب وجهه ثم اقبل على علي رضي الله عنه فتنازلا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة ذهبت فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى
اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منهم ابن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله ايضا علي
رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى **فارسلنا عليهم ريحا** عطف
على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسياتي تفصيلها في آخر القصة **وجنودا لم تروها** وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا
الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت
الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب
فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال **وكان الله بما تعملون** من حفر الخندق
وترتيب مبادي الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اي بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من
الكفر والمعاصي **بصيرا** ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله **اذ جاؤكم** بدل من اذ جاءتكم **من فوقكم** من
اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل وضامهم
اليهود من قريظة والنضير **ومن اسفل منكم** اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني
كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف **واذ زاغت الابصار** عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير
وحين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع
وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ عنده من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل
هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى **وتظنون بالله الظنونا** لمن اظهر الايمان على
الاطلاق اي تظنون بالله تعالى انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب
عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف
القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار
وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي **هنالك** ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده
اي في ذلك الزمان الهائل او المكان الدحض **ابتلي المؤمنون** اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل
وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي **واذ يقول المنافقون** عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر
من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته **والذين في قلوبهم مرض** اي ضعف اعتقاد **ما وعدنا الله ورسوله** من اعلاء الدين
والظفر **الا غرورا** اي وعدا غرورا وقيل قولا باطلا القائل لذلك معتب بن قشير واضرابه راضون به قال يعدنا محمد فتح كنوز

كسرى

كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور **واذ قالت طائفة منهم** هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد
الله بن ابي واشياعه **يا اهل يثرب** هو اسم للمدينة المطهرة وقيل المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يسمى بها
كراهة لها وقال هي طيبة او طابة كأنهم ذكروها بهذا الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم وندائهم اياهم بعنوان اهليتهم
لها ترشيح لما بعدها من الامر بالرجوع اليها **لا مقام لكم** لا موضع اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اي لا قيام او
لا موضع قيام لكم **فارجعوا** اي الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه
ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا
عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه اذ لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده
فان قوله تعالى **ويستأذن فريق منهم النبي** معطوف على ما قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة
وبنو سلمة استأذنوه صلى الله عليه وسلم في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى **يقولون** بدل من يستأذن او حال من فاعله
او استئناف مبني على السؤال عن كيفية الاستئذان **ان بيوتنا عورة** اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فاذن لنا
نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد يجوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اذا
اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصديرهم مقالهم بحرف التحقيق **وما هي بعورة** والحال
انها ليست كذلك **ان يريدون** ما يريدون بالاستئذان **الا فرارا** من القتال **ولو دخلت عليهم** اسند الدخول الى بيوتهم
واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور **من اقطارها** اي
من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد الدعارة والفساد **ثم سئلوا** من
جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة **الفتنة** اي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا من الايمان والطاعة
لآتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهيا والغارة الشعوا وقرئ لأتوها بالقصر اي لفعلوها وجاؤها
وما تلبثوا بها بالفتنة اي ما لبثوا بها وما اخروها **الا قليلا** ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال
البيوت عن سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا واما تخصيص
فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد
الموضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق والعساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والعود
الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على
الاعراض عن الحق المجدون في الدعا الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون**
الادبار فان بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم
غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن **وكان عهد الله**
مسؤولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسؤولا عن الوفاء به ومجازى عليه **قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل**
فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل بسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم **واذا لا تمتعون الا قليلا**
اي وان نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا او زمانا قليلا **قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد**
بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان يدفع عنهم الضر اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما
في العصمة من معنى المنع **ولا يجدون لهم من دون الله وليا** ينفعهم **ولا نصيرا** يدفع عنهم الضر **قد يعلم الله المعوقين منكم**
اي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون **والقائلين لاخوانهم** من منافقي المدينة **هلم الينا** وهو
صوت سمي به فعل متعد نحو احضر او اقرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل
وهلموا يا رجال اي قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون عن العسكر متوجهون نحو المدينة **ولا**

يأتون الناس اي الاحزاب والقتال الا قليلا اي اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم ويخرجون
مع المومنين يوهمونهم انهم معهم لا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا
وقيل انه تتمة كلامهم معناه ولا ياتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم اي بخلا عليكم بالمعاونة
او النفقة في سبيل الله والظفر والغنيمة جمع شحيح ونصب على الحالية من فاعل يأتون او من المعوقين او على الذم فاذا جا الخوف
رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او المصدر
تدور او حال من اعينهم اي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا او ينظرون
كائنين كالذي الى اخره وتدور اعينهم دورا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه فاذا ذهب الخوف وحيزت
الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا
نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد او اللسان وقرى صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحالية او الذم ويويده القراءة بالرفع
اوليك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يومنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم اي اظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال
فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص
يسره بالذكر مع ان كل شي عليه تعالى يسير لبيان ان اعمالهم حقيقة بان يظهر وضوحها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف
بالكلية يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هولاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب
كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب وقرى بدى جمع باد كغزى
كغاز وغزى يسالون كل قادم من جانب المدينة وقرى يسالون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا
بلغك او يتسالون الاعراب كما يقال رايت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسندت اليه
فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه
الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا ربا وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة
حسنة حقها ان يوتسى بها كالثبات في الحرب ومقاسات الشدايد وهو في نفسه قدوة يحق التاسي به كقولك في البيضة
عشرون منا حديد اي هي نفسها هذا القدر من الحديد وقرى بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي
ثواب الله ولقاه او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر من ايام الله تعالى ولمن
كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله اي وقرن الرجا بذكر الله
كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تودي الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الايتسا برسول الله صلى
الله عليه وسلم ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا بيان لما صدر عن خلص المومنين عند اشتباه الشوون واختلاط الظنون
بعد حكاية ما صدر عنهم اي لما شاهدوهم من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه وانهما
من احكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب او البلاء من نتايج النظر
الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة
ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله تعالى الا ان
نصر الله قريب وقوله صلى الله عليه وسلم ان الاحزاب سايرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرى بكسر الراء وفتح الهمزة
وصدق الله ورسوله اي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلا
واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اي ما راوه الا ايمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المومنين اي المومنين
بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمقاتلة لاعدا الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله تعالى عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثبتوا

ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب
ابن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا الصدق من صدقني اذا قال الصدق ومحل ما
عاهدوا النصب اما بطريق الحذف عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه
مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال للكرماء * تخبرني الاعدا ان لم تجزي * وقالوا له سنجيك وحيث وفوا به فقد صدقوه
ولو كانوا نكثوه فكذبوه لكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو
ان يلتزم الانسان شيا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاوه الفراغ منه والوفا به ومحله الجار والمجرور الرفع على الابتدا
على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية اي فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة
ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك رضوان الله عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذرهم سوا كان النذر على
حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التي هي المعيار بما لبيس هنا ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او
كان مستعارا لالتزامه على ما سياتي ومنهم من ينتظر اي ومنهم او وبعضهم او وبعض منهم من ينتظر اي قضى نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما
ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله عليهم فانهم مستمرون على نذورهم وقد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم والقتال الى حين نزول الاية الكريمة ومنتظرون القضا بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز ان يكون
النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بالتزام اسبابه التي هي افعال اختيارية للناذر بمنزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه
منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح واياما كان ففي وصفهم بانتظار المبني عن الرغبة المنتظر شهادة
حمد بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ففيه فتح الاستعارة
وذهاب رونقها واخراج النظم الكريم عن مقتضى الكلام بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله اي وما بدلوا عهدهم وما
غيروه تبديلا اي تبديلا ما اصلا ولا وضعا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر
واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق
الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بنا على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روي ان طلحة رضي الله عنه
ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة
وعنه صلى الله عليه وسلم في رواية جابر بن عبد الله من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبد الله وفي رواية عائشة
رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين ليجزي الله
الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاقوال والاحوال على
التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من
الصدق والوفا قولا وفعلا ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المحكية ان شا تعذيبهم او يتوب عليهم ان تابوا وقيل
متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثبات المعرض به كان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون
بالثبات والوفا العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد
من قوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الاية فتامل وبالله التوفيق ان
الله كان غفورا رحيما اي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ورد الله الذين كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة
وتعبير بقية وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى ليجزي الله كانه قيل اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من
الحوادث ورد الله الى اخره واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت لها العقول والافهام وداهية
تامة تحاكت منها الركب وزلت منها الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريق اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال
لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها

وردنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى **بغيظهم** حال من
الموصول اي متلبسين به وقوله تعالى **لم ينالوا خيرا** بتداخل او تعاقب او غيره ظافرين بخير اولهما بيان للاول واستيناف
وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال الريح والجنود **وكان الله قويا** على احداث كل ما يريده **عزيزا** غالبا على كل شيء **وانزل الذين**
ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب المردودة **من اهل الكتاب** وهم بنو قريظة **من صياصيهم** من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به
ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوك الديك **وقذف في قلوبهم الرعب** الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولادهم
للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى **فريقا تقتلون وتاسرون فريقا** من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصار
روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح
فقال انتزع لامتك والملائكة ما وضعوا السلاح ان الله يامرك ان تسير الى قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا
العصر الا ببني قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا
فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت
بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة وكسر سبعمائة وقرئ تاسرون بضم السين
كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تاخير المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام للتفصيل والتقسيم كما في قوله تعالى ففريقا
كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة لمراعاة الفواصل **واورثكم ارضهم وديارهم** حصونهم **واموالهم**
نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في
ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم انما
جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله **وارضا لم تطؤوها** اي اورثكم في علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها
بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر **وكان الله على كل شيء قديرا** فقد شاهدتم بعض مقدوراته من
ابراثه الارض التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها **يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا** اي السعة والتنعم
فيها **وزينتها** وزخارفها **فتعالين** اي اقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يكلمني وذهب يخاصمني وقام يهددني
امتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا **واسرحكن** اي اعطكن المتعة واطلقكن **سراحا جميلا** طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستيناف
روي انهن سالنه صلى الله عليه وسلم ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار
الاخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر الله لهن ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان
تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق واما كان تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن صلى الله عليه وسلم
كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب اخرون الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن
كان ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود رضي الله عنه اذا خير رجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شيء
اصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان
رحمهم الله تعالى وروي عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلاث تطليقات
وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله تعالى عنه انها اذا اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع
فقهاء الامصار وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع
على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند
العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل
من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم **وان كنتن تردن الله ورسوله** اي تردن رسوله وذكر الله عز وجل
للايذان بجلالة محمد صلى الله عليه وسلم عنده تعالى **والدار الاخرة** اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا **فان الله**

اعد

اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن **اجرا عظيما** لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد
الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع
على التسريح وفي وصف التسريح بالجميل **يا نساء النبي** تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا
وفيما بعده بالاضافة اليه صلى الله عليه وسلم لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام **من يات منكن بفاحشة** بكبيرة
مبينة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تات بالفوقانية **يضاعف لها العذاب**
ضعفين اي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه
ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء صلى الله عليه وسلم بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول
ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب **وكان ذلك على الله يسيرا** لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء
النبي صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه **ومن يقنت منكن** وقرئ بالتاء اي ومن يدم على الطاعة **لله ورسوله**
وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة
وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى **واعتدنا لها** في الجنة زيادة على اجرها
المضاعف **رزقا كريما** مرضيا **يا نساء النبي لستن كاحد من النساء** اصل احد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر
والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف **ان اتقيتن** مخالفة حكم الله
تعالى ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم وان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن **فلا تخضعن بالقول** عند مخاطبة الناس
اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات **فيطمع الذي في قلبه مرض** اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا
على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فيطمع
الذي في قلبه مرض فلا يطمع مريض القلب **وقلن قولا معروفا** بعيدا عن الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنث او قولا
حسنا مع كونه حسنا **وقرن في بيوتكن** امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها
كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر حذفت احدى راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف
كما تقول ظلن **ولا تبرجن** اي لا تتبخترن في مشيكن **تبرج الجاهلية الاولى** اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة
وهي ما بين ادم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليهم السلام كانت المراة تلبس درعا
من اللؤلؤ فتمشي تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين محمد وعيسى عليهما السلام وقيل
الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان
فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر **واقمن الصلاة واتين الزكاة** امرن بهما لانافتهما على غيرهما
وكونهما اصل الطاعات المالية والبدنية **واطعن الله ورسوله** اي في كل ما تاتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه **انما**
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عم الحكم بتعميم
الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح **اهل البيت** المراد بهم من حواهم بيت النبوة **ويطهركم** من
اوصاف الاوزار والمعاصي **تطهيرا** بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى
اية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان راي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت
بفاطمة رضي الله عنها وعلي وابنيه رضوان الله عليهم واما ما تمسكوا به من ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه
مرط مرحل من شعر وجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي رضي الله عنه فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانه يدل على كونهم من اهل البيت لا ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على

ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص **واذكرن ما يتلى في بيوتكن** اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن **من آيات الله والحكمة** من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلم والشرايع وهذا تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحا الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتها والايتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الايات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعلما وتعليما **ان الله كان لطيفا خبيرا** يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي او يعلم من يصلح للنبوة ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته **ان المسلمين والمسلمات** الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث **والمومنين والمومنات** المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين **والقانتين والقانتات** المداومين على الطاعات القائمين بها **والصادقين والصادقات** في القول والعمل **والصابرين والصابرات** على الطاعات وعن المعاصي **والخاشعين والخاشعات** المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم **والمتصدقين والمتصدقات** بما وجب في مالهم **والصائمين والصائمات** الصوم المفروض **والحافظين فروجهم والحافظات** عن الحرام **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات** بقلوبهم والسنتهم **اعد الله لهم** بسبب ما عملوا من الاعمال المذكورة **مغفرة** لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة **واجرا عظيما** على ما صدر عنهم من الطاعات والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نسا النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نسا المومنين فما نزل فينا شي فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنس وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مومنات وفايدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة **وما كان لمومن ولا مومنة** اي ما صح وما استقام لرجل ولا امراة من المومنين **اذا قضى الله ورسوله امرا** اي اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه صلى الله عليه وسلم قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فابت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عنه **ان تكون لهم الخيرة من امرهم** اي ان يختاروا من امرهم ما شاوا بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه صلى الله عليه وسلم واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مومن ومومنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقرى تكون بالتا **ومن يعص الله ورسوله** في امر من الامور ويعمل فيه برايه **فقد ضل** طريق الحق **ضلالا مبينا** اي بين الانحراف عن سنن الصواب **واذ تقول** اي اذكر وقت قولك **للذي انعم الله عليه** بتوفيقه للاسلام وتوفيقك بحسن تربيته ومراعاته **وانعمت عليه** بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحيا او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد **امسك عليك زوجك** اي زينب وذلك انه صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جليلة لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شي قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم فقال له امسك عليك **واتق الله** في امرها ولا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها **وتخفي في نفسك ما الله مبديه** وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها **وتخشى الناس** تعييرهم اياك به **والله احق ان تخشاه** ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفا مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى الله

فلما

فلما قضى زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك **زوجناكها** وقرى زوجتكها والمراد الامر بتزوجها منه صلى الله عليه وسلم وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويويده انها كانت تقول لساير نسا النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه **لكيلا يكون على المومنين حرج** ضيق ومشقة **في ازواج ادعيايهم** في حق تزوجهن **اذا قضوا منهن وطرا** فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دليل على ان حكمه صلى الله عليه وسلم وحكم الامة سوا الا ما خصه الدليل **وكان امر الله** اي ما يريد تكوينه من الامور او بامره الحاصل بكن **مفعولا** مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله **ما كان على النبي من حرج** اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق **فيما فرض الله له** اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم **سنة الله** اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا موكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة **في الذين خلوا** مضوا **من قبل** من الانبيا عليهم السلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كان لداود عليه السلام مائة امراة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة امراة وسبعمائة سرية وقوله تعالى **وكان امر الله قدرا مقدورا** اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه **الذين يبلغون رسالات الله** صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرى رسالة الله **ويخشونه** في كل ما ياتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يحرفون منها حرفا ولا تاخذهم في ذلك لومة لايم **ولا يخشون احدا الا الله** في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من الاحتراز عن لايمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه **وكفى بالله حسيبا** كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى **ما كان محمد ابا احد من رجالكم** اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه صلى الله عليه وسلم ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له صلى الله عليه وسلم لا لهم **ولكن رسول الله** اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعا حكم سوى التقرب والاختصاص **وخاتم النبيين** اي كان اخرهم الذين ختموا به وقرى بكسر التا اي كان خاتمهم ويويده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم عليه السلام لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى عليه السلام بعده لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبا احد بعده وعيسى ممن نبي قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته **وكان الله بكل شي عليما** ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب **يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله** بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس **ذكرا كثيرا** يعم الاوقات والاحوال **وسبحوه** ونزهوه عما لا يليق به **بكرة واصيلا** اي اول النهار واخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون ساير الاوقات بل لابانة فضلهما على ساير الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح به من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وكلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلاة **هو الذي يصلي عليكم** الى اخره استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى **وملايكته** عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلاة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فانه استعمال اللفظة الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ بل على ان يراد بها الصلاة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فانه استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتنا فيه

حبرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلاة
المشتمل على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار الملائكة ودعاءهم للمومنين ترحم عليهم واما
ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر **ليخرجكم من الظلمات الى**
النور متعلق بيصلي اي يعتني باموركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى **وكان**
بالمومنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المومنين الذين انتم من زمرتهم **رحيما** ولذلك يفعل بهم ما يفعل من الاعتنا
باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة وكان بكم رحيما على ان المومنين مظهر موضع المضمر مدحا
لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى **تحيتهم يوم يلقونه سلام** بيان للاحكام الاجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان اثارها
العاجلة التي هي الاعتناء بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت
او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة
لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وافة وقوله تعالى **واعد لهم**
اجرا كريما بيان لاثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان اثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار
الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق
الى الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر اثار الرحمة موجود بالفعل مهيا لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق
والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلالة وتوديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة **ومبشرا**
ونذيرا تبشر المومنين بالجنة وتنذر الكفرة بالنار **وداعيا الى الله** اي الى الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الايمان
به من صفاته وافعاله **باذنه** اي بتيسيره واطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال
وخطب في غاية الاعضال لا يتاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق
في قلادة غير معهودة **وسراجا منيرا** يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية
وبشر المومنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المومنين **بان لهم من**
الله فضلا كبيرا اي على مومني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان **ولا تطع الكافرين**
والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كني عن ذلك بالنهي عن طاعتهم
مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن
التحقيق بمراحل **ودع اذاهم** اي لا تبال باذاهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار **وتوكل على الله** في كل ما تاتي وما تذر
من الشوون التي من جملتها هذا الشان فانه تعالى يكفيكهم **وكفى بالله وكيلا** موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف صلى الله عليه وسلم بنعوت خمسة قوبل
كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة المبشر عليه وهو الامر
بالتبشير حسبما ذكر انفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما تحققته وقوبل الداعي اليه
تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به
تعالى فان من ايده الله بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بان
يكتفي به عن كل ما سواه **يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن** اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن
بضم التا **فما لكم عليهن من عدة** بايام يتربصن فيها بانفسهن **تعتدونها** تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته
عدها لنفسه وكذلك كلمة فاكتال والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ

تعتدونها على ابدال احدى التائين بالدال او على انه من الاعتداد بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة حكم المس وتخصيص
المومنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المومن شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مومنة وفائدته ثم ازاحة
ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يوثر في العدة كما يوثر في النسب **فمتعوهن** اي ان لم يكن مفروضا لها في
العقد فان الواجب للمفروض لها المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى غير مستحبة **وسرحوهن** اي
اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة **سراحا جميلا** من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني
لانه انما يتسنى في المدخول بها **يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن** اي مهورهن فانها اجور الابضاع
وايتاوها اما اعطاوها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له صلى الله عليه وسلم ليس بتوقف الحل
عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الاول والاولى له
صلى الله عليه وسلم كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى **وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك** فان المشتراة
لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى **وبنات عمك وبنات عماتك وبنات**
خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه صلى الله عليه وسلم خاصة ويعضده قول
ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم
اهاجر معه كنت من الطلقاء **وامراة مومنة** بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام
مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف اي احللناها لك ايضا **ان وهبت نفسها للنبي**
اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته صلى الله عليه وسلم له
استنكاحها كما نطق به قوله تعالى **ان اراد النبي ان يستنكحها** اي ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه صلى
الله عليه وسلم مجرى القبول وحيث لم يكن نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح
بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده صلى الله عليه وسلم احد
منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم
وايراده صلى الله عليه وسلم في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم
فيختص به صلى الله عليه وسلم حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى **خالصة لك** اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا
فان الفاعلة في المصادر غير عزيزة كالعاقبة والكاذبة كما تخلص وخلص احلال ما احللنا لك من المذكورات بالقيود المذكورة
ومعنى قوله تعالى **من دون المومنين** على ان الاول ان الاحلال المذكور في المادة المذكورة المعهودة غير متحقق في حقهم
فيه احلال البعض المعدودة على الوجه المعهود الى وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان احلال الجميع على
القيود المذكورة غير متحقق في حقهم فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف اي ذاك خلوص لك وخصوص اي هي اي تلك المراة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المسلمين حيث لا تحل لهم بغير مهر
المثل ولا يجوز ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى **قد علمنا ما فرضنا عليهم** اي على المومنين **في ازواجهم** اي في
حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمومنين ببيان انه قد
فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه صلى الله عليه وسلم تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان
يفرض عليهم في حق ازواجهم **وما ملكت ايمانهم** وعلى اي حد وعلى اي صفة يحق وان لم نفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك
الوجه وخصصناك ببعض الخصائص **لكيلا يكون عليك حرج** اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت
الاحلال وحصوله عليه السلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره **وكان الله**
غفورا رحيما لما يعسر التحرز عنه **ترجي من تشاء منهن وتووي اليك من تشاء** وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق

من تشا منهن وتمسك من تشا وقرى ترجي بالهمزة والمعنى ومن ابتغيت اي طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح
عليك في شي مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان كان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم
اولم يقسم وروي انه ارجا منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شا كما شا وكان ممن اوى اليه
عايشة وحفصة وام سلمة وزينب وارجى خمسا واوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها
وهبت ليلتها لعايشة رضي الله عنها وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسايك ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيتك
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن اي اقرب الى قرة اعينهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن في سوا
ثم ان سويت بينهن بدون ذلك تفضلا منك وحدته للسوان رجحت بعضهن علموه انه بحكم الله تعالى فتطمين به نفوسهن وقرى
بضم التا للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرى بالنصب على انه تاكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضماير والخواطر
فاجتهدوا في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كلما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتاخيره
فانه امهال لا اهمال لا تحل لك النسا بالبا لان تانيث الجمع غير حقيقي لوجود الفصل وقرى بالتا من بعد اي من بعد التسع
وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هولا التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن
الله ورسوله ورضاهن بما تومتهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل بهن بحذف احدى التايين اي هولا التسع من ازواج
بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى ومن مزيده لتاكيد الاستغراق اراد الله تعالى بهن كرامة وجزا على ما اخترن ورضين
فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن وهي عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر
وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية
وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا تحل لك النسا من بعد الاجناس الاربعة
اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والقرايب او من الكتابيات او من الاما بالنكاح ويابا قوله
تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح
غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي من الوظايف البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج
المستبدله وهو حال من فاعل ان تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير قيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد
مر تحقيقه في قوله تعالى ولامة مومنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه اي هي ممن اعجبه صلى الله عليه وسلم حسنهن واختلف ان الاية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجي من تشا
منهن وتووي اليك من تشا وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وقالت الشرعات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم الا ما ملكت
يمينك استثنا من النسا لانه يتناول للازواج والاما وقيل منقطع وكان الله على كل شي رقيبا حافظا مهيمنا فاحفظوا امره
حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق
نسا النبي صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يجب مراعاته صلى الله عليه وسلم من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يوذن لكم
استثنا مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اي لا
تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يوذن لكم ورد عليه بان النحاة قصروا على ان الوقوع لو قع الظرف مختص بالمصدر
الصريح دون الماول لا يقال اتيك ان يصيح الديك وانما يقال لصياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق بيوذن بتضمين
معنى الدعا والاشعار بانه لا ينبغي ان تدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى غير ناظرين
اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثنا واقع على الوقت والحال معا عند من
يجوزه او من المجرور في لكم وقرى بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين
وقرى بالامالة لانه مصدر اني الطعام اي ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه

دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب
لقوم يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز
لاحد ان يدخل بيوته عليه السلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستانسين لحديث اي لحديث بعضكم
بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستانسين الى اخره ان ذلكم
اي الاستيناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يوذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه
وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون
المستحيى منه امرا حقا متعلقا بهم لا نفسهم وما ذلك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حيا ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج
والتعبير عنه بعدم الاستحيا للمشاكلة وقرى لا يستحي بحذف اليا الاولى والقا حركتها الى ما قبلها واذا سالتموهن الضمير
لنسا النبي المدلول عليهن بذكر بيوته عليه السلام متاعا اي شيا يتمتع به من الماعون وغيره فاسالوهن اي المتاع من ورا
حجاب اي ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فنزلت
وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشة رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اي ما
ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسوال المتاع من ورا حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي
اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية وما كان لكم اي ما صح وما استقام لكم ان توذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه
ويتاذى به ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذايه عليه السلام ونكاح
ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي امرا عظيما وخطبا
ما يلا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى
لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيا
مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شي عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية
لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في ابايهن ولا ابنايهن ولا
اخوانهن ولا ابنا اخوانهن ولا ابنا اخواتهن استيناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية الحجاب
قال الابا والابنا والاقارب يا رسول الله او نكلمهن من ورا الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين وكذلك العم
ابا في الاخوة وابنا الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخولة
لما انهن عمات لابنا الاخوة وخالات لابنا الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنايهما ولا نسايهن
اي نسا المومنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاما وقيل من الاما خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله في كل ما تاتين وما
تذرون لا سيما في ما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شي شهيدا لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت في علمه الاحوال ان الله
وملايكته وقرى وملايكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على راي
البصريين يصلون على النبي قيل الصلاة من الله تعالى الرحمة ومن الملايكة الاستغفار وقال ابن عباس رضي الله عنه اراد ان الله يرحمه
والملايكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقال ابو العالية صلاة الله تعالى عليه ثناوه عليه عند الملايكة وصلواتهم دعاوهم
فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره
ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه وتعالى بالرحمة ومن الملايكة بالدعا والاستغفار يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قايلين اللهم صل على محمد وسلم ونحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والاية
دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض للوجوب التكرار وعدمه قيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عليه السلام
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عليه السلام من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل النار فابعده الله وروي انه عليه السلام قال

بوكل الله تعالى به ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جواب
لذينك الملكين امين ولا اذكر عند مسلم فيصلي ولا يصلي علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته لذينك
الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه السلام كما قيل في اية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في
كل دعا في اوله واخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة
علو شانه عليه السلام ان يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع اما الصلاة عليه في الصلاة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلاة عندنا وعن ابراهيم النخعي رحمه الله ان الصحابة رضي الله
عنهم كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا واما الصلاة على غير
الانبيا عليهم السلام فتجوز تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا
جليلا **ان الذين يوذون الله ورسوله** ارتكبا لا يؤذيانه من الكفر والمعاصي مجاز الا استحالة حقيقة التأذي في
حقه تعالى وقيل في ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة
بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في اياته وفي ايذاء الرسول عليه السلام هو قولهم
شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية وهو العموم فيهما واما
ايذاؤه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وان اذاه عليه السلام
ايذاء له سبحانه **لعنهم الله** طردهم وابعدهم من رحمته **في الدنيا والاخرة** بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها **واعد لهم** مع ذلك
عذابا مهينا يصيبهم في الاخرة خاصة **والذين يوذون المومنين والمومنات** بفعلون بهم ما يتأذون به من قول او فعل وتقييده
بقوله تعالى **بغير ما اكتسبوا** اي بغير جناية يستحقون بها الاذية اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير
حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه **فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا** اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله
تعالى عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النسا اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن
وكانوا لا يتعرضون الا للاما ولكنهم ربما يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر
عمومه لكل ما ذكر ولما سياتي من اراجيف المشركين **يا ايها النبي** بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذا امر النبي صلى الله عليه
وسلم بان يامر بعض المتأذين منهم بما يدفع اذاهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذا فقيل **قل لازواجك وبناتك ونسا
المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن** الجلباب ثوب اوسع من الخمار دون الردا تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها
وقيل هي الملحفة وكلما يتستر به او يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود
التلفع ببعضها وارخا بعضها عن التي تغطي احدى عينيها وجهها والشق الاخر الا العين **ذلك** اي ما ذكر من التغطي **ادنى** اقرب
ان يعرفن ويميزن عن الاما والفتيات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم **فلا يوذين** من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن **وكان الله غفورا**
لما سلف منهن من التفريط **رحيما** بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات **لين لم ينته المنافقون** عما هم عليه من النفاق
واحكامه الموجبة للايذا **والذين في قلوبهم مرض** عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه **والمرجفون في المدينة** من
الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف
التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة **لنغرينك بهم** لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما
يطردهم الى الاجلاء ويحرضك على ذلك **ثم لا يجاورونك** عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الاجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه السلام
اعظم ما يصيبهم **فيها** اي في المدينة **الا قليلا** زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتها وعدمه **ملعونين** نصب على الشتم او الحال
على ان الاستثنا انتصابه على قوله تعالى **اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا** لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها **سنة الله في الذين
خلوا من قبل** اي سن الله ذلك في الامم الماضية سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبيا عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف

وتخوه

وتخوه اينما ثقفوا **ولن تجد لسنة الله تبديلا** لابتنائها على اساس الحكمة الذي يدور عليها ذلك التشريع **يسالك الناس عن
الساعة** اي عن وقت قيامها لان المشركين كانوا يسألونه عليه السلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزا واليهود امتحانا لان الله تعالى
عمى وقتها من التوراة وساير الكتب **قل انما علمها عند الله** لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى **وما يدريك** خطاب
مستقل له عليه السلام غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة الخلق مرجوة المجي عن قريب اي اي شي يعلمك بوقت
قيامها اي لا يعلمك به شي اصلا **لعل الساعة تكون قريبا** اي شيئا قريبا او تكون الساعة وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز
ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار
للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة لما اشير اليه **ان الله لعن الكافرين** على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته
العاجلة والاجلة **واعد لهم** مع ذلك **سعيرا** نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الاخرة **خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا** يحفظهم
ولا نصيرا يخلصهم منها **يوم تقلب وجوههم في النار** ظرف ليوم لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي
يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى في النار او يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة او من حال الى حال
او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التائين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب
وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضا ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان يكون
عبارة عن كل الجسد قوله تعالى **يقولون** استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند
ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم **يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا** فلا نبتلي بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم
او من نفسها او هو العامل في يوم **وقالوا** عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم
السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق
خلاصهم منها **ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا** يعنون سادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا على الكثرة وقيل والتعبير عنهم بعنوان
السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة **فاضلونا السبيلا** بما زينوا لنا من الاباطيل والالف للاطلاق
كما في واطعنا الرسولا **ربنا اتهم ضعفين من العذاب** اي مثلي العذاب الذي اتيتناه لانهم ضلوا واضلوا **والعنهم لعنا كثيرا**
اي شديدا عظيما وقرئ كبيرا وتصدير الدعا بالندا لتاكيدهم في الجوار واستدعا الاجابة **يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا
موسى** قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من مقالة الناس **فبراه الله مما قالوا** اي فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا في
حقه اي مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسه بان دفع اليها
مالا عظيما فاظهر الله تعالى براءته عليه السلام من ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما
فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به
حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حيا فاطلعهم الله تعالى
على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه السلام عند اغتساله والقصة مشهورة **وكان عند الله وجيها** ذا قربة ووجاهة
وقرئ وكان عبد الله وجيها **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله** اي في كل ما تاتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما
يؤذي رسوله عليه السلام **وقولوا** في كل شان من الشؤون **قولا سديدا** قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا ويقال سدد
السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد **يصلح لكم اعمالكم**
يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها **ويغفر لكم ذنوبكم** ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل
ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات **فقد فاز** في الدارين **فوزا عظيما** لا يقادر قدره ولا
يبلغ غايته **انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها** لما بين عظم شان طاعة الله
تعالى ورسوله ببيان حال الخارجين عنها من العذاب الاليم ومآل المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شان طاعة الله تعالى

ورسوله ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر
عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن
الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد
ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن وعن عدم استعدادهن لقبولها بالاباء
والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام
الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشان
بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها
واشفقن منها ولكن صرف الكلام من سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه
وحملها الانسان اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده وتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها
مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبولها بموجب استعداده الفطري اي عن اعترافه بقوله بلى وقوله
تعالى **انه كان ظلوما جهولا** اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله اي انه كان
مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق دون من عداهم
من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل **ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات** اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام
للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة
بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة
بالكلية والى الفريق الثاني اشير بقوله **ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات** اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله على هؤلاء من
افراده ان يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان
بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتربية المهابة وتهويل الخطب والاظهار في موقع
الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي
شانها ان يكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على
تقرير الوعد الكريم الذي هو ينبئ عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما لشان الطاعة ذريعة الى ذلك بان
من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين بابائه وصفه بالظلم والجهل اولا
وبتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة الانقياد الشامل للطبعي والاختياري
وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون
الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لامانتها واتين بما امرن به انه
كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن
عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله
وكان ظلوما لنفسه بتحمل ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها
بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده
وكونه ظلوما جهولا لما عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا اقرب من التحقيق فتامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على
الاستئناف **وكان الله غفورا رحيما** مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم
قال عليه السلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض** اي له تعالى خلقا وملكا
وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات
كما مر في اية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به
تعالى على ما بين في فاتحة الكتاب ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان
تحت ملكوته تعالى ليس في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل
فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع الحمد به تعالى
وقوله تعالى **وله الحمد في الاخرة** بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد
او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر به بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الاخرة عن التعيين كما
اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الاية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما
في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا
والاخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح
كما يلهمون النفس **وهو الحكيم** الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة **الخبير** ببواطن الاشياء ومكنوناتها
وقوله تعالى **يعلم ما يلج في الارض** الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم
ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها **وما يخرج منها** كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها **وما ينزل
من السماء** كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة **وما يعرج فيها** كالملائكة واعمال العباد
والابخرة والادخنة **وهو الرحيم** للحامدين على ما ذكر من نعمه **الغفور** للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه **وقال الذين كفروا** ارادوا بضمير
المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في
نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا
يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد **قل بلى** رد
لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى **وربي لتاتينكم** تاكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم
على تاويل اليوم او الساعة باليوم والوقت وقوله تعالى **عالم الغيب** الى اخره ايراد للتاكيد وتشديد اثر تشديد وكسر لسورة
تكبرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه احق بالثبوت
واولى لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده
وادخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين
ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا كانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما يصدقوه
مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح **لا يعزب عنه** اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي **مثقال ذرة** مقدار اصغر
نملة **في السموات ولا في الارض** اي كائنة فيهما **ولا اصغر من ذلك** اي من مثقال ذرة **ولا اكبر** اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر
قوله تعالى **الا في كتاب مبين** هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز
ان يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لما ان الاستثناء يمنعه اللهم الا ان يجعل الضمير في عنه
للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعة له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح **ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات** علة لقوله تعالى لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها **اولئك** اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في

حتى الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم
بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا
بالقدح فيها وصدا الناس عن التصديق بها معاجزين اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان من
ارادة اولئك لهم عذاب الكلام فيه كما مر آنفا من في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة رجز سوء العذاب وقوله تعالى
اليم صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين
اوتوا العلم اي يعلم اولوا العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة او من علماء اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما رضي الله تعالى عنهم الذي انزل اليك من ربك اي القران هو الحق بالنصب على انه مفعول
ثان ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مسوق مستانف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات وقيل منصوب عطفا على
تجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجي الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الان برهانا ويحتج به على المكذبين وقد جوز ان
يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار اي ليعلموا يوم القيامة انه الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على
الاسم لانه في تاويل الاسم كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك
الحق وهاديا الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل حال من الذي انزل على
اضمار مبتدا اي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا لما خاطبا بعضهم
لبعض هل ندلكم على رجل يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وانما قصدوا بالتنكير الطعن والسخرية قاتلهم الله تعالى ينبئكم اي
يحدثكم بامر عجاب وقرئ ينبيكم من الانباء اذا مزقتم كل ممزق اي فرقت اجسادكم كل تفريق بحيث صرتم
ترابا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اي تنشؤن خلقا جديدا بعد ان تمزقت اجسادكم مثل ما تجدون اولا تخلقون
خلقا جديدا والاشباع في الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لان ما بعده
ان لا يعمل فيما قبلها وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم
شاع افترى على الله كذبا فيما قاله ام به جنة اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على ان بين
الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون مع الاعتقاد والظاهر ان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا
يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب
عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلائهم بما قالوا في حقه عليه السلام
كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما
يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان مساءتهم
ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان علة ما اجترؤا عليه من الشناعة
الفظيعة كفرهم بالاخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب ايات الله تعالى واستعظام ما قالوا
في حقه عليه السلام وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشأ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه
تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا
الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم منه ولا محيص عنه ان نشأ نخسف بهم الارض كما خسفنا
بقارون او نسقط عليهم كسفا من السماء اي قطعا منها كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم

وقيل

وقيل هو تذكير بما تعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديدا عليها
والمعنى افلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشا نخسف بهم الارض او
نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات فتامل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى
افترى على الله كذبا وكسفا بسكون السين ان في ذلك اي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما
تلي من الوحي الناطق بما ذكر ان في ذلك لاية واضحة لكل عبد منيب شانه الانابة الى ربه فانه اذا تامل فيهما او في الوحي المذكور
ينزجر عن تعاطي القبايح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد اتينا داود
منا فضلا اي اتيناه بسبب انابته وصحة توبته فضلا عن سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه
معجزة خاصة به عليه السلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا
لتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى واتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا اوردها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال اوبي معه
من التاويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة
او بان يتمثل له ذلك كما سبح عليه السلام يسمع من الجبال كما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه
بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من اتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا
والطير بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان اتياها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل
عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى
ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول
معه والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد
وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شانه تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما
لا يخفى على اولي الالباب والنا له الحديد اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء ولا ضرب بمطرقة
او جعلناه بالنسبة الى قوته التي اتيناها لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية
حذف منها الباء وقيل مفسرة على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو
عليه السلام اول من اتخذها وكانت او صفائح قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسال الناس ما
يقولون في داود فيثنون عليه فبعث الله تعالى له ملكا في صورة ادمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع
داود فساله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سال ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى
صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد اي
نسج الدروع فتقصد في نسجها بحيث يتناسب خلقها وقيل قدر مساميرها فلا يجعلها رقاقا ولا غلاظا واردا بندرعه عليه
السلام انه لم تكن مستمرة كما يغني عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به
القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه
السلام ولاهله اني بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح
اي ولسليمان الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي مسيرة شهر كذلك
والجملة اما مستانفة او حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم
يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا بمنزله بناحية دجلة كتبه
بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبايتون بالشام

ان شا الله تعالى **واسلنا له عين القطر** اي النحاس المذاب اسالة من معدنه كما الان الحديد لداود عليه السلام فنبع منه
نباع الما من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسير في الشهر ثلاثة ايام وقوله تعالى **ومن الجن من يعمل بين**
يديه اما من جملة من مبتدا وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدم **باذن ربه** بامره تعالى كما ينبي عنه قوله تعالى
ومن يزغ منهم عن امرنا اي ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان وقري يزغ على البنا للمفعول من الزاغة **نذقه من عذاب**
السعير اي عذاب النار في الاخرة روي عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه
الجني **يعملون له ما يشا** تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى **من محاريب** الى اخره بيان لما يشا من قصور حصينه ومساكن شريفه سميت
بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد **وتماثيل** وصور الملائكة والانبيا عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل
حينيذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا امثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدين ذراعيهما واذا قعد اظلة النسران باجنحتهما **وجفان** جمع جفنه وهي الصحفه
كالجوابي كالحياض الكبار جمع جابيه من الجباية لاجتماع الما فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقري باثبات اليا قيل كان
يقعد على الجفنة الف رجل **وقدور راسيات** ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها **اعملوا آل داود شكرا** حكاية لما قيل لهم وشكرا
نصب على انه مفعول به اي اعملوا شكرا **وقليل من عبادي الشكور** اي المتوفر على ادا الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته
ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر لا الى نهاية ولذلك الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه
السلام جزا ساعات الليل والنهار على اهله فلم تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من ال داود قايم يصلي **فلما قضينا عليه الموت**
اي على سليمان **ما دلهم** اي الجن او اله **على موته الا دابة الارض** اي الارضة اضيفت الى فعلها وقري بفتح الرا وهو تاثر الخشبة من فعلها
يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا **تاكل منساته** اي عصاه من نسات
البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقري منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف
ومنساته على يفعاله كميضاه في ميضاه ومن سانه اي من طرف عصاه من ساة القوس وفيه لغتان كما في قحه بالكسر قرى منساته
فلما خر تبينت الجن من تبينت الشي اذا علمته بعد التباسه عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم **ان لو كانوا يعلمون**
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون ليعلموا موته عليه السلام حيث ما وقع فلم يلبثوا بعده حولا
في تسخيره الى ان خر او من تبين الشي اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب الى اخره وقري تبينت الجن على البنا للمفعول على ان المتبين في الحقيقه هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقري تبينت
الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون
الغيب روي ان داود اسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسي فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليه السلام فاستعمل
فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سال ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم
الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير له باب فقام يصلي متكيا على عصاه فقبض روحه وهو متكي عليها فبقي كذلك وهم فيما
امروا من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين يجتمع حول محرابه اينما صلى عليه السلام فلم يكن ينظر
اليه شيطان في صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد
اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه
قد مات منذ سنه وكان عمره عليه السلام ثلثا وخمسين سنه ملك وهو ابن ثلث عشره سنه وبقي في ملكه اربعين سنه وابتدا
بنا بيت المقدس لاربع مضين من ملكه **لقد كان لسبا** بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها
اي لاولاد سبا بن يشجب بن يعقوب بن قحطان وقري بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقري بقلب الهمزة الفا ولعله اخراج
لها بين بين **في مساكنهم** وقري بكسر الكاف كالمسجد وقري بلفظ الجمع اي في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين

صنعا مسيرة ثلث ليال **اية** دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشا من الامور
البديعة المجازي للمحسن والمسي ومعاضده للبرهان السابق كما في قصة داود وسليمان عليهما السلام **جنتان** بدل من اية او
خبر لمبتدا محذوف اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويويده قراة النصب على المدح والمراد بها جماعتان من البساتين **عن يمين**
وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شمال كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او بستان
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله **كلوا من رزق ربكم واشكروا له** حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها
او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقا بان يقال لهم ذلك **بلدة طيبة ورب غفور** عظيم استينافي مبين لما يوجب
الشكر المامور به اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقري
الكل بالنصب على المدح قيل كان اطيب البلاد هوا واخصبها وكانت المراة تخرج وعلى راسها المكتل فتعمل بيدها فتسير فيما بين
الاشجار فيمتلي المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من موذيات الهوام شي **فاعرضوا** عن الشكر بعد ايانة الايات الداعية
لهم اليه قيل ارسل لهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم **فارسلنا عليهم سيل**
العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم
جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وهي قيل هو السكر الذي يحبس الما وقيل هو اسم للبنا الذي يجعل سدا وقيل هو البنا الرصين
الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ما العيون والامطار وتركت فيها خروقا على ما يحتاجون اليه
في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه
فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقري العرم بسكون الرا قالوا وكان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي صلى الله عليه
وسلم **وبدلناهم بجنتيهم** اي اذهبنا جنتيهم واتيناهم بدلهما **جنتين ذواتي اكل خمط** اي ثمر بشع فان الخمط شجر ينبت اخذ طعما
من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر من كل شي وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع
بها وقيل هو الاراك وكل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقري اكل خمط بالاضافه
وتخفيف اكل **واثل وشي من سدر قليل** معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفا وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر
له وقري واثلا وشيا عطفا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين
والصحيح ان السدر صنفان صنف يوكل من ثمره وينتفع بورقه بغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا توكل اصلا ولا ينتفع بورقه
وهو الضال والمراد ههنا هو الثاني حتما وقال قتاده كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من الشجر باعمالهم وتسمية البدل
جنتين للمشاكلة والتهكم **ذلك** اشارة الى مصدر قوله تعالى **جزيناهم** او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر موكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له
اي ذلك الجزا الفظيع جزيناهم لا جزا اخر وذلك التبديل جزيناهم لا غيرهم **بما كفروا** بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها
منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل **وهل نجازي الا الكفور** اي وما نجازي هذا الجزا الا المبالغ في الكفران
او الكفر وقري يجازى على البنا للفاعل وهو الله عز وجل وهو يجازي على البنا للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البنا للمفعول
ايضا وهذا بيان حالهم في النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفر وما فعل بهم من الجزا وقوله تعالى **وجعلنا بينهم**
وبين القرى التي باركنا فيها حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم
بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف
على كان لسبا لا على ما بعده من الجمل الناطقة بافعالهم وباجزيتها اي وجعلنا مع ما اتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم
اي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين **قرى ظاهرة** اي متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة
لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مساكنهم حتى تخفى عليهم **وقدرنا فيها السير** اي جعلناها

في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابنا السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرايح منها يبيت في
اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك تكميلا لما او توامن انواع النعما وتوفيرها في الحضر والسفر **سيروا فيها** على ارادة القول اى
وقلنا لهم سيروا في تلك القرى **ليالي واياما** اى متى شيتم من الليالي والايام **آمنين** من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف
الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها ليالي اعماركم وايامها ولا
يلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور منزلة
امرهم بذلك **فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا** وقرى يا ربنا بطروا النعمة وسيموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد
والتعب كما طلب بنوا اسرايل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جنانها ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسالوا
ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقرا فعجل الله
تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرى بعد ربنا باعد بين اسفارنا
وبعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتدا والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد ساير هم مع قصرها ودنوها
وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية بطرهم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتبجحون على الله ويتجاوزون عليه **وظلموا انفسهم**
عرضوها للسخط والعذاب حيث بطروا النعمة او غمطوها **فجعلناهم احاديث** اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين
من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومالهم **ومزقناهم كل ممزق** اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان
تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التاثير والايلام
ما لا يخفى اى مزقناهم تمزيقا لا غاية وراه بحيث يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام
وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر من اولاده نسبا وعنهما
اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السما اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مارب وتغريق سيل العرم الجنتين
وعن ابي زيد الانصاري ان عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فعلمه فباع
املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا
ولاية البيت على بني اسماعيل عليه السلام وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر ليسالهم المقام معهم الى ان يرجع اليه
رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلاثة ايام فانهزمت
جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج
وقد رجع اليهم رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكنده وحمير ومن يليهم وسار ثعلبة نحو الشام
فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومصب غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة
فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم اولاد اسماعيل عليه السلام فسالوهم
السكنى معهم وحولهم في ذلك وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان فروة بن مسيك الغطيفي سال النبي صلى الله عليه وسلم
عن سبا فقال عليه السلام هو رجل كان له عشرة اولاد ستة سكنوا اليمن وهم مذحج وكنده والازد والاشعريون وحمير
وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وغاسلة وغسان لما اهلكت اموالهم وخربت اولادهم
بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوايف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج
بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلث قبايل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج
واقاموا عندهم ونزلت طوايف اخرى بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم حسان وغاسلة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب
وغيرهم وسبا يجمع هذه القبايل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت
والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم

ان

ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم **لايات** عظيمة **لكل صبار شكور** اي شانه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى على
مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هولاء بذلك لانهم المنتفعون بها **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه** اى حقق عليهم
ظنه او وجده صادقا وقرى بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق بظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من
القول وقرى بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله اغواهم
وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد اباهم آدم عليه السلام
قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملايكة انه يجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدما وقال لاضلنهم ولاغوينهم **فاتبعوه** اي اهل سبا والناس **الا فريقا من المومنين** اي الا فريقا من فرق المومنين
لم يتبعوه هم المخلصون **وما كان له عليهم من سلطان** اي تسلط واستيلا بالوسوسة والاستغوا وقوله تعالى **الا لنعلم من
يومن بالاخرة ممن هو منها في شك** استثنا مفرغ من اعم العلل ومن موصوله اي وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يومن
بالاخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزا الا لنميز المومن من الشاك او الا ليومن من قدر ايمانه ويشك
من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم متعلقه مبالغة **وربك على كل شي حفيظ** محافظة عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان
متعلقة بما لغة متداخلتان **قل** اي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم **ادعوا الذين زعمتم** اى زعمتموهم
الهة وهما مفعولان ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله تعالى **من دون الله** مقامه ولا
سبيل الى جعله ثانيا صفته اعني قوله تعالى لعدم الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع
او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال **لا يملكون مثقال
ذرة** من خير وشر ونفع وضر **في السموات ولا في الارض** اى في امر من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان الهتهم بعضها سماوية كالملايكة
والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم **وما لهم** اي
لالهتهم **فيهما من شرك** اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا **وما له** اي لله تعالى **منهم** من الهتهم **من ظهير** يعينه في تدبير امرهما
ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد راسا كما في قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى **الا لمن اذن له** استثنا مفرغ من اعم الاحوال
اي لا تقع الشفاعة في حال من الاحوال الا كاينة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملايكة ونحوهم من المستاهلين لمقام
الشفاعة المستحقين لها كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة الكفرة بمعزل من الصواب
او لا تنفع الشفاعة من الشفعا المستاهلين لها في حال من الاحوال الا كاينة لمن اذن له هي لاجله وفي شانه من المستحقين للشفاعة
واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعا اذ لم يوذن لهم في شفاعتهم بل في
شفاعة غيرهم فعلى هذا وثبت حرمانهم عن شفاعة هولا بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين احرموها من جهته
بالمقادير على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموا من جهة العجزة عنها اولى وقرى اذن له مبنيا للمفعول **حتى اذا فزع عن قلوبهم**
اى عن قلوب الشفعا والمشفوع لهم من المومنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع قلوبهم بالف منزل
والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبى عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع
الاذن لمن اذن له وانه مسبوق بالاستيذان المستدعي للتوقف والانتظار للجواب كانه سيل كيف يوذن لهم فقيل يتربصون
في موقف الاستيذان والاستدعا ويتوقفون على وجل وفزع كليا حتى ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي ظهرت لهم تباشير
الاجابة **قالوا** اي المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهموم امره **ماذا قال ربكم** اى في شان الاذن **قالوا** اي الشفعاء
لانهم المباشرون للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة **الحق** ما قاله الحق **وهو العلي الكبير** من تمام
كلام الشفعا قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد

من اشراف الحلايق ان يتكلم الا باذنه وقري فزع مخففا بمعنى قزع وقري فزع على البنا للفاعل وهو الله وحده وقري فرغ
بالرا المهملة والغين المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شي وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ وهو
الخلو حال طرفه عند نفاده واسند اليه على عكس قولهم جري النهر وعن الحسن تخفيف الرا واصله فرغ الوجل عنها اي انتفي عنها
وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه لعرفحال التفريغ وقري افرنقع عن قلوبهم بمعنى الكشف عنها **قل من يرزقكم**
من السموات والارض امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار ان الهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى
وانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السما والارض امن يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون
احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلام **قل الله** اذ لا جواب سواه عندهم **وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين**
اي وان احد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة
الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق في ادنى المراتب الامكانية
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدي ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح
بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقري وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين واختلاف الجارين لـه
للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشيا ويتطلع عليها والضال كانه منغمس في ظلام لا يرى شيا او محبوس في مطمورة لا
يستطيع الخروج عنها **قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون** وهذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف
حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر **قل يجمع بيننا**
ربنا يوم القيامة عند الحشر والحساب **ثم يفتح بيننا بالحق** اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة
والمبطلين النار **وهو الفتاح** الحاكم الفيصل في القضايا المتعلقة **العليم** بما ينبغي ان يقضى به **قل اروني الذين الحقتم** اي الحقتموه
به شركا اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمراى منه عليه السلام اظهار خطابهم العظيم واطلاعهم على بطلان رايهم اي اورنيها لـه
لا نظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شي في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم **كلا** ردع لهم
عن المشاركة بعد ابطال المقايسة **بل هو الله العزيز الحكيم** اي الموصوف بالقاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس
الاشيا واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وعلا او للشان كما في قل هو الله احد **وما ارسلناك الا كافة للناس** اي
الا رسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم والا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتا للمبالغة ولا
سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور **بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ذلك فيحملهم جهلهم
على ما هم عليه من الغي والضلال **ويقولون** من فرط جهلهم وغاية غيهم **متى هذا الوعد** بطريق الاستهزا يعنون به المبشر به والمنذر
عنه والوعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا **ان كنتم صادقين** مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين **قل لكم**
ميعاد يوم اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقري ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم **لا تستاخرون**
عنه عند مفاجاته **ساعة ولا تستقدمون** صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستيخار
في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر سابقه مرارا ويجوز فيها ان يكون نفي الاستيخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجاة فيكون
وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره **وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه** اي من الكتب القديمة الدالة
على البعث وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا
فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة **ولو ترى اذ الظالمون** المنكرون للبعث **موقوفون عند ربهم** اي في موقف المحاسبة
يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتجاوزون ويتراجعون القول **يقول الذين استضعفوا** بدل من يرجع الى اخره اي يقول الاتباع
للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال **لولا انتم** اي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان **لكنا مومنين** باتباع الرسول
عليه السلام **قال الذين استكبروا للذين استضعفوا** استيناف مبني على السوال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب

فقيل

فقيل قالوا **انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين** منكرين لكونهم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم
الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام **وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا** اضرابا عن اضرابهم وابطالا
له **بل مكر الليل والنهار** اي بل صدنا مكركم بنا الليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم
ماكرين على الاسناد المجازي وقري بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صددنا مكركم في الليل والنهار على ان
التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقري بالرفع والنصب اي تكرون الاغوا مكرا دايما لا تفترون عنه
بالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغوا في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه
والنصب على المصدرية اي بل تكرون في الاغوا مكر الليل والنهار اي مكرا دايما وقوله تعالى **اذ تامروننا** ظرف للمكر اي بل مكركم الدايم
وقت امركم لنا **ان نكفر بالله ونجعل له اندادا** على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ
جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال
به من الترغيب والترهيب وغير ذلك **واسروا الندامة لما راوا العذاب** اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال
واخفاها كل منهما عن الاخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم **وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا**
اي في اعناقهم والاظهار في موضع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم **هل يجزون الا ما كانوا يعملون** اي لا يجزون
الا جزا ما كانوا يعملونه على ترك الجار **وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون** تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ
الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المومنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط
الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوها مثل ما قال مترفو اهل مكة في حقه عليه السلام وكادوه بنحو ما كادوا به عليه السلام
وقاسوا امور الاخرة الموهومة والمفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا
ان المومنين هانوا عليه تعالى لما حرموها وعلى ذلك الراي الركيك بنوا احكامهم **وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين**
اما بنا على انتفا العذاب الاخروي راسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الاخرة قبل وقوعها **قل** ردا عليهم وحسما
لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر المنكرين **ان ربي يبسط الرزق لمن يشا** اي يبسطه له **ويقدر** على من يشا ان يقدر
عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس
الامر وربما يوسع عليهما وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما يقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقري بالتشديد **ولكن اكثر**
الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا
ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلا ورفع الدرجات **وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى** كلام مستانف
من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم ولا
اولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا وقري بالذي اي بالشي الذي **الا من امن وعمل صالحا** استثنا من مفعول تقربكم اي وما الاموال
والاولاد تقرب احدا الا المومن الصالح وتشحم على الطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الاموال الى اخره **فاوليك**
اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاوليك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح **لهم جزا الضعف** اي ثابت لهم ذلك
على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاوليك وجزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقري جزا الضعف على انه جزا
الضعف وجزا الضعف بالرفع بدل من جزا **بما عملوا** من الصالحات **وهم في الغرفات** اي غرفات الجنة **امنون** من جميع المكاره وقري
بفتح الرا وسكونها وقري في الغرفة على ارادة الجنس **والذين يسعون في اياتنا** بالرد والطعن فيها **معاجزين** سابقين فيها لانبيائنا

او زاعمين انهم يغوونا اوليك في العذاب محضرون لا يجد لهم نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا من عباده اي يوسعه
عليه تارة ويقدر له اي يضيقه عليه اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى وما انفقتم من شي فهو
يخلفه عوضا اما عاجلا واما اجلا وهو خير الرازقين فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا
اي المستكبرين والمستضعفين يوم ظرف لمضمر متاخر سياتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم نقول للملايكة اهولا اياكم
كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني الخ واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم من
الشفاعة وتخصيص الملايكة لانهم اشرف شركاهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدا الشرك فبظهور
قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم من عبادتهم يظهر حال سايرشركايهم بطريق الاولوية وقرى الفعلان بالنون قالوا
استيناف مبني على سوال نشا من حكاية الملايكة كانه قيل فماذا تقول الملايكة حينيذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك سبحانك
انت ولينا من دونهم والعدول الى الصيغة الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم
كانهم بينوا بذلك براتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن
اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملايكة فيعبدونهم وقيل
يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مومنون الضمير الاول للانس والمشركين او الاكثر
بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال للملايكة عند جوابهم بالتنزه والتبري عما نسب
اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على سبيل روس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجايهم
بالكلية والفا ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملايكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة
عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملايكة للعبدة بنظمه في سلك عدم
نفع العبدة لهم كان يقع على الملايكة لعبدتهم في الاستخلاص والانتفاع كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا يجب
عنه اصلا اما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف
المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجايهم على تحقق النفع يوميذ وقوله عز وجل ونقول
للذين ظلموا عطف على نقول للملايكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملايكة مرتبا على جوابهم المحكي وهذا
حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يوميذ اثر حكاية ما سيقال للملايكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للملايكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات لبعض اخر من كفرانهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى
الله عليه وسلم اياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل
يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الابا الى المخاطبين لا
الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا يعنون القران الكريم
الا افك اي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع مفترى باسناده الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق اي لامر
النبوة والاسلام او القران على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاهم من غير تدبر
ولا تامل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في الاتيين من الاشارة الى القايلين
والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الفاسد الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب
يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام اتيناهم
كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرى يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من التدريس وما ارسلنا اليهم قبلك
من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فان ذهبوا هذا المذهب الزايغ

وهذا

وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرايهم ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية
كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم اي ما بلغ هولاء عشر ما اتينا اوليك من القوة وطول العمر وكثرة المال وما بلغ اوليك عشر
ما اتينا هولاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قوم نوح
فكذبوا عبدنا فكيف كان نكير اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هولاء من مثل ذلك قل انما اعظكم بواحدة اي ما ارشدكم وانصح لكم
الا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى ان تقوموا لله على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدا محذوف اي هي ان تقوموا من
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد مثنى وفرادى اي متفرقين
اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب
من الاطمينان ثم تتفكروا اي امره صلى الله عليه وسلم وما جا به لتعلموا حقيقته وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة استيناف مسوق من
جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتامل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة لا يتصدى
لادعايه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مويد من عند الله تعالى مرشح للنبوة واثق بحجته
وبرهانه واذ قد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم
للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم اليه ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على
معنى ثم تتفكروا اي شي به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد هو عذاب الاخرة فانه عليه السلام
مبعوث في نسيم الساعة قل ما سالتكم من اجر اي اي شي سالتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السوال راسا كقول من
قال لمن لم يعطه شيا ان اعطيتني شيا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سالهم بقوله تعالى ما اسالكم عليه من اجر الا من شا ان
يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه اجري
تسكون اليا وقرباه عليه السلام قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شي شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقري ان اجري
بسكون اليا قل ان ربي يقذف بالحق اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار
الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلا كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او
خبر ثان لان او خبر مبتدا محذوف وقري بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقري بكسر العين وبالفتح كصبور مبالغة غايب قل
جا الحق اي الاسلام والتوحيد وما يبدي الباطل وما يعيد اي زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا
هلك لم يبق له ابدا ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل ما استفهامية
منصوبة بما بعدها قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة
بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى وان اهتديت فبما يوحي الي ربي لان الاهتدا بهدايته وتوفيقه وقري ربي
بفتح اليا انه سميع قريب يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله من المهتدي وان بالغ في اخفايها ولو ترى اذ فزعوا عند الموت
والبعث او عند ... وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في خسف البيدا وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا
دخلوا البيدا خسف بهم وجواب لو محذوف اي لرايت امرا هايلا فلا فوت فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن واخذوا من
مكان قريب من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحرا بدر الى قليبها او من تحت اقدامها اذا خسف بهم والجملة معطوفة على
فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويويده انه قري بالعطف على محله فلا فوت هنا وهناك اخذ وقالوا
امنا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم واني لهم التناوش التناول السهل اي ومن اين لهم ان
يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل لحالهم في الاستخلاص بالايمان
ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشي من علوه تناوله من ذراع في الاستحالة وقري بالهمز على قلب الواو المضمومة وهو من
باب ناشت اذا ابطات وتاخرت ومنه قول من قال

يمه تمنى نبيا ان يكون الطاعي يمه وقد حدثت بعد الامور امور يمه

وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب الشديد الذي انذرهم اياه من قبل ذلك في اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول عليه السلام من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان بعيد من جهة بعيدة من حاله عليه السلام حيث ينسبونه عليه السلام الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شيء من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم كما فعل باشياعهم من قبل اي باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب اي موقع في الريبة او ذي ريبة منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق جاعل الملائكة الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي في اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم بانه في الاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه ايضا بحيث يوصلون اثار قدرته وهذا على تقدير كونه ابداعيا اما على تقدير كون الجعل تصييريا فرسلا منصوب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة صفة لرسلا واولو اسم جمع لذو وكان اولا اسم جمع لذا ونظيرها في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت حالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحة كل منهم ثلثة وخلقا اخر لكل منهم اربعة اجنحة وروي ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وباخرين منها يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سال عليهما السلام انه يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك اني احب ان تفعل فخرج عليه السلام في ليلة مقمرة فاتاه جبريل عليه السلام فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استيناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من احكام مشيته تعالى لا لامر راجع اليه واتم بيان حكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيته ومقتضي حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المشهورة بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كلما يشاؤه ايجابا بينا ما يفتح الله للناس من رحمة عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها

المتناصون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله من خزائن رحمته اي رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اي لا احد يقدر على امساكها وما يمسك اي شيء يمسك فلا مرسل له اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين على ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده اي من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر التكوين وبعدما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اي هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدا محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض بالمطر والنبات كلام مبتدا على التقادير لا محل له من الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل ومجرورته لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدا او لما قيل انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق لما ان معناها نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده راسا مع ان المراد حتما الا ترى الى قوله تعالى لا اله الا هو فانه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا او جار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة بحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود وتعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى فانى تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الشرك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابي الناس مسارعة الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعدما اقيمت عليه الحجة والقمتهم الحجر فتاس باولئك الرسل في المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اي رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما اشتمل عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتاكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بترجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما ينفعكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في لا ارينك ههنا ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه تعالى الغرور اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا وان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول

وتقديم بكم للاهتمام فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له في عقايدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما
يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى
والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصود المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بل هو
توريطهم والقاوهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم
خطواته عذاب لا يقادر قدره شديد لا يبلغ مداه والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل
الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فراه حسنا اما تقرير لما سبق
من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفا لانكار ترتيب ما بعدها على ما قبلها
اي ابعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح
حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى فان الله يضل تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل
بمشيته تعالى فانه تعالى يضل من يشا اي يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل السافلين ويهدي
من يشا اي يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه السلام عن التحسر والتحزن
عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي ابعد كون حالهم كما ذكر يتحسر
عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دلالة بينة واما تمهيد لصرفه عليه السلام كما كان عليه من
الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر
من زين له الكفر من قبل الشيطان فراه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى يطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف
لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشا الخ على انه ممن شا الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ
فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه
السلام على احوالهم وعلى كثرة قبايح اعمالهم الموجبة للتاسف والتحسر عليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او
هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال على صارت حسرات
وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي من القبايح تعليل لما قبل على الوجوه الثلثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل الرياح مبتدا وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير
سحابا حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك
الخاصية ولذلك اسند اليها وللدلالة على استمرار الاثارة فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر
النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها
وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبي عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع
والتكمل المماثل بين احيا الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف
في حيز الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحيا الذي تشاهدونه احيا الاموات في صحة المقدورية وسهولة التاتي من غير تفاوت
بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحيا يرسل الله تعالى من تحت العرش ما تنبت به اجساد الخلق
من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى اتخذوا من دونه الهة ليكونوا لهم عزا
والذين كانوا يتعززون بهم من الذين امنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم
العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة
الاخرة اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغني عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى
وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما

اليه مجاز عن قوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتيهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله هو يقبل
التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي يطلب العزة لا الى الملايكة الموكلين باعمال العباد
فقط وهو يعز صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراة بنصب
العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناين والمصعد
هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعا والاستغفار وقراءة القران وعنه عليه
السلام انه قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قاله العبد عرج به الملك الى السما فحيا بها وجه
الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه فصعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملايكة الا استغفروا حتى يحيى
بهن رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الخ والذين يمكرون السيات بيان لحال الكلم الخبيث
والعمل صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتدبيرهم
الراي في احدى الثلث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده
لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن ساير المفسدين
واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك
المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به عليه السلام هو يبور اي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابادهم الله تعالى
بعد ابادة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلث التي اكتفوا في حقه عليه
السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل اخر على صحة البعث والنشور اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق ادم عليه
السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا او ذكرانا
واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيته وما يعمر
من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله
عز وجل عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زايدا على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة
والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه
اشار صلى الله عليه وسلم بقوله والصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص
فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا اياتي على اخره وقرئ ولا ينقص
على البنا للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل
انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام على الله يسير لاستغنايه عن الاسباب
فلذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمومن والكافر والفرات
الذي يكسر العطش والسايغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف
وملح ككتف وقوله تعالى ومن كل اي من كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وتستخرجون اي من الملح خاصة حلية تلبسونها اما استطراد
في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوايد لا يتساويان من حيث انهما
متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الما لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المومن وان
شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو خاصيته العظمى لبقا احدهما على فطرته الاصلية
وحيازته لكماله دون الاخر وتفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر
خاص من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة

لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الما وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللولو والمرجان وترى
الفلك فيه اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما يلحق لان الخطاب لكل احد يتاتى منه الروية دون المنتفعين
بالبحرين فقط مواخر شواق للما بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحده لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر وقد جواز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اى فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اي تشكروا على ذلك
وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص الاخر باضافة
اخر كل منهما الى الاخر وسخر الشمس والقمر عطفا على يولج واختلافهما صيغة لما ان الايلاج احد الملوين في الاخر متجدد حينا
فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما التجدد والتعدد في اثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري اي بحسب حركته
الخاصة وحركته القسرية على المدار اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا لاجل مسمى قدره الله تعالى
لجريانها وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصتين بهما في فلكيهما والاجل المسمى عن
منتهى دورتهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم اشارة الى الفاعل للافاعيل المذكورة وما
فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه
الصنايع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدايع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا
يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدا في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده
تعالى بالالوهية والربوبية وقرى يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة ان تدعوهم لا
يسمعوا دعاءكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع ولو سمعوا على
الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم متبرون منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور
منهم في الدنيا ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقوله ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبيك
مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق
ما اخبر به من حال الهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب
ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر الخلائق
بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق
المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد ليسوا على صفتكم بل يستمرون على الطاعة او
بعالم اخر غير ما تعرفونه وما ذلك اي ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان باخرين على الله بعزيز متعسر ولا متعذر ولا تزر
وازرة اي لا تحمل نفس اثمه وزر اخرى اثم نفس اخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم فكلاهما اوزارهم ليس فيها من اوزار غيرهم شي وان تدع مثقلة
اي نفس اثقلها الاوزار الى حملها لتحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شي لم يجب لحمل شي منه ولو كان اي المدعو المفهوم من الدعوة
ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرى ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والاول نفي له اجبارا انما تنذر استيناف مسوق لبيان من
يتعظ بما ذكر اي انما تنذر بهذه الانذارات الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غايبين عن عذابه او عن الناس
في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غايب عنهم واقاموا الصلاه اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما
ينفع انذارك وتحذيرك هولاء من قومك او من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي
بالتاثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرى ومن ازكى
فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلاه لانها من معظم مبادي التزكي والى الله المصير لا الى احد غيره استقلالا
واشتراكا فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزا وما يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمومن ولا الظلمات ولا النور اي ولا

الباطل

الباطل ولا الحق وجمع الظلمات جمع افراد النور لتعدد فنون
الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستوا
وتوسيطها بينهما للتاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور فعول من الحر غلب على
السموم وقيل ما يهب ليلا وما يستوي الاحيا ولا الاموات تمثيل اخر للمومنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر
الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلما والجهلة ان الله يسمع من يشاء
اي يسمعه ويوفقه لفهم اياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع
في اقناطه عليه السلام من ايمانهم ان انت الا نذير اي ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظايفك ولا حيلة
لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق اي محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله
بشيرا ونذيرا بالوعد الحق وان من امة اي ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة الماضية الا خلا اي مضى فيها نذير من نبي
او عالم ينذرهم والاكتفا بذكرهم للعلم بان النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد قرنا انفا ولان الانذار هو الانسب
بالمقام وان يكذبوك اي استمروا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الامم العاتية جاتهم رسلهم
بالبينات اي المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور
على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة الاخذ فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تهويل وتشديد
لها الم تر استيناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات
من النبات والجماد والحيوان والسوريه قلبيه اي الم تعلم ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به بذلك الما والالتفات لاظهار
كمال الاعتنا بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبي عن كمال القدرة والحكمة ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها واصنافها
على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيآتها واشكالها والوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في
قوله تعالى ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السودا وقرى جدد بالضم جمع جديد بمعنى
الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او
على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب
تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة ٭ ٭ ٭
٭ والمومن العايذات الطير يمسحها ٭ وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه اي ومنهم بعض مختلف الوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وايراد
الجملتين اسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية من الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في الاحوال الباطنة
لما ان اختلاف الناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات
المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفا علق به الروية بطريق الاستفهام التقريري
المنبي عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت
عن التعليق بالروية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي اكد لقوله تعالى مختلف اي صفة لمصدره المؤكد تقديره
مختلف اختلافا كائنا كذلك اي كاختلاف الثمار والجبال وقرى الوانها وقرى والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من
التقا الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين
من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان طبقات اختلافهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل
واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منها حقها اللائق بها من البيان اي انما يخشاه تعالى بالغيب

العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرى برفع الاسم الجليل ونصب العلما على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا **ان الله عزيز غفور** تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه **غفور** للتايب عن عصيانه **ان الذين يتلون كتاب الله** اي يداومون على قراته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القران وقيل جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذلك فان صيغة المضارع شاهدة باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعها لما سياتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقران الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاسباغ في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوايد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الباقي مشروعا العمل الا حكمها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القران واما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبروا **واقاموا الصلاة** **وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية** كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة **يرجون تجارة** تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبران وقوله تعالى **لن تبور** اي لن تهلك ولن تكسد بالخسران اصلا صفة لتجارة جي بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدايرة بين الربح والخسران لانه اشترى باق بفان والاخبار برجايهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى **ليوفيهم اجورهم** متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم **ويزيدهم من فضله** على ذلك من خزاين رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عدا من افعالهم المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل يرجون على ان اللام للعاقبة **انه غفور** تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم **شكور** لطاعتهم اي مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو وانفقوا **والذي اوحينا اليك من الكتاب** وهو القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتدا **هو الحق مصدقا لما بين يديه** اي احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال موكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقايد واصول الاحكام **ان الله بعباده لخبير بصير** محيط بواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل الحق المعجز الذي هو عيار على ساير الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية **ثم اورثنا الكتاب** اي قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثناه من الامم السابقة اي اخرناه عنهم واعطيناه **الذين اصطفينا من عبادنا** وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهدا على الناس واختصهم بكرامة الانتما الى افضل رسله عليه الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الاية **فمنهم ظالم لنفسه** بالتقصير في العمل به وهو المرجا لامر الله **ومنهم مقتصد** يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السي **ومنهم سابق بالخيرات باذن الله** قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسي والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سياته مكفرة وهو معنى في قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فيدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاوليك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاوليك الذين يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى

عليه

عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له **ذلك** اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف **هو الفضل الكبير** من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تعالى **جنات عدن** اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا خبره **يدخلونها** وعلى الاول هو مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريض على السعي في ادراك شاو السابقين وقرى جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرى يدخلونها على البنا للمفعول **يحلون فيها** خبر ثان او حال مقدرة وقرى يحلون من حليت المراة فهي حالية **من اساور** جمع اسورة جمع سوار **من ذهب** من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه افضل من ساير افرادها **ولولوا** بالنصب عطفا على محل اساور وقرى بالجر عطفا على ذهب اي من ذهب مرصع من لولو او من ذهب في صفا اللولو **ولباسهم فيها حرير** وتغيير الاسلوب قد مر تفسيره في سورة الحج **وقالوا** اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق **الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن** وهو ما اهمهم من خوف سو العاقبة وعن ابن عباس حزن الاعراض والافات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدنيا والدين وقرى الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن **ان ربنا لغفور** اي للمذنبين **شكور** للمطيعين **الذي احلنا دار المقامة** اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا **من فضله** من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شي من قبلنا **لا يمسنا فيها نصب** تعب **ولا يمسنا فيها لغوب** كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفا كل منهما **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم** لا يحكم عليهم بموت ثان **فيموتوا** ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرى فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يوذن لهم فيعتذرون **ولا يخفف عنهم من عذابها** بل كلما خبت زيد اشتعالها **كذلك** اي مثل ذلك الجزا الفظيع **نجزي كل كفور** مبالغ في الكفر او الكفران لا جزا اخف وادنى منه وقرى يجزى على البنا للمفعول واسناده الى الكل وقرى يجازى **وهم يصطرخون فيها** يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته **ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل** باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والان تبين خلافه وقوله تعالى **اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر** جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم ولم نوخركم اولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر يتمكن فيه المتمكن من التذكر والتفكر قيل هو العمر ستون سنة وعن ابن عباس ستون وروى ذلك عن علي رضي الله عنه وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم قال صلى الله عليه وسلم اعذر الله الى امري اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى **وجاءكم النذير** عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه في معنى قد عمرناكم قوله شرحنا الى اخره المراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القران وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير والغاني قوله تعالى **فذوقوا** لترتيب الامر بالذوق على ما قبله من التعمير ومجي النذير في قوله تعالى **فما للظالمين من نصير** للتعليل **ان الله عالم غيب السموات والارض** بالاضافة وقرى بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم **انه عليم بذات الصدور** قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها **هو الذي جعلكم خلايف في الارض** يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول جمع خلايف والثاني خلفا والمعنى انه تعالى جعلكم خلفا في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفا ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة **فمن كفر** منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها **فعليه كفره** اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى **ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا**

خسارًا بيان لوبال الكفر وغايلته وهو مقت الله اياهم او بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسارة الاخرة الذي ما بعده شر وخسارة والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضا الكفر لكل واحد من الامرين الهايلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة قل تبكيتا لهم ارايتم شركاكم الذين تدعون من دون الله اي الهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركا لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركا لا نفسهم فيما يملكونه ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبروني عن شركايكم اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركا فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير اتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الى اخره وقرئ على بينات وفيه ايما الى ان الشرك امر خطير لابد في اثباته من تعاضد الدلايل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورًا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الروسا للاتباع بانهم شفعا عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا استيناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولين زالتا ان امسكهما وما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية مزيدة للابتدا انه كان حليما غفورًا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جنايتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لين اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهما او من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير اي نذير اشرف الرسل عليهم السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورًا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورًا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعل اختلاق ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ ومكرا سيا ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون اي ما ينتظرون الا سنة الاولين اي سنة الله لهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفا التعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفايهما اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تكذيب المكذبين بما يشاهدونه من مسايرهم الى الشام والعراق واليمن ومن اثار ديار الامم الماضية والهمزة لانكار النفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة واطول اعمارًا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوة ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء اي ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما فهم مما قبله من استيصال الامم السالفة وقوله تعالى انه كان عليما قديرًا اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل باوليك ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني ادم وقيل ومن غيرهم ايضا من شوم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ويعضده الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرًا فيجازيهم على ذلك اعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملايكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شيت

يس اما مسرودة على نمط التعديد فلاحظ له من الاعراب او اسما للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحل الرفع على انه

خبر مبتدا محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليه مدار قراءة يس بالفتح والرفع اي هذه يس بالنصب ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضا الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون ان كانت موازنة لمفرد نحو طس ويس وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل تاتي فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في كتاب اسما السور من كتابه وقيل هما حركتا بنا كما في حيث واين حسبما يشهد بذلك قراءة يس بالكسر كجير وقيل الكسر والفتح تحريك للحد في الهرب من التقا الساكنين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه يا انسان في لغة طي قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعله اصله يا انيس فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله والقران بالجر على انه مقسم به ابتدا وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورًا باضمار باء القسم الحكيم اي المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة والمتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم قايله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب للقسم والجملة لرد جواب انكار الكفرة بقولهم في حقه صلى الله عليه وسلم لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه في قوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القران بالاقسام به اولا وبوصفه الحكيم ثانيا تنويه بشانه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته صلى الله عليه وسلم من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدايع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا قوله تعالى على صراط مستقيم خبر اخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفايدته بيان ان شريعته صلى الله عليه وسلم اقوم الشرايع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه صلى الله عليه وسلم من جملة المرسلين بالشرايع تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالجر على انه بدل من القران وايا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول واظهار الفخامة الاضافية بعد فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرافة العامة حث على الايمان به ترغيبا وترهيبا واشعار بان تنزيله ناشي عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر موكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استيناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شان القران وعلى كل تقدير ففيه تفصيل تاكيد لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه من المرسلين اي انك مرسل لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اي لم ينذر اباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فيكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار او الذي انذره او شيا انذره اباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار اباؤهم الاقدمين على انها مصدرية فتكون نعتا لمصدر موكد اي لتنذر انذارا كاينا مثل انذارهم فهم غافلون على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم تنذر اباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره صلى الله عليه وسلم او انذار لغفلتهم المحوجة اليها على ان الضمير للقوم خاصة والمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر اباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم جواب القسم اي والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من غيرهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تاثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هولا الذين

عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اوليك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم
اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوايهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي والاغلال
منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطون روسهم له فهم مقمحون رافعون روسهم غاضون
ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي تكميل اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورايهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب
ذلك لا يقدرون على ابصار شي ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هايلين قد غطيا ابصارهم بحيث
لا يبصرون شيا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في
الادلة والايات وقرى سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فهو بالضم وقرى فاعشيناهم من
العشى وقيل الايتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو
يصلي صلى الله عليه وسلم ومع ابي جهل حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه
فاخبرهم بذلك فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم بيان لشانهم بطريق
التصريح اثر بيانه بطريق التشويق اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون استينافا
موكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه من الاستوا او حال موكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من
يتاثر منه فقيل انما تنذر اي انذارا مستتبعا للاثر من اتبع الذكر اي القران بالتامل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات
الشيطان وخشي الرحمن بالغيب اي خاف عقابه وهو غايب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر
برحمته فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فبشره
بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفا لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحي الموتى بيان
لشان عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطوا اجماليا اي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياوهم اخراجهم من الشرك الى الايمان
فهو حينيذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها واثارهم التي ابقوها من الحسنات
كعلم علموه او كتاب الفوه او حبس وقفوه او بنا بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيات
كتاسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها
وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي اثار المشا   الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الاثار وقرى ويكتب على
البنا للمفعول ورفع اثارهم وكل شي من الاشيا كاينا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشان مظهر لجميع الاشيا مما
كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرى كل شي بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق
حالة غريبة بحالة اخرى كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط واخرى في ذكر حالة غريبة
وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اي بينا لكم احوالا
بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهولاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب
الرسل اي طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه
وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكيه
اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام مفعوله الثاني الى اهلها ونسبة ارسالهم
اليه تعالى في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين بنا على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل
غيرهما فكذبوهما اي فاتياهم فدعوهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها

وقرى بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون
فقالوا اي جميعا انا اليكم مرسلون موكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا
عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يا سين
فسالهما فاخبراه قال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبري الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فبرا فامن حبيب
وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك فقال لهما الناالة سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى
انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى
استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب
بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شي وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل
ما يشا ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فاخذا
بندقتين فوضعاهما في حدقته فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون
لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي
ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احيا ميت امنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت
في سبعة اودية من النار وقال انا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السما فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهولاء الثلاثة
قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن وامن قوم ومن لم يومن
صاح بهم جبريل فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه ثم حيث اقتصروا فيه على حكاية تماديهم في
العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه من يومن احد سوى حبيب ولو ان الملك وقوما من حواشيه امنوا
لكان الظاهر ان يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه
من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملايه فيعزل عنهم معتذرا بالعذر من الاعذار قالوا
اي اهل انطاكيه الذين لم يومنوا مخاطبون للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه
ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شي من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوته
ورسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة
علم الله مع ما وجه علم الله وزادوا اللام الموكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا اي من جهة ربنا الا البلاغ المبين
اي الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالايات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مواخذة لنا بعد ذلك من جهة
ربنا او ما علينا شي نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شي تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك
قالوا لما ضاقت عليهم الحيل وعييت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشامنا بكم جريا على ديدن الجهلة بحيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم
وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشامون بكل ما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين وبنا على ان الدعوة لا تخلو عن
الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر غير متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم وان لم يومنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم
القطر فقالوا لين لم تنتهوا اي عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طايركم اي
بسبب شومكم معكم لا من قبلنا وهو سو عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرى طيركم اين ذكرتم اي وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب
الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرى بالف بين همزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم
لين ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام وان ذكرتم بمعنى طايركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما
تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشرط او مصححا للتوعد اي ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان
فلذلك اتاكم الشوم والظلم والعدوان ولذلك تشاامتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب

النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن امن برسول الله صلي الله عليه وسلم وبينهما ستماية سنه كما امن به تبع الاكبر وورقة بن
نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره عليه السلام احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام
اظهر دينه قال استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية مجيه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا
لهم علي اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتاليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون
تكرير للتاكيد وللتوسل به الي وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض عن الدنيوية والاهتدا الي خير الدنيا والدين
وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم
ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم علي ترك عبادة خالقهم الي عبادة غيره كما ينبي عنه قوله تعالى واليه ترجعون مبالغة في التهديد
ثم عاد الي المساق الاول فقال ااتخذ من دونه الهة انكار ونفي لاتخاذ الالهة علي الاطلاق وقوله تعالى ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عني شفاعتهم شيا اي لا تنفعني شيا من النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استيناف سيق
لتعليل النفي المذكور وجعل صفة لالهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك الهة ليست كذلك وقري ان يردن بفتح
اليا علي معني ان يردني ضرا اي يجعلني مورد الضر اني اذا اي اذا اتخذت من دونه الهة لفي ضلال مبين فان اشراك ما ليس من
شانه نفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا خالق غيره ولا مقتدر ولا خير الا خيره ضلال مبين بين لا يخفي علي احد ممن له تمييز في الجملة اني
امنت بربكم خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك
وانما اكد لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الي ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهار للاختصاص
والاقتدا بهم كانه قال بربكم الذي تدعونا الي الايمان به فاسمعون اي اسمعوا ايماني واشهدوا لي به عند الله وقيل الخطاب
للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الي ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه علي
ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كساير
الشهدا وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الي الجنة علي ما قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل
معناه للبشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة
الي بيانه والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشا عن حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقا ربه بعد ذلك التصلب في
دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة ولذلك قوله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين فانه جواب عن سوال نشا من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية قيل قال الي اخره
وانما تمني علم قومه بحاله ليحملهم ذلك علي اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا علي سنن الاوليا في
كظم الغيظ والترحم علي الاعدا او ليعلموا انهم كانوا علي خطا عظيم في امره وانه كان علي الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة
وقري من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت علي الاصل والبا متعلقة بغفر اي باي
شي غفر لي ربي يريد به تفخيم شان المهاجرة عن ملتهم والمصابرة علي اذيتهم وما انزلنا علي قومه من بعده من بعد قتله او رفعه
من جند من السما لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم
ولاهلاكهم وايما الي تفخيم شان الرسول صلي الله عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا
من السما لما انا قدرنا لكل شي سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من
خصايصك في الاستنصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة علي جند اي وما كنا منزلين علي من قبلهم من حجارة وريح وامطار
شديدة وغيرها ان كانت اي ما كانت الاخذة والعقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام وقري الا صيحة
بالرفع علي ان كان تامة وقري الا رقية واحدة من رقا الطاير اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار الخامدة
رمزا الي ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
يا حسرة علي العباد تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ما ياتيهم من رسول الا
كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصايحهم سعادة الدارين احقا بان يتحسروا ويتحسر عليهم
المتحسرون وقد تلهف علي حالهم الملائكة والمومنون من الثقلين وقد جوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة
لتعظيم ما جنوه علي انفسهم ويويده قراءة يا حسرتا لان المعني يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادي
محذوف وقري يا حسرة العباد بالاضافة علي الفاعل او المفعول او يا حسرة علي العباد باجرا الموصول مجرى الوقف الم يروا اي
الم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا تعمل فيما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها
الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل
من كم اهلكنا علي المعني اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين انفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقري بالكسر علي
الاستيناف وقري الم يروا من اهلكنا والبدل حينيذ بدل اشتمال وان كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الي الحشر
بعد بيان عدم الرجوع الي الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعني الا وجميع فعيل بمعني مفعول ولدينا
ظرف له او لما بعده والمعني ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزا وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة
وقري لما بالتخفيف علي ان ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتاكيد والمعني ان كلهم مجموعون الخ واية لهم الارض
الميتة بالتخفيف وقري بالتشديد وقوله اية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعني العلامة
او بمحضر هو صفة لها والارض مبتدا والميتة صفتها وقوله تعالى احييناها استيناف مبين لكيفية كونها اية وقيل
اية مبتدا ولهم خبره والارض الميتة مبتدا موصوف واحييناها خبره والجملة خبر لاية وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها
صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولي لان نصب الاية هو كون الارض اية لهم لا كون الاية هي الارض
واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون تقديم الصلة للدلالة علي ان الحب معظم ما يوكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل
واعناب اي من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال علي الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال
علي النوع وذكر النخيل دون الثمار ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها وقري
بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعني من العيون اي بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة
مقامه والعيون ومن مزيدة علي راي الاخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتاخيره عن تفجير العيون لانه من مبادي الاثمار
اي وجعلنا فيها جنات من نخيل وزينا مبادي اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجرا الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل
الضمير الي الله بطريق الالتفات الي الغيبة والاضافة لان الثمر خلقه تعالى وقري بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار وبضمه وسكون
وما عملته ايديهم عطف علي ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعني ان الثمر خلق الله لا بفعلهم ومحل
الجملة النصب علي الحالية ويوكد الاول قراءة عملت بلا ها فان حذف العايد من الصلة احسن من الحذف من غيرها افلا
يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفا للعطف علي مقدر يقتضيه المقام اي ايرون هذه النعم
او ايتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذي خلق الازواج كلها استيناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره
علي الاية المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدايع اثار قدرته واسرار حكمته وروايع نعمايه الموجبة للشكر
وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد من السوء اعتقادا وقولا
اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه
علي المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة
من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الي التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال علي الجنس الي الاسم الموضوع له

خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران
اريد به التنزه الى الذات القدسية فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه
وبرائته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمومنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا
يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع **مما تنبت الارض** بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء
المذكورة وغيرها **ومن انفسهم** اي يخلق الازواج من انفسهم اي الذكر والانثى **ومما لا يعلمون** اي والازواج مما لم يطلعهم الله
على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بشي من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق
الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته تعالى وسعة ملكه وسلطانه **واية لهم الليل** جملة
من خبر مقدم ومبتدا موخر كما مر وقوله تعالى **نسلخ منه النهار** جملة مبينة لكيفية كونه اية اي نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من
السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب من الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد
يعكس ومنه الشاة المسلوخة **فاذا هم مظلمون** اي داخلون في الظلام مفاجاة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض
والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السما فان حركتها فيه توجد ابطا
بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس تجري لها في الجو تدوم او لاستقرار لها على نهج مخصوص وبمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق
والمغارب فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام
القابل او بمنقطع جريها عند خراب العالم وقري الى مستقر لها وقري لا مستقر لها اي لا سكون لها فانها متحركة دائما وقري لا مستقر
لها على ان لا بمعنى ليس **ذلك** اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي
ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائقة التي تحار في فهمها العقول والافهام **تقدير العزيز** الغالب بقدرته على كل مقدور **العليم**
المحيط علمه بكل معلوم **والقمر قدرناه** بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقري بالرفع على الابتدا اي قدرنا له **منازل** وقيل قدرنا
مسيره منازل • وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرين والسرطان • والبطين • والثريا • والدبران • والهقعة • والهنعة
والذراع • والنثرة • والطرف • والجبهة • والزبرة • والصرفة • والعوا • والسماك • والغفر • والزبانا • والاكليل •
والقلب • والشولة • والنعائم • والبلدة • وسعد الذابح • وسعد بلع • وسعد السعود • وسعد الاخبية • وفرع الدلو
المقدم • وفرع الدلو الموخر • والرشا • وهو بطن الحوت • ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان
في اخر منازله وهو الذي يكون قبل الاجتماع دق واستقوس **حتى عاد كالعرجون** كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو
الاعوجاج وقري كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون **القديم** العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا **لا الشمس
ينبغي لها** اي يصح ويسهل لها **ان تدرك القمر** في سرعة السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في الاثار والمنافع
او في المكان بان ينزل في منزله او سلطانه فتطمس نوره وايلا حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا تتيسر لها الا ما قدرت لها
ولا الليل سابق النهار اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما اياتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس
فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة مسيره **كل** اي وكلهم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه
الذي هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا
ما في الذوات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها **في فلك يسبحون** يسيرون فيه بانبساط وسهولة **واية لهم انا حملنا ذريتهم** اولادهم
الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونسائهم الذين يصحبونهم فان الذرية يطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر
لما ان استقرارهم في السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع **في الفلك المشحون** اي المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم
فيها حمل ابائهم الاقدمين وفي اصلابهم هولاء وذرياتهم وتخصيص اعقابهم بالذكر دونهم لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب
الذي عليه يدور كونه اية **وخلقنا لهم من مثله** مما يماثل الفلك **ما يركبون** من الابل فانها سفائن البر وما يماثل ذلك الفلك من السفن

والزوارق وجعلها وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعتهم باقدار الله تعالى والهامه
بل مزيد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وعظمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملا
بستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور
منهم واختيار **وان نشا نغرقهم** الى اخره من تمام الاية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى فاذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين وقري بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشية اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق
الا تعلق مشيته تعالى به اي ان نشا نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جي به في خلال
الاية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكانها نوع منه او مع ما يركبون من السفن والزوارق **فلا صريخ لهم**
اي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ **ولا هم ينقذون**
اي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى **الا رحمة منا ومتاعا** استثنا مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية
المتاخرة اي لا يغاثون ولا ينقذون بشي من الاشيا الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ والتمتع بالحياة
الدنيا مترتب عليها ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اي
لنوع من الرحمة والتمتيع **الى حين** اي الى زمان قدر فيه اجالهم كما قيل ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام
واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم عن الايات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الايات الافاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم
تاملهم فيها اي اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الايات او بغيره اتقوا **ما بين ايديكم وما خلفكم** من الافات والنوازل فانها
محيطة بكم او بما يصيبكم من المكاره من حيث يحتسبون او لا يحتسبون ومن الوقايع النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد
لكم في الاخرة او من نوازل السما ونوايب الارض او من عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او ما تقدم من الذنوب وما تاخر **لعلكم
ترحمون** اما حال من واو اتقوا او غاية له اي راجين اي ترحموا او كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس
الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى **وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين** انفهاما
بينا اما اذا كان الانذار بالاية الكريمة فبعبارة النص واما ان كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن ايات ربهم فلان
يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافيه وصيغة المضارع
للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة
الايات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه في حقها والمراد بها اما الايات التنزيلية
فاتيانها نزولها والمعنى ما تنزل اليهم اية من الايات القرانية التي من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل من بدايع صنع الله
وسوابغ الايه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزا واما ما يعمها وغيرها
من الايات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الايات الثلاث المعدودة انفا
فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم اية من الايات التي من جملتها ما ذكر من شوونه
الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المودي الى الايمان به
تعالى وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على
استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الايات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز
النصب على انها حال من مفعول ياتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثنا مفرغ من اعم
الاحوال اي ما تاتيهم من اية من ايات ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او ما ياتيهم اية منها في حال من احوالهم
الا حال اعراضهم عنها **واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله** اي اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها
بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك

الامتثال في الامر ولذلك اتي بمن التبعيضية اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من
فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره **قال الذين كفروا** بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة **للذين آمنوا**
تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى **انطعم** حسبما تعظوننا به **من لو يشاء الله اطعمه** اي على زعمكم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش
حين استطعمهم فقراء المومنين من اموالهم التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون ان الله تعالى لما لم يشأ
اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء
على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك **ان انتم الا في ضلال مبين** حيث تامروننا بما يخالف مشيئة الله وقد جوز ان يكون جوابا لهم من
جهته تعالى او حكاية لجواب المومنين **ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين** اي فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم ايات الوعيد بقيامها ومعنى القرب وهذا اما بطريق
الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد **ما ينظرون** جواب من جهته تعالى اي ما ينتظرون **الا صيحة واحدة** هي النفخة
الاولى **تاخذهم** مفاجاة **وهم يخصمون** اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها لقوله تعالى فاخذتهم الساعة
بغتة وهم لا يشعرون فلا تغتروا بعدم ظهور علاماتها ولا تزعموا انها لا تاتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت
في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس
وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله
فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اهليهم **ولا الى اهلهم يرجعون** اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم
الصيحة فيموتون حيث ما كانوا **ونفخ في الصور** هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي
للدلالة على تحقق وقوعها **فاذا هم من الاجداث** اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء **الى ربهم** مالك امرهم على الاطلاق **ينسلون**
يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين **قالوا** اي في ابتداء بعثهم من القبور **يا ويلنا** احضر
فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا **من بعثنا من مرقدنا** وقرئ من بعثنا من اهب من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله
اهب بنا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم من اختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما
وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وابي بن كعب وقتادة ان
الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيامة ما شاهدوا دعوا
بالويل قالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ
من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمرقد اما مصدر من رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد **هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون** جملة من مبتدا وخبر وما موصوله محذوف العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة والمومنين عدل
به عن سنن سوالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على الذي يهمهم هو السوال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث
كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسالوا
عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل
هو صفة لمرقدنا وما وعد الى اخره خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اي وما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق **ان كانت**
اي ما كانت النفخة التي حكيت انفا **الا صيحة واحدة** حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور **فاذا هم جميع** اي مجموع
لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهويل امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب ما لا يخفى
فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة **شيئا** من الظلم **ولا تجزون الا ما كنتم تعملون** اي الا جزاء ما كنتم تعملونه في
الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط

بينهما

بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمومنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لندامتهم وحسرتهم فان الاخبار بحسن حال
اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهولاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء
ب المومنين والشغل هو الشان الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال
المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد هاهنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان
والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار والسماع او ضرب الاوتار
او التزاور او ضيافة الله او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار ولا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم
كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه
فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره
خبر لان وفاكهون خبر اخر لها اي وانهم مستقرون في شغل واي شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير
والتعبير عن حالهم بهذه الجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها
ولوقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وفكهون
للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى **هم وازواجهم في
ظلال على الارائك متكئون** استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة
ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على انهم مبتدا وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صفة له قدمتا
عليه لمراعاة الفواصل وهو الجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستانف
على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدا مؤخر وقيل متكئين بلا هم نصب على الحال من
المستكن في الظرفين او احدهما وقيل هم تاكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر اخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال
اي هذا الضمير هو حال من المستكن في المعطوف الظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك
جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستر وقال ثعلب لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى **لهم فيها فاكهة** الى اخره
بيان لما يتمتعون به في الجنة من الماكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها فاكهة
من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من
انواع الفواكه وما في قوله تعالى **ولهم ما يدعون** موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشان معين او مبهم ايذانا بانه
الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به يوما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه اذ هي باقية على عمومها قصد بها
التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وايا ما كان فهو مبتدا ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة
وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة كيلا يكون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم
من مدعو عظيم الشان او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور وايا ما كان ففيه دلالة على انهم في
اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كاشترى واشتوى واحتمل اذا اشترى وحمل لنفسه وقيل بمعنى
يتداعون كقوله ارتموه بمعنى تراموه وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من قال
الدعاء اي ما يدعونه اهل الجنة يتداعونه باتيهم فيكون الافتعال بمعنى التفاعل كالاحتمال بمعنى التحمل والارتحال بمعنى
الترحل ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى **سلام** على التقدير الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدا
محذوف **قولا** مصدر موكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة للمكافاة قيل ولهم سلام اي ما يدعون

سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة **رب رحيم** اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك وبدونها مبالغة في التعظيم قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدا ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر موكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم او سلام من الآفات فيكون قولا مصدرا موكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين **وامتازوا اليوم** عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء حال هولاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اوليك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشان وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم **ايها المجرمون** الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل من ان المضمر فتميزوا فبمعزل من السداد لما ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي نفعا لانه مناط الاضمار لسباق الاوهام اليه والانصباب نظم الكلام عليه فبعدما نزلت تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة النازعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه واسقط كونه مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية لكون التصدي لاضمار شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة **الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان** من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق الماخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني آدم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس اليهم ويزينه عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهي لغة بني تميم **انه لكم عدو مبين** اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء على المنهي عنه وقيل تعليل للنهي **وان اعبدوني** عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وفي تقديم النهي عن الامر لما ان حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى **هذا صراط مستقيم** فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا** جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتاكيد التقريع ببيان ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان والخطاب لمتاخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديده بضمتين وتخفيف بضمة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة

وقري

وقرئ جبلا بالياء وهو الصنف من الناس اي وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كبيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى **افلم تكونوا تعقلون** للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم او فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى **هذه جهنم التي كنتم توعدون** استيناف مخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان ومثل قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى **اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم اي ادخلوها من فوق وقاسوا اليوم فنون عذابها بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى **اليوم نختم على افواههم** اي نختم بمنعها عن الكلام للتفاوت الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكي احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم **وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون** يروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى وكذلك نختم وقد قرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم **ولو نشاء لطمسنا على اعينهم** الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم لفعلناه وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على الماضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير **فاستبقوا الصراط** اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع الخافض او هو بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية **فانى يبصرون** الطريق وجهة السلوك **ولو نشاء لمسخناهم** بتغيير صورهم وابطال قواهم **على مكانتهم** اي مكانهم اذ المكانة اخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى **فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون** اي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضي الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها والمعنى مساق الشرطيتين بمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الختم وان المانع ذلك ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية كانه قيل ولو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناه ولكنا لم نشاها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم **ومن نعمره** اي نطل عمره **ننكسه في الخلق** اي نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس **افلا يعقلون** اي ايرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم مشيئته تعالى لهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله **وما علمناه الشعر** رد وابطال لما كانوا يقولونه في حقه صلى الله عليه وسلم من انه شاعر وان ما يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على

خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام
الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والاخرة ومن اين اشتبه عليهم الشؤون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون **وما**
ينبغي له وما يصح له الشعر وما يتأتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون
الحجة اثبت والحجة ادحض واما قوله صلى الله عليه وسلم ، انا النبي لا كذب ، انا ابن عبد المطلب ، وقوله صلى الله عليه وسلم
هل انت الا اصبع دميت ، وفي سبيل الله ما لقيت ، فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير
في له للقران وما ينبغي للقران ان يكون شعرا **ان هو** اي ما القران **الا ذكر** اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى
ان هو الا ذكر للعالمين **وقران مبين** اي كتاب سماوي بين كونه كذلك اي فارق بين الحق والباطل يقرا في المحاريب ويتلى في المعابد
وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوه **لينذر** اي القران او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده
القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار **من كان حيا** اي عاقلا متاملا فان الغافل بمنزلة الميت
او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به **ويحق القول** اي يجب كلمة العذاب
على الكافرين المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن اثار الحياة واحكامها التي هي المعرفة
اموات في الحقيقة **اولم يروا** الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم
يتفكروا او الم يلاحظوا او الم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة **انا خلقنا لهم** اي لاجلهم وانتفاعهم **مما عملت ايدينا** اي مما
تولينا احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتنا
به **انعاما** مفعول لخلقنا وتاخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم مبنيا عن كون المؤخر
امرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة
يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان في تاخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى **فهم لها مالكون** اي
الآيات اي اباهم واثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقويه
لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم
او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال ،
اصبحت لا احمل السلاح ولا ، املك راس البعير ان نفرا ،
والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى **وذللناها لهم** تاسيسا لنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث
لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى **فمنها ركوبهم** الى اخره فان الفاء فيه لتفريع احكام
التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم او مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات
الركوب ، وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع ، وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم **ومنها ياكلون** اي
وبعض منها ياكلون لحمه **ولهم فيها** اي في الانعام بكلا قسميها **منافع** اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار
وغيرها وكالحراثة بالثيران **ومشارب** من اللبن جمع مشرب وهذا اجمال ما فصل في سورة النحل **افلا يشكرون** اي ايشاهدون
هذه النعم اي اينتفعون بها فلا يشكرون المنعم بها **واتخذوا من دون الله** اي متجاوزين الله الذي شاهدوا تفرده بتلك القدرة
الباهرة وتفضيله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة **الهة** من الاصنام واشركوها به تعالى في العبادة **لعلهم ينصرون** رجاء ان
ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور ويشفعوا لهم في الاخرة قوله تعالى **لا يستطيعون نصرهم** الى اخره استئناف سيق
لبيان بطلان رايهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا يقدر الهتهم على نصرهم **وهم** اي المشركون **لهم** اي لالهتهم
جند محضرون يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يباعده مساق النظم

الكريم فان الفاء في قوله تعالى **فلا يحزنك قولهم** لترتيب النهي على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما
علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتيب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير وان ذلك مما يهون الخطب ويورث
السلوة ولعل كونهم معدين لحفظهم وخدمتهم بمعزل من ذلك والنهي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في
الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له صلى الله عليه وسلم عن التاثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه
واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى
المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ها هنا ويريد به نهي مخاطبه عن الحضور اليه والمراد بقولهم هؤلاء الهتنا
وانهم شركاء الله سبحانه في العبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم اليا وكسر الزاي من احزن المنقول من حزن
اللازم وقوله تعالى **انا نعلم ما يسرون وما يعلنون** تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار
فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها
وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات
كان علمه تعالى بالمعلومات مما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول
صورها بل وجود كل شيء في حد ذاته علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشيا البارزة والكامنة واما
لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو ومباديه مضمر في القلب وهو قبل ذلك فتعلق علمه تعالى
بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة **اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة** كلام مستانف مسوق لبيان
بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوه في انفسهم اوضح دلايله واعدل شواهده كما ان ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم
بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف
كما مر في الجملة الانكارية السابقة اي الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من قبل نطفة الى اخره او هي عين الجملة
السابقة اعيدت تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا للانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجيب لما ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق
بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم مما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها
اسهل واكمل فالانكار والتعجيب من الاخلال بذلك ادخل بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول
بعيد قبيح والثاني ابعد واقبح ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان
تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو راي الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق
باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى **فاذا هو خصيم مبين** اي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية
وداخل في حيز الانكار والتعجيب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشيا وامهنها ففاجا خصومتنا في امر يشهد بصحته
وتحققه مبدا فطرته شهادة مبينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة
من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا
ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه واخصمنه واخذ عظما باليا وجعل يفتته
بيده ويقول يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله
تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ
معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من تتمات شواهد صحة البعث **وضرب لنا مثلا** معطوف حينئذ على
الجملة المنفية داخلة في حيز الانكار والتعجيب واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجا خصومتنا
وضرب لنا مثلا اي اورد في شاننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام

او قصة عجيبة فى زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياونا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا
من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى **ونسي خلقه** اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان
ما ضربه اما عطف على ضرب داخل فى حيز الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى **قال** استيناف وقع
جوابا عن سؤال نشا من حكاية ضربه المثل كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال **من يحي العظام** منكرا اشد النكير موكدا له
بقوله **وهي رميم** اي بالية اشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد والمثل على الاول هو انكاره احياءه تعالى للعظام فانه امر عظيم
فى نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشا
بل هو اهون منه فى قياس العقل وعلى الثاني هو احياوه تعالى لها فانه امر عظيم فى زعمه فقد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره
اشد الانكار مع انه فى نفس الامر اقرب شي من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشا او اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين
ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تانيث الرميم مع وقوعه خبرا للموتث لما انه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات
وقد تمسك بظاهر الاية الكريمة من اثبت للعظام حياة بني عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بنجاسته
كالشعر ويقولون المراد باحيا العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة فى بدن حي حساس **قل** تبكيتا له بتذكير
ما يستدعيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها **يحييها الذي انشاها اول مرة** فان قدرته
تعالى كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها **وهو بكل خلق عليم** مبالغ فى العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشا
واعادة محيط بجميع الاجزا المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال
والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشايه
للمنشات وقوله تعالى **الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا** بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفا بعطف صلته على صلته للتاكيد
ولتفاوتهما فى كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله
الصريح مع تاخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قري
الخضرا نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار وهو انك فتقتدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى **فاذا انتم منه توقدون**
فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا
فطرا عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى **اوليس الذي خلق السموات والارض** الى اخره استيناف مسوق من جهته تعالى
لتحقيق مضمون الجواب الذي امر صلى الله عليه وسلم بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي انشاها اول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات
والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما **بقادر على ان يخلق مثلهم** فى الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان
من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقري يقدر وقوله تعالى **بلى** جواب
من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقدير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة
الالزام وقوله تعالى **وهو الخلاق العليم** عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ فى الخلق والعلم كيفا وكما **انما
امره** اي شانه **اذا اراد شيا** من الاشيا **ان يقول له كن** اي ان تعلق به قدرته **فيكون** فيحدث من غير توقف على شي اخر اصلا
وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى فيما اراده بامر المامور المطيع فى سرعة حصول المامور به من غير توقف على شي ما وقري فيكون بالنصب
عطفا على قوله تعالى **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي** تنزيه له عز وجل عما وصفوه تعالى به موجبة لتنزيهه اكمل ايجاب كما ان وصفه
تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشيا رباها مقتضية لذلك اتم اقتضا والملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والرهبوت
وقري ملكة كل شي ومملكة كل شي وملك كل شي **واليه ترجعون** لا الى غيره وقري ترجعون بفتح التا من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد

لا الحي

ما لا يخفى عن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي فى فضايل يس وقراتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية قال صلى الله عليه
وسلم ان لكل شي قلبا وان قلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القران اثنتين وعشرين
مرة وايما مسلم قري عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه
ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون جنازته وايما مسلم قرا يس وهو فى سكرات الموت
لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيه رضوان خازن الجنان بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه
وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان لا يحتاج الى حوض من حياض الانبيا حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلام ان فى القران
سورة تشفع لقاريها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم **والصافات صفا** اقسام من الله عز وجل بطوايف الملايكة الفاعلات
للصفوف على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول والصافات انفسها اي الناظمات لها فى سلك الصفوف بقيامها
فى مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل
الصافات اقدامها فى الصلاه وقيل اجنحتها فى الهوا **فالزاجرات زجرا** اي الفاعلات الزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من
الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة
والاغوا وعن استراق السمع كما سياتي وصفا وزجرا مصدران موكدان لما قبلهما وصفا بها وزجرا بليغا واما ذكرا فى قوله تعالى
فالتاليات ذكرا فمفعول التاليات او التاليات ذكرا عظيم الشان من ايات الله وكتبه المنزلة على الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر موكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر
ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفا للدلالة على ترتبها فى الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة
او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوايف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات فى مراتب الفضل بمعنى ان طوايف تلك
الصلاة ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلما العمال الصا
الصافات ذوات فضل انفسها فى صفوف الجماعات واقدامها فى الصلوات • الزاجرات بالمواعظ والنصايح التاليات ايات الله
الدارسات شرايعه واحكامه • وقيل طوايف القراء الصافات انفسهم فى مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص وطوايف
قوادهم الصافات هم فيها والزاجرات الخيل للجهاد سوقا وللعدو فى المعارك طردا • التاليات ايات الله تعالى وذكره
وتسبيحه فى تضاعيف ذلك والكلام فى العطف ودلالته على ترتب الصافات فى الفضل وترتب موصوفها فانها فيه كالذي
سلف واما الدلالة على الترتب فى الوجود كما فى قوله • يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب فغير ظاهر فى شي من
الطوايف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر فى الملايكة والقراة فتاخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات
الطير من قوله تعالى والطير صافات • والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي • والتاليات كل ما يتلو كتاب الله • وقيل الزاجرات
القوارع القرانية • وقري بادغام التا فى الصاد والزاي والذال **ان الهكم لواحد** جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو
التوحيد بما هو المالوف فى كلامهم من التاكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى **رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق** فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلايل وجود الصانع وعلمه وقدرته
واعدل شواهد وحدته كما مر فى قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ورب خبر بعد خبر او خبر ثان لان او خبر لمبتدا
محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس
واعادة الرب فيها لغاية ظهور اثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلاثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها
وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم فى مغرب واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما

إنا زينا السماء الدنيا أي القربى منكم بزينة عجيبة بديعة الكواكب بالجر بدل من زينة على أن المراد بها الاسم أي ما يزان به لا المصدر فإن الكواكب بأنفسها وأوضاع بعضها من بعض زينة وأي زينة وقرئ بالإضافة على أنها بيانية لما أن الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز أن يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب والمراد هو التزيين في رأي العين فإن جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظر كأنها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة وأشكال رائقة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في السبعة المتوسطة إن ثبت ذلك وحفظا منصوب إما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد وزيناها بالكواكب كقوله تعالى إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون إلى الملإ الأعلى كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حال حفظ السماء عنهم بعد التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في أثناء ذلك من العذاب ولا سبيل إلى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على أن يكون الأصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذف من قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا ثم حذف أن وبقي عملها كما في قول من قال ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى لما أن كل من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فأما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن أمثالها وأصل يسمعون يتسمعون والملأ الأعلى الملائكة وعن ابن عباس هم الكتبة وعنه هم أشراف الملائكة عليهم السلام أي لا يتطلبون السماع والإصغاء إليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف ويقذفون يرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء إذا قصدوا الصعود إليها دحورا علة للقذف والدحور وهو الطرد أو حال بمعنى مدحورين أو مصدر مؤكد لأنهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال أي قذفا دحورا أي بالغا في الطرد وقد جوز أن يكون مصدرا كالقبول والولوع ولهم عذاب واصب أي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير إلا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة فأتبعه شهاب أي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء ثاقب مضيء في الغاية كأنه يثقب الجو بضوئه ويرجم به الشياطين إذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم أو يحرقهم قالوا وإنما يعودون مع علمهم بذلك من يسلم منهم حيا طمعا في السلامة وقيل المراد كواكب السفينة فاستفتهم فاستخبر مشركي مكة أهم أشد خلقا أي أقوى خلقة وأمتن بنية وأصعب خلقا وأشق إيجادا أم من خلقنا من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والمغارب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه إطلاقه ومجيئه بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى إنا خلقناهم من طين لازب فإن الفارق بينه وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الأمم كعاد وثمود من الأمم لأن المراد إثبات المعاد ورد استحالتهم والأمر فيه بالإضافة إليهم وإلى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب بل عجبت أي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وإنكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى أنه بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي إلى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفاعيله ويسخرون ممن يجوزه والعجب من الله إما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم منه فإنه روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء وقيل إنه مقدر بالقول أي قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا أي ودأبهم المستمر أنهم إذا وعظوا بشيء من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون وإذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم وإذا رأوا آية أي معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون إنه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها وقالوا إن هذا أي ما يرونه من الآية الباهرة إلا سحر مبين ظاهر سحريته أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أي كان بعض أجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لأنه منقلب من الأجزاء البادية والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى أإنا لمبعوثون أي نبعث لا نفسه لأن ما بعد أن والهمزة لا يعمل فيما قبله ومنه الخطوة بالتمدد واحد منها كلفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إلى حالة

منافية غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في أإنا لمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بأن واللام لتأكيد الإنكار لا بوجهه ظاهر النظم فإن تقديرا للهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأي الجمهور وأن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الأولى وبطرح الثانية فقط أوآباؤنا الأولون رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه أي وآباؤنا الأولون أيضا مبعوثون وقيل عطف على محل إن واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الإنكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا وأيا ما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على أنهم أقدم فبعثهم أبعد على زعمهم وقرئ أو آباؤنا قل تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وأنتم داخرون لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم أي كلكم مبعوثون والحال أنكم صاغرون أذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه فإنما هي زجرة واحدة هي إما ضمير مبهم مفسره زجرة وضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر وتعليل لنفي مفيد أي إذا كان كذلك فإنما هي إلخ أي لا تستصعبوه والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه إذا صاح عليها وهي النفخة الثانية فإذا هم قائمون من مراقدهم أحياء ينظرون يبصرون كما كانوا أو ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا أي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر يا ويلنا أي هلاكنا احضر فهذا أوان حضورك قوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف أي اليوم الذي نجازى فيه بأعمالنا وإنما علموا ذلك لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضا قوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال قوله تعالى احشروا الذين ظلموا خطاب من الله عز وجل للملائكة أو من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم في الموقف وقيل من الموقف إلى الجحيم وأزواجهم أي أشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قيل وهو عام مخصوص بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وأنت خبير بأن الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم إلى صراط الجحيم أي عرفوهم طريقها ووجهوهم إليها وفيه تهكم بهم وقفوهم إنهم مسؤولون أي احبسوهم في الموقف إنهم مسؤولون أيذانا من أول الأمر بأن ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل فإن ذلك قد وقع قبل الأمر بهم إلى الجحيم بل عما ينطق به قوله عز وجل ما لكم لا تناصرون أيذانا من أول الأمر بأن ذلك ليس للعفو عنهم بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم أي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت لأنه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون بالإدغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم أو أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وأقبل حينئذ بعضهم على بعض هم الأتباع والرؤساء أو الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا أي الأتباع للرؤساء أو الكل إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا عن اليمين عن أقوى الوجوه وأمتنها أو عن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الإنسان الذي هو أشرف الجانبين وأقواهما وأنفعهما ولذلك يسمى يمينا ويتيمن بالسانح أو عن القوة والقسر فتقسروننا على الغي وهو الأوفق للجواب أو عن الحلف حيث كانوا يحلفون أنهم على الحق قالوا استئناف كما سبق أي قال الرؤساء أو القرناء بل لم تكونوا مؤمنين أي لم نمنعكم من الإيمان بل لم تؤمنوا باختياركم وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه فحق علينا أي لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين إنا لذائقون أي العذاب الذي ورد به الوعيد فأغويناكم فدعوناكم

الى الغي دعوة غير ملجية فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد **انا كنا غاوين** فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوايكم
بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية **فانهم** اي الاتباع والمتبوعين **يومئذ في العذاب مشتركون** حسبما كانوا مشتركين
في الغواية **انا كذلك** اي مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية **نفعل بالمجرمين** المتناهين في الاجرام وهم
المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى **انهم كانوا اذا قيل لهم** بطريق الدعوة والتلقين **لا اله الا الله يستكبرون** عن القبول
ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جا بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق
الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين السحر والجنون من ساحته الرفيعة **انكم** بما فعلتم من الاشراك
وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والاستكبار **لذايقوا العذاب الاليم** والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرى بنصب
العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرى لذايقون العذاب على الاصل **وما تجزون الا ما كنتم تعملون** اي الا جزا
ما كنتم تعملونه من السيات او الا بما كنتم تعملونه منها **الا عباد الله المخلصين** استثنا منقطع من ضمير ذايقوا وما بينهما اعتراض
جي به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا او جعله استثنا من ضمير تجزون
على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلا الا بما
جعله استثنا متصلا بتعميم الخطاب في تجزون بجميع المكلفين فانه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذايقوا العذاب الاليم لكن
عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى **اوليك** اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادته
تعالى عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى **لهم** اما خبر له وقوله تعالى **رزق** مرتفع على الفاعلية لما
فيه من الاستقرار او مبتدا ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاوليك والجملة الكبرى واستيناف مبين لما افاده الاستثنا بيانا اجماليا
تفصيليا وقيل هي خبر للاستثنا المنقطع على انه متاول بالمبتدا وقوله تعالى **معلوم** وقيل معلوم الوقت لقوله تعالى لهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى **فواكه** اما بدل من رزق او خبر مبتدا مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق
الجنة كلها فواكه اي ما يوكل بمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل
المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع ساير الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها **وهم مكرمون** عند الله عز وجل لا يبلغهم هوان
وذلك اعظم المثوبات واليقها باولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث اتصل اليهم بغير تعب وسوال كما هو شان ارزاق الدنيا
وقرى مكرمون بالتشديد **في جنات النعيم** اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون وقوله تعالى
يطاف عليهم اما استيناف مبني على سوال نشا من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير في متقابلين او في احد الجارين وقد
جوز كونه صفة لمكرمون **بكاس** باناء فيه خمر او بخمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كقول من قال

وكاس شربت على لذة ۞ واخرى تداويت منها بها ۞

من معين متعلق بمضمر هو صفة لكاس اي كاينة من شراب معين او نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او
الخارج من العيون من عان الما اذا نبع وصف به الخمر وهو لما لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الما قال تعالى وانهار من خمر **بيضا**
لذة للشاربين صفتان ايضا لكاس وصفها بلذة للمبالغة كانها نفس اللذة او لانها تانيث لذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدي تركته ۞ بارض العدى من خشية الحدثان ۞

لا فيها غول اي غايلة كما في خمر الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول **ولا هم عنها ينزفون** يسكرون من نزف الشارب
فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا اخرج دمه كله افرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي
الغول عنها لما انه من اعظم مفاسد الخمر كانه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة
او لغو او تاثيم ولا هم يسكرون وقرى ينزفون بكسر الزاي من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرى ينزفون بضم الزاي

من

من نزف بضم الزاي فيهما **وعندهم قاصرات الطرف** قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم **عين** نجل العيون
جمع عينا والنجل سعة العين **كانهن بيض مكنون** شبههن ببياض النعام المصون من الغبار ونحوه من الصفا والبياض المخلوط بادنى
صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان **فاقبل بعضهم على بعض يتسالون** معطوف على يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما
هو عادة الشراب قال

ومابقيت من اللذات الا ۞ احاديث الكرام على المدام ۞

فيقبل بعضهم على بعض
يتسالون عن الفضايل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتاكيد والدلالة على تحقق
الوقوع حتما **قال قايل منهم** في تضاعيف محاوراتهم **اني كان لي** في الدنيا **قرين** مصاحب **يقول** لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه
من الايمان والتصديق بالبعث **اينك لمن المصدقين** اي بالبعث وقرى بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى
ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون اي لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزا او لمسوسون مربوبون يقال دانه اي ساسه
ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال
تصدقت به لوجه الله ليعوضني الله في الاخرة خيرا منه فقال اينك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله
لا اعطيك شيا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينيذ لتاكيد انكار الجزا المبني على انكار البعث **قال** اي ذلك
القايل بعد ما حكى لجلسايه مقالة قرينه في الدنيا **هل انتم مطلعون** اي الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه
فيما حكاه وقيل القايل هو الله او بعض الملايكة يقولون لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم
قبل ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار **فاطلع** اي عليهم **فراه** اي قرينه **في سوا الجحيم** اي في وسطها وقرى فاطلع
على لفظ المضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا
او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا فاطلعوا هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم
كما هو دين الجلسا فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملايكة ۞ وقرى مطلعون بكسر النون اراد مطلعوني اياي فوضع المتصل
موضع المنفصل لقوله هم الفاعلون الخير والامرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التاخي **قال** اي القايل مخاطبا
لقرينه **تالله ان كدت لتردين** اي لتهلكني بالاغوا وقرى لتغوين والتا فيه معنى التعجب وان هي المخففة من ان وضمير الشان الذي
هو اسمها محذوف واللام فارقة اي تالله ان الشان كدت لتردين **ولولا نعمة ربي** بالهداية والعصمة **لكنت من المحضرين** اي من الذين
احضروا للعذاب كما احضرته انت واضرابك قوله تعالى **افما نحن بميتين** رجوع الى محاورة جلسايه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا
وابتهاجا بما اتاه الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفا للعطف على مقدر يقتضيه
نظم الكلام اي نحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرى بمايتين **الا موتتنا الاولى** التي كانت في الدنيا وهي
متناولة لما في القبر بعد الاحيا للسوال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة
اول ما يدخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جي بالموت على صورة كبش املح وذبح فنودي يا اهل الجنة خلود فلا موت
ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله واغتباطا بها **وما نحن بمعذبين** كالكفار فان النجاة من
العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها **ان هذا** اي الامر العظيم الذي نحن فيه **لهو الفوز العظيم** وقيل هو من قول الله عز
وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرى لهو الرزق العظيم وقيل ما رزقوه من السعادة العظمى **لمثل هذا فليعمل العاملون** اي لنيل
هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الالام وهذا ايضا يحتمل ان يكون
من كلام رب العزة **اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم** اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشي فانتصابه على التمييز اي
اذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيا من
الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير
في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق وفره مره كريهة الرايحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة **انا جعلناها فتنة**

للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة وابتلا في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم
يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظها من الاحراق انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل او الطلوع من الشجر قالوا اول
الطلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالتخيل كتشبيه الفائق في
الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهايلة القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر
الصورة يسمى شجرة الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة او من طلعها فالتانيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها البطون
لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها على الشجرة التي ملؤا منها بطونهم بعد ما
شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبي عنه كلمة ثم ويجوز ان يكون لما في شرابهم من مزيد البشاعة والكراهة لشوبا
من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بما حميم تقطع امعاهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم
اي مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم اي دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل تقدم اليهم قبل دخولهم وقيل الحميم خارج
عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم
فياكلون منها الى ان يمتلي بطونهم ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا اباهم ضالين
تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الابا في الدين من غير ان يكون لهم ولا لابائهم شي يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين
في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق او لا مع ظهور
كونهم على الباطل بادنى تامل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه
شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد
ارسلنا فيهم منذرين اي انبيا اولي عدد كثير وشان خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبة الوخيمة وتكرير القسم
لابراز كمال الاعتنا بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار
ولم يرفعوا له راسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم
هلكوا اهلاكا فظيعا استثني منهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي الذين اخلصهم الله بتوفيقهم للايمان والعمل
بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان
احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله ووفقهم للايمان كما اشار اليه
الاستثنا كقوم يونس عليهم السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر الامم غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف كما في قوله تعالى
فلنعم المجيبون اي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا
ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبريا
ونجيناه واهله من الكرب العظيم اذى قومه او من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا
الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اذ قد روي انه مات كل من معه في السفينة غير ابنائه وازواجهم
او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام
وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج
وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقوله قرأت سورة انزلناها والمعنى
يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اي فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قولنا وقوله تعالى
في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعا بثبوت هذه التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا قوله تعالى انا

كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية
ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان
وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف والكل متعلقة بما بعدها اي مثل ذلك الجزاء الكامل في الاحسان لا جزاء ادنى منه قوله
تعالى انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى
ثم اغرقنا الآخرين اي المغايرين لنوح واهله وهم كفار قريش اجمعين وان من شيعته اي ممن شايعه في اصول الدين لابراهيم
وان اختلفت فروع شرايعهما ويجوز ان يكون بين شريعتهما كلي او اكثري وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه
على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهما السلام وكان بين نوح وابراهيم عليه السلام
الفان وستمائة واربعون اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم اي من آفات القلوب
او من العلائق بما في الشيعة من معنى انشاعلة عن التبتل الى الله تعالى ومعنى المجي به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل
اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاول او ظرف لجا او لسليم اي اي شي تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون اي
اتريدون آلهة من دون الله افكا اي للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم
بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم يفسر الاول بقوله آلهة من دون الله دلالة على
انها افك في نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى افكين فما ظنكم برب العالمين اي بمن هو
حقيق بالعبادة لكونه رب العالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به نفس مخلوقاته او فما ظنكم به اي شي هو من الاشيا حتى جعلتم
الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم من الاشراك فنظر نظرة في النجوم قيل كانت له عليه
السلام حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة واذا هي قد حضرت فقال اني سقيم وكان صادقا
في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او في احكامها ولا منع
من ذلك حيث كان قصده عليه السلام ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به عليه السلام الى معبدهم ليتركوه فان القوم كانوا
نجامين فاوهمهم انه قد استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم
وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا الى معبدهم وتركوه في بيت الاصنام وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اي
هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم اي ذهب اليها في خفية واصله الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تاكلون
اي من الطعام الذي كانوا يضعونه عندها ليتبرك عليه ما لكم لا تنطقون اي بجوابي فراغ عليهم قال مستعليا عليهم وقوله تعالى
ضربا باليمين مصدر موكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله او فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو حال منه
على انه مصدر بمعنى الفاعل اي فراغ عليهم ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة
الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله

اذا ما راية رفعت لمجد ۞ تلقاها عرابة باليمين

اي بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي المامورون باحضاره عليه السلام
بعد ما رجعوا عن عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسالوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام فعل ذلك يزفون
حال من واو اقبلوا اي يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف ومن ازفه اي حمله على الزفيف اي
يزف بعضهم بعضا ويزفون على البنا للمفعول اي يحملون على الزفيف فيزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان
بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه عليه السلام قال اي بعد ما اتوا به عليه السلام وجرى بينهم وبينه من المحاورات ما نطق به قوله
تعالى قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى ما هؤلاء ينطقون اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام وقوله

تعالى **والله خلقكم وما تعملون** حال من فاعل تعبدون موكدة للانكار والتوبيخ اي والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه
فان جواهر اصنامهم ومادونها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه ما قدره تعالى اياهم عليه وخلقهم ما يتوقف عليه فعلهم من
الدواعي والعدد والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضميرها تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز
وجل ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه فينتظم
الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اي
عملكم على انه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك **قالوا ابنوا**
له بنيانا فالقوه في الجحيم اي في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التاجج واللام عوض من المضاف اليه اي جحيم
ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبيا **فارادوا به كيدا** فانه عليه السلام لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا
ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم **فجعلناهم الاسفلين** الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نائرا على علو شانه عليه
السلام بجعل النار عليه بردا وسلاما **وقال اني ذاهب الى ربي** اي مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام
او الى حيث اتحرى فيه لعبادته **سيهدين** اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله
او للبنا على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سوا السبيل ولذلك اتى بصيغة
التوقع **رب هب لي من الصالحين** اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويونسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة
على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا ولقوله تعالى
فبشرناه بغلام حليم وانه صريح في ان المبشر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاثة بشارة انه
غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم يعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تومر
ستجدني ان شا الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبيا عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم واسمعيل فانه
تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد اعدل شاهد بذلك والفا في قوله تعالى **فلما بلغ معه السعي** فصيحة معربة عن مقدر قد حذف
تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتاخر بعد البشارة كما في قوله تعالى فلما راه
مستقرا عنده اي فوهبناه له فنشا فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبي عنه السعي لا بنفسه
لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما بلغ السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في
الرفق والاصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة **قال** اي ابراهيم عليه السلام
يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اي ارى هذه الصورة بعينها وما هذه عبارته وتاويله وقيل انه راى ليلة التروية كان قائلا
يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى انه من الله هذا الحلم او من الشيطان فمن ثمه سمي يوم التروية فلما امسى راى
مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثمه سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين
بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب ابراهيم عليه السلا
اذ هو الذي ذهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحاق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا
ابن الذبيحين فاحدهما جده اسماعيل عليه السلام والآخر ابوه عبد الله كان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله حفر بير
زمزم او بلغ ابنه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنه حابه ولان ذلك كان
بمكة وكان قرنا الكبش معلقان بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحاق ثمه لان بشارة اسحاق كانت مقرونة بولادة
يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله
ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك فلم يثبت وقرئ بفتح اليا فيهما
فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم

لبوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد قبل نزوله وقرئ ما ترى بضم التا وكسر الرا وبفتحها مبنيا للمفعول **قال**
يا ابت افعل ما تومر بحذف الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول الى العائد بعد انقلابه موصولا باتصاله
في الفعل وحذفا دفعة او افعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور امرا وقرئ ما تومر به وصيغة المضارعة
للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به **ستجدني ان شا الله من الصابرين** على الذبح او على قضا الله **فلما**
اسلما استسلما الامر وانقادا وخضعا له تعالى يسلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم
هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه سلم لامر الله واسلم له منقولان منه ومعناه وجعلها سالمة وكذلك معنى استسلم
استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة في اسلما اسلم ابراهيم ابنه واسماعيل نفسه **وتله للجبين** صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض
وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله وكان ذلك عند الصخرة من منى
وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل المنحر الذي ينحر فيه اليوم **وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا** بالعزم على
الاتيان بالمامور وترتيب مقدماته وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب
السكين فعند ذلك وقع الندا وجواب لما محذوف ايذانا بعدم التعبير بالتفاصيل كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان
من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من قطع البلا بعد حلوله فالتوفيق لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على
العالمين احرازا للثواب العظيم الى غير ذلك **انا كذلك نجزي المحسنين** تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من
جوز النسخ قبل وقوع المامور به فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تومر ولم يحصل **ان هذا لهو البلا المبين**
الابتلا البين الذي يتميز فيه المخلص عن غيره والمحنة البينة الصعوبة انه لا شي اصعب منها **وفديناه بذبح** بما يذبح بدله فيتم به الفعل
عظيم اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسماعيل عليه السلام وقيل فدي
بوعل اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان
حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله
اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والمنادي محذوف في الحقيقة هو ابراهيم وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطي
والامر به على التجوز في الفدا او الاسناد **وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم** قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح **كذلك نجزي**
المحسنين ذلك اشارة الى ما ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفا
بما مر انفا **انه من عبادنا المومنين** الراسخين في الايمان على وجه الايقان والاطمينان **وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين** اي مقضيا
بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجوده المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال
ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه
بوجود اسحاق بان يوجد اسحاق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان دخول الداخلين كانوا مقدرين
دخولهم وقت الدخول واسحاق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحاق جعل المقصود
من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايما الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على
الاطلاق **وباركنا عليه** اي على ابراهيم في اولاده **وعلى اسحاق** بان اخرجنا من صلبه انبيا بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهما
السلام وافضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا **ومن ذريتهما محسن** في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة **وظالم لنفسه**
بالكفر والمعاصي **مبين** ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا تاثير له في الهداية والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما
بنقيصة ولا عيب **ولقد مننا على موسى وهارون** اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية **ونجيناهما وقومهما**
وهم بنو اسرائيل **من الكرب العظيم** هو ملكة ال فرعون وتسلطهم عليهم بالوان الغشم والعذاب كما في قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون

وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة **ونصرناهم** اي اياهما وقومهما على عدوهم **فكانوا** بسبب ذلك **هم**
الغالبين عليهم غلبة لا غاية وراها بعد ان كان قومهما في اسرهم وتسخيرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب
وهذه النتيجة وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه
بدي بها ثم بالنصر الذي يتحقق مدلوله بمحض نتيجة التصور من عدوه من غير تغلبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه بالاظهار
ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها **واتيناهما** بعد ذلك **الكتاب المستبين** اي البليغ في البيان وهو
التفصيل وهو التوراة **وهديناهما** بذلك **الصراط المستقيم** اي الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرايع وتفاريع
الاحكام **وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهارون** اي ابقينا فيما بين الامم الاخرين هذا الذكر الجميل والثنا الجزيل
انا كذلك الجزاء الكامل **نجزي المحسنين** الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه **انهما من عبادنا المؤمنين** سبق بيانه **وان الياس لمن المرسلين**
هو الياس بن ياسين من سبط هارون اخي موسى عليهما السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس مكانه وقرئ
ابليس وقيل الياس بحذف الهمزة **اذ قال لقومه الا تتقون** عذاب الله **اتدعون بعلا** اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم
صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به
وعظموه حتى اخدموه اربعماية سادن وجعلوهم انبيا فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة
يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي تعبدون بعض البعول **وتذرون احسن الخالقين** اي وتتركون
عبادته وقد اشير فيه الى المقتضي الى الانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى **الله ربكم ورب ابائكم الاولين** بالنصب على
البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لابائهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى
والاشعار ببطلان اراء ابائهم ايضا **فكذبوه فانهم** بسبب تكذيبهم ذلك **لمحضرون** اي العذاب والاطلاق للاكتفا بالقراين
على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر **الا عباد الله المخلصين** استثنا من ضمير محضرون **وتركنا عليه في الاخرين**
سلام على الياسين هو لغة في الياس كسينا في سينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والمحسبين وفيه ان العلم
اذا جمع يجب تعريفه كالمثالين **انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين** مر تفسيره **وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه**
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين اي اذكر وقت تنجيتنا اياه **من** اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين **ثم دمرنا الاخرين**
وان في ذلك شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين **وانكم** يا اهل مكة **لتمرون عليهم** على منازلهم في متاجركم الى الشام
وتشاهدون اثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام **مصبحين** داخلين في الصباح **وبالليل** اي ومسا ونهارا وليلا ولعلها وقعت
لقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مسا **افلا تعقلون** اي اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا وتخافوا
ان يصيبكم مثل ما اصابهم **وان يونس لمن المرسلين** وقرئ بكسر النون **اذ ابق** اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه
من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه **الى الفلك المشحون** اي المملو **فساهم** فقارع اهله **فكان من المدحضين** فصار من
المغلوبين بالقرعة واصله الهرب من السيد المزلق عن مقام الظفر روي انه عليه السلام لما اوعد قومه بالعذاب خرج من بينهم
قبل ان يامره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الابق ورمى بنفسه
في الما **فالتقمه الحوت** فابتلعه من اللقمة **وهو مليم** داخل في الملامة او ات بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا
من عليه من ليم كمشيب في مشوب **فلولا انه كان من المسبحين** الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا
اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان كثير الصلاة في الرخا **للبث في بطنه الى يوم**
يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السرا اخذ بيده عند الضرا **فنبذناه بالعرا**
بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس
عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شي فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية

من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم
اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه روي عطا انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله
لك طعاما **وهو سقيم** مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد **وانبتنا عليه** اي فوقه مظلة عليه **شجرة من يقطين** وهو ما
ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثا والحنظل وهو مفعل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون على
انه الدبا غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل
هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت
وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها **وارسلناه الى ماية الف** هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق
اولا بانه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه عليه السلام الى الفلك وما
بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى او تعيينه بوقت حلوله وتعللهم
وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو
المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفا مع بعد المنا والتي وقيل هو ارسال اخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر **او يزيدون**
اي في مراى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم ماية الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو **فامنوا** اي بعد
ما شاهدوا علائم طول العذاب ايمانا خالصا **فمتعناهم الى حين** اي بالحياة الدنيا الى حين قدره الله سبحانه لهم ولعل عدم
ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب الشرايع واولي العزم من الرسل والاكتفا
بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في اخر السورة **فاستفتهم** امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتا وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا
محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر
انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين فانه تعالى ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل
مبينا في كل قصة منها انهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم ههنا بتبكيتهم
بطريق الاستفتا عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزايغ
حيث كانوا يقولون لبعض العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملايكة بنات الله والفا لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك
الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم بتبكيتهم
بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملايكة بجعلهم اناثا ثم ابطال اصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهي نسبة الولد
اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك اي فاستخبرهم **الربك البنات**
اللاتي هن اوضع الجنسين **ولهم البنون** الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شي من العقل وقوله تعالى **ام**
خلقنا الملايكة اناثا اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتا السابق الى التبكيت بهذا كانه اشير اليه بل اخلقنا
الملايكة الذين هم من اشرف الخلايق وابعدهم من صفات الاجسام ورذايل الطبايع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان
قوله تعالى **وهم شاهدون** استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفا النقل مما لا ريب
فيه فلا بد ان يكون القايل بانوثتهم مشاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا بل اي اخلقناهم اناثا والحال انهم
حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا اي بل هم شاهدون وقوله تعالى **الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله** استينافا من جهته
غير داخل تحت الامر بالاستفتا مسوق لابطال مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافترا القبيح من غير
ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا **وانهم لكاذبون** في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتدا محذوف

اي الملايكة ولده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث
اصطفى البنات على البنين اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامهم لامرين الاستحالة وهو اصطفاوه تعالى
البنات على البنين والاصطفا اخذ صفوة الشي لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القران
عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى الى اخره تعسف بعيد ما لكم كيف تحكمون
بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول افلا تذكرون بحذف احدى التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفا
للعطف على مقدر اي الا تلاحظون ذلك افلا تذكرون بطلانه فانه مركوز في عقل كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين اضراب
وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بتكليفهم بما لا يدخل تحت الوجود اصلا اي بل لكم حجة واضحة نزلت عليكم من السما بان الملايكة
بناته تعالى ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي فاتوا بكتابكم الناطق
بصحة دعواكم ان كنتم صادقين فيها وفي هذه الايات من الانبا على السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد
الشديد لاباطيلهم وتسفيه احكامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزايهم وتعجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تامل فيها وقوله
تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم
ويحكى جناياتهم للاخرين والمراد بالجنة الملايكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان
ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا لهم مع عظم شانهم فيما بين الخلق ان يبلغوا
منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملايكة بنات الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من
قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي وتالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه نسبا وهم الملايكة
ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترايهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذي يدعي
هولا لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال تكذبهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما موكدا وقيل ان
قوما من الزنادقة يقولون الله وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقوال وهو مذهب المجوس القايلين بيزدان واهرمن وقال
مجاهد قالت قريش الملايكة بنات الله فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا
بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا بينه تعالى والجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز ان
يكون الضمير في انهم لمحضرون للجن فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى
او شركا في استحقاق العبادة لما عذبهم والاوجه هو الاول فان قوله سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه الملايكة اياه
تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين
شهادة منهم ببراة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبريهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين عن ان يصفوه
تعالى بذلك متضمنة لتبريهم على ابلغ وجه واكده على انه استثنا منقطع من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملايكة ان المشركين
لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برا من ذلك الوصف وقوله تعالى
فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراة المخلصين مما ذكره ببيان عجزهم عن اغوايهم واضلالهم والالتفات
الى الخطاب لاظهار كمال الاعتنا بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بان
تبريهم عنه وعن عبادتهم لقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين
يقال فتن فلان على فلان امراته اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده
واضلالهم الا من هو صال الجحيم منهم اي داخلها بقوله تعالى بانه يصير على الكفر بسو اختياره ويصير من اهل النار لا محالة
واما المخلصون منهم فانهم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لا جرم برا من ان يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتمو

وقرئ صال بضم اللام على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقا الساكنين قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله عن ذلك وتنزيه
المخلصين عنه واظهار لقصور شانهم وكمالهم اي وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتها الى امر الله مقصور عليه
لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي عنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا
يرفع راسه قال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اطت السما
وحق لها ان تيط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الا له مقام
معلوم في القربة والمشاهدة وانا لنحن الصافون في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون لله سبحانه
عن كل ما لا يليق بجناب كبريايه وتحلية كلامهم بفنون التاكيد لابراز ان صدورها عنهم بكمال الرغبة والنشاط وهذا هو الذي
يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الاية الكريمة واعرابها وجوه اخر فتامل والله الموفق وان كانوا ليقولون ان هي المخففة
من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشان كانت قريش تقول لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من
كتب الاولين من التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقوله تعالى
لين جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم والفا في قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر
فانفلق اي فجاءهم ذكر واي ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على ساير الكتب والاسفار فكفروا به فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم
وغايلته ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استيناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتنا بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد
سبق وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين لهم الغالبون على اعدايهم في
الدنيا والاخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصر وان وقع في تضاعيف ذلك
شوب من الابتلا والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة وقرئ على عبدنا بتضمين سبقت معنى
حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين الى مدة يسيرة وهي
مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على سو حال وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر
بابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينيذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا
يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم اي فاذا نزل العذاب الموعود
بفنايهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ بفنايهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب
فسا صباح المنذرين فبيس صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما
كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين
الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فسا صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية
وتاكيد لوقوع الميعاد غب تاكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره صلى الله عليه وسلم حينيذ
من فنون المسار وما يبصرونه من انواع المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب
الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريايه وجبروته مما ذكر
في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما ينبي عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره صلى الله
عليه وسلم اولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصف المشركون

به من الاشيا التي منها ترك نصرك عليهم كايدل عليه استعجالهم بالعذاب قوله تعالى **وسلام على المرسلين** تشريف له صلى الله
عليه وسلم بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بنبيائهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فايزون بجميع المارب قوله تعالى **والحمد
لله رب العالمين** اشارة الى وصفه تعالى وصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته وايذان باستتباعها
الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم وعلى من تبعهم من فنون الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده
صلى الله عليه وسلم من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المومنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله
الذين هم وسايط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على
المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده بختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى عليهم من موجبه نعمة
الموجبة للحمد عن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن النبي عليه السلام من قرا الصافات اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبري من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مومنا

ص بالسكون على الوقف وقرى بالكسر والفتح لالتقا الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موقع الجر كقولهم
الله لافعلن بالجر وان يكون نصبا باضمار اذكر او اتل لا فتحا كامر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث
لانها علم للسورة وقد صرفها من قراص بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراة الكسر امر من المصاراة وهي المعارضة
والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته
عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل
عن اكابر السلف او اسما للسورة خبر المبتدا المحذوف او نصبا باذكروا او اقرا او ابرا من المصادة فالواو في قوله تعالى **والقران
ذي الذكر** للقسم وان جعل مقسما به فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وايا ما كان ففي التكرير مزيد
تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكر والموعظة او ذكر
ما يحتاج اليه من امر الدين من الشرايع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبيا عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد
والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبي عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى
به معجزا او كون المامور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام اي اقسم بالقران وبصاده انه المعجز او الواجب العمل
به او حقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل المقسم فان التسمية
تنويه بشان المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقران ذي الذكر اذ هذه السورة عظيمة الشان والقران الى اخره
على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبيا عن انتفا الريب عن مضمونه بالكلية انبا بينا كما في قوله
تعالى **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** اضرابا عن ذلك كانه قيل لاريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب
ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه
الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرى في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي
الايمان ودواعيه **كم اهلكنا من قبلهم من قرن** وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين
ومفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية **فنادوا** عند نزول باسنا وحلول نقمتنا
استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك قوله تعالى **ولات حين مناص** حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال
ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لامن ناص بمعنى تاخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها التا التانيث
للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التا وخصت

ينفي

بنفي الاحيان وحين منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر او ولا ارى حين مناص وقرى بالرفع
فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدا محذوف الخبر اي ولا حين مناص كاين لهم
وقرى بالكسر كما في قوله ✱ طلبوا صلحنا ولات اوان ✱ فاجبنا ان لات حين بقا ✱ اما لان لات تجر
الاحيان كما ان لولا تجر الضماير كما في نحو قوله ✱ لولاك في هذا العام لم احجج ✱ او لان لات ان شبه باذ في قوله ✱ ✱ ✱
✱ نهيتك عن طلابك ام عمرو ✱ بعاقبة وانت اذ صحيح ✱ في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله وان
صح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصل حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد
ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرى لات بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالها كالاسما والبصريون بالتا كالافعال وما
قيل من ان التا مزيدة على حين لاتصالها به في الامام لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس **وعجبوا ان جاهم منذر منهم**
حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا ان جاهم رسول منهم من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة
الدنيوية والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه
وتعجبوا منه **وقال الكافرون** وضع فيه الظاهر موضع المضمر غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا
المتوغلون في الكفر والفسوق **هذا ساحر** فيما يظهره من الخوارق **كذاب** فيما يسنده الى الله من الارسال والاعمال **اجعل
الالهة الها واحدا** بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد **ان هذا لشي عجاب** بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا
عليه اباهم الذين اجمعوا على الوهيتهم واطبقوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما ياتون وما يذرون من امور دينهم
هو التقليد والاعتبار فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما ما جعل مدار تعجبهم عدم وفا علم الواحد وقدرته بالاشيا
الكثيرة فلا وجه له لما انهم يدعون ان لالهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوث شي من الاشيا حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقا الاثار
بلا موثر وقرى عجاب بالتشديد فهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون
من صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولا السفها وجيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك
فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هولا قومك يسالونك السوال فلا تمل كل الميل على قومك فقال
صلى الله عليه وسلم ماذا يسالونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم اعطيتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا
فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك **وانطلق الملا منهم** اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابي طالب بعد
ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه صلى الله عليه وسلم في الدين وعزيمته على ان يظهره
على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور **ان امشوا** اي قايلين بعضهم لبعض على
وجه النصيحة امشوا **واصبروا على الهتكم** اي اثبتوا على عبادتها متحملين لما يسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لان
الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو من القول قيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت
ولادتها ومنه الماشية للتفاول اي اجتمعوا وكثروا وقرى امشوا بغير ان على اضمار القول وقرى يمشون ان اصبروا **ان هذا
لشي يراد** تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفي
الهتنا وابطال امرها لشي يراد اي من جهته عليه السلام امضاوه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول
من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم من استنزاله عن رايه بوساطة ابي طالب
وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة الهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل
ان هذا الامر لشي يريده الله تعالى ويحكم بامضايه وما اراد الله تعالى كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر
لشي من نوايب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشي يراد اي يطلب ان يوخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا
الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من امر الرياسة والترفع على العرب والعجم لشي يتمنى ويريده كل واحد فتامل في هذه الاقاويل

واخترنا منها ما يساعده النظم الجليل ما سمعنا بهذا الذي يقوله في الملة الآخرة اي الملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة
او في الملة التي ادركنا عليها اباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا به من اهل الكتاب ولا الكهان كائنا
في الملة المعترفة ولقد كذبوا في ذلك افحش كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اي ما هذا
الا اختلاق اي كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر اي القران من بيننا ونحن رؤساء الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقو
المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري اي من القران
او من الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيقته وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم
مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا عذاب اي بل لما يذوقوا بعد عذابي فاذا
ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل
لم يذوقوا عذابي الموعود في القران ولذلك شكوا فيه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته
تعالى يتصرفون فيها حسب ما يشاءون حتى يصيبوا بها ما يشاءوا او يصرفوها عمن شاءوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة
بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اي
الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى
الكمال الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما
ترشيح لما سبق اي بل الهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدبيرات الالهية
التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك
فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون
ويستصوبون فيه من التهكم ما لا غاية وراءه والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب
الحوادث السفلية وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي انهم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل
مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا
ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد تعليل له الى اخره استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال
العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو
الملك الثابت من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر كما قال
الاسود بن يعفر ۞ ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ۞ في ظل ملك ثابت الاوتاد ۞
او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه
اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يشده بين اربعة اوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له
اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه
السلام وقوله تعالى اولئك الاحزاب اما بدل من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم على احد الوجوه وفيه
فضل تاكيد وتنبيه على انهم الذين جعلوا الجند المهزوم منهم وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل استئناف جيء به تقريرا
لتكذيبهم وبيان لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اي ما كل احد من احاد اولئك الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان
تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع واما ما كان
فالاستثناء مفرغ من اعم العام في حيز المبتدا اي ما كل احد منهم محكوم عليه بحكم الا محكوم عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد

منهم

منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام او والايذان
بان كل منهم حزب على حاله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثانيا فنون من المبالغة مسجلة عليهم
باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى فحق عقاب اي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه
جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العائد اي ان
كل منهم الى اخره والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم جعل الجند
المهزوم منهم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل من انه خبر والمبتدا قوله وعاد الى اخره اي وقوله وقوم
لوط الى اخره فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وما ينظر هؤلاء شروع في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اخوانهم
من الاحزاب الذين اخبر فيما سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم وعن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه
قطعا وفي الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم واما جعله اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر
او حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال اصلا كيف والانتظار سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور في حق
من لم يترتب على اعماله نتائجها بعد وبعد ما بين عقاب الاحزاب والاستئصال لهم بالمرة لم يبق مما اريد بيانه من عقوباتهم امر منتظر
وانما الذي في مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب
الاحزاب او اشد منه ولما يلاقوا شيئا بعد شيء من غوائلها اي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوائف المهلكة
في الكفر والتكذيب الا صيحة واحدة هي النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول بانها داهية يعم
هولها جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا هي حيث اخرت عقوبتهم الى
الاخرة لما ان تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية
على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما كان حاعند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا
عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم ما لها من فواق اي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ
بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتاخير عقابهم الى
الاخرة اي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي عليه
مبداه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس
وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل
الهزء عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالدعاء المذكور للامعان في الاستهزاء كانهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال
اصبر على ما يقولون من امثال هذه المقالات الباطلة واذكر عبدنا داود اي قصته تهويلا لامر المعصية في اعينهم
وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترءوا عليه من المعاصي وانه عليه السلام مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات
لما الم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه
الدائب وغمه الصائب(?) ونداه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الاذلين من كل ذليل والمرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على عظم
المعاصي او تذكر قصته عليه السلام وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم لئلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة ذا
الايد اي ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد بمعنى واياد كل شيء ما يتقوى به انه اواب رجاع الى مرضات الله تعالى وهو
تعليل لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد به القوة في الدين فانه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل
انا سخرنا الجبال معه استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثاره على
اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيهما اليه عليه السلام
والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو اقرب بالنسبة الى ما في سورة الانبياء يسبحن اي يقدسن الله عز وجل

بصوت يتمثل له و يخلق الله تعالى فيهما الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال او استئناف مبين لكيفية التسخير **بالعشي والاشراق** اي وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هاني رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الاية **والطير** عطف على الجبال **محشورة** حال من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية **كل له اواب** استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم اجمالا من تسبيح الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع اما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله تعالى اي من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه** قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فتاخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس انه ان اذنب احد ذنبا اظهر الله داود عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب **وآتيناه الحكمة** النبوة وكمال العلم واتقان العلم وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحكمة فهو حكمة **وفصل الخطاب** اي وفصل الخطاب بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود كما سبق تمهيد له كالحمد وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر **وهل اتاك نبأ الخصم** استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما في حيزه لايذانه لانه من الانباء البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف ومعنى خصمان فريقان **اذ تسوروا المحراب** اذ تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى **اذ دخلوا على داود** بدل مما قبله او ظرف لتسوروا **ففزع منهم** روي انه بعث اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وغير يوم الحكومة والقضا قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضا ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت الملائكة عندما شاهدوا فزعه **لا تخف خصمان** اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما **بغى بعضنا على بعض** هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** اي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها بمعنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق **واهدنا الى سواء الصراط** اي وسط طريق الحق زجرا للباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج الحق والعدل **ان هذا اخي** استئناف لبيان ما فيه الخصومة اي اخي في الدين او في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه **له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة** هي الانثى من الضان وقد

يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في التعريض وقيل تسع وتسعون بفتح التاء نعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بكسر الياء **فقال اكفلنيها** اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي **وعزني في الخطاب** اي غلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست **قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه** جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى لتضمنه معنى الاضافة والضم **وان كثيرا من الخلطاء** اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم **ليبغي** ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسر **بعضهم على بعض** غير مراع لحق الصحبة والشركة **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان **وقليل ما هم** اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض **وظن داود انما فتناه** الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى في مجلس الحكم وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما ضربت زيدا او انما ضربته تاديبا بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الى الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة قال معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ لان التامل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تاثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطا مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيى من التصريح به وتصويره بالتحاكم لالجائه عليه السلام الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه السلام على ان اوريا بصدد الخصام **فاستغفر ربه** اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب **وخر راكعا** اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبداه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار **واناب** اي رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه صلى الله عليه وسلم لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فآثره عليه السلام اهلها وكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما

هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت
في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقا فكتب الى ايوب بن صوريا
وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من تقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله تعالى
على يده او يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن
على الشهداء وتزوج امراته فانه مبتدع مكروه ومكر مخترع تمجه الاسماع وينفر عنه الطباع وويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن
اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين
وذلك حد الفرية على الانبياء عليهم السلام هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم فهم ان ينتقم منهم فظن ان ذلك
ابتلاء من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به واناب **فغفرنا له ذلك** اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا
اربعين يوما لا يرفع راسه الا لصلاة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت منه العشب الى راسه ولا يشرب
ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له
يقال له ايشا ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه **وان له عندنا لزلفى** لقربة وكرامة
بعد المغفرة **وحسن مآب** حسن مرجع في الجنة **يا داود انا جعلناك خليفة في الارض** اما حكاية لما خوطب به عليه السلام
مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له يا
داود اي اخوه اي استخلفناك على الملك فيها او الحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة من كان قبلك من الانبياء القائمين
بالحق وفيه دليل على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط **فاحكم بين الناس بالحق** بحكم الله تعالى فان
الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما **ولا تتبع الهوى** اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا **فيضلك**
عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او
اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تشريعا وتكوينا وقوله تعالى **ان الذين يضلون عن سبيل الله** تعليل
لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه **لهم عذاب**
شديد جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار **بما نسوا** بسبب
نسيانهم وقوله تعالى **يوم الحساب** اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب
بعد الاشعار بعليته بما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل
هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم
ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان
ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة
الهوى فتدبر **وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا** كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي
ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذي تحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية
الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكمة البالغة حيث خلقنا من بين ما بينهما نفوسا واودعناها
منافعها واستودعناها مضارها ونصبنا للحق دلائل افاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على
ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل جليل ودقيق وازحنا عللها بالكلية وعرضناها
بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها **ذلك** اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا **ظن**
الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر

وخلوه

وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا **فويل للذين كفروا** مبتدا وخبر والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل
لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم
من باب كفرهم ومن في قوله تعالى **من النار** تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت
الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم **ام نجعل**
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث
والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين
الفريقين ونفيها على ابلغ وجه واكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم
البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة اوسع حظا منها من المؤمنين لكن ذلك
الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الاخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى **ام نجعل**
المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء
الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الطريقين عين الاولين ويكون التكرار
باعتبار وصفين اخرين هما ادخل في تحقيق انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى
في الاخرة من الخير ما لا تعطون فنزلت **انزلناه** خبر مبتدا محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى **كتاب**
اليك صفته وقوله تعالى **مبارك** خبر ثان للمبتدا او صفة لكتاب عند من يجوز تاخير الوصف الصريح وقرئ مباركا على
انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى **ليدبروا آياته** متعلق بانزلنا اي انزلناه
ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني
الفائقة والتاويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى
التاءين **وليتذكر اولو الالباب** اي وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم
من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل
اليه **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد** وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا
لوهبنا ولان قوله تعالى **انه اواب** اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله لما ان
الضمير المجرور في قوله تعالى **اذ عرض عليه** راجع اليه عليه السلام قطعا وانه منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه **بالعشي**
هو من الظهر الى اخر النهار **الصافنات** فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين
لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في
الخيل لا يكاد يتفق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم **الجياد**
جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين
الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل هو
جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه
وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس
وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لذلك لما فاته فاستردها فعقرها تقربا الى الله
تعالى وبقي منها مائة فرس فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل خيرا منها وهي الريح تجري
بامره **فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي** قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال
بها عن الصلاة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه

والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يتعدي بعلى لانه بمعنى
اثرت لكن لما انيب مناب انيب عدي تعديته وحب الخير مفعول له كانه قيل انيب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه والخير المال
الكثير والمراد به الخيل التى شغلته عليه السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله عليه وسلم الخير معقود في
نواصي الخيل الى يوم القيمة وقرى انى **حتى توارت بالحجاب** متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار متعلق بقوله احببت باعتبار استمرار
ذلك حتى توارت اى غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتوارى المخباه بحجابها واضمارها من غير ذكر الدلالة العشى عليها وقيل
الضمير للصافنات اى حتى توارت بحجاب الليل اى بظلامه **ردوها على** من تمام مقالة سليمان ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه من
لم يثبته له مع ظهوره توهم انه لمتصل بمضمر هو جواب لمضمر اخر كان سائلا قال فماذا قال سليمان فقيل قال ردوها على فتامل والفا
فى قوله تعالى **فطفق مسحا** فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اى فردوها
عليه فاخذ يمسح بالسيف مسحا **بالسوق والاعناق** اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اى ضرب عنقه وقيل يمسح بيده
اعناقها وسوقها قربا لها واعجابا بها وليس بذلك وقرى بالساق اكتفا بالواحد عن الجمع لامن الالتباس **ولقد فتنا سليمان والقينا**
على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما قيل فى فتنته ما روى مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتى كل واحدة بفارس يجاهد
فى سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة   وجاءت بشق رجل قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغدوه
فى السحاب فما شعر به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزاير
فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس واصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقى دمعها جزعا على ابيها فامر
الشيطان فمثلوا لها صورته وكانت تغدوا اليها وتروح مع ولايدها يسجدون لها كعادتهن فى ملكه فاخبره اصف
بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله عز وجل باكيا متضرعا وكان
له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها الخاتم يوما فتمثل لها بصورته
شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه وغير سليمان
عن هيئته فاتى الامينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطية قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال
انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا
عدد ما عبد الوثن فى بيته فانكر اصف وعظما بنى اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت
فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخرة فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم
اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك
والخطية تغافله عليه السلام عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره **قال** بدل
من اناب وتفسير له **رب اغفر لى** اى ما صدر عنى من الزلة **وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى** لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة
لى مناسبة لحالى فانه عليه السلام لما نشا فى بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة حكمها او لا ينبغى لاحد ان
يسلبه منى بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك فلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك
بالعظمة لا ان يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى احد مثله فلا يحافظ على حدود الله تعالى
وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبيا عليهم السلام وكون ذلك ادخل فى الاجابة وقرى
بفتح اليا **انك انت الوهاب** تعليل للدعا بالمغفرة والهبة لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا
فسخرنا له الريح اى فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرى الرياح **تجرى بامره**
بيان لتسخيرها له **رخاء** اى لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمامور المنقاد **حيث اصاب** اى حيث قصد

وارادة

واراد حكى الاصمعى عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب **والشياطين** عطف على الريح **كل بناء وغواص** بدل من
الشياطين **واخرين مقرنين فى الاصفاد** عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل كانه عليه السلام فصل الشياطين الى عملة
استعملهم فى الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل لكفهم عن الشر
بطريق التمثيل والصفد القيد وسمى به العطا لانه مرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده
اعطاه على عكس وعدوا وعد وقوله تعالى **هذا** اى الى اخره اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شان ما
اوتى من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول القول مقدر وهو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر فى خاتمة
قصة داود عليه السلام وقلنا له اى قائلين له هذا الذى اعطيناكه من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط
عليه غيرك **عطاؤنا** الخاص بك **فامنن او امسك** فاعط من شئت وامنع من شئت **بغير حساب** حال من المستكن فى الامر اى غير
محاسب على منه وامساكه او صلة له وما بينهما اعتراض والتعويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطا هذا عطاؤنا ملتبسا
بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين فالمراد بالمن
والامساك الاطلاق والتقييد **وان له عندنا لزلفى** فى الاخرة مع ما له من الملك العظيم فى الدنيا **وحسن ماب** هو الجنة
قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينورى فى
تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه فى عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب
الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف
الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما فعاد الى الشام ثم امر ببنا بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى صنعا وكان من حديثه
مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرها والله تعالى اعلم **واذكر عبدنا ايوب** عطف على
اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عليه السلام بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام
وايوب هو ابن عيص بن اسحاق **اذ نادى ربه** بدل اشتمال من عبدنا عطف بيان له **انى** بانى **مسنى الشيطان** بفتح يا مسنى باسكانها
واسقاطها **بنصب** اى تعب وقرى بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل **وعذاب** اى المرور صب يريد مرضه وما كان
يقاسيه من فنون الشدايد وهو المراد بالضر فى قوله انى مسنى الضر وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به بعبارته والا
لقيل انه مسه الى اخره والاسناد الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعله وسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة
ماله او استغاث به مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا
بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما
كان يوسوس اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلا والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله تعالى
فى ان يكفيه ذلك بكشف البلا او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه السلام بل من جملته
قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره بما فى سورة الانبيا كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله
تعالى **اركض برجلك** الى اخره اما حكاية لما قيل له او مقول القول مقدر معطوف على نادى اى فقلنا له اركض برجلك اى
اضرب بها الارض وقوله تعالى **هذا مغتسل بارد وشراب** فانه ايضا حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الما
او مقول لقول مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرا
ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينا حارة للاغتسال وباردة للمشرب ويابأه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى **ووهبنا له اهله**
معطوف على مقدر يترتب على مقدر اخر يقتضيه القول اثر كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما فى سورة
الانبيا ووهبنا له اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروى عن الحسن او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل **ومثلهم معهم** عطف على اهله
فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل **رحمة منا** اى لرحمة عظيمة عليه من قبلنا **وذكرى لاولى الالباب** ولتذكيرهم بذلك

ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا كما لجأ ليفعل بهم ما فعل من حسن العاقبة **وخذ بيدك ضغثا** معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا له خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف الصديق وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال **فاضرب به** اي بذلك الضغث **ولا تحنث** في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه وتعالى هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه منها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب **انا وجدناه صابرا** فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه **نعم العبد** اي ايوب **انه اواب** تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى **واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب** عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيات عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع **اولي الايدي والابصار** اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعادة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع تمكنهم منها وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع **انا اخلصناهم بخالصة** تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى **ذكرى الدار** بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكرهم للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم اياها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى وبما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم **وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار** لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت **واذكر اسماعيل** فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير **واليسع** هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على حرف التعريف قال

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا

وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو قرآني علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل وابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه وقيل فر اليه مائة نبي من انبياء بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي مائة صلاة **وكل** اي وكلهم **من الاخيار** المشهورين بالخيرية **هذا** اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم **ذكر** اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن مشتمل على انباء الانبياء وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى **وان للمتقين لحسن مآب** شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال

جنات

جنات عدن عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى **مفتحة لهم الابواب** حال من جنات عدن والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأي البصريين اي الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة **متكئين فيها** حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى **يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب** استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة **وعندهم قاصرات الطرف** اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم **اتراب** لدات لهم فان التحاب بين الاقران راسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في وقت واحد **هذا ما توعدون ليوم الحساب** اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان والتكريم **ان هذا** اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات **لرزقنا** اعطيناكموه تعالى **ما له من نفاد** انقطاع ابدا **هذا** اي الامر هذا او هذا كما ذكر وقوله تعالى **وان للطاغين لشر مآب** شروع في بيان اضداد الفريق السابق **جهنم** اعرابه كما سلف **يصلونها** اي يدخلونها حال من جهنم **فبئس المهاد** هو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو قوله تعالى لهم من جهنم **هذا فليذوقوه** وهذا مبتدأ خبره **حميم وغساق** وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين **وآخر من شكله** اي ومذوق آخر وعذاب آخر من مثل هذا المذوق والعذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخر اي ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو الى الغساق **ازواج** اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا وصفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم **هذا فوج مقتحم معكم** حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة **لا مرحبا بهم** من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه او مقول او مقولا في حقهم لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء او لا رحبت بهم الدار مرحبا **انهم صالوا النار** تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء في حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كلام الرؤساء بعضهم من بعض في حق الاتباع **قالوا** اي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قولهم **بل انتم لا مرحبا بكم** الى اخره على الوجهين الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوا مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا الى اخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى **انتم قدمتموه لنا** تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا **فبئس القرار** اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم **قالوا** اي الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى **ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار** لقولهم هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا اي ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقولهم ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف

الحيات والافاعي **وقالوا** اي الطاغون **ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار** يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا
يسترذلونهم ويسخرون منهم **اتخذناهم سخريا** بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب
قالوا انكارا على انفسهم وتانيبا لها في الاستسخار **ام زاغت عنهم الابصار** متصلة باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اي
الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد
من الفعلين على انفسهم توبيخا لها وعلى انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك
او عندك عمرو وعلى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم
بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوزنا ان تكون الهمزة مقدرة على
هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين **ان ذلك** اي الذي حكي من احوالهم **لحق** لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى **تخاصم اهل
النار** خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من ذلك وقيل بدل من حق
او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه السلام ان اسم الاشارة لا يوصف
الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل **قل** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين
انما انا منذر من جهته تعالى انذركم عذابه **وما من اله** في الوجود **الا الله الواحد** الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا
القهار لكل شيء سواه **رب السموات والارض وما بينهما** من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها **العزيز** الذي لا
يغلب في امر من اموره **الغفار** المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين
والوعيد للمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصف القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه
قل تكرير الامر للايذان بان المقول امر جليل له شان خطير لا بد من الاعتناء به امرا وائتمارا **هو** اي هو ما انباتكم به من اني
منذر من جهته تعالى وانه واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما ذكر داخل فيه
دخولا اوليا وكما يشهد به اخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم **نبا عظيم** وارد من جهته
تعالى وقوله تعالى **انتم عنه معرضون** استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه
مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبا وقوله تعالى **ما كان لي من علم بالملا
الاعلى** الى اخره استئناف مسوق لتحقيق انه نبا عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبا من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة
به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه
ايضا كذلك والملا الاعلى الملائكة وادم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى **اذ يختصمون** متعلق بالمحذوف يقتضيه
المقام اذ المراد نفي علمه صلى الله عليه وسلم بحالهم لا بذواتهم وما كان لي فيما سبق علم ما بوجه اليه من الوجوه بحال الملا الاعلى
وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال
فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه
ايضا لا محالة وقوله تعالى **ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين** اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت
علمه صلى الله عليه وسلم وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان مبنيا على نبوته الان ومن البين عدم ملابسته
صلى الله عليه وسلم بشيء من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن
الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخباره ما هو داعي الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر
في ضمن تحقيق علمه صلى الله عليه وسلم بقصة الملا الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر او ما يعمه
وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملا الاعلى وما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا انما انا نذير مبين من
جهته تعالى فان كونه صلى الله عليه وسلم كذلك من دواعي الوحي وموجباته حتما واما ان المقام مقام الفاعل هو الجار والمجرور

او هو انما انا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه صلى الله عليه وسلم كذلك من دواعي الوحي وموجباته حتما واما ان المقام
مقام الفاعل هو الجار والمجرور بلا تقدير الجار فان المعنى ما يوحى الي الا للانذار او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط
في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني
فلا يساعده سياق النظم الكريم وسباقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله
فتامل والله المرشد وقرئ انما بالكسر بالحكاية وقوله تعالى **اذ قال ربك للملائكة** شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام
الذي هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناده لاختصام الى الملائكة واذ
بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك
تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه عليه الصلاة والسلام والايذان
بان وحي هذا النبا اليه تربية وتاييد له صلى الله عليه وسلم والكاف وارد باعتبار حال الامر لكونه ادل على كونه واجب الامتثال من
عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى اخره دون حال المامور والا لقيل بي لانه داخل في حيز
الامر **اني خالق** اي فيما سياتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا
ثان يثنيه **بشرا** اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عنده وقوع
المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند
الحكاية **من طين** لم يتعرض لشيء من اوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر **فاذا سويته** اي
صورته بالصورة الاتية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه **ونفخت فيه من روحي** النفخ اجراء الريح الى
تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة
القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري **فقعوا له** امر من وقع وفيه دليل
على ان المامور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له **ساجدين** تحية له وتكريما **فسجد الملائكة كلهم** اي فخلقه فسواه فنفخ
فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد **اجمعون** اي بطريق المعية بحيث لم يتاخر في ذلك اليوم احد
عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم هذا وان
سجودهم هذا مترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي
ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي من غير
كما تقتضيه ما في سورة البقرة وسورة الاعراف **الا ابليس** استثناء واحدا منهم او لانه من الملائكة جنسا يتولدون وهو منهم
او منقطع وهو قوله تعالى **استكبر** على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود والمفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل
ان يكون للتامل والتروي وفيه تحقق ابائه للامر والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر **وكان من الكافرين**
اي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله عز وجل **قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي**
اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله وتعظيمه قصدا
الى تاكيد الانكار وتشديد التوبيخ **استكبرت** بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق **ام كنت من
العالين** المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بهمزة بحذف همزة الاستفهام
ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى **قال انا خير منه** ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد
الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله تعالى لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون وقوله تعالى **خلقتني من نار
وخلقته من طين** تعليل لما ادعاه من فضله عليه السلام ولقد اخطا اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر
وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبا عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي

ومامن حمة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم وانه اعلم منهم بما يدور عليه امر
الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره قال فاخرج منها الفا لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل
وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السما كما قيل فان وسوسته لادم
عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها وانسلخ منها
فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا وقوله تعالى
فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اي مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وان
عليك لعنتي اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك اللعنة لما ان لعنة
اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله وابعاده من الرحمة الى يوم الدين اي
يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء جنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمرا الى ذلك اليوم
لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسي عنده
اللعنة ويصير كالزايل الا ترى الى قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضهم بعضا قال
رب فانظرني اي امهلني واخرني والفا متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون
اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد
يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله الاخرين على وجه يشعر بكون
السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه
وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى
الدنيا اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم اذ لا لا حسبما تقتضيه كلمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذي قدره
تعالى وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول فالفا ليست لربط نفس الانظار
بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال «فانت ترحم فانت لذاك اهل» « « «
فانه لا امكان لجعل الفا فيه لما له تعالى من الاهلية القديمة للرحمة لوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية
للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفا في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر
ههنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره
وان ما حكي عن اللعين ان ما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه
المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل
من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تعالى
وتوفيقه والله اعلم قال فبعزتك الباء للقسم والفا لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتني فان
اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين
اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالاخرى فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم الا
عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي
الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تعالى قال اي الله عز وجل فالحق والحق اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر
او خبر محذوف المبتدأ او نصب الثاني على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفا لترتيب ما بعدها
على ما قبلها اي فالحق قسمي لاملان جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه او فانا الحق او فقولي
الحق وقوله تعالى لاملان الخ جواب لقسم محذوف اي والله لاملان الى آخره وقوله تعالى والحق اقول على تقدير اعتراض مقرر على

الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئا منصوبين على ان
الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملان وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقوله
والله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على
اضمار حرف القسم ونصب المفعولية منك اي من جنسك من الشياطين وممن تبعك في الغواية والضلال منهم من ذرية آدم
اجمعين تأكيد للكاف وما عطف عليه اي لاملانها من المتبوعين والاتباع اجمعين لقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملان جهنم
منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم
ههنا اتباع الشياطين اتضح ان مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشياطين لسوء اختيارهم
لا تحقق القول فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر والله اعلم قل ما اسألكم عليه اي على القرآن او على تبليغ ما يوحى من اجر دنيوي
وما انا من المتكلفين اي المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة والقول القرآن ان هو الا ذكر اي ما هو الا ذكر من الله
عز وجل للعالمين كافة ولتعلمن نبأه اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد حين بعد الموت
او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد
ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بكل وزن جبل سخره الله تعالى لداود عليه السلام عشر حسنات
وعصمه ان يصر على ذنب كبيرا او صغيرا وقال ابو امامة عصمه الله تعالى من كل ذنب كبيرا او صغيرا

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر لمبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير اليه به الى
السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقيل هو ضمير عائد الى الذكر في قوله
تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل او خبر او حال من التنزيل وعامله معنى الاشارة او من
الكتاب الذي هو مفعول معنى عامله المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والاوجه الاول اوفق بمقتضى المقام الذي هو بيان
السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل
الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور اثرهما في الكتاب بجريان احكامه
ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة والآيات القاهرة وقوله
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع في بيان المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد
بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة بالانزال
اي بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب اي
انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق والصواب اي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفا في قوله تعالى فاعبد
الله مخلصا له الدين لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه صلى الله عليه وسلم بالحق اي فاعبده تعالى ممحضا له الدين
من شوائب الشرك والرياء حسبما تبين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ برفع الدين على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد
الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله عز وعلا الا لله الدين الخالص
استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به على القراءة موكد لاختصاص الدين به تعالى اي الا
هو الذي يجب ان يخص باخلاص الطاعة لانه المتفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله
تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الى آخره تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان
الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة
بان والاولياء من الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير القول من

واو اتحد وامبنية لكيفية اشتراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثنا مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر على لفظ المصدر ملاق له في المعنى اى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشئ من الاشيا الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا **ان الله يحكم بينهم** اي وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للرحمن وقد حذف الدلالة الحال عليه كما في قوله لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اى بين احدهم وبين غيره وعليه قول النابغه

فما كان بين الخير لو جا سالما ... ابو حجر الا ليال قلائل

اي بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا **فيما هم فيه يختلفون** من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال الموحدين الجنة وادخال المشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذي يستدعيه سياق النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه على اضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اوليا قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اى بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجوا العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاعضا عما هم فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيامة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر من الموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خوطبوا به الهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للبا **ان الله لا يهدي** اي لا يوفق للاهتدا الى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب **من هو كاذب كفار** اى راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتدا لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتردي في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى **لو اراد الله ان يتخذ ولدا** الى اخره استئناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله تعالى وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا اوليا اى لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا **لاصطفى** اي لاتخذ **مما يخلق** اى من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه **ما يشا** ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة المتحدة وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفا عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفا موضع الاتخاذ الذى يقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه اى لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شئ اصلا بل انما هو اصطفا عبد ولا ريب اى ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله **سبحانه** تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتاكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اى تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تعالى **هو الله الواحد القهار** استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه وبين غيره على الاطلاق مما تنزهه تعالى عما قالوه قضا متقنا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفنا ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفنا قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشيا الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى **خلق السموات والارض بالحق** تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده سبحانه وتعالى بما ذكر من الصفات الجليلة اى خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى **يكور الليل على النهار ويكور**

النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشى كل واحد منهما الاخر كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس ويغيبه فيه كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد **وسخر الشمس والقمر** جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى **كل يجري لاجل مسمى** بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة **الا هو العزيز** الغالب القادر على كل شئ من الاشيا التي من جملتها عقاب العصاة **الغفار** المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من اثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتنا بمضمونها **خلقكم من نفس واحدة** بيان لبعض اخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله للدلالة لما فيه من تعاجيب اثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس ادم عليه السلام وقوله تعالى **ثم جعل منها زوجها** اي على معنى واحدة او من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا اثنين الا التين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها اية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق منه حوا ففيه ثلاث ايات مرتبة خلق ادم عليه السلام بلا اب وام وخلق حوا من قصيراه ثم تشعب الخلائق الفايتة للحصر منهما وقوله تعالى **وانزل لكم** بيان لبعض اخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماحيث تكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باحداث باسباب نازلة من السما كالامطار واشعة الكواكب **من الانعام ثمانية ازواج** ذكرا وانثى هي الابل والبقر والضان والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى **يخلقكم في بطون امهاتكم** استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى **خلقا من بعد خلق** مصدر موكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اى خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعض مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة **في ظلمات ثلاث** متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم **ذلكم** اشارة اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبريا ومحله الرفع على الابتدا اى ذلكم العظيم الشان الذي عددت افعاله **الله** وقوله تعالى **ربكم** خبر اخر اى مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها وما لكم المستحق لتخصيص العبادة به **له الملك** على الاطلاق في الدنيا والاخرة وليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر اخر وقوله تعالى **لا اله الا هو** والفا في قوله تعالى **فانى تصرفون** لترتيب ما بعدها على ما ذكر في شؤونه تعالى اى فكيف تصرفون عن شؤونه تعالى مع وفور موجبات الاقبال عليها والانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها **ان تكفروا** به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر **فان الله غني عنكم** اى فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متاثر من انتفائهما **ولا يرضى لعباده الكفر** اى عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به **وان تشكروا يرضه لكم** اى يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم وسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده له تعالى وقرئ باسكان الها **ولا تزر وازرة وزر اخرى** بيان لعدم سراية كفر الكافر لغيره اصلا اى لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى **ثم الى ربكم مرجعكم** بالبعث بعد الموت **فينبئكم** عند ذلك **بما كنتم تعملون** اى كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اى يجازيكم ثوابا وعقابا **انه عليم بذات الصدور** اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبيه **واذا مس الانسان ضر** من مرض وغيره **دعا ربه منيبا اليه** راجعا اليه مما كان يدعوه في حالة الرخا لعلمه بانه بمعزل

من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده لقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار **ثم اذا خوله نعمة منه** اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد اي جعله خايل مال من قولهم فلان خايل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله يخول اي يختال ويفتخر **نسي ما كان يدعوا اليه** اي نسي الضر الذي كان يدعوا الله فيما سبق من كشفه **من قبل** اي من قبل التخويل او نسي ربه الذي كان يدعوا ويتضرع اليه اما بنا على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا من ان يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما ارضعت **وجعل لله اندادا** شركا في العبادة **ليضل** الناس بذلك **عن سبيله** الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح اليا اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متاخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما مر في قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل هاهنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال واما ال فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا **قل** تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله وماله **تمتع بكفرك قليلا** اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا **انك من اصحاب النار** اي ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ثبت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تومر بتركه لتذوق عقوبته **امن هو قانت آناء الليل** الى اخره من تمام الكلام المامور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا للتهديد وتهكما به انت احسن حالا ومالا ام من هو قايم بمواجب الطاعات ودايم على اداء وظايف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدابك حال كونه **ساجدا وقايما** اي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر **يحذر الاخرة** حال اخرى على الترادف او التداخل او استيناف وقع جوابا عما نشا من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الاخرة **ويرجوا رحمة ربه** فينجو ابدا لك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبي عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبية عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجي الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل من هو قانت الخ افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف **قل** بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل **هل يستوي الذين يعلمون** حقايق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور **والذين لا يعلمون** اي ما ذكر او شيا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدابك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلا معارج الخير وكون الاخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى **انما يتذكر اولوا الالباب** كلام مستقل غير داخل في الكلام المامور به وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تاثيرها في قلوب الكفرة لاختلاف عقولهم كما في قول من قال

٭ عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ٭ ماذا تحيون من نوي واحجار ٭

اي انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة الا اصحاب العقول الخالصة عن شوايب الخلل وهولاء بمعزل من ذلك وقوعا بما يذكر بالادغام **قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم** امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المومنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم كما سيصرح به اي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد الاعتنا بشان المامور به فان نقل عين امر الله سبحانه وتعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى **للذين احسنوا** تعليل للامر او لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من

يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى **في هذه الدنيا** متعلق باحسنوا اي اعملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سيل عن الاحسان بقوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **حسنة** اي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية **وارض الله واسعة** فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبيا والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى **انما يوفى الصابرون** الى اخره ترغيب في التقوى المامور بها وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حايزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المجاهدة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الالام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان **اجرهم** بمقابلة ما كابدوا من الصبر **بغير حساب** اي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلايا بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلا من الفضل **قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين** اي من كل ما ينافيه من الشرك والريا وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في طاعة الله تعالى الذي هو عبارة عما امر به المومنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون **وامرت لان اكون اول المسلمين** اي وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان حيازة قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده في العلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت ان اقوم بدليل قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او من قومي او اكون اول من دعى غيره الى ما دعى اليه نفسه **قل اني اخاف ان عصيت ربي** بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه **عذاب يوم عظيم** هو يوم القيامة وصف بالعظمة لعظم ما فيه من الدواهي والاهوال **قل الله اعبد** لا غيره استقلالا ولا اشتراكا **مخلصا له ديني** من كل شوب امر صلى الله عليه وسلم اولا ببيان كونه مامورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه واكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى **فاعبدوا ما شيتم** ان تعبدوه **من دونه** تعالى وفيه الدلالة من شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب **قل ان الخاسرين** اي الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه **الذين خسروا انفسهم واهليهم** باختيارهم الكفر لهما اي اضاعوهما واتلفوهما **يوم القيامة** حين يدخلون النار حيث عرضوها للعذاب السرمدي واوقعوها في هلكة لا هلكة وراها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان المحذور ذهاب ما لو ابه لا ينقطع به الخاسرون لك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين يتمتعون بهم لو امنوا وايا ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم اما يجعل الموصول عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تعالى **الا ذلك هو الخسران المبين** من الجملة استيناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراه ما لا يخفى وقوله تعالى **لهم من فوقهم**

ظلل من النار الى اخره نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر ظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف وقيل
هو حال من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اي انها كاينة من فوقهم ظلل كثيرة متراكمة
بعضها فوق بعض كاينة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للاخرين بل لهم ايضا عند ترديهم في
دركاتها ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم اياه بايات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عبادي
فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه موعظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي والذين
اجتنبوا الطاغوت اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت
ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد هو الشيطان ان يعبدوها بدل الاشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو
الامر بها والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل والملايكة
عند حضور الموت وعند حين يحشرون وبعد ذلك فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب
والانابة باعيانهم وضع ضمير هم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين
يميزون الحق من الباطل ويوثرون الافضل فالافضل اوليك اشارة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتدا وخبره ما بعده من الموصول اي اوليك المنعوتون بالمحاسن الجميلة
الذين هداهم الله للدين الحق واوليك هم اولوا الالباب اي هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة
الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة
العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاحوال اضداد المذكورين على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة
الطاغوت ومتبعوا خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه على
انها شرطية دخل عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم الفا لعطفها على جملة مستتبعة مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونها
معا اي انت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزا لتاكيد الانكار وتذكيره لما طال
الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع
في النار فان اجتهاده صلى الله عليه في دعايهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزا محذوفا وقوله تعالى افانت
تنقذ الى اخره جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتنزيل الانكار بتنزيل من استحق العذاب
منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعايه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا افمن حق عليه العذاب افانت
تخلصه منه ثم شدد التنكير فقيل افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غير وحيث كان
المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف
من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عبادي فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا
فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم الاية وبين ان لهم جنات درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من
دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية وبنا المنازل المبنية للموسوسة على الارض في الرصانة والاحكام
تجري من تحتها من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر موكد لقوله تعالى لهم غرف الى اخره
فانه وعد واي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السما ما استيناف وارد اما لتمثيل الحياة
الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا لها عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار ببهجتها
كما في نظاير قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الاية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من
انزال الما وما يترتب عليه من اثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالما المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السما ينزل منها

لكن وضع ص

الى

الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد
وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الخافض اي في ينابيع
ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الوانه الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم
للتراخي في الرتبة والزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته فتراه
مصفرا من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا كان لم تغن بالامس وتكون هذه الحالة من الاثار
القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في
الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول الخالصة عن شوايب الخلل وتنبيها
لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام
فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يجزمون على ان من قدر على انزال الما من السما واجرايه في ينابيع الارض قادر على
اجرا الانهار من تحت الغرف هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وانه كاين عن تقدير وتدبير
لا عن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الاية الكريمة وانما يليق ذلك بان لو ذكر ما ذكره من الاثار الجليلة والافعال الجميلة من
غير اسناد لها الى موثر ما فحيث ذكر تعسفه الى الله عز وجل تعين ان يكون متعلق التذكير والتنبيه لشوونه تعالى وشوون
اثاره حسبما بين لا وجود له وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الى اخره استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص
الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي
يتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لانشراح القلب واستضاءته بنوره فانه روي انه صلى الله عليه
وسلم قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفا كما مر في قوله عز وجل افمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف
لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سوا فمن شرح صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة
الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم من وهو اللطف الالهي الفايض
عليه عند من ربه وهو اللطف الالهي الفايض عليه عند مشاهدة الايات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتدا بها الى الحق
كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله لسو اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك
الايات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره الذي حقه ان ينشرح له الصدور
وتطمين به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم واياته اشمازوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة لقوله تعالى فزادتهم رجسا
وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله اوليك البعدا الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال بعيد عن الحق مبين ظاهر كونه
ضلالا لكل احد قيل نزلت الاية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه وابي جهل وذويه
الله نزل احسن الحديث هو القران الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا مكة فقالوا له صلى الله عليه
وسلم حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة على ساير الاحاديث
وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدا وبنا نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده اليه تعالى
وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سوا اكتسب من
المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ مجي الحال من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله
تعالى متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتنا على الحق والصدق
واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى
لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبايه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده

ومواعظه وقيل لانه تثني في التلاوة وهو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القران سور وايات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رايت رجلا حسنا شمايل اي شمايله والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استيناف مسوق لبيان اثار ظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الرا ليكون رباعيا والاعلى معنى زايد يقال اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هايل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقران وقوارع اياته وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجا ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اي الكتاب الذي شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء ان يهديه بصرف مقدوره الى الاهتدا بتامله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلايل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره بوعده ووعيده اصلا او ومن يخذل فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجا اثر هداه تعالى يهدي بذلك الاثر من يشا من عباده ومن يضلل اي ومن لم يوثر فيه لطف لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من موثر فيه بشي قط افمن يتقي بوجهه الى اخره استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حال نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضايه سوء العذاب اي العذاب السي الشديد يوم القيامة لكون يديه التي كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو امن لا يعتريه مكروه فلا يحتاج الى الاتقا بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين عطف على يتقي اي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استيناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة فاتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلا ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الاخرة المقدر لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون اي لو كان من شانهم ان يعلموا شيا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرانا عربيا حال موكدة من هذا على ان مدارا التاكيد هو الوصف كقولك جاني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل اراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ايراد لمثل من الامثال القرانية بعد بيان الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ها هنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها كما مر في سورة يونس واخرى مثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعا كل من معبوديه عبودته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه ورجلا اي وجعل للموحد مثلا رجلا سالما لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرى سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من

مسلم له كذا اي خالص نعت بها مبالغة او حذف منها ذو وقري سالما اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر والنفع هل يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوايهما ونفي له على ابلغ وجه واكده وايذان بان ذلك من الجلا والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوايهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلا عليين والاخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاعل والمفعول وانتصاب مثلا على التمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرى مثلين لقوله تعالى اكثر اموالا واولادا وللاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الى اخره ومثل رجل وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستوا بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السو صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستوا على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرى مايت ومايتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته اي انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم اي مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الايات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه الى اخره مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شان الكفر والايمان لا لغيره اي اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى ان اضاف اليه الشريك والولد وكذب بالصدق اي بالامر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جابه النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه اي في اول مجيه من غير تامل فيه ولا تدبر اليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهولا الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير السابقة باعتبار لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا والذي جا بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمومنين لهم ويويده قراة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والذين جاوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لمحذوف هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجي والصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى الذي هو احل الرغايب وقري وصدق بالتخفيف اي صدق به في اداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل صار صادقا به اي بسببه لان ما جا به من القران معجزة دالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وقرى صدق به على البنا للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم في الاخرة من حسن الماب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اي لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الاخرة لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيات والامن من الفزع الاكبر وساير اهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذي من حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين اي الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن في الاخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت فيما سياتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله وعد الله فانه مصدر موكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوا الذي عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اعطا

لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتنا بمضمون الكلام واضافة الاسوا والاحسن الى ما بعدهما
ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشي الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار
تفضيل عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان
على ان الزيادة المعتبرة فيها ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يتعلق بحالهم من استعظام سيآتهم وان قلت
واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة
وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوا بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام
تكفير الاسوا التكفير الشي لكن لما لم يمكن ذلك في الاحسن كان كالاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف
عبده انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها
او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له صلى الله عليه وسلم انتظاما
اوليا ويؤيده قراءة من قرا عباده وفسر بالانبيا عليهم السلام وكذا قراءة من قرا بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة
الماضي اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما على من المبالغة من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عما قالت له قريش انا نخاف ان تخبلك الهتنا وتصيبك معرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم الهتنا او
ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه
اي الاوثان التي اتخذوها الهة من دونه تعالى والجملة استيناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له صلى
الله عليه وسلم وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهدي الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او
يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا
ذي انتقام ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل ووضوح السبيل قل تبكيتا لهم افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله
بضر هل هن كاشفات ضره اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان الهتكم ان ارادني الله
بضر هل يكشفن عني ذلك الضر او ارادني برحمة اي وان ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرى كاشفات ضره
وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه صلى الله عليه وسلم للرد في نحورهم حيث كانوا
خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه
صلى الله عليه وسلم لما سالهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه ملكه ومملوكه
تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي استمر عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار للعين من اين
المعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في
الوعيد والاشعار بان حالته لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتاييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين
بقوله تعالى فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل لغلبته صلى الله عليه وسلم وقد عذبهم الله تعالى
واخزاهم يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط لمصالحهم
في المعاش والمعاد بالحق حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اي انما نفع به نفسه ومن ضل
بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ
وقد بلغت اي بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت اي يقبضها من الابدان
بان لم يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم ويرسل الاخرى اي النائمة

الى

الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد
منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان في بني ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحده
قريب مما ذكر ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الاخرى لآيات عجيبة دالة على
كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت
وامساكها باقية لما تعني بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا
بعد حين الى انقضاء اجالها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش من دون الله من دونه اذنه تعالى شفعا تشفع لهم عنده تعالى
قل اولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشيا ولا يعقلون عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى وهي لانكار الوقوع ونفيه على ان
المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعا في شي لانه فرع كون الاوثان شفعا وذلك اظهر المحالات فالمقدر جميعا
غير ما قدر اولا وعلى اي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل بعد تبكيتهم
وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى
والشفيع ماذونا له وكلاهما مفقود هاهنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض تقرير له وتاكيد اي له ملكهما وما فيهما
من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيامة لا الى احد سواه لا استقلالا
ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده دون الهتهم اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اي انقبضت
ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه فرادى او مع
ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حالهم القبيحين حيث بين
الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض
منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمازت وفي الثانية ما هو العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه
فاجؤوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي التجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في
امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشيا بجملتها والعالم بالاحوال بتمامها انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي والاخروي وقوله
تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الى اخره كلام مستانف مسوق لبيان اثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله
عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب
يوم القيامة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد
واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه
غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات ما كسبوا
سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون اي احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان
ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفا لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم
القبيحتين وما بينهما مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مسهم
ضر دعوا من اشمازوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل
مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي من الاستحقاق او على
علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لما ان المراد شيء من النعمة بل هي فتنة اي محنة
وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبب للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الابتلاء المبني على الكرامة

وانما هو امر مباين له بالكلية وتانيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرى بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم لقوله انما اوتيته على علم لانها
كلمة او جملة وقرى بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا اجزاء سيئة اعمالهم او جزاء ما كسبوه
وتسميتها سيئات لانها في مقابلات سيئاتهم والذين ظلموا من هولاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم
والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اوليك والسين للتاكيد وقد اصابهم اي اصابهم حيث
قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين اولم يعلموا اي اقالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم
يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له ويقدر الذي ذكر من يشاء ان يقدر له من غير ان يكون لاحد مدخل ما
في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك الذي ذكر لايات دالة على ان الحوادث كافة من الله عز
وجل لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية
عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد وتخصيصه بالمومنين على ما هو لا تيأسوا من مغفرته عرف القران الكريم
لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيبه
في الجملة ويغفر حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ظاهر الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة
وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص
من المقتضين للترحم وتخصيص ضرب الاسراف لانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها
وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع المضمر لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد
بالجميع وما روي من الاسباب النزول الدالة على ورود الاية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق
على المقيد في كلام العرب مثل اكرم الفضلا اكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد لا يخل بذلك الامر
بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى ان
الاية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم اي القران او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص والناسخ دون المنهي عنه
المنسوخ ولعل ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه
لتداركوا وتتاهبوا له ان تقول نفس اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك
ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرى يا
حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرى يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرى يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوانك حضر
على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب الله اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال

اما تتقين الله في جنب وامق ... له كبد حرا وعين ترقرق

وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله عز وجل على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب
بالجنب وقرى في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي
فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى
العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال
تحسرا او تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله

تعالى

تعالى عليه لتضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لما ان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالترتيب
الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا
ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرى بالتانيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان
وصفوه تعالى بما لا يليق بشانه وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفى
فيها بالضمير عن الواو او على ان الروية بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية اليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان
والطاعة وهو تقرير لما قبله من رويتهم لذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم وقرى ينجي من الانجاء بمفازتهم
مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب اي ظفر به والبا متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب
لنيل الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين حال تلبسهم بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا
هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب
والحزن واما من فاز منه اي نجا منه والبا للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم اما تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين
بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما
يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل
دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة المكاسب لاسبابها وهو على كل شيء
وكيل يتولى التصرف فيه كيف يشاء له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة
عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيه مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من
بيده مفاتيحها وهو جمع تقليد او مقلاد من قلدته اذا لزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان
رضي الله تعالى عنه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال صلى الله عليه وسلم تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر
سبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله تعالى هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خزائن السموات والارض من تكلم بها
اصابه والذين كفروا بايات الله اوليك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله خالق لجميع الاشياء يتصرف فيها كيف ما يشاء
بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا باياته التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس والتنزيلية
التي من جملتها الايات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسار وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما
اعتراض فتدبر قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي ابعد مشاهدة هذه الايات غير الله اعبد وتامروني اعتراض
للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نومن بك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تامروني
لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله تامرونني لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد فحذف ان ورفع ما بعدهما
كما في قوله ... الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ... وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
ويويده قراءة اعبد بالنصب وقرى تامرونني باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك
اي من الرسل عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط
الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب
باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان الاشراك
منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاوليك حبطت اعمالهم
وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك
وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته

تعالى في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها
الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف
تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للوقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون
السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه
وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور هي النفخة
الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض اي خروا امواتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل له
وانهم لا يموتون الا بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى تحتمل النصب والرفع فاذا
هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم
في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين
البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضيف الى الاسم الجليل ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع
المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال فاكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ تقابل به
الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم
لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا
يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى اخره تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها
بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة
واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها
الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم ايات ربكم
وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولكم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم
عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتاب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث
قال الله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم
الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين
اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره انفا اي فبئس مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ادخالهم النار لسبق كلمة
العذاب عليهم فانها ان حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم الى
الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين
حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقرئ بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان
بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كانه قيل حتى اذا جاؤوها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم من جميع المكاره والالام طبتم طهرتم من دنس المعاصي وطبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين
كانما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي
استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم وتمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ
من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل واحد منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها
فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم

اي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله واكرامه
اي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم هو
الاستغراق في شؤونه عز وجل وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم
في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق وانزل كلا منزلته التي هي حقه والقائلون
هم المؤمنون ممن قضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم
يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم كان
يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر

بسم الله الرحمن الرحيم حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف
واخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين او بنصبها باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف
وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وقوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى من الله
العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكر هناك غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها
حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن
الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو
الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء
الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك
العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال
الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي
ما يجادل في ايات الله اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين امنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل
مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضايق الافهام ومزالق الاقدام وابطال
شبه الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر بالتنكير للفرق بين
جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل
عليهم بالكفر الذي لا شيء امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والاخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر
بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت
قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت
كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب او قتل
من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذي لا اصل له ولا حقيقة اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء
فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فان اثار دمارهم عبرة للناظرين ولاخذن هؤلاء
ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب وثبت حكمه تعالى
وقضاؤه بالتعذيب على اولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب ايضا على الذين
كفروا اي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم فان ذلك للاشعار

بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام ترتيبه التي من جملتها تصرفه عليه السلام وتعذيب اعدابه وذلك انما يتحقق
لكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى **انهم اصحاب النار** في حيز النصب بحذف لام التعليل
اي لانهم يستحقوا اشد العقوبات واقطعها الذي هو عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على
الرسول صلى الله عليه وسلم كداب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسابر فنون العقوبات اشد استيجابا وقيل هو في محل الرفع
على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما وجب اهلاكهم في الدنيا
بعذاب الاستيصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الاخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر محذوف
الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلا طبقات الملائكة عليهم السلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن
حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتدا وخبره **يسبحون**
بحمد ربهم والجملة استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملائكة مثابرون على ولاية
من معه من المومنين ونصرتهم واستدعاما يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشانه الجليل ملتبسين بحمده
على نعمايه التي لا تتناهى **ويؤمنون به** ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره راسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف
اهله والاشعار بعلة دعايهم للمومنين حسبما ينطق به قوله تعالى **ويستغفرون للذين آمنوا** فان المشاركة في الايمان
اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظايفهم المفروضة عليهم من
تسبيحهم وتحميده فايمانهم ايذان بكمال اعتنايهم به واشعار بوقوعه عند الله سبحانه وتعالى في موضع القبول روي ان حملة
العرش ارجلهم في الارض السفلى وروسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل له زاوية من
زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضال من عظمة الله حتى يصير
كانه الوضع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سايرهم
وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القايمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش
سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورايهم مائة الف صف قد
وضعوا ايديهم على الشمايل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر **ربنا** على ارادة القول اي يقولون ربنا على انه اما بيان
لاستغفارهم او حال **وسعت كل شي رحمة وعلما** اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة
والعلم والمبالغة في عمومها وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفا في قوله تعالى **فاغفر للذين تابوا**
واتبعوا سبيلك اي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعا على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم **وقهم**
عذاب الجحيم واحفظهم منه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد **ربنا وادخلهم** عطف على قهم وتوسيط الندا بينهما للمبالغة
في الجور **جنات عدن التي وعدتهم** اي وعدتهم اياها وقرى جنة عدن **ومن صلح من آبايهم وازواجهم وذرياتهم** اي صلاحا
مصححا لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخلها معهم هولا ليتم
سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل
بنا على الوعد الخاص بهم تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بان يكونوا على درجة من ذرياتهم قال سعيد بن جبير يدخل المومن الجنة
فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجي فيقال انهم لن يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم
الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق ولا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه قول
من قال فايدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعا بالادخال فيه صريح والثاني ضمني
وقرى صلح بالضم وذريتهم بالافراد **انك انت العزيز** اي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدوره **الحكيم** اي الذي لا يفعل الا

ما تقتضيه

ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز الوعد والجملة تعليل لما قبلها **وقهم السيات** اي العقوبات
لان جزا السية او جزا السيات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او المعاصي في الدنيا فمعنى
قوله **ومن تق السيات يوميذ فقد رحمته** ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الاخرة كانهم طلبوا السبب بعدما
سالوا المسبب **وذلك** اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار
ببعد درجة المشار اليه **هو الفوز العظيم** الذي لا يطمع وراه الطامع **ان الذين كفروا** مشروع في بيان احوال الكفرة
بعد دخولهم النار بعدما بين فيما سبق وانهم اصحاب النار **ينادون** اي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة
التي وقعوا فيما وقعوا بسبب اتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحبا لقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا اي ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا على ذلك روس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك **لمقت**
الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله انفسكم الامارة بالسو ومقته اياكم في الدنيا **اذ تدعون** من جهة الانبيا **الى**
الايمان فتابون قبوله **فتكفرون** اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتدا باخلايكم المضلين واستحبابا
لارايهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة ومن مقت بعضكم بعضا اليوم واذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظرف
من الاتساع وقيل لمصدر اخر مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لما ذكر والاول هو الاصح وقيل كلا المقتين في
الاخرة واذ تعليل لما بين الظروف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الان اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم
تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعي اليه **قالوا ربنا امتنا**
اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين واحياتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران
لهما ايضا بحذف الزوايد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحيا سببان عن الموت والحياة حتما كانه قيل امتنا
فمتنا واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال
وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ٭ من المال الا مسحت او مجلف
اي لم تدع ولم تبق الا مسحتا الى اخره فقيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضا اجالهم على ان
الاماتة جعل الشي عادم الحياة اعم من ان يكون بانشايه كذلك كما في قوله سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او يجعله كذلك
بعد الحياة وبالاحيايين الاحيا الاولى واحيا البعث وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد الحياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة
القبر وبالاحيايين ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حياة الدنيا
فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضايها وانقطاع اثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث
الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم **فاعترفنا بذنوبنا** وهو التزام العمل بموجب ذلك الاعتراف لتوسلوا
بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به كما قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي
ارادوه بقولهم **فهل الى خروج من سبيل** مع نوع استبعاد واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل
ولا ريب في ان الذي كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحيا بعد الموت واما الاحيا الاول فلم
يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به عديم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها
في الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصدهم الاصلي هو الاعتراف بالاحيايين وانما ذكروا الاماتتين
لترتبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اي من سبيل ما كيف ما كان وقوله تعالى **ذلكم** جواب لهم باستحالة
حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السية اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل **بانه** اي
بسبب ان الشان **اذا دعي الله** في الدنيا اي عبد **وحده** اي منفردا **كفرتم** اي بتوحيده **وان يشرك به تومنوا** اي بالاشراك به وتسارعوا
فيه وفي ايراد اذا وفي صيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سو حالهم وحيث

كان حاكم لذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة العلي الكبير الذي ليس كمثله شيء في ذاته
ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية
لشناعته ولا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذي يريكم اياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا
بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ من الانزال لكم من السماء رزقا اي
سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الايات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من اثار رحمته
وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الارادة والتنزيل واستمرارها وتقديم الجار
والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الايات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر في ما اودعه
في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو
بمعزل من التذكر والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها
المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات نحو
بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعدما نقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتعبيره بالرفع ليكون من اضافة
اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته ذو العرش اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش اي مالكه
وهما خبران اخران لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شانه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص
الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم
العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقتضي يكون علو شانه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة
عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيد لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح فانه خبر اخر لما ذكر مبني
عن انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره
بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال لكونه ناشئا او مبتدءا من امره او صفة له على راي من يجوز حذف
الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى مما خطاياهم اي يلقي
الوحي بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه او
الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام او الروح لتنذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة
لانه تتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله
وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي خارجون من
قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون
كما جاء في الحديث تحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم
شيء استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهم في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير
بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستانفة او مستانفا يقع
جوابا عن سؤال نشا من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ اي ينادي مناد لمن الملك
اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي انه يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد
في ارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله تعالى فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية
لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت الى اخره اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء الحق

اوحكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت
من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عقاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تماما اذ لا يشغله
تعالى شان عن شان فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه تعالى اذا اخذ في
حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الى اخره فان ذلك اليوم
بعينه يوم التلاق ويوم البروز مما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئا فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم الازفة
اي القيامة سميت بها لازوفها وهو الصواب غيران فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الازفة وهي مشارفة اهل
النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب
لدى الحناجر بدل من يوم الازفة فانها ترتفع من اماكنها فتلصق بحلوقهم فلا تعود فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم
حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال
العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم مقدرا الكظم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم
اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي لا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله
على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم
وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها
مصدر كالعاقبة وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة خبر اخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو
متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون
يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا
او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون
وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي من قبل
اي ما حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات
وانما جيء بضمير الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد
منكم بالكاف واثارا في الارض مثل القلاع الحصينة والمدائن المدينة وقيل المعنى واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي من واق يقيهم عذاب الله ذلك اي ما ذكر من الاخذ بانهم
بسبب انهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما
يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين اي وحجة
قاهرة وهو اما عين الايات والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت
الايات لانافتها كافراد جبرائيل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب الارض والسموات فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو
ما ظهر على يده من المعجزات الظاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام
واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك لا عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ
عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار لذمهم وكفرهم بالكفر
والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكى عنهم من الاباطيل للمسارعة

الي بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة **وقال فرعون ذروني اقتل موسى** كان ملاه اذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس هذا الا الذي تخافه وانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ويقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهه واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الي المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه قد استيقن انه نبي وانما جابه ايات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تموها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان يكفيه الا هاتي نفسه من الفزع الهائل **وليدع ربه** تجلد منه واظهارا لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخوف ما يخافه **اني اخاف** ان لم اقتله **ان يبدل دينكم** اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه **وان يظهر في الارض الفساد** ما يفسد دنياكم من التجارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرى بالواو الجامعة وقرى بفتح اليا والها ورفع الفساد وقرى يظهر بالتشديد الها من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون **وقال موسى** اي لقومه حين سمع ما يقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام **اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب** صدر عليه السلام كلامه بان تاكيدا له واظهارا لمزيد الاعتنا بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم المنبي عن الحفظ والتربية لانها الذي يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به تعالي والتوكل عليه فان في ظاهر النفوس تاثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة والاشعار بعلة القساوة والجراة على الله تعالي وقرى عدت بالادغام **وقال رجل مؤمن من آل فرعون** قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون امن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا وعربيا موحدا **يكتم ايمانه** اي من فرعون وملايه **اتقتلون رجلا** اتقصدون قتله **ان يقول** لان يقول او كراهة ان يقول **ربي الله** اي وحده من غير روية وتامل في امره **وقد جاءكم بالبينات** والحال انه قد جاكم بالمعجزات الظاهرة والايات الباهرة التي شاهدتموها وعهدتموها **من ربكم** اضافة اليهم بعد البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال **وان يك كاذبا فعليه كذبه** لا يتخطاه ويتخطاه وبال كذبه فيحتاج الي دفعه الي قتله **وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم** اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسو وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم بما اظهر احتمالا لا عندهم وتفسير البعض بالكل مستند لا يقول لبيد

* تراك امكنة اذا لم ارضها * او يرتبط بعض النفوس حمامها *

مردود لان مراده بالبعض نفسه **ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب** احتجاج اخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالي الي البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك اخذله الله تعالي واهلكه فلا حاجة بكم الي قتله ولعله اراد المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله تعالي سبيل الصواب ومنهاج النجاح **يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين** غالبين عالين على بني اسرائيل **في الارض** اي ارض مصر لا يقاويكم احد في هذا الوقت **فمن ينصرنا من باس الله** من اخذه وعذابه **ان جاءنا** اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جانا لم يمنعنا عنه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوهم من مجي باس الله تعالي تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتاثروا بنصحه **قال فرعون** بعد ما سمع نصحه **ما اريكم** اي ما اشير عليكم **الا ما ارى** من قتله **وما اهديكم** بهذا الراي **الا سبيل الرشاد** اي الصواب او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرى بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الي الرشد كعواج وثبات غير

منظور فيه الي فعل **وقال الذي آمن** مخاطبا لقومه **يا قوم اني اخاف عليكم** في تكذيبه والتعرض له بالسوء **مثل يوم الاحزاب** مثل ايام الامم الماضية يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم **مثل داب قوم نوح وعاد وثمود** اي مثل جزا ما كانوا عليه من الكفر وايذا الرسل **والذين من بعدهم** كقوم لوط **وما الله يريد ظلما للعباد** فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد لما ان النفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية **ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد** خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادي فيه بعضهم للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادي اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة الاعراف وقرى بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض لقوله تعالي يوم يفر المرء من اخيه ، وعن الضحاك اذا سمعوا زفير جهنم ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملايكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الي الحساب **يوم تولون مدبرين** بدل من يوم التناد اي منصرفين عن الموقف الي النار او فارين منها حسبما نقل انفا **ما لكم من الله من عاصم** يعصمكم من عذابه فالجملة حال اخرى من ضمير تولون **ومن يضلل الله فما له من هاد** يهديه الي طريق النجاة **ولقد جاءكم يوسف** هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الي الاولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق **من قبل** من قبل موسى **بالبينات** بالمعجزات الواضحة **فما زلتم في شك مما جاءكم به** من الدين **حتى اذا هلك** بالموت **قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا** ضما الي تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث تعالي رسولا مع الشك في رسالته وقرى الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث **كذلك** مثل ذلك الاضلال الفظيع **يضل الله من هو مسرف** في عصيانه **مرتاب** في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم له والانهماك في التقليد **الذين يجادلون في آيات الله** بدل من الموصول الاول وبيان لها وصفة باعتبار معناه كانه قيل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين **بغير سلطان** متعلق بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة **اتاهم** صفة سلطان **كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا** فيه ضرب من التعجب وفي الاستعظام وفي كبر ضمير يعود الي من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الي الجدال المستفاد من يجادلون **كذلك** اي مثل ذلك الطبع الفظيع **يطبع الله على كل قلب متكبر جبار** فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرى بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما **وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا** اي بنا مكشوفا عاليا من صرح الشي اذا ظهر **لعلي ابلغ الاسباب** اي الطرق **اسباب السموات** بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الي معرفتها **فاطلع الي اله موسى** بالنصب على جواب الترجي وقرى بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى منها ما يدل على ارسال الله تعالي اياه او ان يرى فساد قوله عليه السلام بان اخباره من اله السما يتوقف على اطلاعه عليه له وصعوده اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الي السما وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه استنبابه **واني لاظنه كاذبا** فيما يدعيه من الرسالة **وكذلك** اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط **زين لفرعون سوء عمله** فانهمك فيه انهماكا يرعوي عنه بحال **وصد عن السبيل** اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالي ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرى وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدي باشاله هذه التموهات والتشبيهات ويؤيده قوله تعالي **وما كيد فرعون الا في تباب** اي خسار وهلاك او على انه من صد صدودا اعلى سوء عمله وقرى وصدوا اي هو وقومه **وقال الذي آمن يا قوم** اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام **اتبعون** فيما دللتكم عليه **اهدكم سبيل الرشاد** اي سبيلا يصل سالكه الي المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال **يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع** اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي الي سخط الله تعالي ثم ثني بتعظيم الاخرة فقال **وان الاخرة هي دار القرار** لخلودها ودوام ما فيها **من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى**

في الاخرة الامثلها من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغوم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فاوليك
الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله
عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة
وتدعونني الى النار كرر نداهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتنا بالمنادي له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار
التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار لا دعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم
الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعل بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا وقوله تعالى تدعونني لاكفر بالله
بدل او بيان فيه تعليل والدعا كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بشركته تعالى في العبودية وقيل بربوبيته
علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع
لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وهو ما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على
التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وقوله فاعله قوله تعالى انما تدعونني اليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الاخرة اي حق ووجب عدم دعوة المتكلم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها
وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعا اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان
دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بد من لا بد فعل من التبديد اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية
الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الرا وفعل اخوان كرشد ورشد
وان مردنا الى الله اي بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اي في الضلال والطغيان كالاشراك
وسفك الدما هم اصحاب النار اي ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول
لكم من النصايح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات
ما مكروا شدايد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بال فرعون اي بفرعون
وقومه وعدم التصريح به للاستغنا بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبه المؤمن لما انه هرب الى جبل فاتبعه طائفة
ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
جملة مستانفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب او النار خبر مبتدا محذوف كان قائلا يقول ما سوء العذاب فقيل هو النار
ويعرضون استيناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الاول ولا يشترط الحياة ان يكون الحائق
ذلك السوء بعينه حتى يرد ان ال فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار لئلا يكون ابتلاؤهم هابا من قبل رجوع ما هم عليه بل يكفي في ذلك
ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار
باحراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم في
اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم
واما للتابيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم فانه
اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا ال
فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفا منهم للذين استكبروا وهم روساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في
جمع خادم او ذي تبع اي اتباع على اضمار المضاف اي تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا الى اخره او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي
مغنون عنا حاملين نصيبا الى اخره او نصب على المصدرية كشيا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا
فانه في موقع غنا فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاعنينا عن انفسنا وقرئ

كلا

كلا على التاكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا
يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم
بين العباد وقضى قضا متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار من الضعفا والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم
وعيت بهم عللهم لخزنة جهنم اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع ولبيان محلهم فيها بان
تكون ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم
من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام على انه ظرف لا معيار شيا من العذاب واقتصارهم
في الاستدعا على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه راسا وتخفيف قدر كثير منه في زمان
مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
اي الم تنبهوا على هذا ولم تك تاتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء عاقبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي
كما في قوله تعالى الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقا يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة
اوقات الدعا وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شي ان انتم الا في ضلال كبير والفا في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما في قول من قال ◦ ◦ ◦ ◦
◦ فقد جينا خراسانا ◦ اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعا لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل
امتناعهم عن الدعا بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه الفا ربما يوهم ان الاذن في حيز
الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعا واطماعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما
صرحوا في قولهم وما دعا الكافرين الا في ضلال اي ضياع وبطلان وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا الى
اخره كلام مستانف مسوق من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم تقتضيه الحكمة وهو
ان شاننا المستمر ان ننصر رسلنا واتباعهم في الحياة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة من الاستيصال والقتل
والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب
وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اي يوم القيامة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جمع الاولين والاخرين
بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة
لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتا ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اي جهنم ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى
به من المعجزات والصحف والشرايع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة
او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان
وعد الله الذي ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الى قوله الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده
التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من
ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
اي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل هذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل
شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلاتا صلاة العصر وصلاة الفجر ان الذين يجادلون في ايات الله ويجحدون بها
بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في امر الدين لا بد من
اسناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى ان في صدورهم الا كبر
خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر وارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق او الارادة ان تكون النبوة
لهم دونك حسدا او بغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك

يجادلون فيها الا ان فيها موقع جدال ما اوان لهم شيئا يتوهمون ان يصلح مدادا للمجادلة لتم في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه
صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة والنبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا
يقولون لست بصاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه
البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا
متمناهم فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع
البصير لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون
فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لقصورهم في النظر والتامل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير اي الغافل والمستبصر والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت
وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتاكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل
والكرامة والعاطف الثاني في عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة
والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او
للكفار ان الساعة لآتية لا ريب فيها اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا
يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني استجب لكم اثبكم لقوله
تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف
عنه منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على
صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف الحركات
وهدو الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا اي مبصرا فيه او به ان
الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالنعم واغفالهم مواضع النعم
وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المنفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا
هو اخبار مترادفة تخصيص ان اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو
استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل
من جحد بآياته تعالى اي آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء بيان
لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق
بانفسكم والفاء في فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصبي القامة بادي
البشرة متناسبي الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اي اللذائذ
ذلكم الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله اي تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم
والكل تحت ملكوته مفتقرا اليه في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية
هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله فادعوه له
فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين
اي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت
ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل

منبهة

منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرة للآيات التكوينية والآفاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب العالمين
اي بان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق آدم عليه السلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا
ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي من مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا والافراد لارادة الجنس
او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا
لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على
لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا
ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيامة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكي
تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبرة هو الذي يحيي ويميت الاحياء او الذي يفعل الاحياء والاماتة فاذا
قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شيء من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته
تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومامور
والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون في
آيات الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر
الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الى آخره بيان لابتناء جدالهم
على معنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آيات
الله الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها بالكلية وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب اي
بكل القرآن او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او في حيز النصب او الرفع
على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة
الماضي للدلالة على التحقق لما ان صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما ارسلنا به رسلنا
من سائر الكتب السماوية او مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم
لعقوباته اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل
عطف على الاغلال والجار في نية التاخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة الاول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون بحذف
العائد اي يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن في الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم
المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم في معنى اعناقهم
في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون اي يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير
للصديق كانه سجر بالحب اي ملئ والمراد بيان انهم يعذبون بالوان العذاب وينقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اينما كنتم تدعون
من دون الله قالوا ضلوا عنا اي يقال ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان
يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم
لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبت شيئا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله
الكافرين حيث لا يهتدون الى شيء ينفعهم في الآخرة كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى تطالبوا فلم يتصادفوا ذلكم الاضلال
بما كنتم تفرحون في الارض اي تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر
والاشراك والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا
خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان

بلاقوا الى ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله تعذيبهم حق كاين لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة لتاكيد
الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك
فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا
لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب وافظعه كما ينبي عنه الاقتصار على ذكر الرجوع
في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبيا عليهم السلام
مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة الاف من بني اسرايل واربعة الاف من ساير الناس وما
كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول منهم ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى
قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيته المبنية على الحكم البالغة كساير القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان
المقترح بها فاذا جا امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق بانجا المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر
هنالك اي وقت مجي امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون
المقترحون دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها
ومنها تاكلون تفصيل لما دل عليه الكلام اجمالا ومن لابتدا الغاية ومعناها ابتدا الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها
وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه
بما تعلق به الاخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعات الفواصل مع الاشعار
باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النسا والولدان عليها بالهوادج وهو السر في فصله
عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفاين البر وقيل هي الازواج الثمانية
فتعلق الركوب والاكل بها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا ان كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث
لا يجوز تعلقه بما تعلق به الاخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع
تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم اياته دلايله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي ايات الله اي فاي اية
من تلك الايات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجتري على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب
لاي واضافة الايات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشايع المستفيض والتانيث قليل
لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسما غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي
اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم
واشد قوة الخ استيناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها واثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية
والقصور والمصانع وقيل هي اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية
او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اعلم تغن عنهم او اي شي اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم
فلما جاتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالايات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو
ما لهم من العقايد الزايفة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبايع والتنجيم والصنايع ونحو ذلك
او هو علم الانبيا اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاوهم به ويويده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به
يستهزون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسو عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المودي الى حسن
العاقبة وشكروا الله تعالى عليه وحاق بهم بالكافرين ما كانوا به يستهزون جزا جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة
عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بيس قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما

راوا

راوا باسنا اي عند روية عذابنا لامتناع قبوله حينيذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفا الاولى
لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغنا فبهذا
الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قوله وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل
لما ابهم واجمل من عدم الاغنا وقد كثر الكلام في مثل هذه الفا ومبناها على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال
والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاهم الى اخره وهو انهم كفروا
فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما راوا باسنا امنوا والرابعة للعطف على امنوا كانه قيل فامنوا فلم ينفعهم لان
النافع هو الايمان الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر
المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رويتهم الباس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف انفا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المومن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ومومن الا صلى عليه واستغفر له والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر مبتدا محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدا خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر مبتدا محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن
الرحيم متعلق به موكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر اخر او تنزيل مبتدا لتخصيصه بالصفة
خبره كتاب وهو على وجوه الاول بدل منه او خبر اخر او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح
الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبي عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت اياته
ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد
وقرى فصلت اي فرقت بين الحق والباطل وفصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا
قرانا عربيا نصب على المدح والحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من اياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل
لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرانا اي كاينا لقوم الى اخره او تنزيل
على ان من الرحمن الرحيم ليست بصفة او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرانا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل
المعصية او حالان من كتاب او من اياته وقريا بالرفع على انه صفة لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه
على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتامل حتى يفهموا جلالة قدره فيومنوا به وقالوا اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند
دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القران قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر اي صمم
واصل الثقل وقري بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدى من
الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق
وقبوله ومج اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم للرسل عليهم السلام فاعمل اي على دينك وقيل في ابطال امرنا انا
عاملون على ديننا وقيل في ابطال مرادك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
تلقين للجواب عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبي عنه قوله
فاعمل انا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مامور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في
الهكم محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه صلى الله عليه وسلم للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه
ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلايل العقل
وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم وصحت بالوحي وانا بشر نبوتي واذا صحت
نبوتي وجب عليكم اتباعي فتامل والفا في قوله تعالى فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحا الوحدانية فان ذلك

موجب لاستغفارهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في الاعمال **واستغفروه** مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل
وقوله تعالى **وويل للمشركين** ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى **الذين لا يؤتون
الزكاة** لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن الكفر بالاخرة حيث قيل **وهم
بالاخرة هم كافرون** وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد
والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه فسر لا يؤتون الزكاة بقولون لا اله الا الله زكاة الانفس والمعنى
لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون على
الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون انفسهم **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون** اي لا يمن به
عليهم من المن واصله الثقل او لا ينقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر
كاصح ما كانوا يعملون **قل أئنكم لتكفرون** انكار وتشنيع لكفرهم فان ان واللام اما لتاكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة لا لانكار التاكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكره العقلاء وقوعه فيحتاج الى التاكيد وانما علق كفرهم
بالموصول حيث قيل **بالذي خلق الارض في يومين** لتفخيم شانه تعالى واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشان الذي قدر
وجودها اي حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي
انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيرانها وترتيب حركاتها **وتجعلون له اندادا** عطف على تكفرون داخل في
حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اي وتجعلون له اندادا اي
والحال انه لا يكون له ند واحد **ذلك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدا خبره ما
بعده اي ذلك العظيم الشان الذي فعل ما ذكر **رب العالمين** اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف
يتصور ان يكون احسن مخلوقاته ندا له وقوله تعالى **وجعل فيها رواسي** اي عطف على عطف داخل في حكم الصلة والجعل ابداعي
وحديث لزوم الفصل بينهما بالجملتين الخارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة
له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد بالفصل بهما كلا فصل على ان فيه فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف
عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اي
خلقها وجعل الى اخره وقيل هو كلام مستانف واياما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى **من فوقها** متعلق
بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اي كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من
مراصد الاعتبار ومطارح الافكار **وبارك فيها** اي قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التي من جملتها الانسان واصناف
النبات التي منها معايشهم **وقدر فيها اقواتها** اي حكم فيها اقواتها **في اربعة ايام** تصريحا بالفذلكة **سواء** مصدر مؤكد بمضمر هو صفة
لايام اي استوت سواء اي استواء كما يني عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها اي في وفيها وقرئ بالرفع اي سواء
للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل
السائلين اي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى **ثم استوى الى السماء** شروع في بيان كيفية التكوين
اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب
مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على
غيره **وهي دخان** اي امر ظلماني عبر به عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها او دخان مرتفع من الماء كما سبق وانما
خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى **فقال لها وللارض** اكتفاء بذكر
تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض التي قدم وجودها ووجود ما فيها **ائتيا** اي كونا واحدة على وجه معين وفي وقت

مقدر

مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون
هناك ومامور كما في قوله تعالى **طوعا او كرها** تمثيل لتحتم تاثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات
الطوع والكره لهما وهما مصدران وقع موقع الحال اي طائعتين او كارهتين وقوله تعالى **قالتا اتينا طائعين** اي منقادين
تمثيل لكمال تاثرهما بالذات على القدرة الربانية وحصولهما كما امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة
فان الطوع مبنئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى
ساجدين وقوله تعالى **فقضاهن سبع سموات** تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لانه فعل مرتب
على تكوينهما اي خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى ومبهم وسبع سموات
حال على الاول وتمييز على الثاني **في يومين** في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان
تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل **واوحى في كل سماء امرها** عطف على قضاهن اي
خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيران وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قال قتادة والسدي والوحي عبارة عن
التكوين فالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى الى كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو
بمعناه ومطلق عن القيد المذكور واياما كان فلعل ما قرر من التفصيل لا دلالة في الاية الكريمة على الترتيب بين ايجاد
الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة
على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن
سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش
العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي
على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات
وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات
وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق ادم عليه السلام في اخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل
ان خلق جرم الارض مقدم على خلق جرم السموات لكن دحوها وخلق ما فيها موخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك
دحاها ولما روي عن الحسن رضي الله عنه من انه تعالى خلق الارض في بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم
اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منه الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما
الاية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاؤها واحداثها بل انشاء وجودها وجعلها على وجه خاص
يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك
وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة ءاتيا من المواتاة وهي الموافقة وانت
خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتاتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن
دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكونهما متوافقين على الوجه المذكور وليس من
ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكون السماء
على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان تحمل الارض في
قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء
ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة القاهرة كما
قيل واما على انه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم
بتفاصيلها اكمل وليس ما روي عن الحسن رضي الله تعالى عنه نصا في دحو الارض عن خلق الارض السماء فان بسط الارض معطوف

على اصعاد الدخان وخلق السما بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل رحمه الله ان خلق السما مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر بتيانها حينيذ ايضا على ما ذكرنا من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السما على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السما هذا كله على تقدير كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الاية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك بني الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الاية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية المقام الامتنان حقه **وزينا السما الدنيا بمصابيح** من الكواكب فانها كلها ترى متلالية عليها كانها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى **وحفظا** مصدر موكد بفعل معطوف على زينا اي وحفظناها من الافات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا **ذلك** الذي ذكر بتفاصيله **تقدير العزيز العليم** البالغ في القدرة والعلم **فان اعرضوا** متصل بقوله تعالى قل ائنكم الى اخره اي فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظايم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان **فقل انذرتكم** اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبي عن تحقق المنذر **صاعقة** اي عذابا هايلا شديد الوقع كانه صاعقة **مثل صاعقة عاد** وقرى صعقة عاد **وثمود** وهي المرة من الصعق او الصعيق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل **اذ جاتهم الرسل** حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة عاد اي الكاينة اذ جاتهم فقيه حذف الموصول مع صلته **من بين ايديهم ومن خلفهم** متعلق بجاتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا او من عذاب الاخرة وقيل المعنى جاتهم الرسل المتقدمون والمتاخرون على تنزيل كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجي انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جا من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجي من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل قد جاوا وخاطبوهم بقوله تعالى **الا تعبدوا الا الله** اي بان لا تعبدوا على ان مصدرية وان لا تعبدوا على انها مفسرة **قالوا لو شا ربنا** اي ارسال الرسل لا انزال الملايكة كما قيل فانه عبارة عن افادة ما اراده من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف **لانزل ملايكة** اي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل **فانا بما ارسلتم به** اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم **كافرون** لما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا او تضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللوا فكنت رييسنا وان كان بك الباه زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شيت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا وقد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت فيه وناشدته بالرحم وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب **فاما عاد فاستكبروا في الارض** شروع في حكاية ما يخص كل واحدة من الطايفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها على اهلها واستعلوا وتولوا على اهلها **بغير الحق** اي بغير استحقاق للتعظيم والولاية **وقالوا** مدلين بشدتهم وقوتهم **اولم يروا** اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان **ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة** اي قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدرة

على

على كل قوي وقادر وانما اورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعايهم الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم **وكانوا باياتنا** المنزلة على الرسل **يجحدون** اي ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعا **فارسلنا عليهم ريحا صرصرا** اي باردة تهلك وتحرق بالشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير **في ايام نحسات** جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرى بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن اخر شوال من الاربعا وما عذب قوم الا في يوم الاربعا **لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا** وقرى لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما عنه قوله تعالى **ولعذاب الاخرة اخزى** وهو في الحقيقة وصف للمعذب قد وصف به العذاب للمبالغة **وهم لا ينصرون** بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه **واما ثمود فهديناهم** فدللناهم على الحق بنصب الايات التكوينية وارسال الرسل وانزال الايات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرى ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثا **فاستحبوا العمى على الهدى** اي اختاروا الضلالة على الهداية **فاخذتهم صاعقة العذاب الهون** داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او بدل منه **بما كانوا يكسبون** من اختيار الضلالة **ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون** من تلك الصاعقة **ويوم يحشر اعدا الله** تعالى الذهم والابدان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والاخرين ويرده ما سياتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرى يحشر على بنا الفاعل ونصب اعدا الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها **الى النار** اي الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الاتية لا بعد تمام السوال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر موخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى **فهم يوزعون** اي يحشر اولهم على اخرهم لئلا يتفرقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل ان يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى **حتى اذا ما جاوها** اي جميعا غاية ليحشروا او ليوزعون حتى اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور **شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها اثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السوال بها في قوله تعالى **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا** فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما تشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح اي سالوها سوال توبيخ لما روي انهم قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلا في خطاب الجلود وفي قوله تعالى **قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي** لوقوعها في موقع السوال والجواب المختصين بالعقلا اي انطقنا الذي انطق كل شي واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبايح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شي وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار وقيل سالوها سوال تعجب فالمعنى حينيذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله تعالى الذي انطق كل شي **وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون** فان من قدر على خلقكم وانشايكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزايه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترتب عند المخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى **وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم** حكاية لما سيقال لهم يوميذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ

والتقريع تقرير الجواب الحلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان يشهد عليكم جوارحكم
بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدون بالبعث والجزاء اصلا ولكن ظننتم ان الله لا
يعلم كثيرا مما كنتم تعملون من القبائح المخفية فلا يظهرها في الاخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح
باعلامه تعالى لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل
ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي فقال احدهما اترون ان الله يسمع ما نقول فقال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع
ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الاية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن
كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة وذلكم اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته
في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا
فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم عنها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء
حالهم ان يعرض عنهم ويحكي سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غيابة دركات النار وان
يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة
وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على
البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع
الشهوات وما خلفهم من امور الاخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت وتقرر عليهم
كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منكم اجمعين كما مر مرارا
في امم حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق
المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والاخرين كما قيل قد خلت صفة لامم قد مضت من قبلهم من الجن والانس
على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والاخرين وقال الذين
كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القران اي لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد
يقال لغي يلغى كلقي يلقى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي والله لنذيقن
هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيه دخولا اوليا عذابا شديدا لا يبقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي
كانوا يعملون اي جزاء سيئات اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام
وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضي الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في
الاخرة ذلك مبتدأ وقوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعداء الله تعالى وقوله تعالى النار عطف
بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما
قبلها وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره اي بعينها دار اقامتهم على ان في
التجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر اخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا وقيل هي على معناها
والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون منصوب بفعل
مقدر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى
متعلقة بجزاء الثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون باياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود

لكنه

لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون
فريقي شياطين النوعين المقتضيين لهما الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما
سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي
ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع
في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والاخرة بعد بيان حال سوء الكفرة فيهما اي قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته
ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها كله وما روي عن
الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم في معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بجزئياتها تتنزل عليهم
الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق
الالهام كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم
وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ان لا تخافوا ما
تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار وقيل
المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من
الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استئناف
وابشروا اي اسروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاثة وقوله تعالى
نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا الى اخره من بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم
ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتاييده لهم بواسطة الملائكة
عليهم السلام وفي الاخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام ولكم فيها
اي في الاخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اي تدعون
لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي
للاشباع في البشارة والايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون
من عظائم الاجور كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس رضي الله عنهما
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن
ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان
اي مذهبه لا انه اذا تكلم بذلك وقرئ اني بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن
الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الاثار والاحكام ولا الثانية
مزيدة لتاكيد النفي وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن الى اخره استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث اعترضتك
من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب
عن سؤال من قال كيف احسن للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المامور به فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة
والسجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اي شانهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال
النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار
وليا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنخس بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل

نازعا على طريقته حدجه او ازيد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من اثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن اياته الدالة على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث او لانهما عبارة عن الايات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في سلك اياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود وعندنا وعند الشافعي وعندنا احوالا اخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما وهم لا يسامون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسامون بكسر اليا ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الما اي المطر اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنى ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربات اي ارتفعت ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء من الاشيا التي من جملتها الاحيا قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون في اياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة تنبيه على كيفية الجزا اعملوا ما شئتم من الاعمال المودية الى ما ذكر من الالقا في النار والاتيان امنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الى اخره وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستانف وخبرها محذوف وقال الكسائي في سد مسده الخبر السابق والذكر القران وقوله تعالى وانه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم النظير لا يتاتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدا محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا ياتيه الباطل الى اخره اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح لتاكيد كون الكفر بالقران وقوله تعالى ما يقال لك الى اخره تسلية له صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية المشركين الكفار اي ما يقال في شانك وشان ما انزل اليك من القران من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القران بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت اياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى ااعجمي وعربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي يقال للكلام لا يفهمه المتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كاحمري والمعنى كلام اعجمي ورسول او مرسل اليه عربي على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي كلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمي على الاخبار بان القران اعجمي والمتكلم او المخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب وايا ما كان فالمقصود بيان ان ايات الله تعالى على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون قل هو للذين امنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء من شك وشبهة والذين لا يومنون مبتدا خبره في اذانهم وقر على ان التقدير هو في اذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير المقدر وفي اذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو اوفق لقوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في اذانهم وقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدا او الظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يومنون في اذانهم منه وقر ومن جوز العطف

على

على عاملين عطف الموصول على الموصول الاول اي هو للاولين هدى وشفا وللاخرين وقر في اذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وملاحظة ما اثبت له وما فيه من معنى البعد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشوق مع ما فيه من كمال المناسبة للندا من بعيد اي اولئك البعدا الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الايات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستانف مسوق لبيان ان الاختلاف في شان الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي وبالله لقد اتيناه التوراة فاختلف فيها مكذب وهكذا حال قومك في شان ما اتيناك فمن مومن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك في حق امتك المكذبة وهي العدة بتاخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المومنين من الخصومة الى يوم القيامة نحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يوخرهم الى اجل مسمى لقضي بينهم باستيصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة وانهم اي كفار قومك لفي شك منه اي من القران مريب وتعميم الضمير الاول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له من عمل صالحا بان امن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اسا فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة ال عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرة من اكمامها اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعا الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون موصوفة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اي حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثنا مفرغ من اعم الاحوال اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشيا الا ملابسة بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين شركاي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى اين شركاي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا اذناك اي اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة او تبرانا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركا اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم اذناك اما لان التوبيخ اخر جواب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقايدنا الان انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الانشا لا الاخبار وبايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اي يعبدون من قبل اي غابوا عنهم اي ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسام الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعا الخير من طلب السعة في النعمة واسباب المعيشة وقرئ من دعا بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيق فيؤس قنوط فيه مبالغة من جهة البنا ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن ياس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ في قطع الرجا من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان الياس من رحمته تعالى لا يتاتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضرا مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقيته لما لي من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما سياتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصاب به من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الاخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم

من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وإذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن الشكر ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل والطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا في شأن بعض غير البعض الذي حكى عنه اليأس والقنوط او شأن الكل في بعض الاوقات قل أرأيتم اي اخبروني ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيته وكونه من عند الله في الآفاق هو ما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس في الآفاق اي منازل اهل الامم الخالية وآثارهم وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق اي في اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون واعتبر بان معنى التبيين مع ان اراءة تلك الآيات قد حصلت بعد ذلك فانه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما حتى يتبين لهم بذلك انه الحق اي القرآن او الاسلام او التوحيد أولم يكف بربك استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم يغنهم ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا يكاد يزاد الا مع كفى وقوله تعالى انه على كل شيء شهيد بدل منه اي الم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله تعالى في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع يستوي عنده غيبته وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل واما ما قيل من ان المعنى أولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع استعارته بما لا يليق بجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهو لغة فيها الا انه بكل شيء محيط عالم بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم لا محالة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل ما بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل لتناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستأنف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وان ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف في حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل ما في هذه السورة من المعاني اوحي اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء

مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحي وان ايحاءها مثل عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها من تحتيمها ما لا يخفى ولذا وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدأ او يوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر يوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ ينفطرن بالياء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الآيات فاولها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض حيث اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها بمعنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية تدل على زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعذاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب والكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لتنذر ام القرى اي اهلها وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اي يوم القيامة لانه يجمع فيه الخلائق قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال يتعدى الى مفعولين ويستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القرآن لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم وتنذر يوم الجمع وهم متفرقين اي مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اي في الدنيا امة واحدة قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته انه تعالى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب في ان مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في الرحمة للا ما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنون في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء

وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مومنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم
في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه والذي
يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر
بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم بما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من
يشا في رحمته اي شانه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتاثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله
تعالى للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتاثر به الاخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه
من الكفر ويصيرون في الاخرة الى السعير ليس لهم من ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب **ام اتخذوا من دونه اوليا** جملة
مستانفة مقررة لما قبلها من انتفا ان يكون للظالمين ولي او نصير وام منقطعة وما فيها من بل الانتقال من بيان ما قبلها الى بيان
ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه واكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من
اتخاذ الاوليا في شي لان ذلك فرع كون الاصنام اوليا وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله تعالى اوليا من الاصنام
وغيرها **فالله هو الولي** لا ولي سواه **وهو يحيي الموتى** اي ومن شانه ذلك **وهو على كل شي قدير** فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه
بالاتخاذ دون من لا يقدر على شي **وما اختلفتم فيه من شي** حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمومنين اي ما خالفكم الكفار
فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم **فحكمه الى الله** وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين **ذلكم** الحاكم العظيم الشان
الله ربي مالكي **عليه توكلت** في مجامع اموري خاصة لا على غيره **واليه انيب** ارجع في كل ما يعن لي من معضلات الامور لا الى احد
سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر في الاول صيغة الماضي
وفي الثاني صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم في شي من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا توثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله
تعالى والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا
طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او خبر لمبتدا محذوف او مبتدا خبره **جعل لكم** وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف
للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف **من انفسكم** من جنسكم **ازواجا** نسا وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة **ومن الانعام** اي وجعل للانعام من جنسها **ازواجا** اي خلق لكم من الانعام
اصنافا او ذكورا واناثا **يذرؤكم** يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو **فيه** فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام
ازواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير **ليس كمثله شي** اي ليس مثله شي في شان من الشوون التي من جملتها هذا التدبير
البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه
عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة في شان من لا مثل له وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة **وهو السميع البصير** المبالغ
في العلم بكل ما يسمع ويبصر **له مقاليد السموات والارض** اي خزائنها **يبسط الرزق لمن يشا ويقدر** يوسع ويضيق حسبما تقتضيه
مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة **انه بكل شي عليم** مبالغ في الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة
تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم
وموسى وعيسى** ايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على
كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته صلى الله عليه وسلم اي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب
الشرائع واولي العزائم من مشاهير الانبيا عليهم الصلاة والسلام وامرهم به امرا موكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو
شانهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شان موسى عليه السلام وتفرد النصارى في حق

عيسى

عيسى عليه السلام والا فما من نبي الا وهو مامور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف
باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول الشرايع والاحكام كما تنبي عنه التوصية فانها معربة عن تاكيد الامر والاعتنا
بشان المامور به والمراد بايحائه صلى الله عليه وسلم اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك اوحينا الاية او ما
يعمهما وغيرهما وقع في ساير المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بالذي لزيادة تفخيم
شانه من تلك الحيثية وايثار الايحا لما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الايات المذكورة ولما في الايحا من التصريح
برسالته صلى الله عليه وسلم القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لكمال الاعتنا بايحايه وهو السر في تقديمه على
ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم وصية نوح للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه
الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه صلى الله عليه وسلم **ان اقيموا الدين** اي
دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزا وساير ما يكون الرجل به مومنا والمراد باقامته تعديل
اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين
عليه او الرفع على انه جواب عن سوال نشا من ابهام المشروع كانه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك
لما انه مع اقتضايه لخروجه عن حيز الايحا الى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى **ولا تتفرقوا فيه**
للانبيا المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهي الى عباده كما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم
باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى **كبر على المشركين** شروع في بيان احوال
بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القديم الذي عظم وشق عليهم **ما تدعوهم اليه** من التوحيد ورفض عبادة الاصنام
واستبعدوه حيث قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب وقوله تعالى **الله يجتبي اليه** استيناف وارد لتحقيق الحق
وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اي الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه **من يشا** اي يجتبيه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه
كما ينبي عنه قوله تعالى **ويهدي اليه من ينيب** اي يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى **وما تفرقوا** شروع في بيان
احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم اليهود والنصارى
لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة اي وما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يومنوا كما
امن بعضهم **الا من بعد ما جاهم العلم** بحقيقته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران من دلايل الحقية حسبما
وجدوه في كتابهم والعلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وهو استثنا مفرغ من اعم الاحوال او في وقت من الاوقات الا حال مجي
العلم او الا وقت مجي العلم **بغيا بينهم** وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة **ولولا كلمة سبقت من ربك** وهي العدة
بتاخير العقوبة **الى اجل مسمى** هو يوم القيمة **لقضي بينهم** لاوقع القضا بينهم باستيصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله
تعالى **وان الذين اورثوا الكتاب** الى اخره بيان لكيفية كفر المشركين بالقران اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا اي
وان المشركين الذين اورثوا القران **من بعدهم** اي من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم **لفي شك منه** من القران **مريب**
موقع في القلق او في الريبة ولذلك لا يومنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيقته كداب اهل الكتابين هذا واما
ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم الانبيا عليهم السلام وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد فامر
متوعد على السنة الانبيا فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة
واحدة مومنين بعدما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الابا اختلف الابنا فيما بينهم وذلك حين بعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين وجاهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان ساير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار
وامهال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر الانبيا عليهم السلام لتحقيق ان ما شرع لهولاء دين قديم

اجمع عليه اوليك الاعلام عليهم الصلاة والسلام تاكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه
والتعرض لبيان تفرق امهم عنه ربما يوهم الاخلال بالمقام فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب اولاجل انه
شرع لهم الدين القويم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون فادع اي الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه
فان كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر
بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس
الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى ان ربك اوحى لها اي فالى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه كما
امرت واوحي اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اي كتاب كان من الكتب المنزلة كالذين آمنوا
ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتاليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض لهم وقد مر
بيان كيفية الايمان في خاتمة سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرايع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة
والخصام وقيل معناه لاسوي بينكم ولا امركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم وباللام
اما على حقيقتها والمامور به محذوف اي امرت بذلك لاعدل او زايدة اي امرت ان اعدل والبا محذوفة الله ربنا وربكم اي
خالقنا جميعا ومتولي امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم آثارها لنستفيد
بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة
محمل سوى المكابرة الله يجمع بيننا واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة في مواقف المجاوبة
في مواطن المحاورة حتى يصار الى النسخ باية القتال والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب
الناس ودخلوا والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اي من بعد ما استجاب الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وايده بنصره او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب واقروا بنبوته صلى الله عليه وسلم واستفتحوا به قبل مبعثه صلى الله
عليه وسلم وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون للمومنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق
حجتهم داحضة عند ربهم زايلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل
وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب
بالحق ملتبسا به في احكامه واخباره اي بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذي يوازن الحقوق ويسوي
بين الناس ونفس العدل بان انزل الامر به او آلة الميزان وما يدريك اي اي شي يجعلك عالما لعل الساعة التي يخبر بمجيها
الكتاب الناطق بالحق قريب اي شي قريب او قريب مجيها وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على
جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجيك اليوم الذي توزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل
بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء وكانوا يقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه
ام محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها خايفون منها مع اعتنايها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اي الكاين لا محالة
الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت لشدة الحلب لان كلا من المتجادلين
يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغايبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى
تجويزه فهو عن الاهتدا الى ما وراه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اي بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطاعة ما لا
يكاد تناله ايدي الافكار والظنون يرزق من يشا ان يرزقه كيف ما يشا فيختص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه
مشيته المبنية على الحكم البالغة وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شي العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد
حرث الاخرة الحرث في الاصل القا البذر في الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتايجها
بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اي من كان يريد ثواب

الاخرة

الاخرة نزد له في حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعماية فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها
وطيباتها نؤته منها اي شيا منها حسبما قسمنا له ما لا يؤده ويبتغيه وما له في الاخرة من نصيب اذا كانت همته مقصورة على الدنيا
وقد مر تفصيله في سورة الاسرا ام لهم شركا اي بل الهم شركا من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل
من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها
شركا لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم لقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلال لهم
ولولا كلمة الفصل اي القضا السابق بتاخير الجزا او العدة بان الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمومنين
او بين المشركين وشركايهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرى بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير
عذاب الظالمين في الاخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الاخرة ترى الظالمين يوم القيامة الخطاب
لكل احد ممن يصلح للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء مشفقين من السيات خايفين مما كسبوا من السيات
وهو واقع بهم اي ووباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاون عند ربهم اي ما يشتهونه من فنون
المستلذات حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاون ذلك اشارة الى ما ذكر
من حال المومنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته
ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله عباده الذي يبشرهم به فحذف الجار ثم العايد الى الموصول كما في قوله اهذا الذي
بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشر الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرى يبشر من البشر قل
لا اسالكم عليه اجرا روي انه اجتمع المشركون فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسال عما يتعاطاه اجرا فنزلت اي لا اطلب
منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اي الا ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل
قرابتي وقيل الاستثنا منقطع والمعنى لا اسالكم اجرا قط ولكن اسالكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة
في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من
قرابتك هولاء الذين وجب علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم
اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازه عليها غدا اذا لقيني يوم
القيامة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرى
الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة اي يكتسب اي حسنة نزد له فيها اي في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرى يزد
اي يزد الله وقرى حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب وقرى يزد اي يزد الله والتفضل عليه بالزيادة
ام يقولون بل يقولون افترى محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القران على ان الهمزة للتوبيخ كانه قيل ايمكن
ان ينسبوا مثله صلى الله عليه وسلم وهو الى الافترا لاسيما الافترا على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها وقوله
تعالى فان يشا الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه صلى الله عليه وسلم لو افترى على الله لمنعه من
ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القران افترا عليه تعالى قول منهم انه تعالى لا يشا صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم
بل يشا عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افترا عليه تعالى لشا عدم صدوره عنك وان يشا
ذلك يختم على قلبك بحيث لا يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي
حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشا يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجتري على الافترا عليه
تعالى الا من كان كذلك ومواده استبعاد الافترا من مثله صلى الله عليه وسلم وانه في البعد مثل الشرك بالله تعالى والدخول
في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسيك القران ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل

بيده لك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القران وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمحوا الله الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف مقرر لنفي الافترا غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اي ومن عادته تعالى يمحوا الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه لقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افترا كما زعموا لمحقه ودمغه او وعدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحوا الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقران او بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجري عليها احكامها اللايقة من المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة هو الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا نعاودها ابدا وروي جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله تعالى عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المومنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكا على كل ضحك ضحكته ويعفوا عن السيات صغيرها وكبيرها لمن يشا ويعلم ما يفعلون كاينا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما يقتضيه مشيته المنبية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتا ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعا وطلب لما ترتب عليها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الدعا الحمد لله او يستجيبون الله تعالى بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابرهيم ابن ادهم قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرا والله يدعوا الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سالوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا ولعلى بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلا كما عليه اجبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية والكيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير ما يشا ان ينزله مما تقتضيه مشيته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلايلها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشانهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا ييسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شي من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن اياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنايع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز ان يكون للملايكة عليهم السلام مشي مع الطير فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله في السما حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السما السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السما والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السما والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشا متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد بالمشية جمعه تعالى

مع

لا قدرته

لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفا لان ما شرطية او متضمنة معنى الشرط وقرئ بدونها اكتفا بما في البا من معنى التسبيب ويعفوا عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب اخر منها تعريضه بالثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فايتين ما قضي عليكم من المصايب وان هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتدا خاصة ان يشا يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن اخرى على حسب مشيته تعالى لايات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار شكور كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن بعضها وايقاع الايباق عليهن مع ان حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراحكمه على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج اخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعف على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الى اخره كما في قوله تعالى ولنجعله اية للناس وقوله تعالى ولنعلمه من تاويل الاحاديث ونظايرهما وقرئ بالرفع على الاستيناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او ان يشا يجمع بين اهلاك قوم وانجا قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص اي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شي مما ترغبون وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير ذات الخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا معنى الشرط من حيث ان ايتاما اوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا دخلت جوابها الفا بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه ان ابا بكر تصدق بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كباير الاثم اي الكباير من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين امنوا ومدح بالنصب او الرفع وبنا يغفرون للضمير خبرا له للدلالة على انهم الاخصا بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كبير الاثم الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى لا ينفردون براي حتى يتشاوروا له ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون على من بغى عليهم على ما جعل الله لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بساير مهمات الفضايل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعورا الكرام محمود وعن المتغلب ولغوا اللئام مذموم فانه اغرا على البغي وعليه قول من قال

اذا انت اكرمت الكريم ملكته ، وان انت اكرمت اللئيم تمردا

وقال غيره

كوضع الندا في موضع السيف بالعلا ، مضر كوضع السيف في موضع الندا

وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الجميلة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي فعل لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من تنزلت به فمن عفى عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضا كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شان الموعود

وخروجه عن احد المعهود انه لا يحب الظالمين البادين بالسيئة والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه
اي بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير في له باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة
والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يعتدون في الانتقام ويبغون في الارض بغير
الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من البغي والظلم بغير الحق لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم
ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلم ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان
ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قوله السمن منوان بدرهم وهذا في المواد لا يودي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن
يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله تعالى اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اي حين
يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد الى رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نومن ونعمل صالحا وتراهم
يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتاتى منه الروية خاشعين من الذل متذللين
متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اي يبتدي نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف
وقال الذين آمنوا ان الخاسرين اي المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعرض للعقاب الخالد
يوم القيمة اما ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على
تحققه وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
بدفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يودي سلوكه الى النجاة استجيبوا
لربكم اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله تعالى اي لا يرده الله تعالى بعد ما حكم به على ان من
صلة مرد اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه
لانه مدون في صحايف اعمالكم وتشهد عليهم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن
خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلاة والسلام اي فان لم يستجيبوا واعرضوا عما
تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي
نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس وقوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اي بلاء من مرض
وفقر وخوف فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتامل سببها بل يزعم انها اصابته
بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الجملة الشرطية
الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى
الذات كما ان تصدير الثانية باسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام
في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض
فمن قضيته انه يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيف يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريده يخلق ما يشاء مما يعلمه
ومما لا يعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين
الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى يزوجهم على ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توامين ويجعل
من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد في حق الاولاد مختلفة على ما يقتضيه المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من
ذكر او انثى واما صنفين ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل ولان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما تعلق
به مشيته تعالى لا ما تتعلق به مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب
قلوب امهاتهن وللمحافظة على الفواصل ولذلك عرف او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا
حاجة اليه في الرابع لافصاحه انه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب

لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير
مبالغ في العلم والقدرة فيجعل ما فيه مصلحة وحكمة وما كان لبشر اي ما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه
الا وحيا اي بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وقد روي عن
مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع
من يكلمه والمراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع
صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل
رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليهم الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء اي يوحيه
اليه وهذا الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله
تعالى ان يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم موحيا او مسمعا
من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله تعالى
وتنظر اليه فانا لن نومن حتى تفعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عايشة
رضي الله تعالى عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول وتلت هذه الاية انه علي متعال
عن صفات المخلوقين لا يتاتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة
فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اي ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القران
الذي هو للقلوب بمنزلة الارواح للابدان حيث يحييها حياة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحايه اليه عليه الصلاة والسلام
ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور
التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته صلى الله عليه وسلم له مما لا ريب فيه قطعا ولكن
جعلناه اي الروح الذي اوحينا اليك نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله
تعالى وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة لغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك
النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو صراط الاسلام وساير الشرايع والاحكام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله وقرئ لتدعو
صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض لتفخيم شانه
وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب
الا الى الله تصير الامور اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما
لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة حمعسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على
تقدير اسميته كونه اسما للقران لا للسورة كما قيل فان ذلك يخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او
عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في
تاكيد مضمون الجملة القسمية المبين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين بطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح
لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة انا جعلناه قرانا عربيا جواب للقسم لكن على ان مرجع التاكيد جعله كذلك كما قيل بل هو غايته
التي يعرب عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانه المحتاجة الى التحقيق والتاكيد لكونها منبية عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم
وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرانا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرايق والمعنى الفايق وتقفوا على ما
يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب اي

في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقري ام الكتاب بالكسر **لدينا** اي عندنا **لعلي** رفيع القدر بين الكتب شريف
حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصاله بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا
في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقران على علو قدره عند الله تعالى براعة
بديعية وايذان بانه من علو الشان بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على
ذلك من حيث الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمزا الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شي اخر اولى منه بالاقسام به
واما مستانفة مقررة لعلو شانه الذي انبا عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم
وبعد ما بين علو شان القران العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويومنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر
بخلافه فقيل **افنضرب عنكم الذكر** اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض وفيه اشعار باقتضا الحكمة توجه
الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفا للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم **صفحا** اي
اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر موكد لما دل هو عليه فان التنحية منبية عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل
فنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي افننحيه عنكم جانبا **ان كنتم قوما مسرفين** اي لان كنتم منهمكين في الاسراف
مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشانكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة
رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرى ان بالكسر على الجملة شرطية
مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى **وكم ارسلنا من نبي في الاولين**
وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزون تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبيا اليهم
وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزا قومه وقوله تعالى **فاهلكنا اشد منهم بطشا** اي من هولا القوم المسرفين عده
له صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهولا بطريق الاولوية **ومضى**
مثل الاولين اي سلف في القران غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل **ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن**
خلقهن العزيز العليم اي ليسندن خلقها الى من هذا شانه في الحقيقة وفي نفس الامر لانهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه
الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلايل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزا امر بين لا ريب
وان الحجة قايمة عليهم شاوا اوابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى **الذي جعل لكم الارض مهادا** استيناف من
جهته تعالى اي بسطها لكم تستقرون فيها **وجعل لكم فيها سبلا** تسلكونها في اسفاركم **لعلكم تهتدون** اي لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم
او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي **والذي نزل من السما ما بقدر** بمقدار تقتضيه مشية حكمته المبنية على الحكم
والمصالح **فانشرنا به** اي احيينا بذلك الما **بلدة ميتا** خاليا عن الثمار والنبات بالكلية وقرى ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة
في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحيا والاشعار بعظم خطره **كذلك** اي مثل ذلك
الاحيا الذي هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض **تخرجون** اي تبعثون من قبوركم احيا وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشا
الذي هو احيا الموتى وعن احياهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج
القياس **والذي خلق الازواج كلها** اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض
والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اي ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله في
الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها **لتستووا على**
ظهوره اي لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى **ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه** اي
تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم **وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا** متعجبين من ذلك كما

يروى

يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله واذا استوى على الدابة قال الحمد لله على
كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا **وما كنا له مقرنين** اي مطيقين من اقرن الشي اذا اطاقه
واصل وجده قرينته الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرى بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون
اعتراف النعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها **وانا الى ربنا لمنقلبون** اي راجعون وفيه بان حق
الراكب ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه الملابسة العظمى التي هي الانقلاب الى الله تعالى فيبني اموره في مسيره ذلك على
تلك الملاحظة ولا يخطر بباله في شي مما يتاتى ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع **وجعلوا له من عباده**
جزا متصل بقوله تعالى ولين سالتهم الى اخره اي وقد جعلوا لله سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده
ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرى جزوا بضمتين **ان الانسان لكفور مبين** ظاهر
الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون **ام اتخذ مما يخلق بنات** ام منقطعة وما فيها من معنى بل
للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من احسن صنفيه والهمزة
للانكار والتوبيخ والتعجب من شانهم وقوله تعالى **واصفاكم بالبنين** اما عطف على اتخذ داخل في حكم الانكار والتعجب او حال من
فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتاكيد الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه
احسن الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته
وامتناعه اما كان لكم شي من العقل ونبذ من الحيا حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعا انه تعالى اثركم على
نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف بنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا الى اخره استيناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم
ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضا ذكر قبايحهم ان يعرض عنهم ويحكي لغيرهم تعجيبا منها اي اذا اخبر احدهم
بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله **ظل وجهه مسودا** اي صار اسود في الغاية من سوما بشر
وهو كظيم مملو من الكرب والكابة والجملة حال وقرى مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا
له **اومن ينشا في الحلية** تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا او وجعلوا من شانه ان يربى في
الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه والحا ما بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة
من الانكار وتاكيده والعطف للتغاير العنواني اي واتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته **وهو** مع ما ذكر من القصور **في**
الخصام اي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان في العادة **غير مبين** غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان
عقله وضعف رايه واضافة غير لا تمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرى ينشا وينا شا من الافعال والفاعلة
والكل بمعنى ونظيره علاه واعلاه وعالاه **وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا** بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر
اخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله تعالى انقصهم رايا واخسهم صنفا وقري عبيد الرحمن وقري
عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقري انثا وهو جمع الجمع **اشهدوا خلقهم** اي احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا
حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرى اشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة واشهدوا
بالالف بينهما **ستكتب شهادتهم** هذه في ديوان اعمالهم **ويسيلون** عنها يوم القيمة وقرى سيكتب بالياء والنون وقرى شهاداتهم
وهو قولهم ان لله جزا وان له بنات وانها الملايكة وقري يسالون من المسالة للمبالغة **وقالوا لو شا الرحمن ما عبدناهم** بيان
لفن اخر من كفرهم اي لو شا عدم عبادتنا للملايكة مشية ارتضا ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى
وانهم انما يفعلونه بمشيته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيته تعالى اياهم منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض
ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احدهما ان عبادتهم له بمشيته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها

مرضية عنده تعالى ولقد اخطاوا في الثانية حملوا ان المشية عبارة عن ترجيح بعض الممكنات كائنا ما كان من غير
اعتبار الرضا والسخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اي بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه
بمشية الارتضا لا بمطلق المشية فان ذلك محقق بما لا يحصى من الآيات الكريمة من علم يستند الى سند ما ان هم الا
يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كانه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبههم الزايغة
نفي ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل
القرآن او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به اي بذلك الكتاب مستمسكون وعليه يعولون بل قالوا انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لم يأتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم
الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي يكون
عليها الآم اي القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة بمهتدون وكذلك اي والامر كما ذكر من عجزهم
عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على
امة وانا على آثارهم مقتدون استيناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا
سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد
قل حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم اي قال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم
اتقتدون بآبائكم ولو جئتكم باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وانما عبر عنها
بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قال على انه حكاية امر ماض اوحي حينئذ الى كل نذير وعلى انه خطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم قطعا اي قالت كل امة لنذيرها انا بما ارسلتم
به الى آخره وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعل حكاية عن قومه عليه الصلاة
والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم
عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين بمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم اي بالاستيصال فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابراهيم اي واذكر لهم وقت قول ابراهيم
عليه السلام لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله انني براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا
مسلكه في الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن بد من التقليد فانه اشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي
فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اي
انني برئ من عبادتكم او معبودكم الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم
وانهم كانوا يعبدون الله تعالى والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه
سيهدين اي سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين للتأكيد دون
التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة
باقية في عقبه اي في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم
من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية في
عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحدين بل متعت هؤلاء وآباءهم اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه
قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت هؤلاء
المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من اهل مكة حتى جاءهم اي هؤلاء الحق اي القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة واضحها
بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به في ذاته على

قوله

قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه مبالغة في تعييرهم فان التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر
والثبات على التوحيد والايمان فجعلوه سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم
فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا
هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين اي من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم بالجاه والمال
كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة
ابن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا الى نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم
بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرآنا لنزل الى احدهما بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به الا
من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية
المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية واما المزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية
فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد
بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اي اسباب معيشتهم في الحياة الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم
والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادي
المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم
وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم
حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا
واهلكوا فاذا كان في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم
في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة
ربك اي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس
امة واحدة استيناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدرها عند الله تعالى والمعنى ان حقارة شأنه بحيث لولا ان يرغب الناس
لحبهم في الدنيا في الكفر اذا راوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعون عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك
قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اي متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع باعتبار معنى من كما
ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع تخفيف او سقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقف كانه لغة في سقف وسقوفا
ومعارج اي وجعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون السطوح
والعلالي ولبيوتهم اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير
وزخرفا اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا اي وما كل ما ذكر من البيوت
الموصوفة المفصلة الا شيء يتمتع فيه في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على
ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة حذف عائدها اي هو متاع كما في قوله تعالى
تماما على الذي احسن والآخرة بما فيها من فنون النعيم التي يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين اي عن الكفر والمعاصي
وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ومن يعش اي يتعام عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن
للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي يعشى اذا كان في بصره آفة وعشي يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج
وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا
وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين فهو لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء

على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع نقيض وانهم اي الشياطين الذين قيض كل منهم لكل واحد ممن يعشو
ليصدونهم اي قرناوهم فمدار جمع الضميرين باعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضماير السابقة اعتبار لفظها عن السبيل
المستبين الذي يدعو اليه القران ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين
مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا او من فاعله او منهما لا
لاشتمالها على ضميريهما اي فانهم ليصدونهم عن الطريق الحق ويحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في الافعال
الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى حتى اذا جانا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية
لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير في جا وما بعده لان المراد حكاية مقالة كل واحد من
العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان
الباطل حتى اذا جانا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين اي بعد
المشرق والمغرب اي تباعد كل منهما على الاخر فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبيس القرين اي انت وقوله تعالى ولن
ينفعكم الى اخره حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله تعالى توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم اي يوم القيامة تمنيكم
لمباعدتهم اذ ظلمتم اي لاجل ظلمكم انكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ تبين عندكم
وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال ؛ اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ؛ اي تبين اني لم
تلدني لئيمة اي كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب
كما ينفع الواقعين في شدايد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل اعبايها وتقسمهم في عناها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته
كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنايكم معذبين
مثلكم حتى كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا واتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولهم فاتهم عذابا ضعفا من النار
ونظايرهما لتتشفوا بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعا قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا
عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاميا عما يسمعونه من بينات القران فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو
انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشا
عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في
الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له لتوهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر
والالجا فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة
في الدنيا والاخرة فما مزيدة للتاكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم اي او اردنا ان
نريك العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد اراه صلى الله عليه وسلم
يوم بدر فاستمسك بالذي اوحي اليك من الايات والشرايع سوا عجلنا لك الموعدة او اخرناه الى اليوم الاخر وقرى اوحي
على البنا للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك وللامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك
وسوف تسالون يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسال اممهم واعدادهم
لقوله تعالى فاسيل الذين يقرون الكتاب من قبلك وفايدة هذا المجاز التنبيه على ان المسؤل عنه عين ما نطقت به السنة
الرسل لا ما يقوله اعداهم وانفسهم من تلقا انفسهم قال الفرا هم انما يخبرونهم عن كتب الرسل فاذا سالهم فكانه سيل
الانبيا عليهم الصلاة والسلام اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اي هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة
من مللهم والمراد به الاستشهاد باتباع الانبيا على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادي ولقد
ارسلنا موسى باياتنا ملتبسا الى فرعون وملايه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصا تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم

والاستشهاد

والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه فلما جاهم باياتنا
اذا هم منها يضحكون اي فاجاوا وقت ضحكهم منها اي استهزوا بها اول ما راوها ولم يتاملوا فيها وما نريهم من اية من الايات الا
هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الايات والمراد وصف
الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شي منها او الا وهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها واخذناهم
بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا ايه الساحر نادوه بمثل
ذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرى ايه
الساحر بضم الها ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى
او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة اننا لمهتدون اي لمؤمنون تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لين كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجاوا وقت نكث عهدهم بالاهتدا وقد مر تفصيله في
الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي
ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت قصري و
امري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني قالوا واما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجري حال منها
او للحال فهذه مبتدا والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدا افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع هذه المملكة
والبسطة من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين اي الكلام قاله افترا عليه عليه السلام
وتنقيصا له عليه السلام في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد
اوتيت سولك يا موسى وام اما منقطعة والهمزة للتقرير كانه قال اثر ما عد اسباب فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم
اني انا خير وهذه الحال الحال من هذا الخير واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون خلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون
لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصرا وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب
فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اساورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد
الملك ان كان صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع سوار وقرى اساور جمع اسوار
بمعنى السوار على تعويض التا من يا اساوير وقد قرى كذلك وقرى والقي عليه اسورة واساور على البنا للفاعل وهو الله تعالى او جا
معه الملايكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه
فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته اي فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا
الى طاعة ذلك الفاسق فلما اسفونا اي اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين اي
عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى حين جادل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال اهذا لنا ولالهتنا ام لجميع الامم
فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون المسيح واليهود
عزيرا وبنو مليح الملايكة فان كان هولاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم ففرحوا به وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله
تعالى اذا قومك منه اي من اجل ذلك المثل يصدون اي ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرى يصدون من اجل ذلك المثل يعرضون
عن الحق اي يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض او يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف
وهو الانسب بمعنى المفاجاة وقالوا االهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه
بتزيين السفها اي ظاهر ان عيسى خير من الهتنا فنها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه صلى الله عليه وسلم
سكت عن ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية فان ذلك مع الهامه فانه لا يجب تنزيه ساحته صلى الله عليه

وسلم عنه من شائبة الايهام من اول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روي ان قول بن الزبعري خصمتك ورب الكعبه صدر
عنه من اول الامر عند سماع الاية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لم يعقل واما لم
يخص صلى الله عليه وسلم هذا الحكم بالهتهم حين سال الفاجر عن الخصوص والعموم علا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلا لان
اخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه صلى الله عليه وسلم للكل لكن لا بطريق عبارة النص
بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدة الشياطين
التي امرتهم بذلك ان الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبودين لهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن الاية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض
وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى **ما ضربوه لك الا جدلا** اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال
والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك **بل هم قوم خصمون** اي لد شداد الخصومة مجبولون على اللجاج وقيل
لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا ادميا ونحن نعبد الملائكة
فنزلت فقولهم آالهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لالهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الى اخره ما قالوا
هذا القول الا للجدل قيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله الاية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ~~للجدل قيل لما نزلت~~ ان نعبده وانه
ليستاهل ان كان يعبد ان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو
لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه صلى الله عليه وسلم وبين الهتهم الاستهزاء به وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل عما
انكروا عن قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم كانهم قالوا ما قلنا منكرا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى
جعلوا المسيح بن الله وعبده فنحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى **ان هو الا**
عبد انعمنا عليه اي بالنبوة **وجعلناه مثلا لبني اسرائيل** اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السايرة على الوجه الاول
استيناف مسوق لتنزيهه عليه الصلاة والسلام عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى اخر الاية وفيه تنبيه على بطلان راي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد راي من راى رايهم
في شان الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل وباطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كساير العبيد وصارى امره انه
ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا ادم بوجه ابدع منه فاين هو من
رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اشف او اخف
من حالهم واما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان عيسى في الحقيقة
وفيما اوحي الى الرسول عليهما الصلاة والسلام ليس الا عبدا منعما عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه الصلاة والسلام بمعبوديته او كيف
يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى **ولو نشاء** الى اخره تحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله تعالى
وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع من التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة العبودية اي قدرتنا بحيث لو نشاء **لجعلنا**
اي خلقنا بطريق التوالد **منكم** وانتم رجال ليس من شانكم الولادة **ملائكة** كما خلقناهم بطريق الابداع **في الارض** مستقرين
فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء **يخلفون** اي يخلفونكم مثل اولادكم فيما تاتون وما تذرون ويباشرون الافعال المنوطة بمباشرتكم
مع ان شانهم التقديس والتسبيح في السماء فمن شانهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم
للمعبودية وانتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا **وانه** اي وان عيسى **لعلم للساعة** اي انه بنزوله شرط من شرائطها وتسميته علما لحصوله
به او بحدوثه بغير اب او باحياء الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ
لعلم اي علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية
بالارض المقدسة افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيتقدمه

عيسى

عيسى عليه السلام فيصلي خلفه شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع ويقتل النصارى
الا من آمن به وقيل الضمير للقران لما ان فيه الاعلام بالساعة **فلا تمترن بها** فلا تشكن في وقوعها **واتبعون** اي واتبعوا هداي او
شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول مامورا من جهته تعالى **هذا** اي الذي ادعوكم اليه او القران على ان الضمير في انه له **صراط**
مستقيم موصل الى الحق **ولا يصدنكم الشيطان** عن اتباعي **انه لكم عدو مبين** بين العداوة حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية
ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بايات الانجيل او بالشرايع الواضحات **قال** لبني اسرائيل **قد جئتكم بالحكمة** لاعلمكم اياها
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظايف الانبياء عليهم
السلام كما قال صلى الله عليه وسلم انتم اعلم بامور دنياكم **فاتقوا الله** في مخالفتي **واطيعون** فيما ابلغه عنه تعالى **ان الله ربي وربكم**
فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع **هذا** اي التوحيد والتعبد بالشرايع **صراط**
مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه صلى الله عليه وسلم او استيناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام
فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة **من بينهم** اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى **فويل للذين ظلموا** من المختلفين **من عذاب**
يوم اليم هو يوم القيامة **هل ينظرون** اي ما ينتظر الناس **الا الساعة ان تاتيهم** الا اتيان الساعة **بغتة** اي الا فجاة لكن لا
عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى **وهم لا يشعرون الاخلاء** المتحابون في
الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية **يومئذ** يوم اذ تاتيهم الساعة **بعضهم لبعض عدو** لانقطاع ما بينهم من علايق الخلة
والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب **الا المتقين** فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تعالى تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل
منهم اثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع **يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا**
انتم تحزنون حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ **الذين آمنوا باياتنا** صفة للمنادى ونصب على المدح **وكانوا**
مسلمين اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو امنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل منهم
فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلايق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين امنوا الاية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم **ادخلوا الجنة**
انتم وازواجكم نساؤكم المومنات **تحبرون** تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهي حسن الهيئة
او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل **يطاف عليهم** بعد دخول الجنة حسبما اريد به **بصحاف من ذهب واكواب**
كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب
وهو كوز لا عروة له **وفيها** اي في الجنة **ما تشتهيه الانفس** من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي **وتلذ الاعين** اي تستلذه وتقر بمشاهدته
وقرئ وتلذه **وانتم فيها خالدون** اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالاخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف **وتلك**
الجنة مبتدا وخبر **التي اورثتموها** وقرئ ورثتموها **بما كنتم تعملون** في الدنيا من الاعمال الصالحة جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه
العامل فيه وقيل تلك الجنة مبتدا وصفة والموصول صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر فيتعلق اما بمحذوف
لا باورثتموها كما في الاولين **لكم فيها فاكهة كثيرة** بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط **منها تاكلون** اي بعضها
تاكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها **ان المجرمين** اي الراسخين في الاجرام وهم
الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المومنين بالايات **في عذاب جهنم خالدون** خبران او خالدون هو الخبر وفي متعلقه
لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف **وهم فيه** اي في العذاب وقرئ فيها
اي في النار **مبلسون** اي ايسون من النجاة **وما ظلمناهم** بذلك **ولكن كانوا هم الظالمين** لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد **ونادوا**
خازن النار **يا مالك** وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية اللفظ بتمامه **ليقض علينا ربك**
اي ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت

لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا الاخلاص لكم منه بموت ولا بغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب
وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اي
حق كان كارهون لا يقبلونه وينفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القران وكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا
امرا كلام مبتدا ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال عن توبيخ
اهل النار الى حكاية جناية هولاء والهمزة للانكار فان اريد الاحكام حقيقة فهي لانكار الواقع واستقباحه اي ابرم مشركو مكة
امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم اي فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا
كيدهم صورة لقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم ويتشاورون في اموره صلى الله
عليه وسلم ام يحسبون اي بل يحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجواهم اي ما تكلموا
به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعها ونطلع عليها ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم
يكتبون اي يكتبونها او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف
على ما يترجم عنه بلى او حال اي نسمعها والحال ان رسلنا يكتبون قل اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك لهم بعدم
عبادتك ما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبودهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم
وبنوا عليه عبادتهم من كفرهم ببنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اي له وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اعلم
الناس بشؤونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة
على انتفاء كونهم كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد
ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ابرادا بكان لو المنبئة عن امتناع تقدير الشرطية ان
كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الانفين المستنكفين منه او من يكون له ولد
من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون اي يصفونه به من ان يكون له ولد في اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها
من المخلوقات بحيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشأن
العرش فذرهم حيث لم يرتدعوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم فانما هم من الافعال
والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون من يوم القيامة
فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ
عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه قيل وهو الذي يستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في
سورة الانعام وقرئ وهو الذي في السماء الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه
ولا مساغ لكون الجار خبرا لمبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي
للالهة السماوية والارضية وتخصيص باستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك
الذي له ملك السموات والارض وما بينهما اما على الدوام كالهوى او في بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اي العلم
بالساعة التي تقوم فيها القيامة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك
الذين يدعون اي يدعونه وقرئ بالتاء والياء من دونه الشفاعة كما يزعمون الا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون
بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما
متصلة والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاصة بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم اي سألت العابدين والمعبو دين

لیقولن

لیقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكونه الكل مخلوقا
له تعالى وقيله بالجر عطفا على انه عطف على الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب الى اخره فان القول والقيل والقال كلها
مصادر على ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الاقسام به من رفع شأنه صلى الله عليه وسلم وتفخيم
دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب وبالعطف على سرهم ومحل الساعة او بالاضمار فعله او بتقدير فعل القسم
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه علم الساعة فاصفح عنهم فاعرض عنهم عن دعوتهم واقنط عن ايمانهم وقل
سلام اي امري سلم منكم ومباركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان تاخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية له صلى الله
عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل في خبر قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف فكان ممن يقال له يوم القيامة
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في
السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب المبين الذي هو القران في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله
وانزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما ثلاثا
وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول القران مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها ولما فيها
من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العباد واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الشفاعة الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الانزال
كانه قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله انا انزلناه الى اخره اعتراض وقيل جواب
ثان لغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استئناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكية او الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي
ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه
يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في
استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويتم الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى
جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب
الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من
عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصيصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان
يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق ولاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لما ان الفرق به او حالا من
احد ضميري انزلناه اي امرين او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى رحمة
من ربك غاية للارسال متاخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا
السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره صلى الله عليه
وسلم لتشريفه وتعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل
له من بعده اي يفرق فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في ان قسمة الارزاق وغيرها
فالاوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اي تلك رحمة وقوله
تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وانه لا يحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك
او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر اخر او استئناف على اضمار مبتدأ ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم
او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان

كنتم موقنين باليقين فاعلموا ذلك **لا اله الا هو** جملة مستانفة مقررة لما قبلها وقيل خبر الى قوله رب السموات الى اخره وما بينهما اعتراض **يحيي ويميت** مستانفة لما قبلها وكذا قوله تعالى **ربكم ورب اباكم الاولين** اضمار مبتدا او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل ليميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب السموات وقرى بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر **بل هم في شك** مما ذكر من شوونه تعالى غير موقنين في اقرارهم **يلعبون** لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهم ولعب والفاء في قوله تعالى **فارتقب** لترتيب الارتقاب والامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم **يوم تاتي السما بدخان مبين** اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السما كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط تظلم الهوا لقلة الامطار وكثرة الغبار ولان العرب يسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السما والارض الدخان وكان يحدث الرجل الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله سبحانه وتعالى **يغشى الناس** اي يحيط بهم **هذا عذاب اليم** اي قائلين ذلك فمشى اليه صلى الله عليه وسلم ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يومنوا وذلك قوله تعالى **ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون** وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفرا والزجاج وقيل هو دخان ياتي من السما قبل يوم القيامة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المومن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة وما الدخان فتلا الاية فقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران تخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى **انى لهم الذكرى** الى اخره رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المبني عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم **وقد جاهم رسول مبين** اي والحال انهم شاهدوا وامنوا واعي التذكر والاتعاظ بما هو اعظم منه في ايجاب ما حيث جاهم رسول عظيم الشان مبين لهم مناهج الحق باظهار ايات ظاهرة ومعجزات قاهرة باهرة تخر لها صم الجبال **ثم تولوا عنه** عن ذلك الرسول وهو ربما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه ولم يصنعوا بالتولي **وقالوا** في حقه **معلم مجنون** اي قالوا في تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون او تقول بعضهم كذا واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتاثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع صفا واذا شبع طغا وقوله تعالى **انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون** جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون بطريق الالتفات لمزيد التهديد والتوبيخ وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين الدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعا النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جا الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون **يوم نبطش البطشة الكبرى** اي يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى **انا منتقمون** لا بمنتقمون لان ان ما نعة من ذلك اي يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تاتي الى اخره وقرى نبطش اي نحمل الملايكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بالعنف والصولة اي نخشى البطشة الكبرى باطشة بهم وقرى نبطش بضم الطاء وهي لغة **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون** اي امتحناهم بارسال موسى عليه السلام واوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرى بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم **وجاهم رسول كريم** على الله تعالى او على المومنين او في نفسه

لان الله

الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم **ان ادوا الي عباد الله** اي بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم الي او بان ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجي الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاهم بان الشان ادوا الي اخره وقوله تعالى **اني لكم رسول امين** تعليل للامر او لوجوب المامور به اي رسول غير ظنين قد ايتمنني الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة **وان لا تعلوا على الله** اي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت وقوله تعالى **اني اتيكم** اي من جهته تعالى **بسلطان مبين** تعليل للنهي اي اتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها واتيكم على صيغة الفاعل والمضارع وفي ايراد الادا مع الامين والسلطان مع العلا من الجزالة ما لا يخفى **واني عذت بربي وربكم** اي التجات اليه وتوكلت عليه **ان ترجمون** من ان ترجموني اي تودوني ضربا او شتما او ان تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرى بادغام الذال في التا **وان لم تومنوا لي فاعتزلون** اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تومنوا لي فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا بشر ولا اذى فليس ذلك جزا من يدعوكم الى ما فيه صلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يومن يا باه المقام **فدعا ربه** بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام **ان هولا** اي بان هولا **قوم مجرمون** وهو تعريض بالدعا عليهم بذكر ما استوجبوا به ولذلك سمي دعا وقرى بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاوه اللهم عجل لنا ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين **فاسر بعبادي ليلا** باضمار القول اما بعد الفا اي فقال ربه اسر بعبادي واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان يتقدموا وقرى بوصل الهمزة من سرى **انكم متبعون** اي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم **واترك البحر رهوا** مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط **انهم جند مغرقون** وقرى انهم بالفتح اي لانهم **كم تركوا** اي كثيرا تركوا بمصر **من جنات وعيون وزروع ومقام كريم** محافل مزينة ومنازل حسنة **ونعمة** اي تنعم **كانوا فيها فاكهين** متنعمين وقرى فكهين **كذلك** الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا في مثل ذلك السلب سلبناهم اياها **واورثناها قوما اخرين** وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على الخبرية اي الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاول على الفعل المقدر **فما بكت عليهم السما والارض** مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم قدره فيقال له بكت عليه السما والارض ومنه ما روي ان المومن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه واثاره في الارض وقيل تقديره اهل السما واهل الارض **وما كانوا منظرين** لما جا وقت هلاكهم ممنظرين ممهلين الى وقت اخر او الى الاخرة بل عجل لهم في الدنيا **ولقد نجينا بني اسرائيل** بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا **من العذاب المهين** من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنايهم واستحيا نسايهم على الخسف والضيم **من فرعون** بدل من العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كاينا من فرعون وقرى من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى **انه كان عاليا من المسرفين** ثانيا من الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فايقا لهم بليغا في الاسراف **ولقد اخترناهم** اي بني اسرائيل **على علم** اي عالمين بانهم احقا بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات **على العالمين** جميعا لكثرة الانبيا فيهم او عالمي زمانهم **واتيناهم من الايات** التي لم يعهد مثلها في غيرهم **ما فيه بلاء مبين** نعمة جلية او اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون **ان هولا** يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماديهم في الاصرار على الضلال والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم **ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى** اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي يعقبها حياة الا الموتة

الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة التي لعقبها كما تزعمون **وما نحن بمنشرين** بمبعوثين **فاتوا بابائنا** خطاب لمن وعدهم بالنشر من الرسل عليهم الصلاة والسلام والمومنون **ان كنتم صادقين** فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليتشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات **اهم خير** رد لقولهم وتهديد لهم اي اهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك **ام قوم تبع** هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مومنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في كتابه بسم الله الذي ملك برا وبحرا اي بحارا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون **والذين من قبلهم** عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي باس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هولا وقوله تعالى **اهلكناهم** استئناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى **انهم كانوا مجرمين** تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم ما كانوا في غاية القوة والشدة فلان تهلك هولا وهم شركاؤهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى **وما خلقنا السموات والارض وما بينهما** اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن **لاعبين** لاهين من غير ان تكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة **ما خلقناهما** وما بينهما **الا بالحق** استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسا بشي من الاشيا او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزا **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزا **ان يوم الفصل** اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبابه **ميقاتهم** وقت موعدهم **اجمعين** وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل **يوم لا يغني** بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا لنفسه **مولى** من قرابة او غيرها **عن مولى** اي مولى كان **شيا** اي شيا من الاشيا **ولا هم ينصرون** الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام **الا من رحم الله** بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحل الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء **انه هو العزيز** الذي لا ينصر من اراد تعذيبه **الرحيم** لمن اراد ان يرحمه **ان شجرة الزقوم** وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات **طعام الاثيم** اي الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه **كالمهل** وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت **تغلي في البطون** وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة **كغلي الحميم** غليا كغليه **خذوه** على ارادة القول والخطاب للزبانية **فاعتلوه** اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشي وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه **الى سواء الجحيم** اي وسطه **ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم** كان الاصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من الدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع **ذق انك انت العزيز الكريم** اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا وقرئ بالفتح اي لانك او عذاب انك **ان هذا** اي العذاب **ما كنتم به تمترون** تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم **ان المتقين** اي عن الكفر والمعاصي **في مقام** في موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة **امين** يامن صاحبه الافات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره **في جنات وعيون** بدل من مقام جي به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات الماكل والمشارب **يلبسون من سندس واستبرق** خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب **متقابلين** في المجالس ليستانس بعضهم ببعض **كذلك** اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم **وزوجناهم بحور عين** على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع الحورا وهي البيضا والعين جمع العينا وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نسا الدنيا او غيرهن **يدعون فيها بكل فاكهة** اي يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شي منها بمكان ولا زمان

امين

امنين من كل ما يسوهم **لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى** بل يستمرون على الحياة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينيذ **ووقاهم عذاب الجحيم** وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية **فضلا من ربك** اي اعطوا ذلك كله عطا وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل **ذلك هو الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب **فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون** فذلكة للسورة الكريمة اي انما انزلنا الكتاب الكريم بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا به ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك **فارتقب** فانتظر ما يحل بهم **انهم مرتقبون** ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المومن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى **تنزيل الكتاب** على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا مضمر يلوح به ما قبله اي المولف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى تنزيل الى اخره وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالقسمة فحقها الاخبار بها واما ما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقا التنزيل على اصله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع غرابته مع افادة فايدة يعتد بها بمعزل وقوله تعالى **من الله العزيز الحكيم** كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى **ان في السموات والارض لايات للمومنين** وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستانف مسوق للتنبيه على الايات التكوينية الافاقية والانفسية ومحل الايات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الايات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات وهو الاوفق بقوله تعالى **وفي خلقكم** اي من نطفة ثم من علقة اي متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق **وما يبث من دابة** ايات بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل **آيات** عطف على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة ايات **لقوم يوقنون** اي من شانهم ان يوقنوا بالاشيا على ما هي عليه **واختلاف الليل والنهار** بالجر على اضمار الجار والمجرور المذكور في الايتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا **وما انزل الله من السما** عطف على اختلاف **من رزق** اي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه اية من جهتي القدرة والرحمة **فاحيا به الارض** بان اخرج منها اصناف الزرع والثمرات والنبات **بعد موتها** وعرائها عن اثار الحياة وانتفا القوة النامية عنها وخلو اشجارها عن الثمار **وتصريف الرياح** من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه اية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر اية واحدة واما لان كون التصريف اية ليس بمجرد كونه مبدا لانشا المطر له بل لسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار **ايات لقوم يعقلون** بالرفع على انه مبتدا خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في ايات في المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الايات في الدقة والجلا **تلك ايات الله** مبتدا وخبر وقوله تعالى **نتلوها عليك** حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وايات الله بدل او عطف بيان **بالحق** حال من فاعل نتلوا او مفعولها اي نتلوها محقين او ملتبسة بالحق **فباي حديث** من الاحاديث **بعد الله واياته** اي بعد ايات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القران حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل احسن الحديث فهو المراد بايانه

ايضا ومناط العطف التغاير العنواني **يؤمنون** بصيغة الغيبة وقرى بالتاء **ويل لكل افاك** كذاب **اثيم** كثير الاثام **يسمع ايات الله** صفة اخرى لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير في اثيم **تتلى عليه** حال من ايات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرا **ثم يصر** اي يقيم على كفره واصله من اصر الحمار على العانة **مستكبرا** عن الايمان بما سمعه من ايات الله تعالى والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القران لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير بسيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الايات التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال ٭ يرى غمرات الموت ثم يزورها ٭ **كان لم يسمعها** اي كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال من ضمير يصر اي يصر شبيها بغير السامع **فبشره بعذاب اليم** على اصراره واستكباره **واذا علم من اياتنا شيئا** اي اذا بلغه من اياتنا شيء وعلم انه من اياتنا لا انه علم كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة **اتخذها** اي الايات كلها **هزوا** اي مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتانيث لانه في معنى الاية **اولئك** اي

مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتانيث لانه في معنى الاية اشارة الى كل افاك اثيم من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم كما ان الافراد فيما سبق من الضماير باعتبار كل واحد واحد **لهم** بسبب جناياتهم المذكورة **عذاب مهين** وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بايات الله سبحانه وتعالى **من ورائهم** اي من قدامهم **جهنم** لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا قال الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدام **ولا يغني عنهم** ولا يدفع **ما كسبوا** من الاموال والاولاد **شيئا** من عذاب الله تعالى **ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء** اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم **ولهم** فيما وراءهم من جهنم **عذاب عظيم** لا يقادر قدره **هذا** اي القران **هدى** في غاية الكمال من الهداية كانه نفسها **والذين كفروا** اي بالقران وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى **بايات ربهم** لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم **لهم عذاب من رجز** اي من اشد العذاب **اليم** بالرفع صفة عذاب وقرى بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية **الله الذي سخر لكم البحر** بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه **لتجري الفلك فيه بامره** وانتم راكبوها **ولتبتغوا من فضله** بالتجارة والغوص والصيد وغيرها **ولعلكم تشكرون** ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك **وسخر لكم ما في السموات وما في الارض** من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم **جميعا** اما حال من ما في السموات والارض وتوكيد له **منه** متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما في السموات اي جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له او خبر مبتدا محذوف اي ذلك منه **ان في ذلك** اي فيما ذكر من الامور العظام **لايات** عظيمة الشان كثيرة العدد **لقوم يتفكرون** في بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها **قل للذين امنوا** حذف المقول لدلالة **يغفروا** عليه لان فانه جواب باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا **للذين لا يرجون ايام الله** اي يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يؤملون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم في غزوة بني المصطلق نزلوا على بئر يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه ليستقي فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر رضي الله تعالى عنه قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله

عنه

عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى **ليجزي قوما بما كانوا يكسبون** تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي قوما يوم القيامة قوما ايما قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه في الكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكليف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرى ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما وقرى لنجزي بنون العظمة **من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها** لا يكاد يسري عمل الى غير عامله **ثم الى ربكم** مالك اموركم **ترجعون** فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا **ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب** اي التوراة **والحكم** اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم **والنبوة** حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم **ورزقناهم من الطيبات** مما احل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى **وفضلناهم على العالمين** حيث اتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم **واتيناهم بينات من الامر** دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب **فما اختلفوا** في ذلك الامر **الا من بعد ما جاءهم العلم** بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه **بغيا بينهم** اي عداوة وحسدا لا شكا فيه **ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة** بالمؤاخذة والجزاء **فيما كانوا فيه يختلفون** من امر الدين **ثم جعلناك على شريعة** اي سنة وطريقة عظيمة الشان **من الامر** اي من امر الدين **فاتبعها** باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشيء منها **ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون** اي اراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له صلى الله عليه وسلم ارجع الى دين ابائك **انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا** مما اراده بك ان اتبعتهم **وان الظالمين بعضهم اولياء بعض** لا توالهم ولا تتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم **والله ولي المتقين** الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية **هذا** اي القران اي اتباع الشريعة **بصائر للناس** فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب **وهدى** من ورطة الضلالة **ورحمة** عظيمة **لقوم يوقنون** من شانهم الايقان بالامور **ام حسب الذين اجترحوا السيئات** استيناف مسوق لبيان تباين حال المسيئين والمحسنين اثر بيان حالي الظالمين والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال الى البيان الاول الى البيان الثاني والهمزة لانكار الحسبان لكن بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار لا بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب **ان نجعلهم** اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى **سواء محياهم ومماتهم** اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على الضميرين على ان السواء بمعنى المستوى ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى انكار حسبانهم ان محياهم ومماتهم سواء كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرى محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الاية الكريمة وجوه اخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرى سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدا فالجملة بدل من الكاف وقيل حال وايا ما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار والتشديد ظ للتوبيخ فان انكار حسبان التساوي او التوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه واكده **ساء ما يحكمون** اي ساء حكمهم هذا

او يبس شيا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استيناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكم والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها خلقا لاجل ذلك ولتجزى الى اخره او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل وليجزى وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك كما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان تنزه غاية ساحة لطفه تعالى فيما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه عبده اي انظر فرايته فان ذلك مما يقتضي منه التعجب وقرئ الهة هواه لان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ الهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتاثر بالمواعظ ولا يتفكر بالايات والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة عن الاستبصار وقرئ بفتح العين وضمها فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلال الله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الردى افلا تذكرون الا تلاحظون فتذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا وقد جوزان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اي غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار الحياة على ما في الدنيا واسناد الحياة والموت الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم واذا تتلى عليهم اياتنا الناطقة بالحق الذي هو من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم شيء من الاشياء الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيامة للجزاء لا ريب فيه اي في جمعكم فان من قدر على البدء قادر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد الصدق بالايات دال على وقوعها حتما والاتيان باباىهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الى اخره من تمام ما يقال لهم حينئذ وحيث كان كتاب كل

امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشانه وتهويلا لامره فهذا مبتدا او كتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر اخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى انا كنا نستنسخ الى اخره تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشيء منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك الذي ذكر من الادخال في رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم تكن تاتيكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اي قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله حق اي ما وعده من الامور الاتية اي وعده بذلك حق اي واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب فيها اي في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندري ما الساعة اي اي شيء هي استغرابا لها ان نظن الا ظنا اي ما نفعل الا ظنا وقدم تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي وقيل ما نعتقد الا ظنا لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اي لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا وبدا لهم اي ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها فان جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك المنسي كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا اي كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين اي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم ايات الله هزوا اي مهزوا بها ولم ترفعوا لها راسا وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم ان لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها اي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار ولا هم يستعتبون اي يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة رب السموات ورب الارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتاكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء في السموات والارض لظهور اثارها واحكامها فيهما واظهارها في موقع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم في كل ما قضى ودبر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة ما خلقنا السموات والارض بما فيهما من حيث الجزئية فيهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الافاعيل اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اي ما خلقناها في حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امور الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو اخر البقاء المقدر لكل احد ويايده قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم القيامة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا اخر اعمارهم وقد جوز كونها مصدرية والجملة حالية اي ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له قل توبيخا لهم

وتبكيتا أرأيتم اخبروني وقرئ ارايتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الاصنام أروني تاكيد لارايتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام في ماذا أم لهم شرك اي شركة مع الله تعالى في السموات اي في خلقها او في ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شي من الاشيا بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحيا العقلا فما ظنك بالجماد وقوله تعالى ائتوني بكتاب الى اخره تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند عقلي اي ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا الكتاب اي القران الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم أو أثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شي منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثرة بكسر الهمزة اي مناظرة فانها تثير المعاني واثرة اي شي اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي عن غيركم واثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثا اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث اي رواه واما المضمومة فاسم ما يوثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي التساوي كما مر غير مرة اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيامة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم الضمير الاول للمفعول لتدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلا لاجرائهم اياها مجرى العقلا ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الاية واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي المكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى انه تعالى يحيي الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل ما يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويستغني ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبادة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات ومبينات قال الذين كفروا للحق اي لاجله وفي شانه وهو عبارة عن الايات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اي في اول ما جاءهم من غير تدبر وتامل هذا سحر مبين اي ظاهر كونه سحرا أم يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجب اي بل يقولون افترى القران قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اذ لا ريب في انه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افتري عليه تعالى كذبا فاعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى والطعن في اياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم ودين او جمع مقدر بمضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه صلى الله عليه وسلم ايات عجيبة ويسالونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى اتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسالون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا ياتون الا بما اتاهم الله تعالى من الايات ولا يخبرونهم الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي اي شي يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رحمه الله ما ادري ما يصير اليه امري ولا امركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة وقال

هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق ببيان ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم انزل بمكة ام اومر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورايتها يعني في منامي وقد جوز ان تكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبري عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتاكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي على معنى قصر افعاله صلى الله عليه وسلم على اتباع الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البنا للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه الصلاة والسلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارأيتم ان كان اي ما يوحى الي من القران من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت بين اجزا الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور متحققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما عند الله تعالى واستكبار عنه اولا والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التوراة على مثله اي مثل القران من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في القران من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفا في قوله تعالى فآمن للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقران لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد بما ينزع الى ابيه وامه فقال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر وقال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت وشهد شاهد الاية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان الحم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة فاجاب الكلبي بان الاية مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على وشهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض اخر من اقاويلهم الباطلة في حق القران العظيم والمومنين به

اي قال كفار مكة للذين آمنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القران والدين خيرا ما سبقونا
اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية
مما تنال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وزعمهم انها منوطة بكمالات نفسانية
وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الاخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها
ومن حرمها فما له منها خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالت اليهود
حين اسلم عبد الله بن سلام واباه ان السورة مكية لابد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء ان الاية نزلت بالمدينة واذ لم يهتدوا به ظرف
لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقران قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا
افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القران وهو خبر لقوله تعالى
كتاب موسى قيل والجملة حالية او مستانفة وايا ما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقررا
لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله
تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا اي الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشان مصدق اي لكتاب موسى الذي هو
اماما ورحمة ولما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب مصدقا ومن نفسه لتخصصه
بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي لينذر الذين ظلموا متعلق
بمصدق ومنه ضمير الكتاب او الله او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في حيز
النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدا مضمر اي وهو بشرى وقيل انه عطف على مصدق ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة
على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن
الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن كما توهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من
الوصفين الجليلين اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون
جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات العلمية والعملية ووصينا
الانسان بان يحسن بوالديه حسنا وقرئ احسانا اي بان يفعل بهم حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط
حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او وصيناه ايضا حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها
اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله
وفصاله اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفطام كالفطم والفطام ومعنى والمراد به الرضاع
التام المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال

كل مستكمل مدة العمر ؛ مود اذا انتهى امده

ثلاثون شهرا تمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما اذا حط
منه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة
الرضاع لانضباطها وتحقق ارتباط النسب والرضاع بها حتى اذا بلغ اشده اي اكتمل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة
قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين وما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير
واصلح لي في ذريتي اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله ؛ يجرح في عراقيبها نصلي ؛ قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما دعا ابي بكر رضي الله عنه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله

تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه
واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق
كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يك ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اني تبت اليك عما لا
ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الانسان والجمع لان المراد
به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر
من النعوت الجليلة الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم
وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور
في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد
من الله تعالى لهم بالتفضل والتجاوز الذي كانوا يوعدون على السنة الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما الى
الايمان اف لكما هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين
وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو في الكافر
العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي من انها نزلت في عبد الله بن ابي
بكر رضي الله تعالى عنهما قبل اسلامه يرده ما سياتي من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الاية فانه كان من افاضل المسلمين
وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضي الله تعالى عنها من قال ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من
الخروج وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يسالانه ان يغيثه ويوفقه للايمان ويلك اي
قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور واريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك آمن ان وعد الله حق
اي البعث اضافه الى الله تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي آمن بان وعد الله حق
فيقول تكذيبا لهما ما هذا اي الذي تسميانه وعد الله الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة
اولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة انهم جميعا
كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤوس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف
التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب
المثوبة وايرادها بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب
الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة حال مؤكدة للتوفية واستئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم
اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض
الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من قولهم عرض الاساري على السيف اي قتلوا وقيل تعرض النار عليهم بطريق
القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ اذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام
التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك
شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم في الدنيا تستكبرون في الارض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم
تفسقون اي تخرجون عن طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين
واذكر اي لكفار مكة اخا عاد اي هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف
وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين جبال مشرفة على البحر
بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه

اي من قبله **ومن خلفه** اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه
وبين قوله **الا تعبدوا الا الله** مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا باشتراكهم في العبادة المحكية والمعنى واذكر
لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم
واما جعلها حالا من فاعل انذر على انه عليه السلام انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله **اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** وقد
اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره ففيه ما فيه من تكلف تقرير الاعلام لا بد في
نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الاتي منزلة الخالي **قالوا اجئتنا لتافكنا** اي تصرفنا **عن الهتنا** عبادتنا **فأتنا**
بما تعدنا من العذاب العظيم **ان كنت من الصادقين** في وعدك بنزوله بنا **قال انما العلم** اي بوقت نزوله او العلم بجميع الاشيا
التي من جملتها ذلك **عند الله** وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فياتيكم به في وقته
المقدر له **وابلغكم ما ارسلت به** من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على
وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ **ولكني اراكم قوما تجهلون** حيث تقترحون علي ما ليس من وظايف الرسل من الاتيان بالعذاب
قبل نزوله وقته والفاء في قوله تعالى **فلما راوه** فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى **عارضا** اما تمييزا او حالا وراجع الى ما
استعجلوه بقولهم فاتنا بما تعدنا اي فاتاهم فلما راوه سحابا يعرض في افق السما **مستقبل اوديتهم** اي متوجه فيه والاضافة
لفظية كما في قوله تعالى **قالوا هذا عارض ممطرنا** ولذلك وقعا صفتين للنكرة **بل هو** اي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل
وهو رد عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو **ما استعجلتم به** من العذاب **ريح** بدل من ما او خبر لمبتدا محذوف **فيها عذاب اليم** صفة ريح
وكذا قوله تعالى **تدمر** اي تهلك **كل شيء** من نفوسهم واموالهم **بامر ربها** وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك والعايد الى الموصوف
اي بهوالها في ربها ويجوز ان يكون استينافا واردا لبيان ان لكل ممكن فنا مقتضيا منوطا بامر باريه وتكون الهالكل شي لكونه يعني
الاشيا وفي ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى **فاصبحوا لا يرى**
الا مساكنهم فصيحة اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم **كذلك** اي مثل
ذلك الجزاء العظيم **نجزي القوم المجرمين** وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط
والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروي
انهم اول ما عرفوا به انه عذاب ما راوا ما كان في الصحرا من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السما والارض فدخلوا بيوتهم
واغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم
كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلين
على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة **ولقد مكناهم** اي قررنا عادا الاول
قدرناهم وما في قوله تعالى **فيما ان مكناكم فيه** موصولة او موصوفة وان نافية اي في الذي او في شي ما مكناكم فيه من السعة
والبسطة وطول الاعمار وساير مبادي التصرفات كما في قوله تعالى وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم
ومما يحسن موقع ان هاهنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي الى قلب الفها ها في مهما وجعلها شرطية او زايدة مما لا يليق
بالمقام **وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة** ليستعملوها فيما خلقت هي له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم
ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره **فما اغنى عنهم سمعهم** حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ
الرسل **ولا ابصارهم** حيث لم يجتلوا بها الايات التكوينية المنصوبة في صحايف العالم **ولا افئدتهم** حيث لم يستعملوها في معرفة
الله تعالى **من شيء** اي شيئا من الاغنا ومن مزيدة للتاكيد **اذ كانوا يجحدون بايات الله** متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى
التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته
وقت اكرامه فانما اكرمته لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث **وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون** من العذاب الذي يستعجلونه

بطريق الاستهزاء ويقولون فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين **ولقد اهلكنا ما حولكم** يا اهل مكة **من القرى** كحجر وثمود
وقرى قوم لوط **وصرفنا الايات** كررناها لهم **لعلهم يرجعون** لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي **فلولا نصرهم الذين اتخذوا**
من دون الله قربانا الهة القربان ما يتقرب به الى الله تعالى واحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني الهة وقربانا
حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم الهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون انما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لفساد المعنى
فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اي
متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم
الراء **بل ضلوا عنهم** اي غابوا عنهم وفيه تهكم اخر بهم كان عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب
عن المنصور **وذلك** اي ضياع الهتهم عنهم وامتناع نصرتهم **افكهم** اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها الهة ونتيجة شركهم وقرئ
افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ اي وذلك الاتخاذ الذي هو
ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم من الافعال اي جعلهم افكين وقرئ افكهم على صيغة اسم
الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الافك اي ذو الافك كما يقال قول كاذب **وما كانوا يفترون** عطف على افكهم اي واثر افترائهم
على الله تعالى او واثر ما كانوا يفترونه على الله تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك **واذ صرفنا**
اليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله
تعالى **يستمعون القران** وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا
اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القران **فلما حضروه** اي القران عند تلاوته له على الالتفات والاول هو الاظهر **قالوا**
اي قال بعضهم لبعض **انصتوا** اي اسكتوا لنسمعه **فلما قضي** اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البنا للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة
والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه الى النبي صلى الله عليه وسلم **ولوا الى قومهم منذرين** مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي
ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السما ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف
جن نصيبين او نينوى فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم في
جوف الليل او في صلاة الفجر فاستمعوا القرانه وذلك عند منصرفه من الطايف وعن سعيد بن جبير ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الجن ولا راهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانباه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله
تعالى ان ينذر الجن ويقرا عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال صلى الله عليه وسلم اني امرت ان اقرا على الجن الليلة فمن يتبعني قالها
ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا على مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا
تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة
حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته صلى الله عليه وسلم ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت
شيئا فقلت رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا
باسم ربك **قالوا** اي عند رجوعهم الى قومهم **يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى** قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس
ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام **مصدقا لما بين يديه** ارادوا به التوراة **يهدي الى الحق** من العقايد الصحيحة **والى طريق**
مستقيم موصل اليه وهو الشرايع والاعمال الصالحة **يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به** ارادوا به ما سمعوه من الكتاب ووصفوه
بالدعوة الى الله تعالى بعدما وصفوه بالهداية الى الحق والطريق المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته
ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم **يغفر لكم من ذنوبكم** اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر
بالايمان **ويجركم من عذاب اليم** معد للكفرة فاختلف في ان لهم اجرا غير هذا او لا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى

ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اجابت للاجابة لا طريق الترهيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غيره
اكتفا باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع
الدايرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه اوليا بيان
لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاوليا باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام
الاحاد الى الاحاد كما في قوله تعالى اولئك بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر
كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام
والروية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما كالمشاهدة والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتدا من غير مثال
يحتذيه ولا قانون ينتحيه ولم يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله
تعالى بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبي عنه القراة بغير با ووجه دخولها في القراة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الاية على
ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على كل شي قدير تقريرا للقدرة
على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس هذا بالحق على ان
الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللايق بتهويله
وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزايهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما كنا بمعذبين
قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم
والفا في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك
من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والعزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولوا العزم اصحاب
الشرايع الذين اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى
وعيسى وقيل هم الصابرون على بلاء الله تعالى كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح
ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال
كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولا تستعجل
لهم اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة يسيرة من
نهار لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدا محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او
تبليغ من الرسول ويويده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن
الطاعة وقرئ بفتح اليا وكسر اللام وبفتحها من هلك وهلك بنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بكل رملة في الدنيا والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام
وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا
يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو
عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي ابطلها وجعلها ضايعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملون من
اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوا
من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق للاستيناف
من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الى اخره والذين آمنوا وعملوا الصالحات قيل ناس من قريش وقيل من الانصار

هم مومنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل وآمنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها
على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقيقة وقيل
حقيقته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزايل وعلى الاول مقابل الباطل وايا ما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق
وقرئ نزل على البنا للفاعل وانزل على البنا للمفعول ونزل بالتخفيف كفر عنهم سياتهم اي سترها بالايمان والعمل الصالح واصلح بالهم اي حالهم
في الدين والدنيا في التاييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيات واصلاح البال وهو مبتدا خبره بان
الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كاين بسبب ان الاولين اتبعوا الشياطين كما قال
مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل
الصالح له لتضمن سببيتهما له لكونه مبتدا ومنشا لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شي من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل
على ما يقابل الحق وهو الذاهب الزايل الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها
لبطلان مبناها وزواله واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد افحش منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر
بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة
فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها في الموقعين كذلك اي
مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس امثالهم اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي
اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الاخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفا في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا
لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المومنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل
من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا
فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له باشنع صورة
وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشي الثخين وهو الغليظ او
اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق
بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فدا اي فاما تمنون بعد ذلك منا او تفدون فدا والمعنى التخيير بين القتل والاسر والمن والفدا
وهذا ثابت عند الشافعي رضي الله تعالى عنه وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل والاسترقاق وعن مجاهد
ليس اليوم من ولا فدا انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدى كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب الاتها واثقالها التي لا
تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا حتى غاية عند الشافعي رحمه الله تعالى لاحد الامور الاربعة
او للمجموع فالمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا يبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عليه السلام
واما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفدا والمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى تضع جنس الحرب
اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها اثامها اي حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان اسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا
ذلك ولو يشا الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستيصال ولكن لم يشا ذلك ليبلو بعضكم ببعض فامركم بالقتال
وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع
بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقاتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن
يضيعها وقرئ يضل اعمالهم على البنا للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور
وفي الاخرة الى الثواب او سبب هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها
لهم بحيث يعلم كل احد منزلته ويهتدي اليه كانه ساكنه من خلق وعن مقاتل ان الموكل الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه
كل شي اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرايحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار فالجنة كل منهم محرزة مفروزة

والجملة اما مستانفة او حال باضمار قد وبدونه يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اي دينه ورسوله ينصركم على عداكم ويفتح لكم
ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط
والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعل الواجب حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضى تعسا وقوله
تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال بانهم بسبب انهم
كرهوا ما انزل الله من القران لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل
ذلك اعمالهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
من الامم المكذبة فان اثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استيناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل
كيف كان عاقبتهم وقيل استاصل الله عليهم ما اختص بهم من اهليهم وانفسهم واموالهم يقال دمره واهلكه ودمر عليه اهلك عليه
ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك
واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلة العواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من
عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستحقرونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد الما من الهلاك بسبب
عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع المضمر كانه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الاخرة امثالها
ذلك اشارة الى ثبوت امثالها عقوبة الامم السالفة لهؤلاء بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم
ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تعالى وثمرتها الاخروية والذين كفروا
يتمتعون اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل سوا واقامة
والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استيناف وكأي كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتدا وقوله
تعالى من قرية تمييزها وقوله تعالى هي اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف
عنهما المضاف واجري احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هي اشد قوة من
اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك
لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلاة والسلام للايذان باولويتها لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة

لعمري لكليب كان اكثر ناصرا ۞ وايسر جرما منك ضرج بالدم ۞

وقوله تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفا
لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حال فريقي المومنين والكافرين
وكون الاولين في اعلا عليين والاخرين في اسفل سافلين وبيان ما لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفا للعطف
على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المومنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعنه وعن المومنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم مما يأباه منصبه الجليل
والتقدير اليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القران الكريم وسائر
المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك
التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليها
وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استيناف مسوق لشرح
محاسن الجنة الموعودة انفا للمومنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتهم وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الموت والعمل
الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن اخرها ومثلها وصفها العجيب الشان وهو

مبتدا محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى فيها انهار الى اخره وقدره سيبويه فيما يتلى
عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم في قول من قال

۞ الى الحول ثم اسم السلام عليكما ۞ والجنة مبتدا خبره فيها انهار الى اخره من ما غير اسن اي متغير الطعم
والرائحة وقرئ غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان صار لا قارصا ولا حاذرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين
لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي لذيذة تلذذ محض ولذة اما تانيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت
به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى لا يخالطه
الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية
عما ينقصها وينغصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل
الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف صفة لمغفرة موكدة لما افاده
التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر لمبتدا محذوف تقديره
امن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل
الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصوير المكابرة
من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار
وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم
فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظة من كما ان جمعه فيما سياتي باعتبار
معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا
من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم ماذا قال انفا اي ما الذي قال الساعة على طريق الاستهزاء وان
كانوا بصورة الاستعلام وانفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استانف الشيء وائتنف وهو ظرف
بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال انفا اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا
واتبعوا اهواءهم الباطلة ولذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الهدى زادهم اي الله تعالى هدى
بالتوفيق والالهام واتاهم تقواهم اي اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة
اي القيامة وقوله تعالى ان تاتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة وهي المفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر
احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة
بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على انه لم يبق من الامور الواجبة
للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها
فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد به مبعثه صلى الله عليه وسلم
وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطائهم وفساد رايهم في تاخير التذكر الى اتيانها ببيان
استحالة نفع الذكرى حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر
مقدم واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر
مع كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم الى اخره والمعنى ان
تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر امارتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان
مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية
والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار

العمل وللمؤمنين والمؤمنات تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم
في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في
العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم
جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة تأمرنا بالجهاد فاذا
انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال عن
قتادة رضي الله تعالى عنه كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى
ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر لسياق النظم الكريم ينظرون اليك نظر
المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فاولى لهم اي فويل لهم وهو افعل من الولي وهو
القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما
بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي امرهم طاعة الى آخره اي طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم
ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقول طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر
اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا او
وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك اي
فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان اي الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك
الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان وواطأت قلوبهم في ذلك السنتهم وايا ما كان فالمراد بهم
الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم الى آخره بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي فهل
يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا
فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح
ودفع كل شر وفساد وانتم مأمورون بشأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم امراء ما ذكر من الافساد
وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب
وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذورا بنفسه
باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ
لا وسيلة لما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة
الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التائين فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار اي في ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع
والحلق بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات
ايذانا بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره الذين لعنهم الله
اي ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات
المنصوبة في الانفس والآفاق افلا يتدبرون القرآن اي الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا
يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال
من التوبيخ لعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما للتهويل
حالها وتفظيع شأنها بابهام امرها في القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في
القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها
مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا

الى

الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال
فانهم قد كفروا به صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى بالآيات الباهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل
اهل الكتابين جميعا كفروا به صلى الله عليه وسلم بعد ما وجدوا نعته صلى الله عليه وسلم في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك
وقوله تعالى الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان اي سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخا
وقيل من السؤال لاستمراره القلب بمعنى سول له امرا حثيثا اوقعه في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على
حذف المضاف اي كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم في الاماني والآمال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي
لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال او للاستئناف وقرئ املي لهم على البناء اي امهلوا ومد
في عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء على الوجهين ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا من القول
الآتي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم بسبب انهم قالوا يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به صلى الله عليه وسلم
بعد ما وجدوا نعته صلى الله عليه وسلم في التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء
كان المقول لهم المنافقين والمشركين على رأي القائل بل من حين بعثته صلى الله عليه وسلم للذين كرهوا ما نزل الله اي لليهود
الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين
كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم في بعض الامر عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير
الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم فارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم طاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل
قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من
المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اي اخفاءهم لما يقولونه
لليهود وقرئ اسرارهم اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء في الدنيا
والتعذيب في الآخرة والفاء في قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل
محذوف هو العامل في الظرف كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم وقيل مرفوع على انه
خبر لمبتدأ محذوف اي فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الى آخره وقرئ توفيهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه
يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم او مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما لا يتوفى احد على معصية الا تضرب الملائكة وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا ما
اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة
بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي
لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا
بوصفهم السابق لكونه مدار ما نعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان
الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم مرض حقد
وعداوة للمؤمنين ان لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى
ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية
والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله تعالى عنه
ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات
وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة فاصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب

كررت في المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الإراءة وأما اللام في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب قسم
محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه وإمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب
والله يعلم أعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وإيذان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالأمر
بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو
أخباركم بالخبرة عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو إن الذين كفروا
وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما شاهدوا نعته صلى الله عليه وسلم
في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر لن يضروا الله بكفرهم
وصدهم شيئا من الأشياء أو شيئا من الضرر أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه
وتفظيع شأنه وسيحبط أعمالهم أي مكائدهم التي نصبوها في إبطال دينه تعالى ومشاقة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلون
بها إلى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا يثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
ولا تبطلوا أعمالكم بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى ونحوها وليس فيه دليل على إحباط
الطاعات بالكبائر إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على
الكفر وإن صح نزوله في أصحاب القليب فلا تهنوا أي لا تضعفوا وتدعوا إلى السلم أي لا تدعوا الكفار إلى الصلح خورا فإن
ذلك إعطاء الدنية ويجوز أن يكون ذلك منصوبا بإضمار أن على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا
الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فإن صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله
تعالى عم يتساءلون على أحد القولين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الأمر بالطاعة وقوله تعالى وأنتم الأعلون جملة حالية
مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى والله معكم فإن كونهم الأعلين وكونه عز وعلا ناصرهم من أقوى موجبات
الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لأجور الأعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم أعمالكم أي ولن
يضيعها من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم فأفردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الإثابة
في مقابلة الأعمال بالوتر الذي هو إضاعة شيء معتد به من الأنفس والأموال مع أن الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة
أهل السنة إبرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الإثابة منزلة إضاعة أعظم الحقوق
وإتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم إنما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد
بها وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم أي ثواب إيمانكم بحيث يحل أداؤها بمعاشكم وإنما اقتصر على نذر يسير منها وهو ربع العشر تؤدونه
إلى فقرائكم إن يسألكموها أي أموالكم فيحفكم أي يجهدكم بطلب الكل فإن الإحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى
شاربه أي استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج أضغانكم أي أحقادكم وضمير يخرج لله ويعضده القراءة بنون العظمة أو للبخل
لأنه سبب الأضغان ها أنتم هؤلاء أي أنتم هؤلاء المخاطبون وهؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف
مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء لأنه بمعنى الذين أي ها أنتم الذين تدعون نفيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والإنفاق في سبيل الله يعم
نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل أي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فإنما يبخل عن
نفسه فإن كلا من نفع الإنفاق وضرر البخل عائد إليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدي والله الغني دون
من عداه وأنتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم إلى ما فيه من المنافع وإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم وقوله تعالى وإن
تتولوا عطف على إن تؤمنوا أي وإن تعرضوا عن الإيمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا
أمثالكم في التولي عن الإيمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الأنصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روي أنه صلى
الله عليه وسلم سئل عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله

رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله
عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة والله سبحانه وتعالى أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو
صلحا بحراب أو بدونه فإنه ما لم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب الدار وإسناده إلى نون العظمة لإسناد أفعال العباد إليه
تعالى خلقا وإيجادا والمراد به فتح مكة وهو المروي عن أنس بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية
والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الأخبار الربانية لتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق
لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظم شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما أتيح له صلى الله عليه وسلم في تلك
السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو فتح الحديبية فإنه وإن لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة
لكن لما كان الظهور للمسلمين حين سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى
أدخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن رجلا قال ما هذا بفتح لقد
صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم
في الأمان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصبه
في غزوة حيث أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدي محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم
على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح
له صلى الله عليه وسلم من الفتوح وقيل ما فتح له صلى الله عليه وسلم من الإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والدعوة ولا فتح أعظم
منه وأتم وهو رأس الفتوح كافة إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء
ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة رضي الله عنه وأياما كان فحذف
المفعول للقصد إلى نفس الفعل والإيذان بأن مناط التبشير هو نفس الفتح الصادر عنه سبحانه وتعالى لا خصوصية المفتوح فتحا
مبينا بينا ظاهر الأمر مكشوف الحال أو فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث إنه مترتب على سعيه
صلى الله عليه وسلم في إعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات إلى اسم الذات المستتبع لجميع
الصفات للإشعار بأن كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على
صفة من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك وما تأخر أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى وتسميته ذنبا بالنظر إلى منصبه الجليل ويتم
نعمته عليك بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة وغيرهما مما أفاضه عليهم من النعم الدينية والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما
في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرياسة وأصل الاستقامة وإن كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق
واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله إظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولإظهار كمال العناية بشأن
النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا أي نصرا فيه عز ومنعة أو قويا منيعا على وصف المصدر بوصف
صاحبه مجازا للمبالغة أو عزيزا صاحبه هو الذي أنزل السكينة بيان لما أفاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمأنينة
أي أنزلها في قلوب المؤمنين بسبب الصلح والأمن إظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم
أي يقينا منضما إلى يقينهم وأنزل فيها السكون إلى ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا إيمانا بها مقرونا مع إيمانهم
بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة
والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا إيمانا مع إيمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانا

مع ايمانهم الاية ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيف ما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم اخرى
حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تعالى
ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض
له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المومنين ليعرفوا نعمة الله عليهم تعالى في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة
ويكفر عنهم سيئاتهم اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة
الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه
اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفة في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اي كائنا عند الله اي في علمه
وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفي تقديم
المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اي ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر
رسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصون بالمومنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء
بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد منه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة
للسببية ما قبلهما لما بعدها للايذان باستقلال كل منهما في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض وساءت مصيرا
اي جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فائدتها تنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود
العذاب وان المراد هاهنا جنود العذاب كما ينبي عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اي على امتك لقوله تعالى ويكون
الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتومنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته
وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ تعزروه
بضم التاء وتخفيف الزاي المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين
يبايعونك اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله خبران يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان
المقصود توثيق العهد بمراعاة نواهيه واوامره وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استئناف موكد له على طريقة التخييل
والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ
انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر
الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه التي بعد حذف الواو وتوسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اي
ومن اوفى بعهده فسيوتيه بنون العظمة اجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب كلهم اعراب غفار ومزينة وجهينة
واشجع واسلم والذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا
معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم صلى الله عليه
وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا لو انذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة
وقتلوا اصحابه فيقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم بانهم سيعتلون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن
لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك
حيث لم يكن ذلك عن اختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقول او استئناف لتكذيبهم في الاعتذار
والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشيئته تعالى وقضائه
على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من اهلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج بحفظهما ودفع الضر عنهما

وقرى

وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر على شيء من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم بحفظ اموالكم واهليكم واي حاجة الى
التخلف لاجل القيام بحفظها وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير
الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه
بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما
هو من مبادئه وقوله تعالى بل ظننتم الى اخره بدل من كان الله الى اخره مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمومنون الى اهليهم ابدا بان يستاصلهم المشركون المرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم
لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقرئ بجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث واما الاهالي
فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه فاشتغلتم بشان انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على
البناء للفاعل باسناده الى الله تعالى والى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير للتشديد والتوبيخ والتسجيل
عليه بالسوء وما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته صلى الله عليه وسلم فان الجازم بصحتها لا
يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله تعالى مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر
كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به
الواحد والجمع والمذكر والمونث ومن لم يومن بالله ورسوله كلام مبتدا من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم
ومبين لكيفيته اي ومن لم يومن بهما كهولاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين
ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل ولانها نار مخصوصة
ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل
لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا
في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن يقتضي الحكمة مغفرته ممن يومن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك
قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي
سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم
الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية وانه صلى الله
عليه وسلم رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد
الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسب ما امره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة وايا ما كان فالمراد ما ذكر من
وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان
ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا في نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية
فسيقولون للمومنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ
تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا اي الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا
ولقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر
ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي باس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن
ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركون لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا
او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي
بكر رضي الله تعالى عنه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة فيحمل دوام
نفي الاتباع كما في غزوة خيبر فالمحي للسنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس

تعقل بهم الجرية فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا عن الدعوة كما
توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
اي عن التخلف في الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوايف المعدودة
مزيد اعتنا بامرهم وتوسيعا لدايرة الرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضي الله عن
المومنين وهم الذين ذكر مبايعتهم وبهذه الاية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي
وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه صلى الله عليه وسلم لما
نزل الحديبية بعث خواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم
انه صلى الله عليه وسلم لم يات لحرب وانما جاء زايرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شيت ان تطوف بالبيت فافعل
فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال
صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان
يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل
الارض وكانوا الفا وخمسمائة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على
يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص
عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمانينة والامن وسكون
النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ واتاهم
ومغانم كثيرة ياخذونها اي مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا حكيما
مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيه على المومنين الى يوم القيامة تاخذونها في
اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اي غنايم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفايهم من بني اسد
وغطفان حيث جاوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون اية للمومنين امارة
يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده اياهم عند الرجوع من الحديبية ما ذكر من الغنايم وفتح دخول المسجد
الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف موخر اي وليكون لهم اية فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق به علة اخرى محذوفة
من احد الفعلين اي فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس لتغتنموها ولتكون الى اخره فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة
ويهديكم بتلك الاية صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تاتون وما تذرون واخرى عطف على
هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي غنايم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها
لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تاتيها
بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها
لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار
بقضا الله تعالى اياها بعد اندراجها في جملة الغنايم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد
فايدة وانما الفايدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شي قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشي دون شي ولو قاتلكم
الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفا خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم
سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله سنة انبيايه سنة قديمة فيما مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي
تغييرا وهو الذي كف ايديهم اي ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان

عكرمه

عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسماية الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم
حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم
وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك ويجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوركم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اي ونحر
الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تعالى معكوفا حال من الهدي اي محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي
او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ مكانه الذي يحل نحره وبه استدل ابو حنيفة رضي الله عنه ان المحصر محل هديه
الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان خيامه صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه
صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مومنون ونسا مومنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم
لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونسا وقوله تعالى ان تطاوهم ان توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في
تعلموهم فتصيبكم منهم اي من جهتهم معرة اي مشقة ومكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار
وسو قالتهم والاثم في التقصير بالبحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطاوهم اي غير
عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مومنين بين الكافرين غير العالمين بهم فيصيبكم
بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنكم
ليدخل بذلك الكف المودي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشا وهم المومنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية
التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في اقامة
مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من يشا عبارة عمن رغب في
الاسلام من المشركين وياباه قوله تعالى لو تزيلوا الى اخره فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين
بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل
مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستانفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او لعذبنا على الظرفية
وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم وايا ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقا
فقوله تعالى في قلوبهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف وهو مفعول ثان له اي جعلوها ثابتة
راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اي حمية الجاهلية او الحمية الناشية من الجاهلية وقوله تعالى فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المومنين على ان الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين بتوفيق الله
تعالى وسو صنيع الكفرة وعلى الثاني بما يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم يتزيلوا فلم يعذب فانزل الى اخره وعلى الثالث على
المضمر تفسيرا له والسكينة الثبات والوقار روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو
القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على
ان تخلي قريش مكة من عامه القابل ثلاثة ايام ففعلوا ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا
ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول
الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب
ما يريدون فهم المومنون ان يابوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة
او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفا بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى
واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار
واهلها اي المستاهل وكان الله بكل شي عليما فيعلم حق كل شي فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرويا اي صدق رسول الله صلى الله

عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه صلى الله عليه وسلم في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحققه اراة الرؤيا الصادقة وقوله تعالى **بالحق** اما صفة لمصدر موكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة به ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او نقيض الباطل وقوله تعالى **لتدخلن المسجد الحرام** جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف اي والله لتدخلن الى اخره وقوله تعالى **ان شاء الله** تعليق بالعدة بالمشية لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلون لموت او غيبة او غير ذلك او حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لما قاله صلى الله عليه وسلم لاصحابه **امنين** حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى **محلقين رؤسكم ومقصرين** اي محلقا بعضكم ومقصرا اخرين وقيل محلقين حال من ضمير امنين فتكون متداخلة **لا تخافون** حال موكدة من فاعل لتدخلن او امنين او محلقين او مقصرين او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك **فعلم ما لم تعلموا** عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا **فجعل** لاجله **من دون ذلك** اي من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام امنين الى اخره **فتحا قريبا** وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون اية للمومنين واما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراة الرؤيا قطعا **هو الذي ارسل رسوله بالهدى** اي ملتبسا به وبسببه ولاجله **ودين الحق** وبدين الاسلام **ليظهره على الدين كله** ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبديل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا وبتسليط المسلمين على اهل ساير الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وبه فضل تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين تعزير المومنين على انه تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة **وكفى بالله شهيدا** على ان ما وعده كاين لا محالة او على نبوته صلى الله عليه وسلم باظهار المعجزات **محمد** خبر مبتدا محذوف **رسول الله** بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدا ورسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى **والذين معه** مبتدا خبره **اشداء على الكفار رحماء بينهم** واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرافة كقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وقري اشداء او رحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى **تراهم ركعا سجدا** اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وعلى الاول خبر اخر او استيناف وقوله تعالى **يبتغون فضلا من الله ورضوانا** اي ثوابا ورضا اما خبر اخر وحال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استيناف مبني على سؤال نشا من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله ورضوانا **سيماهم** اي سمتهم وقري سيمياهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدا خبره **في وجوههم** اي في جباههم وقوله تعالى **من اثر السجود** حال من المستكن في الجار اي من التاثير الذي يوثره كثرة السجود وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد الجبهة على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما اذا احدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقال لهما ذوا الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قايلهم

ديار علي والحسين وجعفر ۞ وحمزة والسجاد ذي الثفنات ۞

وقيل

وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال صلى الله عليه وسلم من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقري من اثار السجود بكسر الهمزة **ذلك** اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره وقوله تعالى **مثلهم** اي وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى **في التوراة** حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى **ومثلهم في الانجيل** عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى **كزرع اخرج شطاه** الى اخره تمثيل مستانف اي هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله مثلهم في التوراة وقري شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا **فازره** فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي المعاونة وقري فازره بالتخفيف وازره بالتشديد اي شد ازره وقواه **فاستغلظ** فصار غليظا بعد ما كان دقيقا **فاستوى على سوقه** فاستقام على قصبه جمع ساق وقري سوقه بالهمزة **يعجب الزراع** بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه صلى الله عليه وسلم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر **ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما** فان الكفار اذا سمعوا ما اعد الله للمومنين في الاخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم البيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع من الاخلال **لا تقدموا** اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام لافادته النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرا لا تقدموا بحذف احدى التائين **بين يدي الله ورسوله** مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عز وجل وقيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تامير الاقرع بن حابس والقعقاع بن معبد **واتقوا الله** في كل ما تاتون وتذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه **ان الله سميع** لاقوالكم **عليم** باحوالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب **يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي** شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد النهي في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه صلى الله عليه وسلم بصوته وقري لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زايدة **ولا تجهروا له بالقول** اذا كلمتموه **كجهر بعضكم لبعض** اي جهرا كاينا كالجهر الجاري فيما بينكم اي بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته صلى الله عليه وسلم وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهاب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر يا رسول الله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر انه كان يكلمه صلى الله عليه وسلم كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة

والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **ان تحبط اعمالكم** اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة
ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للنهي اي لا تجهروا والاصل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط
فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد ما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف
والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى
كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع منهما في حرب او
مجادلة معاند او ارهاب عدو ونحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان
جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتاذى بصوته وعن انس انه لما نزلت الاية فقد ثابت وتفقده صلى
الله عليه وسلم فاخبر بشانه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون
عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن
انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته صلى الله عليه وسلم فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي
المؤمنين بدلالة النص **وانتم لا تشعرون** حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله
تعالى **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله** الى اخره ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به اي يخفضونها
مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدأ خبره **الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** اي جربها للتقوى ومرنها عليها او
عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب
المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذابه وميز ابريزه
من خبثه وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذهب عنها الشهوات **لهم في الاخرة مغفرة** عظيمة لذنوبهم **واجر عظيم** لا يقادر قدره والجملة
اما خبر اخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استئناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم **ان الذين**
ينادونك من وراء الحجرات اي من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى
داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها
وتثليثها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة
والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه صلى الله عليه وسلم من ورائها
او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له صلى الله عليه وسلم فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى
الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان صلى الله عليه وسلم فيها ولكنها جمعت اجلالا له صلى الله عليه وسلم
وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا
من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد
فيما بينهم **اكثرهم لا يعقلون** اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب **ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم** اي
ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت
للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه
حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى
العنبر فاطلق النصف وفادى النصف **والله غفور رحيم** بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا
واصلحوا **يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا** اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن
عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع

وقال

وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم فنزلت وقيل
بعث اليهم خالد بن الوليد فوجد منهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق
المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال **ان تصيبوا** حذرا ان تصيبوا
قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم **فتصبحوا** بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم **على ما فعلتم** في حقهم **نادمين** مغتمين غما لازما
متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام **واعلموا ان فيكم رسول الله** ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي
اعلموا باعتبار ما قيد به من قوله تعالى **لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم** فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم كائنا على حالة
لا يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة الى اخره وهي انكم تريدون ان يتبع صلى الله عليه وسلم رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل
ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق تصديقا
لقول الوليد وانه صلى الله عليه وسلم لم يطع رأيهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار
طاعته صلى الله عليه وسلم لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب
الرئيس مرؤوسا لا من اطاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على امتناع عنتهم لاستمرار امتناع
طاعته صلى الله عليه وسلم لهم في ذلك وان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم
يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة
وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلقه بما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق
به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد
باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة
ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان الامتناع بعدم وقوع الطاعة في امر من تلك الامور الكثيرة اصلا او
بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة الواقعة في الكل
وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان امتناع العنت حينئذ ليس مناط استمرار الطاعة المذكورة ضرورة
انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين
حتى لو لم يستمر امتناعها بل وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم ان الاحق بالاعتبار والاولى بالاعتبار هو
الوجه الاول لانه اوفق للقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع
المفيدة للثاني على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب
القياس ولم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى وهم لا يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن
مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه بمحل لا يخفى وقوله تعالى **ولكن الله حبب**
اليكم الايمان الى اخره تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم
اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم **وزينه في قلوبكم** حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال **وكره**
اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من اثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى
انهاء المحبة والكراهة واتصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كأنه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني
المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى **اولئك هم**
الراشدون اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كما في قوله تعالى وما اتيتم من زكاة تريدون وجه
الله فاولئك هم المضعفون **فضلا من الله ونعمة** اي انعاما تعليل لحبب او كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك
فضلا وقيل يبتغون فضلا **والله عليم** مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل **حكيم** يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة **وان**

طايفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعا الى حكم الله فان بغت اي
تعدت احداهما على الاخرى ولم تتاثر بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفي اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان
فات اليه واقلعت عن القتال حذرا عن قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد
متاركتهما عسى يكون بينهما قتال في وقت اخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك
حيث قيل واقسطوا اي اعدلوا في كل ما تاتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزا والاية نزلت في
قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده صلى الله عليه وسلم بالسيف والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان
وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فيء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة
انما المؤمنون اخوة استيناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الواجب للحياة
الابدية والفا في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر موضع المضمر
مضافا الى المامورين للمبالغة في تاكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح
فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرى بين اخوتكم واخوانكم
واتقوا الله في كل ما تاتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم
يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم اي منكم من قوم اخرين ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه
اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام على النسا وهو في الاصل اما جمع
لقوم وزور في جمع صايم وزاير او مصدر نعت به فشاع في الجميع واما تعميمه في الفريقين مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب
اذ لا نهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم من سخرية بعض لما انها مما يجري
بين بعض وبعض ولا نسا من نسا عسى ان يكن خيرا منهن اي من الساخرات فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر من
الصور والاشكال والاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترى احد
على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله
وقرى عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها ولا
تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة ولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد
لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرى بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص به عرفا
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به فان
الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين
خصوصا اذ روي ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الناس يقلن لي يا يهودية
بنت يهوديين فقال صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم الصلاة والسلام او الدلالة على
ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان في موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط
والتامل في كل ظن حتى يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله
تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبويات وحيث يخالفه قاطع وظن السو بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور
المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق به
العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كانه يثم الاعمال يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل
من الجس لما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جا بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السما

وقرى بالحا من الحس الذي هو اثر الجس وغايته لتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحا والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين
فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسو
في غيبته وسيل صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن
ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره
عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وشرعا وعقلا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري واسناد
الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل
الماكول اخا لا وميتا واخراج تماثلهما مخرج امر بين غني عن الاخبار وقرى ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ
والفا في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فكرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا
الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل من لم
يذنب ولا يخص ذلك بتايب دون تايب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شي فاخبرهما سلمان فقالا لا ما تناولنا كما فقال
صلى الله عليه وسلم انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من ادم وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام
فالكل سوا في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز ان يكون تاكيدا للنهي السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم
شعوبا وقبايل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير والعماير تجمع البطون
والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصايل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة
وقيل الشعوب بطون العجم والقبايل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزي احد الى غير اباه لا
لتفاخروا بالاباء والقبايل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرى لتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا
ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرم
عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرى بان المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا تتفاخروا بالانساب
فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم لان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه
بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر
شقي هين على الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب
امنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك
بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة يمنون عليه صلى الله عليه وسلم بما فعلوا قل ردا لهم لم تؤمنوا
اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم كما ذكرتم كما ينبئ عنه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا
فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا امنا
ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان والتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد
مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما
في لما من معنى التوقع مشعر بان هولا قد امنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا
ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرى لا يالتكم من الالت وهي لغة غطفان او شيئا من النقصان ان الله غفور
لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه
اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار
الايمان ليس في حال انشايه فقط بل وفيما يستقبل ايضا كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في

طاعته علي تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليها معا كالحج والجهاد **اولئك** الموصوفون بما
ذكر من الاوصاف الجميلة **هم الصادقون** اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الاية جاؤا وحلفوا انهم مومنون
صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى **قل اتعلمون الله بدينكم** اي اتخبرونه بذلك بقولكم امنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم وقوله
تعالى **والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم** تذييل مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما
اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم **يمنون عليك ان اسلموا** اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي
النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن **قل
لا تمنوا علي اسلامكم** اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض **بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان** على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم **ان كنتم صادقين** في ادعاء الايمان وجوابه محذوف
يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفي كونه ايمانا
وسمي اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا
لهم **ان الله يعلم غيب السموات والارض** اي ما غاب فيهما **والله بصير بما تعملون** في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران المجيد اي ذي المجد والشرف
على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه وفي الذي فصل في
مطلع سورة ص **بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم** اي لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه
جواب القسم المحذوف كانه قيل والقران المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك
لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه الى التلقي بالقبول
وقيل التقدير والقران المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل التقدير سوّغ القران بل عجبوا الخ اي لم يكتفوا
بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما يفهم من وصف القران بالمجيد كانه قيل ليس
سبب امتناعهم من الايمان بالقران انه لا مجد له ولكن لجهلهم **فقال الكافرون هذا شيء عجيب** تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا
لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه صلى الله عليه وسلم منذرا بالقران واضمارهم اولا للاشعار
بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا
اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر لما سبق انفا ثم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان
تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته على ما هو اشق منه في قياس العقل من
مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق في كونه كفرا **ءاذا متنا وكنا ترابا** تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا
مضمر غني عنه البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي احين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع
كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار **ذلك** اشارة الى محل النزاع **رجع
بعيد** اي عن الاوهام او عن العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه
المنذر من البعث **قد علمنا ما تنقص الارض منهم** رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص
الارض من اجساد الموتى وتاكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم
يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم **وعندنا كتاب حفيظ** حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ
من التغيير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاجزاء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تاكيد لعلمه تعالى بها

ثبوتها

ثبوتها في اللوح المحفوظ عنده **بل كذبوا بالحق** اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه
وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة وقيل بالحق **لما جاءهم** من غير تامل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام
للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القران او الاخبار بالبعث **فهم في امر مريج** اي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في
اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة انه ساحر كاهن **افلم ينظروا** اي اغفلوا او عموا فلم ينظروا **الى السماء فوقهم**
بحيث يشاهدونها كل وقت **كيف بنيناها** اي رفعناها بغير عمد **وزيناها** بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع **وما لها من
فروج** من فتوق لملاستها من كل عيب وخلل ولعل تاخير هذا المراتب لمراعاة الفواصل **والارض مددناها** اي بسطناها **والقينا فيها
رواسي** جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها **وانبتنا فيها
من كل زوج** اي صنف **بهيج** حسن **تبصرة وذكرى** علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير او لفعل مقدر
بطريق الاستيناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا **لكل عبد منيب** اي راجع الى ربه متفكر في بدائع صنائعه وقوله تعالى
ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما
على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده **فانبتنا به** اي بذلك الماء **جنات** كثيرة اي اشجارا وذات ثمار **وحب
الحصيد** اي حب الزرع الذي شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر مع اندراجه في
الجنات لبيان فضله على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتاكيد استقلالها وامتيازها من البقية مع ما فيه من مراعاة
الفواصل **والنخل باسقات** اي طوالا او حوامل من بسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف
لها طلع نضيد اي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات
بطريق الترادف او من ضميرها في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى **رزقا
للعباد** اي لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك تعليل تبصرة وذكرى بالاولى تنبيه على ان الواجب
على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكرة والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر
من معنى انبتنا لان الانبات رزق **واحيينا به** اي بذلك الماء **بلدة ميتا** ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت
وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان
كذلك الخروج جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد
للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها وفي التعبير عن اخراج النبات
من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات
واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى **كذبت قبلهم قوم نوح** الى اخره استيناف وارد
لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها **واصحاب الرس** قيل هم ممن بعث اليهم شعيب
عليه السلام وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل **وثمود وعاد وفرعون** اي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده **واخوان
لوط** قيل كانوا من اصهاره عليه السلام **واصحاب الايكة** هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين **وقوم تبع** سبق
شرح حالهم في سورة الدخان **كل كذب الرسل** اي فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث اجمعوا عليه قاطبة اي كل قوم
من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد
منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب الكل وهذا
على تقدير رسالة تبع واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيبهم الرسل تكذيبهم من قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد
والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع **فحق وعيد** اي فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهديد لهم **افعيينا بالخلق الاول** استيناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة

والعي بالامر العجز عنه يقال عيي بالامر وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة **بل هم في لبس من خلق جديد** عطف على مقدر يقتضيه المقام يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكيرها خلق لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه** اي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية **ونحن اقرب اليه من حبل الوريد** اي اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي به وريدا لان الروح ترده **اذ يتلقى المتلقيان** منصوب باقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شي اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما في كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحايفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خيرا من زيادة لطف له في الكف عن السيات والرغبة في الحسنات وعنه صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله تعالى ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به **عن اليمين وعن الشمال قعيد** اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال

رماني بامر كنت منه ووالدي ... بريا ومن اجل الطوي رماني

وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملايكة بعد ذلك ظهير **ما يلفظ من قول** ما يرمي به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البنا للمفعول **الا لديه رقيب** ملك يرقب قول ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ولو وجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى **عتيد** اي معد مهيا لكتابة ما امر به من الخير والشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شي حتى انينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر ووزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر **وجاءت سكرة الموت بالحق** بعد ما ذكر استبعادهم البعث والجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك بما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منهما بصيغة الماضي ايذانا بتحققهما وغاية اقترابهما وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت **ذلك** اي الموت **ما كنت منه تحيد** اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا **ونفخ في الصور** هي النفخة الثانية **ذلك** اي وقت ذلك

النفخ

النفخ على حذف المضاف **يوم الوعيد** اي يوم انجاز الوعد الواقع في الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى ان الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا للتهويل ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة **وجاءت كل نفس** من النفوس البرة والفاجرة **معها سائق وشهيد** وان اختلف كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اي معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والاخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه واعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى **لقد كنت في غفلة من هذا** محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استيناف مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة وخطاب الكل بذلك لانه ما من احد الا وله غفلة ما من الاخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تانيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتاويل الشخص كما في قول حبلة بن حريث

يا نفس انك باللذات مسرور

فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها **فبصرك اليوم حديد** نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة **وقال قرينه** اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه **هذا ما لدي عتيد** اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هياته لها باغواي واضلالي وقيل قال الملك مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيا للعرض واما ان جعلت موصولة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهو بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف **القيا في جهنم كل كفار** خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر ... وان تدعاني احم عرضا ممنعا

وعلى ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده قراءة القيا بالنون الخفيفة **عنيد** معاند للحق **مناع للخير** كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه **معتد** ظالم متخط للحق **مريب** شاك في الله وفي دينه **الذي جعل مع الله الها اخر** مبتدا متضمن معنى الشرط خبره **فالقياه في العذاب الشديد** **قال قرينه** اي الشيطان المقيض له وانما استونفت استيناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى **ربنا ما اطغيته** فانه مبني على سابقه كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه **ولكن كان** هو بالذات **في ضلال بعيد** من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي **قال** استيناف مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال **لا تختصموا لدي** اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك **وقد قدمت اليكم بالوعيد** على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى **ما يبدل القول لدي** الى اخره ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل اي وقدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم هذا القول ملتبسا فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فانه لا ايل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى **وما انا بظلام للعبيد** وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير

استحقاق لهم بل لما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه انفا اي وما انا بالمعذب للعبيد بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبيده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جي بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها يطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلي او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وبعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر اي ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع في بيان حال المومنين بعد النفخ ومجي النفوس الى موقف الحساب وقد مر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فايزون بها وقوله تعالى غير بعيد تاكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمونث او لتاويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل هو مصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت او مقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما توعدون لكل اواب اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذي او مبتدا خبره ادخلوها بتاويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار من في قوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله او صفة لمصدره اي خشيه ملتبسة بالغيب حتى خشي عقابه وهو غايب عنه او هو غايب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب ودوام النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاؤون من فنون المطالب كاينا ما كان فيها متعلق بيشاؤون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عايده او المحذوف من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيتهم من معالي الكرامات التي لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السحابة تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اي قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد واضرابهم فنقبوا في البلاد اي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هذه عاطفة في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الى اخره وقرئ بالتخفيف هل من محيص اي هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستانف وارد لنفي ان

يكون

يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يوملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر من السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الاثار من غير تذكر او القى السمع الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يودي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون منع الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غايب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات في ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا يفي به القوى والقدر من لغوب من اعياء ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله المشركون في شان البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او على ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وغروبها هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع اي لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم ينادي المنادي اي اسرافيل او جبرائيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله تعالى يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في اعادة مثل كن في البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي الى اخره وهي النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء في الاخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف التاء الثانية وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسير به تعالى نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث وتكذيب الايات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان اي تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر فذكر بالقران من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه قولهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله تعالى عليه تارات الموت وسكراته والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق

الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر **فالمقسمات امرا** اي الملايكة
التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح
تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار
بتصريف السحاب في الاقطار فان جملة الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفا لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت
في الدلالة على كمال القدرة والا فهي لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها لا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجري
به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى **انما توعدون لصادق وان الدين لواقع** جواب للقسم وفي تخصيص الامور
المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها من انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة
فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه
حصوله **والسما ذات الحبك** قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق السوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال
مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرايق والمراد اما الطرايق المحسوسة التي هي مسير الكواكب
والمعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرايق وعن الحسن حبكها نجومها حيث يزينها كما تزين الموشي طرايق الوشي وهي اما
جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرى الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالحبك والحبك
كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل **انكم لفي قول مختلف** اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه صلى الله عليه وسلم تارة شاعر
وتارة ساحر وفي شان القران الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير الاولين وفي هذا الجواب تاكيد لكون الحبك عبارة عن
الاستوا كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه
اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرايق السموات وتباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك **يوفك عنه من افك** اي يصرف
عن القران او الرسول صلى الله عليه وسلم من صرف اذ لا صرف اقطع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضايه
ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرى من افك اي من افك الناس وهم قريش
حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان **قتل الخراصون** دعا عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعا بالقتل
والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هولا
الخراصون وقرى قتل الخراصين اي قتل الله **الذين هم في غمرة** من الجهل والضلال **ساهون** غافلون عما امروا به **يسالون ايان
يوم الدين** اي متى وقوع يوم الجزا لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزا وقرى ايان بكسر الهمزة **يوم هم
على النار يفتنون** جواب للسوال اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون خبرا لمبتدا محذوف اي هو يوم الى اخره
والفتح لاضافته الى غير متمكن ويويده انه قري بالرفع **ذوقوا فتنتكم** اي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى **هذا الذي
كنتم به تستعجلون** جملة من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزا ويجوز ان يكون
هذا بدلا من فتنتكم بتاويل العذاب الذي صفته **ان المتقين في جنات وعيون** لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها **اخذين ما اتاهم
ربهم** اي قابلين لما اعطاهم راضين به على ان كل ما اتاهم حسن مرضي متلقى بحسن القبول **انهم كانوا قبل ذلك** في الدنيا
محسنين اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك حازوا ما فازوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار
اليه صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسره بقوله تعالى **كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون** اي كانوا يهجعون في طايفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة لمصدر وما
مزيدة في الوجهين ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون
فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو القرار من
النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها
فيما

فيما قبلها **وبالاسحار هم يستغفرون** اي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم
اسلفوا الليلة باقتراف الجرايم وفي بنا الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقا بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به
لاستدامتهم له واطنابهم فيه **وفي اموالهم حق** اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس
للسايل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة **وفي الارض ايات للموقنين** اي دلالة
واضحة على شونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممتد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين
في مناكبها وفيها جبل وسهل وبر وبحر متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف
الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروايح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم
وفي انفسكم اي وفي انفسكم ايات اذ ليس في العالم شي الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته على انفراده من الهيات النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكين من الافعال البديعة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة **افلا
تبصرون** اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة **وفي السما رزقكم** اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسما السحاب
وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات **وما توعدون** من الثواب لان الجنة في السما السابعة اولان الاعمال وثوابها مكتوبة
مقدرة في السما وقيل انه مبتدا خبره قوله تعالى **فورب السما والارض انه لحق** على ان الضمير لما واما على الاول فهو لما ذكر
من امر الايات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة **مثل ما انكم تنطقون** اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا
تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق او على انه نعت لحقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير
متمكن وهو ما ان كانت عبارة وانما في حيزها ان جعلت فايدة ومحل الرفع على انه صفة ويويده القراة بالرفع **هل اتاك حديث
ضيف ابراهيم** تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في
الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثنا عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبرايل
وقيل ثلاثة جبرايل وميكايل وملك اخر معهما عليه السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عليه
السلام او لانهم كانوا في حسابه كذلك **المكرمين** اي المكرمين عند الله تعالى وعند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته **اذ دخلوا
عليه** ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل والمكرمين ان فسر باكرام ابراهيم **فقالوا سلاما** اي نسلم عليك سلاما
قال اي ابراهيم **سلام** اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتدا للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه السلام احسن
من تحيتهم وقرى مرفوعين وقرى سلم وقرى منصوبا والمعنى واحد **قوم منكرون** انكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم للاسلام
او لانهم ليسوا من معهودهم ومن الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم
بذلك لانهم خاطبهم به جهرا لسالهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يقصد عليه السلام
لمقدمات الضيافة **فراغ الى اهله** اي ذهب اليهم على خفية من ضيفانه فان من ادب المضيف ان يباده بالقرى ويبادره
حذارا من ان يكفه ويعذره او يصير امنتظرا والفا في قوله تعالى **فجا بعجل سمين** فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة
بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجي بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجا به **فقربه اليهم**
بان وضعه لديهم حسب ما هو المعتاد **قال الا تاكلون** انكارا لعدم تعرضهم للاكل **فاوجس منهم** اضمر في نفسه **خيفة** لتوهم انهم
جاوا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملايكة جاوا للعذاب **قالوا لا تخف** قيل مسح جبرايل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج
حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم **وبشروه** وفي سورة الصافات وبشرناه اي بواسطتهم **بغلام** هو اسحاق عليه السلام **عليم** عند
بلوغه واستوايه **فاقبلت امراته** سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم **في صرة** في صيحة من الصرير ومحله
النصب على الحالية والمفعولية ان جعلت اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني **فصكت وجهها** اي لطمته من الحيا لما انها وجدت
حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعل المتعجب **وقالت عجوز عقيم** اي انا عجوز عاقر فكيف الده **قالوا**

كذلك اي مثل ذلك القول الكريم **قال ربك** وانما نحن معبرون نخبرك عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا **انه هو الحكيم**
العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه
مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر ايضا حسبما
شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود **قال** اي
ابراهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر **فما خطبكم** اي شانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة **ايها المرسلون**
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط **لنرسل عليهم** اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في
سائر السور الكريمة **حجارة من طين** متحجرة هو السجيل **مسومة** مرسلة من اسمت الماشية اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي
العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود **عند ربك للمسرفين** المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى **فاخرجنا** الى اخره حكاية من جهته
تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم من الكلام والفاء فصيحة مفصحة
عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الخ **من كان فيها** اي في قرى
قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها **من المؤمنين** ممن آمن بلوط **فما وجدنا فيها غير بيت** اي غير اهل بيت **من المسلمين** قيل هم لوط
وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر **وتركنا فيها** اي في القرية **آية** اي علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل
هي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن **للذين يخافون العذاب الاليم** اي من شانهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم
دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون به ولا يعدونها **وفي موسى** عطف على قوله تعالى وتركنا فيها على معنى
وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا **اذ ارسلناه** قيل هي منصوب باية وقيل بمحذوف اي كائنة وقت ارسالنا
الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة **فتولى بركنه** اي فاعرض عن الايمان وازور
كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف **وقال ساحر**
اي هو ساحر **او مجنون** كانه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا
يخفى **وهو مليم** اي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه **وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم**
وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي النكباء او الدبور او الجنوب
ما تذر من شيء اتت عليه اي جرت عليه **الا جعلته كالرميم** هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم ونبات او غير ذلك **وفي ثمود اذ قيل**
لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد
غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب **فعتوا عن امر ربهم** اي فاستكبروا عن الامتثال به **فاخذتهم الصاعقة** قيل
لما راوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله
تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الثالث تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي
المرة من الصعق **وهم ينظرون** اليها ويعاينونها **فما استطاعوا من قيام** كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين **وما كانوا**
منتصرين لغيرهم كما لم يمتنعوا لانفسهم **وقوم نوح** اي واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون معطوفا
على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه **من قبل** اي من قبل هؤلاء المهلكين **انهم كانوا قوما فاسقين**
خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي **والسماء بنيناها بايد** اي بقوة **وانا لموسعون** لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة
والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق **والارض فرشناها** مهدناها وبسطناها
لتستقروا عليها **فنعم الماهدون** اي نحن **ومن كل شيء** اي من الاجناس **خلقنا زوجين** اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء
والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك **لعلكم تذكرون** اي فعلنا ذلك كله كي تتذكرون فتعرفوا انه خالق

الكل

الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى **ففروا الى الله** مقدر بقول
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكي من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن
احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله تعالى الذي هذه شؤونه بالايمان
والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كانه قيل قل لهم
فتذكروا ففروا الى الله تعالى الى اخره وقوله تعالى **اني لكم منه نذير مبين** تعليل للامر بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اي
اني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به في امره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بان يامرهم بالهرب
اليه تعالى من عقابه وتعليل بانه صلى الله عليه وسلم ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه بوعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم
بالمطلوب وقوله تعالى **ولا تجعلوا مع الله الها آخر** نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله
تعالى **اني لكم منه** اي من الجعل المنهي عنه **نذير مبين** فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته بالباء بتضمينه معنى الافراد يقال
فر منه اي هرب وافرد غيره كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر
بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار عنه **كذلك** اي الامر مثل ما ذكر
من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى **ما اتى الذين من قبلهم** الى اخره تفسير له اي ما اتاهم **من رسول**
من رسل الله **الا قالوا** في حقه **ساحر او مجنون** ولا سبيل الى انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها **اتواصوا**
به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنعاء التي لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اي
اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى **بل هم قوم طاغون** اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر
تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة
الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى طباعهم **فتول عنهم** فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء **فما انت بملوم**
على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود **وذكر** اي افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او
فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر **فان الذكرى تنفع المؤمنين** اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل
فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان
كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه صلى الله عليه وسلم الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق
الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل
تمكن مع كونها مطلوبة تنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات
جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض
بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى كالية تنتهي
اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي
في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست
من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية
مع تعاضد المبادي وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من
الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد
سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرا وما خلقت
الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب
العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب

على المسبب التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة فعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفه ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون لكون شانه تعالى مع عبادته متعاليا عن ان يكون كشان السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهية ارزاقهم اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل الفضل عليهم برزقهم وما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح انه غني عنه وقري اني انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق ولذو او خبر بعد خبر او خبر لمضمر وقري بالجر على انه وصف للقوة على تاويل الاقتدار والايدي فان للذين ظلموا اي ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اي نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل انصبا نظرايهم من الامم المحكية وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الما بالذنوب وهو الدلو العظيم المملو فلا يستعجلون اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجي به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفا لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفا الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى من يومهم الذي يوعدون للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل هو يوم القيامة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الاتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هب وجرت في الدنيا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله عز وجل سبحانه وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القران او الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور وما يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفه وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين والصراح وهو في السما الرابعة وعمرانه كثرة غاشية من الملايكة والسقف المرفوع اي السما لا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور اي المملو وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روي ان الله تعالى يجعل البحار نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع اي لنازل حتما جوابا للقسم وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدا للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لانها امور عظام تنبي عن كمال هوله وفظاعته وقوله تعالى يوم تمور السما مورا والمور الاضطراب والتردد في المجي والذهاب وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور السما كما تدور الرحى وتتكفا باهلها تكفو السفينة وقيل تختلف اجزاوها وتسير الجبال سيرا اي تزول عن وجه الارض فتصير هبا وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يومئذ يقع ذلك لهم الذين هم في خوض اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقري يدعون من الدعا فيكون دعا حالا بمعنى مدعوين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمعونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقران الناطق بهذا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومداره التوبيخ ام انتم لا تبصرون اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم

تعولون

تعولون انما سكرت ابصارنا كما سدت في الدنيا بل نحن قوم مسحورون اصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها وقاسوا شدايدها فافعلوا ما شيتم من الصبر وعدمه سوا عليكم اي من الامران في عدم النفع لا يدفع العذاب ولا يخففه وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستوا فان الجزا حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سوا في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما اتاهم ربهم وقري فكهين وفاكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف متعلق بالخبر او خبر اخر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او على حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر او في الحال واما من فاعل اتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيا او طعاما وشرابا هنيا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته وقيل الباء زايدة وما فاعل هنيا اي هناكم ما كنتم تعملون اي جزاوه متكين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين وقري بحور عين على اضافة الموصوف الى الصفة بالتاويل المشهور والباء لما ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين عما فيه من معنى الوصلة الالصاق وللسببية والمعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين امنوا الى اخره كلام مستانف مسوق لبيان حال طايفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الايمان وهو مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم عطف على امنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الابا واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقري ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذريتهم بكسر الذال وقري واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقري اتبعهم الحقنا بهم ذرياتهم اي في الدرجة كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وما التناهم وما نقصنا الاباهم من عملهم من ثواب عملهم من شي بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناهم فينتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقري التناهم بكسر اللام من الت يالت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت والتناهم من الت يولت ولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقا والجلسا منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بموانسة الاخوان المومنين فقوله تعالى واتبعهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الابا الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى ابايهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشي من الايمان لا يوهلهم بدرجة الابا الحقناهم كل امري بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امري بما كسب راهن اي دايم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الابا شي فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعما والوان الالا يتنازعون فيها اي يتعاطون فيها هم وجلساوهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبي عنه التعبير عن ذلك التنازع كاسا اي خمرا تسميه لها باسم محلها لا لغو فيها اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثنا الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ولا تاثيم ولا يفعلون ما ياثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعل الكرام وقرى لا لغو فيها ولا تاثيم بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لولو مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفايهم اي مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي قال قتادة هذا الخادم فكيف بالمخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يسال كل بعض منهم بعضا اخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سايلا ومسئولا

لانه يسال بعض منهم معين بعضا اخر معينا قالوا اي المسئولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة انا كنا قبل في الدنيا في اهلنا
مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق للحق
ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا
سئل اجاب وقرء انه بالفتح بمعنى لانه فذكر اثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل عليك من الايات والذكر الحكيم ولا تكترث بما
يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يقولون
قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس يتشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت
وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اي امل انهم يقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فاني معكم من المتربصين
اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تامرهم احلامهم اي عقولهم بهذا اي بهذا التناقض في المقال فان
الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف
هولاء في واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد ولا يحومون حول الرشد
والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اي اختلقه
من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التي لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العجم والعرب فلياتوا بحديث مثله مثل القران في النعوت التي استقل
بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضيته والتمرن
والمبالغة في حفظ الوقائع والايام ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك ام خلقوا من غير
شيء اي ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من غير اجل لا شيء من عبادة وجزاء ام هم الخالقون
لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض
قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة
من شاؤوا او عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ام هم المسيطرون اي الغالبون على الامور
يدبرونها كيف ما شاؤوا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ام لهم
سلم منصوب الى السما يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التي
يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة فليات مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له
البنات ولكم البنون تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان ان من هذا رايه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى اسرار الملكوت
والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب تشديد لما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ ام تسالهم اجرا رجوع
الى خطابه صلى الله عليه وسلم واعراض عنهم الى انسالهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم لاجل ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة
مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ والمثبت في الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى
يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات ام يريدون كيدا هو كيدهم صلى الله عليه وسلم في دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون
وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا
هم المكيدون اي هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم
المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون اي عن اشراكهم او عن
شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السما ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم اي هم في
الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب متراكم بعضه على بعض
يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون على البنا للمفعول من

صعقته

صعقته الصاعقة او من اصعقته وقرئ يصعقون بفتح اليا والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة
الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغنا بدل من
يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه في امره
صلى الله عليه وسلم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل
وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما ياباه الاضافة المنبية عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب
عنهم وان للذين ظلموا اي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اي وان لهولاء الظلمة عذابا اخر دون ذلك دونما
لاقوه من القتل اي قبل وهو القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراه كما في قوله ٭ تريك القذا منه ورائها وهو دونها ٭
وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الاخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة
الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك
فيما بينهم مع مقاساة الاحزاب ومعاناة الهموم فانك باعيننا اي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلوك وجمع العين لجمع
الضمير والايذان بغاية الاعتنا بالحفظ وسبح اي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم
من اي مكان تقوم فان سعيد بن جبير وعطا اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه
صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان الليل العبادة اشق على النفس وابعد
عن الريا كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اي وقت ادبارها من اخر الليل اي غيبتها بضوء الصباح وقيل
التسبيح من الليل صلاة العشائين وادبار النجوم صلاة الفجر وقيل وقرئ ادبار النجوم بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او
خفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يومنه من عذابه وان ينعمه في جنته والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا
فانه اسم غالب له او جنس النجوم وهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى يهوي هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن غروب اذا علا
وصعد واما النجم من نجوم القران فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما
في قولك اتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته صلى الله عليه وسلم عن شائبة الضلال والغواية من البراعة
البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراه واما على الاولين فلان النجم شانه ان يهتدي به الساري الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم
الذي يهتدي به السابلة الى سوا السبيل ما ضل صاحبكم اي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الاخرة وما غوى اي وما
اعتقد باطلا قط اي هو في غاية الهدى والرشد وليس كما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا واما على الثالث فلانه تنويه
بشان القران كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنويه على مناط اهتدائه صلى الله عليه وسلم ومدار رشاده كانه
قيل والقران الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد صلى الله عليه وسلم وما غوى والخطاب لقريش
وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله صلى الله عليه وسلم حالتي عنه بالكلية
وباتصافه صلى الله عليه وسلم بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه
العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به الساري
عند كونه في وسط السما ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من
كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليه السلام هذا هو اللائق بشان التنزيل الجليل واما
حمل هويه على انتثاره يوم القيامة او على انقضاض الرجم الذي يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض

او على ظهوره منها فما لا يناسب المقام **وما ينطق عن الهوى** اي وما يصدر نطقه بالقران عن هواه ورايه اصلا فان المراد
استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه كما مر مرارا **ان هو** اي ما الذي ينطق به من القران **الا وحي** من الله تعالى
وقوله تعالى **يوحى** صفة موكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي **علمه شديد القوى** اي ملك شديد
قواه وهو جبريل عليه السلام فان الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الما الاسود الذي
تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السما ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبيا وصعوده
اسرع من رجعة الطرف **ذو مرة** اي حصافة وكان هبوطه على الانبيا في عقله ومتانة دينه **فاستوى** عطف على علمه بطريق
التفسير فانه الى قوله تعالى فما اوحى بيان لكيفية التعليم اي فاستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان
يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحرا فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الارض
من المغرب وملا الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن
وجهه قيل ما راه احد من الانبيا في صورته غير النبي صلى الله عليه وسلم فانه راه فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السما وقيل استوى
بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى **وهو بالافق الاعلى** اي افق الشمس حال من فاعل استوى **ثم دنا** اي اراد الدنو من
النبي عليهما الصلاة والسلام **فتدلى** اي استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلت الثمرة
ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المتعلق **فكان** اي مقدار امتداد ما بينهما **قاب قوسين** اي بمقدارهما فان
القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في قوله هو مني معقد الازار **او ادنى** او على
تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس **فاوحى** اي جبريل
الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها **ما اوحى** اي من الامور العظيمة التي لا
تفي بها العبارة او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها ومحرمة
على الامم حتى تدخلها امتك **ما كذب الفواد** اي فواد محمد صلى الله عليه وسلم **ما راى** اي ما راه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام
اي ما قال فواده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره وقرى ما كذب اي صدقه ولم يشك انه
جبريل بصورته **افتمارونه على ما يرى** اي اتكذبونه فتجادلونه على ما راه معاينة وبعد ما ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه
من المرا وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرى افتمرونه اي افتغلبونه
في المرا من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا او قيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اي جحده
ولقد راه نزلة اخرى اي وبالله لقد راى جبريل في صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان
الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد راه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر **عند سدرة المنتهى**
هي شجرة نبق في السما السابعة عن يمين العرش كقلال هجر وورقها كاذان الفيلة ينبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله تعالى
في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتها او الانتها كانها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق
واعمالهم ولا يعلم احد ما وراه وقيل ينتهي اليها ارواح الشهدا وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة
السدرة الى المنتهى اما اضافة الشي الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير
سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال
تعالى الى ربك المنتهى **عندها جنة الماوى** اي الجنة التي ياوي اليها المتقون او ارواح الشهدا والجملة حال وقيل الاحسن
ان يكون الحال هو الظرف وجنة الماوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى **اذ يغشى السدرة ما يغشى** ظرف زمان لراى
لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى
الاتيان يقال فلان يغشاني في كل حين اي ياتيني والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتاخيره

عن

عن المفعول للتشويق اليه اي ولقد راه عند السدرة وقت ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان ولا كما وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة وللايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها
الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات
انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما يتجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها اوجراد
من الذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك رضي الله تعالى عنهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رايت السدرة يغشاها
فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم يغشاها رفرف من طير خضر **ما زاغ**
البصر اي ما مال بصره صلى الله عليه وسلم عما راه **وما طغى** ما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة ما لا يحصى بل اثبته
اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن روية العجائب التي امر بها وما جاوزها **لقد راى من ايات ربه الكبرى** اي والله لقد راى الايات
التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السما فارى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان تكون الكبرى
صفة للايات والمفعول محذوف اي شيا عظيما من ايات ربه وان يكون من مزيدة **افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى**
هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطايف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها
وقرى بتشديد التا على اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر
باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تانيث الاعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على راسها وهي تولول فجعل
خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة
وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دما المناسك كانت تمنى عندها اي تراق وقرى ومناءة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون
عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتاخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان تكون الاولوية والتقدم عندهم
للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا فقيل لهم تبكيتا وتوبيخا افرايتم الى اخره والهمزة للانكار والفا لترتيبه على ما ذكر من شوون الله تعالى
المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من اثار كمال عظمته
عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملا الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رايتم هذه الاصنام
مع غاية حقارتها وحقارتها بنات الله تعالى وقيل ارايتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركا الله تعالى مع ما تقدم من عظمته
وقيل اخبروني عن الهتكم هل لها شي من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الاي السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه
الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم في الاخرة وقيل اظننتم ان هذه ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها
لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى **الكم الذكر وله الانثى** شهادة بينة فانه توبيخ على التوبيخ الاول حيث كان مداره
تفضيل جانب انفسهم على جانبه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس
تلك النسبة حتى يتسنى بنا التوبيخ الثاني عليه ظاهر ان ليس في شي من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر واما
ما قيل من ان هذه النسبة مفعول ثان للروية وخلوها عن العائد الى الاول لان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة
الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ مع ما فيه من التمحلات التي ينبغي
تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها تقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جانب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على
نسبة الولد اليه سبحانه **تلك** اشارة الى القسمة المنفهمة عن الجملة الاستفهامية **اذا قسمة ضيزى** اي جائرة حيث جعلتم له
تعالى ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاوه لتسلم اليا كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات في الوصف
وقرى ضيزى اما على انه مصدر وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى **ان هي** الضمير للاصنام اي ما الاصنام باعتبار

الالوهية التي يدعونها **الا اسماء** محضة ليس تحتها مما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى **سميتموها**
صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى
الاسم فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير هٰهنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة اسماء
مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق
التسمية وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها
والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام وليس في
سلبها عنها مزيد فائدة بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الموصوف
يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها **انتم وآباؤكم** بمقتضى اهوائكم الباطلة **ما انزل الله بها من سلطان** برهان تتعلقون به **ان يتبعون** التفات الى الغيبة ايذان بان تعداد
قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها **الا الظن** الا توهم ان ما
هم عليه حق توهما باطلا **وما تهوى الانفس** اي تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء **ولقد جاءهم من ربهم الهدى** قيل هي حال
من فاعل يتبعون او اعتراض وايا ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من
اي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب اقبح **ام للانسان ما تمنى** ام
منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا
اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه حتما **فلله الآخرة والاولى** فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا
به تعالى مقتض لان يكون له امر من الامور وقوله تعالى **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا** اقناط لهم مما علقوا به اطماعهم من
شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر
هي الجملة المنفية وجمع الضمير مع شفاعتهم في افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله شيئا من
الاغناء في وقت من الاوقات **الا من بعد ان يأذن الله** لهم في الشفاعة **لمن يشاء** ان يشفعوا له **ويرضى** ويراه اهلا للشفاعة من
اهل التوحيد والايمان واما ما عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بالف معزل فاذا كان
حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام **ان الذين لا يؤمنون بالآخرة** وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه
من الكفر والمعاصي **ليسمون الملائكة** المنزهين عن صفات النقصان على الاطلاق **تسمية الانثى** اي يسمون كل واحد منهم بانه
بنت الله سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والغلظة والفظاعة واستتباع
العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى **وما لهم به من علم** حال من فاعل يسمون اي يسمونهم
اي والحال انهم لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة او بالتسمية **ان يتبعون** في ذلك **الا الظن** الفاسد **وان الظن**
اي جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار **لا يغني من الحق شيئا** من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا
يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها **فاعرض عن من
تولى عن ذكرنا** اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلته من اوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها
اي فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة
او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها **ولم يرد الا الحياة الدنيا**
راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي
منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل **ذلك** اي ما اداهم الى ما هم فيه من التولي
وقصر الارادة على الحياة الدنيا **مبلغهم من العلم** لا يتجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار

معنى

معنى من كان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر
لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين**
تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة التقرير وللايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر
عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من شأنه الاهتداء في الجملة اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا
وبمن يقبل الاهتداء في الجملة اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غير فلا
تتعب نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر بالاعراض صلى الله عليه وسلم عن الاعتناء بامرهم باختصاص
العلم باحوال الفريقين عليه تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد
ضمنا كما سيأتي صريحا **ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي** الى آخره متعلق بما دل عليه اعلم الى آخره وما بينهما اعتراض
مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتدى
من اهتدى فيحفظها ليجزي **الذين اساءوا** السوء **بما عملوا** اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله
او بسبب ما عملوا **ويجزي الذين احسنوا** اي اهتدوا **بالحسنى** اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى
وقيل متعلق بضل واهتدى المؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من العذاب ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر
الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين **الذين يجتنبون كبائر الاثم** بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة
على تجدد الاجتناب واستمراره او بيانه او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد
بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك **والفواحش** وما فحش من الكبائر خصوصا **الا اللمم** اي الا ما قل
وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر وقيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله
حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع **ان ربك واسع المغفرة** حيث يغفر الصغائر باجتناب
الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة
الربانية وقيل المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد
المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى **هو اعلم بكم** اي باحوالكم
تعلمها **اذ انشأكم** في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام **من الارض** انشاء اجماليا حسبما مر تحقيقه مرارا **واذ انتم اجنة** ووقت
كونكم اجنة **في بطون امهاتكم** على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم التي لولا
المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبله والفاء في قوله تعالى **فلا تزكوا انفسكم** لترتيب النهي عن
تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم
اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على
فضله ومغفرته **هو اعلم بمن اتقى** المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون
اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من
الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة
وذكرها شكر **افرأيت الذي تولى** اي عن اتباع الحق والثبات عليه **واعطى قليلا** اي شيئا قليلا او اعطاء قليلا **واكدى** اي قطع
العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان
يتبع النبي صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللت فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل
عنه العذاب اذا اعطاه بعض ماله فارتد فاعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما انه
كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل في ابي جهل كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل في

وكان يقول والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده
من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى الى اخره اي اعنده علم بالامور المغيبة التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة ام
لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى اي وفر واتم ما ابتلي به من الكلمات او امر به او بالغ في الوفا بما عاهد الله وتخصيصه
بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل عليهما السلام حين يلقى في النار فقال الك حاجة
فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد وروي انه كان يمشي كل يوم فرسخا ليرى ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم
موسى لما ان صحفه التي هي التوراة اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر اخرى اي انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى
على ان ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولا يقدح في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة
سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه
واما شفاعة الانبيا عليهم السلام واستغفار الملايكة عليهم السلام ودعا الاحيا للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد
يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الايمان والفلاح
ولم يكن لشي منها نفع ما بدونه جعل المنافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه فان مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله
تعالى وان سعيه سوف يرى اي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من اريته الشي ثم يجزاه اي يجزى
الانسان سعيه يقال جزاه الله تعالى بعمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله
تعالى الجزاء الاوفى او يبدل عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى اي منتهى الخلق ورجوعهم
اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسران على الابتدا وانه هو اضحك وابكى اي هو خلق قوة الضحك والبكا
وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحيا غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده
بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من
منى بمعنى قدر وان عليه النشاة الاخرى اي الاحيا بعد الموت وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر انشاه وانه هو اغنى
واقنى واعطى القنية وهي ما يتاثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية
وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء من الغميصا وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة
تشبيها له صلى الله عليه وسلم به لمخالفته اياهم في دينهم وانه اهلك عادا الاولى هم قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل
الاولى القدما لانهم اول الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعاد لولى بادغام التنوين
في اللام وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ بثمود ابالتنوين فما
ابقى اي احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا من قبل اي من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين
حيث كانوا يوذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى ما يكون به حراك
وما اثر فيهم وعاد وقرسا من الف سنه والموتفكة هي قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم اهوى اي اسقطها الى الارض
بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السما فغشاها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التفظيع والتهويل ما لا غاية
وراه فباي الاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك
او لكل احد واسناد فعل التمادي الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد تعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة
لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد
بها المعنى الاول فقط كما في تداعوهم اي دعوهم وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان
الموتعدد بتعدد الانا فتدبر وتسمية الامور المعدودة الا مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبيا والمومنين

وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القران والنذير مصدرا
والى رسول الله صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر وايا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير
مقرر له او متضمن للوعيد اي هذا القران الذي تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول
منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة لمراعات الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفيه تعقيبه بقوله
تعالى ازفت الازفة اشعار بان تعذيبهم موخر الى يوم القيمة اي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس
لها من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الان نفس كاشفة
بتاخيرها الا الله تعالى فانه الموخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من
دون الله تعالى كشف على ان كاشفة مصدر كالعاقبة افمن هذا الحديث اي القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه
ابعد شيا من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم سامدون اي لاهون
او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغنا على لغة حمير او خاشعون
جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال

رمى الحدثان نسوة ال سعد ، بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ، ورد وجوههن البيض سودا

والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للمنفي والانكار وارد على نفي البكا والسمود معا على الوجوه
الاول قيد للنفي والانكار متوجه الى نفي البكا ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفا في قوله تعالى فاسجدوا
لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القران بالانكار والاستهزا ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال
الخضوع والخشوع اي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والنجم
اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اية فانشق القمر قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت
حرا بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطا عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظايره وقرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد
حصل من اياتها اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام اي وان يروا اية من ايات الله تعالى يعرضوا عن
التامل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دايم ياتي به محمد صلى الله عليه وسلم على مر الزمان لا يكاد يختلف
بحال كساير انواع السحر او قوي مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب
بغلوهم في العناد والمكابرة وبوجده ما سياتي لرده وقرئ وان يروا على البنا للمفعول من الاراءة وكذبوا اي بالنبي صلى الله عليه وسلم
وما عاينوه مما اظهره الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم التي زينها الشيطان لهم او كذبوا الاية التي هي انشقاق القمر
واتبعوا اهواهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى وكل امر مستقر استينا
مسوق لاقناطهم عما علقوا به اماناتهم الفارغة من عدم استقرار امره صلى الله عليه وسلم حيث قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه
اي وكل امر من الامور منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي صلى الله عليه وسلم فيصير الى غاية تتبين
عندها حقيقته وعلو شانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل امر من
امرهم وامره صلى الله عليه وسلم مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الاخرة وقرئ

بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او زمان اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او بالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف
على الساعة اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر ولقد جاءهم اي القران وقوله تعالى من الانبا اي انبا القرون الخالية او انبا
الاخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اي وبالله لقد جاءهم كائنا من الانبا ما فيه مزدجر اي ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع
ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار وتا الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرى
مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرى بالنصب حالا منها فانها موصولة
او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي للاغنا او انكار له والفا لترتيب عدم الاغنا واستمراره على
مجي الزواجر واستمراره وما منصوبة اي فاي اغنا تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك
بان الانذار لا يوثر فيهم يوم يدع الداعي منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعا فيه
كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط اليا للاكتفا بالكسر تخفيفا الى شي نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله
وهو هول القيامة وقرى نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي
يخرجون من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرى خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرى
خاشعة على الاصل وقرى خشع ابصارهم على الابتدا والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق
في الاقطار مهطعين الى الداعي مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون استيناف وقع جوابا عما نشا من
وصف اليوم بالاهوال واهله بسو الاحوال كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد
وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المومنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر
من الانبا الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تاثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعالى فما تغن النذر اي فعل التكذيب قبل
تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى اخره
وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جا عقيبه قرن اخر مكذب مثله
وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة
تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون وازدجر
عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا
ربه اني اي باني وقرى بالكسر على ارادة القول مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم
وذلك بعد تقرر ياسه عنهم بعدما بلغوا الغاية فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا ويقول نوح اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السما بما منهمر منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرى ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب
وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير قضا لحق المقام فالتقى الما اي
ما السما وما الارض والافراد لتحقيق ان التقا الماين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرى الما
ان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي كائنا على حال قدرها الله تعالى من غير تفاوت او على حال
قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه
اي نوحا عليه السلام على ذات الواح اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة
اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تودي موداها تجري باعيننا بمراى منا اي محفوظة بحفظنا جزا لمن كان كفر اي فعلنا
ذلك جزا لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها لان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان
يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره لما في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرى لمن كفر اي للكافرين ولقد
تركناها اي السفينة او الفعلة اية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي

دهرا

دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر بتلك الاية الحقيقة بالاعتبار وقرى مذتكر على الاصل ومذكر
بقلب التا ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها
الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القران الى اخر جملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون
ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانبا ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن الايات والنذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة
بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القران لقومك بان انزلناه
على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعد والوعيد للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار
ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة
نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد اي هودا عليه السلام فلم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه
السلام روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه من الازدجار وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين
نحو الاصغا الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم
او فاسمعوا فكيف كان عذابي وانذاراتي لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استيناف ببيان ما اجمل اولا اي
ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شوم مستمر اي شومه او مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم
كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعا اخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك
بعضهم ببعض فنزعتهم وتركتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان
الريح كانت تقلع روسهم فتبقى اجسادا او جثثا بلا روس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تانيثها في قوله تعالى اعجاز
نخل خاوية للنظر الى المعنى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما وليس فيه شائبة تكرار وما قيل
من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة ويرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او به
بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا اي كائنا من جنسنا
وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او واحدا من احادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا و
تاخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرى
ابشر منا واحد على الابتدا وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة
جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال
عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول االقي الذكر اي الكتاب والوحي
عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس الامر كذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه
وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب
مضمون الجملة وتاكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره
وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه وقرى ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرى
الاشر كقولهم حذر في حذر وقرى الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل المراد يوم القيامة وياباه قوله تعالى
انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فانه استيناف مسوق لبيان مبادي الموعود حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سالوا فتنة لهم
اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الما قسمة بينهم مقسوم لهم يوم ولها يوم
وبينهم لتغليب العقلا كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر
فقتلها والتعاطي تناول الشي بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة

واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة
لماشيته في الشتا وقري بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجرة المتخذ لها ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم
لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر في سحر وهي اخر الليل وقيل
هو السدس الاخير منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزا العجيب نجزي من
شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اي اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كساير الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة
صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم
ذوقوا على السنة الملايكة او هو ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقري بكرة غير
مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النيران وفي وصفه بالاستقرار ايما الى ان ما
قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جا ال فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتنا بشانها لغاية
عظم ما فيها من الايات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفا بذكر ال فرعون للعلم بان نفسه اولى
بذلك اي وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى كذبوا باياتنا كلها استيناف مبني على سوال نشا من حكاية مجي النذر كانه قيل
فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع اياتنا وهي الايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر لا يعجزه شي اكفاركم يا معشر
العرب خير قوة وشدة وعدة او مكانة من اوليكم الكفار المعدودين والمعنى اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما
ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوا حالا وقوله تعالى ام لكم براة في الزبر اضراب وانتقال
من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه اخر اي بل الكم براة وامن من تبعات ما تعملونه من الكفر والمعاصي وغوايلها في الكتب السماوية
فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه اخر من التبكيت
والالتفات للايذان باقتضا حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبايحهم لغيرهم اي بل ايقولون
واثقين بشوكتهم نحن اولوا حزم وراي امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعدا لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا
بعضا والافراد لفظ الجمع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتاكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر
اي الادبار وقد قري كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب
سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تاويلها وقري سيهزم الجمع اي والله عز وجل
بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلايعه والساعة ادهى وامر اي في اقصى
غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها لتربية
تهويلها ان المجرمين من الاولين والاخرين في ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مستعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا
ونيران في الاخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الى اخره منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى في ضلال اي كاينون في ضلال وسعر يوم
يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اي قاسوا حرها والمها وسقر علم
لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شي من
الاشيا خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه
وكل شي منصوب بفعل يفسره ما بعده وقري بالرفع على انه مبتدا وخلقناه خبر وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة
التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر هو النظر بالسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما

امر

امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر متعظ بذلك
وكل شي فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر اي في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر
مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سو حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الى اخره مما يستدعي بيان حسن
حال المومنين ليتكافا الترغيب والترهيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين من الكفر والمعاصي في
جنات عظيمة الشان ونهر اي انهار كذلك والافراد للاكتفا باسم الجنس مراعاة للفواصل وقري نهر جمع نهر كاسد واسد
في مقعد صدق في مكان مرضي وقري في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك مقتدر لا يقادر قدر ملكه وسلطانه
فلا شي الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم
القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر والله سبحانه وتعالى اعلم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها ان القران قد يسر
لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما افاض على ساير الانام من فنون
نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والافاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدي بتعليم القران فقيل
بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا
وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على ساير الكتب السماوية ما من وصد ترنوا اليه احداق الامم الا وهو منشاه
ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من اثار الرحمة الواسعة
واحكامه وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للعلم وتبيينا لكيفية
التعليم والمراد بخلق الانسان انشاوه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد
بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القران والجمل الثلاث
اخبار مترادفة للرحمن واخلا الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب
مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكاينات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب
والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر له ساق يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما يريد منهما طبعا
انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران للرحمن جردا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ
لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كانه قيل
الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلا الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين
الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين
وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسما رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشا احكامه
وقضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملايكته وفيه من التنبيه على كبريا شانه وعظيم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقري بالرفع على
الابتدا ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر كل مستحق ما يستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم
واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات والارض وقيل فعلى هذا الميزان القران وهو قول الحسين
ابن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشيا من ميزان ومكيال ونحوهما وهو
قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما يتعبدهم
به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطايهم ان لا تطغوا في الميزان على انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية
اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقري لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل

اقيموا البيان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب **ولا تخسروا الميزان** اي لا تنقصوه
امرا اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتدا وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان
تشديدا للتوصية وتاكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرى ولا تخسروا بفتح التا وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان
يخسره ويخسره وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل **والارض وضعها** اي
اي خفضها مدحوة على الما **للانام** اي الخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما ظهر على الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله
تعالى **فيها فاكهة** الى اخره استيناف مسوق لتقرير ما افادة الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل
المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ ان يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على
الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به **والنخل ذات الاكمام** هي اوعية التمر جمع كم وكل ما يكم اي يغطي من ليف وسعف وكفر
فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه **والحب** وهو ما يتغذى به كالحنطة والشعير **ذو العصف** هو ورق الزرع وقيل
التبن **والريحان** قيل هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل
وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرى الحب ذو العصف والريحان اي
خلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد والريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان
من روح فقلبت الواو يا وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه يا للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله
القرطبي **فباي الاء ربكما تكذبان** الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان
والفا لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعما وصنوف الالا الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالايه
تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القران وما يستند اليه النعم الدينية الواصلة اليهم باسناده الى غيره
تعالى استقلالا واشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لالهتهم به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم له تعالى فيما يوجبها
والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الالا المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها
تكذيب لها لا محالة فاذا كان الامر كذلك فصل فباي فرد من افراد الالا لكما ومربيكما بتلك الالا تكذبان مع ان كلا منها ناطق
بالحق شاهد بالصدق **خلق الانسان من صلصال كالفخار** تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة
بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى ادم عليه
السلام من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الاية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخرين **وخلق
الجان** اي الجن او ابا الجن **من مارج** من لهب صاف **من نار** بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب **فباي الا
ربكما تكذبان** مما افاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم **رب المشرقين ورب المغربين** بالرفع على خبرية
مبتدا محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتا ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب
ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتدا وقوله تعالى مرج الى اخره وقرى بالجر على انه بدل من ربكما **فباي الا ربكما
تكذبان** مما في ذلك من فوايد لا تحصى من اعتدال الهوا واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك
مرج البحرين اي ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب **يلتقيان** يتجاوران ويتماس
سطوحهما لا فصل بينهما في مراي العين وقيل بحرى فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان **بينهما برزخ** اي حاجز
من قدرة الله تعالى او من الارض **لا يبغيان** اي لا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة وابطال الخاصية اي لا يتجاوزان احدهما
باغراق ما بينهما **فباي الاء ربكما تكذبان** وليس منهما شي يقبل التكذيب **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** اللؤلؤ الدر
والمرجان صغاره فنسبة خروجهما حينئذ من البحرين مع انهما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح

والعذب

والعذب او لانهما لما التقيا وصارا كالشي الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما لا يخرجان
من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرى يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان
وبنون العظمة **فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار** اي السفن جمع جارية وقرى برفع الواو وبحذف اليا كقول من قال

لها ثنايا اربع حسان ۝ واربع فكلها ثمان ۝

المنشات المرفوعات الشرع والمصنوعات وقرى بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشين الامواج بجريهن
في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل **فباي الاء ربكما تكذبان** من خلق مواد السفن والارشاد
الى اخذها وكيفية تركيبها واجرايها في البحر وجمعها وترتيبها غيره سبحانه **كل من عليها** اي على الارض من الحيوانات والمركبات
ومن للتغليب او من الثقلين **فان** هالك لا محالة **ويبقى وجه ربك** اي ذاته عز وجل **ذو الجلال والاكرام** اي ذو الاستغنا
المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظايم صفاته تعالى فلقد قال
صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر برجل يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام
فقال قد استجيب لك ووصف ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك وايا ما كان ففي وصفه تعالى بعد ذكر فنا الخلق وبقايه تعالى
ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنايهم ايضا اثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى **فباي الاء ربكما تكذبان** فان احياهم
بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعما واعظم الالا **يساله من في السموات والارض** قاطبة ما يحتاجون اليه
في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقا وساير احوالهم سوالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقايقهم
الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلايق
لم يشموا رايحة الوجود اصلا فهم في كل ان مستمرون على الاستدعا والسوال وقد مر تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
من سورة ابراهيم عليه السلام **كل يوم** اي كل وقت من الاوقات **هو في شان** من الشوون التي من جملتها اعطا ما سالوا فانه تعالى
لا يزال ينشي اشخاصا ويفني اخرين ويابى باشيا حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شانه ان يغفر
ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيا **فباي الاء ربكما
تكذبان** مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه **سنفرغ لكم** سنتجرد لحسابكم وجزايكم وذلك يوم القيامة عند انتها شوون الخلايق
المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شان فلا يبقى حينئذ الا شان واحد هو الجزا فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل مستعار
من قول المهدد لصاحبه سافرغ لك اي ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام
منه وقرى سيفرغ مبنيا للفاعل والمفعول وقرى سنفرغ اليكم **ايه الثقلان** وهما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على
الارض او لرزانة ارايهما او لانهما مثقلان بالتكليف **فباي الاء ربكما** التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة والتحذير
يوم القيامة والتحذير عما يودي الى سو الحساب **تكذبان** باقوالكما واعمالكما **يا معشر الجن والانس** هما الثقلان خوطبا
باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة خوطبوا بما ينبى عن ذلك لبيان ان قدرتهم
لا تفي بما كلفوه **ان استطعتم** ان قدرتم على **ان تنفذوا من اقطار السموات والارض** اي ان تهربوا من قضايي وتخرجوا من
ملكوتي ومن اقطار السموات والارض **فانفذوا** منها وخلصوا انفسكم من عقابي **لا تنفذون** لا تقدرون على النفوذ **الا بسلطان**
اي بقوة وقهر وانتم من ذلك بعيد روي ان الملايكة تنزل فتحيط بجميع الخلايق فاذا راهم الجن والانس هربوا فلا ياتون
وجها الا وجدوا الملايكة احاطت به **فباي الاء ربكما تكذبان** اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة
على العقوبة **يرسل عليكما شواظ** قيل هو اللهب الخالص وقيل هو المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر الاخضر المنقطع من النار
وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرى شواظ بكسر الشين **من نار** متعلق او بمضمر هو صفة
لشواظ اي كاين من نار والتنوين للتفخيم **ونحاس** اي دخان وقيل صفر مذاب يصب على رووسهم وقرى بكسر النون

وقرى بالجر عطفا على نار وقرى نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرى نحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرى ونحس
اي نقتل بالعذاب فلا تنتصران اي لا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف ه
واي لطف ونعمة واي نعمة فاذا انشقت السما اي انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كوردة حمرا وقرى وردة بالرفع على ان كان
تامة اي حصلت سما وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ؎

؎ ولين بقيت لارحلن بغزوة ؎ تحوي الغنايم او يموت كريم ؎

كالدهان خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام ه
والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب لو محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دايرة المقال فباي آلا
ربكما تكذبان مع عظم شانها فيومئذ اي يوم تنشق السما حسبما ذكر لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم
وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسالنهم
اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا
يسئل عن ذنبه انس ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن السر المودي اليه واما
ما قيل مما انعم الله تعالى على عباده المومنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استيناف
يجري مجرى التعليل لعدم السوال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكابة والحزن فيوخذ بالنواصي
والاقدام الجاري المجرور هو القايم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان الماخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل يسحبهم
الملايكة تارة بالنواصي وتارة بالاقدام فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول
اي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة اما استيناف وقع جوابا عن حكاية سوال نشا من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام
كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل لهم او حال من اصحاب النواصي والاقدام كان الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما
بينهما اعتراض يطوفون بينها اي بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم اي يسقون منه وقيل
اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباي آلاء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الالاء مرارا
ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الالاء الفايضة عليهم في الاخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الالاء الدينية
والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الاية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها الاء جليلة واصلة
اليهم في الاخرة ولذلك حكايتها الواصلة اليهم في الدنيا الاء عظيمة لكونها داعية اليهم الى السعي في تحصيل ما يودي الى نيلها من
الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في شان من النعم الدينية والدنيوية الانفسية
والافاقية الاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يودي الى استدامتها واما ما
عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الاية من الاحوال الهايلة التي ستقع في الاخرة فليست هي من قبيل الالا
وانما الالا حكاياتها الموجبة للانزجار عما يودي الى الابتلا بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها
ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيامه تعالى على احواله من قام عليه
اذا راقبه او مقام الخايف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل وهو مفخم للتعظيم جنتان
جنة للخايف الانسي وجنة للخايف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خايف منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى
لعمله او جنة لفعل الطاعة واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جا
مثنى بعد فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل
من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اي ذواتا

اغصان

اغصان متشعبة من جذوع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي آلاء ربكما تكذبان وليس
فيها شي يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتان في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشا صاحبها في الاعالي والاسافل
وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل
احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا
تجريان من مخافة الله عز وجل فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب
او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين
حال من الخايفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطاينها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطاينها
كذلك فما ظنك بظواهرها وقيل ظهايرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب
ينا له القايم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شا قايما وان شا قاعدا وان
شا مضطجعا وقرى جنى بكسر الجيم فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت
انهما لكل خايف من الثقلين او لكل خايف حيث يعد ر عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الاماكن والقصور
وقيل في الالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نسا يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن
الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم
بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرى يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف
لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصيصها بالاضافة فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان اما صفة
لقاصرات الطرف او حال منها كالتي قبلها اي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان اي صغار اللولو في بياض البشرة وصفايها
وان صغار الدر انصع بياضا من كباره قيل ان الحورا تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورايها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة
البيضا فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان استيناف مقرر لمضمون ما قبله اي ما جزا
الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدا وخبر اي ومن دون
تينك الجنتين الموعودتين للخايفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان ما ذكر تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار
والتوبيخ اي خضراوان يضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين ه
المنبسطة على وجه الارض على الاوليين الاشجار والفواكه فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالما
والنضخ اكثر من النضح بالحا المهملة وهو الرش فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الاخيران على الفاكهة
عطف جبريل وميكال على الملايكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذا والرمان فاكهة ودوا وعن هذا قال ابو حنيفة رضي الله
عنه من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان
كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرى على
الاصل حسان اي حسان الخلق والخلق فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات مقصورات في الخيام قصرن
في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة
فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كالذي مر من نظيره في جميع الوجوه فباي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما يدل على
الاسرة من عالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وقيل الوسايد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف وقيل
لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب

انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شي عجيب والمراد بالجنس ولذلك وصفه بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على احد الوجهين وقرى على رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر اسم البلد **فباي الاء ربكما تكذبان** وقوله تعالى **تبارك اسم ربك** تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من الاية الفائضة على الانام اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبي عن افاضة الالاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال ❁ الى الحول ثم اسم السلام عليكما ❁ **ذي الجلال والاكرام** وصف به الرب سبحانه وتعالى تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرى ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرحمن فقد ادى شكر ما انعم الله سبحانه وتعالى عليه

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبي عن الهول والفظاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى **ليس لوقعتها كاذبة** اي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى وتكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعافية اي ليس لاجل وقعتها وفي حقها كذب اصلا بل كل ما ورد في شانها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى **خافضة رافعة** خبر مبتدا محذوف اي هي خافضة لاقوام رافعة لاخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقيا الى الدركات ورفع السعدا الى الدرجات ومن زلزلة الاشيا وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السما كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرى خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى **اذا رجت الارض رجا** اذا زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بنا وجبل متعلقة بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت **وبست الجبال بسا** اي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت الجبال وقرى رجت وبست اي ارتجت وذهبت **فكانت** اي فصارت بسبب ذلك **هبا** غبارا **منبثا** منتشرا **وكنتم** اما خطاب للامم الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط **ازواجا** اي اصنافا **ثلاثة** فكل صنف يكون مع صنف اخر في الوجود او في الذكر فهو زوج وقوله تعالى **فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة** تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها وقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدا وقوله ما اصحاب الميمنة خبر على ان ما الاستفهامية خبر لما بعده خبره والجملة خبر للاول والاصل ما هم اي اي شي هم وحالهم وصفتهم فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والمراد تعجيب السامع من شان الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال واصحاب المشامة في نهاية سوء الحال وتكلموا في الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشامة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يوتون صحائفهم بايمانهم والذين يوتونها بشمائلهم وقيل الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمن اصحاب الشوم فان السعدا ميامين على انفسهم بطاعاتهم والاشقيا مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى **والسابقون السابقون** هو القسم

الثالث

الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وايا ما كان فالجملة مبتدا وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابي النجم ❁ انا ابو النجم وشعري شعري ❁ وفيه من تفخيم شانهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل السابقون الى طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته والسابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد للايذان مع قرب العهد بالمشار اليه ببعد منزلتهم في الفضل ومحل الرفع على الابتدا خبره ما بعده اي اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل **المقربون** اي الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظاير القدس نفوسهم الزكية هذا الظاهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل واشهره والذي تقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتدا محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب المشامة وكذا قوله تعالى والسابقون فان المعنى المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسناده اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة واخر اصحاب المشامة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين منبية عن تراخي احوالهما في الخير والشر انبا اجماليا مشعرا بان احوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتدا وما بعدها خبرها على ما رواه سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونه مبتدا وكذا الحال في ما اصحاب المشامة واما القسم الاخر فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدا والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدا ثان او بدل من الاول وما بعده خبر له او للثاني والجملة خبر للاول وقوله تعالى **في جنات النعيم** متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان اخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرى في جنة النعيم وقوله تعالى **ثلة من الاولين** خبر مبتدا محذوف اي هم امة جمة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن ادم الى نبينا عليهم الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الانبيا العظام **وقليل من الاخرين** اي من هذه الامة لا تخالفه قوله صلى الله عليه وسلم ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية تابعي هؤلا من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لان كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا تنافي اكثرية احدهما من الاخر وسياتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والاخرين ههنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتاخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر **على سرر موضونة** حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر اخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج **متكئين عليها متقابلين** حال من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم الى اقفا بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب **يطوف عليهم** حال اخرى او استيناف اي يدور حولهم للخدمة **ولدان مخلدون** اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات يثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه وعن الحسن رضي الله عنه وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة **باكواب** بانية لا عرى لها ولا خراطيم **واباريق** اي انية ذات عرى وخراطيم **وكاس من معين** اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكاس لانها لا تسمى كاسا الا اذا كانت مملوة **لا يصدعون عنها** اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرى لا يصدعون ولا ينزفون كقوله يومئذ يصدعون وقرى لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم

بعضهم بعضا ولا ينزفون اي لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه
وياخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ بحوم طير وحور عين بالرفع عطفا على ولدان او مبتدا محذوف
الخبر وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة وحور او على اكواب لان معنى
يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب بالنصب اي ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزا
بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزا باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزا لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تاثيما
اي ولا نسبة الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تاثيم ولا اسماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما سلاما
بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقول سلاما سلاما والمعنى
انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا سلاما الاسلام الاخر بدا او ردا وقرئ
سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجب من حالهم
وقد عرفت كيفية سبكها محلها اما الرفع على انها خبر للمبتدا او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول
خبر ثان للمبتدا او خبر لمبتدا محذوف والجملة استيناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب اليمين من علو الشان اي هم في سدر غير ذي
شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كانه خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثني
وهو رطب وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة
منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرا وطلع
وما شان الطلح وقرئ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها فان القران لا يهاج ولا يحول وعن ابن عباس نحوه وظل ممدود
ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اين ما شاؤا وكيف ما ارادوا
بلا تعب او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود كانه قيل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب
اليمين باكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في
وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن تناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة
كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الى اخره كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة
على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المراة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم في ظلال
على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشاناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفراش التي هي المضاجع
عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدانا خلقهن ابتداء جديدا او ابداعهن من غير ولاد بدا او اعادة وهي في الحديث هن اللواتي قبضن
في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستوا كلما اتوهن ازواجهن وجدوهن
ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا اترابا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ
عربا بسكون الرا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين متعلقة
بانشانا او بجعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساوله في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب
اليمين او خبر مبتدا محذوف اي من اصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهو بعيد بل هو خبر
مبتدا محذوف خمت به قصة اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الاخرين وقد مر الكلام فيها وعن ابي العاليه ومجاهد
وعطا والضحاك ثلة من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة في اخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن
ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي واصحاب الشمال شروع في تفاصيل
احوالهم التي اشير عند التنوع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى ما اصحاب الشمال
عين ما فصل في نظيره وكذا قوله تعالى في سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ الى المسام والحميم الما المتناهي في الحرارة وظل من يحموم

من

من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما في الجملة سمي بذلك ظلا ثم نفي عنه وصفاه البرد والكرم الذي
عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل
ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من
الماكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على
الحنث العظيم اي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون
لغاية عتوهم وعنادهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم
التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا
لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا تعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس
لتخصيص انكاره به فانهم ينكرون الاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث لتوجهه اليه في حالة
منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتاكيد النكير وتحلية الجملة بان لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما عسى يتوهم من ظاهر
النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب
الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما
بل كونهم بعرضية ذلك واستعداده ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر
وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى او اباؤنا الاولون لتاكيد النكير والواو للعطف على المستكن
في لمبعوثين وحسن ذلك الفصل بالهمزة يعنون ان بعث ابائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ او اباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا
للحق ان الاولين والاخرين من الامم الذين من جملتهم انتم واباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث
ابائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما
وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم
للتراخي زمانا او رتبة المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لاكلون بعد البعث والجمع ودخولهم من شجر
من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلق بمضمر
هو وصف لشجر اي كائن من زقوم فمالئون منها البطون اي بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريب من الحميم
اي الماء الحار في الغاية وتانيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم
وقيل للاكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله فكذبوا عبدنا اي لا يكون شربكم شربا معتادا
بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيما وقيل الهيم الرمال على انه جمع
الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع
والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا منه بطونهم وهو في غاية المرارة والحرارة سلط
عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي هو يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر
وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب هذا الذي ذكر من انواع العذاب نزلهم يوم الدين اي يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد
للنازل مما حضر فما بالك ظنك بما لهم بعد ما استقر بهم القرار واطمانت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم
بسكون الزاي تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله
تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التخصيص على ما
قبلها اي فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل لا يساعده بل ينبي عن خلافه ليس من التصديق في شي وقيل بالبعث استدلالا
بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا افرايتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام من

النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها أأنتم تخلقونه اي بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصله
ومجي الخالقون بعد نحن بطريق التاكيد لا بطريق تقدرونه وتصدرونه بشرا سويا أم نحن الخالقون له من غير دخل شيء فيه
وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجي الخالقون بعد نحن
بطريق التاكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما
تقتضيه مشيتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا وما نحن بمسبوقين اي انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا
يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال
الحسن رضي الله عنه اي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فمن هذا شانه كيف يعجز
عن اعادتكم وقيل المعنى ما يسبقنا احد فيهرب من الموت او تغيير وقته وعلى ان نبدل الى اخره اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير
وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشاة الاولى اي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة ادم
عليه السلام من تراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشاة الاخرى حسبما فانه اقل صنعا بحصول
المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال فيه دليل صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا كل العجب
للمكذب بالنشاة الاخرى وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور افرأيتم ما تحرثون
اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف ام نحن الزارعون اي المنبتون لا انتم والكلام
في ام كما مر انفا لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازته غلاله فظلتم بسبب
ذلك تفكهون تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على
ما اقترفتم لاجله من المعاصي فتحدثون والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكهون تندمون
وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو
الهلاك وقرئ ائنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اي قائلين او
تقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولا مجدودون افرأيتم الماء الذي
تشربون عذبا فراتا وتخصيصه بهذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به أأنتم انزلتموه من
المزن اي من السحاب واحده مزنه وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا
زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ها هنا مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم و
المشروب في الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستانفتان مسوقتان لبيان ان عصمته تعالى للزرع والماء عما
يخل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى فلولا تشكرون تحضيض على شكر الكل
افرأيتم النار التي تورون اي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد أأنتم انشأتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار
ام نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبي عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من
الغرابة الفارقة بينها وبين الاشجار سائر الاشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر كذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استيناف
مبين لمنافعها اي جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم
او تذكرة وانموذجا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من نار
جهنم وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس بابدع من اخراج النار من الشيء الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون
القوى وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح
بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت مزاودهم وبطونهم من الطعام وهو بعيد لعدم اختصاصها بهم ويستخدم

فيما لا يوكل الا بالطبخ وتاخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروي والفاء في قوله تعالى فسبح باسم
ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له تعالى عما
يقوله الجاهلون بوحدانيته تعالى الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة
قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابقة اي فاحدث التسبيح باسم ذكره بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم
للشيء ذكر له والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم اذ اقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم
بحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلاقسم او فلا رد الكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من
ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فياباه تعيين المقسم به وتفخيم شان المقسم به بمواقع النجوم
اي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير ولان
ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى في
ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها وقوله
تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض قسم به للمبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتاكيده حيث
اعترض بقوله وانه لقسم بين المقسم وجوابه الذي هو قوله تعالى انه لقران كريم اي كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم
المهمة في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى او بقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف والصفة
وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اي لعظمتموه او لعملتم بموجبه في كتاب مكنون اي مصون
من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين
الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوصار الاوزار او للقران فالمراد هم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا
بمعنى النهي اي لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه
ولا يسلمه اي لا ينبغي ان يمسه الا من كان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون وقرئ المتطهرون
والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم تنزيل من
رب العالمين صفة اخرى للقران وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا افبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته
الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القران الكريم انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا
يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم
انكم تكذبون اي تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى
من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم الى اخره تبكيت مبني على تكذيبهم بالقران فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى ههنا من القوارع الدالة
على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم ومن حيث شرابهم وسائر اسباب معايشهم كما سيقف عليه ولولا للتحضيض
لاظهار عجزهم واذا ظرفيه اي فهلا اذا بلغت النفس اي الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها
الحاضرون حول صاحبها تنظرون الى ما فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله الا ما
تشاهدونه من اثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شيء منها ونحن المتولون
لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى فلولا ان كنتم
غير مدينين اي غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم فاستعبدهم نظرا الى قوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان
التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اي النفس الى مقرها هو العامل في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى
والثانية مكررة للتاكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا

ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين في اعتقادكم فان عدم تصديقهم بما القيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى الموجب مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين الى اخره شروع في حال بيان المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اي فاما ان كان الذي بين حاله من السابقين من الارواح الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق وجنة نعيم اي ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف احد منبئ عن شانهم سواه كما ذكر للفريقين الاخرين وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لاحكاية انشاء السلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بالسبب لما ابتلوا به من العذاب فنزل اي فله نزل كائن من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اي ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة الكريمة لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقيته ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشانه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك به والتكذيب باياته الناطقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا او قولا او عملا لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض اذا ذهب وابعد فيها وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في اية الكرسي اريد به معنى عام مجازي يتناول ما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل على امكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود والمتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وتسبحوه فاللام اما مزيدة للتاكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اي فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان من حق شانه التسبيح الاختياري ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملا الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو العزيز القادر الغالب الذي لا ينازعه ولا يمانعه شيء الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والارض اي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه ومما لا نعلمه وقوله تعالى يحيي ويميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ في القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات لما انه مبدعها ومبدئها والاخر الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية والظاهر وجوده لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقته فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بها والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج

في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه في سورة سبا وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتاخيره عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات والارض تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا كما مر جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اي مبالغ في العلم بذات الصدور اي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء عمن كان قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين امنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى لكذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء محقق قد انكر ونفي سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيه بان المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني الخ فيكون مضمون الجملة الحالية مفروض قطعا فان امر العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه قوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه هو الذي ينزل على عبده ايات بينات واضحات ليخرجكم اي الله تعالى او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الايات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المامور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان تكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانكار اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء خروج ما في السموات والارض من اموال الاخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في الايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل يبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين للانفاق بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلوا من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك

اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون
بذينك النعتين الجليلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق
والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهولاء فعلوا
ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى النفس والقتال وكلا اي وكل واحد من الفريقين وعد
الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله تعالى الى اخره والله بما
تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الاية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من امن واول من انفق في
سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف منه على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ
من الله تعالى الى الانفاق في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في
سبيله تعالى رجاء ان يعوضه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له
بالنصب على جواب الاستفهام واعتبار المعنى كانه قيل يقرضه الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم
اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف
اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب يوم
ترى المومنين والمومنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم
وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هداهم وبايمانهم
كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القران وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله
ينطفي تارة ويلمع اخرى يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول
هو حال او استئناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول
المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المومنين
يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب ترف بهم وهولاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا
بهم من جهة المومنين او من جهة الملائكة قيل ارجعوا وراءكم اي الى الموقف فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا
فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسرين والتمسوا نورا اخر وقد علموا ان لا
نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور
اي حائط والباء زائدة له باب باطنه اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف
الذي يلي النار من قبله من جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استئناف مبني على السوال كانه قيل فماذا يفعلون
بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل الم نكن في الدنيا معكم يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا
بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمومنين الدوائر وارتبتم في امر الدين وغرتكم الاماني
الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اي الموت وغركم بالله الكريم الغرور اي غركم الشيطان
بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يوخذ منكم فدية فداء وقرئ توخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا

وباطنا ماواكم النار لا تبرحونها ابدا هي مولاكم اي اولى بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم
اي مكان لقول القائل انه لكريم او مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها وبئس المصير اي النار الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استئناف ناع عليهم تثاقلهم
في امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي ان المومنين كانوا مجدبين بمكة
فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المومنين
فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من وقت نزول القران اي الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكر الله تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى
طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من ان يئين بمعنى
انى وقرئ الما يان وفيه دلالة على ان المنفي متوقع وما نزل من الحق اي القران وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا
فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله انما المومنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف
على العمل بما فيه من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا
للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو
نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا
التوراة والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اي الوقت الاطول
وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تاتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون
اي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب
القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الايات
التي من جملتها هذه الايات لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين
والمصدقات اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا رسوله
واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين
وعقب بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبي وهو المصدقات واجيب بان المعنى من غير فصل وقيل ان المتصدقات ليس بعطف
على المتصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما
تقول ان الذين امنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن المصدقين على ان المدار التخصيص مزيد استحقاقهن
لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى المتصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي انه صلى
الله عليه وسلم قال يا النسا تصدقن فاني رايتكن اكثر اهل النار وقيل هو صلة الموصول محذوف معطوف على المصدقين
كانه قيل والذين اقرضوا الله والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة
يضاعف لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي ثواب
التصدق وقرئ على البناء للفاعل اي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم مر ما فيه من الكلام
والذين امنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول الذي هو
مبتدا وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدا ثان وقوله تعالى هم مبتدا ثالث خبره
الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للاول وهم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اي اولئك عند
ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل
الله تعالى او هم المبالغون في الصدق حيث امنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم

بالايمان او على الامم يوم القيامة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة
من مبتدا وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول والخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول
للموصول والاخيران للمصدقين والشهدا اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه
تشبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهدا وليست المماثلة بين ما للفريق الاول
من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخرين بل بين تمام الاول من الاصل والاوصاف وبين ما للاخرين بدون الاضعاف واما
على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم
وقد قيل الشهدا مبتدا وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم الى اخره والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك الموصوفون
بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والاولاد بعد ما تبين حال الفريقين في الاخرة شرح حال الحياة الدنيا التي اطمانت بها الفريق الثاني
واشير الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلا فضلا عن الاطمينان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة
الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته
فتراه مصفرا بعد ما رايته ناضرا مونقا وقرى مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب
عليه رويته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف
وقيل الضمير على الحالية من الضمير في لعب وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحياة الدنيا كمثل
الى اخره وبعد ما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى فخامة شان الاخرة وعظم ما فيها من اللذات
ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الاخرة عذاب شديد لانه من نتايج
الانهماك فيما فصل من احوال الحياة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور اي لمن اطمان بها ولم يجعلها ذريعة الى الاخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن الاخرة
فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اي سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في
المضمار الى مغفرة عظيمة كاينة من ربكم اي الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السما والارض اي كعرضها
جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على
التحلية اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك
الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاوه يوتيه تفضلا واحسانا من يشا ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل
العظيم ولذلك يوتي من يشا مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزرع
والثمار ولا في انفسكم كمرض وافة الا في كتاب الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان نبراها اي نخلق
الانفس والمصايب والارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنايه فيه عن العدة والمدة لكيلا تاسوا
اي اخبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا ولا تفرحوا بما اتاكم اي اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر
يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو ات وقرى بما اتاكم من الاتيان وفي
القراة الاولى اشعار بان فوات النعم تلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاوها فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها
وقرى بما اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى
والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص
التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذانا بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان
المختال بالمال يضن به غالبا ويامر غيره او مبتدا خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فان معناه

ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشي من نعمه وفيه
تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرى فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملايكة الى الانبيا والانبيا الى
الامم وهو الاظهر بالبينات اي بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط
اي بالعدل روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل انه تدبر به العدل
ليقام بالسياسة ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل ادم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشيا من حديد السندان
والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل
لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السما وقوله تعالى فيه باس شديد لان الات الحروب انما تتخذ
منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد التها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره
ورسله عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزا من
ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وساير الاسلحة في مجاهدة اعدايه او متعلق بمحذوف موخر والواو اعتراضية اي
وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله
اي غايبا منهم او غايبين منه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز اعتراض تذييلي جي به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم
للقتال ليس لحاجته في اعلاء دينه واظهار كلمته الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر الى الثواب والا فهو غني بقدرته
وعزته عنهم في كل ما يريده ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا الى اخره وتكرير
القسم لاظهار مزيد الاعتنا بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبانا بعضهم واوحينا اليهم
الكتب وقيل المراد بالكتب الخط بالقلم فمنهم اي من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى
الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال
وكثرتهم ثم قفينا على اثارهم برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى
انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من
الذرية واتيناه الانجيل وقرى بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة وقرى
رافة على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحما بينهم ورهبانية منصوب
اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي وجعلنا في قلوبهم
رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة
بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخايف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرى
بضم الرا كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المومنين بعد رفع
عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية
في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم جملة مستانفة وقيل صفة اخرى لرهبانية
والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغا رضوان الله استثنا منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم راسا
ولكنهم ابتدعوها ابتغا رضوان الله فذمهم جميعا بقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه
لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثنا متصل من اعم العلل اي ما كتبناها عليهم
بان وفقناهم لابتداعها لشي من الاشيا الا ليبتغوا رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها
حق رعايتها فما رعوها كلهم بل بعضهم فاتينا الذين امنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية
رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر اجرهم اي ما يخصهم من الاجر وكثير منهم

فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي الاطلاق ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بل على انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء في قوله تعالى ان لا يقدرون على شيء من فضل الله مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم ياتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب والمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا يعلم بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وتكسير اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وان الفضل بيد الله الى آخره عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله والصديقين

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام في شانه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتجادلك اي تسائلك وتشتكي الى الله عطف على تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال ثم قال لها ما اظنك الا حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية ما اراك الا قد حرمت عليه في المراركلها فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وكلمة قد اشعار بان الرسول صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لها عندي في امرك شيء فانها كانت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى لقولها كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من وجهين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسئلة

ومبالغتها

ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته صلى الله عليه وسلم اياها بجواب مبني على التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع راسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتاكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى الذين يظهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في سورة الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من ظاهر ويتظاهرون ويتظهرون وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات وازواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجة فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد ليس صدور القول فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون تلك القولة المنكرة ثم يعودون لما قالوا اي لما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى يتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح فتحرير رقبة اي فتداركه او فعليه اي فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود والاستمتاع فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستانف عند ابي حنيفة رحمه الله ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدا خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات من اخر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكر بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطا فمن لم يستطع اي الصيام بسبب من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من شعير ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستانف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع وجعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعادين كانه يكون في عدوة

وشق غير عدوه الاخر وشقه كذلك يكون في حد غير الحد الاخر غير ان لورود المحادة في اثنا ذكر حدود الله دون المعاداة
والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراه كبتوا اي اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا
وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب كما كبت الذين من
قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا ايات بينات حال من الواو في كبتوا اي كبتوا لمحادتهم
والحال انا انزلنا ايات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل ايات تدل على صدق الرسول
صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الايات او بكل ما يجب الايمان به فتدخل فيه تلك الايات دخولا اوليا
عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما
لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان
صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشاة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا
العذاب بهم وقوله تعالى احصاه الله استئنافا وقع جوابا عما نشا مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل
كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شيء فقوله تعالى ونسوه حينئذ حال
من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المذكور او قيل لم ينبئهم بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا
ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه
امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد
على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم
علما يقينيا مناخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية وقوله تعالى ما يكون
من نجوى ثلاثة الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون باعتبار تانيث
النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر اي من مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير
مضاف اي من اهل نجوى ثلاثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى
يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين
بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الاية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك
فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ اكثر بالرفع عطفا
على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب
مكان حتى يتفاوت بقرب الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبيهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب
عذابهم ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده
واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم
في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم وذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة بين الخطابين
المتوجهين اليه صلى الله عليه وسلم لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ه
ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول
وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم
جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم

والعدوان

والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وقرئ فلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر
والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي اليه تحشرون
وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تاتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان
من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر اخر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم
انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي
بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فان الله تعالى يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم
تفسحوا اي توسعوا ليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجلس متعلق بقيل
وقرئ في المجالس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه صلى الله عليه
وسلم وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل ياتي
الصف ويقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا في جلوسكم
ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا
قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلاة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا
تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف الجنان في
الاخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثرى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي العمل
المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شاوه العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح يقتدي بالعالم في افعاله ولا يقتدي بغيره
وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ
يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته صلى الله عليه وسلم ه
فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم
وانتفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب
او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى ااشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله
اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب
محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم
واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم منبئ عن الوجوب
لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق ااشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي اخفتم الفقر من تقديم
الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم وشق
عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوا وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم من الانفعال
ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلاة واتوا
الزكاة اي اذا فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة واطيعوا الله
ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجيب من
حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي الم تنظر الى الذين تولوا اي
والوا قوما غضب الله عليهم اي اليهود كما انبا عنه قوله تعالى لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون
بين ذلك والجملة مستانفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في
حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرار الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل

يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر
عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي انه صلى الله عليه وسلم كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب
جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق العين فقال له صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت و
اصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجا باصحابه فحلفوا بالله تعالى ما سبوه فنزلت اعد الله
لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء
العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل
الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم والاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة
الاولى فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المواخذة لا عن استعمالها
بالفعل فان ذلك متاخر عن المواخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المواخذة وعن سببها
ايضا كما تعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف
امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهو عذاب الاخرة لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة باموالنا وانفسنا
واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون لا يخرجون منها
ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون
لكم في الدنيا ويحسبون في الاخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا
يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون المبالغون في الكذب الى غاية ما
وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروج عند الغافلين
استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم من حاذ الابل اذا استولى عليها وجمعها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب
واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان
عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين اي في جملة من
هو اذل خلق الله من الاولين والاخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الاخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية
كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استئناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى
القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة والسيف وما يجري مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه
عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد وتجد اما متعد
الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصيصه بالصفة وقيل
صفة اخرى له اي قوما جامعين على الايمان بالله واليوم الاخر وبين موادة اعداء الله تعالى ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة
على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو كانوا اي من حاد الله ورسوله والجمع
باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها اباءهم اي اباء الموادين او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان
بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر مرارا على التفصيل اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب
الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره كتب الله في قلوبهم الايمان اي اثبته
فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان الجزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه

وايدهم

وايدهم اي قواهم بروح منه اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان
لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الى اخره بيان لاثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم
في الاخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها الابدين وقوله تعالى رضي الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض
عليهم من اثار رحمته العاجلة والاجلة وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا واجلا وقوله تعالى اولئك حزب
الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة
النشاتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التاكيد كما مر في مثلها والله اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة
كتب من حزب الله يوم القيامة والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض

وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وتكرير الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال
كل من الفريقين بالتسبيح روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون
عليه السلام لما نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه
فلما ظهر صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا انه هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا
ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله صلى الله عليه وسلم فامر صلى الله عليه
وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاع ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه
صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم
فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين
ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات
على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا
بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير وقوله تعالى هو الذي
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض اثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة
القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع
مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم
على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج ٭ كانه في الجلد توليع البهق ٭ كما هو المشهور
كانه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الى اخره ففيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى
لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام هذا اول حشرهم واخر حشرهم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء وهم اول
من اخرج من جزيرة العرب الى الشام وهذا اول حشرهم واخر حشرهم اجلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام
وقيل اخر حشر يكون يوم القيمة لان الحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون ان يخرجوا من ديارهم لغاية الذل والهوان لشدة
باسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من باس الله وتغيير النظم بتقديم
الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي
معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فاتاهم الله اي امر الله
تعالى وقدره المقدور لهم من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وقل شوكتهم
وسلب قلوبهم الامن والطمانينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فاتاهم العذاب او النصر

وقذف في قلوبهم الرعب اي اثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملوها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب
والحجارة افواه الازقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض الاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل وايدي
المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لانهم السبب فيه
فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل وترك
الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي اليه
الافكار واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد
الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موضعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج
من اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استيناف
غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الاخرة ذلك اي ما حاق بهم وما سيحيق
بانهم بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبايح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في الانفال ه
والاقتصار على ذكر مشاقة الله تعالى لتضمنها لمشاقة صلى الله عليه وسلم وليوافق قوله تعالى فان الله شديد العقاب وهو اما نفس
الجزاء قد حذف عنه العايد الى من عنده من يلزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما
كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل
والاجل بسبب مشاقتهم الله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذا لهم عذاب شديد ما
قطعتم من لينة اي اي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كريمة وتجمع على الوان وقيل من
اللين وتجمع على لين وهي النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير ان يتعرضوا لها بشيء وقرئ على اصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع
كرهن وقرئ قايما على اصله ذاهبا الى لفظ ما فباذن الله فذاك اي قطعها او تركها بامر الله تعالى وليخزي الفاسقين اي وليذل
اليهود وليغيظهم اذن في تركها وقطعها لانهم اذا راوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حيث ما شاؤا من الترك
والقطع يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم وحرق زروعهم زيادة لغيظهم
وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم
اشد وقوله تعالى وما افاء الله على رسوله شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل
او الاجل وما فعل بديارهم ونخلهم من التخريب والقطع او ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون له صلى الله
عليه وسلم وانما وقع في ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به
الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اي من بني النضير فما اوجفتم عليه اي فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف
وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب هي ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانما يسمونه
فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها من شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا
شديدا وذلك لانه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيها راكب الا النبي صلى الله عليه وسلم فافتتحها
صلحا من غير ان يجري بينهم مسابقة كانه قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء اي سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي صلى الله عليه وسلم على
هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان يقتحموا مضايق الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في اموالهم والله على كل شيء قدير
فيفعل ما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للمصارف الفيء
بعد بيان افائه عليه الصلاة والسلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل

القرى

القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم ايضا فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن ه
السبيل اختلف في قسمة الفيء قيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله تعالى الى عمارة الكعبة وساير المساجد وقيل يخمس لان
ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء
والان على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهو ما
يدول للانسان اي يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بالكسر او بالضم
في المال وبالفتح في النصرة اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون اي كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الروساء منهم
كانوا يستاثرون الغنيمة ويقولون من عزبز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالمعرفة لما يعترف فالمعنى كيلا يكون الفيء
شيئا تداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم
او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل
من المعاني وما اتاكم الرسول اي ما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه فانه حقكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم
عنه عن اخذه او عن تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته صلى الله عليه وسلم ان الله شديد العقاب فيعاقب
من يخالف امره ونهيه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمى فقيرا
ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فيعسف ظاهر الذين
اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واخرجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها يبتغون فضلا
من الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى الرزق في الدنيا ومرضاة في الاخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج
من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة
اي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واي نصرة
اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا ه
والذين تبوؤا الدار والايمان كلام مستانف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص
الفيء بهم احسن رضى واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة
المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال ع علفتها تبنا وماء باردا ه
وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة
بالايمان لكونها مظهرة ومنشاه من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين على المعاني الاول او من قبل تبوء المهاجرين على الاخير ويجوز ان
يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعاني الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره
واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ
لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا
يجدون في صدورهم اي في نفوسهم حاجة اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة
كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون اي يقدمون المهاجرين على انفسهم
في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امراتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اي
حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف
والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم

وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم
فيها فنزلت وهذا صريح في أن قوله تعالى والذين تبوؤا الدار إلى آخره مستأنف غير معطوف على الفقراء المهاجرين نعم يجوز عطفه
على أولئك فإن ذلك إنما يستدعي شركة الأنصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا
مقررا لصدقهم أو حالا من ضمير تبوؤا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ به أيضا اللؤم وإضافته إلى النفس لأنه
غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل أي ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض
الإنفاق فأولئك إشارة إلى من باعتبار معناها هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض
وارد لمدح الأنصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد والذين جاءوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعدما قوي الإسلام أو هم
التابعون بإحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة ولذلك قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وأياما كان
فالموصول مبتدأ خبره يقولون إلى آخره والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الأخوة في الدين
والسبق بالإيمان كما أن ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الأنصار أي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولإخواننا أي في الدين
الذي هو أعز وأشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالإيمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا
وقرئ غمرا وهما الحقد للذين آمنوا على الإطلاق ربنا إنك رءوف رحيم أي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا
ألم تر إلى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة وتعجيب منها
بعد حكاية محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ
من الخطاب وقوله تعالى يقولون إلى آخره استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار
صورته واللام في قوله تعالى لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب للتبليغ والمراد بإخوانهم إما توافقهم في الكفر أو صداقتهم
وموالاتهم واللام في قوله تعالى لئن أخرجتم أي من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم أي والله
لئن أخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم أينما ذهبتم ولا نطيع فيكم أي في شأنكم أحدا يمنعنا من الخروج معكم أبدا وإن
طال الزمان ولا نطيع في قتالكم أو خذلانكم وليس بذاك لأن تقدير القتال مترقب بعد ولأن وعدهم لهم على ذلك التقدير
ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم إلى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى وإن قوتلتم لننصرنكم أي لنعاونكم على
عدوكم على أن دعوتهم إلى حرب اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها
ضرورة أنها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم وإظهار كفرهم ولا ريب في أن ما يفعله صلى الله عليه وسلم عند
ذلك قتالهم لا دعوتهم إلى ترك نصرتهم وأما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من إظهار الكفر لجواز أن يدعوا أن خروجهم معهم
لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين والله يشهد إنهم لكاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالأيمان الفاجرة
وقوله تعالى لئن أخرجوا لا يخرجون معهم إلى آخره تكذيب لهم في كل واحد من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على
الإجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الأمر كذلك فإن ابن أبي وأصحابه أرسلوا إلى بني النضير ذلك سرا ثم أخلفوهم
وفيه حجة بينة لصحة النبوة وإعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الأدبار فرارا ثم لا ينصرون
أي المنافقون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين
لأنتم أشد رهبة أي أشد مرهوبية على أنه مصدر من المبني للمفعول في صدورهم من الله أي رهبتهم منكم أشد من رهبة الله
في السر أشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فإنهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله ذلك أي ما ذكر من كون رهبتهم
منكم أشد من رهبة الله بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون أي شيئا حتى يعلموا عظمة الله فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم أي
اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا أي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن إلا في قرى محصنة بالدروب
والخنادق أو من وراء جدر دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وبإمالة فتحة الدال

وجدر

وجدر وجدر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد استئناف مسوق لبيان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في أنفسهم
فإن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد وإنما ضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين
متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا ألفة فيها ذلك بأنهم قوم لا يعقلون أي لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن
به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحد فيقعون في تيه الضلال وتشتت قلوبهم بحرقه وتفرق فنونه وأما ما قيل من أن
المعنى لا يعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعجز عن الشداد فقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف
تقديره مثلهم أي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل أهل بدر أو بني قينقاع على ما قيل أنهم أخرجوا قبل بني النضير
قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل إذ التقدير كوقوع مثل إلى آخره ذاقوا وبال أمرهم أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم
في الآخرة عذاب أليم لا يقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل
حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فإنه خبر ثان للمبتدأ
المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين أولا وخيبتهم ثانيا وقد أجمل في النظم الكريم
حيث أسند كل من الخبرين إلى المقدر المضاف إلى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند إليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلا من المثلين
إلى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في إغوائهم إياهم على القتال
حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر أي أغراه على الكفر إغراء الآمر المأمور على المأمور به فلما كفر قال إني
بريء منك وقرئ أنا بريء منك إن أريد بالإنسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى إني
أخاف الله رب العالمين وإن أريد به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول إبليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وإني
جار لكم وتبرؤه قوله بعد إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله الآية فكان عاقبتهما بالنصب على أنه خبر كان واسمها
أنهما في النار وقرئ بالعكس وقد مر أوضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على أنه خبر ثان وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين
أي الخلود في النار جزاء الظالمين على الإطلاق دون هؤلاء خاصة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون
ولتنظر نفس ما قدمت لغد أي أي شيء قدمت من الأعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة
غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه لغد لا يعرف كنهه لغايته وأما تنكير نفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم
الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد الأول في أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الأمر
بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى إن الله خبير بما تعملون أي من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله
أي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب أوامره ونواهيه حق رعايتها فأنساهم بسبب ذلك أنفسهم
أي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يخطوا إلى ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الأهوال ما أنساهم أنفسهم
أولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي أصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار
وأصحاب الجنة الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم أصحاب النار في الذكر للإيذان من أول الأمر
بأن القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين
زيادة ونقصانا فإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل
يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور إلى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصلة المفضول والأعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الآية
الكريمة على أن المسلم لا يقتص بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر لأن المراد عدم الاستواء في الأحوال الأخروية
كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى أصحاب الجنة هم الفائزون فإنه استئناف مبين
لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه لو أنزلنا هذا القرآن العظيم الشأن

المنطوي على فنون القوارع على جبل من الجبال لرايته مع كونه علما في القسوة وعدم التاثر مما يصادمه خاشعا
متصدعا من خشية الله اي متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القران وقيل تاثير ما فيه من
المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشيه
عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية
واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم له
والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز الاعتنا بامر التوحيد الملك القدوس
البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهي لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن
واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن بقلب همزته ها العزيز الغالب
الجبار الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر احوالهم او اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبريا والعظمة
سبحان الله عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه
تعالى في شيء منها شيء ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشيا على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريا من التفاوت وقيل المميز
بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسما الحسنى لدلالتها على المعاني الحسنة
يسبح له ما في السموات والارض ينطق بتنزهه تعالى عن جميع النقايص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها
مع كثرتها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا نزلت
في حاطب ابن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان لها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل
مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمه فجحدت فسل علي رضي الله عنه سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني
كنت امرا ملصقا في قريش ليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم بالمودة على ان البا زايدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا
او صفة لاوليا وابراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل او استيناف وقد كفروا بما جاكم
من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاكم اي كفروا لاجل ما جاكم بمعنى جعلوا ما هو
سبب الايمان سبب الكفر يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استيناف مبين لكفرهم وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ان تومنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغايب والتفات من التكلم
الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي متعلق بلا
تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعداي ان كنتم اوليايي وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ
اي تسرون اليهم بالمودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم اي والحال اني اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي على ما
تسرون فاي طايل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والبا مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفا على الاعلان قد مر وجهه
في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد ضل سوا السبيل فقد اخطا طريق الحق والصواب ان

يثقفوكم اي ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعدا اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسو بما يسوكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقيق
ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاباة
عليهم يوم القيمة بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استينا فلتخطية ان عدم نفع الارحام والاولاد وتوضيف اي يفرق الله بينكم
بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الاخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله تعالى
لمراعاة حق من هذا شانه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ويفصل ونفصل بالنون
والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة حقيقة بان يوتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابراهيم
والذين معه اي من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند
من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف خبر لكان لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم
او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبالهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضا ابدا اي هذا دابنا معكم لا نتركه حتى تومنوا بالله وحده
وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينيذ ولاية والبغضا محبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثنا من قوله
تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جايزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم
نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان يوتسى به اصلا اذ المراد به مما يجب الايتسا به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سياتي
من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناوه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعا الايمان والمغفرة للكافر
المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثنا عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره له
عليه السلام لابيه الكافر مما ينبغي ان يوتسى به بانه كان قبل النهي لاستغفاره عليه السلام له وابنائه عن كونه موتسى به لم بينه عنه
وكلاهما بين البطلان لما ان مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل
ذلك قطعا وان ما يوتسى به ما يجب الايتسا به لا يجوز فعله في الجملة وتجويز ان يكون استغفاره له عليه السلام بعد النهي كما هو المفهوم من
من ظاهر قوله لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له او بتوجيه الاستثنا الى العدة بالاستغفار الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي
الاية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم لقوله تعالى سأستغفر لك ربي
لورودها على طريق التوبة وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل ليه
لورودها لاستغفرن لك فمورد الاستثنا نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا
للامر الى الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير الى اخره من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه
من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير الى الله تعالى قالوه بعد المهاجرة وفسر العصا التجا الى الله
تعالى في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم
علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ربنا ما فرط منا من الذنوب انك انت العزيز الغالب الذي لا يذل من التجا اليه ولا يخيب
رجا من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجوار وهذا ما جعل الاثنين لقنتنا
للمومنين من جهته تعالى ليوامروا بما امرهم بان يتوكلوا وينيبوا اليه ويستعيذوا من فتنة الكفرة ويستغفروا ما فرط منهم تكملة لما وصاهم
به من قطع العلايق بينهم وبين الكفرة فلا يباعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة
في الحث على الايتسا به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر بدل من لكم فايدته الايذان بان
من يومن بالله واليوم الاخر لا يترك الاقتدا بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبي عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اقاربكم المشركين مودة بان يوافقوكم في
الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما راى منهم من التصلب في الدين والتشدد في معاداة ابايهم وسابر اقربايهم ومقاطعتهم اياهم

بالكلية تطيبا لقلوبهم ولقد نجز وعده الكريم حين اباح لهم ذلك الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم
والله قدير اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقلب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم
من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن البر هؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اي تقضوا
اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت
ابي بكر رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها
وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما
ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها ان
تولوهم بدل اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن ان تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع
العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين آمنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين اذا
جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان يروى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى
ارض بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان
مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وبلغه طاقتكم بعد الابتلاء والتي من الاستدلال بالعلامات والدلايل والاستشهادات بالامارات
والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن
الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتاكيد الحرمة او لان الاول
لبيان حال النكاح الجديد وآتوهم ما انفقوا اي واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح
الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل
زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت علينا ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت
لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق
وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن
شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة ولا علقة زوجية
قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها وعن
النخعي رحمه الله هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا
بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التاءين من تتمسكوا واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا
ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله الذي ذكر حكم الله وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف
الضمير اي يحكمه الله اي جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت
الآية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر
الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد
من ازواجكم وقرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم او شيء من مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم
اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى
بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة التي تزوجتموها
ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم واصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم

وتعقبتم

650

وتعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وبفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين ست نسوة ام الحكم
بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضي التقوى منه تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اي مبايعات لك اي قاصدات
للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه صلى الله عليه وسلم لما فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيئا اي شيئا من الاشياء
او شيئا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به وأد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها
ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك في معروف اي فيما تامرهن به من معروف وتنهاهن عنه من
منكر والتقييد بالمعروف مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق
وتخصيص الامور المعدودة بالمنكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح
امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن
على المضارعة الهاء مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة لما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من
قبله صلى الله عليه وسلم مقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن
اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته صلى الله عليه وسلم لهن يومئذ فروي انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة
الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضي الله عنه اسفل منه فجعل صلى الله عليه وسلم يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه
كلف امراة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وروي انه صلى الله عليه وسلم بايعهن وبين
يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط
الا بما امر الله تعالى وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما
وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا
اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم عامة الكفرة وقيل
اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها
او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس
منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال
الياس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهر في موضع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم والله
سبحانه وتعالى اعلم بحالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز
الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من
ان النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا من الاخلال وروي انهم قالوا يا رسول الله لو علمنا احب الاعمال
الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام
ان ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن
فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا
وقيل كان رجل اذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان

تهكم بهم وبايمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولو مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالها
معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناهما لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة
عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا
يحسبونه معروفا ولو قيل لم تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو
المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون
مقت خالص لا يشوب فيه كبر عند من يحقرونه كل عظيم وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى
بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما يقوله المتمدح وانتحله المنتحل وادعاه المنافق
فان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بالفتح ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول
ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى
مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام
مستانف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي
واذكر لهم لا للمعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل بدلهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي
كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا امره وعصوا اشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الى قوله
فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون واصروا على ذلك واذوه عليه السلام كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اي بالمخالفة والعصيان
فيما امركم به وقد تعلمون اني رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة
على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بشهادة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم
من ملكته اني رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والاخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما
زاغوا اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب
لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة
ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لان الهداية موصلة
الى ما يوصل اليها واقعة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به
او جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا وايا ما كان فوصفهم بالفسق نظرا الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم
كانوا يؤذونه عليه السلام بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود اياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر
وطلبهم رؤية الله عز وجل جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله تعالى وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم
اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في
قوله تعالى اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم
اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة في
التوراة والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور
العمل اي ارسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التوراة ومبشرا بمن ياتي من بعدي بفتح من رسول اسمه احمد اي محمد صلى الله
عليه وسلم يريد ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي بالمعجزات
الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء به او اليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ومن
اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة

الدارين

الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله الذي هو دعاء عبادة الى الحق هذا سحر اي هو اظلم من كل
ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله
لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا
دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا ابا لك
او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي
مبلغه الى غايته بنشره في الافاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم والجملة في حيز الحال على ما مر مرارا
هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان
المخالفة له ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره
المشركون ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله وقرئ
تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف وقع جوابا عما نشأ قبله كانهم
قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الى اخره وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع
فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ امنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم اشارة الى
ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر تفسيره غير مرة خير لكم على الاطلاق او من اموالكم ومن انفسكم ان كنتم
تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم وان كنتم تعلمون انه خير لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه
احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر
او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم
بعيد لان مجرد الدلالة لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من
المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم الى هذه النعم العظيمة
نعمة اخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدا
خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدا محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر عطف على محذوف
مثل يا ايها الذين امنوا وبشر وعلى تؤمنون فانه في معنى امنوا كانه قيل امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم ايها الرسول بما
وعدتهم على ذلك عاجلا واجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله
وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله
تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة
الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصاري
الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به وكانوا اثني عشر رجلا فامنت طائفة
من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين امنوا على
عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك
القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين رسولا اي في العرب لان اكثرهم لا
يكتبون ولا يقرؤون قيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم

يتلوا عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلوا اى يحملهم على
ما يصيرون به ازكياء من مصايب العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة
وانما وسطبينهما التزكية التى هى عبارة عن تكملة النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية
الحاصلة بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب
الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرايع
وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم
من تعلمه عليه الصلاة والسلام من الغير وان هى المخففة واللام هى الفارقة واخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب فى
يعلمهم اى يعلمهم ويعلم اخرين منهم اى من الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته صلى الله عليه وسلم
وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لاخرين اى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ فى العزة والحكمة ولذلك مكن
رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذلك الذى امتاز به من بين ساير الافراد فضل الله واحسانه يؤتيه
من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذى يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الاخرة مثل الذين حملوا التوراة اى
علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اى لم يعملوا بما فى تضاعيفها من الايات التى من جملتها الايات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اى كتبا من العلم تتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل معنى المثل او صفة
للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو فى حكم النكرة كما فى قول من قال ؛ ولقد امر على اللئيم يسبنى ؛ بئس مثل القوم الذين
كذبوا بايات الله على ان التميز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل
القوم مثل الذين كذبوا الى اخره على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين
مثل هؤلاء على ان الموصول بحذف المضاف او بئس مثلا صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما فى التوراة
من الايات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدى القوم الظالمين الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق
او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اى تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الاخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا وامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اى فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة
ان كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه ان كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل
الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التى هى قرار الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون منهم والباء فى قوله تعالى بما
قدمت ايديهم متعلقة بما يدل عليه النفى اى يأبون التمنى بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار ولما كانت
اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اى بهم وايثار الاظهار
على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون فى كل ما ياتون وما يذرون من الامور التى من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة
تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من
الاحتراز عما يودى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه قوله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه
ملاقيكم فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمنى وقد قال صلى الله عليه وسلم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم وهذه احدى
المعجزات اى ان الموت الذى تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم ملاقيكم من غير صارف يلويه ولا
عاطف يثنيه والفاء لتضمن الفعل معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة اى لا يخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصى بان يجازيكم بها يا ايها الذين امنوا اذا نودى للصلاة اى
فعل النداء لها اى اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوى وكانت العرب تسميه العروبة

وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه
فنذكر الله فيه فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى واجعلوا يوم العروبة واجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم
ركعتين فذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى اية الجمعة فهى اول جمعة كانت فى الاسلام واما اول جمعة جمعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بنى عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء
والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اى السعى الى
ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الاخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اى الخير والشر الحقيقيين وان كنتم اهل
العلم فاذا قضيت الصلاة اى اديت وفرغ منها فانتشروا فى الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اى الربح فالامر
للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنايز وزيارة
اخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا
ذكره تعالى بالصلاة لعلكم تفلحون اى كى تفوزوا بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روى ان اهل المدينة
اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه
خشية ان يسبقوا اليه فما بقى معه صلى الله عليه وسلم الا ثمانية وقيل احدى عشر وقيل اثنى عشر وقيل اربعون فقال
صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل
والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة اما لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع
بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض باللهو وهو مذموم فى نفسه وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه
فحذف الثانى لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق
مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق فانه هو الرزاق عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون اى حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله
مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله
تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا
وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم
اى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والاضمار فى موقع الاظهار لذمهم والاشعار
بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم جنة اى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبى او غير ذلك
واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل
فان ذلك متاخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذها جنة لابد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء فى
قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله بانهم عنهم كما سيحكى عنهم ولا ريب فى ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم
ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ
واستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفى ساء معنى التعجب
وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول الناعى عليهم انهم اسوأ الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم فى
النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته

في السدا بانهم اي بسبب انهم آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة كساير من يدخل في الاسلام ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما شوهد منهم
من شواهد الكفر ودلايله او نطقوا بالايمان عند المومنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر
واطمانوا به وقرى على البنا للفاعل وقرى فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلا واذا رايتهم تعجبك
اجسامهم لضخامتها وبروية منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم
وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من امثاله وهم روسا المدينه وكان صلى الله عليه وسلم
ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب ويويده قراة يسمع على البنا للمفعول وقوله تعالى
كانهم خشب مسندة في حيز الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او كلام مستانف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلى الله
عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مستندة الى الحايط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير وقرى خشب على انه جمع خشبة
كبدنة جمع بدنه وقيل هو جمع خشبا وهي الخشبة التى دعر جوفها اوفسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرى خشب كمدر ومدره
يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما
يهتك استارهم ويبيح دماهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدا الاعادي العدو
والكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعك الدا الدوي والجملة مستانفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم
اصلا فان الفا في قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدا الاعدا قاتلهم الله دعا عليهم وطلب من ذاته تعالى ان
يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمومنين ان يدعو عليهم بذلك وقوله تعالى انى يوفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما هم
عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور خيانتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا روسهم اي عطفوها
استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القايل او عن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك سوا عليهم استغفرت لهم كما
اذا جاوك معتذرين من جناياتهم وقرى استغفرت بحذف حرف الاستفهام لا بقلب همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم كما اذا
اصروا على قبايحهم واستكبروا عن الاستغفار والاعتذار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر ان الله لا
يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دايرة الاستصلاح المتمكنين في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم
والاظهار في موضع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون
اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقرا المهاجرين استيناف جار مجرى التعليل لفسقهم او
لعدم مغفرته تعالى لهم وقرى حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته كان لم ينفضوا ازوادهم ولله خزاين
السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يودي الى انفضاض الفقرا من حوله صلى الله عليه وسلم ببيان ان
خزاين الارزاق بيد الله تعالى وشوونه ولكن المنافقين لا يفقهون وكذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون روي ان
جهجاه بن سعيد اجير على سنان الجهني ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي يقولون لين رجعنا الى المدينه ليخرجن الاعز منها الاذل
روي ان جهجاه للمهاجرين وسنانا للانصار فاعان جهجاه جعال من فقرا المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار
لا تنفقوا الى اخره والله لين رجعنا الى المدينه ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المومنين واسناد
القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين اي ولله الغلبة والقوة
ولمن اعزه من رسوله والمومنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد
الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينه اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال لين لم تقر لله ولرسوله وللمومنين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسول الله وعن المومنين خيرا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا
اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتنا بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل عن
الصلاة وساير العبادات المذكورة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم

شنان

شنان قوم الى اخره ومن يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا عن الدين فاوليك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا
العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للاخرة
من قبل ان ياتي احدكم الموت بان يشاهد دلايله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل للمسارعة الى الاهتمام
بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق
بالنصب على جواب التمني وقرى فاتصدق واكون من الصالحين بالجزم عطفا على لفظه وقرى بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح
ولن يوخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جا اجلها اي اخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى اخره والله
خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو ات وقرى بالياء التحتانية والله اعلم
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين بري من النفاق والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما
فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريايه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدي لكل شي وهو القايم به والمهيمن عليه
وهو المولي لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعا من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شي قدير
لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سوا هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية
ومع ذلك فمنكم كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما يستدعيه خلقته ومنكم مومن مختار للايمان كاسب
له حسبما تقتضيه خلقته كان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها
من ساير النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب
بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله ومومن مقدر ايمانه موافق لما يدعوه اليه مما لا يلايم المقام
والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجدي لكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق
السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث براكم في احسن
تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكاملة وزينكم بصفوة صفات
مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصايص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشاة واليه المصير في النشاة الاخرة
لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرايركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض
من الامور الكلية والجزيية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من
الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزا ففيه تاكيد للوعد والوعيد والتشديد لهما وقوله تعالى
والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي انه محيط بجميع المضمرات المستكنة
في صدور الناس بحيث لا يفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتاكيد
استقلال الجملة قيل وتقديم القدرة على تقدير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان
والاختصاص ببعض الانحا الم ياتكم ايها الكفرة نبا الذين كفروا من قبل قوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا
وبال امرهم عطفا على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هايل
وجناية عظيمة اي الم ياتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم لا يقادر قدره
ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الاخرة ذلك بانهم بسبب انه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
اي بالمعجزات الظاهرات فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات
منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك البشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكايات فاسند

القول الي جميع الاقدام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا **فكفروا** اي بالرسل **وتولوا** عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم **واستغنى الله** اي اظهر استغناءه
عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك **والله غني** فضلا عن ايمانهم وطاعتهم **حميد**
يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد **زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا** الزعم ادعاء العلم ويتعدى
الي مفعولين لعد موتهم ابدا **قل** ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما هو **بلى** اي يبعثون وقوله **وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم** اي
لتحاسبن وتجازون باعمالكم جملة مستانفة داخلة تحت الامر واردة لتاكيد ما افاده كلمة من اثبات البعث وبيان تحقق امر اخر
متفرع عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقيق البعث بوجهين **وذلك** اي ما ذكر والجزاء **على الله يسير** لتحقق القدرة التامة وقبول
المادة والفا في قوله تعالى **فآمنوا** فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة لغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فامنوا **بالله
ورسوله** محمد صلى الله عليه وسلم **والنور الذي انزلنا** وهو القران فانه بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الي نون
العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال **والله بما تعملون** من الامتثال بالامر وعدمه **خبير** فيجازيكم عليه والجملة اعتراض
تذيلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الي الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال
الجملة **يوم يجمعكم** ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله يجازيكم ويعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر
وقرى نجمعكم بنون العظمة **ليوم الجمع** ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون اي لاجل ما فيه من الجزاء والحساب **ذلك يوم التغابن**
اي يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا
اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن
بالذكر بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا** اي
عملا صالحا **يكفر** اي الله عز وجل وقرى بنون العظمة **عنه سياته** يوم القيامة **ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا** وقرى ندخله بالنون **ذلك** اي ما ذكر من تكفير السيات وادخال الجنات **الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه لانطوائه على
النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطيبات **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير**
اي النار كان هاتين الايتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن **ما اصاب من مصيبة** من المصائب الدنيوية **الا باذن الله** اي بتقديره
وارادته كانها بذاتها متوجهة الي الانسان متوقفة على اذنه تعالى **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** عند اصابتها للثواب والاسترجاع
وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة
والخير وقرى نهد قلبه على البنا للمفعول ورفع قلبه وقرى بنصبه على نهج سفه نفسه وقرى يهدا قلبه بالامر اي يسكن **والله بكل
شيء** من الاشيا التي من جملتها القلوب واحوالها **عليم** فيعلم ايمان المومن ويهد قلبه الي ما ذكر **واطيعوا الله واطيعوا الرسول**
كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى **فان توليتم** اي عن طاعة
الرسول وقوله تعالى **فانما على رسولنا البلاغ المبين** تعليلا للجواب المحذوف فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد
فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الي نون العظمة مقام اضماره لتشريفه صلى الله عليه وسلم والاشعار بمدار
الحكم الذي هو كون وظيفته صلى الله عليه وسلم محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه **الله لا اله الا هو** جملة من مبتدا
وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غيره وفيه اضمار خبر لا مثل في الوجود او يصح او يوجد خلاف للنحاة معروف **وعلى الله** اي عليه
تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا **فليتوكل المومنون** واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل له
والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة **يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم** يشغلونكم عن طاعة الله تعالى ويخاصمونكم في امور الدنيا والدين **فاحذروهم** الضمير للعدو فانه يطلق على
الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين او للازواج والاولاد جميعا فالمامور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني اما

الحذر

الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما من مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو **وان تعفوا** عن ذنوبهم المقابلة للعفو
بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة **وتصفحوا** بترك التثريب والتعيير **وتغفروا** باخفائها وتمهيد
عذرها **فان الله غفور رحيم** يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المسلمين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم
واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعونا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في الدين
ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون عشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم
وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لن نصيبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان يعفو عنهم ويردوا اليهم البر والصلة
انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون **والله عنده اجر عظيم** لمن اثر محبة الله تعالى وطاعته
على محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصالحهم **فاتقوا الله ما استطعتم** اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم **واسمعوا**
مواعظه **واطيعوا** اوامره **وانفقوا** مما رزقكم في الوجوه التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه الكريم **خيرا لانفسكم** اي ايتوا
خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الاوامر المذكورة خيرا لانفسكم ويجوز
ان يكون صفة لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر اي يكن خيرا لانفسكم **ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون** الفائزون بكل مرام **ان تقرضوا الله** بصرف اموالكم الي المصارف التي عينها **قرضا حسنا** مقرونا بالاخلاص وطيب
النفس **يضاعفه لكم** بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر **ويغفر لكم** ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب **والله شكور** يعطي الجزيل
بمقابلة القليل **حليم** لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم **عالم الغيب والشهادة** لا يخفى عليه خافية **العزيز الحكيم** المبالغ في القدرة والحكمة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع الله عنه موت الفجاة والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النسا تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم
مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه صلى الله عليه وسلم واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق
استتباعه صلى الله عليه وسلم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كنداءهم فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب احق به لشموله
كلمة للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى **فطلقوهن لعدتهن** اي مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت
من شهر كذا فان المراة اذا طلقت في طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع
فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة **واحصوا العدة** واضبطوها واكملوها ثلاثة اقرا **واتقوا
الله ربكم** في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقا **لا تخرجوهن من
بيوتهن** من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتاكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها
املاكهن **ولا يخرجن** ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبدادهن اما اذا اتفقا على الخروج
جاز اذ الحق لا يعدوهما **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** استثنا منهن قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبدون على
الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة
وتلك اشارة الي ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها
حدود الله التي عينها لعباده **ومن يتعد حدود الله** اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي
والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى **فقد ظلم نفسه** اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب ياباه قوله تعالى **لا تدري لعل الله يحدث
بعد ذلك امرا** فانه استئناف مسوق لتعليل الحكم مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما
فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل
للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق

الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي له صلى الله عليه وسلم كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك
لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل
بغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتيسر تلافيه برجعة او استيناف نكاح **فاذا بلغن اجلهن** قاربن آخر عدتهن **فامسكوهن**
فراجعوهن **بمعروف** بحسن معاشرة وانفاق لائق **او فارقوهن بمعروف** بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة
واشهدوا ذوي عدل منكم عند المراجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن
الشافعي انه للوجوب في الرجعة **واقيموا الشهادة لله** ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى **ذلكم** اشارة الى الحث على الاشهاد
والاقامة او على جميع ما في الآية **يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر** اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى **ومن يتق الله**
الى آخره جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حقوق الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكدة له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها عن مساكنها
واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور **يجعل له مخرجا** مما عسى يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه
من الكروب **ويرزقه من حيث لا يحتسب** اي من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند
ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله فيندرج ما نحن فيه اندراجا اوليا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا مخلصا
من غموم الدنيا والآخرة وعنه قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم
آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** اي
كافيه في جميع اموره **ان الله بالغ امره** بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بالتنوين بالغ خبره مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع
به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى **قد جعل الله لكل شيء قدرا** اي تقديرا او توقيتا ومقدارا
وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه تعالى لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى الا
التسليم للقدرة والتوكل على الله **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم** لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين **ان ارتبتم**
اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن **فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن** بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة
ما قبله عليه **واولات الاحمال اجلهن** اي منتهى عدتهن **ان يضعن حملهن** سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم
قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من
قول ابن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث
الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي **ومن يتق الله** في
شأن احكامه ومراعاة حقوقها **يجعل له من امره يسرا** اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير **ذلك** اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجميع كما يفصح عنه قوله تعالى
امر الله انزله اليكم لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان
منكم يؤمن بالله واليوم الآخر من سورة البقرة **ومن يتق الله** بالمحافظة على احكامه **يكفر عنه سيئاته** فان الحسنات يذهبن السيئات
ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى **اسكنوهن من حيث سكنتم** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى
كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى **من وجدكم**
اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له **ولا تضاروهن** اي في السكنى **لتضيقوا عليهن** وتلجئوهن
الى الخروج **وان كن** اي المطلقات **اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن** فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة

لهن

لهن **فان ارضعن لكم** بعد ذلك **فآتوهن اجورهن** على الارضاع **وأتمروا بينكم بمعروف** اي تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل
في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة **وان تعاسرتم** اي تضايقتم **فسترضع له اخرى** اي فستوجد
ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله**
وان قل اي لينفق كل واحد من المعسر والموسر ما بلغه وسعه **لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها** جل او قل فانه تعالى لا يكلف
نفسا الا ما آتاها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قال **سيجعل الله بعد**
عسر يسرا اي عاجلا او آجلا **وكأين من قرية** اي كثير من اهل قرية **عتت** اي اعرضت **عن امر ربها ورسله** بالعتو والتمرد
والعناد **فحاسبناها حسابا شديدا** بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير **وعذبناها عذابا نكرا** اي منكرا
عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة **فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا** هائلا لا خسر وراءه **اعد الله لهم عذابا شديدا** تكرير للوعيد
وبيان لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب **فاتقوا الله يا اولي الالباب** ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم
واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا
لقوله تعالى **الذين آمنوا** منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله **قد**
انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه ابدال قوله تعالى
رسولا منه او لانه مذكور في السموات وفي الاسم لو اريد بالذكر الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كانه في نفسه
شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى لقوله تعالى ذي العرش مكين وهو النبي صلى الله عليه
وسلم وعليه الاكثر عبر عنه وعبر عن انزاله بالانزال بطريق الترشيح او لانه سبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه منه رسولا
للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او تذكيرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله
تعالى **يتلو عليكم آيات الله مبينات** نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها او حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه
من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى كقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام في قوله تعالى **ليخرج الذين آمنوا وعملوا**
الصالحات متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او ضمير الجلالة والموصول
عبارة عن المؤمنين بعد انزاله ليحصل لهم الرسول ما هم عليه من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن **من**
الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا** حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى **خالدين فيها ابدا** حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار
معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى **قد احسن الله له رزقا** حال اخرى منه او من الضمير في
خالدين بطريق التداخل وافراد الضمير قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب **الله الذي خلق**
سبع سموات مبتدأ وخبر **ومن الارض مثلهن** اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه خبر مبتدأ ومن
الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة
كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات
قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا
حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين
السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها
وشر اهلها وشر ما فيها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال
اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من

خلق وفي مشاهدتهم السما واستمدادهم الضو قولان احدهما انهم يشاهدون السما من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضيا
منها والثاني انهم لا يشاهدون السما وان الله تعالى خلق لهم ضيا يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين
متفرقة بالبحار ويظل جميع السما **يتنزل الامر بينهن** اي يجري امره وقضاه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سما وفي كل
ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضا من قضايه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره وقري ينزل الامر **لتعلموا ان الله على كل شي**
قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما او فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شي **وان الله قد احاط بكل شي علما**
لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي
اوحى ذلك وبينه ليعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجايب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته
وعلمه شي اصلا وقري ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم تب علينا

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم خلا بمارية في يوم عايشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر
يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عايشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم
فطلقها واعتزل نساه فنزل به جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسايك في الجنة وروي انه صلى
الله عليه وسلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطات عايشة وحفصة فقالتا انا نشم منك رايحة المغافير وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل **تبتغي مرضات**
ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف ببيان ما دعاه اليه موذن بعدم صلاحيته لم لك **والله غفور** مبالغ في الغفران
قد غفر لك هذه الزلة **رحيم** قد رحمك ولم يواخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك **قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم** اي شرع لكم
تحليلها وهو ما عقده بالكفارة او بالاستثنا متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد ههنا **والله مولاكم** سيدكم ومتولي اموركم
وهو العليم بما يصلحكم فشرعه لكم **الحكيم** المتقن في افعاله واحكامه فلا يامركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة **واذ اسر**
النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة **حديثا** اي حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة **فلما نبات به** اي اخبرت حفصة عايشة
بالحديث وافشته اليها وقري انبات به **واظهره الله عليه** اي اطلع الله النبي صلى الله عليه وسلم على افشا حفصة **عرف** اي النبي صلى الله
عليه وسلم حفصة **بعضه** بعض الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة روي انه صلى الله عليه وسلم قال لها الم اقل لك اكتمي
علي فقالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها **واعرض عن بعض** اي عن تعريف بعض تكرما
قيل هو حديث مارية **فلما نباها به** اي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بما عرفه من الحديث **قالت من انباك هذا** اي افشاها
للحديث **قال نباني العليم الخبير** الذي لا يخفى عليه خافية **ان تتوبا الى الله** خطاب لحفصة وعايشة على الالتفات للمبالغة في
العتاب **فقد صغت قلوبكما** الفا للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما
يجب عليكما من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقري فقد زاغت **وان تظاهرا عليه** باسقاط
احدى التاين وقري على الاصل وبتشديد الظا وتظهرا اي تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط وافشا سره **فان الله هو مولاه وجبريل**
وصالح المومنين اي فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل راس الكروبيين قرينه ومن صلح من المومنين اتباعه واعوانه
قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بصالح المومنين ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وروي ان ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال
عكرمة ومقاتل وهو اللايق بتوسطه بين جبريل والملايكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان
جبريل ظهير له صلى الله عليه وسلم يويده بالتاييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة

ولان بيان مظاهرتهما له صلى الله عليه وسلم اشد تاثيرا في قلوبهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا
اريد به جنس الصالحين من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة الله عز وجل لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف وصالح المومنين
ظهير اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما ذا الفيد تظاهر امراتين على من هو لاظهراوه وما يبنى عنه قوله تعالى بعد
ذلك من فضله نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من ساير وجوه نصرته هذا اما
قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المومنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملايكة تداركا لما يوهمه
الترتيب المذكور من افضلية المقدم فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المومنين وساير الملايكة **بعد ذلك ظهير** له صلى الله
عليه وسلم ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام **عسى ربه ان طلقكن ان يبدله**
اي يعطيه صلى الله عليه وسلم بدلكن **ازواجا خيرا منكن** على تعميم التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه صلى الله
عليه وسلم لم يطلق حفصة وان في النسا خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه
وقري ان يبدله بالتشديد **مسلمات مومنات** مقرات مخلصات او منقادات مصدقات **قانتات** مصليات او مواظبات على
الطاعة **تايبات** من الذنوب **عابدات** متعبدات اي متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وسلم **سايحات** صايمات سمي الصايم
سايحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات وقري سيحات **ثيبات وابكارا** وسط بينهما العاطف لتنافيهما **يا ايها الذين امنوا قوا**
انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات **واهليكم** بان تواخذوهم بما تواخذون به انفسكم وقري واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون
انفسكم عبارة عن انفس الكل تغليب المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم **نارا وقودها الناس والحجارة** اي نارا تتقد بها
اتقاد غيرها بالحطب وامر المومنين بايقاد هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير **عليها ملايكة**
اي تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية **غلاظ شداد** غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقويا على الافعال
الشديدة **لا يعصون الله ما امرهم** اي امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به على نزع الخافض اي لا يمتنعون من قبول الامر
ويلتزمونه **ويفعلون ما يومرون** اي ويودون ما يومرون من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى **يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم**
مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اي يقال لهم ذلك عند ادخال الملايكة اياهم النار حسبما امروا به **انما تجزون ما**
كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنهما اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا **يا ايها الذين امنوا**
توبوا الى الله توبة نصوحا اي بالغة في النصح وصفة التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التايبين وهو ان ينصحوا بالتوبة
انفسهم فياتوا بها على طريقها وذلك ان يتوبوا عن القبايح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون
في قبح على القبايح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا عن علي رضي الله عنه ان التوبة يجمعها ستة اشيا على الماضي من
الذنوب الندامة وللفرايض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله
تعالى كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف
واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا
خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل
بمقتضاها وقري توبا نصوحا وهو مصدر وقري نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اي ذات نصوح او
تنصح نصوحا ان توبوا النصح انفسكم على انه مفعول له **عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار** وورود
صيغة الاطماع للجري على سنن الكبريا والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجا وان بالغ
في اقامة وظايف العبادة **يوم لا يخزي الله النبي** ظرف ليدخلكم **والذين امنوا معه** عطف على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم من الله تعالى
من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المومنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدا خبره قوله تعالى **يسعى نورهم بين ايديهم**
وبايمانهم اي على الصراط وهو على الاول استيناف او حال وكذا قوله تعالى **يقولون** الى اخره وعلى الثاني خبر اخر للموصول اي يقولون

اذا طفي نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شي قدير وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع تمام نورهم وقيل
تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح
وبعضهم حبوا وزحفا واوليك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم
واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة وماواهم جهنم يرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير اي جهنم
او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى
مشاكلة لها في الغرابة اي جعل الله مثلا لحال هولا الكفرة حالا وما لا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى
امراة نوح وامراة لوط اي حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هولا فقوله
تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان
متمكنتين من تحصيل خيري الدنيا والاخرة وحيازة سعادتهما وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة مع
تحقق ما ينفيها من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم اي خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هولا الكفرة في
خيانتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الى اخره بيان
لما ادى اليه خيانتهما اي فلم تغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اي من عذاب الله تعالى شيا اي شيا من الاغنا وقيل لهما
عند موتهما ادخلا او يوم القيامة النار مع الداخلين اي مع ساير الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبيا وضرب الله
مثلا للذين امنوا امراة فرعون اي جعل حالها مثلا لحال المومنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت الدنيا تحت اعدا الله
وهي في اعلا غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اي ضرب الله مثلا للمومنين حالها رب ابن لي عندك بيتا في
الجنة قريبا من رحمتك وفي اعلا درجات المقربين وروي انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها ونجني من فرعون
وعمله اي من نفسه الخبيثة وعمله السيي ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على
امراة فرعون تسلية للارامل اي وضرب الله مثلا للذين امنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفا على نسا
العالمين مع كون قومها كفارا التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اي في مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل
وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحي الى انبيايه وكتبه بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وبكتابه اي بعيسى وبالكتاب
المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها
لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هارون اخي موسى عليهما السلام وعن النبي صلى الله عليه
وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا اربع اسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت سيدنا
ونبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم وفضل عايشة على النسا كفضل الثريد على ساير الطعام وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة التحريم اعطاه الله توبة نصوحا اللهم تب علينا

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك البركة
النما والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام
باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك وان بما لا يتصور نسبته الى الله تعالى من
الصنع كالتكبر ونحوه انما ينسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات
والصيغة حينيذ يجوز ان تكون لافادة ازدياد تلك الخيرات وازديادها شيا فشيا وانا فانا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها
ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها على نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ
في حقه سبحانه وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلا

الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا والذي يقتضيه قدرته التصرف الكلي في كل الامور
وهو على كل شي من الاشيا قدير مبالغ في القدرة يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة
على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلايل الامور ودقايقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة
شروع في تفصيل بعض احكام الملك واثار القدرة وبيان ابتنايها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات جليلة
والموصول بدل من الموصول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والقدر والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة
للحياة واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشي ولا يجد رايحته شي الا مات
وخلق الحياة في صورة فرس بلقا لا يمر بشي ولا يجد رايحتها شي الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل التصويري وقيل هو عدم
الحياة فمعنى خلقه حينيذ قدره او ازالة الحياة وايا ما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطاري وبالحياة ما قبله وما بعده لمدار
بينهما ما ينطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعا ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا
يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحياتكم وعلى ان الالف
واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات
علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عملا اورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله فان الكل من افعال القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشد من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا
ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدايع صنع الله تعالى والتدبر
في اياته المنصوبة في الانفس والافاق وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع
له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة ان كل احد لا يقدر ان
يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم
ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه
بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلا شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة
الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والقصد الاصلي من الابتلا هو ظهور كمال احسان
المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج
تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسو اختياره من غير مصحح له ولا تقريب
وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقايضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب
الذي لا يعجزه من اسا العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه
انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين
يومنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه وتعالى ومع الموصول الثاني في كونه مدارا للبلوى
كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الما وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات
اي مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول او مصدر موكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا
وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار
بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعما جليلة او استيناف والخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم ولكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتاكيد النفي اي ما ترى فيه شيا من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من
الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الاخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من
فطور متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى

عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر **ثم ارجع البصر كرتين** اي رجعتين
اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت **ينقلب اليك البصر**
خاسئا اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماء **وهو حسير** اي كليل
بطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى **ولقد زينا السما الدنيا** بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها
عن شائبة القصور وتصديرها بالجملة القسمية لابراز كمال الاعتنا بمضمونها اي وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض **بمصابيح** اي
بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كان كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في ساير السموات وما ذاك الا
لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق يحار في فهمه الافكار وطراز فائق يهيم في دركه الانظار **وجعلناها رجوما للشياطين** اي وجعلنا
لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين
الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به **واعتدنا لهم** في الاخرة **عذاب السعير** بعد الاحراق
في الدنيا بالشهب **وللذين كفروا بربهم** من الشياطين وغيرهم **عذاب جهنم** وقرئ بالنصب على انه عاطف على عذاب السعير وللذين على لهم
وبئس المصير اي جهنم **اذا القوا فيها سمعوا لها** اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى **شهيقا** لانه في الاصل صفة فلما
قدمت صارت حالا اي سمعوا كائنا لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع وقالوا الزفير في الصدر والشهيق
في الحلق **وهي تفور** اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير
وشهيق يرده قوله تعالى **تكاد تميز** اي تتميز وتتفرق **من الغيظ** اي من شدة الغضب عليهم فانه صريح من اثار الغضب عليهم كما في قوله
تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاين هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر اخر
وقوله تعالى **كلما القي فيها فوج** استيناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من
الكفرة **سألهم خزنتها** بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة **الم يأتكم نذير** يتلو عليكم ايات ربكم وينذركم
لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عن جوابهم ايضا **قالوا** اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية **بلى قد جاءنا نذير** جامعين بين
حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لما وقع منهم
من التفريط تندما واغتماما على ذلك اي على كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل
فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله عليه من اياته **فكذبنا** ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى **وقلنا** في حق ما
تلاه من الايات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير **ما نزل الله على احد من شيء** من الاشيا فضلا عن تنزيل الايات عليكم **ان انتم**
اي ما انتم في ادعا انه تعالى نزل عليكم ايات تنذروننا بما فيها **الا في ضلال كبير** بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان
مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه يلوح
بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لامساغ لاعتباره من
جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور
والاعوام واين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية
عن الكل والنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية
ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واحاط
به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او
هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتامل وكن على الحق المبين **وقالوا** ايضا
معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع **لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير** اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله
تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا ايات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها

فاجابوا

فاجابوا بذلك **فاعترفوا بذنبهم فسحقا** بسكون الحا وقرئ بضمها مصدر موكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك الله
اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا اي بعدا كما في قول من قال فيه قال الشاعر

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ۞ من المال الا مسحت او مجلف ۞

اي لم تدع ولم تبق الا مسحت الى اخره وعن هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى **لاصحاب السعير** للبيان
كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب **ان الذين يخشون ربهم بالغيب** اي يخافون
عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم وهو قلوبهم **لهم مغفرة** عظيمة لذنوبهم **واجر كبير** لا يقادر قدره
واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به
قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم حتى لا يعلم رب
محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر
والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون مع كونهما في الحقيقة على السوية
فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على
مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على
تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى **انه عليم بذات الصدور** تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام
الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم
الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه ويجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور
القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تعالى **الا يعلم من خلق** انكار ونفي
لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشيا التي هما من جملتها وقوله تعالى **وهو
اللطيف الخبير** حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز
ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول
باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتاتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم
الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم **هو الذي جعل لكم الارض ذلولا** لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على
مفعولي الجعل مع ان حقه التاخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم
مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين ورده فضل تمكن والفاء في قوله تعالى **فامشوا في مناكبها** لترتيب الامر على الجعل المذكور
اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذلل فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطاه الراكب بقدمه فاذا جعل
الارض في الذل بحيث يتاتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل **وكلوا من رزقه** والتمسوا من نعم الله تعالى **واليه النشور** اي المرجع
بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه والائه **ءامنتم من في السما** اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه وتعالى
على تاويل من في السما امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السما اي ءامنتم من تزعمون انه في السما
وهو متعال عن المكان **ان يخسف بكم الارض** بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي
يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار اي من ان يخسف **فاذا هي تمور** اي تضطرب
ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمينان **ام امنتم من في السما** اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه
اخر اي بل امنتم من في السما **ان يرسل عليكم حاصبا** اي حجارة من السما كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصبا
كانها تقلع الحصبا لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة **فستعلمون** عن قريب البتة **كيف نذير** اي انذاري عند مشاهدتكم للمنذور به
ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء **ولقد كذب الذين من قبلهم** من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد

واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم **فكيف كان نكير** اي انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية الهول
والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد
لقومه ما لا يخفى **اولم يروا** اغفلوا اولم ينظروا **الى الطير فوقهم صافات** باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطتها
صففن قوادمهن صفا **ويقبضن** اجنحتها ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر في ايثار يقبضن
الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات **ما يمسكهن** في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع **الا الرحمن** الواسع
رحمته كل شيء بان براهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجري في الهوي والجملة مستانفة او حال من الضمير في يقبضن **انه بكل شيء بصير**
يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى **امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن** تبكيت لهم بنفي ان يكون
لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب
بما سياتي من قوله تعالى ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا في المعنى خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس
الواقع المانع وتحققه وهنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على
ترك التامل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب اثار قدرته عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات الى التشديد في
ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهام منه وهي مبتدا وهذا خبره والموصول مع صلته صفة كما في قوله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واشار بهذا التحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول
اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في
زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب الله كائن من عذاب الله عز وجل وتوهم
ان ام معادلة لقوله تعالى اولم الى اخره مع القول بان من استفهامية مما لا يقرب له مثلا وقوله تعالى **ان الكافرون الا في غرور** اعتراض
مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ الهتهم لا بحفظه تعالى فقط وان الهتهم
تحفظهم من باس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتقدونه في الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان
باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضمار لذمهم في الكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى
امن هذا الذي يرزقكم ان امسك اي الله عز وجل **رزقه** بامساك المطر وساير مباديه كالذي مر تفصيله خلا ان قوله تعالى **بل**
لجوا في عتو ونفور مبني على مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتاثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا
في عتو اي عناد واستكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله تعالى **افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى** الى اخره مثل ضرب للمشرك
والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشان مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عتو
العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها
الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الى اخره والمكب الساقط
على وجهه يقال اكب خر على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كاقشع الغمام والمعنى افمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه
في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يومه **امن يمشي سويا** اي قائما سالما من الخبط والعثار **على صراط**
مستقيم مستوي الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان
الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل
من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة **قل هو الذي انشاكم** انشاء بديعا
وجعل لكم السمع لتسمعوا ايات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها **والابصار** لتنظروا بها الى الايات
التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل **والافئدة** لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الايات التنزيلية والتكوينية وترتقوا
في معارج الايمان والطاعة **قليلا ما تشكرون** اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة

لتاكيد

لتاكيد القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم **قل هو الذي ذراكم في الارض**
اي خلقكم وكثركم فيها لا غيره **واليه تحشرون** للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فاسسوا اموركم على ذلك **ويقولون** من
فرط عتوهم **متى هذا الوعد** اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون **ان كنتم صادقين** يخاطبون به النبي صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له صلى الله عليه وسلم في الوعد وتلاوة الايات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اي ان
كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته **قل انما العلم** اي العلم بوقته **عند الله** عز وجل لا يطلع عليه غيره
كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي **وانما انا نذير مبين** انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف
الانذار والفاء في قوله تعالى **فلما راوه** فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فراوه فلما
راوه الى اخره كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الا ان المقدر هناك امر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وهنا امر منزل
منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله تعالى **زلفة** حال من مفعول راوا اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه
مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة وظرف اي راوه في مكان ذي زلفة **سيئت وجوه الذين كفروا**
بان غشيتها الكآبة ورهقتها القترة والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به **وقيل** توبيخا لهم
وتشديدا لعذابهم **هذا الذي كنتم به تدعون** اي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء
وقيل هو من الدعوى اي تدعون ان لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون وهذا وروي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد
قل ارايتم اي اخبروني **ان اهلكني الله** اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك بما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين
بالهلاك **ومن معي** من المؤمنين **او رحمنا** بتاخير اجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون احدى الحسنيين **فمن يجير الكافرين من عذاب**
اليم اي لا ينجيكم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به **قل هو الرحمن** اي
الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها **آمنا به** وحده لما علمنا ان كل ما سواه فالنعمة او المنعم عليه **وعليه توكلنا** لا على غيره اصلا
لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل عن النفع والضر **فستعلمون** عن قريب البتة **من هو في ضلال مبين** منا ومنكم وقرئ فسيعلمون
بالياء التحتانية **قل ارايتم** اخبروني **ان اصبح ماؤكم غورا** اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف
به **فمن ياتيكم بماء معين** جار او ظاهر سهل المأخذ والله سبحانه وتعالى اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما
احيى ليلة القدر والله هو التواب الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء
الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا
كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط
التعديد للتحدي باحد الطريقين المذكورين في موقعه او اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف
فالواو في قوله تعالى **والقلم** للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه واياما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين واستحقاقه
للاستعظام للاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس واستحقاق ما في ايدي الناس لذلك الكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى انه آلة
لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا للتعظيم وقرئ بادغام النون في الواو **وما يسطرون** الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم
بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او سطرهم على انها مصدرية وقيل
للقسم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم
وقوله تعالى **ما انت بنعمة ربك بمجنون** جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كانه
قيل انت بريء من الجنون متلبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى

معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم تشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه تعالى يتم نعمته ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه صلى الله عليه وسلم اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه صلى الله عليه وسلم في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورصانة الراي وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك شانه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيامة حتى يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا عظيما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بايكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد منهم وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يقتضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم اي دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او هو نهي عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره صلى الله عليه وسلم استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فانه تعليل للنهي او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اي احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور فيدهنون اي فهم يدهنون حينئذ اي فهم الان يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو تدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سياتي من بيان بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب ادخاله تحت التمني واياما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة فقط واما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هو في غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني المفهوم من ودوا فان ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على انه عطف على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل ودوا ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل في الزجر مهين حقير الراي والتدبير هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النم والنميمة السعاية مناع للخير اي بخيل ومناع للناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك اي بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من الزنمة وهي الهنة من الجلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى

اذا

اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين استئناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وقد انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ ان كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه ان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف مشارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم الذي هو اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت على علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة نعلمه بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم اي اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وكان ياخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون اي لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستانفة فطاف عليها اي على الجنة طائف من ربك بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرى به المقادير فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار اي يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا اي نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح ان اغدوا اي اغدوا على ان ان مفسرة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال والاستيلاء ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اي الجنة اليوم عليكم مسكين ان مفسرة للتخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين اي على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحالة لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين على بدل كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اي غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما راوها قالوا في بديهة رؤيتهم انا لضالون اي طريق جنتنا وما هي بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تاملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اي انا ضالون بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجناية على انفسنا قال اوسطهم اي رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجري في ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ بالتشديد اي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم

ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة يقال الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة ورايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القايم وسيل ابو قتادة عن اهل الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن رضي الله عنه قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري **كذلك العذاب** جملة من مبتدا وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد اي مثل الذي بلونا به اهل مكة اصحاب الجنة عذاب الدنيا **ولعذاب الاخرة اكبر** اعظم واشد **لو كانوا يعلمون** انه اكبر لاحترزوا عما يوديهم اليه **ان للمتقين** اي من الكفر والمعاصي **عند ربهم** اي في الاخرة او في جوار القدس **جنات النعيم** جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما يقتضيه من الكدورات وصرف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى **افنجعل المسلمين كالمجرمين** تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما تقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين فيها وانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساووا والهمزة للانكار والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد وتشديده **ما لكم كيف تحكمون** تعجيبا من حكمهم واستبعاد له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل **ام لكم كتاب** نازل من السما **فيه تدرسون** اي تقرءون **ان لكم فيه لما تخيرون** اي ما تخيرونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جي باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو لقوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين وتخير الشي واختاره اخذ خيره **ام لكم ايمان علينا** اي عهود موكدة بالايمان **بالغة** متناهية في التوكيد وقريت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين **الى يوم القيامة** متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم او بالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين **ان لكم لما تحكمون** جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان اي ام اقسمنا لكم **سلهم** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم الى رتبة الخطاب اي سلهم مبكتا لهم **ايهم بذلك** الحكم الخارج عن العقول **زعيم** اي قايم يتصدى لتصحيحه **ام لهم شركا** يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم **فلياتوا بشركايهم ان كانوا صادقين** في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه في هذه الايات الكريمة على ان ليس لهم شي يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركا يجعلونهم مثل المسلمين في الاخرة **يوم يكشف عن ساق** اي يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ، وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل ساق الشي اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقايق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل والتعظيم وقرى تكشف دخل في الكشف وناصب الظرف بالتا على البنا للفاعل والمفعول او الفعل للساعة او الحال وقرى تكشف بالنون وتكشف بالتا المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف وناصب الظرف فلياتوا او مضمر مقدم اي اذكر يوم الى اخره او موخر اي يوم يكشف عن ساق الى اخره يكون من الاهوال وعظايم الاحوال ما لا يبلغه الوصف **ويدعون الى السجود** توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا على تفريطهم في ذلك **فلا يستطيعون** لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتاتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة **خاشعة ابصارهم** حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها **ترهقهم** تلحقهم وتغشاهم **ذلة** شديدة **وقد كانوا يدعون الى السجود** في الدنيا والاظهار في موضع

الاضمار

الاضمار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلاة او ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف **وهم سالمون** متمكنون منه اقوى تمكن فلا يجيبون اليه ويابونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** اي كله اي فاني اكفيك امره اي حسبك في الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يستحقه من العذاب والمطيق له والفا لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية اي واذا كان حالهم في الاخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقران وتوكل علي في الانتقام منه وقوله تعالى **سنستدرجهم** استيناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها اي سننزلهم في العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة **من حيث لا يعلمون** انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضل على المومنين مع انه سبب لهلاكهم **واملي لهم** وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم **ان كيدي متين** لا يدفع بشي وتسمية ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد **ام تسالهم** على الابلاغ والارشاد **اجرا** دنيويا **فهم** لاجل ذلك **من مغرم** اي غرامة ما لية **مثقلون** مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك **ام عندهم الغيب** اي اللوح او المغيبات **فهم يكتبون** منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك **فاصبر لحكم ربك** وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم **ولا تكن كصاحب الحوت** اي يونس عليه السلام **اذ نادى** في بطن الحوت **وهو مكظوم** مملو غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله وقت ندايه اي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلايه **لولا ان تداركه نعمة من ربه** وقرى رحمة وهي توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل وقرى تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تداركه **لنبذ بالعرا** بالارض الخالية من الاشجار **وهو مذموم** مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ بالعرا كما مر في الحال الاولى والجملة الشرطية استيناف وارد لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغاية وقوله تعالى **فاجتباه ربه** عطف على مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة **فجعله من الصالحين** من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف **وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم** وقرى ان يدعوا على المنهزمين من المومنين وقيل هو خبر اراد ان يدعو على ثقيف ليزلقونك بفتح اليا من زلقه بمعنى ازلقه ويزهقونك وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلقون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصايص بعض النفوس وعن الحسن دوا الاصابة بالعين ان يقرا هذه الاية **لما سمعوا الذكر** اي وقت سماعهم القران على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه **ويقولون** لغاية حيرتهم في امره صلى الله عليه وسلم ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القران من تعاجيب الحكم وبدايع العلوم المحجوبة عن العقول المنهمكة باحكام الطبايع ولتنفير الناس عنه **انه لمجنون** وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل **وما هو الا ذكر للعالمين** على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقايقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه ومن فضايلها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن اخلاقهم

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة والحالة الثابتة الوقوع الواجبة
المجي لامحالة او التي تحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور تعرف على الحقيقة من حقه بحقه اذا
عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم وايا ما كان فحذف الموصول للايذان لكمال ظهور
اتصافها بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتدا اخبرها ما الحاقة على ما مبتدا ثان والحاقة خبره فيها والجملة
خبر للمبتدا او الاصل ماهي اي اي شي هي في حالها وصفتها فان ما يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا لهولها
هذا اذا ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظايرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضي التحقيق ان تكون ما الاستفهامية خبرا
لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده
كونها مبتدا وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى وما ادراك اي اي شي اعلمك ما الحاقة تاكيدا لهولها وفظاعتها ببيان خروجها
عن دايرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت
حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فلا ينبي الاعلام وما في حيز الرفع على الابتدا وادراك الخبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة
جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادري يتعدى الى المفعول الثاني بالبا كما في قوله
تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من
الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة موكدة لهولها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون
الافزاع والاهوال والسما بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها
موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استيناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له صلى الله
عليه وسلم اثر تقرير انه مما ادراه صلى الله عليه وسلم باحوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ماهيه نار حامية ونظايره خلا
ان المبين هناك نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها لذلك المبين ههنا هو الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك
من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي الواقعة
المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة والرجفة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت لها صرصرة وشديدة البرد تحرق
ببردها عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى
سخرها عليهم الى اخره استيناف جي به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة سبع ليال وثمانية
ايام حسوما اي متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او بحساب حسمت كل خير واستاصلته
او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله
المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويويده القراة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبحة اربعا الى غروب الاربعا الاخر وانما سميت
عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعها الريح في اليوم الثامن فاهلكها وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتا واسماوها
الصنبر والصنبر والوبر والامر والموتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي الظعن فترى القوم اي كنت حاضرا حينيذ
فيها اي في مهابها او في تلك الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل خاوية متساكلة الاجواف فهل
ترى لهم من باقية اي بقية او نفس باقية او بقا على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجا فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه
من الامم او من عنده من اتباعه ويويده انه قرى ومن معه والموتفكات اي قوم لوط اي اهلها بالخاطية بالخطا
او بالفعلة او الافعال ذات الخطا التي من جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها
حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبايح فاخذهم امر الله عز وجل اخذة رابية اي زايدة في الشدة كما زادت قبايحهم في القبح
من ربا الما اذا زاد انا لما طغى الما بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما اوحي
اليه من الاحكام التي من جملتها احوال القيامة حملناكم اي في اصلاب ابايكم في الجارية في سفينة نوح عليه السلام والمراد حملهم

فيها رفعهم فوق الما الى انقضا ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة في فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة
بمحذوف هو حال من مفعوله اي رفعناكم فوق الما وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار
نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة امر صوري لنجعلها اي لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن انجا المومنين واغراق الكافرين لكم
تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشي في نفسك
والايعا ان تحفظ في غير نفسك من وعي وقرى تعيها بسكون العين تشبيها له بكتف اذن واعية اي اذن من شانها ان تحفظ صاحب
ان تحفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب
لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرى اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها
اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرى نفخة واحدة
بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال اي
قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اي فضربت الجملتان اثر
رفعهما بعضهما ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهبا منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة وصارتا قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اترك السنام اذا تفرش وبعير ادك وناقة دكا ومنه الدكان فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة
اي قامت القيامة وانشقت السما لنزول الملايكة فهي في السما يومئذ واهية ضعيفة مسترخية بعدما كانت محكمة والملك
اي الخلق المعروف بالملك على ارجايها اي جوانبها جمع رجا بالقصر اي تنشق السما التي هي مساكنهم فيلجاون الى اكنافها وحافاتها
ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملايكة الذين هم على الارجا او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملايكة عن النبي صلى الله عليه
وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله تعالى باربعة اخرين فيكونوا ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم
الارض السابعة السفلى والعرش فوق روسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم
على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن
حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان
يكون الثمانية من الروح او من خلق اخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضا
العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشانه تعالى اجل من كل ما يحيط به العبارة والاشارة يومئذ تعرضون
اي تسالون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم روي ان في يوم القيامة ثلاث عرضات
واما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفايز كتابه بيمينه والنشور والحساب وادخال
اهل الجنة الجنة واهل النار النار والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما للزمان متسع يقع فيه
النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من
تعرضون اي تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشا الحال والمبالغة في العدل او غير خاف
يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السراير وقرى يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول
هاوم اقروا كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات اجودهن ها يا رجل وها يا امراة وهاوم يا رجلان وهاوم يا رجال وهاؤن يا
نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقروا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاوم لقيل اقروه اذ الاولى اضماره حيث
امكن والها فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب اثباتها في الامام اني ظننت
اني ملاق حسابيه اي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي
لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضي على النسبة بالصيغة كلابن وتامر في النسبة بالحروف او جعل

الفعل لها مجازا او هو لصاحبها وذلك بكونها صافيه عن الشوايب دايمة مقرونه التعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في
السما والدرجات والابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا
واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيا اكلا وشربا هنيا او هنيتم هنيا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة
في الايام الخالية اي الماضية في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروي يقول الله تعالى يا اوليائي نظرت اليكم في الدنيا وقد
قلصت شفاهكم من الاشربة وغارت عيونكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الاية واما من اوتي كتابه
بشماله وراى ما فيه من قبايح الاعمال فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهده من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت
الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده
من الحالة اي يا ليت هذه الحالة كانت التي قضيت علي لما انه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحياة الدنيا
اي يا ليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والاتباع على ان ما نافيه والمفعول محذوف او
استفهامية للانكار اي اي شي اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها
في الدنيا او تسلطي على القوي والالات فعجزت عن استعمالها في العبادات خذوه حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار
فغلوه اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظيمة ليكون الجزا على وفق المعصية حيث كان
يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوه على جسده فهو فيما بينها مرهق
لا يستطيع حراكا وتقديم السلسلة كتقديم الدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل
والتصلية وما بينها وبين السلك والسلسلة في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستيناف التحقيقي ووصفه
تعالى بالعظم للايذان بانه المستحق للعظمة فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل
طعامه او على اطعامه فضلا على ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل
وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقايد الكفر واشنع
الرذايل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم اي قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياه يتحامونه ويفرون
منه ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا
من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من اخطا المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال
الهمزة يا وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اي فاقسم على ان لا
مزيدة للتاكيد واما جملة على نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون
وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اي اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والاخرة وقيل بالاجسام والارواح
والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل انه اي القران لقول رسول مبلغه عن الله
تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبي وجبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة
قليلا ما تؤمنون ايمانا قليلا ولا بقول كاهن كما يدعون ذلك تارة اخرى قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون
على ان القلة بمعنى النفي اي لا يؤمنون ولا تذكرون قيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكير مع نفي الكاهنية لما ان عدم
مشابهة القران امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على ذكر احواله صلى الله عليه وسلم ومعاني القران
المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالتاء فيهما تنزيل من رب
العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمي الافترا تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفترا
اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب
عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه

وقيل

وقيل اليمين بمعنى القوة قال بعضهم

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

فما منكم ايها الناس من احد عنه عن القتل والمقتول حاجزين دافعين وصف لاحد وانه عام وانه اي القران لتذكرة
للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب
المومنين وانه لحق اليقين الذي لا يحوم حوله ريب ما فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكره العظيم تنزيها له عن الرضى
بالمنقول عنه شكرا على ما اوحي اليك والله سبحانه اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا
والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سال سايل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه
وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا واستهزا ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم
وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السما وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم في علي رضي الله عنه اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السما فما لبث ان رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه
فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السوال على لغة قريش
فالمعنى ما مر او من السيلان ويويده انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في
الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الاخرة فهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى
لعذاب او صلة لعنه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استيناف ليس له دافع من الله
متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته تعالى ذي المعارج ذي المصاعد التي تصعد فيها الملايكة بالاوامر والنواهي
وهي عبارة عن السموات المرتبة بعضها فوق بعض تعرج الملايكة والروح اي جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل
الروح خلق هم حفظة على الملايكة كما ان الملايكة حفظة على الناس اليه اي عرشه تعالى والى حيث يهبط منه اوامره تعالى وقيل
هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي حيث امرني به في يوم كان مقداره الف سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية
ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك
الزمان مقدار خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق
بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيامة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة او لشدته على الكفار
او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر واما في حق المومن فلا لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله
عنه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخف على المومن
حتى انه يكون اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السوال كان على استهزا
وتعنت وتكذيب وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره صلى الله عليه وسلم او كان عن تضجر واستبطا للنصر او بسال سايل او سال سيل
فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم يرونه اي العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق في يوم
بواقع بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة ولذلك يسالون به ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان
القرب والبعد معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السما كالمهل متعلق بقريبا اي
يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر موخر اي يوم يكون السما كالمهل الى اخره يكون من الاحوال والاهوال ما
لا يوصف او بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى سال سايل حكاية لسوالهم المعهود
على طريقة قوله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المفهوم بالوقوع على

الكافرين الا ما ادعاه النضر وابو جهل والفهري والسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى فسئل به خبيرا وقوله
تعالى ليس له دافع من الله اي استيناف مسوق لبيان وقوع المسئول عنه لا محالة وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس فاصبر
صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الى اخره متعلق
بليس له دافع او بما يدل هو عليه اي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت **وتكون
الجبال كالعهن** كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت
في الجو شبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح **ولا يسئل حميم حميما** اي لا يسئل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل
منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول اي لا يطلب من حميم حميمه او لا يسئل منه حاله **يبصرونهم** اي يبصر الاحماء الاحماء فلا
يخفون عليهم وما يمنعهم من التسائل الا تشاغلهم عنهم بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده
والاول ادخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف **يود المجرم** اي يتمنى الكافر وقيل كل
مذنب وقوله تعالى **لو يفتدي من عذاب يومئذ** اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ **ببنيه وصاحبته واخيه** حكاية لوداده
ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير
يود افتداءه ببنيه الى اخره والجملة استيناف لبيان اشتغال ان كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه
واعلقهم بقلبه فضلا عن ان يهتم بحاله ولسياله عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب
يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب **وفصيلته** اي عشيرته التي فصل عنهم **التي تؤويه** التي تضمه في النسب او عند
الشدائد **ومن في الارض جميعا** من الثقلين او الخلائق ومن للتغليب **ثم ينجيه** عطف على يفتدي اي يود ان يفتدي ثم لو
ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات **كلا** ردع
للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير **انها** اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم ترجم عنه الخبر
الذي هو قوله تعالى **لظى** وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب **نزاعة للشوى** نصب على الاختصاص او حال موكدة
والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير
للقصة ولظى مبتدا ونزاعة خبره **تدعو** اي تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول اليّ يا كافر يا منافق وقيل تدعو الكافرين والمنافقين
بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل زبانيتها **من ادبر** اي عن الحق **وتولى** اعرض عن الطاعة **وجمع فاوعى**
اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه حرصا وتاميلا **ان الانسان
خلق هلوعا** الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى **اذا مسه
الشر** العسر او المرض ونحوهما **جزوعا** مبالغا في الجزع مكثرا منه **واذا مسه الخير** اي السعة والصحة **منوعا** مبالغا في المنع
والامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية
لمنوعا **الا المصلين** استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الاتية من المطبوعين على القبائح الماضية لانبائ نعوتهم عن
الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الاجل على
العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشية من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه **الذين هم على صلاتهم دائمون**
لا يشغلهم عنها شاغل **والذين في اموالهم حق معلوم** اي نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا
على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة **للسائل** الذي يسأله **والمحروم** الذي لا يسأله فيظن انه غني فيحرم
والذين يصدقون بيوم الدين اي باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في مثوبة الاخرة
حيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال
الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لما يجانبه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله

تعالى

تعالى **ان عذاب ربهم غير مامون** اعتراض موذن بانه تعالى لا ينبغي لاحد ان يامن من عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة ٥
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنون **فمن
ابتغى** اي طلب لنفسه **وراء ذلك** وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات **فاولئك** المبتغون **هم العادون** المتعدون لحدود الله
تعالى **والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون** لا يخلون بشيء من حقوقها **والذين هم بشهاداتهم قائمون** اي يقيمونها بالعدل
احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس **والذين
هم على صلاتهم يحافظون** اي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وادابها وتكريرها ذكر الصلاة ووصفهم
بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على ساير الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة
اختلاف الذوات كما في قول من قال

الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتائب في المزدحم ٭

ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف
مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للاخر **اولئك** اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان بعلو شانهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا خبره **في جنات** اي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا
يدرك كنهها وقوله تعالى **مكرمون** خبر اخر وهو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل بعضهم هو حال من الضمير في
الخبر اي كائنين مكرمين في جنات **فمال الذين كفروا قبلك مهطعين** مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك
عن اليمين وعن الشمال عزين اي فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى
كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤون بكلامه صلى الله عليه وسلم
ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم **ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم**
بلا ايمان **كلا** ردع لهم من ذلك الطمع الفارغ **انا خلقناهم مما يعلمون** قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل ما
يعلمون كما في قول الاعشى

٭ ازمعت من ال ليلى ابتكارا ٭ وشطت على ذي هوى ان تزارا ٭

وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من ان يتبوؤا الكاملين فمن اين لهم ان يطمعوا في دخول
الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة
مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة مذرة لا تناسب عالم
القدس فمتى لم يستكمل الايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد لدخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل
والاقرب انه كلام مستانف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما اخرين فان قدرته
تعالى على ما يعلمون من النشاة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى **فلا اقسم
برب المشارق والمغارب** والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق والمغارب **انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم** اي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق اخرين ليسوا على صفتهم **وما نحن بمسبوقين**
بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تاخير عقوباتهم **فذرهم** فخلهم وشانهم **يخوضوا** في
باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم **ويلعبوا** في دنياهم **حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون** هو يوم البعث عند النفخة الثانية
لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى **يوم يخرجون من الاجداث** بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من
الاخراج **سراعا** حال من مرفوع يخرجون اي مسرعين **كانهم الى نصب** وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون

الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا **يوفضون** يسرعة **خاشعة ابصارهم** وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل بغاية ظهور اثاره فيها **ترهقهم ذلة** تغشاهم ذلة شديدة **ذلك** الذي ذكرنا سيقع فيه من الاحوال الهائلة **اليوم الذي كانوا يوعدون** في الدنيا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة سال سايل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والله تعالى اعلم بالصواب اللهم تب علينا

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل فان حذفه مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي لذلك وحيث استوى الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بها فيتجرد عن ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغة فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي بان ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون ان مفسرة لما في الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقيل وقرئ انذر بغير ان على ارادة القول **من قبل ان ياتيهم عذاب اليم** عاجل او اجل لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا **قال** استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية ارساله عليه السلام بالوجه المذكور كانه قيل فما فعل عليه السلام فقيل قال لهم **يا قوم اني لكم نذير مبين** منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى **ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون** متعلق بنذير على الوجهين المذكورين **يغفر لكم من ذنوبكم** اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجبه **ويؤخركم الى اجل مسمى** هو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تاخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح في ان لهم اجلا اخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى **ان اجل الله** اي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر **اذا جاء** وانتم على ما انتم عليه من الكفر **لا يؤخر** فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل المسمى **لو كنتم تعلمون** اي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به **قال** اي نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو عالم بكل ما جرى بينه وبين قومه من القال والقيل في تلك المدد الطوال بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل **رب اني دعوت قومي** الى الايمان والطاعة **ليلا ونهارا** اي دائما من غير فتور ولا توان **فلم يزدهم دعائي الا فرارا** مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم ايمانا **واني كلما دعوتهم** اي الى الايمان **لتغفر لهم** بسببه **جعلوا اصابعهم في اذانهم** اي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة **واستغشوا ثيابهم** اي بالغوا في التغطي بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشاهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم **واصروا** اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها **واستكبروا** عن اتباعي وطاعتي **استكبارا** شديدا **ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا** اي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهر اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد والتراخي بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم صفة لمصدر اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موقع الحال او مجاهرا **فقلت استغفروا ربكم** بالتوبة عن الكفر والمعاصي **انه كان غفارا** للتائبين كانهم تعللوا وقالوا انا كنا

علي

على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا وامرهم بما يمحق ما سلف من المعاصي ويجلب لهم المنافع ولذلك وعدهم بما اوقع في قلوبهم واحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان امنوا ان يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه **يرسل السماء عليكم مدرارا** اي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب **ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات** بساتين **ويجعل لكم فيها انهارا** جارية **ما لكم لا ترجون لله وقارا** انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له اي اي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان والطاعة له **وقد خلقكم اطوارا** اي والحال انكم على حالة منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم خلقا اخر فان التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل اي ما لكم لا تاملون له تعالى توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونوا على حال تاملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي تستدعيه الجزالة التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله وعظمته مع مشاهدتهم لاثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفي قوله ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة موجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على اخذكم بالعقوبة اي عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما لكم لا ترجون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم ارج اي لم ابال وقوله تعالى **الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا** اي متطابقة بعضها فوق بعض **وجعل القمر فيهن نورا** اي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل لما انه في السماء الدنيا انها محاطة لساير السموات فما فيها يكون في الكل ولان كل واحد منها شفافة لا تحجب ما وراءها فترى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل **وجعل الشمس سراجا** يزيل ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الافاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور في الجملة **والله انبتكم من الارض نباتا** اي انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد وسمي مصدرا او لما ترتب عليه من فضله اي انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فيحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر كما مر في قوله تعالى ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله **ثم يعيدكم فيها** بالدفن عند موتكم **ويخرجكم** منها عند البعث والحشر **اخراجا** محققا لا ريب فيه **والله جعل لكم الارض بساطا** تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم والتوسيط لكم بين الجعل ومفعوله مع ان حقه التاخير كما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند ملاحظة التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع يبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن **لتسلكوا منها سبلا فجاجا** اي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اي كائنة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها **قال نوح** اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته تعالى **رب انهم عصوني** اي استمروا على عصياني فيما امرتهم به مع ما بلغت

في ارشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي واستمروا على اتباع روسائهم الذين
ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وذلك سبب لزيادة خسارتهم في الاخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار
بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ
وولده بالضم والسكون على انه لغة الحزن كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من والجمع اعتبار معناها كان الافراد في
الضمائر الاولة باعتبار لفظها مكرا كبارا اي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم
لهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم له على انه اذ نه نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن الهتكم اي لا تتركوا عبادتها على
الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي لا تذرن عبادتها ولا خصوصا بالذكر
مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عندهم الى العرب فكان ود
لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من
اولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات
اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة
اسد ويعوق على صورة فرس ونسرا على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
وقد اضلوا اي الروساء كثيرا خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا
عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو والثانية منه اي قال رب انهم عصوني وقال لا تزد
الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء به والمطلوب هو الضلال في
تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سياتي من دعائه عليه
السلام مما خطاياهم اي من اجل خطاياهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يره زيادة جعلها نكرة وجعل
خطاياهم المعدودة وغيرها من خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فادخلوا نارا المراد اما عذاب القبر فهو عقيب
الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب
لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم
نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله
تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله
مما خطاياهم الى آخره اعتراض وسط بين دعائيه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق على
طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والاحوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا او ديارا من الاسماء المستعملة
في النفي العام يقال ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار وقد فعل به ما فعل
باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم عليها كلا او بعضا يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا
كفارا اي الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما سيصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستيصال مع احتمال ان
يكون من اخلافهم من يومن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقرا احوالهم قريبا من الف
سنة رب اغفر لي ولوالدي ابو متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مومنين وقيل هما آدم وحوا وقرئ ولدي يريد ساما وحاما
ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مومنا بهذا القيد خرجت امراته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام
بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمومنين والمومنات عمهم بالدعاء اثر ما خص به من
يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد
عذاب ابائهم وامهاتهم باراءة الهلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال علي عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون

مصادرا

مصادرا شتى وعن الحسن رحمه الله سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس
اصلاب ابائهم قبل الطوفان باربعين سنة او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا اما روي من فضائلها عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة نوح كان من المومنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ اوحي اصله وحي وقد قرئ كذلك من
وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازن في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان استمع اي القرآن كما ذكر
في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم
النارية والهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة لابدانها وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم
لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من
التفصيل في سورة الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا كتابا مقروا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن
النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به اي بذلك القرآن ولن نشرك بربنا
احدا حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بان في احدى عشر موضعا
عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم
تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والوصف والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته
او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول
واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا ما
اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الوهيته عن اتخاذ
الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطا فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى
بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد واستعظموه ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا
اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة الحد وهو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه
تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفيههم من قبل ايضا بل باعتبار كونه
شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم على تقليدهم بسفيههم انا كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى احد
ابدا ولذلك اتبعنا قوله كذبا مصدر موكد لتقول لانه نوع من القول او وصف المصدر المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ
ان لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر موكد لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان
الرجل من العرب اذا امسى في واد مخاف يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا
وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اي زاد الرجال العائذون الجن رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد
الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الكفرة الى آخره فتكون هذه الآية
وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انها كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لاندراجها تحت ما ذكر من الايمان
والتصديق وقوله تعالى ان لن يبعث الله احدا وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل المصدرة بان ينبغي ان تكون معطوفة على ذلك
على ان الوحي عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قد اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ السماء او خبرها
واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا
اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا اقويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار

الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السما مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع
وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد
له شهابا رصدا اي لاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا
عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن
ومنع الاستراق ايضا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
بحراسة من في السما ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الاداب الشريفة القرآنية كما في قوله
تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظايره وانا منا الصالحون اي الموصوفون بصلاح الحال في شان انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم
المايلون الى الخير والصلاح حسبما يقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس البشرية ومنا دون
ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم
فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وانا
لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اي كنا قبل هذا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت
طرائقنا طرائق قددا اي متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا الآن ان لن نعجز الله اي ان الشان
لن نعجز الله كائنين في الارض اي ما كنا في اقطارها ولن نعجزه هربا اي طلبا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن الذي هو الهدى
بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اي نقصا في الجزا ولا رهقا ولا ان
ترهقه ذلة او جزا بخس ولا رهق اذ لم يبخس احد حقا ولا رهق ظلم احد ولا يخاف جزاؤهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى
ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول اولى على التحقيق بنجاة المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون ۵
الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة
معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحي الي ان الشان لو استقام الانس والجن او كلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام ۵
لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده
بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى ولو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يستكبر عن
السجود لادم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل
معناه لو استقام الجن على طريقتهم الاولى القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة
ونعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه نسلكه ندخله عذابا صعدا اي شاقا
صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع واوحي الي ان المساجد
مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اي فلا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد
الحرام والمعنى لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي صلى الله
عليه وسلم وقيل مواضع السجود على ان المراد نهي السجود لغير الله تعالى وقيل اعضا السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع
المصدر الميمي وانه من جملة الموحى اي واوحي الي ان الشان لما قام عبد الله اي النبي صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار
بما هو المقتضي لقيامه وعبادته للتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اي يعبده وذلك قيامه لصلاة
الفجر بنخلة كما مر تفصيله في الاحقاف كادوا اي الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم تعجبا مما شاهدوا من عبادته
وسمعوا من قراءته واقتدا اصحابه قياما وركوعا وسجودا لانهم ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام صلى الله
عليه وسلم يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها
لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهي بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر عن قتادة تلبدت

الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يظهره على من ناواه قال انما ادعوا ربي اي اعبده ولا اشرك به
بربي في العبادة احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب والاطباق على عداوتي وقرئ قال على انه حكاية لقوله
صلى الله عليه وسلم للمتراكمين والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين
المتعاملين ما ذكر في الآخر قل اني لن يجيرني من الله احد ان ارادني بسوء ولن اجد من دونه ملتحدا ملتجا ومعدلا وهذا بيان
لعجزه صلى الله عليه وسلم عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه صلى الله عليه وسلم عن شؤون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثنا
من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اي لن اجد من دونه ملتحدا ملجا
الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا مركب من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف
لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا من الله صفته الاصلية اي لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي
ارسلني بها ومن يعص الله ورسوله في التوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فجزاؤه او فجزاؤه ان له نار جهنم
خالدين فيها في النار او في جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه
الحال من استضعاف الكفار لانصاره صلى الله عليه وسلم واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا
ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وحمل ما يوعدون على ما رأوه يوم
بدر يأباه قوله تعالى قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم
ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع
بدل من ربي او بيان له ويأباه الفا في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه
احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدا محذوف اي هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفا
لترتيب عدم الاظهار على تفرده اي يعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا
تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول اي الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة
برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا اما لكونه من مبادي رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونها
من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما
يتوقف هو عليه من احوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التي بيانها من وظايف الرسالة
واما ما لا يتعلق به على احد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر على غيبه احدا ابدا على ان بيان وقته
مخل بالحكمة الشرعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية
القاصية من مراتب الكشف للرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء ما
في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا
تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثنا وبيان لكيفيته اي فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه
حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلق برسالته وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا
رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود
بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها اورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي
اريد به اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى
ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل
كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما
والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما للمرتضى والجمع باعتبار من كان الافراد في

الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى امتهم كما هي من غير
اختطاف ولا تخليط بعدما ابلغها الرصد اليهم كذلك قوله تعالى **واحاط بما لديهم** اي بما عند الرصد والرسل عليهم السلام
حال من فاعل يسلك باضمار قد وبدونه على الخلاف المشهور جي به لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك
الرصد على الوجه المذكور اي يسلكهم بين يديه ومن خلفه لترتيب علمه تعالى بالذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال
جميعا **واحصى كل شي** قد كان وما سيكون **عددا** اي فردا فردا فهو تمييز منقول من المفعول به لقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل
احصى عدد كل شي وقيل هو حال اي معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصى وايا ما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشيا ليس
على وجه كلي اجمالا بل هو على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصا قد يراد به الاحاطة اجماليا كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصا ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد
كالعشرة والماية والالف وضع حصياة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه هذا فاما ما قيل من ان قوله تعالى
واحاط بما لديهم الى اخره معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الى اخره فمعزل من
السداد وما روى في فضايل هذه السورة ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمد
صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا
تلفف بها فادغم التا في الزاي وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب النبي صلى الله
عليه وسلم تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر
ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى التشمر الى العبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة وقد جث
فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني فحسب انه عرض له فبينما هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال
يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التخصيص بالخطاب للملاطفة والتانيس كما في قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه حين
غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب
وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما هو امر النبوة اي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله والتعرض للوصف حينئذ للاشعار
بعليته للقيام او للامر به وان تحميله صلى الله عليه وسلم لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة **قم الليل** اي قم الى الصلاة
وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة والمعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها **الا قليلا** استثنى من الليل
وقوله تعالى **نصفه** بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال
الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار
قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر **او انقص منه** اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة
الاولى **قليلا** اي نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف **او زد عليه** اي زد القيام على النصف المقارن له
والمعنى تخييره صلى الله عليه وسلم بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس
بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتبار الذي يبنى عنده الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج
العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل
نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتداد يتساوى النوعين مع
كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثنا من النصف والضمير في منه وعليه
للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من

النصف

من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد
منه قليلا وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل والله اعلم بما في كتابه الجليل **ورتل القران** في اثناء ما ذكر من القيام اي اقراه على
تؤدة وتبيين حروف **ترتيلا** بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا **انا سنلقي عليك** اي
سنوحي اليك وايثار الالقا عليه لقوله تعالى **قولا ثقيلا** وهو القران العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين
لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مامور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله
لتسهيل ما كلفه صلى الله عليه وسلم من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل
فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريده للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي الله
عنهما كان اذا انزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عايشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا **ان ناشية الليل** اي النفس التي تنشا من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشا من مكانه اذا
نهض او ان قيام الليل على ان الناشية مصدر من نشا كالعافية فان العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث وان ساعات الليل
فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشا اذا ابتدا **هي اشد وطا** اي هي خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد
من الاعتنا بالقيام وقرئ وطا اي اشد مواطاة يواطي قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطي فيها قلب النايم لسانه ان اريد
بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص **واقوم قيلا** واسد مقالا واثبت قراة لحضور
القلب دون الاصوات **ان لك في النهار سبحا طويلا** اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالات واغلاك فلا يستطيعون تفرغا
للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرق قلب
بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزايه **واذكر اسم ربك** ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اي وجه كان
من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراة قران ودراسة علم **وتبتل اليه** اي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في
مراقبته حيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوايق الصادرة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلايق عما
سواه قيل **تبتيلا** مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل **رب المشرق والمغرب** مرفوع على المدح وقيل على الابتدا خبره لا اله
الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه **لا اله الا هو** والفا في قوله تعالى **فاتخذه وكيلا**
لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى **واصبر على ما يقولون** مما لا خير فيه من الخرافات **واهجرهم**
هجرا جميلا بان تجانبهم ولا تداريهم ولا تكافيهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى **وذرني والمكذبين** اي دعني
واياهم وكل امرهم الي فاني اكفيهم **اولي النعمة** ارباب التنعم وهم صناديد قريش **ومهلهم قليلا** زمانا قليلا **ان لدينا انكالا**
جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم **وجحيما وطعاما ذا غصة** ينشب في الحلوق
ولا يكاد يساغ كالضريع مع الزقوم **وعذابا اليما** ونوعا اخر من العذاب مولما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم
ومرصد وقوله تعالى **يوم ترجف الارض والجبال** اي تضطرب وتتزلزل ظرفا للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق
بمضمر فوصفه لعذابا اي عذابا واقعا يوم ترجف **وكانت الجبال** مع صلابتها وارتفاعها **كثيبا** رملا مجتمعا من كثب الشي اذا
جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول **مهيلا** منثورا من هيل هيلا اذا نثر واسيل **انا ارسلنا اليكم** يا اهل مكة **رسولا شاهدا**
عليكم يشهد يوم القيامة بما صدر منكم من الكفر والمعاصي **كما ارسلنا الى فرعون رسولا** هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه
لعدم دخوله في التشبيه **فعصى فرعون الرسول** الذي ارسلناه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا
ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كاينا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله
تعالى **فاخذناه اخذا وبيلا** خارج من التشبيه جي به للتنبيه على انه سيحيق بهم لا محالة باوليك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ
من قولهم كلا وبيل اي وخيم لا يستمرى لثقله والوبيل العصا الضخمة **فكيف تتقون** اي كيف تقون انفسكم **ان كفرتم** اي

بقيتم علي الكفر **يوما** اي عذاب يوم **يجعل الولدان** من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي **شيبا** شيوخا جمع شيبة اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاهوال اذا تعاقبت علي المرء ضعفت قواه واسرعت فيه الشيب وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك **السما منفطر** اي منشق وقري منفطر متشقق والتذكير لاجرائه علي موصوف مذكر اي شي منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه علي انها تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشي وقيل لتاويل السما بالسقف وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالي **به** مثلها في فطرة العود بالقدوم **كان وعده مفعولا** الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الي فاعله او اليوم وهو مضاف الي مفعوله **مفعولا** اشارة الي الايات المنطوية علي القوارع المذكورة **تذكرة** موعظة **فمن شا اتخذ الي ربه سبيلا** ما لتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الي مرضاته تعالي **ان ربك يعلم انك تقوم ادني من ثلثي الليل** اي اقل منهما استعير له الادني لما ان المسافة بين الشيين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز **ونصفه وثلثه** بالنصب عطفا علي ادني وقرئا بالجر عطفا علي ثلثي الليل **وطايفة من الذين معك** اي ويكون معك طايفة من اصحابك **والله يقدر الليل والنهار** وحده لا يقدر علي تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدا وبنا يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالي **علم ان لن تحصوه** اي علم ان الشان لن تقدروا علي تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا **فتاب عليكم** بالترخيص في ترك القيام المقدر ودفع التبعة عنكم في تركه ٥ **فاقروا ما تيسر من القران** فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا علي التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به ثم نسخ هذا بالصلاة الخمس وقيل هي القران بعينه قالوا من قرا مائة اية من القران في ليلة لم ... وقيل من قرا مائة اية كتب من القانتين وقيل خمسين اية **علم ان سيكون منكم مرضى** استيناف مبين لحكمة اخرى داعية الترخيص والتخفيف **واخرون يضربون في الارض** يسافرون فيها للتجارة **يبتغون من فضل الله** وهوا لربح وقد عم ابتغا الفضل لتحصيل العلم **واخرون يقاتلون في سبيل الله** واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الي الترخيص **فاقروا ما تيسر منه** من غير تحمل المشاق **واقيموا الصلاه** اي المفروضة **واتوا الزكاة** الواجبة وقيل هي زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل اخر السورة مدنية **واقرضوا الله قرضا حسنا** اريد به الانفاقات في سبيل الخيرات او الزكاة علي احسن الوجوه وانفعها للفقرا **وما تقدموا لانفسكم من خير** اي خير كان مما ذكر وما لم يذكر **تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا** من الذي تؤخرونه الي الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع حروف التعريف وقري هو خير علي الابتدا والخبر **واستغفروا الله** في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو عن تفريط **ان الله غفور رحيم** عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة ورزقه اليسر فيها

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اي المتدثر وهو ما يلبس فوق الشعار التي تلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال كنت علي جبل حرا فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيا فنظرت فوقي فاذا هو قاعد فوق عرش بين السما والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الي خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرا الي قوله تعالي ما لم يعلم فحزن رسول الله صلي الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الي خديجة وقال دثروني وصبوا علي ما باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطي بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامران لا يدع انذارهم فانما سموه واذوه وقيل كان نايما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلسان النبوة والمعارف الالهية وقري المدثر علي صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي علي الاصل **قم** اي من مضجعك او قم قيام عزم **فانذر** اي افعل الانذار

واحدثه وقيل انذر قومك وقوله تعالي وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبي عنه قوله تعالي وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **وربك فكبر** واختص ربك بالتكبير وهو صفته تعالي بالكبريا اعتقادا وقولا وتروي انه لما نزل قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل علي تكبير الصلاة والفا بمعني الشرط فكانه قيل ما كان اي اي شي حدث فلا تدع تكبيره الله لا له علي ان المقصود الاول من الانذار والقيام ان يكبر ربه وينزهه عن الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع عز جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه **وثيابك فطهر** ما لبس بظاهر فانه واجب في الصلاة فاولي واجب في غيرها وذلك لصيانتها وحفظها عن الصيانات النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يودي الي جر الذيول علي القاذورات وهو اول ما امر به صلي الله عليه وسلم من رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الثياب الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقا من المعايب ومدانس الاخلاق **والرجز فاهجر** اي واهجر العذاب بالثبات علي هجر ما يودي اليه من الاثم وقري بكسر الها وهما لغتان كالذكر والذكر **ولا تمنن تستكثر** ولا تعطه مستكثرا اي رائيا لما تعطيه وطالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جار ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته والنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلي الله عليه وسلم لان الله تعالي اختار له اشرف الاخلاق واحسن الاداب او للتنزيه وقري تستكثر بالسكون اعتبارا لحال الوقف او ابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر علي انه من المن الذي هو في قوله تعالي منا ولا اذي لان من يمن لا يعطي مستكثرا ويعتد به وقري بالنصب مع ابقا عملها كقول من قال ؎ الا ايهذا الزاجري احضر الوغا ؎ وقري باثباتها ويجوز في قراة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما يروي احضر الوغا بالرفع **ولربك** اي لوجهه تعالي او لامره سبحانه **فاصبر** فاستعمل الصبر وقيل علي اذية المشركين وقيل علي ادا الفرايض **فاذا نقر في الناقور** اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعني التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفا للسببية كانه قيل اصبر علي اذاهم فبين ايديهم يوم هايل يلقون فيه عاقبة امرهم وتلقي عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالي **فذلك يوميذ يوم عسير علي الكافرين** فان معناه عسر الامر علي الكافرين وذلك اشارة الي وقت النقر وما فيه من معني البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع علي الابتدا ويوميذ بدل منه مبني علي الفتح لاضافته الي غير متمكن والخبر يوميذ عسير وقيل يحذوف هو صفة العسر او حال من المستكن فيه وقوله تعالي **غير يسير** تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره علي المومنين واختلف في المراد به يوم النفخة الاولي والثانية والحق انه الثانية وهي التي يختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولي فحكمها الذي هو الاصعاق يعم البر والفاجر علي انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جا في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الي الجسد التي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالي عز وجل **ذرني ومن خلقت وحيدا** حال امامن اليا اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التا اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احدا ومن العايد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذي يومونه من مدحه الي جهة ذمه لكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما كما مر او وحيدا في الشرارة **وجعلت له مالا ممدودا** مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنما من مدا الدهر ومن نهر اخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما هو ما كان له بين مكة والطايف من صنوف الاموال وقيل كان له في الطايف بستان لا ينقطع ثماره صيفا ولا شتا وقيل قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة الاف دينار وقال الثوري الف الف دينار **وبنين شهودا** حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل وتجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر كلهم من رجال الوليد وخالد

وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة
والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار لمعاندة المنعم وقيل كان
يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى انه
كان لاياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستيناف التحقيقي فان معاندة ايات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما
يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا
ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة او الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت فاذا رفع رجله ذابت فاذا رفعها عادت
وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد واستحقاقه
له والبيان لمعناه لاباته تعالى فكر ماذا يقول في شان القران وقدر في نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر تعجب من تقديره واصابته في
الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثنى عليه بطريق الاستهزاء او حكاية لما كرروا من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم
بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا
حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله قد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام
الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى عليه فقالت قريش صبا والله والوليد قريش
كلها فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق
وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا
من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه
وما الذي يقوله الا سحر يؤثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة
وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني ثم نظر اي في القران مرة بعد مرة ثم عبس قطب
وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا
سحر يؤثر اي يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى ان هذا
الا قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك لم يعطف على العاطف ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر اي
شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدا وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر
مبتدا اي اي شيء هي في وصفها فالامر مرارا ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى
لا تبقي ولا تذر بيان لوصفها وحالها واعتبار للوعد الضمني الذي يلوح به وما ادراك ما سقر وقيل حال من سقر ولبس بذاك اي
لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك
لا محالة لواحة للبشر مغيرة لاعالي الجلد مسودة له وقيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس وقيل
لقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او صفا
او نقيبا من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد
وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها الا ملائكة
ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى ولاشدهم
باسا عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي الجبل
عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش العجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاسود بن اسيد

ابن

ابن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي وما جعلناهم رجالا من جنسكم وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي وما جعلنا عددهم الا العدد الذي سبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن
المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القران ايضا كذلك
وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم واستبعادهم لهذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين
واستهزائهم حسبما ذكر وعليه يدور ما سياتي من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان
اختلاف البشرية والنظر والعمل بسبب القوى الحيوانية والاثني عشر والطبيعية السبع ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف
الكفرة وان صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وكل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة
وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد وان الساعات اربعة وعشرون منها مصروفة للصلوات
الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من العذاب تتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب متعلق
بالجعل باعتبار المعنى المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوة صلى الله عليه وسلم وصدق القران لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم
ويزداد الذين امنوا ايمانا اي ويزداد ايمانهم كيفية بما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم
بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تاكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان
ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتاب للتنبيه
على تباين اليقينين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان
وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد
ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون
المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه
وحسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من
يشاء ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف واصل التقدير
يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه
ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار التعظيم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى
جانب الضلال عند مشاهدة اياته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الايات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما وما
يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على
حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الايات
الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذا
دبر وقرئ اذ ادبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه
والصبح اذا اسفر اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع
الكبرى جعلت الف التانيث كالتاء فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء كانها
جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكثيرة والدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم
لا نظير لها نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر
لان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شا منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى او
لم يشا ذلك فيضله وقيل لمن شا خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدا فيكون في معنى قوله تعالى فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر كل نفس
بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا قال رهين لان

فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله النار الا اصحاب اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملايكة وقيل هم الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا على يمين ادم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشا مما قبله من استثنا اصحاب اليمين وقيل من ضميره في قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساول وليس المراد بتساءلهم ان يسال بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سايلا ومسبوا لا مقابلا اصدورا السوال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا تراى القوم اى تراى كل واحد منهم الاخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فتذكر للفعل حينيذ مفعول كما في قولك تراوا الهلال فمعنى يتساءلون عن المجرمين يسالونهم عن احوالهم وقد حذف السوال لكونه عين السوال عنه وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اى يسالونهم اى شي قايلون اى شي ادخلكم فيها فتامل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون قالوا اي المجرمين مجيبين للسايلين لم نك من المصلين للصلاة الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار النفي لا الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كامر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذة وكنا نخوض مع الخائضين اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزا اضافوه الى الجزا مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتاخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لساير جناياتهم المعدودة مستمرا الى اخر عمرهم حسبما نطق به قوله تعالى حتى اتانا اليقين اي العذاب ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفا في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن القران بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سو حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا لما في الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شي حصل لهم معرضين عن القران مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتاخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة اي اشد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القران واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يوتى قراطيس تطوى وتنشر وتقرا وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى توتى كل واحد منا بكتب من السما عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نومر فيها باتباعك كما قالوا لن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروه وقيل صحفا منشرة بسكون الحا والنون كلا ردع عن اعراضهم عن تلك الجراة بل لا يخافون الاخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لامتناع ايتا الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه اي القران تذكرة واي تذكرة فمن شا ان يذكره ذكره ونال بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى وما يذكرون اذ لا تاثير لمشية العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشا الله استثنا مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشا الله او حال الا ان يشا الله ذلك وهو تصريح بان افعال العباد بمشية الله تعالى وقرى تذكرون على الخطاب اتفاقا وقرى بهما مشددا هو اهل التقوى اي حقيق بان يتقى عقابه ويومن به ويطاع واهل المغفرة اي حقيق بان يغفر لمن امن به واطاعه وما جا في فضايل هذه السورة من الاحاديث ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وعدد من كذب به

لبسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيامة ادخال لا النافية على فعل القسم شايع وفايدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هي للنفي لكن لا لنفي الاقسام بل لنفي ما ينبى عنه هو من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بمكة لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه الله تعالى فانه حقيق باكثر من ذلك واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك وقيل اقسم بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الاحزاب والزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة اي النفس التقية تلوم النفوس يومئذ على تقصيرها في التقوى فعليه طرف من البراعة التي في القسم السابق اما بالنفس المطمينة اللايمة للنفس والامارة بالسو وقيل بالجنس لما روى من انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المومنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة وقيل نفس ادم عليه السلام فانها لا تزال تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب الانسان ان الشان لن نجمع عظامه وان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد نبشها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار قالوا ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السو قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ويجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه وقرى قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل عن الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه يسال ايان يوم القيامة اي متى يكون استبعادا او استهزا فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرى بفتح الرا وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرى بلق اي انفتح وانفجر وخسف القمر اي ذهب ضوءه وقرى على البنا للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ تقع هذه الامور اين المفر اين الفرار يا سا منه وقرى بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع عن طلب المفر وتمنيه لا وزر مستعار من الجبل وقيل كل ما التجات اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشا الجنة ويدخل من يشا النار ينبا الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او وصى به او باول عمله واخره واخر اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما ينبي عنه كلمة وما سياتي من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الايات بالابصار في قوله تعالى فلما جاتهم اياتنا مبصرة اي عين بصيرة او التا للمبالغة ومعنى بل للترقي اي ينبا الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ولو القى معاذيره اي ولو جا بكل معذرة

يمكن ان يتعذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبأ اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل
شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤا باعماله ولو اعتذر الى اخره والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل
هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام
القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان تنفلت منه فامر صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه
السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان تنفلت منه فامر صلى الله عليه وسلم بان يستنصت له ملقيا
اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقرآن لسانك عند القاء الوحي
لتعجل به اي لتأخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه وقرآنه
اي اثبات قراءته فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في
ايجاب التأني فاتبع قرآنه فكن مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليه من معانيه واحكامه كلا ردع
له صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة
على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضميرين في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين
على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم الملائكة متهللة يشاهد عليها
نضرة النعيم على ان وجوه ناضرة ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة وقوله تعالى الى ربها ناظرة خبران للمبتدأ او نعت لناضرة والى ربها
متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل الا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور
من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر
به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة
وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره
بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهي شديدة العبوس وهي
وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة
اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي
اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال من حضر صاحبها من
يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملك الموت اي ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي
وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه
والتوت عليها عند حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين يلفان في اكفانه الى ربك
يومئذ المساق اي الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن
الذي انزل عليه او لا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان
وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقرآن وتولى عن الطاعة ثم
ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه
يلويه اولى لك فاولى اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو
افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر عليه ذلك
مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى ان يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك في قبره فلا يبعث وقوله
تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الى اخره استيناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة

استدل

استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اي بقدرة الله تعالى لقوله ثم خلقنا النطفة علقة فخلق اي فقدر بان جعلها
مضغة فسوى فعدل وكمل نشأته فجعل منه اي من الانسان الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك
العظيم الشأن الذي انشأ هذا الانشاء البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء في قياس العقل روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة
انه كان مؤمنا بيوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد
والاصل أهل اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل
كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة
اخرى لحين على حذف العائد الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس والاظهار في قوله تعالى انا خلقنا الانسان
من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال
ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح ثم من صلصال فاقام اربعين سنة وهو ملقى بين مكة
والطائف وفي رواية الضحاك عنه ان الله خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين
سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحين المذكور ههنا هو الزمن
الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم وهذا بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج
اي مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لما ان المراد به مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة
والغلظة وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما
كان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل وما كان من دم ولحم وشعر فهو من المرأة وقال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار
وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل خلقنا اي مريدين
ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة وكما روي عن ابن عباس تصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة
الى اخره فجعلناه سميعا بصيرا اي ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف
على الخلق المعتد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا حالان من
مفعول هديناه اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حاليه جميعا او للتفصيل والتقسيم اي هديناه الى ما يوصل
اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر وبعضهم كفور على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب
اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار
بان الانسان قلما يخلو من كفران وانما المؤاخذة عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذي هديناه السبيل
سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم لجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن
على ان وصفهم تفصيلا وتماما يخل تعديده بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع في بيان حسن حال
الشاكرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد
قيل هو من بر خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل امره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر يشربون
من كاس هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية او بيانية كان مزاجها
اي ما يمزج به كافورا اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تعالى عينا بدل

من كافور وعن قتادة يمزج لهم الكافور ويختم لهم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير مضاف اي يشربون خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى **يشرب بها عباد الله** صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشربون معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة فيشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون العين بتلك الكاس **يفجرونها تفجيرا** اي يجرونها حيث ما شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل تجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى **يوفون بالنذر** استئناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله عليهم **ويخافون يوما كان شره** عذابه **مستطيرا** فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر **ويطعمون الطعام على حبه** اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سياتي من قوله تعالى لوجه الله **مسكينا ويتيما واسيرا** اي اسيرا كان فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك **انما نطعمكم لوجه الله** على ارادة قول هو في موقع الحال من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضوان الله عليها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما ذا قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى **لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** اي شكرا **انا نخاف من ربنا يوما عبوسا** وهو في الشدة الضراوة **قمطريرا** شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لارادة الجزاء والشكور اي نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما **فوقاهم الله شر ذلك اليوم** بسبب خوفهم وتحفظهم عنه **ولقاهم نضرة وسرورا** اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب **وجزاهم بما صبروا** بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار **جنة** بستانا ياكلون منه ما شاؤا **وحريرا** يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم فاقبلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فقال صلى الله عليه وسلم ما يسوءني ما ارى بكم وقام وانطلق معهم فراى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله بها في اهل بيتك فاقرأه السورة **متكئين فيها على الارائك** حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله تعالى **لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا** اما حال ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر **ودانية عليهم ظلالها** عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ

دانية بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ولا قمر **وذللت قطوفها تذليلا** اي سخرت ثمارها لمتناولها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة قطوفها او معطوفة على دانية اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها على تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية **ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب** الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروة **كانت قواريرا قواريرا من فضة** اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة لاكواب وقرئ قوارير الثاني ايضا وقرئ بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير **قدروها تقديرا** صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء **ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا** اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما يستطيبه العرب والذ ما يستلذ به **عينا** بدل من زنجبيلا وقيل يمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كاسا كانه قيل يسقون فيها كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص **فيها تسمى سلسبيلا** لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعة بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة **ويطوف عليهم ولدان مخلدون** اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء **اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا** لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض **واذا رايت ثم** ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي على معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة **رايت نعيما وملكا كبيرا** اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل تسلم عليه الملائكة ويستاذنون عليه **عاليهم ثياب سندس خضر** قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدا مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس **واستبرق** بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مستفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب **وحلوا اساور من فضة** عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف بحسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين **وسقاهم ربهم شرابا طهورا** هو نوع آخر يفوق النوعين السابقين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اي يقال لهم **ان هذا** الذي ذكر من فنون الكرامات **كان لكم جزاء** بمقابلة اعمالكم **وكان سعيكم مشكورا** مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب **انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا** اي مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرك كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان **فاصبر لحكم ربك** بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة **ولا تطع منهم آثما او كفورا** اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه او للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتيب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو

واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم علي ذكره في جميع الاوقات اودم علي صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصل ينتظمهما
ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل صلاة المغرب والعشا وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص
وسبحه ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلا الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها الفانية ويذرون
وراهم اي امامهم لا يستعدون او ينبذون ورا ظهورهم يوما ثقيلا لا يعباون به ووصفهم بالثقل لتشبيه هوله بثقل شيء
فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو التعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اي احكمنا
ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه وهو البعث كما ينبي عنه كلمة اذا او
بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم وايراد الدلالة علي تحقق القدرة وقوله الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى
السورة والايات القريبة فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شا ان يتخذ اليه سبيلا او وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب
اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاون الا ان يشا الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيتهم غير كافية في اتخاذ
السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاون اتخاذ السبيل ولا يقدرون علي تحصيله في وقت من الاوقات الى وقت
مشية تعالى بتحصيله لكم اذ لا دخل لمشية العبد الا في الكسب وانما التاثير والخلق لمشية الله عز وجل وقرى تشاون بالتا وقرى
الا ما شا الله تعالى وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيته تعالى مبنية علي اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى
مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشا لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشا
في رحمته بيان لاحكام مشيته المترتبة علي علمه وحكمته اي يدخل من يشا في رحمته من يشا ان يدخله وهو الذي يصرف مشيته نحو
اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه الى ما يودي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة والظالمين وهم الذين صرفوا مشيتهم الى
خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشا في رحمته
ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا للمضمر وقرى بالرفع علي الابتدا اما جا في فضايل هذه السورة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من قرا سورة هل اتى على الانسان كان جزاوه علي الله جنة وحريرا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا

والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من الله عز وجل بطوايف من الملايكة ارسلهن باوامره فعصفن
في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوايف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن
الشرايع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبيا عذرا
للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرايع ونشر النفوس والفرق علي الالقا للايذان بكونهما غاية للالقا حقيقة
للاعتنا بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة علي استحقاق الطوايف الموصوفة بها للتفخيم
والاجلال بالاقسام بهن ولو جي بها علي ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقا والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من
الاستحقاق او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى فيجعله كسفا
اي بالسحاب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن ساير الاوصاف بالشكل واللون وساير الخواص او فرقن بين من يشكر الله
تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا او عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لاثار رحمته تعالى في
الغيث ويشكرونها واما انذارا الى الذين يكفرونها وينسبونها الى الانوا واسناد القا الذكر اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا
شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بايات مرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن لساير الكتب بالنسخ ونشرن
اثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف اما نقيض
المنكر وانتصابه علي العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارساله ملايكة العذاب معروف للانبيا عليهم السلام والمومنين

او

او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه علي الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر
اذا خوف وانتصابهما علي البدلية من ذكرا او علي العلية وقرئا بالتثقيل انما توعدون لواقع جواب للقسم اي ان الذي
توعدونه من مجي القيامة كاين لا محالة فاذا النجوم طمست محيت ومحقت او ذهب بنورها واذا السما فرجت صدعت
وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من
مقارها بسرعة من انتسفت الشي اذا اختطفته وقرى طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اي عين لهم
الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة علي اممهم وذلك عند مجيه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذي كانوا
ينتظرونه وقرى وقتت علي الاصل وبالتخفيف فيهما لاي يوم اجلت مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت
او حال من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجب من هوله وقوله
تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلايق وما ادراك ما يوم الفصل ما مبتدا
ادراك خبره اي اي شي جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل
مبتدا لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفايدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هايلا لا يقادر قدره ولا يكتنه
كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يوميذ للمكذبين اي في ذلك اليوم الهايل وويل
في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة علي اثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويوميذ
ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرى نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم
الاخرين بالرفع علي ثم نحن نتبعهم الاخرين من نظرايهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرى
ستتبعهم وقرى نتبعهم بالجزم عطفا علي نهلك فيكون المراد بالاخرين المتاخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى
عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين اي سنتنا جارية علي ذلك ويل يوميذ اي يوم اذ اهلكناهم
للمكذبين بايات الله تعالى وانبيايه وليس بتكرير لما ان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا لعذاب الدنيا الم نخلقكم
اي الم نقدركم من ما مهين اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم اي مقدار معلوم من
الوقت الذي قدره الله تعالى للولادة تسعة او اقل منها او اكثر فقدرنا اي فقدرنا وقد قرى مشددا او فقدرنا علي ذلك
علي ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل فنعم القادرون اي نحن ويل يوميذ للمكذبين بقدرتنا علي ذلك وعلي
الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشي اذا جمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي
الم نجعلها كفاتا تكفت احيا كثيرة علي ظهرها وامواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت
كصايم وصيام او كفت وهو الوعا اجري علي الارض باعتبار اقطارها وقيل تنكير احيا وامواتا لان احيا الانس وامواتهم
بعض الاحيا والاموات وقيل انتصابهما علي الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احيا وامواتا وجعلنا فيها رواسي اي جبالا
ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المونث في غير العقلا مطرد كداجن ودواجن واشهر معلومات وتنكيرها
للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ما فراتا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع ويل يوميذ للمكذبين بامثال
هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يوميذ انطلقوا للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من
العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرى انطلقوا علي لفظ الماضي اخبارا
بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه تطوعا او كرها ذي ثلاث شعب تتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شان الدخان
العظيم تراه يتفرق ذوايب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم
حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال
والوهم او لان المودي الى هذا العذاب هو القوة الالوهية الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية

المسبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه
وشعبة عن يساره **لا ظليل** تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل **ولا يغني من اللهب** اي غير مغن لهم عن حر اللهب شيئا **انها ترمي**
بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر
بفتحتين وهي اعناق الابل واعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر نحو قصر **كانه**
جمالات هو جمع جمال والتا لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة **صفر** قال الشرار لما فيه من النارية
يكون اصفر وقيل اسود لان جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس
الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه **ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون** اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا
يوم لا ينطقون فيه بشيء لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك اليوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت
ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا
الذي فصل واقع يوم لا ينطقون **ولا يؤذن لهم فيعتذرون** عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن
واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب **ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل** بين الحق
والباطل والمحق والمبطل خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم **جمعناكم** من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل **والاولين فان**
كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتعتقدون انهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا
واظهار لعجزهم **ويل يومئذ للمكذبين** حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب **ان المتقين** من الكفر والتكذيب **في**
ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم **كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم**
تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في خبر اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال **انا**
كذلك الجزاء العظيم **نجزي المحسنين** اي في عقايدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه **ويل يومئذ للمكذبين** حيث نال اعداؤهم
هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل **كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون** مقدر بقول هو حال من المكذبين
اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم
الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستانف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان حال
حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى **ويل يومئذ للمكذبين** لزيادة التوبيخ والتقريع **واذا قيل لهم اركعوا** اي اطيعوا الله واخشعوا
وتواضعوا لقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا عن هذا الاستكبار والنخوة **لا يركعون** لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون
على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلاة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه لما نزل امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم
القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون **ويل يومئذ للمكذبين** وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق
المؤاخذة **فباي حديث بعده** اي بعد القران الناطق باحاديث الدارين واخبار النشاتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج
قاطعة وبراهين ساطعة **يؤمنون** اذا لم يؤمنوا به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المرسلات كتب انه ليس من
المشركين والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم عم اصله عما فحذفت الالف
منه اما لانه ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة
شان المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اي عن اي شيء عظيم الشان **يتساءلون** اي اهل مكة وكانوا
يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو

حال

حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقايق الاشيا ومسميات اسمايها كما في قولك ما الملك وما
الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فتقول عالم او طبيب وقيل كانوا يتساءلون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتقدمة موضوعة لافادة صدور
الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب
فاعليته ويحال مفعوليته على دلالة العقل كما في قولك تراءى القوم اي راى كل واحد منهم الاخر وقد يجرد عن المعنى الثاني فيراد
بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد
كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن اي شيء يسال هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وربما جرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعلق متعدده مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى
فباي الاء ربك تتمارى وقوله تعالى **عن النبا العظيم** بيان لشان المسؤل عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه
وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره
خارج عن دايرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسال عنه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب
عن النبا العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور ومن صرح به ان يقدر
بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق
بمضمر يفسره وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجرا الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم
يتساءلون عن النبا العظيم والنبا الخبر الذي له شان وخطر وقد وصف بقوله تعالى **الذي هم فيه مختلفون** بعد وصفه
بالعظم تاكيدا لخطره اثر تاكيد واشعارا بمدار السؤال عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل
الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور
النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على
الاختلاف بالنفي والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية لله
واستعدادا وسؤال الاخرين ليزدادوا كفرا وعنادا او يرده قوله **كلا سيعلمون** فانه صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين
له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على اختلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضمير
السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما تؤدي اليه جليل النظر والذي تقتضيه التحقيق وتستدعيه النظر
الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر
في التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متاخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري
في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على لغة بعضهم لبعض لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن الاستحقاق كل جانب لما ليس
لمخالفته للجانب الاخر اذ لا حقيقة في شيء منهما يستحق من مخالفة المؤاخذة بل لمخالفته صلى الله عليه وسلم فكلا ردع لهم عن
التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستيناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتاكيد
وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام عن وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه الاية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو
عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف فالمعنى ليرتدعوا
عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى **ثم كلا سيعلمون** تكرير للردع
والوعيد للمبالغة وفي التاكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في
القيامة وقيل للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا

للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما يتوهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى **الم نجعل**
الارض مهادا والجبال اوتادا الى اخره استيناف مسوق لتحقيق النبا المتسا ل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته
اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان المتسا ل عنه هو البعث لا القران او نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما
قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرا
مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للمهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساها بها كما يرسي
البيت بالاوتاد **وخلقناكم** عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة انا جعلنا الى اخره او على ما يقتضيه الانكار التقريري
فانه في قوة ان يقال جعلنا **ازواجا** اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الاخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل
وجعلنا نومكم سباتا اي موتا فانه احد التوفين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو
الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة
القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه **وجعلنا الليل** الذي يقع فيه النوم غالبا **لباسا** يستركم
بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد
ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى **وجعلنا النهار معاشا**
اي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار
نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا عن عدو او بياتا له ونحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا
جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعاش والحوائج **وبنينا فوقكم سبعا شدادا** اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البنا
لا يوثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبنا مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف
على المفعول ليس لمراعات الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن
فضل تمكن **وجعلنا سراجا وهاجا** هذا الجعل بمعنى الانشا والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشا التكويني وفيه معنى التقدير
والتسوية وهذا عام له كما في الاية الكريمة وللتشويق ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الى اخره وقوله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا وايا ما كان فقيد ابناء عن ملابسة مفعوله بشي اخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط
بينهما شي من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما وقوله
تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف
وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا
الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد
الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالي من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة
من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبنا **وانزلنا من المعصرات** هي السحائب
اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض
او الرياح التي حان لها ان تعصر السحائب وقرى بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سوا اريد بها السحائب
او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح التي تنشي السحاب
وتدر اخلافه فصلح ان تجعل مبدا للانزال **ماء ثجاجا** اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية ودما الهدي وقرى ثجاحا بالحاء بعد الجيم قال مثاج الماء
مصابه **لنخرج به** بذلك الماء **حبا** يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما **ونباتا** يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تاخره عن
النبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذا للانسان **وجنات** اجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره اي طلق على

النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفات اغصانه قال زهير بن ابي سلمى

كان عيني في غربي مقتلة ۞ من النواضح تسقي جنة سحقا

وعلى الارض ذات النخل قال الفرا الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى **الفافا** اي ملتفة
تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل
هو جمع ملتفة بحذف الزوايد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار
قدرته تعالى فان من قدر على انشا هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر
واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رايع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة
عايدة على الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج
للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل
هذه الافعال الافاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه
انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى **ان يوم الفصل كان ميقاتا** شروع في بيان سر تاخيره تتساءلون عنه ويستعجلون
به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عنده ذلك من فنون العذاب حسبما جرى
به الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا للبعث الاولين والاخرين وما يترتب
عليه من الجزا ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتاخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ولا
ريب في انهما بمعزل من التقريب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عند النفخة الاولى وقوله تعالى **يوم ينفخ في الصور** اي نفخة ثانية
بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تاخر الفصل عن النفخ فانه في زمان ممتد يقع في مبدئه
النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه واثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه
على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شا الله تعالى وذلك
قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم يؤمر بالاخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت
الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفا في قوله تعالى **فتاتون** فصيحة تفصح عن جملة
قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق فتبعثون
من قبوركم فتاتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا **افواجا** اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس
بامامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه انه
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم
على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم
صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة
ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران
لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون
على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين قطعت ايديهم
وارجلهم فهم الذين يوذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد
نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر
والفخر والخيلا **وفتحت السما** عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرى فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى

فكانت ابوابا اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملايكة نزولا غير معتاد حتى صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله
تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيونا متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا وهو الغمام
الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله اي امره في ظلل من الغمام والملايكة وقيل الابواب الطرق والمسالك
اي تكشط فينفتح مكانها وتنبسط طرقا لا يسدها شي وسيرت الجبال اي في الجو على هيئاتها بعد قطعها من مقارها كما يعرب عنه قوله
تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وهي الاية اي تراها راي العين ساكنة في اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التي
تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحا لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية
السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال

۝ بارعن مثل الطود تحسب انهم ۝ وقوف لحاج والركاب تهملج ۝

وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزا وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال
كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض بغير هياتها وتسير الجبال على تلك الهيئة الهايلة عند حشر الخلايق بعد النفخة الثانية
ليشاهدوها ثم يفرقها في الهوى وذلك قوله تعالى فكانت سرابا اي فصارت بعد تسيرها مثل السراب كقوله تعالى وبست
الجبال بسا فكانت هبا منبثا اي غبارا منتشرا وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن نشرها وتسوية الارض
انما يكون بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع
الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية ان جهنم كانت مرصادا شروع
في تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد
اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اي انها كانت
في حكم الله تعالى وقضايه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها للطاغين متعلق بمضمر هو اما نعت
لمرصادا اي كاينا للطاغين وقوله تعالى مآبا بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة
ولو تاخرت لكانت صفة وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا على انها مرصاد للفريقين مآبا للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر
من كونها مرصادا للطايفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملايكة الذين هم يستقبلونهم
عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين لابثين فيها حال مقدرة من المستكن في الطاغين وقرى لبثين وقوله تعالى احقابا
ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب اخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة
وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون الف سنة او سبعون الف سنة لا يذوقون فيها
بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جملة مبتداة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا
من شراب يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرى غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من
صديدهم جزاء اي جوزوا بذلك جزاء وفاقا ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا وقرى وفاقا على انه
فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزا المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم
وكذبوا باياتنا الناطقة بذلك كذابا اي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شايع فيما
بين الفصحا وقرى بالتخفيف وهو مصدر كذب قال الشاعر فيها

۝ فصدقتها وكذبتها ۝ والمرء ينفعه كذابه ۝

وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اي وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من
يكذب بالحق فهو كاذب وقرى كذابا وهو جمع كاذب وانتصابه على الحالية اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد

البليغ بالكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شي من الاشيا التي من جملتها اعمالهم وانتصابه
بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه وضبطناه وقرى بالرفع على الابتدا كتابا مصدر موكد لاحصيناه والكتبة من واد
واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات وفي الالتفات المبني عن التشديد في التهديد وايراده من المفيدة لكون ترك
الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه
الاية اشد ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن احوال المومنين اثر بيان احوال الكفرة اي
ان للذين يتقون الكفر وساير قبايح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اوليك او موضع نجاة وقوله
تعالى حدايق واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا وكواعب اي نسا فلكت ثديهن وهن النواهد
اترابا اي لدات وكاسا دهاقا اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملاه لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكاس لغوا ولا
كذابا اي لا ينطقون باللغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرى كذابا بالتخفيف اي لا يكذبه ولا يكاذبه جزاء من ربك مصدر موكد
منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كاينا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبية
عن التبليغ الى الكمال شيا فشيا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم عطا اي تفضلا
واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شي وهو بدل من جزا حسابا صفة لعطا بمعنى كافيا على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى
المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان ففي ذكر
ربوبيته تعالى ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزا المذكور وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا استيناف مقرر لما افادته
الربوبية العامة من غاية العظمة والكبريا واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزا والعطا من غير ان يكون لاحد قدرة عليه
وقرى برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتدا والثاني خبره ولا يملكون خبر اخر او
هو الخبر والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على راي من يقول به والاوجه
ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون استينافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزا
والعطا كما في البدلية لما ان المرفوع او المنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى
الذين يومنون بالغيب من سورة البقرة وقرى بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتدا والخبر ما بعده او على انه خبر مبتدا
مضمر وما بعده استيناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقا
انفسهم كما ينبي عنه لفظ الملك ... ما في يديه ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشي من نقص العذاب او زيادة الثواب
من غير اذنه على ابلغ وجه واكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله تعالى به ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون
فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملايكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملايكة
واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله بعد العرش اعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا كان يوم
القيامة قام هو وحده صفا والملايكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله تعالى
ليسوا من الملايكة لهم روس وايد وارجل ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح الاية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما
ينزل من السما ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملايكة وقيل هم حفظة على الملايكة وقيل هو
جبريل عليه السلام وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صفا واحدا او متعددا والملايكة صفا وقيل صفوف وهو
الاوفق بقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا
من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العايد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملايكة
وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبريا ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام الامن اذن الله

تعالى له منهي التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اي حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق
الكلام واعز منه مراما لا على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم اليه تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما
هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن يسلكه مع تجويزه ان
يكون يوما ظرفا ليملكون فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل الا من اذن الى آخره منصوب على اصل الاستثناء
والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع
الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى **ذلك** اشارة الى يوم قيامهم
على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة
ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم
وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال **اليوم الحق** اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله
تعالى **فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا** فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل
واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان
والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا **انا انذرناكم** اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي
او بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن **عذابا قريبا** هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه
تعالى وان رأوه بعيدا او سيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا
لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه** فانه اما بدل من
عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد والعائد محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه على انها
استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر ويأباه قوله تعالى **ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا** ظاهر وضع موضع
المضمر لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف وليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله
تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون
الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين وما جاء في فضائلها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون
الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن
مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها
سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها
وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير
الذاتي كما في قوله حيث قال الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتائب في المزدحم

للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه
للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما بغير مهلة كما في

قول

قوله من قال ... يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع
روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم يفرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت
تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق والانتصاب نشطا وسبحا وسبقا
على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة
يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على
اشارة ما قبله من المقسم به عليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة وهو لتبعثن فان الاقسام ممن يتولى نزع الارواح
ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما
بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج
من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير
الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن
الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بنفس الغزاة او بايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي
ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول
اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد
التدبير اليها لانها من اسبابه هذا والذي يليق بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى **يوم ترجف الراجفة** منصوب بالجواب
المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة التي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض
والجبال وهي النفخة الاولى وقد قيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى **تتبعها الرادفة**
اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة
الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانها عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع
ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا
مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاول ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة
استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو
منصوب بما دل عليه قوله تعالى **قلوب يومئذ واجفة** اي يوم ترجف وجفت القلوب وقيل قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة
وهي صفة القلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى **ابصارها** اي ابصار اصحابها **خاشعة** جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر
القلوب وقد مر ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها
اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة
فان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكم على ان الوجيف الذي
هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهون فجعل اهون الشرين عمدة
والاشد فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا لتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول
تهويل للخطب في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء كان حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع
المقابل فالمعنى منسحب عليه او على التكثير كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل
قلوب كثيرة يومئذ تقع النفختان واجفة اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خائفة وجلة وقال
السدي زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى **يقولون ائنا لمردودون في الحافرة** حكاية

لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالايات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهايلة وما
يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة
اي في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جا فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيته وتسميتها
حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهاره صايم على تسمية القابل بالفاعل
وقرى في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى **ائذا كنا عظاما نخرة** تاكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعا
في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شي من الحياة وقرى اذا كنا على الخبر او اسقاط
حرف وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير **قالوا** حكاية لكفر اخر متفرع على
كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاضطراد والاستمرار مثل كفرهم
السابق المستمر صدوره الى ما انكروه من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع **تلك اذا كرة خاسرة** اي ذات خسران او
خاسرة اصحابها اي ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى **فانما هي زجرة واحدة** تعليل المقدر يقتضيه انكارهم لاحيا
العظام النخرة التي عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا يستعصبوها فانما
هي صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة
فقوله تعالى **فاذا هم بالساهرة** حينيذ بيان لترتيب الكرة على الزجرة مفاجاة فاذا هم احيا على وجه الارض بعدما كانوا امواتا
في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضا المستوية سميت بذلك لان
السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الما وفي ضدها نايمة وقيل ان ساكنها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم جهنم وقال
الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله
تعالى عليها قط خلقها حينيذ وقيل هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب
الخلايق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال النووي الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل
الساهرة بمعنى الصحرا على شفير جهنم وقوله تعالى **هل اتاك حديث موسى** كلام مستانف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من
تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك اي اعتبر هذا اول ما اتاه صلى الله عليه وسلم من حديثه
عليه الصلاة والسلام في استماع حديثه كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في
الاقتصاص فالمعنى قد اتاك حديثه وقوله تعالى **اذ ناداه ربه بالواد المقدس** ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما **طوى**
بضم الطا غير منون وقرى منونا وقرى بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثني مصدر لنادى او المقدس
ناداه نداين او المقدس مرة بعد اخرى **اذهب الى فرعون** على ارادة القول وقيل هو تفسير للندا اي ناداه اذهب وقيل هو على حرف
ان المفسرة ويدل عليه قراة عبد الله ان اذهب لان في الندا معنى القول **انه طغى** تعليل للامر او لوجوب الامتثال به **فقل** بعدما اتيته
هل لك رغبة وتوجه **الى ان تزكى** بحذف احدى التاين من تتزكى اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرى تزكى بالتشديد **واهديك
الى ربك** وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه **فتخشى** والخشية لا تكون الا بعد معرفته عز وجل قال عز وجل انما يخشى الله من عباده
العلما وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شر امره عليه السلام بان يخاطبه
بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفا في قوله تعالى **فاراه الاية الكبرى** فصيحة يفصح عن جمل مطوية تعويلا على تفصيلها في السور
الاخرى فانه عليه السلام ما اراه اياها عقيب هذا الامر بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعا والاجابة وغيرهما من
المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جيت باية فات بها ان كنت من الصادقين والارادة
اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعا سحريتها انما كان ارادة منه واظهار للتجلد ونسبتها اليه عليه السلام

بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة في قوله ولقد اريناه اياتنا كلها بالنظر الى الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب
العصا حية وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو قول مجاهد
فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدايع الامور
التي كل منها اية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الايتين
من الايات التسع انما ظهرت على يده عليه السلام بعدما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا
ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترقب بعد **فكذب** بموسى وسمى معجزته سحرا **وعصى** الله عز وجل بالتمرد بعدما
علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترا على انكار وجود رب العالمين راسا وكان اللعين وقومه مامورين
بعبادته عز وعلا وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فيته الباغية لا بارسال بني اسرايل من الاسر والقسر
فقط **ثم ادبر** اي تولى عن الطاعة وانصرف عن المجلس **يسعى** اي يجتهد في معارضة الاية او ادبر ثم اقبل اي انشا السعي ثم وضع
موضعه فادبر تحاشيا عن وصفه بالاستقبال وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه روي انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت
ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحييه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب
واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وقيل انها انقلبت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت
مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شيت ويقول فرعون انشدك الله بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد
عصا وياباه ان ذلك قبل الاجترا على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى **فحشر** اي فجمع السحرة
لقوله فارسل في المداين حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة والاتهم وقيل جنوده ويجوز ان
يراد جميع الناس **فنادى** في المجمع بنفسه او بواسطة المنادي **فقال انا ربكم الاعلى** قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة
فاخذه الله نكال الاخرة والاولى النكال بمعنى التنكيل كالسلم بمعنى التسليم التعذيب الذي ينكل من راه وسمعه ويمنعه من
تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر موكد لوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله نكال الاخرة والاولى وهو الاحراق
في الاخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي اخذه الله اخذ نكال الاخرة وقيل مفعول له اي اخذه لاجل نكال الخ
وقيل نصب الى نزع الخافض اي اخذه بنكال الاخرة والاولى اضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار
ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور في الاخرة بل في الدنيا فان العقوبة الدنيوية تنكل من سمعها وتمنعها من
تعاطي ما يودي اليها لا محالة وقيل المراد بالاخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل كان بين الكلمتين
اربعون سنة والاضافة اضافة السبب الى المسبب **ان في ذلك** اي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به **لعبرة** عظيمة
لمن يخشى اي لمن من شانه ان يخشى وهو من شانه المعرفة وقوله تعالى **ءانتم اشد خلقا** خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على
صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى فانما هي زجرة
واحدة اي اخلقكم بعد موتكم اشد اي اشق واصعب في تقديركم **ام السما** اي ام خلق السما على عظمها وانطوايها على تعاجيب
البدايع التي تحار العقول عن ملاحظة ادناها كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى **بناها**
الى اخره بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السما وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من
التنبيه على تعينه وتفخيم شانه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى **رفع سمكها** بيان للبنا اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض
وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسماية عام **فسواها** فعدلها مستوية ملسا ليس فيها تفاوت ولا فطور او
وقمها بما علم انها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى امر فلان اذا اصلحه
واغطش ليلها اي جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال اظلم واظلمه وقد مر ذلك في قوله تعالى واذا
اظلم عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الله كما يقال اظلم **واخرج ضحاها** اي ابرز نهارها وعبر عنه بالضحى لانه اشرف اوقاته

واطيها فكان احق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تاخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن احداثه بالاخراج فان
اضافة النور بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز ان يكون
اضافة الضحى اليها بواسطة **والارض بعد ذلك دحاها** اي مهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها وانتصاب الارض
بمضمر يفسره دحاها **اخرج منها ماءها** بان فجر منها عيونا واجرى انهارا **ومرعاها** اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي وقيل
هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة العاطفة اما لانها بيان او تفسير لدحاها وتكملة له فان السكنى لا تتاتى بمجرد البسط
والتمهيد بل لابد من تسوية امر المعاش المآكل والمشارب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين
والاخفش كما في قوله تعالى اوجاؤكم حصرت صدورهم **والجبال** منصوب بمضمر يفسره **ارساها** اي اثبتها واثبت بها الارض ان
تميد باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات
ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل
تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر المآكل والمشارب مع ما فيه
لدفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل نظايره على تاخير دحو الارض عن خلق السماء وما فيها لما يروى عن
الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعه وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الاية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله
تعالى قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان الاية ان حمل على ما فيه من الخلق
وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على ما تقرر انه تعالى احدث
في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين
فاما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها
يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة
التي تقوم فيها القيامة فالاقرب كما قيل تاويل هذه الاية بان يجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها
لا الى نفسها ويحمل تقديم الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود وفائدة تاخيره في الذكر
اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان
المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احكامه وليس اكمل وليس ما روي عن الحسن
رحمه الله تعالى نصا في تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان دحو الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل
عن الدلالة على الترتيب هذا على تقدير كل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها
الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا
اذا حملت كلمة ثم فيها وما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سبق تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى **متاعا
لكم** اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم **ولانعامكم** لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى
انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما ياكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول الماكول على الاطلاق واستعارة المرسن
للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها
في معنى متع بذلك وقوله تعالى **فاذا جاءت الطامة الكبرى** اي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات اي تعلوها
وتغلبها وهي القيامة والنفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها اهل الجنة
الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الى آخره والفاء

للدلالة

للدلالة لترتيب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع **يوم يتذكر الانسان ما سعى** قيل هو بدل من اذا
جاءت والاظهر انه منصوب باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز
ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على راي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده
مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان يكون ما مصدرية **وبرزت
الجحيم** عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد **لمن يرى** اي لكل راء من كان يروى انه يكشف عنها فيتلظى فيراها كل ذي بصر
وقرئ وبرزت بالتخفيف لمن راى ولمن يرى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى **فاما من طغى** الى آخره جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى
الاية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فاما من الى آخره الذي تستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه
مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل اي فاما من عتا
وتمرد عن الطاعة وجاوز الطاعة في العصيان **وآثر الحياة الدنيا** الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم
يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة **فان الجحيم** التي ذكر شانها **هي الماوى** اي هي ماواه واللام سادة مسد الاضافة
للعلم بان صاحب الماوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي اما
ضمير فصل او مبتدا قيل نزلت الاية في النضر وابيه الحارث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان **واما من خاف مقام ربه** اي
مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى **ونهى النفس عن الهوى** عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية
ولم يغتر بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها **فان الجنة هي الماوى** له لا غيرها
وقيل نزلت الآيتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الى آخره اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر
الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم
عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرايين ولمن يرى مغن
عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى الى آخره تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين
يسالونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها
ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى **فيم انت من ذكراها** انكار ورد لسؤال المشركين
عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها اي في اي شيء لا [illegible] ذلك فرع علمك به وانى لك ذلك وهو مما استاثر بعلمه
علام الغيوب ومن قال مصدرا للتعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من
الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم
الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى
قوله تعالى **الى ربك منتهاها** اي على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اي كنهها بعلمها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها
لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومساوقتها وقد حصل لهم ذلك ببعثتك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على
الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلاي شيء يسالونك عنها **انما انت منذر من يخشاها**
على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها مما يوهم ظاهره ان ليس له صلى الله عليه وسلم ان يذكرها بوجه
من الوجوه ناز[ع] ذلك ببيان ان المنفي عنه صلى الله عليه وسلم ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسالونه عنها فالمعنى انما
انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا
لا تعيين وقتها الذي علم نعوض اليك فما لهم يسالونك عما ليس من وظايفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها

بيان ان ارساله صلى الله عليه وسلم وهو خاتم الانبيا عليهم الصلاة والسلام منذر بمجي الساعة كما ينطق به قوله صلى الله عليه
وسلم بعثت انا والساعة كهاتين اي كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال
فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى كانهم يوم يرونها
اما تقدير واما تاكيد لما ينبي عنه الانذار من سرعة مجي المنذر به لاسيما على الوجه الثاني كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها
الا عشية يوم واحد او ضحاها فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادمجوه في سوالهم لانهم كانوا يسالون عنها بطريق
الاستبطا مستعجلين لها وان كان على نهج الاستهزا بها الا عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه
المقام وانما اريد الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد لاستبطايهم والجملة على الاول
حال من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول المنذر كما ان قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا ساعة من نهار
حال من ضمير المفعول في نحشرهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا ان المشبهة هناك في الاحوال الظاهرة
من الزي والهياة وفيما نحن فيه من الاعتقاد كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها
الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستانفة لا محل لها من الاعراب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة النازعات
كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم واحمد بن عبد الله
ابن شريح بن مالك بن ابي ربيعة الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش
عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى
الاسلام رجا ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله
صلى الله عليه وسلم بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكرمه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد
للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الراين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام
على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرافة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى
كما ان الالتفات في قوله تعالى وما يدريك لذلك فان المشافهة ابلغ في تشديد العتاب اي واي شي يجعلك
داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى لعله يزكى وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شانا منافيا للاعراض عنه
خارجا عن دراية الغير وادرائه موذن بانه تعالى يدري ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة
لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبريا او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم للتنبيه على ان الاعراض
عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة
الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا كما في قوله تعالى او يذكر عطف على يزكى داخل معه في
حكم الترجي وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك
ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله للكافر والمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يتذكر فتقربه الذكرى الى قبول
الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك لعل ذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف
التي ينطوي عليها القران فانت له تصدى اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واصلاحه وفيه مزيد تنفير
له صلى الله عليه وسلم عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد وقرئ
تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك الى التصدي له داع الى الحرص والتهالك الى اسلامه وما عليك الا يزكى وليس

عليك

عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار
اي اي شي عليك في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا واما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير
وهو يخشى اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى الكبوة وان لم يكن معه قايد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه
حال من فاعل جاءك فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى اي تلهيك شان الصناديد وفيه تقديم ضميره صلى الله عليه وسلم
على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته صلى الله عليه وسلم اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى
عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه صلى الله عليه وسلم بمضمونها روي انه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد
ذلك في وجه فقير ولا تصدى لغني كلا ردع له صلى الله عليه وسلم عن التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما
يوجبهما من القران الكريم مبالغا في الاهتمام بامره حرصا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى
انها تذكرة اي موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو درجة القران العظيم الذي استغنى
عنه من تصدى له وتحقيقه ان شانه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما في قوله تعالى فمن شاء
ذكره اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقران وتانيث الاول
لتانيث خبره وقيل الاول للسورة او للايات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك
فان السورة والايات وان كان ذلك كانت متصفة بما سياتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما القي على من استغنى عنه
واستحق بسبب ذلك ما سياتي من الدعا عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعها الى العتاب
المذكور فقد اخطا واسا الادب وخبط خبطا يقضي منه العجب فتامل وكن على الحق المبين وقوله تعالى في صحف متعلق بمضمر هو
صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جي به للترغيب والحث على حفظها اي كاينة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان مكرمة عند الله
عز وجل مرفوعة اي في السما السابعة او مرفوعة المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي
سفرة اي كتبة من الملايكة عليهم السلام ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي
رسل من الملايكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الانبيا على انه جمع سفير من السفارة وحملها على الانبيا عليهم السلام
بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرايع والاحكام لا مجرد السفارة
اليهم وكذا حملها على القرا لقراتهم الاسفار او على اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا ان هذه اللفظة مختصة بالملايكة
لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والبا متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملايكة وقال القرطبي ان المراد
بما في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هولا السفرة الكرام البررة كرام عند الله عز وجل او متعطفين على المومنين يكلمونهم
ويستغفرون لهم بررة اتقيا وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه
قتل الانسان دعا عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى ما اكفره تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعا عليه
والمراد به اما من استغنى عن القران الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار
انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانبا عن سخط عظيم ومذمة
بالغة ما لا غاية وراه وقوله تعالى من اي شي خلقه شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدا فطرته
الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام من مبدا خلقه ثم بيانه
بقوله تعالى من نطفة خلقه تحقير له اي من اي شي حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره تهيا لما يصلح له ويليق به
من الاعضا والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي يسر
سهل مخرجه من البطن بان فتح له فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف
السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه

الارض تعذر للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة من النعم
لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم **ثم اذا شاء انشره** اي اذا شاء انشره على القاعدة المستمرة في حذف
مفعول المشية وفي تعليق الانشاء بمشيته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها **كلا** ردع للانسان عما هو عليه وقوله
تعالى **لما يقض ما امره** بيان لسبب الردع اي لم يقض من لدن ادم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله
تعالى باسره اذ لا يخلو احد عن تقصير كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولاريب في ان مساق الايات الكريمة لبيان
غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من تقصير
لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه
ان يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما على ان المحكوم عليه هو المستغني وهو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق
الحكم لعدم القضاء على افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاتساع في اللوم بحكم المجانسة
على طريقة قولهم ٭ بنو فلان قتلوا فلانا ٭ والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث الكل بطريق رفع الايجاب
الكلي دون السلب الكلي والمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من
فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده اي حقا لم يعمل بما امره به وقوله
تعالى **فلينظر الانسان الى طعامه** شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر
الى طعامه الذي عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى **انا صببنا الماء صبا** اي الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء
سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستيناف وقرئ انى بالامالة اي كيف صببنا الماء اي صببناه صبا
عجيبا **ثم شققنا الارض** بالنبات **شقا** بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغيرا او كبيرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على
ما بالكرامات يحمل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى **فانبتنا فيها حبا**
فان الشق بمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت
من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق
النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ تأكيد الفعلين
بالمصدرين فتوسط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى **وعنبا** عطف على حبا وليس من لوازم العطف
ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض **وقضبا** اي رطبة سميت بمصدر
قضبه اي قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع **وزيتونا ونخلا** الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب ٭
وحدائق غلبا اي عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب
وفاكهة وابا اي مرعى من اب اذا امه اي قصده لانه يوم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة
تؤب للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما
لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الاية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت في يده وقال هذا
لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه **متاعا لكم**
ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم
والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه
اي متعكم بذلك فتمتعتم متاعا اي تمتعا كامر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلاثة في معنى التمتيع
فاذا جاءت الصاخة شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على
ما قبلها من فنون النعم عن قرب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة اي

يصيحون بها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي
تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل ماخوذة من صخه بالحجر اي صكه وقوله تعالى **يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه** ٭
وصاحبته وبنيه اما منصوب باعني تفسيرا للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأي الكوفيين وقيل بدل
من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الانسان الى اخره اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله
بحال نفسه واما تعليل ذلك بعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى **لكل امرئ منهم يومئذ**
شان يغنيه فانه استيناف وارد لبيان سبب الفرار اي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام
به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله
عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم عليه السلام من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امراته فليس من قبيل هذا
الفرار وكذا ما روي ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين
المهملة اي يهمه من عناه الامر اذا اهمه اي اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده
كما قيل وقوله تعالى **وجوه يومئذ مسفرة** بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى الاشقياء والسعداء بعد ذكر وقوعهم
في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها في التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اي مضيئة متهللة من اسفر
الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن
الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله **ضاحكة مستبشرة** بما تشاهده من النعيم المقيم والبهجة الدائمة
ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار وكدورة **ترهقها** تعلوها وتغشاها **قترة** اي سواد وظلمة اشارة الى اصحاب تلك
الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته **اولئك هم الكفرة**
الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت اي لفت من
كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها عن مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه
وقوله تعالى يوم نطوي السماء واما لف ضوئها المنبسط في الافاق المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها
بحكم استلزام زوال الملازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على
الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس تكويرها ادخالها في العرش ومدارها التي كيبت على الارادة والجمع والارتفاع
الشمس على انه فاعل مضمر يفسره الذكر وعند البعض على الابتداء **واذا النجوم انكدرت** اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت
روي عن ابن عباس انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط وعنه ايضا رضي الله عنه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل
من نور بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى
ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم **واذا الجبال**
سيرت اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية **واذا العشار** جمع عشراء وهي الناقة
التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما تكون عند اهلها واعزها عليهم **عطلت** تركت
مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها
عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف **واذا الوحوش حشرت** اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر
كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا اقتص منها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني ادم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه

وقري حشرت بالتشديد **واذا البحار سجرت** اي احميت او انيبت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر
التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقيل مليت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماوها حتى لا يبقى فيها قطرة
وقرى سجرت بالتخفيف **واذا النفوس زوجت** اي قرنت باجسادها اي قرنت كل نفس بشكلها بكتابها او بعملها اذ نفوس
المومنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين **واذا الموودة** اي المدفونة حية وكانت العرب يئد البنات مخافة الاملاق او
لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدله بنتا البسها جبة من صوف او شعر حتى بلغت ست سنين ذهب بها الصحرا وقد
حفر لها حفيرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا
رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حملته **سئلت باى ذنب قتلت** توجيه السوال اليها تسليتها واظهار كال الغيظ والسخط ه
لموادها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
وقرى سالت اي خاصمت او سالت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت على الخطاب والاحكاية لكلامها حين سالت لبقال قتلت
على الحكاية عن نفسها وقد قرى كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضوان الله عليهم انه سيل عن اطفال المشركين فقال
لا يعذبون واحتج بهذه الاية **واذا الصحف نشرت** اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة فكيف بالنسا فقال عليه افضل الصلاة والسلام شغل
الناس يا ام سلمة قالت وما يشغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد
ابن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المومن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر
في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير الاعمال **واذا السما كشطت** قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة
والغطاء عن الشي المستور به وقرى قشطت واعتقاب القاف والكاف غير عزيز كالكافور والقافور **واذا الجحيم سعرت**
اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى ادم وقرى سعرت بالتخفيف **واذا الجنة ازلفت** اي قربت
من المتقين لقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه الاية اثنى عشر خصلة ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين
وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد حشر الوحوش جميعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في
الاخرة اي بعد النفخة الثانية وقوله تعالى **علمت نفس ما احضرت** جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها
وسياق ما عطف عليها من الخصال مبداه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضا بين الخلايق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من
اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه
وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتعظيما للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر
وبحضورها اما حضور صحايفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة
بصور عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيات معينة حتى ان
الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان
الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وكذا قوله صلى الله عليه وسلم في حق من يشرب من انية الذهب
والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك بان يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة
باحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يوتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة
على صورة قبيحة فتوضع في الميزان واياما كان فالعلم بها واحضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية لانها لما عملتها في الدنيا فكانها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهد
على صورة احسن مما كانت تشاهدها على ما عليه في الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه
في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه هناك لانها

كانت

كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته
لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شايبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد قطعا ولو جي لعبارة
تدل على خلافه والرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما لا يستقل الى جناب الكبريا الذي اشير
لبعض بدايع شوونه المنبية عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه
وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال

قد اترك القرن مصفرا انامله ● ويقول من قال حين سيل عن عدد فرسانه

رب فارس عندي وعند المقانب ● قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه واظهار براته من التزيد
وانه ممن قلل كتيبته فضلا ان يزيد فمن لوايح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط
والتمادي فيه فانه في الاول كثير ما يود وفي الثاني كثير ما ترك وفي الثالث كثير الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة
فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في التكثير حسبما وصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه
علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القايل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه واما الذي يمكن فيه
من المبالغة بمن ذكرناه فتامل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس
اصلاح عملها مخافة ان يكون تلك التي علمت احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت
وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به او نادر الوقوع ان القايل يجب عليه
ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قل ما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع **فلا اقسم بالخنس** الكواكب الرواجع
من خنس اذا تاخر وهذا ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله
تعالى **الجوار الكنس** لانها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها
من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن
العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في اكنسها **والليل اذا عسعس** اي دبر ظلامه او اقبل عليه فانه من
الاضداد ولذلك شعشع قال الفرا اجمع المفسرون على ان معنى عسعس دبر وعليه قول العجاج حيث قال فيه قال

حتى اذا الصبح لها تنفسا ● وانجاب عنها ليلها وعسعسا ●

والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح
نسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح **انه** اي القران الناطق بما ذكر من الدواهي الهايلة **لقول رسول كريم** هو
جبريل عليه السلام قاله من جهة الله تعالى **ذي قوة** شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى
وترك الاخلال بها من اول الخلق الى اخر زمان التكليف **عند ذي العرش مكين** ذي مكانة رفيعة عند الله تعالى عندية اكرام
وتشريف لا عندية مكان **مطاع** فيما بين الملايكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه **ثم امين** على الوحي وثم ظرف لما قبله
وقيل لما بعده وقرى ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على ساير الاوصاف **وما صاحبكم** هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمجنون كما يبهته الكفرة والتعرض للتلويح باحاطته بتفاصيل احواله صلى الله عليه وسلم خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه
بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه الصلاة والسلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة
في حقه صلى الله عليه وسلم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضايلهما والموازنة بينهما **ولقد راه** اي وبالله لقد
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليهما السلام **بالافق المبين** بمطلع الشمس الاعلى **وما هو** اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب **بظنين** اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرى بظنين اي
بمتهم من الظنة وهي التهمة **وما هو بقول شيطان رجيم** اي بقول بعض المسترقة للسمع وهو قولهم انه لكهانة وسحر **فاين تذهبون**

استصلالهم فيما يسلكونه في امر القران والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شي كما
تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب **ان هو** اي ما هو **الا ذكر للعالمين** موعظة وتذكير لهم
وقوله تعالى **لمن شاء منكم** بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى **ان يستقيم** مفعول لمن يشا منكم اي لمن يشا الاستقامة بتحري
الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير **وما تشاؤن** اي الاستقامة مشية مستتبعة لها في
وقت من الاوقات **الا ان يشاء الله** تعالى اي الا وقت ان يشا الله تعالى تلك المشية المستتبعة للاقامة فان مشيتكم
لا تستتبعها بدون مشية الله تعالى لها **رب العالمين** مالك الخلق ومربيهم اجمعين ما جا في فضايل هذه السورة ما روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة التكوير اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم **اذا السماء انفطرت** اي
انشقت لنزول الملايكة لقوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السما فكانت
ابوابا والكلام في ارتفاع السما كما مر في ارتفاع الشمس **واذا الكواكب انتثرت** اي تساقطت متفرقة **واذا البحار**
فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروى
ان الارض تنشف الما بعد امتلا البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقيل ان مياه البحار الان راكدة
مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرى فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور
نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان **واذا القبور بعثرت** اي قلب ترابها واخرج موتاها ونظير بعثر لفظا ومعنى بحثر وهما مركبان من
البعث والبحث مع را ضمت اليهما وقوله تعالى **علمت نفس ما قدمت واخرت** جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث
بل عند نشر الصحف لما علمت من ان المراد بها زمان واحد مبدأه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلايق لا ازمنة متعددة
حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما تقدم
واخر ما سلف من عمل خير او شر او من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قال ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس ايضا ما تقدم
من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من امواله لنفسه وقيل ما قدم من فرض وقيل اول عمله واخره ومعنى
علمها بها علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر **يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم** اي اي شي خدعك وجراك على عصيانه وقد
علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعواقب الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان
كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك
كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الاخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في
الاقبال على الايمان في الطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات
الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى **الذي خلقك فسواك فعدلك** صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم
منبهة على ان من قدر على ذلك بدأ قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها
ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة [illegible] لايمة لها وقرى فعدلك بالتشديد اي صرفك معتدلا متناسب
الخلق من غير تفاوت فيه **في اي صورة ما شاء ركبك** اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها لك من الصور المختلفة الحسنة
لقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك **كلا** ردع عن
الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى **بل تكذبون**
بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل
تجترون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالمعاد والبعث راسا او بدين الاسلام الذي هما من جملة احكامه فلا تصدقون

هولا ولا جزاء ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الى
اخره وقال القفال ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انكم تتبينون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين
وقوله تعالى **وان عليكم لحافظين** حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقيق ما يكذبون به من الجزا والحال ان عليكم
من قبلنا حافظين لاعمالكم **كراما** لدينا **كاتبين** لها **يعلمون ما تفعلون** من الافعال قليلا وكثيرا او يضبطونه نقيرا
وقطميرا للجزا وفي ذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثنا عليهم تفخيم لامر الجزا وانه عند الله عز وجل من جلايل الامور حيث يستعمل
فيه هولا الكرام وقوله تعالى **ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم** استيناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من
الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى **يصلونها** اما صفة للجحيم او استيناف
مبني على سوال نشا من تهويلها كانه قيل ما حالهم فقيل يقاسون حرها **يوم الدين** يوم الجزا الذي كانوا يكذبون به **وما هم**
عنها بغايبين طرفة فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة كما مر مرارا من ان الجملة المنفية الاسمية قد يراد بها
استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما يفيد من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غايبين عنها قبل ذلك
بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
وقوله تعالى **وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين** تفخيم لشان يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل
امره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دايرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها وكيف ما تخيلوه فهو اعلم من ذلك واعظم
اي اي شي جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو راي سيبويه لما مر من ان مدار
الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة هنا هو لا يوم الدين اي اي شي عجيب هو في الهول
والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال
في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار يوم القيامة للدين في موضع الاضمار تاكيد لهوله وفخامته **يوم لا تملك نفس لنفس شيا**
والامر يوميذ لله بيان اجمالي لشان يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادرائهم
مشعر بالوعد الكريم بالادراك قال ابن عباس كل ما في القران من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما
يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركة الفتح لاضافة الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك نفس
من النفوس لنفس من النفوس شيا من الاشيا الى اخره او منصوب باضمار اذكر كانه بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله
عليه وسلم الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الى اخره فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون وليس بذلك فانه عار عن افادة
ما لم يفده ما قبل كان ابدال المرفوع من يوم الدين على قراة الرفع لذلك بل الحق حينيذ الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الانفطار كتب الله له بعدد كل قطرة نزلت من السما حسنة وبعدد كل قبر حسنة

بسم الله الرحمن الرحيم **ويل للمطففين** قيل الويل
شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وايا ما كان فهو مبتدا
وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعا والتطفيف البخس في الكيل [illegible] لان ما يبخس شي خفيف حقير وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا [illegible] فاحسنوا الكيل وقيل قدمها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير
ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا
بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى **الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون** الى اخره صفة كاشفة

للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذين استحقوا به الذم والدعا بالويل اي اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشرا
ونحوه ياخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة علي بمن لتضمين الاكتيال او الاستيلا او للاشارة الي انه اكتيال مضر بهم لكن لا علي
اعتبار الضرر في جزا الشرط الذي كلمة اذا الاخلال بالمعني بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفا ليس اخذ الحق
وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك
المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة علي اكتيالهم لما لهم علي الناس من طريق الشهادة ونحوه مع ان
الشايع فيما بينهم يقتضي ان يكون معني الاستيفا اخذ اموالهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر عنه عند الاطلاق في معرض
الحق فلا يكون مدار الذم والدعا عليهم وحمل ما لهم عليهم علي معني ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا انما لا يجري نفعا فان
اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او ما لا يستدعي كون الاستيفا بالمعني المذكور حتما وهكذا حال ما عن الفرا من ان من وعلي يعتقبا
في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فالمعني فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقولك استوفيت
منك فتامل وقد جوز ان يكون علي متعلقة بيستوفون فيكون تقديمها علي الفعل لافادة مخصوصة اي يستوفون علي الناس
خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا
حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب او الافراد والتعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفا
الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون علي انفسهم حتي يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره علي الناس علي ان الحدث
واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبره والضمير البارز في قوله تعالي **واذا كالوهم او وزنوهم** للناس اي كالوا لهم او وزنوا
لهم للبيع ونحوه **يخسرون** اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله
ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البا تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل
ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار علي الاكتيال في صورة الاستيفا لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال
عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن في صورة وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين مساقا لبيان حال الكلام
سو معاملتهم في الاخذ والاعطا لا في خصوصية الماخوذ والمعطي وقوله تعالي **الا يظن اولئك انهم مبعوثون** استيناف
وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الي المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط
الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الي الشي متعرضة من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان
بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن ساير الناس كمال امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من
معني البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهايل انهم
مبعوثون **ليوم عظيم** لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه علي مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان
ظنا ضعيفا متاخرا للشك فالوهم لا يكاد يتجاسر علي امثال هاتيك القبايح فكيف من يتيقنه وقوله تعالي **يوم يقوم الناس**
لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر مبتدا او مجرور في هذا الانكار
والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالي خاضعين ووصفه تعالي بربوبية العالمين من البيان
البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفي **كلا** ردع لما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث
والحساب وقوله تعالي **ان كتاب الفجار لفي سجين** الي اخره تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب
جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم
واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة
في مكان مظلم موحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعني ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة
اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبايح اعمال المذكورين وقوله تعالي **وما ادراك ما سجين** تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه

درايته

دراية احد وقوله تعالي **كتاب مرقوم** اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير
كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالي **ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين** اما مجرور علي انه صفة
ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب علي الذم **وما يكذب به الا كل معتد اثيم** اي منهمك في الشهوات المخدجة
الفانية بحيث شغلته عما وراها من اللذات التامة الباقية وحملته علي انكارها **اذا تتلي عليه اياتنا** الناطقة بذلك
قال من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه **اساطير الاولين** اي هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد
بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقري اذا تتلي
علي الاستفهام الانكاري **كلا** ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالي **بل ران علي قلوبهم**
ما كانوا يكسبون بيان لما ادي بهم الي التفوه بتلك العظيمة اي ليس في اياتنا ما يصح ان يقال في شانها مثل هذه المقالات
الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصي حتي صارت كالصدي في المراة فحال ذلك بينهم وبين
معرفة الحق كما قال صلي الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سودا حتي يسود قلبه ولذلك قالوا
ما قالوا والرين الصدا يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه وقري بادغام اللام في
الرا **كلا** ردع وزجر عن الكسب الرايين **انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** فلا يكادون يرونه بخلاف المومنين وقيل هو تمثيل
لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول علي الملوك وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان
عن كرامته **ثم انهم لصالوا الجحيم** اي داخلوا النار وثم لتراخي المرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة
والكرامة **ثم يقال** لهم توبيخا وتقريعا من جهة الربانية **هذا الذي كنتم به تكذبون** فذوقوا عذابه **كلا** ردع عما كانوا عليه بعد
ردع وزجر اثر زجر وقوله تعالي **ان كتاب الابرار لفي عليين** استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سو حال الفجار
متصلا ببيان سو حال كتابهم وفيه تاكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي
دون فيه كل ما عملته الملايكة وصلحا الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو سمي بذلك اما انه سبب الارتفاع الي اعالي الدرجات
في الجنة واما لانه مرفوع في السما السابعة حيث يسكن الكروبيون تعظيما له وتكريما والكلام في قوله تعالي **وما ادراك ما**
عليون كتاب مرقوم كما مر في نظيره وقوله تعالي **يشهده المقربون** صفة اخري لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون
لما فيه يوم القيامة **ان الابرار لفي نعيم** شروع في بيان محاسن احوالهم اثر بيان حال كتابهم علي طريقة ما مر في شان الفجار **علي**
الارائك اي علي الاسرة في الحجال ولا يكاد يطلق الاريكة علي السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة **ينظرون** اي الي ما شاوا
وامدوا اعينهم اليه من رغايب مناظر الجنة والي ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والي اعدايهم يعذبون في النار وما
تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك **تعرف في وجوههم نضرة النعيم** اي بهجة التنعم وما [illegible] ورونقه الخطاب لكل احد
ممن له حظ من الخطاب للايذان بما لهم من اثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص بروية راو دون راء **يسقون من رحيق**
شراب خالص لا غش فيه **مختوم ختامه مسك** اي مختوم اوانيه وكونه بالمسك دون الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل
ختامه مسك اي مقطعه رايحة مسك وقري خاتمه بفتح التا وكسرها اي ما يختم به ويقطع **وفي ذلك** اشارة الي الرحيق وما
الانسب الي ما بعده او الي ما ذكر من احوالهم وما فيه من معني البعد اما للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي
في ذلك خاصة دون غيره **فليتنافس المتنافسون** اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الي طاعة الله تعالي وقيل فليعمل العاملون
كقوله تعالي فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالي في الشي النفيس واصله من النفيس
الواحدي نفست الشي انفسه والتنافس التفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به وقال البغوي واصله
من الشي النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به علي غيره **ومزاجه من تسنيم** عطف علي ختامه
صفة اخري لرحيق من ما تسنيم علي ان من بيانية او تبعيضية او من نفسه علي انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما

لانها ارفع شراب في الجنة اولانها تاتيهم من فوق ودوي انها تجري في الهوى مشتسمة فتنصب في اوانيهم **عينا** نصب على
الاختصاص وجوازان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى **يشرب بها المقربون** فانهم يشربونها صرفا وتمزج
لسائر اهل الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى **ان الذين اجرموا** الى اخره حكاية لبعض قبائح مشركي قريش تمهيدا لذكر
بعض احوال الابرار في الجنة **كانوا** في الدنيا **من الذين آمنوا يضحكون** اي يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال
وغيرهم من فقراء المومنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع
ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل **واذا مروا بهم** اي بالمومنين **يتغامزون**
اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم **واذا انقلبوا** من مجالسهم **الى اهلهم انقلبوا فاكهين** متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم
وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين
اشرين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين **واذا راوهم** اينما كانوا **قالوا ان هولاء لضالون** اي نسبوا
المسلمين ممن راوهم من غيرهم بطريق التاكيد **وما ارسلوا عليهم** على المسلمين **حافظين** حال من واو وقالوا اي قالوا ذلك
والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم فضلا لهم وهذا
تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤوا عليه من القول من وظائف الرسل من جهته تعالى وقد جوزان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم
قالوا ان هولاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له
بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن لا باللعبارة كما في قولك حلف لافعلن **فاليوم الذين آمنوا** اي المعهودون من الفقراء **من
الكفار** اي من المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين **يضحكون** حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان
والصغار بعد العز والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعيم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي
فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى **على الارائك ينظرون** حال من فاعل يضحكون اي
يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق
دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المومنون منهم ويأباه قوله تعالى **هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون** فانه صريح في ان ضحك
المومنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في
التاء عنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت

اي انشقاق كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام عن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة **واذنت لربها** واستمعت اي انقادت
واذعنت لتاثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المامور المطوع اذا ورد عليه امر الامر المطاع والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الاتية بمنزلة قوله تعالى اتينا طائعين في
الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف **وحقت**
اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا او
حقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لا على ان المدار خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية
القدرة القاهرة الربانية التي ياتي بها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا
معطوفة عليه **واذا الارض مدت** اي بسطت بازالة اكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مده اي زاده **والقت ما فيها** اخرجت ما في جوفها من الموتى والكنوز لقوله تعالى واخرجت
الارض اثقالها **وتخلت** وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها **واذنت لربها** في الالقاء والتخلي

وحقت

وحقت اي وهي حقيقة بذلك اي شانها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا لاستقلال الافعال المنسوبة
الى السماء والارض في الوقت المعين الذي هو معد لها فقد مر سره فيما مر **يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا** اي جاهد
ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي مثلت باللقاء لمح في ذلك فان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث
يوثر فيها من كدح جلده اذا خدشه **فملاقيه** اي فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويه عنه وقوله تعالى **فاما من اوتي
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا** الى اخره وقيل جواب اذا كما في قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها الانسان الى اخره اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايذان بقصور العبارة
عن بيانه او التعويل على دلالة ما مر في سورتي التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان الى اخره
لاقي الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو قوله تعالى يا ايها الانسان الى اخره باضمار القول
ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه **وينقلب الى
اهله مسرورا** اي عشيرته المومنين او فريق المومنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤوا كتابيه وقيل اهله في الجنة من الحور العين
واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يوتاه بشماله من وراء ظهره وقيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيوتى كتابه
بشماله **فسوف يدعو ثبورا** اي يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك
ويصلى سعيرا اي يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى **انه كان في
اهله مسرورا** فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الاخرة
ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله وشؤونه وما له كسيرة الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما
قبلها وقوله تعالى **انه ظن ان لن يحور** تعليل لسروره في الدنيا اي ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان
سادة مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف **بلى** ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى **ان ربه كان به
بصيرا** تحقيق وتعليل له اي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية
فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود **فلا اقسم بالشفق**
هي الحمرة التي تشاهد في افق المغرب او البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب **والليل
وما وسق** وما جمع وما ضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من
الدواب وغيرها **والقمر اذا اتسق** اي اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة **لتركبن طبقا عن طبق** اي لتلاقن حالا بعد حال
كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن
الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة
ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر
الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق
او حال من الضمير في لتركبن اي طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا على حسب القراءة وقوله تعالى **فما لهم لا يومنون** لترتيب ما بعده
من الانكار والتعجيب على ما قبله من احوال يوم القيامة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اي اذا كان حالهم يوم القيامة
كما ذكر فاي شيء لهم حال كونهم غير مومنين اي اي شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى **واذا قرئ عليهم القرآن لا
يسجدون** جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اي فاي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند
قراءة القرآن وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المومنين وقريش تصفق فوق
رووسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن
ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن الحسن رضي الله عنه

صليت خلف ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن رضي الله عنه هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون
بالقران الناطق بما ذكر من احوال القيامة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما
يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضا او ما يجمعون في صحفهم من اعمال السو
ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب فبشرهم بعذاب اليم لان علمه الله بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المومنين كافة ومتصل ان اريد به من
آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع او ممنون به عليهم استيناف مقرر لما افاده الاستثنا من انتفا
العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله تعالى من
ان يعطيه كتابه وراء ظهره

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج هي البروج الاثنى
عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها
ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود اي يوم القيامة وشاهد ومشهود اي ومن
يشهد في ذلك اليوم من الخلايق وما يحضر فيه من العجايب وتنكيرها للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما
او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم وساير الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر
الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو ادم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني
ولو غابت شمسي لم تدركني الى يوم وقيل الحفظة وبنو ادم وقيل الانبيا ومحمد عليهم الصلاة والسلام قتل اصحاب الاخدود
قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول من قال

حلفت لها بالله حلفة فاجر ... لناموا فما ان من حديث ولا صال

وقيل تقديره لقد قتل وايا ما كان فجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشيا انهم اي كفار مكة
ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود لما ان السورة وردت لتثبيت المومنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم
بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يتاسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقونه من قومهم ويعلموا
ان هولا عند الله عز وجل بمنزلة اوليك الملعونين معذبين مثلهم احقا بان يقال لهم ما قد قيل فيهم وقرى قتل بالتشديد والاخدود
الخد في الارض ونحوها بنا ومعنى الحق والاحقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه
غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة
اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبري الاكمه والابرص
ويشفي من الادوا وعمي جليس للملك فابراه فابصره الملك فساله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الراهب
فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار واتي بالغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا
فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفات بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد
وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات
فقال الناس امنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن
لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جات امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا
تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت قيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها
حين قتل وعن علي رضي الله تعالى عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما اصبح ندم وطلب المخرج فقالت له

المخرج

المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا
فامرت بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى
مروان رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار
واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعون الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه
اثني عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من
الحطب وابدان الناس وقرى الوقود بالضم اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف
عليها من حافات الاخدود كما في قوله

بات على النار الندى والمحلق

وهم على ما
يفعلون بالمومنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا
بالمومنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة
وقد روي ان الجبابرة لما القوا المومنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجا الله عز وجل المومنين منها سالمين
والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حمل قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا منهم اي ما انكروا منهم
وما عابوا الا ان يومنوا بالله العزيز الحميد المستثنى مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض
للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شي شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشيا التي من
جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير اجر كل منهما حتما ان الذين فتنوا المومنين والمومنات اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه
والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب
على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور
من غير الكافر قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن لتضمن
المبتدا معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالفه الاخفش والمعنى لهم في الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب
الحريق وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمومنين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم
لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنة الاشجار فجريان الانهار من تحتها
ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزيها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة
وقد مر بيانه مرارا ذلك اشارة اما الى الجنة الموصوفة والتذكير بتاويل ما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه
المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه باعتبار من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شان
الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما تفيده قوله تعالى لهم جنات الى اخره
من حيازتهم لها فان حصولها مستلزم لحيازتهم لها قطعا وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الكمال
الفضل والشرف ومحله الرفع في الابتدا خبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذي تصغر عنده الدنيا
وما فيها من فنون الرغايب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني
مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد استيناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه
كما ينبي عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد
تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شي منهما ففيه مزيد تقرير

لشدة بطشه او هو يبدي ويعيد البطش بالكفر في الدنيا ويعيده في الاخرة **وهو الغفور** لمن تاب وامن **الودود** المحب لمن
اطاع **ذو العرش** مبالغة وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة ربك **المجيد** العظيم
في ذاته وصفاته فانه واجب الوجوب وتام القدرة وكامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة ربك او العرش ومجده وعظمته **فعال لما**
يريد بحيث لا تتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى **هل اتاك حديث الجنود**
استيناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة والعصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته صلى الله عليه وسلم
بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود **فرعون وثمود** بدل من الجنود لانه المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر
عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك
شؤون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى **بل الذين كفروا في تكذيب** اضراب من مماثلتهم في ذلك بل
هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون في تكذيب شديد للقران الكريم وقيل ليست جنايتهم مجرد
عدم التذكرة والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقران الكريم او قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكرة
والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقران الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكون ما
نطق به قرانا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة **والله من ورائهم محيط** تمثيل لعدم نجاتهم من
باس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط **بل هو قران مجيد** رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو
كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد **في لوح محفوظ**
اي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قران وقرئ في لوح وهو الهوا اي ما فوق السما السابعة
التي فيه اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر
حسنات والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق الطارق
في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد
الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في كل التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية
البادية بالليل قال فيه ٭ طرق الخيال ولا كليلة مدلج ٭ سدكا برحلنا ولم يتعرج ٭
والمراد هاهنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله
تعالى **وما ادراك ما الطارق** تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من
تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدا وادراك خبره والثانية خبر والطارق مبتدا حسبما بين في نظايره اي واي شيء اعلمك ما
الطارق وقوله تعالى **النجم الثاقب** خبر مبتدا محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن استفهام نشا عما قبله كانه قيل ما هو النجم
المضيء في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب
معهود وقيل هو زحل وقيل الثريا وقيل الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السما السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من
السما هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السما السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند القسم به بوصف
مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم
الثاقب من تفخيم شانه واجلال قدره ما لا يخفى وقوله تعالى **ان كل نفس لما عليها حافظ** جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من
تاكيد فخامة المقسم به المستتبع لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب
وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم

لحافظين كراما الاية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة
على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل نفس عليها حافظ والفا
في قوله تعالى **فلينظر الانسان مم خلق** للتنبيه على ان ما بين من ان كل نفس لما عليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل
مستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدا فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط
وهو قادر على اعادته بل هو اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه حينئذ ويجديه ولا يملي على حفظته ما يرديه وقوله
تعالى **خلق من ماء دافق** استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع
وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من المائين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى **يخرج من بين الصلب والترائب** اي صلب الرجل
وترائب المراة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان تتولد
منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه
ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه وقوله تعالى وله خليفة هي النخاع وهي في الصلب وشعب كثيرة وهي نازلة الى الترائب وهما
اقرب الى اوعية المني فلذلك خصها بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هي صالب **انه** الضمير
للخالق تعالى فان قوله خلق ينبئ عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء ما ذكر **على رجعه** اي اعادته بعد موته **لقادر** لبين القدرة
يوم تبلى السرائر اي يتعرف ويتصفح ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب
منها وخبث وهو ظرف لرجعه **فما له** اي للانسان **من قوة** في نفسه يمتنع بها **ولا ناصر** ينصره **والسماء ذات الرجع** اي
المطر سمي رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع
ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجع حينا فحينا **والارض ذات الصدع** هو ما يتصدع عنه الارض من النبات وصدر من
المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السما والارض عند الاقسام بهما على حقيقة القران الناطق
بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض
بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا في تشققها بالعيون **انه** اي القران الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة
بمبدا حال الانسان ومعاده **لقول فصل** اي فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل **وما هو بالهزل** ليس في شانه
منه شائبة هزل بل كله محض جد لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة **انهم** اي اهل مكة **يكيدون** في
ابطال امره واطفاء نوره **كيدا** حسبما تفي به قدرتهم **واكيد كيدا** اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون
فمهل الكافرين اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك اي لا تستعجل به والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار
بقوله اكيد كيدا بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى **امهلهم** بدل من مهل وقوله تعالى **رويدا**
اما مصدر موكد بمعنى الفاعل او نعت لمصدره المحذوف اي امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قاله ابن عباس او قليلا كما قاله قتادة قال
ابو عبيدة هو في الاصل تصغير رواد مصدرا رود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان اخران كونه اسم فعل نحو رويدا او كونه حالا
نحو سار القوم رويدا اي متمهلين وفي ايراده بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية النبي
صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السما
عشر حسنات والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى اي نزه اسمه
عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال
والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت
وفي السجود اللهم لك سجدت **الذي خلق فسوى** صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل
بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شي فسوى خلقه بان جعل له ما يتاتى كماله ويتبنى معاشه وقوله تعالى **والذي قدر** اما
صفة اخرى للرب كالموصوف الاول او معطوف عليه وكذا الحال اما بعده اي قدر اجناس الاشيا وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها
وافعالها واجالها **فهدى** اي فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا واختيارا او يسر لما خلق له بخلق الميول والالهامات
ونصب الدلايل وانزال الايات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لمراتب في كل منها ما تحار فيه يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة
عميت وقد الهمها الله ان تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة
طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك عينها بورقها فترجع باصرة باذن الله تعالى عز وجل وروى
ان التمساح لا يكون له دبر وما يخرج فضلات ما ياكله من فمه حيث قيد الله تعالى طايرا قد رغداه من ذلك واذا رآه التمساح يفتح له
فمه فيدخله الطاير فيا كل ما فيه وقد خلق الله من فوق منقاره ومن تحته قرنطين لئلا يطبق عليه التمساح فمه فيدخل واما فنون الهداية
سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية مما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا
يعلمه الا العليم الخبير **والذي اخرج المرعى** اي انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف **فجعله** بعد ذلك **غثاء احوى** اي دريسا
اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى **سنقرئك فلا تنسى** بيان
لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته صلى الله عليه
وسلم لتلقي الوحي وحفظ القران الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه صلى الله عليه وسلم لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد
واما لان المراد اقرا ما اوحي اليك حينئذ وما يوحى اليك بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي
الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قاريا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا
تدري ما الكتاب ولا القراءة ليكون ذلك اية اخرى لك مع تضاعيف ما تقراه من الايات البينات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعات
الفاصلة كما في قوله تعالى واضلونا السبيلا وقوله تعالى **الا ما شاء الله** استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنساه مما تقروه شيا من
الاشيا الا ما شاء الله اي تنساه ابدا بان تنسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على
عنوان الالوهية المستتبعة لساير الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روى انه صلى الله عليه وسلم
اسقط اية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال صلى الله عليه وسلم نسيتها وقيل نفي النسيان راسا فان القلة قد
تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ بالكلية اذ هو المنفي راسا الا ما قد ينسى ثم يتذكر **انه يعلم الجهر وما يخفى** تعليل لما قبله
اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسي ما يشاء انساءه ويبقي محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط كل منهما من مصالح
دينكم **ونيسرك لليسرى** عطف على نقرئك كما ينبي عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل والتعليق التيسير
به صلى الله عليه وسلم مع ان الشايع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي امري للايذان بقوة تمكينه صلى الله عليه وسلم
من اليسرى او التصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه صلى الله عليه وسلم جبل عليها كما في قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر
لما خلق له اي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية ويندرج فيه تيسير
طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه صلى الله عليه وسلم وتكميل
غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى **فذكر ان نفعت الذكرى** اي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه
من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكر لما انه صلى الله عليه وسلم طالما
ما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فامر
صلى الله عليه وسلم بان يخص التذكير بموارد النفع في الجملة بان يكون من يذكر كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من

لا يورثه

لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقران من يخاف وعيد وقوله تعالى واعرض
عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكورين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير الذكر فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ
عظ المساكين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى **سيذكر من يخشى** اي سيتذكر بتذكيرك من
شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيقته
فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل معناه اي تذكر ان نفعت الذكرى فانها
لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء
والنحاس والجرجاني والزهراوي **ويتجنبها** اي الذكرى **الاشقى** من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم قيل نزلت
في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ابي ربيعة **الذي يصلى النار الكبرى** اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم
والصغرى نار الدنيا كقوله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم **ثم لا يموت فيها** حتى يستريح **ولا يحيى**
حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة اقطع من الصلي **قد افلح** اي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه
من تزكى اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكر او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلاة
وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الاخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال
المتذكر فيها وينتظره **وذكر اسم ربه** بقلبه ولسانه **فصلى** اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلاة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح
فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اي كبره يوم العيد فصلى صلاته **بل تؤثرون الحياة الدنيا** اضراب
عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون
بتحصيلها والخطاب للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضى والاطمينان بها والاعراض عن الاخرة بالكلية كما في قوله تعالى
ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها الاية او للكل فالمراد بايثارها هو اعم مما ذكر مما لا يخلو عنه الناس
غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في
حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرى يؤثرون بالياء وقوله تعالى **والاخرة خير وابقى** حال من فاعل يؤثرون مؤكدة
للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص
عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره
ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا **لفي الصحف الاولى** اي ثابت فيها معناه
صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى روي
ان جميع ما انزل الله تعالى من كتاب مائة واربعة كتب انزل على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة
وعلى ابراهيم التوراة والانجيل والزبور والفرقان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية

قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الاية قال قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذلك بل
هو استفهام اريد به التعجب مما في خبره والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة
ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها
وهي القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الاية وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم
غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق واهلها بل ناطق

باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة الى قوله مبثوثة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الاستفهام
التشويقي كانه قيل من جهته صلى الله عليه وسلم ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت دليله قال ابن عباس
لم يكن اتاه صلى الله عليه وسلم حديثها فاخبره جبرائيل عليه السلام عنها فقال وجوه يومئذ الى اخره فوجوه مبتدا ولا باس
بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران اخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا
شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار
ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها
في الاخرة وقوله تعالى تصلى اي تدخل نارا حامية اي متناهية في الحر خبر اخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه
وقد مر غير مرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي
النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا
للموضوع قيد مفروغ عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين
استينافا مبينا لتفاصيل احوالها تسقى من عين آنية اي متناهية في الحر كما في قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من
ضريع بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم
قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص
منه فسمي بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين لاخرين لا يسمن ولا يغني من جوع اي ليس من
شانه الاسمان والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان
لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق
ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشاة من حالة عارضة للانسان عند استدعا الطبيعة
لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند
استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهما عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم
الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير
او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئ من
غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي ان الله تعالى يسلط عليهم الجوع فيضطرهم الى
شوك الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتاخير نفي الاغناء عنه لمراعاة الفواصل
والتوسل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى نفي ذكر الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه
بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتاكيد النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة شروع لرواية حديث اهل الجنة بعد حكاية
سوء حال اهل النار عما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي مر لانه داخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان
حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي جرى في
نظيرتها وانما لم يعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة
النعيم او متنعمة لسعيها راضية اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة عالية مرتفعة المحل او عالية
المقدار لا تسمع اي انت او الوجوه فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ
لا يسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية فيها عين جارية اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر
مرفوعة رفيعة السمك والمقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اي بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة
بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي اي بسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون الى الابل

كيف

كيف خلقت استيناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وهو مبني عليه من التعجب الذي هم فيه مختلفون بالاستفهام
عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة لما بعدها
كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اتنكرون ما ذكر من البعث
واحكامه وتستبعدون وقوعه من قدرة الله تعالى فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف
خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هياتها اللائقة بتاتي ما يصدر
عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش
حتى ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها الى كل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر
البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروز والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيف ما يشاء ويقتادها بقطارها
كل صغير وكبير والى السما التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت رفعا سحيقا الذي بلا عماد ولا امساك بحيث لا يناله
الفهم والادراك والى الجبال التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل
ولا تميد والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليه
من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر
التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا
انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر
اي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست
عليهم بمسيطر تقرير وتحقيق لمعنى الانذار اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على
الاصل والاستفهام وقرئ بفتح الطا وهي لغة بني تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم سطره الا من تولى وكفر استثناء منقطع
اي لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله فذكر
اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى ان الينا
ايابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر اي الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيما
بعده باعتبار معنى من كان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب كقتال من
قتل ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم قلبت الياء فادغمت الياء الاولى في الثانية ثم ان علينا حسابهم في الحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة
لا في الزمان فان الترتيب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفي تصدير
الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب
لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم سبحانه وتعالى بالفجر كما اقسم بالصبح او بصلاة الفجر او بفجر
عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع
والوتر اي والاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة
ولقد كثرت فيهما الاقوال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في
الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسر اي يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما
فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اي صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها
على الاطلاق هل في ذلك قسم الى اخره تحقيق لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول

وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة
اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والشرف اي هل فيما ذكر من الاشياء اي مقسم به **لذي حجر** يراه حقيقا بان يقسم بها اجلالا
وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما لو اندانا بظهور الامر وهلا في اقسامي بتلك الاشياء اقسام
لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي
عقلا ونهية لانه ينهى ويعقل وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها
والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله عز وجل **الم تر كيف فعل ربك بعاد** الى اخره استشهادا بعلمه صلى الله عليه وسلم
بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه صلى الله عليه وسلم في الطغيان ا لم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم
فسيعذب هؤلاء على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الاية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل
الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد
عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سموا بني هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم
عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القران خبر عاد الاولى الا في سورة الاحقاف وقوله تعالى
ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا
فيها ويؤيده القراءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم **ذات
العماد** صفة لارم اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام
والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة
ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدلا من
فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروي انه كان له ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة
وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما
تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه
خرج في طلب ابل له ثم التفت فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي
ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت
الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل **التي لم يخلق مثلها في البلاد** صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة
حيث كان الرجل منهم العادية ذراع وكان يأتي بالصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد
الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى **وثمود** عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر
ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد **الذين جابوا
الصخر بالواد** اي قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا وقيل هم اول من نحت
الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة **وفرعون ذي الاوتاد** وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم
التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد **الذين طغوا في البلاد** اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم
اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى **فاكثروا فيها الفساد** اي بالكفر وسائر المعاصي **فصب عليهم** اي انزل
انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلته من الطغيان والفساد **ربك سوط عذاب** اي عذابا شديدا لا
يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى انه ذلك ٥

بالنسبة

بالنسبة الى ما اعد لهم في الاخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره
وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شيء مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته
الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بالشيء المصبوب وقيل السوط
خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر لهم بالتصبب بالشدة ايضا لان السوط يطلق عليها لغة فلا
حاجة حينئذ في تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما في المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار
في نفسه وقوله تعالى **ان ربك لبالمرصاد** تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب
المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم وقيل هو جواب القسم
وما بينهما اعتراض المرصاد المكان يترقب فيه الرصد مفعال من رصده تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم
وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالا لتفات من وقفه وهذا
تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى **فاما الانسان** الى اخره متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة
احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا او شرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها
اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى **فاكرمه ونعمه** تفسيرية فان الاكرام بالنعم
عين الابتلاء **فيقول ربي اكرمني** اي فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل به
عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التاخير
كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق
الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي **واما اذا ما ابتلاه** اي واما هو اذا ما ابتلاه **فقدر عليه رزقه** حسبما تقتضيه مشيئته ٥
المبنية على الحكم البالغة **فيقول ربي اهانني** ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل التقدير
قد يؤدي الى كرامة الدين والتوسعة قد تفضي الى خسرانها وقرئ قدر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن
واهان بسكون النون في الوقف **كلا** ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس المعنى
لم ابتله بالمعنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الاخير بعيد
وقوله تعالى **بل لا تكرمون اليتيم** انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات للخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة
جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتاكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس
اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة
به وقرئ لا يكرمون **ولا تحاضون** بحذف احدى التائين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا **على طعام المسكين** اي على اطعامه
وقرئ تحاضون بالتاء والياء **وتاكلون التراث** اي الميراث واصله وراث **اكلا لما** اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا
لا يورثون النساء والبنات ويأكلون انصباءهم او ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك **وتحبون المال حبا جما** كثيرا مع
حرص وشره وقرئ يحبون بالياء **كلا** ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى **اذا دكت الارض دكا دكا** استئناف جيء به بطريق الوعيد
تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت
هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت
كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عن معارضها عند النفخة الثانية **وجاء ربك** اي ظهرت ايات قدرته واثار قهره مثل ذلك بما
ظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل **والملك صفا
صفا** اي مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب مراتبهم ومنازلهم محدقين
بالجن والانس **وجيء يومئذ بجهنم** كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام مع سبعين الف ملك

الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا **يومئذ** بدل من اذا دكت والعامل فيه قوله تعالى **يتذكر الانسان** اي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة اثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم في النشاة الاخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى **وانى له الذكرى** اعتراض جي به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرايه عن الجدوى لوقوعه في اوانه وان خبر مقدم والذكرى مبتدا وله متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين تكون له الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة في شي فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى **يقول يا ليتني قدمت لحياتي** وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سوال نشا منه لانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لحياتي لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة ان تنفع لي اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان متمكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الاخر وليس كذلك بل كل احد جازم انه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية يحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة **فيومئذ** اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال **لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد** الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البنا للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والفساد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى **يا ايتها النفس المطمئنة** حكاية لاحوال من اطمان بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمان بالدنيا وصفت بالاطمينان لانها تترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدا الموثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شوونها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المومنة المطمئنة الى الحق الموصلة الى بلد التحقيق بحيث لا يخالطها ما وقيل هي الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويويده انه قرئ يا ايتها النفس الامنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى او على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند الموت وقيل عند البعث **ارجعي الى ربك** اي الى موعده او الى امره **راضية** بما اوتيت من النعيم المقيم **مرضية** عند الله عز وجل **فادخلي في عبادي** اي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي **وادخلي جنتي** معهم وانتظمي في سلك المقربين وله واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اي اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي في دار ثوابي وهذا يويد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة ابن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنه والظاهر العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وما عطف عليه على ان الانسان ممنو بمقاساة الشدايد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى **وانت حل بهذا البلد** اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم بجعل حلوله صلى الله عليه وسلم به مناطا لاعظامه بالاقسام او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته صلى الله عليه وسلم بالوعد بفتحه على معنى وانت تحل فتحه في المستقبل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريده من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له صلى الله عليه وسلم مكة

وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله واحلت له فاحل صلى الله عليه وسلم ما شا وحرم ما شا قيل قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد وقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لبيوتنا وقبورنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر **ووالد** عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم ويقوله تعالى **وما ولد** اسماعيل والنبي صلى الله عليه وسلم حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشا اسماعيل ومسقط رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وايما الى انه متحقق في حالة الوالد والولد به وقيل ادم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل لان التحقيق المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده **لقد خلقنا الانسان في كبد** اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدايد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت كما قيل كابده اهله وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى **ايحسب** لبعضهم الذي كان صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاسود بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعا ولا تزول قدماه اي ايظن **ان لن يقدر عليه احد** ان مخففة من واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد **يقول اهلكت مالا لبدا** يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر **ايحسب ان لم يره احد** حين كان ينفق فانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه **الم نجعل له عينين** يبصر بهما **ولسانا** يترجم به عن ضمايره **وشفتين** يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها **وهديناه النجدين** اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع **فلا اقتحم العقبة** اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى **وما ادراك ما العقبة** اي اي شي اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة **فك رقبة** او هو اعتاق رقبة **او اطعام في يوم ذي مسغبة** اي مجاعة **يتيما ذا مقربة** اي قرابة **او مسكينا ذا متربة** اي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعولات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم فاعلا بدلا من اقتحم **ثم كان من الذين امنوا** عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به **وتواصوا بالصبر** عطف على امنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله **وتواصوا بالمرحمة** بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد منزلة درجتهم في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة **اصحاب الميمنة** اي اليمين **والذين كفروا باياتنا** بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقران **هم اصحاب المشئمة** اي الشمال او الشوم **عليهم نار موصدة** مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بالهمزة بغير همزة من اوصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها اي ضوئها اذا اشرق وقام سلطانها وقيل ارتفاع النهار والضحى بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف **والقمر اذا تلاها** بان طلع بعد غروبها وقيل

اذ اتلاها في طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس فانها تتجلى عند
انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر كما ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها
اي الشمس فيغطي ضوءها او الافاق او الارض وحيث بانت الواوات القاطعة نابت الواو الاولى القسمية القائمة مقام الفاعل الفعل
والباء سادة مسدهما معا كما في قولك اقسم بالله حقق ان يعمل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما
بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم
وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اي انشاها وابدعها مستعدة
لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس ادم عليه السلام والتكثير للتفخيم على ان المراد ~~نفس ادم عليه السلام والتكثير~~ وهو
الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اي افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما
شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها اي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب
القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونها والايذان بتعلق
القسم به ايضا اصالة اي نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها
وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب محذوف تاويلا على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كانه قيل ليدمدمن الله
تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالح عليه السلام وهو على ان الاول استيناف
وارد لتقرير مضمون قبله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها
كما تقول ظلمني بجراته على الله او اهلكوا بالتكذيب اى كذبت بالوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية
وقرى بطغواها بضم الطا وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو
قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد
والمذكر والمونث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضا به فقال لهم رسول الله
اي صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر
في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله تعالى ناقة الله اي ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عنها في طغيا نوبتها فكذبوه
اى وعيده في قوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقد جوز ان يكون ضمير هم للاشقين والافرادية ذكر سقياها
فعقروها اي الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم
ذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب يقولون هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب
وهو من قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتعرض بعد لك مع دلالة الفاعلية للايذان بعاقبة
الذنب ليعتبر كل مذنب فسواها اي الدمدمة بينهم لم يفلت منهم احد من صغيرهم وكبيرهم فسوى ثمود بالارض او سواها في
الاهلاك ولا يخاف عقباها اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقى بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا
يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو فيها للحال او للاستيناف وقرى
فلا يخاف وقرى ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس فكانه تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر
والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى

اي يغشى الشمس لقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل وتبين
وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى اي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل

هما آدم وحوى وقرى والذكر والانثى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اي ان مساعيكم ه
لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى اخره تفصيل لتلك المساعي المتشعبة وتبيين لاحكامها
اي فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى وصدق التي هي عرفها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالكلمة الحسنى
وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي
تودي الى يسر وراحة من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اي بماله فلم يبذله في سبيل الخير واستغنى اي
زهد فيما عنده تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الاخرة وكذب بالحسنى اي بما ذكر من المعاني
المتلازمة فسنيسره للعسرى اي للخصلة المودية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختيارهم لها ولعل تصدير
القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى مرتبة مما بعدها في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كل
منهما اصل فيما ذكر لا تتمة لما بعدها من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول بالاعطاء الطاعة والثاني
بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر ياباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله اي ولا يغني او اي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به
اذا تردى اي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى استيناف
مقرر اي ان علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يودي اليه من
طريق الضلال وما لا يودي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا
تبين ان الهداية هي الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان لنا للاخرة والاولى اي التصرف الكلي
فيهما ما نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما في
الدنيا والاخرة فلا يضرنا تركهم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التاءين من تتلظى اي تتلهب وقرى على الاصل ه
لا يصلاها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى الذي كذب وتولى
اي كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها اي سيبعد عنها الاتقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن
دخولها او صليها الابدي واما من يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى
المذكور فلا يقدح في الحصر السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يوتي
داخل في حكم الصلة لا محل له او في حيز النصب على انه حال من ضمير يوتي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء و
سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استيناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى اى ليس لاحد عنده نعمة من شانها
ان تجزى وتكافا فيقصد بايتاء ما يوتي مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استيناف منقطع من نعمة وقرى بالرفع
على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يوتي
ماله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لمكافاة نعمة والايات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان
يوذيهم المشركون فاعتقهم فلذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال
لابي بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف مراده صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف
وقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه واعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له فنزلت وقوله تعالى ولسوف
يرضى جواب قسم مضمر اى وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجلها اذ به يتحقق الرضا
وقرى يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من
العسر ويسر له اليسر والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار
قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام والتي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس
ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى اي سكن اهله او ركض
ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى
فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك ربك جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف
اي ما تركك وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفي صدور الفعل عنه
تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة الفواصل روي ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثناء كما مر في
سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له صلى الله عليه وسلم
بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبي عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه
وسلم وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى انه تعالى مواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشر عليه صلى الله عليه وسلم
بان ما سيؤتيه في الاخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللاخرة خير لك من الاولى لانها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق
وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي صلى الله عليه وسلم من شرف النبوة وان كان لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في
الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه عندما اعد له صلى الله عليه وسلم في الاخرة من السبق والتقدم على
كافة الانبيا والمرسلين يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهدا على سائر الامم ورفع درجات المومنين واعلا
مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل
المراد بالاخرة عاقبة امره صلى الله عليه وسلم اي لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتصاعد رفعة وقوله
تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والاخرين
وظهور الامر واعلا الدين بالفتوح الواقعة في عصره صلى الله عليه وسلم وفي ايام الخلفا الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية
وفشو الدعوة والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبا ابن عباس
عن شمة منها حيث قال له صلى الله عليه وسلم في الجنة الف قصر من لولو ابيض ترابه المسك واللام للابتدا دخلت على الخبر
لتاكيد مضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الى اخره لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون
المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطا كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون
التوكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احدهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الاية كقوله تعالى لالى الله
تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف
عن احدى نوني التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى وللاخرة الى اخره وقوله تعالى الم يجدك يتيما
فاوى تعديد لما افاض صلى الله عليه وسلم من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعما العظام ليستشهد بالحاضر الموجود
على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الى اخره
والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روي انه صلى الله عليه وسلم ان اباه
مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه وقرئ فاوى
وهو من اواه ومن اوى له اذا رحمه وقوله تعالى ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع
المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فاوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في
قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى
فطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السما يا معشر الناس لا تضجوا

فان

فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله
عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على
عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة مظلمة فعدل به عن الطريق فجا
جبريل عليه السلام فنفخ فيه نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف
ما اوحي اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم وازال ضلالك عن وجودك وعلمك ووجدك عائلا اي فقيرا وقرئ عديما
فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت
ظل رمحي وقيل قنعك فاغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحقر وقرئ فلا تكهر بالكاف اي فلا
تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال
يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الاخرة يجي الى باب احدكم فيقول اتبعثون الى اهلكم بشي وقيل المراد
بالسائل هاهنا الذي يسال عن الدين واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها واظهار اثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله
تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعما التي من جملتها النعم الموجودة فيها والمعدودة والمعنى انك كنت يتيما ضالا وعائلا فاواك
وهداك واغناك فمهما يكن من شي فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى واقتد بالله واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فاوه وترحم على السائل
وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته صلى الله
عليه وسلم للضال وتعليمه للشرائع والاحكام حسب ما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل سائل ويتيم

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك لما كان
الصدر محلا لاحوال النفس مخزنا لسائر ما يتابها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة
تصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالم الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي
الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق
بمصالح الخلق عن الاستغراق في شوون الحق وقيل اريد به ما روي عن ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني لما يظهر له صلى الله عليه
وسلم من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا
يقدر احد على ان يجيب عنه بلا وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح
من منافعه صلى الله عليه وسلم ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قوله صلى الله عليه وسلم وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده
وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد
شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر مرارا من القصد الى تعجيل
المسرة والتشويق الى الموخر ولما ان في وصفه نوع طول وتاخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا
عنك عباك الثقيل الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل للتداعي
الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله صلى الله عليه وسلم بما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته
بتفاصيل الاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام المهتدين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد
عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان ووضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك بعين النبوة
واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه وملائكته

وامر المومنين بالصلاة عليه وتمّم رسول الله صلى الله عليه وسلم والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى
فان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له صلى الله عليه وسلم وللمومنين بانه قيل
خولناك ما خولناك من جلايل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية محيء
اليسر كانه مقارن للعسر ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر اخر كثواب الاخرة كقولك
ان للصايم فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون
الثاني عين الاول سوا كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت اي من
التبليغ وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الالا الاتية
فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعا وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك والى ربك وحده فارغب بالسوال
ولا تسال غيره فانه القادر على اسعافه لا غير وقرئ فارغب اي فرغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الم نشرح لك فكانما جاني وانا مغتم ففرج عني والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون هما هذا التين
وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء
لطيف سريع الهضم ودوا كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح
سدد الكبد والطحال وروى ابو داود انه اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة
نزلت من الجنة لقلت هذا فان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فانه يقطع البواسير وينفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضى رضي الله
عنهما التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودوا ولو لم يكن له سوى اختصاصه
بدهن الكثير المنافع مع حصوله في بقاع الادهنة فيها لكفى به فضلا وشجرته المباركة المشهورة في التنزيل ومر معاذ بن جبل على
شجرة زيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة
يطيب الفم وتذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الانبيا قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية
طور زيتا وطور تينا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما
كانه قيل ومنابت التين والزيتون الجبل الذي عليه دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين
مسجد اصحاب الكهف والزيتون المنشا وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس
وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم الذي
تاكلونه وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابرهيم النخعي وعطا وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين
هو الجبل الذي ناجي موسى عليه ربه وسينين وسينا علم للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كيبرون في جواز الاعراب بالواو
والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعرابية وهذا البلد الامين اي الامن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة
شرفها الله تعالى واما انها انها تحفظ من دخل اليها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه
مامون الغوايل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا بمعنى حرمي امن ووجه الاقسام بها تبيك البقاع المباركة المشحونة ببركات
الدنيا والدين غني عن الشرح والتين لقد خلقنا الانسان اي جنس الانسان في احسن تقويم اي كاينا في احسن ما يكون من التقويم
والتعديل صورة ومعنى حيث براه الله تعالى مستوي القامة متناسب الاعضا متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم
والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي منها انموذجات من الصفات السبحانية واثار لها وقد عبر عن بعض العلما عن ذلك بقوله
خلق ادم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال النفس الانسانية

مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف وتستعمله كيف ما شاءت فاذا ارادت
فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقيه الى ما في القلب من الروح الحيواني البدني هو اعدل الارواح واصفاها واقربها منها
واقواها مناسبة الى عالم المجردات الغار روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت
الاعصاب التي فيها القوى المتحركة للانسان فعند ذلك يتحرك من الاعضا ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر
عنه ذلك بهذه الطريقة ان عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له الى ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز
سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا منه يفعل فيه ما يشا ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة
الذين يستدلون على شونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة الاكبر وانموذج منه وقوله
تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اي جعلناهم من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل جريانه على موجب
ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاه لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف
بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق وانما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل
سافلين او صفة لمكان محذوف اي رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات على الاول استثنا متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين
من الهرم فلهم اجر غير ممنون غير منقطع عن طاعتهم وصبرهم على ابتلا الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام
بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيد الاستثنا من خروج المومنين عن حكم
الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول صلى الله عليه وسلم اي فاي شي يكذبك دلالة
او نطقا بالجزا بعد ظهور هذه الدلايل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لشدة التوبيخ
والتبكيت اي ما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل فالمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا
وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلايل على قدرة الله تعالى على البعث والجزا فاي شي يضطرك بعد هذا الدليل
القاطع الى ان يكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان اليس الله باحكم الحاكمين اي اليس الذي فعل ما ذكر احكم الحاكمين صنعا
وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزا او جب استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزا فالجملة تقرير لما قبلها وقيل
الحكم بمعنى القضا فهي وعيد للكافر وانه يحكم عليهم بما يستحقون من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها يقول
بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين
ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم اقرا اي ما يوحى اليك فان
الامر بالقراءة يقتضي المقرو قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سوا كانت السورة اول ما نزل اولا
والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى
باسم ربك متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرا ملتبسا بسمه تعالى اي مبتديا به ليتحقق مقارنته لجميع اقرا المقرو
والتعرض لعنوان الربوبية المنبية عن التربية والتبليغ الى الكمال اللايق شيا فشيا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم
للاشعار بتبليغه صلى الله عليه وسلم الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله
الذي خلق لتذكير اول النعما الفايضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة
وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي انشا الخلق واستاثر به او خلق كل شي وقوله تعالى خلق
الانسان على الاول تخصيص خلق الانسان بالذكر من بين ساير المخلوقات لاستقلاله ببدايع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد

للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المامور بالقراة ويجوز ان يراد
بالعقل الاول ايضا خلق السموات الانسان ويقصد بتجريده عن الابهام ثم التفسير رما لتفخيم فطرته وقوله تعالى **من علق** اي
دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والاخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في
معنى الجمع لمراعات الفواصل ولعله هذا السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة
والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه
تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل كمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته بذلك ولا يستشهد عليه عليه الصلاة والسلام
على تمكينه له تعالى من القراة ثم كرر الامر بقوله تعالى **اقرا** اي افعل ما امرت به تاكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى **وربك
الاكرم** الى اخره فانه كلام مستانف وارد لازاحة ما بينته صلى الله عليه وسلم من العذاب بقوله عليه الصلاة والسلام ما انا بقاري
يريد ان القراة شان من يكتب ويقرا وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراة مبتديا باسمه الذي هو الاكرم **الذي علم
بالقلم** اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القاري بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى **علم الانسان
ما لم يعلم** بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف
المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه واشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم
ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى **كلا** ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة وقوله تعالى **ان الانسان
ليطغى** اي ليجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمرتدع والمردوع عنه قيل هذا الى اخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر
وقوله تعالى **ان راه استغنى** مفعول له اي يطغى لان راى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لراى لانه بمعنى علم ولذلك
ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وان جوزه بعضهم في الروية البصرية ايضا وجعله من ذلك قول عايشة رضي الله
عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه بروية لا بنفس الاستغنا كما ينبي عنه
قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل
جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يومنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المايدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدعا ابقا عليهم وقوله تعالى **ان الى ربك الرجعى** تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد
والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر عليه اي الى مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث
لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى **ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى** تقبيح وتشنيع لحاله
وتعجيب منه وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتاتى منه الروية ويقتضي منه العجب روي ان ابا جهل
قال في ملا من طغاة قريش لئن رايت محمدا يصلي لاطان عنقه فراه صلى الله عليه وسلم في الصلاه فجاه ثم نكص على عقبيه فقالوا
ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستعظام
النهي وتاكيدا للتعجب منه والروية ههنا بصرية واما ما في قوله تعالى **ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى** وما في قوله
تعالى **ارايت ان كذب وتولى** فقلبية معناه اخبرني فان الروية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجرى الاستفهام عنها مجرى
الاخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه
ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة ومن حيث صدق فان ذلك ليس في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي امر بالتقوى
تكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لرايت محذوف وهو ضمير يعود الى
الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني يسد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لرايت لا
لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عباد الله تعالى او امر بالتقوى فيما يومر

من

من عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا بالحق معرضا عن الثواب كما تقول نحن **الم يعلم بان الله يرى** اي يطلع على احواله فيما يريد
بها حتى اجرى على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولي بالشرطية مستقلة معروفة بالجواب مصدرة باستخبار مستانف ولم ينظما في
سلك الشرط الاول لعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم
الاول فامر قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية
هذا وقد قيل ارايت الاول بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة
جواب الشرطية الثانية عليه وارايت في الموضعين تكرير للتاكيد ومعناه اخبرني عن من ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك
الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده ولذلك
ان كان على التكذيب للحق المتولي عن الدين الصحيح كما تقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله ويجازيه
على حسب ذلك فتامل وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى والمنهي على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب
من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى فكانه قال يا كافر اخبرني
ان كان صلاته هدى ودعاوه الى الله تعالى امرا بالتقوى وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة **كلا** ردع للناهي وزجر
له واللام في قوله تعالى **لئن لم ينته** موطية للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر **لنسفعا بالناصية** لناخذن بناصيته
الى النار والسفع القبض على الشي وجذبه بعنف وقوة وقري لنسفعن بالنون المشددة وقري لاسفعن وكتبه في المصحف بالالف على
حكم الوقف والاكتفا بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور **ناصية كاذبة خاطئة** بدل من الناصية وانما
جاز ابدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقريت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب
والخطا على الاسناد المجازي وهو لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطي **فليدع ناديه** اي اهل ناديه
ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم
انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت **سندع الزبانية** ليجروه
الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير واصله زباني فقيل
زبانية بتعويض التاء عن اليا والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الملائكة عيانا **كلا** ردع بعد
ردع وزجر اثر زجر **لا تطعه** اي دم على ما انت عليه من معاصاته **واسجد** وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به **واقترب**
وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي
من الاجر كانما قرا المفصل كله والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشان
القران الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى
نون العظمة المنبي عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله **وما ادراك ما ليلة القدر** لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها
خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى **ليلة القدر خير من الف شهر** فانه بيان اجمالي
لشانها اثر تشويقه صلى الله عليه وسلم الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادراكها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي
اظهار ليلة القدر في الموضعين من تاكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى السما الدنيا كما روي انه انزل
جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السما الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه
وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة واما ابتدا انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انا انزلناه في فضل ليلة القدر كما في قول
عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قران وقول عايشة رضي الله تعالى عنها لانا احقر من نفسي ان ينزل في قران والانسب ان يجعل الضمير

حينئذ للسورة التي جلتها جزء من القران لا الكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتاره
واكثر الاقاويل انها السابعة والعشرون ولعل السر في اخفايها تعريض من يريدها للثواب باحيا الليالي الكثيرة رجا لموافقتها
وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضايها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر
اما للتكثير او لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المومنون منه
وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من الف شهر مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى
الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اوليك العباد وقيل رأى النبي صلى الله عليه وسلم اعمار العباد كافة
فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لساير
الامم وقيل لما كان ملك سليمان عليه السلام خمسماية شهر وملك ذي القرنين خمسماية شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا
من ملكهما وقوله تعالى **تنزل الملائكة والروح فيها** استيناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبا
ما قيل في شان الخلق على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة اي تنزل الملائكة والروح في تلك
الليلة من كل سما الى الارض او الى السما الدنيا **باذن ربهم** متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله ملتبسين باذن ربهم او بامره **من
كل امر** اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة او قابل لقوله تعالى يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ من اجل كل انسان قيل
لا يلقون فيها مومنا ولا مومنة الا سلموا عليه **سلام هي** اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها
فيقضي سلامة وبلا اي ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المومنين **حتى مطلع الفجر** اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر
كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم فوجا بعد فوج الى الطلوع
الفجر وقيل متعلقة بسلام بنا على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر
اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب

اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم
وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيايهم **والمشركين** اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول **منفكين** اي عن
ما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في اخر الزمان ويقولون لاعدايهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متاخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما
شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسالونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في الكتاب وكانوا يغرونهم
بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشي من الشي ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك عن مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة
وعدهم اي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه **حتى تاتيهم البينة** التي قد جعلوا اتيانها
ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير باتيانها بصيغة
المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي تلت وقوله تعالى **رسول**
بدل من البينة عبر عنه صلى الله عليه وسلم بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكون ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى **من الله**
متعلق بمضمر هو صفة لرسول موكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كاين منه
تعالى وقوله تعالى **يتلوا** صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار **صحفا مطهرة** اي منزهة عن الباطل لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه صلى الله عليه وسلم من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله
تعالى **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب** الى اخره كلام لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من

الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في
وصفهم بايتاء الكتاب المنبي عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي
صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى الجنس للطايفتين ولما كان هولا والمشركون باعتبار اتفاقهم على الراي
المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق
اعتبارا لاستقلال كل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الراي المذكور ليس بطريق الاتفاق على راي اخر بل بطريق
الاختلاف القديم وقوله تعالى **الا من بعد ما جاتهم البينة** استثنا مفرغ من اعم الاوقات اي ما تفرقوا في وقت من الاوقات
الا من بعد ما جاتهم البينة الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب
فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاهم العلم وقوله تعالى **وما امروا الا ليعبدوا الله** جملة
حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله **مخلصين له الدين** اي جاعلين دينهم
خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين **حنفا** مايلين عن جميع العقايد الزايغة الى الاسلام **ويقيموا الصلاة
ويوتوا الزكاة** ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتاب ان
امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي من جملتها **وذلك** اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص والصلاة وايتا
الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته **دين القيمة** اي دين الملة وقرئ الدين القيمة على تاويل الدين
بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم
من انهم لا ينفكون من دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الى اخره بيان لاختلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا
لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى استغني فيستغني
فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما
يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه
قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من امن ومنهم من انكر ومنهم من عرف
وعاند كما جوزه القايل فتامل **ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم** بيان لحال الفريقين في الاخرة بعد
بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب
بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الان اما على تنزيل
ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي الا انها ظهرت في هذه النشاة بصورة عرضية
وستخلعها في النشاة الاخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفي سورة الاعراف **خالدين
فيها** حال من المستكن واشتراك الفريقين في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دايرة العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت
عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان **اوليك** اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبايح المذكورة وما
فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اوليك البعدا المذكورون **هم شر البرية** شر الخليقة اي اعمالا وهو
الموافق لما سياتي في حق المومنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تاكيدا لفظاعة حالهم
وقرئ بالهمزة على الاصل **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات** بيان لمحاسن حال المومنين اثر بيان حال الكفرة جريا على السنة
القرانية من شفع الترغيب بالترهيب **اوليك** المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة
هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع خير كجيد وجياد **جزاؤهم** بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات **عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الانهار** ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها
مجموع الارض وما عليها فباعتبار الجز الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود **خالدين فيها ابدا** متنعمين بفنون النعم

الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخير البرية وذكر اجزا المؤمن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده
تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبية عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة
وعاز بعدها نعيما وتاكيد الخلود بالابد من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استيناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة
على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المقاصد قاصيها وملكوا من المآرب ناصيها وابيح لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر من الجزا والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية التي هي من خصايص العلما من شؤون الله عز
وجل مناط لجميع الكمالات العلمية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية
لاسعاد الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مسا[ء]

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا
متكررا متداركا زلزالها اي الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشية الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد
الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره او زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرى بفتح الزاي وهو اسم وليس
في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار
والقلقال وقد قيل هذه النفخة الثانية لقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من الاموات والدفاين جمع ثقل وهو
متاع البيت واظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة التقرير او للايما الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال
بعض اجزائها وقال الانسان اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويدهيهم من الداهية العامة ما لها زلزلت
هذه الزلزلة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهايل وقد سيرت الجبال في
الجو وصارت هبا وقيل هو قول الكافر لافراد لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر
بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذا زلزلت
الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرى تنبي اخبارها وقرى من الانبا بان ربك اوحى لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحا
ربك لها وامره اياها بالتحديث ويستعمل باليا وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من
قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر قوله تعالى فتاتون
افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي اجزية اعمالهم
خيرا كان او شرا وقرى ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفسير
ليروا وقرى يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى من شعاع الشمس من الهبا واياما كان فمعنى روية ما يعادلها من خير
وشر اما مشاهدة جزايه فمن الاولى مختصة بالسعدا والثانية بالاشقيا كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيات المؤمن
المجتنب عن الكباير مغفورة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هبا منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزا ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى ساير الدلايل الناطقة بعفو صغاير
المؤمن المجتنب عن الكباير واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سياته ويثيبه بحسناته واما
الكافر فترد حسناته تحسيرا ويعاقب بسياته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كمن قرا القران كله والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات اقسم سبحانه
بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف والواقع حالا منها اي تضبح وهو

صوت

صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى
الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايرا اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى اي كالتي توري النار من حوافرها
وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة فالمغيرات اسند الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل
او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا
يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما ياتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل
اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن بذلك الوقت نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور
اولا ولا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايرا الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شان التنزيل وقيل النقع الصياح
والجلبة وقرى فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اي وسطن بذلك الوقت
او بوسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعدا والفاآت للدلالة على ترتيب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
فان توسيط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايرا المترتبة على العدو وقوله تعالى ان الانسان
لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان افراده روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى
اناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقبا فابطا عليه صلى الله عليه وسلم خبرها
شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم
ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تحصيل خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه فانه قيل وخيل
الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلا في حق اصحابها ما ارجفوا انهم مغالبون في الكفران وانه على ذلك اي
والانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اي المال كما في قوله تعالى ان
ترك خيرا لشديد اي قوي مطبوعه مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد عليه لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا
له ضابطا وقيل الشديد البخيل اي لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد
وصفه بالكنود للايما الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون
اموالهم ويحوزون من الغنايم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور تهديد ووعيد والهمزة على عطف مقدر
يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبايح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم
اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلا وقرى بحثر وبحث على بنائهم للفاعل وحصل اي جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرى حصل
مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار الخفية التي من جملتها ما تخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا
عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين كني عنهم عن الاحيا الثاني بضمير العقلا بعد ما عبر عنهم بعد ذلك بما بنا على تفاوتهم
في الحالين كما فعل نظيره بعد الاحيا الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الاية بعد قوله
تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا لصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم
وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر
ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزا متصلا به كما ينبي عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه وتعالى محيط بما كان وما
سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرا ابن السماك
ان ربهم بهم يومئذ خبير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة
وشهد جمعا والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **القارعة** القرع هو الضرب بشدة
واعتماد حيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبداوها النفخة الاولي ومنتهاها فصل القضا بين الخلايق كما مر في
سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من
حال الي حال السما بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتشار والارض والجبال بالدك والنسف
وهي مبتدا خبره قوله تعالي **ما القارعة** علي ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدا لا بالعكس لما مر غير مرة ان مناط الافادة هو الخبر
لا المبتدا ولا ريب في ان مدار افادة التهويل والفخامة ههنا هو كلمة ما القارعة اي شي عجيب هي والفخامة والفظاعة وقد
وضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا للتهويل وقوله تعالي **وما ادراك ما القارعة** تاكيد لهولها ببيان خروجها عن دايرة
علوم الخلق علي معني ان عظم شانها ومدي شدتها بحيث لا يكاد تناله دراية احد حتي يدريك بها وما في حيز الرفع في الابتدا وادراك
الي الخبر ولا سبيل الي العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب علي نزع الخافض لان ادري يتعدي الي المفعول الثاني
بالبا كما في قوله تعالي ولا ادراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية المتعلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة
معطوفة علي ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدا الاول اي فاي شي اعلمك ما شان القارعة ولما كان هذا منبيا عن الوعد الكريم
باعلامها انجز ذلك بقوله تعالي **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** علي ان يوم مرفوع علي انه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح
لاضافته الي الفعل وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين اي هو يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار
والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الي الداعي كتطاير الفراش الي النار او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة
وتشويقه صلي الله عليه وسلم الي معرفة اذكر يوم يكون الناس الي اخره فانه يدريك ما هي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه
القارعة اي تقرع يوم يكون الي اخره وقيل تقديره ستاتيكم القارعة يوم يكون الي اخره **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** اي
كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزايها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالي وتري الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من اثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل عز وجل الارض غير الارض ويسير الجبال
عن مقارها علي ما ذكر من الهيات الهايلة التي يشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولي لكن تسييرها
وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالي ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا
صفصفا لا تري فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالي يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد
القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروزوا الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام
في سورة النمل وقوله تعالي **فاما من ثقلت موازينه** الي اخره بيان اجمالي لتحزب الناس الي حزبين وتنبيه علي كيفية الخاصة بكل
منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالي كما قاله الفرا او
جمع ميزان قال ابن عباس انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحايف الاعمال فينظر اليه
الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضا السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش
والضحاك واختاره كثير من المتاخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الي معرفة مقادير الاجسام فكيف علي ان يعرف به مقادير
الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصورة عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية
مناسبة له في الحسن والقبح وقد روي ابن عباس رضي الله عنه انه يوتي بالاعمال الصالحة علي صورة حسنة وبالاعمال السية علي
صورة قبيحة فتوضع في الميزان اي فمن ترجحت مقادير حسناته **فهو في عيشة راضية** اي ذات رضا او مرضية **واما من خفت
موازينه** بان لم يكن لها حسنة يعتد بها او ترجحت سياته علي حسناته **فامه** اي فماواه **هاوية** هي من اسما النار سميت بها لغاية عمقها
وبعد مهواها روي ان اهل النار تهوي فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم الباب الاسفل فيها وعبر عن الماوي بالام لان اهلها ياوون
اليها كما ياوي الولد الي امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعني فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق

لقوله

لقوله تعالي **وما ادراك ما هيه نار حامية** فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم
والتهويل وهي ضمير الهاوية والها للسكت واوصل القاري حذفها وقيل حقها ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة
في المصحف وقد اختير اثباتها مع الوصل عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله تعالي بها موازينه يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم **الهاكم التكاثر** اي شغلكم التغالب في
الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسيادة والاشراف في الاسلام فقال
كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم والمعني انكم تكاثرتم بالاحيا
حتي زرتم المقابر اي حتي استوعبتم المقابر عددا هم صرتم الي التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتي بزيارة القبور
تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعني
الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الي ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فتكون
زيارة القبور عبارة عن الموت وقري الهاكم علي الاستفهام التقريري **كلا** ردع وتنبيه علي ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه
مقصورا علي الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة **سوف تعلمون** سوء عاقبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته **ثم كلا سوف تعلمون** تكرير
للتاكيد وثم للدلالة علي ان الثاني ابلغ من الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور **كلا لو تعلمون علم اليقين** اي لو تعلمون
ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالي **لترون
الجحيم** جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما **ثم لترونها** تكرير للتاكيد او
الاولي اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها والمراد بالاولي المعرفة والثانية المشاهدة والمعاينة **عين اليقين** اي
الروية التي هي نفس اليقين وان علم المشاهدة اقصي مراتب اليقين **ثم لتسالن يومئذ عن النعيم** اي عن النعيم الذي الهاكم
الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مقصود بمن عكف همته علي استيفا اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين
ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالي وتقوي بها علي طاعته وكان
ناهضا للشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة التكاثر لم
يحاسبه الله تعالي بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية

بسم الله الرحمن الرحيم **والعصر** اقسم سبحانه وتعالي بصلاة
العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحي او بعصر النبوة علي سائر الاعصار او بالدهر
لانطوايه علي التعاجيب الامور القاهرة والمارة **ان الانسان لفي خسر** اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم
في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني
الخسيس بالباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرايحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان
لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالي **وتواصوا بالحق** الي اخره بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصي بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل
الي انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن اثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في عقد وعمل **وتواصوا
بالصبر** اي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلي الطاعات التي يشق عليها اداوها وعلي ما يبلو الله عز
وجل عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتنا به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة
التي هي فعل ما يرضي به الله تعالي والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالي فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما
تتوق اليه من فعل وترك بل تلقي ما ورد عنه تعالي بالجميل والرضي به ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة العصر

غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **ويل** مبتدا خبره **لكل همزة لمزة** وساغ الابتدا به مع كونه نكرة لانه دعا عليهم بالهلكة اى شدة الشر والهمزة لكسر الهمز او اللمز الطعن للزشاعا فى الكسر مع اعراض الناس والطعن فيهم وبنا فعله على ان ذلك للدلالة على الدلالة منه عادة مستمرة قد جرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرى لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى ياتى بالاضاحك فيضحك منه ويشتهرى به وقيل نزلت فى الاخنس ابن شريف فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل فى امية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضة من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعى خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فلهم ذنوب مثل ذنوبهم **الذى جمع مالا** بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرى جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم الموافق لقوله تعالى **وعدده** وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقيل وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام **يحسب ان ماله اخلده** اى يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول الاحوال المال امله ومناه الامانى البعيدة حتى اصبح لفرط عقله وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد فى الدنيا وانه هو الذى اخلد صاحبه فى الحياة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروى ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة مستانفة او حال من فاعل جمع **كلا** ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى **لينبذن** جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع اى والله ليطرحن بسبب تعاطيه الافعال المذكورة **فى الحطمة** اى فى النار التى شانها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى **وما ادراك ما الحطمة** لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى **نار الله** خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لشمول المسئول عنها اى هى نار الله **الموقدة** بامر الله عز وجل سلطانه وفى اضافتها اليه سبحانه ووصفه بالا يقادر من تهويل امرها ما لا مزيد عليه **التى تطلع على الافئدة** اى اوساط القلوب وتغشى وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما فى الجسد واشدها تالما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشا الاعمال الخبيثة السيئة **انها عليهم موصدة** اى مطبقة من اوصدت الباب واصدته اى اطبقته **فى عمد ممددة** اما حال من الضمير المجرور فى عليهم اى كائنين فى عمد ممددة اى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدا مضمر اى هم فى عمد او صفة لموصدة قاله ابو البقا اى الكائنة فى عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق اللهم بفضلك وكرمك يا كريم يا اكرم الاكرمين وارحم الراحمين اجرنا منها يا خير مستجار وقرى عمد بضمتين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم **الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رويته صلى الله عليه وسلم بانكار عدمها وكيف متعلقه بفعل الروية منصوبة بما بعدها والروية علمية اى الم تعلم علما يقينيا متاخيا للشهادة المشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار الظاهرة وتعليق الروية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الى اخره لتهويل الحادثة والايذان بان وقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظيم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى بصنعا وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحجاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة

فخرج رجل مع الحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنى عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه الفيل محمود وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضر وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل وروى ان ابرهة تساقطت انملته واعضاؤه وماتت حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فى شانها فلما راه ابرهة عظم فى عينه وكان وسيما جسيما وقيل لابرهة هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على بساط وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم من قديم الدهر لا تكلمنى فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة واخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هى نجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت رايت قائد الفيل وسائسه اعميين يتكففان يستطعمان وقرى الم تر بسكون الرا للجد فى اظهار اثر الجازم وقوله تعالى **الم يجعل كيدهم فى تضليل** الى اخره بيان اجمالى لما فعل الله بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم فى تعطيل الكعبة وتخريبها فى تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير **وارسل عليهم طيرا ابابيل** اى خرائق وجماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها **ترميهم بحجارة** صفة لطير وقرى يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تانيثه باعتبار المعنى **من سجيل** من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار وكان سجينا علم للديوان الذى يكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال **فجعلهم كعصف ماكول** كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقى صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير بها ولحاله الى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من المسخ والخسف والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **لايلاف قريش** متعلق بقوله فليعبدوا والفا لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره اعجبوا الايلاف وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ويؤيده انهما فى مصحف ابى سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا اليهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن فى رحلتهم فلا يجترى عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتا الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتهم امنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك الفت المكان ايلافا اذا الفته وقرى لالاف قريش اى لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقرى لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد

ايلافهم رحلة الشتا والصيف بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتي الشتا والصيف لامن الالتباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابداله هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرى ليالف قريش الفهم رحلة الشتا والصيف وقرى رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام وآمنهم من خوف عظيم لايقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والروية بمعنى المعرفة وقرى ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفا في قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزا او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه على ما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسئل من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسال يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وايل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرى يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه ولا يحض اي اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث على غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ملك مع القدرة عليه والفا في قوله تعالى فويل الى اخره اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلايل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلين غير مبالين بها الذين هم يراوون اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون اي الزكاة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالات باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالات بالصلاة التي هي عماد الدين والريا الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام وسو المعاملة مع الخلق احق بذلك واما الترتيب الدعا عليهم بالويل على ما ذكر من قبايحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبايح اخر غير ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الدين غفر الله له ان كان للزكاة موديا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرى انا انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين والرياسة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد وانيته من فضة عدد نجوم السما وروي لا يظما من شرب منه ابدا اول وارديه فقرا المهاجرين الذين الدنسو الثياب الشعث الروس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره ولو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال هو الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علما امته او القران حاوي لخيري الدنيا والدين والفا في قوله تعالى فصل لربك وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها احد من العالمين مستوجبة للمامور به اي استيجاب اي فدم على الصلاة لربك الذي افاض

عليك

عليك هذه النعمة الجليلة التي لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها ادا لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفرا والكلبي وابي الاحوص ان شانئك اي مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الاخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وايل واياما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك سنة فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على روسهم فقرا عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اذ لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما في اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى ولي دين تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه على الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه على المحال الذي هو عبادتي لالهتكم واستلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم نعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فتامل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى من الفزع الاكبر والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جا نصر الله والفتح اي اعانته واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها نفس ام القرى واما جعل مجيه بمنزلة مجي ساير الفتوح وعلق به امره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والحمد

والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه صلى الله عليه وسلم وانهما على جناح الوصول اليه عليه
الصلاة والسلام عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ
باعتبار ان بعض ما في حيزها اعني رؤية دخول الناس الى اخره غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان
ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف
على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون
اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم صلى الله عليه وسلم وقد كان تعالى امكنه من رقابهم عنوة
وكانوا له فيا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن **ورايت الناس** اي ابصرتهم او علمتهم **يدخلون في
دين الله** اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرايت وقوله
تعالى **افواجا** حال من فاعل يدخلون اي يدخلون فيه جماعات كثيرة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وساير قبائل العرب وكانوا
قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا او اثنين اثنين وروي انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا
ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام
افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول **فسبح بحمد ربك** فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب
لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على احد حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر
واما على الثانية فلانه صلى الله عليه وسلم امر بان يداوم على ذلك استعظاما لنعمته لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب
حالة الفتح او ما ذكره سبحانه حامدا اي زيادة عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما فتح
باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات
الجلال حامدا له على صفات الاكرام **واستغفره** هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا
لما فرط منك من ترك الاولى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك
استغفرك واتوب اليك وعنه صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها النبي صلى الله
عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فلم ير صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا الغلام
علما ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انه لما نزلت خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله
عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال يا ابنتاه انه
نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان هذه السورة تسمى سورة التوديع
وقيل هو امر بالاستغفار لامته **انه كان توابا** اي منذ خلق المكلفين اي مبالغا في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا
للقبول عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم تبت اي هلكت **يدا ابي
لهب** هو عبد العزى بن عبد المطلب واثار التباب على الهلاك واسناده على يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين
رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه صلى الله
عليه وسلم به **وتب** اي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب
وكان ذلك وحصل لقول من قال

جزاني

جزاني جزاه الله شر جزائه ٭ جزاء الكلاب العاديات وقد فعل ٭
ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وفعل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه
وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر
اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرئ ابي لهب بسكون الهاء **ما اغنى عنه ماله وما كسب** اي لم يغن عنه حين حل به
التباب على ان ما نافية او اي شيء اغنى عنه على انها استفهامية له بمعنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسب من الارباح والنتائج
والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله
عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه على شيء لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب
ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افدي منه نفسي من مالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه
فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير الكثيفة وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وهلكت نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا
حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان فاحتملوه فدفنوه فكان الامر كما خبر به القران **سيصلى** بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام
بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد الوعيد والتشديد اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الاخرة **نارا ذات
لهب** اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقران
ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز
ان يفهم من هذا ان ابا لهب دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره والاضطرار الى الجواب المشهور لان ما كلفه هو الايمان بجميع ما
جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر **وامراته**
عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك
والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يطاه كما يطا الحرير وقيل كانت تمشي
بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة **حمالة الحطب** بالنصب على الشتم والذم
وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها
مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على انه خبر وامراته
مبتدا او قوله حمالة الحطب نصبا ورفعا وقرئ مرتبة بالتصغير للتحقير **في جيدها حبل من مسد** جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر
والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامراته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امراته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل
فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اي ليف كان وقيل شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل
واوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون
تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما بيت العز والشرف قال الهمداني كانت
ام جميل تاتي كل يوم بابالة من حسك فتطرحها في طريق المسلمين فبينا هي ذات يوم حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح
فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان
ومداره وضعه موضعه مع عدم ذكره للايذان بانه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل
ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي هو القصد المطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط
لانها عين الشان الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة للتنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة خطرها مع ما فيه من زيادة

تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه
فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم
من احد عنه حاجزين وما في قوله صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم فانها اصلية وقال مكي اصل احد واحد
فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احداهما تخفيفا وقال ثعلب وان احدا لا يبنى عليه العدد ابتدا
فلا يقال احد واثنان ولا يقال رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى او هو لما سئل عنه اي الذي سئلت عنه هو الله اذ
روي ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا اليه وانسبه فنزلت والضمير مبتدا والله خبره وواحد بدل منه او خبر ثان او خبر
مبتدا محذوف وقرى هو الله احد بغير قل وقرى الله احد بغير قل وقرى قل هو الله الواحد وقوله تعالى **الله الصمد** مبتدا وخبر
والصمد فعل بمعنى من صمد اليه بمعنى اذا قصده او هو السيد المصمود اليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع
جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته
وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية والتعدية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة
للاولى بين اولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب لوجه من
الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه في
وجودها وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة
فقيل **لم يلد** تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي اي لم يلد عنه ولد لانه لا
يجانسه شي ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد كما نطق به قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه
ويخلصه لاستحالة الحاجة والفناعليه سبحانه **ولم يولد** اي لم يصدر عن شي لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا والتصريح
به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه للاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية
بان يولد الاعتراف بانه لم يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستاخرون كما مر تحقيقه **ولم يكن له كفوا احد** اي لم يكافيه
احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التاخر عنه لاهتمام بها لان المقصود نفي المكافاة
عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبر الاصله ويكون كفوا حالا لاحد ليس بذاك واما تاخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل
بين هذه الجملة عين عين البيان وقرى بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطوى السورة
مع تقارب قطريها على اثبات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث القران فان مقاصده
محصورة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اي ما خلقت الا لتكون دلايل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته
التي بها هذه السورة الكريمة وعنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله
قال وجبت الجنة والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق الفلق فلق الصبح
كالفرق لانه يفلق عنه الليل من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار
والحب والنوى عما يخرج منها وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبي عن النور عقيب الظلمة والسعة
بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظايره ومزيد ترغيب له
في الجد والاعتنا بقرع باب الالتجا اليه تعالى واما للاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما
يخاف كما قيل فلا اذ لاريب للعائذ في قدرته تعالى على ذلك حتى لا يحتاج الى التنبيه عليها **من شر ما خلق** اي من شر ما خلقه من الثقلين

وغيرهم كائنا من كان من ذوات الطبائع والاختيار وهو كما ترى شامل لجميع   فمن توهم ان الاستعاذة ههنا من المضار
البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الى الرب الى الفلق فقد نأى عن
الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة
المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى **ومن شر غاسق** تخصيص
لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة والدعا الى الاعادة اي ومن شر ليل معتكر
ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلا يقال غسقت العين اذا امتلات دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل
انصباب ظلامه وغسق العين انصباب دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع
افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى **اذا وقب** اي دخل ظلامه في كل شي لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اضعف واعسر
ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلا ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عائشة رضي الله
عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر وقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل
التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في اخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا
يشتغل السحرة بالسحر المورث بالتمريض الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها
لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه **ومن شر النفاثات في العقد**
اي ومن شر النفوس والنسا السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرى
النافثات كما قرى النفاثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادها وتمحضها فيه وتخصيصه
بالذكر لما روي ان ابن عباس وعائشة رضي الله تعالى عنهما انه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده ممن اسنان
من مشطه صلى الله عليه وسلم فاعطاه اليهود فسحروه صلى الله عليه وسلم فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته وهن
النافثات في العقد فدفنها في بير اريس فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر
وبمن سحره وبم سحر فانفذ صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ما البير فكان نقاعة الحنا ثم رفعوا راعوفة
البير وهي الصخرة التي توضع في اصل البير فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احد عشر عقدة مغروزة بالابر فجاوا
بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرا المعوذتين عليها فكان كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت
العقدة الاخرة عند تمام السورتين فقام صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث قال
صلى الله عليه وسلم اما انا فقد عافاني الله واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم
غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزايم الرجال بالحيل
مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها **ومن شر حاسد اذا حسد** اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه
بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا او فعلا والتقييد بذلك لان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا
غير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ وقرى في السورتين
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام **برب الناس** اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى **ملك
الناس** عطف بيان جي به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية ساير الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك
الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى **اله الناس** فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلا عليه
والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي بترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤ

على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احيا واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس
مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى
الحقيقة بالاعادة فان توسل العابد لربه انتسابه اليه تعالى بالربوبية والمملوكية والمعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من
دواعي مزيد الرحمة والرافة وامره تعالى بذلك من دلايل الوعد الكريم بالاعادة لامحالة ولان المستفاد منه شر الشيطان المعروف
لعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمزا الى انجايهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما
ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس
البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار الى البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف
اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة **من شر الوسواس** هو اسم من الوسوسة وهو الصوت الخفي كالزلزال بمعنى
الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة **الخناس** الذي عادته ان يخنس اي يتاخر
اذا ذكر الانسان ربه **الذي يوسوس في صدور الناس** اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع
والنصب على الذم **من الجنة والناس** بيان للذي يوسوس انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق
بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا لكن
حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط اليا كسقوطها في قوله تعالى
يوم يدع الداع ثم بين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلي بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه نوافع عصمته
وتناوله اوسع رحمته عصمنا الله تعالى عن الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوقه وشكره

وكان الفراغ من كتابته يوم الاثنين المبارك رابع عشر شهر ربيع الاخر من
شهور سنه ست بعد الالف على يد اقل عبيد الله واحوجهم الى
مغفرته يحيى الديشطي بن فخر الدين بن نور الدين علي
غفر الله له ولمن قراها وراى شيا واصلحه من
غير اعتراض والحمد لله وحده وصلى الله
على من لا نبي بعده سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا دايما
ابدا الى يوم
الدين
امين

١٠٠٦